İSTANBUL ÜNİVERSİTESİ KÜTÜPHANESİ

٥٤٥

نظم الدرر - جلد رابع

٥٤٥

١٣٢٢

مقصودها مدلول اسمها الذي يعم فتح مكة وما تقدمه من صلح الحديبية وفتح خيبر ونحوهما وما وقع
تصديق الخبر به من غلب الروم على اهل فارس وما تفرع من فتح مكة المشرفة من اسلام اهل جزيرة العرب
وقتال اهل الردة وفتوح جميع البلاد الذي يجمعه كله اظهار الدين على الدين كله وهذا كله في غاية
الظهور بما نطق به ابتداؤها واثناؤها في مواضع منها لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الاية وانتهاؤها
ليظهره على الدين كله محمد رسول الله الى قوله ليغيظ بهم الكفار اي بالفتح الاعظم وما دونه من الفتوحات
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة كما كان في اولها للرسول صلى الله عليه وسلم واجرا
عظيما كذلك بسائر الفتوحات وما حوت من الغنائم ثم للثواب الجزيل على ذلك في دار الجزاء بسم الله
المحيط بكل شيء قدرة وعلما الرحمن الذي عم المكلفين بنعمة الوعد والوعيد الرحيم الذي اختص
اهل حزبه لاقامة دينه الحق فاظهرهم على سائر العبيد لما كانت تلك سورة الجهاد وكانت
هذه سورة الفتح بشارة للمجاهدين من اهل هذا الدين بالفوز والظفر والنصر على من كفر وهذا كما
سيأتي في ايلا سورة النصر لسورة الكافرون فاخبرت القتال عن الكافرين بابطال الاعمال والتدبير
واهلاكهم بالقتال وافساد جميع الاحوال وعن الذين امنوا بما نزل على محمد بالهداية واصلاح البال
وختمها بالتحريض على مجاهدتهم بعد ان ضمن لمن نصره منهم النصر وتثبيت الاقدام وهدد من اعرض
باستبدال غيره به وان ذلك المبدل لا يتولى عن العدو ولا ينكل عنه فكان ذلك محتما لسفول الكفر وعلو
الايمان وذلك هو بعينه الفتح المبين فافتتح هذه بقوله على طريقة النتيجة لذلك بقوله مؤكدا اعلاما
بانه لا بد منه وانه مما ينبغي ان يؤكد ابتهاج النفوس الفاضلة به وتكذيب من في قلبه مرض وهم اغلب
الناس في ذلك الوقت انا اي بما لنا من العظمة التي لا تثبت لها الجبال فتحنا اي اوقعنا الفتح المناسب
لعظمتنا لكل متعلق باتقان الاسباب المنتجة له من غير شك ولذلك عبر عنه بالماضي ولما كانت منفعة
ذلك له صلى الله عليه وسلم لان اعلاء كلمة الله يكون به فيعليه وتمتلي الارض من امته فلا يعمل احد منهم
حسنة الا كان له مثل اجرها ويكونون على قصر زمنهم ثلثي اهل الجنة فيكون ذلك شرفا له الى غير ذلك
من الاسرار التي تعيى دون ايسرها الكفار قال لك اي بصلح الحديبية في ذي القعدة سنة ست
من الهجرة الذي نزلت هذه السورة في شانه بضجنان في الرجوع منه الى المدينة الشريفة قال الزهري
لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فراوا ما لا اعدل
منه ولا احسن فاستولى الاسلام على قلوبهم وتمكن منهم فاسلم في ثلث سنين خلق كثير وكذا كان من
الفتح تقوية امره صلى الله عليه وسلم بالتعبيد فتحا وزاد في اعظامه بقوله مبينا اي لا لبس فيه على
احد بل يعم كل ذي عقل به انك ظاهر على جميع اهل الارض لانك كنت وحدك وكان عند اهل الكفر انك في
ايديهم وان امرك لا يعدو فمك فتبعك ناس ضعفاء فعذبوهم وكانوا معهم في اسوء الاحوال وتقرر
ذلك في اذهانهم مدة طولها ثلث عشر سنة ثم انقذ الله اتباعك منهم بالهجرة الى النجاشي رحمه الله
اولا والى المدينة الشريفة ثانيا وهم مطمئنون بانك انت وانت راسهم لا ينتظر لهم دونك امر ولا يحصل
لكسرهم ما لم تكن معهم جبر في قبضتهم لا خلاص لك ابدا منهم ولا انفكاك من بلدهم فاستخرجك الله من عندهم
بعد ان حماك على خلاف العادة وانت بينهم من ان يقتلوك مع اجتهادهم في ذلك واستفراغهم قواهم
في اذاك ثم بذلوا جهدهم في منعك من الهجرة فما قدروا ثم في ردك فما اطاقوا ولا فازوا ولا ظفروا
بل غلبوا وشتتهم الله ايدك بانصار ابرار اخيار فكنتم على قلتكم كالليوث الكواسر والبحار الزواخر

ما ملتم

ما ملتم على جهة الا غنمتموها ولا قربتم بالنصف من اربابها وقتلتموها او اسرتموها ولا تزالوا تزدادون وتقوون
وهم ينقصون ويضعفون حتى اتيتموهم في بلادهم التي هم قاطعون بانهم ملكوها يتعذر على غيرهم غلبهم عليها
بل سلوكها فما دافعوكم عن الدخول عليهم الا بالراح وسالوكم في وضع الحرب للدعة والاصلاح فقد
ظهرت اعلام الفتح انتم ظاهرون وعلم ارباب القلوب انه لا بد في امتطائكم الذرى وسموكم الى رتب المعالي
امور واي امور وروى الامام احمد عن مجمع بن جارية الانصاري رضي الله عنه قال شهدنا الحديبية
مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا منها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال الناس قالوا
اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فخرجنا نوجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على
راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع عليه الناس قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر رضي الله عنه او فتح هو
يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وقال الامام ابو جعفر بن الزبير ارتباط هذه السورة بالتي
قبلها واضح من جهات وقد يغمض بعضها منها ان سورة القتال لما امروا فيها بقتال عدوهم في قوله تعالى فاذا
لقيتم الذين كفروا الاية واشعروا بالمعونة عند وقوع الصدق في قوله ان تنصروا الله تنصروا استدعى
ذلك تشوف النفوس الى حال العاقبة فعرفوا بذلك في هذه السورة فقال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا
فعرف تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بعظيم صنعه له واتبع ذلك بشارة المؤمنين العامة فقال هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين الايات والتحمت الى التعريف بحال من نكث من مبايعيه صلى الله عليه
وسلم المخلفين من الاعراب والحض على الجهاد وبيان حال ذوي الاعذار وعظيم نعمته سبحانه على اهل بيعته
لقد رضي الله عن المؤمنين واثابهم الفتح واخذ المغانم وبشارتهم بفتح مكة لتدخلن المسجد الحرام الى ما ذكر
سبحانه من عظيم نعمته عليهم وذكرهم في التوراة والانجيل ما تضمنت هذه السورة الكريمة ووجه اخر
وهو انه لما قال تعالى في اخر سورة القتال فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن
يتركم اعمالكم كان هذا اجمالا في عظيم ما منحهم وجليل ما اعطاهم فتضمنت سورة الفتح تفسير هذا الاجمال
وبسطه وهذا يستدعي من بسط الكلام ما لم نعتمده في هذا التعليق وهو بعد مفهوم مما سبق من الاشارات
في الوجه الاول ووجه اخر مما قد يغمض وهو ان قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا
يكونوا امثالكم اشارة الى من يدخل في ملة الاسلام من الفرس وغيرهم عند تولي العرب وقد اشار ايضا
الى هذا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الايات
واشار الى ذلك عليه السلام ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذا
وعقد السبابة بالابهام اشار عليه السلام الى تولي العرب واستيلاء غيرهم الواقع في الايتين واما اشارته
عليه السلام بقوله اليوم الى التقدير والتاخر وفرغ هذا الامر الى ايام ابي جعفر المنصور فغلبت الفرس
والاكراد واهل الصين وصين الصين وهو ما يلي ياجوج وماجوج وكان فتحا وعزا وظهورا لكلمة الاسلام
وغلب هؤلاء في الخطط والتدبير الاماري وسادوا غيرهم ولهذا جعل صلى الله عليه وسلم مجيئهم فتحا فقال
فتح اليوم ولو اراد غير هذا لم يعبر بفتح الا ترى قول عمر لحذيفة رضي الله عنهما في حديث الفتن حين قال له
ان بينك وبينها بابا مغلقا فقال عمر يفتح ذلك الباب ام يكسر فقال بل يكسر ففرق بين الفتح والكسر واما اشار
الى قتل عمر رضي الله عنه فلذا قال عليه السلام فتح وقال من ردم ياجوج واراد من نحوهم وجهتهم واقاليمهم
لان الفرس ومن اتى معهم هم اهل الجهات التي تلي الردم فعلى تمهيد هذا يكون قوله تعالى وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم اشارة الى غلبة من ذكرنا وانتشارهم في الولايات والخطط الدينية والمناصب العلمية ولما
كان هذا قبل ان يوضح امره يوهم نقصا وخطا بين انه تجديد فتح واعزاز منه تعالى لكلمة الاسلام فقال تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا الايات ذكر القاضي ابو بكر بن العربي في تلخيص التلخيص علماء المالكية مشيرا الى تفاوت

درجاتهم ثم قال وامضاهم في النظر عزيمة واقواهم فيه شكيمة اهل خراسان العجم انسابا وبلادا
العرب عقايد وايمانا الذين تنجز فيهم وعد الصادق المصدوق وملكهم الله مقاليد التحقيق حين اعرضت
العرب عن العلوم وتولت عنها واقبلت علي الدنيا واستوسقت منها قال اصحاب رسول الله صلي الله عليه
وسلم يا رسول الله من هولا الذين قال الله فيهم وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم
فاشار عليه السلام الي سلمان وقال لو كان الايمان في الثريا لناله رجال من هولا انتهي **ولما اخبر** سبحانه
بالفتح عقب سورة الذين كفروا بشارة بظهور اهل هذا الدين وادبار الكافرين كما سياتي في ايلا سورة
النصر لسورة الكافرين لذلك علل الفتح بالمغفرة وما بعدها رمزا الي وفاة رسول الله صلي الله عليه وسلم
بروحي هو وابي وامي ايماء الي ان المراد من اخراجه الي دار الغنا انما هو اظهار الدين القيم وازهاق
الباطل لتعلو درجته وتعظم رفعته فعند حصول الفتح تم المراد كما كانت سورة النصر التالية للكافرين
رامزة الي ذلك كما هو مشهور ومذكور ومسطور فالفتح الذي هو احد العلامات الثلاث المذكورة في
سورة النصر هو السبب الاعظم في النصر علي جميع المناوين الذي هو السبب الاعظم في ظهور دينه
علي الدين كله الذي هو العلامة العظمي علي اقتراب اجله نفسي فداوه وانسان عيني من كل سوء وقاوه
فقال تعالي **ليغفر لك الله** مشيرا بالانتقال من اسلوب العظمة بالنون الي اسلوب الغيبة المشير الي غاية
الكبر بالاسناد الي الاسم الاعظم الي ان هذه المغفرة محيطة بحسب احاطة هذا الاسم الجامع لجميع الاسما الحسني
ما تقدم من ذنبك اي الذي تقدم في القتال امرك بالاستغفار له وهو ما تنتقل عنه من مقام كامل الي
مقام فوقه اكمل منه فتراه بالنسبة الي الاكملية المقام الثاني ذنبا وكذا قوله **وما تاخر** **قال الرازي**
المغفرة المعتبرة لها درجات كما ان الذنوب لها درجات حسنات الابرار سيات المقربين انتهي ويجوز
ان يكون المراد لتشاهد المغفرة بالنقلة الينا بعد علم اليقين بعين اليقين وحق اليقين **فالمعني** ان الله
يتوفاه صلي الله عليه وسلم عقب الفتح ودخول جميع العرب الذين يفتحون جميع البلاد ويهدي الله بهم سائر
العباد في دينه وييأس الشيطان من ان يعبد في جزيرتهم الا بالمحقرات لوجود المقصود من امتلا الاكوان بحسناته
صلي الله عليه وسلم وعموم ما دل عليه اسمه المذكور في هاتين السورتين من حمد بكماله في ذاته وصفاته ببلوغ
اتباعه الي حد لا يحصرون فيه بعد ولا يقف لهم مخلوق علي حد **ولما** كان تمام النعمة يتحقق بشيئين اظهار
الدين والنقلة الي مرافقة النبيين قال تعالي مخبرا بالشيئين **ويتم نعمته عليك** بنقلك من عالم الشهادة
الي عالم الغيب ومن عالم الكون والفساد الي عالم الثبات والصلاح الذي هو اخص بحضرته واولي برحمته
واظهار اصحابك علي جميع اهل الملل ويدحضون شبه الشيطان ويدمغون كل كفران وينشرون رايات
الايمان في جميع البلدان بعد اذلال اهل العدوان ومحو كل طغيان **ولما** كانت هدايتهم من هدايته
اخبا ها سبحانه اليه اعلاما له انها هداية تليق بجنابه الشريف سرورا له فقال **ويهديك** اي به
بهداية جميع قومك **صراطا مستقيما** اي واضحا جليا لا خفيا موصلا الي المراد لا عوج فيه بوجه هداية
تقتضي لزومه والثبات عليه **وينصرك الله** بنصرهم علي ملوك الامم وجلايهم لساير العجم نصرا يليق باسناده
الي اسمه المحيط بساير العظم **نصرا عزيزا** اي يغلب المنصور به كل من ناواه ولا يغلبه شي مع دوامه
فلا ذل بعده لان الامة التي تتصف به لا يظهر عليها احد والدين الذي قضاه لاجله لا ينسخه شي **ولما**
كان صلي الله عليه وسلم قد اخبر المؤمنين برؤياه انه يطوف بالكعبة الشريفة وعزم علي العمرة عام الحديبية
وخرج صلي الله عليه وسلم وخرج معه خلاصة اصحابه الف وخمسماية فكانوا موقنين انهم يعتمرون في
وجههم ذلك وقر ذلك في صدورهم واشربته قلوبهم فصار نزعه منها اشق شي يكون فصدهم المشركون
بعد ان تركتا بياقته وصالحهم صلي الله عليه وسلم علي ان يرجع عنهم في ذلك العام ويعتمر في مثل ذلك الوقت

من

من القابل وكان ذلك بلا ادني منه منزلا للاعتقاد مطرقا للشيطان الوسوسة في الدين وقد كان
مثله في الاسرا ولم يكن صلي الله عليه وسلم اخبر بما يوهم في امره فارتد ناس كثيرون بسببه قال تعالي دالا علي
النصر بتثبيت المومنين في هذا المحل الضنك اظهارا لتمام قدرته ولطيف حكمته **هو** اي وحده **الذي انزل** في يوم
الحديبية وغيره **السكينة** اي الثبات علي الدين **في قلوب المومنين** اي الراسخين في الايمان وهم اهل
الحديبية بعد ان دهمهم فيها ما من شانه ان يزعج النفوس ويزيغ القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة
رضي الله عنهم دون بلوغ مقصودهم فلم يرجع احد منهم عن الايمان بعد ان ماج الناس وزلزل حتي عمر رضي
الله عنه مع انه الفاروق ومع وصفه في الكتب السالفة بانه قرن من حديد فما الظن بغيره في قلق نفسه
وتزلزل قلبه وكان للصديق رضي الله عنه من القدم الثابت والاصل الراسخ ما علم به رضي الله عنه انه لم
يسابق ثم تبعتهم الله اجمعين **قال الرازي** والسكينة الثقة بوعد الله والصبر علي حكم الله بل السكينة
ههنا معني يجمع نورا وقوة وروحا يسكن اليه الخايف ويتسلي به الحزين والضجر واثر هذه السكينة الوقار
والخشوع وظهور الحزم في الامور انتهي ولكل من رسخ في الايمان من هذه الاية نصيب بحسب جاهه ذاك **ولما**
لحيز بما لا يقدر عليه غيره علله بقوله **ليزدادوا** اي بتصديق الرسول حين لهم انهم لا بد ان يدخلوا مكة
ويطوفوا بالبيت وحلهم الله به من الشبه بتذكيرهم انه لم يقل لهم انهم يدخلون العام **ايمانا** بعد
التصديق بالغيب من ان صلحهم للكفار ورجوعهم من غير بلوغ قصدهم هو عين الفتح ليرتب الصلح عليه
وترتب فشو الاسلام علي الصلح كما كشف عنه الوجود بعد ذلك ليقيسوا عليه غيره من الاوامر **مع**
ايمانهم الثابت من قبل هذه الواقعة **قال القشيري** بطلوع اقمار عين اليقين علي نجوم علم اليقين ثم
بطلوع شمس حق اليقين علي بدر عين اليقين **ولما** كان ربما ظن شقي مر اخذ الامور بالتدريج شيئا في القدرة
ولله اي الذي انزل السكينة عليهم ليكون نصرهم في هذه العمرة بالقوة ثم يكون عن قريب بالفعل والحال
انه له وحده **جنود السموات والارض** اي جميعها ومنها السكينة يدبرهم بلطيف صنعه وعجيب تدبيره
فلو شا لنصر المومنين الان بالفعل ودمر علي اعدايهم بجنود من جنوده او بغير سبب لكنه فعل ذلك
ليكون النصر بكم فيعلو امركم ويعظم اجركم ويظهر الصادق في نصره من الكاذب فان الدار دار البلا
وبنا المسببات علي الاسباب علي وجه الاغلب فيه الحكمة لا القهر وظهور الكلمة فاسمه الباطن هو الظاهر
في هذه الدار فلذلك تري المسببات مستورات باسبابها فلا يعلم الحقايق الا البصرا الا تري انه صلي الله
عليه وسلم لما نزلت عليه هذه السورة فتلاها عليهم قال بعض الصحابة رضي الله عنهم اي رسول الله وفتح
هو وقال بعضهم لقد صدونا عن البيت وصدوا هدينا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم بيس الكلام
هذا بل هو اعظم الفتح اما رضيتم ان تطرقوهم في بلادهم فيدفعوكم عنها بالراح ويسالوكم القضية ويرغبوا
اليكم في الامان وقد راوا منكم ما كرهوا واظفركم الله عليهم وردكم سالمين ماجورين فهو اعظم الفتوح
انسيتم يوم احد اذ تصعدون ولا تلوون علي احد وانا ادعوكم في اخراكم انسيتم يوم الاحزاب اذ
جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا
فقال المسلمون صدق الله ورسوله فهو اعظم والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولانت اعلم
بالله وامره منا وانزل الله تاكيدا لامر الرويا لمن اشكل عليهم حالها لقد صدق الله رسوله الرويا
بالحق الاية فهذه اشيا كما تري كلها راجعة الي الخفا بالتحجب في استار الاسباب فلا يبصرها الا ارباب
التدقيق في النظر في حكمة الله سبحانه **ولما** كان مبني ما مضي كله علي القدرة بامور خفية يظهر منها
من الضعف غير ما كشف عنه الزمان من القوة وكان تمام القدرة متوقفا علي شمول العلم قال
تعالي **وكان الله** اي الملك الاعظم ازلا وابدا **عليما** بالذوات والمعاني **حكيما** في اتقان ما يصنع

نزده لهم عن هذه العمرة بعد ان دبّر امر الصلح ليامن الناس فيداخل بعضهم بعضا لما علم من انه لا يسمع القرآن
احد له عقل مستقيم ويرى ما عليه اهله من شدة الاستمساك به والبغض لما كانوا فيه من متابعة الآباء الا
بادر الى المتابعة ودخل في الدين برغبة وادخل سبحانه خزاعة في صلح النبي صلى الله عليه وسلم وبني بكر وهو
اعداوهم في صلح قريش ليبغوا عليهم فتعينهم قريش فينتقض الصلح بعد ان كثرت جنود الله وعز ناصر الدين فيفتح
الله بهم مكة المشرفة فينتشر اعلام الدين وتحقق الوية النصر المبين ويدخل الناس في الدين افواجا فيظهر
دين الاسلام على جميع الأديان • ولما دل على الفتح بالنصر وما معه وعلل الدليل بالسكينة علل علة
الدليل وهي ازدياد الايمان او علل ما دل عليه ملك الجنود من تدبيرهم وتدبير الاكوان بهم بقوله زيادة
في السكينة **ليدخل** اي بما أوقع من السكينة **المومنين والمومنات** الذين جبلهم جبلة خير بجهاد بعضهم
ودخول بعضهم في الدين بجهاد المجاهدين ولو سلط على الكفار جنوده من اول الامر فاهلكوهم او دمر عليهم
بغير واسطة لفات دخول اكثرهم الجنة وهم من آمن منهم بعد صلح الحديبية **جنات** اي بساتين لا يصل
الى عقولكم من وصفها الا ما تعرفونه بعقولكم وان كان الامر اعظم من ذلك **تجري** ودل وقرب وبعض
بقوله **من تحتها الانهار** فاي موضع اردت ان تجري منه نهرا قدرت على ذلك لان الماء قريب من وجه الارض
مع صلابتها وحسنها • ولما كان المكان لا يطيب الا بالقرار قال **خالدين فيها** اي لا الى آخر • ولما
كان السامع لهذا ربما ظن ان فعله ذلك بالاستحقاق قال اشارة الى انه لا سبب الا رحمته **ويكفر** اي
يستر سترا بليغا **عنهم سيئاتهم** التي ليس من الحكمة دخول الجنة دار القدس قبل تكفيرها بسبب ما كانوا
متلبسين به منها من الكفر وغيره فكان ذلك التكفير سببا لدخولهم الجنة **وكان ذلك** اي الامر العظيم
من الادخال والتكفير المهيئ للفوز وقدم الظرف تعظيما لها فقال **عند الله** اي الملك الاعظم ذي الجلال
والاكرام **فوزا عظيما** يملأ جميع الجهات • ولما كان من اعظم الفوز اقرار العين بالانتقام من العدو
وكان العدو المكاتم اشد من المجاهر المراغم قال **ويعذب المنافقين** اي يزيل كل ما لم من العذوبة
والمنافقات بما غاظهم من ازدياد الايمان **والمشركين والمشركات** بصدهم الذي كان سببا للقاء
الدحض الذي كان سببا لانزال السكينة الذي كان سببا لقوة اهل الاسلام بما نازعنه من كثرة
الداخلين فيه الذي كان سببا لتدمير اهل الكفران ثم بعد ذلك عذاب النيران • **ولما اخبر** بعذابهم
اتبعه وصفهم بما سبب ذلك لهم فقال **الظانين بالله** اي المحيط بصفات الكمال **ظن السوء** من انه
لا يفي بوعده في انه ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم والمومنين او انه لا يبعثهم او انه لا يعذبهم
بمخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم او مشاققة اتباعه • ولما اخبر بعذابهم فسره بقوله **عليهم** اي
في الدنيا والآخرة بما يخزيهم الله به من كثرة مصنوداته وغيظهم منهم وقهرهم بهم **دائرة السوء** التي
دبروها او قدروها للمسلمين لا خلاص لهم منها فهم مخذولون في كل موطن خذلانا ظاهرا ابدا يدركه كل احد
وباطنا يدركه من اراد الله من ارباب البصائر كما اتفق في هذه العمرة والسوء بالفتح والضم ما يسوء
كالكره الا انه غلب في ان يضاف الى ما يراد ذمه والمضموم جار مجرى الشر الذي هو ضد الخير
قاله الكشاف • **ولما** كان من دارت عليه السوء قد لا يكون مغضوبا عليه قال **وغضب الله** اي الملك
الاعظم بما له من صفات الجلال والجمال باستعلاء غضبه **عليهم** وهو عبارة عن انه يعاملهم معاملة
الغضبان بما لا طاقة لهم به • **ولما** كان الغضب قد لا يوجب الاهانة والابعاد قال **ولعنهم** اي
طردهم طردا اسفلوا به اسفل سافلين فبعدوا به عن كل خير • **ولما** قرر ما لهم في الدارين وكان
قد يظن انه يخص الدنيا فلا يوجب عذاب الآخرة اتبعه ما يخصها فقال **واعد** اي هيأ الآن **لهم جهنم**
تلقاهم بالعبوسة والتغيظ والزفير والتجهم كما كانوا يتجهمون عباد الله مع ما فيها من العذاب

بالحر

بالحر والبرد والاحراق وغير ذلك من انواع المشاق • ولما كان التقدير فساءت معدا عطف عليه
قوله **وساءت مصيرا** • ولما كان هذا معلما بان الكفار مع ما يشاهد منهم من الكثرة الظاهرة والقوة
المتوافرة لا اعتبار لهم لان البلاء محيط بهم في الدارين وكان ذلك امرا يوجب تشعب الفكر في المؤثر فيهم
ذلك عطف على ما تقديره اعلاما بان التدبير على هذا الوجه لحكم ومصالح يكل عنها الوصف ودفعا
لما قد يتوهمه من لم يرسخ ايمانه بما يجب التنزيه عنه فلله القوة جميعا يفعل ما يشاء فيمن يشاء من غير سبب
ترونه **ولله** الملك الاعظم **جنود السموات والارض** فهو يسلط ما يشاء منها على من يشاء • ولما كان
ما ذكر من عذاب الاعداء وثواب الاولياء متوقفا على تمام العلم ونهاية القدرة التي يكون بها الانتقام
والسطوة قال **وكان الله** الملك الذي لا امر لاحد معه ازلا وابدا **عزيزا** يغلب ولا يغلب **حكيما**
يضع الشيء في احكم مواضعه فلا يستطاع نقض شيء مما ينسب اليه • **ولما** تبين انه ليس لغيره مدخل
في ايجاد النصر وكانت السورة من اولها حضرة مخاطبة واقبال فلم يدع امر الى نداء يا ولا غيرها
وكان كانه قيل فما فائدة الرسالة الى الناس اجيب بقوله تقريرا لما ختم به من صفتي العزة والحكمة
انا بما لنا من العزة والحكمة **ارسلناك** بما لنا من العظمة التي هي معنى العزة والحكمة الى الخلق كافة **شاهدا**
على افعالهم من كفر وايمان وطاعة وعصيان من كان بحضرتك فبنفسك ومن كان بعد موتك او غايبا
عنك فكانك مع ما ايدناك به من الحفظة من الملائكة • **ولما** كانت البشارة محبوبة الى النفوس رغبهم
فيما عنده من الخيرات وحثهم فيه بصوغ اسم الفاعل منها مبالغة فيه فقال **ومبشرا** اي لمن اطاع بانواع
البشاير • **ولما** كانت النذارة كريهة جدا لا يقدم على ابلاغها الا من كمل عرفانه بما فيها من المنافع
الموجبة لتجشم مرارة الاقدام على الصدع بها اتى بصيغة المبالغة فقال **ونذيرا** • ولما ذكر حال الرسالة
ذكر علتها فقال **ليومنوا** اي الذين حكمنا بايمانهم ممن ارسلناك اليهم هذا على قراة ابن كثير وابي عمرو وبالغيب
وعلى قراة الباقين بالخطاب المعنى ايها الرسول ومن قضينا بهداه من امته مجددين لذلك في كل لحظة
مستمرين عليه • وكذا الافعال بعده وذلك اعظم لطفا لما في الانس بالخطاب من رجاء الاقتراب **بالله**
اي الذي لا يسوغ لاحد من خلقه والكل خلقه التوجه الى غيره لاستجماعه لصفات الجلال والاكرام
ورسوله الذي ارسله من له كل شيء ملكا وملكا الى جميع خلقه • **ولما** كان الايمان امرا باطنا فلا
يقبل عند الله الا بدليل وكان الايمان بالرسول ايمانا بمن ارسله والايمان بالمرسل ايمانا بالرسول
وحد الضمير فقال **ويعزروه** اي يعينوه ويقووه وينصروه على كل من ناواه ويمنعوه من كل
من يكيده مبالغين في ذلك باليد واللسان والسيف والسنان وغير ذلك من الشان فتوثروه على
انفسكم وغيرها تعظيما له وتفخيما هذا حقيقة المادة وما خالفه فهو اما من باب الازالة كالعزور
بمعنى الديوث واما من باب الاول كاللوم والضرب دون الحد فانه يوجب للملوم والمضروب تجنب
ما نقم عليه فيعظم فهو من اطلاق الملزوم على اللازم وهو من وادي ما قيل • عداي لهم فضل علي
ومنة ∴ فلا اذهب الرحمن عني الاعاديا • هم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها ∴ وهم نافسوني فاقتنيت
المعاليا ∴ ولما كان المعنى يحتمل الازالة كما ذكر خلص المراد بقوله **ويوقروه** اي يجتهدوا واحسن
اتباعه في تبجيله واجلاله بان يحملوا عنه جميع الاثقال ليلزم السكينة باجتماع همته وكثرة عزمه لزوال
ما كان يشعب فكره من كل ما يهمه **ويسبحوه** اي ينزهوه عن كل وصمة من اخلاف الوعد بدخول مكة
والطواف بالبيت الحرام ونحو ذلك ويعتقدوا فيه الكمال المطلق والافعال الثلاثة يحتمل ان يراد بها
تعالى لان من سعى في قمع الكفار فقد فعل فعل المعزز الموقر فيكون اما عائد على المذكور • ولما آن يكون
جعل الاسمين واحدا اشارة الى اتحاد المسميين في الامر فلما اتحد امرهما وحد الضمير اشارة الى ذلك

ولما كانت محبة الله ورسوله لا يرضى منها بدون النهاية قال كانيا عن ذلك **بكرة وأصيلا** أي
وعشيا ايصالا لما بين النهار والليل بذلك ولما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وما ارسله له
وختم الآية بانه لا يرضى من ذكره وذكر رسوله الا بالمداومة بالفعل او بالقوة مع توحيد الضمير اشارة
الى وحدة الارادة والمحبة من الرسول والمرسل اوضح المراد بتوحيد الضمير بقوله مرغبا في اتباعه ومرهبا
لا تباعد عن ادنى فترة او توان فيما دخلوا فيه من الايمان الذي هو علة الرسالة وما ذكر معه في جواب
من سأل ما سبب توحيد الضمير والمذكور اثنان مؤكدا لاجل ما غلب على الطباع البشرية من التقيد
بالوهم والنكوص عما غاب ولا مرشد اليه سوى العقل **ان الذين** ولما كان المضارع قد يراد به مطلق
الوقوع لا بقيد زمن معين كما نقلته في اول البقرة عن ابي حيان وغيره عبر به ترغيبا في تجديد مثل ذلك
والاستمرار عليه فقال **يبايعونك** اي في بيعة الرضوان وقبلها وبعدها على ما جئت به من الرسالة التي
مقصودها الاعظم النذارة التي مبناها على المخالفة التي تقاضي الشدائد التي عمادها الثبات والصبر وسميت
مبايعة لانهم باعوا انفسهم فيها من الله بالجنة **وهذا** معنى الاسلام فكل من اسلم فقد باع نفسه سبحانه
منه ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الآية **انما يبايعون الله** اي الملك الاعظم لان عملك كله من قوله
وفعله وما ينطق عن الهوى ولما عظم بيعته بما رغب فيها ترغيبا مشعرا بالترهيب زادها تعظيما بما الترهيب
فيه اظهر من الاول فقال مبينا للاول **يد الله** اي المرتدي بالكبريا ولما كان منزها عما قد يتوهم
من الجارحة او غيرها مما فيه شائبة نقص او ما الى نفي ذلك بالفوقية مع ما فيه من الدلالة على تعظيم البيعة
فقال **فوق أيديهم** اي في المبايعة عالية عليهم بالقدرة والقوة والقهر والعزة والتنزه عن كل شائبة
نقص ولذلك كرر الاسم الاعظم في هذه الآية ثلاث مرات اشارة الى العظمة الغائية للوصف والغيب
الغالي عن الادراك ثم اعاد ذكره بالضمير ايذانا بالغيب المحض هذا هو المراد من تعظيم البيعة واجلال
الرسول صلى الله عليه وسلم مع العلم القطعي بتنزيه الله تعالى عن كل شائبة نقص من حلول او اتحاد كما هو
واضح في مجاري عادات العرب ظاهر جدا في داءبهم في محاوراتهم لا يشك فيه منهم عاقل عالم او جاهل اصلا
فلعنة الله على من حمله على الظاهر من اهل العناد ببدعة الاتحاد وعلى من تبعهم على ذلك من الرعاع الطغام
الذين شاقوا الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وجميع الايمة الاعلام وساير اهل الاسلام ورضوا لانفسهم
بان يكونوا اتباع فرعون اللعين وناهيك به من ضلال مبين ولما كان كلام الله تعالى وان جرى
مجرى الشرط والتهديد لا بد ان يقع منه شي وان قل وكان من سر التعبير بالمضارع في يبايعونك
الاشارة الى نكث الجد بن قيس لاصل بيعته على الاسلام فانه اختبى في الحديبية وقت البيعة فلم يبايع تسبب عن
ذلك وفصل ترغيبا وترهيبا فقال معبرا عن ذلك بالماضي ايذانا بانه لا ينكث احد من اهل هذه البيعة **فمن
نكث** اي نقض البيعة في وقت من الاوقات بجعلها كالكسا الخلق والحبل البالي الذي ينقض **فانما ينكث**
وعبر بالماضي اشارة الى ان من فعل النكث مرة في كل الجملة فاكث نكثا جديدا **على نفسه** لا على غيرها فان
فعله بمراى من الله ومطمع وهو قادر عليه جدير بان ينتقم منه بعد ما عجل لنفسه من العار العظيم في
الدنيا وسيحل به لنكثه عذابا اليما ولا يضر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا فان الله ناصره ولا
محالة وكذا كل منكوث به اراد الله نصرته فان يد الله سبحانه فوق كل يد ولما اتم الترهيب لانه مقامه
للحث على الوفا الذي به قيام الدين على ابلغ وجه اتبعه الترغيب انما ما للحث فقال **ومن اوفى** اي فعل
الاتمام والاكثار والاطالة **بما عاهد** وقدم الظرف اهتماما به فقال **عليه الله** اي الملك المحيط بكل
شي قدرة وعلما من هذه المبايعة وغيرها فاتمها واداه لنفسه **فسيؤتيه** بوعد مؤكد لا خلف فيه **اجرا
عظيما** لا تسع عقولكم شرح وصفه ومن قرا بالنون اظهر ما ستر في الجلالة من التعظيم والآية من

الاحتباك

الاحتباك ذكر اولا ان النكث عليه دليلا على ان الوفا له ثانيا واتيا الاجر ثانيا دليلا على احلال العقاب
اولا **وسره** انه بين ان ما يريد الناكث من الاذى لغيره انما هو واقع به لان ذلك اعظم في الترهيب عن النكث
لما جبل عليه الانسان من النفرة عن ضر نفسه وبعده عنه وذكر الاجر للموفي لانه اعظم في الترغيب وسبب بيعة
الرضوان هذه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فهم من بروك ناقته في الحديبية الاشارة من الله سبحانه الى انه لم
يأذن في دخولهم البلد الحرام في هذه السفرة فمشي مع ارادته سبحانه لانه ليس فيها مخالفة لما امر به سبحانه
الى ان وقع الصلح الذي كان هو الفتح بعينه وكان في غضون ذلك ان ارسل عثمان بن عفان رضي الله
عنه الى مكة المشرفة ليخبر قريشا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يجي لقتال وانه لا يريد الا الاعتمار
فارجف مرجفون بانه قد قتل عثمان صلى الله عليه وسلم على مناجزتهم فبايع الصحابة رضي الله عنهم
على ان لا يفروا عنه فبايع كل من كان معه الا الجد بن قيس فانه اختبا تحت ابط بعيره فلم يبايع وقال النبي
صلى الله عليه وسلم كلكم مغفور له الا صاحب الجمل الاحمر ولما ذكر سبحانه اهل بيعة الرضوان
واضافهم الى حضرة الرحمن تشوف السامع الى الخبر عمن غاب عن ذلك الجناب وابطا عن حضرة تلك العمرة
فاستونف الاخبار عما ينافقون به بقوله **سيقول** اي بوعد لا خلف فيه واكد امر نفاقهم تنبيها على
جلدهم فيه ووقاحتهم به ولطف النبي صلى الله عليه وسلم وشدة رحمته ورفقه وشفقته فقال **لك**
اي لانهم يعلمون انك الطف الخلق عشرة واعظمهم شفقة على عباد الله فهم يطمعون في قبولك من فاسد عذرهم
ما لا يطمعون فيه من غيرك من خلص المؤمنين وغاب عنهم لما عندهم من غلظ الاكباد ان الكذب بحضرتك
في غاية القباحة لانك اعظم الخلق وافطنهم مع ما ياتيك من الانبا من علام الغيوب وحقر امرهم بسلب
الفعل عنهم وجعلهم مفعولين لا فاعلين اشارة الى انهم طردوا عن هذا المقام لانهم اشرار لئام فقال
المخلفون اي الذين خلفهم الله عنك فلم يرضهم لصحبتك في هذه العمرة فجعلهم كالشي التافه الذي يخلفه
الانسان لانه لا فايدة فيه فلا يوبه له ولا يعبا به وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما اراد الاعتمار ندب
اصحابه رضي الله عنهم لذلك وندب من الاعراب الذين حول المدينة الشريفة من كان قد اقر بالاسلام
فلم يرد الله حضورهم لان اسلامهم لم يكن خالصا فلو حضروا لفسد بهم الحال وان حفظ الله بحوله وقوته
من الفساد اعقب ذلك فسادا آخر وهوان يقال انه لم يكف عنهم الاعدا الا الكثرة فتخلفوا لما علم الله
في تخلفهم من الحكم ولما كان قد تخلف بالجسد من خلص الانصار وغيرهم من كان حاضرا معه صلى الله عليه
وسلم بالقلب اخرجهم بقوله **من الاعراب** اي اهل البادية كذبا وبهتانا جراة على الله وعلى رسوله
شغلتنا اي عن اجابتك في هذه العمرة **اموالنا واهلونا** اي لانا لو تركناها ضاعت لانه لم يكن لنا
من يقوم بها وانت قد نهيت عن اضاعة المال والتفريط في العيال ثم سببوا عن هذا القول المراد
به السوء قولهم **فاستغفر** اي اطلب المغفرة **لنا** من الله ان كنا اخطانا وقصرنا ولما كان هذا
ربما يغتر به من لا خبر له رده تعالى بقوله منبها على ان من صدق مع الله لم يشغله عنه شاغل ومن شغله
عنه شي كان شوما عليه **يقولون** فعبر بالمضارع اشارة الى ان هذا ديدن لهم لا ينفكون عنه ولما
صح بعد ذلك ايمان اكثرهم لم يعبر بالافواه دابه في المنافقين بل قال **بالسنتهم** اي في الشغل والاستغفار
واكد ما افهمه ذكر اللسان من انه قول ظاهري نفيا للكلام الحقيقي الذي هو النفسي بكل اعتبار بقوله
ما ليس في قلوبهم لانه لم يكن لهم شغل ولا كانت لهم رغبة في سوال الاستغفار ولما كان تعللهم
هذا من تخلفهم واعتلالهم وسوالهم الاستغفار ظنا منهم انهم يدفعون عن انفسهم بذلك المكروه ويحصلون
لها المحبوب وكان كانه قيل قد علم كذبهم فماذا يقال لهم استانف سبحانه الجواب بقوله **قل** اي لهولا
الاغبيا واعظالهم مسببا عن مخادعتهم لمن لا تخفى عليه خافية اشارة الى ان العاقل يقبح عليه ان يتقدم

علي ما هو بحيث تخشي عاقبته **فمن يملك لكم** ايها المخادعون **من الله** اي الملك الذي لا امر لاحد معه لانه لا
كفو له **شيئا** يمنعكم **ان اراد بكم** خاصة **ضرا** اي نوعا من انواع الضر عظيما او حقيرا فاهلك الاموال والاهلين
وانتم محتاطون في حفظهما فلم ينفعهما حضوركم او اهلككم انتم **او اراد بكم نفعا** بحفظهما به مع غيبتكم فلا يضرها
بعدكم عنها وتحفظكم في انفسكم وقد علم من تصنيفه حالهم الي صنفين مع الابهام انه يكون لبعضهم الضر
لانه منهم ارتد في زمن الردة ولبعضهم النفع لانه ثبت علي الاسلام **ولما** كان التقدير قطعا لا احد يملك
منه سبحانه لهم شيا من ذلك بل هو قادر علي كل ما يريد منه وفعلكم لما عندكم من الجلافة والغباوة
والكثافة فعل من يظن انه لا يقدر عليكم ولا يعلم كثيرا مما تعملون فيخفي عليه كذبكم وليس الامر كما
ظننتم فانه لا يخفي عليه سبحانه شيء من اعمالكم بني عليه ما ارشد الي تقديره فقال **بل كان الله** اي المحيط
ازلا وابدا بكل شيء قدرة وعلما **بما تعملون** ايها الجهلة **خبيرا** يعلم بواطن اموركم هذه وغيرها كما يعلم
ظواهرها **ولما** اضرب عن ظنهم ان كذبهم يخفي عليه بامر عام وقدمه لانه اعم نفعا بما فيه من الشمول
اتبعه الاضراب عن مضمون كلامهم فقال **بل** اي ليس تخلفكم لما اخبرتم به من الاشتغال بالاهل والاموال
بل **ظننتم** وانتم واقفون مع الظنون الظاهرة ليس لكم نفوذ الي البواطن واشار الي تاكد ظنهم علي زعمهم
فقال **ان لن ينقلب** **ولما** كان الكلام فيما هو شان الرسول من الانبعاث والمسير قال مشيرا
الي ان من ارسل رسولا لشيء وهو لا يقدر علي نصره ليبلغ ذلك الشيء الي الغاية التي ارادها منه كان
عاجزا عما يريد **الرسول** وعظم التابعين فقال **والمؤمنون** معبرا بما يحق لهم من الوصف المفهم
للرسوخ **الي اهليهم** وافهم تاكيد ذلك عندهم بقوله **ابدا** اي لما في قلوبكم من عظمة المشركين وحقارة
المؤمنين فحملكم ذلك علي ان قلتم ما هم في قريش الا اكلة راس **ولما** كان الانسان قد يظن ما لا يجب قال
مشيرا بالبنا للمفعول الي ان ما حوته قلوبهم مما ينبغي ان ينزه سبحانه عن نسبته اليه وان كان هو الفاعل
له في الحقيقة **وزين ذلك** اي الامر القبيح الذي خراب الدنيا **في قلوبكم** حتي احببتموه **ولما** علم ان ذلك
سو صرح به علي وجه يعم غيره فقال **وظننتم** اي بذلك وغيره مما يترتب عليه من اظهار الكفر وما
يتفرع عنه **ظن السوء** اي الذي لم يدع شيئا مما يكره غاية الكراهة الا احاط به **ولما** انكشف جميع امره
كشف اثره فقال **وكنتم** اي بالنظر الي جمعكم من حيث جمع في علمنا قبل ذلك بما جبلناكم عليه وعلي ما كشفه
الحال عند من له بصيرة **قوما** اي مع قوتكم علي ما تحاولونه **بورا** اي في غاية الهلاك والكساد والفساد
وعدم الخير لانكم جبلتم علي ذلك الفساد فلا انفكاك لكم عنه **وهذا** كما مضي بالنظر الي الجمع من حيث هو جمع
لا بالنسبة الي كل فرد فانه قد اخلص منهم بعد ذلك كثير وثبتوا فلم يرتدوا **ولما** كان التقدير ذلك
لانكم لم تؤمنوا فمن امن منكم ومن غيركم واخلص نجاه جنة وحريرا عطف عليه قوله معمما **ومن لم يؤمن**
اي منكم ومن غيركم **بالله** اي الذي لا موجود علي الحقيقة سواه **ورسوله** الذي ارسله لاظهار دينه وهو الحقيق
بالاضافة اليه معبرا عنه بالاسم الاعظم وللزيادة في تعظيمه وتحقيره شان من لم يؤمن وتوهينه كيده
التفت الي مقام التكلم بمظهر العظمة فقال **فانا** اي علي ما لنا من العظمة **اعتدنا** له او لهم هكذا كان
الاصل ولكنه قال معلقا للحكم بالوصف ايذانا بان من لم يجمع الايمان بهما فهو كافر وان التعبير لمن كان
كفره راسخا فقال **للكافرين** اي الذين لا يجمعون الايمان بالمرسل والرسول فيكونون بذلك كفارا او يسترون
علي وصف الكفر لانهم جبلوا عليه **سعيرا** اي نارا شديدة الاتقاد والتلهب فهي عظيمة الحر توجب الجنون
والاتقاد الباطن بالجوع بحيث لا يشبع صاحبه والانتشار بكل شر فان التنكير هنا للتعظيم والتهويل
وهذه الاية مع ما ارشد السياق الي عطفها عليه بمن يؤمن دالة وان كانت في سياق الشرط علي ان
اكثرهم خلص ايمانه بعد ذلك **ولما** انقضي حديث الجنود عامة ثم خاصة من المتدبين والمخلفين وختم بعذا

الكافرين **وكان** المتصرف في الجنود ربما كان بعض خواص الملك فلا يكون تصرفه فيهم تاما كان الملك
قد لا يقدر علي عذاب من اراد من جنوده وكان اذا قدر قد لا يقدر علي العذاب بكل ما يريد من
التعذيب الموصوف وغيره لعدم عموم ملكه قال تعالي عاطفا علي اية الجنود **ولله** اي وحده **ملك السموات
والارض** اي من الجنود وغيرها يدبر ذلك كله كيف يشا **ولما** لم يكن في هولا من عذب بما عذب به
الامم الماضية من الريح ونحوها لم يذكر ما بين الخافقين وذكر من نتيجة التفرد بالملك ما يقتضيه
الحال من الترغيب والترهيب **يغفر لمن يشا** اي لا اعتراض لاحد عليه **ويعذب من يشا** لانه لا يجب
عليه شيء ولا يكافيه احد وليس هو كالملوك الذين لا يتمكنون من مثل ذلك لكثرة الاكفا المعارضين لهم
في الجملة وعلم من هذا التقسيم المبهم ايضا ان منهم من يرتد فيعذبه ومنهم من يثبت علي الاسلام فيغفر
له لانه لا يعذب بغير ذنب وان كان له ان يفعل ذلك لانه لا يسيل عما يفعل وملكه تام فتصرفه فيه
عدل كيف ما كان **ولما** كان من يفعل الشيء في وقت قد لا يستمر علي وصف القدرة عليه قال
وكان الله اي المحيط بصفات الكمال ازلا وابدا لم يتجدد له شيء لم يكن **ولما** ابتدأ الاية بالمغفرة
ترغيبا في التوبة ختم بذلك لان المقام له وزاد الرحمة تشريفا لنبي الرحمة بالترغيب والدلالة علي ان
رحمته غلبت غضبه فقال **غفورا** اي لذنوب المسيئين **رحيما** اي مكرما بعد الستر بما لا تسعه العقول
وقدرته علي الانعام كقدرته علي الانتقام **ولما** ذم المخلفين بما منه انهم هالكون بعد ان قدم انه
لعنهم وكان قد وعد سبحانه اهل الحديبية فتح خيبر جبرا لهم بما منعهم من الاستيلا علي مكة المشرفة لله
في ذلك من الحكم البالغة الدقيقة وحتم بانه نافذ الامر **وكان** ذلك مستلزما لاحاطة العلم دل علي كلا
الامرين بقوله استينافا جوابا لمن كانه قال هل يغفر للمخلفين حتي يكونوا كانهم ما تخلفوا **سيقول** اي
بوعد لا خلف فيه **ولما** كان النبي صلي الله عليه وسلم بحيث لا مطمع لاحد في ان يظفر منه بشيء من خلاف
لامر الله اسقط ما عبر به في فكرهم او لا من خطابه وقال **المخلفون** اي لمن يطمعون فيه من الصحابة
ان يسعي في تمكينهم من المسير في جيشه صلي الله عليه وسلم لخفة الحكم عليه ونحو ذلك ولم يقيدهم بالاعراب
ليعم من كان تخلف من غيرهم **اذا انطلقتم** بتمكين الله لكم **الي مغانم** **ولما** افهم اللفظ الاخذ والتعبير
بصيغة منتهي الجموع كثرتها صرح بالاول فقال **لتاخذوها** اي من خيبر **ذرونا** اي علي اي حالة
شئتم من الاحوال الدنية **نتبعكم** **ولما** كان يلزم من تمكينهم من ذلك اخلاف وعد الله بانها تخص اهل
الحديبية فانه طرد المنافقين وخيب قصدهم علل قولهم بقوله **يريدون** اي بذهابهم معكم **ان يبدلوا
كلام الله** اي المحيط قدرة وعلما في الاخبار بلعنهم وابادتهم وان فتح خيبر مختص باهل الحديبية لا يشركهم
فيه الامن وافقهم في النية والهجرة ليتوصلوا بذلك الي تشكيك اهل الاسلام فيه والمراد ان فعلهم فعل
من يريد ذلك ولا يبعد ان يكونوا صنفين منهم من يريد ذلك ومنهم من لم يرده ولكن فعله فعل من يريده
ولما كان السامع جديرا بان يسيل عما يقال لهم كانه قيل مخاطبا لاصدق الخلق **قل** اي لهم اذا بلغك
كلامهم انت بنفسك فان غيرك لا يقوم مقامك في هذا الامر المهم قولا مؤكدا **لن تتبعونا** اي وان اجتهدتم
في ذلك وساقه مساق النفي وان كان المراد به النهي لانه مع كونه اكد يكون علما من اعلام النبوة وهو
ازجر وادل علي الاستهانة **ولما** اذن هذا التاكيد انه من عند من لا تخالف اصلا في مراده بينه بقوله
كذلكم اي مثل هذا القول البديع الشان العلي الرتبة **قال الله** اي الذي لا يكون الا ما يريد وليس هو كالملوك
الذي لا قدرة لهم علي الغفران لمن شاوا والعقاب لمن شاوا **من قبل** اي من قبل هذا الوقت وهو الذي لا يمكن
الخلف في قوله فانه قضي ان لا يحضر خيبر المرادة بهذه الغنايم الا من حضر الحديبية وامر بذلك فكان ما
قاله بعد اجتهاد بعض المخلفين في اخلافه فانهم غرهم الطمع بعد سماعهم قول الله هذا فطلبوا ان يخرجوا

معه صلى الله عليه وسلم فمنعوا فلم يحضرها منهم احد وذلك انه صلى الله عليه وسلم رجع من الحديبية من
ذي الحجة سنة ست فاقام الى اثنا محرم سنة سبع وخرج باهل الحديبية الى خيبر ففتحها الله عليه واخذ جميع
اموالها من المنقولات والعقارات واتى اليه صلى الله عليه وسلم وهو بها بعد فتحها ابن عمه جعفر بن ابي طالب
رضي الله عنه وبعض من معه من مهاجرة الحبشة فاشركهم النبي صلى الله عليه وسلم مع اهل الحديبية لانهم لم يكونوا
مخلفين بل كانوا متخلفين لعذر عدم الادراك **ولما** كانوا منافقين لا يعتقدون شيا من هذه الاقوال بل
يظنون انها حيل على التوصل الى المرادات الدنيوية سبب عن قوله لهم ذلك قوله تنبيها على جلافتهم وفساد
ظنونهم **فسيقولون** ليس الامر كما ذكر مما ادعي انه قول الله **بل** انما قلتم ذلك لانكم **تحسدوننا** فلا تريدون
ان يصل الينا من مال الغنايم شي **ولما** كان التقدير وليس الامر كما زعموا ترتب عليه قوله **بل كانوا**
اي جبلة وطبعا **لا يفقهون** اي لا يفهمون فهم الحاذق الماهر **الا قليلا** في امر دنياهم ومن ذلك اقرارهم
بالايمان لاجلها واما امور الاخرة فلا يفهمون منها شيا **ولما** كان ذلك يوقع في نفس السامع السوال
عن هذا الطرد هل يستمر اجيب بانهم سيمتحنون بامر شاق يحدثه الله للتمييز بين الخلص وغيرهم فقال مكررا
لوصفهم بالتخلف اعلاما بانهم في الحقيقة ما تخلفوا بل منعوا طردا لهم وابعادا معقبا بالهم بما خلفهم من اتباع
النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العمرة من الخوف من قتال قريش لشدة باسهم كما اثاب المجيبين له صلى الله عليه
وسلم بضد ما عزموا عليه من القتال الى النصر او الموت من كف ايديهم عنهم بما جعله الله سببا للفتح الاعظم
والتفرغ لفتح خيبر واخذ غنايمها الكثيرة من غير كبير كلفة **قل** اي يا اعظم الخلق **للمخلفين** وزاد في ذمهم
بنسبتهم الى الجلافة فقال **من الاعراب** اي اهل غلظ الاكباد ويجوز ان يكون هذا المقيد للاحتراز عن المخلفين
من اهل المدينة فيكون اشارة الى الاعراب ينقسمون عند هذا الدعا الى مطيع وعاص كما اشار اليه تقسيمه
سبحانه لهم وان المخلفين من اهل المدينة لمثل ما اعتل به الاعراب لا مطمع في صلاحهم **ستدعون** بوعد
لا خلف فيه باخبار محيط العلم والقدرة دعوة محيطة ونفيرا عاما لما افهمه الاسناد الى جميعهم من داع صحت
امامته فوجبت طاعته ودل على بعدهم عن ارضهم بقوله **الى قوم** ولما افهم التعبير بذلك ان لهم قوة وشدة
على ما يحاولونه اوضح المعنى بقوله **اولي باس** اي شدة في الحرب وشجاعة مع مكر ودها **شديد** ولما
كان كانه قيل لماذا قال **تقاتلونهم** اي بامر امامكم **او يسلمون** اي يدعوكم اليهم ليكون احد الامرين
المطهرين لان كلمة الله هي العليا المقاتلة منكم او الاسلام منهم فان لم يسلموا كان القتال لا غير وان
اسلموا لم يكن قتال لان الامام لا غرض له الا اعلا كلمة الله ولا يكون شي غير هذين الامرين من ابقا بجزية او
مصالحة او متاركة الى مدة او نحو ذلك وهذا الداعي هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه والقوم بنو حنيفة
وغيرهم من اهل الردة الذين كان اليهم اول خلافة الصديق رضي الله عنه واما قول من قال انهم ثقيف فضعيف
لان الدعا لم يكن اليهم انما كان المقصود بالذات فتح مكة وكان امر هوازن وثقيف وغيرهما تبعا له في
غزوته لم يكن بينهم شي وايضا فان ثقيف لما عسر امرهم تركهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا بعد ذلك
وترك ايضا خلال هوازن فلم يتبعهم ولا امر باتباعهم وظاهر الاية انه اذا انتشب القتال لا يترك الا ان
حصل الاسلام والقول بانهم فارس والروم ضعيف ايضا بان كلا منهم يقبل منهم الجزية وتاويله بانه اسلام لغو
لا داعي له مع امكان الحقيقة وقد كان بها اشار اليه التقسيم فانهم لما دعوا اليهم انقسموا الى مجيب وهم الاكثر
وقد اتاهم الله الاجر الحسن في الدنيا بالغنيمة والذكر الجميل وهو المرجو لما في الاخرة ومرتد وهم قليل
وقد اذاقهم الله العذاب الاليم في الدنيا بالقتل على اقبح حال وهو يذيقهم في الاخرة اعظم النكال واما
قتال غير العرب فاطاع فيه الكل ولم يحصل فيه ما اشير اليه من التقسيم فتحقق بهذا انهم اهل الردة والله
الموفق ولذلك سبب عن دعوة الحق قوله مرددا القول في حالهم مبهما له اشارة الى انهم عند الدعا

يبغون

ينقسمون الى مقبل ومتول **فان تطيعوا** اي توقعوا الطاعة للداعي الى ذلك وهو ابو بكر رضي الله عنه **يوتكم
الله** اي الذي له الاحاطة **اجرا حسنا** دنيا واخرى جعل الله طاعة ابي بكر رضي الله عنه في هذا الامر
بالخصوص كطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي طاعته طاعة الله جزا له على خصوصه في مزيد تسليمه
لما فعل النبي صلى الله عليه وسلم من الصلح وثباته بما اجاب به عمر رضي الله عنهما بمثل جواب النبي صلى الله
عليه وسلم من غير ان يكون حاضرا له كما هو معلوم من السيرة **ولما** كانت مخالفة الرسول صلى الله
عليه وسلم ومن يقوم مقامه لا يكون الا عن منازعة للفطرة الاولى ومعالجة لها عبر بالتفعيل فقال
وان تتولوا اي عن قبول دعوته عصيانا **كما توليتم** اي عالجتم انفسكم وكلفتموها التولي بالتخلف عن
الرسول صلى الله عليه وسلم **من قبل** اي في بعض الازمان التي تقدمت على هذا الدعا وذلك في الحديبية
يعذبكم اي يخالطكم بعقوبة تزيل العذوبة في الدنيا او في الاخرة او فيهما **عذابا اليما** لاجل تكرر ذلك
منكم **ولما** توعد المخلفين بتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توعدهم في التقاعد عن طاعة
هذا الامام القايم بعده بالحق وكان اهل الاعذار لا يتيسر لهم ما اريد بهذا الدعا وكان الدين مبنيا
على الحنيفية السمحة استانف قوله مسكنا لما استشاره الوعيد من روعهم **ليس على الاعمى** اي في تخلفه
عن الدعا الى الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم او مع غيره من ايمة الهدى **حرج** اي ميل بثقل الاثم
لاجل ان عماه موهن لسعيه وجميع بطشه ولاصل تاكيد المعنى تسكينا لما اثار من روع المومن كرر النافي
والحرج في كل جملة فقال **ولا على الاعرج** وان كان نقصه ادنى من نقص العمي **حرج** وجعل كل جملة
مستقلة تاكيدا لهذا الحكم **ولما** ذكر هذين الاثرين الخاصين لمزيد ضررهما في العاقة عن كمال
الجهاد عم بقوله **ولا على المريض** اي باي مرض كان **حرج** فلم تخرج اهل هذه الاعذار الذين لم يمنعهم الا
اعذارهم عن اهل الحديبية واطلق الحرج المنفي ليقبل التقدير بالتخلف والاجابة لان حضورهم لا يخلو
عن نفع في الجهاد وذكر هذا دون اسلوب الاستثنا ايذانا بانهم لم يدخلوا في الوعيد اصلا حتى يخرجوا
منه **ولما** بشر المطيعين لتلك الدعوة وتوعد القاعدين عنها وعذر المعذورين وكانت اجابة
المعذورين جايزة بل ارفع في قعودهم ولذلك لم ينف اجابتهم انما نفى الحرج قال معمما عاطفا على ما تقديره
فمن تخلف منهم فتخلفه مباح له **ومن يطع الله** اي المحيط بجميع صفات الكمال المفيض من اثار صفاته
على من يشا ولو كان ضعيفا المانع منها من يشا وان كان قويا **ورسوله** من المعذورين وغيرهم فيما
ندبا اليه باي طاعة كانت اجابته **يدخله** اي الله الملك الاعظم جزا له **جنات تجري** ونبه على قرب مثال
المابابتات الجاري في قوله **من تحتها الانهار** اي ففي اي موضع اردت اجريت نهرا **ومن يتول** اي كاين
من كان من المخاطبين الان وغيرهم عن طاعة في الطاعات التي امرا بها اي طاعة كانت **يعذبه** اي على
توليه في الدارين او احديهما **عذابا اليما** **وقرا** اهل المدينة والشام ندخله ونعذبه بالنون اظهر في
ارادة العظمة لاجل تعظيم النعمة والنقمة **ولما** اوعد المطيع وما وعد للخاطي وكانت النفوس الى الوعد
اشد التفاتا دل عليه بثواب عظيم منه امر محسوس يعظم جذبه للنفوس العاصية عن النفوذ في عالم الغيب
فقال مؤكدا لان اعظم المراد به المذبذبون مطلقا بقوله لان السياق موجب للتوقع لما جرى من السنة
الالهية انها اذا اشوقت الى شي دلت عليه بمشهود يقرب الغايب الموعود **لقد رضي الله** اي الذي له الجلال
والجمال **عن المومنين** اي الراسخين في الايمان اي فعل معهم فعل الراضي بما جعل لهم من الفتح وما قدر لهم
من الثواب وافهم ذلك انه لم يرض عن الكافرين فخذلهم في الدنيا مع ما اعد لهم في الاخرة فالايات
تقرير لما ذكر من جزا الفريقين بامور مشاهدة **ولما** ذكر الرضى ذكر وقته للدلالة على سببه فقال
اذ اي حين وصور حالهم اعلاما بانها سارة معجبة شديد الرسوخ في الرضى فقال **يبايعونك** اي في عمرة

الحديبية لما صدك المشركون عن الوصول الي البيت فبعثت عثمان رضي الله عنه اليهم ليخبرهم بانك لم
تجي لقتال وانما جيت للعمرة فبلغك انهم قتلوه فندبت الي البيعة لمناجزتهم فبايعك كل من كان معك علي ان
لا يفروا وان يناجزوا القوم وزاد الامر بيانا وقيده تفضيلا لاهل البيعة بقوله **تحت الشجرة** واللام للعهد
الذهني وكانت سمرة في الموضع الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم نازلا به في الحديبية ولاجل هذا الرضي
سميت بيعة الرضوان • وروي البغوي من طريق الثعلبي عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة **ولما** دل علي اخلاصهم بما وصفهم سبب عنه قوله
فعلم اي بما له من الاحاطة **ما في قلوبهم** اي من مطابقته لما قالوا بالسنتهم في البيعة وان ما حصل
لبعضهم من الاضطراب في قبول الصلح والكآبة منه انما هو لمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وايثار ما
يريد من اعلاء دينه واظهاره لا عن شك في الدين وسبب عن هذا العلم ترغيبا في مثل حال المحدث عنهم
قوله **فانزل السكينة** اي ثبات القلوب وطمانينتها في كل حالة ترضي الله ورسوله ودل علي عظمها
بحيث انها تغلب الخوف وان عظم بقوله **عليهم** فاثر ذلك انهم لم يخافوا عاقبة القتال لما ندبوا اليه وان
كانوا في كثرة الكفار كالشعرة البيضا في جنب الثور الاسود ولا اثر الصلح بما يري فيه من الضعف
وغيره من مخايل النقص في قلوبهم في ذلك المقام الدحض والموطن الضنك الا ايتمارا او صدق عزيمة
الرسول صلى الله عليه وسلم ومضا امره في ذلك بما يفعل ويقول • **ولما** ذكر منته سبحانه عليهم بما هو الاصل
الذي لا ينبغي الا عليه اتبعه آثاره فقال **واثابهم** اي اعطاهم جزا لهم علي ما وهبهموه من الطاعة
والسكينة فيها جزا متقبلا عليهم بملا مواضع احتياجهم هو اهل لان يقصده الانسان ويتردد في طلبه
لما له من الاقبال والمكنة والشمول **فتحا** بما اوقع سبحانه من الصلح المرتب علي تحجير قريش عن القتال
قريبا بترك القتال الموجب بعد راحتهم وقوتهم وجمومهم لاختلاط بعض الناس ببعض فيدخل في الدين
من كان متباعدا له لما يري من محاسنه فسيكون الفتح الاعظم فتح مكة المشرفة الذي هو سبب لفتح جميع
البلاد • **ولما** ذكر الفتح ذكر بعض ثمرته فقال **ومغانم** فنبه بصيغة منتهي الجموع الي انها عظيمة ثم
صرح بذلك في قوله **كثيرة** **ولما** كان الشي ربما اطلق علي ما هو بالقوة دون الفعل ازال ذلك بقوله
تاخذونها وهي خيبر • **ولما** كان ذلك مستبعدا لكثرة الكفار وقلة المومنين بين سببه فقال عاطفا
علي ما تقديره بعزة الله وحكمته **وكان الله** اي الذي لا كفوء له **عزيزا** اي لا يغلب ولا يغلب
حكيما يتقن ما يريد فلا ينقض • **ولما** قرب ذلك وحرر وتاكد وتقرر اقبل سبحانه عليهم بالخطاب
تلذيذا لمسامعهم فقال مزيلا لكل احتمال يتردد في خواطر المخلفين **وعدكم الله** اي الملك الاعظم **مغانم**
وحقق معناها بقوله **كثيرة تاخذونها** اي فيما ياتي من بلدان شتي لا تدخل تحت حصر ثم سبب عن هذا
الوعد قوله **فعجل لكم** اي منها **هذه** اي الغنيمة التي اوقعها بينكم وبين قريش من وضع الحرب عشر سنين
ومن انكم تاتون في العام المقبل في مثل هذا الشهر فتعتمرون فانها سبب ذلك كله عزاه ابو حيان لابن
عباس رضي الله عنهما وهو في غاية الظهور ويمكن ان يكون المعني التي فتحها عليكم من خيبر من سبيها واموالها
المنقولات وغيرها **وكف ايدي الناس** اي من اهل خيبر وحلفايهم اسد وغطفان ان يعينوا اهل خيبر
ويغيروا علي عيالاتكم بعدما وهموا بذلك بعدما كف ايدي قريش ومن دخل في عقدهم بالصلح **عنكم**
علي ما انتم فيه من القلة والضعف • **ولما** كان التقدير رحمة لكم علي طاعتكم لله ورسوله وجزا التقوي
ايديكم وتروا اسباب الفتح القريبة بما يدخل من الناس في دينكم عند المخالطة بسبب الامان عطف عليه
قوله **ولتكون** اي هذه الاسباب من الفتح والاسلام **اية** اي علامة هي في غاية الوضوح **للمومنين** اي منكم
علي دخول المسجد الحرام امنين في العمرة ثم في الفتح ومنكم ومن غيركم من الراسخين في الايمان الي يوم

القيمة علي جميع ما يخبر الله لما وقع التدريب عليه في هذا التدبير الذي دبره لكم من انه لطيف يوصل
الي الاشيا العظيمة باضداد اسبابها فيما يري الناس فلا يرتاع مومن لكثرة المخالفين وقوة المنابذين ابدا
فان سبب كون الله مع العبد هو الاتباع بالاحسان الذي عماده الرسوخ في الايمان الذي علق الحكم به
فحيثما وجد المعلق عليه وجد المعلق وهو النصر باسباب خفية او جلية **ويهديكم** في نحو هذا الامر
الذي دهمكم فازعجكم بالثبات عند سماع الوعد والوعيد والثقة بمضمونه لانه قادر حكيم فهو لا يخلف
الميعاد **صراطا مستقيما** اي طريقا واسعا واضحا موصلا الي الكرامة من غير شك وهذا من اعلام النبوة
فانه لم يزغ احد من المخاطبين بهذه الاية وهم اهل الحديبية وكانه والله اعلم لذلك لم يقل ويهديهم
بالغيب علي ما اقتضاه السياق لئلا يعم غيرهم ممن يظهر صدقه في الايمان ثم يزيغ وكذا اكثر تفاصيل
هذه السورة من اعلام النبوة فانه وقع الاخبار به قبل وقوعه **ولما** سرهم سبحانه بما بشرهم به
من كون القضية فتحا ومن غنايم خيبر اتبع ذلك البشارة بغيرها دالا علي انها مما لا مطمع لهم في حوزه ولا
علاجه لولا معونته فقال **واخرى** اي ووعدكم مغانم كثيرة غير هذه وهي والله اعلم غنايم هوازن
التي لم يحصل قبلها ما يقاربها **ولما** كان في علمه سبحانه ان الصحابة رضي الله عنهم يغزون فيها الا من
لا يمكنه في العادة ان يهزمهم ليحوي الغنايم وكان ما في علمه تعالي في تحققه كالذي وقع وانقضي قال **لم
تقدروا** اي بما علمتم من فراركم **عليها** **ولما** توقع السامع بعد علمه بعجزهم عنها الاخبار عن السبب الموصل
الي اخذها بما تقرر عند من صدق الوعد بها قال مفتتحا بحرف التوقع **قد احاط الله** اي المحيط بكل شي
قدرة وعلما **بها** فكانت بمنزلة ما ادير عليه سور مانع من ان يفلت منها شي عن حوزتكم او يفقد غيركم
ان ياخذ منها شيا ولذلك وللتعميم ختم الاية بقوله **وكان الله** اي المحيط بجميع صفات الكمال ازلا وابدا
علي كل شي منها ومن غيرها **قديرا** بالغ القدرة لانه بكل شي عليم • **ولما** قدم سبحانه انه كف ايدي
الناس اجمعين عنهم ذكر حكمهم لو قرقع فقال مقررا لقدرته عاطفا علي نحو فلو اراد لمكنكم من الاعتمار
مؤكدا لاجل استبعاد من يستبعد ذلك من الاعراب وغيرهم **ولو قاتلكم** اي في هذا الوجه **الذين
كفروا** اي اوقعوا هذا الوصف من الناس عموما الراسخ فيه ومن دونه وهم اهل مكة ومن لافهم
وكانوا قد اجتمعوا وجمعوا الاحابيش ومن اطاعهم وقدموا خالد بن الوليد طليعة لهم الي كراع الغميم
ولم يكن اسلم بعد **لولوا** اي بغاية جهدهم **الادبار** منهزمين **ولما** كان عدم نصرهم بعد التولية
مستبعدا ايضا لما لهم من كثرة الامداد وقوة الحمية قال معبرا باداة البعد **ثم** اي بعد طول الزمان
وكثرة الاعوان **لا يجدون** في وقت من الاوقات **وليا** اي من يفعل معهم فعل القريب من الحياطة او
الشفقة والحراسة من عظيم ما يحصل من رعب تلك التولية **ولا نصيرا** **ولما** كانت هذه عادة جارية
قديما مع اوليا الله حيث ما كانوا من الرسل واتباعهم في ان حزبنا لهم الغالبون قال **سنة الله** اي سن
المحيط بهذا الخلق في هذا الزمان وما بعده كما كان محيطا بالخلق في قديم الدهر ولذلك قال **التي قد
خلت** اي سنة مؤكدة لا تتغير وادخل الجار لاجل ان المقاتل ما وقع في الزمان الماضي الا بعد نزول التوراة
فقال **من قبل** واما قبل ذلك فانما كان يحصل الهلاك بامر من عند الله بغير ايدي المومنين **ولن تجد** ايها
السامع **لسنة الله** الذي لا يخلف قوله لانه محيط بجميع صفات الكمال **تبديلا** اي تغييرا من مغير ما يغيرها
بما يكون بدلها • **ولما** تقرر ان الكفار مغلوبون وان قاتلوا وكان ذلك من خوارق العادات مع كثرتهم
دايما وقلة المومنين حتي ياتي امر الله موقعا للعلم القطعي بانه ما دبره الا الواحد القهار المختار عطف
عليه عجبا اخر وهو عدم تغير اهل مكة في هذه العمرة للقتال بعدما تعاهدهم وتعاقدهم عليه مع ما لهم من
قوة العزايم وشدة الشكايم فقال عاطفا علي ما تقديره هو الذي سن هذه السنة العامة **وهو الذي كف**

اي وحده **ايديهم** أي الذين كفروا من اهل مكة وغيرهم فان الكل شرع واحد **عنكم وأيديكم** أيها المؤمنون
عنهم ولما كان الكفار لو بسطوا ايديهم مع ما حتمه الله وسنه من توليه الكفار دخلوا مكة قال **ببطن**
مكة اي كائنا كل منكم ومنهم في داخل مكة هم حالا وانتم مآلا وعن القفال انه قال يجوز ان يراد به الحديبية
لانها من الحرم انتهى • وعبر بالميم دون الباء كما في آل عمران اشارة الي انه فعل هنا ما اقتضاه مدلول هذا
الاسم من الجمع والنقص والتنقيه فسبب لهم اسباب الاجتماع والتنقية من الذنوب بما اشارت اليه اية
المغفرة حالا وايات الفتح مآلا وفي بما يدل عليه اسمها من الاهلاك علي خلاف القياس **ولما** كان هذا
ليس مستغرقا لجميع الزمان الآتي بل لا بد ان يبسط ايدي المومنين بها في الفتح ادخل الجار فقال **من بعد أن**
أظفركم اي أوجد فوزكم بكل ما طلبتم منهم وجعل لكم الطول والعز **عليهم** وذلك فيما رواه أصحاب
السير قالوا ودعا رسول الله صلي الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي رضي الله عنه فبعثه الي قريش بمكة
وحمله علي بعير له يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ما جا له فعقروا به جمل رسول الله صلي الله عليه وسلم
وارادوا قتله فمنعته الاحابيش فخلوا سبيله حتي اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم وبعث قريش اربعين رجلا
منهم او خمسين وامروهم ان يطيفوا بعسكر رسول الله صلي الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من اصحابه احدا
فأخذوا اخذا فاتي بهم رسول الله صلي الله عليه وسلم فعفي عنهم وخلي سبيلهم وقد كانوا رموا في عسكره
بالحجارة والنبل ثم ذكروا ارساله صلي الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه الي مكة ثم ارسال قريش لسهيل
ابن عمرو في الصلح **وروي** مسلم في صحيحه عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال لما اصطلحنا واختلط بعضنا
ببعض اتيت شجرة فاضطجعت في اصلها فاتاني اربعة من المشركين من اهل مكة فجعلوا يقعون في النبي صلي الله
عليه وسلم فابغضتهم فتحولت الي شجرة اخري وعلقوا سلاحهم واضطجعوا فبينما هم كذلك اذ نادي مناد من
اسفل الوادي يا آل المهاجرين قتل ابن زنيم فاخترطت سيفي ثم شددت عليهم علي اوليك الاربعة وهم رقود
فاخذت سلاحهم فجعلته ضغثا في يدي ثم قلت والذي كرم وجه محمد لا يرفع احد منكم راسه الا ضربت الذي
فيه عيناه ثم جئت بهم اسوقهم الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وجا عمي عامر رضي الله عنه برجل من العبلات
يقال له مكرز يقوده الي رسول الله صلي الله عليه وسلم علي فرس مجفف في سبعين من المشركين فنظر اليهم
رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال دعوهم يكن لهم بدو الفجور وثناه فعفا عنهم وانزل الله تعالي وهو
الذي كف ايديهم عنكم الاية **وروي** مسلم والنسائي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان ثمانين رجلا من
اهل مكة هبطوا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم من قبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلي الله
عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم **وفي** رواية النسائي قالوا ناخذ محمدا واصحابه فاخذهم النبي صلي الله
عليه وسلم سلما فاستحياهم فانزل الله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنهم الاية • **ولما** كان هذا وغيره
من عسف اهل مكة وغلظتهم وصلابتهم وشدتهم ورفق النبي صلي الله عليه وسلم بهم ولينه لهم مما احزن
اغلب الصحابة رضي الله عنهم قال تعالي يسليهم **وكان الله** اي المحيط بالجلال والاكرام **بما يعملون** اي الكفار
علي قراة أبي عمرو بالغيب • وأنتم علي قراة الباقين بالخطاب في ذلك الوقت وفيما بعده كما كان قبله **بصيرا** اي محيط
العلم ببواطن ذلك كما هو محيط بظواهره فهو يجريه في هذه الدار التي ربط فيها المسببات باسبابها علي اوثق
الاسباب في نصركم وغلبكم لهم وقسركم وستعلمون ما دبره من دخولكم مكة المشرفة آمنين لا تخافون في
عمرة القضا صلحا ثم بالفتح بجحفل جرار قد نيطت اظفار المنايا باسنة رماحه وعادت كووس الحمام طوعا
لبيض صفاحه فيومن اكثر اهل مكة وغيرهم ممن هو الآن جاهد عليكم ويصيرون احب الناس فيكم يقدمون
انفسهم في جهاد الكفار دونكم فيفتح الله بكم البلاد ويطهركم وهم اعظم المحامين عنكم علي ساير العباد • **ولما**
كان ما مضي من وصفهم علي وجه يشمل غيرهم من جميع الكفار رغبتهم لسبب كفهم عنهم مع استحقاقهم في ذلك الوقت
للبوادر

للبوادر والنكال والدمار فقال **هم** اي أهل مكة ومن لا يمهم **الذين كفروا** اي اوغلوا في هذا الوصف
بجميع بواطنهم وتمام ظواهرهم **وصدوكم** زيادة علي كفرهم في عمرة الحديبية هذه **عن المسجد الحرام** اي مكة
ونفس المسجد والكعبة للإحلال مما انتم فيه من شعاير الاحرام بالعمرة **والهدي** اي وصدوا ما اهديتموه
الي مكة المشرفة لتذبحوه بها وتفرقوه علي الفقرا ومنه اربعون وفي رواية سبعون بدنة كان اهداها النبي
صلي الله عليه وسلم **معكوفا** اي حال كونه مجموعا محبوسا مع رعيكم له واصلاحه لما اهدي لاجله **ان يبلغ**
محله اي الموضع الذي هو اولي المواضع بنحره وهو الذي اذا انطلق انصرف الذهن اليه وهو في العمرة
المروة ويجوز الذبح في الحج والعمرة في اي موضع كان من الحرم فالموضع الذي نحر فيه النبي صلي الله عليه
وسلم في هذه المرة عند الاحصار ليس محله المطلق **ولما** كان التقدير فلولا ما اشار سبحانه اليه من ربط
المسببات باسبابها لسلطكم عليهم فغلبتموهم علي المسجد واتممتم عمرتكم علي ما اردتم عطف عليه امرا اخص منه
فقال **ولولا رجال** اي مقيمون بين اظهر الكفار بمكة **مومنون** اي عريقون في الايمان فكانوا لذلك
اهلا للوصف بالرجولية **ونسا مومنات** اي كذلك احبس الكل عن الهجرة العذر لان الكفار لكثرتهم
استضعفوهم فمنعوهم الهجرة علي ان ذلك شامل لمن جبله الله علي الخير وعلم منه الايمان وان كان في ذلك
الوقت مشركا **لم تعلموهم** اي لم تحط علمكم بهم من جميع الوجوه لتميزوهم باعيانهم عن المشركين لانهم
ليس لهم قوة التميز منهم وانتم لا تعرفون اماكنهم لتحاملوهم بما هم له اهل ولا سيما في حال الحرب والطعن
والضرب ثم ابدل من الرجال والنسا **ان تطوهم** اي توذوهم بالقتل او ما يقاربه من الجراح والضرب
والنهب ونحوه من الوطي الذي هو الايقاع بالحرب • ومنه قوله صلي الله عليه وسلم آخر وطاة وطيها الله
بوج يكون ذلك الأذي منكم لهم علي ظن انهم مشركون اذي الدايس للمدوس وتضغطوهم وتاخذوهم اخذا شديدا
بقهر وغلبة تصيرون به لا ترتدون يدا لامس ولا تقدرون علي مدافعة **فتصيبكم** اي فيتسبب عن هذا الوطي
أن يصيبكم **منهم** اي من جهتهم وبسببهم **معرة** اي مكروه واذي هو كالجرب في انتشاره واذاه واثمه
وخيانة بقتال دون اذن خاص وبعدم الامعان في البحث وغرم وكفارة ودية وتاسف وتعيير من
لا علم له ثم علق بالوطي المسبب عنه اصابة المعرة اتماما للمعني قوله **بغير علم** اي بانهم من المؤمنين **ولما**
دل السياق علي ان جواب لولا محذوف تقديره لسلطكم عليهم وما كف ايديكم عنهم ولكنه علم ذلك وعلم انه سيومن
ناس من المشركين فمن عليكم بان رفع حرج اصابتهم بغير علم عنكم وسبب لكم اسباب الفتح الذي كان يتوقع
بسبب تسليطكم عليهم بامر سهل وكف ايديكم ولم يسلطكم عليهم **ليدخل الله** اي الذي له جميع صفات الكمال
في رحمته اي اكرامه وانعامه **من يشا** من المشركين بان يعطفهم الي الاسلام ومن المومنين بان يستنقذهم
منهم علي ارفق وجه • **ولما** كان ذلك انتج قوله **لو تزيلوا** اي تفرقوا فزال احد الفريقين عن الآخر زوالا
عظيما بحيث لا يخالط صنف بغيره فيومن وطء المومنين له بغير علم **لعذبنا** اي بايديكم بتسليطنا او بمجرد ايدينا
من غير واسطة **الذين كفروا** اي اوقعوا ستر الايمان • **ولما** كان هذا عاما لجميع من اتصف بالكفر من اهل
الارض صرح بما دل عليه السياق فقال **منهم** اي الفريقين وهم الصادون **عذابا أليما** اي شديد الايجاع
بايديكم او من عندنا لنوصلكم الي قصدكم من الاعتمار والظهور علي الكفار ففيه اعتذار لهم وتدريب علي تادب
بعضهم مع بعض • وفي الاشارة الي بيان سر من اسرار منع الله لهم من التسلط عليهم حث للعبد علي ان لا يتهم
الله في قضايه فربما عسر عليه امرا يظهر له ان السعادة كانت فيه وفي باطنه سم قاتل فيكون منع الله له منه
رحمة في الباطن وان كان نقمة في الظاهر فالزم التسليم مع الاجتهاد في الخير والحرص عليه والندم علي فواته
واياك والاعتراض • وفي الاية ايضا ان الله تعالي قد يدفع عن الكافر لاجل المومن • **ولما** بين شرط استحقاقهم
للعذاب بين وقته وفيه بيان لعلته فقال **إذ** اي حين **جعل الذين كفروا** اي ستروا ما تراه من الحق في

مرأي عفو لهم في قلوبهم أي قلوب انفسهم الحمية أي المنع الشديد والاباء الشديد الذي هو في شدته
ونفوذه في اشد الاجسام كالسم والنار ولما كان مثل هذه الحمية قد تكون موجبة للرحمة بأن تكون لله
قال مبينا معظما لجرمها حمية الجاهلية اي التي مدارها مطلق المنع سوا كان بحق او بباطل فيمتنع من الادعان
للحق ومبناها التشفي على مقتضى الغضب لغير الله فتوجب تخطي حدود الشرع ولذلك انفوا من دخول المسلمين
مكة المشرفة لزيادة البيت العتيق الذي الناس فيه سوا ومن الاقرار بالبسملة فانتجت لهم هذه الحمية ان
تكبروا عن كلمة التقوى وطاشوا وخفوا الى الشرك الذي هو ابطل الباطل ولما كانت هذه الحمية مع
الكثرة موجبة ولا بد ذلك من نصوب اليه ولاسيما ان كان قليلا بين دلالة على ان الامر تابع لمشيئته
لا لمجاري العادة انه تاثر عنها ضد ما تقتضيه عادة فقال مسببا عن الحمية فانزل الله اي الذي لا
يغلبه شي وهو يغلب كل شي بسبب حميتهم سكينته اي الشي اللايق اضافته اليه سبحانه من الفهم
عن الله والروح الموجب لسكون القلب المؤثر للاقدام على العدو والنصر عليه اذ لا كاينا على
رسوله الذي عظمته من عظمته ففهم عن الله مراده في هذه القضية فجرى على اتم ما يرضيه وعلى المؤمنين
اي العريقين في الايمان لانهم اتباع رسوله وانصار دينه فالزمهم قبول امره حتى الذي فهمه عن
الله وخفي عن اكثرهم حتى فهموه صلى الله عليه وسلم عند نزول سورة الفتح وحماهم من همزات
الشياطين ولو يدخلهم ما دخل الكفار من الحمية ليقاتلوا غضبا لانفسهم فيتعدوا حدود الشرع
والزمهم اي المؤمنين الزام اكرام وتشريف لا الزام اهانة وتعنيف كلمة التقوى وهي كل قول او
فعل ناشي عن التقوى واعلاه كلمة الاخلاص المتقدمة في القتال وهي لا اله الا الله التي هي احق الحق
يقتضي التحقيق بمدلولها من انه لا فاعل الا الله الثبات على كل ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من التوحيد والبسملة والرسالة مع تغيير الكتابة بكل منهما لاجل الكفار في ذلك المقام الدحض الذي
لا تكاد تثبت فيه قدم واضافتها الى التقوى التي هي اتخاذ ساتر تقي حر النار فجعلها وصفها لازما لهم
غير منفكة عنهم لانها سببها الحامل عليها وتجمع الحامل على التقوى اعتقاد الوحدانية بلا اله الا الله
فانها كلمة كما قال الرازي اولها نفي الشرك واخرها تتعلق بالله وهذا من اعلام النبوة فان
اهل الحديبية الذين الزموا هذه الكلمة ماتوا كلهم على الاسلام وكانوا اي جبلة وطبعا ولما كان
في الكفار من يستحقها في علم الله فيصير مؤمنا عبر بافعل التفضيل فقال احق بها اي كلمة التقوى من
الكفار والاعراب وغيرهم من جميع الخلق ولمثل هذا التعميم اطلق الامر بحذف المفضل عليه فقال
ولما كان الاحق بالشي قد لا يكون اهله من اول الامر قال واهلها اي ولاتها والملازمون لها
ملازمة العشير لعشيره والدايمون بها والا ليقون لها ولما كان الحكم بذلك لا يكون الا لعالم قال
عاطفا على ما تقديره لما علم الله من صلاح قلوبهم وكان الله اي المحيط علما وقدرة بكل شي من ذلك
وغيره عليما اي محيط العلم والآية من الاحتباك ذكر حمية الجاهلية اولا دليلا على ضدها ثانيا
وكلمة التقوى ثانيا دليلا على ضدها اولا وسره انه ذكر مجمع الشر اولا ترهيبا منه ومجمع الخير
ثانيا ترغيبا فيه ولما قرر سبحانه علمه بالعواقب لاحاطة علمه وذكر اسباب كف ايدي الفريقين
وبين ما فيه من المصالح وما في التسليط من المفاسد من قتل من حكم بايمانه من المشركين واصابة
من لا يعلم من المؤمنين وغير ذلك الى ان ختم باحاطة علمه المستلزم لشمول قدرته انتج ذلك قوله لمن
توقع الاخبار عن الرؤيا التي اقلقهم امرها وكاد بعضهم ان يزلزله ذكرها على سبيل التاكيد لقد ولما
كان للنظر الى الرؤيا اعتباران احدهما من جهة الواقع وهو غيب عن الصحابة رضي الله عنهم والاخر من
جهة الاخبار ومجموع الرؤيا شهادة بالنسبة اليه سبحانه عبر بالصدق والحق فقال صدق الله اي

الملك

الملك الذي لا كفوء له المحيط بجميع صفات الكمال رسوله الذي هو اعز الخلايق عنده وهو غني عن
الاخبار عما لا يكون انه يكون فكيف اذا كان المخبر رسوله الرؤيا التي هي من الوحي لانه سبحانه يرى
الواقع ويعلم مطابقتها في انكم تدخلون المسجد الحرام امنين محلق بعض ويقصر اخرون ملتبسا خبره
ورؤيا رسوله صلى الله عليه وسلم بالحق لان مضمون الخبر اذا وقع فطبق بين الواقع وبينه كان الواقع
يطابقه لا يخرم شي منه عن شي منه والحاصل انك اذا نسبتها الى الواقع طابقته فكانت صدقا واذا
نسبت الواقع اليها طابقها فكانت حقا ولما اقسم لاجل التاكيد لمن كاد يتزلزل اجابه بقوله مؤكدا
بما يفهم القسم ايضا اشارة الى عظم الزلزال لتدخلن اي بعد هذا دخولا قد تحتم امره المسجد اي الذي
يطاف فيه بالكعبة ولا يكون دخولا الا بدخول الحرم الحرام اي الذي اجاره من امتهان الجبابرة
ومنعه من كل ظالم ولما كان لا يجب عليه سبحانه شي وان وعد به اشار الى ذلك بقوله نادبا لهم
ان يقول احد منهم بعد ذلك او يقول انا ندخل للبيت ونحو ذلك ولغيرهم ان يقول نحو دخول ان
شا الله اي له الاحاطة بصفات الكمال حال كونكم امنين لا تخشون الا الله منقسمين بحسب التحليق
والتقصير الى قسمين محلقين رؤسكم ولعله اشار بصيغة التفعيل الى ان فاعل الحلق كثير وكذا ومقصرين
غير ان التقديم يفهم ان الاول اكثر ولما كان الامن حال الدخول لا يستلزم الامن بعده قال لا
تخافون اي لا يتجدد لكم خوف بعد ذلك الى ان تدخلوا عليهم عام الفتح قاهرين ولما كان من المعلوم
ان سبب هذا الاخبار احاطة العلم فكان التقدير هذا امر حقق يوثق به غاية الوثوق لانه اخبار عالم
الغيب والشهادة صدق سبحانه فيه ومارد كم عنه هذه الكرة على هذا الوجه الا لامور دبرها وشوون
احكمها وقدرها قال عاطفا على صدق مسببا عنه او معللا فعلم اي بسبب او لانه علم من اسباب الفتح
وموانعه وبنايه على الحكمة ما لم تعلموا ايها الاوليا فجعل بسبب احاطة علمه من دون اي ادنى رتبة من
ذلك اي الدخول العظيم في هذا العام فتحا قريبا يقويكم به من فتح خيبر ووضع الحرب بين العرب بهذا
الصلح واختلاط بعض الناس بسبب ذلك ببعض الموجب لاسلام بشر كثير تتقوون بهم فتكون تلك الكثرة
والقوة سبب هيبة الكفار المانعة لهم من القتال فنقل العنتي رفقا باهل حرم الله اكراما لهذا النبي
الكريم صلى الله عليه وسلم عن اثارة واصابة من عنده من المسلمين المستضعفين من غير علم ولما
اخبر بهذه الامور الجليلة الرفيعة المبنية على احاطة العلم علينا وبين الصدق فيها بقوله هو اي وحده الذي
ارسل رسوله اي الذي لا رسول احق منه باضافته اليه بالهدى اي الكامل الذي يقتضي ان يستقيم
به اكثر الناس ولو انه اخبر بشي يكون فيه ادنى مقال لم يكن الارسال بالهدى ودين الحق اي الامر
الثابت الكامل في الثبات يطابقه الواقع ليظهره اي دينه على الدين كله دين اهل مكة والعرب
عباد الاصنام الذي يقتضي اظهاره عليه دخوله اليها امنا واظهاره على من سواهم من اهل الاديان
الباطلة بايدي صحابته الابرار والتابعين لهم باحسان اظهارا متكاملا ونزول عيسى عليه السلام مع الرفق
بالخلق والرحمة لهم فلا يقتل الا من لا صلاح لهم اصلا وعلى قدر الجبروت يحصل القهر فلاجل ذلك هو يدبر
امره بمثل هذه الامور التي توجب نصره وتعلي قدره مع الرفق بقومه وجميل الصنع لاتباعه فلا بد ان تروا
من فتوح اكثر البلاد وقهر الملوك الشداد ما تعرفون به قدرة الله ولما كان في سياق احاطة العلم
وكان التقدير شهد ربه سبحانه بتصديقه في كل ما قاله باظهار المعجزات على يديه بنى عليه قوله وكفى بالله
الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال شهيدا اي ذا رؤية وخبرة يطية كل شي ودخلته لما له من الغنا في
امره ولا شهيد في الحقيقة الا هو سبحانه لانه لا احاطة وخبرة ورقبة الا له سبحانه وهو يشهد بكل ما اخبر به رسوله
صلى الله عليه وسلم في هذه السورة خصوصا وفي غيرها عموما ولما ختم سبحانه باحاطة العلم بالخفايا

والظواهر في الاخبار بالرسالة عينهما في قوله جوابا لمن قد يقول من الرسول المنوه باسمه **محمد رسول**
الله اي الملك الذي لا كفوء له فهو الرسول الذي لا رسول يساويه لانه رسول الي جميع الخلق من ادرك
زمانه بالفعل في الدنيا ومن تقدمه بالقوة فيها وبالفعل في الاخرة يوم يكون الكل تحت لوايه وقد اخذ
علي الانبيا كلهم الميثاق بان يومنوا به ان ادركوه واخذ ذلك الانبيا علي اممهم لا تكتب الرحمة التي وسعت كل شي
الا لمن وقع العلم المحيط بانه يومن به فما عمل عامل صالحا الا كان له مثل اجره تقدم ذلك العامل او تاخر
كان من اهل السما او من اهل الارض **وهذا** امر لا يحصيه الا الله **واشار** بذكر هذا الاسم بخصوصه
في سورة الفتح الي انه صلي الله عليه وسلم هو الختام بما اشارت اليه الميم التي مخرجها ختام المخارج وهي
محيطة بما اشارت اليه صورتها وكررت في الاسم بعدد غاية التاكيد وهي ثلث كما اشار اسمه احمد الي
انه مع كونه خاتما فهو فاتح بما اشار قوله صلي الله عليه وسلم كنت اولهم خلقا واخرهم بعثا واختصت به
سورة الصف ليعادل ذلك بتصريح المبشر به عليه السلام بالبعدية في قوله برسول ياتي من بعدي
اسمه احمد **و**اشارت الميم اوله ايضا الي بعثه عند الاربعين وما بقي من حروفه وهي حمد بينه اله كماله
الفعل بالفعل في السنة الثانية والخمسين من عمره وهي الثانية عشر من نبوته ببيعة الانصار رضي الله
عنهم **وقد** اشارت هذه السورة الي كلمة الاخلاص تلويحا بما ذكرت من كلمة الرسالة تصريحا وبطنت
سطوة الالهية وظهرت الرحمة المحمدية **كما** اشارت القتال الي الرسالة تلويحا وصرحت سطوة الالهية
بكلمة الاخلاص الناشبة القتال تصريحا وقد تقدم في القتال نبذة من اسرار الكلمتين **ولما** ذكر الرسول
ذكر المرسل اليهم فقال **والذين معه** اي بمعية الصحبة من اصحابه وحسن التبعية من التابعين لهم
باحسان **ولما كان** شرف القوم شرفا لرئيسهم مدحهم بما يشمله فقال **اشدا علي الكفار** فهم لا تاخذهم
بهم رافة بل هم معهم كالاسد علي فريسته لان الله امرهم بالغلظة عليهم **رحما بينهم** كالوالد مع الولد لان
الله تعالي امرهم باللين للمومنين ولا مومن في زمانهم الا من كان من اهل دينهم فهو يحبهم ويحبونه بشهادة
اية المايدة **ولما** كان هذا خلاف ما وصفت به الامم الماضية من انهم ما اختلفوا الا من بعد ما جاهم
العلم بغيا بينهم فكان عجبا بين الحامل عليه بقوله **تراهم** اي ايها الناظر لهم **ركعا سجدا** اي دابهم الخضوع
فاكثر اوقاتهم صلاة قد غلبت صفة الملكية علي صفاتهم الحيوانية فكانت الصلاة امرة بالخير مصفية
عن كل نقص وضير **ولما** كانت الصلاة مما يدخله الريا فبين اخلاصهم بقوله **يبتغون** اي يطلبون بذلك
وغيره من جميع احوالهم بغاية جهدهم تغليبا لعقولهم علي شهواتهم وحظوظهم **فضلا** اي زيادة من الخير
من الله اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال من الجلال والجمال الذي اعطاهم ملكة العظمة علي الكفار
بما وهبهم من جلاله والرقة علي اوليايه بما انالهم من رحمته التي هياهم بها للاحسان الي عباده فنزعوا
الهوي من صدورهم فصاروا يرونه وخدم سيدهم المحسن اليهم لا يرون سيدا غيره ولا محسن سواه **ولما**
ذكر عباداتهم وطلبهم الزيادة منها ومن غيرها من فضل الله الذي لا يوصل الا عبادته الا بمعونته اتبعه
المطلوب الاعلي فقال **ورضوانا** اي رضي منه عظيما **ولما** ذكر كثرة عباداتهم واتبعها اخلاصهم فيها
اهتماما به لانه لا يقبل عملا بدونه دل علي كثرتها بقوله **سيماهم** اي علامتهم التي لا تفارقهم **في وجوههم**
ثم بين العلامة بقوله **من اثر السجود** فهي نور يوم القيمة رواه الطبراني عن ابي بن كعب رضي الله عنه
عن النبي صلي الله عليه وسلم **هذا** مع ما لهم من مثل ذلك في الدنيا من اثر الخشوع والهيبة بحيث انهم
اذا روي احدهم اورثت لرايه ذكر الله واذا قرا اورثت قراته حزنا وخشوعا واخباتا وخضوعا وان
كان رث الحال زري الهيئة ولا يظن ان من السيما ما يصنعه بعض المرايين من هيئة اثر السجود في جبهته
فان ذلك من سيما الخوارج **وفي** نهاية ابن الاثير في تفسير الثفنات ومنه حديث ابي الدردا رضي الله

عنه راي رجلا بين عينيه مثل ثفنة العنز فقال لو لم يكن هذا كان خيرا يعني كان علي جبهته اثر السجود وانما كرهها
خوفا من الريا بها **و**روي صاحب الفردوس عن انس رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال اني لابغض
الرجل واكرهه اذا رايت بين عينيه اثر السجود **ولما** اتم وصفهم بهذا الامر الذي لا يقدر عليه الا من
صفاه الله من جميع حظوظه وشهواته اشار الي علوه فقال **ذلك** اي هذا الوصف العالي جدا البديع
المثال البعيد المنال **مثلهم في التوراة فانه** قال فيها اتانا ربنا من سينا وشرف لنا من جبل ساعير
وظهر لنا من جبل فاران معه ربوات الاطهار علي يمينه اعطاهم وحببهم الي الشعوب وبارك علي جميع اطهاره
وهم يتبعون اثارك فظهوره من فاران صريح في نبوة محمد صلي الله عليه وسلم فانه لم يات منها وهي جبال مكة
باتفاقهم بعد نزول التوراة بالنبوة غيره صلي الله عليه وسلم وربوات الاطهار اشارة الي كثرة امته
وانهم في الطهارة كالملايكة وايد ذلك جعلهم من اهل اليمين ووصفهم بالتحبيب الي الشعوب فكل ذلك دال
علي ما وصفوا به هنا بشهادة الوجود **هذا** ما وجدته في التوراة بعد تبديلهم لما بدلوا منها واخفايهم
كما قال الله تعالي لكثير **وروي** اصحاب فتوح البلاد في فتح بيت المقدس عن كعب الاحبار ان سبب اسلامه
ان اباه كان اخبره انه دخر عنه ورقتين جعلهما الي كوة وطين عليهما وامره ان يعمل بهما بعد موته قال
فلما مات فتحت عنهما فاذا فيهما محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبي بعده مولده بمكة ومهاجره بطيبة ليس بفظ
ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر
ويصفح امته الحمادون الذين يحمدون الله علي كل شرف وعلي كل حال ويذلل السنتهم بالتكبير وينصر الله
نبيهم علي كل من ناواه يغسلون فروجهم بالما ويازرون علي اوساطهم واناجيلهم في صدورهم ياكلون قربانهم
في بطونهم ويوجرون عليها تراحمهم بينهم تراحم بني الام والاب وهم اول من يدخل الجنة يوم القيمة من الامم
هم السابقون المقربون والشافعون والمشفع لهم **و**اصله في الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وفي
الدارمي عن كعب هذا ولاصحاب الفتوح عن شهر بن حوشب عن كعب قال قلت لعمر رضي الله عنه وهو بالشام
عند انصرافه يا امير المومنين انه مكتوب في كتاب الله ان هذه البلاد التي كان بنوا اسرايل سكنوها
وكانوا اهلها مفتوحة علي رجل من الصالحين رحيم بالمومنين شديد علي الكافر سره مثل علانيته وعلانيته
مثل سره وقوله لا يخالف فعله والقريب والبعيد عنده في الحق سوا اتباعه رهبان بالليل واسد بالنهار
متراحمون متباذلون فقال عمر تكلتك امك ما تقول قلت اي والذي انزل التوراة علي موسي والذي
يسمع ما تقول انه لحق فقال عمر فالحمد لله الذي اعزنا وشرفنا واكرمنا ورحمنا بمحمد صلي الله عليه وسلم
ورحمته التي وسعت كل شي **هذا** علي ان المراد بالمثل الوصف **و**يمكن ان يكون علي حقيقته **و**يكون الذي
في التوراة ما ترجمته هم علي اعدايهم كقرون الحديد وفيما بينهم في النفع والتواصل كالما والصعيد والرحمة
لحامة الزرع مع الريح والصديق النصيح وفي الاقبال علي الاخرة كالمسافر الساجب والباكي الناحب
فعبر عنه في كتابنا بما ذكر **ولما** ذكر مثلهم في الكتاب الاول اتبعه الكتاب الثاني الذي هو ناسخ ليعلم
انه اخذ علي كل ناسخ بشريعته ان يصفهم لامته ليتبعوهم اذا دعوهم فقال **ومثلهم في الانجيل** اي الذي نسخ
الله به بعض احكام التوراة **كزرع** اي مثل زرع **اخرج شطاه** لين فراخه وورقه وما خرج حول اصوله
فصار ذلك كله مثله **ولما** ذكر هذا الاخراج سبب عنه قوله **فازره** اي فاحاط به الشط فقواه وظهره
من غربة تثبت عنه فتضعفه وساواه وحاذاه وعاونه ويظهر ان قراة الهمزة بالمد علي المفاعلة ابلغ من
قراة ابن عامر بالقصر لان الفعل اذا كان بين اثنين يتجاذبانه كان الاجتهاد فيه اكثر **ثم** سبب عن
الموازرة قوله **فاستغلظ** اي فطلب المذكور من الزرع والشطاء الغلظ واوجده فتسبب عن ذلك اعتداله
فاستوي اي وجد فيه القيام العدل وجودا عظيما كانه كان بغاية الاجتهاد والمعالجة **علي سوقه** اي

نصبه جمع ساق ولما قام عليه الشي حال كون هذا المذكور من الزرع والشطه يعجب الزراع وبجوز كونه
استينافا للتعجب منه والمبالغة في مدحه واظهار السرور في امره واذا اعجبهم وهم في غاية العناية بامره
والتفقد لحاله والملابسة له ومعرفة معايبه كان بغيرهم اشد اعجابا ومثل لانهم يكونون قليلين ثم يكثرون مع
البهجة في عين الناظر لمالهم من الرونق الذي منشاوه نور الايمان وثبات الطمانينة والايقان وشدة
الموافقة من بعضهم لبعض ونفي المخالف لهم وابعاده وقد تقدم في هذا الكتاب في اخر المايدة امثالا
ضربت في الانجيل بالزرع اقربها الي هذا مثل حبة الخردل فراجعه ولما انتهي سبحانه مثلهم ذكر الثمرة
في جعلهم كذلك فقال ليغيظ معلقا له بما يوخذ من معني الكلام وهو جعلهم كذلك لاجل ان يغيظ بهم اي
غيظا عظيما بالغ القوة والاحكام الكفار وذلك انهم لما كانوا اول الامر قليلا كان الكفار طامعين في
ان لا يتم لهم امر فكلما ازدادوا وكثرة مع تمادي الزمان زاد غيظ الكفار منهم فكيف اذا راوا مع الزيادة
والقوة منهم حسنا ونضارة ورونقا وبهجة فهو في الغيظ بما لو كانوا في اول الامر كثيرا الا انه كان يكون
دفعه ويقصر زمنه فمن ابغض صحابيا خيف عليه الكفر لانهم اول مراد بالاية وغيرهم بالقصد الثاني
وبالتبع ومن ابغضهم كلهم كان كافرا واذا حملناه علي غيرهم كان دليلا علي ان من خالف الاجماع كفر قاله القشيري
ولما تم مثلهم وعلته وجعلهم كذلك بشرهم فقال في موضع وعدهم لتعليق الوعد بالوصف علي عادة القران
ترغيبا في التمسك به وترهيبا من مجانبته وعد الله اي الملك الاعظم الذين امنوا ولما كان
الكلام في الذين معه صلى الله عليه وسلم وكانت المعية ظاهرة في الاتحاد في الدين لم تكن شاملة للمنافقين
فلم يكن الاهتمام بالتقييد بمنهم هنا كالاهتمام في سورة النور فاخره وقدم العمل لانه العناية به هنا اكثر
لانه من سيماهم المذكورة فقال وعملوا اي تصديقا لدعواهم الكون معه في الدين الصالحات ولما
كان قوله معه يعم كما مضي من بعد الصحابة رضي الله عنهم وكان الخلل فيمن بعدهم كثيرا قيد بقوله منهم
اي من الذين معه سوا كانوا من اصل الزرع او فراخه التي اخرجها وهم التابعون لهم باحسان ولما كان
الانسان وان اجتهد مقصرا عن بلوغ ما يحق لله من العبادة اشار الي ذلك بقوله مغفرة اي لما يقع
منهم من الهفوات او الذنوب والسيات واجرا عظيما بعد ذلك الستر وقد جمعت هذه الاية الخاتمة
لهذه السورة الفاتحة جميع حروف المعجم بشارة تلويحية مع ما فيها من البشاير التصريحية باجتماع امرهم
وعلو نصرهم وذلك انه لما كانت هذه العمرة قد حصل لهم فيها كسر لرجوعهم قبل وصولهم الي قصدهم
من الدخول الي مكة والطواف بالبيت العتيق ولم يكن ذلك بسبب خلل اي من قبلهم كما كان في غزوة
احد علي ما مضي من بيانه في ال عمران التي هي سورة التوحيد الذي كلمته كلمة التقوي عند الاية الثانية
لهذه بشرهم سبحانه بما في هذه السورة من البشاير الظاهرة تصريحا وبما في هذه الاية الخاتمة من جمعها
لحروف المعجم تلويحا الي ان امرهم لا بد من تمامه واشتداد سلكه وابرامه واتساق شانه وانتظامه
وخفوق الويته واعلامه وافتتحها بميم محمد واختتمها بميم عظيما المنصوبة
اشارة بما للميم من الختام بمخرجها الي ان تمام الامر قد دني جدا ابانه وحضر زمانه وبما في اولها من الضم
الي رفعة دايمة في حمد كثير وبما في اخرها من النصب الي تمام الفتح وانتشاره وقربه واشتهاره
علي وجه عظيم وشرف في علو جسيم واوما تدويرها الي انه امر لا انتهاء له بل كلما ختم ابتدي وقد ظهر من هذا
وما في صريح الاية من القوة المعزة للمومنين المذلة للكافرين رد مقطعها علي مطلعها بالفتح للنبي صلى الله
عليه وسلم والتمكين العظيم لاصحابه رضي الله عنهم والرحمة والمغفرة والفوز العظيم لجميع اتباعه
وانصاره واشياعه رضي الله عنهم وجعلنا بمنه وكرمه منهم وهذا اخر القسم الاول من القران وهو المطول
وقد ختم كما تري بسورتين هما في الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر علي من

قائلها

قاتله ظاهرا كما ختم القسم الثاني المفصل بسورتين هما نصرة له صلى الله عليه وسلم بالحال علي من تصدى بالقتال طنا

مقصودها الارشاد الي مكارم الاخلاق بتوقير النبي صلى الله عليه وسلم بالادب معه في نفسه وفي
امته وحفظ ذلك من اجلاله بالظاهر ليكون دليلا علي الباطن فيسمي ايمانا كما ان الايمان بالله يشترط فيه
تقبل الاعمال الظاهرة والاذعان بفعلها بشرايطها واركانها وحدودها ليكون بينة علي الباطن وحجة شاهدة
له الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فحاصل مقصودها مراقبة النبي صلى الله
عليه وسلم في الادب معه لانها اول المفصل الذي هو ملخص القران كما كان مقصود الفاتحة التي هي اول القران
مراقبة الله وابتدي ثاني المفصل بحرف من الحروف المقطعة كما ابتدي ثاني ما عداه بالحروف المقطعة واسمها
الحجرات واضح الدلالة علي ذلك بما دلت عليه ايته بسم الله الملك الجبار المتكبر الذي من اخل بتعظيم رسوله
صلى الله عليه وسلم لم يرض منه عملا الرحمن الذي من عموم رحمته اقامة الاداب للتوصل الي حسن المآب
الرحيم الذي خص اولي الالباب بالاقبال علي ما يوجب لهم جميل الثواب لما نوه سبحانه بذكر النبي صلى الله (في القتال ثم)
عليه وسلم وصرح في ابتدايها باسمه الشريف وسمي السورة به وملا سورة الفتح بتعظيمه وختمها باسمه
ومدح اتباعه لاجله افتتح هذه باشتراط الادب معه في القول والفعل للعد من حزبه والفوز بقربه
ومدار ذلك معالي الاخلاق وهي اما مع الله او مع رسوله صلى الله عليه وسلم او مع غيرهما وان كان كل قسم
لا يخلو عن لحظ الاخر وغيرهما اما ان يكون داخلا مع المومنين في رتبة الطاعة او خارجا عنها وهو الفاسق
والداخل في طاعة المومنين السالك لطريقتهم اما ان يكون حاضرا عندهم او غايبا عنهم فهذه خمسة اقسام
فصل النداء بسببها خمس مرات كل مرة لقسم منها وافتتح بالله لان الادب معه هو الاصل الجامع للكل والاس
الذي لا يبني الا عليه فقال مناديا للقسمين باول اسنان القلوب تنبيها علي ان سبب نزولها من افعالهم
لا من افعال اهل الكمال فهو هفوة تقال وما ينبغي ان تقال وليشمل الخطاب المعهود للادني ولو مع
النفاق من فوقه من باب الاولي يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان لا تقدموا وحذف المفعول
ليعم كل ما يصح تقديمه فيذهب الوهم كل مذهب ويجوز ان يكون حذفه من غير قصد اليه اصلا بل يكون
النهي موجها الي نفس التقدمة اي لا تتلبسوا بهذا الفعل ويجوز ان يكون من قدم بالتشديد بمعني اقدم
وتقدم اي شجع نفسه علي التقدم ومنه مقدمة الجيش وهم متقدموه واشار الي تهجين ما نهوا
عنه وتصوير شناعته والي انهم في القبضة ترهيبا لهم فقال بين يدي الله اي الملك الذي لا يطاق
انتقامه ولما كان السياق للنهي عن التقديم والتقدم وكان مقتضي الرسالة انفاذ الاوامر والنواهي
عن الملك من غير ان يكون من المرسل اليهم اعتراض اصلا وبذلك استحق ان لا يتكلم بحضرته في مهم ولا يفعل
مهم الا باذنه لان العبيد لما لهم من النقص لا استقلال لهم بشي اصلا عبر بالرسول دون النبي بعد ان
ذكر اسمه تعالي الاعظم زيادة في تصوير التعظيم فقال ورسوله اي الذي عظمته ظاهرة جدا لانما
من عظمته ولذلك قرن اسمه باسمه وذكره بذكره فهو تمهيد لما ياتي من تعظيمه فالتعبير بذلك اشارة الي ان
النفس اذا خليت وفطرتها الاولي امتلات بمجرد رويته هيبة منه واجلالا له فلا يفعل احد غير ذلك الا
بتشجيع منه لنفسه وتكليفها ضد ما تدعو اليه الفطرة الاولي القويمة فالمعني لا تكونوا متقدمين في شي
من الاشيا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ورسوله صلى الله عليه وسلم يبلغ عنه لا ينطق عن الهوي
فعلي الغير الاقتدا والاتباع لا الابتدا والابتداع سوا كان النبي صلى الله عليه وسلم حاضرا او غايبا بموت
او غيره فان اثاره كعينه فمن بذل الجهد فيها هدي للاصلح والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ولما

استعمال للدلالة على القدرة التعبير باليدين وصورة البينية ترهيبا من انتقام القادر اذا خولف صرح بذلك
بقوله **واتقوا الله** اي اجعلوا بينكم وبين غضب الملك الاعظم وقاية فان التقوي مانعة من ان تضيعوا
حقه وتخالفوا امره او تقدموا على شي لم تعلموا رضاه فيه **ولما** كان سبحانه مع كل بعلمه واقرب اليه
من نفسه وكان مع ذلك غيبا محضا لكونه محتجبا برداء الكبر وازار العظمة والقهر **وكان** الانسان لما
غاب عنه نساء ذكره مرهبا بقوله مستانفا او معللا مؤكدا تنبيها على ما في ذلك من الغرابة والعظمة التي
يحق للانسان مجاهدة نفسه لاجلها في الايمان به والمواظبة على الاستمرار على استحضاره لان افعال العاصي
افعال من ينكره **ان الله** اي الذي له الاحاطة بصفات الكمال **ولما** كان ما يتقدم فيه اما قولا او فعل
قال **سميع** اي لاقوالكم قبل ان تقولوها **عليم** اي باعمالكم قبل ان تعملوها **وقال** الامام ابو جعفر بن الزبير
لما وصف سبحانه عباده المصطفين لصحابة نبيه والمخصوصين بفضيلة مشاهدته وكريم عشرته فقال محمد
رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم فاثني سبحانه عليهم وذكر وصفه تعالى لهم بذلك في
التوراة والانجيل وهذه خصيصة انفردوا بمزية تكريمها وجرت على واضح قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس وشهدت لهم بعظيم المنزلة لديه ناسب هذا طلبهم بتوفية الشعب الايمانية قولا وعملا ظاهرا
وباطنا على اوضح عمل واخلص نية وتنزيههم عما وقع من قبلهم في مخاطبات انبيائهم كقول بني اسرايل يا موسي
ادع لنا ربك الي ما شهدت من هذا الضرب بسوء حالهم فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي
الله ورسوله الاية يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول الي
قوله والله غفور رحيم فطلبوا بآداب تناسب علي ايمانهم وان اغتفر بعضه لغيرهم ممن ليس في درجتهم
وقد قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وكان قد لهم لا تفعلوا اما منح لكم في التوراة والانجيل
فانها درجة لم ينلها غيركم من الامم فقابلوها بتنزيه اعمالكم عن ان يتوهم في ظواهرها انها صدرت عن
عدم اكتراث في الخطاب او سوء قصد في الجواب وطابقوا بين بواطنكم وظواهركم وليكن علنكم منبئا
بسليم سرائركم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوي
ثم عرفوا بسوء حال من عدل به عن هذه الصفة فقال تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم
لا يعقلون ثم امروا بالتثبت عند نزغة الشيطان او تقول ذي بهتان يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق
بنبإ الاية ثم امرهم تعالى بصلاح ذات بينهم والتعاون في ذلك بقتال الباغين الي الفياة وتحسين العشرة
والتزام ما يثمر الحب والتودد الايماني والتواضع وان الخير كله في التقوي ان اكرمكم عند الله اتقاكم وكل
وكل ذلك محذر لعلي صفاتهم التي وصفوا بها في خاتمة سورة الفتح **ولما** اثبت اعظام الرسول صلي الله
عليه وسلم بان لا يفتات عليه بان يناهب ما هو وظيفته من التقدم في الامور وقطع المهمات فلا يتكلم
الا جوابا او مسوالا في امر ضروري لا يمكن تاخيره وكان من يكلمه كذلك ربما رفع صوته رفعا الاولي به
غيره مما هو دونه وكان من جملة احواله ان يوحي اليه بالامور العظيمة وكان في رفع الصوت اذ ذاك من
المشوشات في حسن التلقي للوحي مع ما فيه من قلة الاحترام والاخلال بالاجلال والاعظام قال ذاكرا
الثاني من الاقسام وهو ما كان النظر فيه الي مقامه صلي الله عليه وسلم بالقصد الاول مستنتجا بما مضي من
وصفه بالرسالة الدالة علي النبوة امرا بحفظ حرمته ومراعاة الادب في خدمته وصحبته بتبجيله وتفخيمه
واعزازه وتعظيمه مكررا النداء تذكيرا لهم بما الزموا انفسهم به من طاعته بتصديقه واستدعاء لتجديد
الاستبصار وتطرية للندب الي الانصات واشارة الي ان المنادي له امر يستحق ان يفرد بالنداء
ويستقل بالتوصية **يا ايها الذين امنوا** مكررا للتعبير بالادني من اسنان القلوب للتنبيه علي ان فاعل
مثل هذه المنهيات والمحتاج فيها الي التنبيه بالنهي قد فعل من هذا حاله **لا ترفعوا اصواتكم** اي في شي

من

من الاشيا **فوق صوت النبي** اي الذي يتلقي عن الله وتلقيه عنه متوقع في كل وقت **وهذا** ايدل
علي ان اذي العلما الذين هياهم الله لتلقي فهم دينه عنه شديد جدا فان تكدير اوقاتهم يمنعهم من كثير من ذلك
ولما بين ما في ذلك لاجل النبوة بين ما ينبغي له في نفسه من المزية فقال **ولا تجهروا له بالقول**
اي اذا كلمتموه سوا كان ذلك مثل صوته او اخفض من صوته فان ذلك غير مناسب لما يهاب به العظما ويوقر
الكبرا **ولما** شمل هذا كل جهر مخصوص وهو ما يكون مسقطا للمزية قال **كجهر بعضكم لبعض** اي فانكم ان
لم تفعلوا ذلك لم يظهر فرق بين النبي صلي الله عليه وسلم وبين غيره **ولما** نهي عن ذلك بين ضرره
فقال مبينا ان من الاعمال ما يحبط ولا يدري انه يحبط ليكون العامل كالماشي في طريق خطر لا يزال يتوقي
خطره ويديم حذره **ان** اي النهي لاجل خشية ان **تحبط** اي تفسد فتسقط **اعمالكم** اي التي هي الاعمال بالحقيقة
وهي الحسنات كلها **وانتم لا تشعرون** اي بانها حبطت فان ذلك اذا اجترا الانسان عليه استخف به واذا
استخف به واظب عليه واذا واظب عليه اوشك ان يستخف بالمخاطب فيكفر وهو لا يشعر **ولما** تقدم سبحانه
في الاخلال بشي من حرمته صلي الله عليه وسلم ونهي عن رفع الصوت والجهر الموصوف انتج المخافتة عنده علي
سبيل الاجلال فبين ما لمن حافظ علي ذلك الادب العظيم فقال مؤكدا لان في المنافقين وغيرهم من يكذب
بذلك وتنبيها علي انه لمحبة الله له ورضاه به اهل لان يؤكد امره ويواظب علي فعله **ان الذين يغضون**
اي يخفضون ويلينون لما وقع عليهم من السكينة من هيبة حضرته **قال** الطبري واصل الغض الكف
في لين **اصواتهم** تخشعا وتخضعا ورعاية للادب وتوقيرا **ولما** كان المبلغ ربما انساه اللغط ورفع
الاصوات ما كان يريد ان يبلغه انه بينت لي ليلة القدر فخرجت لاخبركم بها فتلاحي رجلان فانسيتها
وعسي ان يكون خيرا لكم قال **عند رسول الله** اي الذي من شانه ان لا يعلو كلامه علي كل كلام لانه مبلغ
عن الملك الاعظم **وعبر** بعند التي للظاهر اشارة الي ان اهل حضرة الخصوصية لا يقع منهم الا الكمل الاد
ولما ابتدا ذكرهم مؤكدا تنبيها علي عظم ما ندبوا اليه زاده اعظاما بالاشارة اليهم باداة البعد
فقال **اولئك** اي العالو الرتب لما لهم من علو الهمم بالخضوع لمن ارسله مولاهم الذي لا احسان
عندهم الا منه **الذين امتحن الله** اي فعل المحيط بجميع صفات الكمال فعل المختبر بالمخالطة البليغة
بالشدايد علي وجه يؤدي الي المنحة باللين والخلوص من كل درن والانشراح والاتساع **قلوبهم** فاخلصها
للتقوي اي الخوف المؤدي الي استعداد صاحبه باقامة ما يقيه من كل مكروه والامتحان اختبار بليغ
يؤدي الي خبر فالمعني انه قد طهر قلوبهم ونقاها كما يمتحن الصائغ الذهب والفضة بالاذابة للتنقية
والتخليص من كل غش لاجل اظهار ما بطن فيها من التقوي ليصير معلوما للخلق في عالم الشهادة كما كان
معلوما له سبحانه في عالم الغيب وهو خروجهم عن العادات البشرية ومفارقتهم لما توجبه الطبيعة
وهو حقيقة التوحيد **فان** التقوي لا تظهر الا عند المحن والشدايد بالتكاليف وغيرها ولا تثبت الا
بملازمة الطاعة في المنشط والمكره والخروج عن مثل ذلك **ولما** كان الانسان وان اجتهد في الا
محلا للنقصان استانف الاخبار عن جزايهم بقوله معربا له من قال النسب اشارة الي ان ذلك بمحض احسانه
لهم مغفرة اي لهفواتهم وزلاتهم **واجر عظيم** اي جزا لا يمكن وصفه علي محاسن ما فعلوا **ولما** نهي
سبحانه عن الاخلال بالادب وامر بالمحافظة علي التعظيم وذكر وصف المطيع اتبع ذلك علي سبيل النتيجة
وصف من اخل به مؤكدا لاجل ان حالهم كان حال من يدعي عقلا تاما **ان الذين ينادونك** اي يجددون
نداك من غير توبة والحالات ندايهم اياك كاين **من ورا** اثبات هذا الجار يدل علي انه صلي الله عليه وسلم
كان داخلها ولو سقط لم يفد ذلك بل كان يفيد ان نسبة الاماكن التي وراءها الحجرات كلها بالنسبة اليه
واليهم علي حد سوا وذلك بان يكون الكل خارجها والورا الجهة التي تواريك او تواريها من خلف او قدام

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم من العظمة في نفسه وفي تبليغ رسالات الله في حينه بمكان من العظمة
بحيث لا يخفى على احد فليس احد ان يفتات عليه ولا ان يعجله على شي وكان نداوه لذلك من ورا حجرة واحدة
كنداية من ورا كل حجرة جمع فقال الحجرات ولم يضعه اليه احلالا له وليشمل كونه في غيرها ايضا والمعنى مبتدين
الندا من جهة تكون الحجرات فيها بينك وبينهم فيكون موازية لكل منهم ولهم منك وهي جمع حجرة وهي ما حوط
من قطع الارض بحايط يمنع من يكون خارجه من اذى من يكون داخله بقول او فعل فانه يكون مما يختص به من
الاجتماع بنسايه او اصلاح شي من حاله لا يتهيأ له بحضور الناس مما تتقاضاه المروة واسند الفعل الى الجميع
وان كان المنادي بعضهم للرضى به او السكوت عن النهي ولما كان الساكت قد لا يكون راضيا قال
اكثرهم اي المنادي والراضي دون الساكت لعذره لا يعقلون لانهم لم يصبروا بل فعلوا معه صلى الله
عليه وسلم كما يفعل بعضهم مع من يماثله والعقل يمنع مثل ذلك لمن اتصف بالرياسة فكيف اذا كانت رياسة
النبوة والرسالة عن الملك الجبار الواحد القهار ولما ذمهم بسوء عملهم ارشدهم الى ما يمدحون به من حسنها
فقال ولو انهم صبروا اي حبسوا انفسهم ومنعوها عن مناداتهم والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هوا ها — اي المنادي والراضي صح
وهو حبس فيه شدة وصبر عن كذا محذوف المفعول لكثرة دوره اي نفسه حتى تخرج من تلقا نفسك عند فراغ
ما انت فيه مما يهمك من واردات الحق ومصالح الخلق ولما كان الخروج قد يكون الى غيرهم من المصالح
فلا يسوغ في الادب ان يقطع ذلك عليه قال اليهم اي ليس لهم ان يكلموك حتى تفرغ لهم فتقصدهم
فانك لا تفعل شيا في غير حينه بمقتضى امر الرسالة لكان اي الصبر ولما كان العرب اهل معالي هم بحيث
لا يرضون الا الاحسن قال خيرا لهم اي من استعجالهم في ايقاظك الهاجرة وربما لو قرعوا الباب بالاظافير
كما كان يفعل غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم وهذا على تقدير ان يكون ما ظنوا من ان فيه خيرا فكانوا
يعقلون في التعبير بذلك الانصاف بل الاغضا والاحسان هز لهم الى المعالي وارشاد الى ما يتفاخرون
به من المحاسن قال الرازي قال ابو عثمان الادب عند الاكابر يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى والخير
في الاولى والعقبى انتهى وخيرية صبر في الدين معروفة واما في الدنيا فانهم لو تادبوا لرتبهم زادهم
صلى الله عليه وسلم علما في الفضل فاعتق جميع سبيهم وزادهم والاية من الاحتباك حذف التعليل بعدم
الصبر اولا لما دل عليه ثانيا والعقل ثانيا لما دل عليه من ذكره اولا ولما كان التقدير تاديبا لنا وتدريبا
على الصفح عن الجاهل وعذره وتعليمه ولكنهم لم يصبروا واساوا الادب فكان ذلك شرا لهم والله عليم بما
فعلوا حليم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة لاساتهم الادب على رسوله صلى الله عليه وسلم عطف عليه استعطافا
لهم مع ايهامه الترهيب والله اي المحيط بجميع صفات الكمال غفور اي ستور لذنب من تاب من جهله
رحيم يعامله معاملة الراحم فيسبغ عليه نعمه ولما تابوا في غلظتهم على خير خلقه ان جعلهم اغلظ الناس
على شر الناس الدجال فان النبي صلى الله عليه وسلم قال انهم اشد الناس عليه ولما انهى سبحانه ما
اراد من النهي عن اذى الرسول صلى الله عليه وسلم في نفسه وكان من ذلك اذاه في امته فانه عزيز عليه
ما عنتوا وكان من اذاه منهم فاسقا وكان اعظم الاذى فيهم ما اورث كربا فاثار حربا وكان ربما اتخذ
اهل الاعراض هذه الاداب ذريعة الى اذى بعض المسلمين فقذفوهم بالاخلال بشي منها فوقعوهم فيما قذفوا بهم
غيرهم من الاخلال بحقه والتقيد بولايه ورقه وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخلاق الطاهر والمعا
الظاهر ما يومن معه ان يوقع شيا في غير محله او يامر بامر من غير حله هذا مع ما له من العصمة قال
منبها على ما في القسم الثالث من مكارم الاخلاق من ترك العجز بالاعتماد على اخبار الفسقة مخاطبا بكل من اقر
بالايمان على طريق الاستنتاج مما مضى ناديا الى الاسترشاد بالعقل الذي نفاه عن اهل الاية السالفة
والعفو عن المذنب والرحمة لعباد الله منادي باداة البعد اشارة الى ان من احتاج الى التصريح بمثله

عفوا

هذا التنبيه غير مكتف بما افاده من قواعد الشرع قد وضع نفسه في محل بعيد وتنبيها على ان ما في خبرها
كلام له خطر عظيم ووقع جسيم يا ايها الذين امنوا وعبر بالفعل الماضي الذي هو لادنى اسنان القلوب وعبر
باداة الشك انه ايما بقلة الفاسق فيهم وقلة مجيه اليهم بخبر له وقع فقال ان جاكم اي في وقت من الاوقات
فاسق اي خارج من ربقة الديانة اي فاسق كان بنبا اي خبر يعظم خطبه فيوثر شرا اي خبر كان مما
يكون كذلك فتبينوا اي عالجوا البيان وهو فصل الخطا من الصواب استعمالا لغريزة العقل المنفي عن
المنادين واتصافا بالغفران والرحمة ليرحمكم الله ويغفر لكم وهذه القراة غاية لقراة حمزة والكسايي
بالمثلثة ثم المثناة الفوقية والسياق مرشد الى ان خبر الفاسق كالنمام والساعي بالفساد كما انه لا يقبل
فلذلك لا يرد حتى يمتحن والى ان خبر العدل لا وقفة فيه والا لاستوي مع الفاسق فالتثبت معلل بالفسق
فاذا انتفى ولم توجد علة اخرى توجب التسبب وجب القبول والمعلق على شي بكلمة ان عدم عند عدمه
والتبيين باحد شيين بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم ان كان حاضرا او بمراجعة اثاره من كتاب الله
وسنته الى ان يتبين الامر منهما ان كان غايبا فانه لا يكون ابدا كاينة الا وفي الكتاب والسنة المخرج منها
ولما امر بالتبيين ذكر علته فقال ان تصيبوا اي باذى قوما اي هم مع قوتهم المانعة لاهل الاسلام — اي لاجل كراهية ان صح
برآ مما نسب اليهم بجهالة اي مع الجهل بحال استحقاقهم لذلك ولما كان الانسان اذا وضع شيا في غير
موضعه جديرا بالندم سبب عن ذلك قوله فتصبحوا اي فتصيروا ولكنه عبر بذلك لان اشنع الندم ما
استقبل الانسان صباحا وقت انتباهه وفراغه واقباله على لذاته على ما فعلتم اي من اصابتهم نادمين
اي عريقين في الاسف على ما فات بما يوقع الله في نفوسكم من امور ترجف القلوب وتخور الطباع
وتلك سنته في كل باطل فانه لكونه مزلزلا في نفسه لا ينشا عنه الا الزلزال والندم غم على ما وقع مع تمني انه
لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام بما تدور مادته عليه بما يرشد اليه مدن ودمن وهو ينشا
من تضييع اتقان الاسباب التي امر الانسان بالسعي فيها كما اشار اليه حديث احرص على ما ينفعك ولا تعجز
فان غلبك امر فقل قدر الله وما شا فعل ولا تقل لو اني فعلت كذا فان لو تفتح عمل الشيطان والفاسق
المذكور في الاية المراد به الجنس والذي نزل ذلك بسببه هو الوليد بن عقبة ولم يزل كذلك حتى ان عثمان
رضي الله عنه ولاه الكوفة فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان رضي
الله عنه ولما كان اقدامهم على كثير من الامور من غير مشاورة لمن ارسله الله رحمة لعباده ليعلمهم
ما ياتون وما يذرون عمل من لا يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منه وكان الاعراض عنه
حيا وعن بذل الجهد في استخراج الامور من شريعته بعد موته امرا مفسدا للدين ان لم يعتبر وينتبه له
غاية التنبه اخبرهم به منزلا لهم منزلة من لا يعلم انه موجود معه مشيرا بكلمة التنبيه الى ان من اخل بمراعاة
ذلك في عداد الغافلين فقال واعلموا اي ايتها الامة وقدم الخبر ايذانا بان بعضهم باعتراضه واقدامه
على ما لا علم له به يعمل عمل من لا يعلم مقدار ما خصه الله به من انعامه عليهم به صلى الله عليه وسلم فهو يفيد توبيخ
من فعل ذلك ان فيكم اي على وجه الاختصاص لكم وبالكم من شرف رسول الله اي الملك الاعظم المتصف
بالجلال والاكرام على حالة هي انكم تريدونه ان يتبع اراءكم وذلك امر شنيع جدا فانه لا يليق ان يتحرك الا
بامر من ارسله فيجب عليكم الرجوع عن تلك الحالة فانكم تجهلون اكثر مما تعلمون ولارادتهم ان يطيعهم
في جميع الامور عبر بالمضارع فقال لو يطيعكم وهو لا يحب عنتكم ولا شيا يشق عليكم في كثير من الامر
اي الذي تريدونه على فعله من انه يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم وتستصوبونه ليكون فعله
معكم فعل المطواع لغيره التابع له فينقلب حينيذ الحال ويصير المتبوع تابعا والمطاع طايعا لعنتم
اي لاثمتم وهلكتم ومن اراد دايما ان يكون امر رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعا لامره فقد زين

له الشيطان الكفران فاولئك هم العادون وبسياق لو معلم قطعا ان التقدير ولكنه على الله علم لا يطيعكم
مع كراهته لما يشق عليكم لما هو متحقق به من طاعة الله والوقوف عند حدوده والتقيد في جميع الحركات
والسكنات بامره مع ما له من البصر في التمييز بين الملبسات والخبرة التامة بالامور المشتبهات التي
هي سبب هلاك الاغلب لكونه لا يعلمها كثير من الناس والتقييد بالكثير معلم بانهم يصيبون وجه الرشاد في
كثير من الامور ولما كان التقدير حتما بما هدى اليه السياق ولوحا لفحوه في الامور التي لا يطيعكم
فيها لعنتم استدرك عنه قوله ولكن الله اي الملك الاعظم الذي يفعل ما يريد حبب اليكم الايمان فلزمتم
طاعته وعشقتم متابعته ولما كان الانسان قد يحب شيا وهو يعلم فيه عيبا فيكون جديرا بان يترك له
فيه نفي ذلك بقوله وزينه في قلوبكم اي فلا شي عندكم احسن منه ولا يعادله ولا يقاربه بوجه وكره
اليكم الكفر وهو تغطية ما ادت اليه الفطر الاولى والعقول المجردة من الهوى من الحق بالجحود والفسوق
وهو المروق من ربقة الدين ولو من غير تغطية بل بغير تامل والعصيان وهو الامتناع من الانقياد عامة
فلم تخالفوه ورايتم خلافه هلاكا فصرتم والمنة لله الطوع شي للرسول صلى الله عليه وسلم فعلم من هذا ان
الله تعالى هو الفاعل وحده لجميع الافعال من الطاعات والمعاصي والعادات والعبادات لانه خالق
الكل فمدحوا بفعل الله بهم لانهم الفاعلون في الظاهر فهو واقع موقع الطعم الرسول صلى الله عليه وسلم
فلم تخالفوه وانما وضع فعل الله وهو لا يمدحون عليه موضع فعلهم الذي يمدحون عليه للحث على الشكر
والانسلاخ من العجب ولما ارشد السياق الى متابعتهم على هذا الوجه انتج قوله مادحا لهم ثانيا
الكلام من خطابهم الى خطابه صلى الله عليه وسلم ليدل على عظم هذه الاوصاف وينبه باداة البعد على علو
مقام المنصف به اولئك اي الذين اعلى الله مقاديرهم هم اي خاصة الراشدون اي الكاملون في
الرشد وهو الهدى على احسن سمت وتقدير وفي تفسير الاصبهاني الرشد الاستقامة على طريق الحق
مع تصلب فيه انتهى والذي انتج الرشاد متابعة الحق فان الله يكفل لمن تعمد الخير وجاهد نفسه على
البر باصابة الصواب واصابة المساعي المنافي للندم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع
المحسنين وقد دل السياق على انهم كانوا في خبر الوليد صنفين صنف صدقه واراد غزو بني المصطلق
واشار به وصنف توقف وان الصنفين سلموا آخر الامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرفوا فالآية
من الاحتباك او هي شبيهة به دلت الشرطية في لو يطيعكم على الاستدراكية والاستدراكية في ولكن الله
على تقدير الشرطية دلالة ظاهرة ولما ذكر التحبيب والتزيين والتكريه وما انتجه من الرشاد ذكر
علته اعلاما بانه تعالى لا يجب عليه شي حثا على الشكر فقال فضلا اي زيادة وتطولا وامتنانا عظيما جسيما
ودرجة عالية من الله الملك الاعظم الذي بيده كل شي ونعمة اي وعيشا حسنا ناعما وخفضا ودعة
وكرامة ولما كان التقدير فالله منعم مفضل بيده كل ضر ونفع عطف عليه قوله والله اي المحيط بصفات
الكمال عليم اي محيط العلم فهو يعلم احوال المومنين وما بينهم من التفاضل حكيم بالغ الحكمة فهو يضع
الاشياء في اوفق محالها واتقنها فلذلك وضع نعمته من الرسالة والايمان على حسب علمه وحكمته ولما
كانت النميمة ونقل الاخبار الباطلة الذميمة ربما جرت فتنا او وصلت الى القتال وكان الحكيم العليم لا
ينصب سببا الا ذكر حكم مسببه واشار الى دوايه وكان لا ينهى عن الشي الا من كان متهيا له في جبلته
من الداعي اليه فكان قد يواقعه في وقت قال تعالى معلما لنا طريق الحكمة في دفع ما جرت اليه الاخبار
الباطلة من القتال معبرا باداة الشك اشارة الى ان ما في حيزها لا ينبغي ان يقع بينهم وان لا يذكر
الا على سبيل الفرض وان طايفتان اي جماعتان بالفعل او القوة جدير كل جماعة منهما بان تجتمع على ما ذهبها
من الامر حيث تصير من شدة مراعاته كالطايفة حوله والمتحلقة به بحيث لا يدري من شدة اجتماعها على ذلك

اولها من آخرها من المومنين اي ممن هو معدود في عداد العريقين في الايمان سوا كان هو عريقا او
فاعلا ما ينطلق عليه به الاسم فقط ولما كانت الشناعة والفساد في قتال الجماعة اكثر عبر بضمير الجمع دون
التثنية تصويرا لذلك باقبح صورة فقال اقتتلوا اي فاختلطوا بسبب القتال حتى كانوا كالفرقة الواحدة
فاصلحوا اي فاوقعوا الاصلاح ليحصل الصلح ولما كان العبرة في الصلح اذا وقع بين الطايفتين ما يسكن
به الشر وان تخلف شذان من الجانبين لا يعبا بهم عبر بالتثنية دون الجمع فقال بينهما اي بالوعظ والارشاد
الدنيوي والاخروي ولا تظنوا ان الباغي غير مومن فتتجاوزوا فيه امر الله ولما كان البغي من اشنع الامور
فكان ينبغي ان لا يلم به احد عبر باداة الشك ارشادا الى ذلك فقال فان بغت اي اوقعت الارادة السيئة
الكاينة من النفوس التي لا تامر بخير احداهما اي الطايفتين على الاخرى فلم ترجع الى حكم الله الذي خرجت
عنه ولم تقبل الحق ولما كان الاضمار هنا ربما اوهم لبسا تمسك به متعنت في امر فسادا ازال بالاظهار
كل لبس فقال فقاتلوا اي اطلبوا واوجدوا مقاتلة التي ولما كان القتال لا يجوز الا باستمرار على البغي
عبر بالمضارع افهاما لانه متى زال البغي ولو بالتولية من غير شوكة حرم القتال فقال تبغي اي توقع الارادة
السيئة وتصر عليها وادعوا القتال لها حتى تفي اي ترجع مما صارت اليه من حر القطيعة الذي كان كحر
الشمس حين نسخه الظل الى ما كانت فيه من البر والخير الذي هو كالظل الذي نسخ الشمس وهو معنى قوله
تعالى الى امر الله اي التزام ما امر به الملك الذي لا يهمل الظالم بل لا بد ان يقاصصه وامره ما كانت عليه
من العدل قبل البغي ولما كانت مقاتلة الباغي جديرة برجعه اشار الى ذلك بقوله فان فات اي
رجعت الى ما كانت عليه من التمسك بامر الله الذي هو العدل فاصلحوا اي اوقعوا الاصلاح بينهما
ولما كان للخصام يجري في الغالب من القول والفعل ما يورث للمصلحين احنة على بعض المتخاصمين فيحمل
ذلك على الميل مع بعض على بعض قال بالعدل ولا يحملنكم القتال على الحقد على المقاتلين فتحيفوا ولما
كان العدل في مثل ذلك شديدا على النفوس لما تحملت من الضغاين قال واقسطوا اي وازيلوا القسط
بالفتح وهو الجور بان تفعلوا القسط بالكسر وهو العدل العظيم الذي لا جور فيه في ذلك وفي جميع اموركم
ثم علله ترغيبا فيه بقوله موكدا تنبيها على انه من اعظم ما يتمادح به وردا على من لعله يقول انه لا يلزم
نفسه الوقوف عنده الا الضعيف ان الله اي الذي بيده النصر والخذلان يحب المقسطين اي يفعل مع
اهل العدل من الاكرام فعل المحب ولما امر بما قد يفضي الى القتال وكان الباغي ربما كان اقرب
الى المصلح من جهة النسب من المبغي عليه فردعي وكان القتال امرا شاقا ربما حمل على الاحجام عن الاصلاح
علل ذلك سبحانه بما قدم فيه قرابة الدين على قرابة النسب وكشف كشفا تاما عن انه لا يسوغ تركه لما يودي
اليه من تفريق الشمل المودي الى وهن الاسلام واهله المودي الى ظهور الباطل المودي الى ظهور الفساد
الاعظم الذي لا تدارك له فقال انما المومنون اي كلهم وان تباعدت انسابهم واغراضهم وبلادهم
اخوة لانتسابهم الى اصل واحد هو الايمان لا بعد بينهم ولا يفضل احد منهم على آخر بجهة غير جهة الايمان
ولما كانت الاخوة داعية ولا بد الى الاصلاح سبب عنها قوله فاصلحوا ولما كانت الطايفة
قد تطلق على ما هو اصل لان يطاف حوله كما يطلق على ما فيه اهلية التحلق والطواف وكان اقل ما يكون
ذلك في الاثنين فان مخاصمتهما تجر الى مخاصمة طايفتين بان يغضب لكل ناس من قبيلته واصحابه قال واضعا
الظاهر موضع المضمر مبالغة في تقرير الامر وتاكيده واعلاما بان المراد بالطايفة القوة لا الفعل بحيث
يكون ذلك شاملا للاثنين فما فوقهما بين اخويكم اي المختلفين بقتال او غيره كما تصلحون بين اخويكم من
النسب ان لا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير بل الامر كما نقل عن ابي عثمان الحيري ان اخوة الدين
اثبت من اخوة النسب فان اخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين واخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب وقرا

يعقوب اخوتكم بالجمع وقراة الجماعة ابلغ لدلالتها علي الاثنين فما فوقها بالمطابقة واتقوا الله اي الملك الاعظم
الذين هم عباده في الاصلاح بينهما بالقتال وغيره لا تفعلوا ما صورته اصلاح وباطنه افساد واشار الي سهولة
الامور عنده ونفوذ امره وان النفوس انما تشوفها الي الاكرام لا الي كونه من معين فبني للمفعول قوله لعلكم
ترحمون اي لتكونوا اذا فعلتم ذلك علي رجا عند انفسكم ومن ينظر كم من ان يكرمكم الذي لا قادر علي الاكرام في
الحقيقة غيره بانواع الكرامات كما رحمتم اخوتكم باكرامهم عن افساد ذات البين التي هي الحالقة وقد دلت الاية
علي ان الفسق بغير الكفر لا يخرج عن الايمان وعلي ان الاصلاح من اعظم الطاعات وعلي وجوب نصر المظلوم
لان القتال لا يباح بدون الوجوب قال القشيري وذلك يدل علي عظم وزر الواشي والنمام والمضرب
في افساد ذات البين وقال شرط الاخوة ان لا تحوج اخاك الي الاستعانة بك والتماس النصرة منك ولا
تقصر في تفقد احواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته فيحتاج الي مسئلتك ولما نهي عن الاسراع بالايقاع بمجرد
سماع ما يوجب النزاع وختم بما ترجي به الرحمة وكان ربما كان الخبر الذي امر سبحانه بتبينه صحيحا نهي
عن موجبات الشر التي تخبر بها فتكون سببا للضغاين التي يتسبب عنها الشر الذي هو سبب للنقمة رحمة
لعباد الله وتوقعا للرحمة منه فقال علي سبيل النتيجة من ذلك ذاكرا ما في القسم الرابع من الاداب والمنافع من
وجوب ترك اذي المؤمنين في حضورهم والازرا بحالهم المذهب لسرورهم الجالب لشرورهم يايها الذين
امنوا اي اوقعوا الاقرار بالتصديق لا يسخر اي يهزا ويستذل ولما كانت السخرية تكون بحضرة ناس
قال معبرا بما يفهم ان من شارك اور ضي او سكت وهو قادر فهو ساخر مشارك للقايل قوم اي ناس فيهم
قوة المحاولة وفي التعبير بذلك هز الي قيام الانسان علي نفسه وكفها عما تريد من النقايص شكرا لما اعطاه
الله من القوة من قوم فان ذلك يوجب الشر لان اضعف الناس اذا جرك الانتقاص قوي بما يثور عنده
من حظ النفس ولما كان الذي يقتضيه الراي الاصيل انه لا يستذل الانسان الا من امن ان يصير
في وقت من الاوقات اقوي منه في الدنيا او في الاخرة علل بقوله عسي اي لانه جدير وخليق لهم
ان يكونوا اي المستهزا بهم خيرا منهم فينقلب الامر عليهم ويكون لهم سوء العاقبة قال ابن مسعود
رضي الله عنه البلا موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت ان احول كلبا وقال القشيري ما استصغر
احد احدا الا سلط عليه ولا ينبغي ان يعتبر بظاهر احوال الناس فان في الزوايا خبايا والحق سبحانه يستر
اولياه في حجاب الظنة كذا في الخبر كم من اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم علي الله لابره ولما
كان اطلاق القوم لمن فيه اهلية المقاومة وهم الرجال قال معبرا بما هو من النسوة بفتح النون اي ترك
العمل ولا نسا من نسا ثم علل النهي بقوله عسي اي ينبغي ان يخفن من ان يكن اي المسخور بهن خيرا منهن
اي الساخرات ولما كانت السخرية تتضمن العيب ولا يصرح فيها وكان اللمز العيب نفسه في الامر البنة
فقال ولا تلمزوا اي تعيبوا علي وجه الخفية انفسكم بان يعيب بعضكم بعضا باشارة او نحوها فكيف
اذا كان علي وجه الظهور فانكم في التواصل والتراحم كنفس واحدة او يعمل الانسان ما يعاب به فيكون قد
لمز نفسه ولا تنابزوا اي ينبز بعضكم بعضا اي يدعو علي وجه التعيير والتسفيل بالالقاب بان يدعو
المرء صاحبه بلقب يسوءه سوا كان هو المخترع له اولا واما القاب المدح فنعم هي كالصديق والفاروق ولما
كان الايمان قيدا الاوابد العصيان وكان النبز والسخرية قطعا لذلك العيد علل بما يوذن بانه فسق معبرا
بالكلمة الجامعة لجميع المذام تنفيرا من ذلك فقال بيس الاسم الفسوق اي الخروج من ربقة الدين بعد
الايمان ترك الجار ايذانا بان من وقع في ذلك اوشك ان يلازمه فيستغرق زمانه فيه فان النفس عشاقة
للنقايص ولا سيما ما فيه استعلا فمن فعل ذلك فقد رضي لنفسه ان يوسم بالفسق بعد ان كان موصوفا
بالايمان ولما كان التقدير فمن تاب فاوليك هم الراشدون وكان المقام بالتحذير اليق عطف عليه
قوله

قوله ومن لم يتب اي يرجع عما نهي الله عنه تخفف علي نفسه ما كان شدد عليها فاوليك اي البعدا
من الله هم اي خاصة الظالمون اي العريقون في وصف الاشيا في غير مواضعها ولما كان الانسان
يتمادا عاصاحبه بلقب له سي غير قاصد به غيبة او فعل فعلا يتنزل علي الهزء غير قاصد به الهزء نهي تعالي
عن المبادرة الي الظن من غير تثبت لان ذلك من وضع الاشيا في غير مواضعها الذي هو معني الظلم فقال
خاتما بالقسم الخامس منها علي ما فيه من المعالي والنفايس يايها الذين امنوا اي اعترفوا بالايمان وان
كانوا في اول مراتبه اجتنبوا اي كلفوا انفسكم ان تتركوا وتبعدوا وتجعلوا في جانب بعيد عنكم كثيرا
من الظن اي في الناس وغيرهم فاحتاطوا في كل ظن ولا تمادوا معه حتي تجزموا به فتعقدوا بسببه
علي ما يقتضيه من الشر الا بعد التبيين لحقه من باطله بان تظهر عليه امارة صحيحة وسبب ظاهر له
والبحث عن ذلك الذي اوجب الظن ليس بمنهي عنه كما فتش النبي صلي الله عليه وسلم في قصة الافك
وتثبت حتي جاه الخبر اليقين من الله وافهم هذا ان كثيرا منه غير مجتنب كما في الاجتهاد حيث لا قاطع له
وكما في ظن الخير في الله تعالي بل قد يجب كما قال تعالي لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم
خيرا وقد افاد التنكير شياع النهي في كل ظن فكان بمعني بعض مع الكفالة بان كثيرا منه منهي عن الاقدام
عليه الا بعد تبين امره ولو عرف لافهم انه لا يجتنب الا اذا اتصف بالكثرة قال القشيري النفس لا تصدق
والقلب لا يكذب والتمييز بين النفس والقلب مشكل ومن بقيت عليه من حظوظه بقية وان قلت فليس له
ان يدعي بيان القلب بل هو بنفسه ما دام عليه شي من بقيته ويجب عليه ان يتهم نفسه في كل ما يقع له من
نقصان غيره ثم علل ذلك بقوله مشيرا الي ان العاقل من يكف نفسه عند ادني احتمال من الضرر موكدا
لان افعال الناس عند الظنون افعال من هو جازم بانه بري من الاثم ان بعض الظن اثم اي
ادني ذنب يوهل صاحبه لاستحقاق العقوبة كالظن في اصول الدين وحيث يخالفه قاطع قال الزمخشري
والهمزة في الاثم عن الواو وكانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطها ولما نهي عن اتباع الظن اتبعه ما
يتفرع عنه فقال ولا تجسسوا اي تمنعوا في البحث عن العورات ولا يكون ذلك الا في المستورين
ولما كانت الغيبة اعم من التجسس قال ولا يغتب اي يتعمدان يذكر بعضكم بعضا في غيبته بما يكره
قال القشيري وليس تحصل الغيبة للخلق الا من الغيبة عن الحق وقال ابو حيان قال ابن عباس رضي
الله عنهما الغيبة ادام كلاب الناس ولما كان تمزيق عرض الانسان كتمزيق اديمه ولحمه لان ذلك
ساتر عظمه الذي به قوامه كما ان عرضه ساتر عليه وكونه بحيث لا يرد عن نفسه بسبب غيبته كموته واعمال
الفم والجوف في ذلك كالاكل وكان هذا لو تامله العاقل كان منه علي غاية النفرة ولكنه لخفايه لا يخطر بباله
جلاه له في قوله تقريرا وتعبيره بالحب عما هو في غاية الكراهة لما للمغتاب من الشهوة في الغيبة
ليكون التصوير بذلك زاجرا له عنها ومكرها فيها ايحب وعم بقوله احدكم وعبر بان والفعل
تصويرا للفعل فقال ان ياكل وزاد في التنفير بجعله انسانا هو اخ فقال لحم اخيه وانهي
الامر بقوله ميتا ولما كان الجواب قطعا لا تحب احد ذلك اشار اليه بما سبب من قوله فكرهتموه
اي بسبب ما ذكر طبعا فاولي ان تكرهوا الغيبة المحرمة عقلا لان داعي العقل بصير عالم وداعي الطبع
اعمي جاهل وقد رتب سبحانه هذه الحكم ابدع ترتيب فامر سبحانه بالتثبت ولما كان ربما احدث
ضغينة نهي عن العمل بموجبه من السخرية واللمز والنبز والتمادي مع ما يبشره ذلك من الظنون فان
ابت النفس الا تماديا مع الظن فلا يصل الي التجسس والبحث عن المعايب فان حصل الاطلاع عليها كف
عن ذكرها وسعي في سترها ويفعل ذلك كله لخوف الله لا لشي غيره فان وقع في شي من ذلك بادر الي المتاب رجا
الثواب ولما كان التقدير فاتركوه بسبب كراهتكم لما صور به عطف عليه ما دل علي العلة العظمي وهي

خوف الله فقال **واتقوا الله** اي اجعلوا بينكم وبين غضب الملك الاعظم وقاية بترك ذلك واصلاح ذات
البين ولما كان التقدير فان الله يتوب عليكم ان تركتموه علله بما دل علي ان ذلك صفة له متكررة
التعلق فقال **ان الله** اي الملك الاعظم **تواب** اي مكرر للتوبة وهي الرجوع عن المعصية الي ما كان
قبلها من معاملة التايب وان كرر الذنب فلا ييأس احد وان كثرت ذنوبه وعظمت **رحيم** يريده علي
ذلك ان يكرمه غاية الاكرام ولما اذكر سبحانه الاخوة الدينية تذكيرا بالعاطف الموجب للاكرام المانع
من الانتقاص ونهي عن امور تجر اليها الاعجاب بالنفس من جهة التعظم بالآبا والعراقة في النسب العالي
اسقط ذلك مبينا ان لا نسب الا ما يثمره الايمان الذي بدا به من التقوي وعبر بما يدل علي الذبذبة
والاضطراب اشارة الي سفول رتبة من افتخر بالنسب والي ان من لم يتعظ بما مضي فيعلو عن رتبة الذين
امنوا فقد سفل سفولا عظيما فقال مبنيا علي ثمرة ما مضي ذاكرا الاخوة النسبية وثمرتها **يايها الناس**
اي كافة المؤمن وغيره **انا** اي علي عظمتنا **خلقناكم** اي اوجدناكم من العدم علي ما انتم عليه من المقادير
في صوركم وما انتم عليه من التشعب التي تفوت للحصر واخرجنا كل واحد منكم **من ذكر** هو المقصود بالعزم
والقوة **وانثي** هو موطن الضعف والراحة لا مزية لاحد منكم في ذلك علي آخر فلا فخر في نسب ولما كان التفضيل
الي فرق لكل منها تعرف به امرا باهرا عبر فيه بنون العظمة فقال **وجعلناكم** اي بعظمتنا **شعوبا** تتشعب
من اصل واحد جمع شعب بالفتح وهو الطبقة الاولي من الطبقات الست من طبقات النسب التي عليها العرب
وقبايل تحت الشعوب وعماير تحت القبايل وبطونا تحت العماير وافخاذا تحت العماير وفصايل تحت
الافخاذ والعشاير تحت الفصايل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وعبد مناف فخذ وهاشم
فصيلة والعباس عشيرة قال البغوي وليس بعد العشيرة حي يوصف انتهي واقتصر علي الاولين لانهما اقصي
ما يسهل علي الادمي معرفته فما دونه اولي ثم ذكر علة التشعب ليوقف عندها فقال **لتعارفوا** اي ليعرف الانسان
من يقاربه في النسب ليصل من رحمه ما تحق له لا لتواضعوا وتفاخروا ولما كانت فايدة التفاخر بالتواصف
عندهم الاكرام لمن كان الفخر وكانت الاية السالفة التي رتبت عليها هذه امره بالتقوي كان التقدير فتتقوا
الله في اقاربكم وذوي ارحامكم فقال مبطلا للتفاخر بالانساب معللا لما ارشد الي تقديره السياق مؤكدا
لاجل ما عندهم من الكرم انما هو بالنسب **ان اكرمكم** ايها المتفاخرون **عند الله** اي الملك الذي لا امر
لاحد معه ولا كريم الا من اخبر بكرمه ولا كمال لاحد سواه **اتقاكم** فذلك هو الذكر الذي يصح اصله
باقتدايه بابيه آدم عليه السلام فلم يمل الي الانوثة وان كان ادناكم نسبا ولذلك الكرم وهذا معني قوله صلي
الله عليه وسلم خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا اي علموا بان كانت لهم ملكة الفقه فعملوا بما علموا
كما قال الحسن رحمه الله انما الفقيه العامل بعلمه وقد تقدم ان هذا هو المراد بقوله تعالي هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون لما دل عليه سياقها وسباقها والاتقي لا يفتخر علي غيره لانه لا يعتقد انه اتقي
قال الرازي في اللوامع اكرم الكرم التقوي وهو مجمع الفضايل الانسانية والام اللوم الفجور وذلك ان
الكرم اسم للافعال المحمودة وهذه الافعال انما تكون محمودة اذا كانت عن علم وقصد لله وهذا هو
التقوي فليس التقوي الا العلم وتحري الافعال المحمودة انتهي وذلك لان التقوي تثبت الكمالات وتنفي
النقايص فيصير صاحبها بشريا ملكيا ولما كان مركوزا في طبايعهم مغروزا في جبلاتهم متوارثا عندهم ان
الفخر انما هو بالانساب وان الكريم انما هو من طاب اصله وكان قلع ذلك من نفوسهم فيما اجري به سبحانه العادة
في دار الاسباب يتوقف علي تاكيد اكد سبحانه قوله معللا لاخباره بالاكرم **ان الله** اي المحيط علما وقدرة
عليم اي بالغ العلم بالظواهر **خبير** محيط العلم بالبواطن والسراير روي البغوي بسند من طريق عبد بن حميد
عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلي الله عليه وسلم طاف يوم الفتح علي راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج

بجد

لم يجد مناخا فنزل علي ايدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثني عليه وقال الحمد لله الذي اذهب عنكم
عبية الجاهلية وتكبرها بآبايها الناس رجلان بر تقي كريم علي الله وفاجر شقي هين علي الله ثم تلي يايها
الناس الاية ثم قال اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم واخرجه ابو داود والترمذي وحسنه والبيهقي
قال المنذري باسناد حسن واللفظ له عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان
الله عز وجل اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآبا الناس بنو ادم وادم من تراب مؤمن تقي وفاجر
شقي لينتهين اقوام يفتخرون برجال انما هم فحم من فحم جهنم او ليكونن اهون علي الله من الجعلان التي تدفع
النتن بانفها ولما امر سبحانه باجلال رسوله صلي الله عليه وسلم واعظامه ونهي عن اذاه في نفسه
او في امته عن التفاخر الذي هو سبب التقاطع والتدابر وختم بصفة الخبر دل عليها بقوله مشيرا الي
انه لا يعتد بشي مما امر به او نهي عنه الا مع الاخلاص فقال **قالت الاعراب** اي اهل البادية من بني اسد
وغيرهم الذين هم معدن للغلظة والجفا الذين تقدم تاديبهم في سورة الفتح والحق التا في فعلهم اشار
الي ضعفهم في العزايم قال ابن برجان هم قوم شهدوا شهادة الحق ولا يعلمون ما شهدوا به غير ان انفسهم
ليست تنازعهم الي تكذيب **امنا** اي بجميع ما جيت به فامتثلنا ما امرنا به في هذه السورة ولنا النسب الخالص
فنحن اشرف من غيرنا من اهل المدر ولما كان الايمان التصديق بالقلب فلا اطلاع لادمي عليه الا باطلاع
سبحانه وكانوا كاذبين في دعواه قال **قل** اي تكذيبا لهم مع مراعاة الادب في عدم التصريح بالتكذيب
لم تؤمنوا اي لم تصدق قلوبكم لانكم لو امنتم لم تمنوا لان الايمان التصديق بجميع ما لله من الكمال الذي
منه انه لولا منه بالهداية لم تحصل الايمان فله ولرسوله الذي كان ذلك علي يديه المن والفضل ولما
كان التقدير ما كان الاصل في ان يكون الرد به وهو فلا تقولوا امنا لانه كذب وعدل عنه للاحتراز عن
النهي عن القول بالايمان عطف عليه قوله **ولكن قولوا** لانكم اسلمتم للدنيا لا للدين وعدل عنه لئلا تكون
شهادة لهم بالاسلام في الجملة **اسلمنا** اي اظهرنا الانقياد في الظاهر للاحكام الظاهرة فامنا من ان نكون
حربا للمؤمنين وعونا للمشركين يقال اسلم الرجل اذا دخل في السلم كما يقال اشتي اذا دخل في الشتا
ولم يقل ولكن اسلمتم لما فيه من الشهادة لهم بالاسلام الملازم للايمان المنفي عنهم فكان يكون تناقضا
والاية من الاحتباك نفي الايمان اولا يدل علي اثبات الاسلام اللغوي ثانيا والامر بالقول بالاسلام
ثانيا يدل علي النهي عن القول بالايمان اولا ولما كانت لم غير مستغرقة عطف عليها ما يستغرق ماضي
الزمان كله ليكون الحكم بعدم ايمانهم مكتنفا بامرهم بالاقتصار علي الاخبار باسلامهم فقال معلما بان ما
تجتهدون في اخفايه منكشفا لديه لا يعلم من خلق **ولما يدخل** اي الي هذا الوقت **الايمان** اي المعرفة التامة
في قلوبكم فلا يعد اقرارا للسان ايمانا الا بمواطية القلب فعصيتم الله ورسوله صلي الله عليه وسلم واحبطتم
اعمالكم والتعبير بلما يفهم انهم امنوا بعد ذلك ويجوز ان يكون المراد بهذا النفي نفي التمكن في القلب لا نفي
مطلق الدخول بدليل انما المؤمنون دون انما الذين امنوا ولما كان التقدير فان تؤمنوا يعلم الله
ذلك من قلوبكم غنيا عن قولكم عطف عليه قوله ترغيبا لهم في التوبة **وان تطيعوا الله** اي الملك الذي من
خالفه لم يامن عقوبته **ورسوله** الذي طاعته من طاعته علي ما انتم عليه من الامر الظاهري فتؤمن قلوبكم
لا يالتكم ينقصكم ويبخسكم من لاته يليته وهي لغة اهل الحجاز وقرا البصريان يالتكم من الالت وهو النقص
ايضا وهي لغة اسد وغطفان وهم المخاطبون بهذه الاية المعاتبون بها قال ابو حيان قال مجاهد نزلت
في اسد بن خزيمة انتهي فلذلك اختارها ابو عمرو القراءة بها وعدل عن لغة الحجاز **من اعمالكم شيا** فلا حاجة
الي اخباركم عن ايمانكم بغير ما يدل عليه من الاقوال والافعال قال ابن برجان فعموم الناس واكثر اهل
الغفلة مسلمون غير مؤمنين فان تعلموا علم ما شهدوا وعقدوا عليه علما ويقينا فهم المؤمنون وفي الاية

احتباك من وجه آخر ذكر عدم الايمان اولاً دليلاً على اثباته ثانيا وذكر توفير الاعمال ثانيا دليلا لبخسها او
إحباطها اولاً وسره انه نفي اساس الخير اولاً ورغب في الطاعة بحفظ ما تعبوا عليه من الاعمال ثانيا
ولما كان الانسان مبنيا على النقصان فلو وكل الى عمله هلك ولذهب عمله فيما يعتريه من النقص قال
مستعطفا لهم الى التوبة مؤكدا على انه مما يحق توكيده لان الخلايق لا يعقلون مثله إن الله اي الذي له
صفات الكمال غفور اي ستور للهفوات والزلات لمن تاب وصحت نيته ولغيره اذا اراد فلا عتاب
ولا عقاب رحيم اي يزيد على الستر عظيم الاكرام ولما نفي عنهم الايمان وكان ربما غلط شخص في نفسه
فظن انه مؤمن وليس كذلك اخبر بالمؤمن وليس على سبيل الحصر ذاكرا اماراته الظاهرة والباطنة وهي
امهات الفضايل العلم والعفة والشجاعة فقال جوابا لمن قال فمن الذي آمن عادلا عن جوابه الى وصف
الراسخ ترغيبا في الاتصاف بوصفه وايذانا بان المخبر عن نفسه انه امن لا يزيد الا انه راسخ انما المومنون
اي العريقون في الايمان الذي هو حياة القلوب قال القشيري والقلوب لا تحيا الا بعد ذبح النفوس
والنفوس لا تموت ولكنها تعيش الذين امنوا اي صدقوا معترفين بالله معتقدين جميع ما له من صفات
الكمال ورسوله شاهدين برسالته وهذا هو المعرفة التي هي العلم وغايتها الحكم وهذا الاثبات
هنا يدل على ان المنفي فيما قبل الكمال المطلق والا لقال انما الذين امنوا ولما كان هذا عظيما والثبات
عليه اعظم وهو عين الحكمة اشار الى عظيم مزية الثبات بقوله ثم اي بعد امتطا هذه الرتبة العظيمة
لم يرتابوا اي ينازعوا الفطرة الاولى في تعمد التسبب الى الشك ولم يوقعوا الشك في وقت من الاوقات
الكاينة بعد الايمان فلا يزال على تطاول الازمنة وحصول الفتن وصفهم بعدم الريب غضا جديدا ولعله
عبر بصيغة الافتعال اشارة الى العفو عن حديث النفس الذي لا يستطيع الانسان دفع اصله ويكرهه
غاية الكراهة ويجتهد في دفعه فاذا ان المذموم المشي معه والمطاولة فيه حتى يستحكم ولما ذكر
الامارة الباطنة على وجه جامع لجميع العبادات المالية والبدنية فقال وجاهدوا اي اوقعوا الجهاد
بكل ما ينبغي ان تجهد النفس فيه تصديقا لما ادعوه بالسنتهم من الايمان باموالهم وذلك هو العفة
وانفسهم اعم من النية وغيرها وذلك هو الشجاعة وقدم الاموال لقلتها عند العرب في سبيل الله
اي طريق الملك الاعظم بقتال الكفار وغيره من ساير العبادات المحتاجة الى المال والنفس لا الذين يتخلفون
ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا قال القشيري جعل الله الايمان مشروطا بخصال ذكرها وذكر بلفظ
انما وهي للتحقيق تقتضي الطرد والعكس فمن افرد الايمان عن شرايطه التي جعلها له فمردود عليه قوله والايمان
للعبد الامان فايمان لا يوجب الامان لصاحبه فخلافه اولى به ولما عرفهم بذكر اماراتهم على سبيل
الحصر اتبع ذلك حصرا آخر قطعا لاطماع المدعين على وجه اثنى عليهم فيه بما تعظم المدحة به عندهم ترغيبا
في مثل حالهم فقال اولئك اي العالوا الرتبة الذين حصل لهم استوا الاخلاق والعدل في الدين بجميع
امهات الاخلاق هم اي خاصة الصادقون قالا وحالا وفعالا واما غيرهم فكاذب ولما كانوا كانهم
يقولون نحن كذلك امره صلى الله عليه وسلم بالانكار عليهم والتوبيخ لهم دلالة على ما اشار اليه ختام
الاية من احاطة علمه الذي يميز به الصادق من غيره من جميع الخلق فقال قل اي لهولاء الاعراب مجملا
لهم مبكتا اتعلمون اي اتخبرون اخبارا عظيما بليغا كانهم لما امنوا كان ذلك اعلاما منهم بالايمان فلما
قالوا امنا كان ذلك تكريرا فكان في صورة التعليم فبكتهم بذلك الله اي الملك الاعظم المحيط قدرة وعلما
بدينكم فلذلك تقولون امنا ففي ذلك نوع بشرى لهم لانه اوجد لهم دينا واضافه اليهم قاله ابن برجان
ولما انكر عليهم وبكتهم وصل به ما يشهد له فقال والله اي والحال ان الملك المحيط بكل شي يعلم ما في
السموات كلها على عظمها وكثرة ما فيها ومن فيها ولما كان في سياق الرد عليهم والتبكيت لهم كان موضع

التاكيد

التاكيد فقال وما في الارض كذلك ولما كان المقام للتعميم اظهر ولم يضمر يتوهم الاختصاص بما ذكر من
الخلق فقال والله اي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شي اي مما ذكر ومما لم يذكر عليم ولما كان
قولهم هذا صورته صورة المنة قال مترجما له مبكتا لهم عليه معبرا بالمضارع تصويرا لحاله في شناعته
يمنون عليك اي يذكرون ذكر من اصطنع عندك صنيعة واسدى اليك نعمة انما فعلها لحاجتك اليها
لا لقصد الثواب عليها لان المن هو القطع قال في الكشاف لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لا غير
من غير ان يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه اذا اعتد عليه منة وانعاما ولما كان الاسلام
ظاهرا في الدين الذي هو الانقياد بالظاهر مع اذعان الباطن لم يعتبر به وقال ان اسلموا اي اوقعوا
الانقياد للاحكام في الظاهر ولما كان المن هو القطع من العطا الذي لا يراد عليه جزا قال قل
اي في جواب قولهم هذا لا تمنوا معبرا بما من المن اشارة الى ان الاسلام لا يطلب جزاؤه الا من الله
فلا ينبغي عده صنيعة على احد فان ذلك يفسده على اسلامكم لو فرض انكم كنتم مسلمين اي متدينين
بدين الاسلام الذي هو انقياد الظاهر مع اذعان الباطن اي لا تذكروه على وجه الامتنان اصلا فالفعل
وهو تمنوا مضمن تذكروا ونفسه لا معناه كما تقدم في ولتكبروا الله على ما هداكم بل الله اي الملك الاعظم
الذي له المنة على كل موجود ولا منة عليه بوجه يمن عليكم اي يذكر انه اسدى اليكم نعمه ان اي
بان هداكم للايمان اي بينه لكم او وفقكم للاهتدا وهو تصديق الباطن مع الانقياد بالظاهر
والتعبير عن هذا بالمن في احق مواضعه فانه سبحانه غير محتاج الى عمل فانه لا ينفع بلحقه ولا ضر
وانما طلب الاعمال لنفع العاملين انفسهم ومن عليهم بان ارسل رسوله صلى الله عليه وسلم فبين لهم
فكذبوه باجمعهم فلم يزل يقويه حتى اظهر فيه اية مجده واظهر دينه على الدين كله ودخل الناس فيه طوعا وكرها
على وجوه من المجد يعرفها من استحضر السيرة ولا سيما من عرف امر بني اسد وغطفان الذين نزلت فيهم
هذه الايات وكيف كان حالهم في غزوة خيبر ولما كان المراد بهذا تجميلهم وتعليمهم حقايق الامور
لا الشهادة لهم بالهداية قال مبنيا على ذلك ان كنتم اي كونا انتم عريقون فيه صادقين اي في ادعايكم
ذلك فانه على تقدير الصدق انما هو بتوفيق الله وهو الذي خلق لكم قدرة الطاعة فهو الفاعل في الحقيقة
فله المنة عليكم قال الاستاذ ابو القسم القشيري من لاحظ شيا من اعماله واحواله فان راها من نفسه كان
شركا وان راها لنفسه كان مكرا فكيف يمن العبد بما هو شرك او مكر والذي يجب عليه قبول المنة كيف
يري لنفسه على غيره منة هذا لعمري فضيحة والمنة تكدر الصنيعة اذا كانت من المخلوقين وبالمنة تطيب النعمة
اذا كانت من قبل الله ولما نفي عنهم ما هو باطن وختم جدالهم سبحانه بهذه الشرطية فكان ربما توهم
قاصر النظر جامد في الفكر عدم العلم بما هم عليه ازال ذلك على وجه عام واكده لذلك فقال ان الله اي
المحيط بكل شي قدرة وعلما يعلم اي بطريق ثبوت الصفة وتجديدا للتعلق واستمراره كلما تجدد محدث
او كان بحيث يتجدد غيب السموات اي كلها والارض كذلك ولما اريد التعميم من غير تقييد بالخافقين
اظهر ولم يضمر قوله والله اي الذي له الاحاطة بذلك وبغيره مما لا تعلمون بصير اي عالم اتم العلم
ظاهرا وباطنا بما تعملون من ظاهر اسلامكم وباطن ايمانكم في الماضي والحاضر والاتي سوا كان ظاهرا
او باطنا سوا كان قد حدث فصار بحيث تعلمونه انتم او كان مغروزا في جبلاتكم وهو خفي عنكم هذا على
قراءة الخطاب التفاتا اليهم لاستنقاذ من توهم منهم هذا التوهم وهي ابلغ وعلى قراءة ابن كثير بالغيب يكون
على الاسلوب الاول بما امر النبي صلى الله عليه وسلم بابلاغه لهم فهو سبحانه عالم بمن انطوى ضميره
على الايمان ومن هو متكيف بالكفران ومن يموت على ما هو عليه ويتحول حاله بابتعاده عنه او جذب اليه
قال القشيري ومن وقف ههنا تكدر عليه العيش اذ ليس يدري ما غيبه فيه وفي المعني ابكي وهل تدرين ما ...... يبكيني

أبكي حذار أن تفارقيني * وتقطعي حبلي وتهجريني * انتهي وفي ذلك اعظم زجر وترهيب لمن قدم بين
يدي الله ورسوله ولو ان تقدمه في سره فانه لا تهديد ابلغ من احاطة العلم فكانه قيل لا تقدموا بين
يديه فان الله محيط العلم فهو يعلم سركم وجهركم فقد التفت هذا الآخر الي الاول والتف به التفاف
الاصل بالموصل

وتسمي الباسقات مقصودها تصديق النبي صلي الله عليه وسلم في الرسالة التي معظمها الإنذار واعظمه
الإنذار بيوم الخروج بالدلالة علي ذلك بعد الايات المسموعة الغيبية باعجازها عن تاييد بالايات المرئية
الدالة قطعا علي الاحاطة بجميع صفات الكمال واحسن من هذا ان يقال مقصودها الدلالة علي احاطة القدرة
التي هي نتيجة ما ختمت به الحجرات من احاطة العلم لبيان انه لابد من البعث ليوم الوعيد لتنكشف هذه
الاحاطة بما يحصل من الفصل بين العباد بالعدل لان ذلك هو سر الملك الذي هو سر الوجود وذلك
هو نتيجة مقصود البقرة والذي تكفل بالدلالة علي هذا كله ما شوهد من احاطة مجد القران باعجازه
في بلوغه في كل من جمع المعاني وعلو التراكيب وجلالة المفردات وتلاؤم الحروف وتناسب النظم ورشاقة
الجمع وحلاوة التفصيل الي حد لا تطيقه القوي ومن احاطة اوصاف الرسول الذي اختاره سبحانه
لابلاغ هذا الكتاب في الخلق والخلق وما شوهد من احاطة القدرة بما هدي اليه القران من ايات الايجاد
والاعدام * وعلي كل من الاحتمالين دل اسمها ق بما في آيته من اثبات المجد لهذا الكتاب والمجد هو الشرف
والكرم والرفعة والعلو وذلك لا يكون الا والآتي به كذلك وهو ملازم لصدقه في جميع ما اتي
به * وللقاف وحدها اتم دلالة علي ذلك اولا بمخرجها فانه من اصل اللسان مما يلي الحلق ويحاذيه من الحنك
الأعلي فان ذلك اشارة الي ان المقصود السورة الاصل والعلو وكل منهما دال علي الصدق دلالة
قوية فان الأصل في وضع الخبر الصدق * ودلالته علي الكذب عقلية لا وضعية وهي ايضا محيطة باسمها
ومسماها بالمخارج الثلث والاحاطة بالحق لا تكون الا مع العلو وهو لا يكون الا مع الصدق ولاحاطتها
سمي بها الجبل المحيط بالارض هذا بمخرجها واما صفتها فانها عظيمة في ذلك فان لها الجهر والشدة والانفتاح
والاستعلا والقلقلة وكل منها ظاهر الدلالة علي ذلك جدا وادل ما فيها من المخلوقات علي هذا المقصد النخل
لما انفردت به عما شاركها من النبات بالاحاطة بالطول * وكثرة المنافع فانها جامعة للتفكه بالقلب
ثم الطلع ثم البسر ثم الرطب وبالاقتيات بالتمر وبالخشب والحطب والعصي والخوص النافع للافتراش
والليف النافع للحبال وغير ذلك من الخلال هذا مع كثرة ملابسة العرب الذين هم اول مدعو بهذا الذكر
لها ومعرفتهم بخواصها وادل ما فيها الطول مع انه ليس لعروقها من الامتداد في الارض والتمكن ما لغيرها
ومثل ذلك غير كاف في العادة في الامساك عن السقوط وفي كثرة الحمل وعظم الاقنا وتناضد التمر ولذلك
سميت سورة الباسقات لا النخل بسم الله الذي من احاطة حمده بيانه ما لنبيه صلي الله عليه وسلم من
احاطة المجد ولقدرته سبحانه من الاحاطة التي ليس لها احد الرحمن الذي عم خلقه برحمته حين ارسل اليهم
بشرايعه اصدق العباد واظهر بعظيم معجزاته ان قدرته ما لها من نفاد الرحيم الذي خص بالقوة
في دار القرار اهل الرشاد لما ختم سبحانه الحجرات باحاطة العلم قال اول هذه ق اشارة الي انه
سبحانه هو وحده المحيط علما وقدرة بما له من العلو والشدة والقوة والقيومية والقهر ونافذ القضا
والفتح لما اراد من المغلقات بما اشارت اليه القاف بصفاتها واظهرته بمخرجها المحيط بما جمعه مسماها من
المخارج الثلاث الحلق واللسان والشفتان * وقد بين الاستاذ ابو الحسن الحرالي سر افتتاح المفصل بهذا
الحرف فقال في آخر كتابه في الحروف اعلم ان القران منزل مثاني ضمن ما عدا المفصل منه الذي هو من ق الي خاتمة

الكتاب

الكتاب العزيز وفاتحته ما اختص باولي العلم والفقه من مبسوطات الحكم ومحكمات الاحكام ومطولات
الأقاصيص ومتشابه الايات والسور المفتتحة بالحروف العلية الاحاطة الغيبية المنحي المستند الي احاد
الاعداد فلعلو رتبة ايراده وطوله ثني الحق تعالي الخطاب واستتمه في سور كثيرة العدد يسيرة عدد الآي
قصيرة مقدارها ذكر فيها من اطراف القصص والمواعظ والاحكام والنبا وامر الجزا ما يليق بسماع العامة
ليسهل عليهم سماعه وليأخذوا بحظهم مما اخذ الخاصة وليتكرر علي اسماعهم في قراءة الايمة له في الصلوات
المفروضة التي لا مندوحة لهم عنها ما يكون لهم خلفا مما يفوتهم من مضمون ساير السور المطولات فكان
احق ما افتتح به مفصلهم حرف القاف الذي هو وتر الاحاد والظاهر منها ليكون مضمون ما تحتوي عليه اظهر
مما تحتوي عليه ما افتتح بالمر ولذلك كان صلي الله عليه وسلم يكثر ان يقرا في خطبة يوم الجمعة سورة ق فيفتتح
للعامة المتوجه بخطبة يوم الجمعة اليهم لانها صلاة جامعة الظاهر بفاتحة المفصل الخاص بهم وفي مضمونها
من معني القدرة والقهر المحتاج اليه في اقامة امر العامة ما فيه كفاية وشفعت بسورة ن المظهرة ظاهر
ق فخصوا بما فيه القهر والابانة واختصت سورة ن من مقتضي العلم بما هو محيط بامر العامة المنتهي الي غاية
الذكر الشامل للعالمين * وكما كان جميع السور المفتتحة بالحروف المتضمنة للمراتب التسع والعاشر الجامع
قواما واحاطة في جميع القران كذلك كان سورة ق وسورة ن قواما خاصا واحاطة خاصة بما يخص العامة
من القران الذين يجمعهم الأرض بما احاط بظاهرها من صورة جبل قاف وما احاط بباطنها من صورة حيوان
ن الذي تمام امرهم بما بين مدي اقامتهما وبهذه السورة المفتتحة بالحروف ظهر اختصاص القران
وتميز عن ساير الكتب لتضمنها الاحاطة التي لا تكون الا للختام الجامع واقترن بها من التفصيل في سورها ما
يليق باحاطتها ولاحاطة معانيها واتمامها كان كل ما فسرت به من معني يرجع الي مقتضاها فهو صحيح في احاطتها
ومتنزل لها من اسما الله وترتبها في جميع العوالم فلا يخطي فيها مفسر لذلك لانه كلما قصد وجها من التفسير
لم يخرج عن احاطة ما يقتضيه ومهما فسرت به من انها من اسما الله او صح الملكية او من اسما الانبيا او مثل
الاشيا وصور الموجودات او من انها اقسام اقسم بها او فواتح عرفت بها السور او اعداد تدل علي حوادث
وحظوظ من ظاهر الامر او باطنه علي اختلاف رتب واحوال مما اعطيه محمد صلي الله عليه وسلم من مقدار امد
الخلافة والملك والسلطنة وما ينتهي اليه امره من ظهور الهداية ونحو ذلك مما يحيط بامد يومه الي غير
ذلك وكل داخل في احاطتها وكذلك ايضا لا تختص بمحل مخصوص تلزمه علامة اعراب مخصوصة فمهما قدر في
مواقعها من هذه السور جرا او نصبا او رفعا فداخل في احاطة رتبتها ولم يلزمها معني خاص ولا اعراب خاص
لما لم يكن لها انتظام لانها مستقلات محيطات وانما ينتظم ما يتم معني كل واحد من المنتظمين بحصول الانتظام
وذلك يختص من الكلم بما يقصر عن احاطة مضمون الحروف حتي انه متي وقع استقلال واحاطة في كلمة لم يقع
فيها انتظام ولما اشار سبحانه الي هذه الاحاطة بالقاف اقسم علي ذلك قسما هو في نفسه دال عليه
فقال والقرآن اي الكتاب الجامع الفارق المجيد اي الذي له العلو والشرف والكرم والعظمة علي كل
كلام والجواب انهم ليعلمون ما اشارت اليه القاف من قوتي وعظمتي واحاطة علمي وقدرتي وما اشتمل عليه
القران من المجد باعجازه واشتماله علي جميع العظمة ولم ينكروا شيا من ذلك بقلوبهم * ومجيد القران كما تقدم
في الفاتحة ما جربت احكامه من بين عاجل ما شهد واجل ما علم بعلم ما شهد فكان معلوما بالتجربة المتيقنة
بما تواتر من القصص الماضي * وما شهد له من الاثار الحاضر وما يتجدد مع الاوقات من امثاله واشباهه
واذا تاملت السورة وجدت انها منزلة علي جميع ذلك فانه سبحانه ذكرهم فيها ما يعلمون من خلق السموات
والارض وما فيهما ومن مصارع الاولين وكذا السورة الماضية ولا سيما اخرها المشير الي انه ادخل علي
الناس الايمان رجل واحد عليهم بجد باعجازه لجد منزله بقدرته واحاطة علمه والله الهادي * ومن احاط

علما بمعانيه وعمل بما فيه محمد عبد الله وعند الناس. وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما كانت سورة
الحجرات قد انطوت على جملة من الالطاف التي خصه تعالى عباده المؤمنين كذكره تعالى اخوتهم وامرهم
بالتثبت عند غايلة معتد فاسق يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق الاية وامرهم بغض الاصوات عنده
وان لا يقدموا بين يديه وان لا يعاملوه في الجهر بالقول كمعاملة بعضهم بعضا وامرهم باجتناب كثير من
الظن ونهيهم عن التجسس والغيبة وامرهم بالتواضع في قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
واخبرهم تعالى ان استجابتهم وامتثالهم هذه الاوامر ليست بحولهم ولكن بفضله وانعامه فقال ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان الايتين ثم اعقب تعالى بقوله
يمنون عليك ان اسلموا الاية لتتبين ان ذلك كله بيده ومن عنده اراه سبحانه حال من قضى عليه الكفر ولم يحبب
اليه الايمان ولا زينه في قلبه بل جعله في طرف من حال من امر ونهي في سورة الحجرات مع المساواة في الخلق
وتماثل الادوات فقال تعالى ق والقران المجيد بل عجبوا ان جاهم منذر منهم الايات ثم ذكر سبحانه وضوح
الادلة افلم ينظروا الى السما فوقهم الايات ثم ذكر حال غيرهم ممن كان على رايهم كذبت قبلهم قوم نوح ليتذكر
بمجموع هذا من قدم ذكره حاله وامره ونهيه في سورة الحجرات وليتأدب المؤمن باداب الله ويعلم ان ما
اصابه من الخير فانما هو من فضل ربه واحسانه ثم التحمت الاي الى قوله خاتمة السورة نحن اعلم بما يقولون
وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعيد انتهى. ولما كان هذا ظاهرا على ما هدى اليه السياق
بني عليه قوله دلالة على شمول علمه بل اي ان تكذيبهم ليس لانكار شيء من مجده ولا انكار صدق الذي من مجده
بل لانهم عجبوا اي الكفار واضمرهم قبل الذكر اشارة الى انه اذا ذكر شيء خارج عن سنن الاستقامة انصرف
اليهم والعجب تغير النفس لامر خارج عن العادة. ولما كان المقام لتخويف من قدم بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم او من عليه باسلام او غيره ولتخويف من انكر البعث اقتصر على النذارة فقال ان جاهم
منذر انذرهم ما يحق الانذار منه من عذاب الله عند البعث الذي هو محط الحكمة وعجب منهم في هذا العجب
بقوله منهم لان العادة عندهم وعند جميع الناس انه اذا كان النذير منهم لم يداخلهم في انذاره شك بوجه
من الوجوه وهو لا خالفوا عادة الناس في تعجبهم من كون النذير وهو احدهم خص بالرسالة دونهم ولم
يدركوا وجه الخصوصية لكونه مثلهم فلذلك انكروا رسالته وفضل كتابه بالسنتهم نفاسة وحسدا لانهم كانوا
معترفين بخصايصه التي رفعه الله تعالى بها عليهم قبل الرسالة فحط بهم عجبهم ذلك الى الحضيض من دركات
السفه وخفة الاحلام لانهم عجبوا ان كان الرسول بشرا واوجبوا ان يكون الاله حجرا وعجبوا من ان يعادوا
من تراب ثبتت له الحياة ولم يعجبوا ان يبتدوا من تراب لم يكن له اصل في الحياة ولذلك سبب عنه قوله
فقال اي بسبب انذاره بالبعث وعقبه الكافرون تاخير في موضع الاضمار ايذانا بانهم لم يخف عليهم
شيء من امره ولكنهم ستروا وتعدوا يا مراي عقولهم الدالة على جميع امره دلالة ظاهرة وعبر بما دل على النذارة
لانه المقصود الاعظم من هذه السورة وجميع سياق الحجرات ظاهر فيه هذا اي كون النذير منا خصص
بالرسالة من دوننا وكون ما انذر به هو البعث بعد الموت شيء عجيب اي بليغ في الخروج عن عادة اشكاله
وقد كذبوا في ذلك اما من جهة النذير فان اكثر الرسل من الطوايف الذين ارسلوا اليهم وقليل منهم من
كان غريبا ممن ارسل اليه واما من جهة البعث فان اكثر ما في الكون مثل ذلك من اعادة كل من الملوين بعد
ذهابه واحيا الارض بعد موتها وابتدا الاحيا لجميع موات الحيوان واخراج النبات والاشجار والثمار
وغير ذلك مما هو ظاهر جدا. ولما كان المتعجب منه مجملا اوضحه بقوله حكاية عنهم مبالغين في الانكار
بافتتاح انكارهم باستفهام انكاري ايذا متنا ففارقت ارواحنا اشباحنا وكنا ترابا لا فرق بينه
وبين تراب الارض. ولما كان العامل في الظرف ما تقديره نرجع دل عليه بقوله ذلك اي الاشارة باداة

البعد

البعد العظيم استبعادهم ذلك اي الامر الذي هو في غاية البعد وهو مضمون الخبر برجوعنا رجع اي
رد الى ما كنا عليه بعيد جدا لانه لا يمكن تمييز ترابنا من بقية التراب. ولما كان السياق لاحاطة
العلم بما نعلم وما لا نعلم توقع السامع الجواب عن هذا الجهل فقال مزيلا لسببه مفتتحا بحرف التوقع
قد اي بل نحن على ذلك في غاية القدرة لانا قد علمنا بما لنا من العظمة ما تنقص الارض منهم اي من اجزايهم
المتحللة من ابدانهم بعد الموت وقبله فانه لو زاد الانسان بكل طعام ياكله ولم ينقص صار كالجبل بل نحن
دايما في ايجاد واعدام بتلك الاجزا وذلك فرع العلم بها كل جزء في وقته الذي كان نقصه فيه قل ذلك الجزء
او جل لم يكن شيء من ذلك الا باعيننا بما لنا من القيومية والخبرة النافذة في البواطن فضلا عن الظواهر
والحفظ الذي لا يصوب الى جنابه عي ولا نسيان ولا غفلة ولا غير ولكنه عبر بمن لان الارض لا تاكل عجب
الذنب فانه كالبزر لاجسام بني آدم. ولما كانت العادة جارية عند الناس بان ما كتب حفظ اجري
الامر على ما جرت به عوايدهم فقال مشيرا بنون العظمة الى غناه عن الكتاب وعندنا اي على ما لنا من
الجلال الغني عن كل شي كتاب اي جامع لكل شي حفيظ اي بالغ في الحفظ لا يشذ عنه شي من الاشيا دق
او جل فكيف يستبعدون على عظمتنا ان نقدر على تمييز ترابهم من تراب الارض ولم يختلط في علمنا شي من
جزء منه بشي من جزء اخر منه فضلا عن ان يختلط شي منه بشي اخر من تراب الارض او غيرها. ولما كان
التقدير وهم لا ينكرون ذلك من عظمتنا لانهم معترفون بانا خلقنا السموات والارض وخلقناهم وانا نحن
ننزل الما فينبت النبات اضرب عنه بقوله بل كذبوا بالحق اي الامر الثابت الذي لا اثبت منه لما جاهم
أي حين
لما ثار عندهم من اجل تعجبهم من ارسال رسولهم من حظوظ النفوس وغلبهم عن الهوى حسدا منهم من غير تامل
لما قالوه ولا تدبر ولا نظر فيه ولا تفكر فلذلك قالوا ما لا يعقل من ان من قدر على ايجاد شي من العدم
وابدايه لا يقدر على اعادته بعد اعدامه له وافنايه. ولما تسبب عن التباسهم في هذا القول الواهي
وارتباكهم في عمدته اضطرابهم في الراي هل يرجعون فينسبوا الى الجهل والطيش والسفه والرعونة ام
يدومون عليه فيؤدي ذلك كفرهم بالذي خلقهم الى اعظم من ذلك من القتال والقتل والنسبة الى الطيش
والجهل قال معبرا عن هذا المعنى فهم اي لاجل مبادرتهم الى هذا القول المتعسف في امر مريج اي
مضطرب جدا مختلط من المرج الذي هو اختلاط النبت بالانواع المختلفة فهم تارة يقولون سحر وتارة
كهانة وتارة شعر وتارة كذب وتارة غير ذلك والاضطراب موجب للاختلاف وذلك ادل دليل على
الابطال كما ان الثبات والخلوص موجب للاتفاق وذلك ادل دليل على الحقية. قال الحسن ما ترك قوم
الحق الا مرج امرهم وكذا قال قتادة وزاد والتبس عليهم دينهم. ولما اخبر انهم قالوه عن غير تامل انكره
عليهم ذلك موبخا لهم دالا على صحة ما انكروه وفساد انكارهم بقوله مسببا عن عجلتهم الى الباطل افلم ينظروا
اي بعين البصر والبصيرة الى السماء اي المحيطة بهم وبالارض التي هم عليها. ولما كان هذا اللفظ يطلق
على كل ما علا من سقف وسحاب وغيره وان كان ظاهرا في السقف المكوكب حققه بقوله فوقهم فان غيرها
انما هو فوق ناس منهم لا فوق الكل. ولما كان امرها عجيبا فهو اهل لان يسال عن كيفيته دل عليه باداة
الاستفهام فقال كيف بنيناها اي اوجدناها على ما لنا من المجد والعزة مبنية كالخيمة الا من غير عمد
وزيناها بما فيها من الكواكب الصغار والكبار السيارة والثابتة وما اي والحال انه ما لها واكد
النفي بقوله من فروج اي فتوق وطاقات وشقوق بل هي ملسا متلاصقة الاجزا فان كانت هذه الزينة
من تحتها فالذي اوقع ذلك على هذا الاحكام الذي تشاهدونه بما فيه من المنافع والستر الذي لا يختل على
مر الجديدين فهو من القدرة بحيث لا يعجزه شي وان كانت من فوقها فكذلك وان كان بعضها من فوق وبعضها
من تحت فالامر اعظم وهذا يدل على ان السما كرة مجوفة الوسط معتبة كالبيضة فان نفي الفروج فيها على

الوجه المؤكد بدل على ذلك دلالة ظاهرة وأفرد السما ولم يجمع لان بناها على ما ذكر وان كانت واحدة يدل على
كمال القدرة فان البنا المجوف لا يمكن بانيه اكمال بنايه من غير ان يكون له فروج وان احتال على ذلك كان موضع
الوصل ظاهرا للرائين بما فيه من فطور وتشعب وقصور او ما يشبه ذلك ولم يمكنه مع ذلك الخروج منه ان كان
داخله فلم يقدر على حفظ خارجه وان كان لم يتمكن من حفظ داخله وهذا الكون محفوظ من ظاهره وباطنه
نعلم ان صانعه منزه عن الاتصاف بما تحيط به العقول بكونه داخل العالم او خارجه او متصلا به او منفصلا
او محتاجا في الصنعة الى آلة او في الحفظ الى ظهير او معين وجمع الفروج للدلالة على ارادة الجنس بالتمام
بعد ما افاده افراد لفظها فبدل الجمع مع ارادة الجنس على التوزيع مع الافهام الى ان الباني لو احتاج في
هذا الخلق الواسع الأطراف المشاهد الاكناف الى فرج واحد لاحتاج لاحتاج الى فروج كثيرة فان
مثل هذا الجرم الكبير لا يكفي فيه فرج واحد لمن يحتاج الى الحركة فنزل كلام العليم الخبير على مثل هذه المعاني ولا
نظن انه غيرت فيه صيغة من الصيغ لاجل الفاصلة فقط فان ذلك لا يكون الا من محتاج والله متعال عن ذلك
ويجوز وهو أحسن ان يراد بالفروج قابلية الانبات لتكون مثل الارض تتخللها المياه فتمتد فيها عروق الاشجار
والنبات وتظهر منها وان يراد بها الخلل كقوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل
ترى من فطور اي خلل واختلاف وفساد وهو لا ينفي الابواب والمصاعد والله اعلم **ولما** دل سبحانه على
تمام قدرته وكمال علمه وغير ذلك من صفات الكمال بآية السما اتبع ذلك الدلالة على انه لا يقال فيه انه داخل
العالم ولا خارجه ولا انه متصل به ولا منفصل عنه **وثنى** على تلك الدلالة باية الارض واخرها لان السما
أدل على المجد الذي هذا سياقه لانها اعجب صنعة واعلى علوا واجل مقدارا واعظم اثرا وان الارض لكثرة
الملابسة لها والاجتنا من ثمارها يغفل الانسان عن دلالتها بما له من ذلك من الصنايع والمنافع فقال
والأرض اي المحيطة بهم **مددناها** اي جعلناها بما لنا من العظمة مبسوطة لا مسنمة **ولما** كان الممدود
ينكفا قال **والقينا** اي بعظمتنا **فيها رواسي** اي جبالا ثوابت كانت سببا لثباتها وخالفت عادة المراسي
في انها من فوق والمراسي التي تعالجونها انتم من تحت **ولما** كان سكانها لا غنى لهم عن الرزق قال ممتنا عليهم
وأنبتنا اي بما لنا من العظمة **فيها** وعظم قدرته بالتبعيض فقال **من كل زوج** اي صنف من النبات تراوجه
اشكاله تحيط بادراككم كلها **بهيج** اي هو في غاية الرونق والاعجاب فكان مع كونه رزقا متنزها **ولما**
ذكر هذه الصنايع الباهرة عللها بقوله **تبصرة** اي جعلنا هذه الاشيا كلها لاجل ان تنظروها بابصاركم
تتفكروا ببصايركم فتعبروا منها الى صانعها فتعلموا ما له من العظمة **وذكرى** اي ولتتذكروا بها تذكرا عظيما بما لكم
من القوى والقدر فتعلموا بعجزكم عن كل شي من ذلك ان صانعها لا يعجزه شي وانه محيط بجميع صفات الكمال
لو ان لم يحنابه شائبة من شوايب النقص لما فاض لها عنه هذا الصنيع الغريب البديع **ولما** كان من لا
ينتفع بالشي كانه عادم لذلك الشي قصر الامر على المنتفع فقال **لكل عبد** اي يتذكر بما له من النقص وبما
دل عليه هذا الصنع من الكمال انه عبد مربوب لصانعه **ولما** كان الانسان لما له من النقصان لا يزال
كلما اعلاه عقله اسفله طبعه فكان ربما ظن انه لا يقبل اذا رجع رغبه في الرجوع بقوله **منيب** اي رجاع عما حطه
اليه طبعه الى ما يعليه اليه عقله فيرجع من شهود هذه الافعال الى شهود الصفات الى علم الذات **ولما**
كان انزال الماء من ابهر الايات وادلها على انه اجل من ان يقال انه داخل العالم او خارجه او متصل به او
منفصل عنه مع ان به تكون النبات وحصول الاقوات وبه حياة كل شي اورده تنبيها على ذلك فقال **ونزلنا**
اي شيا فشيا في اوقات وعلى سبيل التقاطر ولولا عظمتنا التي لا تنتهي لغلب بما له من الثقل والميوع والنفوذ
فنزل دفعة واحدة فاهلك ما نزل عليه فزالت المسرة وعادت المنفعة مضرة **من السما** اي المحل العالي الذي
لا يمسك فيه الماء عن دوام التقاطر الا بقاهر **ما مباركا** اي نافعا جدا ثابتا لا خيا لا محيطا بجميع منافعكم **ولما**

كان الماء

كان الما مسببا في تكون الاشيا وكان ذلك سببا في انعقاده حتى يصير خشبا وحبا وعنبا وغير ذلك عجبا
قال **فأنبتنا** معبرا بمظهر العظمة **به جنات** من الشجر والثمر والزرع والريحان وغيره مما تجمعه البساتين
فيجن اي يستر الداخل فيها **ولما** كان العشب الذي يحصد فيكون حبه قوتا للحيوان وساقه للبهايم
خصه بقوله **وحب الحصيد** اي النجم الذي من شانه ان يحصد من البر والشعير ونحوهما واوما
بالتقييد الى ان هذه الحبوب اشرف من حب اللآلي الذي ينبته الله من المطر لانها القيام البنية
وتلك للزينة **ولما** كان النخل من اعجب ما يتكون منه مع ما له من المنافع التي لا يساويه فيها شجر
والطباق للزرع بالطول والقصر والاتساق بالاقتيات للآدميين والبهايم قال **والنخل باسقات**
اي عاليات طويلات على جميع الاشجار المثمرة ذوات ثمار رطيبة **لها** مع يبس سوقها **طلع نضيد** اي منضود
متراكم بعضه فوق بعض وهو حشو طلعه والطلع ذلك الخارج من اعلى النخلة كانه نعلان مطبقان
والحمل النضيد بينهما والطرف محددا والطلع ما يبدو من ثمر النخل اول ظهورها وذلك القشر يسمى
الكفري لتغطيته اياه على احكم ما يكون واوثق والطلع يشبه ما للناقة المبسق من اللبا المتكون في
ضرعها قبل النتاج ثم يصير بعد ابجاده في البياض وهو طلع الى الافتراق خال اليسوع الى احمر
واصفر واخضر وغير ذلك من الالوان الغريبة والاوصاف العجيبة وهي محيطة المنافع بالتفكه
على عدة انواع والاقتيات وغير ذلك وطلعها مخالف لعدة اكثر الاشجار فان ثمارها مفردة كل حبة
منفردة عن اختها **ولما** ذكر سبحانه بعض ما له في الما من العظمة ذكر له علة هي غاية في المنة
على الخلق فقال **رزقا للعباد** اي انبتنا به ذلك لاجل انه بعض ما جعلناه رزقهم **ولما** كان في
ذلك اعظم مذكر للنصر اباالبعث وبجميع صفات الكمال اتبعه ما له من التذكير بالبعث بخصوص
فقال **وأحيينا به** اي الما بعظمتنا **بلدة** وسمها بالتا اشارة الى انها في غاية الضعف والحاجة الى
النبات والخلو عنه وذكر قوله **ميتا** للزيادة في تقرير تمكن الحاجة فيها **ولما** كان هذا
الذي هو لعظمته كانه مختص بهذا المعنى وهو بعث الموتى من قبورهم على ما كانوا عليه في الدنيا
لا فرق بين خروج النبات بعد ما تهشم وتفتت في الارض وصار ترابا كما كان من بين اصفره وابيضه
واحمره وازرقه الى غير ذلك وبين اخراج ما تفتت من الموتى كما كانوا في الدنيا قال ابو حيان ذكر
تعالى في السما ثلثة البنا والتزيين ونفي الفروج وفي الارض ثلاثة المد والقا الرواسي والانبات
قابل المد بالبنا لان المد وضع والبنا رفع والقا الرواسي بالتزيين بالكواكب لارتكاب كل واحد منهما
اي على سطح ما هو فيه والانبات المترتب على الشق باتقا الفروج فلا شق فيها **ونبه** فيما تعلق به الانبات
على ما يقطف كل سنة ويبقى اصله وما يزرع كل سنة او سنتين ويقطف كل سنة وعلى ما اختلط من جنسين
فبعض الثمار فاكهة لا قوت واكثر الزرع قوت والثمر فاكهة وقوت **ولما** وصل الامر الى حد
لا خفا معه فصح انهم يعلمون ذلك ولم يحملهم على التصريح بالتكذيب به الا المبادرة الى ذلك بغلبة الهوى
من غير تامل لعاقبته فصار من باب لزوم الغلط وكان السياق لانكار البعث الذي جا به منذر
من القوم المنذرين كان كانه قيل انكار هولا لعجب فهل وقع هذا لاحد قط فقال تعالى مسليا لهذا
النبي الكريم لان المصيبة اذا عمت هانت مبينا لمجد القرآن بمجد اياته تحقيقا للانذار وتحذيرا بدلا للتفصيح
كذبت وسم الفعل بالتا اشارة الى هوانهم من جنب هذا المجد **ولما** كان هولا الاحزاب المذكورون لقوتهم
وكثرتهم كانهم اهل الارض قاطبة قد استغرقوا مكانها وزمانها اسقط الجار فقال **قبلهم** **ولما** لم تكن لهم
شهرة يعرفون بها قال **قوم نوح** واشارة الى عظيم التسلية بانهم جاهم منذر منهم وكانوا في القوة

في القيام فيما نحا ولونه والكثرة بحيث لا تسع الاوهام جميع اوصافهم فاذا وارسولهم وطال اذاهم قريبا
من عشرة قرون ولما كان آخر أمرهم انه التقي عليهم الماء من السما وطلع اليهم ما الارض فاغرقهم
ابتعتهم من طابقتهم قصتهم بان نزل بهم الما فاوبقهم لما بين حاليهم من الطباق دلالة علي عظيم القدرة والفعل
بالاختيار واصحاب الرس اي البير الذي تقوضت بهم فخسفت مع ما حولها فذهبت بهم وبكل ما لهم
كما ذكرت قصتهم في الفرقان ولما كانت اية قوم صالح من اعظم الدلالات علي القدرة علي البعث
وكان اهلاكهم مناسبا لاهلاك من قبلهم إما لاصحاب الرس فلانه بالرجفة التي علي مبدا الخسف واما
لقوم نوح فلان الرجفة تاثرت عن الصيحة التي حملتها الريح التي من شانها حمل السحاب الحامل للما
اتبعهم بهم وكانوا اصحاب بير ولم تخسف بهم فقال وثمود ولما اتفق قوم هود عليه السلام والقبط
في الاهلاك بالريح اثرت بها صيحة ثمود اولئك مع الحجارة والرمل وهولاء مع الما الذي فرقه الله بالريح
عند ضرب العصي وكان لكل منهما من ضخامة الملك وعز السلطان ما هو مشهور قرنهما وقدم
اشدهما ابدانا واوسعهما ملكا لان اهلاكهم كان ادل علي القدرة واقرب شبها بهلاك ثمود فقال
وعاد وعطف اقرب الطايفتين شبها في الهلاك بقوم نوح واصحاب الرس وفرعون نص عليه
لانه ليس في قادة هذه الفرق كافر غيره والنص عليه يفهم عظمته وما تقدم غير مرة من وصفه بانه
ملك قاهر وانه استخفهم فاطاعوه فيعلم كفرهم طاعة له وليوافق ما قبله وما بعده ولم يكن السياق
للعزة والشقاق فلم يدع داع الي بيان ثبات الملك بالاوتاد ولما كان هلاك المؤتفكات جامعا
في الشبه لهلاك جميع من تقدم بالخسف وغمر الما بعد القلب في الهوا اتبعهم بهم معبرا عنهم باخصر من
تسمية قبايلهم او مدنهم لانها عدة مدن وعبر بالاخوة دون القوم لان السياق لتكذيب من هو منهم لانه
ادخل في التسلية فقال واخوان لوط اي اصهاره الذين صار بينه وبينهم مع المصاهرة بالمناصرة
لملوكهم ورعاياهم علي من ناواهم بنفسه وعمه ابراهيم خليل الله عليهما السلام كما مضي بيانه في البقرة
ما صار كالاخوة ومع ذلك عاملوه بما اشتق من لفظ هذا الجمع من الخيانة له ولانفسهم وغيرهم ولما
كان الشجر مظنة الهوا البارد والروح وكان اصحابه قد عذبوا بضد ذلك قال واصحاب الايكة
لشاركتهم لهم في العذاب بالنار اولئك بحجارة الكبريت النازلة من العلو وهولا بالنار النازلة من
ظلة السحاب وعبر عنهم بالواحدة والمراد الغيضة اشارة الي انها من شدة التفافها كالشجرة الواحدة
ولما كان تبع مع كونه من قومه ملكا قاهرا وخالفوه مع ذلك وكان لقومه نار في بلادهم يتحاكمون
اليها فتاكل الظالم ختم بهم فقال وقوم تبع مع كونه ملكا وهو يدعوهم الي الله فلا يظن ان التكذيب
مخصوصا بمن كان قويا لمن كان مستضعفا بل هو واقع بمن شينا من قوي وضعيف لا يخرج شي عن مرادنا
ولما لم يكن هنا ما يقتضي التاكيد مما مر بيانه في ص قال معربا منه كل اي من هذه الفرق كذب
الرسل اي كلهم بتكذيب رسولهم فان الكل متساوون فيما يوجب الايمان من اظهار المعجز والدعاء
الي الله فحق اي فتسبب عن تكذيبهم لهم انه ثبت عليهم ووجب وعيد اي الذي كانوا يكذبون به
عند انذارهم لهم اياه فجعلنا لهم منه في الدنيا ما حكمنا به عليهم في الازل فاهلكناهم اهلاكا عاما
كاهلاك نفس واحدة علي انحا مختلفة كما هو مشهور عند من له بامثاله عناية واتبعناه ما هو في البرزخ
واخرنا ما هو في القيمة الي يوم البعث فثبت باهلاكنا لهم علي تنائي ديارهم وتباعد اعصارهم وكثرة
اعدادهم ان لنا الاحاطة البالغة فتسل باخوانك المرسلين وتاس بهم وليحذر قومك ما حل بمن كذبهم
ان اصروا ولما ذكر سبحانه التسلية بتكذيب هذه الاحزاب بعد ذكر تكذيب قريش واقامة الادلة
القاطعة علي ما كذبوا به وبطلان تكذيبهم وختم بحقوق الوعيد الذي شوهدت اوايله باهلاكهم فثبت

صدق الرسل وثبتت القدرة علي كل ما يريد سبحانه بهذا الخلق من الايجاد والاعدام انكر عليهم
التكذيب وتحتم عليه تقرير الحقوق الوعيد فقال مسببا عن تكذيبهم بعد ذكر انه خلق جميع الوجود
افعيينا بالخلق اي احصل لنا مع ما لنا من العظمة الاعيا وهو العجز بسبب الخلق في شي من ايجاده او
اعدامه الاول اي من السموات والارض وما بينهما حين ابتداناه اختراعا من العدم ومن خلق الانسان
وساير الحيوان مجددا في كل اوان من الاطوار المشاهدة علي هذه التدريجات المعتادة بعد ان خلقنا اصله
علي ذلك الوجه مما ليس له اصل في الحياة ومن اعدامه بعد خلقه جملة كهذه الامم او تدريجا كغيرهم ليظنوا
بسبب العجز بالخلق الاول الذي هو اصعب في مجاري العادات من الاعادة انا نعجز عن الاعادة ثانيا
يقال عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه مراده او عجز عنه ولم يطق احكامه ولما كان التقدير قطعا بما
دلت عليه همزة الانكار لم نعي بذلك بل اوجدناه علي غاية الاحكام للظرف والمظروف وهم يعلمون ذلك
ولا ينكرونه ويقرون بتمام القدرة عليه وفي طيه الاعتراف بالبعث وهم لا يشعرون اضرب عنه لقولهم
الذي يخل باعتقادهم اياه فقال بل هم في لبس اي خلط شديد وشبهة موجبة لتكلم بكلام مختلط لا يعقل
له معني بل السكوت عنه اجمل قال علي رضي الله عنه يا جار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله
ولبس الشيطان عليهم تسويله لهم ان البعث خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح والحكم بطريق
الاولي من اجل خلق جديد اي بالاعادة ولما ذكر خلق الخافقين اتبعه خلق ما هو جامع لجميع ما هو فيهما
فقال ولقد والحال انا قد خلقنا بما لنا من العظمة الانسان وهو اعجب خلقا واجمع من جميع ما مضي
ذكره بما فيه من الانس والطغيان والذكر والنسيان والجهل والعرفان والطاعة والعصيان وغير
ذلك من عجيب الشان ووكلنا به من جنودنا من يحفظه فيضبط حركاته وسكناته وجميع احواله
ونعلم اي والحال انا نعلم بما لنا من الاحاطة ما توسوس اي تكلم علي وجه الخفا به الآن وفيما بعد ذلك
مما لم ينقدح بعد من خزاين الغيب الي سر النفس كما علمنا ما تكلم نفسه وهي الخواطر التي تعرض له حتي
انه هو مما عجز عن ضبطها فنحن نعلم ان قلوبهم عالمة بقدرتنا علي اكمل ما نريد وبصحة القران واعجازه
وصدق الرسول صلي الله عليه وسلم وامتيازه وانما حملهم الحسد والنفاسة والكبر والرياسة علي الانكار
باللسان حتي صار لهم ذلك خلقا وتمادوا فيه حتي غطي علي عقولهم فصاروا في لبس محيط بهم من جميع
الجوانب ولما كان العالم بالشي كلما كان قريبا منه كان علمه به امكن واثبت قال ممثلا لعلمه به
ومصورا له بما نعلم انه موجبه ونحن بما لنا من العظمة اقرب اليه قرب علم وشهود من غير مسافة
من حبل الوريد لان ابعاضه واجزاه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله شي والمراد به الجنس والوريدان
عرقان كالحبلين مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان من الراس الي الوتين وهو عرق القلب
وهذا مثل في فرط القرب واضافته مثل مسجد الجامع وقد مضي في تفسير والله يعصمك
من الناس في المايدة ما ينفع هنا قال القشيري وفي هذه الاية هيبة وفزع وخوف لقوم وروح
وانس وسكون قلب لقوم ولما كان سبحانه قد وكل بنا حفظة تحفظ اعمالنا وتضبط اقوالنا
واحوالنا وكان المعروف لنا ان سبب الاستحفاظ خوف الغفلة والنسيان فقدم سبحانه
الاخبار بكمال علمه فامن ذلك المحذور علق باقرب او نعلم قوله تاكيدا لما علم من احاطة علمه من عدم حاجته
وتخويفا بما هو اقرب الي ما لوفاتنا اذ اي حين يتلقي اي بغاية الاجتهاد والمراقبة والمراعاة من
كل انسان خلقناه وابرزناه الي هذا الوجود المتلقيان وما ادراك ما هما هما ملكان عظيمان حال
كونهما عن اليمين لكل انسان قعيد منهما وعن الشمال قعيد اي رصد وجليس مقاعد لذلك الانسان
بليغ المقاعدة ونحن اقرب منهما واعلم علما وانما استحفظناهما لاقامة الحجة بهما علي مجاري عاداتكم

وغير ذلك من الحكم ولما كانت الافعال اللسانية والقلبية والبدنية ناشية عن كلام النفس فكان الكلام جامعا قال مبينا للاحاطة بعلمه باحاطة من اقامه لحفظ هذا الخلق الجامع في جواب من كانه قال لما يفعل المتلقيان ما يلفظ اي يرمي ويخرج المكلف من فيه وعم في النفي بقوله من قول اي مما تقدم النهي عنه في الحجرات من الغيبة وما قبلها وغير ذلك جل او قل الا لديه اي الانسان او القول على هيئة من القدرة والعظمة من اغرب المستغرب رقيب من حفظتنا شديد المراعاة له في كل من احواله عتيد اي حاضر مراقب غير غافل بوجه روى البغوي بسنده من طريق الثعلبي عن ابي امامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على صاحب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر ولما كان مثل ارسال الحافظين ثم الموت ثم النفخ ارسال الملك في الدنيا الى الناس لعرضهم فيصير الانسان منهم ساعيا في التزيين للملك بما يحبه في مقصود ذلك العرض في الاجل الذي ضربه لهم فاذا جا ذلك الوقت الذي هو كالموت اخذته الرسل شا او ابى كما يفعل حال الموت بالميت ومن احضروه منهم حبسوه على باب الملك لتكامل المعروضين فاذا كمل جمعهم وامر بقيامهم للعرض زعق لهم المنادي بالبوق الذي يسمى النفير وهو كالصور فلذلك قال تعالى مبينا لاحاطة قدرته بجميع خلقه عاطفا على ما تقديره فاضطرب ذلك الانسان الموكل به في الوقت المامور بالتزود فيه بما يرضي الله بالقول والفعل على حسب ارادته سبحانه سوا كان موافقا للامر او مخالفا الى ان آن اوان الرحيل معبرا بالماضي تنبيها على ان الموت مع انه لا بد منه قريب جدا وجاءت اي اتت وحضرت سكرة الموت اي حالته عند النزع وشدته وغمرته بصير الميت بها كالسكران لا يعي وتخرج بها افعاله واقواله عن قانون الاعتدال مجيا ملتبسا بالحق اي الامر الثابت الذي يطابقه الواقع فلا حيلة في الاحتراس منه من بطلان الحواس وكشف الغطا عن اهوال البرزخ من فتنة السؤال وضيق المجال او سعة الحال وقيل للميت بلسان الحال ان لم يكن بلسان المقال ذلك اي هذا الامر العظيم العالي الرتبة الذي يحق لكل احد الاعتداد له بغاية الجد ما اي الامر الذي كنت جبلة وطبعا ولما كانت نفرته منه وهربه من توقعه بحفظ الصحة ودوا الادوا في الغاية كان كانه لا يبغ الا منه فاذا الى ذلك بتقديم الجار فقال منه تحيد اي تميل وتنفر وتروع وتهرب ولما كان التقدير فاخذ ذلك الانسان بالقهر من بين اهله والاخوان والعشاير والجيران وضم الى عسكر الموتى وهم بالبرزخ نزول ولا انتظار لبقيتهم حلول ولم يزالوا كذلك حتى تكامل القادمون عليهم والواصلون اليهم عطف عليه قوله مبينا الاحاطة من عالم الملكوت والعز والجبروت ونفخ اي بادنى اشارة وايسر امر في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام للموت العام والبعث العام عند التكامل وانقطاع اوان التعامل وهو بحيث لا يعلم قدر عظمه واتساعه الا الله تعالى وهو عليه السلام قد التقم الصور من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وحنى جبهته واصغى سمعه ينتظر متى يؤمر فيا لها من عظة ما اغفلنا عنها وانسانا لها وآمننا منها والمراد بهذه نفخة البعث ولما كان ذلك الاثر عن النفخ هو سر الوجود اشار الى عظمته بقوله ذلك اي الوقت الكبير العظيم الاهوال والزلازل والاوجال يوم الوعيد اي الذي يقع فيه ما وقع الايعاد به ولما كان التقدير فكان من تلك النفخة صيحة هايلة ورجة شاملة فقام الناس عامة من قبورهم وحصل ما في صدورهم عطف عليه قوله بيانا لاحاطة العرض وجاءت كل نفس اي مكلفة كاينا معها سايق يسوقها الى ما هي كارهة للقائه

لعلها بما قدمت من النقايص وشهيد يشهد عليها والظاهر من هذا ان السايق لا تعلق له بالشهادة اصلا لئلا تقول تلك النفس انه خصم والخصم لا تقبل شهادته ويقال حينئذ للمفرط في الاعمال في اسلوب التاكيد جريا على ما كان يستحقه انكاره في الدنيا وتنبيها على انه لعظمة مما يحق تاكيد لقد كنت اي كونا كانه جبلة لك في غفلة اي عظيمة محيطة بك ناشية لك من هذا اي من تصور هذا اليوم على ما هو عليه من انقطاع الانساب والجزا بالثواب او العقاب لانه على شدة جلايه خفي على من اتبع الشهوات فكشفنا بعظمتنا بالموت ثم البعث عنك غطاك الذي كان يحجبك عند رؤيته من الغفلة بالامال في الحال والمال وساير الحظوظ والشهوات تحقيقا لما له سبحانه في الاحاطة بالتقدير والتغيير وعن الواسطي من كشف عنه حجاب الغفلة ابصر الاشيا كلها في اسر القدرة وانكشف له حقايق الاشيا باسرها وهذا عبارة عن العلم باحوال القيمة ولما تسبب عن هذا الكشف الانكشاف التام عبر عنه بقوله فبصرك اليوم اي بعد البعث حديد اي في غاية الحدة والنفوذ فلذا تقر بما كنت تنكر ولما اخبر تعالى عما تقوله الملايكة او من اراد الله من جنوده وكان قد اخبر ان معبوداتهم من الاصنام والشياطين وغيرها تكون عليهم يوم القيمة ضدا اخبر عما يقوله القرين من السايق والشهيد والشيطان الذي تقدم حديثه في الزخرف فقال عاطفا على القول المقدر قبل لقد معبرا بصيغة المضي تاكيدا للمضمونه وتحقيقا وقال قرينه اي الشيطان الذي سلط على اغوايه واستدراجه الى ما يريد نقله الكرماني عن ابن عباس رضي الله عنهما هذا اي الانسان الذي قرنتني به ولما كان الامر في كل من الطايع والعاصي في غاية العجب لان الطايع ينابذ هواه فيكون ملكيا مجردا عن حظوظه ونوازع نفسه وما بنيت عليه من النقايص والشهوات والمعاصي طوع يدي الشيطان يصرفه في اغراضه كيف يشا فيطيعه بغاية الشهوة مع علمه بعداوته وان طاعته لا تكون الا بمخالفة امر الله الولي الودود وكان العاصي اكثر كثرة يكون الطايع فيها بالنسبة اليه كالشعرة البيضا في جلد الثور الاسود وكان ذلك منابذا للعقل اشارة الى هذه المنابذة باداة ما لا يعقل والى جميع ما في امره من العجب بلدي فقال ما لدي اي الامر الذي عندي من الامر المستغرب جدا لكون المطيع عصاني وهو مطبوع على النقايص والحظوظ التي يرى انها حياته ولذته وراحته والعاصي اطاعني وهو يعلم بعقله الى شر محض وترك الخير المحض وهو عالم بانه في ذلك هلاكه عتيد اي حاضر مهيا لما يراد منه ولما كانت العادة جارية بان من احضر اليه شي يبادر الى امره بقول او فعل وصل بذلك ما هو نتيجته وبدا بالعاصي لان المقام له فقال ما يدل على انه لا وزن له فلا وقفة في عذابه بحساب ولا غيره مؤكدا خطابا للموكل بالالقا او خطابا للسايق والشهيد او للسايق وحده مثنيا لضميره تثنية للامر كانه قال الق تاكيدا له وتهويلا القيا اي اطرحا دفعا من غير شفقة وقيل بل هو تثنية واصل ذلك ان الرفقة ادنى ما تكون ثلثة فجرى كلام الواحد على صاحبيه الا ترى ان الشعرا اكثر شي قيلا يا صاحبي ويا خليلي والسر فيه اذا كان المخاطب واحدا افهامه انه يراد منه الفعل بحد عظم تكون قوته فيه معادلة لقوة اثنين في جهنم اي النار التي تلقى الملقى فيها بما كان يعامل به عباد الله من الكبر والعبوسة والتكره والتغضب ولما المقصود تعليل الغاية بوصف يعم غيره ليكون لطفا لمن اراد الله عصمته ممن سمع هذا المقال وحجة على من اراد اهنته قال كل كفار عنيد اي مبالغ في ستر الحق والمعاداة لاهله بغير حجة حمية وانفة نظرا الى استحسان ما عنده والثبات عليه تكبرا وتجبرا على ما عند غيره ازدرا له كاينا من كان مناع اي كثير المنع للخير من المال وغيره من كل معروف يتعلق بالمال والقال والفعال معتد متجاوز للحدود مريب اي داخل في الريب وهو الشك والتهمة في امر الدين وموقع

غيره به ثم ابدل من كل قوله بيانا لمبالغته في الكفر الذي اوجب له كل شر الذي جعل كفرا مضاعفا
وعنادا ومنعا للخير الذي يجب عليه في قلبه ولسانه وبدنه وتجاوز الحد دخولا في الشك وادخالا
لغيره فيه مع الله اي الذي له الاحاطة بجميع اوصاف الكمال فليس امره خفيا عن ذي عقل الها
ولما كان ربما تعنت متعنت فنزل الاية على من يدعو الله بغير هذا الاسم الاعظم صرح بالمراد
بقوله آخر وزاد الكلام انه ماخوذ من التاخر الناظر الى الرداءة والسقوط عن عين الاعتبار بالكلية
ولما كان هذا قد جحد الحق الواجب لله لذاته مع قطع النظر عن كل شي ثم ما يجب له من جهة
ربوبيته وانعامه على كل موجود ثم من جهة ادامة احسانه مع المعصية بالحكم وعاند في ذلك
وفي اثباته للغير ما لا يصح له بوجه من الوجوه سبب عن وصفه قوله فالقياه في العذاب اي الذي
يزيل كل عذوبة الشديد ولما كان القرين قد قال ما تقدم مريدا به جهلا منه الخلاص من العذاب
باظهار انه ليس باوصاف هذه النفس بل من كبار المؤمنين فاجيب مقاله بالقا تلك النفس معللا
بالقايها بما شمل هذا القرين فتشوف السامع الى ما يكون من حاله وكانت العادة جارية بان من
تكلم في شخص بما فيه مثله او كان قد تكلم ذلك الشخص فيه فكان قياس ذلك يقتضي ولا بد ان يقول تلك
النفس المقول فيها هذا عند الامر بالقايها ربنا هو اطغاني اجاب تعالى هذا التشوف بقوله قاله
قرينه منادنا باسقاط الاداة داب اهل القرب ايهاما انه منهم ربنا ايها المحسن الينا ايتها الخلايق
كلهم ما اطغيته اي اوقعته في ما كان فيه من الطغيان فانه لا سلطان له عليه وانت اعلم بذلك
ولكن كان بجبلته وطبعه في ضلال بعيد محيط به من جميع جوانبه لا يمكن رجوعه معه فلذلك كان
يبادر الى كل ما يغضب الله وان حركته اليه انا فانه لا يحتاج الا الى ادنى تحريك فيثور له ثورة من
هو مجبول عليه مركوز في طباعه ولما كان كانه قيل بم يجاب عن هذا وهل يقبل منه قيل لا
قال اي الملك المحيط علما وقدرة الذي حكم عليهم بذلك في الازل لا تختصموا اي توقعوا الخصومة
بهذا الجد والاجتهاد لدي اي في دار الجزا بهذه الحضرة التي هي فوق ما كنتم تدركونه من الاخبار
عنها بكثير واعجب بما لا يدرك حق الادراك فقد انكشف اتم انكشاف ما كان يستغربه الخاصة بل خاصة
الخاصة ففات بانكشافها نفع ايمان جديد وقد اي والحال اني قد قدمت اي تقدمت امرت
واوصيت قبل هذا الوقت موصلا ومنهيا اليكم اي كل ما ينبغي تقديمه حتى لم يبق لبس ولا تركت لاحد
حجة بوجه وجعلت ذلك رفقا بكم مكتسبا بالوعيد اي التهديد وهو التخويف العظيم على جميع ما ارتكبتموه
من الكفر والعدوان في الوقت التي كانت فيه هذه الحضرة التي هي غيب الغيب مستورة بساير الكبريا
والعظمة بل كان ما دونها من الغيب مستورا فكان الايمان به نافعا ولما كانت الاوقات كلها عنده
سبحانه حاضرة عبر سبحانه في تعليل ذلك بما التي هي للحاضر دون لا التي للمستقبل فقال ما يبدل اي
يغير من مغير ما كان من كان بوجه من الوجوه بحيث يحل له بدل فيكون فيه خلف القول لدي اي
الواصل اليكم من حضرتي التي لا يحاط بامر غرابتها بان من اشرك بي لا اغفر له واغفر ما دون ذلك لمن
اشاء والعفو عن بعض المذنبين ليس تبديلا لان دلايل العفو تدل على تخصيص الوعيد وانه مشروط
بشرايط وما انا واكد النفي فقال بظلام اي بذي ظلم للعبيد لا القرين ولا من الطغاة ولا غيرهم
فاعذب من لا يستحق او اعفو عمن قلت اني لا اغفر له وامرت جندي فعادوه في فلو عفوت عنه كنت
مع تبديل القول قد سوّيتهم باكرام من عادوه في ليس الا ولما كان هذا التقاول مما يهول امره
وتخلع القلوب ذكره صور وقته بصورة تزيد في ذلك الهول وينقطع دون وصفها القول ولا
يطمع في الخلاص منها بقوة ولا حول فقال ما معناه يكون هذا كله يوم ولما كان المقصود الاعلام بان

النار كبيرة جدا مع ضيقها فهي تتسع من الخلايق ما لا يدخل تحت حصر وانها مع كراهتها لمن يصلاها وتجهمها
له تحت تهافتهم فيها وجلبهم اليها عبر عنه على طريق الكناية بقوله تقول اي على ما لنا من العظمة التي لا يسوغ
لشي ان يخفي عنها لجهنم دار العذاب مع الكراهة والعبوسة والتجهم اظهارا للهول بتصوير الامر
المهدد به وتقريع الكفار وتنبيه من يسمع هذا الخبر عن هذا السؤال من الغفلة هل امتلات فصدق
قولنا لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك بعد ان يلقى فيها من الخلايق ما لا يحيط به الوصف
فتقول لا وتقول طاعة لله ومحبة في عذاب اعدايه واخبارا بانها لم تمتلي لان النار من شانها انها كلما
زيدت حطبا زادت لهبا هل من مزيد اي زيادة او شي من العصاة ازاده سوا كان كثيرا او
قليلا فاني اوسع ما يوتى به الي ولا تزال كذلك كما ورد الحديث لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل
من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه اي يضرها من جبروته بسوط اهانة فينزوي بعضها الى بعض وتقول
قط قط وعزتك ثم يسمرون بين دولتي الحر والزمهرير وقد جعل سبحانه لذلك انه في هذه الدار
باختلاف الزمان بالحر والبرد فاذا افرط الحرجات رحمه تعالى بالبرد وبالما من السما فامتزجا معا
فكان التوسط واذا افرط البردجات رحمته بالحر بواسطة الشمس فامتزج الوجودان فكان التوسط
وكل ذلك له دواير موزونة باقساط مقسطة معلومة بتقدير العزيز العليم ذكر ذلك ابن برجان ولما
ذكر النار وقدمها لان المقام للانذار اتبعها دار الابرار فقال سارا لهم باسقاط مؤونة السير وطي
مشقة البعد وازلفت اي قربت بايسر امر مع الدرجات والحياض الممتلية الجنة للمتقين
اي العريقين في هذا الوصف فاذا راوها تسابقوا اليها وتركوا ما كانوا فيه في الموقف من منابر
النور وكثبان المسك ونحو هذا واما غيرهم من اهل الايمان فقد يكون لهم على هذا الوصف
فيساق اليها الذين اتقوا كما مضى في الزمر ولما كان القرب امرا نسبيا اكده بقوله غير
بعيد اي ازلافا لا يصح وصفه ببعد ولما كان التقدير قد لا يدري الناظر ما سببه قال سلوا
لهم هذا الازلاف والذي ترونه من كل ما يسركم ما اي الامر الذي توعدون اي وقع الوعد
لكم به في الدنيا وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية وعبر عن الاتي من الازلاف بالماضي تحقيقا
لامره وتصويرا لحضوره الان ليكون المضارع من الوعد في احكم مواضعه وابهم الامر لانه اكثر تسويقا
والتعيين بعد الابهام الذ فلذلك قال بيانا للمتقين معيدا للجار لما وقع بينه وبين المبدل منه من الجملة
الاعتراضية جوابا لمن كانه قال لمن هذا الوعد لكل اواب اي رجاع الى الاستقامة بتقوى القلب
ان حصل في ظاهره عوج فنبه بذلك على انه من فضله لم يشترط في صحة الوصف بالتقوى دوام الاستقامة
حفيظ اي مبالغ في حفظ الحدود وساير العهود بدوام الاستقامة او الرجوع بعد الزلل له ثم ابدل
من كل تتميما لبيان المتقين قوله من خشي ولم يعد الجار لانه لا اعتراض قبله كالاول وبنيه على كثرة
خشيته بقوله الرحمن لانه اذا خاف مع استحضار الرحمة العامة للمطيع والعاصي كان خوفه مع استحضار
غيرها اولى وقال القشيري التعبير بذلك للاشارة الى انها خشية تكون مقرونة بالانس يعني الرجا
كما هو المشروع قال ولذلك لم يقل الجبار والقهار قال ويقال الخشية الطف من الخوف فكانها قريبة
من الهيبة بالغيب اي مصاحبا له من غير ان يطلب اية او امرا يصير به الى حد المكاشفة بل استغنى
بالبراهين القطعية التي منها انه مربوب فلا بد له من رب وهو ايضا بيان لبليغ خشيته ولما
كان النافع من الطاعة الدايم الى الموت قال وجا اي بعد الموت بقلب منيب اي راجع الى
الله تعالى بوازع العلم ولم يقل بنفس لطفا بالعصاة لانهم وان قصرت نفوسهم لم يكن لها صدق
القدم فلهم الاسف بقلوبهم وصدق الندم ولما كان الاخبار بكونها لهم وان كان امرا سارا لا

يقتضي دخولها في ذلك الوقت زاد سرورهم بالاذن بقوله معبرا بضمير الجمع بيانا لان المراد بمن
جميع المتقين ادخلوها اي يقال لهم ادخلوا الجنة ولما كان المراد استقبالهم بالالذاذ بالبشارة
قال بسلام اي مصاحبين للسلامة من كل ما يمكن ان يخاف فانتج ذلك قوله انها للسرور الى غاية لا
توصف ذلك اي اليوم العظيم جدا يوم ابتدا او تقدير الخلود اي الاقامة التي لا اخر لها ولا نفاد
لشي من لذاتها اصلا ولذلك وصل به قوله جوابا لمن كانه قال على اي وجه خلودهم لهم بظواهرهم
وبواطنهم ما يشاؤن اي تتجدد مشيئتهم او تمكن مشيئتهم له فيها اي الجنة ولدينا اي عندنا من
الامور التي هي في غاية الغرابة عندهم وان كان كل ما عندهم مستغربا مزيد اي مما لا يدخل تحت اوهامهم
ليشاؤه فان سياق الامتنان يدل على ان تنوينه للتعظيم والتعبير بلدي يؤكد ذلك تاكيدا اينا سيما
بان يكونوا في كل لحظة في زيادة لم يحط بها علم اخص الخواص فهم في كل لحظة في زيادة على اماناتهم عكس ما
كانوا في الدنيا وبذلك تزداد علومهم ومقدورات الله لا تنحصر لان معلوماته لا تنتهي ولما ذكر سبحانه
اول السورة تكذيبهم بالقدرة مع اعترافهم بما يكذبهم في ذلك التكذيب ثم سلي وهدد بتكذيب الامم السالفة
وذكر قدرته عليهم واتبعه الدلالة على كمال قدرته الى ان ختم بالاشارة الى ان قدرته لا نهاية لها
ولا تحصر بحد ولا تحصى بعد ردا على اهل العناد ببدعة الاتحاد في قولهم ليس في الامكان ابدع مما
كان عطف على ما قدرته بعد تحقق وعيد من اهلاك تلك الامم ما هو اعم منه لشموله جميع الزمان الماضي
وادل على شمول القدرة فقال وكم اهلكنا اي بما لنا من العظمة ولما كان المراد تعميم الاهلاك
في جميع الزمان لجميع الامم نزع الجار بيانا لاحاطة القدرة فقال قبلهم وزاد في دلالة التعميم فاثبته
في قوله من قرن اي جيل هم في غاية القوة وزاد في بيان القوة بقوله هم اي اولئك القرون
بظواهرهم وبواطنهم اشد منهم اي من قريش بطشا اي قوة واخذا لما يريدونه بالعنف والسطو
والشدة وحذف الجار هنا يدل على ان كل من كان قبل قريش كانوا اقوى منهم واثباته في حديدك
على ان المذكورين بالاهلاك هناك مع الاتصاف بالشدة المذكورة بعض المهلكين لا كلهم ولما اخبر سبحانه
باشديتهم سبب عنه قوله فنقبوا اي اوقعوا التنقيب في البلاد بان فتحوا فيها الابواب الحسية
والمعنوية وخرقوا في ارجائها ما لم يقدر غيرهم عليه وبالغوا في السير في النقاب وهي طرق الجبال
والطرق الضيقة فضلا عن الواسعة وما في السهول بعقولهم الواسعة وآرائهم النافذة وطبايعهم
القوية وبحثوا مع ذلك عن الاخبار واخبروا غيرهم بما لم يصل اليه وكان كل منهم نقابا في ذلك اي علامة
فيه فصارت له به مناقب اي مفاخر ولما كان التقدير ولم يسلموا مع كثرة تنقيبهم وشدته من اهلاكنا
بغوايل الزمان ونوازل الحدثان توجه سؤال كل سامع على ما في ذلك من العجايب والشدة والهول
والمخاوف سؤال تنبيه للغافل الذاهل وتقريع وتبكيت للمعاند الجاهل بقوله هل من محيص اي معدل
ومحيد ومهرب وان دق من قضائنا ليكون لهوءلا وجه ما في رد امرنا ولما ذكرها هنا من المواعظ
ما ارقص الجماد فكيف بمن يدعي انه من رؤس النقاد انتج قوله موكدا لاجل انكار الجاحد وعناد المعاند
ان في ذلك اي الامر البديع من العظات التي صرفناها هذا على ما ترون من الاساليب العجيبة
والطرق الغريبة في الاهلاك وغيره لذكرى اي تذكرا عظيما جدا ولما كان المتذكر بمصارع المهلكين
تارة يكون حاضرا فيري مصارعهم حال الايقاع بهم او يري اثارها بعد ذلك وتارة يخبر عنها قال نادبا
بالراي لانه اجدر بالتذكر لمن كان اي كونا عظيما له قلب هو في غاية العظمة والنورانية ان راي
شيا من ذلك فهو بحيث يفهم ما يراه ويعتبر به ومن لم يكن كذلك فلا قلب له لان قلبه لما كان غير نافع
كان عدما ولما كان ابدا بالناظر لكونه اولي بالاعتبار واقرب الى الادكار ثني بمن نقلت اليه الاخبار فقال

أو

أو ألقى اي القا عظيما بغاية اصغايه حتى كانه يرمي بشي ثقيل من علو الى سفل السمع اي الكامل
الذي الكامل الذي قد جرده عن الشواغل من الحظوظ وغيرها ان سمع ما غاب عنه وهو اي والحال انه
في حال القايه شهيد اي حاضر بكليته فهو في غاية ما يكون من تصويب الفكر وجمع الخاطر فلا يغيب
عنه شي مما يلقى عليه والقى اليه فيتذكر بما ذكرناه به عن قدرتنا من الجزئيات ما انتجه من القدرة على
كل شي ورأى مجد القران فعلم انه كلام الله فسمعه منه فصدق الرسول وقبل كل ما يخبر به ومن سمع شيا
ولم يحضر له ذهنه فهو غايب فالاول العالم بالقوة وهو المجبول على الاستعداد الكامل فهو بحيث لا يحتاج
الى غير التدبر لما عنده من الكمال المهيئ لفهم ما يذكر به القران والثاني القاصر بما عنده من كثافة الطبع
فهو بحيث يحتاج الى التعليم فيتذكر بشرط ان يقبل بكليته ويزيل الموانع كلها فلذلك حسن جدا موقع
او المقسمة وعلم منه عظيم شرف القران في انه ميسر للكامل والناقص ليس منه مانع غير الاعراض ولما دل
على تمام علمه وشمول قدرته بخلق الانسان اثر ما ذكره من جميع الاكوان ثم باعدامه لاصناف الانسان
في كل زمان ذكر بخلق ما هو اكبر منه في المقدار والانسان بعضه على وجه آخر فقال عاطفا على ولقد
خلقنا الانسان واكده تنبيها لمنكري البعث وتبكيتا وافتتحه بحرف التوقع لان من ذكر بخلق شي توقع
الاخبار عما هو اكبر منه ولقد خلقنا اي بما لنا من العظمة التي لا يقدر قدرها ولا يطاق حصرها
السموات والارض على ما هما عليه من الكبر وكثرة المنافع وما بينهما من الامور التي لا ينتظم الامر على
قاعدة الاسباب والمسببات بدونها في ستة ايام الارض في يومين ومنافعها في يومين والسموات
في يومين ولو شا لكان ذلك في اقل من لمح البصر ولكنه سن لنا التاني بذلك وما مسنا لاجل ما لنا
من العظمة ادنى مس وعم في النفي فقال من لغوب اي اعيا فانه لو كان لاقتضى ضعفا فاقتضى فسادا
فكان من ذلك شي على غير ما اردناه فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا في الباقي وانتم تشاهدون الامر في
الكل على حد سوا من نفوذ الامر وتمام التصرف من اللعب وهو الاعيا والرش اللغاب وهو الفاسد
ولما دل سبحانه على شمول العلم واحاطة القدرة وكشف فيهما الامر اتم كشف وكان علم الحبيب
القادر بما يفعل العدو اعظم نذارة للعدو وبشارة للولي سبب عن ذلك قوله فاصبر على ما اي جميع
الذي يقولون اي الكفرة وغيرهم ولما كانت اقوالهم لا تليق بالجناب الاقدس امر سبحانه بما يفيد
ان ذلك بارادته وانه موجب لتنزيهه وكماله لانه قهر قايله على قوله ولو كان الامر بارادة ذلك
القايل استقلالا لكان في غاية البعد عنه لانه موجب للهلاك فقال وسبح اي اوقع التنزيه عن كل شايبة
نقص ملتبسا بحمد ربك اي باثبات الاحاطة بجميع صفات الكمال للسيد المدبر المحسن اليك بجميع هذه
البراهين التي خصتك بها تفضيلا لك على جميع الخلق في جميع ما قبل طلوع الشمس بصلاة الصبح وما يليق
به من التسبيح غيرها وقبل الغروب بصلاة العصر والظهر كذلك فالعصر اصل في ذلك الوقت
والظهر تبع لها ولما ذكر ما هو ادل على الحب في المعبود لانه وقت الانتشار الى الامور الضرورية
التي بها القوام والرجوع لقصد الراحة الجسدية بالاكل والشرب واللعب والاجتماع بعد الانتشار
والانضمام مع ما في الوقتين من الدلالة الظاهرة على طي الخلق ثم نشرهم اتبعه ما يكون وقت السكون
المراد به الراحة بلذيذ الاضطجاع والمنام فقال ومن الليل اي في بعض اوقاته فسبحه بصلاتي
المغرب والعشا وقيام الليل لان الليل وقت الخلوات وهي الذ المناجات ولما ذكر الفرايض التي
لا مندوحة عنها على وجه يشمل النوافل من الصلاة وغيرها اتبعها النوافل المقيدة بها فقال وادبار
السجود اي الذي هو الاكمل في بابه وهو صلاة الفرض بما يصلى بعده من الرواتب والتسبيح بالقول
ايضا قال الرازي واعلم ان ثواب الكلمات بقدر صدورها عن جناب المعرفة والحكمة وان تكون

عين قطبه تدور دوران لسانه وتلاحظ حقايقها ومعانيها فالتسبيح تنزيه من كل ما يتصور في الوهم
او يرتسم في الخيال او ينطبع في الحواس او يدور في الهواجس والحمد يكشف عن المنة وصنع الصانع والمنة
المتفرد بالنعم انتهى. ومعناه ان هذا هو الحقيقة فاذا انطبعت في الجنان قامت باللسان وتصورت
بالاركان. وحمل على الصلاة لانها افضل العبادات وهي جامعة بما فيها من الاقوال والافعال لوجهي الذكر
التنزيه والتحميد. وهاتان الصلاتان المصدر بهما افضل الصلوات فهما اعظم ما يقع به التسبيح بالحمد
والمعنى والله اعلم ان الاشتغال استمطار من المحمود المسبح للنصر على المكذبين. وان الصلاة اعظم ترياق
للنصر وازالة الهم. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة. ولما
سلاه سبحانه عما يسمع منهم من التكذيب وغيره من الاذى بالاقبال على على عزته والانتظار لنصرته
اتبعه تعزية الاشارة فيها اظهر بما صوربه يوم مصيبتهم وقربه حتى كانه يسمع في وقت نزول هذه الاية
ما فيه لهم من الميلات وقوارع المصيبات تحذيرا لهم وبشرى لاوليايه بتمام تاييده عليهم ونصره لهم
في الدنيا والاخرة فقال واستمع يوم اي اسمع بتهيئك للسمع بغاية جهدك وباصغا سمعك واقبال
قلبك بعد تسبيحك على بالحمد ما يقال لهم يوم ينادي المنادي بهم في الدنيا يوم بدر اول الايام
التي اظهر الله تعالى فيها لاوليايه مجده بالانتقام من اعدايه وفي الاخرة يوم القيمة حين النفخ في الصور
النفخة الثانية وما بعده. ولما كان المراد اظهار العظمة بتصوير تمام القدرة وكان ذلك بتحقق
باسماع البعيد من محل المنادي كما يسمع القريب سوا وكان القرب ملزوما للسماع قال مصورا لذلك
من مكان هو صخرة بيت المقدس قريب اي يسمع الصوت من بعد كما يسمعه من قرب يكونون في البقاع
سوا لا تفاوت بينهم اصلا. ولما عظم هذا المقال بما كساه من ثوب الاجمال ابدل منه ايضاحا وزيادة
في التعظيم قوله يوم يسمعون اي الذين ينادون الصيحة اي صيحة ضمض المستنفر لهم الى بدر في
الدنيا فكانت صيحة قاضية بضمهم عن جميع مقصر فاتهم وصيحة النفخ الثانية في الصور في الاخرة فيما
نفختا حشر الى القضا بين المحق والمبطل بالحق اي الامر الثابت الذي كانوا يسمونه سحرا ويعدونه
خيالا فيعلمون حينيذ ان الواقع قد طابقه فكان حقا وانه هو قد طابق الواقع فكان الاخبار به صدقا
ولما عظمه سبحانه باجمال بعد اجمال اشارة الى ان ما فيه من شديد الاهوال يطول شرحه
بالمقام زيادة تعظيما بما انتجه الكلام فقال ذلك اي اليوم العظيم الذي يظهر به المجد ويعلو بضعفا
المؤمنين الجد يوم الخروج اي الذي لا خروج اعظم منه وهو خروجهم من بيوتهم في الدنيا الى مصارعهم
ببدر. ولما كان ثبت دعايم القدرة ودقت بشاير النصرة وختم بما يصدق على البعث الذي هو الاحيا
الاعظم قال دالا عليه بما هو مشاهد من افعاله والكن لانكارهم البعث فقال انا اي بما لنا من
العظمة نحن خاصة نحيي ونميت نجدد ذلك شيا بعد شي سنة مستقرة وعادة مستمرة كما تشاهدونه
فقد كان منا بالاحيا الاول المبدا والينا خاصة بالاماتة ثم الاحيا المصير اي الصيرورة مكانها
وزمانها بان نحيي جميع من امتناه يوم البعث ونحشرهم الى محل الفصل فنحكم بينهم وليس المعاد
باصعب من المبدا فمن اقر به وانكر البعث كان معاندا او مجنونا قطعا. ولما تحقق بذلك امر البعث
غاية التحقق صور خروجهم فيه فقال معلقا بما ختم به او مبدلا مما قبله زيادة في تفخيمه وتبجيله وتعظيمه
يوم تشقق الارض وعبر بفعل المطاوعة لاقتضا الحال له وحذف تا المضارعة اشارة الى سهولة
الفعل وسرعته عنهم اي مجاوزة لهم بعد ان كانوا في بطنها فيخرجون منها احيا كما كانوا على ظهرها احيا
حال كونهم سراعا الى اجابة منادينا واشار الى عظمة الامر بقوله ذلك اي الاخراج العظيم جدا
حشر اي جمع بكره وزاد في بيان عظمة هذا الامر بدلالته على اختصاصه بتقدم الجار فقال علينا

اي

اي خاصة يسير فكيف يتوقف فيه عاقل فضلا عن ان ينكره واما غيرنا فلا يمكنه ذلك بوجه. ولما
اقام الادلة سبحانه على تمام قدرته وشمول علمه وختم بسهولته عليه واختصاصه به وصل به تسلية
النبي صلى الله عليه وسلم بتهديدهم على تكذيبهم بالعلم الذي هو اعظم التهديد فقال نحن اي لا غيرنا
ولا هم انفسهم اعلم اي من كل من يتوهم فيه العلم بما يقولون اي في الحال والاستقبال من التكذيب
بالبعث وغيره مع اقرارهم بقدرتنا. ولما كان التقدير فنحن قادرون على ردهم عنه بما لنا من
العلم المحيط وانت لهم منذر تنذرهم وبال ذلك عطف عليه قوله وما انت عليهم ولما افاد حرف
الاستعلا القهر والغلبة صرح به موكدا للنفي فقال بجبار اي بمتكبر تهار غايات تردهم قهرا عما
تكره منهم الاقوال والافعال انما انت منذر. ولما نفى الجبروت ثبت له ما افهمه واو العطف من
النذارة كما قدرته قبله فكان مسببا عنه معبرا بالتذكير الذي يكون عن نسيان لان كل ما في القران
من وعظ اذا تامله الانسان وجد شاهدا في نفسه او فيما يعرفه من الافاق فذكر اي بطريق
البشارة والنذارة بالقران اي الجامع بمجده لكل خير المحيط بكل صلاح من يخاف وعيد اي يمكن
خوفه وهو كل عاقل ولكنه ساقه هكذا اعلاما بان الذي يخاف بالفعل فيكشف الحال عن اسلامه
هو المقصود بالذات وغيره انما يقصد لاقامة الحجة عليه لا لرده ولا يوسف عليه ولا يتاثر بتكذيبه
بل يعتقد انه لا تضر عداوته ولا تنفع ولايته وما اذى الا نفسه وكل من والاه في الدنيا والاخرة
وهو المجد للقران ولمن انزله ولمن اتى به عنه بتمام قدرة من هو صفته وشمول علمه. فقد انعطف
هذا الاخر على ذلك الاول اشد انعطاف. والتفت فروعه باصله اي التفاف. فاعترف له اولوا
البراعة واهل الانصاف والانصاف. بالتقدم في كل صناعة بالسبق الذي لا يمكن لحاقه اي اعتراف

مقصودها الدلالة على صدق ما انذرت به سورة ق تصريحا وبشرت به تلويحا ولا سيما اخرها
من مصاب الدنيا وعذاب الاخرة واسمها الذاريات ظاهر في ذلك بملاحظة جواب القسم فانه مع
القسم لشدة الارتباط كالاية الواحدة وان كان خمسا وللتعبير عن الرياح بالذاريات اتم اشارة
الى ذلك فان تكذيبهم بالوعيد لكونهم لا يشعرون بشي من اسبابه وان كانت موجودة معهم كما ان ما
ياتي من السحاب من الرحمة والنقمة اسبابه موجودة وهي الرياح وان كانوا لا يرونها والريح من
شانها الذرو وهو التفريق فاذا اراد الله جمعت فكان ما اراد فانها تفرق الاخرة فاذا اراد سبحانه
جمعتها فحملها سبحانه ما اوجده فيها فاوقرها به فاجراها اجرا سهلا فقسم منها ما اراد تارة برقا واخرى
رعدا يصل صليل الحديد على الحديد او الحجر على مثله مع لطافة السحاب وكل ما يشاهد فيه من الاسباب
واذنه مطرا شديد الانصباب. ومرة ثلجا او بردا يزجي وسحاب. وحينا صواعق ونيرانا لها التهاب.
ووقتا جواهر ومرجانا بديعة الاعجاب. فتكون مرة سرورا ورضوانا واخرى غموما واحزانا
وغبنا وخسرانا على انهم اخيل الناس في بعض ذلك يعرفون السحاب الذي يخيل المطر والذي لا يخيله
والذي مطر دان والذي لم يان له ان يمطر الى غير ذلك من اشيا ذكرها اهل الادب. وحملها اهل
اللغة عنهم وكل ذلك بتصريف الملايكة عن امر الله. ولذلك والله اعلم سن ان يقال عند الرعد سبوح
قدوس بيانا لان المصرف الحق هو الله رب الملايكة اي الذين اقيموا لهذا والروح الذي يحمله هذا
الجسم من مطر او نار وغيرهما والله الموفق بسم الله المحيط بصفات الكمال فهو لا يخلف الميعاد الرحمن
الذي عم الخلايق بنعمة الايجاد الرحيم الذي خص من اختاره بالتوفيق لما يرضاه من المراد. ولما

ختم سبحانه ق بالتذكير بالوعيد افتتح هذه بالقسم البالغ على صدقه فقال مناسبا بين القسم والمقسم عليه
والذاريات اي الرياح التي من شانها الاطارة او (والرمي) التفريق والاذهاب واكد ذلك بقوله ذروا اي تصرفها
فيه الملايكة قال الاصبهاني الرياح تحت اجنحة الكروبيين حملة العرش فتهيج من ثم فتقع بعجلة الشمس
ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع برؤس الجبال تقع في البر فاما الشمال فانها تمر تحت عدن فتاخذ من عرف
طيبها فتمر على ارواح الصديقين ثم تاخذ حدها من كرسي بنات نعش الى مغرب الشمس وتاتي الدبور حدها
من مغرب الشمس الى مطلع سهيل وتاتي الجنوب حدها من مطلع سهيل الى مطلع الشمس وتاتي الصبا حدها
من مطلع الشمس الى كرسي بنات نعش فلا تدخل هذه في حد هذه ولا هذه في حد هذه ولما كانت غاية
الذرء والهيئة للحمل قال مسببا ومعقبا فالحاملات اي من السحب التي فرقت الريح اصلها وهو الابخرة
واطارته في الجو الى جهة العلو ثم جمعته فانعقد سحابا فبسطته مع الالتيام فحمله الله ما اوجد فيه
من مراده من الما والصواعق وغيرها وقرا اي حملا ثقيلا وقد كان قبل ذلك لا يرى شي منه ولا من محموله
فتحققوا قدرة الله على كل ما يريد وان لم تروا اسبابه ولا يغرنكم بالله الغرور ولما كان الحمل انما
هو للوضع في الاماكن التي يراد ضرها او نفعها وكان سير الغمام بعد الحمل في ساحة الجو وباحة الافق
من غير ممسك يرى ادل على القدرة ولا سيما اذا كان مع الجري الذي يضرب به لسرعته المثل وكذا
جري السفن في باحة البحر بعد ثقلها بالوسق قال فالجاريات يسرا اي جريا ذا سهولة ولما كان
في غاية الدلالة على تمام القدرة تفريق محمولها في الاراضي المحتاجة ولا سيما ان تباعدت اماكن صبه
ومواطن سكبه وكان ذلك التفريق هو غاية الجري المرتب على الحمل المرتب على الذرو قال مسببا معقبا
مشيرا بالتفعيل الى غرابة فصلها لقطراتها وبداعة تفريقها لرحمتها من عذابها وغير ذلك من احوال الجاريات
وتصريف الساريات فالمقسمات اي من السحب بما تصرفها فيه الملايكة عليهم السلام وكذا السفن بما
يصرفها الله به من الرياح اللينة او العاصفة من سلامة وعطب وسرعة وابطا وكذا غيرهما من كل امر
تصرف الملايكة بين العباد وتقسمه ولما كان المحمول مختلفا كما تقدم قال جامعا لذلك امرا اي من
الرحمة او العذاب قال الرازي في اللوامع وهذه اقسام يقسم الله ولا يقسم بها الخلق لان قسم الخلق استشهاد
على صحة قولهم بمن يعلم السر كالعلانية وهو الله تعالى وقسم الخالق ارادة تاكيد الخبر في نفوسهم فيقسم ببعض
بدايع خلقه على وجه يوجب الاعتبار ويدل على توحيده فالرياح بهبوبها وسكونها لتاليف السحاب وتذرية
الطعام واختلاف الهوا وعصوفها مرة ولينها اخرى والسحاب بحمولها مثقلات بالما من غير عماد
وصرفها في وقت الغنا عنها بما لو دامت لاهلكت ولو انقطعت لم يقدر على قطرة منها وبتفريق المطر والا
هلك الحرث والنسل والسفن بتسخير البحر لجريانها وتقدير الريح لها بما لو زاد لغرق ولو ركد لاهلك والملايكة
تقسم الامور بامر ربها كل ذلك دليل على وجود الصانع الحكيم والناظر العليم القادر الماجد الكريم ه
ولما كانوا يكذبون بالوعيد اكد الجواب بعد التاكيد بنفس القسم فقال انما اي الذي توعدون اي
من الوعد للطايع والوعيد للعاصي وان لم تروا اسبابه ولما كان ما توعدوا به لتحقق وقوعه وقربه
كان موجودا تخاطبهم عن نفسه عبر عن المصدر باسم الفاعل فقيل لصادق اي مطابق الاخبار به للواقع
وسترون مطابقته له اذا وقع وتعلمون ان ذلك الواقع حق ثابت لا خيال لمطابقته للخبر قال ابن برجان ه
واعلم ان الله عز وجل ما اقسم بقسم الا مطابقا معناه لمعان في المقسم من اجله بسراج منير يهدي به الله
تعالى من يشا وانما يحجب عن رؤية ذلك ظواهر اشخاص المحسوسات ويصم عن اسماع ندايها ضوضا المشاهدات
ولولا ذلك لنودوا بها من مكان قريب وقال البيضاوي كانه استدل باقتداره على هذه الاشيا العجيبة
المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث ولما كان اجل وعيدهم ما يتعلق بالجزا يوم القيمة

وكانوا ينكرونه قال وان الدين اي المجازاة لكل احد بما كسب يوم البعث والشرع الذي ارسلت
به هذا النبي الكريم لواقع لا بد منه وان انكرتم ذلك فيظهر دينه على الدين كله كما وعد بذلك ثم يقيم الناس
كلهم للحساب وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير في برهانه لما ذكر سبحانه المواعيد الاخراوية في سورة
ق وعظيم تلك الاحوال من لدن قوله وجات سكرة الموت بالحق الى اخر السورة اتبع سبحانه ذلك
بالقسم على صحة وقوعه وصدقه فقال والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين
لواقع والدين الجزا اي انهم سيجازون على ما كان منهم ويوفون قسط اعمالهم فلا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولما اقسم تعالى على صدق وعده ووقوع الجزا عقب
ذلك بتكذيبهم بالجزا وازدرايهم فقال يسئلون ايان يوم الدين ذكر تعالى حال الفريقين وانتها الطريقين
الى قوله وفي الارض ايات للموقنين فوبخ تعالى من لم يعمل فكره ولا بسط نظره فيما اودع سبحانه
في العالم من العجايب واعقب بذكر اشارات الى احوال الامم وما اعقبهم تكذيبهم وكل هذا تنبيه
لبسط النظر الى قوله ومن كل شي خلقنا بقوله كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او
مجنون اي هذا دابهم وعادتهم حتى كانهم تعاهدوا عليه والقاه بعضهم الى بعض فقال تعالى اتواصوا به
بل هم قوم طاغون اي عجبا لهم في جريهم في التكذيب والفساد في مضمار واحد ثم قال تعالى بل هم قوم
طاغون اي ان علة تكذيبهم هي التي اتحدت فاتحد معلولها والعلة طغيانهم واظلام قلوبهم بما سبق
ولو شينا لاتينا كل نفس هداها ثم زاد نبيه عليه السلام اشيا بما ورد على طريقة تخييره عليه السلام
في امرهم من قوله تعالى فتول عنهم فما انت بملوم ثم اشار تعالى بقوله وذكر فان الذكرى تنفع المومنين
الى ان احراز اجره عليه السلام انما هو في التذكار والدعا الى الله تعالى ثم ينفع الله بذلك من سبقت
له السعادة انما يستجيب الذين يسمعون ثم اخبر نبيه عليه السلام بان تكذيبهم سبيلا لهم قسط ونصيب
مما نال غيرهم ممن ارتكب مرتكبهم وسلك مسلكهم فقال تعالى وان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم
الى اخر السورة ولما اخبر سبحانه عن ثبات خبره اتبعه الاخبار عن وهي كلامهم فقال مقسما عليه
لمبالغتهم في تاكيد مضامينه مع التناقض بفعله الجميل وصنعه الجليل اشارة الى انهم لم يتخلقوا من اخلاقه
الحسنى بقول ولا فعل والسما ذات الحبك اي الايات المحتبكة بطرايق النجوم المحكمة الحسنة الصنعة
الجيدة الرصف والزينة حتى كانها منسوجة الجميلة الصنعة الجليلة الاثار الجامعة بين القطع والاختلاط
والاتفاق والاختلاف واصل الحبك الاحكام في امتداد واطراد قاله الرازي في اللوامع انكم يا
معشر قريش لفي قول محيط بكم في امر القران والاتي به وجميع امر دينكم وغيره مما تريدون به
ابطال الدين الحق مختلف كاختلاف طرايق السما التي لا تكاد تنتظم ولا يعرف اولها من اخرها ه
واختلاف هذه الاشيا المقسم بها من اول السورة واختلاف غاياتها لكنه مع ذلك متدافع وان كنتم ه
تجتهدون في تزيينه وتقريبه للافهام وتحسينه فانه لا يكاد اذا عرضه الناقد على الفكر النافذ ينضبط
بضابط ولا يرتبط برابط بل تارة تقولون هذا شعر فيلزمكم وصفه بما تصفون به الشعر من الاتساق
بالوزن المحرر والروي المتحد والعذوبة والرشاقة وتارة تقولون هذا سحر فيلزمكم مع الاقرار ه
بالعجز عنه انه لا حقايق له والواقع انه لا يتامله ذو فهم الا راى حقايقه اثبت من الجبال وتارة تقولون
اضغاث احلام فيلزمكم انه لا ينضبط ولا يكون له مفهوم محصل ولا يعجز احد عن تلفيق مثله فقد ابطلتم
قولكم انه شعر وانه سحر وتارة تقولون انه كهانة فيلزمكم ان يعتقدوا فيه ما تعتقدون في اقوال الكهان
من الاخبار بالمغيبات واظهار الخبء وفصل الحكم فابطلتم ما مضى من قولكم اضغاث احلام وسحر وشعر
وتارة تقولون انه جنون فقد نقضتم جميع اقوالكم الماضية وناديتم على انفسكم بالمباهتة ويقولون

في الآتي به انه شاعر وساحر ومجنون وكاهن وكاذب وكل قول منها ينقض الآخر وانتم تدعون انكم
أصدق الناس وابعدهم عن عار الكذب وانكم اعقل الناس وانصفهم فقد تباعد اولا ما بين اقوالكم
ثم ما بينها وبين افعالكم فكان اختلاف طرايق النجوم دالا على صانع مختار تام العلم كامل القدرة وكذا
اختلاف قولكم على هذا الوجه مع ما لكم من العقول دال على قاهر لكم على ذلك فهما ايتان في الآفاق وفي
انفسكم ولما كان هذا الاختلاف مما لا يكاد يصدق لانه لا يقع فيه عاقل بين سببه بانهم مغلوبون
عليه بقهر يد القدرة فقال يؤفك اي يصرف بايسر امر واسهله عن سنن الاستقامة وتقلب من وجهه
لقفاه عنه اي بصدر صرفه عن هذا القول مجاوزا لما يلزمه من عاره فهو لاجل ذلك يقوله من افك
اي قلبه قالب قاهر اي تبين بهذا الصرف الذي هو اعظم الصرف انه حكم بصرفه في الازل حكما بتا
جامعا فصار لا يصدر عنه قول ولا فعل الا كان مقلوبا وجهه لقفاه لا يمكن ان ياتي منه شي على وجهه
فكانه لا مافوك سواه لشدة افكه وعجيب امره ولما كان الكذب الاخبار بما لا حقيقة له وتعمد افترا
وكان الخرص الكذب والافترا والاختلاف وكل قول بالظن قال معلما بما لهم على قولهم هذا اقتلوا او
قتلتم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر الوصف الذي استحقوه بقولهم قتل الخراصون اي حصل بايسر
امر قتل الكذابين لا محالة من كل قاتل والمتقولين بالظن المتقطعين للكلام من اصل لا يصلح من الخرص
وهو القطع وهم الذين يقولون من غير سند في كتاب او سنة او اثارة من علم وهو دعا وخبر لانه مجاب
لا محالة الذين هم اي خاصة في غمرة اي اعماق من الجهل والضلال غارقون في سكرهم وجهلهم الذي
غمرهم ولذلك هم مضطربون اضطراب من هو يمشي في معظم البحر فهو لا يكاد ينتظم له امر من قول
ولا فعل ولا حال ساهون اي غريقون في السهو وهو النسيان والغفلة والحيرة وذهاب القلب
الى غير ما يهمه تغافلا لذلك ذو الوان متخالفة من هول ما فيه وشدة كربه ولما ختم بسهوهم دل
عليه بقوله يسئلون اي حينا بعد حين على سبيل الاستمرار استهزا بقولهم ايان اي متى واي حين
يوم الدين اي وقوع الجزا الذي تخبرنا به ولولا انهم بهذه الحالة لتذكروا من انفسهم انه ليس
احد منهم يترك عبيده او اجراه في عمل من الاعمال الا وهو يحاسبهم على اعمالهم وينظر قطعا في امورهم
ويحكم بينهم في اقوالهم وافعالهم فكيف يظن باحكم الحاكمين ان يترك عبيده الذين خلقهم على هذا النظام
المحكم وابدع لهم هذين الخافقين وهيا لاجلهم فيهما ما لا ضرورة لهم في التردد للمعاد الى سواه فيتركهم
سدى ويوجدهم عبثا ولما تقرر امر القيمة بالتعبير بساهون قال يوم اي يكون يوم هم على
النار لا على غيرها يفتنون اي يعرضون فيحرقون ويعذبون ويفضحون على الوان من ذلك مختلفة
شديدة الاختلاف مقولا لهم على سبيل التقريع والتوبيخ ذوقوا فتنتكم اي ما تستحقونه من الفتنة
بما تسببتم فيه لانفسكم بتكذيبكم وفتنكم لاهل الحق واستعجالكم بما توعدون استهزا وتكذيبا هذا العذا
الملون الذي انتم فيه ما كنتم اي كونا هو كالجبلة ولما كانوا ابدا يلغون في استعجاله ويديمون ذلك
بما دل عليه التعبير بالمضارع وكنتم كانوا كانهم لا يستعجلون بغيره قدم الظرف فقال به تستعجلون
اي تطلبون عجلته وان ياتي قبل اوانه للحقيق به فتكررون قولكم ايان يوم الدين ولما اخبر بما لهم
في ذلك اليوم وهم يستعجلون به اتبع ذلك اضداده ليكون النفع تاما فاعلم بما للمتقين فيه وهم خايفون
من حلوله لو كان لاحدهم طلاع الارض ذهبا لافتدى به من هوله فقال تكميلا للاعلام باصل الاقسام التي
تقع في ذلك اليوم مؤكدا لما لهم من التكذيب بذلك ان المتقين اي الذين كانت التقوى لهم وصفا
ثابتا في جنات اي بساتين عظيمة تجن داخلها اي تستره من كثرة ظلالها لكثرة اشجارها وعظمها وتستر
ما فيها من النعيم لينكشف لهم كل يوم منه ما لم يكن خطر على قلب فيكون اشوق لهم بزيادة العلم والمعلومات

وعيون

وعيون لاحد لها في عاجلهم واجلهم فاليوم قربات ومناجاه وغدا جنات ونجاه ولما كان من في
البستان لا بد له من الماكل والمشارب وغير ذلك من المشارب دل على انه حاصل لهم على وجه لا
يدركه الوصف فقال موضع بانهم فيها ما يشتهون آخذين للدلالة على انهم لا يزالون في اخذ وعلى ان
ما يؤمر لهم به ليس كما يامر به بعض الملوك فيمنعه او ينقصه بعض خواصهم او يكون دنيا فيزهد فيه المامور
له به فيعرض عنه ما اي كل شي اتاهم اي احضر اليهم ربهم اي مولاهم المحسن اليهم المدبر لهم بتمام علمه
وشامل قدرته فهو لا يدع لهم لذة الا اتحفهم بها فيتقبلونها بغاية الرغبة لانها في غاية النفاسة ولما
كان هذا امرا عظيما يذهب الوهم في سببه كل مذهب علله بقوله مؤكدا بالنسبة الكفار لهم الى الاساءة
انهم كانوا اي كونا هو كالجبلة ولما كان الانسان اما ان يكون مطيعا في مجموع عمره او في بعضه
ويموت على الطاعة وكانت الطاعة تجب ما قبلها وتكون سببا في تبديل السيات حسنات فضلا منه
سبحانه فكان كل من القسمين مطيعا في جميع زمانه نزع الجار فقال قبل ذلك اي في دار العمل وقيل
آخذين من كل ما فرض عليهم بغاية القبول لانهم كانوا قبل فرض الفرايض يعملون على المحبة وهو معنى
محسنين اي في معاملة الخالق والخلايق يعبدون الله كانهم يرونه ثم فسر احسانهم معبرا عنه بما
هو في غاية المبالغة بقوله كانوا اي لما عندهم من الاجلال له والحب فيه بحيث كانهم مطبوعون
عليه ولغاية التاكيد وقع الاسناد اليهم مرتين قليلا من الليل الذي هو وقت الراحات وقضا
الشهوات واكد المعنى باثبات ما فقال ما يهجعون اي يفعلون الهجوع وهو النوم الخفيف
القليل فما ظنك بما فوقه لان الجملة تثبت هجوعهم وهو النوم للراحة وكسر التعب وهو ما تنفيه
وذكر الليل لتحقيق المعنى فان الهجوع النوم ليلا فالمعنى انهم يحيون اكثر الليل وينامون اقله ولما
كان المحسن لا يرى نفسه الا مقصرا قال دالا على ذلك وعلى ان تهجدهم يتصل باخر الليل مؤكدا بالاسناد
مرتين ايضا وبالاسحار قال ابن زيد السحر السدس الاخير من الليل هم اي دايما بظواهرهم وبواطنهم
يستغفرون اي يعدون مع هذا الاجتهاد انفسهم مذنبين ويسئلون غفران ذنوبهم لوفور علمهم
بالله وانهم لا يقدرون على ان يقدروه حق قدره وان اجتهدوا لقول سيد الخلق لا احصي ثنا عليك
دال على ان غيرهم لو فعل هذا ليلة لاعجب بنفسه وراى انه لا احد افضل منه وعلى ان استغفارهم
في الكثرة يفضي الى انهم يكونون بحيث يظن انهم احق بالتذلل من المصرين على المعاصي فان استغفارهم
ذلك على بصيرة لانهم نظروا ما له سبحانه في الآفاق وفي انفسهم من الايات والحكم البالغة التي لا تحصى
فعلموا انه اهل لان يطاع ويخشى فاجتهدوا وتركوا الهجوع واجروا الدموع ثم قابلوا ذلك بنعمه
فاذا الاعمال في غاية التقصير فاقبلوا على الاستغفار عالمين بانه لا يمكن ان يقدر حق قدره ولما
ذكر معاملتهم للخالق اتبعه المعاملة للخلايق تكميلا لحقيقة الاحسان فقال وفي اموالهم اي كل
اصنافها حق اي نصيب ثابت ولما كان السياق هنا للاحسان فكان احسانهم لفرط محبتهم
الى عباد الله لا يوقفهم عن الواجب بخلاف ما في سال من سياق المصلين مطلقا ترك وصفه بالمعلومية
فقال للسايل اي الذي ينبه على حاجته بسؤال الناس وهو المتكفف والمحروم وهو المتعفف
الذي لا يجد ما يغنيه ولا يسئل الناس ولا يفطن له ليتصدق عليه وهذه صفة اهل الصفة رضي
الله عنهم فالمحسنون يعرفون صاحب الوصف لما لهم من نافذ البصيرة ولله بهم من العناية ولما
دل اقسامه بالسما وما قبلها من الذاريات على ما له في العلويات من الايات الى ان ختم بالاموال
التي منبتها الارض فكان التقدير ففي السموات ايات للمؤمنين دالات على عظمته واستحقاقه للعبادة
بغاية الخضوع رغبا ورهبا عطف عليه قوله وفي الارض مما فيها ايضا من الاختلاف بالمعادن الكثيرة

المتباينة مع اتحاد أصلها والنبات والحيوان والجماد والبر والبحر وغير ذلك من الاسرار الدالة على فاعل
مختار **آيات** اي دلالات عظيمات هي مع وضوحها بعد التامل خفيات **للموقنين** اي الذين صار الايقان
لهم غريزة ثابتة فهم لذلك يتفطنون لرؤية ما فيها مع ما يلابسهم منها من الأسباب فيشغلهم ولا يرون
اكثر اسباب ما فيها من الآيات فاداهم ذلك الى الايقان بما نبهت عليه الرسل مما لا تستقل به العقول من
البعث وغيره. قال القشيري من الايات فيها انها تحمل كل شي فكذلك العارف يحمل كل احد ومن استثقل
أحدًا او تبرم برؤية احد فلغيبته عن الحقيقة ومطالعته للخلق بعين التفرقة واهل الحقايق لا يتصفون
بهذه الصفة. ومن الايات فيها انه يلقى عليها كل قذارة وقمامة فتنبت كل زهر ونور وكذلك العارف
يتشرب كل ما يسقى من الجفا ولا يترشح الا بكل خلق علي وشيمة زكية. ولما اشار الى ايات
الأفاق اتبعها ايات الانفس فقال **وفي أنفسكم** اي من الايات التي شاركتم بها الجماد ثم فارقتموه
بالنمو ثم بالحس ثم فارقتم الحيوان الحساس بالعقل الموصل الى بدايع العلوم ودقايق الفهوم. ولما
كانت اظهر الايات سبب عن التنبيه عليها الانكار عليهم في ترك الاعتبار بها فقال **أفلا تبصرون**
اي بابصاركم وبصايركم فتاملوا ما في ذلك من الايات وتفكروا هل ترون اسباب اكثرها فان كل
هذه ايات دالة على قدرة الصانع على كل ما يريد واختياره وانه ما خلق هذا الخلق سدى فلا بد ان
يجمعهم اليه للعرض عليه فالموقنون لا يزالون ينظرون في امثال هذا بعيون باصرة واذهان نافذة فكلما راوا
اية اعتبروا بها فازدادوا ايمانًا الى ايمانهم وايقانًا تامًا مع ايقانهم واول نظرهم فيما اودعوا من الايات
الحاجة فمن تاملها علم انه عبد ومتى علم ذلك علم ان له ربًا غير محتاج. ومن ابصر ذلك ابصر جميع الأسماء
والصفات فنفذ فهمه في شفاف الكاينات فارتقى الى اعلى الدرجات. ولما بان بما قدمته
في المقسمات امرا ما في جهة العلو من الاسباب الموجبة للنعمة والعذاب قال **وفي السماء** اي جهة
العلو **رزقكم** بما ياتي من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك مما رتبه سبحانه لمنافع العباد **وما
توعدون** وجميع ما اتتكم به الرسل من الوعد والوعيد من الصواعق والزلازل وغير ذلك من الأهوال
وموجبات النكال. وكذا الرحمة والخير والنعمة وكلما تتعلق به الامال فكما انتم تصدقون بذلك
وانتم لا ترونه فكذلك صدقوا بالجنة والنار وان لم تروهما فانه لا فرق بين ما ينزله الله فتكون منه رياض
وجنات وشوك واذوا ومرارات وسموم وعقارب وحيات وخشاش وسباع وحشرات وبين ما يعيد
به الاموات ثم تحشرهم الى جنات ونيران فكما انه لا مرية في اظهار هذا الغيب. فكذلك لا لبس في اظهار
ذلك الغيب. ومن المعنى ايضًا انك لا تشتغل برزق فانه في السما ولا سبيل لك الى العروج اليها
واشتغل بما كلفته من الخدمة لمن عنده الرزق ففي السما الرزق واليها يرفع العمل فان اردت ان ينزل
اليك رزقك فاصعد اليها الصالح من عملك. ولهذا قالوا الصلاة قرع باب الرزق واصطبر
عليها لا نسالك رزقًا نحن نرزقك. ولما اقسم بما له من المقدورات من المحسوسات المشهورات فترقوا
بذلك الى على الدرجات وانكشف ما له من الكمال انكشافًا تامًا وعلم ان في خزاينه سبحانه كلما اخبرت
عنه به رسله من وعد ووعيد سبب عنه قوله مقسمًا بنفسه الاقدس لكن بصفة ما الوفه **فورب**
اي مبدع ومدبر **السماء والأرض** بما اودع فيهما مما علمتموه وما لم تعلموه **إنه** اي الذي توعدونه من
الخير والشر والجنة والنار وتقدم الاقسام عليه انه صادق **لحق** اي ثابت يطابقه الواقع فقد جمع
الحق مع الصدق **مثل ما أنكم** وانتم مساوون لبقية ما في الأرض من الجمادات وغيرها **تنطقون**
نطقًا مجددًا في كل وقت مستمرًا ما هو بخيال ولا سحر اي ان ذلك حق مثل ما ان هذا حق فالذي جعل
لكم قوة النطق من بين ما في الأرض باسباب لا ترونها ولا تحسونها ومع ما عداكم من ذلك باسباب مثل

ذلك

ذلك قادر على الاتيان بوعده من الرزق وغيره ما دمتم تحتاجون الى ذلك بما جعل فيكم من الحياة
التي يصح بها العلم الناشي عنه النطق المحوج الى الرزق من اي جهة اراد وان لم تروا اسبابه كما انه
لو اراد لانطق جميع ما في السموات والارض من الجمادات بما يقيمه من الاسباب التي اقامها لكم وان
لم تروا ذلك. ولما بين بما مضى من القسم وما تبعه انه اودع في السموات والارض وما بينهما
اسبابًا صالحة للاتيان بما وعدناه من الخير وما توعدنا به من الشر وان كنا لم نرها وهو قادر مختار
فصار ذلك كالشاهد فلا وجه للتكذيب بوعد ولا وعيد دل عليه وصوره بما شوهد من احوال
الأمم وبدا الان بالسياق للمحسنين من اهل هذه الانبا الذي اخبرته الملايكة عليهم السلام بما سببه معه
وان كان على غير العادة فتعجبت زوجته من ذلك مع كونها اعلى نسا ذلك الزمان واتبع قصته قصة
لوط ابن اخيه عليهما السلام لاتصال ما بين قصتيهما في الزمان ولمناسبة عذابهم لما اقسم به في اول
السورة فانه سبحانه امر الذاريات فاقتلعتهم بقراهم وحملتها كما تحمل السحاب ثم كبتهم ثم امر السما فرجمتهم
والارض فخسفت بهم والملايكة الموكلة بمثل ذلك ففعلوا جميع ما امروا به وراوهم في قريتهم وقصدوهم
بالمكروه لانهم خفي عليهم امرهم واتوا الخليل عليه السلام وهو اعلى ذلك الزمان وهم في ذلك ولم يعلم
اولى الامر شي من حالهم ولا طنهم الا ادميين فقال معظمًا لامر القصة بتخصيص الخطاب باعلى الخلق
وانفذهم فهما اشارة الى انه لا يفهم هذا حق فهمه سواه على طريق الاستفهام على عادة العرب في الاعلام
بالأمور الماضية وان كان المخبر عالمًا بان المخاطب لا علم له بذلك لان المقصود ليس الا التنبيه على
ان ذلك الأمر مما ينبغي الاهتمام به والبحث عنه لتعرف ما فيه من الامور الجليلة. قال ابو حيان تقرير
لتجمع نفس المخاطب كما تبدا اذا اردت ان تحدثه بعجب فتقرره هل سمع ذلك ام لا فكانك تقتضي بان يقول
لا او يستطعمك الحديث انتهى **هل أتاك** يا اكمل الخلق **حديث ضيف** عبر عنهم بلفظ الواحد اشارة الى
اتحاد كلمتهم **إبراهيم** وهو خليلنا ودل على انه لم يعرف شيا مما اتوا له بقوله دالا على انهم جمع
المكرمين اي الذين هم اهل للكرامة واكرمهم ابراهيم عليه السلام بقوله وفعله ففي حديثه ذلك
انه يبنيه على ما بين في هذه السورة من قدرة الله تعالى وصدقه وعده ووعيده مع ما فيه من التسلية
لك ولمن تبعك والبشارة باكرام المصدق واهانة المكذب. قال القشيري وقيل كان عددهم
اثني عشر ملكًا وقيل جبريل عليه السلام وكان معه تسعة وقيل كانوا ثلثة **إذ** اي حديثهم
حين **دخلوا عليه** اي دخول استعلا مخالف لدخول بقية الضيوف **فقالوا سلامًا** اي نحدث ثم
استانف الاخبار عن جوابه بقوله **قال** اي بلسانه **سلام** اي ثابت دايمًا فهو احسن من تحيتهم
ولما كان ما ذكر من دخولهم وسلامهم غير مستغرب عند المخاطبين بهذا وكانت القصة قد ابتدئت
بما دل على غرابة ما يقص منها تشوف السامع الى ما كان بعد هذا فاجيب بقوله **قوم** اي ذوو قوة
على محاولة ما يقومون فيه **منكرون** اي حالهم لا لباسه اهل لان ينكره المنكر وقدم هذا على موضعه
الذي كان اليق به فيما يظهر بادي الراي ايضاحًا لان السياق لخفا الاسباب على الآدمي وبعدها
وان كانت في غاية الظهور والقرب ولوانه في غاية العلو فان انكاره لهم كان متاخرًا عن احضار الاكل
لكونهم لم ياكلوا وهذا القول كان في نفسه ولم يواجههم به. ولما اشار الجانه حين انكاره لهم لم
يعرف من اي نوع هم ولا خصوص ما هم فيه رتب على رده لسلامهم انه اسرع غاية الاسراع في احضار
ما ينبغي للضيف على ظن انهم ادميون فقال **فراغ** اي ذهب في خفية وخفية ومواضع ستره عن اعينهم
كما هو من اداب الضيافة خوفًا من ان يمنعوه او يكدر عليهم الانتظار **إلى أهله** اي الذين عندهم بقره
فجاء بعجل اي فتى من اولاد البقر **سمين** قد سواه وانضجه **فقربه إليهم** ولما اخبر بما ينبغي الاجاد

به من امر الضيافة الا الاكل كان من المعلوم ان التقدير فكان كانه قيل فماذا قال لهم حين لم ياكلوا
قيل قال اي منادياً بغاية الادب ملوحاً بالانكار الا تاكلون اي منه ولما كان كانه قيل فلم ياكلوا
سبب عنه قوله فاوجس اي اضمر اضماراً حاكى في جميع سره منهم خيفة لاجل انكاره عدم اكلهم فانه لما
وقع اعراضهم عن الطعام ذهب وهمه في سبب اتيانهم اليه كل مذهب قالوا مؤنسين له لا تخف
واعلموه انهم رسل الله وبشروه بغلام باتيه على شيخوخته ويأس امراته بالطعن في السن بعد عقمها وهو
اسحق عليه السلام ولما كان السياق لخفا الاسباب كان في الذروة وصفه بقوله عليم اي مجبول
جبلة مهيأة للعلم ولا يموت حتى يظهر علمه بالفعل في اوانه ولما كانا بعيدين عن قبول الولد تسبب عن
ذلك قوله دالا على ان الولد اسحق مع الدلالة على ان خفا الاسباب لا يؤثر في وجود المسببات فاقبلت
اي من سماع هذا الكلام امراته ولما كانت قد امتلأت عجبا عبر بالظرف فقال في صرة اي صيحة وكرب
من الضير قد احاط بها فذهب وهمها في ذلك كل مذهب فصكت اي ضربت بسبب تعجبها باطراف انامله
فعل المتعجب وجهها للتلاشي اسباب الولد في علمها بحسب العادة مع معرفتها بان العبرة في الاسباب وان
كانت سليمة بالمسبب لا بها قال البغوي واصل الصك ضرب الشي بالشي العريض وقالت تريد ان تستبين
الامر هل الولد منها او من غيرها عجوز ومع العجز عقيم مني في حال شبابها لم تكن تقبل الحبل قال القشيري
قيل انها كانت يومئذ ابنة ثمان وتسعين سنة ولما كان في هذا اشد تشوف الى الجواب استانف تعالى
الجواب بقوله قالوا كذلك اي مثل ما قلناه من هذه البشرى العظيمة قال ربك اي المحسن اليك بما هيأك لذلك
على ما ذكرت من حالك وبما هيأكم من قبل للاتصال بخليله صلى الله عليه وسلم ولما كان محط تعجبها ان ذلك
كان بايام شبابها اولى عللوا اخبارهم تاكيداً لانه مؤكدين لان قولها وفعلها فعل المنكر وان كانت ما ارادته
به الاستثبات انه هو اي وحده الحكيم الذي يضع الاشيا في احق مواضعها فرتب عظمة هذا المولود على كل من
عقمك وعجزك ثم عللوا ذلك بقولهم العليم اي المحيط العلم فهو لذلك لا يعجزه شي لما تقدم من البرهان في سورة
طه ان احاطة العلم تستلزم شمول القدرة ولما كان الخليل عليه السلام اعلم اهل زمانه بالامور الالهية
علم ان اجتماع الملائكة على تلك الهيئة التي رآهم فيها ليس لهذه البشارة فقط فلذلك استانف تعالى الجواب لمن كانه
قال ما كان من حاله وحالهم بعد هذا بقوله قال مسببا عما راى من حالهم فما خطبكم اي خبركم العظيم ايها
المرسلون اي لامر عظيم قالوا قاطعين بالتاكيد بان مضمون خبرهم حتم لا بد منه ولا مدخل للشفاعة فيه انا
ارسلنا اي بارسال من تعلم الى قوم مجرمين اي هم في غاية القوة على ما يحاولونه وقد صرفوا ما انعم الله
به عليهم من القوة في قطع ما يحق وصله ووصل ما يحق قطعه لنرسل عليهم اي من السما التي فيها ما وعد العباد به
وتوعدوا حجارة من طين اي مهيأة للاحراق والاحراق مسومة اي معلمة بعلامة العذاب المخصوص ولما
راوا اهتمامه بالعلم بخبرهم خشية من ان يكونوا ارسلوا العذاب احد يعز عليه امره امنوا خوفه بوصف
الاحسان فقالوا عند ربك اي المحسن اليك بهذه البشارة وغيرها للمسرفين اي المتجاوزين للحدود غير
قانعين بما ابيح لهم ولما كان من المعلوم ان القوم يكونون تارة في مدر وتارة في شعر وعلم من الاية
السالفة ان العذاب مختص بذوي الاسراف سبب عن ذلك مفصلا لخبرهم قوله تعالى معلما انهم في مدر
فاخرجنا اي بما لنا من العظمة بعد ان ذهبت رسلنا اليهم ووقعت بينهم وبين لوط عليه السلام محاولات
معروفة لم تدع الحال هنا الى ذكرها والملائكة سبب عذابهم واهل القرية المحاولون في امرهم لا يعرفون ذلك
وهذه العبارة ان كانت اخبارا لنا كانت جزاعما وقع لنعتبر به وان كانت لابراهيم كان معناها ان الحكم الاعظم
وقع باخراجهم بشارة له بنجاتهم من كان فيها اي قراهم ولما كان القلب عماد البدن الذي بصلاحه او
فساده يكون صلاح الاعمال لانه به يكون استسلام الاعضا اوجاها بدابه فقال من المومنين اي

المصدقين

المصدقين بقلوبهم لانا لا نسويهم بالمجرمين فخلصناهم من العذاب على قلتهم وضعفهم وقوة المخالفين وكثرتهم
وسبب عن التنفيس والستر والمعرف للظواهر قوله فما وجدنا اسند الامر اليه تشريفا لرسله اعلاما بان
فعله فعلهم فيها غير بيت اي واحد وهو بيت ابن اخي ابراهيم عليهما السلام وقيل كانت عدة الناجين منهم
ثلثة عشر ولما كان الاسلام قد يطلق على الظاهر فقط وان كان المراد هنا الاخص احرزه فقال من
المسلمين اي العريقين في الاسلام الظاهر والباطن لله من غير اعتراض اصلا وهم ابراهيم وآله عليهم السلام
فانهم اول من وجد منه الاسلام الاتم وسموا به كما مضى في البقرة وسموا به اتباعهم فكان هذا البيت
الواحد صادقا عليه الايمان الذي هو التصديق والاسلام الذي هو الانقياد قال البغوي وصفهم الله
تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم يعني لما بينهما من التلازم وان اختلف المفهوم
وقال الاصبهاني وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر ولما كان ابقا اثار المهلكين
ادل على قدرة من اهلكهم قال وتركنا اي بما لنا من العظمة فيها اي تلك القرى بما اوقعنا بها من
العذاب الذي كان مبداؤه انسب شي بفعل الذاريات بالسحاب فانا قلعنا قراهم كلها وصعدت في الجو
كالغمام الى عنان السما ولم يشعر احد من اهلها بشي من ذلك ثم قلبت واتبعت الحجارة ثم خسف بها وغمرت
بالما الذي لا يشبه شيا من مياه الارض كما ان خباثتهم لم تكن تشبه خباثة احد ممن تقدمهم من اهل الارض
اية اي علامة عظيمة على قدرتنا على ما نريد للذين يخافون كما تقدم آخر ق انهم المقصودون في الحقيقة
بالانذار لانهم المنتفعون به دون من قسي قلبه فلم يعتبر العذاب الاليم اي ان يحل بهم كما حل باهل
القرى في الدنيا من رفع الملائكة لهم في الهوا الذاري الى عنان السما وقلبهم واتباعهم الحجارة المحرقة
وغمرهم بالما المناسب لفعلهم بنتنه وعدم نفعه وما ادخر لهم في الاخرة اعظم ولما قدم سبحانه احق
القصص الدالة على قسمه وما اقسم عليه بما فيها من خفا الاسباب مع وجودها ثم ما فيها من انزال ما
به الوعيد من السما بالنار والما الذي اشير اليه بالمقسمات مع الفرق بين المسلم والمجرم اتبعها قصة
من ايدت بحاملات فيها مطر وبرد ونار مضطرمة كما مضى بيانه في الاعراف ثم بعد ذلك بريح فرقت البحر
وشقت ارضه ودخله فرعون والقبط وهو واضح الامر في انه سبب هلاكهم وهم لا يشعرون به
فقال عاطفا على المقدر في قصة ابراهيم عليه السلام او الظاهر في وفي الارض او على في التي في قوله وتركنا
فيها اية للذين يخافون وهذا اقرب من غيره واولى وفي موسى اي في قصته وامره اية على ذلك عظيمة اذ
ارسلناه بعظمتنا الى فرعون الذي كان قد اسا الى ابراهيم عليه السلام بعد عظيم احسانهم اليه والى جميع
قومه بما احسن اليهم يوسف عليه السلام بسلطان مبين اي معجزات ظاهرة في نفسه منادية من شدة
ظهورها بانها معجزة فكان فيها دلالة واضحة على صدق وعيده ومع ذلك فلم ينفعهم علمها ولذلك سبب عنه
وعقب به قوله فتولى اي كلف نفسه الاعراض عنها بعد ما دعاه علمها الى الاقبال اليها واشار الى قوله
بقوله بركنه اي بسبب ما يركن اليه من القوة في نفسه وباعوانه وجنوده او بجميع بدنه كناية عن المبالغة
في الاعراض وقال معللا بعجزه عما اتاه به وهو لا يشعر ساحر ثم ناقض كما قضيتم فقال بجهله عما يلزم
على قوله او مجنون اي لاجترائه على مع ما لي من عظيم الملك بمثل هذا الذي يدعو اليه ويتهدد عليه
ولما وقعت التسلية بهذا للاوليا قال تعالى محذرا للاعدا فاخذناه اي اخذ غضب وقهر بعظمتنا
مما استدرجناه واوهناه به من العذاب الذي منه سحاب حامل ما وبردا ونارا وصواعق وجنوده
اي كلهم فنبذناهم اي طرحناهم طرح مشتهين بهم مستخف لهم كما تطرح الحصيات في اليم اي البحر الذي
هو اهل لان يقصد بعد ان سلطنا الريح عليه ففرقته لما ضربه موسى عليه السلام بعصاه وتنشفت ارضه
فايبست ما ابرزت فيه من الطرق لنجاة اوليائنا وهلاك اعدائنا وهو اي والحال ان فرعون مليم اي

آتٍ بما هو بالغ في استحقاقه الملامة ويجوز ان يكون حالًا من اليم بمعنى انه فعل بهم فعل الملايم لهم من الآمه اذا بالغ في عذله وصار ذا لايمه اي لهم من الامر لازمًا وان يكون مخففا من لام المهموز فيكون المعنى فهو مصلح اي فاعل بفعل المصلحين في انجا الاوليا واغراق الاعدا بالالتيام والانطباق عليهم قال في القاموس اللوم العذل لامه لومًا والامه ولومه للمبالغة والام اتي ما يلام عليه او صار ذا لايمة ولامه بالهمز كمنعه نسبه الى اللوم والتهم اصلحه كالامه ولامه فالتام ولا يضر يونس عليه السلام انه يعبر في حقه بنحو هذه العبارة فان اسباب اللوم تختلف كما ان اسباب المعاصي تختلف في قوله وعصوا رسله وعصى ادم ربه وبحسب ذلك يكون اختلاف نفس اللوم ونفس المعصية **ولما** اتم قصة من جمع له السحاب والما والنار والريح اتبعها قصة من اتاهم بريح ذارية لم يوجد قط مثلها وكان اصلها موجودا بين ظهرانيهم وهم لا يشعرون به بل قاربت الوصول اليهم وهم يظنونها مما ينفعهم فقال **وفي عاد** اي اية عظيمة **اذ** اي حين **ارسلنا** بعظمتنا **عليهم** ارسال علو واخذ **الريح** فانهم تحمل سحابة سودا وهي تذري الرمل وترمي بالحجارة على كيفية لا تطاق **العقيم** اي التي لا ثمرة لها فلا تلقح شجرا ولا تنشي سحابا ولا تحمل مطرا ولا رحمة فيها ولا بركة فلذلك اهلكتهم هلاك الاستيصال ثم بين عقمها واعقامها بقوله **ما تذر** اي تترك على حالة ردية واعرق في النفي فقال **من شي** **ولما** كان اهلاكها انما هو بالفاعل المختار نبه على ذلك باداة الاستعلا فقال **اتت عليه** اي اتيانا اراد مرسلها استعلاها على ظاهره وباطنه واما من اريدت رحمته كهود عليه السلام ومن معه رضي الله عنهم فكانت لهم روحا وراحة لا عليهم **الا جعلته كالرميم** اي الشي البالي الذي دكته الايام والليالي فصيرته البلى الى حالة الرماد وهي في كلامهم ما يبس من نبات الارض ودِيس قاله ابن جرير وخرج بالتعبير بتذر هود عليه السلام ومن معه من المومنين رضي الله عنهم فانها تركتهم على حالة حسنة لم تمسهم منها سو كما اشير الى مثل ذلك باداة الاستعلا **ولما** اتم ما اقتضاه سياق السورة من قصة اهل الريح الذارية اتبعها قصة من اهلكوا بما تحمله السحاب من الصاعقة وما تحمله الريح من صوت الصيحة الراجفة الماحقة فقال **وفي ثمود** اي قوم صالح عليه السلام اية عظيمة كذلك **اذ** اي حين **قيل لهم** ممن لا يخلف الميعاد **تمتعوا** اي بلبن الناقة وغيره مما مكناكم فيه من الزروع والنخيل والابنية في الجبال والسهول وغير ذلك من جلايل الامور على الوجه الذي امرناكم به ولا تطغوا **حتى حين** اي وقت ضربناه لاجالكم **فعتوا** اي اوقعوا بسبب احساننا اليهم العتو وهو التكبر والابا **عن امر ربهم** اي مولاهم الذي اعظم احسانه اليهم فعقروا ناقته وارادوا قتل نبيه عليه السلام **فاخذتهم** بسبب عتوهم اخذ قهر وعذاب **الصاعقة** اي الصيحة العظيمة التي حملتها الريح فاوصلتها الى مسامعهم بغاية العظمة ورجت ديارهم رجة ازالت ارواحهم بالصعق وقوله **وهم ينظرون** دال على انها كانت في غمام وكان فيها نار ويجوز مع كونه من النظر ان يكون ايضا من الانتظار فانهم وعدوا نزول العذاب بعد ثلاثة ايام وجعل لهم في كل يوم علامة وقعت بهم فتحققوه في اليوم الرابع **فما** اي فتسبب عن ذلك انهم ما **استطاعوا** اي تمكنوا واكد النفي فقال **من قيام** اي بعد مجيها بل عاجلتهم باهلاكها عن القيام **ولما** كان الانسان قد لا يتمكن من القيام لعارض في رجليه وينتصر من عدوه بما يرتبه بعقله ويدبره برايه قال **وما كانوا** اي كونا ما **منتصرين** اي لم تكن فيهم اهلية الانتصار بوجه لا بانفسهم ولا بناصر ينصرهم فيطا وعونه في النصرة لان تهيوهم لذلك سقط بكل اعتبار **ولما** اتم قصة من اهلكوا بما من شانه الاهلاك وهو الصاعقة اتبعهم قصة من اهلكوا بما من شانه الاحيا وهو الما الذي هو جل ما تشتمل عليه الحاملات التي اثارتها الذاريات وقد كان موجودا في الارض والسما واسبابه مهياة وهم لا يحسون بشي من ذلك واما عبادنا المومنون فهيانا لهم اسباب

النجاة

النجاة من السفينة وغيرها واعلمناهم بها فكان كل ما اردنا وقاله عنا اولياونا فقال مغيرا للاسلوب تنبيها على العظمة بنفس الاهلاك لكونه بما شانه الاحيا والابقا وبالتصرف في الاسباب **وقوم** اي واهلكنا قوم **نوح** على ما كان فيهم من الكثرة وقوة المحاولة والقيام بما يريدونه ويجوز ان يكون معطوفا على فيها اي وتركناهم اية ويحسن هذا الاعراب انهم لكونهم هلكوا جميعا وكانوا جميع اهل الارض وعم عذابهم جميع الارض كانوا هم اية ويويد هذا الاعراب ايضا قراة ابي عمرو وحمزة والكسايي بالجر عطفا على ضمير فيها **ولما** كان اهلاكهم على عظمهم وانتشارهم في بعض الزمان ادخل الجار فقال **من قبل** اي قبل هذه الامم كلها ثم علل اهلاكهم بقوله **انهم كانوا** خلقا وطبعا لا جبلة لغيرنا من اهل الاسباب في صلاحهم **قوما** اي اقويا **فاسقين** اي عريقين في الخروج عن حظيرة الدين **ولما** كان اهلاكهم بالما الذي نزل من السما وطلع من الارض بغير حساب كان ربما ظن ظان ان ذلك خلل كان فيهما ثم اصلح بعد ذلك كما يقع لبعض من يصنع من الملوك صنعا يبالغ في اتقانه فيختل قال عاطفا على ما نصب قوم مبينا ان فعل ذلك ما كان الا باختيار دالا على وحدانيته لتمام الدلالة على ما تقدم من امر البعث **والسما بنيناها** بما لنا من العظمة **بايد** اي بقوة وشدة عظيمة لا يقدر قدرها **ولما** كانت السما اليق لعظمتها وظهارتها بصفات الالهية قال واكد لما يلزم انكارهم للبعث من الطعن في القدرة **وانا** على عظمتنا مع ذلك **لموسعون** اي اغنيا وقادرون ذو واسعة لا تتناهى اي قدرة من الوسع وهو الطاقة ولذلك اوسعنا مقدار جرمها وما فيها من الرزق عن اهلها فالارض كلها على اتساعها كالنقطة في وسط دايرة السما بما اقتضته صفة الالهية التي لا يصح فيها الشركة اصلا ومطيقون لما لا يحصى من امثال ذلك ومما هو اعظم منه بما لا يتناهى ومحيطون بكل شي قدرة وعلما وجديرون حقيقون بان يكون ذلك من اوصافنا فنوصف به لما يشاهد لنا من القوة على كل ما نريد فلسنا كمن تعرفون من الملوك لانهم اذا فعلوا اشيا لم يقدروا على اعظم منه وان قدروا كان ذلك منهم بكلفة ومشقة وسترون في اليوم الاخر ما يتلاشى ما ترون في جنبه ومن اتساعنا جعلها بلا عمد مع ما هي عليه من العظمة الى غير ذلك من الامور الخارقة للعوايد **والارض فرشناها** كذلك بما لنا من العظمة فصارت ممهدة جديرة بان يستقر عليها الاشيا وهي اية على تمهيدنا لارض الجنة وشقنا لانهارها وغرسنا لاشجارها **فنعم** اي فتسبب عن ذلك ان يقال في وصفنا نعم **الماهدون** اي نحن لكمال قدرتنا فما نزل من السما شي ولا نبع من الارض شي الا بارادتنا واختيارنا وتقديرنا من الازل لانا اذا صنعنا شيا علمنا ما يكون منه من حين ابتدايه الى حين افنايه ولا يكون شي منه الا بتقديرنا وذلك تذكير بالجنة والنار فما فيها من خير فهو اية على الجنة ومما فيها من جبال ووهاد ووعر وحزونة فهو اية على النار **ولما** كان خلق الاشيا المتضادة من الشي الواحد ادل على القدرة من هذا الوجه قال **ومن كل شي** اي من الحيوان وغيره **خلقنا** بعظمتنا ولما كان الفلاسفة يقولون انه لا ينشا عن الواحد الا واحد قال ردا عليهم **زوجين** اي شيا مثله شيين كل منهما يزاوج الاخر من وجه وان خالفه من اخر ولا يتم نفع احدهما الا بالاخر من الحيوان والنبات وغيرهما ويدخل فيه الاضداد من الغنى والفقر والحسن والقبح والحياة والموت والظلام والنور والليل والنهار والصحة والسقم والبر والبحر والسهل والجبل والشمس والقمر والحر والبرد اللذين هما من نفس جهنم اية بينة عليها وبناهما على الاعتدال في بعض الاحوال اية على الجنة مذكرة بها مشوقة اليها **ولما** كان ذلك في غاية الدلالة على ان كلا من الزوجين محتاج الى الاخر وانه لا بد ان ينتهي الامر الى واحد لا مثل له وانه لا يحتاج ذلك بعد التنبيه الى كبير تامل قال **لعلكم تذكرون** فادغم تا التفعل الدالة على العلاج والاجتهاد في العمل فصار المعنى لتكونوا عند من ينظر ذلك حق النظر على رجا من ان تتذكروا قليلا

من التذكر فيهديكم الى سوا السبيل ولما كان كل شي من سواه لا بد له من ضد يضاده او قرين يسد
مسده واما هو سبحانه فلا مثل له لانه لو كان له مثل لنازعه فلم يقدر على كل ما يريده وثبت انه
اهلك القرون الاولى لمخالفة الرسل عليهم السلام فثبت ان ورا المكلفين عذابا يحق لهم الفرار منه
وثبت ان كل شي غيره محتاج الى زوجة فثبتت حاجة الكل وانه لا كفاية عند شي في كل ما يرام منه
وجب ان لا يفزع الا الى الواحد الغني فتسبب عن ذلك قوله **ففروا** اي اقبلوا والجاوا **ولما**
درب عباده في هذه السورة بصفة الربوبية كثيرا فتاهلوا الى النفوذ في الغيب وكانت العبادة
لا تكون خالصة الا ان علقت بالذات لا لشي آخر ذكر اسم الذات فقال **الى الله** اي الذي لا سمي له
فضلا عن مكافي وله الكمال كله فهو في غاية العلو فلا يفر ويسكن احد الى محتاج مثله فان المحتاج لا غنا
عنده ولا يفر اليه سبحانه الا من تجرد عن حضيض عوايقه الجسمية الى اوج صفاته الروحانية وذلك
من وعيده الى وعده اللذين دل عليهما بالزوجين فتكفل السياق بالتحذير والاستعطاف بالاستدعا
فهو من باب لا ملجا منك الا اليك اعوذ بك منك واستمر الى آخر السورة في ذكر اشارة الى علي امره ثم
علل بقوله مؤكدا لما لهم من الانكار **اني لكم منه** اي لا من غيره **نذير** اي من ان يفر احد الى غيره فانه
لا يحصل له قصد **ولما** اقام الدليل العقلي الظاهر جدا بما يعلمه كل احد في نفسه على ما قاله في هذا
الكلام الوجيز قال **مبين** ففرار العامة من الجهل الى العلم عقدا وسعيا ومن الكسل الى التشمير حذرا
وحزما ومن الضيق الى السعادة ثقة ورجا وفرار الخاصة من الخبر الى الشهود ومن الرسوم الى الاصول
ومن الحظوظ الى التجريد وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق الى الحق استتارا في شهود جلاله واستغرا
في وحدانيته قاله القشيري ومن صح فراره الى الله صح قراره مع الله انتهى وهو بكمال المتابعة ليس
غير ومن فهم منه اتحادا بذات او صفة فقد نابذ طريق القوم فعليه لعنة الله **ولما** ثبت انه لا ملجا
الا الى الواحد المنزه عن الزوج وذلك هو الله الذي له الكمال وكان ربما وقع في وهم ان في الوجود
من غير الزوجين المعروفين من يفزع اليه كما يفزع الى وزير الملك وبوابه ونحو ذلك مما يوصل اليه قال محذرا
من سطواته **ولا تجعلوا** اي باهوايكم **مع الله** وكرر الاسم الاعظم ولم يضمر تعيينا للمراد لانه لم يشاركه
في التسمية به احد وتنبيها على ما له من صفات الكمال وتعميما لوجوه المقاصد لئلا يظن لو قيل معه ان
المراد النهي عن الجعل من جهة الفرار لا من جهة غيرها **الها** ولما كان المراد كمال البيان منع مجاز
التجريد ومنع تعنت من يطعن بتكثر الاسما كما اشار اليه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية بقوله **آخر**
ثم علل النهي مع التاكيد لطعنهم في نذارته فقال **اني لكم منه** اي لا من غيره فان غيره لا يقدر على شي **نذير**
اي محذر من الهلاك الابدي بالعقوبة التي لا خلاص منها ان فعلتم ذلك **مبين** اي لا اقول شيا من واضح
النقل الا ودليله ظاهر من صريح العقل ولما ذكر توهم المختلف الذي منه تكذيب الرسول صلى الله عليه
وسلم ونسبته الى السحر والجنون وغير ذلك من الفنون ومنه الاشراك مع اعترافهم بانه لا خالق الا الله ولا
كاشف للضر غيره الى غير ذلك من انواع الاضطراب واخبر بهلاكهم على ذلك وحذرهم منه ودل عليه الى ان ختم
بانذار من اتخذ الها آخر غيره قال مسليا **كذلك** اي مثل [قول] قومك المختلف العظيم الشناعة البعيد من الصواب
بما له من الاضطراب وقع لمن قبلهم ودل على هذا المقدر بقوله مستانفا **ما اتى الذين** ولما كان الرسل
انما كان ارسالهم في بعض الازمان الماضية ولم يستغرقوا جميعها باثبات الجار في قوله **من قبلهم**
وعم النفي بقوله **من رسول** اي من عند الله **الا قالوا** اي ولو بعضهم برضى الباقين **ساحر او مجنون** لان
الرسول ياتيهم بمخالفة ما الفوا مما ابتهم اليه فادتهم اليها اهواؤهم والهوى هو الذي اوجب لهم هذا التناقض
الظاهر سوا كانت او للتفصيل بان بعضهم قال واحدا وبعضهم قال آخر او كانت للشك لان الساحر يكون لبيبا

فطنا

فطنا اتيانا بما يعجز عنه كثير من الناس والمجنون بالضد من ذلك ثم عجب منهم بقوله **اتواصوا به** اي اوصى بعضا
بعض الاولين والآخرين ولما ساق هذا في اسلوب الاستفهام اشارة الى انه قول ينبغي السوال عن
سببه لما له من الخفا اجاب عنه بانهم لم يتواصوا به لان الاولين ما اجتمعوا مع الآخرين **بل هم** اجتمعوا
في وصف اداهم الى ذلك وهو انهم **قوم** اي ذووا شماخة وكبر **طاغون** اي عالون في الكفر مسرفون
في المعاصي والظلم متجاوزون للمقدار واشار بالضمير الى ان الطغيان امر ذاتي لهم فهو تمدح منه سبحانه [...سبانه]
هو الذي قهرهم بسوقهم الى الهلاك بقدرته التامة وعلمه الشامل ولما كان صلى الله عليه وسلم يكاد
يتلف نفسه الشريفة بابي هو وامي غما عليهم واسفا لتخلفهم عن الاسلام وخوفا ان لا يكون وفى بما عليه من
التنبيه والاعلام سبب تعالى عن حالهم قوله **فتول عنهم** اي كلف نفسك الاعراض عن الابلاغ في ابلاغهم
بالمجادلة والصدع بالتغليظ بعد ما تقدم منك من الابلاغ **فما انت** بسبب الاعراض بعد الانذار **بملوم**
اي بمستحق للملامة بسبب اعراض من اعرض منهم عنك فاني انا حكمت بذلك لاني قسمت الناس الى مؤمن تنفعه
الذكرى وطاغ لا ينفعه شي ولذلك قال **وذكر** اي بالرفق واللين ولما اصروا على التكذيب والاعرا[ض]
حتى ايس منهم الكرما سببه عن التذكير بقوله **فان الذكرى** اي التذكرة البليغة **تنفع المؤمنين** اي الذين
قدر الله ان يصيروا عريقين في وصف الايمان ولا بد من اكثار التذكير ليغلب ما عندهم من نوازع الحظوظ
وصوارف الشهوات مع ما هم مجبولون عليه من النسيان ولما كان هذا ربما اوهم ان سواهم غير
مقدور عليهم قال مؤكدا بالحصر دالا على انه هو الذي قسم الناس الى طاغين ومؤمنين بالعطف على ما تقديره
فما حكم عليهم بذلك الضلال والهدى غيري وما ارسلت الرسل وانزلت الكتب الا لاستخلاص المؤمنين واقامة
الحجة على الضالين **وما خلقت الجن والانس** اللذين اكثرهم كافرون **الا ليعبدون** اي ليجروا اختيارا قضيتي
على وجه ينفعون به انفسهم او يضرونها لا لشي يلحقني انا منه شي من نفع او ضر فالى بنيتهم على العجز
واودعتهم نوازع الهوى وركبت فيهم غرايز فهيا تهم بها لاتباع الهدى فمن اطاع عقله كان عابدا
لي فارا الي مع جريه تحت الارادة عبادة شرعية امرية يستفيد بها الثواب ومن اطاع الهوى كان
عابدا لي مع مخالفة امري عبادة ارادية قسرية يستحق بها العقاب وكل تابع لهواه اذا حقق النظر
علم ان الخير في غير ما هو مرتكبه فما الزمه ما هو فيه مع علمه بان غيره خير منه الا قهر ارادتي فهذا عبادة
لغوية وذاك عبادة شرعية وقد مر في آخر هود ما ينفع هنا وهذا كله معنى قول ابن عباس الا ليقرو[ا]
لي بالعبودية طوعا وكرها ولما حصر سبحانه خلقهم في ارادة العبادة صرح بهذا المفهوم بقوله
ما اريد منهم اي في وقت من الاوقات وعمم في النفي بقوله **من رزق** اي شي من الاشيا على وجه ينفعني
من جلب او دفع لاني منزه عن لحاق نفع او ضر كما يفعل غيري من الموالي بعبيدهم من الاستكثار بغلاتهم
والاستعانة بقواتهم لاني الغني المطلق وكل شي مفتقر الي **وما اريد** اصلا **ان يطعمون** اي يرزقون رزقا
خاصا هو الاطعام وفيه تعريض باصنامهم فانهم كانوا يعملون معها ما ينفعها ويحضرون لها الماكل فربما
اكلتها الكلاب ثم بالت على الاصنام ثم لا يصدهم ذلك وهذه الاية دليل على ان الرزق اعم من الاكل
والتعبير بالارادة دال على ما قلت انه مقصود بالعباد وهو الجري تحت الارادة تارة بموافقة
الشرع وتارة بمخالفته ولما كان الاهتمام بامر الرزق وقد ضمنه سبحانه شاغلا عن كثير من
العبادة وكان الانسان يظن ان الذي حصل له ما حواه من الرزق سعيه قال حاصرا ذلك مؤكدا
ازالة لتلك الظنون معللا لافتا الكلام الى سياق الاسم الاعظم الذي لم يتسم به غيره نصا على المراد
وبالغا من الارشاد اقصى المراد **ان الله** اي المحيط بجميع صفات الكمال المنزه عن جميع شوايب النقص
هو اي لا غيره **الرزاق** اي على سبيل التكرار لكل حي وفي كل وقت ثم وصفه بما يبين هوان ذلك عنده

فقال ذو القوة اي التي لا تزول بوجه المتين اي الشديد الدايم الشدة ولما اقسم سبحانه
علي الصدق في وعيدهم ودل علي ذلك حتي ختم بقصر جميع احوالهم علي ارادته وحتم بقوته التي لا احد لها سبب
عن ذلك ايقاعه بالمتوعدين فقال مؤكدا لاجل انكارهم فان للذين ظلموا اي اوقعوا الاشيا في غير
مواقعها ولما كان القسم علي ما يوعدون بما يحمل المطر عبر عن نصيبهم الذي قدره عليهم من
ذلك بقوله ذنوبا اي حظا من العذاب طويل الشر كانه من طوله صاحب ذنب وهو علي ذنوبهم
مثل ذنوب اصحابهم اي الذين تقدم ظلمهم بتكذيب الرسل وهو في مشابهته له كالدلو الذي
يساجل به دلو آخر وذلك دليل واضح علي ان ما يوعدون صادق وان الدين واقع فلا يستعجلون
اي يطلبوا ان آتيهم به قبل اوانه اللاحق به فان ذلك لا يفعله الا ناقص وانا متعال عن ذلك لا اخاف
الفوت ولا يلحقني عجز ولا اوصف به ولا بد ان اوقعه بهم في الوقت الذي قضيت به في الازل
لانه احق الاوقات بعقابهم لتكامل ذنوبهم وحينئذ يكون فياله من تهديد ما اقطعه ووعيد ما
اعظمه واوجعه امرا لا يدفعه دافع ولا يمنع وقوعه مانع ولذلك سبب عنه قوله فويل اي شر
حال وعذاب يوجب الندب والتفجع للذين كفروا اي ستروا ما ظهر من هذه الادلة التي لا يسع عاقلا
انكارها من يومهم اضافة اليهم لانه خاص بهم دون المومنين الذي يوعدون في الدنيا
والاخرة وقد انطبق آخرها علي اولها بصدق الوعيد وثبت بالدليل القطعي ذلك القسم الاكيد

مقصودها تحقيق وقوع العذاب الذي هو مضمون الوعيد المقسم علي وقوعه في الذاريات الذي
هو مضمون الانذار المدلول علي صدقه في ق وان وقوعه اثبت وامكن من الجبال التي اخبر الصادق بتسييرها
وجعل ذلك بعضها اية علي ذلك ومن الكتاب في اثبت اوضاعه لامكان غسله وحرقه ومن البيت الذي
يمكن عامره وغيره اخرابه والسقف الذي يمكن رافعه وضعه والبحر الذي يمكن من سجره ان يرسله
وقد بان ان اسمها ادل ما يكون علي ذلك بملاحظة القسم وجوابه حتي بمفردات الالفاظ في خطابه
بسم الله الملك الاعظم ذي الملك والملكوت الرحمن الذي عم بالرحموت من حققه النبوت
الرحيم الذي خص برحمة توفيقه اهل القنوت لما ختمت الذاريات بتحقيق الوعيد افتتح هذه
باثبات العذاب الذي هو روح الوعيد فقال تعالي والطور وذلك انهم لما كانوا يقولون عما اتاهم
به الرسول صلي الله عليه وسلم انه سحر خيال لا حقيقة له اقسم بالجبل الذي هو عندهم وعند غيرهم
من ذوي العقول اثبت الارض واشدها واصلبها وعبر عنه بالطور لانه مشترك بين مطلق الجبل وبين
المضاف الي سينا الذي كان فيه نبوة موسي عليه السلام وانزال كثير من كتابه وغير ذلك ايات يعلمها
بنوا اسرايل الذين يستنصحونهم ويسالونهم عن النبي صلي الله عليه وسلم ويرضون بقولهم فيه فمن اياته
انه كانت فيه الرحمة بمناجاة موسي عليه السلام وما كتب له فيه علي الواح الجوهر وما انزل عليه من التورية
الذي جعله هدي ورحمة وموعظة وذكرا وتفصيلا لكل شي وكان فيه مع الرحمة العذاب بما اتاهم
من الصاعقة التي اماتتهم ثم احياهم الله وبما كانوا يشاهدون من السحاب الذي تحلله فيكون كقتار
الاتون وفيه بروق كاعظم ما يشاهد من النار وابراق ترعق بصوت هايل ولما شوهد من اندكاك
الجبل عند التجلي وصعق موسي عليه السلام الي غير ذلك من الايات التي بعضها يكشف الظلمات وايضا
فالطور كل جبل ينبت وانبات الجبل عجيب فان نباته لا يكون الا بسبب وسبب النبات الما والما منبث
في الارض لتركبها عليه وهو مواز لما انكشف منه في ما البحار وكلما علت الارض بعدت عن الما والجبال

ابعدها

ابعدها منه فسبب انباته خفي جدا لا يعلمه الا الله ومن فهمه اياه ولما كانت الارض لوح السما
التي منها الوعيد وكانت الجبال اشدها فذكر اعظمها اية وكان الكتاب لوح الكاتب وكانت الكتب
الالهية اثبت الكتب وكان طور سينا قد نزل فيه كتاب الهي قال وكتاب وحقق امره بقوله مسطور
اي متفق الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مرتبة جامعة للكلمات متفقة ككتاب موسي عليه السلام
الذي انزله عليه وكلمه في الطور وتنكيره للتعظيم لانه ان كان المراد به الكتب الالهية فهو اثبت الاشيا
وان كان المراد القران بخصوصه فهو اثبتها لا مبدل لكلماته وان كان المراد صحيفة قريش فقد كانوا
ظنوها اثبت العهود وذكر امتن ما يكتب فيه واشده واتقنه فقال في رق اي جلد مهيا بالقشر للكتابة
منشور اي مهيا للقراة والاتعاظ بما فيه ويمكن ان يكون اراد به جميع الكتب المنزلة عاما بعد
خاص قال الرازي قال الصادق ان الله تجلي لعبده بكتابه كما تجلي بالطور لما كان محلا للتجلي خلقا والكتاب
لما كان محلا للتجلي امرا اجراهما في قرن انتهي ويجوز ان يكون اراد به سبحانه صحيفة الظلم التي كتبوها
بما تعاقدوا عليه من انهم لا يعاشرون بني هاشم ولا يكالمونهم ولا يبايعونهم ولا يشاورونهم ولا يناكحونهم
ولا يوازرونهم ولا يعاملونهم حتي يسلموا اليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم وعلقوها في جوف الكعبة
فانحاز بنو هاشم الي شعب ابي طالب خلف ابي قبيس وتبعهم بنو المطلب رهط امامنا الشافعي فتحيز واعمهم
من بين بني عبد مناف فكان ذلك سبب شرفهم علي مدي الدهر فارسل الله علي الصحيفة بعد ان مضي علي ذلك
سنتان حين جهدهم العيش ومضهم الزمان ونزل بهم القوارع نزالا شديدا وهم ثابتون ليظهر الله بذلك
شرف من شا من عباده الارضة فاكلت ما فيها من اسما الله ومحت ما كان من ظلمهم وقطيعتهم فكان
ذلك سببا لان قام في نقضها معشر منهم فنقضها الله بهم وكانوا اذ ذاك كفرة كلهم ليظهر قدرته علي كل من
النقض والابرام بما شا ومن شا والبيت المعمور الذي هو قيام للناس كما كانت قبة الزمان قياما
لبني اسرايل هذا ان كان تعالي اراد به الكعبة التي علقوا فيها الصحيفة بعد كانوا لما عمروها اختلفوا
في من يضع الحجر الاسود في موضعه وزاد بهم الاختلاف حتي تهياوا للقتال وتحالفوا عليه فكان منهم
لعقة الدم ومنهم المطيبون كما هو مشهور في السير ثم وفقوا لان رضوا ان يحكم بينهم اول داخل من
باب عينوه فكان اول داخل منه النبي صلي الله عليه وسلم فقالوا لما جاءهم هذا محمد هذا الامين رضينا
بحكمه فحكم صلي الله عليه وسلم بان يضع الحجر الشريف في ثوب وياخذ رئيس كل قبيلة بطرف من اطرافه ويرفعوه
كلهم فلما وازي موضعه اخذه هو صلي الله عليه وسلم بيده الشريفة فوضعه موضعه فكان الفخر له مضاعفا
بحكمه واصلاحه بينهم واختصاصه بوضعه وهو معمور بالزوار والخدمة وكثرة الغاشية ولما كان
البيت لا بد في مسماه من السقف قال والسقف المرفوع يريد سقف الكعبة اشارة الي انه محكم البنا
مغلق الباب متقن السقف اتقانا هو اعظم من اتقان سقف قبة الزمان التي شاهد فيها بنوا اسرايل
من العظمة الالهية والجلال ما ان سالتموهم عنه اخبروكم به ومع ذلك سلط علي الصحيفة التي في جوفه
ولعلها كانت في سقفه بحيث لا يصل اليها احد ما افسدها تحقيقا لثبوت ما اراد من امره تحذيرا مما
توعد به ويمكن ان يراد به مع ذلك السما التي فيها ما يوعدون ومن المعلوم لكل ذي عقل ان اقل
السقوف لا يرتفع بغير عمد الا باسباب لا تري فكيف بالسما التي لها من السعة والعظمة والثخن وما
فيها من الكواكب ما لها مما لا يسع العقول شرحه وهم لا ينظرون اسبابه كما قال تعالي بغير عمد ترونها
ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال انه العرش وهو سقف الجنة ولما كان الما اقوي من كل ما
تقدم ختم به فقال والبحر المسجور الذي فيه من الما اكثر من ملئه وهو ساجره اي مانعه كما يمنع الكلب
بساجوره عن الانسياح ولو شا اراد خلاه فاندفق فجري فاهلك ما مر عليه من جبل وكتاب وبيت كما شوهد

لما سجره سبحانه لبني اسرآيل فانفلق وشقت ارضه ثم لما اراد سيئيه على آل فرعون فغذ بهم به فاهلكهم
حتى لم يبق منهم احدًا ولما اقسم بما يدل على نبوة موسى عليه السلام وثلث بما اشار الى نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وثنى بما هو مشترك بينهما وكان الاول مع ذلك دالًا على استقرار الارض والثالث
على صلاحيتها للسكنى والثاني على الحافظ في ذلك وربع بما كمل المنافع وحذر من السقوط كما خوف
بالاول من الخسف وخمس بما دل على ما اريد بالاول من الاستقرار لانه لو كان ميل لانطلق البحر الى
جهته اجاب القسم بقوله ان عذاب ولما كان سبحانه عظيم الاكرام له صلى الله عليه وسلم اضاف
العذاب الى صفة الاحسان والتربية الخاصة به واوصاف الصفة الى ضميره ايذانا بانه يريه في امته
ما يسره وان مماثلة ذنوبهم لذنوب اصحابهم الماضين انما هي في مجرد الادلال لا في انه يستأصلهم
اوليك فقال ربك اي الذي تولى تربيتك اي عذاب اراده بكل من اراده به لا سيما المعادي
لاوليايه سبحانه لواقع اي ثابت نازل بمن اراده نزول ما هو ثقيل من مكان عال كما انه لو اراد
لغلب الارض التي ثبتها واوقع السقف الذي رفعه واطلق البحر الذي سجره كما علم من اطلاقه البحر
بعد فلقه على آل فرعون حتى اغرقهم به ما له من دافع لانه لا شريك له يوقعه لما دلت عليه هذه
الاقسام من كمال قدرته وجلال حكمته وضبط اعمال العباد للمجازاة سوا قلنا ان الكتاب هو الذي
تكتبه الحفظة والذي الدين فكما اوقع الخزي بهم في الصحيفة ونقض معاقدتهم وفض جمعهم واخرج
معاشرك من ذلك الضيق فكذلك يويدك حتى توقع بهم وتفض جمعهم وتكسر شوكتهم وتقتل سرواتهم
ويظهر دينك على دينهم ويصير من بقي منهم من حزبك وانصار دينك. قال البغوي قال جبير بن مطعم
رضي الله عنه قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فدفعت اليه وهو
يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع
ما له من دافع فكانما صدع قلبي حين سمعت ولم اكن اسلمت يومئذ فاسلمت خوفًا من نزول العذاب
ما كنت اظن ان اقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب. وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير لما توعد تعالى
كفار قريش ومن كان على طريقتهم من ساير من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم سيصيبهم ما
اصاب غيرهم من مكذبي الامم المنبه على ذكرهم في السورة قبل ثم اشار سبحانه الى عظيم ما ينالهم
من العذاب بقوله فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون اقسم سبحانه على صحة ذلك ووقوعه — للخزي والاليم صح
والعياذ به سبحانه من سخطه واليم عذابه فقال تعالى فقال والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع
ما له من دافع ثم اوما سبحانه الى مستحقيه ومستوجبيه فقال فويل يومئذ للمكذبين ثم ذكر ما
يعنفون به ويوبخون على ما سلف منهم من نسبته عليه السلام الى السحر وتكذيبه فقال ذوقوا عذاب
النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون ثم اعقب بذكر حال المؤمنين المستجيبين
ثم ذكر اثر اعلامه بحال الفريقين نعمته على نبيه عليه السلام وعصمته ووقايته مما تقوله المفترون
فقال تعالى فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ثم جرت الآي على توبيخهم في مقالتهم ووهن
انتقالاتهم فمرة يقولون كاهن ومرة يقولون مجنون ومرة يقولون شاعر نتربص به ريب المنون فوبخهم على ذلك
وبين كذبهم وازعمهم واسقط ما بايديهم بقوله فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين وهذا هو
المسقط لما تقولوه اولًا وآخرًا وهو الذي لو يجدوا عنه جوابًا ورضوا بالسيف والجلا ولم يتعرضوا
لتعاطي معارضته وهذا هو الوارد في قوله تعالى في صدر سورة البقرة وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا الآيات فما نطقوا في جوابه ببنت شفة قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القرآن لا ياتون بمثله فتبارك من جعله آية باهرة وحجة قاهرة انتهى. ولما اثبت وقوع العذاب

فتشوقت

فتشوقت نفس الموقن الى وقته قال مستانفا ببيان انه واقع على تلك الصفة يوم تمور اي تتحرك
وتضطرب وتجي وتذهب وتتكفا تكفوء السفينة وتدور دوران الرحى ويموج بعضها في بعض وتختلف
اجزاؤها بعضها في بعض ولا تزول عن مكان. قال البغوي والمور يجمع هذه المعاني وهو في اللغة
الذهاب والمجي والتردد والدوران والاضطراب. قال الرازي وقيل تجي وتذهب كالدخان ثم
تضمحل السماء التي هي سقف بيتكم الارض مورًا اي اضطرابا شديدًا وتسير الجبال اي تنتقل من اماكنها
انتقال السحاب وحقق معناه بقوله سيرًا فتصير هبا منثورًا وتكون الارض قاعًا صفصفا ولما
حقق العذاب وبين يومه بين اهله بقوله مسببا عن ذلك فويل وهي كلمة يقولونها لمن وقع في هلاك
ومعناها حلول شر فاضح يكون فيه ندبة وتفجع يومئذ اي يوم اذ يكون ما تقدم ذكره للمكذبين
اي العريقين في التكذيب وهم من مات على نسبة الصادقين الى الكذب. ولما كان التكذيب قد
يكون في محله بين ان المراد تكذيب ما محله الصدق فقال الذين هم اي من بين الناس بظواهرهم
وبواطنهم في خوض اي اعمالهم واقوالهم اعمال الخايض في ما فهو لا يدري اين يضع رجله ولما كان
كان ذلك قد يكون من دهشة بهم او غمر نفي ذلك بقوله يلعبون فاجتمع عليهم امران موجبان للباطل
الخوض واللعب فهم بحيث لا يكاد يقع لهم قول ولا فعل في موضعه فلا يوسس على بيان اوجه ولما
صور تكذيبهم باشنع صورة بين ويلهم ببيان ظرفه وما يفعل فيه فقال يوم يدعون اي يدفعون
دفعا عنيفًا بجفوة وغلظة من كل من يقيمه الله لذلك ذاهبين ومنتهين الى نار جهنم وهي الطبقة
التي تلقاهم بالعبوسة والكراهة والتغيظ والزفير والكد المعني وحققه بقوله دعا قال البغوي وذلك
ان خزنة جهنم يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعونهم دفعا على وجوههم
وزجا في اقفيتهم مقولًا لهم تبكيتا وتوبيخا هذه النار اي الجسم المحرق المفسد لما اتى عليه الشاغل
عن اللعب التي كنتم بجبلاتكم الفاسدة ولما كان تكذيبهم بها في اقصى درجات التكذيب وكان سببا
لكل تكذيب كان كانه مقصور عليها فقال مقدما للظرف اشارة الى ذلك بها تكذبون اي في الدنيا
على التجديد والاستمرار ولما كانوا يقولون عنادًا ان القرآن بما فيه من الوعيد سحر سبب عن
ذلك الوعيد قوله مبكتا موبخا متهكما افسحر هذا اي الذي انتم فيه من العذاب مع هذا الاحراق
الذي تصلون منه ام انتم في منام او نحوه لا تبصرون بالقلوب لما كنتم تقولون في الدنيا قلوبنا في
اكنة ولا بالاعين كما كنتم تقولون للمنذر من بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون اي انتم عمي عن
المخبر عنه مع احراقه لهم كما كنتم عميا عن الخبر اي هل تستطيعون ان تقولوا انكم لا تبصرون المخبر عنه
كما كنتم تقولون في الخبر كذبا وفجورًا ثم يقال لهم بعد هذا التبكيت الذي يقطع بان جوابهم بان يقولوا
لا وعزة ربنا ما هو بسحر ولا خيال بل هو حقيقة ونحن له في غاية الابصار وواصلوه كما كنتم تواصلون
ادنى عباد الله مما يحرق قلوبهم فاصبروا اي فيتسبب عن تكذيبكم في الدنيا ومباشرتكم لها الآن ان يقال
لكم اصبروا على هذا الذي لا طاقة لكم به او لا تصبروا فانه لا محيص لكم عنها سوا عليكم اي الصبر
والجزع ولما كان المعهود ان الصبر له مزية على الجزع بين ان ذلك حيث لا تكون المصيبة على
وجه الجزا الواجب وقوعه فقال معللا انما تجزون اي يقع جزاؤكم الآن وفي ما ياتي على الدوام ما
كنتم اي دايما بما هو لكم كالجبلة تعملون مما يحرق الاوليا غير مبالين بهم فكان هذا ثمرة فعلكم بهم ولما
ذكر ما للمكذبين من العذاب المشار اليه بكلمات القسم اتبعه ما لاضدادهم من الثواب المنبهة عليه
ايضا تلك الكلمات ليتم الخبر ترغيبا وترهيبا فقال جوابا لمن كانه قال فما لمن عاداهم فيك موكدا لما
للكفار من التكذيب ان المتقين اي الذين صارت التقوى لهم صفة راسخة في جنات اي بساتين

ايه بساتين دايما في الدنيا حكما وفي الاخرة حقيقة ولما كانت البساتين ربما يشقي بها داخلها
او صاحبها قال ونعيم ايه نعيم في العاجل معنى بما هم فيه من الانس وفي الاجل بالفعل وزاد في تحقيق
التنعم بقوله فاكهين اي متلذذين معجبين ناعمين بما آتاهم ربهم الذي تولى تربيتهم بعملهم بالطاعة
الى ان اوصلهم الى هذا النعيم نهو لان عظمته من عظمته لا يبلغ كنه وصفه ولما كان المتنعم قد
يكون نعمته بعذاب بين انهم ليسوا كذلك فقال ووقاهم اي قبل ذلك ربهم اي المتفضل بتربيتهم بكفهم
عن المعاصي والقاذورات عذاب الجحيم اي النار الشديدة التوقد ولما كان من باشر النعمة
وجانب النقمة في غنى عظيم قال مترجما لذلك على تقدير القول كلوا اي الاهنيا واشربوا شربا
هنيئا اي لا نغص فيه وهو صفة في موضع المصدر اي هنيتم بمعنى ان كل ما تتناولونه مامون العاقبة
من التخمة والسقم ونحوهما بما كنتم اي كونا راسخا تعملون اي مجددين له على سبيل الاستمرار حتى كانه
طبع لكم ولما كان النعيم لا يتم الا بان يكون الانسان مخدوما نبه عليه بقوله متكئين اي
مستندين استناد راحة لانهم يخدمون فلا حاجة بهم الى الحركة على سرر مصفوفة اي منصوبة واحد
الى جنب واحد مستوية كانها السطور على احسن نظام وابدعه قال الاصبهاني والصفة مد الشي
على الولا ولما كان السرور لا يتم الا بالتمتع بالنسا قال وزوجناهم اي تزويجا يليق بما لنا من
العظمة ولما كانت تلك الدار غنية عن الاسباب فكانوا غنيين عن العقد قال مشيرا بالبا الى
صرف الفعل عن ظاهره فانه اذا كان بمعنى النكاح تعدى بنفسه وتضمين الفعل قرناهم اي جعلناهم
ازواجا مقترنين بحور اي نسا هن في شدة بياض بياض العين وشدة سواد سوادها واستدارة
حدقتها ورقة جفونها في غاية لا توصف عين اي واسعات الاعين في رونق وحسن ولما وصف
حال المتقين من اعدا المكذبين وبدا بهم لشرفهم اتبعهم من هو ادنى منهم حالا لتكون النعمة تامة فقال
والذين آمنوا يعني اقروا بالايمان ولم يبدلوا ولا بالغوا في الاعمال الصالحة ولما كان من هو لا
من لا تتبعه ذريته بسبب ايمانه لا يرتد عنه عطف على فعلهم تمييزا لهم واحترازا عمن لم يثبت قوله
واتبعناهم اي بما لنا من الفضل الناشي عما لنا من العظمة ذرياتهم الصغار والكبار وان كثروا اقرارا
لاعينهم فالكبار بايمانهم والصغار بايمان آبايهم بايمان اي بسبب ايمان حاصل منهم ولو كان في ادنى
درجات الايمان ولكنهم ثبتوا عليه الى ان ماتوا وذلك هو شرط اتباعهم الذريات ويجوز ان يراد
وهو اقرب بسبب ايمان الذرية حقيقة ان كانوا كبارا وحكما ان كانوا صغارا ثم اخبر عن الموصول
بقوله الحقنا بهم اي بفضلنا لاجل عمل آبايهم ذرياتهم وان لم يكن للذرية اعمال لانه لعين تجازى الف
عين وتكرم ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان كان معها اخذ بعلم او عمل
كانت اجدر فتكون ذرية الافادة كذرية الولادة وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع
من احب في جواب من سال عمن يحب القوم ولما يلحق بهم ولما كان ربما خيف ان ينقص الآبا بسبب الحاق
ذرياتهم بهم شيا من درجاتهم قال وما التناهم اي نقصنا الآبا وحبسنا عنهم من عملهم واكد النفي
بقوله من شي اي بسبب هذا الالحاق ولما اثبت سبحانه للذين آمنوا هذا الالحاق وكان من
فوق رتبتهم من الذين يؤمنون والمؤمنين والمتقين وغيرهم اولى منهم وانما فصلهم منهم لان هولا قد
لا يوقون قبل دخول الجنة العذاب قال جامعا للفريقين او بيانا ولعله اقرب انه لما ذكر اتباع الادنى
للاعلى في الخير فضلا اشفقت النفس من ان يكون اتباع في الشر فاجاب تعالى بانه لا يفعل بقوله كل امرئ
اي من الذين آمنوا والمتقين وغيرهم بما كسب اي من ولد وغيره رهين اي مسابق ومخاطر
ومطلوب وآخذ شيا بدلي كسبه وموفي على قدر ما يستحقه ومحبس به ان كان عاصيا فمن كان صالحا

كان

كان آخذا بسبب صلاحه ولده لانه كسبه ولا يا خذ به الا وهو حسن في نفسه لاجل الحكم بايمانه سوا
كان حقيقة او حكما وكل حسن مرتفع فلذلك يلحق بابيه واما الاساة فقاصرة على صاحبها يؤخذ
بها ويرهن بذنبه ولا غيره والحاصل ان المعالي التي هي كالحياة تفيض من صاحبها على غيره فتحييه
والمساوي التي هي كالموت لا تتعدى صاحبها قال الرازي في اللوامع اعلم ان الذوات بقاؤها
ودوامها ببقا صورها فحيثما كانت الصورة المقومة لها ادوم كانت الذوات بها اقوم وان النفوس
الانسانية ذوات وصورها علومها واخلاقها فحيثما كانت العلوم حق اليقين ثم عين اليقين والاخلا
مقومة على نهج الشرع المبين المبين كانت النفوس دايمة بدوامها غير مستحيلة اذ لا يتطرق الاستحالة
الى اليقين والعلم الحق وغير كاينة ولا فاسدة اذ ليس عين اليقين ولا العلوم الحقيقية من عالم الكون
والفساد وان لم تبلغ النفس الى كمال اليقين فتعلقت بذيل صاحبه كمال انخرطت في سلكها حتى ينخرط
الانسان في سلك محبيه ولو احب احدكم حجرا لحشر معه فان الدين هو الحب في الله والبغض في الله
ولهذا اكتفى الشرع من المكلفين باسلام وتسليم وتفويض وتحكيم دون الوقوف على المسايل العويصة
بالبراهين الواضحة الصحيحة فما لم يبلغ الولد حد التكليف واخترم الحقوا بابايهم وحكم عليهم بحكم عقايدهم
وارايهم حتى يكون حكم ابايهم جاريا عليهم وحكم القيمة نافذا فيهم واما اذا كانت الصور القايمة
بالذوات مستحيلة بان كانت جهلا وباطلا ينقض اوله اخره وآخره اوله كان ذات النفس لا تنعدم ولا
تفنى بل تبقى على حال لا تموت فانها لو فنيت لاستراحت ولو بقيت لاستطابت فهي على استحالة بين الحياة
والموت وهذه الاستحالة لا تكون الا في اجساد وابدان كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
انتهى وهو كما ترى في النفاسة ويؤيده يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل ويجوز ان يكون
الجملة تعليلا لما قبلها من النفي من التفي اي ما نقصناهم لانه قد سبق في حكمنا بان يكون كل امرئ قدرنا انه
يرتهن بما قد ينقصه بما كسب اي هو لا بغير ما كسب مما كسبه غيره رهين اي معوق عن النعيم حتى ياتيه
ما يطلقه من العمل الصالح ولما جمعهم في الحاق الذرية بهم لانه من اعظم النعيم وامنهم مما قد يخشى
من نقصهم بتقصير غيرهم وعلل ذلك ليكون ارسخ في النفس اتبعه ما يشاكله فقال وامددناهم اي الذين
امنوا والمتقين ومن الحق بهم من ذرياتهم بما لنا من العظمة زيادة على ما تقدم بفاكهة ولما كانت
الفاكهة ظاهرة فيما نعرفه في الدنيا وان كان عيش الجنة بجميع الاشيا تنعما ليس فيه شي يقصد به حفظ
البدن قال ولحم مما يشتهون ليس في شي منه شي مما لا يعجبهم غاية الاعجاب ولما كان هذا النعيم
المقيم يدعو الى المعاشرة بالفرق العاطرة بين ان ذلك حالهم اللازمة الظاهرة مع الخصال اللايقة
الطاهرة فقال يتنازعون اي يشربون متجاذبين تجاذبه والملاعبة لفرط المحبة والسرور وتحلية المصاحبة
فيها كاسا اي خمرا من رقة حاشيتها تكاد لا ترى في كاسها ولما كان في خمر الدنيا غوايل نفاها
عنها فقال لا لغو اي سقط مما لا يصغو ولا ينفع فيها اي في تنازعها ولا بسببها لانها لا تذهب بعقولهم
فلا يتكلمون الا بالحسن الجميل ولا تاثيم اي ولا شي فيها مما يلحق شاربها اثما ولا يسوغ نسبته اليه ولما
كانت المعاطاة لا يكمل بسطها ويعظم انسها الا بالخدم وسقاة قال ويطوف عليهم اي بالكووس وغيرها
من انواع التحف غلمان ولما كان احب ما الى الانسان ما يختص به قال لهم ولم يضفهم لئلا يظن
انهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا فيشفق كل من خدم احدا في الدنيا بقول او فعل ان يكون خادما له في
الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا وافاد التنكير ان كل من دخل الجنة وجد له خدما لم يعرفهم قبل ذلك
كانهم في بياضهم وشدة صفايهم لولو مكنون اي مصون في الجنة لم تغيره العوارض هذا حال الخادم
فما ظنك بالمخدوم ولما كان الذ ما الى الحبيب واعظم ما يكون من ادبه ذكر محبوبه والثنا عليه بما

يؤخذ بذنبه

من به قال تعالى شارحا لذلك عاطفا على ما تقديره فاقبلوا على تعاطي ما ذكر من النعيم **واقبل بعضهم**
لما ازدهاهم من السرور ودامهم من اللذة والحبور **على بعض يتساءلون** اي يسئل بعضهم بعضا
عن السبب الموصل له الى هذا النعيم الذي لا يقدر مخلوق على وصفه حق وصفه ثم استانف شرح
ذلك بقوله **قالوا** اي قال كل منهم مؤكدين استلذاذا بما اداهم الى ما هم فيه لانه لا يكاد يصدق
مسندين النعمة بفعل الكون الى الله الذي جبلهم جبلة خير مستيقظين للجار اشارة الى دوام خوفهم
تنبيها على ان الخوف الحامل على الكف عن المعاصي يشترط فيه الدوام بخلاف الرجا الحامل على الطاعات
فانه يكفي فيه ما يتيسر كما تاتي الاشارة اليه باثبات الجار **انا كنا قبل** اي في دار العمل **في اهلنا**
على ما لهم من العدد والعدد والسعة ولنا بهم من جوالب اللذة والدواعي الى اللعب **مشفقين**
اي عريقين في الخوف من الله لا يلهينا عنه شيء مع لزومنا لما نقدر عليه من طاعته لعلمنا بانا لا نقدره
لما له من العظمة والجلال والكبريا والكمال في حق قدره وانه لو واخذنا باصغر ذنوبنا اهلكنا قال
الرازي والاشفاق دوام الحذر مقرونا بالترحم وهو ان تشفق على النفس ان تجمح الى العناد وله
اقسام اشفاق على العمل ان يصير الى الضياع واشفاق على الخليقة بمعرفة معاذيرها واشفاق على الوقت
ان يشوبه تفرق وعلى القلب ان يمازجه عارض وعلى النفس ان يداخلها سبب انتهى **ولما** حكم
عنهم سبحانه انهم اثبتوا لانفسهم عملا تدريبا لمن اريدت سعادته فكان بحيث يظن انهم راوه هو السبب
لما وصلوا اليه قالوا نافين لهذا الظن مبينين انما هم فيه انما هو ابتدا تفضل من الله تعالى لان
اشفاقهم منة منه سبحانه لكيلا يعتمد الانسان على شيء من عمله فلا يزال معظما لربه خايفا منه **فمن**
الله اي الذي له جميع الكمال بسبب اشفاقنا منه **علينا** بما يناسب كماله فامتننا **ووقانا** اي جنبنا
بما سترنا به **عذاب السموم** اي الحر النافذ في المسام نفوذ السم **ولما** ذكروا اشفاقهم بينوه
مؤكدين ايضا لمثل ذلك **انا كنا** اي بما طبعنا عليه وهيينا له **ولما** كان الدعا بمعنى فعل العبادة
وكانت تقع في بعض الزمان اثبت الجار اشارة الى ذلك مع اسقاطه قبل هذا في الدعا بالقوة
اشارة الى ان التحلي بالفضايل يرضى منه باليسير والتخلي عن الرذايل لا بد فيه من البراة عن كل قليل
وكثير فقيل **من قبل** اي في الدنيا **ندعوه** اي نسئله ونعبده بالفعل واما خوفنا بالقوة فقد كان في
كل حركة وسكنة ثم عللوا دعاهم اياه مؤكدين لان انعامه عليهم مع تقصيرهم مما لا يكاد يفعله غيره
فهو مما يعجب منه غاية العجب فقالوا **انه هو** اي وحده **البر** اي الواسع الجواد الذي عطاؤه حكمة
ومنعه رحمة لانه لا ينقصه اعطا ولا يزيده منع فهو يبر عبده المومن بما يوافق نفسه فربما بره
بالنعمة وربما بره بالبوس فهو يختار له من الاحوال ما هو خير له ليوسع له البر في العقبى فعلى
المومن ان لا يتهم ربه في شيء من قضايه **الرحيم** المكرم لمن اراد من عباده باقامته فيما يرضاه
من طاعته ثم بافضاله عليه وان قصر في خدمته **ولما** كان هذا مع تشويقه الى الجنة والاعمال
الموصلة اليها وعظا يرق القلوب ويجلي الكروب سبب عنه قوله **فذكر** اي جدد التذكير بمثل
هذا لكل من ترجو خيره ودم على ذلك وسماه تذكيرا لانه مما يعلمه الانسان اذا امعن النظر من
نفسه او من الافاق وعلل التذكير بقوله **فما انت** اي وانت اشرف الناس عنصرا واكملهم نفسا
وازكاهم خلايق ثم هم معترفون لك قبل النبوة **بنعمة ربك** اي بسبب ما انعم به عليك المحسن
اليك من هذا الناموس الاعظم بعد تاهيلك له بما هياك به من رجاحة العقل وعلو الهمة وكرم
الفعال وجود الكف وطهارة الاخلاق وشرف النسب واكد النفي بقوله **بكاهن** اي تقول كلاما
مع كونه سجعا متكلفا اكثره فارغ وتحكم على المغيبات بما يقع خلاف بعضه **ولما** كان للكاهن

والجنون

والمجنون اتصال بالجن اتبع ذلك قوله **ولا مجنون** اي تقول كلاما لا انتظام له مع الاخبار ببعض
المغيبات فلا يفترك قولهم هذا عن التذكير فانه قول باطل لا تلحقك به معرة اصلا وعما قليل يكون
عيبا لهم لا يغسله عنهم الا اتباعهم لك فمن اتبعك منهم غسل عاره ومن استمر على عناده استمر تبابه
وخسارة **ولما** كان نسبته صلى الله عليه وسلم فيما اتاهم به من هذا القران الامر بالحكمة الى انه
اتى به عن الجن الذين طبعهم الفساد مما لا ينبغي ان يتخيله احد فضلا عن ان يقوله صلى الله عليه وسلم ولا
يكاد يصدق ان احدا يرميه به فكان في طيه سؤال تقريع وتوبيخ منه على ذلك بالعطف على ما تقديره
يقولون هذا القول البعيد من اقوال اهل العقول **ام يقولون** ما هو اعجب في تجرد قوله فضلا عن
تكريره فام معادلة للاستفهام قبلها لا مقطوعة وكذا جميع ما بعدها وهو معنى ما نقله البغوي
عن الخليل انه قال ما في سورة الطور من ذكر ام كله استفهام وليس بعطف **شاعر** يقول كلاما موزونا
بالقصد يلزمه التكليف لذلك فيغلب التزام الوزن قايله حتى يجعل اللفظ هو الاصل ويجعل المعنى
تابعا له فياتي كثير من كلامه ناقص المعاني هلهل النسج مغلوبا فيه على امره معترفا اذا وقف عليه
بتقصيره معتذرا بما زانه به زعمه من اوزانه وساق سبحانه هذا وكذا ما بعده من الاقسام
على طريق الاستفهام مع ان نسبتها اليهم محققة تنبيها على ان مثل هذا لا يقوله عاقل وان قاله احد
لم يكد الناقل عنه يصدق **نتربص** اي ننتظر **به ريب المنون** اي حوادث الدهر من الموت وغيره
القاطعة من المن وهو القطع **ولما** كان كانه قيل انهم ليقولون ذلك قال معلما جوابهم **قل**
تربصوا ولم يعرج على محاججتهم في قولهم هذا تنبيها على انه من السقوط بمنزلة لا يحتاج معها الى رد
يجادل له ثم سبب عن امره لهم بالتربص قوله **فاني معكم** واكد تنبيها على انه يرجو الفرج بمصيبتهم
كما يرجون الفرج بمصيبته وان كانت كثرتهم وقوتهم عندهم مانعة من مثل هذا التربص **من المتربصين**
اي العريقين في التربص وان ظننتم خلاف ذلك واشار بالمعية الى انه مساو لهم في ذلك وان ظنوا
لكثرتهم وقوتهم ووحدته وضعفه ان الامر بخلاف ذلك **قال** القشيري جا في التفسير ان جميعهم اي
الذين تربصوا به ماتوا قال ولا ينبغي لاحد ان يومل نفاق سوقه بموت احد لتنتهي النوبة اليه فقل من
تكون هذه صفته الا ان سبقته المنية ولا يدرك ما تمناه من الامنية **ولما** كان قولهم بهذا مما لا
يقال اصلا وان قيل على بعده كان قوله كانه على جهة سبق اللسان او نحو ذلك نبه عليه بمعادله ما تقدير
اقالوا ذلك زهوا **ام تامرهم** اي تزين لهم تزيينا يصيرهم اليه من الانبعاث كالامر **احلامهم**
اي عقولهم التي يزعمون انهم اختصوا بجودتها دون الناس بحيث انه كان يقال فيهم اولوا الاحلام
والنهى **بهذا** اي وهم يعتقدون صحته وانه العدل السوا لانهم متقيدون بالاحلام والنهى على ما فيه
من الفساد بالتناقض بعد اختلال كل قول منه على حدته بما تقدم بيانه وهو توبيخ عظيم بالاشارة
الى انه ليست لهم عقول اصلا تقول لهم هذا فان الكاهن شرطه ان يكون في غاية المعرفة عندهم حتى
انهم يجعلونه حكما وربما عبدوه والمجنون لا يصلح لصالحة لانه لا يعقل والشاعر بعيد الامر بوزن الكلام
وكثرته من سجع الكاهن وكلام المجنون **ام هم** بظواهرهم وبواطنهم **قوم** اي ذووا قوة على ما يحاولونه
فهم لذلك **طاغون** اي مجاوزون للحدود وذلك عادة لهم بما افهمه الوصف فهم لذلك لا يبالون
بالعناد الظاهر في مخالفته لما تامر به الاحلام والنهى ولا يقوله الا الطغام السفها مع ظهور الحق
لهم فهم يقولون الكلام المتناقض غير مبالين باحد ولا مستحيين من ان ينسبوا الى العدوان والمبالغة
في العصيان والاية من الاحتباك ذكر الاحلام اولا دليلا على ضدها ثانيا والطغيان ثانيا دليلا على
ضده العدل السوا اولا وسره ان ما ذكر اشد تنفيرا من السو واعظم تقبيحا له وتحذيرا منه **ام**

يقولون ما هو افحش عارا من التناقض تقوّله اي تكلّف قوله من عند نفسه كذبا وليس بشعر ولا كهانة ولا جنون وهم على كثرتهم والمام بعضهم بالعلم وعراقة آخرين في الشعر والخطب والترسل والسجع يعجزون عن مثله بل عن مثل شي منه ولمّا كان الكلام حقيقة في النفس وكانوا يعلمون بطلان جميع ما يقولونه من ذلك كان التقدير لم يقولوا شيئا من ذلك حقيقة واعتقادا بل لا يؤمنون اي لا يقرون بالحق مع علمهم ببطلان قولهم وتناقضه عنادا منهم لا تكذيبا في الباطن ولمّا كان هذا القول اظهر بطلانا من كل ما قالوه لان تكذيبهم له على تقدير كذبه على زعمهم غير موقوف على شي خارج عن القوة طالبهم بالمعارضة لانهم اذا عارضوه بمثله انفصل النزاع ولذلك سبّب عما مضى قوله تكذيبا لهم في قولهم هذا الذي اظهروه بالسنتهم يوقفون به غيرهم عن الخير فليأتوا اي على اي تقدير ارادوه بحديث اي كلام مفرق مجدد اتيانه مع الاوقات لا نكلفهم ان يأتوا به جملة مثله اي القران في البلاغة وصحة المعاني والاخبار بالمغيبات مما كان او يكون على ما هي عليه والحكم ولمّا كان المقصود هنا مطلق التعجيز للمكذبين لا بقيد الاجتماع كما في سبحان لان نزول هذه في اوايل ما نزل تحداهم بالاتيان بالمثل في التنجيم والتطبيق على الوقايع سورا او ايات او دون ذلك تحدث وتجدد شيئا في اثر شي بما اشار اليه التعبير بالحدوث ولذلك أغراه عن تظاهرهم بالاجتماع ودعا المستطاع ولكونهم كاذبين في جزمهم بنسبته الى التقول وغيره اشار الى ذلك بقوله مقرعا لهم الهابا الى الخوض في المعارضة ان كانوا هم راسخين فيه صادقين اي في انه تقوله من عند نفسه شيا فشيا كونا هم عريقون فيه كما يزعمون سوا ادعوا انه شاعر او كاهن او مجنون او غير ذلك لان العادة تحيل ان ياتي واحد من قوم وهو مساو لهم بما لا يقدرون كلهم على مثله والعاقل لا يجزم بشي الا وهو عالم به ويلزم من علمهم بذلك قدرتهم على مثل ما ياتي به فانه صلى الله عليه وسلم مثلهم في الفصاحة والبلد والنسب وبعضهم يزيد عليه بالكتابة وقول الشعر ومخالطة العلما ومزاولة الخطب والرسايل وغير ذلك فلا يقدر على ما يعجزون عنه الا بتاييد الهي وهو المراد من تكذيبهم وقد علم بهذا وبما تقدم من نحوه مفرقا في السور التي فيها مثله ان المتحدي به في كل سورة غير المتحدي به في الاخرى والله الهادي وهذه الاقسام الماضية من تكذيبهم بتاتي ان تكون على تقدير الاعتقاد للاله على ما هو عليه من صفات الكمال فاتبعها قسما على تقدير التعطيل واذا لم يكن اله لم يكن رسول فياتي التكذيب ثم اتبع ذلك قسما آخر هو على تقدير اثبات الاله لكن مع الضعف بالشركة ولكن الشركة تارة تكون من المتكلم وتارة من غيره قدم منها ما للمتكلم على زعمه وقدم تقدير شركته بالخلق ثم بضبط الخزاين ثم بالكتابة ثم بسماع الاسرار ثم بضعف السنة بالرضي بالصنف الاردا ولمّا مضت فضيحتهم بالتحدي وكانت عندهم فضيحة التناقض دون فضيحة المعارضة فكانوا يقدمونها عليها فلم تحدث احدا منهم نفسه يوما من الايام بشي يعارضه به علما منهم بانهم يصيرون بذلك الى خزي لا يمكن ان يغسل عاره كما صار مسيلمة كانهم كانوا اعقل العرب وكان التقدير كما هدى اليه السياق فانك مستو معهم بالنسبة الى ايجاد الله لكم هو سبحانه خالقهم كما انه خالقك ولا خصوصية لك منه على زعمهم أهو خالقهم كما هو خالقك فيلزمهم ان ياتوا بمثل ما تاتي به وكان ذلك على تقدير اقرارهم بالله وادعايهم لكذبه صلى الله عليه وسلم عاد له سبحانه تبكيتا لهم واظهارا لفضايح هي اشنع مما فروا منه من المعارضة بقوله على تقدير ان يكونوا منكرين للاله او مدعين لان يكونوا الهة ام خلقوا اي وقع خلقهم على هذه الكيفية المتقنة من غير شي فيكونوا مخالفين لصريح العقل اذ تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم كتعلقه بالمخلوق ليسلم لهم انك تاتي بما لا يقدرون على معارضته لانك اقوى منهم بكونك مستندا الى خالق وهم ليسوا مستندين الى شي او ليكونوا لذلك اقوى منك واعلى فيكون لهم التكبر عليك ام هم الخالقون اي الذين

هم

لهم هذا الوصف فيكونون قد خلقوا انفسهم ليكونوا بذلك شركا فيكون الخالق والمخلوق واحدا وهو مثل القسم الذي قبله في عدم الاستناد الى شي او يكون ثبوت هذا الوصف لهم موجبا لان يكونوا على ثقة مما يقولونه وللتكبر عليك فاذا ادعوا ذلك حكم ادنى الخلق بجنونهم ام خلقوا اي على وجه الشركة السموات والارض فهم بذلك عالمون بما فيها على وجه الاحاطة واليقين حتى علموا انك تقولته ليصير لهم رده والتهكم عليه ولمّا كان التقدير لم يكن شي من ذلك ليكون لهم شبهة في الكلام فيك عطف عليه قوله بل لا يوقنون اي ليس لهم نوع يقين ليسكنوا الى قول واحد لكونه الحق او ليعلموا ان هذه الملازم الفاضحة تلزمهم فيكفوا عن امثالها ام عندهم اي خاصة دون غيرهم خزاين ولمّا كان ذكر الرحمة لا يقتضيه مقصود السورة الذي هو العذاب لم يذكر كما في صاد وسبحان فقيل ربك المحسن اليك بارسالك بهذا الحديث فيعلموا ان هذا الذي اتيت به ليس من قوله لانه لا تصرف له في الخزاين الا بهم فيصح قولهم انك تقولته وحينئذ يلزمهم فضايح لا آخر لها منها ان ياتوا بحديث مثله بل احسن منه من تلك الخزاين ام هم لا غيرهم المسيطرون اي الرقبا الحافظون والجبارون والمسلطون الرؤسا الحكام الكتبة ليكونوا ضابطين للاشيا كلها كما هو شان كتاب السر عند الملوك فيعلموا انك تقولت هذا الذكر لانهم لم يكتبوا به اليك ام لهم سلّم يصعدون به الى السما يستمعون اي يتعمدون السماع لكل ما يكون فيها ومنها فيه اي في ذلك السلم وبسببه كما يكون بعض من يحضر مجالس الملوك في الدنيا ويعلم ما يقع فيها ليكونوا ضابطين لما ياتي من الملك فيعلموا ان ما قالوه فيك حق ولمّا كان من يكون هكذا متمكنا من الاتيان منها بالعجايب سبّب عنه قوله فليأت مستمعهم ان ادعوا ذلك بسلطان مبين اي حجة قاهرة بينة في نفسها موضحة لانها من السما على صحة ما يرمونك به ولمّا كان ما مضى على تقدير وجود الاله مع الشركة وكان ادعاؤهم الولد عظيما جدا لدلالته على حاجته وضعفه وكان جعله بنات اعظم لانه دال مع ضعفه على سفهه دل على استعظامه بالالتفات الى خطابهم للايذان بعذابهم فقال ام له البنات اي كما ادعيتم ولكم اي خاصة البنون لتكونوا اقوى منه فتكذبوا رسله صلى الله عليه وسلم وتردوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من عذاب ياتيكم منه لضعفه وقوتكم وهذه الاقسام كلها على تقدير التكذيب وهي هنا بذكر ما على تقدير التصديق وانما وقع الرد فيها لعارض عرض ولمّا كان المكذب بشي قد يكون معترفا بانه من عند الهه وان الهه متصف بجميع صفات الكمال فلا شريك له وانما تكذيبه لقادح لا يقدر عليه وكرب دهى بعظيم انكاده اليه اعرض عنه التفاتا الى الاسلوب الاول فقال مخاطبا له صلى الله عليه وسلم تنويها بذكره ورفعا لعظيم قدره وتسلية بما يعلم من نفسه الشريفة البراة منه ام تسألهم اي ايها الطاهر الشيم البعيد عن مواقع التهم اجرا على ابلاغ ما اتيتهم به فهم من مغرم ولو قل والمغرم التزام ما لا يجب مثقلون اي حمل عليهم حامل بذلك ثقلا فهم لذلك يكذبون من كان سببا في هذا الثقل بغير مستند ليستريحوا مما جره لهم من الثقل ولمّا كان من يدعي الانفراد بشي يحسد من يدعي مشاركته فيه فقال ام عندهم اي خاصة بهم الغيب اي علمه فهم يكتبون اي يجددون للناس كتابة جميع ما غاب عنهم مما ينفعهم ويضرهم حتى يحسدوك فيما شاركتهم به منه فيردوه لذلك وينسبوك الى ما نسبوك اليه مما يعلم كل احد نزاهتك عنه وبعدك منه ام يريدون بهذا القول الذي يرمونك كيدا اي مكرا وضررا عظيما يطفيون به نور الله بزعمهم مع علمهم بانك صادق فيه فهم بسبب ارادتهم ذلك هكذا كان الاصل ولكنه قال تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فالذين كفروا اي ستروا الادلة تارة عنادا وتارة بالاعراض عن تاملها هم اي هم المكيدون اي يختص

وبال الكيد بلزمه لهم وقطعه لدابرهم لان من كان الاله عليه كان خاسرا واقرب ما لهم من الكيد
الظاهر في بدر عند انتهاء سنين عدتها عدة ما هنا من ام وهي خمس عشرة مرة لان بدرا كانت في الثانية
من الهجرة وهي الخامسة عشرة من النبوة فقد سبب الله فيها من الاسباب ما اوجب سعيهم الي هلاكهم
بامور خارقة للعادة فلو كانت لهم بصاير لكفتهم في الهداية والرد عن الضلالة والغواية ولما
كان التقدير كذلك الامر عاد له بقوله أم لهم إله اي يمنعهم من التصديق بكتابنا أو يستندون اليه
للامان من عذابنا غير الله الذي احاط بجميع صفات الكمال فلا يمكن بوجه من الوجوه ولا على تقدير
من التقادير ان يكون معه اله ولذلك وصل به قوله سبحان الله اي الملك الاعظم الذي تعالى عن ان
يداني جنابه شايبة نقص عما يشركون من الاصنام وغيرها واخر سبحانه هذا القسم وهو من الشركة
لكن بالغير لانه آت على تقدير التصديق للرسول ولانه دينهم الذي اوقفهم عن الهدي فاوقعهم في الردي
ليختم بنفيه والتنزه عنه الاقسام فيحصل به غاية القصد والمرام والحاصل انه قسم سبحانه خلافهم
في ردهم القران الي تكذيب وغيره ولما كان التكذيب وهو النسبة الي الكذب وهو عدم المطابقة للواقع
اما في الارسال واما في معاني ما وقع به الارسال اما لنقص في الرسول أو لنقص في المرسل فالذي في
الرسول اما ان يكون لامر خارج او لامر داخل فيه ولما كان الخارج قد يكون معه نقص داخل بدا
به ولما كان ذلك قد يكون فيه ما يمدح به ولو من وجه وهو الكهانة بداها واتبعه الداخل كذلك
بادبا بما قد يمدح به وهو الشعر ولما كان القول يجمع الكهانة والجنون والشعر في شخص واحد قول
واحد على غاية من ظهور التناقض لا يخفي اتبعها الرمي بالتهكم على عقولهم ولما كان الكذب بالتقول
قد يخفي اتبعه دليله بالعجز عن المعارضة ولما اتم ما رموا به الرسول اتبعه ما الزمهم به في المرسل
ولما كان ذلك اما ان يكون بالتعطيل او لا وكان التعطيل اشد بدا به وهو الخلق من غير شيء
ولما كان النقص مع الاقرار بالوجود اما ان يكون بالشركة او لا وكان ما بالشركة اما ان يكون
المكذب هو المشارك او لا وكانت شركة المكذب اشد في التكذيب بدا بها ولما كانت شركة المكذب
اما ان يكون في الخلق او لا وكان الاول اما ان يكون بخلق النفس او الغير وكانت الشركة بخلق النفس
الصق بدا بها في قوله ام هم الخالقون ولما كانت الشركة بغير الخلق اما ان تكون بضبط الخزاين او لا
وكان الثاني اما ان يكون بضبط الكتابة فيها واليه الاشارة بالمسيطر او بضبط ما يؤمر به فيها
واليه الاشارة بالسلم او بسفه صاحب الخزاين لرضاه بالبنات وكان كل قسم اشد مما بعده رتبها هكذا
ولما انتهي ما يرجع الي التكذيب اتبعه الرد لا للتكذيب بل لامر آخر ولما كان ذلك الامر اما من
الآتي او من المأتي اليه أو من غيرهما وكان ما من الآتي الصق بدا به وهو المغرم ولما كان ما من
المأتي اليه اما الحسد او غيره وكان امر الحسد اشد بدا به وهو المشاركة في الاتيان بما يكون الفخر
والرياسة وهو علم الغيب المناظر بوجه للكهانة المبدو به في قسم التكذيب واخر ما من الغير وهو
الشريك المانع لهم من القبول وخلطه بهذا القسم مع كونه قسما لما فرض فيه المكذب مشاركا لخلوه عما
قارن تلك الاقسام من التكذيب هذا تمام القول في ابطال ما الزمهم فيما تقولوه في أمر القرآن وقد
تضمن ما ترى من تاصيله وتقسيمه وتفصيله من بيان مقدورات الله وعجايب مصنوعاته ما
الزمهم حتما التوحيد الملزم بتصديق الرسالة والاذعان للحق مع ما له من الاعجاز في ترتيبه ونظمه وسبكه
وتسهيله وتقريبه مجلوا اسلوبه العظيم بالفاظ الدر النظيم ومعان علت عن لاحق بغريزة او تعلم
يكاد لها اثبت القلوب يهيم فيطير وابلغ البلغاء في افنان دوحها يتدله ويحير فكان ذلك كما قال جبير
ابن مطعم رضي الله عنه كما روي البخاري ومسلم وابو داود والنسايي وابن ماجة عنه رضي الله عنه

ان

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في المغرب بالطور قال البخاري في التفسير فلما بلغ هذه الاية
أم خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون ام عندهم خزاين ربك ام هم
المسيطرون كاد قلبي يطير وقال ابن ماجة فلما سمعته يقرا ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الي قوله فليأت
مستمعهم بسلطان مبين كاد قلبي يطير وسبق في اول السورة ما ذكره البغوي من هذا الحديث ولما
كان التقدير تسكينا لقلبه من يريد اجابتهم الي الايات المقترحات طمعا في ايمانهم فلقد تلونا عليهم في هذه
السورة وغيرها من الايات وجلونا من المعجزات البينات واتينا من تناقضهم في هذه التقسيمات
بما يهد الجبال الشامخات وبينا من فضايحهم بحسن سوقها وحلاوة ذوقها وصحة معانيها واحكام مبانيها
ما يزلزل الراسيات ويحل العزمات ويفرج الازمات ويصد ذوي المروات عن امثال هذه النقايص
الفاضحات بما لها من الادلة الواضحات ولكنهم لما الزمناهم به من العكس لا يؤمنون وكذبناهم بما
اعجبنا من بصايرهم فهم لا يعلمون انهم المكيدون عطف عليه قوله وإن يروا اي معاينة كسفا اي
قطعة وقيل قطعا واحدها كسفة مثل سدرة وسدر من السماء جهارا نهارا ساقطا يقولوا
لددا وتجلدا في البغي واصرارا وتعلقا بما امكنهم من الشبه تخييلا على العقول وايقافا لذوي الاراء
والفهوم دأب الاصيل في نصر الباطل ومكابرة الحق لما لهم من العراقة في عمي القلوب بما لنا من القدرة
على صرفهم عن وجوه الامور هذا سحاب فان قيل لهم هو مخالف للسحاب بصلابته وغلظته قالوا مركوم
اي تراكم بعضه على بعض فتلبد فتصلب ولذلك سبب عن هذا الحال الدال على انهم وصلوا في عمي البصاير
الي انه لو جاءتهم كل اية لا يؤمنون قوله مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم ومن تبعه فذرهم اي اتركهم
على شر احوالهم حتى يلاقوا سعيا بسوء اعمالهم يومهم كما انه هو يسعي اليهم لاستحقاقهم لما فيه الذي
فيه لا في غيره لان ما حكمنا به لا يتقدم ولا يتاخر يصعقون بالموت من شدة الاهوال وعظيم
الزلزال كما صعق بنو اسرايل في الطور ولكنا لا نقيمهم كما اقمنا اولئك الا عند النفخ في الصور لنحشرهم
للحساب الذي يكذبون به والظاهر ان هذا اليوم يوم بدر فانهم كانوا قاطعين بالنصرة فيه
فما اغني احد منهم عن احد شيا كما قال ابو سفيان بن الحارث ما هو الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا
يقتلوننا كيف شاؤوا ويأسروننا كيف شاؤوا يوم لا يغني اي بوجه من الوجوه عنهم كيدهم الذي
يرومونه بهذه الاقوال المتناقضة شيئا اي من الاغناء في دفع شيء يكرهونه من الموت ولا غيره كما
يظنون انه يغني عنهم في غير ذلك من احوال هذه الدار بتثبيط الناس عن اتباع القران بما يصفونه به
من البهتان ولا هم ينصرون اي يتجدد لهم نصر من احد ما في ساعة ما ولما افهم هذا الكلام السابق
ان التقدير فان لكل ظالم في ذلك اليوم عذابا لا يحيط به الوصف فان الاصعاق من اشد ما يكون من
العذاب عطف عليه قوله مؤكدا لما لهم من الانكار ان ينتصر عليهم المؤمنون وهم من الكثرة والقوة
بحيث لا مطمع فيهم لاحد لا سيما لمن هم مثل في الضعف والقلة وان وكان الاصل لهم ولكنه اظهر تعميما
وتعليقا للحكم بالوصف فقال للذين ظلموا اي اوقعوا الاشياء في غير مواقعها كما يقولونه في القران ويتحلونه
من العصيان ويعتقدونه من الشرك والبهتان عذابا دون ذلك اي غير عذاب ذلك اليوم الصعب
المرير او ادني رتبة منه ان كان المراد بالصعق ما يكون بعد البعث فبعذاب البرزخ في القبور وان
كان المراد به الموت فيما يلقونه في الدنيا من عذابي بواسطتكم مثل تحيزكم الي الانصار في دار الهجرة
ومعدن النصرة وصيرورتكم في القوة بحيث تناصبونهم الحرب وتعاطونهم الطعن والضرب فيكونوا بعد
ان كنتم طوع ايديهم قذا في اعينهم وشجا في حلوقهم ودحضا لاقدامهم ونقضا لابرامهم ومثل القحط الذي
حصل لهم والسرايا التي تغيظهم مثل سرية حمزة اسد الله واسد رسوله وعبيدة بن الحرث وعبد الله بن

بحش التي كانت مقدمة لغزوة بدر ولما كان بعضهم يبصر هذا مثل عقبة بن ربيعة والوليد
ابن المغيرة والنضر بن الحرث ويقولون والله ما هو بشاعر ولا كاهن ولا ساحر ولا مجنون وليكونن
لقوله الذي يقول نبا قال **ولكن أكثرهم** بسبب ما يرون من كثرتهم وحسن حالهم في الدنيا وقوتهم
لا يعلمون اي يتجدد لهم علم بتفويتكم عليهم لانهم لا علم لهم اصلا حتى يزداد ذلك معاينة ولما كان العلم
المحيط من الملك القاهر اعظم مسل للولي والكبر مخيف للعدو قال عاطفا على فذرهم او على ما تقديره فكن
انت من العلما بذلك ليكون فيه لك اعظم تسلية **واصبر** اي أوجد هذه الحقيقة لتصبر على ما انت فيه
من ادا الرسالة وما لها من الكلف من اذى الناس وغيره ولكونه في مقام الاعراض عن الكفار وكون
اعراضه عنهم اصعب عليه من مقاسات انذاره وان نشا عنه تكذيبهم واستمرارهم اشتدت العناية هنا
بالصبر فقدم وايضا فان الاعراض عنهم مقتض لعدهم فانين وذلك هو مقام الجمع والجمع لا يصلح الا بالفرق
فلذلك قدم الامر بالصبر وذكر الحكم اشارة الى انه متمكن في مقام الفرق كما انه عريق في مقام الجمع بخلاف
المدثر فان سياقها للانذار الناشي عنه غاية الاذى فاشتدت العناية هناك بتقديم ذكر الاله نظرا الى
الفنا عن الفانين وان كان مباشر الدعايهم وعبر بما يذكر بحسن التربية زيادة في التعزية فاقتضى هذا
السياق ان رغبه سبحانه بقوله **لحكم ربك** اي المحسن اليك فانه هو المريد لذلك ولو لم يرده لم يكن شي
منه فهو احسان منه اليك وتدريب لك وترقية في معارج الحكم وسبب عن ذلك قوله موكدا لما يغلب
على الطبع البشري في بعض اوقات الامتحان من نوع نسيان **فانك باعيننا** جمع لما اقتضته نون العظمة
التي هذا سياقها وهي ظاهرة في الجمع واشارة الى انه محفوظ بالجنود الذين رويتهم من رويته سبحانه
فهو مكلو مرعي به وبجنوده فاعل في حفظه فعل من له اعين محيطة بمحفوظه من كل جهة من جهاته ولما
كانت الطاعة اعظم ناصر واكبر معز وكانت الصلاة اعظمها قال **وسبح** اي اوقع التنزيه عن كل
شايبة نقص بالقلب واللسان والاركان ملتبسا **بحمد ربك** اي المحسن اليك فاثبت له كل كمال مع تنزيهك
له عن كل نقص فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يريد الا ما هو حكمة بالغة **حين تقوم** اي من النوم في جميع
الاوقات التي هي مظنة القيام على الامور الدنيوية والاشغال النفسانية وهي اوقات النهار الذي
هو للانتشار بصلاة الصبح والظهر والعصر ويحتمل العبارة التسبيح عند كل قيام بكفارة المجلس
وهي سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك فانها تكفر ما كان في المجلس
كما رواه ابو داود والترمذي وقال حسن غريب والنسائي وابن حبان في صحيحه عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم **ومن الليل** الذي هو محل السكون والراحة **فسبحه** لذلك
بالنية والقول كلما انتبهت وبالفعل بصلاة المغرب والعشا وصلاة الليل ولتعظيمه صرح به وقدمه على
الفعل والضمير يعود على المضاف اليه واشار الى التهجد بعد دخوله فيما قبله بقوله **وادبار النجوم** اي
وسبحه في وقت ادبارها اي اذا ادبرت وذلك من اخر الليل في نصفه الثاني وكلما قارب الفجر كان
اعلى وبالاجابة اولى والى قرب الفجر تشير قراة الفتح جمع دبر اي في اعقابها عند خفايها او افولها
وذلك بصلاة الفجر سنة وفرضا احق واولى لانه وقت ادبارها حقيقة فصارت الصبح محثوثا عليها
مرتين تشريفا لها وتعظيما لقدرها فان ذلك ينجي من العذاب الواقع وينصر على العدو الدافع من المجادلين
الدافع والمنافق المخادع وقد رجع اخرها على اولها ومقطعها على موصلها بحلول العذاب على الظالم وبعد عن الطايع المسلم

مقصودها ذم الهوى لإنتاجه الضلال والعمى بالإخلاد الى الدنيا التي هي دار الكدر والبلا والنصر

والفنا

والفنا ومدح العلم لاثماره الهدى في الاقبال على الاخرى لانها دار البقا في السعادة او الشقا والحث على
اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في نذارته التي بينتها ق وصدقتها الذاريات واوقعتها وعينتها الطور كما يتبع
في بشارته لان علمه هو العلم لانه لا ينطق عن الهوى لا في صريح كتابه ولا في بيانه له لان الكل عن الله
الذي له صفات الكمال فلا بد من بعث الخلق اليه وحشرهم لديه لتظهر حكمته غاية الظهور فيرفع اهل
التزكي والطهور ويضع اهل الفجور ويفضح كل متحل بالزور منتحل للشرور وعلى ذلك دل اسمها النجم لمن تامل
القسم والجواب وما نجم به من نجوم الكتاب **بسم الله** الذي احاط بصفات الكمال فلا يكون رسوله الا من
ذوي الكمال **الرحمن** الذي عم الموجودات بصفة الجمال **الرحيم** الذي خص اهل وده بالانقاذ من الضلال
والهداية الى ما يرضي من الخلال وصالح الاعمال **لما ختمت** الطور بامره صلى الله عليه وسلم بالتسبيح
بالحمد وكان امره تكوينيا لا تكليفيا فكان فاعلا لا محالة وذلك بعد ذكر تقسيمهم القول في النبي صلى الله
عليه وسلم بانه كاهن وساحر وشاعر ومجنون وكان لذلك تعلق بالشياطين وكانت الشياطين مباينة
للقران بجبلتها وبمنعها بالرجوم بالنجوم كما بين آخر الشعرا افتتحت هذه بالحث على الاهتدا بهديه والاستدلال
بدله واتباع اثره ولما كان من ذلك تسبيحه بالحمد في ادبار النجوم اقسم اول هذه بالنجم على وجه اعم مما
في آخر تلك معبرا بعبارة تفهم غروبه وصعوده لانه لا يغيب في الافق الغربي واحد من السيارة الا طلع من
الافق الشرقي نظير له منها لما يكون عند ذلك من تلك العبادة العالية والاذكار الزاكية مع ما فيه من عجيب
الصنع الدال على وحدانية مبدعه من زينة السما التي فيها ما توعد والحراسة من المردة حفظا للنجوم
الكتاب والاهتدا به في الدين والدنيا وغير ذلك من الحكم التي تحير فيها الحكما فقال تعالى **والنجم** اي هذا
الجنس من نجوم السما او القران لنزوله مفرقا وهم يسمون التفريق تنجيما او النبات قال البغوي سمي النجم
نجما لطلوعه وكل طالع نجم **اذا هوى** اي نزل للافول او لرجم الشياطين عند الاستراق كما رواه عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كان المراد السماوي فكانت عنده العبادة والاستغفار والدعا للملك
الجبار بالاسحار او صعد فكان به اهتدا الساري والمصلي والقاري فانه يقال هوى هويا بالفتح
اذا سقط وبالضم اذا علا وصعد او نزل به الملك للاسعاد او الابعاد ان كان المراد القراني لما يحصل
به من البركات في الدين والدنيا والشرح للصدور والاطلاع على عجايب المقدور او اذا سقط
منبسطا على الارض او ارتفع عنها ان كان المراد النباتي لما فيه من غريب الصنعة وجليل التقدير
الدال على تمام القدرة وكمال العلم والتوحد بالملك والغنى المطلق ولما اقسم بهذا القسم الجليل
اجابه بقوله معبرا بالماضي نفيا لما كانوا رموه به وليشمل ما قبل النبوة فيكون ما بعدها بطريق الاولى
ما ضل اي عدل عن سوا المحجة الموصلة الى غاية المقصود اي انه ما عمل عمل الضالين يوما من
الايام فما تقول القران من عنده ولا عمل فيه عمل المجانين ولا غيرهم مما رموه به واما وجدك ضالا
فالمراد غير عالم وعبر بالصحبة لانها مع كونها ادل على القصد مرغبة له فيه ومقبلة بهم اليه ومقبحة
عليهم اتهامه في انذاره وهم يعرفون طيب اعراقه وطهارة شمايله واخلاقه فقال **صاحبكم** اي في
انذاره لكم بالقيمة فلا وجه لكم في اتهامه ولما كان الهدى قد يصحبه ميل لا يضر بالوصول الى
القصد وان حصل به نوع خلل في القرب او نحوه وقد يكون القصد معه غير صالح قال **وما غوى**
اي وما مال ادنى ميل ولا كان مقصده مما يسوء فانه محروس من اسباب الغواية من الشياطين وغيرها
وقد دافع سبحانه عن نبينا صلى الله عليه وسلم واما بقية الانبيا فدافعوا عن انفسهم ليس بي
ضلالة ليس بي سفاهة ونحو ذلك قاله القشيري ولما كان ذلك قد يكون مع الهوى مصادقة قال
وما ينطق اي يجاوز نطقه فمه في وقت من الاوقات لا في هذا الحال ولا في الاستقبال نطقا ناشيا

عن الهوي اي عن امره كالكهان الذين يغلب كذبهم صدقهم والشعرآ وغيرهم وما يقول هذا القران من عند
نفسه ولما اكد سبحانه في نفيه ذلك عنه هذا التاكيد تبرئة له عما نسب اليه فكان ذلك مظنة السؤال
عن اصل ما يقوله اجاب بالحصر لانه اصرح وادفع لانكارهم البالغ فقال ان اي ما هو اي الذي يتكلم
به من القران وبيانه وكل اقواله وافعاله واحواله بيانه الا وحي اي من الله تعالي واكد بقوله
يوحي اي يجدد اليه ايحاوه متاوقتا بعد وقت ويجوز ان يجتهد صلي الله عليه وسلم فاذا استقر اجتهاده
علي شي اوحي اليه انك قد اصبت الحق مع انه اذن له سبحانه في الاجتهاد بالوحي ومع ان من يرد ما يجتهد
فيه الي ما اوحي اليه بري من الهوي وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير في برهانه لما قطع سبحانه تعلقهم
بقولهم ساحر وشاعر ومجنون الي ما هزاوا به مما علموا انه لا يقوم علي ساق ولكن شان المنقطع المبهوت
ان يستريح الي كل ما امكنه وان لم يغن عنه اعقب ذلك تعالي بقسمه علي تنزيه نبيه وصفيه من خلقه عما
تقوله وتوهمه ضعفاوهم فقال تعالي والنجم اذا هوي ما ضل صاحبكم وما غوي ثم اتبع سبحانه هذا
القسم ببسط الحال في تقريبه عليه السلام وادنايه وتلقيه لما يتلقاه من ربه وعظم منزلته لديه
وفي اثنا ذلك يحركهم عن وجل ويذكرهم ويوبخهم علي سو مرتكبهم بتلطف واستدعا كريم منعم فقال تعالي
افرايتم اللات والعزي واتحت الاي علي هذه الاعراض الي الاعلام بانفراده سبحانه بالايجاد والقهر
والاعزاز والانتقام لا يشاركه في شي من ذلك غيره فقال تعالي وان الي ربك المنتهي وانه هو اضحك وابكي
ولما بين ذلك فقال فباي الا ربك تتماري اي في اي نعمة تشكون ام باي اية تكذبون ثم قال
هذا نذير من النذر الاولي واذا كان عليه السلام فشان مكذبيه شان مكذبي غيره انتهي ولما كان
الوحي ظاهرا فيما يكون بواسطة الملك تشوق السامع الي بيان ذلك فقال مبينا له باوصافه لان ذلك اضخم
في حقه واعلي لمقداره فقال علمه اي صاحبكم الوحي الذي اتاكم به شديد القوي اي فلا تعجبوا
من هذه البحار الزاخرة التي فاقتكم وهوابي فان معلمه بهذه الصفة التي هو بها بحيث ينفذ كل ما امره
الله به ذو مرة اي جزم في قوة وقدرة عظيمة علي الذهاب فيما امر به والطاقة لحمله بغاية النشاط
والحدة كانه ذو مزاج غلبت عليه الحدة فهو صعب المراس في مرا ولنه ماض علي طريقه واحد علي غاية
من الشدة لا توصف لا التفات له بوجه الي غير ما امر به فهو علي غاية الخلوص فهو مجتمع القوي مستحكم
الشان شديد الشكيمة لا يسام في شي يزاوله ومن جملة ما اعطي من القوة القدرة علي التشكل والي
ذلك كله اشار بما سبب عن هذا من قوله فاستوي اي فاستقام واعتدل بغاية ما يكون من قوته
علي اكمل حالاته في الصورة التي فطر عليها وهو اي والحال ان جبريل عليه السلام وجوزوا ان يكون
الضمير المنفصل للنبي صلي الله عليه وسلم اي استوي جبريل والنبي عليهما السلام معه بالافق الاعلي اي
الناحية التي هي النهاية في العلو والفضل من السموات مناسبة لحالة هذا الاستوا وذلك حين راه
صلي الله عليه وسلم جالسا علي كرسي بين السما والارض قد سد الافق ولما كان الدنو من الحضرة
الالهية التي هي مهياة لتلقي الوحي من العلو والعظمة بحيث لا يوصف اشار الي ذلك باداة التراخي
فقال ثم اي بعد ذلك الاستوا العظيم دنا اي جبريل عليه السلام من الجناب الاقدس دنو زيادة
في الكرامة لا دنو مسافة وكل قرب يكون منه سبحانه فهو مع انه منزه عن المسافة يكون علي وجهين
من قرب خلقه فهو اقرب الي كل موجود من نفسه وقرب ولاية حتي يكون سمع الموجود وبصره بمعني
انه لا يسمع ولا يبصر الا بما يرضاه اشار اليه ابن برجان فاخذ الوحي الذي اذن له في اخذه في
ذلك الوقت فتدلي عقب ذلك رسولا من الله الي صاحبكم اي نزل اليه نزولا هو فيه كالمتدلي يحبل
فوصل اليه ولم ينفصل عن محله من الافق الاعلي لما له من القوة والاستحكام قال البيضاوي فان

التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة فكان في القرب من صاحبكم في راي من يراه منكم قاب اي علي
مسافة قدر قوسين من قسيكم قال الرازي في اللوامع اي بحيث الوتر في القوس مرتين وعن ابن عباس
رضي الله عنهما القوس الذراع بلغة ازد شنوءة وقال ابن برجان قاب القوسين ما بين السيتين
وقيل ما بين القبضة والوتر او ادني بمعني ان الناظر منكم لو راه لتردد وقال ذلك من شدة ما
يري له من القرب منه صلي الله عليه وسلم روي مسلم في الايمان من صحيحه عن الشيباني قال سالت
زر بن حبيش عن قول الله تعالي فكان قاب قوسين فقال اخبرني ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلي
الله عليه وسلم راي جبريل عليه السلام له ستماية جناح فاوحي اي القي سرا من كلام الله بسبب هذا القرب
وعقبه الي عبده اي عبد الله واضماره من غير تقدم ذكر صريح لما هو معلوم مما تقدم في الشوري ان
كلام الله يكون وحيا بواسطة رسول يوحي باذنه سبحانه والمقام مناسب للاضمار لان الوحي هو
الكلام الخفي وعبر بالعبد اشارة الي انه لم يكن احد يستحق هذا الامر العظيم غيره لانه لم يتعبد قط
لاحد غير الله وكل من عداه حصل منهم تعبد لغيره في الجملة فكان احق الخلق بهذا الوصف مع ما كان يتعبد
به لله في غار حرا وغيره وهذه النزلة والله اعلم كانت علي هذا التقدير في اول الوحي لما كان
بحرا وفرق منه النبي صلي الله عليه وسلم فرجع ترجف بوادره وقال زملوني زملوني واشار الي
عظمة ما انزل به بقوله ما اوحي اي انه امر يجل عن الوصف فاجمل له ما فصله بعد ذلك هذا الذي
ذكر من تفسير الضماير ظاهر العبارة وان كان الاضمار في جميع الافعال لا يخلو عن الباس واشكال
ويمكن لاجل احتمال الضماير لما بينا سببها من الظواهر ان يكون ضمير دنا وما بعده لله تعالي وحينيذ
يصير الضمير في عبده واضحا كما تقدم في هذا الوجه جعله له سبحانه لانه لا يجوز غيره روي البخاري
في التوحيد في باب وكلم الله موسي تكليما عن انس رضي الله عنه عن قصة الاسرا برسول الله صلي الله
عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاه ثلثة نفر قبل ان يوحي اليه وهو نايم في المسجد الحرام فقال اولهم
ايهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال اخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتي اتوه ليلة
اخري فيما يري قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه
حتي احتملوه فوضعوه عند بير زمزم فتولاه منهم جبريل عليه السلام فشق جبريل ما بين نحره الي لبته
حتي فرغ من صدره وجوفه فغسله من ما زمزم بيده حتي انقي جوفه ثم اتي بطست من ذهب فيه تور من
ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشا صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم اطبقه ثم عرج به الي السما فضرب
بابا من ابوابها فناداه اهل السما من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه
قال نعم قالوا فمرحبا به واهلا ثم ذكر عروجه الي السموات السبع وانه لما وصل الي السما علا فوق
ذلك بما لا يعلمه الا الله حتي جا سدرة المنتهي ودنا الجبار رب العزة فتدلي حتي كان منه قاب
قوسين او ادني فاوحي اليه فيما يوحي الله خمسين صلاة فذكر مشورة موسي عليه السلام في سؤال
التخفيف حتي صارت خمسا كل واحدة بعشر فقوله ودنا الجبار رب العزة صريح في هذا الوجه وهو
في غاية الحسن اذا جمعته مع ما ياتي في الوجه المنقول عن جعفر الصادق رحمه الله فيكون المعني
انه صلي الله عليه وسلم لما استوي بالافق الاعلي الي حد لا يمكن المخلوق الصعود عنه تنزل له الخالق
سبحانه ولذلك عبر بثم يعني انه سبحانه تنزل له تنزلا لا يمكن الاطلاق علي كنه رتبته في العلو والعظمة
ثم تنزل ثم تنزل ولما كانت العبارة ربما اوهمت شيا لا يليق نفاه صلي الله عليه وسلم بما في
الرواية من تخصيص التعبير باسم الجبار فعلم انه قربه تقريبا يليق به وسمي ذلك دنوا فكان الدنو
والتدلي تمثيلا لما وصل منه سبحانه الي عبده محمد صلي الله عليه وسلم بغاية السهولة واليسر واللطافة

مع اتصاله بالحضرات القدسية والتعبير بالتدلي لافهام العلو مثل ما كني بالنزول كل ليلة الي سما
الدنيا عن اجابة الدعا بفتح ابواب السما كما رويناه في جزء العيشي من حديث عثمان ابن ابي العاصي رضي
الله عنه تمثيلا بما نعرفه من حال الملوك في ان احدهم يكون نزوله عن سريره اذنا في اتيان خواصه اليه
وفتح بابه اذنا لمن بينهم وكلما نزل درجة كان الاذن اعم الي ان يصل الي الاذن العام لجميع الناس هذا
مع علم المخاطبين بان ذلك علي سبيل التمثيل لمن يحتاج الي هذه الدرجات واما من هو غني عن كل شي
فله المثل الاعلي لا يشبه شيا ولا يشبهه شي وفي قران الفجر من سورة سبحان لهذا مزيد بيان
وقال القاضي عياض في الشفا ما حاصله ان تلك الضماير للنبي صلي الله عليه وسلم فقال قال جعفر
ابن محمد يعني الصادق ابن الباقر أدناه ربه منه حتي كان منه كقاب قوسين وقال ايضا انقطعت
الكيفية عن الدنو الا تري كيف حجب جبريل عليه السلام عن دنوه ودنا محمد صلي الله عليه وسلم الي ما أودع
قلبه من المعرفة والايمان فتدلي بسكون قلبه الي ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب وقال
جعفر ايضا والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود انتهي وحينئذ يكون ضمير استوي له صلي
الله عليه وسلم ويكون المعني فتسبب عن تعليم جبريل له استواوه اي اعتدال علمه الي غاية لم يصلها غيره
من الخلق علما وكشفا بالملك والملكوت والحال انه بالافق الاعلي علي ليلة الاسرا وتدليه كناية عن وصوله
بسبب عظيم حامل حمل السبب للمتدلي وعبر به وهو ظاهر في النزول من علو مع عدم الانفصال منه ليلا
يوهم اختصاص جهة العلو به سبحانه دون بقية الجهات ومنه اقرب ما يكون العبد من ربه وهو
ساجد وكذا ما قيل في الاشارة بلا تفضلوني علي يونس بن متي ومن المحاسن جدا ان يكون ألف تدلي
المنقلبة عن يا في هذا الوجه بدلا من لام فيكون من التدلل وهو الانبساط وثوقا بالمحبة يقال تدلل
عليه اي انبسط ووثق بمحبته فأفرط عليه وانبساطه صلي الله عليه وسلم وافراطه كثرة سواله وشفاعته
في امته وبذلك ظهر الي عالم الشهادة انه ارحم الخلق كما كان معلوما في عالم الغيب فتسبب عنه
زيادة تقريبه حتي كان قاب قوسين او ادني وابراز هذا الكلام في هذه الضماير المحتملة لهذه الوجوه
من غير ظاهر يعين المراد مناسب لتلك الحالة فانها كانت حالة غيب وخفا وستر وكان العلم فيها واسعا
وسوق الضماير هكذا يكثر احتمال الكلام للوجوه فيتسع العلم مع انه ليس فيها وجه يودي الي
لبس في الدين ولا ركاكة في معني ولا نظم ولا محال في العلم والله اعلم ولما اثبت هذا الكلام ما
اثبت من القرب للنبي صلي الله عليه وسلم بمن أوحي اليه علي كلا التقديرين قرره علي وجه افاد الرؤية
فقال ما كذب الفواد اي القلب الذي هو في غاية الذكا والانتقاد ما راي البصر اي انه حين رؤية
البصر كان حاضرا القلب لا انها رؤية بصر فقط يمكن فيها للخلو عن حضور القلب النسبة الي الغلط
وقال القشيري ما معناه ما كذب فواد محمد صلي الله عليه وسلم ما راه بصره علي الوصف الذي
علمه قبل ان راه فكان علمه حق اليقين وفي صحيح مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه قال سالت رسول الله
صلي الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نور اني اراه وفي صحيح مسلم ايضا عن مسروق انه قال
لعايشة رضي الله عنها لما انكرت الرؤية الم يقل الله تعالي ولقد راه بالافق المبين ولقد راه نزلة
اخري فقالت انا اول هذه الامة سال عن ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال انما هو جبريل
عليه السلام لم اره علي صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رايته منهبطا من السما سادا اعظم
خلقه ما بين السما والارض قال البغوي وذهب جماعة الي انه راه فقال بعضهم جعل بصره في فواده
ثم روي من صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال راه بفواده مرتين وذهب جماعة الي انه
راه بعينه وهو قول انس رضي الله عنه وقال ابن برجان ما معناه ان النوم والمتحقق من ايات الله

علي لقا الله

علي لقا الله وهي مقدمات لذلك ولكل حقيقة حق يتقدمها كاشراط الساعة والاسرا وان لم يكن موتا ولا
صعقا ولا نوما علي اظهر الوجوه فقد خرج عن مشاهدات الدنيا الي مشاهدة الافق الاعلي فلا نكير في رؤية
هنالك فالاسرا حالة غير حالة الدنيا بل هي من احوال الاخرة وعالم الغيب والله الهادي ولما تقرر
ذلك غاية التقرر كان موضع الانكار عليهم فقال مسببا عن ذلك افتمارونه اي تستخرجون منه
بجدالكم له فيما اخبركم به شكا فيه ولا شك فيه وعبر بالمفاعلة في قراة الجماعة غير حمزة والكسايي ويعقوب
اشارة الي اجتهادهم في تشكيكه من مري الشي استخرجه ومري الناقة مسح ضرعها فامرت هي در لبنها
والمرية بالكسر والضم الشك والجدل علي ما يري علي صفة مطابقة القلب والبصر وذلك مما لم تجر
العادة بدخول الشك فيه ولا قبوله للجدال وزاد الامر وضوحا بتصوير الحال الماضية بالتعبير بالمضارع
اشارة الي انه ما نسي كما انه لم يهم ولم يلتبس الامر عليه بل كانه الان ينظر ولما كان الشي اقوي ما
يكون اذا كان بحس البصر فاذا وافقه كون القلب في غاية الحضور كان امكن فاذا تكرر انقطعت الاطماع
عن التعلق بالمجادلة فيه قال موكدا لاجل انكارهم ولقد راه اي الله تعالي وجبريل عليه السلام علي
صورته الحقيقية روي مسلم في الايمان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال ما كذب الفواد
ما راي ولقد راه نزلة اخري قال راه بفواده مرتين وجعل ابن برجان الاسرا مرتين الاولي بالفواد
وهذه بالعين ولما كان ذلك لا ياتي الا بتنزل يقطع مسافات البعد التي هي الحجب ليصير به
بحيث يراه البشر عبر بقوله نزلة وانتصب علي الظرف لان الفعلة بمعني المرة اخري اي ليكمل له الامر
مرة في عالم الكون والفساد واخري في المحل الانزه الاعلي وعين الوقت بتعيين المكان فقال عند
سدرة المنتهي اي الشجرة التي هي كالسدر وينتهي اليها علم الخلايق بينتهي اليها ما يعرج من تحت وما ينزل
من فوق فيتلقي هناك وذلك والله اعلم ليلة الاسرا في السنة الثالثة عشرة من النبوة قبل الهجرة
بقليل بعد ان ترقي في معارج الكمالات من السنين علي عدد السموات وما بينها من المسافات فانتهي
الي منتهي يسمع فيه صريف الاقلام وعظمها بقوله عندها اي السدرة جنة الماوي اي الذي لا ماوي
في الحقيقة غيره لانه لا يوازي في عظمه وزاد في تعظيمها بقوله اذ يغشي السدرة اي يغطيها ويركبها
وثمره من فراش الذهب والرفرف الاخضر والملايكة والنبق وغير ذلك فان الغشو النبق ما يغشي اي لا
يحملون وصفه وهو بحيث يكاد ان لا يحصي واليه الاشارة بقوله صلي الله عليه وسلم في الحديث وغشيها
الوان لا ادري ما هي فليس احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها او كما قال صلي الله عليه وسلم واكد الرؤية
وقررها مستانفا بقوله ما زاغ اي ما مال ادني ميل البصر اي الذي لا بصر لمخلوق اكمل منه فما قصر عن
النظر الي ما اذن له فيه ولا زاد وما طغي اي تجاوز الحد الي ما لم يوذن له فيه مع ان ذاك العالم
غريب عن بني ادم وفيه من العجايب ما يحير الناظر بل كانت له العفة الصادقة المتوسطة بين الشره
والزهادة علي اتم قوانين العدل فاثبت ما راه علي حقيقته وكما هو قال السمرقندي في اول الباب
الثاني والثلثين من عوارفه واخبر تعالي بحسن ادبه في الحضرة بهذه الاية وهذه غامضة من
غوامض الادب اختص بها رسول الله صلي الله عليه وسلم ولما كانوا قد انكروا الاسرا انكارا لم يقع
لهم في غيره مثله زاد في تاكيده علي وجه يعم غيره فقال لقد راي اي ابصر بسبب ما اهلناه له من الرسالة
تلك الليلة ابصارا ساريا الي البواطن غير مقتصر علي الظواهر من ايات ربه اي المحسن اليه بما لم يصل
اليه احد قبله ولا يصل اليه احد بعده ومن ادعي ذلك فهو كافر الكبري من ذلك ما راه في السموات
من الانبيا عليهم السلام اشارة بكل نبي الي امر دقيق جليل وحالة شريفة قال الامام ابو القسم السهيلي
في الروض الانف والذي اقول في هذا ان ماخذ فهمه من علم التعبير فانه من علم النبوة واهل التعبير

يقولون من رأي نبيا بعينه في المنام فان رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبي من شدة أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التي اخبر بها عن الانبيا في القران والحديث وحديث الاسرا كان بمكة ومكة حرم الله وأمنه وقطانها جيران الله لان فيها بيته • فاول ما رأي صلي الله عليه وسلم من الانبيا عليهم السلام آدم عليه السلام الذي كان في أمن الله وجواره فاخرجه ابليس عدوه منها وهذه القصة تشبهها الحالة الاولي من احوال النبي صلي الله عليه وسلم حين اخرجه اعداوه من حرم الله وجوار بيته كربه ذلك وغمه فاشبهت قصته في هذا قصة آدم عليه السلام مع ان آدم تعرض عليه ارواح ذريته البر والفاجر منهم فكان في السما الدنيا بحيث يري الفريقين لان ارواح اهل الشقا لا تلج في السما ولا تفتح لهم ابوابها كما قال الله • ثم رأي في الثانية عيسي ويحيي عليهما السلام وهما الممتحنان باليهود اما عيسي عليه السلام فكذبته اليهود وآذته وهموا بقتله فرفعه الله واما يحيي عليه السلام فقتلوه ورسول الله صلي الله عليه وسلم بعد انتقاله الي المدينة صار الي حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود آذوه وظاهروا عليه وهموا بالقا الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجي عيسي عليه السلام منهم ثم سموه في الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتي قطعت ابهره كما قال عند الموت وهكذا فعلوا بابني الخالة عيسي ويحيي لان ام يحيي اشياع بنت عمران اخت مريم امهما واحدة • واما لقاوه ليوسف عليه السلام في السما الثالثة فانه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حالة يوسف عليه السلام • وذلك ان يوسف ظفر باخوته بعد ما اخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال لا تثريب عليكم اليوم الاية وكذلك نبينا صلي الله عليه وسلم أسر يوم بدر جملة من اقاربه الذين اخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من اطلق ومنهم من افداه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم • ثم لقاوه لادريس عليه السلام في السما الرابعة وهو المكان الذي سماه الله مكانا عليا وادريس اول من اتاه الخط بالقلم فكان ذلك موذنا بحالة رابعة وهو علو شانه عليه السلام حتي اخاف الملوك وكتب اليهم يدعوهم الي طاعته حتي قال ابو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبي صلي الله عليه وسلم وراي ما راي من خوف هرقل لقد أمر أمر ابن ابي كبشة حين اصبح يخافه ملك ابن الاصفر وكتب عنه بالقلم الي جميع ملوك الارض فمنهم من اتبعه علي دينه كالنجاشي وملك عمان ومنهم من هادنه واهدي اليه واتحفه كهرقل والمقوقس ومنهم من تعصي عليه فاظفره الله به فهذا مقام علي وخط بالقلم كنحو ما أوتي ادريس عليه السلام • ولقاوه في السما الخامسة لهرون عليه السلام المحبب في قومه يؤذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه • ولقاوه في السما السادسة لموسي عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسي حين أمر بغزو الشام فظهر علي الجبابرة الذين كانوا فيها وادخل بني اسرايل البلد الذين خرجوا منه بعد اهلاك عدوهم وكذلك غزا رسول الله صلي الله عليه وسلم تبوك من ارض الشام وظهر علي صاحب دومة حتي صالحه علي الجزية بعد ان اتي به اسيرا وافتتح مكة ودخل اصحابه البلد الذي خرجوا • ثم لقاوه في السما السابعة ابراهيم عليه السلام لحكمتين احداهما انه راه عند البيت المعمور مسندا ظهره اليه والبيت المعمور حيال الكعبة واليه تحج الملايكة كما ان ابراهيم عليه السلام هو الذي بني الكعبة واذن في الناس بالحج اليها • والحكمة الثانية ان آخر احوال النبي صلي الله عليه وسلم حجه الي البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو من سبعين الفا من المسلمين ورويته ابراهيم عليه السلام عند اهل التاويل تؤذن بالحج لانه الداعي اليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة انتهي • وهذا المقام وهو الاسرا وما تفرع منه هو الموصل الي اعلي ما يكون في تجريد التوحيد فجعل سبحانه عنوانه المفروض فيه الحاجز بين الاسلام والشرك وهو الصلاة الجامعة لمعاني الدين الشاملة لجميع البركات

بان

بان جعلت خمسين مستغرقة لجميع الفراغ ثم ردت الي خمس دون القوي بكثير ثم رتب عليها اجر الخمسين ورفع كل واحد من صلاة الجماعة الي سبع وعشرين صلاة وفضل صلاتي الطرفين الصبح الثابتة والعصر الرباعية بشهادة فريقي الملايكة وكتابتهما في صحيفة كل من الجمعين • وقال حمزة الكرماني في جوامع التفسير فاسري به في شهر ربيع الاول قبل الهجرة بسنة من بيت ام هاني رضي الله عنها ثم سا ق حديث الاسرا مساقا عظيما جدا طويلا • ولما اخبر سبحانه عن استقامة طريق نبيه صلي الله عليه وسلم بما ثبتت به رسالته بما أوحي إليه وما اراه من اياته التي ظهر بها استحقاقه سبحانه للالهية منفردا بها سبب عنه الانكار عليهم في عبادة معبوداتهم علي وجه دال علي انها لا تصلح لصالحة فقال أفرأيتم اي أخبروني بسبب ما تلوت عليكم من هذه الايات الباهرات هل رأيتم روية خبرة بالباطن والظاهر اللات وهي صنم ثقيف والعزي وهي شجرة لغطفان وهما اعظم اصنامهم فانهم كانوا يحلفون بها ومناة وهي صخرة لهذيل وخزاعة ودل علي انها عندهم بعدهما في الرتبة بقوله مشيرا بالتعدد والتعبير عنه بما عبر به الي ان شيا منها لا يصلح لصالحة حتي ولا ان يذكر الثالثة الاخري اي انه ما كفاهم خرق سياج العقل في مجرد تعديد الاله بجعله اثنين حتي اضافوا ثالثا واقروا بانه متاخر الرتبة فكان الاله عندهم قد يكون مربوبا سافلا ويكون ملازما للتسفول بكونه انثي • قال الرازي في اللوامع وانثوا اسماها تشبيها لها بالملايكة علي زعمهم انها بنات الله انتهي • ولا شك عند من له أدني معرفة بالفصاحة ان هذا الاستفهام الانكاري والتعبير بما من شانهم كراهته لانفسهم بالولادة التي هي احب الاشيا الي الانسان بل الحيوان لا يوافقه ان يقال بعده ما يقتضي مدحا بوجه من الوجوه فتبين بطلان ما نقل نقلا واهيا من انه قيل حين قريت هذه السورة في هذا المحل تلك الغرانيق العلي الي اخره لعلم كل عربي ان ذلك غاية في الهذيان في هذا السياق فلا وصلة بهذا السياق المعجز بوجه • ولما كان التقرير بما افهمه السياق كيف ادعيتم انها الهة أهي كذلك مع ان عادتكم احتقار الاناث عن ان يكن لكم اولادا فكيف رضيتم ان يكن لكم الهة وتكونوا لها عبادا مع انها لم تنزل لكم وحيا ولا ارسلت اليكم رسولا ولا فعلت مع احد منكم شيا مما اكرمنا به عبدنا محمدا صلي الله عليه وسلم ولا ارتكم قط اية ولا هي متاهلة لشي من ذلك بل لا تملك ضرا ولا نفعا وادعيتم انها بناته او استوطنها جنيات هي بناته • وادعيتم مع ادعا مطلق الولدية لمن لا يليق به حاجة ولا شبيه له ان له اردي الصنفين فكان ذلك نقصا مضموما الي نقص وبخسا علي بخس سبحانه وتعالي عن صاحبة أو ولد فاستحققتم بذلك الانكار الشديد وعلم بهذا التقدير الذي هدي اليه ولابد السياق بطلان حديث الغرانيق ولاسيما مع تعقيبه بقوله ألكم اي خاصة الذكر اي النوع الاعلي • ولما كانت الاسما مشعرة بالتانيث وكانوا قد يسمون الذكر باسم مونث صرح بالمراد فقال وله اي وحده الانثي اي النوع الاسفل ولما كان الاستفهام انكاريا زاد الانكار بقوله فذلكة لفعلهم تلك اي هذه القسمة البعيدة عن الصواب اذا اي اذ جعلتم البنات له والبنين لكم قسمة ضيزي اي جايرة ظالمة ناقصة فيها بخس للحق الي الغاية عوجا غير معتدلة حيث خصصتم به ما اوصلتكم الكراهة له الي دفنه حيا وقد علم ان الاية من الاحتباك ذكر اسماها في اسلوب الانكار علي حذف انكار كونها الهة وانكار تخصيصه بالاناث علي حذف ما يدل انهم جعلوها بناته • ولما اتم هذا الانكار بطلان قولهم هذا حصر القول الحق فيها فقال مستانفا ان اي ما هي اي هذه الاصنام الا اسما اي لا حقايق لها فيما ادعيتم لها من الالهية ليس لها من ذلك غير الاسما واكد ذلك بقوله سميتموها اي ابتدعتم تسميتها بها انتم واخذتم قولكم من اصله فقال واباوكم اي لا غير بمجرد الهوي لم تروا منها اية ولا كلمتكم قط كلمة تعتمدونها وعلي تقدير ان تكلم الشياطين علي السنتها فاي طريقة قويمة شرعت لكم واي كلام صالح أو بليغ برز اليكم

منها واي اية كبري ارتكبوها ولما علم بهذا ان الله تعالي لم يامرهم بشي من ذلك صرح به نافيا
ان يدل علي ما وسموها به دليل فقال انما ولما تقدم في الاعراف نزل التاني للتدريج لما تقدم مما
اقتضاه بغي هنا الانفعال التاني لاصل الفعل سوا كان بالتدريج او غيره لان المفصل لباب القران
فهو للمقاصد وذلك كاف في ذم الهوي الذي هو مقصود السورة انزل الله اي الذي له جميع
صفات الكمال بها اي لا باستحقاقها للاسما ولا لما وسموها به من الالهية واغرق في النفي بقوله
من سلطان اي حجة تصلح مسلطا علي ما يدعي فيها ولما كان هذا النفي المستغرق موجبا للخصم
ايساع الحيلة في ذكر دليل علي اي وجه كان وكان هولا قد ابلسوا حين سماع هذا الكلام لم يجدوا
ما يقولون ولا يجدون فكان من حقهم ان يرجعوا فلم يرجعوا اعرض عنهم ابدانا بشديد الغضب قايلا
إن اي ما يتبعون اي في وقت من الاوقات في امر هذه الاوثان بغاية جهدهم من انها الهة وانها
تشفع لهم او تقربهم الي الله الا الظن اي وهو غاية امرهم لم يحسن الظن بهم والظن ترجيح احد الجايز
علي زعم الظان ولما كان الظن قد يكون موافقا للحق مخالفا للهوي قال وما تهوي الانفس اي
تشتهي وهي لما لها من النقص لا تشتهي ابدا الا ما يهوي بها عن غاية اوجها الي اسفل حضيضها واما المعالي
وحسن العواقب فانما يسوق اليها العقل قال القشيري فاما الظن الجميل بالله فليس من هذا الباب
والتباس عواقب الشخص عليه ليس من هذه الجملة بسبيل انما الظن المعلول في الله وصفاته واحكامه
ولقد اي العجب انهم يفعلون ذلك والحال انه قد جاءهم من ربهم اي المحسن اليهم الهدي اي الكامل
في بابه الي الدين الحق بالكتاب الناطق بالصواب علي لسان الرسول صلي الله عليه وسلم والراي يقتضي
ان من راي الهدي تبعه ولو اتاه به عدوه فكيف اذا اتاه به من هو معترف بانه افضل منه من
عند من احسانه لم ينقطع عنه قط ولما كان التقدير اعليهم ان يتركوا اهويتهم ويهتدوا بهدي ربهم
الذي لا ملك لهم معه ام لهم ما تمنوا هكذا كان الاصل ولكنه ذكر الاصل الموجب لاتباع الهوي فقال
للإنسان اي الانس بنفسه المحسن لكل ما تاتي وما تذر ما تمني اي من اتباع ما يشتهي من جاه ومال
وطول عمر ورفاهة عيش ومن كفره وعناده وقوله ولين رجعت الي ربي ان لي عنده للحسني ولما
كان الاستفهام انكاريا كان المعني ليس له تمني وكان ذلك دليلا قطعيا علي انه مربوب مقهور لمن له
الامر كله فسبب عنه قوله فلله اي الملك الاعظم وحده ولما كانت الاخري دار اللذات وبلوغ
جميع الاماني او حرمانها وكانوا يدعون ان لهم فيها علي تقدير كونها جميع ما يتمنون من شفاعة الهتهم
واجابتها الي اسعادهم ونحو ذلك قدم قوله الآخرة فهو لا يعطي الاماني فيها الا لمن تبع هداه وخالف
هواه والاولي فهو لا يعطي جميع الاماني فيها لاحد اصلا كما هو مشاهد فمن ترك هواه فيها نال اماني
في الاخرة ومن تبع هواه لم يصل الي مراده في الدنيا وحرم امنيته في الاخرة فلهذا قدمها لا للفاصلة
فانه لو قيل الاخري لصلحت للفاصلة ولما كان التقدير فكم من شخص في الارض ترونه مع انه في
غاية المكنة فيما يظهر لكم لا يصل الي ربع ما يتمناه عطف عليه قوله مظهرا لفخامة ملكه وانه لا يبالي
باحد دالا علي الكثرة وكم من ملك اي مقرب ودل علي زيادة قربه بشرف مسكنه فقال في
السموات اي وهم في الكرامة والزلفي لا تغني اي تجزي وتسد وتكفي ولما كان رد الجمع حال
اجتماعهم ادل علي العظمة عبر بما يحتمل ذلك فقال شفاعتهم اي عن احد من الناس شيا ثم قصر الامر عليه
وردهُ بحذافيره اليه بقوله الا ودل باثبات الجار علي انه مع ما تحته سبحانه لا مطلقا فقال من بعد
أن يأذن اي يمكن ويريد الله اي الذي لا امر اصلا لاحد معه وعبر بان والفعل دلالة علي انه لا الملكه
عموم لبعد الاذن لجميع الاوقات وانما ذلك متجدد مع تجدد الاذن علي حسبه وقيد الامر اثباتا للعموم

العظمة

العظمة بقوله لمن يشا اي يتجدد تعلق مشيته به لان يكون شافعا او مشفوعا له ولما كان الملك
قد ياذن في الشفاعة وهو كاره قال معلما انه ليس كاوليك ويرضي فحينيذ تغني شفاعتهم اذا كانوا من
الماذون لهم كل هذا قطعا لاطماعهم عن قولهم بمجرد الهوي ان الهتهم تشفع لهم ولما اخبر باتباعهم
للهوي ونفي ان يكون لهم من ذلك ما يتمنونه دل علي اتباعهم للهوي بقوله موضع انهم ان الذين واكد
تنبيها علي انه قول بالغ في العجب الغاية فلا يكاد يصدق ان عاقلا يقوله واعلم بما جراهم علي قولهم ذلك
وامثاله بقوله لا يؤمنون اي يصدقون مقرين بالآخرة ولمثل ذلك اكد قوله ليسمون الملايكة
اي كل واحد منهم وهم رسل الله تسمية الانثي بان قالوا هي بنات الله كما يعالي في جنس الانثي بنات وما
اي والحال انهم ما لهم به اي بما سموهم به واغرق في النفي بقوله من علم ولما نفي علمهم تشوف السامع
الي الحامل لهم علي ذلك فقال ان اي ما يتبعون اي بغاية ما يكون من شهوة النفس في ذلك وغيره الا
الظن ولما كانوا كالقاطعين بان ذلك ينفعهم اكد قوله وان اي والحال ان الظن اي مطلقا في هذا
وغيره ولذلك اظهر في موضع الاضمار لا يغني اي اغنا مبتديا من الحق اي الامر الثابت في نفس الامر الذي
هو حقيقة الشي وذاته بحيث يكون الظن بدله والظن انما يعتبر في العمليات لا العلميات ولا سيما
الاصولية شيا اي من الاغنا عن احد من الخلق فانه لا يودي ابدا الي الجزم بالعلم بالشي علي ما هو
عليه في نفس الامر فهو ممنوع في اصول الدين فان المقصود فيها تحقيق الامر علي ما هو عليه في الواقع
واما الفروع فان المكلف به فيها هو الظن لكن بشرطه الماذون فيه وهو رده الي الاصول المستنبط
منها لعجز الانسان عن القطع في جميع الفروع تنبيها علي عجزه وافتقاره الي الله ليقبل عليه ويبرا من حوله
وقوته ليكشف له عن الحقايق ولما كانوا بعد مجي الهدي قد اصروا علي الهوي وكانت هذه
السورة في اوايل ما نزل والمومنون قليل سبب عن ذلك قوله فاعرض عمن تولي اي كلف نفسه خلاف
ما يدعوه اليه العقل والفطرة الاولي عن ذكرنا اي ذكره اياناً فاعرض عن الذكر الذي انزلناه فلم يتله
ولم يتدبر معانيه فلا تلتفت الي شي من عمله فانه مطموس علي قلبه ولو كان ذهنه ادق من الشعر فانه لا
يقوده الا الي شر ولا تذهب نفسك عليهم حسرات فانه ما عليك الا البلاغ ولما كان المعرض في
وقت قد يقبل في آخر دل علي دوامه علي وجه بليغ بقوله ولم يرد اي في وقت من الاوقات الا
الحياة الدنيا اي الحاضرة لتقيده بالمحسوسات كالبهايم مع التعامي عن دناتها وحقارتها ثم ترجم جملتي الاعراض
والارادة بقوله ذلك اي الامر المتناهي في الجهل والقباحة مبلغهم اي نهاية بلوغهم وموضع بلوغهم
والحاصل لهم وتهكم بهم بقوله من العلم اي غايتهم من العلم انه لا علم لهم لان عيون بصايرهم عمي ومراييها
كثيفة مظلمة لا تشف عن نظر الاخرة التي هي اصل العلوم كلها ثم علل هذه الجملة بقوله موكدا قطعا لطمع
من يظن ان وعظه وكلامه يرد احدا عن غيه وان ابلغ في امره ودعاه في سره وجهره واعلاما بان
ذلك انما هو من الله فمن وعظ له سبحانه راجيا منه في انجاحه او شك ان ينفع به كما فعل في وعظ مصعب
ابن عمير رضي الله عنه فصغي به اسيد بن حضير وسعد بن معاذ رضي الله عنهما في ساعة واحدة كما هو
مشهور في السيرة إن ربك اي المحسن اليك بالارسال وغيره هو اي وحده اعلم بمن ضل عن سبيله
ضلالا مستمرا فلا تعلق املك بان يصل علمه الي ما وراء امر الدنيا وعبر بالرب اشارة الي ان ضلالهم هذا
من الاحسان اليه صلي الله عليه وسلم لانه لو دخل في دينه لافسد اكثر مما يصلح كما قال تعالي ولاوضعوا
خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم وذلك لانه جبل جبلة غير قابلة للخير وهو اي وحده اعلم بمن
اهتدي اي ظاهرا وباطنا ولما كان هذا ربما اوهم ان من ضل علي هذه الحالة ليس في قبضته
قال نافيا لهذا الايهام مبينا ان له الاسما الحسني ومقتضياتها في العالم موضع والحال انه له اوعطفا

علي ما تقديره فلله من في السموات ومن في الارض **ولله** اي الملك الاعظم وحده **ما في السموات** من الذوات
والمعاني فيشمل ذلك السموات والاراضي فان كل سما في التي تليها والارض في السما **وما في الارض**
وكذلك الاراضي والكل في العرش وهو ذو العرش العظيم **ولما** امره صلي الله عليه وسلم بالاعراض
عنهم وسلاه واعلم ان الكل في ملكه فلو شا لهداهم ولرفع النزاع ولكنه له في ذلك حكم تحار فيها الافكار
علل الاعراض كما تقدم في الحاشية في قوله قل للذين امنوا يغفروا بقوله **ليجزي** اي يعاقب وهو سبحانه
كافيا لك ما اهمك من ذلك ويجوز ان يكون التقدير وكما انه سبحانه مالك ذلك كله فهو ملكه ليحكم
بجزا كل علي حسب ما يستحق فان الحكم نتيجة الملك **الذين اساوا** بالضلال **بما عملوا** اي بسببه وبجنسه
اما بواسطتك بسيوفك وسيوف اتباعك اذا اذنت لكم في القتال واما بغير ذلك بالموت حتف الانف
تضرب الملايكة وجوههم وادبارهم ثم بعذاب الاخرة علي جميع ذنوبهم من غير ان يكون عجل لهم في الدنيا
شي ينقص بسببه عذاب الاخرة **ويجزي** اي يثيب ويكرم **الذين احسنوا** اي علي ثباتهم علي الدين
وصبرهم عليه وعلي اذي اعدايهم **بالحسني** اي الثواب الذي هو غاية في الحسن ما بعدها غاية فان الحسني
تانيث الاحسن **ولما** وعد الذين وقع منهم احسان وصفهم فقال **الذين يجتنبون** اي يكلفون
انفسهم ويجهدونها علي ان يتركوا **كباير الاثم** اي ما عظم الشارع اثمه بعد تحريمه بالوعيد او الحد
وعطف علي كباير قوله **والفواحش** والفاحشة من الكباير ما كرهه الطبع وانكره العقل واستخبثه
الشرع **ولما** افهم هذا التعبيد ان من خالطه ما دون ذلك كان مغفورا له صرح به فقال **الا اي**
لكن **اللمم** معفو عنه فمن خالطه لا يخرج عن عداد من احسن فهو استثنا منقطع ولعله وضع فيه الا
موضع لكن اشارة الي ان الصغير يمكن ان يكون كبيرا باستهانته مثلا كما قال تعالي وتحسبونه هينا وهو
عند الله عظيم واللمم هو صغار الذنوب والمراد هنا ما يحصل منها في الاحيان كانه وقع من صاحبه فلتة
بغير اختيار منه لا ما يتخذ عادة او يكثر حتي يصير كالعادة قال الرازي في اللوامع واصله مقاربة
الذنب ثم الامتناع منه قبل الفعل قال ذو النون ذكر الفاحشة من العارف كفعلها من غيره انتهي يقال
الم بالمكان اذا قل لبثه فيه وقال البغوي قال السدي قال ابو صالح انه سيل عن اللمم فقال هو الرجل
يلم بالذنب ثم لا يعاوده قال فذكرت ذلك لابن عباس رضي الله عنهما فقال لقد اعانك عليها ملك كريم ثم
قال البغوي واصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا اقامة انتهي
وعلي هذا يصح ان يكون الاستثنا متصلا **ولما** كان الملوك لا يغفرون لمن تكررت ذنوبه اليهم وان
صغرت فكان السامع يستعظم ان يغفر ملك الملوك سبحانه مثل هذا علل ذلك بقوله **ان ربك** اي المحسن
اليك بارسالك رحمة للعالمين والتخفيف عن امتك **واسع المغفرة** فهو يغفر الصغاير حتما اوجبه علي نفسه
ويغفر الكباير ان شا خلاف غيره من الملوك فانه لو اراد ذلك ما مكنه اتباعه ولو جاهد حتي تمكن من
ذلك في وقت فسدت مملكته فادي ذلك الي زوال الملك من يده او اختلاله **ولما** وصف الذين
احسنوا فكان ربما وقع في وهم انه لا يعلمهم سبحانه الا بافعالهم وربما قطع من عمل بمضمون الاية انه
ممن احسن قال نافيا لذلك **هو اعلم بكم** اي بذواتكم واحوالكم منكم بانفسكم **اذ** اي حين **انشاكم من الارض**
التي طبعها طبع الموت البرد واليبس بانشا ابيكم ادم عليه السلام منها وتهييتكم للتكوين بعد ان لم يكن
فيكم وانتم تراب قابلية للحياة بقوة قريبة ولا بعيدة اصلا فميز التراب الذي يصلح لتكونكم منه والذي لا
يصلح **واذ** اي حين **انتم اجنة** اي مستورون **ولما** كان الستر قد يكون في بطن الارض وان كان الجنين
معروفا للطفل في البطن حقق معناه بقوله **في بطون امهاتكم** بعد ان مزج بذلك التراب البارد اليابس
الما والهوا فنشات الحرارة والرطوبة فكانت هذه الاربعة الاخلاط امهاتكم فكان منها غذاوكم فصيرة

فيكم

فيكم قابلية الحياة التي يتبعها الاخلاق المزكية والمدنسة ولكن لا علم لكم اصلا فهو يعلم اذ ذاك ما انتم
صايرون اليه من خير وشر وان عملتم مدة من العمر بخلاف ذلك لانه يعلم ما جبلكم عليه من ذلك وانتم لا تعلمون
الا ما يكون في انفسكم حال كونه علي انكم لا تحيطون به اذ ذاك علما **ولما** كان عادة من سلم من الذنوب
ان يفتخر علي من قارفها لما بني الانسان عليه من محبة الفخر لما جبل عليه من النقصان وكان حاله قد يتبدل
فيسبق عليه الكتاب فيشقي سبب عن ذلك قوله **فلا تزكوا** اي تمدحوا بالزكا وهو البركة والطهارة
عن الدنايا **انفسكم** اي حقيقة بان يثني الانسان علي نفسه فان تزكيته لنفسه من علامات كونه محجوبا
عن الله قاله القشيري او مجازا بان يثني علي غيره من اخوانه فان كثيرا ما يثني بشي فيظهر خلافه وربما
حصل له الاذي بسببه وان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة حتي ما يكون بينه وبينها الا باع او ذراع الحديث
ولذلك علل بقوله **هو اعلم** اي منكم ومن جميع الخلق **بمن اتقي** اي جاهد نفسه حتي حصل منه تقوي
فهو يوصله فوق ما يومل من الثواب في الدارين فكيف بمن صارت له التقوي وصفا ثابتا **ولما**
امره سبحانه بالاعراض عمن تولي عن التشرف بذكر الملك الاعظم والالتجا اليه ونهي عن التزكية للجهل
بالعواقب وكان قد ارتد ناس عن الاسلام كان سبب ارتدادهم اخباره صلي الله عليه وسلم عن بعض
ما راي من الايات الكبري ليلة الاسرا وكان لما نزلت عليه صلي الله عليه وسلم سجدة النجم وسجد فيها
صلي الله عليه وسلم سجد معه كما في البخاري المسلمون والمشركون والجن والانس ولم يكن في ظن احد من
الخلق انقلابهم علي ادبارهم بعد حتي ولا في ظن المرتدين سبب عن ذلك قوله **افرايت** اي اخبرني **الذي**
تولي اي عن ذكرنا بعد ان كان حريصا عليه يظن هو وغيره انه عريق في اهله **واعطي** بايمانه واعماله
في ايام ايمانه **قليلا واكدي** اي قطع ذلك العطا علي نكد وقلة وابطاله وافسده فصار كالحافر الذي
وصل في حفرة الي كدية يقال للحافر البير اجبل اذا وصل الي الجبل واكدي اذا وصل الي كدية اي صفاة
عظيمة شديدة لا تعمل فيها المعاول فصار لا يقدر معها علي شي من عمله ولا يستطيع النفوذ فيها بنوع من
حيلة وقد كان قبل ذلك لما صادف التراب اللين يظن انه لا يمنعه مانع مما يريد فهذا دليل جزي
شهودي علي انه لا علم لاحد من الخلق بما خبا الله في نفسه فضلا عن غيره فلا ينبغي لاحد ان يزكي نفسه ولا
غيره **قيل** نزلت في المغيرة اسلم ثم ارتد لتعيير بعض المشركين له وقوله له ارجع وانا اتحمل عنك العذاب
وهي تصلح لكل من ارتد ظاهرا او نافق او انهمك في المعاصي بعد ايمانه معرضا عن الاعمال الصالحة **ولما**
كان هذا قد وقع في خطر عظيم من افساد العمل في الماضي وتركه في المستقبل فصار علي خطار عظيم في احدهما
يتعلق باصل الدين الكفر والايمان وكان مثل هذا لا يفعله عاقل بنفسه الا عن بصيرة قال تعالي موبخا
له مقرعا **اعنده** اي خاصة **علم الغيب** اي كله بحيث لا يشاركه فيه مشارك يمكن ان يخفي عنه شيا منه
فهو اي فيتسبب عن ذلك انه **يري** اي الروية الكاملة فيعلم جميع ما ينفعه فيرتكبه وجميع ما يضره
فيجتنبه ويعلم ان هذا القليل الذي اعطاه قد قبل وامن به من العطب فاكتفي به **ولما** كان المعني
ام يظن ان عمل غيره ينفعه عبر عنه جامعا للوعظ والتهويل بقوله **ام لم ينبا** اي يخبر اخبارا عظيما متتابعا
بما في صحف موسي اي التوراة المنسوبة اليه بانزالها عليه وكذا ما تبعها من اسفار الانبيا الذين جاوا
بعده بتقريرها **ولما** قدم كتاب موسي عليه السلام لكونه اعظم كتاب بعد القران مع انه موجود بين
الناس تمكن مراجعته قال **وابراهيم** ومدحه بقوله دالا بتشديد الفعل علي غاية الوفا **الذي وفي** اي
اتم ما امر به وما امتحن به وما قلق شيا من قلق وكان اول من هاجر قومه وصبر علي حر ذبح الولد
وكذا علي حر النار ولم يستعن بمخلوق وخص هذين النبيين لان المدعوين من بني اسرايل اليهود
والنصاري يدعون متابعة موسي عليه السلام ومن العرب يدعون متابعة ابراهيم عليه السلام

ومن عداهم لا متمسك لهم ولا سلف في نبوة محققة ولا شريعة محفوظة ثم فسر الذي في الصحف او ما اشار
به بقوله أن لا تزر اي تاثم وتحمل وازرة اي نفس بلغت مبلغا تكون فيه حاملة لوزر وزر اخري اي
حملها الثقيل من الاثم يعني فمن يحمل عنه اثم احد الشقين الذي لزمه ولا بد ان يكون اثما وهما ما قبله
التولي وما بعده ولما نفي ان يضره اثم غيره نفي ان ينفعه سعي غيره فقال وأن ليس للإنسان
كاينا من كان الا ما سعي فلا بد ان يعلم الحق في اي جهة فيسعي فيه ودعا المؤمنين للمؤمن من
سعيه بموادته ولو بموافقته لهم في الدين فقط وكذا الحج عنه والصدقة ونحوهما واما الولد
فواضح في ذلك واما ما كان بسبب العلم والصدقة ونحوهما فكذلك وتضحية النبي صلى الله عليه وسلم
عن امته اصل كبير في ذلك فان من يتبعه نقد وادده وهو اصل في التصدق عن الغير واهدا ما له
من الثواب في القراة ونحوها اليه ولما ثبت انه ليس له ولا عليه الا ما عمل وكان في الدنيا
قد يفعل الشي من الخير والشر ولا يراه من فعل لاجله ولا غيره نفي ان تكون الاخرة كذلك بقوله وان سعيه
اي من خير وشر سوف اي من غير شك بوعد لا خلف فيه وان طال المدي ولما كان الاطلاع
نفسه مرضيا او مجزيا الابا لنسبة الي احد بعينه بناه للمجهول فقال يري ولما كان الخوف منه المجازاة
مطلقا لا من مجاز معين قال ثم يجزاه ولما كان في هذه الدار ربما وقعت المسامحة ببعض الاشيا
والغفلة عن بعضها قال الجزاء الأوفي اي الاتم الاكمل ان كان خيرا فمع المضاعفة وان كان غيره فعلي
السوا لمن اراد الله ذلك له ويعفو عن كثير لكنه يذكره له ولما كانت روية الاعمال لا تقطع برؤية
الموكلين بها من الملايكة او غيرهم ممن اقامه الله لذلك وكان الرآي كلما كان اكثر كان للامر اهول وكانت
روية الملك الاعظم اخوف قال عاطفا علي ان لا تزر معهما بحرف الغاية ان الرايين للاعمال كثير
لكثرة جنوده سبحانه وان الي ربك المحسن اليك لا الي غيره المنتهي اي الانتها برجوع الخلايق حسا
بالبعث ومعني بالعمل والعلم واسناد الامر وارسال الامال ومكان رجوعهم وزمانه كما كان منه المبتدا
كذلك خلقا لذلك كله وحسابا عليه روي البغوي من طريق ابي جعفر الرازي عن ابي بن كعب رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية قال لا فكرة في الرب قال ومثل هذا ما روي عن ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا
تحيط به الفكرة ورواه ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما ولفظه ولا تفكروا في الله فانكم
لن تقدروا قدره هذا المراد وهو واضح ممن اول الاية باتحاد او غيره ذلك من الالحاد فعليه لعنة الله
وعلي الذاب عنه والساكت عنه ولما ذكر تعالي الامور الاختيارية وقدمها لانها محط الابتلا وسلب
علمها عن اصحابها وحذر عن عاقبتها باحاطته بكل شي وكان معني ذلك انه القادر لا غيره والعالم لا
غيره عطف عليه قوله ذاكرا الامور الاضطرارية التي هي في غاية التنافي اكمالا للدليل علي انه يعلم ما
في النفوس دون اصحابها وغيرهم وانه اليه المنتهي اعادة وابدا يوقف ما يشا علي ما يريد من الاسبا
التي تفعل باذنه من الضحك او البكا او غيرهما من الامور المتنافية التي لولا الالف لها لقضي الانسان
ان المتلبس باحدها لا يتلبس بضده اصلا ومن غيرها وانه ولما كانت التاثيرات الادراكية تحال
علي اسبابها اكد الكلام فقال هو اي لا غيره اضحك وابكي اي ولا يعلم احد قبل وقت الضحك والبكا انه
انه يضحك او يبكي ولا انه ياتيه ما يعجبه او يحزنه ولو قيل له حالة الضحك انك بعد ساعة تبكي
لانكر ذلك وربما ادركه ما ابكاه وهو في الضحك وبالعكس ولما كانت الاماتة والاحيا اعظم تنافيا
مما مضي فكانت القدرة علي ايجادهما في الشخص الواحد اعظم ما يكون وكانا ربما نسبا الي من قتل او داوي
من مرض او اطلق من وجب قتله اكد فقال وانه هو اي لا غيره ولما كان الالباس في الموت اكثر

وكان

وكان الموت انسب للبكا والاحيا انسب للضحك وكان طريق النشر المشوش افصح قدمه فقال امات
وأحيي وان رايتم اسبابا ظاهرية فانه لا عبرة بها اصلا في نفس الامر بل هو الذي خلقها ولما
ذكر الاحيا وكان تصنيف الولد الي نوعيه ظاهرا في اختصاصه به وهو في غاية التعذر علي سواه
اعراه عن مثل التاكيد في الذي قبله فقال وانه خلق الزوجين ثم فسرهما بقوله الذكر والانثي
فانه لو كان ذلك في يد غيره لمنع البنات لانها مكروهة لكل احد ثم ذكر ما يظهر ولا بد انه من صنعه
بسبب ان مادة الاثنين واحدة وهو الما الذي هو اشد الاشيا امتزاجا فقال من نطفة وصورة كونه
منها بقوله اذا تمني اي تراق وتدفق بالفعل لا قبل ذلك ليمكن فيه طعن بانه كان بدوا او غيره بل انتم تعلمون
انه لا يخلق الولد الا بعد الامنا بالفعل وخروج اصله مما لا يمكن خلقا من خلق الله ان يعرف بمجرد رؤيته
اهو صالح للانثي فقط او للذكر فقط او لهما او للاشكال بالخنوثة ولما ساق هذه الاشيا دليلا علي
احاطة علمه فلزمها ان دلت علي تمام قدرته وختمها بالنشاة الاولي فلزم من ذلك الاقرار حتما بانه قادر علي
البعث عبر بما يقتضي انه لما تقدم به وعده علي السنة جميع رسله صار واجبا عليه بمعني انه لا بد من كونه
لانه لا يبدل القول لديه لا غير ذلك فعبر بحرف الاستعلا تاكيدا له ردا لانكارهم اياه فقال وان عليه
اي خاصا به علما وقدرة النشاة اي الحياة وهو ممدود لابن كثير وابي عمرو ومقصور لغيرهما مصدر
نشا اذا حيا وربي وشب الاخري اي التي ينشي بها الخلق بعد ان يميتهم ولما كان الغنا والفقر
من الامور المتوسطة من الاختيارية والاضطرارية بكل من الامرين تسبب وكان مقسوما بين الذكور
والاناث بحكمة ربانية لا ينفع الذكر فيها قوته ولا يضر الانثي ضعفها وكان ذكر النشاة الاخرة كالمعترض
انما اوجب ذكره النشاة الاولي تعقب ذكرهما به وكان ذكر مع انه يدل علي الفقر اليق بالامتنان والنسبة
الي الرب وكان الغني الحقيقي انما يكون في تلك الدار اخر ذكره الي هنا فقال وانه ولما كان ربما
نسب الي السعي وغيره اكد بالفصل فقال هو اي وحده من غير نظر الي سعي ساع ولا غيره اغني ولما
كان الغنا في الحقيقة انما هو غني النفس وهو رضاها بما قسم لها وسكونها وطمانينتها وانما سمي ذو المال
غنيا لان المال بحيث تطمين معه النفس فمن كان راضيا بكل ما قسم الله له فهو غني وهو في الجنة معني
وان كان في الدنيا قال واقني اي امكن من المال وارضي بجميع الاحوال قال البغوي اعطي اصول
الاموال وما يدخر بعد الكفاية قال وقال الاخفش اقني افقر انتهي ونقل الاصبهاني مثله عن ابن زيد
فتكون الهمزة للازالة ويقال اقناه بكذا ارضاه واقناه الصيد امكنه منه ولما كانت الشعري
لانها تقطع السما عرضا اذا النجوم بعد تمام القدرة علي الفعل بالاختيار مع انها مما دخل تحت الجنس المقسم
به اول السورة وهي لمرورها في سيرها عرضا علي جميع المنازل التي كانت العرب تستمطر بها وتنسب الاتيان
بالخير الموجب للغني اليها كانت قد عبدها من دون الله ابو كبشة الخزاعي لكونها عنده اجل الكواكب قال
تعالي دالا بالتاكيد علي سفاهة من عبدها وانه هو اي لا غيره رب الشعري اي الكاملة في معناها
وهي العبور واهل علم النجوم يقولون ان الاحكام النجومية المنسوبة اصح ما ينسب الي العالم العلوي
وهي نجم في الجوزا وتسمي كلب الجبار وسميت الجوزا بالجبار تشبيها لها بملك علي كرسيه وعلي راسه تاج وقال
الرازي في اللوامع هي احد كوكبي ذراعي الاسد قال ابن القاص في كتاب دلايل القبلة وتري عند صلاة
الصبح نيرة زايدا نورها علي نور ساير الكواكب حولها وقد طمس الصبح نور ساير الكواكب واما الشعري
فهي الغميصا بالغين المعجمة والصاد المهملة فهي اقل نورا منها ولذلك سميت الغميصا قال القزاز في جامعه
وقيل بكت علي اختها فغمصت عينها اي غارت وذهبت ولما دل سبحانه علي كمال علمه وشمول
قدرته بامور الخافقين العلوي والسفلي فكان ذلك الي الاقبال علي ما يرضيه وناهيا علي الالمام بما يسخطه

شرع في التهديد لمن وقف على ذلك بما وقع في مصارع الاولين من عجايب قدرته فقال **وانه اهلك**
عادا ولم يات بضمير الفصل لانه لم يدع في احد غيره اهلاكهم وهول امرهم بقوله **الاولى** اي القدما
في الزمان جدا دلالة على انه المتصرف في جميع الازمنة وقدمهم لان الشر اتاهم من حيث ظنوه
خيرا وجزموا بانه من الانوا النافعة التي كانت عاد تهم باستمطارها وقيل ان عادا قبيلتان
فالاولى قوم هود عليه السلام والاخرى ارم ذات العماد قاله جماعة منهم القشيري قال البغوي
وكان لهم عقب فكانوا عادا الاخرى وقال ابن جرير وعاد الاولى الذين عنى الله بقوله الم تر
كيف فعل ربك بعاد ارم وانما قيل لهم عاد الاولى لان بني لقيم بن هزال بن هزيل بن عبيد بن صد
ابن عاد كانوا ايام ارسل الله على هولا عذابه سكانا بمكة مع اخوانهم العمالقة ولد عمليق بن لاود بن
سام بن نوح عليه السلام فلم يصبهم من العذاب ما اصاب قومهم وهم عاد الاخرة ثم هلكوا ببغي
بعضهم على بعض فتفانوا وقال غير ابن جرير ان ارم هم عاد الاخرة وعطف عليهم قوله **وثمودا** اي اهلكهم
ثم سبب عن الاهلاك قوله **فما ابقى** اي من الفريقين احدا ومن قال ان عادا قبيلتان جعل عدم الابقا
خاصا بثمود وقراة عاصم وحمزة ويعقوب بمنع الصرف نص في انهم قوم صالح عليه السلام وقراة
الباقين بالصرف انسب للاهلاك والاعدام **ولما** قدم من كان اهلاكهم بنفس الريح التي هي مبدا الامطا
الاتية اليهم في السحاب واتبعهم من كان اهلاكهم بما حملها للصيحة وارجافها بهم اتبعهم من كان اهلاكهم بالما
الذي هو غاية السحاب فقال **وقوم نوح** اي اهلكهم لاجل ظلمهم بالتكذيب ولما كان اهلاكهم في بعض
الزمان الماضي قال **من قبل** اي قبل الفريقين فصار في الكلام تهويلان بهز القلب ويفعلان في
النفس وصف هولا بالقبلية واولئك بالاولى ولولا تقديمهم ما كان هذا وعلل اهلاكهم بما يوذن
انه لا فرق عنده بين قوي وضعيف وقليل وكثير موكدا لان ما اشتهر من طغيان عاد يوجب ان
يظن انهم اطغى الناس **انهم كانوا** اي بما لهم من الاخلاق التي هي كالجبلات التي لا انفكاك عنها **هم** اي خاصة
اظلم اي من الطايفتين المذكورتين **واطغى** اي واشد تجاوزا في الظلم وعلوا واسرافا في المعاصي وتجبر
وعتوا لتمادي دعوة نوح عليه السلام ولانهم اطول اعمارا واشد ابدانا وكانوا مع ذلك ملك الارض
ويجوز ان يكون الضمير للفرق الثلاثة **ولما** ذكر الهلاك بالريح ثم بالصاعقة الناشية عنها ثم بالما
الناشي عن السحاب الناشي عن الريح ذكر الاهلاك بالريح والنار والما اعلاما بانه الفاعل وحده بما اراد
من العناصر التي هي سبب الحياة مجتمعة ومنفردة فقال مقدما على العامل اعلاما بالتخصيص بما يذكر من
العذاب افادة لانه تعالى قادر على كل شي فلم يعذب فرقة بما عذب به الاخرى **والموتفكة** اي المدن المنقلبة
عن وجوهها الى اقفايها بقدرة جعلتها من شدتها وعظمها كانها انقلبت بنفسها من غير قالب وذلك
انه سبحانه نتقها من الارض ففتقها ثم رفعها في الهوا الى عنان السما ثم قلبها واتبعها بحجارة النار الكبريتية
وغمرها بالما الذي لا يشبهه شي من مياه الدنيا ولذلك قال **اهوى** اي رفع وحط وانزل فكان الانزا
لهو حقيقيا والرفع مجازيا لانه سببه وهي مدن قوم لوط عليه السلام واشار الى الحجارة والما
بقوله مسببا عن الاهوا ومعقبا له **فغشاها** اي اتبعها ما غطاها فكان لها بمنزلة الغشا وهوله بقوله
ما غشى اي امرا عظيما من الحجارة وغيرها لا تسع العقول وصفه وقد اشتمل ما ذكر سبحانه عن الوصف
على بيان ما ينفع من الاعمال وما يضر وبيان التوحيد باحاطة الله سبحانه بالايات التي لا نهاية بعدها
علما وقدرة لاختصاصه ببيان المصنوعات وببيان البعث للتخويف بالاجل واهلاك المتمردين للتخويف
بالعاجل لمن كان قلبه جافيا عن النفوذ الى الاجل **ولما** اهلك كل واحدة من هذه الفرق فلم يبق من فجارها
احدا وانجى من اطاعه منهم فلم يهلك منهم احد وكان اهلاكه لكل منها بشي غير ما هلك به الفريق الاخر فدل كل

من ذلك على تمام علمه وكمال قدرته وكان كل ما تقدم في هذه السورة من النعم والنقم لكونه على انتراوجه
الحكم نعمة على كل مومن لما فيها من الترغيب في ثوابه والترهيب من عقابه خاطب سبحانه راس المومنين
لان خطابه له اشد في تذكير غيره فقال مسببا عما مضى **فباي الا ربك** اي اعطية المحسن اليك التي
هي على وجه الانعام والاكرام وهي اثاره المعروفة به سبحانه فهي بمنزلة ظل الشخص من الشخص فكما انه
لا يتصور ظل الا لشخص فكذلك لا يكون فعل الا لفاعل ولا اثر الا لموثر **تتمارى** اي تشك بايجالة الخواطر
في فكرك في ارادة هداية جميع قومك بحيث لا تريد ان احدا منهم يهلك وقد حكم ربك باهلاك كثير
منهم لما اقتضته حكمته فكانت بعض خواطرك في تلك الاجالة يشكك بعضا **ولما** تم الكلام على هذا
المنهج البديع والنمط الرفيع في حسن البيان للمواعظ والشرع والقصص القديمة والانذار العظيم
الشان على وجه معجز من وجوه شتى انتج قوله مرغبا مرهبا خاتما السورة بما بداها به من ذكره صلى
الله عليه وسلم **هذا** اي النبي صلى الله عليه وسلم **نذير** اي محذر بليغ التحذير **ولما** كان الرسل
الماضون قد تقررت رسالاتهم في النفوس وسكنت اليها القلوب بحيث انه لا يسع انكارها وكان قد
اخبر عن اهلاك من كذبهم لاجل تكذيبهم وانجا من صدقهم لاجل نصرتهم وكان لا فرق بينه صلى الله
عليه وسلم وبينهم في ذلك الا ان الرحمة به اغلب مرغبا في اتباعه مرهبا من نزاعه قال **من النذر**
الاولى يجب له ما وجب لهم وانتم كالمنذرين الاولين فاحذروا ما حل بالمكذبين منهم وارجوا ما كان
للمصدقين **ولما** كان كل ات قريبا وكانت الساعة وهي ما انذر به من القيمة وما دونها لا بد
من اتيانها لما وقع من الوعد الصادق به المحقق بالدلايل التي لا تقبل شكا بوجه من الوجوه
فكان باعتبار ذلك لا شي اقرب منها قال دالا على ذلك بصيغة الماضي الذي قد تحقق وقوعه وباشتغا
الفاعل مما منه الفعل **ازفت الازفة** اي دنت الساعة الدانية في نفسها التي وصفت لكم بالقرب غير
مرة لانها محط الحكمة واظهار العظمة وما خلق الخلق الا لاجلها المشتملة على الضيق وسو العيش من
القيمة ومن كل ما وعدتموه في الدنيا مما يكون به ظهور هذا الدين وقمع المفسدين **ولما** ضاق الحال
من ذكرها على هذا الوجه تشوف السامع الى دفعها فاستانف قوله **ليس لها** واستدرك بقوله **من دون**
الله اي من ادنى رتبة من رتبة الملك المحيط بكل شي قدرة وعلما **كاشفة** اي كاشف يوجدها
ويقيمها ويجلي علمها او يدفع كربها وهمها وان بالغ في الكشف وبذل الجهد فيه فالها للمبالغة ويجوز ان
يكون مصدرا كالخاتية والكاذبة والباقية فتكون الها للتانيث **ولما** افهم هذا ان الله يكشفها
اي يكشف كربها عمن يريد من عباده ويثقله على من يشا ويكشف علمها باقامتها ولا حيلة لغيره في شي من
ذلك بوجه سبب عنه وعن ما تقدمه من الانذار قوله منكرا موبخا **افمن هذا الحديث** اي القول
العظيم الذي ياتيكم على سبيل التجدد بحسب الوقايع والحاجات **تعجبون** انكارا وهو في غاية ما يكون من ترقيق
القلوب **ولما** كان المتعجب قد يمسك نفسه عن الضحك بين انهم ليسوا كذلك فقال **وتضحكون**
اي استهزا تجددون ذلك في كل وقت متبدريا ضحككم منه وهو بعيد عن ذلك **ولما** كان انما يورث
الحزن بكونه ما لحزن قال **ولا تبكون** اي كما هو حق من يسمعه **ولما** كان البكا قد يكون على النقص
في العمل بين ان الامر اخطر من ذلك **وانتم** اي والحال انكم في حال بكايكم **سامدون** اي دايبون في العمل
جادون فيه فان الامر جد فالداب في العمل والجد فيه حينيذ علة للبكا فكانه قيل ولا تدابون في العمل
فتبكون وانما قلت ذلك لان سمد معناه داب في العمل ورفع راسه تكبرا وعلا وسمد الابل جد في السير
وسار سيرا شديدا واسماد ورم وسمد قام متحيرا وحزن وسر وغفل ولها وقام وقصد ونام
واهتم وتكبر وتحير وبطر واشر وسمد الارض سمدها وايضا جعل السماد اي السرقين والشعر

استأصله وهو لك سمدا اي سرمدا والسميد الجواري ذكر ذلك مبسوطا القزاز في جامعه وصاحب القاموس
فالمادة كما ترى على انتشارها تدور على الدأب في العمل فتارة يذكر مبداه الباعث عليه وتارة الناشي
عنه وتارة ما بينهما وهو الجد في العمل فيطلق الاسم على كل من ذلك تارة حقيقة ومرة بمجاز الاول واخرى
بمجاز الكون فالقصد باعث وكذا الاهتمام والقيام ورفع الراس ناشيان عنهما وذلك اوله والسدم بمعنى
الهم والحرص واللهج بالشي والسدير للضئيل الرقيق هو مبدا الكثيف والمسدم البعير المهمل وما دبر ظهره
كانه من الازالة وركيه سدم مندفقة للمعالجة في فتحها ولان تدفقها داب في العمل وكذا سدم الباب
اي ردمه والدسم الودك لانه منشط على العمل وينشا منه الوضر والدنس ودسم المطر الارض بلها قليلا
لانه مبدا للكثير والقارورة سدها والباب اغلقه لانه يعالج في فتحه وادسمه غيره الى السواد كانه مبدا
السواد والديسم لما لم يكن ابواه من نوع واحد كانه مبدا لكل نوع منهما ولانه يلزم الخلط في العادة
العلاج ومنه الدسمة للردي من الرجال كانه لم يكمل فيه النوع ولان نقص الشي عن عادته يلزمه العلاج
والفعل بالاختيار والديسم الرقيق بالعمل المشفق وانا على دسم من الامر اي طرف منه والمسد محركة المحور
من الحديد لانه آلة الفتل وحبل من ليف اوليف المقل لانه محل الدواب والمساد نحي السمن ودمسه
دفنه يصلح ان يكون مبدا لكل نوع منهما ولانه يلزم الخلط في العادة العلاج ومنه الدسمة للردي من
الرجال كانه لم يكمل فيه النوع ولان نقص الشي عن عادته يلزمه العلاج والفعل بالاختيار والديسم الرقيق
ومقصدا ومنه دمس بينهم اصلح لانه دفن احقادهم وعالج في ذلك والدمس اخفا الشي والظلام لانه
منشا التعب ودمس الموضع درس للتعب في معرفته ودمس الاهاب غطاه فتمرط شعره والدمس التخص
وبالتحريك ما غطي والدومسية محرنقشة العلاجيم تنفخ فتحرق ما اصاب نفخها اثارة الناشية عنه الورم
وكذا القيام متحيرا والغفلة واللهو والسرور والحزن والنوم والكبر والتبختر والعلو والغناء
والسميد اي الحواري والسمد بمعنى السرمد والسدم للهم مع ندم او الغيظ مع حزن والدماس الكن
ومما بين ذلك سمد الارض والشعر والسير الشديد والحمل فيه وهو نفس الداب وكذا المسديم للكثير
الذكر وما مسدم وعاشق سدم شديد العشق والديسم ظلمة السواد والديسم الكثير الذكر ودسم البعير
طلاه بالهنا والمسد ادآب السير وبالتحريك المضفور المحكم الفتل ورحل ممسود مجدول الخلق مشبه به
وهو بها ودمس بينهم وهو من الدفن ايضا لانه دفن احقادهم فتبين ان جعل السمود في الاية بمعنى الداب
في العمل اولى وان كون الجملة حالا اقرب من جعلها معطوفة على تضحكون ولما حث على السمود فسره
مسببا عن الاستفهام ومدخوله قوله فاسجدوا اي اخضعوا خضوعا كبيرا بالسجود الذي في الصلاة
لله اي الملك الاعظم واعبدوا اي بكل انواع العبادة فانه ما ضل صاحبكم عن الامر بذلك وما غوى
قال الرازي في اللوامع قال الامام محمد بن علي الترمذي تعبدنا ربنا مخلصين ان نكون له كالعبيد وان يكون لعبيد
كما هو لهم انتهى ولو كان السمود بمعنى اللهو كان الانسب تقديمه على ولا تبكون والله اعلم وقد ظهر ان آخرها
نتيجة اولها ومفصلها ثمرة موصلها

مقصودها بيان آخر النجم في امر الساعة من تحققها وشدة قربها وتصنيف اهلها باعتبار ما ذكره
هناك من العجب من القرآن والضحك والبكا والعمل الى طالب علم معتد به فايز والى متبع نفسه شهواتها
ضال باهما لها فهو خايب وذلك لانه سبحانه وعد بذلك باخبار نبيه صلى الله عليه وسلم وتحقق صدقه
بما ايده به من اياته التي ثبت بها اقتداره على ما يريد من الايجاد والاعدام فثبت تفرده بالملك وابد اقترابها
بالتاثير في اية الليل بما يدل على الاقتدار على نقض السموات المستلزم لاهلاك الارض فآذن ذلك بانه ما بقي

الا التاثير في اية النهار وعندها يكون طي الانتشار وعموم البوار المؤذن بالاحضار للذي الواحد القهار
والدال اسمها فيها على هذا الغرض كله اول اياتها فلذلك سميت بما تضمنته من الاقتراب والساعة والقمر وكانت
تسميتها بالقمر اشهر لدلالته بسرعة سيره وكثرة تقلبه على الاقتراب المختتم به النجم بالاشارة لا بالعبارة
ولم تسم بالانشقاق لانه اذا اطلق انصرف الى الام فالسما احق به بسم الله الذي احاط علمه
فتمت قدرته الرحمن الذي وسعت رحمته كل شي فعمت الشقي والسعيد بنعمته الرحيم الذي خص
باتمام النعمة من اصطفاه فاسعدهم برحمته لما ختمت النجم بالتهديد باقتراب القيمة التي ينكرونها
بعد ان فتحها بالاقسام بالتاثير في النجم الذي هو اعم من القمر وغيره بتسييره طلوعا وافولا وصعودا وهبوطا
افتتح هذه بذلك مع الدلالة عليه عقلا وسمعا بالتاثير في اعظم ايات الليل وغير ذلك ليقلع العباد عن
الفساد ويعتدوا لها قبل مجيها احسن استعداد فقال دالا على عظم اقتداره عليها بتانيث فعلها اقتربت
الساعة اي اشتد قرب اللحظة التي لا ساعة في الحقيقة غيرها التي تقوم فيها القيمة لانه قل ما
بقي بيننا وبينها بالنسبة الى ما مضى من زمن آدم عليه السلام لبعث خاتم الانبيا الذي لم يبق بعد امته
امة تنتظر فتكون في الزمان مهلة لذلك ولما كان الاخبار باقترابها يحتاج عند المعاند الى اية
تدل عليه وكانت الايات السماوية اعظم فالتاثير فيها ادل على تمام الاقتدار وكان القمرادل على
الانوا التي هي منافع الخلق في معاشهم وكانت العرب اعرف الناس بها ولهم بالتاثير فيه على اقترابها مع
الارهاب من شديد العذاب باعدام الاسباب فقال وانشق بغاية السرعة والسهولة القمر للرسول
المنذر لكم بها فكان انشقاقه دالا على صدقه مع الدلالة على ذلك باعجاز القران وغيره ودالا على كونها
قربت ايضا بالتاثير الخارق للعادة ما قبله من التاثير في احد النيرين اللذين هما اعظم الاسباب
المقامة للمعايش الدال على القدرة على التاثير بالاخر الدال ذلك على القدرة على تمام التصرف فيهما
من جميعهما وخسفهما واعدامهما وطمسهما الذي هو من اسباب خراب الارض يقول الانسان عنده
اين المفر المؤذن بطي العالم المعلم بان له ربا فاعلا بالاختيار مدبرا بالحكمة الدال على بعث عباده
ليحكم بينهم فيما فيه يختلفون فيثيب من تابع رسله ويعاقب من خالفهم وانشقاق القمر على حقيقته
في زمان النبي صلى الله عليه وسلم امر شهير جدا واجماع اهل التفسير عليه كما قاله القشيري وقال
رواه ابن مسعود رضي الله عنه ولا مخالف له فيه انتهى وذلك ان قريشا سالوا النبي صلى الله عليه
وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر بحيث طلعت فرقة منه عن يمين حرا واخرى عن يساره روى
ذلك الشيخان عن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما ومعلوم ان الامة تلقت كتابيهما بالقبول فهو يكاد
يلحق بالمتواتر وقد ايده القران فلم يبق فيه شك قال القشيري وروي ايضا عن ابن عمر وحذيفة
وابن عباس وجبير بن مطعم رضي الله عنهم وقال ابو حيان سبب نزولها ان مشركي قريش قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا بالايمان ان فعل ذلك وكانت ليلة
بدر فسال ربه فانشق القمر انتهى ومن قال ان المراد انه سينشق يحتاج في صرف لفظ الماضي عن
حقيقته الى المستقبل الى دليل صارف ولا له ذلك ولاسيما وقد تايدت الحقيقة بالسنة الصحيحة
الشهيرة وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما اعلمهم سبحانه بان اليه المنتهى وان عليه النشاة الاخرى
واذ ذاك يقع جزا كل نفس بما اسلفت اعلمهم سبحانه بقرب ذلك وحسابه ليزدجر من وفقه للازدجار
فقال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ثم ان سورة ص تضمنت من عناد المشركين وسوء حالهم وتوبيخهم
في عباداتهم ما لا يضر ولا ينفع ما لا يكاد يوجد في غيرها مما تقدمها وبعد التنبيه في السور قبلها والتحريك
بايات لا يتوقف عنها الا من اضله الله وخذله وابتنت السور بعد على تمهيد ما تضمنته سورة ص فلم

تخلل سورة منها من توبيخهم وتقريعهم كقوله في الزمر والذين اتخذوا من دونه اوليا ما نعبدهم الا ليقربونا
الي الله زلفى وقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشا وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني
فاعبدوا ما شئتم من دونه وقوله مثلا لحالهم ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون الاية الي ما بعد
من التقريع والتوبيخ وقوله في سورة غافر ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم
في البلاد وقوله ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تومنوا وقوله اولم يسيروا في الارض
الاية وقوله ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه
وقوله الم تر الي الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا
فسوف يعلمون الي قوله فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون وقوله اولم
يسيروا في الارض الي ما تخلل هذه الاي وقوله في السجدة فاعرض اكثرهم وقالوا قلوبنا في اكنة وقال
الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا الي قوله اولئك ينادون
من مكان بعيد وقوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم الي خاتمة السورة وقوله في الشوري والذين
اتخذوا من دونه اوليا الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل كبر على المشركين ما تدعوهم اليه والذين يحاجون
في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم الاية ام لهم شركا شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن
به الله الاية فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا وقوله في الزخرف افنضرب عنكم الذكر صفحا الاية
وجعلوا له من عباده جزا الي ما تردد في هذه السورة مما قرعوا به اشد التقريع وتكرر في ايات كثيرة
فتاملها وقوله في الدخان بل هم في شك يلعبون الي قوله يوم نبطش البطشة الكبري انا منتقمون وقوله
ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين الي قوله ان هذا ما كنتم به تمترون وقوله في الشريعة فباي حديث بعد
الله واياته يومنون الايات الي قوله والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقوله افرايت
من اتخذ الهه هواه الي اخر السورة وقوله في الاحقاف والذين كفروا عما انذروا معرضون ومعظم
ايات هذه لم تخرج عن هذا الي خاتمتها وكذا سورة القتال ولو لم تتضمن الا الامر بقتلهم واسرهم وتعجيل
خزيهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب واما سورة الفتح فما تضمنته من البشارة والفتح اشد على
الكفار من كل ما قرعوا به ولم تخرج عن الغرض المتقدم وكذا سورة الحجرات لتضمنها من الامر بتعزير
النبي صلى الله عليه وسلم واجلاله ما يقر عين المومن ويقتل العدو الحاسد وما فيها ايضا من ايتلاف
امر المومنين وجمع كلمتهم وتناجيهم وموقع هذا من العدو بحيث لا يخفى على احد واما سورة الذاريات
والطور والنجم فما تضمنته مما ذكرناه قبل اوضح شي وبذكرها افتتحت كل سورة منها فتامل مطالعها ففي ذلك
كفاية في الغرض. فلما انتهى ما قصد من تقريع مكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغت الاي
في هذه السور من ذلك اقصى غاية وتمحض باطلهم وانقطع دابرهم ولم يحيروا جوابا عرض عليهم سبحانه
في سورة القمر احوال الامم مع انبيايهم وكان القصد من ذلك والله اعلم مجرد التعريف بانهم ذكروا
فكذبوا فاخذوا وليتبين لهولا ان لا فرق بينهم وبين غيرهم وان لا يغرهم عظيم حلمه سبحانه عنهم فهذه السورة
اعذار عند تسكينهم وانقطاع حجتهم بما تقدم وبعد ان انتهى الامر في وعظهم وتنبيههم بكل اية الي غاية
يعجز عنها البشر ولهذا افتتح سبحانه هذه السورة بقوله ولقد جاهم من الانبا ما فيه مزدجر حكمة
بالغة فما تغني النذر وختمها بقوله اكفاركم خير من اوليكم وهذا بين ما قدمناه وكان قد قيل لهم
اي فرق بينكم وبين من تقدم حتى ترتكبوا مرتكبهم وتظنوا انكم ستفوزون بعظيم جرائكم فذكر سبحانه لهم
قصة كل امة وهلاكها عند تكذيبها باعظم ايجاز واجزل ايراد وافخم عبارة والطف اشارة فبدا بقصة
قوم نوح كذبت قبلهم قوم نوح الي قوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ثم

استمرت

استمرت في ذكر الامم مع انبيايهم حسب ما ذكروا في السور الوارد فيها اخبارهم من ذكر امة بعد امة الا ان
الواقع هنا من قصصهم اوقع في الزجر وابلغ في الوعظ واعرق في الافصاح بسو منقلبهم وعاقبة تكذيبهم
ثم ختمت كل قصة بقوله فكيف كان عذابي ونذر وتخلل هذه القصص قوله تعالى ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر وهي اشارة الي ارتفاع عذر من تعلق باستصعاب الوقوف على زواجره وتنبيهاته
ومواعظه ويدعي بعد ذلك واستغلاقه فقيل له انه ميسر قريب المرام وهذا فيما يحصل عنه التنبيه
والتذكير لما عنه تكون الاستجابة باذن الله ووراء ذلك من المشكل والمتشابه ما لا يتوقف عليه ما ذكره
وحسب عموم المومنين الايمان بجميعه والعمل بمحكمه ثم يفتح الله تعالى فهم ذلك على من شرفه به واعلى
درجته فيتبين له بحسب ما يشرح الله صدره يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
ومن تيسير المقصود المتقدم تكرار قصص الانبيا مع اممهم في عدة سور اي حفظ منها اطلع على ما هو
كاف في الاعتبار بهم ثم اذا ضم ذلك بعضه الي بعض اجتمع منه ما لم يكن ليحصل من بعض تلك السور
فسبحان من جعله حجة باهرة وبرهانا قاطعا على صدق الاتي به وصراطا مستقيما ونورا مبينا ولما
ذكر سبحانه عواقب الامم في تكذيبهم قال لمشركي العرب اكفاركم خير من اوليكم. ومن هذا النمط
قول شعيب عليه السلام ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم
صالح الاية ثم قال تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر اي انكم ان تعلقتم
بتالفكم وجماعتكم فسا فرق ذلك يهزيمتكم يوم بدر وقتل صناديدكم فما حجتكم بعد هذا بنا مساق القصص
٢ في هذه السور واعتماد التعريف بحال من ذكر في ان كذبوا وعاندوا فاعقب تكذيبهم اخذهم وهلاكهم
ثم تعقب هذا كله بصرف الكلام الي مشركي العرب في قوله اكفاركم خير من اوليكم وليس في شي من
السور المذكور فيها قصص الامم على هذا الاستيفا كالاعراف وهود ونظايرهما ليس في شي من ذلك
تعقيب بذكر مشركي العرب على الصفة الواردة هنا فانبا ذلك بكمال المقصود من الوعظ والتحريك
بذكره وانقضا هذا الغرض وذلك انهم ذكروا اولا بعرض احوال الامم والتعريف بما ال اليه امرهم
وكان ذلك في صورة غرض من يريد تاديب طايفة ممن اليه نظرهم قبل ان يظهر منهم تمرد وعناد
فهو يتلطف في دعايهم ولا يكلمهم تكليم الواحد عليهم بل يفهم من كلامه الاشفاق والاستعطاف وارادة
الخير بهم ثم يذكرهم بذلك ويكرره عليهم المرة بعد المرة وان تخلل ذلك ما يبين منه فظاعة التهديد
وشدة الوعيد فلا يصحبه تعيين المخاطب وصرف الكلام بالكلية اليه بل يكون ذلك على طريق التعريض
والتوبيخ ثم لو كان لاعتفر بما قبله وما بعده من التلطف حتى اذا تكررت الموعظة فلم يقبل فهنا محل الغلظة
وشدة الوعيد. وعلى هذا وردت السور المذكور فيها حال الامم كسورة الاعراف وهود والمومنين
والظلة والصافات وما من سورة منها الا والتي بعدها اشد في التعريف واميل الي الزجر والتعنيف
فتامل تعقيب القصص في سورة الاعراف بقوله تعالى وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون وقوله
بعد موعظة بالغة يذكر من حرمه بعد اشرافه على الفوز وهو الذي اخلد الي الارض واتبع هواه
فقال بعد ذلك فاقصص القصص لعلهم يتفكرون وتذكيره اياه بمحبة الغفلة الي ما ختمت به السورة
وذلك غير خاف في التلطف بالموعظة وقال تعالى بعد قصص سورة هود وكذلك اخذ ربك الاية
وقال بعد فلا تك في مرية مما يعبد هولا الي قوله وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص وتكررت اي الي
اخر السورة بجاري ما ذكر ولم تبق هذه واي الاعراف في تلطف الاستدعا وقال تعالى في اخر قصص
سورة المومنين فذرهم في غمرتهم حتى حين الي قوله لا يشعرون ثم قال بعد ولهم اعمال من دون ذلك
هم لها عاملون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون استمرت اي على شدة الوعيد يتلو بعضها

بعضا الي قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقوله تعالى بعد انه لا يفلح الكافرون وكم بين هذه الاي الواقعة
عقب قصص سورة هود وقال في آخر قصص الظلة وانه لتنزيل رب العالمين الي قوله خاتمة السورة وسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فوبخهم وعنفهم ونزه نبيه عليه السلام عن سوء توهمهم وعظيم افكهم وافتراهم
وكل هذا تعنيف وزجر لم يتقدم لهم مثله في السور المذكورة ثم هو صريح في مشركي العرب معين لهم في غير
تلويح ولا تعريض ثم انه وقع عقب كل قصة في هذه السورة قوله تعالى ان في ذلك لاية وفيه تهديد ووعيد
بين وقال تعالى في آخر القصص والصافات فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملايكة
اناثا وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون وهذا اعظم تقريع واشد توبيخ
ثم نزه نفسه سبحانه عن بهتان مقالهم وسوء ارتكابهم وقبح نحالهم بقوله سبحان ربك رب العزة عما
يصفون ثم اخذوا بكل ماخذ فما اغنى ذلك عنهم قال تعالى في سورة القمر ولقد جاءهم من الانبا ما فيه
مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فتول عنهم ولم يقع امره صلى الله
عليه وسلم بتركهم والاعراض عنهم والتولي الا بعد حصول القصص في السور المذكورة واخذهم بكل طريق واول
امره بذلك صلى الله عليه وسلم في سورة السجدة فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون في سورة والذاريات ۵
فتول عنهم فما انت بملوم ثم قوله هنا فتول عنهم فتامل ذلك ثم ذكر قصص الامم اثر قوله هنا فتول عنهم
باشد وعيد واعظم تهديد تعقب كل قصة بقوله تعالى ولقد تركناها اية فهل من مدكر وقوله فكيف كان
عذابي ونذر ثم صرف الكلام اليهم بما تقدم من قوله اكفاركم خير من اوليكم فبلغ ذلك اعظم مبلغ في البيان
والاعذار ثم قال تعالى وكل شي فعلوه في الزبر فعرف سبحانه بسابق حكمته فيهم انا كل شي خلقناه بقدر وانقضى
ذكر القصص فلم يتعرض لها مستوفاة على هذا المساق فيما بعد الي آخر الكتاب فسبحان من رحم به عباده
المتقين وجعله اية باهرة الي يوم الدين وقطع به عناد الجاحدين وغايلة المعتدين وجعله بيانا كافيا
ونورا هاديا واعظا شافيا جعلنا الله ممن اهتدى واعتلق بسببه انه اهل الاستجابة والعفو والمغفرة
ولما كان التقدير فاعرض الكفار عن اية انشقاقه وقالوا سحر مع علمهم بانه دال قطعا على صدق من
انشق لتصديقه عطف عليه الاعلام بحالهم في المستقبل فيما لمن يطلب من المؤمنين اجابة مقترحاتهم رجا
ايمانهم فقال وان يروا اي فيما ياتي اية اي اية كانت يعرضوا اي عن الانتفاع بها كما اعرضوا
عن هذه لما راوها وقال بعضهم سحر فقال بعضهم امهلوا حتى يجي السفار فان قالوا انهم راوا كما رايتم ۵
فليست بسحر فان محمدا لا يستطيع ان يسحر اهل الارض كلهم فجا السفار وشهدوا برؤيته منشقا ومع ذلك فما
امنوا ويقولوا اي على سبيل التجديد والاستمرار سحر اي هذا الذي ياتينا به هذا الرجل انما هو من
وادي الخيال الذي لا حقيقة له مستمر اي لكنه فارق السحر بانه لا ينكشف في الحال لانه محكم قوي ثابت
دايم بشموله واحاطته بجميع الانواع ولذلك تاثر عنه هذه الخوارق المتباينة الانواع الكثيرة ولما انطوى
عن التشوف الي اجابتهم الي المقترحات عطف على ما قدرته مما تسبب منهم عن الانشقاق قوله وكذبوا
بكون انشقاقه دالا على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وجزموا بالتكذيب عنادا ولما كان ۵
التكذيب في نفسه قد يكون حقا قال مبينا انه باطل واتبعوا اي بمعالجة فطرهم الاولى المستقيمة
في دعاتها الي التصديق اهواهم حين نابذ واما دلتهم عليه بعد الفطر الاولى عقولهم قال القشيري
اذا حصل اتباع الهوى فمن شومه يحصل التكذيب لان الله يلبس على قلب صاحبه حتى لا يستبصر ۵
الرشد واتباع الرضى مقرون بالتصديق لان الله تعالى ببركات الاتباع للحق يفتح عين البصيرة
فياتي بالتصديق ولما كان ذلك مقطعا لقلوب المحبين سلاهم بالوصول الي محط عظيم تظهر فيه الحقايق
وتضمحل الشقاشق فقال عاطفا على ما تقديره فسيستقر كل من امر الحق والمبطل في قراره ويطلع على دقايقه

واسراره

واسراره وكل امر من امورهم وغيرها مستقر اي ثابت وموجود انتهاوه الي غاية تظهر فيها حقيقته
من غير حيلة لصاحبه على رده ذلك القرار ولا خفاء على احد فلا بد ان ينتهي الحق من كل شي من الاجال والهدايات
والضلالات والسعادات والشقاوات وغيرها الي نهايته فيثبت ثبوتا لا زوال له وينتهي الباطل
مما ادعاه الخلق فيه الي غايته فيتلاشى تلاشيا لا ثبات له بوجه من الوجوه فاذا استقرت الامور ظهر
لهم ما هم عليه وعلموا الخاسر من الفايز وفي مثل هذا قال عاصم بن عمرو التميمي اخو القعقاع في وقعة الثنى
من بلاد العراق ٭ والوث حيلنا لما التقينا ٭ بقارن والامور لها انتهاء ٭ وقرا ابو جعفر بالجر صفة لامر
فيكون كل معطوفا على الساعة اي واقترب كل امر مستقر اي ثابت وهو الحق اي اقترب ظهور الحق وثباته
ولا يكون ذلك الا وقد كان خفاء الباطل وفواته ولما حذر وبشر قال معلما انه محيط العلم بامرهم ۵
من قبل الاجابة الي شق القمر وانه ما شقه لطمع في ايمانهم بل للاعلام بخذلانهم مؤكدا لمن يتعلق رجاؤه ۵
بان تواتر الايات ربما اوجب لهم التصديق المتضمن لان ما جاءهم ليس فيه كفاية ولقد جاءهم اي قبل هذا
الانشقاق من الانباء اي الامور العظيمة المرئية والمسموعة التي يستحق لعظمتها ان يخبر بها اخبارا عظيما
لا سيما ما جاء في القران من تفصيل امور الدين وفروعه واخبار الاولين والاخرين والاولى والاخرى
ما فيه خاصة مزدجر اي موضع للزجر من شانه ان يكون لهم به ازدجار عظيم عما هم فيه من الباطل
ولكن لم يزدجر منهم الا من اراد الله قال القشيري لان الله اسبل على ابصارهم سجوف الجهل فعموا
عن مواضع الرشد ولما كان ما فيه ذلك قد لا يكون محكما بينه بقوله حكمة اي عظيمة بالغة اي
لها اعظم البلوغ الي انهى غايات الحكمة لصحتها وظهارتها ووضوحها ففيها مع الزجر ترجية ومواعظ
واحكام ودقايق تجل عن الوصف ولما لم يتسبب عنها ازدجارهم سبب عن ذلك قوله فما نفيا
صريحا او باستفهام انكاري موبخ تغن النذر اي الانذارات والمنذرون والامور المنذر بها ومنها
انما المعنى بذلك هو الله تعالى فما شاه كان وما لم يشاه لم يكن ولعل الاشارة باسقاط يا تغني باجماع
المصاحف من غير موجب في اللفظ الي انه كما سقطت غاية احرف الكلمة سقطت ثمرة الانذار وهو
القبول ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد التعلق بطلب نجاتهم فهو لذلك ربما اشتهى اجابتهم الي
مقترحاتهم سبب عن ذلك قوله فتول عنهم اي كلف نفسك الاعراض عن تمني ذلك فما عليك الا البلاغ
واما الهداية فالي الله وحده ولما بين اقتراب الساعة بالاجابة الي بعض مقترحاتهم القايم
معانيها كلها بدلالته على القدرة عليها وانتج ذلك القطع عن طلب الاجابة الي شي منها لانها لا تغني شيا
تطلعت النفوس الكاملة الي وصف الساعة فاجاب عن ذلك على سبيل الاستيناف بذكر ظرفها وذكر ما بها
ما يقع فيه من الاهوال فقال معلقا بما تقديره الساعة كاينة على وجه الاقتراب الشديد يوم يدع
ويجوز والله اعلم ان يكون الناصب له تول لانهم لما اعرضوا حين دعاهم كان جزاؤهم ان يعرض عنهم
يوم حاجتهم اليه لان الجزا من جنس العمل فكانه قيل بعد ان عد القيمة امرا محققا لا ينبغي النزاع فيه تول
عنهم في ذلك اليوم العبوس الذي انت فيه الشافع المقبول واتركهم لاهواله ودواهيه فقد بان ان ۵
الخاسر بتوليهم انما هو هم لان توليهم عنك لا يضرك شيا اصلا وتوليك عنهم يضرهم ضررا ما بعده ضرر
والله اعلم وحذف واو يدعو في الرسم باجماع المصاحف من غير موجب لان المقام لبيان اقترابه فكانه
اشارة الي كونه بادنى دعا وايضا ففي حذفه تشبيه للخبر بالامر اشارة الي ان هذا الدعا لا بد ان يكون
على اعظم وجه واتقنه واهوله وامكنه كما يكون كل مامور به من الامر المطاع والوقوف على هذا
وامثاله بغير واو لجميع القرا للرسم لان القاعدة ان ما كان فيه رواية اتبعت وان خالفت الرسم ۵
او الاصل وما لم يرد فيه على احد منهم رواية اتبع فيه الرسم وان خولف الاصل لان التخفيف معهود

في كلام العرب كالواد والمتعال لكن قال شيخنا علامة القرآات في عصره شمس الدين ابن الجوزي في كتابه النشر في هذه الاحرف الاربعة هذا ويدع الانسان في سبحان ويمح الله الباطل في الشوري وسندع الزبانية في العلق نص الحافظ ابو عمرو الداني عن يعقوب علي الوقف عليهن بالواو وعلي الاصل ثم قال قلت وهو من انفراده وقد قرات به من طريقه **الداع** اي بالنفخ في الصور **الي شي نكر** اي عظيم الوصف في النكارة بما تكرهه النفوس فتوجل منه القلوب لانه لا شي منه الا وهو خارج عما تقدمه من العادة ولما بين دعاه بما هال امره بين حال المدعوين زيادة في الهول فقال **خاشعا ابصارهم** اي ينظرون نظر الخاضع الذليل السافل المنزلة المستوحش الذي هو بشر حال ونسب الخشوع الي الابصار لان الذل والعز يتبين في النظر فالذل ان يرمي به صاحبه الي الارض متلاء هيبة يعرف منها ذلك كما قال تعالي خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وافرد في قراة ابي عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي دلالة علي ان الخشوع بلغ النهاية في الشدة ونسبته في ذلك الي كل بصر علي حد سوا علي لغة اكلوني البراغيث في قراة الباقين بضم الخا وتشديد الشين مفتوحة او هو مسند الي المدعوين والابصار بدل بعض اشارة الي ان ذلك موزع علي الابصار ولما بين من حالهم ما يدل علي نكارة ذلك اليوم بين كيفية خروجهم بيانا لما يلزم من تصوره زيادة الذعر فقال **يخرجون** اي علي سبيل التجدد الاشرف فالاشرف **من الاجداث** اي القبور المهياة لسماع النفخ في الصور **كانهم** في كثرتهم وتراكم بعضهم علي بعض وصغارهم وضعفهم وتموجهم **جراد منتشر** اي منبث متفرق حيران مطاوع لمن نشره بعد ما كان فيه من سكون الطي مختلط بعضه ببعض لا جهة له في الحقيقة يقصدها لو خلي ونفسه ولما كان الانتشار قد يكون علي وجه المهل والوقار قال مبينا ان الامر علي غير ذلك زيادة في هول ذلك اليوم وتقريرا لما تقدم من وصفه **مهطعين الي الداع** اي مسرعين خايفين مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه مادي اعناقهم نحوه مصوبي رؤسهم لا يلتفتون الي سواه كما يفعل من ينظر في ذل وخضوع وصمت واستكانة ولما بين حال الكل خص حال المبطلين فقال **يقول** اي علي سبيل التكرار **الكافرون** اي الذين كانوا في الدنيا عريقين في ستر الادلة واظهار الاباطيل المضلة **هذا** اي الوقت الذي نحن فيه بما نري فيه من الاهوال **يوم عسر** اي في غاية العسر والصعوبة والشدة وذلك بحسب حالهم فيه ولما تقدم امره سبحانه لنبيه صلي الله عليه وسلم بالتولي عنهم تهديدا لهم وشرح ما اراد من امر الساعة لما دعا الي ذلك من تقدم ذكرها ولانها اشد هول يهددون به وبيانا لان الخلق ما خلق الا لاجلها لانها محط الحكمة وختم بعسرها علي الكافرين تم ذلك التهديد بعذاب الدنيا ردعا لاهل الغلظة الموكلين بالمحسوسات فذكر اعسر يوم كان علي الكافرين فيها فقال مهددا لقريش بجعل القصة مثلا لهم في الاهلاك وفي امر الساعة من حيث انه كما اهلك اهل الارض في آن واحد بما ارسله من الما فهو قادر علي ان يهلكهم في آن واحد بالصيحة وكما صرف هذا التصريف الذي ما سمع بمثله في الاهلاك فهو قادر علي ان يصرفه في الاحيا عند البعث علي وجه ما عهد مثله تنبت به الاجساد وتحيي به العباد جوابا لمن كانه قال هذا ما يوعدونه بعد الموت فهل لهم عذاب قبله يدل علي كمال القدرة **كذبت** اي اوقعت التكذيب العظيم الذي عموا به جميع الرسالات والرسل وانث تعليم تحقيرا لهم وتهوينا لامرهم في جنب قدرته ولما كان تكذيبهم لما كان من تصميمهم عليه وعزمهم علي عدم الانفكاك عنه لكونه جبلة لهم مستغرقا لجميع ما بعدهم من الزمان وكانوا قد سنوا سنة التكذيب فكان عليهم مع وزرهم وزر من اتي بعدهم وكان ما قبلهم من الزمان يسيرا في جنب ما بعده عد عدما فلذلك ذكر الظرف من غير حرف لانه مع انه الحق اعظم في التسلية فقال

قبلهم

قبلهم اي في جميع ما سلف من الزمان بعضه بالفعل وبعضه بالقوة لقوة العزم **قوم نوح** مع ما كان بهم من القوة ولهم من الانتشار في جميع الاقطار ولما ذكر تكذيبهم مطلقا اشارة الي انه جبلة لهم بجحدوا بها النبوة راسا فلا حظ لهم من التصديق للحق فلا يعترق حالهم بالنسبة الي احد من الناس كاينا من كان فلذلك سبب عن هذا المطلق قوله **فكذبوا عبدنا** اي علي ما له من العظمة بنسبته الينا بكونه لم يتعبد لغيرنا قط مع تشريفنا اياه بالرسالة فكان تكذيبهم فردا مما دخل في تكذيبهم المطلق الشامل لكل ما يمكن تكذيبه وهو صدق **وقالوا** مع التكذيب **مجنون** اي فهذا الذي يظهر له من الخوارق من امر الجن ولما كان اعلا الصوت علي صوت الشي كاينا من كان عظيم القباحة جدا زايدا الفظاعة فكيف اذا كان مرسلا فكيف اذا كان من اولي العزم فكيف اذا كان علي سبيل الانكار عليه فكيف اذا كان علي صورة ما يفعل بمن لا خطر له بوجه قال بانيا للمجهول اشارة الي تبشيعه من غير نظر الي قايل وايذانا بان ذلك لم يكن من اكابرهم فقط بل من كبيرهم وصغيرهم **وازدجر** اي اعملوا انفسهم في انتهاره وتوعده وتهديده وانتشر ذلك في جميعهم بغاية ما يكون من الغلظة كفا له عن الرسالة ومنعا له منها او المعني انهم قالوا استطير عقله بالجنون ولما طال ذلك منهم ومضت عليه اجيالهم جيلا بعد جيل حتي مضي له في انذارهم اكثر مما مضي من الزمان لامة هذا النبي الخاتم الي يومنا هذا واخبره الله انه لن يومن منهم غير من آمن معه تسبب عن ذلك الدعا بالراحة منهم فلذلك قال صارفا وجه الخطاب الي صفة الاحسان والتربية والامتنان ايذانا بانه اجاب دعاه ولبي نداه **فدعا ربه** اي الذي رباه بالاحسان اليه برسالته معلما له لما آيس من اجابته **اني مغلوب** اي من قومي كلهم بالقوة والمنعة لا بالحجة واكد لمن ياتي عن الملك الاعظم يكون مظنة النصرة وابلاغا في الشكاية اظهارا للذل العبودية لان الله سبحانه عالم بسرا لعبد وجهره فما شرع الدعا في اصله الا لاظهار التذلل وكذا الابلاغ فيه **فانتصر** اي اوقع نصري عليهم انت وحدك علي ابلغ وجه ولما استجاب له سبحانه سبب عن دعايه قوله عايدا الي مظهر العظمة اعلاما بمزيد الغضب الموجب للاستيعاب بالغضب **ففتحنا** اي بسبب دعايه فتحا يليق بعظمتنا **ابواب السما** كلها في جميع الاقطار وعبر بجمع القلة عن الكثرة لان عادة العرب ان تستعيره لها وهو ارشق واشهر من تبيان وسياق العظمة يابي كونه لغيرها ولما كان المراد تهويل امر الما بذكر حاله التي كان عليها حتي كان الحدث بذلك شاهده جعله كانه الة فتحت بها السما فقال **بما منهمر** اي منصب بابلغ ما يكون من السيلان والصب كثرة وعظما ولذلك لم يقل بمطر لانه خارج عن تلك العادة واستمر ذلك اربعين يوما **وفجرنا** اي صدعنا بما لنا من العظمة وشققنا وبعثنا واسلنا **الارض عيونا** اي جميع عيون الارض ولكنه عدل عنه للتهويل بالابهام ثم البيان وافادة لان وجه الارض صار كله عيونا ولما كان الما اسم جنس يقع علي الانواع المختلفة كما يقع علي النوع الواحد وكان قد ذكر ما السما وما الارض سبب عن ذلك قوله **فالتقي الما** اي المعهود وهو ما السما وما الارض بسبب فعلنا هذا وزاد في تعظيمه باداة الاستعلا فقال **علي امر** ولما تقررت هذه العظمة لهذه الواقعة فكان ربما ظن انه صار جزافا وزاد علي الحد المامور به اشار الي انه بالنسبة الي عظمته في غاية الحقارة فقال **قد قدر** اي هو مع كونه مقدورا عليه في كل وقت بغاية السهولة قد وقع تقديره في الازل فلم يستطع ان يزيد علي ذلك قطرة فما فوقها ولا ان يهلك غير من امرناه باهلاكه واشار بالتخفيف الي غاية السهولة في ذلك عليه سبحانه ولما ذكر ما علم منه تقريبه ما ذكر من خرقه للعادة وانه اجابة لدعوته عليه السلام ذكر تتميم الانتصار بنجاته فقال **وحملناه** اي بما لنا من العظمة علي متن ذلك الما بعد ان صار جميع وجه الارض بحرا واحدا وحذف الموصوف تهويلا بالحث علي تعرفه بتامل

الكلام فقال علىٰ ذات اي سفينة صاحبة ألواح اي اخشاب نجرت حتي صارت عريضة ودسر
جمع دسار وهو ما تشد به السفينة وتوصل به الواحها ويلحم بعضها ببعض من مسمار من حديد أو خشب
او من خيوط الليف علي وجه الضخامة والقوة والدفع والمتانة ولعله عبر عن السفينة بما شرحها تنبيها
علي قدرته علي ما يريد من رتق الفتق وفتق الرتق بحيث يصير ذلك المصنوع إلي ما هيأه له واراده
منه وان كان ذلك المراد عظيما وذلك المصنوع حقيرا ولما كان ذلك خارقا للعادة فكان ان يكون
ان يكون في السفينة خارق آخر باسكانها علي ظهر الما من غير حركة بين ان الامر ليس كذلك فقال مظهرا
خارقا آخر في جريها تجري اي السفينة بأعيننا اي محفوظة من ان تدخل تحت الظلمات أو يأتي عليها
غير ذلك من الآفات بحفظنا علي ما لنا من العظمة حفظ من ينظر الشيء بأعين كثيرة ولا يغيب عنه اصلا
وجوزوا ان يكون جمع تكسير لعين الما ثم علل ذلك بقوله جزآ اي لعبدنا نوح عليه السلام ولكنه
عبر عنه بما يفهم العلة ليحذر السامع وقوع مثل ذلك العذاب له ان وقع منه مثل فعل قومه فقال
لمن وعبر عن طول زمان كفرهم بقوله كان كفر اي وقع الكفر به وهو اجل النعم علي اهل ذلك الزمان
وذلك جزا من كفر النعم ويجوز ان يكون المراد به قومه بين انه وقع الكفر منهم وقوعا كانهم يحملون عليه
حتي كانه وقع عليهم لتوافق قراة مجاهد بالبنا للفاعل ولما تم الخبر عن نجاته بحمله فيها نبه علي آثارها
بقوله ولقد تركناها اي هذه الفعلة العظيمة من جري السفينة علي هذا الوجه وابقا نوع عهد الدال علي
ما لنا من العظمة وقيل تلك السفينة بعينها بقيت علي الجودي حتي ادرك بقاياها هذه الامة آية أي
علامة عظيمة علي ما لنا من العلم المحيط والقدرة العامة فهل من مدكر اي مجتهد في التذكر بسبب هذا
الامر لما يحق علي الخلق من شكر الخالق بما هدت اليه رسله كما قالوه ولما تقدم تعالي قوله فما تغن النذر
واتبعه ذكر اهلاكه المكذبين وكان ما ذكره من شانهم امرا هو في الجلالة والعظمة بحيث يحق للسامع
ان يسئل عنه ويتعرف احواله ليهتدي بها نبه علي ذلك بقوله مسببا عن التذكير باستفهام الانكار والتوبيخ
فكيف كان اي وجد وتحقق عذابي اي لمن كفر وكذب رسلي ونذر اي الانذارات الصادرة عني أو
المنذرون المبلغون عني فانه انجي نوحا عليه السلام ومن آمن به من أولاده وغيرهم ومتعهم بعد اهلاك
عدوهم وجعل الناس كلهم الآن من نسله • قال القشيري وفي هذا قوة لرجا اهل الدين اذا لقوا في دين
الله محنة يعني فيجد غيرهم ما اتاهم الله ان يهلك الله عن قريب عدوهم ويمكنهم من ديارهم وبلادهم
ويورثهم ما كان اليهم • وكذلك سنة الله في جميع أهل الضلال انتهي • وكان المعني في تكرير ذلك سلمهم بعد
التذكير بما اتيناهم به من قصص هذه الامم ميسرا لفهم صغيرهم وكبيرهم ذكرهم واتاهم كيف كان اخزي
لهم وعاقبة تخويفي اياهم لعلهم يتعظون فينفعهم انذار المنذرين • ولما كان هذا المفصل مما انزل اول
القرآن تيسيرا علي الامة نبه علي ذلك بقوله ولقد يسرنا اي علي ما لنا من العظمة القرآن اي علي ما له
من الجمع والفرق والعظمة المناسبة لكونه وصفا لنا للذكر اي الاتعاظ والتذكر والتدبر والتفهم والحفظ
والتشريف لمن يراعيه • قال ابن برجان انزلناه باللسان العربي ونزلناه للافهام تنزيلا وخاطبناهم
بعوايدهم واعلمناهم من قبل اعمالهم واقبسناهم المعرفة واليقين من قبل ذواتهم وضربنا لهم الامثال
واطلنا لهم في هذه الاعمار ليتذكروا الميثاق الماخوذ عليهم • وقال القشيري يسر قراءته علي السنة قوم
وعلمه علي قلوب قوم وفهمه علي قلوب قوم وحفظه علي قلوب قوم وكلهم اهل القرآن وكلهم اهل الله وخاصته
انتهي • والآية ناظرة بالعطف والمعني الي ولقد جاءهم من الانبا الآيتين فالمعني انا لو شينا بما لنا من العظمة
لجيناهم بعبارات لا يشمون رايحتها وبلاغات لا يهتدون إلي وجه فهمها اصلا لكنا لم نفعل ذلك بل خاطبناهم
بابلغ بلاغاتهم مع تيسير فهم ما خاطبناهم به فكان في ذلك إعجازان احدهما انه فوق بلاغاتهم الثاني انه مع

علوه

علوه يشترك في أصل فهمه الذكي والغبي ولما كان هذا القرآن العظيم الجامع ترجمة لافعاله سبحانه
في هذا الوجود المشاهد والغايب الذي أخبرنا عنه وشرحا لما انزل علينا من اسمايه الحسني وصفاته العلي
التي تعرف إلينا بها وكان سبحانه قد جعل خلق الادمي جامعا فما من شيء من أفعاله الا وفي نفسه منه
اثر ناط التفكر في القرآن والتعرف للاسرار منه بالتذكر الذي يكون لما كان الانسان يعرفه ثم نسيه
فصار لا يستقل باستحضاره فاذا ذكر به ذكره فقال منبها علي عظيم فضل العلم والقرآن الذي هو طريقه
بالتكرار وبالتعبير بما هو من الذكر علي انه محفوظ للانسان بما هيئ له من تيسير امره فهل من مدكر
قال البخاري في آخر صحيحه قال مطر الوراق هل من طالب علم فيعان عليه • وقد تكررت هذه الموعظة في هذه
السورة اربع مرات وذكرت الجملة الاخيرة منها مسفكة عن تفسير القران مرتين مرة في اول القصص وهي
قصة نوح عليه السلام ومرة كما ياتي في آخرها وذلك عقب قصة فرعون وقوله فكيف كان عذابي ونذر
مثل ذلك • وكررت فباي الآء ربكما تكذبان في الرحمن احدي وثلاثين مرة فنظرت في سر ذلك فظهر لي والله
الهادي ان الذي تقدم من سور المفصل علي هذه السورة اربع سور هذه السورة خامستها فاشير الي التذكير
بكل سورة منها حثا علي تدبرها باية ختمت كلماتها بكلمة عادت حروفها السور الخمس وادغم حرف منها في آخر
بعد قلب كل منها فكانت هذه الكلمة التي مدلولها الذكر مشيرة الي الحواس الخمس الظاهرة التي هي مبادي
العلم وكان ما في اول هذه المواعظ وآخرها الخلو عن ذكر القران موازيا للحرفين اللذين يطرقهما
الوهن بالتغيير والقلب بكن لما كان الحرفان بالادغام كحرف واحد كانت الجملتان الموازيتان لهما كاية
واحدة من تلك الاربع وكان الاول والاخر مشارا به الي هذه السورة التي جمعت التذكير بالسور الاربع
واعربت عن ذكر تيسير القران لافتتاح السورة بمحو وما يقرب من المحو وهو آية الليل والتاثير فيها والساعة
التي هي من اعيب الغيب وكل من فيها سوي الله محو صرف لسلبه الامر كله وحصت بها الاولي والاخرة الجامع ما
بينهما من غرق العصاة في الما ونجاة المطيعين بعضهم بالسفينة وبعضهم بنفس البحر الذي هو من اسح السفن
وكانت الموعظة المذكور فيها القران في ختام قصة نوح عليه السلام مع عمومها لجميع القران اشارة الي
خصوص التذكير بسورة ق لما بينهما من جامع الاحاطة بالارض كلها وطوفان نوح عليه السلام بعموم
جميع الارض والتي في قصة عاد اشارة الي سورة الذاريات لان هلاكهم كان بالريح والتي في قصة ثمود
اشارة الي التذكير بالطور بجامع بينهما من الرجف والرجفة والدك والصعق الذي في قصة ثمود فظاهر واما في
الطور فلما كان من دكه وصعق بني اسراييل ... ذكر الصعق في آخر الطور وما في قصة لوط اشارة الي النجم
لان مداينهم ارتفعت إلي عنان السما ثم اهويت واتبعت الحجارة فلما كان الامر هكذا وكانت النعم محيطة
بالانسان من جهاته الست فضربت الحواس الخمس في الجهات الست فكانت ثلثين كان كانه قيل هل من مدكر
بهذا القران ولا سيما ما تقدم هذه السورة منه في المفصل ما لله عليه من النعم في نفسه وفي الآفاق المشار الي
القسم الاول منها بمدكر والي الثاني بتكرير ذكر الآلاء في كل اية تكريرا انتهي إلي العدد المخصوص والي المجموع
بالمجموع ليعلم ان نعم الله محيطة به علي وجه لا يقدر علي صنعه الا الله الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال
التي اعظمها من حيث كونها اسبابا يبتني عليه الوحدانية المنزهة عن الشركة فيخشي من معصيته ان يسلبه نعمه أو
واحدة منها فلا يجد من يقوم بها ولا بشيء منها غيره او يعذبه بشيء من مثل عذاب هذه الامم او بغير ذلك بما له
من احاطة القدرة والعلم فلا يجد من يرد عنه شيا منه غيره سبحانه • واما الواحد الزايد فهو اشارة الي
ان المدار في ذلك الادراك هو العقل والحواس اسباب كما ان المقصود بذلك كله واحد وهو الله تعالي
وكل هذه الاشيا اسباب لمعرفته وايضا فالواحد اشارة إلي ان زيادة الآلاء من فضل الله لا تنقطع كما ان
الواحد الذي هو اصل العدد لا يزال فكلما انتهت زيادته دور عقد ابتدأ دور آخر دايما ابدا • وللتكرير نكتة

اخري بديعة جدا وهي تاكيد التقرير لمزيد الاذعان بالتكرير دلالة علي اشتداد الغضب المقتضي لانهي
العقوبة كما ان من اشتد غضبه من انكار شخص لشي من قبله اذا بينه له غاية البيان باموره متنوعة
وهو يتمرد ويلد غاية اللدد ويجحد باحسن فيجمع له جمعا لا يقدر علي العدول عن الحق بحضرتهم فيذعن
وهو في قبضته فيذكر له تلك المعاني بين ذلك الجمع فيصير كلما ذكر له نوعا منها بحضرتهم قال له هل ظهر
لك هذا فيقول له ذلك المنكر نعم ظهر لي فلا يزيد ذلك الا غضبا لما تقدم له ذلك من عظيم لدده فيذكر
له معني آخر ثم يقول له هل ظهر لك هذا فيقول نعم والله فلا يعرج علي اعترافه ذلك ويذكر له نوعا آخر
ويقول مثل ذلك مريدا الزيادة في تبكيته وتخجيله وهكذا الي ان يشتفي غيظه كل ذلك للتنبيه علي اللدد
وكفاية كل نوع منها لما اريد منه من البيان • وقال في الكشاف فايدته ان يجددوا عند استماع كل نبا
من انبا الاولين ادكارا واتعاظا وان يستانفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث علي ذلك والبعث عليه
وان تقرع لهم العصي مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو وتستولي عليهم الغفلة وهكذا
حكم التكريرات لتكون العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان انتهى
ولمثل ما مضي او قريب منه كرر التهويل بالعذاب ست مرات اربع منها فكيف كان عذابي ونذر واثنان
منها فذوقوا عذابي ونذر فهما بمنزلة واحد من الاربع ليرجع الست الي الخمس الدال عليها مذكرا اشارة الي
ان الحواس الخمس كما ضربت في الجهات الست لاجل النعم التي هي جلب المصالح ضربت فيها للتذكير بدفع النقم
الذي هو درء المفاسد والتحذير منها ومن فوايد تكرر الست الراجعة الي الخمس مرتين مرة لجلب النعم
واخري لدفع النقم ان الحواس متكررة ظاهرا وباطنا فمن ذل لسانه بالقران ظاهرا صحت حواسه
الظاهرة ونورت له الباطنة ومن ابي عذب بسلب الباطنة فتفسد الظاهرة واختير للموعظتين عدد
الست مع ارادة ارجاعه الي خمس لان الست عدد تام وذلك كسورها اذا اجمعت ساوتها ولم تزد عنها
ولم تنقص وهي النصف والثلث والسدس وهذا العدد مع تلك الاسرار مشاير لدعايم الاسلام الخمس
وخطيرتها الجهاد التي هي عماد لتقوي المتقين اهل مقعد الصدق الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل الي نبيهم صلي الله عليه وسلم وما انزل من قبله المشار به
الي الصيام كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم والحج واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا
والجهاد ام حسبتم ان تدخلوا الجنة الي قوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم وكذلك اشارة الي ان هذا الدين
تام لا زيادة فيه ولا نقص لان النبي الذي ارسل به خاتم الانبيا وتمام الرسل الاصفيا **ولما**
كان عاد قد تكبروا باشدتهم وقوتهم وكانت حال قريش قريبة من ذلك بقولهم انهم امنع العرب واقواهم
واجمعهم للكمالات واعلاهم كرر ذلك في قصتهم مرتين زيادة في تذكير قريش وتحذيرهم ولا سيما وقد كان
بدء عذابهم من بلدهم مكة المشرفة كما هو مشروح في قصتهم وكرر الامر بالذوق في قصة لوط عليه
السلام لانهم عذبوا بما يردع من كان له قلب بالطمس فلما لم ينفعهم ذلك اتاهم الكبر منه فكانوا كامس الدابر
فلكل مرة من العذاب مرة من الامر بالذوق وخصوا بالامر بالذوق لما في فاحشتهم الخبيثة بما يستلذونه
منه وقد عم عذاب هذه الامم جميع الجهات بما القوم نوح ولوط عليهما السلام من جهة الغرق بالماطر وحجارة
السجيل ومن جهة البحث من الما النابع والخسف وما في عموم عذابهم من استغراق بقية الجهات والله الهادي
ولما انقضت قصة نوح عليه السلام علي هذا الهول العظيم كان ذلك موجبا للسامع ان يظن انه لا يكفر
احد بعدهم وان لم يرسل رسول فكيف اذا ارسل فتشوف الي علم ما كان بعده هل كان كما ظن ام رجع الناس
الي طباعهم وكانت قصة عاد اعظم قصة جرت بعد قوم نوح عليه السلام فيما يعرفه العرب فيصلح ان يكون
واعظا لهم وكان عذابهم بالريح التي اهلكتهم ونسفت جبالهم التي كانت في محالم من الرمال المتراكمة

فنقلتها

فنقلتها الي امكنة اخري اقرب دليل علي انه تعالي يسير الجبال يوم الدين هذا الي ما في صوتها الخارج عن
العوايد من تصوير النفخ في الصور تارة للاماتة وتارة للاحيا فاجيب بقوله **كذبت عاد** اي اوقعت
التكذيب العام المطلق الذي اوجب تكذيبهم برسولهم هود عليه السلام في دعايه لهم الي وانذاره عذابي
ولما كان من عادة الملوك او بعضهم انه اذا اهلك قوما كثيرين من جنده لشي فجا ناس مثلهم بمثل ذنوبهم
ان يرفق بهم ويستالفهم لئلا يهلك جنده فيختل ملكه عقب الاخبار بتكذيبهم الاعلام بتعذيبهم لانه لا يبالي بشي
لان كل شي في قبضته وما كان تكذيبهم الا بارادته كما ان عذابهم بمشيته فقال مسببا عن ذلك **فكيف** اي فعلي
اي الاحوال لاجل تكذيبهم **كان عذابي لهم ونذر** اي وانذاري اياهم بلسان رسولي وكرر في آخر قصتهم
هذا الاستخبار فكان في قصتهم مرتين لما تقدم من سره والله اعلم **ولما** اذكر تكذيبهم واعقبه تعذيبهم
علم السامع انه شديد العظمة فاستمطر ان يعرفه فاستانف قوله مؤكدا تنبيها علي ان قريشا في افعالهم
في التكذيب كافعالهم كانهم مكذبون بعذابهم **انا ارسلنا** بعظمتنا وعبر بحرف الاستعلا اعلاما بالنقمة
فقال **عليهم ريحا** **ولما** كانت الريح ربما كانت عيانا وصفها بما دل علي حالها فقال **صرصرا** اي شديد
البرد والصوت • **ولما** كان مقصود السورة قرب قيام الساعة ووصف سيرهم الي الداعي بالاسراع
ناسب ان يعبر عن عذابهم باقل ما يمكن فعبر باليوم الذي يراد به الجنس الشامل للقليل والكثير • وقد
يعبر به عن مقدار من الزمان يتم فيه امر ظاهر سوا كان لحظة او اياما او شهورا او اكثر من ذلك
او اقل كيوم البعث ويوم بدر ويوم الموت في قوله تعالي الي ربك يومئذ المساق فقال **في يوم**
واكد شومها بذم زمانها فقال **نحس** اي شديد القباحة قيل كان يوم الاربعا اخر الشهر وهو شوال
لثمان بقين الي غروب الاربعا اخره وحقق ان المراد باليوم الجنس لا الوحدة بالوصف فقال **مستمر**
اي قوي في نحوسته نافذ ماض فيما امر به من ذلك شديد اسبابه موجودة مرارته وجوده مطلوبا من
مرسله في كل وقت مستحكم المرارة قوتها دايما الي وقت انفاد المراد منه **ولما** علم وصفها في ذاتها اتبعه
وصفها بفعلها فيهم فقال **تنزع** اي تاخذ من الارض بعضهم من وجهها وبعضهم من حفر حفروها ليمتنعوا
بها من العذاب واظهر موضع الاضمار لتكون نصا في الذكور والاناث • وعبر بما هو من النوس تسفيلا
لهم فقال **الناس** اي الذين هم صور لا ثبات لهم بارواح التقوي فتطيرهم بين السما والارض
كانهم الهبا المنثور فتقطع روسهم من جثتهم وتغير الوانهم تغشيها لهم الي السواد ولذا قال **كانهم** اي
حين ينزعون فيلقون لا ارواح فيهم **اعجاز** اي اصول **نخل** قطعت روسها **ولما** كان الحكم هنا علي ظاهر
حالهم وكان الظاهر دون الباطن حمل علي اللفظ قوله **منقعر** اي منقصف منصرع من اسفل قعره
واصل مغرسه والتشبيه مشير الي انهم طوال قد قطعت روسهم وفي الحاقة وقع التشبيه في الباطن
الذي فيه الاعضا الريسة والمعاني اللطيفة التي عنها تكون القوي فانث الوصف حملا علي معني النخل
لا لفظه والله اعلم **ولما** طابق ما اخبر به من عذابهم ما هوله به اولا اكد ذلك لما تقدم من سره فقال
مسببا عنه مشيرا الي انه لشدة هوله مما يجب السوال عنه **فكيف كان** ايها السامع ولفت القول الي
الافراد تنبيها للعبيد علي المحافظة علي مقام التوحيد **عذابي** اي لمن كذب رسلي **ونذر** اي وانذاري
او ورسلي في انذارهم هل صدق **ولما** اتم سبحانه تحذيره من مثل حالهم باتم ناظر اتم نظر الي تذكير
ما في سورة الذاريات اتبع ذلك التنبيه علي انه ينبغي للسامع ان يتوقع الحث علي ذلك فقال مؤكدا
لما لاكثر السامعين من التكذيب بالقال او بالحال معلما بانه سهل طريق الفرار من مثل هذه الفتن الكبار
اليه ويسر امر الاعتماد عليه عايدا الي مظهر العظمة ايذانا بان تيسير القران لما ذكر مع اعجازه لا يكون
الا بعظمة تفوت قوي البشر وتعجز عنها منهم القدر **ولقد يسرنا** علي ما لنا من العظمة في الذات والصفات

القرآن الجامع الفارق كله وما اشارت اليه هذه القصة من مفصله للذكر للحفظ والشرف والفهم
والتدبر والاتعاظ بما صرفنا فيه من انواع المواعظ مع التهيئة للحفظ بالايجاز وعذوبة اللفظ وقرب
الفهم وجلالة المعاني وجزالة السبك وتنويع الفنون وتكثير الشعب واحكام الربط فهل من مدكر
اي تسبب عن هذا الامر العظيم الذي فعلناه انه موضع السؤال عن احوال السامعين هل فيهم من يقبل
على حفظه ثم تدبره وفهمه ويتعظ بما حل بالامم السالفة ويتذكر جميع ما صرف فيه من الاقوال وينزلها
على نفسه وما لها من الاحوال ويجعل ذلك لوجهنا فنكفيه بتشريفه به امر دنياه واخراه ولما
كان هذا موضع الاقبال على تدبر مواعظ القرآن وكانت قصة ثمود اعظم واعظ كان بعد عاد مع
ما في صيحتهم الخارجة عن المعهود من تصوير الساعة بنفختها المميتة ثم المحيية قال معلما ان من كذب
هلك على طريق العذاب لمن لعله يقول استبعادا للتكذيب بعد ما جرى في القصتين الماضيتين من التعذيب
كذبت ثمود اي قوم صالح بالنذر اي الانذارات والمنذرين كلهم لانهم شرع واحد ثم علل ذلك وعقبه
بقوله معلما بالضميرات المباشر بهذا الكفر رجالهم لئلا يظن انه النساء فقط فقالوا منكرين لما جاءهم
من الله غاية الانكار ابشرا انكارا للرسالة هذا النوع ليكون انكارا لنبوة نبيهم على ابلغ الوجوه
واعظموا الانكار بقولهم منا اي فلا فضل له علينا فما وجه اختصاصه بذلك من بيننا وزادوا ذلك فقالوا
واحدا اي ليس معه من يؤيده ثم فسر الناصب لقوله بشرا بقوله نتبعه اي نجاهد نفسنا في خلع ما الفنا
وخلاف ابائنا والاقرار على انفسنا بسخافة العقل والعراقة في الجهل ونحن الناس كثرة وقوة وفهما ودربة
ثم استنتجوا عن هذا الانكار الشديد قولهم مؤكدين لاستشعارهم بان كلامهم اهل لان يكذب انا اذن
اي اذا اتبعناه لفي ضلال اي ذهاب عن الصواب محيط بنا وسعر اي تكون عاقبتنا في ذلك الضلال
الكون في اوائل امر لا ندري عاقبته فانه لم يجرب ولم يخبر ولم يمض عليه احد قبلنا يكون سلفا لنا
فيجرنا ذلك الى جنون وجوع ونار كما يكون من يتوه في القفار في انواع من الحر يتوقد حر الجبال وحر
الضلال وحر الهموم والاوجال وذلك اعظم من النار التي توعدنا بها وهو معنى تفسير ابن عباس رضي
الله عنهما له بالعذاب وجعل سفيان ابن عيينة له جمع سعير والمعنى انا اذا اتبعناك كنا كما تقول جامعين
بين الضلال والعذاب بسائر انواعه ولما كان فيما قالوه اعظم تكذيب مدلول على صحته في زعمهم
بما اوماوا اليه من كونه ادميا مثلهم وهو مع ذلك واحد من احادهم فليس هو بامثلهم وهو منفرد فلم
يتايد فكره بفكر غيره حتى يكون موضع الوثوق به دلوا عليه بامر اخر ساقوه ايضا مساق الانكار واوماوا
بالالقاء الى انه في اسراعه كانه حجر سقط من علو فقالوا اءلقي اي انزل بغتة في سرعة لانه لم يكن عندهم
في مضمار هذا الشان ولا توسموا فيه قبل اشادته به شيا منه بل اتاهم به بغتة في غاية الاسراع
ولما كان الالقاء يكون للاجسام غالبا فكان رفع هذا الوهم اهم كان تقديم النايب عن الفاعل
اولى بخلاف ما تقدم في ص الذكر اي الوحي الذي يكون به الشرف الاعظم وعبروا بعلى اشارة
الى ان مثل هذا الذي يقوله لا يقال الا عن قضا غالب وامر قاهر فقالوا عليه ودلوا على وجه التعجب
والانكار بالاختصاص بقولهم من بيننا اي وفينا من هو اولى بذلك منه سنا وشرفا ونبلا ولما كان
هذا الاستفهام لكونه انكاريا بمعنى النفي اضربوا عنه بقولهم على وجه النتيجة عطفا على ما افهمه الاستفهام
من نحو ليس الامر كما زعم بل هو اي لما ابديناه من الشبه كذاب اي بليغ في الكذب اشر اي
مرح غلبت عليه البطالة حتى اعجبته نفسه فمرح وتجبر وبطر ونشط في ذلك فصار كالمنشار الذي
هو متفرغ للقطع مهيا له خشن الامر سيئ الاثر فهو يريد الترفع ولما كان هذا غاية الذم لمن
يستحق منهم غاية المدح اجاب تعالى عنه موعظة لعباده لئلا يتقولوا ما يعلمون بطلانه او يقولون ما لا

يعلمون

يعلمون صحته بقوله سيعلمون اي بوعد لا خلف فيه ولما كان المراد التقريب لانه اشد في التهديد
قال غدا اي في الزمن الاتي القريب لان كل ما حقق اتيانه قريب عند نزول العذاب في الدنيا ويوم
القيمة وقراه ابن عامر وحمزة ورويس عن يعقوب بالخطاب التفاتا معلما بنهاية الغضب من الكذاب
الاشر اي الذي الكذب والاشر وهو احتقار الناس والاستكبار على ما ابدوه من الحق مختص به
ومقصور عليه لا يتعداه الى مرتبته وذلك هم جعلوا الكذب ديدنهم ولم يتعدهم حتى يدعي شي منه
لصالح عليه السلام فكان الكلام معينا لهم في الكذب قاصرا له عليهم بسياقه الى الوجه المبهم المنصف
الذي فيه مراوعة القلب وهز النفس ما لا يعلمه حق علمه الا الله تعالى وكلما كان الانسان اسلم
طبعا واكثر علما كان له اعظم ذوقا ولما علم من هذا انه سبحانه فصل الامر بينهم تشوف السامع الى
علم ذلك فقال مستانفا دالا بانهم طالبوه باية على صدقه انا اي بما لنا من العظمة مرسلوا الناقة
اي موجدوها ومخرجوها كما اقترحوا من حجر اهلناه لذلك وخصصناه من بين الحجارة دلالة على
ارسالنا صالحا عليه السلام مخصصين له من بين قومه وذلك انهم قالوا لصالح عليه السلام نريد
ان نعرف المحق منا بان ندعو الهتنا وتدعو الهك فمن اجابه الهه علم انه المحق فدعوا اوثانهم فلم
تجبهم فقالوا ادع انت فقال فما تريدون قالوا تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة ناقة عشرا فاجابهم
الى ذلك بشرط الايمان فوعدوه بذلك واكدوا فكذبوا بعد ما كذبوا في ان الهتهم تجيبهم وصدق هو
صلى الله عليه وسلم في كل ما قال فاخبره ربه سبحانه انه يجيبهم الى اخراجها فتنة لهم اي امتحانا يخالطهم
به فيميلهم عن حالتهم التي وعدوا بها ويحيلهم عنها وسبب سبحانه عن ذلك امره بانتظارهم فيما يصنعون بعد اخراجها
لما توصلهم اليه عواقب الفتنة فقال فارتقبهم اي كلف نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزاء على اعمالهم انتظارا
من يحرسهم وهو عال عليهم فانهم واصلون باعمالهم الى الداهية التي تنسي امر الرقوب ليكونوا كمن جعل الحبل
في رقبته ودله بصيغة الافتعال على انه يكون له منهم اذى بالغ قبل انفصال النزاع فقال واصطبر
اي عالج نفسك واجتهد في الصبر عليهم ونبئهم اي اخبرهم اخبارا عظيما بامر عظيم وهو ان الماء
اي الذي يشربونه وهو ما بئرهم قسمة بينهم اي بين ثمود وبين الناقة غلب عليها ضمير من يعقل اذا
تعشاها كان لهم يوم لا تشاركهم فيه في الماء ولها يوم لا تدع في البئر قطرة يأخذها احد منهم وتوسع
الكل بدل الماء لبنا ولما اخبر بتوزيع الماء اعلم انه على وجه غريب بقوله استينافا كل شرب اي ما
من ذلك وحظ منه ومورد اليه ووقت يشرب منه محتضر اي اهل لما فيه من الامر العجيب ان يحضره
الحاضرون حضورا عظيما ويكلفوا انفسهم ذلك لانه صار في كثرته وحسنه كما الحاضرة لا البادية
وناقل لان يعاوده حاضروه من حسنه ويرجعوا اليه وان يجتمع عليه الجمع الكثير وتتوفر دواعيهم عليه
ولما كان التقدير فكان الامر كما ذكرنا واستمروا الامد الذي ضربناه فافتتنوا كما اخبرنا فنادوا
بسبب الفتنة صاحبهم قدار بن سالف الذي انتدبوه بطرا واشرا لقتل الناقة وكذبا في وعدهم
الايمان واكرامها بالاحسان وهو اشقى الاولين فتعاطى اي اوقع بسبب ندائهم التعاطي الذي لا تعاطي مثله
فتناول ما لا يحق له ان يتناوله بسبب الناقة وهو سيفه بيده قائما في الامر الناشئ عن هذا الاخذ على كل
حال ورفع راسه بغاية الهمة ومد يديه مدا عظيما ورفعهما وقام على اطراف اصابع رجليه حين عاطوه
ذلك اي سالوه فيه فطاوعهم وتناول الناقة بذلك السيف غير مكترث ولا مبال فعقر اي فتسبب عن هذا
الجد العظيم ان صدق فيما اثبت له الكذب في الوعد بالاحسان اليها والاشر وهو ايقاع العقر الذي
ما كان في ذلك الزمان عقر مثله وهو عقر الناقة التي هي اية الله اي اهلاكها ولما وقع كذبهم على هذا الوجه
العظيم المبني على غاية الاشر حقق الله تعالى صدقه في توعدهم على تقدير وقوع ذلك منهم فاوقع عذابهم

علي عذابهم

سبحانه علي وجه هو من عظمه أهل لان يتسال عنه فنبه سبحانه علي عظمه بايراده في اسلوب الاستفهام
مسببا عن فعل الاشقي فقال فكيف كان وحافظ علي مقام التوحيد كما مضي فقال عذابي اي كان علي
حال ووجه هو اهل لان يجتهد في الاقبال علي تعرفه والسؤال ونذر اي انذاراتي ولما علم تفرغ
ذهن السايل لوعي الخبر استانف قوله مؤكدا اشارة الي ان عذابهم مما يستلذ ويتبجح به وارغاما
لمن يستبعد ان صيحة واحدة تفعل مثل ذلك واعلاما بان القدرة علي عذاب من كذب من غيرهم كهي علي
عذابهم فلا معني للتكذيب انا بما لنا من العظمة ارسلنا ارسالا عظيما ودل علي كونه عذابا بقوله عليهم
صيحة وحقر شانهم بالنسبة الي عظمة عذابه بقوله واحدة صاح بها عليهم جبريل عليه السلام فلم يكن بصيحة
هذه التي هي واحدة طاقة ولا شيء عند هاصيا حهم حين نادوا صاحبهم لعقر الناقة ولما تسبب عنها
هلاكهم قال فكانوا اي كونا عظيما كهشيم المحتظر اي محتطبين كالشجر اليابس الذي جعله الراعي ومن
في معناه ممن يجعل شيا ياوي اليه ويحفظ به ماشيته في وقت ما لا ابقا له وهو حظيرة اي شيء مستدير
مانع في ذلك لمن يدخل اليه فهو يتهشم ويتحطم كثير منه وهو يعمله فتدوسه الغنم ثم يصير يتحطم اولا فاولا
وكلما سقط منه شيء فداسته الغنم كان هشيما وكالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته
ولما كان التقدير فلقد ابلغنا في الموعظة لكل من يسمع هذه القصة عطف عليه قوله مؤكدا لأجل من
يعرض عن هذا القران ويعلل اعراضه عنه بصعوبته ولقد يسرنا اي علي ما لنا من العظمة القرآن
اي الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس للذكر اي الحفظ والتذكير والتذكر وحصول النباهة
به والشرف في الدارين ولما كان هذا غاية في وجوب الاقبال عليه بجميع القوي قال فهل من
مدكر اي من ناظر فيه بسبب قولنا هذا بعين الانصاف والتجرد عن الهوي ليري كل ما اخبرنا به فيعينه
عليه ولما كان التذكير كانه قال ان المنذرين لم يتعظوا به فزد في وعظهم وكان قصة لوط عليه
السلام مع قومه أعظم ما كان بعد ثمود مما تعرفه العرب بالاخبار ورؤية الآثار مع ما في قصتهم من
تصوير الساعة في تبديل الأرض غير الارض استانف قوله كذبت قوم لوط اي وهم في قوة عظيمة علي
ما يحاولونه وان كانوا في تكذيبهم هذا في ضعف عقول النسا عن التجرد عن الهوي بما دل عليه تانيث الفعل
بالتا وكذا ما قبلها من القصص بالنذر اي الانذار او الانذارات او المنذرين ودل علي تناهي القباحة
في مرتكبهم بتقديم الاخبار عن عذابهم فقال مؤكدا توعدا لمن استمر علي التكذيب انا اي بما لنا من
العظمة ارسلنا ودل علي انه ارسال اهانة بقوله عليهم ودل علي هوانهم وبلوغ أمره كل ما يراد به بقوله
حاصبا اي ريحا ترميهم بحجارة هي دون ملء الكف مهلكة لهم محرقة خاسفة مغرقة الا آل لوط وهم
من آمن به فكان بحيث اذا رايته فكانك رايت لوط عليه السلام لما يلوح عليه من افعاله والمشي علي منواله
في اقواله وافعاله ولما استثناؤهم مفهما انجاءهم مع التجويز لارسال شيء عليهم غير مقيد بما ذكر قال
مستانفا جوابا لمن كانه قال ما كان حالهم نجيناهم اي تنجية عظيمة بالتدريج وذكر اول الشروع
في انجائهم فقال بسحر اي باخر ليلة من الليالي وهي التي عذب فيها قومه فهو نكره لانا لا نعرف تلك الليلة
بعينها ولو قصدت سحر الليلة التي اصبحت منها كان معرفة لا ينصرف والسحر السدس الاخير من الليل الذي
يكون فيه الانسان لا سيما النسا والاطفال في غاية الغفلة بالاستغراق في النوم ويفتح الله فيها ابواب
السما اي ياذن في الدعا ليحصل منه الاجابة كما ان الملوك اذا فتحوا ابوابهم كان ذلك اذنا للناس في
الدخول وقضا للحوايج فالنزول وفتح الابواب كناية عن ذلك والله متعال عن حاجة الي نزول او فتح
باب او غير ذلك ولما كان المراد من الموعظين الطاعة التي هي سبب النجاة قال ذاكرا للانعام معبرا
عنه بغايته المقصودة منه معرفا ان انتقامه عدل ومعافاته فضل لان احدا لا يقدر ان يكافي نعمة

ولا نعمة منها معللا للانجا بنعمة من عندنا اي عظيمة غريبة جدا لشكرهم ولما كان كانه قيل هل
هذا الانجا من بين الظالمين مختص بهم أجاب بقوله كذلك اي مثل هذا الانجا العظيم الذي جعلناه جزا
لهم نجزي من شكر اي اوقع الشكر بجميع انجابه فامن واطاع لا سيما بالامر بالمعروف والنهي
عن المنكر كاينا من كان من سوقة او سلطان شجاع او جبان فانا ننعم عليه بالانجا بعد اهلاك عدوه
قال القشيري والشكر علي نعم الدفع اتم من الشكر علي نعم النفع ولا يعرف ذلك الا كل موفق كيس
فالاية من الاحتباك ذكر الانعام اولا لان السبب الحقيقي دليلا علي حذفه ثانيا والشكر ثانيا لانه
السبب الظاهري دليلا علي حذفه اولا ولما كان التقدير دفعا لعنا استشراف السايل الي ما كان من
حاله صلي الله عليه وسلم معهم قبل العذاب لقد بالغ في شكرنا بوعظهم ونصحهم ودعايهم الينا صرفا لما
انعمنا به عليه من الرسالة في اتم مواضعه عطف عليه ايما اليه قوله مؤكدا لان تمادي المحذر من
العذاب علي الاقامة في موجبه يكاد ان لا يصدق ولقد انذرهم اي رسولنا لوط عليه السلام بطشتنا
اي اخذتنا لهم المقرونة من الشدة بما لنا من العظمة ووحد اشارة الي انه لا يستهان بشيء من عذابه
سبحانه بل الاخذة الواحدة منه كافية لما لها من العظمة فهي غير محتاجة الي تثنية ودل علي ان انذاره
كان جديرا بالقبول لكونه واضح الحقيقة بما تسبب عن ذلك من قوله فتماروا اي تكلفوا الشك بالنذر
اي الانذار مصدرا والانذارات او المنذرين جمع النذير حتي اداهم ذلك الي التكذيب فكان سببا للاخذ
ولما كان ترك الاحتياط في اعمال الحيلة في وجه الخلاص من انذار النذير عظيم العراقة في السفه دل
علي انهم تجاوزوا ذلك الي انتهاك حرمة النذير فقال مقسما لان مثل ذلك لا يكاد يقع فلا يصدق من حكاه
ولقد راودوه اي زادوا في التكذيب الموجب للتعذيب اي عالجوه معالجة طويلة تحتاج الي فتل ودوا
عن ضيفه ليسلمهم اليهم وهم ملكة في صورة شباب مرد وافرد وان كان المراد الجنس استعظاما
لذلك لو كان الضيف واحدا فطمسنا اي فتسبب عن مراودتهم ان طمسنا بعظمتنا أعينهم فسويناها مع
ساير الوجوه فصارت بحيث لا يري لها شق قال البغوي هذا قول اكثر المفسرين وذلك بصفقة صفقها
لهم جبريل عليه السلام وقال القشيري مسح بجناحه علي وجوههم فعموا ولم يهتدوا للخروج قال ابن جرير
والعرب تقول طمست الريح الاعلام اذا دفنتها بما تسفي عليها من التراب فانطلقوا هرابا مسرعين الي الباب
لا يهتدون اليه ولا يقفون عليه بل يصادمون الجدران خوفا مما هو اعظم من ذلك وهم يقولون عند
لوط اسحر الناس وما ادتهم عقولهم الي ان يومنوا فينجوا انفسهم قال القشيري وكذلك اجري سنته
في اوليايه بان يطمس علي قلوب اعدايهم حتي يلتبس عليهم كيف يوذون اولياه ويخلصهم من كيدهم ولما
كان هذا اول عذابهم قال فذوقوا اي فتسبب عن ذلك ان قال لهم قايل عن الله بلسان القال او الحال
ذوقوا ايها المكذبون لرسلي في انذارهم عذابي ونذر اي وعاقبة انذاري علي السنة رسلي ولما
كان بقاؤهم بعد هذا علي حال كفرهم عجبا اذ العادة قاضية بان من اخذ زعوي ولو كان افجر الخلق وسال
العفو عنه صدقا او كذبا خداعا ومكرا ليتخلص مما هو فيه اخبر بثباتهم علي تكذيبهم حتي عذبوا علي قرب
العهد فقال مقسما لذلك ولقد صبحهم اي أتاهم في وقت الصباح وحقق المعني بقوله بكرة اي في اول
نهار العذاب ولو كان اول نهار الذي اتت به كان معرفة فامتنع عذاب اي بقلع بلادهم ورفعها
ثم قلبها وحصبها بحجارة النار وخسفها وغمرها بالما المنتن الذي لا يعيش به حيوان مستقر اي ثابت عليهم
غير مزايل ليس بخيال ولا سحر كما قالوا عند الطمس فانه أهلكهم فاتصل بعذاب البرزخ المتصل بعذاب القيمة
المتصل بالعذاب الاكبر في الطبقة التي تناسب اعمالهم من عذاب النار فقال لهم لسان الحال ان لم ينطق
لسان القال فذوقوا بسبب افعالكم الخبيثة عذابي ونذر ولما كرر هذا تكريرا علم منه أن سبب العذا

التكذيب بالانذار لاي رسول كان وكان استيناف كل قصة منها على انها اهل على حدتها لان يتعظ بها
علم ان التقدير فلقد بلغت هذه المواعظ النهاية لمن كان له قلب فعطف عليه قوله مذكرا بالنعمة التي
لا عدل عنها **ولقد يسرنا** اي تعالى جدنا وتناهى مجدنا **القرآن** الجامع الفارق **للذكر** ولو شئنا
لا عليناه بما لنا من العظمة الى حد تعجز القوى عن فهمه كما اعليناه الى رتبة وقفت القوى عن معارضته
في نظمه او مطلع لا يتشبث بادنيا لادا في علمه الا الافراد من حذاق العباد فكيف بما فوق ذلك ولما
كانوا مع ذلك واقفين عن المبادرة اليه والاقبال عليه قال تلطفا بهم وتعطفا عليهم مسببا عن ذلك
فهل واكد فقال **من مدكر** مفتكر لنفسه من مثل هذا الذي اوقع فيه هولاء انفسهم ظنا منهم ان الا
لا يصل الى ما وصل اليه جهلا منهم وعدم اكتراث بالعواقب ولما كان الاخر ينبغي له ان يحذر ما وقع
للاول وكان قوم فرعون قد هلكوا بعد قوم لوط عليه السلام فكان ربما ظن انهم لم ينذروا والان من
علم ان العادة جرت ان من كذب الرسل اهلك انكر ان يحصل ممن سمع ذلك تكذيب قال مقسما **ولقد**
جا آل فرعون اي ملك القبط بمصر واشراف قومه الذين اذا رآوا كان كانه رؤي لشدة قربهم منه
وتخلقهم باخلاقه **النذر** اي الانذارات والمنذرون بنذارة موسى وهرون عليهما السلام فان نذارة
بعض الانبيا كنذارة الكل لانه لم يات احد منهم الا وله من الايات ما مثله امن عليه البشر والمعجزات كلها
متساوية في خرق العادة وكان قد انذرهم يوسف عليه السلام ولما كان كانه قيل فما فعلوا عند
مجي ذلك اليهم قال **كذبوا** اي تكذيبا عظيما مستهينين **باياتنا** التي اتاهم بها موسى عليه السلام وغيرها
لاجل تكذيبهم بها على ما لها من العظمة المعرفة قطعا انها من عندنا ولما كانت خوارق العادات كما مضى
متساوية الاقدام في الدلالة على صدق الاتي بها وكانوا قد صمموا على انه مهما اتاهم باية كذبوا بها كانوا
كانهم قد اتتهم كل اية فلذلك قال **كلها** وسبب عن ذلك قوله **فاخذناهم** اي بما لنا من العظمة بنحو ما
اخذنا به قوم نوح من الاغراق **اخذ عزيز** اي لا يغلبه شي وهو يغلب كل شي **مقتدر** اي لا يعجله
بالاخذ لانه لا يخاف الفوت ولا يخشى معقبا لحكمه بالغ القدرة الى حد لا يدرك الوصف كنهه لان صيغة
الافتعال مبناها على المعالجة ومن عالج فعلا اجهد نفسه فيه فكان على اتم الوجوه وهذه الغاية هي المرادة
ليس غير فهو تمثيل لانه سبحانه يخاطبنا بما نعهد ولهذه المبالغة لم يفلت منهم احد وقد ختمت القصص
بمثل ما فتحت به من عذاب المفسدين بالاغراق ليطابق الختم البدء وكانت نجاة المصلحين من الاولين
بالسفينة وكانت المصلحين من الاخرين بارض البحر كانت هي سفينتهم ليكون اعظم من البدء كما هو شان اهل
الاقتدار ولما بلغت هذه المواعظ المنتهى وعلت اقدامها على رتبة النهى وكم يثن ذلك كفار قريش عن
شرادهم ولا فتر من جحودهم وعنادهم كان لسان حالهم قايلا انا لا نخاف شيا من هذا فكان الحال مقتضيا
لان يقال لهم الزاما بالحجة **اكفاركم** الراسخون منكم في الكفر الثابتون عليه يا ايها المكذبون لهذا
النبي الكريم الساترون لشموس دينه **خير** في الدنيا بالقوة والكثرة او الدين عند الله او عند الناس
من اوليكم اي الكفار العظما الجبابرة الاشدا الذين وعظناكم بهم في هذه السورة ليكون سببا لافتراق
حالكم منهم فيامنوا العذاب مع جامع التكذيب وان لم تكن لهم براة من الله **ام لكم** اجمعين دونهم كفاركم
وغير كفاركم **براة** من العذاب من الله **في الزبر** اي الكتب الاتية من عند امنتم بها من العذاب مع انهم
خير منكم فالاية من الاحتباك اثبت الخيرية اولا دليلا على حذفها ثانيا والبراة ثانيا دليلا على حذفها اولا
ولما بلغوا هذا الحد من التمادي في الكفر مع المواعظ البالغة والاستعطاف الملين استحقوا اعظم
الغضب فاعرض عنهم الخطاب ايذانا بذلك واهانة لهم واحتقارا واقبالا على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال عاطفا على ما تقديره ايدعون جهلا ومكابرة شيا من هذين الامرين **ام يقولون** اي هولا الذين

انت

انت من اظهرهم تعاملهم باللين في القال والقيل والصفح الجميل امتثالا لامرنا تعظيما لقدرنا فاستهانوا بك
نحن جميع اي جمع واحد مبالغ في اجتماعه فهو في الغاية من الضم فلا افتراق له **منتصر** اي على كل من
يناويه لانهم على قلب رجل واحد فالافراد للفظ جميع ولافهام هذا المعنى او ان كل واحد منهم محكوم له
بالانتصار ولما كان لسان الحال ناطقا بانهم يقولون هذا كله فانهم قالوا اي الفريقين خير مقاما
واحسن نديا ونحوها وقال بعضهم لين بعثنا لاوتين مالا وولدا ولا شك انهم كانوا في غاية الاستحالة
لغلبة المومنين لهم على قلتهم وضعفهم استانف الجواب بقوله **سيهزم** اي بايسر امر اي هازم كان
بوعد لا خلف فيه وقراة الجماعة بالبنا للمفعول مفهمة للعظمة بطريقة كلام القادرين فهي ابلغ من قراة
يعقوب بالنون والبنا للفاعل الدالة على العظمة صريحا **الجمع** اي الذي تقدم انه بولغ في جمعه فصدق
الله وعده وهزموا في يوم بدر وغيره في الدنيا عن قريب ولم يزالوا يضعفون حتى اضمحل امرهم وزال
بالكلية شرهم وهي من دلايل النبوة البينة **ويولون الدبر** اي تقع توليتهم كلهم لهذا الجنس بان يكون
والبا لهاربين منهم مع الهزيمة نوع مسكة يطمعون بها في اجبار فكل من افراد الدبر والمنتصر وجمع المولين
ابلغ مما لو وضع غيره موضعه واقطع للتعنت ولما وقع هذا في الدنيا يوم بدر وكان ذلك من اعلام النبوة
وكان ربما ظن ان ذلك هو النهاية كان كانه قيل ليس ذلك الموعد الاعظم **بل الساعة** اي القيمة التي
تكون فيها الجمع الاعظم والهول الاكبر **موعدهم** اي الاعظم للخزي المتوعد به **والساعة ادهى** من كل ما
يفرض وقوعه في الدنيا افعل تفضيل من الداهية وهي امر هايل لا يهتدي لدوايه **وامر** لان عذابها
للكافر غير مفارق ولا مزايل **ولما** اخبر عن الساعة هذا الاخبار الهايل علله مقسما لاهلها مجملا بعضا
لهم عند قيامها بقوله موكدا لما لهم من التكذيب **ان المجرمين** اي القاطعين لما امر الله به ان يوصل **في**
ضلال اي عمى عن القصد بتكذيبهم بالبعث محيط بهم مانع من الخلاص من دواهي الساعة وغيرها ومن
الوصول الى شي من مقاصدهم التي هم عليها الان معتمدون **وسعر** اي نيران تضطرم وتتقد غاية الاتقاد
يوم اي في يوم **يسحبون** اي في الساعة دايما بايسر وجه اهانة لهم من اي ساحب كان **في النار** اي
الكاملة في النارية **على وجوههم** لانهم في غاية الذل والهوان جزاء بما كانوا يذلون اوليا الله مقولا لهم
من اي قايل اتفق **ذوقوا** لانه لا امنعة لهم ولا حمية عندهم بوجه **مس سقر** اي لهم مباشرة الطبقة النارية
التي تلفح بحرها فتلوح الجسم وتذيبه فيسيل دهنه وعصاراته كما يسيل الدبس وعصارة الرطب فسمي النخلة
بذلك مسقارا ولما اخبر بقيام الساعة وما يتفق لهم فيها جزا لاعمالهم التي قدرها عليهم وهي شر فرضوا
بها لاتباع الشهوات واحتجوا على رضاه بمشيته لها وكان ربما ظن ظان ان تماديهم على الكفر لم يكن بارادته
سبحانه علل ذلك مبينا على ان الكل فعله وانما نسبته الى العباد بامور ظاهرية تقوم عليهم بها الحجة في مجاري
عاداتهم فقال **انا** اي بما لنا من العظمة خلقنا **كل شي** اي من الاشيا المخلوقة كلها صغيرها وكبيرها
ولما كان هذا التعميم في الخلق امرا افهمه النصب استانف قوله تفسيرا للعامل المطوي واخبارا بجعل ذلك
الخلق كله على نظام محكم وامر متقن مبرم **خلقناه بقدر** اي قضا وحكم وقياس مضبوط وقسمة محدودة وقوة
بالغة وتدبير محكم في وقت معلوم ومكان محدود مكتوب ذلك في اللوح قبل وقوعه تقيسه الملايكة بالزمان
وغيره من العد وجميع انواع الاقيسة فلا يخرج عنه مقدار ذرة لانه لا منازع لنا مع ما لنا من القدرة
الكاملة والعلم التام فهذا العذاب بقدرنا ومشيتنا فاصبروا عليه وارضوا به كما كنتم ترضون اعمالكم
السيئة وتحتجون على عبادنا بها بمشيتنا بنحو لو شا الله ما اشركنا فقد اوصلتم الى ما ترون وانكشف
انتم انكشاف انه لا يكون شي على خلاف مرادنا ولا يقال لشي قدرناه لم قال الرازي في اللوامع الكلمية
ساقطة عن افعاله كما ان الكيفية والكمية ساقطتان عن ذاته وصفاته انتهى ولا يكون شي من امره سبحانه

انما هو علي غاية الحكمة ولو كان الخلق لا يبعثون بعد الموت ليقع القصاص والقياس العدل لكان الامر
جزافا لا بقدر وعدل لان المشاهدات الفساد في هذه الدار من المكلفين اكثر من الصلاح اضعافا
مضاعفة وقري في الشواذ برفع كل وجعله ابن جني اقوي من النصب وليس كذلك لان الرفع لا يفيد
ما ذكرته وما حكم علي ذلك الا انه يعتزل والنصب علي ما قررته قاصم لاهل الاعتزال ولما بين ان
كل شي بفعله بين يسر ذلك وسهولته عليه فقال **وما امرنا** اي في كل شي اردناه وان عظم اثره
وعظم القدرة وحقر المقدورات بالتانيث فقال **الا واحدة** اي فعلة يسيرة لا معالجة فيها وليس هناك
احداث قول لانه قديم بل تعليق القدرة بالمقدور علي وفق الارادة الازلية ثم مثل لنا ذلك باسرع ما نعقله
واحقه فقال **كلمح بالبصر** فكما ان لمح احدكم ببصره لا كلفة عليه فيه فكذلك الافعال كلها عندنا بل ايسر
ولما اخبر عن تمام قدرته وكان اهلاك من ذكر من الكفار وانجا من ذكر من الابرار في هذه السورة
نحوا مما ذكر من امر الساعة في السهولة والسرعة دل علي ذلك بانجا اوليايه واهلاك اعدايه فذكرهم
جملة وبما كان من احوالهم بايسر امر لان ذلك اوعظ للنفوس وازجر للعقول فقال مقسما تنبيها
علي تماديهم في الكفر مع هذا الوعظ فعل المكذب بهلاكهم لاجل تكذيبهم عاطفا علي ما تقديره فلقد
انجينا رسلنا واشياعهم من كل خطر **ولقد اهلكنا** اي بما لنا من العظمة **اشياعكم** اي الذين انتم وهم
شرع واحد في التكذيب والقدرة عليكم كالقدرة عليهم فاحذروا ان يصيبكم ما اصابهم ولذلك سبب
عنه قوله **فهل من مدكر** اي بما وقع لهم انه مثل ما مضي بل اضعف وان قدرته سبحانه عليه كقدرته
عليهم ليرجعوا عن غيه خوفا من سطوته سبحانه ولما تمت الدلالة علي احاطة القدرة بما شوهد من الافعال
الهايلة التي لا تسعها قدرة غيره سبحانه وكانوا يظنون ان احوالهم غير مضبوطة لانه لا يمكن ضبطها
ولا يسعها علم عالم ولا سيما اذا ادعي انه واحد شرع في اتمام الاخبار بعظمة القدرة بالاخبار بان
افعالهم كلها مكتوبة فضلا عن كونها محفوظة فقال **وكل شي فعلوه** اي الاشياع في اي وقت
كان كاين بالكتابة **في الزبر** اي كتب الحفظة فليحذروا من افعالهم فانها غير منسية هذا ما اطبق عليه
القرا مما ادي الي هذا المعني من رفع كل لانه لو نصب لاوهم تعلق الجار بالفعل فيوهم انهم فعلوا في الزبر
كل شي من الاشيا وهو فاسد ولما اختصهم عم بقوله واعظا ومخوفا ومحذرا بان كل شي محفوظ مكتوب
معروض علي الانسان يوم الجمع **وكل صغير وكبير** اي من الجواهر والمعاني منهم ومن غيرهم **مستطر**
اي مكتوب علي وجه عظيم من اجتهاد الحفظة في كتابته وتحريره مع يسر ذلك وسهولته ولما اخبر عن
احوال الكفرة في الدنيا والاخرة واعظا بها واعلاما بعظمته وعلي صفاته وسعة مملكته وشامل علمه
وقدرته ختم باحوال القسم الاخر من اهل الساعة وهم اهل طاعته تتميما لذلك وبشارة للسالك في احسن
المسالك فقال مؤكدا ردا علي المنكر **ان المتقين** اي العريقين في وصف الخوف من الله الذي اداهم
الي ان لا يفعلوا اشيا الا بدليل **ولما** كان من البساتين والمياه ظافرا بكل مراد علي عكس ما عليه الضال
البعيد عن القصد الواقع في الهلاك والنار قال **في جنات** اي بساتين ذات اشجار تستر داخلها قال
القشيري والجمع اذا قوبل بالجمع فالاحاد يقابل بالاحاد ولما كانت الجنان لا تقوم وتدوم الا بالما قال
ونهر وافراده لان التعبير يغني عنهم لعمومهم به عموم ما كان ظرف وهم مظروفون له ولكثرة الانهار
وعظمها حتي انها لقرب بعضها من بعض واتصال منابعها وتمشي جميع الارض لجري الانهار منها كانها شي
واحد وما وعد به المتقون من النعيم في تلك الدار فرابعه معجلة لهم في هذه الدار فلهم اليوم جنات
العلوم وانهار المعارف وفي الاخرة الانهار الجارية والرياض والاشجار والقصور والزخارف وهو يصلح
مع ذلك لان يكون مما منه النهار فيكون المعني انهم في ضيا وسعة لا يزايلونه اصلا بضد ما عليه المجرم

من العمي الناشي عن الظلام لمثل هذا الاعراض افرد مع ارادة الجنس لا للفاصلة فقط ولما كانت
البساتين لا تسكن في الدنيا لانه ليس فيها جميع ما يحتاجه الساكن بين ان حال تلك غير حال هذه فقال **في
مقعد** اي تلك الجنان محل اقامتهم التي تراد للقعود **صدق** اي مما اراده الانسان صدقه وجوده الارادة
ولا يقعد فيه الا اهل الصدق ولا يكون فيه الا الصدق لا لغو فيه ولا تاثيم والتوحيد لارادة الجنس
مع ان الابدال يفهم انه لا موضع في تلك الجنان الا وهو صالح للتسمية بهذا الاسم ولانهم لاتحاد قلوبهم
ورضاهم كانهم في مقعد واحد علي انه قري بالجمع ولما كان هذا غير معهود بين ان سببه تمكين الله
لهم منه لاختصاصه لهم وتقريبه اياهم لارضايهم له فقال مفيدا لذلك بالتعبير بالعندية لان عنديته
سبحانه منزهة عن قرب الاجسام والجهات **عند مليك** اي ملك تام الملك **مقتدر** اي شامل القدرة
بالغها الي حد لا يمكن ادراكه لغيره سبحانه كما تقدم قريبا فهو يوصلهم الي كل خير ويدفع عنهم كل ضير وكما ان لهم
في الاخرة عندية الاشهاد فلهم في الدنيا عندية الامداد ولهذا الاسم الشريف جليل في الاستمطار علي الظالمين
وقد ختمت السورة كما تري بما ابتديت به من امر الساعة وكانت البداية للبداية والنهاية للنهاية
وزادت النهاية بيان السبب الموجد لها وهي قدرته سبحانه وعز شانه وعظمت رحمته واحسانه وعفوه
ومغفرته ورضوانه ولتصنيف الناس فيها الي كافر مستحق الانتقام ومؤمن متاهل لغاية الاكرام لم
يذكر فيها الاسم الاعظم الجامع الذي يذكر في سياق يقتضي جمع الجلال والاكرام لصنف واحد وهو من يقع
منه الايمان ويتدنس بالعصيان وهم الذين امنوا ولمشاركتها للسورتين اللتين بعدها في هذا الغرض
وهو الكلام في حق الصنفين فقط من غير ذكر عاص ممن امن اشترك الثلاثة في الخلو عن ذكر الاسم الاعظم
فلم يذكر في واحدة منها وجا فيها من الصفات ما يقتضي العظمة علي اهل الكفران وما ينبي عن الاكرام والاحسان
لاهل الايمان ولمن خاف مقام ربه جنتان ولاجل هذا ختمت هذه بصفة الملك المقتضي للسطوة التامة
والاكرام البالغ وعدم المبالاة باحد كاينا من كان لان الملك من حيث هو ملك انما يقتضي مقامه
اهانة العدو واكرام الولي وجعل ذلك علي وجه المبالغة ايضا كل ذلك للاعلام بان تصريفه
سبحانه لاحوال الاخرة كما قصه في هذه السورة من تصريفه لاحوال الدنيا من اهلاك الاعدا وانجا الاوليا
وكانت هذه السور كانت هكذا لانها جات عقب النجم التي شرح فيها الاسرا وما كان للنبي صلي الله عليه
وسلم من العظمة بخرق العوايد باختراق السموات والوصول الي اسمي الغايات من المناجاة وغيرها
في سر الملكوت ومحل الجبروت بعد ان لوح بمقام موسي عليه السلام بالطور ليعلم الفرق ويوصف كل بما
هو الحق فكان ذلك مقتضيا لان لا يكون بعده من الناس الا مومن خالص فان كان غيره فهو معاند بديد
الكفر وكانها جعلت ثلاثا لارادة غاية التاكيد لهذا المعني الشديد فلما انقضت الثلاث كان متبركا
به في معظم ايات الحديد ثم توجت كل اية من ايات المجادلة به اشارة الي انه قد حصل غاية التشوق اليه
وترهيبا لمن يعصي ولا سيما من يظاهر وترغيبا في الطاعة للملك الغافر والله الموفق

مقصودها الدلالة علي ما ختمت به القمر من عظيم الملك وتمام الاقتدار بعموم رحمته وسبقها لغضبه المدلول
عليه بكمال علمه اللازم عليه شمول قدرته المدلول عليه بتفصيل عجايب مخلوقاته وبدايع مصنوعاته
في اسلوب التذكير بنعمايه والامتنان بجزيل الايه علي وجه منتج للعلم باحاطته بجميع اوصاف الكمال
فمقصودها بالذات اثبات الاتصاف بعموم الرحمة ترغيبا في انعامه واحسانه وترهيبا من انتقامه
بقطع مزيد امتنانه وعلي ذلك دل اسمها الرحمن لانه العام الامتنان واسمها عروس القران واضح البيان

في ذلك لانها الحاوية لما فيه من حلي وحلل وجواهر وكلل وان العروس مجمع النعم والجمال والبهجة في نوعها والكمال بسم الله الذي ظهرت احاطة كماله بما ظهر من عجايب مخلوقاته الرحمن الذي ظهر عموم رحمته بما بهر من بدايع مصنوعاته واشتهر من عظيم اياته وبيناته الرحيم الذي ظهر اختصاصه لاهل طاعته بما تحققوا به من الذل المفيد للعز بلزوم عباداته لما ختم سبحانه القمر بعظيم الملك وبليغ القدرة وكان الملك القادر لا يكمل ملكه الا بالرحمة وكانت رحمته لا تتم الا بعمومها قصر هذه السورة على تعداد نعمه على خلقه في الدارين وذلك من اثار الملك وفصل فيها ما اجمل في آخر القمر من الاوليا والاعدا في الاخرة وصدرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة للاستهلال وموازنة لما حصل بالملك والاقتدار من غاية التنزل والظهور والهيبة والرعب باسم هو مع انه في غاية الغيب دال على اعظم الرجا مفتتحا لها باسم النعم وهو تعلم الذكر الذي هز ذوي الهمم العالية في القمر الى الاقبال عليه بقوله ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر لانه لما كان للعظمة الدال عليها نون يسرنا التي هي عماد الملك نظران نظر للكبريا والجبروت يقتضي ان يتكلم بما يعجز خلقه من كل جهة في الفهم والحفظ والاتيان بمثله وكل معنى من معانيه ونظر للاكرام والرحمة وكانت رحمته سابقة لغضبه نظر بها الى خلقه لا سيما هذه الامة المرحومة فيسر لها الذكر تحقيقا للرحمة بعد ان ابقى من اثار الجبروت الاعجاز عن النظم ومن الاعجاز عن الفهم الحروف المقطعة اوايل السور ومنع المتعنت من ان يقول انه لا معاني لها بان فهم بعض الاصفيا بعض اسرارها فقال جوابا لمن كانه قال من هذا المليك المقتدر الرحمن اي العام الرحمة قال ابن برجان وهو ظاهر اسم الله وباطن اسمه الرب جعل هذه الاسما الثلاثة في ظهورها مقام الذات تجزها عنه وحجابا بينه وبين خلقه يوصل بها الخطاب منه اليهم ثم اسماوه الظاهرة مبينة لهذه الاسما الثلاثة انتهى ومن مقتضى اسم الرحمن انبثت جميع النعم ولذا ذكر في هذه السورة امهات النعم في الدارين ولما كان لا شي من الرحمة ابلغ ولا ادل على القدرة من ايصال بعض صفات الخالق الى المخلوق نوع ايصال ليتخلقوا به بسبب ما يمكنهم به فيحصلوا على الحياة الابدية والسعادات السرمدية قال علم القران اي المرئي المشهود بالكتابة والمتلو المسموع الجامع لكل خير الفارق بين كل لبس وكان القياس يقتضي ان لا يعلم المسموع احد لانه صفة من صفاته وصفاته في العظم كذاته وذاته غيب محض لان الخلق احقر من ان يحيطوا به علما واين الثريا من يد المتناول فدل تعليمه القران على انه يقدر ان يعلم ما اراد من اراد علم ادم الاسما كلها ولا يخفى ما في تقديمه على جميع النعم من المناسبة لان نعمة الدين التي تتبعها نعم الدنيا والاخرة وهو اعلى مراتب الدين فهو سنام الكتب السماوية وعمادها ومصداقها والعيار عليها وفايدته الايصال الى مقعد الصدق المتقدم لانه بين ما يرضي الله ليعمل به وما يسخطه ليجتنب وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير من المعلومات الكتاب العزيز وان كانت آية كلها معجزة باهرة وسور في جليل النظم وبديع التاليف قاطعة بالخصوم قاهرة فبعضها اوضح من بعض في تبين اعجازها وتظاهر بلاغتها وايجازها الا ترى تسارع الافهام الى الحصول على ثلاث ايات وسور من اول وهلة دون كبير تامل كقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك وقوله فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين الايات لا يتوقف في باهر اعجازها الا من طبع الله على قلبه اوصد دونه باب الفهم جملة فاني له بولوجه وقرعه وسورة القمر من هذا النمط الا ترى اختصاص القصص فيه مع حصول اطرافها وتوفية اغراضها وما جرى مع كل قصة من الزجر والوعظ والتنبيه والاعذار ولولا ان لم نقصد التعليق الا ما بنيته عليه من ترتيب السور لاوضحت مما اشرت اليه ما لم اسبق اليه ولعل الله سبحانه ييسر ذلك فيما بالبدء من التفسير نفع الله به ويسر فيه فلما انطوت هذه السورة على ما ذكرنا وبان فيها عظم الرحمة في تكرار القصص وشفع العظات وظهرت حجة الله على الخلق وكان ذلك من اعظم الطافه تعالى لمن يسره لتدبر الكتاب ووفقه لفهمه

واعتباره

واعتباره اردف ذلك سبحانه بالتنبيه على هذه النعمة فقال تعالى الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان وخص من اسمايه الحسنى هذا الاسم اشعارا برحمته بالكتاب وعظيم احسانه به وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم قد تمهد ان سورة القمر اعذار ومن اين للعباد بجميل هذا اللطف وعظيم هذا الحلم حتى يرادوا الى بسط الدلالات وايضاح البينات ان تعذر اليهم زيادة في البلاغ فانبا تعالى ان هذا رحمة فقال الرحمن علم القران ثم اذا تاملت سورة القمر وجدت خطابها واعذارها خاصا ببني آدم بل بمشركي العرب منهم فقط فاتبعت بسورة الرحمن تنبيها للثقلين واعذارا اليهم وتقريرا للجنسين على ما اودع تعالى في العالم من العجايب والبراهين الساطعة فتكرر فيها التقرير والتنبيه بقوله تعالى فباي الا ربكما تكذبان خطابا للجنسين واعذارا للثقلين فبان اتصالها بسورة القمر اشد البيان انتهى ولما كان كانه قيل كيف علمه وهو صفة من صفاته ولمن علمه قال مستانفا او معللا خلق الانسان اي قدره واوجده على هذا الشكل المعروف والتركيب الموصوف منفصلا عن جميع الجمادات واصله منها ثم عن ساير النبات ثم عن غيره من الحيوانات وجعله اصنافا وفصل كل قوم بلسانهم عمن عداهم وخلقه له دليل على خلقه لكل شي موجود انا كل شي خلقناه بقدر والانسان وان كان اسم جنس لكن اختم بالارادة بهذا اولهم وهو آدم عليه السلام واراده كما قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تمنع ارادة الجنس من حيث هو ولما كان كانه قيل فكان ماذا بخلقه له قال علمه البيان وهو القوة الناطقة وهي الادراك للامور الكلية والجزئية والحكم على الحاضر والغايب بقياسه على الحاضر تارة بالتوسم واخرى بالحساب ومرة بالعيافة والزجر وطورا بالنظر في الاوقات وغير ذلك من الامر مع التمييز بين الحسن والقبيح وغير ذلك مما اودعه له سبحانه مع تعبيره عما ادركه مما هو غايب في ضميره وافهامه للغير تارة بالقول وتارة بالفعل نطقا وكتابة واشارة وغيرها فصار بذلك ذا قدرة في نفسه والتكميل لغيره فهذا تعليم البيان الذي مكن من تعليم القران وهذا وان كان لانه سبحانه جبلنا عليه وخلقنا به صار عندنا مالوفا ومشهورا معروفا فهو عند غيرنا على غير ذلك مما اوضحه لنا سبحانه نعمة علينا بمحاجته بملايكته الكرام عن ابينا ادم عليه السلام وما ابدى لهم من علمه وبهرهم من رسم كل شي بمعناه واسمه ولما بين سبحانه النعمة في تعليم القران الذي هو حياة الارواح وبين الطريق فيها دل على البيان بذكر المبينات التي يجمعها امر ويفرقها آخر ولها مدخل في حياة الاشباح وعدها على سبيل الامتنان بيانا لانها من اكبر النعم فقال في جواب من قال ما بيانه بادٍ يا بالكوكب الاعظم الذي هو اعظم نورا واكبر جرما واعظم نفعا ليكون خضوعه لقبول الاثار ادل على خضوع غيره بيانا لحكمته في تدبيره وقوته في تقديره الشمس وهي آية النهار والقمر وهو اية الليل اللذان كان بهما البيان الابراهيمي ولعله بدا لهذه الامة بغاية بيانه عليه السلام تشريفا لها بالاشارة الى علو امرها بهما بحسبان اي جريهما يجري كل منهما مع اشتراكهما في انهما كوكبان سماويان عظيم جدا لا تكاد توصف جلالته في دقته وكثرة شعبه وعظم ما يتفرع عليه من المنافع الدينية والدنيوية ومن عظمة هذا الحساب الذي افادته صيغة الفعلان انه على نهج واحد لا يتعداه تعلم به الاعوام والشهور والايام والساعات والدقايق والفصول في منازل معلومة ويعرف موضع كل منهما في الافاق العلوية وما يحدث له وما يتاثر عنه في الكواين السفلية بحيث ان به انتظام غالب الامور السفلية الى غير ذلك من الامور التي خلقهما الله عليها ولها وبين الانسان وبين كل منهما من المسافة ما لا يعلمه على التحرير الا العليم الخبير وهذا على تطاول الايام والدهور لا يختل ذرة دالة على ان صانعه قيوم لا يغفل ثم بعد هذا الحساب المتحدد والحساب الاعظم الذي قدر لتكوير الشمس وانكدار القمر

دلالة على انه فاعل بالاختيار مع ما افاد ذلك من تعاقب الملوين تارة بالاعتدال وتارة بالزيادة
واخرى بالنقص وغير ذلك من الامور في لطايف المقدور ولما كان سيرهما على هذا المنهاج مع
ما لهما من الذوب فيه بالتغير والتنقل طاعة منهما لمدبرهما ومبدعهما ومسيرهما وكان خضوعهما وهما
النيران الاعظمان دالا على خضوع ما دونهما من الكواكب بطريق الاولى كان ذكرهما مغنيا عن ذكرها عدا
بخصوصه فاتبعهما ما هو للارض كالكواكب للسما في الزينة والنفع والصغر والكبر والكثرة من النبات
مقدما صغاره لعموم نفعه وعظيم وقعه بان منه اكثر الاقوات لجميع الحيوان والملابس من القطن والكتان
وغير ذلك من عجيب الشان معبرا لما يصلح لبقية الكواكب فقال والنجم اي وجميع الكواكب السماوية
وكل نبت ارتفع من الارض ولا ساق له من النباتات الارضية التي هي اصل قوام الانسان وساير الحيوان
والشجر وكل ما له ساق ويتفكه به او يقتات يسجدان اي يخضعان وينقادان لما يراد منهما ويبذلان
للانتفاع بهما انقياد الساجد من العقلا لما امر به بجريهما فيما سخرا له وطاعتهما لما قدر فيه من غير اباء على تجدد
الاوقات من نمو في النبات ووقوف واخضرار ويبس واثمار وعطل لا يقدر النجم ان يعلو الى رتبة الشجر
ولا الشجر ان يسفل الى وهدة النجم الى غير ذلك مما صرفنا فيه من سجود الظلال ودوران الجبال والمثال
مما يدل على وحدانية الصانع وفعله بالاختيار ونفي الطبايع ومن تسييره في الكواكب وتدبير في المنافع
بالحر والبرد اللذين جعل سبحانه بهما الاعتدال في النبات من الفواكه والاقوات وغير ذلك من وجوه
الانتفاعات ولما كان تغير ما تقدم من الشمس والقمر والنجم والشجر يدل دلالة واضحة على انه سبحانه
هو المؤثر فيه وكانت السما والارض ثابتتين على حالة واحدة فكان ربما اشكل امرهما كما ضل فيهما خلق من
اهل الوحدة اهل الجمود والاعتزار والوقوف مع الشاهد وغيرهم وكان اذا ثبت انه تعالى المؤثر فيهما
ثبت انه المؤثر فيما فيهما فلذلك قال مسندا التاثير فيهما اليه بعد ان اعرى ما قبلهما من مثله لما اغنى عنه من
الدلالة بالتغير والسير والتنقل عطفا على ما تقديره وهو الذي دبر ذلك والسما رفعها اي حسا بعد
ان كانت ملتصقة بالارض ففتقهما واعلاها عنها بما يشهد لذلك من العقل عند كل من له تامل في ان كل
جسم ثقيل ما رفعه عما تحته الا رافع ولا رافع لمثل الا الله فانه لا يقدر على التاثير فيها لعظمها بنوع
من انواع التاثير غيره ولعظمها تدل على العقل تنبيهها على التفكر فيما فيها من جلالة الصانع وانواع البدايع
ومعنى بان جعلها منشا احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملايكته الذين يهبطون ن
بالوحي على انبيايه ولما كانت السما مع علوها الدال على عزة موجدها ومدبرها دالة على عدله
باعتدال جميع احوالها من الحر والبرد والمطر والثلج والندى والطل وغير ذلك ان كل فصل منها معادل
لضده وانها لا ينزل لها سبحانه الا بقدر معلوم والا لفسدت الارض دلنا على انه شرع لنا مثل ذلك العدل
لتقوم احوالنا وتصلح اقوالنا وافعالنا بما قامت به السموات والارض فقال ووضع الميزان اي العدل
الذي دبر به الخافقين من الموازنة وهي المعادلة لتنتظم امورنا ولما ذكر اولا القران الذي هو
ميزان المعلومات ودل على رحمانيته بانواع من البيان الذي رقي به الانسان فصار اهلا للفهم
وذكره نعمة الميزان للمحسوسات اقبل بالخطاب عليه لافتا له عن اسلوب الغيبة تنشيطا له الى ارتقا
مراتب الكمال بحسن الامتثال معللا فقال ان اي لان لا تطغوا اي تجاوزوا الحدود في الميزان
اي الاشيا الموزونة من الموزونات المعروفة والعلم والعمل المؤدي احدهما بالاخر وفي مساواة
الظاهر والباطن والقول والفعل فالميزان الثاني عام لميزان المعلومات وميزان المحسوسات ولما
كان التقدير فاقتدوا وتخلقوا بكل ما امر به من معالي عطف عليه قوله واقيموا الوزن اي جميع
الافعال التي تقاس بها الاشيا بالقسط ولما كان المراد العدل العظيم بينه بالتاكيد بعد الامر

بالنهي

بالنهي عن الضد فقال ولا تخسروا الميزان اي توقعوا في شي من الة العدل التي تقدر بها الاشيا
من الزرع والوزن والعد والكيل ونحوه نوعا من انواع الخسر بما دل عليه تجريد الفعل فتخسروا ميزان اعمالكم
وجزائكم يوم القيمة وقد علم بتكرير الميزان ما اريد من التاكيد في الامر به لما له من الضخامة سوا كان
بمعنى واحد او بمعان مختلفة ولما ذكر انعامه الدال على اقتداره برفع السما ذكر على ذلك الوجه
مقابلها بعد ان وسط بينهما ما قامتا به من العدل تنبيها على شدة العناية والاهتمام به فقال والارض
اي وضع الارض ثم فسر ناصبها ليكون كالمذكور مرتين اشارة الى عظيم تدبيره لشدة ما فيه من الحكم
فقال وضعها اي دحاها وبسطها على الما للانام اي كل من فيه قابلية النوم او قابلية الونيم وهو
الصوت بعد ان وضع لهم الميزان الذي لا تقوم الارض الا به ولما كان في سياق بيان الرحمة
بمزيد الانعام وكانت اقامة البنية اعظم نعمة وكانت الفواكه الذ ما يكون وكانت برقتها وشدة
لطافتها منافية للارض في يبسها وكثافتها فكان كونها فيها عجيبا دالا على عظيم قدرته وكان ذكرها
يدل على ما تقدمها من النعم من جميع الاقوات بدلالتها ليصير ما تقدمها المذكور مرتين فقال مستانفا
وضنها بما هو نعم فيها فاكهة اي ضروب منها عظيمة جدا يدرك الانسان بماله من البيان تبايناتها في
الصور والالوان والطعوم والمنافع وغير ذلك من بديع الشان ولما كان المراد بتنكيرها
تعظيمها نبه عليه بتعريف نوع منها ونوه به لان فيه مع التفكه التقوت وهو اكثر ثمار العرب المقصود
بهذا الذكر بالقصد الاول فقال والنخل ودل على تمام القدرة بقوله ذات اي صاحبة الاكمام اي
اوعية ثمرها وهو الطلع قبل ان ينفتق بالثمر وكل نبت يخرج ما هو مكمم فهو ذو اكمام ولكنه مشهور
في النخل لشرفه وشهرته عندهم قال البغوي وكلما ستر شيا فهو كم وكمة ومنه كم القميص وفيه تذكير
بثمر الجنة الذي ينفتق عن ثيابهم وذكر اصل النخل دون غيره للتنبيه على كثرة منافعه من الليف
والسعف والجريد والجذوع وغيرها من المنافع التي الثمر منها ولما ذكر ما يقتات من الفواكه
وهو في غاية الطول اتبعه الاصل في الاقتيات للناس والبهايم وهو مكان من القصر فقال
والحب اي من الحنطة وغيرها ونبه على تمام القدرة بعد تنبيهه بتمايز هذه المذكورات مع ان اصل
الكل الما بقوله ذو العصف اي الورق والبقل الذي اذا زال عنه ثقل الحب كان مما تعصفه الرياح
اي تطيره وهو التبن الذي هو من قوت البهايم ولما كان الريحان يطلق على كل نبت طيب
الرايحة خصوصا وعلى كل نبت عموما اتبعه به ليخص ويعم جميع ما ذكر مع ساير النبات من غيره على
وجه مذكر بنعمه بغذا الارواح بعد ما ذكر غذا الاشباح فقال والريحان ولما كان من
كفر به سبحانه بانكاره او انكار شي من صفاته او كذب باحد من رسله قد انكر نعمه او نعمة منها
فلزمه بانكاره لتلك النعمة انكار جميع النعم لان الرسل داعية الى الله بالتذكير بنعمه وكان ما
مضى من هذه السورة الى هنا اثنا عشرة اية على عدد الكوفي والشامي عدد فيها اصول نعمه سبحانه
على وجه دل بغاية البيان على ان له كل كمال وهذا العدد اول عدد زايد اشارة الى تزايد
النعم لان كسوره النصف والثلث والربع والسدس تزيد على اصله وكان قد مضى ذكر الثقلين الجن
والانس في قوله الانام قال تعالى اشارة الى انهم المقصودون بالوعظ منكرا موبخا مبكتا لمن انكر
شيا من نعمه او قال قولا او فعل فعلا يلزم منه انكار شي منها مسببا عما مضى من تعداد هذه النعم
المتزايدة التي لا يسوغ انكارها ولا انكار شي منها فيجب شكرها فباي الاء اي نعم وعطف ربكما
اي المحسن اليكما بما اسدى من المزايا التي اسداها اليكم على وجه الكبريا والعظمة وهي دايمة لا تنقطع
من غير حاجة الى مكافاة احد ولا غيرها ايها الثقلان المدبر لكما الذي لا مدبر ولا سيد لكما غيره

من اياته وصنايعه وحكمه وحكمته وعزته في خلقه واستسلام الكل له وخضوعها لديه فان كل هذه النعم
الكبار ايات دالة عليه وصنايع محكمة واحكام وحكم ظهرت بها عزته وبانت قدرته **تكذبان** فمخاطبته
بهذا للثقلين دليل على ان هذه الاشيا نعم على الجن كما انها نعم على الانس وان لهم من ذلك ما لهم وذكره
لهذه الاية بعد هذا العدد من الايات اشارة الى ان زيادة النعم الى حد لا يحصى بحيث ان استيفاعدها
لا تحيط به عقول المكلفين لئلا يظنوا انه لا نعمة غير ما ذكر في هذه السورة والتعبير عنها بلفظ الالا من
اجل انها النعم المخصوصة بالملوك لما لها من اللمعان والصفا المميز لها عن غيرها ولما لرائيها من الحنين
والدعا وهي وان كانت من الوى فيمكن اخذها من الل والال لان الاصل الهمزة واللام فاذا انضم
لام اخرى او الف ازداد المعنى الذي كان ظهورا لان الالف عنيت الهمزة وباطنها واللام هي عين ما كان
فلم يحصل خروج عن ذلك المعنى فاذا نظرت الى الال كان المعنى ان تلك النعم الكبار الملوكية تظهر
للعباد معرفته سبحانه وانه يؤول اليه كل شي اولا من غير نزاع كما انه كان به كل شي وتكل عن نظرها
الابصار النواقد كما تكل عن روية الاشخاص التي يرفعها الال فهي لانها تدل عليه سبحانه نعم عظيمة وان كانت
نعما لانه لا نعمة مثل ما دل عليه سبحانه • وكرر هذه الاية في هذه السورة من هنا بعد اية الى اخرها لما
تقدم في القمر من ان المنكر اذا انكر انكاره جدا بحيث احرق الاكباد في المجاهرة بالعناد حسن جدا
سرد ما انكره عليه وكلما ذكر بفرد منه قيل له لم تنكره سوا قرنه حال التقرير او استمر على العناد
فالتكرار حينئذ يفيد التعريف بان انكاره تجاوز الحد ولتغاير النعم وتعددها واختلافها حسن تكرير
التوقيف عليها واحدة واحدة تنبيها على جلالتها فان كانت نعمة فالامر فيها واضح وان كانت نقمة فالنعمة
دفعها او تاخير الايقاع بها • ولما تقدم من ان مذكر بتذكير بما افاده تعالى من النعم بالحواس الخمس مضروبة
في الجهات الست على انك اذا اعتبرت نفس الاية وجدتها مشيرة الى ذلك فان كل كلمة منها الا الاخيرة
في رسم من اثبت الفها من كتبة المصاحف خمسة احرف ان اعتبرت هجا الاولين والثالثة خمسة في
الرسم ستة في الهجا فهي للحواس وللجهات لان الكل من الرتب والكلمة الاخيرة ستة احرف ان اعتبرت
رسمها والنطق وهي اشارة الى الجهات لانها التي لا يملك الانسان التصرف فيها واما الحواس فلا اختيار له
فيها وان اعتبرت هجاها بحسب النطق كانت سبعة احرف اشارة الى ان النعم اكثر من ان تحصى لما تقدم
من اسرار عدد السبعة والى ان تكذيب المكلفين متكاثر جدا فلذلك كان في غاية المناسبة ان تبسط
هذه النعم على حسب ضرب الحواس الخمس في الجهات الست وذلك في الحقيقة زيادة فايدة فانه من المالوف
المعروف والجميل الموصوف ان تكرير التكذيب يوجب التكرير عند التقرير ويبلغ به النهاية في حسن التاثير
وزاد العدد على مسطح الخمس في الست واحدة اشارة الى ان نعم الواحد لا انقطاع لها ولذلك فصلت الى
ثمان ذكرت اولا عقب النعم فكانت على عدد السبع الذي هو اول عدد تام لانه جمع الفرد والزوج وزوج الفرد
وزوج الزوج وزاد بواحد اشارة الى انه كلما انقضى دور من عدد تام ابتداء دور جديد لنعم اخرى فهي لا تتناهي
لان موليها له القدرة الشاملة والعلم التام ورحمته سبقت غضبه وفي كونها ثمانية اشارة الى انها
اسباب للجنة ذات الابواب الثمانية ان شكرت وفي تعقيبها بسبع نارية اشارة الى انها سبب للنار
ذات الابواب السبعة ان كفرت • وفي تعقيبها بها اشارة الى ان سببيتها للنار اقرب لكونها حفت
بالشهوات وفي ذلك ايضا اشارة الى ان من اتقى ما توعد عليه بشكر هذه النعم وفي ابواب النار السبعة
ثم عقبها بثمانية ذكر فيها جنة المقربين اشارة الى ان من عمل لما وعد كما امره به الله نال ابواب
الجنة الثمانية وثمانية اخرى عقب جنة اصحاب اليمين اشارة الى مثل ذلك والله اعلم وكان ترتيبها
في غاية الحسن ذكرت النعم اولا استعطافا وترغيبا في الشكر ثم الاهوال ترهيبا وردا للفسقة بالعصيان

والكفر

والكفر ثم النعم الباقية لجلب المصالح وبدا باشرفها فذكر الجنة العليا لان القلب اثر التخويف يكون انشط
والهمم تكون اعلى والعزم اشد فحينئذ هذه الاية الاولى من الاحدى والثلاثين مشيرا الى نعمة البصر من جهة
الامام فكانه قيل ابنعمة البصر مما يواجهكم او غيرها **ولما** كان قد تقدم في اشارة الخطاب الامتنان
بخلق الانسان ثم ذكر اصول النعم عليه على وجه بديع الشان الى ان ذكر غذا روح الريحان اتبع ذلك تفصيلا
لما اجمل من خلقه فقال **خلق الانسان** اي اصل هذا النوع الذي هو من جملة الانام الذين خلقنا
الريحان لهم والغالب عليه الانس بنفسه وبما الفه **• ولما** كان اغلب عناصره التراب وان كان من
العناصر الاربع عبر عنه اشارة الى مطابقة اسمه بما فيه مما يقتضي الانس الذي حاصله الثبات على حالة
واحدة لمسماه الذي اغلبه التراب لثقله وثباته ما لم يحركه محرك وعبر عن ذلك بما هو في غاية البعد
عن قابلية البيان فقال **من صلصال** اي طين يابس له صوت اذا نقر عليه **كالفخار** اي الخزف المصنوع
المشوي بالنار لانه اخذ من التراب ثم خلطه بالما حتى صار طينا ثم تركه حتى صار حما مسنونا منتنا ثم صوره
كما يصور الابريق وغيره من الاواني ثم ايبسه حتى صار في غاية الصلابة فصار كالخزف الذي اذا نقر
صوت صوتا يعلم منه هل فيه عيب ام لا كما ان الادمي بكلامه يعرف حاله وغاية امره وماله فالمذكور
هنا اخر تخليقه وهو انسب بالرحمانية وفي غيرها تارة مبداوه وتارة ابناوه فالارض امه والما ابوه
ممزوجين بالهوا الحامل للجز الذي هو من فيح جهنم فمن التراب جسده ونفسه ومن الما روحه وعقله ومن
النار غوايته وحدته ومن الهوا حركته في تقلبه ومرامه **ولما** كان الجان الذي شمله ايضا اسم
الانام مخلوقا من العناصر الاربع واغلبها في جبلته النار قال **وخلق الجان** اي هذا النوع المستتر
عن العيون بخلق ابيهم وهو اسم جمع للجن **ولما** كان الجن يطلق على الملايكة لاستتارهم بين انهم لم يرادوا
به هنا فقال **من مارج** اي شي صاف خالص مضطرب شديد الاضطراب والاختلاط • قال البغوي
وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وقال القشيري هو اللهب المختلط بسواد النار انتهي •
ومرجت نار هم اي اختلطت ببرد الزمهرير **ولما** كان المارج عاما في النار وغيرها بينه بقوله **من نار**
اي هي اغلب عناصره فتعين المراد بذكر النار لان الملايكة عليهم السلام من نور لا من نار وليس عندهم
مروج ولا اضطراب بل هم في غاية الثبات على الطاعة فيما امروا به وقد عرفت بهذا كل مضطرب قدره
لئلا يتعدى طوره **ولما** خلق هذين القبيلين على هذين الوجهين اللذين هما في غاية التنافي مستويا
احدهما عن الاخر مع منع كل من التسلط على الاخر الا نادرا اظهارا العظيم قدرته وباهر حكمته من اعظم النعم
قال مسببا عنه **فباي الا ربكما** اي النعم الملوكية الناشية عن مبدعكما ومربيكما وسيدكما **تكذبان**
ابنعمة البصر من جهة الورا او غيرها من خلقكم على هذا النمط الغريب وابداعكما او دعكما من القوى
وجعلكم خلاصة مخلوقاته ومن منع احد قبيليكم عن الاخر وتيسيره لكم الارزاق والمنافع وحملكم على الحنيفية
السمحة وقدرته على اعادتكم كما قدر على ابتدايكم **ولما** ذكر سبحانه هذين الجنسين اللذين احدهما ظاهر
والاخر مستتر ارشادا الى التامل فيما فيهما من الدلالة على كمال قدرته وكانا محتاجين الى ما فيه
من الحل وكان صلاحه بما دبر سبحانه فيه من منازل الشروق الذي هو سبب الانوار والظهور والغروب
الذي هو منشا الظلمة والخفا اتبعه قوله منبها على النظر في بديع صنعه الدال على توحيده **رب** اي هو
خالق **المشرقين** ومدبرهما على كيفية لا يقدر على شي منها غيره **ورب المغربين** كذلك وهذه المشارق
والمغارب هي ما للشتا من البروج السافلة الجنوبية التي هي سبب الامطار والثلوج التي هي سبب الحياة
والظهور حال كون الشمس منحدرة في افاق السما وما للصيف من البروج العالية في جهة الشمال التي هي
سبب التهشم والافول والشمس مصعدة في جو السما وما بينهما من الربيع الذي هو للنمو والخريف الذي هو

للذبول فهي اية الايجاد والاعدام فاول مشارق الصيف وقت استوا الليل والنهار عند حلول الشمس
باول البروج الشمالية صاعدة وهو الكبش يعتدل الزمان حينئذ ليقطعها او الجنوبية واستقبالها الشمالية
ثم آخر مشارقه اذا كانت الشمس في آخر الشمالية واول الجنوبية عند حلولها براس الميزان يعتدل الزمان
ثانيا لاستقبالها البروج الجنوبية ثم تحولها آخر القوس وراس الجدي يكون الانتهاء في قصر الايام وطول
الليالي لتوسطها البروج الجنوبية ثم تحولها كذلك عند خروجها من برج التوامين اي السرطان من بروج
الشمال وهو آخر درجات الشمس يكون طول الايام وقصر الليالي فيختلف على هذين الفصلين البرد والحر وكون
الشمس في اول برج الحمل هو بمثابة طلوعها من المشرق في اول كل نهار في الاعتدال الثاني عند استقبالها
البروج الجنوبية اذا حلت براس الميزان هو بمثابة غروبها ثم بكونها في الانتهائين في طول الايام حين حلولها ببرج
السرطان هو بمثابة استوائها في الصيف في كبد السما كما ان حلولها راس الجدي عند الانتهاء في الشتا في قصر
الايام وطول الليالي هو بمثابة استوائها فيما يقابل استواءها في الشتا في كبد السما في النهار ذكر ذلك ابن برجان
وقال بعد ذلك سخر سبحانه لعباده جهنم اي بواسطة الشمس وهي اعدى عدو لهم فاخرج لهم بواسطتها الزرع
والزيتون والرمان والنخيل والاعناب والجنات المعروشات وغير المعروشات ومن كل الثمرات ولما
كان في هذا من النعم ما لا يحصى قال مسببا **فباي آلاء ربكما** الذي دبر لكما هذا التدبير العظيم **تكذبان** ابنعمة
البصر من جهة اليمين او غيرها من تسخير الشمس والقمر دايبين دايرين لادارة الازمان وتجديد الايام وعد
الشهور والاعوام واعتدال الهوا واختلاف الاحوال على الوجه الملايم لمصالح الدنيا ومعايشها على منهاج
محفوظ وقانون لا يزيغ **ولما** كانت باحة البحر تجري المراكب مثل ساحة السماء لسير الكواكب مع
ما اقتضى ذكره من تضمن ذكر المشارق والمغارب للشتا الحاصل فيه من الامطار ما لو جرى على القياس
لافاض البحار فاغرقت البراري والقفار وعلت على الامصار وجميع الاقطار قال **مرج** اي ارسل الرحمن
البحرين اي الملح والعذب فجعلهما مضطربين من طبعهما الاضطراب حال كونهما **يلتقيان** اي يتماسان على
ظاهر الارض بلا فصل بينهما في روية العين وفي باطنها بجعل الحلواية على مياه الجنة والملحاية على بعض شرا
اهل النار لا يروي شاربه ولا يغنيه بل يحرق باطنه ويحببه او بحري فارس والروم هما ملتقيان في البحر
المحيط لكونهما خليجين منه **ولما** كان التقا الماءين ولاسيما مع الاضطراب الدايم يوجب الاختلاط
فيحيل ما لاحدهما او لكل منهما من الصفات الى صفات اخرى فتشوفت النفس الى المانع من مثل ذلك في البحرين
قال مستانفا **بينهما برزخ** اي حاجز عظيم من القدرة المجردة على الاول وبسبب الارض على الثاني
تمنعهما مع الالتقا من الاختلاط وقال ابن برجان البرزخ ما ليس بصريح هذا ولا بصريح هذا كذلك السهل
والجبل بينهما برزخ يسمى الخيف كذلك الليل والنهار بينهما برزخان يسميان العيشين كذلك بين الدنيا والاخرة
برزخ ليس من هذه ولا من هذه ولا هو خارج عنهما وكذلك الربيعان هما برزخان بين الشتا والصيف
بمنزلة غبش اول النهار وغشا آخره جعل بين كل صنفين من الموجودات برزخا ليس من هذا ولا من هذا
وهو منهما كالجماد والنبات والحيوان **ولما** علم ذلك كانت نتيجته **لا يبغيان** اي لا يطغيان فيهلكا
الناس كما طغيا فاهلكا من على الارض ايام نوح عليه السلام ولا يبغي واحد منهما على الاخر بالممازجة ولا
يتجاوزان ما حد لهما خالقهما ومدبرهما لا في الظاهر ولا في الباطن فمتى حفرت على جنب الملح وجدت الما
العذب وان قربت الحفرة منه بل كلما قربت كان احلى فخلطهما سبحانه في راي العين وحجز بينهما في عين القدرة
هذا وهما جمادان لا نطق لهما ولا ادراك فكيف يبغي بعضكم على بعض ايها المدركون العقلا **ولما** كان ذلك
امرا باهرا دالا دلالة ظاهرة على تمام قدرته لاسيما على الاخرة قال مسببا عنه **فباي آلاء ربكما** اي الموجد
لكما والمربي **تكذبان** ابنعمة الابصار من جهة اليسار او غيرها فهلا اعتبرتم بهذه الاصول من انواع الموجودات

فصدقتم

فصدقتم بالاخرة لعلمكم من هذه البرازخ ان موتكم هذه برزخ وفصل بين الدنيا والاخرة كالعشا بين
النهار والليل ولو استقرأتم ذلك في ايات السموات والارض وجدتموه شايعا في جميع الاكوان **ولما**
ذكر المنة بالبحر ذكر النعمة بما ينبت فيه كما فعل في البر فقال معبرا بالمبني للمفعول لان كلا من وجوده فيه
والتسليط على اخراجه منه خارق من غير نظر الى مخرج معين والنعمة نفس الخروج وكذلك قرا غير نافع
والبصريين بالبنا للفاعل من الخروج **يخرج منهما** اي بمخالطة العذب الملح من غير واسطة السحاب فصار
ذلك كالذكر والانثى قال الرازي فيكون العذب كاللقاح للملح وقال ابو حيان قال الجمهور انما يخرج من
الاجاج في المواضع التي تقع فيها الانهار والمياه العذبة اسناد ذلك اليهما **وهذا** مشهور عند الغواصين
وقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة مولاه تكون هذه الاشيا في البحر بنزول المطر لان الصدف تفتح
افواهها للمطر انتهى فتكون الاصداف كالارحام للنطف وما البحر كالجسد الغاذي والدليل على انه من ما
المطر كما قال الاستاذ حمزة الكرماني ان من المشهور ان السنة اذا اجدبت هزلت الحيتان وقلت الاصداف
والجواهر انتهى ثم لا شك في انهما وان كانا بحرين فقد جمعهما وصف واحد بكونهما ما فيسوغ اسناد الخروج
اليهما كما يسند خروج الانسان الى جميع البلد وانما خرج من دار منها وكما نسب الرسل الى الجن والانس بجمعهما
في خطاب واحد فقال رسل منكم وكذا وجعل القمر فيهن نورا ومثله كثير **اللؤلؤ** وهو الدر الذي هو
في غاية البياض والاشراق والصفا **والمرجان** اي القضبان الحمر التي هي في غاية الحمرة فسبحان من غاير
بينهما في اللون والمنافع والكون نقل هذا القول ابن عطية عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال
وهذا هو المشهور من الاستعمال انتهى وقال جمع كثير ان اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره **ولما** كان
ذلك من جليل النعم سبب عنه قوله **فباي آلاء ربكما** اي المالك لكما الذي هو الملك الاعظم **تكذبان** مع هذه
الصنايع العظمى ابنعمة البصر من جهة الفوق او غيرها لكم من خلق المنافع في البحار وتسليطكم عليها
واخراج الحلي العجيبة وغيرها **ولما ذكر** سبحانه الخارج منه بما السما ذكر السائر عليه بالهوا واشار
بتقديم الجار الى ان السائر في الفلك لا تصريف له وان ظهر له تصريف فهو لضعفه كلا تصريف فقال
وله اي لا لغيره فلا تغتروا بالاسباب الظاهرة فتعقوا معها فتسندوا اشيا من ذلك اليها كما وقف
اهل الاغترار بالمشاهد الذين هم اجمد اهل الارض اذهانا واحقرهم شانا فقالوا بالاتحاد والوحدة
الجوار اي السفن الكبار والصغار الفارغة والمشحونة **ولما** كانت حياة كل شي كونه على
صفة كماله وكانت السفن تبنى من خشب مجمع وتوصل حتى تصير على هيئة تقبل المنافع الجمة وكانت
تزيد بذلك الجمع كما يزيد النبات او الحيوان وكانت ترتفع على البحر ويرفع شراعها وتحدث في البحر
بعد ان كانت مستترة بجبال الامواج قال تعالى **المنشآت** من نشا اذا حيي وربي والسحابة
ارتفعت واصل الناشي كلما حدث بالليل ومدا ومعنى قراة حمزة وابي بكر بكسر الشين انها رافعة
شراعها بسبب استمساكها عن الرسوب ومنشية للسير ومعنى قراة الباقين انه انشاها الصانع
وارسلها ورفع شراعها **ولما** كانت مع كونها عالية على الما منغمسة فيه مع انه ليس لها من نفسها
الا الرسوب والغوص قال **في البحر** **ولما** كانت ترى على البعد كالجبال على وجه الما قال **كالاعلام**
اي الجبال الطوال **ولما** كان فيها من المنافع بالتكسب من البحر بالصيد وغيره والتوصل الى البلاد
الشاسعة للفوايد الهاملة وكانت اعمالهم في البحر الاخلاص الذي يلزم منه الاخلاص في البر لانهما
بالنسبة الى ابداعه لهما وقدرته على التصرف فيهما بكل ما يريد على حد سوا سبب عن ذلك قوله
فباي آلاء ربكما اي بنعمه العظمى **تكذبان** ابنعمة البصر من تحتكم او غيرها من الاسفار في محل
الاخطار والانجا عند الاضطرار والربح في محل الخسار والارشاد الى ذلك بعد خلق مواد السفن

وتعليم صنعتها وتسخيرها والفلك يفرض كونها بمثابة جميع الكون فخدامها كالملايكة في اقامة الملكوت
وتحصين تماسكه باذن ربهم والمسافرون بها الذين انشيئت لاجلهم وذان المكلفين المامورين المنتهين
الذين من اجلهم خلقت السموات والارض وما بينهما تعبر بهم من غربتهم الي قرارهم ومن غيبتهم الي حضورهم
ومشاهدتهم ومدبرها آمرها في اعلاها يامرهم بامره فينفذونه ويسمعون له ثم قد يصرف الاعتبار
الي ان تكون اية على قطع المؤمن ايام الدنيا فالدنيا هي البحر والسفينة جسمه وباطن العبد هو الحمول
فيها والعقل صاحب سياستها والقوي خدمتها وامر الله وتدبيره محيط بها والايمان امتنها والتوفيق
ريحها والذكر شراعها والرسول سايقها بما جا به من عند ربه والعمل الطيب يصلح شانها ذكر ذلك
ابن برجان **ولما** اخبر تعالي انه خلق السموات والارض وما بث فيهما من المنافع من الاعيان والمعاني
واستوي في الارض بقسميها برا وبحرا متضمنا ذلك العناصر الاربعة التي اسس عليها المركبات وكان اعجب
ما للمخلوق من الصنايع ما في البحر وكان راكبه في حكم العدم دل على انه المتفرد بجميع ذلك بهلاك الخلق
فقال مستانفا معبرا بالاسمية الدالة على الثبات وبمن للدلالة بالتصريح تهويلا بفنا العاقل على فنا غيره
العاقل بطريق الاولي **كل من عليها** اي الارض بقسميها والسما **فان** اي هالك معدوم بالفعل بعد ان كان
هو وغيره من ساير ما سوي الله وليس لذلك كله من ذاته الا العدم فهو فان بهذا الاعتبار وان كان
موجودا فوجوده بين عدمين اولهما انه لم يكن وثانيهما انه يزول ثم هو فيما بين ذلك يتعاون الافنا
والايجاد في كل حين في احواله واعراضه وقواه واسباب الهلاك محيطة به حسا ومعني وهو لا يراها كما انها
محيطة بمن هو في السفينة من فوقه ومن تحته ومن جميع جهاته **ولما** كان الوجه اشرف ما في الموجود
وكان يعبر به عما اريد به صاحب الوجه مع انه لا يتصور بقا الوجه بدون صاحبه فكان التعبير به عن
حقيقة ذلك الشي اعظم وادل على الكمال من المقرر عند اهل الشرع انه سبحانه ليس كمثله شي فلا يتوهم
احد منهم من التعبير به نقصا قال **ويبقي** اي بعد فنا الكل بقا مستمرا الي ما لا نهاية له **وجه ربك**
اي المربي لك بالرسالة والترقية بهذا الوحي الي ما لا حد من المعارف وكل عمل اريد به وجهه سبحانه
خالصا **ولما ذكر** مباينته للمخلوقات وصفه بالاحاطة الكاملة بالنزاهة والحمد فقال واصفا الوجه
لان المراد به الذات التي لا اشرف منها معبرا به ولانها ابلغ من صاحب وبما بيته على التنزيه عما ربما
توهمه من ذكر الوجه بليد جامد مع المحسوسات يقيس الغايب الذي لا تعتريه حاجة ولا يلم بجنابه
الاقدس نقص بالشاهد الذي كله حاجة ونقص **ذو الجلال** اي العظمة التي لا ترام وهو صفة ذاته التي
تقتضي اجلاله عن كل ما لا يليق به **والاكرام** اي الاحسان العام وهو صفة فعله **ولما** كان الموت نفسه
فيه نعم لا تشكر وكان موت ناس نعمة على ناس مع ما ختم به الاية من وصفه بالانعام قال **فباي الا ربكما**
اي المربي لكما على هذا الوجه الذي ماله الي العدم الي اجل مسمي **تكذبان** ايها الثقلان الانس والجان
ابنعمة التسمع من جهة الامام او غيرها من ايجاد الخلق ثم اعدامهم وتخليف بعضهم في اثر بعض وايراث
البعض ما في يد البعض ونحو ذلك من امور لا يدركها على جهتها الا الله تعالي **ولما** كان ادل دليل
على العدم الحاجة وعلي دوام الوجود الغني قال دليلا على ما قبله **يسئله** اي على سبيل التجدد والاستمرار
من في السموات اي كلها كلهم **والارض** كلهم من ناطق وصامت بلسان الحال او القال او بهما **ولما**
كان كانه قيل فماذا يفعل عند السوال وكان اقل الاوقات المحدودة المحسوسة اليوم عبر به عن
اقل الزمان كما عبر به عن اخف الموزونات بالذرة فقال مجيبا لذلك **كل يوم** اي وقت من الاوقات
من يوم السبت وغيره وعلي اليهود لعنة الله وغضبه حيث قالوا في السبت ما هو مناف لقوله تعالي
ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب ولا يوده حفظهما وهو

العلي العظيم

العلي العظيم **هو في شان** اي من احداث اعيان وتجديد معان او اعدام ذلك قال القشيري فنون اقسام
المخلوقات وما يجريه عليها من اختلاف الصفات انتهي وهي شوون يبديها لا شوون يبتديها تتعلق قدرته
على وفق ارادته على ما تعلق به العلم في الازل انه يكون او يعدم في اوقاته فكل شي قانت له خاضع لديه
ساجد لعظمته شاهد لقدرته دال عليه وان من شي الا يسبح بحمده وذلك التغيير مع انه من اجل النعم ادل
دليل على صفات الكمال له وصفات النقص للمتغيرات ولانها نعم قال **فباي الا ربكما**
اي المدبر لكما هذا التدبير العظيم لكل ما يصلحكما **تكذبان** ابنعمة السمع من جهة الخلف او غيرها من نعمه
اياكم فيما خلقكم له مما هو اعلم به منكم من منافعكم ومعايشكم وجميع تقلباتكم وقد تكررت هذه الاية المعززة
على النعم من اولها الي هنا ثماني مرات عقب ثمان اشارة والله اعلم الي ان نعمه سبحانه لا تحصي لانها تزيد على السبعة
التي هي العدد التام بواحد هو مبدا الدور جديد من العدد اشارة الي انه كلما انقضي منها دور ابتدا دور آخر
ووجه آخر وهو ان الاخيرة صرح فيها بمن في السموات والارض والسبع التي قبلها تختص باهل الارض اشارة الي ان
امهات النعم سبع كالسموات والارض والكواكب السيارة ونحو ذلك **ولما** انقضي عد النعم العظام على وجه
هو في غاية الامكان من البيان وكان تغير ساير الممكنات من النبات والجماد والملايكة والسموات والارض
وما حوتا بما عدا الثقلين على نظام واحد لا تفاوت فيه واما الثقلان فلاجل ما لاجل تنازع العقل والشهوات
لا تكاد تنضبط بل يتغير حال الواحد منهم في اللحظة الواحدة الي الوان كثيرة متضادة لما فيهم من المكر واحوال
المغالبة والبغي والاستيثار بالعلو بالامر والنهي وكان اكثرهم يموت بناره من غير اخذ ثاره فاقتضت
الحكمة ولا بد انه لا بد لهم من يوم يجمعون فيه يكون بينهما فيه الفصل على ميزان العدل خصهما بالذكر فقال
آتيا بالنهاية في الوعيد لانه ليس للعصاة بعد الانعام والبيان الا التهديد الشديد للرجوع الي طاعة
الملك الديان والالتفات في قراءة الجماعة بالنون الي التكلم اشد تهديدا من قراءة حمزة والكسائي بالتحتية
على نسق ما مضي **سنفرغ** اي بوعيد قريب لا خلف فيه عن جميع الشوون التي ذكرت **لكم** اي نعمل عمل
من يفرغ للشي فلا يكون له شغل سواه بفراغ جنودنا من الملايكة وغيرهم مما امرناهم به مما سبقت به كلمتنا
ومضت به حكمتنا من الاجال والارزاق وغير ذلك فينتهي كله ولا يكون لهم حينيذ عمل الا جمعكم لنقضي
بينكم **ايها الثقلان** بالنصفة والثقل هو ما يكون به قوام صاحبه فكانهما سميا بذلك تمثيلا لهما بذلك
اشارة الي انهما المقصودان بالذات من الخلايق وقال الرازي في اللوامع وصفا بذلك لعظم شانهما كان ما
عداهما لا وزن له بالاضافة اليهما انتهي **وهذا** كما قال صلي الله عليه وسلم اني تارك فيكم ثقلين
كتاب الله وعترتي وقال جعفر الصادق سميا بذلك لانهما مثقلان بالذنوب **ولما** كان هذا اجل
النعم التي يدور عليها العباد وتصلح بها البلاد وتقوم بها السموات والارض لان مطلق التهديد يحصل
به انزجار النفس عما لها من الانتشار فيما يضر ولا ينفع فكيف بالتهديد بيوم الفصل قال **فباي الا ربكما**
اي المحسن اليكما بهذا الصنع المحكم **تكذبان** ابنعمة السمع عن اليمين او بغيرها من انابة اهل طاعته وعفوه
اهل معصيته وسمي ابن برجان هذا الاخبار الذي لا نون جمع فيه خطاب القبض يخبر فيه عن موجوداته
وما هو خالقه قال وذلك اخبار منه عن محض الوحدانية وما قبله من سنفرغ ونحوه مما فيه نون الجمع
اخبار عن وصف ملكوته وجنوده وهو خطاب البسط **ولما** كان التهديد بالفراغ ربما اوهم الان
معجوز عنهم او عن بعض امرهم بين بخطاب القبض المظهر لمحض الوحدانية انهم في القبضة لا فعل لاحد منهم
بدليل انهم لا يصلون الي جميع مرادهم مما هو في مقدورهم ولكنه ستر ذلك بالاسباب التي يوجب التقيد
بها اسناد الامور الي مباشرها فقال بيانا للمراد بالثقلين **يا معشر** اي جماعة فيهم الاهلية والعشرة
والتصادق **الجن** قدمهم لمزيد قوتهم ونفوذهم في المسام وقدرتهم على الخفا والتشكل في الصور ربما

النعم ج

انهم لا يعجزهم شي **والانس** اي الخواص والمستانسين والمانوسين المبني امرهم علي الاقامة والاجتماع ٥ **ولما** بان بهذه التسمية المراد بالتنبيه جمع دلالة علي كثرتهم فقال **إن استطعتم** اي ان وجدت لكم طاعة الكون في **ان تنفذوا** اي تسلكوا باجسامكم وتمضوا بمن غير مانع يمنعكم **من اقطار** اي نواحي **السموات والارض** التي هي اهل لان يتخللها القطر لسهولة انفتاقها لشي تريدونه من هرب من الله من ايقاع الجزا بينكم او عصيان عليه في قبول احكامه وجري مراداته واقضيته عليكم من الموت وغيره اوغير ذلك **فانفذوا** وهذا يدل علي ان كل واحد منها محيطة بالاخري لان النفود لا يكون حقيقة الا مع الخرق **ولما** كان نفوذهم في حد ذاته ممكنا ولكنه منعهم ذلك بانه لم يخلق في احد منهم قوته ولا سيما وقد منعهم منه يوم القيمة باموره منها احداق اهل السموات السبع بهم صفا بعد صف وسرادق النار قد احاط بالكافرين ولا منفذ لاحد الا علي الصراط ولا يجوزه الا كل ضامر محف اشار اليه بقوله مستانفا **لا تنفذون** اي من شي من ذلك **الا بسلطان** اي بتسليط عظيم منه سبحانه بامر قاهر وقدرة بالغة واني لكم بالقدرة علي ذلك قال البغوي وفي الخبر يحاط بالخلق بالملايكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن الاية انتهي وهذا حكاية ما يكون من ذلك يوم القيمة لانه خاص به ولما كان نظرهم فيما بينهم وبين بقية الحيوانات بما اعطاهم من القوي الحسية والمعنوية وما نصب لهم من المصاعد العقلية والمعارج النقلية التي ينفذون بها الي غاية الكائنات ويتخللون بما يوديهم اليه علمها الي اعلي المخلوقات ثم نظرهم فيما بين الحيوانات وبين النباتات ثم بينها وبين الجمادات دالا دلالة واضحة علي انه سبحانه يعطي ما يشا ما يشا فلو اراد قواهم علي النفوذ منها ولو قواهم علي ذلك لكان من اجل النعم وانه سبحانه قادر علي ما يريد منهم فلو شا اهلكهم ولكنه يوخرهم الي اجالهم حلما منه وعفوا عنهم سبب عن ذلك قوله **فباي الا ربكما** اي المحسن اليكما المربي لكما بما تعرفون به قدرته علي كل ما يريد **تكذبان** ابنعمة السمع من جهة اليسار او غيرها من جعلكم سوا في انكم لا تقدرون علي مخالفة مراده سوا كنتم جمعا او فرادي او من ضمكم الي يوم الجمع وقد جمعكم قبل حين ابتدا خلقكم او اليوم المشهود وقد اشهدكم قبل علي انفسكم وعهد اليكم او بتكشط السموات وقد شاهدتم تكشيطه السحاب بعد بسطه او بالجزا وقد رايتم الجزا العاجل وشاهدتم ما اصاب الامم الماضية **ولما** سلب عنهم ٥ القدرة علي النفوذ المذكور تنبيها علي سلب جميع القدرة عنهم وعلي ان ما يقدرون عليه انما هو بتقديره لهم بنعمة منه عليهم وكان منهم من بلغ الغاية في قسوة القلب وجمود الفكر فهو يحيل العجز عن بعض الامور الي انه لم تجر بذلك عادة لا الي انه سبحانه المانع من ذلك فمنعهم بشي من سطوته فقال **يرسل عليكما** اي ايها المعاندون قال ابن عباس رضي الله عنهما حين تخرجون من القبور لسوقكم الي المحشر **شواظ** اي لهب عظيم منتشر مع التضايق يحيط بكم من كل جانب له صوت شديد كهبة ذي الحلق الضيق الشديد النفس **ولما** كان الشواظ يطلق علي اللهب الذي لا دخان فيه وعلي دخان النار وحرها وعلي غير ذلك بينه بقوله **من نار ونحاس** اي دخان هو في غاية الفظاعة فيه شرر متطاير وقطر مذاب قال ابن برجان والعرب تسمي الدخان نحاسا بضم النون وكسرها واجمع القرا علي ضمها انتهي وجره ابو عمرو وابن كثير عطفا علي نار ورفعه الباقون عطفا علي شواظ **ولما** كان ذلك مسمي عقلا ٥ وعادة وكانوا عارفين بانهم لو وقعوا في مثل ذلك لم يتخلصوا منه بوجه سبب عنه قوله **فلا تنتصران** قال ابن برجان هذا مصداق قول رسول الله يخرج عنق من النار

فلا يسئل احد اذ ذاك عن ذنبه وحذفه افخم ليذهب الوهم فيه كل مذهب **ولما** كان حفظ السما عن مثل ذلك بتاخير ارسال هذا وغيره من الاسباب وجعلها محل الروح والفرج والحياة والرزق من اعظم الفواضل قال مسببا عنه **فباي الا ربكما** اي المدبر لكما هذا التدبير المتقن **تكذبان** ابنعمة البصر من تحت او غيرها وليس شي مما اخبرتكم به من احوال الاخرة الا قد اقمت لكم في الدنيا ما تهتدون به الي العلم بكونه **ولما** كان يوم القيمة ذا الوان كثيرة ومواقف مهولة طويلة شهيرة يكون في كل منها شوون عظيمة وامور كبيرة ذكر بعض ما سببه هذا الوقت من التعريف بالعاصي والطايع بايات الله يجعلها الله سببا في علمها فقال **فيومئذ** اي فتسبب عن يوم اذا انشقت السما انه **لا يسئل** سوال التعرف واستعلام بل سوال تقريع وتوبيخ وملام وذلك انه لا يقال له هل فعلت كذا بل يقال له لم فعلت كذا علي ان ذلك اليوم طويل وهو ذو الوان تارة يسئل فيه وتارة لا يسئل والامر في غاية الشدة وكل لون من تلك الالوان يسمي يوما فقد مضي في الفاتحة ان اليوم عبارة عن وقت يمتد الي انقضا امر مقدر فيه ظاهر من ليل او نهار او غيرهما لقوله تعالي الي ربك يومئذ المساق اي يوم اذا بلغت الروح التراقي وهو لا يختص بليل ولا نهار وبناه للمفعول تعظيما للامر بالاشارة الي ان الشان المعرف بالذنب لا يكون خاصا باحد دون احد بل يعرفه كل من اراد علمه واضمر قبل الذكر كما هو مقدم في الرتبة ليفهم الاختصاص ووحد الضمير لاجل اللفظ فقال **عن ذنبه** اي خاصة وقد يسئل المحسن عن حسنته سوال تشريف له وتنديم لمن دونه ولما كان الانس اعظم مقصود بهذا ولهذا كان الرسول صلي الله عليه وسلم منهم وكان التعريف بالمشاهد المالوف اعظم في التعريف وكان علم احوال الشي الظاهر اسهل قدمهم فقال **انس** **ولما** كان لا يلزم من علم احوال الظاهر علم احوال الخفي بين ان الكل عليه هين فقال **ولا جان** ولما كان هذا التمييز من اجل النعم ليلا يودي الالباس الي ترويع بعض غلطا او نكايته بالسوال عنه فقال **فباي الا ربكما** اي الذي ربي كلا منكم بما لا مطمع في انكاره ولا خفا فيه **تكذبان** ابنعمة الشم من الامام ام غيرها ولما كان الكلام عاما عرف انه خاص بتعرف المجرم من غيره دون التقرير بالذنب او غيره من الاحوال فقال معللا لعدم السوال **يعرف المجرمون** اي العريقون في هذا الوصف **بسيماهم** اي العلامات التي صور الله ذنوبهم فيها فجعلها ظاهرة بعد ان كانت باطنة وظاهرة الدلالة عليهم كما يعرف الان الليل اذا جا لا يخفي علي احد اصلا وكذلك النهار ونحوهما لغير الاعمي وتلك السيما والله اعلم زرقة العيون وسواد الوجوه والعمي والصم والمشي علي الوجوه ونحو ذلك وكما يعرف المحسنون بسيماهم من بياض الوجوه واشراقها وتبسمها والغرة والتحجيل ونحو ذلك وسبب عن هذه المعرفة قوله مشيرا ابالبنا للمفعول الي سهولة الاخذ من اي اخذ كان **فيوخذ بالنواصي** اي منهم وهي مقدمات الروس **والاقدام** بعد ان تجمع بينها كما كانوا يجمعون ما امر الله به ان يفرق ويفرقون ما امر الله به ان يجمع فيسحبون بها سحبا من كل ساحب اقامه الله لذلك لا يقدرون علي الامتناع بوجه فيلقون في النار ولما كان ذلك نعمة لا يقام بشكرها لكل من يسمعها لان كل احد

أي لكل أحد منهم

ينتفي من الاجرام ويود المجرمين عظيم الانتقام سبب عنه قوله **فباي آلاء ربكما** اي النعم الكبار من الذي
دبر مصالحكم بعد ان اوجدكم **تكذبان** ابنعمة الشم من ورا ام بغيرها مما يجب ان يفعل من الجزاء في
الاخرة لكل شخص بما كان يعمل في الاخرة الدنيا او غير ذلك من الفضل **ولما** كان اخذهم على هذا
الوجه مؤذنا بانه الى خزي عظيم صرح به في قوله بانيا على ما هدى اليه السياق من نحو اخذ مقولا
فيه عند وصولهم الى محل النكال على الحال التي ذكرت من الاخذ بنواصيهم واقدامهم **هذه** اي الحفرة
العظيمة الكريهة المنظر القريبة منكم الملازمة القرب لكم **جهنم التي يكذب** اي ماضيا وحالا
وما لا استهانة ولو ردوا الى الدنيا بعد ادخالهم اياها لعادوا لما نهوا عنه **بها المجرمون** اي الحقيقون
بالاجرام وهو قطع ما من حقه ان يوصل وهو ما امر الله به وخص هذا الاسم اشارة الى انها تلقاهم
بالتجهم والعبوسة والكلاحة والفظاظة كما كانوا يفعلون مع الصالحين عند الاجرام المذكور **قال**
ابن برجان وقرا عبد الله هذه جهنم التي كنتما تكذبان تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان ثم استانف
ما يفعل بهم فيها فقال **يطوفون بينها** اي بين دركة النار التي تجهمهم **وبين حميم** اي ما حار هو من شدة
حرارته ذو دخان **ولما** كان هذا الاسم يطلق على الما البارد بين امره فقال **آن** اي بالغ حره
الى غاية ليس وراها غاية **قال** الرازي **وقيل** حاضر وبه سمي الحال بالآن لانه الحاضر الموجود فان الماضي
لا تداركه والمستقبل امل وليس لنا الا الآن ثم ليس للان ثبات طرفة عين لان الآن هو الجزء المشترك
بين زمانين فهم دائما يترددون بين عذابي النار المذيبة للظاهر والما المقطع بحره للباطن الذي لا يزال
حاضرهم تردد الطايف الذي لا اول لتردده ولا آخر **ولما** كان عذاب المجرم القاطع لما من شانه ان
يكون متصلا من اكبر النعم واسرها لكل احد حتى لمن سواه من المجرمين سبب عنه قوله **فباي آلاء ربكما**
اي المحسن اليكما ايها الثقلان باهلاك المجرم في الدارين وانجا المسلم مما اهلك به المجرم والتهديد لطفا
بالمهددين لير تدعوا وينزجروا عما يكون سبب اهلاكهم **تكذبان** ابنعمة الشم من اليمين ام غيرها
مما اراكم من اياته وظاهر عليكم من بيناته في السموات والارض وما اراكم من مطالع الدنيا من الشمس
التي هي اية النهار والقمر الذي هو اية الزمهرير وغير ذلك من اياته المرئية والمسموعة **وقد** كررت هذه
الاية عقب ذكر النار واهوالها سبع مرات تنبيها على استدفاع ابوابها السبعة كما مضى والله المستعان
ولما عرف ما للمجرم المجتري على العظايم وقدمه لما اقتضاه مقام التكذيب من الترهيب وجعله سبعا
اشارة الى ابواب النار السبع عطف عليه ما للخايف الذي اداه خوفه الى الطاعة وجعله ثمانيا
على عدد ابواب الجنة الثمانية فقال **ولمن** اي ولكل من ووحد الضمير مراعاة للفظ من اشارة الى قلة
الخايفين **خاف** اي من الثقلين **ولما** كان ذكر الخوف من الزمان المضروب للحساب والتدبير والمكان
المعد لهما ابلغ من ذكر الخوف عند ذكر اوصاف الجلال قال دالا بذلك على ان المذكور راس الخايفين **مقام**
ربه اي مكان قيامه الذي يقيمه وغيره فيه المحسن اليه للحكم وزمانه الذي ضربه له وقيامه عليه وعلى
غيره بالتدبير فهو رقيب عليه وعليهم فكيف اذا ذكر مقام المنتقم الجبار المتكبر فترك لهذا ما يغضبه وفعل ما
يرضيه **جنتان** عن يمين وشمال واحدة للعلم والعقل واخرى للعمل ويمكن ان يراد بالتثنية مجرد المبالغة
انهما ما لا نهاية جنان متكررة ومتكثرة مثل القيا في جهنم ونحو ذلك **ولما** كانت هذه نعمة جامعة سبب عنها
قوله **فباي آلاء ربكما** اي نعم المربي لكما باحسانه الكبار التي لا يقدر غيره على شي منها **تكذبان** ابنعمة الشم
من اليسار المنبعثة من القلب ام غيرها من تربية جنان الدنيا بنفس جهنم من حر جهنم من حر الشمس
وحرورها فجعل من ذلك جميع الفواكه والزروع الى غير ذلك التي طبختها وكاين من اية في السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون او غير ذلك من نعمه التي لا تحصى **ولما** كانت البساتين التي لا
بها

لا يكمل مدحها الا بكثرة الانواع والالوان والزروع المشتبكة والاغصان قال واصفا لها **ذواتا** اي
صاحبتا برد عين الكلمة لان اصلها ذووا **افنان** اي جمع فنن تتنوع فيه الثمار وفنن وهو الغصن المستقيم
طولا تكون به الزينة بالورق والثمر وكمال الانتفاع **قال** عطا في كل غصن فنون من الفاكهة ولذا
سبب عنه قوله **فباي آلاء ربكما** اي المحسن اليكما والمدبر لكما **تكذبان** ابنعمة الشم من جهة الفوق او
غيرها مما ذكره لكم من وصف الجنة الذي جعل لكم من امثاله ما تعتبرون به **ولما** كانت الجنان لا
تقوم الا بالانهار قال **فيهما عينان** اي في كل واحدة عين **تجريان** اي في اي مكان شاء صاحبها وان علا
مكانه كما يصعد المياه في الاشجار في كل غصن منها وان زاد علوها على عيني دموعه الجاريتين من خشية الله
وذلك على مثال جنان الدنيا والشمس صاعدة في البروج الشمالية حتى تكامل المياه وتتفجر عيونها في ايام
الربيع والصيف لقرب العهد بالامطار **فباي آلاء ربكما** اي المالك لكما والمحسن اليكما **تكذبان** ابنعمة الشم
من جهة التحت ام غيرها مما ذكره وجعل له في الدنيا امثالا كثيرة **ولما** كان بالمياه حياة النبات وزكاه
قال ذاكرا افضل النبات **فيهما** اي هاتين الجنتين العاليتين ودل على جمع كل ما نعلم وزيادة بقوله **من**
كل فاكهة اي تعلمونها او لا تعلمونها **زوجان** اي صنفان يكمل احدهما بالاخر كما لا يدرك كنهه احد الزوجين
بسبب العمل بما يرضي والاخر بالانتهاء عما يسخط **فباي آلاء ربكما** اي النعم الكبار التي رباها الموجد لكما
المحسن اليكما **تكذبان** ابنعمة اللمس من الامام ام غيرها من انه اوجد لكم جنان الدنيا بواسطة حر النار
التي هي اعدى عدو لكم اشارة الى انه قادر على انه يوجد برضوانه ومحبته من موضع غضبه وانتقامه
اكراما فقد جعل ما في الدنيا مثالا لما ذكر في الآخرة فباي شي من ذلك يكذب لا يكمل الايمان حتى يصدق المؤمن
انه تعالى قادر ان يجعل من جهنم جنة بان يجعل موضع سخطه رحمة ويشاد لك ويعتبر ذلك بما ارانا من
نموذجه **ولما** كان التفكه لا يكمل حسنه الا مع التنعم من طيب الفرش وغيره قال مخبرا عن هولا الذين يخافون
مقام ربهم من قبيلي الانس والجن مراعيا معنى من بعد مراعاة لفظها تحقيقا للواقع **متكئين** اي لهم ما
ذكر في حال الاتكا وهو التمكن بهيئة المتربع او غيرها في الكون على جنب **قال** في القاموس توكا عليه تحمل
واعتمد كاوكا والتكاة كهمزة العصا وما يتكا عليه وضربه فاتكاه القاه على هيئة المتكي او على جانبه الايسر
وقال ابن القطاع وضربه حتى اتكاه اي سقط على جانبه وهو يدل على تمام التنعم بصحة الجسم وفراغ البال
على فرش وعظمها بقوله مخاطبا للمكلفين بما يحتمل عقولهم والا فليس في الجنة ما يشبهه على الحقيقة شي
من الدنيا **بطاينها** اي فما ظنك بظهايرها ووجوهها **من استبرق** وهو ثخين الديباج يوجد فيه من حسنه
بريق كانه من شدة لمعانه يطلب ايجاده حتى كانه نور مجرد **ولما** كان المتكي قد يشق عليه القيام لتناول
ما يريد قال **وجنا الجنتين** اي مجنيهما اسم بمعنى المفعول كانه عبر به ليفهم سهولة نفس المصدر الذي
هو الاجتنا **دان** اي قريب من كل من يريده متكي وغيره لا يحوج الى صعود شجرة وموجود في كل حين يراد غير
مقطوع ولا ممنوع **ولما** كان ربما وجد مثل من ذلك شاهد له من اغصان تنعطف بحملها فتقرب واخرى
تكون قريبة من ساق الشجرة فيسهل تناولها قال **فباي آلاء ربكما** اي النعم الكبار الملوكية التي اوجدها لكما
هذا المربي لكما الذي يقدر على كل ما يريد **تكذبان** ابنعمة اللمس من جهة الورا ام غيرها من قدرته
على عطف الاغصان وتقريب الثمار **ولما** كان ما ذكر لا يتم نعمته الا بالنسوان الحسان قال دالا
على الكثرة بعد سياق الامتنان بالجمع الذي هو اولى من التثنية بالدلالة على ان في كل بستان جماعة من
النسوان لما بهن من عظيم اللذة وفرط الانس **فيهن** اي الجنان التي علم مما مضى ان لكل فرد من الخايفين منها
جنتين **ولما** كان سياق الامتنان معرفا بان جمع القلة اريد به الكثرة مع ما ذكر من محسناته في سورة
ص قال معبرا به **قاصرات الطرف** اي نسا مخدرات في وجوب الستر بحيث يغضضن من ذكر من بغير الوصف

من غير تصريح قد قصرن طرفهن وهممهن على ازواجهن ولهن من اجمال ما قصرن به طرف ازواجهن عن الالتفات الى غير لعنو الطرف وسحره وشدة أخذه للقلوب جزا لهم على قصر هممهم في الدنيا على ربهم ولما كان الاختصاص بالشي لاسيما المراة من اعظم الملذذات قال لم يطمثهن اي يجامعهن ويتسلط عليهن في هذا الخلق الذي انشان فيه بنوع من انواع السلطنة سوا كن انسيات او جنيات اوغير ذلك يقال طمث المراة كضرب وفرح حاضت وطمثها الرجل افتضها وايضا جامعها والبعير عقلته فكانه قيل هن ابكار لم يخالط موضع منهن انس ولما كان المراد تعمد الزمان اسقط الجار فقال قبلهم اي المتكئين ولا جان وقد جمع هذا كل من يمكن منه جماع من ظاهر او باطن وفيه دليل على ان الجني يغشي كما يغشي الانس كما نقل عن الزجاج فباي الا ربكما اي النعم الجسام من المربي الكامل العلم الشامل القدرة القيوم تكذبان ابنعمة اللمس من الجهة اليمني ام غيرها مما جعله الله لكم مثالا لهذا من الابكار الحسان او غير ذلك من انواع الاحسان ولما دل ما تقدم من وصف المستمتع بهن بالعزة والنفاسة زاده على وجه افاد انه يكون بهن غاية ما يكون من سكون النفس وقوة القلب وشدة البدن واعتدال الدم وغير ذلك من خواص ما شبههن به كانهن الياقوت الذي هو في صفايه بحيث يشف عن سلكه وهو جوهر معروف قال في القاموس اجوده الاحمر الرماني نافع للوسواس والخفقان وجمود الدم تعليقا والمرجان في بياضه وصغار الدر انصع بياضا قال القزاز والمرجان اللولو وهذا الذي يخرج من نبات البحر احمر معروف انتهي وقد يستفاد من ذلك ان الواهن البياض والحمرة على نوع من الاشراب هو في غاية الاعجاب من الشفوف والصفا وهو مع ذلك ثابت لا يعتريه تغير ليطابق الحديث الذي فيه يري مخ ساقها من وراء سبعين حلة وقال ابو حيان شبههن به فيما يحسن التشبه به فالياقوت في املاسه وشفوفه والمرجان في املاسه وجمال منظره فباي الا ربكما اي النعم البالغة في الحسن من المالك الملك المربي ببدايع التربية تكذبان ابنعمة اللمس من الجهة اليسرى ام غيرها مما جعله مثالا لما ذكر من وصفهن من تشبيه شي بشيين لبلوغ الامر في الحسن الي حد لا يساويه شي واحد ليشبه به فهو كما قيل بيضاء في دعج صفراء في نعج كانها فضة قد شابها ذهب وقد جعل سبحانه الاشيا الشفافة مثالا لذلك وان تري بعض الاجسام يكاد يري فيه الوجه بل في سواد العين اعظم عبرة حيث يري الوجه فيه فان السواد منشا الظلام ولما كان الذي افاده الانسان من النعم ما كان بسبب منه قال سارا لهم بذلك مع ما فيه من لذة المدح لاسيما والمادح الملك الاعلى معظما له بسياق الاستفهام المفيد للاثبات بعد النفي المفيد للاختصاص على وجه الانكار الشديد على من يتوهم غير ذلك هل جزاء الاحسان اي في العمل الكاين من الانس والجن او غيرهم الا الاحسان اي في الثواب فهذا من المواضع التي اعيدت فيها المعرفة والمعني مختلف روي البغوي بسنده عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزا من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وذلك جزا الاحسان العبد في العمل في مقابلة احسان ربه اليه بالتربية فباي الا ربكما اي النعم العظيمة الحسن من السيد الكريم الرحيم الجامع لاوصاف الكمال تكذبان ابنعمة اللمس من جهة العوق ام غيرها مما جعله الله سبحانه مثالا في ان من احسن توبل بمثل احسانه وهذه الاية ختام ثمان ايات جا به على العمل الموصل الي الثمانية الابواب الكاينة لجنة المقربين والله الهادي ولما كان قد علم بما ذكر اول هذا الكلام من الخوف مع ذكر وصف الاكرام واخره من ذكر الاحسان ان هذا الفريق محسنون وكان من المعلوم ان العاملين طبقات وان كل طبقة اجرها على مقدار اعمالها اقتضى الحال بيان ما اعد لمن دونهم فقال ومن دونهما اي من ادني مكان ورتبة تحت جنتي هولا المحسنين المقربين جنتان اي لكل واحد ممن دون هولا

الغريبة مع

المحسنين

المحسنين من الخايفين وهم اصحاب اليمين قال ابن عباس رضي الله عنهما دونهما في الدرج وجعل ابن برجان الجنان الاربع موزعة بين الكل وان تخصيص هذه العدة اشارة الي انها تكون جامعة لما في فصول الدنيا الاربعة الشتا والربيع والصيف والخريف وفسر بذاك قول النبي صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وجنتان من فضة انيتهما وما فيهما ثم جوز ان يكون المراد بالدون الادني الي الانسان وهو البرزخ فتكون هاتان لسعدا اهل البرزخ كما كان وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك من عذاب القبر فباي الا ربكما اي المحسن بنعمه السابغة الي الاعلي ومن دون تكذبان ابنعمة اللمس من جهة التحتام غيرها مما جعله في الدنيا مثالا لهذا من ان بعض البساتين افضل من بعض الي غير ذلك من انواع التفضيل ولما كان ما في هاتين من المادون ما في السابقتين فكان ربما ظن ان ما مما لا يقوم بالي كفايتهما قال مدهامتان اي خضراوان خضرة تضرب من شدة الري الي السواد من المدهمة قال الاصبهاني الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وفي الاولين الاشجار والفواكه فباي الا ربكما اي نعم المحسن الي العالي منكما ومن دونه بسعة رحمته تكذبان ابنعمة الذوق من جهة الامام ام غيرها مما جعله مثالا لذلك من جنات الدنيا الكثيرة الري وغيره ولما ذكر ما يدل على ريهما حققه بقوله فيهما اي في كل من جنتي كل شخص منهم عينان نضاختان اي تفوران بشدة توجبهما رشاشا بحيث لا ينقطع ذلك ولم يذكر جريهما فكانهما بحيث تروبان جنتيهما ولا تبلغان الجري والنضخ دون الجري وفوق النضح قال الاصبهاني واهل النضخ اي بالمعجمة الرش انتهي وكانهما لمن تغرغر عيناه بالدمع فممتليان من غير جري وقال ابن برجان ما معناه ان عدم جريهما لكونهما على مثال جنتي خريف ما ههنا وشتا لبعد عهدهما بنزول الما وسكناه في اعماق الارض لينعكس بالنبع والفوران صاعدا مع ان الجنة لا مطر فيها فباي الا ربكما اي نعم المربي البليغ الحكمة في التربية تكذبان ابنعمة الذوق من جهة ما ورا اللسان ام غيرها مما جعله مثالا لذلك من الاعين التي تفور ولا تجري والانابيب المصنوعة للفوران لانها بحيث ترزق لصعودها بقوة نبعها ورششها وغير ذلك من النعم الكبار وغيرها ولما ذكر الري والسبب فيه ذكر ما ينشا عنه فقال فيهما فاكهة لا من كل الفاكهة وخص اشرفها واكثرها وجدانا في الخريف والشتا كما في جنان الدنيا التي جعلت مثالا لهاتين فقال ونخل ورمان فان كلا منهما فاكهة وادام فلذا اخصنا تشريفا وتنبيها على ما فيهما مع التفكه وان لما اعم نفعا واعجب خلقا فلذا قدم فباي الا ربكما اي نعم المحسن اليكما ايها الثقلان بجليل التربية تكذبان ابنعمة الذوق من اليمين ام غيرها مما جعل مثالا لهذا من جنان الدنيا وغير ذلك ولما كان ما ذكر لا تكمل لذته الا بالانيس وكان قد ورد انه يكون في بعض ثمار الجنة وحمل اشجارها نسا وولدان كما ان امثال ذلك في باطن الدنيا وجعلنا من الما كل شي حي قال جامعا على نحو ما مضي من الاشارة الي ان الجنتين لكل واحد من افراد هذا الصنف فيهن اي الجنان الاربع او الجنان التي خصت السكان وجوز ابن برجان ان يكون الضمير للفاكهة والنخل والرمان فانه يتكون منها نسا وولدان في داخل قشر الرمان ونحوه خيرات اي نسا بليغ ما فيهن من الخير اصله خير مثقلا لان خير الذي للتفضيل لا يجمع جمع سلامة ولعله خفف لا تصافهن بالخفة في وجودهن وجميع شانهن ولكون هاتين الجنتين دون ما قبلهما حسان اي في غاية الجمال خلقا وخلقا فباي الا ربكما اي نعم الكامل الاحسان اليكما تكذبان ابنعمة الذوق من جهة اليسار ام غيرها مما جعله مثالا لتكوين النسا والولدان والملابس والحلي من ثمار الاشجار والزروع من المياه التي العيش فيها التوليد وغير ذلك مما تظهره الفكرة لاهل العبرة لان كل ما في الجنة

جنتان

وتقبل كل ما جا من عنده تعالى فلذلك كانت نعمه لا تنقطع أصلاً بل كلما تم دور منها ابتدا دور آخر جديد
وهكذا على وجه لا انقطاع له أبداً كما أن الواحد الذي هو أصل العدد لا انتها له أصلاً. وهذه النعمة
هي الدالة على الراحة الدايمة التي هي المقصودة بالذات على وجه لا يرى أعزب منه ولا أشرف فقال
تعالى مبيناً حال المحسنين ومن دونهم مشركاً لهم في الراحة على ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر **متكئين** أي لهم ذلك في حال الاتكاء بدناً لأنه لا شغل لهم بوجه إلا التمتع **على رفرف** أي ثياب
ناعمة وفرش رقيقة النسج من الديباج لينة ووسايد عظيمة ورياض باهرة وبسط لها أطراف فاضلة
ورفرف السحاب هيدبه أي ذيله المتدلي. **ولما** كان الأخضر أحسن الألوان وأبهجها قال **خضر**
وعبقري أي متاع كامل من البسط وغيرها هو في كماله وغرابته كأنه من عمل الجن لنسبته إلى بلد لهم
قال في القاموس عبقر موضع كثير الجن وقرية ثيابها في غاية الحسن والعبقري الكامل من كل شي والسيد
الذي ليس فوقه. وقال الرازي هو الطنافس المخملة وقال ابن جرير الطنافس الثخان. وقال العشيري
العبقري عند العرب كل ثوب موشى. وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريه. وقال قطرب ليس هو من المنسوب بل هو
بمنزلة كرسي وبختي. **ولما** كان المراد به الجنس دل على كثرته بالجمع مع التعبير بالمفرد إشارة إلى وحدة
تكامله بالحسن فقال **حسان** أي هي في غاية من كمال الصنعة وحسن المنظر لا توصف **فبأي آلاء ربكما**
أي النعم العظيمة من المحسن الواحد الذي لا محسن غيره ولا إحسان إلا منه ولا تعد نعمه ولا يحصى ثنا عليه
تكذبان وبهذه الآية تمت به النعم الثمان المختصة بجنة أصحاب اليمين إشارة إلى أن العمل لأبوابها الثمانية
والله الموفق. **ولما** دل ما ذكر في هذه السورة من النعم على إحاطة مبدعها بأوصاف الكمال ودل
بالإشارة بالنعمة الأخيرة على أن نعمه لا نهاية لها لأنه مع أنه له الكمال كله متعال عن كل شايبة نقص فكانت
ترجمة ذلك قوله في ختام نعم الآخرة مناظراً لما تقدم من ختام نعم الدنيا معبراً هناك بالبقا لما ذكر قبله

من الفنا وهنا بما من البركة إشارة إلى أن نعمه لا انقضا لها **تبارك** قال ابن برجان تفاعل من البركة
ولا يكاد يذكر جل ذكره إلا عند أمر معجب انتهى. ومعناه ثبت ثباتاً لا تسع العقول جميع وصفه لكونه على
صيغة المفاعلة المفيدة لبذل الجهد إذا كانت مع من تمكن منازعته. وذلك مع اليمن والبركة والإحسان
ولما كان تعظيم الاسم أبعد وأبلغ في تعظيم المسمى قال **اسم ربك** أي المحسن إليك بإنزال هذا
القرآن الذي جبلك على متابعته فصرت مظهراً له وصار خلقاً لك فصار إحسانه إليك فوق الوصف.
ولذلك قال واصفاً للرب في قراءة الجمهور **ذي الجلال** أي العظمة الباهرة فهو المنتقم من الأعدا **والإكرام**
أي الإحسان الذي لا تمكن الإحاطة به فهو المتصف بالجلال الأقدس المقتضي لفيض الرحمة على جميع الأوليا
وقرأ ابن عامر ذو صفة للاسم. وكذا هو في مصاحف أهل الشام والوصفان الأخيران شبه الاحتباك لأنه
حذف من الأول لمتعلق الصفة وهي النقمة للأعدا ومن الثاني أثر الإكرام وهو الرحمة للأوليا فإثبات
الصفة أولاً يدل على حذف ضدها ثانياً وإثبات الفعل ثانياً يدل على حذف ضده أولاً. وقال الرازي
كأنه يريد بالاسم الذي افتتح به السورة **وقد** انعطف آخر السورة على أولها على وجه أعم
فيشمل الإكرام بتعليم القرآن وغيره والانتقام بإدخال النيران وغيره والله الموفق.

مقصودها شرح أحوال الأقسام الثلاثة المذكورة في الرحمن الأوليا من السابقين واللاحقين
والأعدا المشاقين من المصارحين والمنافقين من الثقلين للدلالة على تمام القدرة بالفعل بالاختيار
الذي دل عليه آخر الرحمن بإثبات الكمال. ودل عليه آخرهن بالتنزيه بالنفي لكل شايبة نقص ثم الإثبات
بوصف العظمة لجميع الكمال من الجلال والجمال ولو استوى الناس لم يكن ذلك من بليغ الحكمة فإن استواهم
يكون شبهة لأهل الطبيعة واسمها الواقعة دال على ذلك بتأمل آيته وما تعلق الظرف به **بسم الله** الذي
له الكمال كله فتفاوت بين الناس في الأحوال **الرحمن** الذي عم بنعمة البيان وفاضل في قبولها بين أهل
الإدبار وأهل الإقبال **الرحيم** الذي أقبل بأهل حزبه إلى قربه ففازوا بمحاسن الأفعال. **لما** صنف
سبحانه الناس في تلك إلى ثلاثة أصناف مجرمين وسابقين ولاحقين وختم بعلة ذلك وهو أنه ذو الانتقام
والإكرام شرح أحوالهم في هذه السورة وبين الوقت الذي يظهر فيه إكرامه وانتقامه بما ذكر في الرحمن
غاية الظهور فقال بانياً على ما أرشد السياق إلى أن تقديره يكون ذلك كله كوناً يشترك في علمه الخاص
والعام **إذا وقعت الواقعة** أي التي لا بد من وقوعها ولا واقع يستحق أن يسمى الواقعة بلام الكمال
وتا المبالغة غيرها وهي النفخة الثانية التي يكون عنها البعث الأكبر الذي هو القيمة الجامعة لجميع الخلق
للحكم بينهم على الانفراد الظاهر الذي لا مدعي للمشاركة فيه بوجه من الوجوه ويجوز أن يكون إذا منصوباً
بمحذوف لتذهب النفس فيه كل مذهب فيكون أهول أي إذا وقعت كانت أمور يضيق عنها نطاق الحصر
ولما كان هذا معناه الساعة التي أبرم القضا بأنه لا بد من كونها عبر عنه بانياً على مبتدا محذوف
فقال **ليس لوقعتها** أي تحقق وجودها **كاذبة** أي كذب عبر عنه باسم الفاعل للمبالغة بأنه ليس في
أحوالها شي يمكن أن ينسب إليه كذب ولا يمشي فيها كذب أصلاً ولا يعترض عليه بل كلما أخبر بمجيئه جا من غير
أن يرده شي وكلما أخبر بنفيه انتفى فلا يأتي فيه شي وقرر عظمتها وحقق ثبت الأمور فيها بقوله مخبراً عن
مبتدا محذوف **خافضة** أي هي لمن يشا الله خفضه من عظما أهل النار وغيرهم ممن يشاوه من الجبابرة وغيرها
إلى أسفل سافلين **رافعة** أي الضعفا أهل الجنة وغيرهم من منازلهم وغيرها مما يشاوه إلى عليين
لا راد لأمره ولا معقب لحكمه **ولما** كان في هذا من الهول ما يقطع القلوب الواعية الكاملة وزاد ما شا

منه بقوله مبدلا من الظرف الاول بعض ما يدخل في الخفض والرفع اذا رجت الارض اي كلها على سعتها
وثقلها بايسر امر رجا اي زلزلت زلزالا شديدا بعنف فانخفضت وارتفعت وانتفضت باهلها انتفاضا
شديدا قال البغوي واصل الرج في اللغة التحريك ولما ذكر حركتها المزعجة اتبعها غايتها فقال
وبست الجبال اي فتتت على صلابتها وعظمها بادنى اشارة وخلط حجرها بترابها حتى صار اشيا واحدا
وصارت كالعهن المنفوش وسيرت فكانت تمر مر السحاب بسا فكانت اي بسبب ذلك هبا اي غبارا
هو في غاية الانمحاق والى شدة لطافته اشار بصيغة الانفعال فقال منبثا اي منتشرا متفرقا بنفسه
من غير حاجة الى هوا يفرقه فهو كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل من كوة ولما ذكر غاياته
مباديها المرجفة المرهبة ذكر مبادي غاياتها فقال وكنتم اي قسمتم بما كان في جبلاتكم وطباعكم في
الدنيا ازواجا ثلثة اي اصنافا لا تكمل حكمة صنف منها الا بكونه قسمين اعلى ودونه ليكون ذلك ادل
على تمام القدرة وهم اصحاب الميمنة المنقسمون الى سابقين وهم المقربون ولاحقين وهم الابرار اصحاب
اليمين وكانهم من ادنى القلب الذي هو العدل والسوا من اصحاب المشامة الى اخر الميمنة فاصحاب السو
هم المقربون وبقية اصحاب الميمنة اصحاب اليمين واصحاب المشامة هم القسم الثالث وكل من الثلاثة
منقسم الى اعلى ودونه وقد بينت الاقسام الثلاثة اخر السورة قال البيضاوي وكل صنف يكون
او يذكر مع صنف اخر زوج ولما قسمهم الى الثلاثة اقسام فرع تقسيمهم ذكر احوالهم وابتدا ذلك
بالاعلام بانه ليس الخبر كالخبر كما انه ليس العين كالاثر فقال فاصحاب الميمنة اي جهة اليمين وموضعها
واعمالها ثم فخم امرهم بالتعجيب من حالهم بقوله مبنيا على انهم اهل لان يسال عن حالهم فيما تعمه اليمين
من البركة والخير فكيف اذا عبر عنها بصيغة مبالغة فقال ما وهو مبتدا ثان اصحاب الميمنة والجملة
عن الاولى والرابط تكرار المبتدا بلفظه قال ابو حيان واكثر ما يكون ذلك في موضع التهويل والتعظيم
وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تقدم الاعذار في السورتين المتقدمتين والتقرير على عظيم البراهين
واعلم في اخر سورة القمر ان كل واقع في العالم فبقضايه سبحانه وقدره انا كل شي خلقناه بقدر وكل
شي فعلوه في الزبر واعلم سبحانه في الواقعة بانقسامهم الاخراوي فافتتح بذكر الساعة اذا وقعت الواقعة
الى قوله وكنتم ازواجا ثلثة فتجردت هذه السورة للتعريف باحوالهم الاخراوية وصدرت بذلك كما جرد
في السورتين قبل التعريف بحالهم في هذه الدار وما الجزا في السور الثلاث جاريا على غير هذا الاسلوب
فمحكم استدعا الترغيب والترهيب لطفا بالعباد ورحمة ومطالعها مبنية على ما ذكرته تصريحا لا تلويحا
وعلى الاستيفا لا بالاشارة والايما ولهذا قال تعالى في اخر القصص افتراقهم الاخراوية في هذه
السورة هذا نزلهم يوم الدين فاخبر ان هذا حالهم يوم الجزا وقد قدم حالهم الدنياوي في السورتين
قبل وتاكد التعريف المتقدم فيما بعد وذلك قوله فاما ان كان من المقربين الى خاتمتها انتهى ولما
ذكر الناجين بقسميهم اتبعهم اضدادهم فقال واصحاب المشامة اي جهة الشوم وموضعها واعمالها
ثم عظم ذمهم فقال ما اصحاب المشامة اي انهم اهل لان يسال عما اصابهم من الشوم والشر والسو
بعظيم قدرته التي ساقتهم الى ما وصلوا اليه من الخزي الذي لا يفعله بنفسه عاقل بل ولا بهيمة مع ما
ركب فيهم من العقول الصحيحة والافكار العظيمة وصان الاولين عن خذلان هولا فاوصلهم الى النعيم
المقيم ولما ذكر القسمين وكان كل منهما قسمين ذكرا على اهل القسم الاول ترغيبا في حسن حالهم ولم
يقسم اهل المشامة ترهيبا من سوء مالهم فقال والسابقون اي الى اعمال الطاعة اصحاب الجنتين
الاوليين في الرحمن وهم اصحاب القلب السابقون اي هم الذين يستحقون الوصف بالسبق لا غير
لانه لا منزلة اعلى من منزلتهم فلذلك سبقوا الى جنتيهم وهم قسمان كما ياتي عن الرازي وعن المهدوي

ان

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال السابقون الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سيلوه بذلوه وحكموا
للناس كحكمهم لانفسهم ولما بين علو شانهم ونسب السبق اليهم ترجمه نازعا للفعل منهم بقوله اوليك اي
العالوا الرتبة جدا من اصحاب الميمنة المقربون اي الذين اصطفاهم الله تعالى للسبق فارادهم لقربه
او انعم عليهم بقربه ولولا فعله في تقريبهم لم يكونوا سابقين قال الرازي في اللوامع المقربون تخلصوا
من نفوسهم فاعمالهم كلها لله دنيا ودينا من حق الله وحق الناس وكلاهما عندهم حق الله والدنيا عندهم
اخرتهم لانهم يراقبون ما يبدو لهم من ملكوته فيتلقونه بالرضى والانقياد وهم صنفان صنف قلوبهم
في جلاله وعظمته هايمة قد ملكتهم هيبتهم فالحق يستعملهم وصنف اخر قد ارخى من عنانه فالامر عليه اسهل
لانه قد جاوز بقلبه هذه الخطة ومحله اعلى فهو امين الله في ارضه فيكون الامر عليه اوسع انتهى ثم بين
تقريبه لهم بقوله في جنات النعيم اي الذي لا نعيم غيره لانه لا كدر فيه بوجه ولا منغص والصنف
الاخر منهم هم المتقربون والمشاقون من اصحاب المشامة اوليك المغضوب عليهم المبعدون ومن دونهم
الضالون المبعدون وهم اصحاب الشمال ولما ذكر السابقين فصلهم فقال ثلة اي جماعة كثيرة
حسنة وقال البغوي والثلة جماعة غير محصورة العدد من الاولين وهم الانبيا الماضون عليهم
السلام ومن امن بهم من غير واسطة رضي الله عنهم فقد كان الانبيا عليهم السلام مائة الف واربعة وعشرين
وقليل من الاخرين وهم من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم بغير واسطة رضي الله عنهم صح
الفا وكان من خرج مع موسى عليه السلام من مصر وهو مومن به من الرجال المقاتلين ممن هو فوق
العشرين ودون الثمانين ستماية الف فما ظنك بمن عداهم من الشيوخ ومن دون العشرين من الباقين
والصبيان ومن النسا فكيف بمن عداه من ساير النبيين عليهم الصلاة والسلام المجددين من بني
اسرايل وغيرهم وقيل الثلة والقليل كلاهما من هذه الامة رواه الطبراني وابن عدي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وفيه ابان ابن ابي عياش وهو متروك ورواه اسحق بن راهويه ومسدد وابو داود الطيالسي
وابراهيم الحربي والطبراني من رواية علي بن زيد وهو ضعيف عن عقبة بن صهبان عن ابي بكرة رضي الله
عنه مرفوعا وموقوفا والموقوف اولى بالصواب وتطبيقه على هذه الامة وهو سوا كان مرفوعا او موقوفا
صحيح لا غبار عليه فيكون الصحابة رضي الله عنهم كلهم من هذه الثلة وكذا من تبعهم باحسان الى راس القرن
الثالث وهم من لا يحصيهم الا الله ومن المعلوم انه تناقص الامر بعد ذلك الى ان صار السابق في الناس
اقل من القليل لرجوع الاسلام الى الحال الذي بدا عليه من الغربة بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا
فطوبى للغربا ويجوز ان يقدر ايضا وثلة اي جماعة كثيرة هلكى من الاولين وهم المعاندون من الامم الماضين
وقليل من الاخرين وهم المعاندون من هذه الامة ولما ذكر السابقين في الخير بصنفيهم مشيرا الى
السابقين في الشر بصنفيهم ذكر جزا اهل الخير ليعلم منه جزا اوليك فقال مبينا انهم ملوك لكن ملكهم لا تنافس
فيه ولا تحاسد بل هو كله تقابل بالوداد والصفا على سرر وهو ما يسر الانسان من المقاعد العالية
المصنوعة للراحة والكرامة التي هي اية الملك وهو العرش موضونة اي منسوجة نسجا مضاعفا
مفضودا ادخلا بعضه في بعض مقارب النسج محبا كالدرع لكن نسجها بالذهب مفصلا بالجوهر من الدر
والياقوت ولما ذكر السرر وبين عظمها ذكر غايتها فقال متكين اي متكين بهيئة المتربع او غيرها على
الجنب او غيره عليها ولما كان الجمع اذا كثر كان ظهور بعض اهله الى بعض اعلم ان جموع اهل الجنة على
غير ذلك فقال متقابلين فلا بعد ولا مدابرة لا ينظر بعضهم الى قفا بعض ولا يكره بعضهم بعضا ولما
كان المتكي قد يصعب عليه القيام لحاجته قال يطوف عليهم اي لكفاية كل ما يحتاجون اليه ولدان
على احسن صورة وزي وهيئة مخلدون قد حكم الله ببقايهم على ما هم عليه من الهيئة قال البغوي
تقول العرب لمن كبر ولم يشمط انه مخلد قال ابو الحسن هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابو

عليه ولا سيأت يعاقبون عليها لان الجنة لا ولادة فيها فهم خدام اهل الجنة ولما كان مدحهم هذا في
غاية الابلاغ مع الايجاز وكان فيه باشارته الي تبليغ اما لهم تحريك الي مثل اعمالهم وكان الاكل الذي هو
من اعظم المشارب مشارا اليه بالمدح العظيم الذي من جملة الاستراحة علي الاسرة التي علم من عادة الملوك
انهم يتسنمونها الا بعد قضا الوطر منه فلم يبق بعد الا ما تدعو الحاجة اليه من المشارب وما يتبعها قال تعالي
باكواب اي كيزان مستديرة الافواه بلا عري ولا خراطيم لا يعوق الشارب منها عايق عن شرب من اي موضع
اراد منها فلا يحتاج ان يحول الانا عن الحالة التي تناوله بها ليشرب ويمكن ان تكون البداة بالشراب لما
نالوا من العطش كالمن يشرب من الحوض فيكون حينئذ قبل الاكل والله اعلم واباريق اي اواني لها عري
وخراطيم فيها من انواع المشارب ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وكاس اي انا معد للشرب فيه الشرا
او الشراب نفسه ولما كان الشراب عاما بينه بقوله من معين اي خمر جارية صافية صفا الماء ليس
يتكلف عصرها بل تنبع كما ينبع الماء ولما اثبت نفعها وما يسوق اليها نفي ما ينفر عنها فقال لا يصدعون
اي بصداع يوجب المجاوزة عنها اي بوجع في الراس ولا تنزف للملالة ولا ينزفون اي يذهب بعقولهم
بوجه من الوجوه او ينزع شرابهم من نزفت البير اذا نزح ماؤها كله ونزف فلان ذهب عقله او سكر وبني
الفعلان للمجهول لانه لم تدع حاجة الي معرفة الفاعل قال الرازي في اللوامع قال الصادق لا تذهل
عقولهم عن موارد الحقايق عليهم ولا يحجبون عن مجالس المشاهدة بحال ولما بدا بالالذ الهاضم
للاكل تلاه بما يليه مما يدعو اليه الهضم مصرحا به بعد التلويح فقال وفاكهة مما يتخيرون اي هو بحيث
لو كان فيها جيد وغيره فاختاروا وبالغوا في التنقية لكان مما ينفع التخير عليه ولما ذكر ما جرت العادة
بتناوله لمجرد اللذة اتبعه ما العادة انه لاقامة البنية وان كان هناك لمجرد اللذة ايضا فقال ولحم
طير ولما كان في لحم الطير ما يرغب عنه احترز عنه بقوله مما يشتهون اي غاية الشهوة بحيث يجد
اخره من اللذة ما لاوله ولما لم يكن بعد الاكل والشرب اشهي من الجماع قال عاطفا علي ولدان
وحور عين اي يطفن عليهم وجره حمزة والكسايي عطفا علي سرر فان النسا في معني المتكا لانهن
يسمين فراشا ولما كان المثل في الاصل الشي نفسه كما مضي في الشوري قال كامثال اي مثل اشخاص
اللولو المكنون اي المصون في الصدف عما قد يدنسه ولما ابلغ في وصف جزايهم بالحسن والصفا
دل علي ان اعمالهم كانت كذلك لان الجزا من جنس العمل فقال جزا اي فعل لهم ذلك لاجل الجزا بما كانوا
جبلة وطبعا يعملون اي يجددون عمله علي جهة الاستمرار ولما اثبت لها الكمال وجعله لهم نفي عنها
النقص فقال لا يسمعون اي علي حال من الاحوال فيها لغوا اي شيا مما لا ينفع فان انكا ما يسمع الحكيم ذلك
واللغو الساقط ولا تاثيما اي ما يحصل به الاثم او النسبة الي الاثم بل حركاتهم وسكناتهم كلها رضي
لله وما قطع قلوب السايرين الي الله الا هاتان الخصلتان بينا احدهم يبني ما ينفعه مجتهدا في البنا اذا هو
قد غلبه طبعه فهدم اكبر ما بني وبينا يظن انه قد قرب اذا هو قد تحقق بمثل ذلك انه قد بعد نزحت داره
وشط مزاره فالله المستعان ولما كان الاستثنا معيارا للعموم ساق بصورة الاستثنا قوله الا قيلا
اي هو في غاية اللطافة والرقة بما دل عليه المبني علي ما قبلها مجانس مع ما تدل عليه مادة قول ولما
شوق اليه بالتعبير بما ذكر بينه بقوله سلاما ودل علي دوامه بتكريره فقال سلاما اي لا يخطر في
النفس ولا يظهر في الحس منهم قول الا دالا علي السلامة لانه لا عطب فيها اصلا وساقه مساق الاستثنا
المتصل دلالة علي انه ان كان فيها لغو فهو ذلك حسب وهو ما يوذيهم وينعمهم ويبشرهم مع انه دال علي حسن
العشرة وجميل الصحبة وتهذيب الاخلاق وصفا المودة ولما اتم سبحانه القسم الاول العلي السوابق
العدلي من الثلثة بقسميه وذكر في جزايه مما لا اصحاب المدن ما لا يمكنهم الوصول اليه عطف عليه الثاني

الذي هو دونه كذلك وهم والله اعلم الابرار وهم ايضا صنفان وذكر في جزايهم من جنس ما لاهل البوادي
اعني ما يتصورونه ويتمنونه فقال واصحاب اليمين ثم فخم امرهم واعلي مدحهم لتعظيم جزايهم والاشارة
الي انهم اهل لان يسال عن حالهم فانها في غاية الاعجاب فقال ما اصحاب اليمين ولما عبر عنهم بما افهم
انهم اولوا القوة والجد في الاعمال والبركة في جميع الاحوال ذكر عيشهم كالفاكهة لان عيش الجنة كله تفكه
ذاكرا منها ما ينبت في بلاد العرب من غير كلفة لغرس ولا خدمة واشار الي كثرة ما يذكره بان جعله ظرفهم
فقال من غير ذكر لسرير الملك الذي حبا به المقربين من الملك ولم يزد علي لذات الماكول وما معه
مما يتصور للبهايم في سدر اي شجر نبق متدلي الاغصان من شدة حمله من سدر الشعر اي سدله
مخضود اي مع انه لا شوك له ولا عجم بحيث ينثني اغصانه من شدة الحمل من خضد الشوك قطعه والغصن
ثناه وهو رطب وفي ذكر هذا تنبيه علي ان كل ما لا نفع فيه او فيه نوع اذي له في الجنة وجود كريم لان
الجنة انما خلقت للنعيم ولما ذكر ما يطلع في الجبال والاماكن المعطشة والرمال اتبعه ما لا يطلع الا علي
المياه دلالة علي ان اماكنهم في غاية السهولة والري فقال وطلح اي شجر موز او نخل وقال الحسن شجر له
ظل بارد طيب وقال الفرا وابو عبيدة شجر عظام لها شوك وقيل هو ام غيلان وله نور كثير طيب
الرايحة ويحكي عن ابي تراب النخشبي انه كان سايرا مع قوم من الصوفية علي قدم التوكل فجاعوا اياما فقال
اتريدون ان تاكلوا قالوا نعم فضرب بيده علي شجرة ام غيلان فاذا عليها عراجين موز فاكلوا الا شابا منهم
فقال لا اكل ولا اصحبك بعدها لاني كنت اسير بلا معلوم وقد صرت انت الان معلومي كلما جعت التفت
اليك منضود اي منظوم بالحمل من اعلاه الي اسفله متراكم متراكب بعضه علي بعض علي ترتيب هو في غاية
الاعجاب قال في القاموس الطلح شجر عظام والطلع والموز والطلع من النخل شي يخرج كانه نعلان
مطبقان والحمل بينهما منضود والطرف محدد او ما يبدو من ثمرته اول ظهورها ولما ذكر ما لا يكون الا
في البلاد الحارة قال وظل ممدود اي مستوعب للزمان والمكان فهو دايم وطلوع الشمس لافنا له ولا
نهاية ولما كان ما ذكر من الري لا يستلزم الجري قال وما مسكوب اي جار في منازلهم من غير
اخدود لا يحتاجون فيه الي جلب من الاماكن البعيدة ولا ادلا في بير كما لاهل البوادي ولما ذكر ما
تقدم عم بقوله وفاكهة كثيرة اي اجناسها وانواعها واشخاصها ولما كانت لا تكون عندنا الا في
اوقات يسيرة بين ان امر الجنة علي غير ذلك فقال لا مقطوعة ولما كانت في الدنيا قد يعز التوصل
اليها مع وجودها لشي من الاشيا اقله صعود الشجرة او التحجير بجدار او غيره قال ولا ممنوعة ولما
كان التفكه لا يكمل الا للتلذذ به الا مع الراحة قال وفرش مرفوعة اي هي رفيعة القدر وعالية
بالفعل لكثرة الحشو ولتراكم بعضها علي بعض ولانها علي السرر وروي البغوي من طريق النسايي
عن ابي سعيد وابي هريرة رضي الله عنهما ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ارتفاعها كما بين السما والارض
مسيرة خمسماية عام ولما كانت النسا تسمي فرشا قال تعالي معيدا للضمير علي غير ما يتبادر الي الذهن
من الظاهر علي طريق الاستخدام مؤكدا لاجل انكار من ينكر البعث انا اي بما لنا من العظمة التي لا
يتعاظمها شي انشاناهن اي الفرش التي معناها النسا من اهل الدنيا بعد الموت ولو عن الهرم والعجز
بالبعث وزاد في التاكيد فقال انشا اي من غير ولادة بل جمعناهن من التراب كما فعلنا بساير المكلفين
ليكونوا كابيهم ادم عليه السلام في خلقه من تراب لتكون الاعادة كالبداة ولذلك يكون الكل عند دخول
الجنة علي شكله عليه السلام ويجوز ان يراد بهن الحور فيكون انشا مبتدعا لم يسبق له وجود ولما
كان للنفس اتم التفات الي الاختصاص وكان الاصل في الانثي المنشاة ان تكون بكرا نبه علي ان المراد
بكارة لا تزول الا حال الوطي ثم تعود فكلما عاد اليها وجدها بكرا فقال فجعلناهن اي الفرش

الثيبات وغيرهن بعظمتنا المحيطة بكل شي ممكن **ابكارا** اي بكارة دايمة لانه لا تغير في الجنة ولا نقص ولما
كان مما جرت به العادة ان البكر تنفر من الزوج لما يلحقها بازالة البكارة من الوجع دل على انه لا نكد
هناك اصلا بوجع ولا غيره بقوله **عربا** جمع عروب وهي الغنجة المتحببة الي زوجها قال الرازي في اللوامع
الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب **ولما** كان الاتفاق في السن ادعي الي المحبة ومزيد الالفة قال
اترابا اي على سن واحد وقد واحد بنات ثلاث وثلثين وكذا ازواجهن قال الرازي في اللوامع
اخذ من لعب الصبيان بالتراب انتهي وروي البغوي من طريق عبد عن الحسن قال اتت عجوز النبي
صلي الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان الجنة لا تدخلها عجوز
قالت فولت تبكي قال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالي يقول انا انشاناهن الاية ورواه
الترمذي في الشمايل عنه هكذا مرسلا ورواه البيهقي في كتاب البعث عن عايشة رضي الله عنها والطبراني
في الاوسط من وجه آخر عنها ومن وجه آخر عن انس رضي الله عنه قال شيخنا حافظ عصره ابن حجر وكل
طرقه ضعيفة وروي البغوي ايضا من طريق الثعلبي عن انس ابن مالك رضي الله عنه عن النبي صلي الله
عليه وسلم في هذه الاية قال عجايز كن في الدنيا عمشا رمصا فجعلهن ابكارا ولما كان هذا الوصف
البديع مقتضيا لما يزدهي النفس منه لان يقال لمن هو لا وان كان قد علم قبل ذلك نبه عليه بقوله **لاصحاب**
اليمين ويجوز ان يتعلق باترابا ليكون نصا في انهن على اسنان ازواجهن ولما انهي وصف ما فيه
اهل هذا الصنف علي انهي ما يمكن ان يكون لاهل البادية بعد ان وصف ما للسابقين باعلي ما يمكن ان يكون
لاهل الحاضرة وكان قد قدم المقايسة في السابقين بين الاولين والآخرين فعل هنا كذلك فقال **ثلة**
من الاولين اي من اصحاب اليمين **وثلة** اي منهم **من الآخرين** فلم يبين فيهم قلة ولا كثرة والظاهر
ان الآخرين اكثر فان وصف الاولين بالكثرة لا ينافي كون غيرهم اكثر ليتفق مع قول النبي صلي الله عليه
وسلم ان هذه الامة ثلثا اهل الجنة فانهم عشرون ومايه صف هذه الامة منهم ثمانون صفا ولما اتم
وصف ما فيه الصنفان المحمودان وبه تمت اقسام اصحاب الميمنة الاربعة الذين هم اصحاب القلب
واليمين اتبعه اضدادهم فقال **واصحاب الشمال** اي الجهة التي تتشاءم العرب بها وتعبر بها عن الشي
الاخس والحظ الانقص والظاهر انهم ادني اصحاب المشامة كما كان اصحاب اليمين دون السابقين
من اصحاب الميمنة ثم عظم ذمهم ومصابهم فقال **ما اصحاب الشمال** اي انهم بحال من الشوم هو جدير
بان يسل عنه ولما فخم ذمهم ومعابهم ذكر عذابهم ليعلم ان القسم الاشد منهم في الشوم اشد عذابا فقال
في سموم اي ظرفهم المحيط بهم لفح من لفح النار شديد يتخلل المسام **وحميم** اي ما حار بالغ في الحرارة الي حد
يذيب اللحم ولما كان للتهكم في القلب من شديد الوقد ما يجل عن الوصف والحد قال **وظل** ثم اتبعه
ما صرح بانه تهكم فقال **من يحموم** اي دخان اسود كالحمم اي الفحم شديد السواد بما افهمته الزيادة
وشبه صيغة المبالغة ولما كان المعهود من الظل البرد والاراحة نفي ذلك عنه فقال **لا بارد**
ليروح النفس **ولا كريم** ليوانس به ويلجا اليه ويرجي خيره ويعول في حال عليه لان يفعل ما يفعله
الواسع الخلق الصفوح من الاكرام بل هو مهين سماه ظلا لترتاح النفس اليه ثم نفي عنه نفع الظل
وبركته لينضم حرقان الياس بعد الرجا الي احراق اليحموم فتصير الغصة غصتين ولما انتج هذا انه
علي خلق اللئيم فهو موضع الحرارة والضيق والحسة والشدة علله بقوله **انهم** اكده وان كان فيهم اهل
الضر لاجماعهم في الاسترواح الي منابذة الدين باتباع الشهوات ولان ما مضي لهم بالنسبة الي هذا
العذاب حال ناعم وعبر بالكون دلالة على العراقة في ذلك ولو بتمنيهم له جبلة وطبعا فقال **كانوا**
اي في الدنيا ولما كان ذلك ملازما لاستغراق الزمان بميل الطباع نزع الجار فقال **قبل ذلك**

ي

اي الامر العظيم الذي وصلوا اليه **مترفين** اي في سعة من العيش متمكنين في الشهوات مستمتعين
بها متمكنين فيها لترامي طباعهم اليها فاعقبهم ما في جبلاتهم من الاخلاد الي الترف عدم الاعتبار والاتعاظ
في الدنيا والتكبر علي الدعاة الي الله وفي الاخرة شدة الالم لرقة اجسامهم المهياة للترف بتعودها بالراحة
باخلادها اليها وتعويلها عليها **وكانوا** اي مع الترف **يصرون** اي يقيمون ويدومون علي سبيل
التجديد بما لهم من الميل الجبلي الي ذلك **علي الحنث** اي الذنب ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم
الذي هو وقت المواخذة بالذنب ويطلق الحنث علي الكذب والميل الي الاباطيل واليمين والغموس
ونقض العهد المؤكد ولما كان ذلك قد يكون من المعهود مما يغتفر بكونه صغيرا او في وقت يسير
قال **العظيم** دالا علي انهم يستهينون العظايم من القبايح والفواحش ولما وصفهم بالترف
والاصرار علي السرف وكان ذلك بلازم البطالة وكان يلزم عنها الغباوة او العناد الموجب للشقاوة
ذكر انكارهم لما لا ابين منه فقال عاطفا علي ما افهمه التعبير عن الاثم بالحنث من نحو فكانوا يقسمون
بالله جهد ايمانهم انهم لا يبعثون وان الرسل كاذبون **وكانوا يقولون** اي انكارا مجددين لذلك
دايما خلافة او عنادا **ايذا** اي انبعث اذا وحذف العامل لدلالة مبعوثين عليه ولا يعمل هو لان الاستفهام
وحرف التاكيد اللذان لهما الصدر معناه **متنا** اي فلم يبق في ردنا ارواحنا طب بوجه **وكنا** اي
كونا ثابتا **ترابا وعظاما** ولما كان استفهامهم هذا الانكار ان يكون في شي من اقامة ابدانهم او رد
ارواحهم طب اعادوا الاستفهام تاكيدا لانكارهم فقالوا **اينا لمبعوثون** اي كاين وثابت
بعثنا ساعة من الدهر واكدوا ليكون انكارهم لما دون المؤكد بطريق الاولي ولما كانت اوهامهم
واقفة مع المحسوسات لجمودهم وكان البلي كلما كان اقوي كان ذلك البالي في زعمهم من البعث
ابعد قالوا مخرجين في جملة فعلية عطفا علي الواو من مبعوثون من غير تاكيد بضمير للفصل بالاستفهام
او آباؤنا اي او يبعث اباونا اي يتجدد بعثهم في حين ما وزادوا الاستبعاد علي ما فهموا بقولهم
الاولون اي الذين قد بليت مع لحومهم عظامهم فصاروا كلهم ترابا ولا سيما ان حملتهم السيول ففرقت
ترابهم في كل اوب وذهبت به في كل صوب وسكن نافع وابن عامر الواو علي ان العاطف او ويجوز
ان يكون العطف علي محل ان واسمها ولما كانوا غاية في الجلافة رد انكارهم باثبات ما نفوه وزادهم
الاخبار بانهم ثم دل علي صحة ذلك بالدليل العقلي لمن يفهمه فقال مخاطبا لاعلي الخلق وارفقهم
بهم لان هذا المقام لا يذوقه حق ذوقه الا هو كما انه لا يقوم بتقريره لهم والرفق بهم غيره **قل** اي
لهم وكل من كان مثلهم واكد لانكارهم **ان الاولين** اي الذين جعلتم الاستبعاد فيهم اولويا
ونص علي الاستغراق بقوله **والآخرين** ودل علي سهولة بعثهم وانه في غاية الثبات بقوله منبها
علي ان تعلم بالموت والبلا تحصيل لا تفويت **لمجموعون** بصيغة اسم المفعول في المكان الذي يكون فيه
الحساب ولما كان جمعهم بالتدريج عبر بالغاية فقال **الي ميقات** اي زمان ومكان **يوم معلوم**
اي معين عند الله ومن شانه ان يعلم بما عليه من الامارات والميقات ما وقت به الشي من زمان
او مكان اي حده ولما كان زمان البعث متراخيا عن نزول القرآن عبر باداته واكد لاجل انكارهم
فقال **ثم** اي بعد البعث بعد الجمع المدرج **انكم** وايد ما فهمته من ان اصحاب الشمال هم القسم
الادني من اصحاب المشامة فقال **ايها الضالون** اي الذين غلبت عليهم الغباوة فهم لا يفهمون
ثم اتبع ذلك ما اوجب الحكم عليهم بالضلال فقال **المكذبون** اي تكذيبا ناشيا عن الضلال والتقليد
بما لا يكذب به الا عريق في التكذيب بالصدق **لآكلون من شجر** منبته النار ولما كان الشجر
معدن الثمار الشهية كالسدر والطلح بينه بقوله **من زقوم** اي شي هو في غاية الكراهة

وبشاعة المنظر ونتن الرائحة والادنى قال ابو عبد الله القزاز في ديوانه الجامع وعبد الحق في واعيه
والزقم شرب اللبن والافراط فيه يقال بات يزقم اللبن زقما ومن هذا الزقوم الذي ذكر الله تبارك
وتعالى وقالا قال ابو حنيفة الزقوم شجيرة غبرا صغيرة الورق لا شوك لها ذفرة لها كعابر في ورقها ولها
ورد يجرسه ونورها ابيض وراس ورقها قبيح جدا وهي مرعي ومنباتها السهل وقال في القاموس في الدال
المهملة الدفر بالتحريك وقوع الدود في الطعام والدل والنتن ويسكن وقال في المعجمة الذفر محركة شدة ذكا
الريح كالذفرة او يخصان برائحة الابط المنتن والنتن وما الفحل والذفرا من الكتاب ذكا الريح السهكة من
الحديد والكبيرة بضمتين وعين ورا مهملتين عقدة انبوب الزرع وعن السهيلي ان ابا حنيفة ذكر في النبات
ان شجرة باليمن يقال لها الزقوم لا ورق لها وفروعها اشبه شي برؤس الحيات وقال البيضاوي شجرة
صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة وفي القاموس والزقمة الطاعون وقال في النهاية فعول من الزقم
اللقم الشديد والشرب المفرط وقال ابن القطاع زقم زقما بلغ وقد علم من مجموع هذا الكلام من تفسيره
بالطاعون تارة والشرب المفرط اخرى ومن اشتراط الاشتراط والشجرة المنتنة والبشعة المنظر انه شي
كريه يضطر آكله الي التملؤ منه بنهمة وهمة عظيمة ومن المعلوم ان الحامل له على هذا مع هذه الكراهة لا يكون
الا في اعلي طبقات الكراهة ولذلك حسن جدا موقع قوله مسببا عن الاكل **فمالئون** اي ملأ هو في غاية الثبات
وانتم في غاية الاقبال عليه مع ما هو عليه من عظيم الكراهة **منها** اي الشجر انثه لانه جمع شجرة او هو اسم
جنس وهم يكرهون الاناث فتانيثه والله اعلم زيادة في تنفيرهم منه **البطون** اي لشي عجيب يضطرهم الي تناول
هذا الكريه مما هو اشد منه كراهة بطبقات من جوع او غيره وان فسرت بما قالوا من انه معروف لهم انه
الزبد بالتمر لم يضر ذلك بل يكون المعنى انهم يتمالؤن منها كملأ من ياكل من هذا في الدنيا مع انه من المعلوم انه
لا شي في النار المعدة للعذاب لمن اعدت لعذابه حسن ولما كان من ياكل كثيرا يعطش عطشا شديدا فيشرب
ما قدر عليه رجا تبريد ما به من حرارة العطش سبب عنه قوله **فشاربون عليه** اي على هذا المأكول او
الاكل **من الحميم** اي الما الذي هو في غاية الحرارة بحيث صوعف احماؤه واغلاؤه ولما كان شربهم الادنى
قطرة من ذلك في غاية العجب اتبعه ما هو اعجب منه وهو شدة تملؤهم منه فقال مسببا عما مضى **فشاربون**
اي منه **شرب** بالفتح في قراة الجماعة وبالضم لنافع وعاصم وحمزة وقري شاذا بالكسر والثلثة مصادر وقال
في القاموس شرب كسمع شربا ويثلث او الشرب مصدر وبالضم والكسر اسمان وبالفتح القوم يشربون
وبالكسر الما والحظ منه والمورد ووقت الشرب والكل يصلح هنا **الهيم** اي الابل العطاش لان بها الهيام
وهو دا يشبه الاستسقا جمع اهيم وقال القزاز جمع هيما وهو اي الهيام بالضم دا يصيب الابل فتشرب
ولا تروي انتهى وقال ذو الرمة • فاصبحت كالهيما لا الما مبرد • صداها ولا يقضي عليها هيامها
ويقال الهيم الرمل ينصب فيه كل ما صب عليه والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى الاكل ثم من
العطش ما يضطرهم الي الشرب على هذه الهيئة ولما كان كانه قيل هذا عذابهم كله قيل تهكما بهم ونكاية
لهم **هذا نزلهم** اي ما يعد لهم اول قدومهم مكانا ما يعد للضيف اول حلوله كرامة له **يوم الدين** اي الجزا
الذي هو حكمة القيمة واذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما ياتي بعده على طريق ما يعتني به فما ظنك بما يكون لمن هو
اعتى منهم من المعاندين وهو في طريق التهكم مثل قول ابي السعر الضبي • وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا •
جعلنا القنا والمرهفات له نزلا • ولما ذكر الواقعة وما يكون فيها للاصناف الثلثة وختم بها
على وجه بين فيه حكمتها وكانوا ينكرونها دل عليها بقوله **نحن** اي لا غيرنا **خلقناكم** اي بما لنا من العظمة
ولعل هذا خطاب للدهرية المعطلة من العرب • ولما كانوا منكرين للبعث عدوا منكرين للابتدا وان
كانوا من المحصلة المقرين بالخالق لانهما لما بينهما من الملازمة لا انفكاك لاحدهما عن الآخر فقال **فلولا** اي

فقيره

اي فتسبب عن ذلك ان يقال تهديدا ووعيدا اهلا ولم لا **تصدقون** اي بالخلق الذي شاهدتموه
ولا منازع لنا فيه فتصدقوا بما لا يفرق بينه وبينه الا ان يكون احق منه في مجاري عاداتكم وهو الاعادة
فتعملوا اعمال العبيد بسا ذاتهم ليكون حالكم حال مصدق بانه مربوب • ولما حضهم على التصديق بالاستدلال
بايجادهم وكان البعث انما هو تحويلهم في صورة بالية الي الصورة التي كانوا عليها من قبل سبب عن تكذيبهم
به مع تصديقهم بالخلق عدم النظر في تبديل الصور في تفاصيله او سبب عن قول من عساه يقول من اهل
الطبايع انا خلقنا من نطفة حدثت بحرارة كامنة فقال **افرأيتم** اي اخبروني هل رايتم بالبصر والبصيرة
انا خلقناكم فيهديكم ذلك الي انا نقدر على الاعادة كما قدرنا على البداة فرايتم **ما تمنون** اي تريقون من
النطف التي هي مني في الارحام بالجماع ولما كانت العبرة بالمسبب لا بالسبب نبه على ذلك بتجريد
الانكار تنبيها على انهم وان كانوا معترفين بتفرده بالابداع فان انكارهم للبعث مستلزم لانكارهم لذلك
فقال **أأنتم تخلقونه** اي توجدونه مقدارا على ما هو عليه من الاستوا والحكمة بعد خلعه من صورة
النطفة الي صورة العلقة ثم من صورة العلقة الي صورة المضغة ثم منها الي صورة العظام والاعصاب
أم نحن خاصة ولما كان المقام لتقرير المنكرين اكد بذكر الخبر المفهوم من السياق على وجه افهم
ان التقرير وانتم الخالقون له ام نحن فقال **الخالقون** اي الثابت لنا ذلك فالآية من الاحتباك ذكر
تخلقون اولا دليلا على حذف مثله له سبحانه ثانيا وذكر الاسم ثانيا دليلا على حذف مثله لهم اولا
وسر ذلك انه ذكر ما هو الاوفق لافعالهم مما يدل على التجدد ولو وقتا ما وما هو الاولى بصفاته
سبحانه مما يدل على الثبات والدوام • ولما كان الجواب انت الخالق وحدك وكان الطبيعي ربما
قال اقتضى ذلك الحرارة الحمرة للنطفة وكانت المفاوتة في الاجال مع المساواة في سمة الحياة من الدلايل
العظيمة على تمام القدرة على الافنا والابدا بالاختيار مبطلة لقول اهل الطبايع دامغة لهم اكد ذلك الدليل
بقوله **نحن** اي بما لنا من العظمة لا غيرنا **قدرنا** اي تقديرا عظيما لا يتعدى سوانا على نقض شي منه
بينكم اي كلكم لم نترك احدا منكم بغير حصة منه **الموت** اي اوجبناه على مقدار معلوم لكل احد لا يتعدا
فقصرنا عمر هذا وربما كان في الاوج من قوة البدن وصحة المزاج فلو اجتمع الخلق كلهم على اطالة
عمره ما قدروا ان يوخروه لحظة واطلنا عمر هذا وقد يكون في الحضيض من ضعف البدن واضطراب
المزاج فلو تمالؤا على تقصيره طرفة عين لعجزوا وانتم معترفون بانه سبحانه رتب افعاله على وجه
الكمال والحكمة البالغة فلو كانت فايدة الموت مجرد القهر لكانت نقصا لكونه يعم الغني والفقير
والظالم والمظلوم فلكان جعل الانسان مخلدا اولى واحكم ففايدته غير مجرد القهر وهي الحمل على
احسان العمل للقاهر خوفا من العرض عليه والمحاسبة بين يديه ثم النقلة الي دار الجزا والترقية الي
العلوم التي البدن حجابها من تمييز الخبيث والطيب والعلم بمقادير الثواب والعقاب وغير ذلك
مما يبصره اولوا الالباب • ولما كان حاصل الموت انه تغيير الصورة التي كانت الي غيرها وكان
من قدر على تحويل صورة شي الي شي قدر على تحويلها الي شي آخر مماثل لذلك الشي قال **وما نحن** اي على
ما لنا من العظمة واكد النفي فقال **بمسبوقين** اي بالموت ولا عاجزين ولا مغلوبين **على ان نبدل**
تبديلا عظيما **أمثالكم** اي صوركم واشخاصكم لما تقدم في الشورى من ان المثل في الاصل هو الشي
نفسه **وننشئكم** اي انشاء جديدا بعد تبديل ذواتكم **فيما لا تعلمون** فان بعضهم تاكله السباع او الحيتان
او الطيور فتنشا ابدانها منه وبعضهم يصير ترابا فربما نشا منه نبات فاكلته الدواب فنشات منه
ابدانها وربما صار ترابه من معادن الارض الذهب والفضة والحديد والحجر ونحو ذلك وقد
لمح الي ذلك قوله تعالي قل كونوا حجارة او حديدا الي آخرها او يكون المعنى كما قال البغوي نانيه

بخلق مثلكم بدلا منكم وتخلقكم فيما لا تعلمون من الصور اي بتغيير اوصافكم وصوركم الي صور اخري بالمسخ
ومن قدر علي ذلك قدر علي الاعادة ولما كان التقدير فلقد علمتم النشاة الثانية النطفية عطف عليه
قوله مؤكدا تنبيها علي انهم لما كانوا يعملون بخلاف ما يعلمون كانوا كانهم منكرون لهذا العلم ولقد علمتم اي
ايها العرب النشاة الاولي اي الترابية لابيكم ادم عليه السلام واللحمية لامكم حوا عليها السلام حيث لم تكن
هناك طبيعة تقتضي ذلك ولا لوجد مثل ذلك بعد ذلك والنطفية لكم وكل منها تحويل من شي الي غيره فالذي
شاهدتم قدرته علي ذلك لا يقدر علي تحويلكم بعد ان تصيروا ترابا الي ما كنتم عليه او الا من الصور ولهذا
سبب عما تقدم قوله فلولا اي فهلا ولم لا تذكرون اي تذكرا عظيما تكرمون انفسكم عليه وان كان فيه خفا
ما بما اشار اليه الادغام من ان الملوم عليه عيب وكذا بعض ما قيس به ان من قدر علي هذه الموجودات من
الابدآت قدر علي الاعادة بل هي اهون في مجاري عاداتكم ولما كان علمهم بامر النبات الذي هو الاية
العظمي لاعادة الاموات اعظم من علمهم بجميع ما مضي وكان امره في الحرث والقا البذر فيه اشبه شي بالجماع
والقا النطفة ولذلك سميت المراة حرثا وصل بما مضي مسببا عنه قوله منكرا عليهم افرايتم اي اخبروني
هل رايتم بالبصر والبصيرة ما نبهنا كم عليه فيما تقدم فتسبب عن تنبهكم لذلك انكم رايتم ما تحرثون
اي تجددون حرثه علي سبيل الاستمرار بتهيئة ارضه للبذر والقا البذر فيه ولما كانوا لا يدعون
القدرة علي الانبات بوجه وكان القادر عليه قادرا علي كل شي وهم يعتقدون في امر البعث ما يودي الي
الطعن في قدرته كرر الانكار عليهم فقال آانتم تزرعونه اي تنبتونه بعد طرحكم البذر فيه وتحفظونه
الي ان يصير ما لا ام نحن اي خاصة واكد لما مضي بذكر الخبر المعلوم من السياق فقال الزارعون اي
المنبتون له والحافظون فالاية من الاحتباك بمثل ما مضي في اختها سوا ولما كان الجواب قطعا انك
الفاعل لذلك وحدك قال موضحا لانه ما زرعه غيره بان الفاعل الكامل من يدفع عما صنعه ما يفسده
ومن اذا اراد افساده لم يقدر احد علي منعه لو نشآ اي لو عاملناكم بصفة العظمة والكرلان فعلهم
فعل الامن من ذلك مع انهم في غاية الاستبعاد لان يهلك زرعهم كلما زرعوه آولان المطعوم اهم من المشروب
واعظم فانه الاصل في اقامة البدن والمشروب تبع له فقال لجعلناه اي بتلك العظمة حطاما اي مكسرا
مفتتا لا حب فيه قبل النبات حتى لا يقبل الخروج او بعد بيرد مفرط او حر مهلك او غير ذلك فلا ينتفع به
فظلتم اي فاقمتم بسبب ذلك نهارا في وقت الاشغال العظيمة وفي كل وقت وتركتم كل ما يهمكم تفكهون
قال في القاموس فكههم بملح الكلام تفكيها اطرفهم بها وفكه كفرح فكها فهو فكه وفاكه طيب النفس
ضحوك او يحدث صحبه فيضحكهم ومنه تعجب كتفكه والتفاكه التمازح وتفكه تندم والانكوهة الاعجوبة
وقال ابن برجان المتفكه هو المتردد في القول الذاهب فيه كل مذهب انتهي فالمعني فاقمتم دايما تندمون
علي انفاقكم او علي معاصيكم التي سببت ذلك التلف او تعجبون او تحدثون في ذلك ولم تعوجوا علي شغل
غيره كما تفعلون عند الاشيا النادرة التي هي في غاية الاعجاب والملاحة والملايمة ولهذا عبر عما
المراد به الاقامة مع الدوام بظل الذي معناه اقام نهارا اشارة الي ترك الاشغال التي تهم ومحلها
النهار وتمنع الانسان من اكثر ما يهمه من الكلام لهذا النازل الاعظم وحذف احدي لامي ظل وتا التفعل
من تفكه اشارة الي ضعف المصابين عن الدفاع في بقايهم وفي كلامهم حال بقايهم الضعيف وكون
المحذوف عين الفعل وهو الوسط اشارة الي خلع القلب واحتراق الجوف والعجز العظيم فلا قدرة لاحد
منهم علي ممانعة هذا النازل بوجه ولا علي تبريد ما اعتراه من حرارة القدر وخوف الفقر بغير الشكاية
الي امثاله ممن يعلم انه لا ضر في يده ولا نفع وربما كان ذلك اشارة الي ان عادته سبحانه قرب الفرج في شدايد
الدنيا ليكون الانسان متمكنا من الشكر لا عذر له في تركه ويكون المعني انكم مع كثرة اعتيادكم للفرج بعد

الشقة

الشقة عن قرب تيأسون اول ما يصدمكم البلا فتقبلون علي كثرة الشكاية ولا تنفعكم كثرة التجارب لادرار
النعم ولما ذكر تفكههم وكان التفكه يطلق علي ما ذكر من التعجب والتندم وعلي التنعم قال الكسايي
هو من الاضداد تقول العرب تفكهت اي تنعمت وتفكهت اي حزنت بين المراد بقوله حكاية لتفكههم انا واكد
اعلاما بشدة ياسهم لمغرمون اي مولع بنا وملازمون بشر دايم وعذاب وهلاك لهلاك رزقنا او ملزمون
بغرامة ما انفقنا ولم ننتفع به وقراة ابي بكر عن عاصم بالاستفهام لانكار هذا الواقع والاستعظام له
والتعجب منه وهي منبهة علي انهم لشدة اضطرابهم من ذلك الحادث مذبذبون تارة يجزمون بالياس والشر
وتارة يشكون فيه وينسبون الامر الي سوء تصرفهم وعليه يدل اضطرابهم بقولهم بل نحن اي خاصة
محرومون اي حرمنا غيرنا وهو من لا يرد قضاوه فلا حظ لنا في الاكتساب فلو كان الزارع ممن له حظ
لافلح زرعه قال في القاموس الغرام الولوع والشر الدايم والهلاك والعذاب والغرامه ما يلزم
اداوه وحرمه منعه والمحروم الممنوع عن الخير ومن لا ينمي له مال والمحارف اي بفتح الرا وهو الممنوع من
الخير الذي لا يكاد يكتسب وقال الاصبهاني في تفسيره والمحروم ضد المرزوق اي والمرزوق المجدود
بالجيم وهو المحظوظ ولما وقفهم علي قدرته في الزرع مع وجود اسبابه وتقدمه لشدة الضرورة اليه
وكان ربما التبس نوع لبس لان لهم فيه سببا في الجملة اتبعه التوقيف علي قدرته علي التصرف في سببه
الذي هو الما الذي لا سبب لهم في شي من امره اصلا فقال مسببا عما افادهم هذا التنبيه مذكرا
بنعمة الشرب الذي يحوج اليه الغذا افرايتم اي اخبروني هل رايتم بالبصر والبصيرة ما نبهنا عليه
مما مضي في المطعم وغيره فرايتم الما ولما كان منه ما لا يشرب وكانت النعمة في المشروب اعظم
قال واصفا له بما اغني عن وصفه بالعذوبة وبين موضع النعمة الذي تشربون ولما كان عنصره
في جهة العلو قال منكرا عليهم مقررا لهم آانتم انزلتموه ولما كان الانزال قد يطلق علي مجرد ايجاد
الشي النفيس وكان السحاب من عادته المرور مع الريح لا يكاد يثبت عبر بقوله تحقيقا لجهة العلو
وتوقيفا علي موضع النعمة في اثباته الي ان تم حصول النفع به من المزن اي السحاب المملو الممدوح الذي
الذي شانه الاسراع في المضي وقال الاصبهاني وقيل السحاب الابيض خاصة وهو اعذب ما
ام نحن اي خاصة واكد بذكر الخبر وهو لا يحتاج الي ذكره في اصل المعني فقال المنزلون اي له رحمة
لكم واحسانا اليكم بتطييب عيشكم علي ما لنا من مقام العظمة الذي شانه الكبر والجبروت وعدم المبالاة
بشي والاية من الاحتباك بمثل ما مضي في الايتين السابقتين سوا ولما كان الجواب قطعا انت وحدك
فعلت ذلك علي غناك عن الخلق بما لك من الرحمة وكمال الذات والصفات قال مذكرا بنعمة اخري
لو نشآ اي حال انزاله وبعده قبل ان ينتفع به ولما كانت صيرورة الما ملحا اكثر من صيرورة النبت
حطاما لم يوكد لذلك وللتنبيه علي ان السامعين لما مضي من التوقيف علي تمام القدرة صاروا في حيز
المعترفين فقال جعلناه اي بما تقتضيه صفة العظمة اجاجا اي ملحا مرا محرقا كانه في الاحشا لهيب النار
الموجج فلا يبرد عطشا ولا ينبت نبتا ينتفع به ولما كان هذا مما لا مساغ لانكاره سبب عنه علي سبيل
الانكار والتحضيض قوله فلولا تشكرون اي فهلا ولم لا تجددون الشكر علي سبيل الاستمرار باستعمال
ما افادكم ذلك من القوي في طاعة الذي اوجده لكم ومكنكم منه وجعله ملايما لطباعكم مشتهي لنفوسكم
نافعا لكم في كل ما تريدونه ولما كانت النار سببا لعصر ما فيه الما فيتحلب فيتساقط كما كان الما سببا
لتشقيق الارض بالزرع ولم يكن لمخلوق قدرة علي التوصل اليها بنوع سبب اتبعه الزرع بالما لذلك
ولبيان القدرة علي ما لا سبب فيه لمخلوق في السفل كما كان انزال الما عريا عن تسببهم في العلو فقال
مسببا عما مضي تنبيها علي انه اهلهم للتامل في مصنوعاته والتبصر في عجايب اياته افرايتم اي اخبروني

هل رايتم بالابصار والبصاير ما تقدم فرايتم النار ولما كان المراد نارا مخصوصة توقفهم علي تمام قدرته وتكشف لهم ذلك كشفا بينا بايجاد الاشيا من اضدادها قال التي تورون اي تستخرجون من الزند فتوقدون بها سوا كان الزند يابسا او اخضر بعد ان كانت خفية فيه لا يظن من لم يجرب ذلك ان فيه نارا اصلا فكان ذلك مثل التورية التي يظهر فيها شي ويراد غيره ثم صارت بعد ذلك الخفا الي ظهور عظيم وسلطنة متزايدة وعظمة باهرة تحرق كل ما لابسها حتي ما خرجت منه والعرب اعرف الناس بامر الزند وذلك انهم يقطعون غصنا من شجر المرخ واخر من العفار ويحكون احدهما علي الاخر فتنقدح منهما النار علي ان النار في كل شجر وانما خص المرخ والعفار لسهولة القدح منهما وقد قالوا في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار ولما كان هذا من عجايب الصنع كرر التقرير والانكار تنبيها عليه فقال ءانتم انشاتم اي اخترعتم واوجدتم وابتدعتم واحييتم وربيتم ووقعتم شجرتها اي المرخ والعفار التي يتخذ منها الزناد التي تخرج منه فاسكنتموها النار مختلطة بالما الذي هو ضدها وخباتموها في تلك الشجرة لا يعدو واحد منها علي الاخر مع المضادة فيغلبه حتي يمحقه ويعدمه ام نحن اي خاصة واكد بقوله المنشيون اي لها بما لنا من العظمة علي تلك الهيئة فمن قدر علي ايجاد النار التي هي ايبس ما يكون من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيتها كان اقدر علي اعادة الطراوة والغضاضة في تراب الجسد الذي كان غضا طريا فيبس وبلي والاية من الاحتباك بمثل ما مضي في اخواتها سوا ولما كان الجواب قطعا انت وحدك قال دالا علي ذلك تنبيها علي عظم هذا الخبر نحن اي خاصة جعلناها بما اقتضته عظمتنا وقدم من منافعها ما اولي بسياق البعث الذي هو مقامه فقال تذكرة اي شيا يتذكر به تذكرا عظيما جليلا كل ما اخبرنا به من امر البعث وعذاب النار الكبري وما نشي فيها من شجرة الزقوم وغير ذلك مما نثيره من العلوم لاولي البصاير والفهوم قال ابن برجان قرن قدح النار من الشجر والزناد وقرن الصيحة بهم وقرن الانشا به الاجسام وقرن انشايه شجرة النار وتذكر بانشايه انشا الحياة في الاجسام وباظهارها في غيبها ان النار الكبري في غيب ما نشاهد وهذا من اثار كونها في الجو اشتي وعلق بها سبحانه كثيرا من اسباب المعايش التي لا غني عنها ليكون مذكرهم بما اوعدوا به حاضرا معهم دايما فيكون اجدر باتعاظهم ومتاعا اي انشا وبقا وتمتيعا ونفعا وايصالا الي غاية المراد من الاستضاءة والاصطلا والانضاج والتحليل والاذابة والتعقيد والتكليس وهروب السباع وغير ذلك والمراد انها سبب جميع ذلك للمقوين اي الجياع التي اقوت بطونهم اي خلت من الفقرا والاغنيا من النار لين بالارض البقي والقوا بالكسر والمد اي القفر الخالية المتباعدة الاطراف البعيدة من العمران وكل ادمي مهيا للقوا فهو موصوف به وان لم يكن حال الوصف كذلك وقال الرازي اقوي من الاضداد اغني وافتقر وقال ابو حيان وهذه الاربعة التي ذكرها تعالي ووقفهم عليها من امر خلقهم وما به قوام عيشهم من المطعوم والمشروب والنار من اعظم الدلايل علي البعث اذ فيها انتقال من شي الي شي واحداث شي من شي وكذلك امر في اخرها بتنزيهه انتهي ولما ذل سبحانه في هذه الايات علي عجايب القدرة وغرايب الصنع فبدا بالزرع وختم بالنار والشجر واوجب ما نبه عليه من التذكر لامرها والتبصر في شانها من اسباب ما قبلها وانه سبب لها لكونه سببا لانبات ما هي منه وكان مجموع ذلك اشارة الي العناصر الاربعة قال ابن برجان الا ان الما والارض خلق الاركان والاخلاق والصفات للهوا والنار وكان ذلك من جميع وجوهه امرا باهرا اشار الي زيادة عظمته بالامر بالتنزيه مسببا عما افاد ذلك فقال معرضا عمن قديم به الانكار مقبلا علي اشرف خلقه اشارة الي انه لا يفهم هذا المقام حق فهمه سواه ولا يعمل به حق عمله غيره فسبح اي اوقع التنزيه العظيم عن كل شايبة نقص من ترك البعث وغيره ولا سيما بعد بلوغ هذه الادلة الي حد المحسوس

تسبيح

تسبيح متعجب من اثار قدرته الدالة علي تناهي عظمته وتسبيح شكر وتعظيم له واكبار وتنزيه عما يقوله الجاحدون وتعجيب منهم مقتديا بجميع ما في السموات والارض ومن اعجب ذلك انه سخر لنا في هذه الدار جهنم قال ابن برجان جعل منها حرارة الشمس جنات وثمرات وفواكه وزروعا ومعايش ولما كان تعظيم الاسم اقعد في تعظيم المسمي قال باسم اي ملبسا بذكر اسم ربك اي المحسن اليك بهذا البيان الاعظم واثبتوا الف الوصل هنا لانه لم يكثر دوره كثرته في البسملة وحذفوه منها لكثرة دورها ومن شانهم الايجاز وتقليل الكثير اذا عرف معناه وهذا معروف لا يجهل واثبات ما اثبت من اشكاله مما لا يكثر دليل علي الحذف منه وكذا لا تحذف الالف مع غير البا في اسم الله ولا مع البا في غير الجلالة من الاسما لما تقدم من العلة ولما كان المقام للعظمة قال العظيم اي الذي ملا الاكوان كلها عظمة فلا شي منها الا وهو مملو بعظمته تنزها عن ان يلحقه شايبة نقص او يفوته شي من كمال قال القشيري وهذه الايات التي عددها سبحانه تمهيد لسلوك طريق الاستدلال وكما في الخبر فكرة ساعة خير من عبادة سنة هذه الفكرة التي نبه الله عليها ولما كان من العظمة الباهرة ما ظهر في هذه السورة من افانين الانعام في الدارين وبدا بنعمة الاخرة لكونها النتيجة ثم دل عليها بنعامه في الدنيا فكان تذكيرا بالنعم لتشكر ودلالة علي النتيجة لتذكر وفي كل حالة تستحضر فلا تكفر فوصلت الدلالة الي حد هو اوضح من المحسوس واضوا من الشموس وكان مع هذه الامور الجليلة في مظهر اعجز الخلايق عن ان ياتوا بمثله من كل وجه اما من جهة الجواب عن شبههم وتعنتهم فلكونه يطابق ذلك مطابقة لا يمكن ان يكون شي مثلها ويزيد علي ذلك بما شا الله من المعارف من غير ان يدع لبسا واما من جهة المفردات فلكونها النهاية في جلالة الالفاظ ورشاقة الحروف وجمع المعاني فيفيد ذلك انه لا تقوم كلمة اخري مقام كلمة منه اصلا واما من جهة التركيب فكون كل كلمة منها في احق مواضعها بحيث انه لو قدم شي منها او اخر لاختل المعني المراد في ذلك السياق بحسب ذلك المقام واما من جهة الترتيب في الجمل والايات والقصص في المبادي والغايات فلكونه مثل تركيب الكلمات كل جملة منتظمة بما قبلها انتظام الدر اليتيم في العقد المحكم النظيم لانها اما ان تكون علة لما تلته او دليلا له متممة بوجه من الوجوه الفايقة علي وجه ممتنع الجناب جليل الحجاب ليكون اخلي في فهمه واحلي بعد ذوقه في نظمه وسائر علمه فكان ثبوت جميع ما اخبر به علي وجه لا معترض فيه ولا وقفة في اعتقاد حسنه فثبت ان الله تعالي ارسل الاتي بهذا القران صلي الله عليه وسلم بالهدي ودين الحق لانه اتاه كل ما ينبغي له فاتاه الحكمة وهي البراهين القاطعة واستعمالها علي وجوهها والموعظة الحسنة وهي الامور المرققة للقلوب المنورة للصدور والمجادلة التي هي علي احسن الطرق في نظم معجز موجب للايمان فكان من سمعه ولا يومن لم يبق له من التمحلات الا ان يقول هذا البيان ليس لظهور المدعي وثبوته بل لقوة عارضة المدعي وقوته علي تركيب الادلة وصوغ الكلام وتصريف وجوه المقال وهو يعلم انه يغلب لقوة جداله لا لظهور مقاله كما انه ربما يقول احد المتناظرين عند انقطاعه لخصمه انت تعلم ان الحق معي لكنك تستضعفني ولا تنصفني وحينيذ لا ينبغي للخصم جواب الا الاقسام بالايمان التي لا مخرج عنها انه غير مكابر وانه منصف وانما يفزع الي الايمان لانه لو اتي بدليل اخر لكان معترضا لمثل هذا فيقول وهذا ايضا غلبتني فيه لقوة جدالك وقدرتك علي سوق الادلة ببلاغة مقالك فلذلك كانوا اذا افحمهم النبي صلي الله عليه وسلم قالوا انه يريد التفضل علينا فيما نعلم خلافه فلم يبق الا الاقسام فانزل الله انواعا من الاقسام بعد الدلايل العظام ولهذا كثرت الايمان في اواخر القران وفي السبع الاخير خاصة اكثر فلذلك سبب عن هذه الادلة الرابعة والبراهين القاطعة قوله فلا اقسم باثبات لا النافية اما علي ان تكون موكدة بان تنفي ضد ما اثبته القسم فيجمع الكلام بين اثبات المعني المخبر به ونفي ضده واما علي تقدير ان

هذا المقام يستحق لعظمته وانكاركم له ان يقسم عليه باعظم من هذا علي ما له من العظمة لمن له علم ولما
كان الكلام السابق في الما الذي جعله سبحانه مجمعا للنعم الدنيوية الظاهرة وكان قد رتب سبحانه
لانزاله الانوا علي منهاج دبره وقانون احكمه وجعل انزال القران نجوما مفرقة وبوارق متلالية
متالفة قال بمواقع النجوم اي مساقط الطوايف القرانية المنيرة النافعة المحيية للقلوب وهبوطها
الذي يبني عليه ما ينبني من الاثار الجليلة وازمان ذلك واماكنه واحواله وبمساقط الكواكب وانوايها
واماكن ذلك وازمانه في تدبيره علي ما ترون من الصنع المحكم والفعل الاتقن الاقوم الدال بغروب
الكواكب علي القدرة علي الطي بعد النشر والاعدام بعد الايجاد وبطلوعها الذي يشاهد انها ملجاة
اليه الجا الساقط من علو الي سفل لا يملك لنفسه شيا علي القدرة علي الايجاد بعد الاعدام وبا ثار الانوا
علي مثل ذلك باوضح منه الي غير ذلك من الدلالات التي تضيق عنها العبارات ويقصر دون عليايها مديد
الاشارات ولمثل هذه المعاني الجليلة والخطوب العظيمة جعل في الكلام اعتراضا بين القسم وجوابه
وفي الاعتراض اعتراضا بين الموصوف وصفته تاكيدا للكلام وهو النافذ الافهام تنبيها علي ان الامر
عظيم والخطب فادح جسيم فقال موضحا له بالتاكيد رحمة للعبيد بالاشارة الي انهم جروا علي غير
ما يعلمون من عظمتها فغدوا غير عالمين وانه اي هذا القسم علي هذا النهج لقسم لو تعلمون اي لو
تجدد لكم في وقت علم لعلمتم انه عظيم واقسامه لنا علي ذلك ونحن اقل قدرا واضعف امرا اعلاما
بما له بنا من الرحمة التي من اعظمها انه لا يتركنا سدي كل ذلك لننصح انفسنا باتباع امره والوقوف
عند زجره قال ابن برجان ومن اتقانه جل جلاله في خليقته وحكمته في بريته ان جعل لكل واقع من النجوم
الفلكية طالعا يسمي بالاضافة الي الواقع الرقيب دون تاخر وذلك هو المشار اليه بقوله تعالي رب
المشرقين ورب المغربين فباي الا ربكما تكذبان بجمع ذلك الشمس والقمر والنجوم وهي نجوم منازل القمر
عددها ثمانية وعشرون منزله سوي التي تحجبها الشمس فتمت تسعة وعشرون منزلة يستتر فيها القمر
فربما استتر ليلة وربما استتر ليلتين فالقمر ينزل من هذه المنازل كل ليلة منزلة حتي يتمها لتمام الشهر
واما الشمس فانها تقيم في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما خلا الجبهة فانها تقيم فيها اربعة عشر يوما ويسمي
حلولها في هذه المحال ثم طلوع المنزلة التي تليها لوقوع هذه رقيب لها نوا انتهي وهو يعني ان من تامل
هذه الحكم علي ما في هذا القسم من العظم واشبع القول فيها اتوا الحكم وبين ما فيها من بدايع النعم ثم قال
وبفضل الله يفتح رحمته كما شا فينزل من السما ما مباركا يكسر به من بيس الزمهرير فيرطبه ويبرد من حر السعير
فيعدله وقسم السنة علي اربعة فصول اتم فيها امره في الارض بركاتها وتقدير اقواتها قال تعالي وبارك
فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام ثم قال وجعل هذه الدنيا علي هذا الاعتبار للجنة الصغري ثم علي
الاعتبار بحقيقة الفيح واثارته بالزمهرير والسعير هي جهنم الصغري ولما اتم القسم علي هذا الوجه
الجليل اجابه بقوله موكدا لما لهم من ظاهر الانكار انه اي القران الذي اقسمت النجوم بعموم افهامها لقران
اي جامع سهل قريب مفقه مبين للغوامض ذو انواع جليلة كريم ظهرت فيه افانين انعامه سبحانه فيما دق
من امور هذه الدنيا وجعل من امور الدارين بما ذكر في هذه السورة وما تقدمها من اصلاح المعاش والمعاد
فهو بالغ الكرم منزه عن كل شايبة لوم ودناة ومن كرمه كونه من الملك الاعلي الي خير الخلق بسفارة روح
القدس وبلسان العرب الذين اتفق علما الفرق علي ان لسانهم افصح الالسن وعلي وجه اعجز العرب ٥
ولما ذكر المعني ذكر محل النظم الدال عليه بلفظ دال علي نفس النظم فقال في كتاب اي خط ومخطوط فيه
جامع علي وجه هو في غاية الثبات مكنون اي موتي مستور مصون لما له من العلو والنفاسة في السما في اللوح
المحفوظ وفي الارض في الصدور المشرحة وفي السطور في المصاحف المكرمة المطهرة محفوظا مع ذلك من التبديل

والتغيير

والتغيير ولما كان ما هو كذلك قد يحصل له خلل لسوء خدامه قال لا يمسه اي الكتاب الذي هو مكتوب
فيه اعم من ان يكون في السما او في الارض او القران اي المكتوب منه فضلا عن ان يتصرف فيه الا المطهرون
اي الطاهرون الذين بولغ في تطهيرهم وهم رؤس الملايكة الكرام الكرامة ولم يكن الستغير به الا هم
ولم يبسر الله حفظه الا الاطهر من عباده ولم يعرف معناه الا الا شرف حفاظه واطهرهم قلوبا من عموم
ما يحتمله اللفظ من المعني بكونه كلام العالم بكل شي فهو لا يحمل لفظا معني الا وهو مراد له انه يحرم مسه
علي من لم يكن في غاية الطهارة بالبعد عن الحدثين الاكبر والاصغر فهو علي هذا نفي بمعني النهي وهو ابلغ ٥
قال البغوي وهو قول اكثر اهل العلم وروي باسناده من طريق ابي مصعب عن مالك بن عبد الله بن
ابي بكر بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلي الله عليه وسلم لعمرو بن حزم رضي الله عنه
ان لا يمس القران الا طاهر والمراد به المصحف للجوار كما في بالقران الي ارض العدو ومما يحتمله ايضا التعبير
بالمس انه لا يقراوه بلسانه الا طاهر فان اريد الجنابة كان النهي للحرمة والا فللاكمل ولما ذكر كرامته الذي
منه صيانته اتبعه شرفه بشرف منزله وانزاله علي حال هو في غاية العظمة مسميا له باسم المصدر للمبالغة
ولان هذا المصدر اغلب احواله وكذلك غلب عليه هذا الاسم تنزيل اي وصوله اليكم بالتدريج بحسب ٥
الوقايع والتقريب للافهام والتاني والترقية من حال الي حال ومن حكم الي حكم بوسايط الرسل من الملايكة
ولما كان هذا في غاية الاتقان والتيسير ذكر من صفاته تعالي ما يناسبه فقال من رب العالمين
اي الخالق العالم بتربيتهم ولما اتضح من وصف هذا الكتاب العظيم ما يقتضي ان يكون بمجرده مثبتا لما
لا تدركه العقول من كماله وكافيا في الاذعان لاعتقاده فكيف اذا كان مما تحكم العقول به وتقضي بفساد ما
سواه فكيف اذا كان مما يتذكر الانسان مثله في نفسه عجب منهم في جعله سببا لانكار البعث الذي اذا تذكر
الانسان احوال نفسه كفاه ذلك في الجزم به فقال منكرا معجبا افبهذا ولما كان الانسان مغرما بما يجد
له من النعم ولو هاتات فكيف اذا كان اعلي النعم قال الحديث اي الذي تقدمت اوصافه العالية وهو
يتجدد اليكم انزاله وقتا بعد وقت انتم اي وانتم العرب الفصحا والمفوهون البلغا مدهنون اي كذابون
منافقون بسببه تظهرون غير ما تبطنون تظهرون انه كذب وانتم تعلمون صدقه بحسن معانيه وعجزكم
عن مماثلته في نظومه ومبانيه وتقولون لو شينا لقلنا مثل هذا وجميع افعالكم تخالف ذلك فانكم تصبرون
١٠ لوقع السيوف ومعانقة الحتوف ولا تاتون بشي يعارضه ويباري شيا منه او يناقضه او تلاينون
ايها المومنون من يكذب به ويطعن في علاه او متوسل ولو علي وجه خفي الي نقض شي من عراه تهاونا
به ولا تصلبون في نصرته تعظيما لامره حتي تكون اصلب من الحديد قال في القاموس دهن نافق والمداهنة
اظهار خلاف ما تضمر كالادهان والغش وقال البغوي هو من الادهان وهو الجري في الباطن علي خلاف
الظاهر وقال الرازي والفرق بين المداراة والمداهنة القصد فما قصد به عرض سوي الله فهو المداهنة
وما قصد به امر يتعلق بالدين فهو المداراة وقال ابن برجان الادهان والمداهنة الملاينة في الامور ٥
والتغافل والركون الي التجاوز انتهي فهو علي هذا انكار علي من سمع احد ايتكلم في القران بما لا يليق ثم لا
يجاهرهم بالعداوة واهل الاتحاد كابن عربي الطاي صاحب الفصوص وابن الفارض صاحب التائية اول ٥
من صوبت اليه هذه الاية فانهم تكلموا في القران علي وجه يبطل الدين اصلا وراسا وتحله عروة عروة فهم
اضر الناس علي الدين ومن يوول لهم او يناضل عنهم او يعتذر لهم او يحسن الظن بهم مخالفة لاجماع الامة اخس
حالا منهم فان مراده ابقا كلامهم الذي لا افسد للاسلام منه من غير ان يكون لابقايه مصلحة ما بوجه من
الوجوه ولما كان هذا القران متكفلا بسعادة الدارين قال وتجعلون رزقكم اي حظكم ونصيبكم
وجميع ما تنتفعون به من هذا الكتاب وهو نفعكم كله انكم تكذبون اي توجدون حقيقة التكذيب

يرجع الي م

في الماضي والحال وتجددون ذلك في كل وقت به ومما ارشدنا اليه من الامور الجليلة الجلية وهي كل ما
هو اهل للتصديق به وتصفونه بالاوصاف المتناقضة ومن ذلك ما ارشدنا اليه من انه لا فاعل الا الله
فتقولون انتم اذا امطركم ما يرزقكم به هذا بنوء كذا معتقدين تاثير ذلك النوء وانما هو بالله تعالى فجعلتم
جزاء الرزق وبدل الشكر على الرزق التكذيب وقال ابن برجان وتجعلون رزقي اياكم من قران عظيم
انزلته وكلام عظيم نزلته ونور ايمان بينته وضيا يقين جليته وما انزلته من السما لبركات قدرتها
من رياح ارسلتها وسحاب الفتنة تجعلون مكان الشكر على ذلك التكذيب ولما انكر عليهم هذا الانكار
وعجب منهم هذا التعجيب في ان ينسبوا لغيره فعلا او يكذبوا له خبرا تسبب عنه تحقيقا لانه لا فاعل سواه
قوله فلولا وهي اداة تفهم طلبا بزجر وتوبيخ وتقريع بمعني فهلا ولم لا اذا بلغت اي الروح منكم ومن
غيركم عند الاحتضار اضمرت من غير ذكر لدلالة الكلام عليها دلالة ظاهرة الحلقوم وهو مجري الطعام
في الحلق والحلق مساغ الطعام والشراب معروف فكان الحلقوم ادني الحلق الي جهة اللسان لانه الميم
لمنقطع التمام وانتم اي والحال انكم ايها العاكفون حول المحتضر المتوجعون له حينئذ اي حين اذ بلغت
الروح ذلك الموضع ولما كان بصرهم لا ينفذ في باطن كالعدم قال تنظرون اي لكم وصف التحديق
اليه ولا حيلة لكم ولا فعل بغير النظر ولم يقل تبصرون لئلا يظن ان لهم ادراكا بالبصر لشي من البواطن
من حقيقة الروح ونحوها ونحن اي والحال انا نحن بما لنا من العظمة اقرب اليه اي المحتضر حقيقة
بعلمنا وقدرتنا وملايكتنا منكم على شدة قربكم منه ولكن لا تبصرون اي مع تحديقكم لا يتاثر عن ذلك التحديق
غايته وهو الابصار لقربنا منه ولا لملايكتنا الموكلين بقبض روحه لتعلموا ان الفعل لنا لا لغيرنا فلا
يتجدد لكم شي من هذا الوصف لتدركوا به حقيقة ما هو فيه فثبت ما اخبرنا به من الاختصاص بباطن
العلم والقدرة اللذين عبرنا عنهما بالقرب الذي هو اقوي اسبابهما ولما طال الكلام لاثبات
هذه الاغراض المهمة قبل جواب لولا اعادها تاكيدا لها وتنبيها فقال فلولا ان كنتم اي ايها المكذبون
بالبعث غير مدينين اي مقهورين مملوكين مجزيين محاسبين بما عملتم في دار البلاء الذي اقامكم فيها
احكم الحاكمين بامتناعكم بانفسكم عن ان يجازيكم او بمنع غيركم لكم منه واصل تركيب دان للذل والانقياد
قاله البيضاوي ترجعونها اي الروح الي ما كانت عليه ان كنتم اي كونا ثابتا صادقين اي في انكم غير
مقهورين على الاحتضار على الملك الجبار الذي اقامكم في هذه الدار للابتلاء والاختبار وانه ليس لغيركم
امر في تكذيبكم لما نخبر به من امر الدينونة بدل شكركم وهذا دليل على انه لا حياة لمن بلغت روحه الحلقوم
اصلا وهذا الزام لهم بالبعث حاصله انه سبحانه ان كان لا يعيدكم فليس هو الذي قدر الموت
عليكم وان كان لا يقدره فما لكم لا ترفعونه عنكم لانه من الفوادح الذي لا يدرك علاجها وانتم تعالجون
مقدماته وان قلتم انه مقدر لا يمكن علاجه لزمكم الاقرار بان البعث مقدر لا يمكن علاجه فان انكرتم
احدهما فانكروا الاخر وان اقررتم باحدهما فاقروا بالاخر والا فليس الا العناد فان قلتم نحن لا نعلم انه
قدره فاعلموا انه لو لم يكن بتقديره لامكنت مقاومته وقتا ما لا سيما والنفوس مجبولة على كراهيته
وفي الموتي الحكما والملوك وتقريبه انكم قد بالغتم في الجحود بايات الله وافعاله في كل شي ان ارسل اليكم
رسولا قلتم ساحر كذاب وان صدقه بكتاب معجز قلتم سحر وافترا وامر عجاب وان رزقكم من الما الذي
به حياة كل شي مطرا ينعشكم به قلتم صدق نوء كذا على حال مؤد الي التعطيل والاهمال والبعث فما لكم
لا ترجعون الروح الي البدن عند بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم مدبر لهذا ليكون بالارسال والانزال
وافاضة الارواح وقبضها وبعث العباد لدينونتهم على ما فعلوا فيما اقامهم فيه فهو تمثيل بافعال
الملوك على ما نعهد فكما ان ملوك الدنيا لا يرسل احد منهم الي احد من رعيته فياخذه قهرا الا للدينونة

فكيف

فكيف يظن بملك الملوك غير ذلك فتكون ملوك الدنيا احكم منه فان كان ليس بتام القدرة فافعلوا برسله
كما تفعلون برسل الملوك فانه ربما خلص المطلوب منهم بنوع من انواع الخلاص بعد بلوغه الي باب الملك
فارسالنا له سبحانه هو مثل ارسال الملوك غير انه لتمام قدرته اخذا لا يقدر احد على رده ولا على ان يتبع
ماخوذه اصلا لا ليخدمه بعد الاخذ ولا ليخفف عنه شيا مما هو فيه بغير ما امر به سبحانه على السنة
رسله من الدعا والصدقة ولا ليعلم حاله بوجه من الوجوه بل الامر كما قيل اذا غيب المرء استسر حديثه
ولم تخبر الافكار عنه بما يعني ولما كان التقدير لا يقدر احد اصلا على ردها بعد بلوغها الي
ذلك المحل لانا نريد جمع الخلايق للدينونة بما فعلوا فيما اقمناهم فيه وامرناهم به ولا يكون الا ما نريد
فكما انكم معترفون بانه خلقكم من تراب وبانه يعيدكم قهرا الي التراب يلزمكم حتما ان تقروا بانه قادر على
ان يعيدكم من التراب وان انكرتم هذا اللازم لزمكم انكار ملزومه وذلك مكابرة في الحس فليكن الاخر
مثله فثبت انا انما نعيد الخلايق الي التراب لنجمعهم فيه ثم نبعثهم منه لنجازي كلا بما يستحق ونقسمهم
الي ازواج ثلثة فاما ان كان اي الميت منهم من المقربين اي السابقين الذين اجتذبهم الحق من انفسهم
فقربهم منه فكانوا مرادين قبل ان يكونوا مريدين وليس القرب قرب مكان لانه تعالي منزه عنه
وانما هو بالتخلق بالصفات الشريفة على قدر الطاقة البشرية ليصير الانسان روحا خالصا كالملا
لا سبيل للحظوظ والشهوات عليه فان قربهم انما هو بالانخلاع من الارادة اصلا وراسا وذلك انه
لا شهوات لهم فلا اغراض فلا فعل الا ما امروا به فلا ارادة انما الارادة للمولى سبحانه وهو معني نهي
عن الفحشا والمنكر والبغي اي مطلق الارادة في غير امر من الله لان المملوك الذي هو لغيره لا ينبغي ان يكون
له شي لا ارادة ولا غيرها وفقنا الله لذلك فروح اي فله راحة ورحمة وما ينعشه من نسيم الريح
ومعني قراءة يعقوب بالضم طمانينة في القلب وسكينة وحياة لا موت بعدها وريحان اي رزق عظيم
ونبات حسن بهج وازاهير طيبة الرايحة ولما ذكر هذه اللذاذة ذكر ما يجمعها وغيرها فقال وجنة
اي بستان جامع للفواكه والرياحين وما يكون عنها وتكون عنه ولما كانت جنان الدنيا قد يكون
فيها نكد اضاف هذه الجنة الي المراد بالجنة اعلاما بانها لا تنفك عنه فقال نعيم اي ليس فيها غيره بل هي
مقصورة عليه واما ان كان اي الميت من اصحاب اليمين اي الذين هم في الدرجة الثانية من اصحاب
الميمنة فسلام اي سلامة ونجاة وامن وقول دال عليه ولما كان ما يواجه به الشريف من ذلك
اعلى قال لك اي يا اعلى الخلق او ايها المخاطب ولما كان من اصاب السلام على وجه من الوجوه فايزا
فكيف اذا كان مصدرا للسلام ومنبعا له قال من اصحاب اليمين اي انهم في غاية من السلامة والظاهر
السلام لا يدرك وصفها وهو تمييز فيه معني التعجيب فان اضافته لم تفد تعريفا وفي اللام ومن مبالغة
في ذلك فالمعني واما هم فعجبا لك وانت اعلى الناس في كل معني واعرفهم بكل امر غريب منهم في سلامتهم وسلامهم
وبقائهم وملكهم وشرفهم وعلو مقامهم وذلك كله انما اعطوه لاجلك زيادة في شرفك لاتباعهم لدينك
فهو مثل قوله فيا لك من ليل كانت نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل وقوله لله در انوشروان
من رجل ما كان اعرفه بالدون والسفل اي عجبا لك من ليل وعجبا من انوشروان ولما ذكر
الصنفين الناجين اتبعهما الهالكين جامعا لهم في صنف واحد لان من اريدت له السعادة يكفيه
ذلك ومن ختم بشقايه لا ينفعه الاغلاظ والاكثار فقال واما ان كان اي ذلك الذي اخذناه من
اصحاب المشامة وانتم حوله تتقطع اكبادكم له ولا تقدرون له على شي اصلا من المكذبين ولما
كان المكذب تارة يكون معاندا وتارة يكون جاهلا مقصرا قال الضالين اي اصحاب الشمال
الذين وجهوا وجهة هدى فزاغوا عنها لتهاونهم في البحث فنزل اي لهم وهو ما يعد للقادم على ما

لاح من حميم اي ما متناه في الحرارة بعد ما نالوا من العطش كما يرد اصحاب الميمنة الحوض كما يبادر به للقادم ليبرد عليه عطشه ويغسل به وجهه ويديه وتصلية جحيم اي لهم بعد النزل ان يصلوا النار الشديدة التوقد صليا عظيما • ولما تم ما اريد من اثبات البعث على هذا الوجه المحكم البين وكانوا مع البيان يكذبون به لفت الخطاب عنهم الى اكمل الخلق واكده تسميعا لهم فقال سابقا له مساق النتيجة ان هذا اي الذي ذكر في هذه السورة من امر البعث الذي كذبوا به في قولهم اينا لمجموعون ومن قيام الادلة عليه • ولما كان من الظهور في حد لا يساويه فيه غيره زاد في التاكيد على وجه التخصيص فقال لهو حق اليقين اي لكونه لما عليه من الادلة القطعية المشاهدة كانه مشاهد مباشر قال الاصبهاني قال قتادة في هذه الاية ان الله عز وجل ليس تاركا احدا من الناس حتى يقفه على اليقين من هذا القران فاما المؤمن فايقن في الدنيا فنفعه ذلك واما المنافق فايقن يوم القيمة حيث لا ينفعه انتهى • ولما تحقق له هذا اليقين سبب عنه امره بالتنزيه له سبحانه عما وصفوه به مما يلزم منه وصفه بالعجز بعد تقسيمه للازواج الثلثة على طريقة الايجاز كما امره بذلك بعد الفراغ من تقسيمهم على طريق الاطناب اشارة الى ان المفاوتة بينهم مع ما لهم من العقول من اعظم الادلة على الفعل بالاختيار رد على فساد القول بالطبيعة فقال فسبح اي اوقع التنزيه كله عن كل شايبة نقص بالاعتقاد والقول والفعل بالصلاة وغيرها بان تصفه بكل ما وصف به نفسه من الاسما الحسنى وتنزهه عن كل ما نزه عنه نفسه ولعظمه الفعل لافادة العموم اثبت الجار في قوله باسم ربك اي المحسن اليك بما خصك به مما لم يعطه احدا غيرك عما وصفه به الكفرة من التكذيب بالواقعة واذا كان هذا الاسمه فكيف بما هو له العظيم اي الذي ملات عظمته جميع الاقطار والاكوان وزادت على ذلك بما لا يعلمه حق العلم سواه لان من له هذا الخلق على هذا الوجه المحكم وهذا الكلام الاعز الاكرم • لا ينبغي لشايبة نقص ان تلم بجنابه او تدنوا من فنا بابه • ه

فقد انطبق آخر السورة في الاخبار بالبعث وتصنيف الخلايق فيه الى الاصناف المذكورة في اولها اي انطباق • وزاد هذا الاخر بان اعتنق بدليله اي اعتناق • واتفق مع اول التي بعدها اي اتفاق • وطابقه اجل طباق • وختمت بصفة الرحمة والعظمة وخلت عن الاسم الاعظم الجامع كالتين قبلها لما ذكر في اواخر القمر من انه لم يذكر في واحدة من الثلث احد من اهل المعصية المصاحبة للايمان ليخاطب بالاسم الجامع للاهانة والاحسان • وانما ذكر اهل الكفران المستوجبون للهوان بالخلود في النيران • واهل الايمان المتاهلون للاحسان • بتابيد الإسكان • في أعالي الجنان •

مقصودها بيان ان عموم الرسالة له مناسب لعموم الالهية بالبعث الى الازواج الثلاثة المذكورة في السورتين الماضيتين من الثقلين تحقيقا لانه سبحانه مختص بجميع صفات الكمال تحقيقا لتنزهه عن كل شايبة نقص المبدو به هذه السورة المختوم به ما قبلها الراد لقولهم اينا لمجموعون او اباونا الاولون المقتضي لجهاد من يحتاج الى الجهاد ممن عصى رسوله صلى الله عليه وسلم بالسيف وما ترتب عليه من النفقة ردا لهم عن النقايص الجسمانية واعلا الى الكمالات الروحانية التي دعا اليها الكتاب • حذرا من سو الحساب • يوم التجلي للفصل بين العباد بالعدل • ليدخل اهل الكتاب وغيرهم في الدين طوعا او كرها ويعلم اهل الكتاب الذين كانوا يقولون انه ليس احدا افضل منهم فضيلة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم على جميع من تقدمه من الرسل عليهم السلام بعموم رسالته وشمول خلافته

وانتشار

وانتشار دعوته وكثرة امته تحقيقا لانه لا حد لفايض فضله سبحانه لتكون هذه السورة التي هي آخر النصف الاول والتي بعدها التي هي اول النصف الثاني من حيث العدد غاية للمقصود من السورة التي هي اوله عند الالتفات والرد كما كانت السورة التي هي آخر الفصل الاول في المقدار وهي الاسرا وكذا السورة التي هي اول النصف الثاني وهي الكهف كاشفتين لمقصد الاولى فيما دعت اليه من الهداية وشددت اليه من الانذار وعلى ذلك دل اسمها الحديد بتامل آيته • وتدبر سر ما ذكر فيه وعايته • اسند صاحب الفردوس عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحتجموا يوم الثلثا فان سورة الحديد انزلت على يوم الثلثا بسم الله الذي احاطت الهيته بجميع الموجودات الرحمن الذي وسعهم جوده في جميع الحركات والسكنات الرحيم الذي خص من بينهم بما له من الاختيار في كمال الاقتدار اهل ولايته بما يرضيه من العبادات • لما ختمت الواقعة بالامر بتنزيهه عما انكره الكفرة من البعث جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه وتبيينه بالدليل والبرهان والسيف والسنان فقال تعالى كالتعليل لآخر الواقعة سبح اي اوقع التسبيح بدلالة الجبلة تعظيما له سبحانه واقرارا بربوبيته واذعانا لطاعته وقصره وهو متعد ليدل على العموم بقصره وعلى الاخلاص بتعديته باللام وجعله ماضيا هنا وفي الحشر والصف ومضارعا في الجمعة والتغابن ليدل على ان ما اسند اليه التسبيح هو من شانه وهجيراه وديدنه وتخصيص كل من الماضي والمضارع بما افتتح به لما ياتي في اول الجمعة والاتيان بالمصدر اول الاسرا ابلغ من حيث انه يدل باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شي وفي كل حال لله اي الملك المحيط بجميع صفات الكمال ما في السموات اي الاجرام العالية والذي فيها وهو الاراضي ومن فيها وكل سما ومن فيها وما بينهما لانها كلها في العرش الذي هو اعلى الخلق • ولما كان الكلام آخر الواقعة مع اهل الخصوص بل مع اخص اهل الخصوص لم يحتج الى تاكيد فحذف ما جعلا للخافقين كشي واحد لان نظره لهما نظر علو ونظرا واحدا لما اخبر به عنهما من التنزيه فقال والأرض اي وما فيها وكذا نفس الاراضي لما تقدم فشمل ذلك جميع الموجودات لانه اذا سبح ذلك كله فتسبيح العرش بطريق الاولى وتنزيه هذه الاشيا بما فيها من الايات الدالات على انه سبحانه لا يلم بجنابه شايبة نقص وان كل شي واقف على الباب بشاهد الطلب • قال القشيري التسبيح التقديس والتنزيه ويكون بمعنى سباحة الاسرار في بحار الاجلال فيظفرون بجواهر التوحيد وينظمونها في عقود الايمان ويرصعونها في اطواق الوصلة • ولما قرر سبحانه ذلك دل على انه لا قدرة لشي على الانفكاك عنه وان له كل كمال فهو المستحق للتسبيح والحمد فقال وهو اي وحده العزيز الذي يغلب كل شي ولا يغلبه شي الحكيم الذي اتقن كل شي صنعه • وقال الاستاذ ابو جعفر بن الزبير الغافقي في برهانه لما تقدم قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون وفيه من التقريع والتوبيخ لمن قرع به ما لا خفا به ثم اتبع بقوله تعالى افرايتم ما تمنون الايات الى قوله ومتاعا للمقوين فقرعوا ووبخوا على سو جهلهم وقبح ضلالهم ثم قال تعالى بعد ذلك افبهذا الحديث انتم مدهنون واستمر توبيخهم الى قوله إن كنتم صادقين • فلما اشارت هذه الايات الى قبايح مرتكباتهم أعقب تعالى ذلك تنزيهه عز وجل عن سو ما انتحلوه وضلالهم فيما جهلوه فقال تعالى فسبح باسم ربك العظيم اي نزهه عن عظيم ضلالهم وسو اجترامهم اعقب ذلك بقوله سبح لله ما في السموات والارض اي سبح باسم ربك فهي سنة العالم باسرهم وله اسلم من في السموات والارض سبح لله ما في السموات والارض ثم اتبع ذلك بقوله له الملك وله الحمد فبين تعالى انفراده بصفة الجلال ونعوت الكمال وانه المنفرد بالملك والحمد وانه الاول والاخر والظاهر والباطن الى قوله وهو عليم بذات الصدور • فتضمنت هذه الآي ارغام من اشير

ت

لهم

الي حالة في الآي المتقدمة من سورة الواقعة وقطع ضلالهم والتعريف بما جهلوه من صفاته
العلي واسمايه الحسني جل وتعالي والتحمت آي السورتين واتصلت معانيهما ثم صرف الخطاب الي
عباده المؤمنين فقال تعالي امنوا بالله ورسوله واستمرت الآي علي خطابهم الي آخر السورة
انتهي• ولما اخبر بذلك دل عليه علي وجه مصرح بما افهمه الاول من تسبيح السموات والارض بقوله
له اي وحده ملك السموات والارض اي وملك ما فيهما وما بينهما ظاهرا وباطنا فالملك الظاهر
ما هو الآن موجود في الدنيا من ارض مدحية• وسماء مبنية• وكواكب مضية• وافلاك عليه• ورياح
محسوسه وسحاب مرئيه• وما تفصل الي ذلك من خلق وامر• والملك الباطن الغايب عنا واعظمه
المضاف الي الاخرة وهو الملكوت قال القشيري الملك مبالغة من الملك يعني بدلالة الضمة قال
والملك اي بالكسر القدرة علي الابداع فلا مالك الا الله واذا قيل لغيره مالك فعلي المجاز بالاحكام
المتعلقة الشرعية علي ملك الناس اي بتصحيحه او افساده ونحو ذلك• فالاية من الاحتباك ذكر ما
بين السموات والارض اولا دليلا علي حذفهما ثانيا وذكر الخافقين ثانيا دليلا علي حذف مثل ذلك اولا
ليكون التسبيح والملك شاملا للكل• ولما كان ذلك مما لا نزاع فيه• وكان ربما عاند معاند دل عليه
بما لا مطمع فيه لغيره فقال مقدما للاجابة كذلك في الخارج ولان زمن الحياة اكثر لان البعث حياة
دايمة لا موت بعدها يحيي اي له صفة الاحيا فيحيي ما يشا من الخلق بان يوجد علي صفة الحياة
كيف شا في اطوار يقلبها كيف شا وما شا ويميت اي له هاتان الصفتان علي سبيل الاحيا والتجدد
والاستمرار فهو قادر علي البعث بدليل ما ثبت له من صفة الاحيا• ولما كان هذا شاملا للقدرة
علي التجديد والاعادة عم الحكم بقوله وهو علي كل شي اي مشي من الاحيا والاماتة وغيرهما من كل
ممكن قدير اي بالغ القدرة الي حد لا تمكن الزيادة عليه• ولما اخبر بتمام القدرة دل علي ذلك
بقوله هو اي وحده الاول اي بالازلية قبل كل شي فلا اول له والقديم الذي منه وجود كل شي وليس
وجوده من شي لان كلما نشاهده متاثر لانه متغير وكل ما كان كذلك فلا بد له من موجد غير متاثر
والآخر بالابدية الذي ينتهي اليه وجود كل شي في سلسلة الترقي وهو بعد فنا كل شي ولو بالنظر
الي ما له من ذاته فلا آخر له لانه يستحيل عليه نعت العدم لان كل ما سواه متغير وكل ما تغير بنوع
من التغير جاز اعدامه وما جاز اعدامه فلا بد له من معدم يكون بعده ولا يمكن اعدامه• ولما
كان السبق يقتضي البطون والتاخر يوجب الظهور وكانا امرين متضادين لا يكاد الانسان
يستقل بتعلقهما في شي واحد نبه علي اجتماعهما فيه فقال مشيرا بالواو الي تمام الاتصاف وتحققه
والظاهر اي بالاحدية وللعقل بادلته الظاهرة في المصنوعات بما له من الافعال ظهورا لا
يجهله عاقل وهو الغالب في علوه ورفعته فليس فوقه شي والباطن بالصمدية وعن انطباع الحواس
وارتسام الخيال وتصور الوهم والفكر وبتمام العلم والحكمة بما له من العظمة في ذاته بكثرة التعالي
والحجب بطونا لا يكتنهه شي• وقال القشيري الاول بلا ابتدا الآخر بلا انتها الظاهر بلا خفا الباطن
بنعت العلا وعز الكبريا انتهي والعطف للدلالة كما اشير اليه علي الاحاطة التامة لانها لما كانت متضادة
كانت بحيث لو اعريت عن الواو لربما ظن ان وجودها الا علي سبيل التمكن فلا تكون محيطة بل مقيدة بحيثية
مثلا فجات الواو دلالة علي تمكن الوصف واحاطته وانه واقع بكل اعتبار ليس واحد من الاوصاف
مكملا لشي في الآخر ولا شارحا لمعناه فهو اول علي الاطلاق وآخر كذلك وظاهر حتي في حال بطونه
وباطن كذلك وهو جار علي الاصل فان صفاته تعالي محيطة فلا اشكال انما الاشكال عند الخلو من العطف
وهو الاغلب في ايرادها كما في آخر الحشر ولعل ذلك مراد الكشاف بقوله ان الواو الاولي معناها

الدلالة

معناها الدلالة علي انه الجامع بين الصفتين الاولية والاخرية اي جمعا هو في غاية المكنة والثالثة
علي انه الجامع بين الظهور والخفا واما الوسطي فعلي انه الجامع بين مجموع الصفتين الاولين ومجموع
الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود في جميع الاوقات الماضية والاتية انتهي• ولما كان من ظهر
لشي بطن عن غيره ومن بطن عن شي غاب عنه علمه وكان سبحانه في ظهوره علي غير ذلك بل بمعني انه ليس
فوقه شي وفي بطونه بحيث ليس دونه شي• فقد جمعت الاوصاف احاطة العلم والقدرة اعلم بنتيجة
ذلك فقال وهو بكل شي عليم اي لكون الاشيا عنده علي حد سوا في البطون والظهور انما هو
بالنسبة الي الخلق واما هو سبحانه فلا باطن من الخلق عنده بل هم في غاية الظهور لديه لانه الذي
اوجدهم• وهذا معني ما قال البغوي سال عمر رضي الله عنه كعبا عن هذه الاية فقال معناها
ان علمه بالاول كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن انتهي لان العلم يستلزم القدرة علي حسبه
ولما كان الصانع للشي عالما به دل علي علمه وما تقدم من وصفه بقوله هو اي وحده الذي
خلق السموات وجمعها لعلم العرب بتعددها والارض اي الجنس الشامل للكل وافردها لعدم توصلهم
الي العلم بتعددها في ستة ايام ستا للتاني وتقريرا للايام التي اوترها سابعها الذي خلق
فيه الانسان الذي دل يوم خلقه باسمه الجمعة علي انه المقصود بالذات وبانه السابع علي انه
نهاية المخلوقات• ولما كان تمكن الملك من سرير الملك كناية عن انفراده بالتدبير واحاطته
قدرته وعلمه وكان ذلك هو روح الملك دل عليه منبها علي عظمته باداة التراخي فقال ثم استوي
اي اوجد السوا وهو العدل ايجاد من هو شديد العناية به علي العرش المحيط بجميع الموجودات
المحكم بالتدبير المحكم للعرش وما دونه ومن دونه ليتصور العباد ان العرش منشا التدبير
ومظهر التقدير كما يقال في ملوكنا جلس فلان علي سرير الملك بمعني انه انفرد بالتدبير وقد لا يكون
هناك سرير فضلا عن جلوس• ولما كان المراد بالاستوا الانفراد بالتدبير وكان التدبير
لا يصح الا بالعلم والقدرة كشفه بقوله دالا علي ان علمه بالخفايا كعلمه بالجلايا يعلم ما يلج اي يدخل
دخولا لا يغيب به في الارض اي من النبات وغيره من اجزا الاموات وغيرها وان كان ذلك بعيدا
من العرش فان الاماكن كلها بالنسبة اليه علي حد سوا له في البعد والقرب وما يخرج منها كذلك
وفي التعبير بالمضارع دلالة علي ما اودع في الخافقين من القوي فصارا بحيث يتجدد منهما تجدد
ذلك بخلقه تجددا مستمرا الي حين خرابهما• ولما قرر ذلك فيما قد يتوهم بعده لبعده عن العرش لسفوله
تنبيها علي التنزه عن التحيز فكان اولي بالتقديم اتبعه قسيمه وهو جهة العلو تعميما للعلم بساير
الخلق فقال وما ينزل من السماء ولم يجمع لان المقصود حاصل بالواحد مع افهام التعبير بها
الجنس الشامل للكل وذلك من الوحي والامطار والحر والبرد وغيرها من الاعيان والمنافع التي
يوجدها سبحانه من مقادير اعمار بني ادم وارزاقهم وغيرها من جميع شؤونهم وما يعرج اي يصعد
ويرتقي ويغيب فيها كالابخرة والانوار والكواكب والاعمال وغيرها• ولما كان من يتسع ملكه
يغيب عنه علم بعضه لبعده عنه عرف انه لا مسافة اصلا بينه وبين شي من الاشيا فقال وهو
معكم اي ايها الثقلان المحتاجان الي التهذيب بالعلم والقدرة المسببين عن القرب اينما كنتم
فهو عالم بجميع اموركم وقادر عليكم تعالي عن اتصال بالعالم ومماسة او انفصال عنه بغيبة او
مسافه• قال ابو العباس ابن تيمية في كتابة الفرقان بين اوليا الرحمن واوليا الشيطان لفظ مع لا يقتضي
في لغة العرب ان يكون احد الشيين مختلطا بالاخر لقوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقوله محمد
رسول الله والذين معه اشدا علي الكفار• ولفظ مع جات في القران عامة وخاصة فالعامة ما يكون

من يجوي ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم الاية
فافتتح الكلام بالعلم وختمت بالعلم ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وسفيان الثوري
واحمد بن حنبل هو معهم بعلمه واما المعية الخاصة ففي قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وقوله لموسى وهرون عليهما السلام انني معكما اسمع وارى وقال اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان
الله معنا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر الصديق رضي الله عنه فهو مع موسى وهرون عليهما السلام
دون فرعون ومع محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنه دون ابي جهل وغيره من اعدايه ومع الذين
اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين فلو كان معنى المعية انه بذاته في كل مكان تناقض
الخبر الخاص والخبر العام بل المعنى انه هو معهم بنصره وتاييده دون اولئك وقوله تعالى وهو الذي في السما
اله وفي الارض اله اي هو اله من في السما واله من في الارض كما قال تعالى وله المثل الاعلى في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم وكذلك في قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض كما فسره ايمة العلم
كاحمد وغيره انه المعبود في السموات والارض ولما كانت الاعمال منها ظاهر وباطن عبر في امرها
باسم الذات دلالة على شموله بالعلم والقدرة وتنبيها على عظمة الاحاطة بكل صفة من صفاته فقال
والله اي المحيط بجميع صفات الكمال وقدم الجار لمزيد الاهتمام وللتنبيه على تحقق الاحاطة كما مضى التنبيه
عليه غير مرة وتمثيله بنحو اعرف فلانا ولا اعرف غيره فقال بما تعملون اي على سبيل التجدد والاستمرار
بصير اي عالم بجلايله ودقايقه ولما كان صانع الشي قد لا يكون ملكا وكان الملك لا يكمل ملكه الا
بعلم جميع ما يكون في مملكته والقدرة عليه وكان انكارهم للبعث انكارا لان يكون ملكا اكد ذلك بتكرير
الاخبار به فقال له اي وحده ملك السموات وجمع لاقتضا المقام له والارض افرد لخفا تعددها
عليهم مع ارادة الجنس ودل على ارادة ملكه واحاطته بقوله عطفا على ما تقديره فمن الله المبدا معبرا بالاسم
الجامع ليلا يظن الخصوص بامور ما تقدم والى الله اي الملك الذي لا كفو له وحده ترجع بكل اعتبار على غاية
السهولة الامور اي كلها حسا بالبعث ومعنى بالابدا والافنا ودل على هذا الابدا والافنا بابدع الامور
وادقها فقال يولج اي يدخل ويغيب بالنقص والمحو الليل في النهار فاذا هو قد قصر بعد طوله وقد امحى
بعد تشخصه وحلوله فملا الضيا الاقطار بعد ذلك الظلام ويولج النهار الذي عم الكون ضياوه واناره
لالاوه في الليل الذي كان قد غاب في عمله فاذا الظلام قد طبق الافاق والطول الذي كان له قد صار
نقصا ولما كان في هذا اظهار اخفى الاشيا حتى يصير في غاية الجلا اتبعه علم ما هو عند الناس اخفى ما
يكون فقال وهو اي وحده عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي ما يصحبها فتخفيه فلا يخرج منها على
مديد الايام على كثرة اختلافها وتغيرها وان خفيت على اصحابها ولما قامت الادلة على تنزهه سبحانه عن
كل شايبة نقص واحاطته بكل صفة كمال المقتضي لثبوت ان الملك له الموجب قطعا بتفرده بعموم الالهية المقتضي
لارسال من يريد الى جميع من في ملكه وختم بالعلم بالضماير التي اجلها الايمان قال امرا بالاذعان له ولرسوله
صلى الله عليه وسلم امنوا اي ايها الثقلان بالله اي الملك الاعظم الذي لا مثل له ورسوله الذي عظمته
من عظمته ولما كان الايمان اساسا والانفاق وجها ظاهرا واساسا لا جامعا بين الاساس الحامل
الخفي والوجه الظاهر الكامل البهي وانفقوا اي في اظهار دينه ورغبهم في ذلك بطلب اليسير مما اعطاهم
وزهدهم فيه بقوله مما جعلكم اي بقدرته مستخلفين اي مطلوبا هو موجودا خلافتكم فيه وهو له
دونكم بما مضى من استخلافكم في تمهيد سبيله وطيبوا بها نفسا لانها ليست في الحقيقة لكم وانما انتم خزان وخلفا
من حولكم من الخلافة بانتزاعها من ايديكم بتولية غيركم امرها اما في حياتكم واما بعد مماتكم كما فعل بغيركم حين
اوصل اليكم ما اوصل من اموالهم فليس لكم منها الا ما اكلتم فافنيتم او لبستم فابليتم او تصدقتم فابقيتم وفي رواية

فامضيتم

فامضيتم فليهن الانفاق عليكم كما يهون على الانسان النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه ولما امر بالانفاق
ووصفه بما سهله سبب عنه ما رغب فيه فقال مبالغا في تاكيد الوعد لما في ارتكابه من العسر بالتعبير
عنه بالجملة الاسمية وبنا الحكم على الضمير والوصف بالكبير وغير ذلك فالذين امنوا وبين ان هذا خاص
بهم لضيق الحال في زمانهم فقال منكم وانفقوا اي من اموالهم في الوجوه التي ندب اليها على وجه الاصلاح
كما دل عليه التعبير بالانفاق لهم اجر كبير اي لا تبلغ عقولهم حقيقة كبره فاغتنموا الانفاق في ايام استخلافكم
قبل عزلكم واتلافكم ولما رغب في الايمان والانفاق وكان الايمان مقتضيا للانفاق عجب ممن لا يبادر الى
هذا الحامل على كل خير فقال مفصلا لما اجمل من الترغيب فيهما بادئا باس كل خير منفسا عنهم بالتعبير باداة
الاستقبال بالبشارة بالعفو عن الماضي مونبا وموبخا لمن لا يبادر الى مضمون ما دخل عليه الاستفهام
عاطفا على ما تقديره فما لكم لا تبادرون الى ذلك وما اي واي شي لكم من الاعذار وغيرها في انكم او حال
كونكم لا تومنون بالله اي تجددون الايمان تجديدا مستمرا بالملك الاعلى الذي له الملك كله والامر كله
بعد سماعكم لهذا الكلام لان لا لا تدخل على مضارع الا وهو بمعنى الاستقبال ولو عبر بعبارة تدل على
الحال لربما تعنت متعنت فقال فات ما طلب منا والذي بعد هذا من الحال التي هي في معنى العلة
دالة على هذا وهي قوله والرسول اي والحال ان الذي له الرسالة العامة يدعوكم صباحا ومسا
على ما له من مقتضيات القبول منه من حسن السمت وجلالة القدر واظهار الخوارق وغير ذلك لتومنوا
اي لاجل ان تجددوا الايمان بربكم اي الذي احسن تربيتكم بان جعلكم من امة هذا النبي الكريم وشرفكم به
وقد اي والحال انه قد اخذ ميثاقكم اي وقع اخذه فصار في غاية القباحة ترككم ما وقع التوثق بسببه
بنصب الادلة والتمكين من النظر بابداع العقول وذلك كله منضم الى اخذ الذرية من ظهر ادم عليه السلام
واشهادهم على انفسهم واشهاد الملايكة عليهم وبني الفعل للمفعول في قراة ابي عمرو ليكون المعنى من اي
اخذ كان لان الغدر عند الكرما شديد من غير نظر الى معين لا سيما العرب فكيف اذا كان الاخذ الملك
الاعظم القادر على كل شي العالم بكل شي ورسوله الذي تعظيمه من تعظيمه كما صرحت به قراة الجماعة
بالبنا للفاعل ولا يخفى الاعراب والحاصل انهم نقضوا الميثاق في الايمان فلم يواخذهم حتى ارسل الرسل
ولما حثهم على تجديد الايمان على سبيل الاستمرار بالتعجيب من تركه ذلك وكان كل احد يدعي العراقة
في الحق هيجهم والهبهم بقوله ان كنتم اي جبلة ووصفا ثابتا مومنين اي عريقين في وصف الايمان وهو
الكون على نور الفطرة الاولى ولما وصفه بالربوبية دل عليها بقوله هو اي لا غيره الذي ينزل
اي على سبيل التدريج والموالاة بحسب الحاجة ولما كان الخطاب في هذه السورة للخلص قال مضيفا
الى ضميره غير معترف بما يدل على الجلال والكبريا على عبده اي الذي هو احق الناس بحضرة جماله واكرامه
لانه ما تعبد لغيره قط ايات اي علامات هي من ظهورها حقيقة بان يرجع اليها ويعتقد بها بينات جدا
على ما له من النعوت التي هي في غاية الوضوح ليخرجكم اي الله او عبده بما انزل اليه مع انه بشر مثلكم
والجنس الى جنسه اميل ومنه اقبل ولا سيما ان كان قريبا ولبيبا اريبا من الظلمات التي انتم منغمسون
فيها من الحظوظ والنقايص التي جبل عليها الانسان والغفلة والنسيان الحاملة على تراكم الجهل فمن اتاه
سبحانه العلم والايمان فقد اخرجه من هذه الظلمات التي طرات عليه الى النور الذي كان له وصفا
لروحه وفطرته الاولى السليمة ولما كان التقدير فان الله به للطيف خبير عطف عليه قوله موكدا
لاجل نزال من يطول به البلا من المومنين وانكار الكفار وان الله اي الذي له صفات الكمال بكم
قدم الجار لانه عظم رحمته لهذه الامة موجب لعد نعمته على غيرنا عدما بالنسبة الى نعمته علينا لرووف
رحيم اي كنتم بالنظر الى رحمته الخاصة التي هي لاتمام النعمة العامة صنفين منكم من كان له به وصلة

بما يفعل في ايام جاهليته من الخيرات كالانفاق في سبيل المعروف وغير الانفاق لكونه خيرا الا لو ابا ونحوه
كالصديق رضي الله عنه فعاد عليه بعد عموم رحمة البيان بخصوص رحمة عظيمة اوصلته الي اعلي درجة العرفان
ومنكم من كان مبالغا في اتباع الهوي فابتداه بعد عموم رحمة البيان بخصوص رحمة هداه بها الي اعمال الجنان
وهي دون ما قبلها في الميزان وفوقها من حيث انها بدون سبب من المرحوم **ولما** امرهم بالايمان والانفاق
وكان الايمان مع كونه الاساس الذي لا يصح عمل بدونه ليس فيه شي من خسران او نقصان فبدا به لذلك
ورغب بختم الاية بالاشارة بالرافة الي ان من توصل اليه بشي من الايمان او غيره زاده من فضله من
تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا الي قوله ومن اتاني يمشي اتيته هرولة عطف عليه الترغيب في التوصل
اليه بالانفاق منكرا علي من تركه موبخا المرحاد عنه وهو يعلم انه فان مع ما بزيادة ان المصدرية اللوم
علي تركه في جميع الازمنة الثلث فقال **وما** اي واي شي يحصل **لكم في ان لا تنفقوا** اي توجدوا الانفاق للمال
في سبيل الله اي في كل ما يرضي الملك الاعظم الذي له صفات الكمال لتكون لكم به وصلة فيختصكم بالرافة
التي هي اعظم الرحمة فانه ما بخل احد عن وجه خير الا سلط الله عليه غرامة في وجه شر واظهر موضع الاضمار
في جملة حالية باعثا علي الانفاق بابلغ بعث فقال **ولله** تاكيدا للعظمة بالندب الي ذلك باستحضار جميع
صفات الكمال لا سيما صفة الارث المقتضية الزهد في الموروث **ميراث** اي الارث فالموروث والمورث
عنه وغير ذلك **السموات والارض** جميعا لا شي فيهما او منهما الا وهو كذلك يرث ولا عن المتنفع به فيبقي لله بقا
الارث ومن تامل انه زايل هو وكل ما في يده والموت من ورايه وطوارق الحوادث مطيفة به وعما قليل
ينتقل ما في يده الي غيره هان عليه الجود بنفسه وماله **ولما** رغبهم في الانفاق علي الاطلاق رغبهم في
المبادرة اليه مادحا اهله خاصا منهم اهل السباق فقال **لا يستوي** **ولما** كان المراد اهل الاسلام
قيد بقوله **منكم من انفق** اي اوجد الانفاق في ماله وجميع قواه وما يقدر عليه **ولما** كان المقصود
الانفاق في زمن الايمان لا مطلق الزمان خص بالجار فقال **من قبل الفتح** اي الذي هو فتح جميع الدنيا
في الحقيقة وهو فتح مكة الذي كان سببا لظهور الدين علي الدين كله لما نال المنفق اذ ذاك بالانفاق
من كثرة المشاق لضيق المال حينيذ وذلك مستلزم لكون المنفق انفذ بصيرة ونفقته اعظم غنا واشد
نفعا وفيه دليل علي فضل ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من انفق لم يسبقه في ذلك احد وفيه نزلت الاية
كما حكاه البغوي عن الكلبي **ولما** كان المراد بالايمان خدمة الرحمن وكان الانفاق وان كان مصدقا
للايمان لا يكمل تصديقه الا ببذل النفس قال **وقاتل** اي سعيا في انفاق نفسه لمن امن به وحذف المنفي
التسوية به وهو من لم ينفق مطلقا او بقيد القبلية لدلالة ما بعده ولعله افرد الضمير اشارة الي
قلة السابقين **ولما** كان نفي المساواة لا يعرف منه الفاضل من غيره وكان قد حذف قسيم من انفق
لوضوحه والتنفير منه ودلالة ما بعده عليه نفي اللبس بقوله **اوليك** اي المنفقون المقاتلون وهم السابقون
الاولون المهاجرين والانصار المقربون اهل الرتبة العالية لمبادرتهم الي الجود بالنفس والمال **اعظم**
درجة وبعظم الدرجة يكون عظم صاحبها **من الذين انفقوا** **ولما** كان المراد التفضيل علي من اوجد
الانفاق والقتال في زمان بعد ذلك لا علي من استغرق كل زمان بعده بالانفاق والقتال ادخل الجار فقال
من بعد وقاتلوا **ولما** كان التفضيل مفهما اشتراك الكل في الفضل صرح به ترغيبا في الانفاق علي كل حال
فقال **وكلا** اي من القسمين **وعد الله** اي الذي له الجلال والاكرام **الحسني** اي الدرجة التي هي في
غاية الحسن وان كانت في نفسها متفاوتة وقرا ابن عامر وكل وهو اوفق لما عطف عليه **فلما** ذكر الاعمال
انما هو بالنيات وكان التفضيل مناط العلم قال مرغبا في احسان النيات مرهبا من التقصير فيها **والله**
اي الذي له الاحاطة الكاملة بجميع صفات الكمال وقدم الجار اعلاما بمزيد الاعتنا بالتمييز عند التفضيل

فقال

فقال **بما تعملون** اي تجددون عمله علي الاوقات **خبير** اي عالم بباطنه وظاهره علما لا مزيد عليه بوجه
فهو يجعل جزا الاعمال علي قدر النيات التي هي ارواح صورها **ولما** فضل السابقين في الانفاق ووعد
بالحسني اللاحقين بحسن الاتباع واشار لهم الي انه ربما الحقهم ببعضهم بصفا الاخلاص فتوفرت الدواعي
علي البذل اثمر ذلك قوله مسميا الصدقة التي صورتها صورة اخراج من غير عوض باسم القرض الذي
هو اخراج بعوض ترغيبا فيها لما اعد عليها من الجزا المحقق فكيف اذا كان مضاعفا **من** واكد بالاشارة
بقوله **ذا** لاجل ما للنفوس من الشح **الذي يقرض الله** اي يعطي الذي له جميع صفات الجلال والاكرام باعطا
المستحق لاجله عطا من ماله هو علي صورة القرض لرجايه الثواب **قرضا حسنا** اي طيبا خالصا مخلصا
فيه متحريا به افضل الوجوه طيبة به النفس من غير من ولا كدر بتسويف ونحوه **ولما** كان ما يعطي الله
المنفق من الجزا مسببا عن انفاقه ربطه بالفا فقال عطفا علي يقرض **فيضاعفه له** مرغبا فيه بجعله مبالغا
فيه بالتضعيف اولا وجعله من باب المفاعلة ثانيا وكذا التفعيل في قراة ابن كثير وابن عامر ويعقوب
فيضعفه وقراة عاصم وابن عامر ويعقوب بالنصب جوابا للاستفهام من توكيد الربط بالتسبيب **ولما**
كانت المضاعفة منه سبحانه لا يعلم كنهها قال **وله** اي المقرض بعد ما تعقلونه من المضاعفة زيادة
علي ذلك **اجر** لا يعلم قدره الا الله وهو معني وصفه بقوله **كريم** اي حسن طيب زاك نام **ولما** بين ما للمقرض
المقرض بين بعض وصفه بالكرم ببيان وقته فقال **يوم** اي لهم ذلك في الوقت الذي **تري** فيه بالعين
واشار الي ان المحبوب من المال لا يخرج عنه ولا سيما مع الافتقار والامن وقوة الدين في قلبه بتعبيره
بالوصف فقال **المومنين والمومنات** اي الذين صار الايمان لهم صفة راسخة **يسعي** شعارا لهم
وامارة علي سعادتهم **نورهم** الذي يوجب ابصارهم جميع ما ينفعهم فياخذونه وما يضرهم فيتركونه
وذلك بقدر اعمالهم الصالحة التي كانوا يعملونها بنور العلم الذي هو ثمرة الايمان كما انهم قدموا
المال الذي انما يقتنيه الانسان لمثل ذلك جزا وفاقا **ولما** كان من يراد تعظيمه يعطي ما يحب وما
يحل تشريفا في الاماكن التي يحبها قال **بين ايديهم** اي حيثما توجهوا ولذلك حذف الجار **وبايمانهم**
اي ويلتصق بتلك الجهة لان هاتين الجهتين اشرف جهاتهم وهم اما من السابقين واما من اهل اليمين
ويعطون صحايفهم من هاتين الجهتين والشقي بخلاف ذلك لا نور له ويعطي صحيفته بشماله من ورا
ظهره والاول نور الايمان والمعرفة والاعمال المقبولة والثاني نور الانفاق لانه بالايمان نبه عليه
الرازي **ولما** ذكر نفوذهم فيما يحبون من الجهات وبشره لهم ابتغه ما يقال لهم من المحبوب
في سلوكهم لذلك المحبوب **بشراكم اليوم** اي بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم من الزمان **ولما**
شوقوا بذلك اخبروا بالمبشر به بقوله مخبرا اشارة الي ان المخبر به تجسد من البشري لكونه معدن
السرور **جنات** اي كاينة لكم تتصرفون فيها اعظم تصرف والخبر في الاصل دخول ولكنه عدل عنه
لما ذكر من المبالغة ثم وصفها بما لا تكمل اللذة الا به فقال **تجري** واتم القرب باثبات الجار فقال
من تحتها الانهار **ولما** كان ذلك لا يتم مع خوف الانقطاع قال **خالدين فيها** خلودا لا اخر له
لان الله اورثكم ذلك فلا يورث عنكم كما كان حطام الدنيا لان الجنة لا موت فيها **ولما** كان هذا
امرا سارا في ذلك المقام الضنك منجيا باهرا استانف مدحه بقوله **ذلك** اي هذا الامر العظيم جدا
هو اي وحده **الفوز العظيم** اي الذي ملا بعظمته جميع الجهات من ذوات ابدانكم ونفوسكم وارواحكم
ولما عظم هذا الاجر الكريم ببيان ما لاهله في الوقت الكاين فيه عظمه بما لاضدادهم من النكال
فقال مبدلا من الظرف الاول **يوم يقول** اي قولا مجددا لا يلجي اليه من الامور العظيمة الشاقة
المنافقون والمنافقات اي بالعراقة في اظهار الايمان بدا ابطال الكفران **للذين امنوا** اي ظاهرا

وباطنا على ادني الوجوه واما من علا عن هذا البتس من المؤمنين ومن فوقهم فالظاهر انهم لا يرونهم
ليطمعوا في مناداتهم واين الثريا من يد المتناول انظرونا اي انتظرونا بان تمكثوا في مكانكم لنلحق
بكم وكان الفعل مجردا في قراءة الجماعة لاقتضاء الحال الايجاز بغاية ما تصل القدرة اليه خوف الفوت
لان المسؤلين يسرعون الي الجنة كالبرق الخاطف وقد حققت المعني قراءة حمزة بقطع الهمزة وكسر الظا
اي اخرونا في المشي وتانوا علينا وامهلونا لا تطلبوا منا السرعة فيه بل امكثوا في مكانكم لننظر في امرنا
كيف نلحق بكم والحاصل انهم عدوا تانيهم في المشي وتلبثهم ليلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس اي ناخذ ونصيب
ونستصبح من نوركم اي هذا الذي نراه لكم ولا يلحقنا منه شي كما كنا في الدنيا نري ايمانكم بما نري
من ظواهركم ولا نتعلق من ذلك بشي من ذلك جزا وفاقا وسبب هذا القول انه ورد انهم يعطون
مع المؤمنين نورا خديعة لهم بما خادعوا في الدنيا لتتعاظم عليهم المشقة بفقده لانه لا يلبس ان يبعث الله
عليهم ريحا وظلمة فيطفا نورهم ويبقون في الظلمة والي ذلك ينظر قول المؤمنين اتمم لنا نورنا اي لا تطفيه
كما اطفات نور المنافقين ولما كان المتكلي لهم انما هو الرد من اي قايل كان بني للمفعول قوله
قيل اي لهم جوابا لسوالهم قول رد وتوبيخ وتهكم وتنديم ارجعوا وراكم اي في جميع جهات الورا
التي هي ابعد الجهات عن الخير كما كنتم في الدنيا لا تزالون مرتدين على اعقابكم عما يستحق ان يقبل عليه
ويسعي اليه فالتمسوا بسبب ذلك الرجوع نورا ويصح ان يراد بالورا الدنيا لان هذا النور انما
هو منها بسبب ما كان فيها من الاعمال الزاكية والمعارف الصافية ولهذا قال الامام الغزالي
في كتاب المحبة من الاحيا ان هذه الاية تدل على الانوار لا بد ان يتجدد اصلها في الدنيا ثم يزداد في الاخرة
اشراقا فاما ان يتجدد ثم نور فلا ولما كان التقدير فرجعوا او فاقاموا في الظلمة سبب عنه وعقب
قوله فضرب مبنيا للمفعول على نحو الاول ولافادة ان ضربه كان في غاية السرعة والسهولة ونحو
ان نكون الفا معقبة على ما قبله من غير تقدير بينهم اي في جميع المسافة التي بين الذين امنوا واضدادهم
في وقت قولهم هذا ولما كان المقصود ان ضربه كان في غاية السرعة لم يوقع الفعل واتي بالفا
ليفيد انه كان كانه عصي ضربت به الارض ضربة واحدة فقال بسور اي جدار محيط بهم محيل بين الجنة
والنار لا يشذ عنه احد منهم ولا يقدر احد ممن سواهم ان يتجاوزه اليهم له باب موكل به حجاب لا يفتحون
الا لمن اذن له الله من المؤمنين بما يفيدهم اليه من نورهم الذي بين ايديهم لشفاعة او نحوها
باطنه اي ذلك السور والباب وهو الذي من جهة الذين امنوا جزا لايمانهم الذي هو غيب
فيه الرحمة وهي ما لهم من الكرامة بالجنة التي هي ساترة تبطن من فيها باشجارها وباسبابها كما
كانت بواطنهم ملاي رحمة وظاهره اي السور والباب الذي يظهر لاهل النار متبدي من قبله
اي تجاه ذلك الظاهر وناحية وجهه وعنده العذاب من النار ومقدماتها لاقتصارهم على
الظواهر من غير ان يكون لهم نفود الي باطن وعكس ما ارادوا من حفظ ظواهرهم في الدنيا مع فساد
بواطنهم ودل على ما افهمه التعبير بالمضارع في يقول من التكرير بقوله استينافا ينادونهم اي
المنافقون والمنافقات يواصلون النداء وهم في الظلمة للذين امنوا يترفقون لهم في مدة هذا القول
والضرب الم نكن اي بكليتنا معكم اي فيما كنتم فيه من الدين فنستحق المشاركة فيما صرتم اليه
بسبب ذلك الدين الذي كنا معكم فيه قالوا اي الذين امنوا بلي قد كنتم معنا ولكنكم فتنتم اي
كنتم بما كان لكم من الذبذبة تختبرون انفسكم فتخالطونها باختيار احوال الدين مخالطة محيلة لها
مميلة عما كانت عليه من اصل الفطرة من الاستقامة تريدون بذلك ان تظهر لكم فيه امور محسوسة
لتخلصوا فيه من الشكوك فتخلصوا فما امنتم بالغيب فاهلكتموها وتبعتم ايضا الامور التي كنتم تفتنون

بها من الشهوات فاوجبت لكم الاعراض عن المعالي الباطنات وتربصتم اي كلفتم انفسكم ان اخرجتموها
عن الفطر الاولي فامهلتم وانتظرتم لترو الامر عيانا ولم تفعلوا مثل ما فعلنا من الايمان بالغيب
وتركا للتجربة ونسبة ما يحصل لنا مما فيه فتنة الي انفسنا وتقصيرنا وكنا كلما حصل لنا ما يزلزل نقول
هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ولا يزيدنا ذلك الا ايمانا وتسليما وانتظرتم ايضا
الدواير باهل الايمان لتظهروا النفاق وارتبتم اي شككتم بتكليف انفسكم الشك بذلك التربص وغرتكم
الاماني اي ما تتمنون اي تريدون وتقدرون من الارادات التي معها شهوة عظيمة من الاطماع
الفارغة التي لا سبب لها غير شهوة النفس اياها بما كنتم تتوقعون لنا من دواير السو حتي جا امر
الله اي قضا الملك المتصف بجميع صفات الكمال فلا كفو له ولا خلف لقوله من الموت ومقدماته من
الامور المدهشات فلما كنتم في الدنيا مقصرين كنتم في هذا الموطن وغركم بالله اي الملك الذي له جميع
العظمة فهو بحيث لا يخلف الميعاد وهو الولي الودود الغرور اي من لا صنع له الا الكذب وهو الشيطان
وهو العدو الحسود فانه ينوع لكم بغروره التسويف ويقول ان الله غفور رحيم وعفو كريم وما ذا
عسي ان تكون ذنوبكم عنده وهو عظيم ومحسن وحليم ونحو هذا فلا يزال حتي يوقع الانسان فاذا اوقعه
واصل عليه مثل ذلك حتي يتمادي فاذا تمادي صار الباعث له حينيذ من قبل نفسه فصار طوع يده
ولما اقروا لهم بالكون الجامع وذكروا ما حصل به الفرق المانع فظهر ان لا كون سببوا عنه قولهم
فاليوم اي بسبب افعالكم تلك لا يوخذ بناه للمفعول لان الضار عدم الاخذ لا كونه من اخذ معين
وليفيد سد باب الاخذ مطلقا منكم فدية اي نوع من انواع الفدا وهو البذل والعوض للنفس
على اي حال كان من قلة وكثرة او حسن او غيره لان الاله غني وقد فات محل العمل الذي شرعه لكم
لانقاذ انفسكم ولما كانوا مكذبين اكد فقال ولا من الذين كفروا اي اظهروا كفرهم ولم
يستروه كما سترتموه انتم لمساواتكم لهم في الكفر ولما كان كانه قيل فاين نكون قال ماواكم
اي منزلكم ومسكنكم ومجمعكم النار لا مقر لكم غيرها تحرقكم كما كنتم تحرقون قلوب الاوليا باقبالكم على
الشهوات واضاعة حقوق ذوي الحاجات واكد ذلك بقوله هي اي لا غيرها مولاكم اي قريبتكم
وموضع قربكم ومصيركم وناصركم على نحو تحية بينهم ضرب وجيع فهي اولي بكم لا قرب لكم الي غيرها ولا
مصير الي سواها ولا ناصر الاهي ولما كان التقدير فبيس المولي هي عطف عليه قوله وبيس
المصير اي هذه النار ولما كان هذا وعظا شافيا لسقام القلوب وكاشفا لعظايم الكروب
انتج قوله حاثا على الاقبال على كتابه الذي رحم به عباده بانزاله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
على وجه معلم باعجازه انه كلام الله مستعطفا لهم الي جنابه زاجرا عما سال بعضهم فيه سلمان رضي
الله عنه من ان يحدثهم عن التوراة او الانجيل فكانوا كما سالوا عن شي انزل سبحانه اية يزجرهم
بها وينبههم على ان هذا القران فيه كل ما يطلب الي ان انزل هذه الاية زاجرة هذا الزجر العظيم
لئلا يظن ظان ان القران غير كاف محوفا لهم بما وقع لاهل الكتاب من الاعراض عن كتابهم وقال
الكلبي نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله استبطا قلوب
المومنين على راس ثلث عشرة سنة من نزول القران فقال الم يان اي يحن ويدرك وينتهي الي الغاية
للذين امنوا اي اقروا بالايمان بالسنتهم صدقا او كذبا ان تخشع اي تكون لهم رتبة عالية
في الايمان بان تلين وتسكن وتخضع وتذل وتطمين وتخبت فتعرض عن الفاني وتقبل على الباقي
قلوبهم لذكر الله اي الملك الاعظم الذي لا خير الا منه فيصدق في ايمانه من كان كاذبا ويقوي في
الدين من كان ضعيفا فلا يطلب لدا دينه دوا ولا لمرض قلبه شفا في غير القران فان ذكر الله

يجلو صدا القلوب ويصقل مرايها ولما كان الذكر وحده كافيا في الخشوع والانابة والخضوع
لانه يجمع لكل رغبة ويمنع لكل رهبة وكان من الناس من لا نفوذ له فيما له سبحانه من الجلال والاكرام
قال وما نزل اي الله بالتدريج على قراة الجماعة بالتشديد وما وجد انزاله من عند الله على خاتم رسله
صلى الله عليه وسلم على قراة نافع وحفص عن عاصم ورويس بخلف عنه عن يعقوب بالتخفيف من الحق
اي من الوعد والوعيد والوعظ وغيره على نبيكم صلى الله عليه وسلم من القران اشارة الى ان
غير هذا الذكر دخله الدخيل واما هذا فثابت ثباتا لا يقدر احد على ازالته ولما كان للمسابقة
والمنافسة امر عظيم في تحريك الهمم لاهل الانفة واولي المعالي قال ولا يكونوا كالذين ولما كان
العلم بمجرده كافيا في اعلا الهمة فكيف اذا كان من عند الله فكيف اذا كان بكتاب اشار الى ذلك بالبنا
للمجهول فقال اوتوا الكتاب اي لو كان الاتيان من عند غير الله لكان جديرا بالهداية فكيف وهو
من عنده ولما كان انزال الكتب لم يكن الا على بني اسرايل فلم يكن مستغرقا للزمان الماضي ادخل
الجار فقال من قبل اي قبل ما نزل اليكم وهم اليهود والنصارى ولما كانوا في كل قليل يغيرون
قال عاطفا على اوتوا الكتاب فطال عليهم الامد اي الزمان الذي ضربناه لشرفهم ومددناه
لعلوهم من اول ايتايهم الكتاب الذي من شانه ترقيق القلوب والامد الاجل وكل منهما يطلق على المدة
كلها وعلى اخرها وكذا الغاية تقول النحاة من لابتدا الغاية والى لانتهايها والمراد هنا جميع المدة
فقست اي بسبب الطول قلوبهم اي صلبت واعوجت حتى كانت بحيث لا تنفعل للطاعات والخير
فكانوا كل قليل في تعنت جديد على انبيايهم عليهم السلام يسلونهم المقترحات واما بعد انبيايهم فابعدوا
في القساوة فمالوا الى دار الكدر بكلياتهم واعرضوا عن دار الصفا فانجروا الى الهلاك باتباع الشهوات
قال القشيري وقسوة القلب انما تحصل من اتباع الشهوة فان الشهوة والصفوة لا يجتمعان ولما
كان التقدير فبعضهم ثبت على ترزله عطف عليه قوله وكثير منهم اخرجته قساوته عن الدين اصلا
وراسا فهم فاسقون اي عريقون في صفة الاقدام على الخروج من دايرة الحق التي حدها لهم الكتاب
وعن عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم انه قال لم يكن بين اسلامهم وبين ان نزلت
هذه الاية يعاتبهم الله بها الا اربع سنين رواه الطبراني في الكبير قال الهيثمي وفيه موسى بن يعقوب
الزمعي وثقه ابن معين وغيره وضعفه ابن المديني وبقية رجاله رجال الصحاح ولما كان الموجب
الاعظم للقسوة انكار البعث وكان العرب يزيدون على اهل الكتاب من موجبات القسوة به وكان
عمل العامل بما يدل على القسوة عمل من ينكره قال ممهدا لهم به مقررا لما ابتدا به السورة من امر
الاحيا ومشيرا الى القدرة على احيا القلوب ممثلا لازالة القساوة عنها بصيقل الذكر والتلاوة
ترغيبا في ادامة ذلك اعلموا اي يا من آمن بلسانه ان الله اي الملك الاعظم الذي له الكمال كله فلا
يعجزه شي يحيي اي على سبيل التجديد والاستمرار كما تشاهدونه الارض اليابسة بالنبات ولما
كان هذا الوصف ثابتا دايما بالفعل تارة وبالقوة اخرى وكان الحال هنا متضمنا للتعميم قال
بعد موتها من غير ذكر الجار وكما انه يحييها فيخرج بها النبات بعد ان كان قد تفتت وصار ترابا
فكذلك يحيي الاموات بجمع اجسامهم وافاضة الارواح عليها كما فعل بالنبات وكما فعل بالاجسام
اول مرة سوا لا فرق بوجه الا بان يقال الابتدا اصعب في العادة فاحذروا سطوته واخشوا
غضبه وارجوا رحمته لاحيا القلوب فانه قادر على احيايها بروح الوحي كما احيى الارض بروح الما
لتصير باحيايها بالذكر خاشعة بعد قسوتها كما صارت الارض بالما رابية بعد خشوعها وموتها
ولما انكشف الامر بهذا غاية الانكشاف انتج قوله قد بينا اي على ما لنا من العظمة ولما

كان

كان العرب يفهمون من لسانهم ما لا يفهمه غيرهم فكانوا يعرفون من اعجاز القران بكثرة فوايده
وجلالة مقاصده ودقة مسالكه وعظمة مداركه وجزالة تراكيبه ومتانة اساليبه وغير ذلك من شوونه
وانواعه وفنونه المنتج للتحقق انه كلام الله ما لا يعلمه غيرهم كانوا كانهم مخصوصون بهذا البيان فقدم
الجار فقال لكم الايات اي العلامات النيرات ولما كان السياق للبعث وكان من دعايم اصول
الدين وكان العقل كافيا في قياسه على النبات وكان العقل الذي لا يقود الى سعادة الاخرة ناقصا
وكان العقل الذي لا ينجي صاحبه مساويا للعدم قال معبرا باداة الترجي بخلاف ما سبق في آل
عمران فانه من مصالح النفس التي احتفت بها دواع تدعو الى فهمها وتبعث على اتقان علمها لعلكم
تعقلون اي لتكونوا عند من يعلم ذلك ويسمعه من الخلايق على رجا من حصول العقل لكم بما يتجدد
لكم من فهمه على سبيل التواصل الدار بالاستمرار ولما كانت الصدقة كالبذر الذي تقدم ان الله
يحييه ويضاعفه اضعافا كثيرة على حسب زكا الارض قال منتجا بما مضى ما يعرف ان من اعظم ما يدل
على الخشوع المحثوث عليه والبعد عن حال الذين اوتوا الكتاب في القسوة الصدقة بالانفاق الذي
قرنه في اولها بالايمان وحث عليه في كثير من اياتها تنبيها على انه ثمرته التي لا تتخلف عنه معبرا عنه بما
يرشد الى انه المصدق لدعواه واكده لما لمن يشك في البعث من انكار بركة الصدقة عاجلا او آجلا تقيدا
بالمحسوسات ان المصدقين اي العريقين في هذا الوصف من الرجال والمصدقات اي من
النسا باموالهم على الضعفا الذين اعطاوهم يدل على الصدق في الايمان لكون المعطي لا يرجى منه نفع
دنيوي ولعله ادغم اشارة الى اخفا الصدقات وقراة ابي رضي الله عنه بالاظهار ترشد الى الاكثار
من الصدقة حتى تصير ظاهرة وقراة ابن كثير وابي بكر عن عاصم بالتخفيف تدل مع ذلك على التصديق
بالايمان فكل من القراات يدل عليها ومن التفصيل بذكر النوعين تعرف شدة الاعتنا ولما كانت
صيغة التفعل تدل على تكلف حث على حمل النفس على التطبع بذلك حتى يصير لها خلقا في غاية الخفة
عليها فقال عاطفا على صلة الموصول في اسم الفاعل معبرا بالماضي بعد افهام الوصف الثبات دلالة
على الايقاع بالفعل عطفا على ما تقديره موقعا ضمير المذكر على الصنفين تغليبا الذين صدقوا ايمانهم
بالتصدق واقرضوا الله اي الذي له الكمال كله بتصدقهم سوا كانوا من الذكور او الاناث وانفاقهم
في كل ما ندب الى الانفاق فيه واكد ووصف بقوله قرضا حسنا اي بغاية ما يكون من طيب النفس
واخلاص النية والنفقة في سبيل الخير وحسنه ان يصرف بصره عن النظر الى فعله والامتياز به وطلب
العوض عليه قاله الرازي يضاعف اي ذلك القرض لهم ويثابون بحسب تلك المضاعفة لان الذي
كان القرض له سبحانه كريم لا يرضى في الخير الا بالفضل وثقل في قراة ابن كثير وابن عامر وابي
جعفر ويعقوب دلالة على المبالغة في التكثير وعبر بالمفاعلة في قراة الجماعة لافهام ان تلك الكثرة
مما لا بد من كونه وانه عمل فيه عمل من يباري آخر ويغالبه وبني للمفعول دلالة على باهر العظمة
اللازم عنه كونه بغاية السهولة ولهم مع المضاعفة اجر كريم اي لا كدر فيه بانقطاع ولا قلة
ولا دناة بوجه من الوجوه اصلا ولما بين سبحانه ان الصدقة كالبذر الذي هو من احسن الارباح
وانجحها بين الحامل عليها ترغيبا فيه فقال عاطفا بالواو اشارة الى التمكن في جميع هذه الصفات والذين
امنوا اي اوجدوا هذه الحقيقة العظيمة في انفسهم بالله اي الملك الاعلى الذي له الجلال والاكرام
ورسله اي كلهم لاجل ما لهم من النسبة اليه فمن كذب بشي عن احد منهم او عمل عمل المكذب له لم يكن
مومنا به اوليك اي الذين لهم الرتب العالية والمقامات السامية هم اي خاصة الصديقون
اي الذين هم في غاية الصدق والتصديق لما يحق له ان يصدقه من سمعه وقال القشيري الصديق

من استوي ظاهره وباطنه ويقال هو الذي يحمل الامر على الاشق ولا ينزل الى الرخص ولا يجنح للتاويلات
ولما كان الصديق لا يكون عريقا في الصديقية الا بالتاهيل لرتبة الشهادة قال والشهداء
معبرا بما مفرده شهيد عاطفا بالواو اشارة الى قوة التمكن في كل من الوصفين وقال القشيري هم الذين
يشهدون بقلوبهم بواطن الوصلة ويعتكفون باسرارهم في اوطان القربة وزاد الامر عظما بقوله
عند ربهم اي الذي احسن اليهم بالتربية لمثل تلك الرتبة العالية من الشهادة بكل ما ارسل به رسله
وللانبياء الماضين على اممهم وبالحضور في جميع الملاذ بالشهادة في سبيل الله قال مجاهد كل مؤمن صديق
وشهيد وتلا هذه الاية لهم اي جميع من مضى من الموصوفين بالخير اجرهم اي الذي جعله ربهم لهم
ونورهم اي الذي زاده هو من فضله برحمته اوليك اصحاب النعيم المقيم ولما ذكر اهل السعادة
جامعا لاصنافهم اتبعهم اهل الشقاوة كذلك فقال والذين كفروا اي ستروا ما دلت عليه انوار عقولهم
ومرائي فكرهم وكذبوا باياتنا على ما لها من العظمة بنسبتها الينا سوا كانوا في ذلك مساترين او
مجاهرين او عمل العالم بها عمل المكذب اوليك اي البعيدون خاصة من كل خير اصحاب الجحيم اي النار
التي هي غاية في توقدها خالدون فيها من بين العصاة واما غيرهم فدخولها لها ان دخلها فليس على
وجه الصحبة الدالة على الملازمة واوليك هم الكاذبون الذين لا تقبل لهم شهادة عند ربهم لفقدهم
عقابهم وعليهم كلامهم والاية من الاحتباك ذكر الصديقية ومامعها اولا دليلا على اضدادها ثانيا
والجحيم ثانيا دليلا على النعيم اولا وسره ان الاول اعظم في الكرامة والثاني اعظم في الاهانة
ولما ذكر سبحانه حال الفريقين الاشقيا والسعدا فتقرر بذلك امر الاخرة فعلم انها الحيوان الذي لا
انفصال له من اكرام او هوان وكان الموجب للهوان فيها انما هو الاقبال على الدنيا لحضورها ونسيان
الاخرة لغيابها قال منتجا مما مضى مبينا لحقيقة ما يرغب فيه المكلف المركب على الشهوة من العاجلة
بما يزهد فيه مصدرا له بما يوجب غاية اليقظة والحضور اعلموا اي ايها العباد المبتلون واكد
المعنى بزيادة ما لما للناس من الغفلة عنه فقال قاصرا قصر قلب انما الحيوة الدنيا اي الحاضرة
التي رغب في الزهد فيها والخروج عنها بالصدقة والقرض الحسن لعب اي تعب لا ثمرة له فهو
باطل كلعب الصبيان ولهو اي شي يفرح الانسان فيلهيه اي يشغله عما يعنيه ثم ينقضي كلهو
الفتيان ثم اتبع ذلك اعظم ما يلهي في الدنيا فقال وزينة اي شي يبهج العين ويسر النفس
كزينة النسوان واتبعها ثمرتها فقال وتفاخر اي كتفاخر الاقران يفخر بعضهم على بعض ولما
كان ذلك مخصوصا باهل الشهوات قال بينكم اي يجر الى الترفع الجار الى الحسد والبغضا واتبع
ذلك ما يحصل به الفخر فقال وتكاثر اي من الجانبين في الاموال التي لا يفتخر بها الا احمق لكونها
مايلة والاولاد التي لا يغتر بها الا سفيه لانها زايلة وافاتها هايلة وانما هي فتنة وابتلا يظهر بها
الشاكر من غيره ثم ان ذلك كله قد يكون ذهابه عن قرب فيكون على اضداد ما كان عليه فيكون اشد
في الحسرة ومطابقة ذلك لما يعلن ان الانسان ينشا في حجر وليه فيشب ويقوى ويكسب المال
والولد ويغشاه الناس فتكون بينهم امور معجبة واحوال ملهية مطربة فاذا تم شبابه واطغاه مجيه
وذهابه واشكاله واترابه اخذ في الانحطاط ولا يزال حتى ينشف ويسقم ويضعف ويهرم
وتصيبه النوايب والقوارع والمصايب في ماله واولاده وحشمه واصحابه ثم في اخر ذلك يموت
فاذا هو قد اضمحل امره ونسي عما قليل ذكره وصار ماله لغيره وزينته ممتعا بها سواه فالدنيا حقيرة
واحقر منها طالبها واقل منها خطرا المزاحم فيها فما هي الا جيفة وطلاب الجيفة ليس لهم خطر واخسهم
من بخل بها قال القشيري وهذه الدنيا المذمومة هي ما يشغل العبد عن الاخرة فكل ما يشغله

عن

عن الاخرة فهو الدنيا انتهى ولما قرر سبحانه انها ظل زايل وعرض مايل وكان بعض الناس ينتبه
فيشكر وبعضهم يعمى فيكفر وكان القسم الثاني اكثر لان وجودها واقبالها يعمي اكثر القلوب عن حقارتها
ضرب لذلك مثلا مقررا لما مضى من وصفها لان للامثال في تقرير الاشيا وتصويرها ما ليس لغيرها
فقال كمثل اي هذا الذي ذكرته من امرها يشبه مثل غيث اي مطر حصل بعد جدب وسوء حال
ولما كان في سياق التحقير للدنيا والتنفير عنها عبر عن الزارع بما ينفر فقال اعجب الكفار
اي الزراع الذين حصل منهم الحرث والبذر الذي يستره الحارث بحرثه كما يستر الكافر حقيقة
انوار الايمان بما تحصل منه من الجحد والطغيان ولان هذا هي اعجاب الزراع الى حد يلهي عن الله
الا مع الكفر به سبحانه فان المومن وان اعجبه ذلك بتذكيره قدرة الله وعظمته وما اعد لاهل
طاعته في الاخرة فيحمله ذلك على الطاعة فالتعبير بالكفار الذي هو بمعنى الزراع دونه اشارة
الى عظمة ذلك النبات فانه لا يعجب العارفين به الممارسين له الذين لهم غاية الاقبال على تلك الحرفة
والمنافسة فيها الا ما يكون منه نهاية في الاعجاب والى انه لا يعجب احدا شي من الدنيا اعجابا
يركن اليه ويانس به انسا يودي الى ما في الاية من اللهو وما معه الا لكفر في نفسه اقله كفر
النعمة التي من شانها ان تدعو الى تذكر الخالق تذكرا يحمل على الشكر وترك الشكر كفر نباته اي
نبات ذلك الغيث كما يعجب الكافر في الغالب بسط الدنيا له استدراجا من الله سبحانه ولما
كان الزرع يشتد بعد مدة فيضمحل كما هو في شان الدنيا كلها قال ثم يهيج اي يسرع تحركه
فيتم جفافه فيحين حصاده فتراه مصفرا عقب ذلك وبالقرب منه على حالة لا نمو معها بل
ولا نبات ولذلك قال معبرا بالكون لان السياق للتزهيد في الدنيا وانه ظل زايل لا حقيقة لها
ثم اي بعد تناهي الجفاف وابيضاضه يكون اي كونا كانه مطبوع عليه وابلغ سبحانه في تقرير
اضمحلاله بالاتيان مع فعل الكون ببنا المبالغة لان السياق لتقرير ان الدنيا عدم وان كانت في
غاية الكثرة والاقبال والمواتاة بخلاف ما مضى في الزمر فقال حطاما كان الحطامية كانت
في جبلته واصل طبعه ولما ذكر الظل الزايل ذكر اثره الثابت الدايم مقسما له الى قسمين فقال
عاطفا على ما تقديره هذا حال الدنيا في سرعة زوالها وتحقق فنايها واضمحلالها وفي اي
وهذا الذي غر من حال الدنيا هو في الاخرة على حالين احدهما عذاب شديد اي لمن اخذها
بغير حقها معرضا عن ذكر الله لان الاغترار بها سببه فكانه كانه هو ولما قدم ما هو السبب
الاغلب لان اكثر الخلق هالك اتبعه الصنف الناجي فقال ومغفرة اي لاهل الدرجة الاولى
في الايمان من الله اي الملك الاعظم لمن تذكر بما صنعه له في الدنيا عظمته سبحانه وجلاله فتاب
من ذنوبه ورجع اليه في التطهير من عيوبه ورضوان لاهل الدرجة العليا وهم من اقبل
عليه سبحانه فشكره حق شكره ببذل وسعه فيما يرضيه فاخر الاية تقسيم للدنيا على الحقيقة لئلا
يظن من حصرها فيما ذكر اول الاية انها لا تكون الا كذلك فالمعنى ان الذي ذكره اولا هو اغلب
احوالها وعاقبته النار وما كان منها من ايمان وطاعة ونظر توحيد لله وتعظيم ومعرفة يودي
الى اخذها تزودا ونظرها اعتبارا وتعبدا فهو اخرة لا دنيا وقد تحرر ان مثل الغيث المذكور
الحطام وتارة يعقبه نكد لازم واخرى سرور دايم فمن عمل في ذلك عمل الحزمة فحرس الزرع مما
يوذيه وحصله في وقته وعمل فيه ما ينبغي ولم ينس حق الله فيه سره اثره وحمد عاقبته ومن
اهمل ذلك اعقبه الاسف وذلك هو مثل الدنيا من عمل فيها بامر الله اعقبته حطاميتها سرورا
دايما ومن اهمل ذلك اورثته خزيا لازما ولما كان التقدير فما الاخرة لمن سعى لها سعيها

الا حق مشهور وسعي مشكور عطف عليه قوله وما الحياة الدنيا اي لكونها تشغل بزينتها مع
انهازايلة الا متاع الغرور اي هو في نفسه غرور لا حقيقة له الا ذلك لانه لا تجر لمن اقبل علي التمتع
الا ذلك لانه لا يسر بقدر ما يضر ولما بين ان الدنيا خيال ومحال ليصرف الكملة من العباد
عنها لسفولها وحقارتها وان الاخرة بقا وكمال ليرغبوا غاية الرغبة فيها وليشتاقوا كل الاشتياق
اليها لكمالها وشرفها وجلالها انتج ذلك قوله سابقوا اي افعلوا في السعي لها بالاعمال الصالحة
حق السعي فعل من يسابق شخصا فهو يجتهد غاية الاجتهاد في سبقه ولكن ربما كان قرينه بطيا فسار
هو الهوينا واما المسارعة فلا تكون الا بجهد للنفس من الجانبين مع المسرعة في العرف فاية ال
عمران الامرة بالمسارعة الاخص من المسابقة ابلغ لانها للحث عن التجرد عن النفس والمال وجميع
الحظوظ اصلا وراسا ولذلك كانت جنتها للمتقين الموصوفين واما هذه ففي سياق التصدق
الذي هو تجرد عن فضول الاموال ولذا كانت جنته للذين امنوا ولما كان المقام عظيما والانسان
وان بذل الجهد ضعيفا لا يسعه الا العفو سوا كان سابقا او لاحقا من الابرار او المقربين نبه
علي ذلك بقوله في السابقين الي مغفرة اي ستر لذنوبكم عينا واثرا من ربكم اي المحسن اليكم باذن ربكم
وطوركم بعد الايجاد بانواع الاسباب بان تفعلوا اسباب ذلك بامتثال اوامره سبحانه واجتناب
زواجره ولما كان المقصود من المغفرة ما يترتب عليها من نتيجتها قال وجنة اي وبستان
هو من عظم اشجاره واطراد انهاره بحيث يستر داخله ولما كان ذلك لا يكمل الا بالسعة قال عرضها
اي فما ظنك بطولها ولما كان السياق كما بين للتجرد عن فضول الاموال فقط كان الموعود به
دون ما في آل عمران فافرده وصرح بالعرض فقال كعرض السماء والارض اي لو وصل بعضها
ببعض فاية آل عمران تحتمل الطول وجميع السموات والاراضي علي هيئتها وتحتمل ان يكون ذلك علي تقدير
ان تقدد كل واحدة منها ويوصل راس كل قدة براس الاخري وتمد جميع القدات الي نهايتها
علي مثل الشراك وهذه الاية ظاهرها عرض سما واحدة وارض واحدة اعدت اي هيئت هذه
الجنة الموعودة وفرغ من امرها بايسر امر للذين امنوا اي اوقعوا هذه الحقيقة وهم من هذه
الامة اتفاقا لا ريب فيه ولو انه علي ادني الوجوه فكانوا من السابقين وهذا يدل علي
ان الجنة موجودة الآن في ايات كثيرة وان الايمان كاف في استحقاقها واحاديث الشفاعة موئدة
لذلك بالله اي الذي له جميع العظمة لاجل ذاته مخلصين له الايمان ورسله فلم يفرقوا بين احد
منهم فهذه الجنة غير المذكورة في آل عمران وان قيل ان السما هنا للجنس لكون السياق فيه
الصديقون والشهدا كانت ابلغية تلك بالتصريح بالجمع وعدم التصريح بالعرض لكونها في سياق
صرح فيه بالجهاد وقد جرت السنة الالهية باعظام المواعيد للمجاهدين لشدة الخطر في امر
النفس وصعوبة الخروج عنها وعن جميع المالوفات ولما كان ما ذكر من الوعد بالمغفرة
والجنة عظيما لا سيما لمن امن ولو كان ايمانه علي اعلي الدرجات ومع التجرد من جميع الاعمال
عظمه بقوله ردا علي من يوجب عليه سبحانه شيا من ثواب او عقاب ذلك اي الامر العظيم
جدا فضل الله اي الملك الذي لا كفو له فلا اعتراض عليه يؤتيه من يشا ولعل التعبير
بالمضارع اشارة الي ان هذا خاص بهذه الامة التي هي اقل عملا واكثر اجرا فاذا حسدهم
اهل الكتاب قال تعالي هل ظلمتكم من اجركم شيا فاذا قالوا لا لان المصروف من الاجر لجميع الطوائف
علي حسب الشرط قال ذلك فضلي اوتيه من اشا والله اي والحال ان الملك المختص بجميع صفات
الكمال فله الامر كله ذو الفضل العظيم اي الذي جل عن ان تحيط بوصفه العقول ولما كانت

الدنيا مانعة عن المسابقة الي الاخرة بلذاتها والامها وكانت كما انها منزل رخا هي دار بلا وكان قد اقتصر
سبحانه في الاية السابقة علي الاول لان السياق للانفاق والترغيب في معالي الاخلاق وجعل المسابقة
الي السعادة نتيجة الزهد فيها تحركت النفس للسؤال عما يعوق عن الخير من الضرب فقال مسليا عنه — بسياط البلاء
لان النفوس اشد تاثرا بالمكاره واسرع انفعالا بالمضار ومحققا ومعزيا بالاعلام بانه لم يكن فيها خير
ولا شر الا بقضا حتم في الازل وقدر احكم ووجب حين لم يكن شي غيره عز وجل وذكر فعل الموت الجايز
التذكير لكون التانيث غير حقيقي اشارة الي عظم وقع الشر ما اصاب واكد النفي فقال من مصيبة
وهي في الاصل لكل آت من خير او شر لان العرف خصها بالشر وعم الساكن والمتحرك بقوله في الارض اي
من نباتها ومياهها ونحو ذلك ولا في انفسكم اي بموت ومرض وعين وعرض الا كاينة في كتاب
اي مكتوب لانه مقدر مفروغ من تقديره من القدم وبين ان الكتابة حدثت بعد ان كان هو سبحانه ولا شي
معه بادخال الجار فقال من قبل ان نبراها اي نخلق ونوجد ونقدر المصيبة والارض والانفس وهذا
دليل علي ان اكتساب العبد بخلقه سبحانه وتقديره ولما كان ذلك متعذرا علي المخلوق فهو اشد شي
نكرا له وقوفا مع الوهم قال مؤكدا ان ذلك اي الامر الجليل وهو علمه بالشي وكتبه له علي تفاصيله قبل كونه
ثم سوقه النفوس والاسباب الي اخراجه بعد التكوين علي مقدار ما سبق علمه به وكتبه له علي الله اي لما
له من الاحاطة بصفات الكمال يسير لان علمه محيط بكل شي وقدرته شاملة لا يعجزها شي ولما
بين هذا المعني العظيم الدال علي ما له سبحانه من الكبريا والعظمة بين ثمرة اعلامه به فقال لكيلا اي
اعلمناكم بانا علي ما لنا من العظمة قد فرغنا من التقدير فلا يتصور فيه تقديم ولا تاخير ولا تبديل ولا تغيير لا
الحزن يدفعه ولا السرور يجلبه ويجمعه كما قال صلي الله عليه وسلم يا معاذ ليقل همك ما قدر يكن
لاجل ان تاسوا اي تحزنوا حزنا كبيرا زايدا علي ما في اصل الجبلة يوصل الي الهلع بتعاطي اسبابه والتمادي فيها
ليتاثر عنها السخط وعدم الرضا بالقضا فربما جر ذلك الي امر عظيم علي ما فاتكم اي من المحبوبات الدنيوية ولا
تفرحوا اي تسروا سرورا يوصل الي البطر بالتمادي مع ما في اصل الجبلة بما اتاكم اي جاكم منها علي قراة ابي عمرو بالقصر
واعطاكم الله علي قراة الباقين بالمد وهي تدل علي ان النعم لا بد في ايجادها وابقايها من حافظ ثم انها لو خليت
ونفسها لفاتت لانه ليس لها من ذاتها الا العدم وقد بين سبحانه ان في تقديره هذا وكتبه من السر ان من
وطن نفسه علي فقد ما لديه من اعيان ومعان قل تاثره بالعدم والوجدان فلم يعتره ذلك عن المسابقة المذكورة
فالمنهي عنه التمادي مع الحزن حتي يخرج عن الصبر ومع الفرح حتي يلهي عن الشكر لا اصل المعني لانه ليس من
الافعال الاختيارية قال جعفر الصادق ما لك تاسف علي مفقود ولا يرده اليك الفوت وما لك تفرح
بموجود ولا يتركه في يديك الموت انتهي ولقد عزي الله المؤمنين رحمة لهم في مصايبهم وزهدهم في رغايبهم
بان اسفهم علي فوت المطلوب لا يعيده وفرحهم بحصول المحبوب لا يفيده ولان ذلك لا مطمع في بقايه الا بادخاره
عند الله وذلك بان يقول في المصيبة قدر الله وما شا فعل ويصبر وفي النعمة هكذا قضي وما ادري ما
مآله هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر فلا يزال خايفا عند النعمة راجيا اثر النقمة قايلا في الحالين ما شا
الله كان وما لم يشا لم يكن واكمل من هذا ان يكون مسرورا بذكر ربه له في كلتي الحالتين كما قال القايل
سقيا لمعهدك الذي لو لم يكن ما كان قلبي للصبابة معهدا وهذا صفة المحترزين من رق النفس
وقيمة الرجال انما تعرف بالواردات المغيرة فمن لم يتغير بالمضار ولم يتاثر بالمسار فهو سيد وقته اشار
اليه القشيري ولما كان الامعان في استجلاب الاسي انما هو من الياس ونسيان النعم وزيادة الفرح
الموصل الي المرح انما يجره الكبر والبذخ وكان في اوصاف اهل الدنيا التفاخر قال تعالي مبينا ان المنهي
عنه سابقا التمادي مع الجبلة في الحزن والفرح عاطفا علي ما تقديره فان الله لا يحب كل يؤوس كفور والله لا

بجت اي لا يفعل فعل المحب بان يكرم كل مختال اي متكبر نظرا الي ما في يده من الدنيا فخور قال القشيري
الاختيال من بقايا النفس ورؤيتها والفخر من رؤية خطر ما به يفتخر ولما كان من جملة صفات المختال
المكاثر بالمال البخل وكان قد تقدم الحث علي الانفاق وكان ما يوجبه لذة الفخار والاختيال الذي
الوصل اليها المال حاملة علي البخل خوفا من الاقتار الموجب عند اهل الدنيا الصغار قال تعالي واصفا
للمختال او لكل الذين يبخلون اي يوجدون هذه الحقيقة مع الاستمرار ويأمرون الناس اي كل من يعرفونه
بالبخل ارادة ان يكونوا لهم رفقا يتجملون باعمالهم الخبيثة فيحامون عنهم او انهم يوجبون باعمالهم من التكبر
والبطر بالاموال التي حصلها لهم البخل استدراجا من الله لهم بخل غيرهم لانه اذا رأهم عظموا بالمال بخل ليكثر
ماله فيعظمونه ذلك كله نتيجة فرحهم بالموجود وبطرهم عند اصابته فيكونوا آمرين بالبخل لكونهم اسبابا
له والسبب كالامر في ايجاد الشي ولما كان التقدير فمن اقبل علي ما ندب اليه من الاقراض الحسن
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان الله شكور عليم عطف عليه قوله ذاما للبخل محذرا منه ومن يتول
اي يكلف نفسه من الاعراض ضد ما في فطرته من محبة الخير والاقبال علي الله فان الله اي الذي له جميع
صفات الكمال هو اي وحده الغني اي عن ماله وانفاقه وكل شي اليه مفتقر الحميد اي المستحق
للحمد سواء حمده الحامدون ام لا وقراءة نافع وابن عامر باسقاط هو مفيدة لحصر المبتدا في الخبر للتعريف
وان كانت قراءة الجماعة اكد ولما ظهرت الادلة حتي لم يبق لاحد علة وانتشر نورها حتي ملا الاكوان
وعلا علوا نضال دون علياه كيوان وكان مما تقدم شرح حال الدنيا وبيان حقيقتها وان الادمي
اذا خلا ونفسه ارتكب ما لا يليق من التفاخر وما شاكله وترك ما يراد منه مما دعي اليه من الخير جهلا
منه وانقيادا مع طبعه وكان ختم الاية السابقة ربما اوهم المتاركة قال تعالي نافيا ذلك في جواب
من توقع الاخبار عن ساير الانبيا هل اوتوا من البيان ما ازال اللبس مؤكدا لازالة العذر باقامة الحجج
بارسال الرسل بالمعجزات الحاضرة والكتب الباقية معلما ان من اعرض كلف الاقبال بالسيف فان الحكيم
العظيم تابي عظمته وحكمته ان يخلي المعرض من تنبيه يرده عما هو فيه وقسر يكفه عما يطغيه لقد
ارسلنا اي بما لنا من العظمة رسلنا اي الذين لهم نهاية الجلال بما لهم بنا من الاتصال من الملائكة
الي الانبيا علي جميعهم افضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام ومن الانبيا الي الامم بالبينات اي
الموجبة للاقبال في الحال لكونها لا لبس فيها اصلا ودل علي عظمة انبيائه عليهم السلام بانهم لعلو مقامهم
بالارسال كانهم اتوا الي العباد من موضع جدا فقال وانزلنا اي بعظمتنا التي لا شي اعلي منها معهم الكتاب
اي الحافظ في زمن الاستقبال في الاحكام والشرايع ولما كان فهم الكتاب ربما اشكل فانه يحتاج
الي ذهن صقيل وفكر وبصر كبير وعلم كثير قال الرازي ولهذا قيل لولا الكتاب لاصبح العقل
حائرا ولولا العقل لم ينتفع بالكتاب عقبه بما يشترك في معرفته الكبير والجاهل والحرير وهو اقرب الاشيا
الي الكتاب في العلم بمطابقة الواقع لما يراد فقال والميزان اي العدل او الحكمة ولعله كل ما يقع به التقدير
حسا او معني وتعقيبه به اشارة الي ان عدم زيغه لعدم حظ ونحوه فمن حكم الكتاب خاليا عن حظ نفس
وصل الي المقصود ليقوم الناس اي الذين فيهم قابلية التحرك الي المعالي كلهم بالقسط اي العدل
الذي لا مزيد عليه لانتظام جميع احوالهم هذا لمن اذعن للبينات لذات من اقامها او للرغبة فيما
عنده ولما كان الاعراض بعد الابلاغ في الايضاح موجبا للردع عن الفساد بانواع الجهاد قال محمدا
وممتنا ترغيبا وترهيبا معبرا عن الخلق بالانزال تشريفا وتعظيما وانزلنا اي خلقنا خلقا عظيما بما لنا
من العزة الحديد اي المعروف علي وجه من القوة والصلابة واللين والحدة لقبول التاثير يعد به كالباين
لما في الارض فلذلك سمي الايجاد انزالا ولان الاوامر بالايجاد والاعدام تنزل من السما علي ايدي الملايكة

كان السما محل الحوادث الكبار والبدايع والاسرار ولان الما الذي هو اصله واصل كل نام ينزل من
السما وتكون الارض له بمنزلة الرحم للنطفة ولما وقع التشوف الي سبب انزاله قال فيه باس
اي قوة وشدة وعذاب شديد بما فيه من الصلابة الملايمة للمضي والحدة ومنافع للناس بما يعمل منه
من مرافقهم ومعاونهم ليقوم احوالهم بذلك قال البيضاوي ما من صنعة الا والحديد آلتها ولما
كان التقدير ليعلم الله من يعصيه فيخذل اولياءه بوضع باسه في غير ما امر به نصرة لشيطانه وهواه
وافتتانه عطف عليه قوله وليعلم الله اي الذي له جميع العظمة علم شهادة لاجل اقامة الحجة بما يليق
بعقول الخلق فيكون الجزا علي العمل لا علي العلم واوقع ضمير الدين عليه سبحانه تعظيما له لانه شارعه فقال
فقال من ينصره اي يفعل مجددا علي الاستمرار علي نصر دينه ورسله بالذب عنهم والدعا اليهم كائنا
ذلك النصر بالغيب من الوعد والوعيد اي تصديق الناصر لما غاب عنه من ذلك او غائبا عن كل ما
اوجب له النصرة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ينصرونه ولا يبصرونه انتهي فلم يدع
سبحانه بهذه الاية لاحد عذرا بالرسل الذين هم الجنس مع تاييدهم بما نفي عنهم اللبس والكتاب العالي
عن كلام الخلق والعقل الذي عرف العدل والسلاح الذي يرد اولي الجهل كما قال صلي الله عليه وسلم
بعثت بين يدي الساعة بالسيف فبيان الشرايع بالكتاب وتقديم ابواب العدل بالميزان وتنفيذ
هذه المعاني بالسيف فان مصالح الدين من غير هيبة السلطان لا يمكن رعايتها فالملك والدين توأمان
فالدين بلا ملك ضايع والملك من غير الدين باطل والسلطان ظل الله في الارض فظواهر الكتاب للعوام
ووزن معارفه لاهل الحقايق بالميزان ومن خرج من الطايفتين فله الحديد وهو السيف لان تشوش
الدين منه نبه عليه الرازي ولما كان طلب النصرة مظنة لتوهم الضيق قال نافيا لذلك مؤكدا
قطعا لتعنت المتعنتين مظهرا للاسم الاعظم اشارة الي ان من له جميع صفات الكمال لا يمكن ان تطرقه
حاجة ان الله اي الذي له العظمة كلها ولما لم يكن هنا الي اكثر من هذا من التاكيد بخلاف ما اشير اليه
داع من الاخراج من الديار المذكور في الحج ونحوه قال معللا بانه غني عن كل شي معربا بالخبر من اللام قوي
اي فهو قادر علي اهلاك جميع اعدائه وتاييد من ينصره من اوليائه عزيز فهو غير مفتقر الي نصر احد
وانما دعا عباده الي نصر دينه ليقيم الحجة عليهم فيرحم من اراد بامتثال المامور ويعذب من يشا بارتكاب
المنهي لبنائه هذه الدار علي حكمة ربط المسببات بالاسباب ولما عم الرسل جامعا لهم في البينات فكان
السامع جديرا بان يتوقع تعيين بعضهم خص من بينهم من اولي العزم ابوين جامعين في الذرية والرسالة
لان ذلك انسب لمقصود السورة ليتبين فضل محمد صلي الله عليه وسلم الذي عم برسالته عموما لم يكن لاحد
غيره فنوح عليه السلام ارسل الي اهل الارض لكونهم كانوا علي لسان واحد وعموم ابراهيم عليه السلام
باولاده عليهم السلام ونقص بعدهما علي عيسي عليه السلام لما له من عموم الرسالة الي بني اسرايل بالنسخ
والتشريع ثم من نزوله في هذه الامة للتقرير والتجديد فقال ولقد ارسلنا اي بما لنا من صفات
الكمال الجمال والجلال نوحا الاب الثاني وجعلنا الاغلب علي رسالته مظهر الجلال وابراهيم ابا
العرب والروم وبني اسرايل اي اكثر الانبيا من نسله وجعلنا الاغلب علي رسالته تجلي الاكرام وجعلنا
بما لنا من العظمة في ذريتهما النبوة المقتضية للوصلة بالملك الاعظم لتنفيذ الاوامر والكتاب الجامع
للاحكام الضابط للشرايع بان استنبأنا بعض ذريتهما وانزلنا اليهم الكتاب فلا يوجد نبي ولا كتاب
الا وهو مدل اليهما بامتن الاسباب واعظم الانساب ولما كان مظهر العظمة مقتضيا لاشقا من
اريد شقاوه مع عدم المبالاة به كائنا من كان سوا اتصل بالاوليا او الاعدا البلايا من احد فيقع في
الخسران او بياس احد فيلزم الهوان قال فمنهم اي ذرية هذين الصنفين مهتد هو بغي الرضا منا وهو

من لزم طريقة الاصفيا واستمسك بعراهم ولم يزغ اصلا وان كان من اولاد الاعدا ولما
كان من زاغ بعد تذكيره بالكتب والرسل مستحقا للمبالغة في الذم ولو انه واحد فكيف اذا كان كثيرا
بنه بتغيير السياق على ذلك وعلى ان الاغلب الضلال فقال وكثير منهم اي الذرية الموصوفين
فاسقون هم بعين السخط وان كانوا اولاد الاصفيا وهم من خالف الاوليا بمنابذة او ابتداع اوزيغ
عن سبيلهم بما لم ينهجوه بافراط او تفريط ولما كان من مقاصد هذه السورة العظمى الاعلام بنسخ
الشرايع كلها بشريعة هذا النبي الكريم الخاتم العام الرسالة لجميع الخلايق قال مشيرا الى عظمة
الارسال والرسل باداة التراخي ثم قفينا اي بما لنا من العظمة تقفية لها من العظمة ما يجل وصفه
على اثارهم اي الابوين المذكورين ومن مضى قبلهما من الرسل ولا يعود الضمير على الذرية لانها باقية
مع الرسل وبعدهم برسلنا اي فارسلناهم واحدا في اثر واحد بين من لا يحصى من الخلق من الكفرة محزو
منهم في الاغلب بما تقتضيه العظمة لا تنسي اثار الاول منهم حتى ترسل الذي بعده في قفاه فكل رسول بين يدي
الذي بعده والذي بعده في قفاه فهو مقفى له لان الاول ذاهب الى الله والثاني تابع له ونبينا
صلى الله عليه وسلم اعرق الناس في هذا الوصف لانه لا نبي بعده ولهذا كان الوصف احد اسمائه
ولما كان عيسى عليه السلام اعظم من جا بعد موسى عليه السلام من بني اسرايل وهو الناسخ لشريعته
والمؤيد بعد النبي الخاتم صلى الله عليهما وسلم في تجديد دينه وتقرير شريعته وكان الزهد والرافة
والرحمة في تابعيه في غاية الظهور مع ان ذلك لم يمنعهم من القسوة المبنية سابقا على ان الموجب لها
طول الامد الناشي عنها الاعراض عن الايات الحاضرة معه والكتاب الباقي بعده خصه بالذكر واعاد
العامل وقفينا اي اتبعنا بما لنا من العظمة على اثارهم قبل ان تدرس بعيسى ابن مريم وهو اخر
من قبل النبي الخاتم عليهم السلام فامته اولى الامم بالامر باتباعه صلى الله عليه وسلم وءاتيناه
بما لنا من العظمة الانجيل كتابا ضابطا لما جا به معلما لملته مبينا للقيمة مبشرا بالنبي العربي
موضحا لامره مكثرا من ذكره وجعلنا بعزتنا في قلوب الذين اتبعوه اي بغاية جهدهم فكانوا على
منهاجه رافة اي اشد رقة على من كان يتسبب الى الاتصال بهم ورحمة اي رقة وعطفا على من لم
يكن له سبب في الصلة بهم كما كان الصحابة رضي الله عنهم رحما بينهم حتى كانوا اذلة على المؤمنين مع
ان قلوبهم في غاية الصلابة فهم اعزة على الكافرين وترتيب الوصفين هكذا ادل دليل على انهما لم يقصد
بهما مراعاة الفواصل في رءوف رحيم كما قاله بعض المفسرين وتقدم في اخر براءة ان ذلك قول لا
يحل التصويب اليه ولا التعويل عليه وان قاله من قاله ورهبانية اي امورا حاملة على الرهبة والتر
زيها والعمل على حسبها ومبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس ولما قدم المعمول
لفعل غير مذكور ليدل عليه بما يفسره ليكون مذكورا مرتين تاكيدا له افهاما لذم نفس الابتداع اتبعه المفسر
لعامله فقال ابتدعوها اي حملوا انفسهم على عملها والتطرق لها من غير ان يكون لهم فيها سلف يعملونه
او تكون مما صرح به كتابهم وان كانت مقاصدهم لا تاباها فاعتزلوا لاجلها الناس وانقطعوا في الجبال عن
الاستيناس فكانت لهم بذلك اخبار شايعة في النواحي والامصار وفي التقديم على العامل سر اخره
الصلاحية للعطف على ما قبلها لئلا يتوهم من لفظ الابتداع انه لا صنع لله فيها ما كتبناها اي فرضناها
بعظمتنا عليهم في كتابهم ولا على لسان رسولهم الا اي لاجل تكليفهم انفسهم الوقوع بغاية الاجتهاد في تصفية
القلوب وتهذيب النفوس وتزكية الاعمال على ابتغاء رضوان الله اي الرضى العظيم من الملك الاعظم
وساق المنقطع مساق المتصل اشارة الى انه مما يرضي الله وانه ما ترك فرضها عليهم الا رحمة لهم لاجل صعوبتها
وانه صيرها بعد التزامهم لها كالمكتوبة فيكون التقدير حينئذ الا لاجل ان يبتغوا رضوانه على وجه الثبات

والدوام

والدوام قال الامام ابو القسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري في كتابه فتوح مصر والمغرب
فلما ان اغرق الله عز وجل فرعون وجنوده كما حدثنا هاني بن المتوكل عن ابن لهيعة عن يزيد ابن ابي حبيب
عن تبيع قال استاذن الذين كانوا امنوا من السحرة موسى عليه السلام في الرجوع الى اهلهم ومالهم بمصر
فاذن لهم ودعا لهم فترهبوا في رءوس الجبال فكانوا اول من ترهب وكان يقال لهم الشيعة وبقيت طايفة
منهم مع موسى عليه السلام حتى توفاه الله عز وجل ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدعها بعد ذلك
اصحاب المسيح عليه السلام ولما تسبب عن صعوبتها انهم اضاعوها بالتقصير عن شاوها والسفول
عن عليايها قال فما رعوها اي حفظوها كلهم حفظ من هو مرتاع من خوف ضياعها حق رعايتها بصون الغاية
في رعاية الاعمال والاحوال والاوقات فصون الاعمال توفيرها بالتحضير لها من غير التفات اليها ورعاية
الاحوال عد الاجتهاد مراياة والحال دعوى ورعاية الوقت الوقوف مع حضور على بساط شهود الجلال
ذكره الرازي بل غلبت عليهم صفات البشر فقصر بعضهم عن عالي مداها والخطوا عن شامخ ذراها ففي
هذا تنفير عظيم عن البدع وحث شديد على لزوم ما سنه الله وشرع وتحذير من التشدد فانه لن
يشاد الدين احد الا غلبه وهو اكبر جار الى البدعة ولهذا كثر في اهل الرهبانية المروق من
الدين بالاتحاد والحلول وغير ذلك من البلايا ولو كان يظهر ان التشدد والتعمق خير لان الشارع
الذي احاط علما بما لم نحط به نهى عنه وقد افادت التجربة انه قد يضر لان هولا ابتدعوا ما ارادوا به
الخير فكان داعيا لكثير منهم الى دار البوار ونبه ايضا حث عظيم على المداومة على ما اعتيد من الاعمال
الصالحة ما عمل النبي صلى الله عليه وسلم عملا الا داوم عليه وكان ينهى عن التعمق في الدين ويامر
بالرفق والقصد ولما كانت متابعة النفس في التقصير بالافراط او التفريط قد توصل الى المروق
من الدين فتوجب الكفر فيحط على الهلاك كله اشار الى ذلك بقوله فاتينا اي بما لنا من صفات الكمال
الذين امنوا اي اسمروا على الايمان الكامل ولعل في التعبير بالماضي بعد ارادة التعميم للادنى والاعلى
اشارة الى ان المتعمق بين ايمان وكفر بمجرد معصية كما اشار اليه ختم الاية فهو في غاية الذم للتعمق
والمدح للاقتصاد منهم اي من هولا المبتدعين لانهم رعوها حق رعايتها ووصلوا ايمانهم بعيسى ومن
قبله عليهم السلام بايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي دعا اليه الخروج عن النفس الذي هو روح
الرهبانية موافقة لما في كتابهم من البشاير به اجرهم اي اللايق بهم وهو الرضوان المضاعف ولما
كانت متابعة الاهوا تكسب صفات ذميمة تصير ملكات راسخة للانفس اشار الى ذلك بالعدول عن النهج
الاول فقال وكثير منهم اي هولا الذين ابتدعوا فضيعوا فاسقون اي عريقون في وصف الخروج
عن الحدود التي حدها الله تعالى روى البغوي من طريق الثعلبي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من امن بي فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يومن بي فاوليك هم الهالكون انتهى
ومثل هذه الرهبانية في انها لا تاباها قواعد الدين ما يعمله بعض العلما من الكتاب والسنة فيذكره
فيكون اخذنا له من الاصول التي نبه عليها لامته كما ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفعلون اشيا فان
قررهم النبي صلى الله عليه وسلم عليها كانت شرعا لنا وكنا اخذين لها من تقريره صلى الله عليه وسلم لا
منهم فمن ملكه الله رتبة الاجتهاد في شي وامكنه فيه من القواعد فاداه اجتهاده الى ان هذا مندوب
مرغوب فيه مثلا كان ذلك منه بما يشهد له من قواعد الدين بمنزلة ما قاله الصحابة رضي الله
عنهم فاقرهم النبي صلى الله عليه وسلم عليه ولا فرق بين ما يقرره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه او
بقواعد شريعته ومهما كان معترا بقواعد شرعه كان عليه امره ومهما لم يكن معترا بها كان مما ليس
عليه امره فهو رد على قايله فهذا فرق بين البدع الحسنة والبدع القبيحة والله الموفق وذكر ابن برجان

تنزيل هذا على الحديث الذي فيه لتتبعن سنن من كان قبلكم فذكر ان اصحاب عيسى عليه السلام عملوا
بعده بالانجيل حتي قام فيهم ملك بدل كتابهم وشايعه على ذلك روم ويونان فضعف اهل الايمان
فاستذلوهم حتي هربوا الى البرارى وعملوا الصوامع وابتدعوا الرهبانية وكذلك كان في هذه الامة
لتصديق الحديث الشريف فانه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه خلفاوه باحسان فلما
مضت الخلافة الراشدة تراكمت الفتن كما اخبر صلى الله عليه وسلم واشتد البلا على المتمسكين بصريح
الايمان ورجم البيت العتيق بحجارة المنجنيق وهدم وقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما واستبيحت
مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام وقتل فيها خيار المسلمين راي المومنون العزلة واجبة
فلزموا الزوايا والمساجد وابتنوا الربط على سواحل البحر واخذوا في الجهاد للعدو والثغور
وعالجوا تصفية اخلاقهم ولزموا الفقر اخذا من احوال اهل الصفة وتسموا بالصوفية وتكلموا على الورع
والصدق والمنازل والاحوال والمقامات فهولا وزان اوليك والله الموفق. ذكر بعض ما في الانجيل
من الحكم التي توجب الزهد في الدنيا والاقبال على الله التي بها تمسك اهل هذه الرهبانية قال
متى وغيره واغلب السياق لمتى ان اخطا عليك اخوك فاذهب اعتبه وحدكما فان سمع منك فقد
ربحت اخاك وان لم يسمع منك فخذ معك واحدا او اثنين لان من فم شاهدين او ثلثة تقوم كل كلمة
وان لم يسمع فقل للبيعة وان لم يسمع من البيعة فيكون عندك كالوثني والعشار الحق اقول لكم وقال منهم صح
لوقا انظروا الآن ان اخطا اليك اخوك فانهه فان تاب فاغفر له فان اخطا اليك سبع مرات في اليوم
ورجع اليك سبع دفعات يقول لك انا تايب فاغفر له وقال متى حينيذ جا اليه بطرس وقال له اذا
اخطا الي اخي كم اغفر له سبع مرات قال ليس اقول لك الى سبع مرات بل الى سبعين مرة ولهذا يشبه
ملكوت السموات ملكا اراد ان يحاسب عبيده فلما بدا بمحاسبتهم قدم اليه عبد مديون عليه جملة وزنات
ولم معه ما يوفي فامر سيده ان تباع امراته وبنوه وكل ماله حتي يوفي فخر ذلك العبد له ساجدا
قايلا يا رب تراف علي وتان اوفيك كل مالك فتحنن سيده عليه وترك له كل ما عليه فخرج ذلك العبد فوجد
عبدا من اصدقايه عليه ماية دينار فامسكه وخنقه وقال اعطني ما عليك فخر ذلك العبد على رجليه
وطلب اليه قايلا تراف علي فانا اعطيك مالك فابى ومضى وتركه في السجن حتي يوفي الدين فراي العبد
اصحابه فحزنوا جدا واعلموا سيدهم بكل ما كان منه حينيذ دعاه سيده وقال له ايها العبد الشرير كل ما
كان عليك تركته لك لانك سالتني ما كان ينبغي لك ان ترحم ذلك العبد صاحبك كرحمتي اياك وغضب سيده
ودفعه الى المعذبين حتي يوفي جميع ما عليه هكذا ابي السماوي يصنع بكم ان لم تغفروا لاخوانكم سيا تهم
من كل قلوبكم فلما اكمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل وجا الى تخوم يهوذا وعبر الاردن فتبعه جمع كثير
فابراهم هناك قال لوقا فلما اكمل ايام صعوده اقبل بوجهه الى يروشليم وارسل مخبرين قدام وجهه
فمضوا ودخلوا قرية السامرة لكيما يعدون له فلم يقبلوه فقال تلميذاه يعقوب ويوحنا يا رب تريد
ان نقول فتنزل عليهم نار من السما فتهلكهم كما فعل اليا فالتفت وانتهرهما قايلا لستما تعرفان اي روح انتما
ان ابن البشر لم يات ليهلك نفوس الناس بل يحيي ومضوا الى قرية اخرى وقال متى حينيذ قدم اليه
صبيان ليضع يده عليهم ويباركهم فانتهرهم التلاميذ فقال لهم يسوع دعوا الصبيان ولا تمنعوهم
ان ياتوا الي لان ملكوت السموات لمثل هولا ووضع يده عليهم وباركهم وقال مرقس الحق اقول لكم
ان من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي لا يدخلها واحتضنهم ووضع يده عليهم وباركهم وقال مرقس الحق اقول
لكم ان من لا يقبل ملكوت الله متى ومضى من هناك وجا اليه واحد وقال يا معلم صالح وقال مرقس
ايها المعلم الصالح ما اعمل من الصلاح لارث الحيوة الدايمة قال له لماذا تقول صالح ولا صالح الا الله

الواجد

الواجد ان كنت تريد ان تدخل الحياة احفظ الوصايا قال له وما هي قال يسوع لا تقتل ولا تزن ولا
تسرق ولا تشهد بالزور وقال مرقس لا تجر اكرم اباك وامك واحبب قريبك مثلك قال له الشاب كل هذا
قد حفظته من صغري قال له يسوع ان كنت تريد ان تكون كاملا فاذهب وقال مرقس فنظر اليه يسوع
واحبه وقال تريد ان تكون كاملا واحدة بقيت عليك امض وبع كل شي لك واعطه للمساكين ليكون
لك كنزا في السما وتعال اتبعني فلما سمع الشاب الكلام مضى حزينا لانه كان له مال كثير فقال يسوع
للتلاميذه الحق اقول لكم انه يعسر على الغني الدخول الى ملكوت السما وايضا اقول لكم انه اسهل ان يدخل
الجمل في ثقب الابرة من غني يدخل ملكوت السما فلما سمع التلاميذ بهتوا جدا وقالوا من يقدر ان يخلص
فنظر يسوع وقال لهم اما عند الناس فلا يستطاع هذا واما عند الله فكل يستطاع حينيذ اجاب بطرس
وقال له هوذا نحن قد تركنا كل شي وتبعناك فماذا عسى ان يكون لنا قال لهم يسوع الحق الحق اقول لكم انتم
الذي اتبعتموني في الجيل الاتي اذا جلس ابن الانسان على كرسي مجده تجلسون انتم على اثني عشر كرسيا
تدينون اثني عشر سبط اسرايل كل من ترك بنين او اخا او اخوات او ابا او اما او امراة او بنتا او حقلا
من اجل اسمي ياخذ ماية ضعف ويرث حياة الابد وقال لوقا ما من احد يترك منزلا او والدين او اخوة
او امراة او اولادا من اجل ملكوت الله الا وينال العوض اضعافا كثيرة في هذا الزمان وفي الدهر
الاتي حياة الابد. وقال متى وغيره كثير اولون يصيرون آخرين واخرون يصيرون اولين يشبه
ملكوت السموات انسانا رب بيت خرج الغداة يستاجر فعله لكرمه فشارك الاكره على دينار واحد
في اليوم الى آخر ما مضى في الاعراف من البشارة بامة محمد صلى الله عليه وسلم في مثل الفعلة في الكرم الذين
فضل آخرهم وهو العامل قليلا على من عمل اكثر النهار. وقد ساقه ابن برجان في آخر تفسير الحديد
عن الانجيل بعبارة اخرى تفسر كثيرا من عبارة النسخة التي نقلت ذلك منها فاحببت ان اذكر عبارة
ابن برجان تكميلا للفايدة قال وفي الكتاب الذي يذكر انه الانجيل وكثير يستقدم الاخرون الاولين ويكون
الاولون ساقة الاخرين وكذلك يشبه ملكوت السموات برجل ملي خرج في استيجار الاعوان لحفر كرمه
في اول النهار وعامل كل واحد في نهاره على درهم ثم ادخلهم كرمه فلما كان في الساعة الثالثة بصر
بغيرهم في الرحاب لا شغل لهم فقال اذهبوا انتم ايضا الى الكرم وسآمر لكم بحقوقكم ففعلوا ثم فعل مثل ذلك
في الساعة السادسة فلما كان في الساعة الاحدى عشرة وجد غيرهم وقوفا فقال لهم وقفتم هاهنا
طول نهاركم دون عمل فقالوا له انا لم يستاجرنا احد فقال لهم اذهبوا انتم وسآمر لكم بحقوقكم فلما انقضى
النهار قال لوكيله ادع الاعوان واعطهم اجرتهم وابدا بالاخرين حتي تنتهي الى الاولين فبدا بالذين دخلوا
في الساعة الاحدى عشرة واعطى كل واحد منهم درهما فاقبل الاولون وهم يرجون الزيادة فاعطى
كل واحد منهم درهما فاستنكروا ذلك على صاحب الكرم وقالوا سويتنا بالذين لم يعملوا الا ساعة من النهار
في شخوصنا طول نهارنا وعزابنا بحرارته فاجاب احدهم وقال لست اظلمك يا صديق اما عاملتني على درهم
فخذ حقك وانطلق فانه يوافقني ان اعطي الاخر كما اعطيتك فلا يحل لي ذلك وان كنت انت حسودا فاني
انا رحيم ومن اجل ذلك يتقدم الاخرون الاولين ويكون الاولون ساقة الاخرين فالمدعوون كثير
والمجيزون قليل وذكر ابن برجان ان الساعة السادسة لعيسى عليه السلام واصحابه في اول الامر
والتاسعة لمحمد صلى الله عليه وسلم والحادية عشرة لآخر الزمان كانه يعني ما بعد الدجال من ايام امة
محمد صلى الله عليه وسلم التي يكون فيها عيسى عليه السلام مجددا ولهذا جعلها النبي صلى الله عليه وسلم
في حديثه الصحيح شيا واحدا من العصر الى غروب الشمس ثم قال متى في بقية ما مضى عن الانجيل من
النسخة التي نقلت منها عقب ما تقدم انه في الاعراف وصعد يسوع الى يروشليم واخذ الاثني عشر

حينيذ جات اليه ام ابني زبدي هما يعقوب ويوحنا مع ابنيها وسجدت له فقال لها ما تريدين قالت ان
يجلس ابناي احدهما عن يمينك والاخر عن يسارك في ملكوتك اجاب يسوع ان جلوسهما عن يميني ويساري
فليس لي بل للذي اعده لهم ربي فلما سمع العشرة تغمغموا على الاخرين وقال مرقس على يعقوب ويوحنا
فدعاهم يسوع وقال لهم اما علمتم ان روسا الامم يسودونهم وعظماهم مسلطون عليهم ليس هذا يكون
فيكم لكن من اراد ان يكون كبيرا فيكم فيكون لكم خادما ومن اراد ان يكون فيكم اولا فيكون لكم عبدا وقال
مرقس فيكون اجيرا للكل وخادما للجميع كذلك ابن الانسان لم يات ليخدم بل ليخدم ويبذل نفسه
فدا عن كثير فلما خرج من اريحا تبعه جمع كثير واذا اعميان جالسان على الطريق فسمعا ان يسوع مجتاز
فصرخا قايلين ارحمنا يا رب يا ابن داود فوقف يسوع ودعاهما وقال لهما ما تريدان ان افعل بكما قالا له
يا رب ان تفتح اعيننا فتحنن يسوع ولمس اعينهما وللوقت ابصرت اعينهما وتبعاه وعبارة مرقس عن ذلك
وجا الى اريحا وخرج من هناك ومعه تلاميذه وجمع كثير واذا طيما ابن طيما الاعمى جالسا يسل على الطريق
وقال لوقا بتسول فسمع الجمع المجتاز فسال ما هذا فاخبروه ان يسوع الناصري جاي وقال مرقس فلما
سمع بان يسوع مقبل بدا يصيح ويقول يا يسوع الناصري ابن داود ارحمني فانتهروه ليسكت فازداد
صياحا قايلا يا رب يا ابن داود ارحمني فوقف يسوع وقال ادعوه فدعا الاعمى وقالوا له ثق وقم فانه
يدعوك فطرح ثوبه ونهض وجا الى يسوع فاجابه يسوع وقال له ما تريد ان اصنع بك فقال له الاعمى
يا معلم وقال لوقا يا رب ان ابصر فقال له يسوع اذهب ايمانك خلصك وللوقت ابصر وتبعه في الطريق
قال لوقا يمجد الله وكان جميع الشعب الذين راوه يسبحون الله وقال ايضا وكان بينما هو منطلق
الى يروشليم اجتاز بين السامرة والجليل وبينما هو داخل الى احدى القرى استقبله عشرة رجال برص
فوقفوا من بعيد ورفعوا اصواتهم قايلين يا يسوع المعلم ارحمنا فنظر اليهم وقال لهم اذهبوا فاروا انفسكم
للكهنة وفيما هم منطلقون طهروا فلما راى احدهم انه قد طهر رجع يصوت عظيم يمجد الله وخر على وجهه
عند رجليه شاكرا له وكان سامريا اجاب يسوع وقال اليس العشرة قد طهروا فاين التسعة لم
يجدوا ان يرجعوا ويمجدوا الله ما خلا هذا الغريب ثم قال له قم فامض ايمانك خلصك قال متى ولما قربوا من
يروشليم وجا الى بيت فاجي عند جبل الزيتون وقال مرقس عند باب فاجي وبيت عينا جانب طور
الزيتون قال متى حينيذ ارسل يسوع اثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا الى القرية التي امامكما
فتجدان اتانة مربوطة وجحشا معها فحلاهما واتياني بهما فان قال لكما احد شيا فقولا له ان الرب
يحتاج اليهما فهو يرسلهما للوقت كان هذا ليتم ما قيل في النبي القايل قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك
ياتيك متواضعا راكبا على اتانة وجحش ابن اتانة فذهب التلميذان وصنعا كما امرهما يسوع واتيا
بالاتانة والعفو وتركوا ثيابهم عليهما وجلس فوقها وجمع كثير فرشوا ثيابهم في الطريق وعبارة مرقس
عن ذلك تجدا جحشا مربوطا لم يركبه احد من الناس قط فحلاه واتيا به فان قال لكما احد ما تفعلان
بهذا فقولا ان الرب يحتاج اليه فمن ساعته يرسله فذهبا ووجدا عفوا مربوطا عند الباب خارجا
على الطريق فحلاه فقال لهما قوم من القيام هناك ما تصنعان فقالا لهم كما قال يسوع فتركوها وجاآ
بالعفو الى يسوع فالقوا عليه ثيابهم وجلس فوقها وكثير ابسطوا ثيابهم في الطريق واخرون قطعوا
اغصانا من الحقل وفرشوها في الطريق قال متى والجمع الذي تقدمه والذي تبعه صرخوا قايلين
اوشعنا يا ابن داود تبارك الاتي باسم الرب قال مرقس ومباركة المملكة الاتية باسم الرب لابينا
داود وضيا في العلا وقال لوقا وكان لما قرب منه من منحدر جبل الزيتون بدا جميع الملا والتلاميذ
يفرحون ويسبحون الله بصوت عظيم من اجل جميع القوات التي نظروا قايلين مبارك الاتي باسم الرب ۵

والسلامة

والسلامة في السما والمجد في العلا وقوم من الفريسيين من بين الجمع قالوا له يا معلم انتهر تلاميذك
فقال لهم ان سكت تلاميذي نطقت الحجارة فلما قرب ونظر المدينة بكى عليها وقال لو علمت في هذا اليوم
ما لك فيه من السلامة فاما الان فانه قد خفي عن عينك وسوف تاتي ايام يلقي اعداوك معالمك ويحيطون
بك ويضيقون عليك من كل موضع ويقتلونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجرا وقال متى فلما دخل الى يروشليم
ارتجت المدينة كلها قايلين من هو هذا فقال الجمع هذا يسوع النبي الذي هو من ناصرة الجليل فدخل يسوع
الى هيكل الله واخرج جميع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موايد الصيارف وكراسي باعة الحمام
وقال لهم مكتوب ان بيتي بيت الصلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة اللصوص وقال يوحنا فصعد يسوع
الى يروشليم فوجد في الهيكل باعة البقر والكباش والحمام وصيارف جلوسا فصنع مخصرة من حبل واخرجهم
جميعهم من الهيكل وطرد البقر والخراف وبدد دراهم الصيارف وقلب موايدهم قال متى وقدم اليه
عميان وعرج في الهيكل فشفاهم فراى روسا الكهنة العجايب التي صنع والصبيان يصيحون في الهيكل
ويقولون اوشعنا يا ابن داود مبارك الاتي باسم الرب فتغمغموا وقالوا ما تسمع ما يقول هولا فقال لهم
يسوع نعم ما قراتم قط ان من افواه الاطفال والمرضعين اعددت سبحا وخرج خارج المدينة وبات هناك في
بيت عينا وفي غد عبر الى المدينة فجاع ونظر الى شجرة تين على الطريق فجا اليها فلم يجد فيها شيا الا الورق
فقال لا يخرج منك ثمرة الى الابد فيبست تلك الشجرة للوقت فنظر التلاميذ وتعجبوا وقالوا كيف يبست
التينة للوقت اجاب يسوع وقال لهم الحق اقول لكم ان كان لكم ايمان ولا تشكون ليس مثل هذه
الشجرة التين فقط تصنعون ولكن تقولون لهذا الجبل تعال واسقط في البحر فيكون وقال مرقس
ان كان لكم ايمان بالله الحق اقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل واسقط في البحر ولا يشك في قلبه بل
يصدق فيكون له الذي قال من اجل هذا اقول لكم ان كل ما تسالونه في الصلاة بايمان انكم تنالونه
فيكون لكم وقال متى وكل ما تسلونه في الصلاة بايمان تنالونه وقال مرقس فقال له يوحنا يا معلم راينا
واحدا يخرج الشياطين باسمك فمنعناه لانه لم يتبعنا قال لهم يسوع لا تمنعوه ليس يصنع احد قوة باسمي
ويقدر سريعا ان يقول علي الشر كل من ليس هو عليكم فهو معكم ومن سقاكم كاس ما باسم انكم المسيح الحق
اقول لكم ان اجره لا يضيع **وفيه** مما لا يجوز اطلاقه في شرعنا اطلاق الاب على الله واطلاق الابن
على غيره **وقد** تقدم التنبيه على مثل ذلك غير مرة **ولما** اقر سبحانه ان الرسل دعاة للخلق الى
سيدهم طوعا وكرها بالكتاب والحديد **وقرر** ان السعادة كلها في اتباعهم وان البدع لا تاتي بخير
وان زين الشيطان امرها وخيل انه خير وان اصحاب الذي كان نسخ شريعة من قبله ابتدعوا بدعة حسنة
فوكلوا اليها ففسق اكثرهم فاقتضى ذلك ارسال من ينسخ كل شريعة تقدمته نسخا لا زوال له لانه لا نبي بعده
وينهى عن البدع نهيا لم يتقدمه احد الى مثله انتج ذلك قوله **يا ايها الذين امنوا** اي اقروا بذلك اقرارا
صحيحا بنبي ممن تقدم او بالنبي صلى الله عليه وسلم **اتقوا الله** اي خافوا عقابه فاجعلوا بينكم وبين
سخطه لانه الملك الاعظم وقاية بحفظ الادب معه ولا تامنوا مكره فتكونوا على حذر من ان يسلبكم ما
وهبكم فاتبعوا الرسول لتسلموا وحافظوا اتباعه ليلا تهلكوا **وامنوا برسوله** اي الذي لا رسول له الان
غيره ايمانا مضموما الى ايمانكم بالله فانه لا يصح الايمان به الا مع الايمان برسوله وبان تثبتوا على الايمان
به او تنضموا الايمان به الى الايمان بمن تقدمه يا اهل الكتاب لان رسالته عامة فقد نسخ جميع ما تقدمه
من الاديان فاياكم ان يميلكم عنه ميل من حسد او غيره فبادروا الى اجابته والزموا جميعا غرزه ولا تميلوا
الى بدعة اصلا **يوتكم** ثوابا على اتباعه **كفلين** اي نصيبين ضخمين **من رحمته** تحصنانكم من العذاب ۵
كما تحصن الكفل الراكب من الوقوع وهو كسا يعقد على ظهر البعير فيلقي مقدمه على الكاهل وموخره على

العجز. وهذا التحصين لاجل ايمانكم به صلي الله عليه وسلم وايمانكم بمن تقدمه مع خفة العمل ورفع
الآصار وهو أولي بالأجر من الذي عمل الخير في الجاهلية وقال النبي صلي الله عليه وسلم لمن سأله
عنه اسلمت علي ما اسلفت من خير ودل علي ان الكفلين برفع الدرجات وافاضة خواص من الخيرات
بقوله ويجعل لكم اي مع ذلك نورا مجازيا في الاولي من العلوم والمعارف القلبية وحسيا في الآخرة
بسبب العمل ولما كان الانسان لا يخلو عن نقصان فلا يبلغ جميع ما يحق للرحمن قال ويغفر لكم
اي ما فرط منكم من سهو وعمد وهزل وجد. ولما قرر ذلك اتبعه التعريف بان الغفران وما يتبعه
صفة له شاملة لمن يريد فقال والله اي المحيط بجميع صفات الكمال غفور اي بليغ المحو للذنوب
عينا واثرا رحيم اي بليغ الاكرام لمن يغفر له ويوفقه للعمل بما يرضيه. ولما كان اهل الكتاب قد
تابعوا اهويتهم علي بعض الاميين واشربت قلوبهم ان النبوة مختصة بهم لانهم اولاد ابراهيم عليه
السلام من ابنة عمه والعرب وان كانوا اولاده فإنه من الامة وما دروا ان كونهم من اولاده مرشح
لنبوة بعضهم وكونهم من الامة مهيئ لعموم الرسالة لاجل عموم النسب قال دالا علي انهم صاروا كالبهائم
لا يبصرون الا المحسوسات معلقا الجار بآمنوا ويؤتكم وما بعده لئلا يعلم اي ليعلم علما عظيما يثبت مضمون
خبره وينتفي ضده بما افاده زيادة النافي اهل الكتاب اي من الفريقين الذين اقتصروا علي كتابهم
وانبيائهم ولم يؤمنوا بالنبي الخاتم وما انزل عليه ان اي انهم لا يقدرون اي الآن من الازمان
علي شيء اي وان قل من فضل الله اي الملك الاعلي الذي خصكم بما خصكم به لا بمنع ولا باعطا حيث نزع النبوة
منهم ووضعها في بني عمهم اسمعيل عليه السلام الذين كانوا لا يقيمون لهم وزنا فيقولون انهم بنوا الامة وانهم
اميون وانهم ليس علينا فيهم سبيل وجعل النبوة التي خصكم بها عامة كما اشار اليه ما في اثر الامة من شمول نسبه
وانشعابه وحيث عملوا كثيرا واعطوا قليلا اليهود من اول النهار علي قيراط قيراط والنصاري من الظهر علي
قيراط قيراط وهذه الامة من صلاة العصر علي قيراطين قيراطين فقال الفريقان ما لنا اكثر عملا واقل اجرا فقال
هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال ذلك فضلي اوتيه من اشاء. وذكر ابن برجان معني هذا الحديث كما تقدم
عنه قريبا من الانجيل وطبقه عليه وذكرته انا في الاعراف. روي الامام احمد في مواضع من المسند والبخاري
في سبعة مواضع في الصلاة والاجارة وذكر بني اسرائيل وفضايل القران والتوحيد والترمذي في الامثال
وقال حسن صحيح من وجوه شتي جمعت بين الفاظها عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلي الله عليه وسلم قال
مثلكم وفي رواية مثل هذه الامة وفي رواية مثل امتي وفي رواية انما مثلكم ومثل اليهود والنصاري كرجل
وفي رواية مثلكم ومثل اهل الكتابين كمثل رجل استعمل عمالا وفي رواية استاجر اجراء فقال من يعمل لي من صلاة
الصبح وفي رواية من غدوة الي نصف النهار علي قيراط قيراط الا فعملت اليهود وفي رواية قالت اليهود نحن
فعملوا ثم قال من يعمل لي نصف النهار الي صلاة العصر علي قيراط قيراط الا فعملت النصاري وفي رواية قالت النصاري
نحن فعملوا ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الي غروب الشمس وفي رواية الي ان تغيب الشمس علي قيراطين قيراطين
الا فانتم الذين عملتم وفي رواية تعملون وفي رواية المسلمون تعملون من صلاة العصر الي الليل وفي رواية
الي مغارب وفي رواية مغرب الشمس علي قيراطين قيراطين الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصاري فقالوا
نحن وفي رواية ما لنا اكثر عملا واقل عطاء وفي رواية اجرا قال الله تعالي هل وفي رواية وهل نقصتكم وفي رواية
هل ظلمتكم من حقكم وفي رواية اجركم قالوا لا قال فانه وفي رواية فانما هو فضلي وفي رواية فذلك فضلي اوتيه من
اشاء وفي رواية اعطي من شئت وفي رواية سمعت النبي صلي الله عليه وسلم وهو قايم علي المنبر يقول الا ان بقاكم
وفي رواية انما بقاؤكم وفي رواية انما اجلكم في اجل من خلا من الامم وفي رواية فيما سلف قبلكم من الامم كما بين
صلاة العصر ومغرب الشمس وفي رواية الي غروب الشمس وفي رواية الا ان مثل اجالكم في آجال الامم قبلكم كما بين

صلاة

صلاة العصر الي مغيربان وفي رواية مغرب وفي رواية مغارب الشمس اعطي وفي رواية اوتي اهل التوراة
فعملوا بها حتي اذا انتصف النهار عجزوا وفي رواية حتي انتصف النهار فعجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا واعطي وفي
رواية ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتي وفي رواية الي صلاة العصر وفي رواية حتي صليت العصر
ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القران فعملتم حتي غربت الشمس وفي رواية حتي غروب الشمس فاعطيتم
قيراطين قيراطين وفي رواية ثم اوتينا القران فعملنا الي غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين ٢
وفي رواية فقال اهل التوراة والانجيل ربنا هؤلاء اقل منا عملا واكثر اجرا وفي رواية اجرا وفي رواية اي
ربنا اعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا منهم قال الله تبارك وتعالي وفي
رواية فقال هل ظلمتكم من اجركم وفي رواية من اجوركم من شيء فقالوا لا فقال فهو فضلي وفي رواية فذلك
فضلي اوتيه من اشاء وقد اخذ بعض العلماء من هذا الحديث ما قبل هذه الامم ونزل علي ذلك احوالها فقال انه
دال علي ان قوم نوح وابراهيم عليهما السلام كان لهم الليل فكان قوم نوح عليه السلام في اوله في ظلام صرف
طويل لم يلح لهم شيء من تباشير الضيا ولا امارات الصبح ونوح عليه السلام يخبرهم به ويامرهم بالتهيؤ له فلذلك
طال بلاؤه عليه السلام بهم وما آمن معه الا قليل واما قوم ابراهيم عليه السلام فكانوا كانهم في اواخر الليل قد
لاحت لهم تباشير الصباح واومضت بوارق الفلاح فلذلك امن له لوط عليه السلام وكذا سارة زوجته واولاده
منها ومن غيرها كلهم واستمر الاسلام في اولاده والنبوة حتي جاء موسي عليه السلام فكان وقته كما بين الصبح
والظهر فكان قومه تارة وتارة تارة يحسبون انهم في ضيا كيف ما كانوا فيروغون يمينا وشمالا فيكونون كمن
دخل غيرانا وكهوفا واسرابا ثم يخرجون منها فيرجعون الي الضيا فكانت اغلاطهم تارة كبارا وتارة صغارا
واما قوم عيسي عليه السلام فكانوا كمن هو في الظهيرة في شدة الضيا فالغلط منه لا يكون الا عن عمي عظيم
فلذلك كان غلطهم افظع الغلط وافحشه والله الموفق. وان اي وليعلموا ان الفضل اي الذي لا يحتاج اليه
من هو عنده بيد الله اي الذي له الامر كله يؤتيه من يشاء منهم او من غيرهم نبوة كانت او غيرها
ولما كان ربما ظن انه لا يخص به الا الانة لا يسع جميع الناس دفع ذلك بقوله والله اي الذي احاط
بجميع صفات الكمال ذو الفضل العظيم اي ما لكه ملكا لا ينفك ولا ملك لاحد فيه معه ولا تصرف بوجه
اصلا فلذلك يخص من يشاء بما يشاء فلا يقدر احدا اصلا علي اعتراض بوجه فقد نزه له التنزيه الاعظم جميع
ما في السموات والارض فهو العزيز الحكيم الذي لا عزيز غيره ولا حكيم سواه. فقد انطبق كما تري
آخرها علي اولها. ورجع مفصلها علي موصلها. والله الهادي ❁ ❁ ❁

مقصودها الإعلام بايقاع الباس الشديد الذي اشارت اليه الحديد بمن حاد الله ورسوله
صلي الله عليه وسلم لما له سبحانه من تمام العلم اللازم عنه تمام القدرة اللازم عنه الاحاطة بجميع صفات
الكمال. وعلي ذلك دلت تسميتها بالمجادلة باول قصتها وآخرها وتكرير الاسم الاعظم الجامع في القصة
وجميع السورة تكريرا لم يكن في سواها بحيث لم تخل منه اية واما الايات التي تكرر في كل منها مرتين
فاكثر فكثيرة كل ذلك للدلالة علي ان اكثر المراد فيها بالخطاب من يصح ان ينظر اليه تارة بالجلال وتارة
بالجمال فيجمع له الوصفان وهم من امن ووقع منه هفوة او عصيان ولهذا ضمنها اشيا شدد النكير
فيها حين وقع فيها بعض اهل الايمان ولم يبحها لهم عند وقوعهم فيها ردا للشرع الي ما دعا اليه الطبع
كما فعل في غيرها كالاكل والجماع في ليل رمضان من غير تقييد بيقظة ولا منام لمنابذتها للحكمة وبعدها
عن موجبات الرحمة وهذا مؤيد لما تقدم من سر اخلاء الواقعة والرحمن والقمر من هذا الاسم

الجامع والله الموفق بسم الله الذي احاط علمه فتمت قدرته فكملت جميع صفاته الرحمن الذي شمل الخلايق
جودا بالايجاد وارسال هداته الرحيم الذي خص اصفياءه فتمت عليهم نعمة مرضاته ٠ لما ختمت الحديد
بعد اثبات عجز الخلق بعظيم الفضل له سبحانه وكان اصوات جميع الخلايق من غير ان يشغل صوت عن صوت
وكلام عن كلام من الفضل العظيم وكان قد تقدم ابتداع بعض المتعبدين من الرهبانية بما لم يصرح لهم بالاذن
فيه فكان سببا للتضييع وكان الظهار دعلي نوعين موقت ومطلق وكان الموقت مما يدخل في الرهبانية لانه
من التبتل وتحريم ما احل الله من الطيبات وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم قد منع نفسه بالموقت منه
من مرغوبه بما لم يات عن الله فظاهر من امراته محافظة على كمال التعبد خوفا من الجماع في نهار رمضان وكان
ذلك مما لم ياذن به بل نهي عنه كما روي ابو داود عن انس رضي الله عنه والطبراني في الاوسط عن سهل
ابن حنيف رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشددوا على انفسكم فانما هلك الذين من كان
قبلكم بتشديدهم على انبيايهم وستجدون بقاياهم في الصوامع والديارات وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم
قد ظاهر مطلقا فشكت امراته ما لحقها من الضرر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهتفت باسم الله وكان
علمه سبحانه بخصوص شكاية هذه المراة المسكينة وازالة ضررها بحكم عام لها ولغيرها من عباده حتى صارت
واقعتها رخصة عامة للمسلمين الي يوم القيمة معلما بانه ذو الفضل العظيم وانه الظاهر الباطن ذو الملك كله
وكان قد امر بالايمان به وبرسوله ووعد على ذلك بالنور كان السامع لذلك جديرا بتوقع البيان الذي
هو النور في هذه الرهبانية التي ابتدعت في هذه الامة وتخفيف التشديد الذي وقع من بعضهم ليعلم اهل الكتاب
ما لهذه الاية من الكرامة على ربها وانه يختص برحمته من يشا فقال قد سمع الله اي اجاب بعظيم فضله الذي
احاط بجميع صفات الكمال فوسع سمعه الاصوات قول وعبر بالوصف دون الاسم تعريفا برحمة السايلة فقال
التي تجادلك اي تبالغ في ان تفتلك الي مرادها في زوجها اي في الامر المخلص له من ظهاره رحمة لها
وتشتكي اي تجتهد بتلك المجادلة الشكوي منتهية الي الله اي سوال الملك العظيم الرحمة الذي احاط بكل
شي علما ولصدقها في شكواها وقطع رجايها في كشف ما بها من غير الله كانت هي والنبي صلى الله عليه وسلم
متوقعين ان الله يكشف ضررها والله اي والحال ان الذي وسعت رحمته كل شي لان له الامر كله يسمع
تحاوركما اي مراجعتكما الذي يجوز فيها الي كل منكما جواب كلامه من الاخر كانها لثقل ما فيها قدح في امرها
وبرك من ضرها ناشئة عن حيرة ولما كان ذلك في غاية ما يكون من خرق العادة بحيث ان الصديقة
عايشة رضي الله عنها قالت عند نزول الاية الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا في جانب البيت ما اسمع كثيرا مما تقول الكن تنبيها على شدة غرابته ولانه ربما
استبعده من اشتد جهله لغرابته في التقيد بالعادات فقال ان الله اي الذي احاط بجميع صفات
الكمال فلا كفوله سميع بصير اي بالغ السمع لكل مسموع والبصر لكل ما يبصر والعلم لكل ما يصح ان
يعلم ازلا وابدا وقد مضي نحو هذا التناسب في المايدة حين اتبع تعالي اية القسيسين والرهبان قوله
تعالي يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم غير ان هذا خاص وذاك عام فهذا فرد منه
لمناسبة واجلة لان الاخص في ضمن الاعم والحاصل انه سبحانه امتن عليهم بما جعل في قلوبهم من الرهبانية
وغيرها واخبرا انهم لم يرعوها حقها وانه اتي مومنيهم الاجر وامر المسلمين بالتقوي واتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم ليحصل لهم من فضله العظيم ضعف ما حصل لاهل الكتاب ونهاهم عن التشديد على انفسهم
بالرهبانية فصاروا مفضلين من وجهين كثرة الاجر وصفة العمل ذلك فضل الله يوتيه من يشاء روي
البزار من طريق خصيف عن عطاء ومن غيرها ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله
اني ظاهرت من امراتي ورايت ساقها في القمر فواقعتها قبل ان اكفر قال كفر ولا تعد وروي ابو داود

عن عكرمة ان رجلا ظاهر من امراته ثم واقعها قبل ان يكفر فاتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما حملك على
ما صنعت قال رايت بياض ساقها في القمر قال فاعتزلها حتى تكفر عنك قال المنذري واخرجه ايضا عن عكرمة
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه واخرجه
النساي وابن ماجة والترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وقال النساي المرسل اولي بالصواب من
المرسل المسند وقال ابو بكر المعافري ليس في الظهار حديث صحيح يعول عليه قال المنذري وفيما قاله نظر
فقد صححه الترمذي كما تري ورجال اسناده ثقات وسماع بعضهم من بعض مشهور وترجمة عكرمة عن ابن
عباس رضي الله عنهما احتج بها البخاري في غير موضع انتهي وللترمذي وقال حسن غريب عن سلمة بن صخر
رضي الله عنه في المظاهر يواقع قبل ان يكفر قال كفارة واحدة وروي احمد والحاكم واصحاب السنن الا
النساي وحسنه الترمذي قال ابن الملقن وصححه ابن حبان والحاكم من طريق سليمان ابن يسار عن سلمة
ابن صخر البياضي رضي الله عنه قال كنت امرا اصيب من النسا ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت
ان اصيب من امراتي شيا يتابع بي حتى اصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينا هي تحدثني ذات ليلة
تكشف لي منها شي فما لبثت ان نزوت عليها فلما اصبحت خرجت الي قومي فاخبرتهم الخبر وقلت امشوا معي الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا لا والله فانطلقت الي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال انت بذاك يا سلمة
قلت انا بذاك يا رسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم في ما اراك الله وفي رواية فامض في حكم الله
فاني صابر لذلك قال حرر رقبة قلت والذي بعثك بالحق ما املك غيرها وضربت صفحة رقبتي قال فصم شهرين
متتابعين قلت وهل اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال فاطعم وسقا من تمر بين ستين مسكينا قال
والذي بعثك بالحق لقد بتنا وحشين ما لنا طعام قال فانطلق الي صاحب صدقة بني زريق فليدفعها
اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل انت وعيالك بقيتها فرجعت الي قومي فقلت وجدت عندكم
الضيق وسوء الراي ووجدت عند النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الراي وفي رواية
والبركة وقد امرني او امر لي بصدقتكم وفي رواية فادفعوها الي فدفعوها الي واعله عبد الحق
بالانقطاع وان سليمان لم يدرك سلمة حكي ذلك الترمذي عن البخاري وقال الترمذي ان سلمة
ابن صخر يقال له سلمان ايضا ورواه الامام احمد ايضا من طريق اخري قال حدثنا عبد الله بن ادريس
الاودي عن محمد بن اسحق عن محمد بن عمرو بن عطا بن صخر البياضي رضي الله عنه قال كنت امرا
اصيب من النسا ما لا يصيب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت فتظاهرت من امراتي في الشهر فبينا
هي تخدمني ذات ليلة اذ انكشف لي منها شي فلم البث ان وقعت عليها فاتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبرته فقال حرر رقبة قلت والذي بعثك بالحق ما املك غير رقبتي قال صم شهرين
متتابعين قلت وهل اصابني ما اصابني الا في الصيام قال فاطعم ستين مسكينا وهذا سند حسن
متصل ان شا الله ان سلم من تدليس ابن اسحق وروي الحاكم والبيهقي من طريق محمد بن عبد الرحمن
ابن ثوبان وابي سلمة بن عبد الرحمن بن صخر البياضي رضي الله عنه جعل امراته عليه كظهر امه ان غشيها
حتى يمضي رمضان فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اعتق رقبة وقصة سلمة هذه
اصل الظهار الموقت وقد دلت على انه لا عود فيه فلا كفارة عليه الا بوطيها في مدة الظهار وروي ابو
داود عن خويلة بنت ملك بن ثعلبة رضي الله عنها قالت ظاهر مني زوجي اوس بن الصامت رضي الله عنه
فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكوا اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني فيه ويقول
اتق الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القران قد سمع الله الي الفرض فقال يعتق رقبة قالت لا يجد قال
يصوم شهرين متتابعين قالت يا رسول الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قالت ما

عنده من شيء يتصدق به قالت فاني ساعينه بعرق من تمر قلت يا رسول الله فاني اعينه بعرق آخر قال
قد احسنت اذهبي فاطعمي به عنه ستين مسكينا وارجعي الي ابن عمك والعرق ستون صاعا • وفي رواية
والعرق مكتل يسع ثلاثين صاعا • وروي الدارقطني ان انس بن مالك رضي الله عنه قال ان اوس بن الصامت
رضي الله عنه ظاهر من امراته خويلة بنت ثعلبة رضي الله عنها فشكت ذلك الي النبي صلي الله عليه وسلم
فقالت ظاهر مني حين كبر سني ورق عظمي فانزل الله اية الظهار فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لاوس
اعتق رقبة قال ما لي بذلك يد قال فصم شهرين متتابعين قال اما اني اذا اخطاني ان آكل في اليوم مرتين كل
بصري قال فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصلة فاعانه رسول الله صلي الله
عليه وسلم بخمسة عشر صاعا حتي جمع الله له والله رحيم قال وكانوا يرون ان عنده مثلها وذلك لستين
مسكينا • وللدارقطني ايضا والبيهقي ان خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها رآها زوجها وهو اوس بن الصامت
ابو عبادة رضي الله عنهما وهي تصلي فراودها فابت فغضب وكان به لمم وخفة فظاهر منها فاتت رسول الله
صلي الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب فيّ فلما خلا سني ونثرت له بطني جعلني
عليه كامه • وللطبراني من طريق ابي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال كانت خولة بنت ثعلبة تحت اوس
ابن الصامت وكان به لمم فقال في بعض هجراته انت علي كظهر امي قال ما اظنك الا قد حرمت علي فجاءت
الي النبي صلي الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله ان اوس بن الصامت ابو ولدي واحب الناس اليّ والذي
انزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا قط قال ما اراك الا قد حرمت عليه فقالت يا رسول الله لا تقل كذلك والله
ما ذكر طلاقا فرادّت النبي صلي الله عليه وسلم مرارا ثم قالت اللهم اني اشكو اليك فاقتي ووحدتي
وما يشق علي من فراقه الحديث • ومن طريق ابي العالية قال فجعل كلما قال لها حرمت عليه هتفت وقالت
اشكو الي الله فلم ترم مكانها حتي نزلت الاية • روي ابو داود عن هشام بن عروة ان جميلة كانت تحت اوس
ابن الصامت وكان رجلا به لمم فكان اذا اشتد به لممه ظاهر من امراته فانزل الله عز وجل فيه كفارة
الظهار واخرجه من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها مثله • وقال القشيري وفي الخبر انها قالت
لرسول الله صلي الله عليه وسلم يا رسول الله ان اوسا تزوجني شابة غنية ذات اهل ومال كثير فلما كبر عنه
سني وذهب مالي وتفرق اهلي جعلني عليه كظهر امه وقد ندم وندمت وان لي صبية صغارا ان ضممتهم
اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا يعني ففرج الله عنها • وحصل من هذه مسالة وهو ان كثيرا من الاشياء ظاهر
العلم يحكم فيه بشيء ثم الضرورة تغير ذلك الحكم لصاحبها • وقال البغوي وكان هذا اول ظهار في الاسلام وقال
ابو حيان وكان عمر رضي الله عنه يكرم خولة رضي الله عنها ويقول اذا دخلت سمع الله لها فالمظاهرة في
حديث سلمة رضي الله عنه مؤقتة وفي حديث خولة رضي الله عنها مطلقة وهي في قصة سلمة رضي الله عنه
ومن تحاكوه رهبانية مبتدعة لم ترع حق رعايتها كرهبانية النصاري ولم يتبع النبي صلي الله عليه وسلم
في ابتداعها حق الاتباع • واما في قصة خولة رضي الله عنها فهي مصيبة كان ينبغي فيها التسليم وعدم الحزن
كما في آية لكيلا تاسوا الاية علي ان امتناعها من زوجها حين راودها فيه الماما بالرهبانية وازالة شكايتها
مع انها امراة ضعيفة من عظيم الفضل وزاده عظما جعله حكما عاما لمن وقع فيه من جميع الامة • ولما
اتم تعالي الخبر عن احاطة العلم استانف الاخبار عن حكم الامر المجادل بسببه فقال ذاما للظهار وكاسيا
له ثوب العار **الذين** ولما كان الظهار منكرا لكونه كذبا عبر بصيغة التفعل الدالة عليه فقال
يظهرون اي يوجدون الظهار في اي زمان كان وكانه ادغم تا التفعل والمفاعلة لان حقيقته
انه يذهب ما احل الله له من مجامعة زوجته • ولما كان الظهار خاصا بالعرب دون ساير الامم
نبه علي ذلك تهجينا له عليهم وتقبيحا لعادتهم فيه تنبيها علي ان اللايق بهم ان يكونوا ابعد الناس من هذا

الكلام لان الكذب لم يزل مستهجنا عندهم في الجاهلية ثم ما زاده الاسلام الا استهجانا فقال **منكم** اي
ايها العرب المسلمون المسلكون الذين يستقبحون الكذب ما لا يستقبحه غيرهم وكذا من دان بدينهم
من نسائهم اي يحرمون نساهم علي انفسهم تحريم الله عليهم ظهور امهاتهم بان يقول احدهم لزوجته شيا من
صرايحه مثل انت علي كظهر امي او كناياته كانت امي وكل زوج صح طلاقه صح ظهاره من حر او عبد مسلم
او ذمي دخل بالزوجة او لا قادر كان علي الجماع او عاجزا صغيرة كانت الزوجة او عاقلة كانت او مجنونة
سليمة كانت او رتقا مسلمة كانت او ذمية ولو كانت رجعية • ولما كان وجه الشبه التحريم وكان
للتحريم رتبتان عليا موصوفة بالتابيد والاحترام او دنيا خاليا عن كل من الوصفين وكان التقدير
خبرا للمبتدا مخطئون في ذلك لانه كذب لان التشبيه ان اسقطت اداته لم يكن جملة علي الحقيقة ليكون من
الرتبة العليا ولو علي ادني احوالها من انه طلاق لا رجعة فيه كما كانوا يعتقدونه وان اثبتت ليكون من
الدنيا لم يكن صحيحا لانه ممنوع منه لان التشريع انما هو لله والله لم يشرع ذلك وكان تعليل شقي
التشبيه يفيد معني الخبر بزيادة التعليل حذف الخبر واكتفي بالتعليل فقال معللا له مهجنا للظهار الذي
تعوده العرب من غير ان يشاركهم فيه احد من الامم **ما هن** اي نساؤهم **امهاتهم** علي تقدير ارادة احدهم
اعلي رتبتي التحريم • والحاصل انهم لما كانوا يعتقدون انه طلاق لا رجعة فيه جعلوا معتقدين ان المراة
ام لان الحرمة المؤبدة من خصايص الام فخوطبوا بذلك تقريعا لهم لانه اوزع وفي سورة الاحزاب ما يوضح
ذلك ولما كانوا قد عزموا علي هذا الحكم في الجاهلية واستقر في انفسهم استقرارا لا يزول الا بغاية التاكيد
ساق الكلام كذلك في الشقين فقال **ان** اي ما **امهاتهم** اي حقيقة **الا اللائي ولدنهم** ونساؤهم لم يلدنهم
فلا يحرمن عليهم حرمة مؤبدة للاكرام والاحترام ولا ممن الحق بالامهات بوجه يصح كازواج النبي صلي
الله عليه وسلم فانهن امهات لما لهن من حق الاكرام والاحترام والاعظام لان النبي صلي الله عليه وسلم اعظم
في ابوة الدين من اب النسب وكذا المرضعات لما لهن من حق الارضاع الذي هو وظيفة الام بالاصالة
واما الزوجة فمباينة لجميع ذلك • ولما فرغ من تعليل الشق الاول علي اتم وجه اتبعه تعليل الآخر
كذلك فقال عاطفا عليه مؤكدا لانهم كانوا قد لغوا قوله فاشربته قلوبهم **وانهم** اي المظهرين **ليقولون** اي
في هذا التظهر علي كل حالة **منكرا من القول** تنكره الحقيقة والاحكام قال ابن الملقن في عمدة المحتاج وهو حرام
اتفاقا كما ذكره الرافعي في الشهادات **وزورا** اي قولا مائلا عن السداد منحرفا عن القصد لان الزوجة
معدة للاستمتاع الذي هو في الغاية من الامتهان والام في غاية البعد عن ذلك لانها اهل لكل احترام
فلا هي ام حقيقة ولا شبيهة بها بامر نصبه الشارع للاحترام كالارضاع او كونها فراشا لعظيم كالنبي
او الاب او للحرمة كاللعان فقد علم ان ذلك الكلام ليس بصدق ولا جاء به مسوغ فهو زور محض ولخص
من هذا ان يقال • ولما كان ظهارهم هذا يشتمل علي فعل وقول وكان الفعل هو التحريم الذي هو موضع
وجه الشبه وكانت العادة في وجه الشبه ان يقع منه باذني ما ينطلق عليه الاسم وكانوا قد خالفوا
٢ ذلك فجعلوه في اعلي طبقاته وهو الحرمة المؤبدة التي يلزم منها ان تكون المشابهة من كل وجه في الحرمة
مع ان ذلك بغير مستند من الله الذي لا حكم لغيره الزمهم تعالي ان يكون الشبه من كل وجه مطلقا
فيكونوا جاعلين الزوجة اما حقيقة لا دعوي كما جعلوا الحرمتين كذلك من غير فرق بل اولي لان الشبه
انما وقع بين الجنسين لا بين الحرمتين ثم وقفهم علي جهلهم فيه فقال ما هن الي آخره • ولما وقفهم علي جهلهم
في الفعل وقفهم علي جهلهم في القول فقال وانهم الي آخره • قال النووي في الروضة قال الاصحاب الظهار
حرام وله حكمان احدهما تحريم الوطي اذا وجبت الكفارة الي ان يكفر والثاني وجوب الكفارة بالعود
انتهي وهذا القول وان افاد التحريم فانه يفيد لكونه ممنوعا منه علي وجه ضيق حرج المورد عسر

المخرج ليكون عسره زاجرا عن الوقوع فيه قال ابو عبد الله القزاز في ديوانه الجامع وظاهر الرجل امراته
وظاهر من امراته اذا قال انت علي كظهر وكذات محرم وانما استخصوا الظهر في الظهار لان الظهر موضع
الركوب والمراة مركب الرجل في النكاح فكني به عن ذلك فكانه قال ركوبك علي للنكاح كركوب امي وكان
الظهار في الجاهلية طلاقا ولذلك اشكل معنى قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا وقال ابن الاثير في النهاية
ظاهر الرجل من امراته ظهارا وتظهر وتظاهر اذا قال لها انت علي كظهر امي وكان في الجاهلية طلاقا ه
وقيل انهم ارادوا انت علي كبطن امي اي كجماعها فكنوا بالظهر عن البطن للمجاورة وقيل ان اتيان المراة
وظهرها الى السما كان حراما عندهم وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض ه
جا الولد احول فلقصد الرجل المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك
حتى جعلها كظهر امه وانما عدي الظهار بمن لانهم كانوا اذا ظاهروا المراة تجنبوها كما يتجنبون المطلقة
ويحترزون منها فكان قوله ظاهر من امراته اي بعد واحترز منها كما قيل آلى من امراته لما ضمن معنى التباعد
عدي بمن انتهى وقال ابن الملقن في العمدة شرح المنهاج وكان طلاقا في الجاهلية ونقل عن صاحب الحاوي
انه عندهم لا رجعة فيه قال فنقل الشارع حكمه الى التحريم بعد العود ووجوب الكفارة انتهى وقال
ابو حيان قال ابو قلابة وغيره كان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فرقة مؤبدة ولما كان
التقدير فان الله حرمه عطف عليه مرغبا في التوبة وداعيا اليها قوله مؤكدا لاجل ما يعتقدون من غلظه
وانه لا مثنوية فيه وان الله اي الملك الاعظم الذي لا امر لاحد معه في شرع ولا غيره لعفو اي من
صفاته ان يترك عقاب من شا غفور من صفاته ان يمحو عين الذنب واثره حتى كانه كما لا يعاقب عليه
لا يعاتب فهل من تايب طلبا للعفو عن زلله والاصلاح لما كان من خلله ولما هجن سبحانه الظهار
واثبت تحريمه على ابلغ وجه واكده وكان ما مضت عليه العوايد لا بد ان يبقى منه بقايا اتبع ذلك بيان
حكم هذه الواقعة وما لعله يقع من نظايرها فقال والذين يظهرون ولما كان في بيان الحكم اسقط
التقييد اعلاما بعمومه الكافر كعمومه المسلم ليفيد تغليظ العقاب عليه ليلا يتوهم انه يخص العرب
الذين قصد تهجينه عليهم بانهم انفردوا به عن ساير الناس فقال من نسايهم بدون منكم ولما كان
مقتضي اللفظ المباعدة ممن قيل ذلك فيها فكان امساكها بعده ينبغي ان يكون في غاية البعد قال مشيرا
الى ذلك باداة البعد ثم يعودون اي بعد هذا القول لما قالوا بالفعل بان يعاد هذا القول مرة اخرى
او بالقوة بان يمسكوا المقول ذلك لها زمنا يمكن ان يعاد فيه هذا القول مرة ثانية من غير مفارقة
بلفظ مما ناط الله الفرقة به من طلاق او سراح ونحوهما فيكون المظاهر عايدا الى هذا القول بالقوة لامكان
هذا القول في ذلك الزمن وذلك لان العادة قاضية بان من قال قولا ولم يتبعه وبنجزه ويمضيه فانه يعود
الى قوله مرة اخرى وهلم جرا ويكون التقدير لنقض ما قالوا فيحلوا ما حرموا على انفسهم بعدم البت بالطلاق
فان كان الظهار معلقا لم يلزم حكمه الا بالحنث فان طلق في الحال والا لزمته الكفارة وحق العبارة ه
التعبير باللام لدلالتها على الاتصال كما يقتضيه الحال بخلاف الى فانها تدل على مهلة ويراح هذا في الظهار
المطلق واما المؤقت بيوم او شهر او غير ذلك فلا يكون عايدا فيه الا بالوطي في الوقت المظاهر فيه واما
مجرد امساكها فليس بعود لانه انما امسكها لما له فيها من الحل بعد وقت الظهار ولما كان المبتدا
الموصول مضمنا معنى الشرط ادخل الفا في خبره ليفيد السببية فيتكرر الوجوب بتكرر سببه فقال فتحرير
اي فعليهم بسبب هذا الظهار والعود تحرير رقبة اي سليمة عن عيب يخل بالعمل كاملة الرق مقيدة
ايضا بمؤمنة لانها قيدت بذلك في كفارة القتل فيحمل هذا على ذاك ولان معوية بن الحكم رضي الله عنه
كانت له جارية فقال للنبي صلى الله عليه وسلم على رقبة افاعتقها فسالها رسول الله صلى الله عليه

وسلم اين الله فاخبرته بما دل على توحيدها فقال من انا قالت انت رسول الله قال اعتقها فانها مومنة
رواه مالك ومسلم فعلل الاجزا بالايمان ولم يسأله عن سبب الوجوب فدل على انه لا فرق بين واجب
وواجب والموجب للكفارة الظهار والعود جميعا كما ان الموجب في اليمين اليمين والحنث معا ولما
كان التحرير لا يستغرق زمن القتل بل يكون في بعضه ادخل الجار فقال من قبل ولما كان المراد التماس
بعد المظاهرة لا مطلقا قال ان يتماسا اي يتجدد منهما مس وهو الجماع سوا كان ابتدا المباشرة منه
او منها بما افادته صيغة التفاعل وهو حرام قبل التكفير ولو كان على ادنى وجوه التماس واخفاها
بما اشار اليه الادغام ولو كان بايلاج الحشفة فقط مع الانزال او بدونه واما مقدمات الجماع فهي
فيها كالحايض لا تحرم على الاظهر فان جامع عصى ولم تجب كفارة اخرى لما روى الترمذي عن سلمة بن
صخر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهر يواقع قبل ان يكفر قال كفارة واحدة ولما
كان الوعظ هو الزجر عن الفعل الموعوظ لاجله قال مستانفا ذلكم اي الزاجر العظيم جدا الذي هو
عام لكم من غير شبهة توعظون به اي يكون بمشقته زاجرا لكم عن العود الى مقاربة مثل ذلك فضلا
عن مقارفته لان من حرم من احلها له الله تحريما مؤبدا على زعمه كان كانه قد قتلها ويكون ذلك قد
اجترأه وانتهك فيه حرمة امه كان قد عصى معصية اوبق بها نفسه كلها ابيها فاحوجه الى ان ينهكها
عضوا عضوا باعتاق رقبة تماثل رقبته ورقبة من كانه قتلها ولما كان التقدير فالله بما يردعكم
بصير عطف عليه قوله والله اي الذي له الاحاطة بالكمال وقدم الجار اشارة الى ارادة المبالغة
للتنبيه على الاهتمام بالزام الانتها عن ذلك فقال بما تعملون اي تجددون فعله خبير اي عالم
بظاهره وباطنه فهو عالم بما يكفره فافعلوا ما امر به وقفوا عند حدوده قال القشيري والظهار ه
وان لم يكن له في الحقيقة اصل ولا بتصحيحه نطق ولا له شرع فبعد ما رفع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم امره ولوح بشي ما وقال انه حكمه لم يخل الله ذلك من بيان ساق اليه شرعه فقضى فيه
بما انتظم فيه الجواب ارتفاع شكواها ولما كانت الكفارة مرتبة وكان المظاهر كانه قد قتل نفسه
بقتل المظاهر عنها كما مضى فكانه مفتقر الى ما يحيي نفسه فشرع له العتق الذي هو كالاحيا شرع له
عند العجز عنه ما يميت نفسه التي اماتتها له احياوها وكان الشهران بضعف المدة التي تنفخ فيها الروح
فكان صومها كنصف قتل النفس التي قتلها احيا الروح وانعاش العقل فكانه اماتتها فجعله سبحانه بدلا
عن العتق الذي هو كالاحيا فقال فمن لم يجد اي الرقبة المامور بها بان كان فقيرا فان كان غنيا وماله
غايب فهو واجد فصيام اي فعليه صيام شهرين ولما كان المراد كسر النفس كما مضى وكانت
المتابعة انكا ولذلك سمي رمضان شهر الصبر قيد بقوله متتابعين اي على اكمل وجوه التتابع على
حسب الامكان بما اشار اليه الاظهار فلو قطع التتابع بشي ما ولو كان بنسيان النية وجب عليه الاستيناف
والاغما لا يقطع التتابع لانه ليس في الوسع وكذا الافطار بحيض او نفاس او جنون بخلاف الافطار
بسفر او مرض او خوف على حمل او رضيع لان الحيض معلوم فهو مستثنى شرعا وغيره معتب للعقل مزيل
للتكليف واما المرض ونحوه ففيه تعمد الافطار مع وجود العقل ولما كان الامساك عن المسيس ه
قد يكون اوسع من الشهرين ادخل الجار فقال من قبل وحل المصدر لافادة ان يكون بعد المظاهرة
فقال ان يتماسا فان جامع ليلا عصى ولم ينقطع التتابع ولما كان اطعام نفس قوت بضعف
يوم كاماتة نفسه بالصيام يوما قال فمن لم يستطع اي يقدر على الصيام قدرة تامة اشار اليه
الاظهار التالهرم او مرض او شبق مفرط يهيجه الصوم فاطعام اي فعليه اطعام ستين مسكينا
لكل مسكين ما يقوته نصف يوم وهو مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك نصف قدح بالمصري

وهو مل حفنتين بكفي معتدل الخلق من غالب قوت البلد وهو كما في الفطرة سوا وحذف قيد المماسة لذكره
في الاولين ولعل الحكمة في تخصيص هذا به ان ذكره في اول الخصال لا بد منه واعادته في الثاني لطول
مدته فالصبر عنه فيها مشق وهذا يمكن ان يفعل في لحظة لطيفة لا مشقة للصبر فيها عن المماسة هذا
اذا عاد فان وصل الظهار بالطلاق او مات احدهما في الحال قبل امكان الطلاق فلا كفارة قال البغوي
لان العود في القول هو المخالفة وفسر ابن عباس رضي الله عنهما العود بالندم فقال يندمون ويرجعون
الي الالفة وهذا يدل علي ما قال الشافعي فان ظاهر الرجعة انعقد ظهاره فان راجعها لزمته الكفارة
لان الرجعة عود ولما ذكر الحكم بين علته ترغيبا فيه فقال **ذلك** اي الترخيص العظيم لكم والرفق بكم
والبيان الشافي من امر الله الذي موافق للحنيفية السمحة ملة ابيكم ابراهيم عليه السلام كان
لتؤمنوا وهذا الفعل العظيم الشاق ليجدد ايمانكم ويتحقق وجوده **بالله** اي الملك الذي لا امر لاحد
معه فتطيعوا بالانسلاخ من فعل الجاهلية **ورسوله** الذي تعظيمه من تعظيمه وقد بعث بملة ابراهيم
عليهما السلام فلو ترك هذا الحكم الشديد علي ما كان عليه في الجاهلية لكان مشككا في البعث بتلك الملة
السمحة ولما رغب في هذا الحكم رهب من التهاون به فقال **وتلك** اي هذه الافعال العظيمة المزكية
وكلما سلف من امثالها في هذا الكتاب الاعظم **حدود الله** اي اوامر الملك الاعظم ونواهيه واحكامه
التي يجب امتثالها والتقيد بها لترعي حق رعايتها فالتزموها وقفوا عندها ولا تعتدوها فانه لا يطاق
انتقامه اذا تعدي نقضه او ابرامه **ولما** كان التقدير فللمؤمنين بها جنات النعيم عطف عليه قوله
وللكافرين اي العريقين في الكفر بها او بشيء من شرايعه **عذاب اليم** بما آلموا المؤمنين به من الاعتدا
ولما ذكر حدوده ولوح بالعطف علي غير معطوف عليه الي بشارة حافظها وصرح بتهديد متجاوزها
اتبع ذلك تفصيل عذابهم الذي منه بشارة المؤمنين بالنص عليهم فقال مؤكدا لاجل انكارهم لان يغلبوا علي
كثرتهم وقوتهم وضعف حزبه وقلتهم **ان الذين يحادون الله** اي يغالبون الملك الاعلي علي حدوده ليجعلوا
حدودا غيرها وذلك صورته صورة العداوة مجددين ذلك مستمرين عليه باي محادة كانت ولو كانت
خفية بما اشار اليه الادغام كمحادة اهل الاتحاد الذين يتبعون المتشابه فيجرونه علي ظاهره فيحلون به
الحكم لتحل الشريعة باسرها فان كثيرا من السورة نزل في المنافقين واليهود المهادنين كما ياتي في
النجوي وغيرها **ورسوله** الذي عزته من عزته **كبتوا** اي صرعوا وكبوا لوجوههم وكسروا واذلوا واخزوا
فلم يظفروا وردوا بغيظهم في كل امر يرومونه من اي كابت كان بايسر امر واسهله وعبر بالماضي اشارة
الي تحققه ووقوعه والفراغ من قضايه كما فرغ مما مضي فلذا قال لتكون الدعوي مقرونة بدليلها **كما كبت**
الذين ولما كان المحادون لم يستغرقوا جميع الازمان الماضية والاماكن الجار ادخل الجار فقال **من قبلهم**
اي من المحادين كقوم نوح ومن بعدهم ممن اصر علي العصيان ولم ينقد لدليل ولا برهان قال القشيري
ومن ضيع لرسول الله صلي الله عليه وسلم سنة واحدث في دينه بدعة انخرط في هذا السلك ووقع في
هذا الذل ولما استوفي المقام حظه بيانا وترغيبا وترهيبا علي اول السورة او علي ما يقدر من نحو فقد عطفه م
كان لكم فيما مضي من اول الاسلام الي هذا الاوان بما يدل علي كونه سبحانه بالنصر والمعونة مع نبيه صلي الله
عليه وسلم واتباعه رضي الله عنهم معتبر قوله **وقد انزلنا** اي بما لنا من العظمة عليكم وعلي من قبلكم **آيات**
بينات اي دلالات عظيمة هي في غاية البيان لذلك ولكل ما يتوقف عليه الايمان لترك المحادة وتحصل
الاذعان **ولما** كان التقدير فللمؤمنين بها نعيم مقيم في مقام امين عطف عليه قوله **وللكافرين**
اي الراسخين في الكفر بها او بغيرها من امر الله **عذاب مهين** بما تكبروا واعتزوا علي اولياء الله وشرايعه
يهينهم ذلك العذاب ويذهب عزهم وشماختهم ويتركون به محادتهم ولما ذكر عذابهم ذكر وقته علي

دخج

علي وجه مقرر لما مضي من شمول علمه وكمال قدرته فقال **يوم يبعثهم الله** اي يكون ذلك في وقت اعادة
الملك الاعظم للكافرين المصرح بهم والمؤمنين المشار اليهم احيا كما كانوا **جميعا** اي حال كونهم مجتمعين في
البعث **ولما** كان لا اوجع من التبكيت بحضرة الناس فكيف اذا كان بحضرتهم كلهم فكيف اذا كان
بمراي من جميع الخلايق وسمع سبب عن ذلك وعقب قوله **فينبئهم** اي يخبرهم اخبارا عظيما مستقصي **بما**
عملوا اخزا لهم واقامة للحجة عليهم **ولما** كان ذلك امرا عظيما استانف قوله بيانا لهوانه عليه ضبط م
احصاه الله اي احاط به عددا كما وكيفا وزمانا ومكانا بما له من صفات الجلال والجمال **ولما** ذكر
احصاه له فكان ربما ظن انه مما يمكن في العادة احصاوه نفي ذلك بقوله **ونسوه** اي كلهم مجتمعين لخروجه
عن الحد في الكثرة فكيف بكل واحد علي انفراده ونسوا ما فيه من المعاصي تهاونا بها وذلك عين التهاون
بالله والاجترا عليه قال القشيري اذا حوسب احد يوم القيمة علي عمل عمله تصور له ما فعله ثم
يذكر حتي كانه في تلك الحالة قام من بساط الزلة فيقع عليه من الخجل والندم ما ينسي في جنبه كل عقوبة
فسبيل المسلم ان لا يحوم حول مخالفة امر مولاه فان جري المقدور ووقع في هجنة التقصير فليكن من زلته
علي بال وليتضرع الي الله بحسن الابتهال **ولما** كان التقدير بما ارشد اليه العطف علي غير مذكور
فالله بكل شيء من ذلك وغيره عليم عطف عليه قوله **والله** اي بما له من القدرة الشاملة والعلم المحيط
علي كل شيء علي الاطلاق من غير مثنوية اصلا **شهيد** اي حفيظ حاضر لا يغيب ورقيب لا يغفل حفظه ورتبته
وحضوره اياه مشتغل عليه قاهر له باحاطة تهم بكل شيء ليمكن حفظه له علي اتم وجه وابينه وقال الامام
ابو جعفر بن الزبير لما نزه نفسه عن تقول الملحدين واعلم ان العالم باسره ينزهه عن ذلك بالسنة
احوالهم لشهادة العوام علي انفسها بافتقارها الحكيم اوجدها لا يمكن ان يشبه شيا منها بل يتنزه عن اوصافها
ويتقدس عن سماتها فقال سبح لله ما في السموات والارض ومضت اي تعرف بعظيم سلطانه وعلي ملكه
ثم انصرف الخطاب الي عباده في قوله آمنوا بالله ورسوله الي ما بعد ذلك من الاي وكان ذلك ضرب
من الالتفات والواقع هنا منه اشبه شيء بقوله سبحانه في سورة البقرة واذ قال ربك للملايكة فانه
بعد شرار الكافرين فلما تم هذا النمط عدل بعده الي دعا الخلق الي عبادة الله وتوحيده يا ايها الناس اعبدوا
ربكم ثم عدل الكلام جملة وصرف الخطاب الي تعريف نبيه عليه السلام بمبدء الخلق واذ قال ربك للملايكة
اني جاعل في الارض خليفة فجاء ضربا من الالتفات فكذا الواقع هنا بين سبحانه حال مشركي العرب وقبح
عنادهم وفرعهم ووبخهم في عدة سور غالب آيها جار علي ذلك ومجدد له اولها سورة ص كما نبه عليه في سورة
القمر والي الغاية التي ذكرت فيها الي ان وردت سورة القمر منبية بقطع دابرهم واجري فيها الاعذار المنبه
عليه وكذا في سورة الرحمن بعدها ثم اعقب ذلك بالتعريف بحال النزل الاخراوي في سورة الواقعة مع
زيادة تقريع وتوبيخ علي مرتكبات استدعت تسبيحه تعالي وتقديسه عن شنيع افترايهم فابتعت بسورة الحديد
ثم صرف فيها الخطاب الي المومنين واستمر ذلك الي آخر السورة جرت سورة المجادلة علي هذا القصد مصروفا
خطابها الي نازلة يتشوف المومنون الي تعرف حكمها وهو الظهار المبين امره فيها فلم يعد لها بكلام بعد كما كان
قد صرف اليه في قوله آمنوا بالله ورسوله ما كثر من التعرض لبيان حكم يقع منهم ثم ان السور الواردة بعد
الي آخر الكتاب استمر معظمها علي هذا الغرض لا نقضا ما قصد من التعريف باخبار القرون السالفة والامم
الماضية وتقريع من عاند وتوبيخه وذكر مآل الخلق واستقرارهم الاخراوي وذكر تفاصيل التكاليف والجزا
عليها من الثواب والعقاب وما به استقامة من استجاب وآمن وما يجب ان يلتزمه علي درجات التكاليف
وتاكيدها فلما كمل ذلك صرف الكلام الي ما يخص المومنين في احكامهم وتعريفهم بما فيه من خلاصهم فمعظم آي
السورة بعد هذا شانها وان انجر غيرها فلا استدعا وموجب وهو الاقل كما بينا انتهي **ولما** كان هذا

الاخبار عن احاطة علمه وشموله قدرته مع انه بديعي التصور يحتاج عند من جره الهوي الي الشرك المقتضي للنقص
الي دليل فقد كان العرب ينكرون ان يسع الناس كلهم اله واحد قال تعالى دالا علي ذلك بدليل شهودي
لتقيد الانسان بما يراه من المحسوسات قاصر الخطاب علي اعلي الخلق اشارة الي انه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره الم تر
اي تعلم علما هو في وضوحه كالرؤية بالعين ان الله اي الذي له صفات الكمال كلها يعلم ما في السموات ولما
كان الخطاب لاعلي الخلق وكان المقام لاحاطة العلم وكان خطابه صلي الله عليه وسلم بذلك اشارة للسامعين الي
وعورة هذا المقام وانه بحيث لا يكاد يتصور ولا يفهمه حق فهمه الا هو صلي الله عليه وسلم ومن الحق به ممن صفا فهمه
وسري ذهنه وانخلع من الهوي والعوايق واكد باعادة الموصول فافراده صلي الله عليه وسلم بعد ان كان مع
المظاهرين ثم المحادين اشارة الي التعظيم وتاكيد تنبيهه علي صعوبة المقام بالتعميم ليرعي حق الرعي توفية لحق
التعليم كما رعته الصديقة ام المومنين عايشة رضي الله عنها في قولها سبحان من وسع سمعه الاصوات تعني في
سماعه مجادلة المراة وهو في غاية الخفا فقال تعالى وما في الارض اي كليات ذلك وجزئياته لا يغيب عنه
شي منه بدليل اتقان تدبيره محيط بذلك علي اتم ما يكون وهو يخبر من يشا من انبيايه واصفيايه بما يشا من اخبار ذلك
القاصية والدانية الحاضرة والغايبة الماضية والآتية فيكون كما اخبر ولما كان ذلك وان كان معلوما
يتعذر احاطة الانسان بكل جزي منه دل عليه بما هو اقرب منه فقال ما يكون بالفوقانية في قراة ابي جعفر
لتانيث النجوي اشارة الي العلم بها ولو ضعفت الي اعظم حد وقرا الباقون بالتحتانية للحايل ولان
التانيث غير حقيقي وهي علي كل حال من كان التامة وعم النفي بقوله من نجوي اي تناجي متناجين جعلوا نجوي
مبالغة والنجوي السر والمسارون ومصدر قاله في القاموس وقال عبد الحق في الواعي النجوي الكلام بين
الاثنين كالسر والتشاور انتهي واصله من النجوة للمرتفع من الارض والنجو الخلوص والقطع وكشط الجلد والحدث
والكشف لان المشاور يرفع ما كان في ضميره الي صاحبه ويخلصه بمشاورته له ويقطعه من ضميره ويكشطه
منه ويحدثه ويكشفه ولما كانت النجوي لا تكمل الا بثالث يحفظ الانس بادامة الاجتماع لان الاثنين
ينفردان عند عروض حاجة لاحدهما ويكونان في التناجي والتشاور كالمتنازعين والثالث وسط بينهما مع انه
سبحانه وتر يحب الوتر والثلاثة اول اوتار العدد كما كان حافظا لها في ازل الازل قال ثلثة الا في حال من
الاحوال الا هو رابعهم اي مصيرهم اربعة فهو اسم فاعل والمعني بعلمه وقدرته كما يكون كل من المتناجين عالما
بنجوي البعض فروح النجوي العلم بالسر ولما كان الثلاثة قد يريد احدهم ان ينفرد باخر منهم فيصير الثالث
وحده فاذا كانوا اربعة دام الانس بينهم ثم لا يكمل الا بخامس يحفظ الاجتماع اذا عرضت لاحد الاثنين حاجة قال
ولا خمسة اي من نجواهم الا هو سادسهم لذلك فالحاصل انه ما يكون من وتر الا كان هو سبحانه شافع وتريته
واما وتريته هو سبحانه فقد كانت ولا شي اصلا معها وستكون ولا حي معها فلا وتر في الوجود علي الحقيقة
غيره ولما علم بالتكريرات ما ذكر علي سبيل المثال لا المعني تخصه من جهة العلم عم بقوله ولا ادني قيد
بالقليل لانه قبل الكثير وهو اخفي منه من ذلك اي الذي ذكر وهو الواحد والاثنان والاربعة الذي
بعيد عن رتبته وان كان قد شرفه سبحانه باطلاق معينه بعد ان لا نسبة له منها ولما كان العلم
بالكثير اعسر من اجل انتشاره قال ولا اي يكون من نجوي اكثر اي من ذلك كالستة فما فوقها الا الي نهاية
هذا التقدير علي قراة الجماعة بالجر بفتحة الرا ورفع يعقوب علي محل من نجوي الا هو معهم اي يعلم ما يجري
منهم وبينهم ويلزم من احاطة علمه احاطة قدرته كما تقدم في طه لتكمل شهادته ولما كان العموم في
المكان يستلزم العموم في الزمان وكان المكان اظهر في الحس قال اينما اي في اي مكان كانوا فانه لا
مسافة بينه وبين شي من الاشيا لانه الذي خلق المسافة وعلمه بالاشيا ليس لقرب مكان حتي يتفاوت
باختلاف الامكنة ولا بسبب من الاسباب غير وجوده علي ما هو عليه من صفات الكمال قال الرازي

ما فارق الاكوان الحق ولا قارنها كيف يفارقها وهو موجدها وحافظها ومظهرها وكيف يقارن الحدث
القدم وهو به قوام الكل وهو القيوم علي الكل انتهي والحاصل انه سبحانه لا يخفي عليه شي من العالم
وان بلغ في دقته الي ما لا ينقسم وهو مشاهد لذلك كله حفظا وعلما واحاطة وحضورا واية ذلك في
خلقه ان جملة الجسم تحيي بالروح فلا يبقي جزء منه الا وهو محفوظ بالروح تحس بسببها وهو سبحانه لا تحجب
علمه ولا اشيا من صفاته حجاب فقد صحت المعية وهو بحيث لا تحويه المكان ولا تحصره العدد يقبض المخلوق
ويبسطه لا يصعد المخلوق ولا صفته ولا فعله ولا معني من معانيه الي صفة من صفاته انما له من المكان
المكانة ومن العلو العلا ومن الاسما والصفات مقتضاها اشار الي ذلك ابن برجان وقال ومن
تدبر ما قراه وتفهم ما تعلمه ادرك من تحقيق ما نحن بسبيل تبيانه ما قدر له الا تري الي الجن اين مكانهم وان
كانوا موصوفين به ثم الملايكة ارفع قدرا ومكانة بل ان الروح من جميع الجملة التي تحمله بحيث ذهبت تدبيرها
وبه قيامها باذن الله خالقه قال عليه السلام في خطبته الكبري وهي اخر خطبة خطبها اخرجها الحرث
ابن ابي اسامة ره في المنبر وقال يا ايها الناس ادنوا واوسعوا لمن خلفكم ثلث مرات فدني الناس وانضم
بعضهم الي بعض والتفتوا فلم يروا احدا فقال رجل منهم بعد الثالثة لمن نوسع يا رسول الله الملايكة فقال
لا انهم اذا كانوا معكم لم يكونوا بين ايديكم ولا خلفكم ولكن عن ايمانكم وعن شمايلكم وعلي ذلك فليسوا في
مكان الايمان هنا والشمايل بل في المكانة من ذلك فالله جل جلاله اعلي واجل وانزه مكانة واكرم استوا
انتهي ولما كان الانسان نسا ولا سيما ان تمادي به الزمان قال عاطفا علي ما تقديره فمنضبط
عليهم حركاتهم وسكناتهم من اقوالهم وافعالهم واحوالهم وتحفظها علي طول الزمان كما كان حافظا لها قبل خلقها
في ازل الازال ثم ينبيهم اي يخبرهم اخبارا عظيما بما عملوا دقيقه وجليله يوم القيمة الذي هو
المراد الاعظم من الوجود لاظهار الصفات العلي فيه اتم اظهار ولما اخبر بهذا الامر العظيم
علله بما هو دليل علي الشهادة فقال موكدا لما لهم من الانكار قولا او فعلا بالاشراك الذي يلزم منه
النقص ان الله اي الذي له الكمال كله ولما كان المقام للابلاغ في احاطة العلم قدم الجار كما مضت
الاشارة اليه غير مرة فقال بكل شي اي مما ذكر وغيره عليم اي بالغ العلم فهو علي كل شي شهيد لان
نسبة ذاته الاقدس الي الاشيا كلها علي حد سوا لا فرق اصلا بين شي واخر قال القشيري معية الحق
سبحانه وان كانت علي العموم بالعلم والرؤية وعلي الخصوص بالفضل والنصرة فلهذا الخطاب في قلوب اهل
المعرفة اثر عظيم الي ان ينتهي الامر بهم الي التاويل فللولهه والهيمان في خمار سماع هذا عيش وعند
ولما كان هذا الدليل ايضا شعر الاحاطة به قال دالا عليه بامر جزي واقع يعلم المحدث عنه حقيته
فان عاند بعد سقط معه الكلام الا بحد الحسام الم تر اي تعلم علما هو كالرؤية ودل علي سفول رتبة
المري بابعاده عن اعلي الناس قدرا بحرف الغاية فقال الي الذين ولما كان العاقل من اذا زجر عن
شي انزجر حتي يتبين له انه لا ضرر عليه في فعل ما زجر عنه عبر بالبنا للمفعول فقال نهوا اي من ناه ما لا
ينبغي للمنهي مخالفته حتي يعلم انه مامون الغايلة عن النجوي اي عن الاسرار لاجلال انفسهم بذلك في محل
التهمة بما لا يرضي رسول الله صلي الله عليه وسلم كما قال ابو العلا المعري والخل كالما يبدي لي ضمايره
مع الصفا ويخفيها مع الكدر ولما كان الناهي هو الله فكان هذا المنهي اهلا لان يبعد منه
غاية البعد عبر باداة التراخي فقال ثم يعودون اي علي سبيل الاستمرار لانه وقع مرة بادروا الي
التوبة منها اذ فلتة وقعت معفوا عنها لما نهوا عنه اي من غير ان يعدوا لما يتوقع من جهة الناهي من
الضرر عدة ويتناجون اي يقبل جميعهم علي المناجاة اقبالا واحدا فيفعل كل منهم منها ما يفعله الآخر
مرة بعد اخري علي سبيل الاستمرار وقراة حمزة وينتجون بصيغة الانفعال تدل علي التعمد والمعاندة

بالاثم اي بالشي الذي يكتب عليهم به الذنب وبالكذب وبما لا يحل ولما ذكر المطلق اتبعه المقيد بالشدة
فقال والعدوان اي العدو الذي هو نهاية في قصد الشر بالافراط في مجاوزة الحدود ولما
كان ذلك شرا في نفسه اتبعه الاشارة الى ان الشي يتغير وصفه بالنسبة الى من يفعل معه فيكبر
بكبر المعصي فقال ومعصية الرسول اي الذي جا اليهم من الملك الاعلى وهو كامل في الرسلية لكونه
مرسلا الى جميع الخلق وفي كل الازمان فلا نبي بعده فهو لذلك مستحق غاية الاكرام ولما انهى تعظيم
الذنب الى غايته آذن بالغضب بان لفت الكلام الى الخطاب فقال واذا جاوك اي ايها الرسول
الاعظم الذي ياتيه الوحي ممن ارسله ولم يغب اطلاعه عنه لانه المحيط علما وقدرة حيوك اي واجهوك
بما يعدونه تحية من قولهم السام عليك ونحوه وعم كل لفظ بقوله بما لم يحيك به الله اي الملك الاعلى
الذي لا امر لاحد معه فمن تجاوز ما شرعه فقد عرض نفسه لسخطه ومما دخل فيه قول بعض الناس
لبعض صباح الخير ونحوه معرضا عن السلام ولما كانوا يخفون ذلك جهدهم ويظنون باملا الله
لهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يطلع عليه وان اطلع عليه لم يقدر على ان ينتقم منهم عبر عن ذلك بقوله
ويقولون اي عند الاستدراج بالاملا مجددين قولهم مواظبين عليه في انفسهم من غير ان يطلع عليه
احد لولا اي هلا ولم لا يعذبنا الله اي الذي له الاحاطة بكل شي على زعم من نهانا بما نقول مجددين
له مع المواظبة ان كان يكرهه كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ولما تضمن هذا علمه سبحانه بهذه
الجزئية من هولا القوم فثبت بذلك علمه بجميع ما في الكون لان نسبة الكل اليه على حد سوا فاذا ثبت
علمه بالبعض ثبت علمه بالكل فثبتت قدرته على الكل فكان على كل شي شهيدا قال مهددا لهم مشيرا الى انه
لا ينبغي لاحد ان يقول مثل هذا الا ان كان قاطعا بانه لا يحصل له عذاب او يحصل له منه ما لا يبالي به ثم
يرده بقوته حسبهم اي كفايتهم في الانتقام منهم وفي عذابهم وردشقهم بسهام لهيبها ومنكي شررها
وتصويب صواعقها جهنم اي الطبقة التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة والتكره والفظاظة فان حصل
لهم في الدنيا عذاب كان زيادة على الكفاية فاستعجالهم بالعذاب محض رعونة يصلونها اي يقاسون
عذابها دايما فاني قد اعددتها لهم ولما كان التقدير فانهم يصيرون اليها ولا بد سبب عنه
قوله فبيس المصير اي مصيرهم وسبب ذلك ان اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم وينظرون
الى المومنين ويتغامزون يوهمونهم انهم يتناجون فيما يسوهم فيظنون انه بلغهم شي عن اخوانهم
الذين خرجوا في السرايا غزاة في سبيل الله من قتل او هزيمة فيحزنهم ذلك فشكوا ذلك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن التناجي على هذه الحالة فلم ينتهوا وروى احمد والبزار والطبراني
باسناد قال الهيثمي في المجمع جيد لان حماد اسمع من عطا بن السايب في حالة الصحة عن عبد الله بن عمرو
رضي الله عنهما ان اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم سام عليكم ثم يقولون في انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول فنزلت وروى ابو يعلى عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال عند ذلك اذا سلم عليكم احد من اهل الكتاب فقولوا وعليك ولما نهى عن النجوى وذم على
فعلها وتوعد عليه فكان ذلك موضع ان يظن ان النهي عام لكل نجوى وان كانت بالخير استانف قوله
منا ديا بالاداة التي لا يكون ما بعدها الا كلاما له وقع عظيم معبرا باول اسنان الايمان لاقتضا الحال يا ايها أسنان مع
الذين امنوا اي ادعوا انهم اوجدوا هذه الحقيقة اذا تناجيتم اي قلع كل منكم الكلام من نفسه فرفعه
وكشفه لصاحبه سرا فلا تتناجوا اي توجدوا هذه الحقيقة ظاهرة كتناجي المنافقين بالاثم اي الذنب
وكل فعل يكتب بسببه عقوبة ولما عم خص فقال والعدوان اي الذي هو العدو بما يوذي وان
كان العادي يظن انه لا يكتب عليه به اثم ولما كان السياق لاجلال النبي صلى الله عليه وسلم مع انه لا

تعرف حقيقة الاثم الا منه قال تعالى ومعصية الرسول اي الكامل في الرسلية فان ذلك يشوش
فكره فلا يدعه يبلغ رسالات ربه وهو منشرح الصدر طيب النفس ولما علم ان نهيهم انما هو
عن شر يفسد ذات البين وهو ما لا يريدون اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم صرح بقوله حثا على
اصلاح ذات البين لان خير الامور ما عاد باصلاحها وشر الامور ما عاد بافسادها وتناجوا بالبر
اي بالخير الواسع الذي فيه حسن التربية ولما كان ذلك قد يعمل طبعا حث على القصد الصالح
بقوله والتقوى وهي ما يكون في نفسه ظاهرا انه يكون سترة تقي من عذاب الله بان يكون مرضيا لله
ولرسوله ولما كانت التقوى ام المحاسن اكدها ونبه عليها بقوله واتقوا الله اي اقصدوا
قصدا يتبعه العمل ان تجعلوا بينكم وبين سخط الملك الاعظم وقاية ولما كانت ذكرى الاخرة هي
مجمع المخاوف ولا سيما فضايح الاسرار على رووس الاشهاد قال الذي اليه اي خاصة تحشرون اي
تجمعون بايسر امر واسهله بقهر وكره وهو يوم القيمة فيتجلى فيه سبحانه للحكم بين الخلق والانصاف بينهم
بالعدل ومحاسبتهم على النقير والقطمير لا تخفى عليه خافية ولا تقي منه واقية تنكشف فيه سرادقات
العظمة ويظهر ظهورا تاما نفوذ الكلمة ويتجلى في مجال العز سطوات القهر وتنبث لوامع الكبر فاذا
فعلتم ذلك مستحضرين لذلك لم تقدموا على شي تريدون اخفاه من النبي صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك
اقر لعينه واطهر لكم ولما شدد سبحانه في امر النجوى وكان لا يفعلها الا اهل النفاق فكان ربما
ظن ظان انه تحدث عنها ضرر لاهل الدين قال سارا للمخلصين وغاما للمنافقين مبينا ان ضررها انما
يعود عليهم انما النجوى اي المعهودة وهي المنهي عنها وهي ما كره صاحبه ان يطلع عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل ما خيله الشيطان من الاحكام المكروهة للانسان من الشيطان اي مبتديه
وممتده من المحترق بطرده عن رحمة الله فان الحامل عليها بتزيينها ففاعلها تابع لاعدى اعدايه انه مخالف
لاعظم اوليايه ولما بين انها منه بين الحامل له على تزيينها فقال ليحزن اي الشيطان الذين امنوا
اي ليتوهمهم انها بسبب شي وقع فيما يوذيهم والحزن هم غليظ وتوجع يرق له القلب حزنه واحزنه بمعنى
قال في القاموس او احزنه جعله حزينا وحزنه جعل فيه حزنا فعلى هذا قراة نافع من احزن اشد في المعنى
من قراة الجماعة ولما كان ربما خيل هذا من في قلبه مرض ان في يد الشيطان شيا من الاشيا سلب ذلك
بقوله وليس اي الشيطان وما حمل عليه من التناجي واكد النفي بالجار فقال بضارهم اي الذين امنوا
شيا من الضرر وان قل وان خفي بما افهمه الادغام الا باذن الله اي بتمكين الملك المحيط علما وقدرة
روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كنتم ثلثة فلا يتناجى اثنان
دون الثالث الا باذنه فان ذلك يحزنه ولما كان التقدير فقد علم انه لا يخشى احد غير الله لانه لا ينفذ
الا ما اراده فاياه فليخش المربوبون عطف عليه قوله وعلى الله اي الملك الذي لا كفو له لا على احد غيره
فليتوكل المومنون اي الراسخون في الايمان في جميع امورهم فانه القادر وحده على اصلاحها وافسادها
ولا يحزنوا من احد ان يكيدهم بسره ولا بجهره فانهم اذا توكلوا عليه وفوضوا امورهم اليه لم يبال في
حزنهم وان لم يفعلوا احزنهم وخص الراسخين لامكان ذلك منهم في العادة واما اصحاب البدايات فلا
يكون ذلك منهم الا خرق عادة ولما ذكر ما يحزن من السر لكونه اختصاصا عن الجليس بالمقال
فينشا عنه ظن الكدر وتباعد القلوب اتبعه الاختصاص بالمجلس الذي هو متباعد بالاجسام اللازم
لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر في الكلام فينشا عنه الحزن معلما لهم بكمال رحمته وتمام
رافته بمراعاة حسن الادب بينهم وان كان من امور العادة دون احكام العبادة فقال مخاطبا لاهل
الدرجة الدنيا في الايمان لانهم المحتاجون لمثل هذا الادب يا ايها الذين امنوا حداهم بهذا الوصف

على الامتثال إذا قيل لكم اي من اي قايل كان فان الخير يرغب فيه لذاته تفسحوا اي توسعوا اي كلفوا
انفسكم في ايساع المواضع في المجلس اي الجلوس او مكانه لاجل من ياتي فلا يجد مجلسا يجلس فيه والمراد
بالمجلس جنس المكان الذي هم ماكثون به بجلوس او قيام في صلاة او غيرها لانه اهل لان يجلس فيه وذلك
في عصر ومجلس النبي صلى الله عليه وسلم اولى بذلك وقراة عاصم بالجمع موضحة لارادة الجنس فافسحوا
اي وسعوا فيه عن سعة صدر يفسح الله اي الذي له الامر كله والعظمة الكاملة لكم في كل ما تكرهون
ضيقه من الدارين. ولما كانت التوسعة يكفي فيها التزحزح مع دوام الجلوس تارة واخرى تدعو
الحاجة فيها الى القيام للتحول من مكان الى آخر قال وإذا قيل اي من اي قايل كان كما مضى اذا كان
يريد الاصلاح والخير انشزوا اي ارتفعوا وانهضوا الى الموضع الذي تؤمرون به او يقتضيه الحال
للتوسعة او غيرها من الاوامر كالصلاة والجهاد وغيرهما فانشزوا اي فارتفعوا وانهضوا يرفع الله
اي الذي له جميع صفات الكمال عبر بالجلالة واعاد اظهارها موضع الضمير ترغيبا في الامتثال لما للنفس
من الشح بما يخالف المالوف الذين امنوا وان كانوا غير علما منكم ايها المامورون بالتفسح السامعون
للاوامر المبادرون اليها في الدنيا والآخرة بالنصر وحسن الذكر بالتمكن في وصف الايمان الموجب لعلو
الشان بطاعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم في سعة صدورهم بتوسعتهم لاخوانهم ولما كان المؤمن
قد لا يكون من المشهورين بالعلم قال والذين ولما كان المؤمن قد لا يكون من المشهورين بالعلم
فالعلم في نفسه كافيا في الاعلا من غير نظر الى مؤت معين بني للمفعول قوله اوتوا العلم اي وهم مؤمنون
درجات درجة بامتثال الاوامر واخرى بالايمان ودرجة بفضل علمهم وسابقتهم روى
الطبراني وابو نعيم في كتاب العلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
جاءه اجله وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام لم يفضله النبيون الا بدرجة واحدة ورواه الدارمي
وابن السني في رياضة المتعلمين عن الحسن غير منسوب قال شيخنا فقيل هو البصري فيكون مرسلا وعن
الزبيري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال انتهى. وكلما كان الانسان اعلم كان اذكر ولعله ترك
التقييد بمن في هذا وان كانت مرادة ليفهم ان العلم يعلي صاحبه مطلقا فان كان مؤمنا عاملا بعلمه
كان النهاية وان كان عاصيا كان ارفع من مؤمن عاص وعار عن العلم وان كان كافرا كانت رفعته
دنيوية بالنسبة الى كافر لا يعلم ودل على ذلك بختم الاية بقوله مرغبا مرهبا والله اي والحال ان المحيط
بكل شي قدرة وعلما بما تعملون اي حال الامر وغيره خبير اي عالم بظاهره وباطنه فان كان العلم
مزينا بالعمل بامتثال الاوامر واجتناب النواهي وتصفية الباطن كانت الرفعة على حسبه وان كان
على غير ذلك فكذلك وقدم الجار ومدخوله وان كان علمه سبحانه بالاشيا كلها على حد سوا تنبيها على مزيد
الاعتنا بالاعمال لا سيما الباطنة من الايمان والعلم اللذين هما الروح الاعظم لان المقام لنزول الانسان
عن مكانه بالتفسح والانخفاض والارتفاع ولا يخفى ما في ذلك من حظ النفس الحامل على الجري مع الدسايس
فكان جديرا بمزيد الترهيب. وسبب الاية ان اهل العلم لما كانوا احق بصدر المجلس لانهم اوعى لما يقول
صاحب المجلس كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليليني اولوا الاحلام منكم والنهي وكان صلى الله عليه وسلم
يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجا اناس من اهل بدر منهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبق غيرهم
الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليهم
النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفعلوا
فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان وانت يا فلان فاقام من المجلس بقدر القادمين من اهل بدر
فشق ذلك على من اقيم وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فقال المنافقون الستم

تزعمون

تزعمون ان صاحبكم يعدل فوالله ما عدل على هولا ان قوما اخذوا مجالسهم واحبوا القرب من نبيهم
فاقامهم واجلس من ابطا عنه مكانهم فانزل الله هذه الاية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يقيم
الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم رواه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما وقال
الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قاتل المشركين يصف اصحابه رضي الله عنهم
للقتال تشاحوا على الصف الاول فيقول الرجل لاخوانه توسعوا لنلقى العدو ونصيب الشهادة فلا
يوسعون له رغبة منهم في الجهاد والشهادة فانزل الله هذه الاية وهي دالة على ان الصالح ان اكره
مجاورة فاسق منع من مجاورته لانه يوذيه ويشغله عن كثير من مهماته وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم لا ضرر ولا ضرار وقال اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادية يتحول وقال شر
الناس من لا يامن جاره بوايقه فقال تعالى معظما لرسوله صلى الله عليه وسلم وناهيا عن ابرامه صلى الله
عليه وسلم بالسوال والمناجاة ونافعا للفقرا وتمييزا بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا
ولما نهي عما يحزن من المقال والمقام وكان المنهي عنه من التناجي انما هو لحفظ قلب النبي صلى الله عليه الرسول
وسلم عما يكدره فهو منصرف الى مناجاتهم غيره وكان ذلك مفهما ان مناجاتهم له صلى الله عليه وسلم لا حرج فيها
وكان كثير منهم يناجيه ولا قصد له الا الترفع بمناجاته فاكثروا في ذلك حتى شق عليه وكان الناصح للانسان
انما هو كلام من يلايمه في الصنعات ويشاكله في الاخلاق وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ابعد الناس من
الدنيا تقذرا لها لاجل بغض الله لها امر من اراد ان يناجيه بالتصدق ليكون ذلك امارة على الاجتهاد في التخلق
باخلاقه الطاهرة من العزوف عن الدنيا والاقبال على الله ومطهرا له عما سلف من الاقبال عليها فان الصدقة
برهان على الصدق في الايمان وليخفف عنه صلى الله عليه وسلم ما كانوا قد اكثروا عليه من المناجاة فلا يناجيه
الا من خلص ايمانه فتصدق فيكون ذلك مقدمة لانتفاعه بتلك المناجاة كما ان الهدية تكون مهيئة للقبول
كما ورد نعم الهدية امام الحاجة فقال تعالى يايها الذين امنوا اي ادعوا انهم اوجدوا واهل الحقيقة اغنيا
كانوا او فقرا اذا ناجيتم اي اردتم ان تناجوا الرسول اي الذي لا اكمل منه في الرسلية فهو اكمل الخلق
ووظيفته تقتضي ان يكون منه الكلام بما ارسله به الملك وتكون هيبته مانعة من ابتدايه بالكلام فلا يكون
من المبلغين الا الفعل بالامتثال لا غير فقدموا اي بسبب هذه الارادة العالية على سبيل الوجوب ومثل
النجوى بشخص له يدان يحتاج ان يطهر نفسه ليتاهب للقرب من الرسول صلى الله عليه وسلم بين يدي
نجواكم اي قبل سركم الذي تريدون ان ترتفعوا به صدقة تكون لكم برهانا قاطعا على اخلاصكم كما ورد
ان الصدقة برهان فهي مصدقة لكم في دعوى الايمان التي هي التصديق بالله تعالى ورسوله صلى الله
عليه وسلم وبكل ما جا به عن الله ومعظمه الاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة ولذلك استانف قوله ذلك
اي الخلق العالي جدا من تقديم التصدق قبل المناجاة يا خير الخلق ولعله افرده بالخطاب لانه لا يعلم كل ما فيه
من الاسرار غيره وعاد الى الاول فقال خير لكم اي في دينكم من الامساك عن الصدقة واطهر لان الصدقة
طهرة ونماء وزيادة في كل خير ولذلك سميت زكاة خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والتعبير
بافعل لانهم مطهرون قبله بالايمان. ولما امر بذلك وكانت عادته ان لا يكلف بما فوق الوسع للتخفيف على
عباده لا سيما هذه الامة قال فان لم تجدوا اي ما تقدمونه ولما كان المعنى الكافي في التخفيف فليس
عليكم شي دل عليه باحسن منه فقال فان الله اي الذي له جميع صفات الكمال واكد لاستبعاد مثله
فان المعهود من الملك اذا الزم رعيته بشي انه لا يسقطه اصلا ورأسا ولا سيما ان كان يسيرا ودل على
ان له سبحانه ان يكلف بما فوق الطاقة بقوله غفور رحيم اي له صفتا الستر للمساوي والاكرام باظهار
المحاسن ثابتان على الدوام فهو يغفر ويرحم تارة بعدم العقاب للعاصي وتارة بالتوسعة للضيق بان ينسخها

يشق الي ما يخف وهذه الاية قيل انها نسخت قبل العمل بها وقال علي رضي الله عنه ما عمل بها احد غيري
اردت المناجاة ولي دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيته عشر مرات اتصدق في كل مرة بدرهم ثم ظهرت
مشقة ذلك علي الناس فنزلت الرخصة في ترك الصدقة وروى النساي في الكبرى والترمذي وقال
حسن غريب وابن حبان وابو يعلي والبزار عن علي رضي الله عنه انه قال لما نزلت قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم مرهم ان يتصدقوا قلت بكم يا رسول الله قال بدينار قلت لا يطيقون قال فبنصف دينار قال لا
يطيقون قال فبكم قال بشعيرة فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم انك لزهيد فانزل الله تعالي أأشفقتم
الاية وكان علي رضي الله عنه يقول بي خفف الله عن هذه الامة وعدم عمل غيره لا يقدح فيه لاحتمال ان يكون
لم يجد عند المناجاة شيا او ان لا يكون احتاج الي المناجاة ولما دل آخر الاية علي التخفيف وكان قد يدعي
مدعون عدم الوجدان كذبا فيحصل لهم حرج وكان تعالي شديد العناية بنجاة هذه الامة دل علي لطفه
بهم بنسخه بعد فرضه فقال موبخا لمن يشح علي المال تاديبا الي الخروج عنه من غير ايجاب أأشفقتم اي خفتم
من العيلة لما يعدكم به الشيطان من الفقر خوفا كاد ان يفطر قلوبكم أن تقدموا اي باعطا الفقرا وهم اخوانكم
بين يدي نجواكم اي للرسول صلي الله عليه وسلم وجمع لانه اكثر توبيخا من حيث انه يدل علي ان النجوي تتكرر
وذلك يدل علي عدم خوفهم من مشقة النبي صلي الله عليه وسلم من ذلك ووجود خوفهم من فعل التصدق
فقال صدقات وكان بعضهم ترك وهو واجد فبين سبحانه رحمته لهم بنسخها عنهم لذلك في موضع العفا
لغيرهم عند الترك ولما كان من قبلنا اذا كلفوا الامر الشاق حملوا علي التزامه بمثل رفع الجبل فوقهم فاذا
خالفوا عوقبوا بين فضل هذه الامة بان خفف عنهم فقال معبرا بما قد يشعر بان بعضهم ترك عن قدرة فإذ
اي فحين لم تفعلوا اي ما امرتم به من الصدقة للنجوي بسبب هذا الاشفاق وتاب الله اي الملك الاعلي
الذي كان من شان ما هو عليه من العظمة ان يعاقب من ترك امره عليكم اي رجع بمن ترك الصدقة عن
وجدان وبمن يصدق وبمن لم يجد الي مثل حاله قبل ذلك من سعة الاباحة والعفو والتجاوز والمعذرة
والرخصة والتخفيف قبل الايجاب ولم يعاقبكم علي الترك ولا علي ظهور استثقال ذلك منكم قال مقاتل بن حيان كان
ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كانت الا ساعة من نهار وعلي كل منهما هي لم تتصل بما قبلها تنزيلا وان
اتصلت بها تلاوة ونظولا فاقيموا بسبب العفو عنكم شكرا علي هذا الكرم والحلم الصلاة التي هي طهرة لكم لارواحكم
وصلة لكم بربكم واتوا الزكاة التي هي نزاهة لابدانكم وتطهير ونما لاموالكم وصلة لكم باخوانكم ولا تفرطوا في شي
من ذلك فتهملوه فالصلاة نور يهدي الي المقاصد الدنيوية والاخروية وتعين علي نوايب الدارين والصدقة
برهان علي صحة القصد في الصلاة ولما خص اشرف العبادات البدنية واعلي المناسك المالية عم
فقال حاثا علي زيادة النور والبرهان اللذين بهما تقع المشاكلة في الاخلاق فتكون المناجاة عن اعظم اقبال
وانفاق فقال واطيعوا الله اي الذي له الكمال كله فلم يشركه في ابداعه لكم علي ما انتم عليه احد ورسوله
الذي عظمته من عظمته في ساير ما يامركم به فانه ما امركم لاجل اكرام رسولكم صلي الله عليه وسلم الا بالحنيفية
السمحة وجعل المحافظة علي ذلك قايم مقام ما امركم به ثم نسخه عنكم من تقديم الصدقة علي النجوي ولما كان
قد عفي عن امر اشعر السياق بانه وقع فيه تفريط فكان ذلك ربما جرأ علي انتهاك الحرمات رهب من جانبه
باحاطة العلم وعبر بالخبر لان اول الاية وقع علي امر باطن ولم يبالغ بتقديم الجار لما فيه من الامور الظاهرة
فقال عاطفا علي ما تقديره فالله يحب الذين يطيعون والله اي الذي احاط بكل شي قدرة وعلما خبير
بما يعملون اي يجدد دون علمه بعلم بواطنه كما يعلم ظواهره ولما اخبر باحاطة علمه ردعا لمن يخبر بطول حلمه
دل علي ذلك باطلاعه علي نفاق المنافقين الذي هو ابطن الاشيا فقال معجبا مرهبا معظما للمقام بتخصيص
الخطاب باعلي الخلق صلي الله عليه وسلم تنبيها علي انه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره الم تر ودل علي بعدهم عن الخير

نحو الغاية فقال الي الذين تولوا اي تكلفوا بغاية جهدهم ان جعلوا اوليائهم الذين ينزلون بهم امورهم
قوما ابتغوا عندهم العزة اغترارا بما يظهر لهم بينهم من القوة غضب الله اي الملك الاعلي الذي لا ند
له عليهم اي علي المتولين والمتولي من القوم لانهم قطعوا ما بينهم وبينه والاولون هم المنافقون تولوا
اليهود وزاد في الشناعة عليهم بقوله مستانفا ما هم اي اليهود المغضوب عليهم منكم ايها المؤمنون
ليتولوهم خوفا من السيف ورغبة في السلم ولا منهم اي المنافقين فتكون موالاتهم لهم لمحبة سابقة
وقرابة شابكة ليكون ذلك لهم عذرا بل انهم مذبذبون فهم مع المؤمنين باقوالهم ومع الكفار بقلوبهم
فما تولوهم الا عشقا في النفاق لمقاربة ما بينهم فيه او يكون المعني ما المنافقون المتولون من المسلمين
ولا من اليهود المتولين وزاد في الشناعة عليهم باقبح الاشيا الحامل علي ذلك رذيلة فقال ذاكرا
حالهم في هذا الاتخاذ ويحلفون اي المنافقون يجدد دون الحلف علي الاستمرار وذلك باداة الاستعلا
علي انهم في غاية الجراة علي استمرارهم علي الايمان الكاذبة بان التقدير مجترئين علي الكذب في دعوى
الاسلام وغير ذلك مما يقعون فيه من عظايم الآثام فاذا عوتبوا عليه بادروا الي الايمان ولما
كان الكذب قد يطلق في اللغة علي ما خالف الواقع وان كان عن غير تعمد بان يكون الحالف يجهل عدم
مطابقته للواقع قال نافيا لذلك مبينا انهم جراا علي اليمين الغموس وهم يعلمون اي انهم كاذبون
فهم متعمدون وذلك ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار
وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق العينين اسمر قصيرا خفيف اللحية فقال النبي
صلي الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال له فعلت فجا باصحابه فحلفوا بالله
ما سبوه فنزلت ولما اخبر عن حالهم اتبعه الاخبار عن مآلهم دالا كما قال القشيري علي ان من
وافق مغضوبا عليه من قبل الله استوجب غضب الله وكفي بذلك هوانا وخزيا وحرمانا معبرا بما
دل علي انه امر قد فرغ منه اعد الله اي الذي له العظمة الباهرة فلا كفو له وعبر بما دل علي التهكم
بهم فقال لهم عذابا اي امرا قاطعا لكل عذوبة شديدا يعلم من رآه ورآهم ان ذواتهم متداعية
اليه ضعيفة عنه ولما اخبر بعذابهم علله بما دل علي انه واقع في اتم مواقعه فقال مؤكدا
تقبيحا علي من كان يستحسن افعالهم انهم سا اي بلغ الغاية مما يسو ودل علي ان ذلك لهم كالجبلة
بقوله ما كانوا يعملون اي يجدد دون عمله مستمرين عليه لا ينفكون عنه من غشهم المؤمنين ونصحهم
الكافرين وعيبهم الاسلام واهله واجترايهم علي الايمان الكاذبة واصروا علي ذلك حتي زادهم التمرن
عليه جراة علي جمع المعاصي ولما دلت هذه الجملة علي سو اعمالهم ومداومتهم عليها اكد ذلك
بقوله اتخذوا اي كلفوا فطرهم الاولي المستقيمة لما لهم من العراقة في اعوجاج الطبع والمحبة في
الاذي ايمانهم اي الكاذبة التي لا تهون علي من في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان جنة اي
وقاية وسترة من كل ما يفضحهم من النفاق كاينا ما كان او يوجب قتلهم بما يقع منهم من الكفران
ولما كان علمهم بانه يرضي منهم بالظاهر وتصدق ايمانهم هو الذي جراهم علي العظايم فكانوا يرغبون
الناس في النفاق بعاجل الشهوات ويثبطونهم عن الدين بما فيه من عاجل الكلف وآجل الثواب سبب
عن قبول ايمانهم قوله مظهرا لزيادة التوبيخ لهم فصدوا اي كان قبول ذلك منهم وتاخير عقابهم
سببا لايقاعهم الصد عن سبيل الله اي شرع الملك الاعلي الذي هو الطريق الي رضوانه الذي هو
سبب الفوز الاعظم فانهم كانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الاسلام ويوهنون امره ويحقرونه
ومن رآهم قد خلصوا من المكاره بايمانهم الحانثة ودرت عليهم الارزاق استدراجا وحصلت
له الرفعة عند الناس بما يرضونهم من اقوالهم المؤكدة بالايمان غره ذلك فاتبع سنتهم في اقوالهم

وافقا لهم ونسج على منوالهم غرورًا بظاهر امرهم معرضًا عما توعدهم الله سبحانه عليه من جزآ خداعهم
ومكرهم واجري الامر على اسلوب التهكم باللام التي تكون في المحبوب فقال **فلهم** اي فتسبب عن
صدهم انه كان لهم **عذاب مهين** جزآ بما طلبوا بذلك الصد اعزاز انفسهم واهانة اهل الاسلام ۞
ولما كان لهم اموال واولاد يتعززون بها قال مستانفا دالا على ان من استتر بجنة دون طاعة
لتسلم دنياه وراه تكشف لبسها التقدير من حيث لا يشعر ثم لا دينه يبقى ولا دنياه تسلم **لن تغني** اي
بوجه من الوجوه **عنهم** اي في الدنيا ولا في الآخرة بالافتدا ولا بغيره **اموالهم** واكد النفي باعادة
النافي للتنصيص على كل منهما فقال **ولا اولادهم** اي بالنصرة والمدافعة **من الله** اي اغنا مبتديا من
الملك الاعلى الذي لا كفو له **شيئا** اي من اغناء ولو قل جدا فهما ارادهم سبحانه كان ونفذ ومضى لا
يدفعه شي تكذيبا لمن قال منهم لين كان يوم القيمة لنكونن اسعد فيه منكم كما نحن الآن ولننصرن بانفسنا
واولادنا واموالنا **ولما** انتفى الاغنا المبتدي من الله فانتفى بانتفايه كل اغنا سواه انتج ذلك قوله
اولئك اي البعدا من كل خير **اصحاب النار** **ولما** افهمت الصحبة الملازمة اكدها بقوله **هم** اي
خاصة لاضمحلال عذاب غيرهم لكونهم في الهاوية في جنب عذابهم **فيها** اي خاصة دون شي يقصر
عنها **خالدون** اي مقيمون باقون دايمون لازمون الى غير نهاية ۞ ولما كان افسادهم لذات البين
سرًا وحلفهم على نفي ذلك جهرًا مع الالزام بقبول ما ظهر من ذلك منهم مع علمه سبحانه بانه كذب غايظا
موجعا وكان لربما توهم متوهم انه تعالى كما الزم بقبولنا لما ظهر منهم في دار العمل يامر بقبولهم
في دار الجزا قال نافيا لذلك معزيا للمومنين بانهم يفعلون ذلك معه سبحانه بعد كشف الغطا وتحقيق
الامور لان الانسان يبعث على ما مات عليه لان ذلك جبلته التي لا ينفك عنها ولا ينفعهم ذلك ذاكرا ظرف
الخلود واظهار التعذيب **يوم يبعثهم الله** اي له جميع صفات الكمال باحيايهم عما كانوا فيه من الموت
وردهم الى ما كانوا قبله **جميعا** لا يترك احدا منهم ولا من غيرهم الا اعاده الى ما كان قبل موته **فيحلفون**
اي فيتسبب عن ظهور القدرة التامة لهم ومعاينة ما كانوا يكذبون به من البعث والنار انهم يحلفون
له اي الله في الآخرة انهم مسلمون فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين ونحوه من الاكاذيب التي تزيدهم
ضررا ولا تغني عنهم شيا بوجه من الوجوه جريا على ما طبعوا عليه من إيثار الهدي والقصور على ۞
النظر في المحسوسات التي الفوها **كما يحلفون** في الدنيا **لكم** لكونكم لا تعلمون الغيب مع توقعهم
ان الله يفضحهم كما فعل بهم ذلك مرارا وحلفهم ناشي عن اعتقاد بعدهم من القبول فانه لا يحلف لك
الا من ظن ان تكذبه قال القشيري عقوبتهم الكبري ظنهم الاجنبيه وغاية الجهد كبتهم على مناجزهم
في وهدة ندمهم **ولما** كان الذي يحملهم على الاقدام على ذلك ضعف عقولهم وتوغلهم في النفاق
ومرودهم عليه حتى بعثوا على مثل ذلك مع علمهم بان ذلك لا ينجيهم لاحاطة علمه سبحانه عبر بالحسبان
فقال دالا على انهم في الغاية من الجهل وقلة العقل **ويحسبون** اي في القيمة بايمانهم الكاذبة **انهم**
على شي اي يحصل لهم به نفع لتخيلهم ان ايمانهم تروج على الله فتنجيهم كما كانت في الدنيا تنجيهم **ولما**
افهم ذلك ان امورهم لا حقايق لها في اخباراتهم ولا في ايمانهم ولا في حسبانهم قال مناديا عليهم موكدا
لتكذيب حسبانهم **الا انهم هم** اي خاصة **الكاذبون** اي المحكوم بكذبهم في حسبانهم وفي اخبارهم
في الدارين لعراقتهم في وصف الكذب حيث لا يستحيون من الكذب عند الله **ولما** كان هذا
الانهماك فيما لا يغني مما يحصل لسامعه غاية العجب من وقوع عاقل فيه مرة من الدهر فضلا عن ملازمته
اخبر عن الحامل لهم عليه فقال مستانفا **استحوذ** اي طلب ان يغلب ويسوق ويسرع ويضرب لحوطة
ويحب ويقهر ويستولي **عليهم الشيطان** مع انه طريد ومحترق ووجد منه جميع ذلك ووصل منهم الى

ما يريد وملكهم ملكا لم يبق لهم معه اختيار فصاروا رعيته واقطاعه وصار هو محيطا بهم من كل جهة
غالبا عليهم ظاهرا وباطنا من قولهم حذت الابل اي استوليت عليها وحاذ الحمار العانة اذا جمعها وسا[قها]
غالبا لها والحوذ السوق السريع ومنه الاحوذي الخفيف في الشي لحذقه وجا على الاصل على حكم الفصيح
لانه لم يبن على حاذ كافتقر فانه لا مجرد له لم يقولوا فقر **فانساهم** اي فتسبب عن استحواذه عليهم
انه انساهم **ذكر الله** اي الذي له الاسما الحسنى والصفات العلى بعد ان كان ذكره مركوزا في فطرهم
الاولى فصاروا لا يذكرونه اصلا لا بقلب ولا لسان ۞ **ولما** كان ذلك انتج ولا بد قوله **اولئك** ۞
اي الذين اخلوا انفسهم بعد منزل **حزب الشيطان** اي اتباعه وجنده وجماعته وطايفته واصحابه
والمتحيزون اليه لدفع ما حزبه اي نابه واستدل عليه المبعدون المحترقون لانهم تبعوه ولم يخا[لفوا]
في محاربته وانفاد ما يريد لومة لايم مع انه كله نقايص ومعايب وهم مطبوعون على بغضه وتركوا
من له الكمال كله وذكره وحبه مركوز في فطرهم فلذلك كانت ترجمة هذا ونتيجته قوله **الا** واكد
لظنهم الربح بما لهم في الدنيا من الكثرة وظهور التعاضد والاستدراج بالبسطة والسعة فقال
ان حزب الشيطان اي الطريد المحترق **هم** اي خاصة **الخاسرون** اي العريقون في هذا الوصف
لانهم لم يظفروا بغير الطرد والاحتراق ۞ **ولما** بين ما اوصلهم اليه نسيان الذكر من الخسار بين
انه اوقعهم في العداوة فقال معللا الخسار والنسيان والتحزب واكد تكذيبا لحلفهم على نفي ذلك
مظهرا موضع الاضمار للتنبيه على الوصف الموقع في الهلاك **ان الذين يحادون** ولعل الادغام لستر[هم]
ذلك بالايمان ويفهم منه الحكم على من جاهر بطريق الاولى **الله** اي يفعلون مع الملك الاعظم الذي
لا كفو له فعل من ينازع آخر في ارض فيغلب على طايفة منها فيجعل لها حدا لا يتعداه خصمه **ورسوله**
اي الذي عظمته من عظمته ۞ ولما كانوا لا يفعلون ذلك الا لكثرة اعوانهم واتباعهم فيظن من راهم
انهم الاعزا الذين لا احد اعز منهم قال تعالى نفيا لهذا الغرور الظاهر **اولئك** اي الابا عد الاسا[فل]
في الاذلين اي الذين يعرفون انهم اذل الخلق بحيث يوصف كل منهم بانه الاذل مطلقا من غير مفضل
عليه ليعم كل من يمكن منه ذلك وذلك في الدنيا والآخرة سوآ كانوا فارس والروم او اعظم منهم
شوكة كانوا او ملوكا كفرة كانوا او فسقة كما قال الحسن ان للمعصية في قلوبهم لذلا وان طقطقت
بهم البغم **ولما** انزلهم بالحضيض الاسفل علل ذلك بما يدل على انه سبحانه لا شريك له باتمام كلمته
بنصر اوليايه على ضعفهم وخذلان اعدايه على قوتهم لانه سبحانه غيب محض لا دال له عليه الا بافعاله
فقال **كتب** اي فعل فعل من ابرم امرا ففرغ منه وكتبه فاوجب وحتم وقضى وبت **الله** اي الملك
الذي لا كفو له **لاغلبن** اكده لما لهم من ظن الغلب بالكثرة والقوة **انا ورسلي** اي بقوة الجدال وشدة
الجلاد فهو صادق بالنسبة الى من بعث بالحرب والى من بعث بالحجة وعلل هذا القهر بقوله موكدا
لان افعالهم مع اوليايه افعال من يظن ضعفه **ان الله** اي الذي له الامر كله **قوي** اي فهو يفيض
من باطن قدرته ما يظهر به ظاهر قدرة اوليايه فان القوي من له استقلال باطن بما يحمله القايم في الا[مر]
ولو ضوعف عليه ما عسى ان يضاعف وحمايته مما يتطرق الى الاخلال بشدة وبطش منبعث عن ذلك الاستقلال
الباطن وما ظهر من اثر ذلك فهو قدرة فلا اقتدار يظهر من الخلق الا بالاستناد الى القوة بالله ولا قيام
بالحقيقة لباطن الا بالله الذي بيده ملكوت كل شي فلذلك كان بالحقيقة لا قوي الا هو **ولما** كان القوي
قد يكون غيره اقوى منه ولو في وقت نفى ذلك بقوله **عزيز** اي غالب عليه لا يجد منعها المغلوب نوع ۞
مدافعة وانفلات ثابت له هذا الوصف دايما ۞ **ولما** ظهر بهذا كالشمس ان من والاه سبحانه كان
فايزا ومن عاداه كان خاسرا كانت نتيجته قطعا التحذير من موالاة اعدا الله في سياق النفي المفيد

للمبالغة في النهي عنه والزجر عن قربانه فقال لا تجد اي بعد هذا البيان قوما اي ناسا لهم قوة
على ما يريدون محاولته يؤمنون اي يجددون الايمان ويديمونه بالله اي الذي له الاسما الحسنى
والصفات العلي واليوم الآخر اي الذي هو موضع الجزا لكل عامل بكل ما عمل الذي هو محط الحكمة
يوادون اي يحصل منهم ود لا ظاهرا ولا باطنا بما اشار اليه الادغام واقله الموافقة في المظاهرة
من حاد الله اي عادى بالمناصبة في الحدود الملك الاعلى كذلك فان المحادة لا تخفى وان كانت باطنة
يتستر بها صاحبها لان الظاهر عنوان الباطن والافعال دليل على الاقوال • وهذا احامل على زيادة
النفرة منهم ورسوله فان من حاده فقد حاد الذي ارسله بل لا تجدهم الا اتحاد ونهم لا انهم يوادونهم
وزاد ذلك تاكيدا بقوله ولو كانوا آباءهم الذين اوجب الله على الابناء طاعتهم في المعروف وذلك
كما فعل ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد او ابناءهم الذين
جبلوا على محبتهم ورحمتهم كما فعل ابو بكر رضي الله عنه فانه دعا ابنه يوم بدر الى المبارزة وقال
دعني يا رسول الله اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر
اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري او اخوانهم الذين هم اعضادهم كما فعل مصعب بن عمير رضي
الله عنه قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد • وخرق سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه الصفوف يوميذ
على اخيه عتبة بن ابي وقاص غير مرة ليقتله فراغ عنه روغان الثعلب فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم
وقال اتريد ان تقتل نفسك • وقتل محمد بن مسلمة الانصاري رضي الله عنه اخاه من الرضاع كعب بن الاشرف
اليهودي راس بني النضير او عشيرتهم الذين هم انصارهم وامدادهم كما فعل عمر رضي الله عنه قتل خاله
العاصي بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي وحمزة وعبيدة بن الحرث رضي الله عنهم قتلوا يوم بدر بني
عمهم عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة • وعن الثوري ان السلف كانوا يرون ان الاية
نزلت فيمن يصحب السلطان انتهى • ومدار ذلك ان الانسان يقطع رجاه من غير الله وان لم يكن
كذلك لم يكن مخلصا في ايمانه • ولما كان لا يحمل على البراة ممن هذا شانه الا صريح الايمان انتج قوله
اولئك اي الاعظمون شانا الاعلون هما كتب اي وصل واثبت وصلا هو في لحمته كالحرز في الاديم
وكالطراز في الثوب الرقيم فلا انفكاك له في قلوبهم الايمان فجعلها اوعية له فاثمر ذلك نور الباطن
واستقامة الاعمال في الظاهر وايدهم اي وقواهم وشددهم واعانهم وشجعهم وعظمهم وشرفهم
بروح اي نور شريف جدا يفهمون به ما اودع في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من نور العلم والعمل
فهو لقلوبهم كالروح للابدان فلا يفعلون شيا من احوال اهل الجاهلية كالمظاهرة وزاد هذا التاييد
شرفا بقوله منه اي احياهم به فلا انفكاك لذلك عنهم في وقت من الاوقات فاثمر لهم استقامة المناهج
ظاهرا وباطنا فقهروا بالدلايل والحجج وظهروا بالسيف المفني للمهج وعملوا الاعمال الصالحة فكانوا للدنيا
كالسرج فلا تجد شيا ادخل في الاخلاص من موالاة اوليا الله ومعاداة اعدايه بل هو عين الاخلاص ومن
جنح الى منحرف عن دينه او داهن مبتدعا في عقده نزع الله نورا التوحيد من قلبه • ولما اخبر بما اتاهم
في الدنيا وهو غير مفارق لهم في الاخرة اخبر بما يؤتيهم في الاخرة فقال ويدخلهم جنات اي بساتين
تستر داخلها من كثرة اشجارها واخبر عن ريها بقوله تجري ولما كانت المياه لو عمت الارض لم يكن
بها مستقر اثبت الجار فقال من تحتها الانهار اي فهي لذلك كثيرة الرياض والاشجار والساحات والديار
ولما كان ذلك لا يلذ الا بالدوام قال خالدين فيها ولما كان ذلك لا يتم الا برضى مالكها قال رضي
الله اي الملك الاعظم الذي له الامر كله فلا التفات الى غيره عنهم ولما كان ذلك لا يكمل سرورهم الا
برضاهم ليتم حسن المجاورة قال ورضوا عنه اي لانه اعطاهم فوق ما يؤملون ولما اخبر عنهم بما يسّر

كل

كل سامع فيشتاق الى مصاحبتهم ومعاشرتهم ومقاربتهم قدحتهم وعرفهم بقوله اولئك اي الذين هم في
الدرجة العليا من العظمة لكونهم قصروا ودهم على الله علما منهم بانه ليس النفع والضر الا بيده حزب الله
اي جند الملك الذي احاط بجميع صفات الكمال واوليا وه فانه يغضبون له ولا يخافون فيه لومة لايم ولما بين
مما اعد لهم واعد لاضدادهم انهم المختصون بكل خير قال على طريق الانتاج ما مضى موكدا لما لاضدادهم من الانكار
الا ان حزب الله اي جند الملك الاعلى وهم هولا الموصوفون ومن والاهم هم اي خاصة المفلحون اي الذين
حازوا الظفر بكل ما يؤملون في الدارين وقد علم من الرضى من الجانبين والحزبية والافلاح عدم الانفكاك
عن السعادة فاغنى ذلك عن تقييد الخلود بالتابيد خصهم بذلك لان له العزة والقوة والعلم والحكمة فلذلك
علم امر المجادلة ودحم شكواها لانها من حزبه وسمع لها ومن سمع فهو مرضي عنه وحرم الظهار بسبب شكواها
اكرامنا لها بحكمته لانه مناف للحكمة لانه تشبيه خارج عن قاعدة التشبيهات وفيه امتهان للام التي لها
في دينه غاية الاكرام بالتسوية بالزوجة التي هي محل الاستفراش وختم ايتها بان من تعدى حدوده فعاود
احوال الجاهلية فهو محادة سبحانه فهو من حزب الشيطان فقد عاد اخرها الى اولها بادلة دليل على
احسن سبيل لان هذا القران العظيم اشرف حديث واقوم قيل • وهذا مقصود التي بعدها ولا شك
انه موجب للتنزيه • مبعد عن التشريك والتشبيه • فسبحان من انزله ابدي دايم البيان • موجبة
للايمان • قامعة للطغيان • على مدى الدهور وتطاول الزمان ❁ ❁

مقصودها بيان ما دلت عليه اخر المجادلة من التنزه عن شوايب النقص باثبات القدرة الشاملة بدليل شهودي
على انه يغلب هو ورسله ومن حاده في الاذلين لانه قوي عزيز المستلزمة للعلم التام المستلزم للحكمة البالغة
المستلزمة للحشر المظهر لفلاح المفلح وخسار الخاسر على وجه الثبات الكاشف اتم كشف جميع صفات الكمال
وادل ما فيها على ذلك تامل قصة بني النضير المعلم باول الحشر المؤذن بالحشر الحقيقي بالقدرة عليه بعد اطباق
الولي والعدو على ظن انه لا يكون فلذا سميت بالحشر وبني النضير لانه سبحانه حشرهم بقدرته من المدينة
الشريفة الى خيبر والشام والحيرة ثم حشرهم وغيرهم من اليهود الحشر الثاني من خيبر الى الشام الذي هو
اية الحشر الاعظم الى ارض المحشر لتهم هذا النبي الكريم اهل الكتاب المدعين لانهم افضل الناس وانهم مؤيدون
بما لهم من الدين الذي اصله نور مما لو حث اليه الحديد كما قهر اهل الاوثان الذين هم عالمون بانهم بدلوا الدين
الصحيح فثبت بظهور دينه على كل دين على حد سوا كما وعد سبحانه صدقه في كل ما جا به واعظم ما جا به بعد
التوحيد الايمان بالبعث الاخر لانه محط الحكمة وموضع اظهار النعمة والرحمة بسم الله الملك الاعظم الذي
لا راد لامره فلا خلف لميعاده الرحمن الذي عمت نعمة ايجاده فلا محيص عن معاده الرحيم الذي خص اهل
وداده بالتوفيق لما يرضيه عنهم فيوجب لهم الفوز باسعاده • لما ختمت المجادلة بانه معز اهل طاعته
ومذل اهل معصيته ومحادته علله بتنزهه عن النقايص تاييدا للوعد بنصرهم فقال سبح اي اوقع التنزيه
الاعظم عن كل شايبة نقص لله الذي احاط بجميع صفات الكمال • ولما كان الكفار من جميع بني ادم قد
عبد بعضهم الشمس وبعضهم القمر وبعضهم غيرهما من الكواكب وكانت الكواكب مثبوتة في السموات كلها الا الاخص
سما بعينها وكذا الملايكة جمع دلالة على ان الكل عبيده فقال ما في السموات اي كلها ولما كان الكلام
في النهي عن موادة الذين يحادون الله وكان ذلك لمن دون الخلص اكد باعادة النافي اكدا لاحتياجهم
للتاكيد فقال وما ولما كان جميع ما عبدوه مما اشركوا به من الارضيات من صنم وشجر وبقر وغيرها
لا يعدو الارض هم عليها افرد فقال في الارض ولما شمل هذا جميع العالم اشار الى ان عظمته لا تنتهي فقال

وهو اي والحال انه وحده العزيز اي الذي يغلب كل شي ولا يمتنع عليه شي الحكيم الذي نفذ علمه في ٥
الظواهر والبواطن واحاط بكل شي فاتقن ما اراد بكل ما خلقه جعله على وحدانيته دليلا والى بيان ما له من
العزة والحكمة سبيلا. وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لا خفا باتصال آيها بما تاخر من آي سورة المجادلة الا
ترى ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم انما يراد به يهود فذكر سبحانه سوء ٥
سوء مرتكبهم وعظيم جرائمهم قال في آخر السورة لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله ليجعل من هذا كله تنفير المؤمنين عنهم واعلامهم بان بعضهم من الايمان وودهم من النفاق لقبح ما
انطووا عليه وشنيع ما ارتكبوه فلما اشارت هذه الآي الى ما ذكر ابتعث بالاعلام في اول سورة الحشر
بما عجل لهم من هوانهم واخراجهم عن ديارهم واموالهم وتمكين المسلمين منهم جرى على ما تقدم الايما اليه من سوء
مرتكبهم والتحمت الآي باتحاد المعنى وتناسبه وتناسج الكلام وافتتحت السورة بالتنزيه لبنائها على ما اشار اليه
غضبه تعالى عليهم اذ لا يكون الا على اعظم جريمة واسوا مرتكب وهو اعتداؤهم وعصيانهم المفصل في مواضع
من الكتاب وقد قال تعالى فيهم بعد ذكر غضبه عليهم اولئك شر مكانا واضل عن سوا السبيل وقال ٥
تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
فبين تعالى ان لعنته اياهم انما ترتبت على عصيانهم واعتدائهم وقد فصل اعتداؤهم ايضا في مواضع فلما كان
الغضب مشيرا الى ما ذكر من عظيم الشرك اتبعه سبحانه تنزيه نفسه جل وتعالى فقال سبح لله ما في السموات
وما في الارض واغاية مثله من التنزيه اثر جريمة تقع من العباد وعظيمة يرتكبونها وتامل ذلك حيث
وقع ثم عاد الكلام الى الاخبار بما فعل تعالى باهل الكتاب مما يتصل بما تقدم ثم تناسجت الآي انتهى ٥
ولما نزه نفسه الاقدس دل على ذلك التنزه وعلى العزة والحكمة بدليل شهودي من انه انفذ ما كتب
من انه يغلب هو ورسله ومن انه كبت الذين حادوه وخيب ظن الذين نافقوا فتولوا اليهود من اهل الكتاب
ليعتزوا بهم فاذل اليهود وطردهم من مهبط واخزى المنافقين الذين جعلوهم محط اعتمادهم وموضع ولايتهم
وودادهم فقال هو اي وحده من غير ايجاف خيل ولا ركاب الذي اخرج على وجه القهر الذين كفروا
اي ستروا ما في كتبهم من الشواهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه النبي الخاتم وما في فطرهم الاولى من اتباع
الحق احق وقبح عليهم كفرهم بقوله موضح من بني النضير او اليهود مثلا من اهل الكتاب اي الذي انزله
الله على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم وفي التعبير بكفروا اشعار بانهم الذين ازالوا بالتبديل او الاخفا
ما قدروا عليه مما بقي من التوراة دالا على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولما كان الوطن عديل الروح
لانه للبدن كالبدن للروح فكان الخروج منه في غاية العسر دل على من يلطف هم به بان قال من ديارهم ٥
ولما كان منهم من جلا من المدينة الشريفة الى خيبر وهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب ولحق سايرهم
بارتحا من ارض الشام ارض المحشر ولحق بعضهم بالحيرة لوح الى فتح خيبر وحشرهم منها حشرا ثانيا بقوله
معللا او موقتا لاول اي لاجل اول الحشر وفي ذلك ايضا اشارة الى ان كل بلد حشروا اليه سيفتح ٥
ويزلزلون منه زلزلة اخرى لا تزال مصايبهم باهل الاسلام قايمة حتى يكون الحشر الاعظم بالقيمة والحشر
الجمع من مكان والسوق الى غيره بكره وسمي اولا لانهم اول من اجلي من اليهود من جزيرة العرب والحشر
الثاني لهم من خيبر على زمن عمر رضي الله عنه وعند ابن اسحق ان اجلاهم في مرجع النبي صلى الله عليه وسلم
من احد وفتح قريظه مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا
الى اين قال الى ارض المحشر وقال ابن عباس رضي الله عنهما من شك ان المحشر بارض الشام فليقرا هذه الاية
انتهى وهذا المحشر يدل على الحشر الاعظم وينبه على قوله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين
ولما كان قد اجرى ان حشرهم لم يكن بسبب غير محض قدرته استانف شرح ذلك بقوله ما ظننتم

اي ايها المؤمنون ان يخرجوا اي يوقعوا الخروج من شي اورثتموه منهم لما كان لكم من الضعف ولهم من
القوة لكثرتهم وشدة باسهم وشكيمتهم وقرب بني قريظة منهم فكانوا بصدد مظاهرتهم واهل خيبر ايضا
غير بعيدين عنهم وكلهم اهل ملتهم والمنافقون من انصارهم واسرتهم فخابت ظنونهم في جميع ذلك وفالت
آراؤهم وسلط عليهم المؤمنون على قلتهم وضعفهم واذا اراد الله نصرة عبد استاسد ارنبه واذا اراد
قهر عدو استنوق اسده ولما كانت الحصون تمنع الجايبات الامداد قال وظنوا انهم وذل
على قوة ظنهم وثباته بالجملة الاسمية فقال مانعتهم حصونهم اي ثابت لها المنع ولهم الامتناع قالوا
وفي تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي جعل ضميرهم اسم ان واسناد
الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا مطمع معها في معازتهم ودل على ضعف عقولهم
بان عبر عن جنده باسمه وباسمه الاعظم فقال من الله اي الملك الذي لا عز الا له وانتم جنده لا تقاتلون
الا فيه وبه وباسمه من باسه فقد اجتمع الظنان على شي واحد ولما كان اسنادهما للمضاف الى المضاف
اليه سايغا في لسان العرب وكثيرا جدا لانه لا يلبس على من له المام بكلامهم وبليغا جدا لما له من العظمة
قال فاتاهم الله اي جاءهم الملك الاعظم الذي لا يحتملون مجيئه بما صور لهم من حقارة انفسهم التي اضطرتهم
الى الجلا من حيث لم يحتسبوا اي من الجهة التي لم يحملوا انفسهم على حسبها وهي خذلان المنافقين لهم رعبا
كرعبهم واستضعافا كاستضعاف انفسهم عن مقاومة جند الله بعد ان كان الشيطان زين لهم غير ذلك ٥
وملا قلوبهم من الاطماع الفارغة حتى قطعوا بها منامهم وقربه لهم واغواهم ولما كان التقدير فاوهنهم
الله بذلك عطف عليه قوله وقذف اي انزل انزالا كانه قذف بحجارة فثبت وارتكز في قلوبهم الرعب
اي الخوف الذي سكنها فرضها وملاها وعمرها الى جميع قواهم فاجتثها من اصلها ثم بين حالهم عند ٥
ذلك او فسر قذف الرعب بقوله يخربون بيوتهم اي يبالغون على قراة ابي عمرو بالتشديد في اخرابها
اي افسادها فان الخربة الفساد وقراة غيره تفهم الفعل المطلق الذي لا ينافي المقيد بايديهم ٥
ضعفا منهم بما اشار اليه جمع القلة وباسا من قوتهم لياخذوا ما استحسنوا من آلاتها فكان الرجل
منهم لما تحملوا للرحيل يهدم بيته عن نجاف بابه وما استحسن من خشبه فيضعه على ظهر بعيره فيا خذه وينقب
الجدار ويهدم السقف حسدا للمسلمين ان يسكنوها بعدهم لان النبي صلى الله عليه وسلم امرهم ان يخلوا
له عن البلد ولهم ما حملت ابلهم ولما كان السبب في تخريب الصحابة رضي الله عنهم لبيوتهم ما احوجوهم
به من المكر والغدر كانوا كانهم امروهم بذلك فنابوا عنهم فيه فقال معبرا ايضا بجمع القلة للدلالة على ان
الفعل له سبحانه وايدي المؤمنين اي الراسخين في الايمان استيلا وغلبة عليهم وقد كان المؤمنون ايضا
يخربون في ما ضيق عليهم المجال منها لاجل القتال وقدم تخريبهم لانه اعجب ولما كان في غاية الغرابة
ان يعمل الانسان في نفسه كما يفعل فيه عدوه سبب عن ذلك قوله فاعتبروا اي احملوا انفسكم بالاجتهاد
في التامل في عظيم قدرة الله على ان تعبروا من ظواهر العلم في هذه القصة بما دبر الله في اخراجهم الى بواطن
الحكمة بان لا تغدروا ولكم ناصرا من الخلق ولا تعتمدوا على غير الله فان الاعتبار كما قال القشيري احد قوانين
الشرع ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره انتهى وقد احتج بالاية مثبتوا القياس فانه مجاوزة من
الاصل الى الفرع والمجاوزة اعتبار وهو ما مور به في هذه الاية فهو واجب ولما كان الاعتبار عظيما
عظيم النفع لا يحصل الا للكمل زاده تعظيما بقوله يا اولي الابصار بالنظر بابصاركم وبصايركم في غريب
هذا الصنع لتحققوا به ما وعدكم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من اظهار دينه واعزاز نبيه
ولا تعتمدوا على غير الله كما اعتمد هولا على المنافقين فان من اعتمد على مخلوق اسلمه ذلك الى صغاره ومذلته
ولا تلموا بغدر كما ارادوا ان يغدروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيطرحوا عليه وهو قاعد بفنا دارهم ٥

من ذوريهم دحي من السطح ليقتلوه ٩٧ زعموا ولا تفعلوا شيا من قبيح افعالهم لئلا يحصل لكم مثل نكالهم
كما احكمه قوله صلي الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم الحديث وذلك الغدر منهم بعد ان حرضوا
قريشا علي غزوة احد ودلوهم علي بعض العورات وقال البغوي ان كعب بن الاشرف اتي قريشا بعد
احد في اربعين راكبا فحالفهم علي النبي صلي الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام بخبر ذلك وقال انه
لما قصدهم عليه السلام ارسلوا اليه ان تخرج في ثلثين ويخرج منهم ثلثون ليسمعوا منه فان امنوا به من
الكل فاجابهم فارسلوا ان الجمع كثير فاخرج في ثلثة ليخرج منا فارسلت امراة منهم الي اخيها وكان مسلما انهم
اشتملوا علي الخناجر يريدون الفتك برسول الله صلي الله عليه وسلم فكف صلي الله عليه وسلم عن ذلك فكلما
ذكر من اسباب نقضهم كما تري داير علي المكر بل هو عين المكر **ولما** دل هذا علي غاية الوهن منهم
فكان موضع التعجب من الكف عن قتلهم بين ان السبب في ذلك امره الباهر وعزه القاهر حثا علي ما ختم
به الاية السابقة من الاعتبار والتدبير والاستبصار فقال **ولولا ان كتب الله** اي فرض فرضا
حتما الملك له الامر كله ودل علي انه كتب اذلال واخزا بقوله **عليهم** اي بخصوصهم فيما كتب علي بني اسرايل
في الازل كما كتب علي بني قينقاع **الجلا** اي الخروج من ديارهم والجولان في الارض فاما معظمهم فاجلاهم
بخت نصر من بلاد الشام الي العراق واما هولا فحماهم الله بمهاجر رسوله صلي الله عليه وسلم من ذلك الجلا
وجعله علي يدي رسوله صلي الله عليه وسلم فاجلاهم فذهب بعضهم الي خيبر وبعضهم الي الشام مرة
بعد مرة **لعذبهم في الدنيا** اي بالسيف كما سيفعل باخوانهم من بني قريظة الذين كتب عليهم العذاب
دون الجلا من قتل المقاتلة وسبي الذرية فانه سبحانه قد قضي قضا حتما انه يطهر المدينة بلد الوحي
منهم **ولما** كان التقدير ولكنه كتب عليهم ذلك فهو عذابهم الان في الدنيا لا محالة وان اختم
اهل الارض علي نصرهم عطف عليه قوله علي طريق التهكم بالتعبير باداة النفع **ولهم** اي علي كل حال
اجلوا او تركوا **في الاخرة** التي هي دار البقا **عذاب النار** وهو العذاب الاكبر **ولما** اخبر بما
نالهم في الدنيا وينالهم في الاخرة علله بقوله **ذلك** اي الامر العظيم الذي فعله بهم من الجلا ومقدماته
في الدنيا ويفعله بهم في الاخرة **بانهم** **ولما** كانوا قد ضموا في هذه القضية الي ما كانوا عليه من الكفر
الظاهر كفرا باطنا بما ارادوا من القا الرحي وغيره من الادني مكرا منهم ادغم في قوله **شاقوا الله**
اي الملك الاعلي الذي له الاحاطة التامة فكانوا في شق غير شقه بان صاروا في شق الاعدا المحاربين
بعد ما كانوا في شق الموادعين **ولما** جازي صلي الله عليه وسلم اخفاهم لما ارادوا ان يفعلوه
به بالاخفا الخالصة منهم بان رجع الي المدينة الشريفة وترك اصحابه رضي الله عنهم عندهم قال
ورسوله الذي اجلاهم من الجلا به **ولما** اخبر بفعله وبسببه عطف عليه تاكيدا لمضمونه وافادة
لانه يفعل في غيرهم ممن كان علي امرهم اعظم من فعلهم فقال **ومن يشاق الله** اي يوقع في الباطن
مشاقة الملك الاعلي الذي لا كفو له في الحال والماضي او الاستقبال سوا ابطن معها مشاقة
اخري اولا وترك الادغام علي حاله لانه ما اظهروا معاداة وانما كان ما فعلوا مكرا ومساترة وذلك
اخف من المجاهرة واظهر في الانفاد لقوة امر المجاهرين كما مضي ولم يعد ذكر الرسول تفخيما له بافهام
ان مشاقته لله من غير مثنوية اصلا واشارة الي انهم بالغوا في اخفا مشاقتهم فلم يظهر عليها غير الله
فلم يحصل منهم في ذلك مفاعلة بينهم وبين الرسول صلي الله عليه وسلم فانه لم يمكر بهم وانما جاهرهم
حين اعلمه الله بمكرهم بخلاف ما تقدم في الانفال فان المقام اقتضي هناك الذكر لانهم مكروا به
كما قال تعالي واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وهو صلي الله عليه وسلم اخفي امر هجرته واعمل الحيلة
في الخلاص من مكرهم علي حسب ما امره الله به فحصلت المفاعلة في تحيز كل من الفريقين الي شق غير شق الاخر

خفية

خفية **فان الله** اي المحيط بجميع صفات العظمة يشدد عقابه له لانه **شديد العقاب** وذلك كما
فعل ببني قريظة بعد هذا حيث نقضوا عهدهم واظهروا المشاقة في غزوة الاحزاب وكما فعل باهل
خيبر وكانوا يماكرون ويساترون في الاولي عند فتحها وفي الثانية عند اجلايهم منها فقد سوي بين
المساترين والمجاهرين في العذاب وهو للمجاهرين اشد عذابا كما هو واضح **ولما** دل سبحانه
علي عزته وحكمته بما فعل ببني النضير الذين يقولون انهم اشجع الناس واشدهم شكيمة بما لهم من الاصالة
والاصطفا علي العالمين مع التايد بالكتاب والحكمة وختم بان من شاق رسوله فقد شاقه ومن شاقه
فقد شدد عقابه اتبعه بيان ما عاقبهم به من قطع الصحابة رضي الله عنهم بامر النبي صلي الله عليه
وسلم للنخيل الذي هو اعز عليهم من ابكارهم وهم ينظرون اليه لا يغنون شيا ولا منعة لديهم
فقال **ما** وهي شرطية واتبعها شرطها الناصب لها فقال **قطعتم** اي كلما قطعتموه وبين ما في ما من
الابهام بقوله معبرا عن النخل بما يفيد نوعه وانه هان عليهم القطع ولان **من لينة** وهي ضرب من
النخل قال ابن اسحق هو ما خالف العجوة من النخل وقال ابن هشام اللينة من الالوان وهي ما لم تكن
برنية ولا عجوة من النخل فيما حدثني ابو عبيدة انتهي وقال صاحب القاموس اللون الدقل من النخل
وهي جماعة واحدته لونه ولينه قال المهدوي وروي عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما انها
النخل كله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا انها لون من النخل وقال البغوي ورواية باذان
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلي الله عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة واهل المدينة
يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان واحدها لون ولينه وقال ابن عطية والحسن ومجاهد
وابن زيد وعمرو بن ميمون اللينة النخلة اسمان بمعني واحد وجمعها لين وليان وقال سفيان الثوري
اللينة تمرها لون وهو نوع من التمر شديد الصفرة يشف عن نواه فيري من خارج قال البغوي
يغيب فيها الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبها اليهم وكانت النخلة الواحدة منها ثمن وصيف واحب
اليهم من وصيف فلما راوهم يقطعونها شق عليهم وقالوا للمومنين انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون
دعوا هذه النخل فانما هي لمن غلب عليها وقال الرازي في اللوامع واختلاف الالوان فيها ظاهر
لانها اول حالها بيضا كصدف ملي درا منضدا ثم غبر ثم خضر كانها قطع زبرجد خلق فيها الما ثم حمرا
كيا قوت رص بعضه ببعض ثم صفرا كانها شذر عقيان وكذلك اذا بلغ الارطاب نصفها سميت مجزعه
لاختلاف لونها كانها الجزع الظفاري **ولما** كان ما فسر بمونث هو اللينة اعاد الضمير مونثا
فقال **او تركتموها** **ولما** كان الترك يصدق ببقايها مغروسة او مقطوعة قال **قايمة** ولما
كان المراد نخلا كثيرة لارادة الجنس قال **علي اصولها** بجمع الكثرة **فباذن الله** اي فقطعها
بتمكين الملك الاعظم ورضاه قال القشيري وفي هذا دليل علي ان الشريعة غير معللة واذا جا الامر
الشرعي بطل طلب التعليل وسكتت الالسنة عن التقاضي بلم وخطور الاعتراض والاستقباح بالبال
خروج عن حد العرفان **ولما** قطع عن طلب العمل خطابا للكمل طيب قلوب من دونهم بعلة معطوفة
علي ما تقديره فليس ذلك بفساد ولكنه صلاح اذن لكم فيه ليشفي صدور المومنين ويذهب غيظ
قلوبهم فقال واضعا موضع ضميرهم ظاهرا يدل علي ما اوجب خزيهم **وليخزي الفاسقين**
اي الذين هم اصلا في المروق من دايرة الحق بان يذلهم ويفضحهم ببيان كذبهم في دعوايهم العز
والشجاعة والتايد من الله لانهم علي الدين الحق وانه لا يتطرق اليه نسخ **روي** ابو يعلي عن
جابر رضي الله عنه انه قال رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم فاتوا النبي صلي الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله علينا اثم فيما قطعنا او علينا فيما تركنا فانزل الله الاية انتهي وكان ناس من

المؤمنين مالوا الى الكف عن القطع لما سموه اليهود فسادا وطايفة اشاروا بالاستمرار على القطع لانه
يغيظهم فصوب سبحانه في الاية من امر بالكف وخلا من قطع من الاثم فدلت الاية على جواز افساد اموال
اهل الحرب على اي حال كان مثمرا كان اولا بالتحريق والتغريق والهدم وغيره لاغراضهم بذلك **ولما**
كانت الغنايم التي تقسم بين الجيش انما هي ما قاتلوا عليه واما ما اتي منها بغير قتال فهو فيء ياخذه الامام
فيقسمه خمسة اخماس ثم يقسم خمسا منها خمسة اقسام وهو ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم يكون بعده
لمصالح المسلمين والاقسام الاربعة الاخرى من هذا الخمس لمن ذكر في الاية بعدها والاربعة الاخماس
من الكاينة من اصل القسمة وهي التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانها حصلت بكفايته وارعابه
للعدو تفرق بين المرتزقة في جميع النواحي وكانت الاموال كلها لله انعاما على من يعبده بما شرعه
على السنة رسله عليهم السلام كانت اموال الكفار في ايديهم غصبا غصبوه من اوليايه فخص سبحانه
رسوله صلى الله عليه وسلم باموال بني النضير يضعها حيث شا لانها فيء فقال **وما افا الله** اي رد
الملك الذي له الامر كله ردا سهلا بعد ان كان فيما يظهر في غاية العسر والصعوبة **على رسوله**
مصيره في يده بعد ان كان خروجه عنه بوضع ايدي الكفرة عليه ظلما وعدوانا كما دل عليه التعبير
بالفيء الذي هو عود الظل الى الناحية التي كان ابتداوها منها **منهم** اي رد امبتديا من الفاسقين فبين
ان هذا فيء لا غنيمة ويدخل في الفيء اموال من مات منهم على غير وارث وكذا الجزية **واما**
الغنيمة فهي ما كان بقتال وايجاف خيل وركاب **ولما** كان الحرب انما هو كر وفر في اسراع
وخفة ورشاقة لجائلة الفرسان ومراوغة الشجعان ومعاورة اهل الضرب والطعان قال
معللا لكونه فيا **فما اوجفتم** اي اسرعتم وقال ابن اسحق حركتم واتعبتم في السير انتهى وذلك الايجاف
الايجاف للغلبة **عليه** واغرق في النفي بالجار فقال **من خيل** واكد باعادة النافي لظن من ظن
انه غنيمة لاحاطتهم بهم فقال **ولا ركاب** اي ابل غلب ذلك عليها من بين المركوبات ولا قطعتم من اجله
مسافة فلم يحصل لكم كبير مشقة في حوز اموالهم لان قريتهم كانت في حكم المدينة الشريفة ليس بينها
وبين ما يليها منها مسافة بل هي ملاصقة لاحدى قرى الانصار التي المدينة اسم لها كلها وهي قرية
بني عمرو بن عوف في قبا وبينها وبين القرية التي كان النبي صلى الله عليه وسلم نازلا بها نحو ميلين فمشى
الكل مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقاتلوا بها قتالا يعد فلذلك جعلها الله
فيا ولم يجعلها غنيمة فهي تقسم قسمة لا قسمة الغنيمة فخمسها لاهل خمس الغنيمة وهم الاصناف
الخمسة المذكورون في الاية التي بعدها وما فضل وهو الاربعة الاخماس له صلى الله عليه وسلم
مضمومة الى ما حازه من خمس الخمس **ولما** كان معنى هذا فما كان التسليط بكم استدرك بقوله
ولكن الله اي الذي له العز كله فلا كفو له **يسلط رسله** اي له هذه السنة في كل زمن **على من
يشا** بجعل ما اتاهم سبحانه من الهيبة رعبا في قلوب اعدايه فهو الذي سلط رسوله صلى الله عليه
وسلم على هولا بان القى في روعه الشريف ان يذهب اليهم فيسالهم الاعانة في دية العامريين اللذين
قتلهما عمرو بن امية الضمري رضي الله عنه خطا فلما جلس صلى الله عليه وسلم الى جانب بيت من بيوتهم
وكانوا موادعين له صلى الله عليه وسلم نقضوا عهدهم خفية مكرا منهم بعد ان رحبوا به ووعدوه
الاعانة وامروا احدهم ان يرمي عليه من فوق السطح صخرة ليقتله فاعلمه الله بهذا فذهب وترك من
اصحابه هناك حتى لحقوا به وهذا بعد ما كان حيي فعل من قدومه مكة وندبه لقريش الى حرب النبي
صلى الله عليه وسلم ومعاقدته لهم على ان يكونوا معهم عليه واعلام الله بذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم
فارسل اليهم عند ما اصبح انكم قد خنتم الله ورسوله فاردتم ان تفعلوا كذا وان الارض لله

ورسوله فاخرجوا منها وقد اجلتكم عشرا فمكثوا على ذلك اياما يتجهزون ودس اليهم ابن ابي ومن معه
من المنافقين انهم معهم في الشدة والرخا لا يسلمونهم وقال ابن ابي معي الفان من قومي وغيرهم
من العرب يدخلون حصنكم فيموتون من عند اخرهم ويمدكم قريظة وحلفاوكم من غطفان فطمع حيي ابن
اخطب في ذلك فارسل انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فقصدهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المومنين يحمل رايته علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فصلى العصر بفنايهم بعد ان استعمل على
المدينة ابن ام مكتوم رضي الله عنه واقام عليهم ست ليال وهم متحصنون فقطع من نخلهم وحرق
فنادوه ان قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بالك تقطع النخل وتربصوا نصر ابن ابي
ومن معه على ما قالوا فلم يفوا لهم فالقى الله الرعب في قلوبهم فارسلوا بالاجابة فقال لا الا ان يكون
لي سلاحكم وما لم تقدروا على حمله على ابلكم من اموالكم فتوقفوا ثم اجابوا فحملوا من اموالهم ما استقلت
به الابل الا الحلقة وذهبوا على ستماية بعير واظهروا الحلي والحلل وابدى نساوهم زينتهن فلحق بعضهم
بخيبر وبعضهم بالشام وخلوا الاموال والحلقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلم منهم الا رجلان
يامين بن عمرو وابو سعد بن وهب اسلما على اموالهما فاحرزاها فجعل الله اموال من لم يسلم منهم فيا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة به يضعها حيث يشا **كما روي** ذلك في الصحيح عن عمر رضي الله
عنه في قصة مخاصمة علي والعباس رضي الله عنهما وفيه انه من خصايصه صلى الله عليه وسلم فانه قال
ان الله قد خص رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يعطه احدا غيره ثم قرا ما افا الله
على رسوله منهم الى قوله قدير فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما احتازها
دونكم ولا استاثر بها عليكم قد اعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال يعني الذي وقع خصاما
فيه فكان ينفق رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم ياخذ
ما بقي فيجعله مجعل مال الله **وفي الصحيح** ايضا عن مالك بن اوس بن الحدثان عن عمر رضي الله عنه
قال كانت اموال بني النضير مما افا الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مما لم يوجف المسلمون
عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ينفق على اهله منها نفقة ٣
سنة ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله انتهى **وقد** قسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم اموالهم بعد ما تركه لنفسه صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين لم يعط الانصار منه شيا
الا ثلثة نفر كانت بهم حاجة شديدة ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة
رضي الله عنهم **وكان** لسيف ابن ابي الحقيق عندهم ذكر فنفله سعد بن معاذ رضي الله عنه
وقال الاصبهاني ان الفيء كان يقسم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين
سهما اربعة اخماسها وهي عشرون سهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل بها ما يشا ويحكم فيها
ما اراد والخمس الباقي على ما يقسم عليه خمس الغنيمة يعني على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذوي
القربى ومن بعدهم هكذا كان عمله صلى الله عليه وسلم في صفاياه فلما توفي كانت الى امام المسلمين
وكذا جميع ما تركه صلى الله عليه وسلم لانه قال لا نورث ما تركنا صدقة فولي ذلك ابو بكر رضي الله
عنه ثم عمر رضي الله عنه فكانا يفعلان فيها ما فعله صلى الله عليه وسلم **وقال** الاصبهاني ايضا عن
مالك بن اوس بن الحدثان رضي الله عنه قرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما الصدقات للفقرا
حتى بلغ عليم حكيم ثم هذه لهولا ثم قرا واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الاية ثم قال هذه
لهولا ثم قرا ما افا الله على رسوله من اهل القرى الاية حتى بلغ للفقرا المهاجرين والذين تبووا
الدار والذين جاوا من بعدهم قال استوعبت هذه المسلمين عامة فليس احد الا له فيها حق ثم قال

لين عشت ليأتين الراعي نصيبه منها لم يعرق جبينه فيه. وقال ابن عطية ما اخذ النبي صلي الله
عليه وسلم لبني النضير ومن فدك فهي خاص للنبي صلي الله عليه وسلم وليس علي حكم الغنيمة التي يوجف
عليها ويقاتل فيها ومذهب الشافعي رحمه الله ان هذه الاموال التي هي في كبقية الفي تقسم علي
خمسة اسهم خمس منها للاصناف المذكورة اولها النبي صلي الله عليه وسلم واربعة اخماسها له صلي الله عليه
وسلم وحده واجاب الشافعي عن قول عمر رضي الله عنه فكانت هذه لرسول الله صلي الله عليه وسلم
خاصة بانه عام اريد به الخاص ومعناه فكان ما بقي منها في يد رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد
إعطا الخمس لاربابه خاصا به صلي الله عليه وسلم لا يشك احد في خصوصيته ثم انه مع ذلك ما احتازه
دونهم بل كان يفعل فيه ما ذكر في الحديث من الايثار قال الشافعي لانا لا نشك ان النبي صلي الله
عليه وسلم اعطي الاصناف المذكورين في الاية منها حقهم. وقد عهدنا ان حق هولا الاصناف من مال
المشركين الخمس كما هو صرح في سورة الانفال واستفيد من قول عمر رضي الله عنه انها كانت للنبي
صلي الله عليه وسلم انه كان له ما كان يشترك فيه المسلمون بعد الخمس من الغنيمة التي حصلت بما
حصل للكفار من الرعب منهم والذي كان يشترك فيه المسلمون بعد الخمس هو اربعة الاخماس فالنبي صلي
الله عليه وسلم قام مقام المسلمين فيه اذهم لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب وانما حصل ذلك بالرعب الذي
القاه الله لرسوله صلي الله عليه وسلم في قلوب المشركين فكانت الاربعة الاخماس تختص بمن كان السبب
في حصول الجميع كما في الغنيمة فعلي هذا الفي والغنيمة لا يختلفان في ان الاربعة الاخماس تختص بمن كان
السبب في حصول الجميع وان خمس المالين يكون للاصناف المذكورة والذي كان له صلي الله عليه وسلم
من الفي الاربعة الاخماس يكون بعد موته صلي الله عليه وسلم للمقاتلة لانه حصل بالرعب الحاصل
للكفار منهم كاربعة اخماس الغنيمة التي حصلت بقتالهم. **ولما** كانت قدرته سبحانه عامة بالتسليط
وغيره ظاهره ولم يضمر فقال **والله** اي الملك الذي له الكمال كله **علي كل شي** اي مشي اي
يصح ان تتعلق المشية به وهو كل ممكن من التسليط وغيره **قدير** اي بالغ القدرة الي اقصي الغايات
والاية تدل علي ان ايجاف الخيل والركاب وقصد العدو الي الاماكن الشاسعة له وقع كبير في النفوس
ورعب عظيم. **ولما** نزع سبحانه اموالهم من ايدي الجيش بين مصرف غيرها كان مثلها بان فتح
له صلي الله عليه وسلم بغير قتال مستانفا جوابا لمن كانه قال هل يعم هذا الحكم كل في يكون بعد
بني النضير **ما افا الله** اي الذي اختص بالعزة والحكمة والقدرة **علي رسوله** **ولما** كان سبحانه
محيط العلم بانه يسلط علي اهل وادي القري وغيرهم اعظم من هذا التسليط قال ليكون علما من اعلام
النبوة **من اهل القري** اي قرية بني النضير وغيرها من وادي القري والصفرا وينبع وما
هنالك من قري العرب التي تسمي قري عربية **فلله** اي الملك الاعلي الذي الامر كله بيده **وللرسول**
لانه اعظم خلقه فرتبته تلي رتبته وهذان بتر اي انهما قسمان وليس كذلك هما قسم واحد ولكنه
ذكر سبحانه نفسه المقدس تبركا فان كل امر لا يبدا به فهو اجذم وتعظيما لرسوله صلي الله عليه
وسلم اعلاما بانه لا هوي له اصلا في شي من الدنيا وانما رضاه رضي مولاه خلقه القران الذي
هو صفة الله فهو مظهره ومجلاه وسهمه صلي الله عليه وسلم يصرف بعده لمصالح المسلمين كالسلاح
والثغور والعلما والقضاة والايمة. **ولما** ابان هذا الكلام لرسول الله صلي الله عليه وسلم
من الفضل والعظمة ما لا يدخل تحت الوصف اتبعه تعظيما آخر بتعظيم اقاربه لاجله ولذلك اعاد
العامل فقال **ولذي القربي** اي منه لان رتبتهم بعد رتبته وهم بنو هاشم وبنو المطلب رهط
إمامنا الشافعي سوا فيه غنيهم وفقيرهم لان اخذهم لذلك بالقرابة لا بالحاجة كما هو مذهب الشافعي

ولما

ولما ذكر اهل الشرف اتبعه اهل الضعف جبرا لوهنهم فقال معددا ما اضعفهم **واليتامي** اي الذين
هم احق الناس بالعطف لان مبني الدين علي التخلق باخلاق الله التي من اجلها تقوية الضعيف وجبر
الكسير **والمساكين** فانهم في الضعف علي اثرهم ودخل فيهم الفقرا فانه اذا انفرد لفظ الفقير او المسكين
دخل كل منهما في الآخر وانما يفرق اذا اجمع بينهما وكذا الفي والغنيمة اذا افرد اجاز ان يدخل كل في الاخر
واذا اجمعا فالفي ما حصل بغير قتال وايجاف خيل وركاب والغنيمة ما حصل بذلك **وابن السبيل** وهم
الغربا لانقطاعهم عن اوطانهم وعشايرهم وقسمة الفي علي هذه الاصناف كما مضي ان تقسم خمسة اقسام
خمس منها للرسول صلي الله عليه وسلم ومن ذكر معه من المخلوقين وذكر الله فيهم للتبرك لان الاصناف
المذكورة هي التي يعبر عنها باسمه سبحانه والاربعة الاخماس خاصة له صلي الله عليه وسلم ينفق منها
نفقة سنته وما فضل عنه انفقه في مصالح المسلمين السلاح والكراع ونحوه وما كان له صلي الله
عليه وسلم في حياته فهو للمصالح بعد وفاته كما كان يفعل بعد ما يفضل عن حاجته. قال الشافعي في الام
وما اخذ من مشرك بوجه من الوجوه عن ضيافة من مر بهم من المسلمين فهو علي وجهين لا يخرج كل
منهما كلاهما مبين في كتاب الله تعالي وعلي سنة نبيه صلي الله عليه وسلم وفي فعله فاحدهما الغنيمة قال الله
عز وجل في سورة الانفال واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه الآية والوجه الثاني الفي وهو
مقسوم في كتاب الله في سورة الحشر قال الله تبارك وتعالي وما افا الله علي رسوله منهم
الي قوله رؤوف رحيم فهذان المالان اللذان خولهما الله من جعلهما له من اهل دينه وهذه اموال
يقوم بها الولاة لا يسعهم تركها فالغنيمة والفي يجتمعان في ان فيهما معا الخمس من جميعهما لمن سماه الله
تعالي ومن سماه تعالي له في الايتين معا سوا مجتمعين غير متفرقين ثم يفترق الحكم في الاربعة الاخماس بما
بين الله عز وجل علي لسان نبيه صلي الله عليه وسلم وفي فعله فانه قسم اربعة اخماس الغنيمة والغنيمة
من الموجف عليها بالخيل والركاب لمن حضر من غني وفقير والفي وهو ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب
فكانت سنة النبي صلي الله عليه وسلم في قري عربية التي افاها الله عليه ان اربعة اخماسها لرسول
الله صلي الله عليه وسلم خاصة دون المسلمين يضعه رسول الله صلي الله عليه وسلم حيث اراه الله
عز وجل ثم ذكر حديث عمر رضي الله عنه من رواية اوس بن الحدثان رضي الله عنه في خصام علي
والعباس رضي الله عنه قال الشافعي فاموال بني النضير التي افا الله علي رسوله صلي الله عليه
وسلم التي ذكر عمر رضي الله عنه ما بقي منها في يدي النبي صلي الله عليه وسلم بعد الخمس وبعد اشيا فرقها
النبي صلي الله عليه وسلم منها بين رجال من المهاجرين لم يعط منها انصاريا الا رجلين ذكرا فقرا وهذا
مبين في موضعه وفي هذا الحديث دلالة علي ان عمر رضي الله عنه انما حكي ان ابا بكر رضي الله عنه
وهما امضيا ما بقي من هذه الاموال التي كانت بيد رسول الله صلي الله عليه وسلم علي وجه ما راياه
رسول الله صلي الله عليه وسلم وانهما انما كانا فيه اسوة المسلمين وذلك سيرتهما وسيرة من بعدهما
والامر الذي لم يختلف فيه احد من اهل العلم عندنا علمته ولم يزل يحفظ من قولهم انه ليس لاحد ما
كان لرسول الله صلي الله عليه وسلم من صفي الغنيمة ولا من اربعة اخماس ما لم يوجف عليه منها
وقد مضي من كان ينفق عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم من ازواجه وغيرهن ان كان معهن فلم
اعلم احدا من اهل العلم قال لورثتهم تلك النفقة التي كانت لهم ولا خلاف ان تجعل تلك النفقات
حيث كان النبي صلي الله عليه وسلم يجعل فضول غلات تلك الامور مما فيه صلاح الاسلام واهله قال
الشافعي والجزية من الفي وسبيلها سبيل جميع ما اخذ مما اوجف من مال مشرك ان يخمس فيكون لمن سمي
الله عز وجل الخمس واربعة اخماسه علي ما سابينه ان شا الله تعالي وكذلك كل ما اخذ من مشرك بغير

ايجاف ودليل مثل ما اخذ منه اذا اختلف في بلاد المسلمين ومثل ما اخذ منه اذا مات ولا وارث له وغير
ذلك مما اخذ من ماله وقد كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم فيء من غير قرى عرينة وذلك مثل جزية
اهل البحرين وهجر وغير ذلك فكان له اربعة اخماسها يمضيها حيث اراه الله عز وجل واو في خمسه من جعله
الله له انتهى **ولما** حكم سبحانه هذا الحكم في الفيء المخالف لما كانوا عليه في الجاهلية من اختصاص الاغنيا
به بين علته المظهرة لعظمته سبحانه وحسن تدبيره ورحمته فقال معلقا بما علق به الجار كيلا يكون اي الفيء
الذي يسره سبحانه بقوته وما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم من قذف الرعب في قلوب اعدايه ومن
حقه ان يعطاه الفقرا دولة اي شيا يتناوله اهل الغنى والشرف على وجه القهر والغلبة اثرة جاهلية
هذا على قراة الجماعة وقراة ابو جعفر وهشام عن ابن عباس بالتانيث من كان التامة ودولة بالرفع على انه
فاعل بين الاغنيا منكم يتداولونه بينكم فانهم كانوا يقولون من عز بز ومنه قول الحسن اتخذوا
عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستاثر به وقيل الفتح اسم للمتداول كالغرفة
اسم لما يغترف والفتح المتداول **ولما** كان التقدير فافعلوا ما امرتكم من قسمته لمن امرت بهم عطف
عليه قوله وما اي وكل شيء آتاكم اي احضر اليكم وامكنكم منه الرسول اي الكامل في الرسلية من هذا
وغيره فخذوه اي فتقبلوه تقبل من حازه وما نهاكم عنه من جميع الاشيا فانتهوا لانه لا ينطق عن
الهوى ولا يقول ولا يفعل الا ما امره به الله ربه فمن قبل ذلك هانت عليه الامور كما ورد القران صعب
مستصعب على من تركه ميسر على من طلبه وتبعه روي ان الاية نزلت في ناس من الانصار قالوا لنا
من هذه القرى سهمنا **ولما** كان الكف عما الفته النفوس صعبا ولا سيما ما كان مع كونه ممتعا
بما له على وجه الرياسة رهب من المخالفة فيه بقوله واتقوا الله اي واجعلوا لكم بطاعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقاية من عذاب الملك الاعظم المحيط علما وقدرة وعلل ذلك بقوله معظما له باعادة
الجلالة له مؤكدا لان فعل المخالف فعل المنكر ان الله اي الذي له وحده الجلال والاكرام على الاطلاق شديد
العقاب اي العذاب الواقع بعد الذنب ومن زعم ان شيا مما في هذه السورة نسخ بشيء مما في سورة
الانفال فقد اخطأ لان الانفال نزلت في بدر وهي قبل هذه بمدة **ولما** نزع سبحانه اموال الفيء
مما كانت عليه في الجاهلية وبين مصرف الفيء من القرى وتقدم في المخالفة في ذلك لصعوبته على
النفوس فكان ذلك جديرا بالتقبل بعد ان افهم ان اموال بني النضير لمن سلطه عليهم وهو رسوله
صلى الله عليه وسلم وكان من المعلوم من حاله صلى الله عليه وسلم الايثار على نفسه والقناعة بما دون
الكفاف بين المصرف فيها بعد كفايته صلى الله عليه وسلم لان بيان ذلك هو المقصود الاعظم لكونه
حاصلا حاضرا الموطا له باموال اهل القرى فقال مبدلا من لله وللرسول وما عطف عليهما لان من
اعطى المهاجرين لهجرتهم وتجردهم من ديارهم واموالهم فانما اعطاهم لوجه الله ووجه رسوله صلى الله
عليه وسلم ولا يكون بدلا من ذي القربى لئلا تختص بفقيرهم او يكون جوابا لمن كانه قال قد سمعنا
واطعنا فلمن يكون ما سلط الله رسوله صلى الله عليه وسلم من اموالهم فقيل له للفقرا اي الذين
كان الانسان منهم يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويتخذ الحفرة في الشتا لتقيه البرد ما له دثار غيرها
بعد ان كان له من الاموال ما يسعه ويفضل منه ما يصل به غيره فانما وصفهم بالفقر لانهم كانوا عند
نزولها كذلك ثم خصص بالوصف فقال المهاجرين **ولما** كانت الهجرة قد تطلق على من هجر
اهل الكفر من غير مفارقة الوطن قال الذين اخرجوا وبناه للمفعول لان المنكي الاخراج لا كونه
من مخرج معين من ديارهم **ولما** كان الاخراج هنا مضمنا منع المنع واختير التعبير به اشارة
الى ان المال لستره للانسان كانه ظرف له قال واموالهم **ولما** كان طلب الدنيا من النقائص

بين انه اذا كان مراده

افادهم
[..]نه كان من الله لم يكن كذلك وانه لا يكون قادحا في الاخلاص وان امر بني النضير انما يسر تحقيقا لرجايهم
[..] يبتغون اي اخرجوا حال كونهم يطلبون على وجه الاجتهاد وبين انه سبحانه لا يجب عليه سبحانه
شيء بقوله فضلا من الله اي الملك الاعظم الذي لا كفوء له لانه المختص بجميع صفات الكمال من
الدين والدنيا والاخرة فيغنيهم بفضله عمن سواه ورضوانا بان يوفقهم لما يرضيه عنهم ولا يجعل رغبتهم
في العوض منه قادحا في الاخلاص فيوصلهم الى دار كرامته **ولما** وصفهم بتعليق بواطنهم سبحانه
وقطعها بالرضى بالاخراج عمن وعما سواه وصفهم ببذل ظواهرهم له فقال وينصرون اي على سبيل التجديد
كل وقت والاستمرار الله اي الملك الاعظم ورسوله الذي عظمته من عظمته بانفسهم واموالهم ليضمحل
حزب الشيطان **ولما** بان ما له سبحانه بهم من العناية ترقب السامع من مدحهم ما يليق بهذا الاجمال
[..] مستانفا ما هو كالعلة لتخصيصهم اولئك اي العالو الرتبة في الاخلاص الفاضلة هم اي خاصة
الصادقون اي العريقون في هذا الوصف لان مهاجرتهم لما ذكر وتركهم لما وصف دل على كمال صدقهم
فيما ادعوه من الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم حيث نابذوا من عاداهما وهو الغريب المصافي
نسبا ودارا ووالوا اولياهما من كانوا وان بعدت دارهم وشط مزارهم وهذا يدل على ان مبنى
الدين على اقامة البينات بالثبات عند الابتلاءات وعلى ان العون ياتي على قدر البلا لان الله تعالى خص
المهاجرين بما اذن فيه من اموال بني النضير **ولما** مدح المهاجرين واعطاهم فطابت نفوس الانصار
بذلك وكانوا في كل حال معه صلى الله عليه وسلم كالميت بين يدي الغاسل مهما شا فعل فيهما ارادهم
[..]ليه ووصل اتبعه مدحهم جبرا لهم وشكرا لصنيعهم فقال عاطفا على مجموع القصة والذين
تبوءوا اي جعلوا بغاية جهدهم الدار الكاملة في الدور وهي التي اعدها الله في الازل للهجرة وهياها
للنصرة وجعلها دايرة على جميع البلدان محيطة بهم عالية عليها محل اقامتهم وملابستهم وصحبتهم وملازمتهم
لكونها اهلا لان يعود اليها من خرج منها فلا يهجرها اصلا فهي محل مباءة وليست موضعا يهاجر منه لبركتها
وخيرها **ولما** كان المراد الابلاغ في مدحهم قال مضمنا تبوءوا معنى لازم والايمان اي ولابسوه وصحبوه
[..] بالصحبة ولزموه لزوما هو كلزوم المنزل الذي لا غنى لنازله عنه ويجوز ان يكون الايمان وصفا
[..] لعادة العاطف العاطف للاشارة الى التمكن في كل من الوصفين فيكون كانه قيل تبوءوا المدينة التي هي
دار [..] وهي الايمان لانها محل تمكن الايمان وانتشاره وظهوره في سائر البلدان فلشدة ملابستها له سميت
ويجوز ان يكون المعنى ومحل الايمان اشارة الى انهم ما قاموا بها لاجل ان اموالهم بها بل محبة في الايمان
[..]نهم بانه لا يتم بدره ويكمل شرفه وقدره وتنتشر اعلامه ويقوى ذكره الا بها ولولا ذلك لهجروها
وهاجروا الى النبي صلى الله عليه وسلم في اي مكان حله فهو مدح لهم بانهم متصفون بالهجرة بالقوة مع
[..]صافهم بالنصرة بالفعل **ولما** كان انفرادهم باقامة الايمان في الدار المذكورة قبل قدوم المهاجرين
عليهم مدحا تاما قال مادحا لهم بذلك دالا باثبات الجار على انهم لم يستغرقوا زمان القبل من حين ارسال
الرسول صلى الله عليه وسلم بالامرين من قبلهم اي قبل هجرة المهاجرين لان وصفهم بالهجرة لم يكن الا بعد
ايجادها فالانصار جمعوا التمكن في الايمان الى التمكن في الدار من قبل ان يجمع المهاجرون بينهما بالهجرة **ولما**
ابتدا ذكرهم هذا الابتدا الجليل اخبر عنهم بقوله يحبون اي على سبيل التجديد والاستمرار وقيل العطف
على المهاجرين وهذا حال فيكون هذا حكما بالمشاركة من هاجر وزادهم محبة فيهم وعطفا عليهم بقوله اليهم
لان القصد الى الانسان يوجب حقه عليه لانه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد اليه والدليل الشهودي
على ما اخبر الله عنهم من المحبة انهم شاطروا المهاجرين في اموالهم وعرضوا عليهم ان يشاطروهم نساءهم على شدة
غيرتهم فابى المهاجرون المشاطرة في النسا وقبلوا منهم الاموال **ولما** اخبر هو بالمحبة ورغبتهم في اذاهما عطف

على هذا الخبر ما هو من ثمراته فقال ولا يجدون اي اصلا في صدورهم التي هي مساكن قلوبهم
فتحدثهم بها او ابرا القلوب فضلا عن ان تنطق السنتهم ولما كان المراد نفي الطلب منهم لما خص به المهاجرون
وكان الحامل على طلب ذلك الحاجة وكان كل احد يكره ان ينسب الى الحاجة وان اخبرها عن نفسه في
ما لغرض قال حاجة موقعا اسم السبب على المسبب مما اوتوا اي المهاجرون من الفيء وغيره من اموال بني
النضير وغيرهم من اي موت كان فكيف اذا كان الموتي هو الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واذا لم
حاجة تدعوهم الى الطلب فلان لا يجدوا حسدا ولا غيظا من باب الاولى فهذه الآية من اعظم حاث
على حسن الاخا وتحذير من الحسد والاستيثار ولما اخبر عن تخليهم عن الرذايل اتبعه الاخبار بتحليهم
بالفضايل فقال ويؤثرون عظم ذلك بقصر الفعل نضار المعنى يوقعون الايثرة وهي اختيار الاشيا الحسنة
لغيرهم تخصيصا لهم بها على احبابهم متلابسين على انفسهم فيبذلون لغيرهم كاينا من كان ما في ايديهم وذكر النفس
دليل على انهم في غاية النزاهة من الرذايل لان النفس اذا طهرت كان القلب اطهر واكد ذلك بقوله ولو
كان اي كونا هو في غاية المكنة بهم اي خاصة لا بالموثر خصاصة اي فقر وخلل في الاحوال وحاجة
شديدة محيطة بهم من كل جانب من خصايص البنا وهي فرجة ولما كان التقدير فمن كان كذلك فهو من الصالحين
عطف عليه قوله ومن ولما كان المقصود النزاهة عن الرذيلة من اي جهة كانت وكان علاج الرذايل
صعبا جدا لا يطيقه الانسان الا بمعونة من الله شديدة بني للمفعول قوله يوق شح نفسه اي يحصل بينه
وبين اخلاقه الذميمة المشار اليها بالنفس وقاية تحول بينه وبينها فلا يكون مانعا لما عنده حريصا على ما
عند غيره حسدا قال ابن عمر رضي الله عنه الشح ان يطمح عين الرجل فيما ليس له قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشح
فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ولما كان النظر الى التطهر من سفساف
الاخلاق عظيما سبب عنه افهاما انه لا يحصل ما سببه عنه بدونه قوله فاولئك اي العالوا المنزلة
اي خاصة المفلحون اي الكاملون في الفوز بكل مراد قال القشيري وتجرد القلب من الاعواض والاملاك
صفة السادة والاكابر من آسرته الاخطار وبقي في شح نفسه فهو في مصادرة معاملته ومطالبة الناس
في استيفا حظه فليس له من مذاقات هذه الطريقة شي وشرح الآية ان الانصار كانوا لما قدم
عليهم المهاجرون قسموا دورهم واموالهم بينهم وبينهم فلما افا الله على رسوله صلى الله عليه وسلم اموال
بني النضير خطب النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ما صنعوا بالمهاجرين من انزالهم اياهم واثرهم على انفسهم
ثم قال ان احببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما افا الله علي من بني النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه
من السكنى في منازلكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دياركم فقال السعدان رضي الله عنهما
بل تقسم من المهاجرين خاصة ويكونون في دورنا كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا وفي رواية
انهم قالوا اقسم فيهم هذه خاصة واقسم لهم من اموالنا ما شيت فنزلت ويؤثرون على انفسهم الآية وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابنا الانصار وقال ابو بكر رضي الله عنه جزاكم
الله خيرا يا معشر الانصار فوالله ما مثلنا ومثلكم الا كما قال الغنوي جزي الله عنا جعفرا حين ازلقت
بنا نعلنا في الواطئين فزلت ابوا ان يملونا ولو ان امنا تلاقي الذي يلقون منا لملت
انتهى فهم لعمري الحقيقون باسم اخوان الصفا وخلان المودة والوفا والكرامة والاصطفا
ولما اثنى سبحانه على المهاجرين والانصار رضي الله عنهم بما هم اهله لقن التابعين لهم باحسان
ما يوجب لهم الثنا فقال عاطفا على المهاجرين فيقتضي التشريك معهم او على اصل القصة من عطف الجمل
والذين جاوا اي من اي طايفة كانوا ولما كان المراد المجي ولو في زمن يسير اثبت الجار فقال
من بعدهم اي بعد المهاجرين والانصار وهم من امن بعد انقطاع الهجرة بالفتح وبعد ايمان

الانصار الذين اسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة ثم ذكر الخبر او الحال على نحو ما
يمضي في الذي قبله فقال يقولون اي على سبيل التجديد والاستمرار تصديقا لايمانهم بدعايهم
ربنا اي ايها المحسن الينا بايجاد من مهد الدين قبلنا ولما كان الانسان وان اجتهد موضعا
للنقصان قال ملتفتا لنا اغفر اي اوقع ستر النقايص اعيانها واثارها لنا ولما بداوا بانفسهم
ثنوا بمن كان السبب في ايمانهم فقالوا ولاخواننا اي في الدين فانهم اعظم اخوة وبينوا العلة
بقولهم الذين سبقونا بالايمان ولما لقنهم سبحانه حسن الخلافة لمن مهد لهم ما هم فيه اتبعه
تلقينهم ما يعاشرون به اعضادهم الذين هم معهم على وجه يعم من قبلهم فقال معلما بان الامر كله بيده
حثا على الالتجا اليه من اخطار النفس التي هي اعدى الاعدا فقال ولا تجعل وافهم قوله في قلوبنا
ان رذايل النفس قل ان تنفك وانها ان كانت مع صحة القلب وشك ان لا توثر غلا اي ضغنا وحسدا
وحقدا وهو حرارة وغليان يوجب الانتقام للذين امنوا اي اقروا بالايمان وان كانوا في ادنى
درجاته ولما كان هذا دعا جامعا للخير لقنهم ما يحبيهم في لزومه والتخلق به مع ما فيه من التملق
للاله والتعريض له بقوة الرجا فقال ربنا اي ايها المحسن الينا بتعليم ما لم نكن نعلم واكدوا اعلاما
بانهم يعتقدون ما يقولونه وان ظهر من افعالهم ما يقدح في اعتقادهم ولو في بعض الاوقات فقالوا
انك روف اي راحم اشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة بفعل من افعال الخير رحيم مكرم غاية الاكرام
لمن اردت ولو لم تكن له وصلة فانت جدير بان تجيبنا الا تايسنا ان يكون لنا وصلة فنكون من اهل
الرحمة وقد افادت هذه الآية ان من كان في قلبه غل على احد من الصحابة رضي الله عنهم فليس ممن
عنى الله بهذه الآية ولما دل على ان هذا الثنا للصادقين في الايمان باقامة البينة بالهجرة والايثار
والاجتهاد في الدعا لمن سبق الايمان فسهل به طريق الامان فاخرج ذلك المنافقين وافهم انهم لا يفعلون
ذلك لانهم لا رسوخ لهم في الايمان الحامل على ذلك دل على نفاقهم الموجب لكذبهم بقوله منبها للفصة
مخاطبا لاعلى الخلق اشارة الى انه لا يطلع على نفاقهم لما لهم فيه من دقة المكر حق الاطلاع غيره صلى
الله عليه وسلم معجبا من حالهم في عدم رسوخهم مع ما يرون من المعجزات والآيات البينات ويرون
من حال المومنين من اسباغ الرحمة عليهم بتسهيل الامور والنصرة على الجبابرة والاعراض عن الدنيا مع
الاقبال على الآخرة والاجتهاد في الدين الذي هو وحده داع الى الايمان ومرقق للقلوب ومبين للحقايق
غاية البيان الم تر اي تعلم علما هو في قوة الجزم كالمشاهد يا اعلى الخلق وبين بعدهم عن جنابه العالي
ومنصبه الشريف العالي باداة الانتها فقال الى الذين نافقوا اي اظهروا غير ما اضمروا اظهروا
الخير وبالغوا في اخفا عقايدهم بالشر مبالغة من يسابق غيره وهم عبد الله بن ابي واصحابه قالوا
والنفاق لفظ اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبله وهو استعارة من فعل الضب في نافقائه وقاصعائه
وصور حالهم بقوله يقولون لاخوانهم اي في الموالاة والصلاة ولما جمعهم في الكفر وان افترقوا
في المساترة به والمجاهرة وصف المجاهرين بنوع مساترة يوجب النفرة منهم ويقضي بهلاك من صادقهم
فقال الذين كفروا اي غطوا انوار المعارف التي دلتهم على الحق وعينهم ابلغ في ذمهم من حيث انهم
ضلوا على علم فقال من اهل الكتاب وهم بنو النضير هولا وبكتهم بكذبهم فيما اكدوا الوعد به لانه
في حيز ما ينكر من جهة انهم لا يقدرون على المجاهرة بكفرهم فكيف بالمبارزة بالخلاف لقومهم الانصار والنبي
صلى الله عليه وسلم فيهم في قولهم لين اخرجتم اي من مخرج ما من بلدكم الذي في المدينة الشريفة
فخرجتم من غير ان تقاتلوا لنخرجن معكم فكان ما قضي به على اخوانهم من الاخراج فالا وكل بمنطقهم
ولما كان من المعلومات للمنافقين اقارب من اكابر المومنين وكانوا من المعلوم انهم يقومون

عليهم في منعهم من القيام معهم نصيحة لهم واحسانا اليهم وكانه تجويز بني النضير لذلك موهنا لهم قالوا
مؤكدين للكون معهم ولا نطيع فيكم اي في خذلانكم والمعنى انه لو فرض انه صار احد في القرب منكم
مثل قرب المظروف من الظرف ما اطعناه في التقصير فيما يسركم احدا اي يسئلنا خذلانكم من الرسول
والمؤمنين واكدوا بقولهم ابدا اي ما دمنا نعيش وبمثل هذا العزم استحق الكافر الخلود الابدي في
العذاب ولما قدموا في معونتهم ما كان قالا قاضيا عليهم اتبعوه قولهم وان قوتلتم اي من اي
مقاتل كان فقاتلكم ولم تخرجوا لننصرنكم فالاية من الاحتباك ذكر الاخراج اولا دليلا على حذف مثله ثانيا
والقتال ثانيا دليلا على حذف مثله اولا ومعنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل الى
بني النضير اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني وقد هممتم بالغدر بي وقد اجلتكم عشرا فمن رئي بعد ذلك
منكم ضربت عنقه فارسل اليهم ابن ابي بما تقدم ولما كان قولهم هذا كلاما يقضي عليه سامعه
بالصدق من حيث كونه مؤكدا مع كونه مبتدا من غير سؤال فيه بين حاله سبحانه بقوله والله
اي يقولون ذلك والحال ان المحيط بكل شي قدرة وعلما يشهد بما يعلم من بواطنهم في عالم الغيب
ولما كان بعضهم من يسمع قولهم هذا ينكر ان لا يطابقه الواقع وكان اخلافهم فيه محققا في
علم الله المطلق عليه ما لا يطلع الا على ما كشف الواقع عن انه غير مطابق فقال تشجيعا للمؤمنين على قتالهم
مؤكدا انهم اي المنافقين لكاذبون وهذا من اعظم دلايل النبوة لانه اخبار بمغيب بعيد عن
العادة بشهادة ما ظننتم ان تخرجوا فحققه الله عن قرب ولما كان الكذب في قولهم هذا كونه
اخبارا بما لا يكون شرحه بقوله مؤكدا باعظم من تاكيدهم لئن اخرجوا اي بني النضير من اي مخرج كان
لا يخرجون اي المنافقون معهم اي حمية لهم لاسباب يعلمها الله ولئن قوتلوا اي اليهود من اي
مقاتل كان فكيف باشجع الخلق واعلمهم صلى الله عليه وسلم لا ينصرونهم اي المنافقون ولقد صدق
الله وكذبوا في الامرين معا القتال والاخراج لا نصروهم ولا خرجوا معهم فكان ذلك من اعلام النبوة
وعلم به من كان شاكا فضلا عن الموقنين صدق الكلام على ما لم يكن ولا يكون لو كان كيف كان يكون
بصدق الكلام على من لم يكن ويكون كيف يكون في اذا كان في قوله تعالى ولئن نصروهم اي المنافقون
في وقت من الاوقات ليولن اي المنافقون ومن ينصرونه وحزبهم بقوله الادبار ولما كان
من عادة العرب الكر بعد الفر بين انه لا كرة لهم بعد هذه الفرة وان طال المدى فقال ثم
لا ينصرون اي لا يتجدد لفريقيهم ولا الواحد منهما نصرة في وقت من الاوقات وقد صدق سبحانه
لم يزل المنافقون واليهود في الذلة ولا يزالون ولما كان ربما قيل ان تركهم لنصرهم انما هو
لخوف الله او غيره ذلك مما يحسن وقعه علل بما ينفي ذلك ويظهر ان محط نظرهم المحسوسات كالبهايم
فقال مؤكدا له لاجل ان اهل النفاق ينكرون ذلك وكذا من قرب حاله منهم لانتم اي ايها المؤمنون
اشد رهبة اي من جهة الرهبة وهو تمييز محول عن المبتدا اي لرهبتكم الكاينة فيهم اشد
وعظمها بقوله في صدورهم اي اليهود ومن ينصرهم مما فاض اليها من قلوبهم من الله اي من رهبتهم
التي يظهرونها لكم منه وان ذكروه بكل صفة من صفاته فرهبتهم منكم سبب لاظهارهم انهم يرهبون الله ريا
لكم ولما كان هذا مما يتعجب منه المؤمن علله بقوله ذلك اي الامر الغريب وهو خوفهم الثابت
اللازم من مخلوق مثلهم ضعيف لرؤيتهم له وعدم خوفهم من الخالق على ما له من العظمة في ذاته ولكونه غيبا
عنهم بانهم قوم اي على ما لهم من القوة لا يفقهون اي لا يتجدد لهم بسبب كفرهم واعتمادهم على مكرهم
في وقت من الاوقات فهم يشرح صدورهم ليدركوا به ان الله هو الذي ينبغي ان تخشى لا غيره بل هم كالبهايم
لا نظر لهم الى الغيب انما هم مع المحسوسات والفقه هو العلم بمفهوم الكلام ظاهره الجلي وغامضه الخفي

بسرعة

بسرعة فطنة وجودة قريحة ولما اخبر برهبتهم دل عليها بقوله لا يقاتلونكم اي كل من الفريقين
اليهود والمنافقين او احدهما ولما كان الشي قد يطلق ويراد بعضه حقق الامر بقوله جميعا اي قتالا
يقصدونه مجاهرة وهم مجتمعون كلهم في وقت من الاوقات ومكان من الاماكن الا في قرى محصنة
اي ممتنعة بحفظ الدروب وهي السكك الواسعة بالابواب والخنادق ونحوها او من وراء جدار
اي محيط بهم سوا كان بقرية او غيرها لشدة خوفهم وقد اخرج بهذا ما حصل من بعضهم عن ضرورة
كالبشير ومن كان ينزل من اهل خيبر من الحصن يبارز ونحو ذلك فانه لم يكن عن اجتماع او يكون هذا
خاصا ببني النضير في هذه الكرة ولما كان ربما ظن ان هذا عن عجز منهم لازم لهم دفعه بقوله اعلاما
بانه انما هو من معجزات هذا الدين باسهم اي قوتهم وما فيهم من الصفات التي ينشا عنها العذاب
بينهم شديد اي اذا راوا اذا اتيا او حارب بعضهم بعضا فجرا المومنين عليهم بان ما ينظرونه من شدتهم
وشجاعتهم اذا حاربوا المشركين لا يكون عند محاربة المؤمنين كرامة اكرم الله بها المؤمنين تتضمن علما
من اعلام النبوة تقوية لايمانهم واعلاء لشانهم ولما كانت علة الشدة الاجتماع شرح حالتي الشدة
والرهبة بقوله مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم اشارة الى شدة ما يظهرون من الف بعضهم لبعض تحسبهم
اي اليهود والمنافقين يا اعلى الخلق ويا ايها الناظر من كان لذلك التعاطف الظاهر جميعا لما ثم فيه من اجتماع
الدفاع وعن ذلك نشات الشدة وقلوبهم شتى اي مفترقة اشد افتراق وعن ذلك نشات الرهبة وموجب
هذا الشتات اختلاف الاهوا التي لا جامع لها من نظام العقل كالبهايم وان اجتمعوا في عداوة اهل الحق كاجتماع
البهايم في الهرب من الذيب قال القشيري اجتماع النفوس مع تنافر القلوب واختلافها اصل كل فساد وموجب
كل تخاذل ومقتض لتجاسر العدو واتفاق القلوب والاشتراك في الهمة والتساوي في القصد يوجب كل
ظفر وكل سعادة ولما كان السبب الاعظم في افتراق ضعف العقل قال معللا ذلك اي الامر الغريب
من الافتراق بعد الاتفاق الذي يخيل الاجتماع بانهم قوم اي مع شدتهم لا يعقلون فلا دين لهم يجمعهم لعلمهم
انهم على الباطل فهم اسرى الاهوية والاهوية في غاية الاختلاف فالعقل مدار الاجتماع كما كان الصحابة رضوان
الله عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما ان الهوى مدار الاخلاف ولما كان الاخبار بعدم عقلهم
دعوى دل عليها بامر مشاهد فقال كمثل اي قصتهم في عدم فقههم بل عقلهم الذي نشا عنه اخراجهم هذا
وما سببه من مكرهم وغدرهم واعتمادهم على ابن ابي ومن معه من المنافقين مثل قصة الذين من
قبلهم ولما كان ادخال الجار مع دلالته على عدم استغراق زمان القبل يدل على قرب الزمن صرح
به فقال قريبا وهم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما بنو قينقاع من اهل دينهم اليهود اظهروا بأسا
شديدا عند ما قصدهم النبي صلى الله عليه وسلم في اثر غزوة بدر فوعظهم وحذرهم باس الله فقالوا لا
يغرنك يا محمد انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم اما والله لو قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس
ثم مكروا بامراة من المسلمين فارادوها على كشف وجهها فابت فعقدوا طرف ثوبها من
تحت خمارها فلما قامت انكشفت سوءتها فصاحت فغار لها شخص من الصحابة رضي الله عنهم فقتل اليهودي
الذي عقد ثوبها فقتلوه فانتقض عهدهم فانزل النبي صلى الله عليه وسلم بساحتهم جنود الله فاذلهم
الله ونزلوا من حصنهم على حكمه صلى الله عليه وسلم وقد كانوا حلفا ابن ابي ومن يغن عنهم شيا غير انه سال
النبي صلى الله عليه وسلم في ان لا يقتلهم والح عليه حتى كف عن قتلهم فذهبوا عن المدينة الشريفة بانفسهم
من غير حشر لهم بالالزام بالجلا ولما كان كانه قيل ماذا كان خبرهم قال ذاقوا وبال اي وخامة
وسوء عاقبة امرهم في الدنيا وهو كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحزبه الذين هم
حزب الله وسماه امرا لانه مما ايتمروا به ولهم اي في الاخرة عذاب اليم اي شديد الايلام ولما

شبه سبحانه امرهم في طاعتهم لابن أبي ومن معه وهم البعدا المحترقون بسبب ابعاد المؤمنين لهم بابعاد
الله واحراق اكبادهم لذلك مع ما اعد لهم في الآخرة بأمر بني قينقاع شبه قصة الكل بقصة الشيطان
ومن اطاعه من الإنس والجن فقال مبينا لمعنى ما حط عليه آخر الكلام كمثل اي مثل الكل الواعدين
بالنصر والمغترين بوعدهم مع علمهم بان الله كتب في الذكر لأغلبن أنا ورسلي في اخلافهم الوعد واسلامهم
اياهم عند ما حق الامر يشبه مثل الشيطان اي البعيد من كل خير لبعده من الله المحترق بعذابه
والشيطان هنا مثل المنافقين اذ قال للإنسان اي كل من فيه نوس واضطراب وهو هنا مثل اليهود
اكفر اي بالله بما زين له ووسوس اليه من اتباع الشهوات القايم مقام الامر ولما كان الانسان
بما يساعد تزيين الشيطان عليه من شهواته وحظوظه واخلاقه يطيع امره غالبا قال فلما كفر اي
أوجد الانسان الكفر على اي وجه كان ودلت الفا على اسراعه في متابعة تزيينه قال اي الشيطان
الذي هو هنا عبارة عن المنافقين مؤكدا لما من تعلق لمن اكد له الوعد بشي من صادق الاعتماد عليه
والتكذيب بانه يخذله اني بري منك اي ليس بيني وبينك علاقة في شي اصلا ظنا منه ان هذه البراة
تنفعه شيا مما استوجبه المامور بقبوله لامره وذلك كناية عن انه فعل معه من الاعراض عنه والتمادي
في كل ما يدل على اهماله فعل من اكد البراة منه وذلك كما فعل المنافقون باليهود جرأوهم على امر شق
اليهم وهو الاقامة في بلدهم فلما نصبوا الحرب طمعا في نصرهم فعل المنافقون في تباطيهم عنهم
فعل المتبري منهم فكان ذلك اشد عليهم مما لو لم يطمعوهم في نصرهم لان هذا بمنزلة انهزامهم عنهم
من الضعف الموجب لانهزامهم لا محالة ثم علل البراة بقوله اني أخاف الله أي الملك الذي لا امر لاحد
معه فلا انطاق صولته ثم شرع ذلك بقوله رب العالمين أي الذي اوجدهم من العدم ورباهم بما
يدل على جميع الاسما الحسنى والصفات العلى فلا يغني احد من خلقه عن احد شيا الا باذنه وهو لا
يغفر اصلا لمن يقدح في ربوبيته ولا سيما ان نسبها الى غيره وكان هذا تمثيل لما يجد الانسان بعد الوقوع
في المعصية من الندم والحيرة فاذا وجد ذلك وهم بالتوبة زين لهم المعصية وصعب عليه امر التوبة
وعسره وجراه على المعصية بعينها أو على ما هو اكبر منها ولا يزال كذلك حتى يتعذر عليه الرجوع
فيتحقق هلاكه وهلاك من أوقعه فلذلك سبب عنه قوله فكان ولما كان تقديم الشي على محله
موجبا لروعه نبه الانسان للتفتيش عن السبب والتشويق الى المؤخر قال عاقبتهما مقدما للخبر
كان أنهما اي الغار والمغرور في النار حال كونهما خالدين فيها لانهما ظلما ظلما لا فلاح معه ولما
كان ذلك قد يحمل على انه في الانسان بعينه قال معلقا بالوصف تعميما وزجرا عنه وذلك اي العذاب
الاكبر جزاء الظالمين اي كل من وضع العبادة في غير محلها ولما ابلغ سبحانه في المواعظ في هذه
السورة قولا وفعلا وكانت الإيقاعات المذكورة فيها مسببة عن الخيانات ممن كان له عهد فنقضه
أو ممن كان اظهر الايمان فأبان فعله كذبه قال سبحانه استثنايا جاعن ذلك وعظا للمؤمنين لان الوعظ
بعد المصايب اوقع في النفس وأعظم في ترقيق القلب وتحذيره مما يوجب العقوبة يأيها الذين أمنوا
مناديا لهم بأدنى البعد معبرا بادنى اسنان الايمان لانه عقب ذكر من اقر بلسانه فقط اتقوا الله
اي اجعلوا لكم وقاية تقيكم سخط الملك الاعظم الذي لا أمر لاحد معه ولا بد أن يستعرض عبيده
فاحذروا عقوبته بسبب التقصير فيما حده لكم من أمر أو نهي ولتنظر نفس اي كل نفس تنظر الى
نفاستها وتريد العلو على اقرانها ولعله وحدها للإشارة مع افادة التعميم الى قلة الممتثل لهذا الامر جدا
ما قدمت اي من الزاد الذي يكون به صلاح المنزل من لم يسع في اصلاحه لم تكن له راحة هل يرضي
الملك ما قدمته فينجيها ام يغضبه فيرضيها ولما كان الاجل بهم الوقت فكان لقا الله في كل يوم بل

كا

لحظه للغافل مترقبا لكونه ممكنا مع كونه على الاطلاق محققا لا يجهله احد قال مشيرا بتذكيره وابهامه
الى تهويله واعظامه لغد اي لاجل الغرض بعد الموت أو في يوم القيمة الذي هو في غاية القرب لان
هذه الدنيا كلها يوم واحد يجي فيه ناس ويذهب آخرون والموت او الاخرة غده لا بد من كل منهما وكل
ما لا بد منه فهو في غاية القرب لا سيما ان كان باقيا غير منقض وكل من نظر لغده احسن مراعاة يومه
وتنوينه للتعظيم من جهة لا تحصى ولما أمر بتقواه سبحانه خوفا من سطوته امر بتقواه لاجل
مراقبته حيا من جلاله وهيبته تاكيدا للامر لان مدار النجاة على التقوى لان مكايد الشيطان دقيقة
فمن لم يبالغ في محاسبته نفسه ويفقد ما يمكن ان يكون من الخلل في اعماله أوشك أن يحبط الشيطان اعماله
فقال واتقوا الله اي الجامع لجميع صفات الكمال حيا منه فالتقوى الاولى لايجاد صور الاعمال وهذه
لتصفيتها وتزكية ارواحها ولذلك علله بقوله مرغبا مرهبا ان الله اي الذي له الاسما الحسنى والصفات
العلى خبير اي عظيم الاطلاع على ظواهركم وبواطنكم والاحاطة بما تعملون فلا تعملون عملا الا كان
بمرأى منه ومسمع فاستحيوا منه وكرر الاسم الأعظم كراهية أن يظن تقيد التقوى بحيثية من الحيثيات
وتعظيما لهذا المقام اعلاما بان شؤونه لا تنحصر وان احاطته لا تختص مقاما دون مقام ولا شانا سوى
شان ولما امر بتقواه تارة بالخوف واخرى بالحيا تاكيدا لها وعلل ذلك بما له شعبة من التحذير
وكان الانسان لما له من النسيان أحوج الى التحذير قال مؤكدا لشعبته وايضاحا لان التقوى الثانية
لمحاسبة النفس في تصفية العمل ولا تكونوا ايها المحتاجون الى التحذير وهم الذين أمنوا كالذين نسوا الله
اي اعرضوا عن اوامره ونواهيه وتركوها ترك الناسين لمن برزت عنه مع ما له من صفات الجلال والاكرام
لما استغواهم به من امره الشيطان حتى ابعدهم جدا عن العرفان فانساهم أي فتسبب عن ذلك انه انساهم
بما له من الاحاطة بالظواهر والبواطن أنفسهم فلم يقدموا لها ما ينفعها وان قدموا شيا كان مشوبا بالمفسدات
من الريا والعجب فكانوا ممن قال فيه سبحانه وجوه يومئذ خاشعة عاملة الاية لانهم لم يدعوا بابا من
أبواب الفسق فان راس الفسق الجهل بالله وراس العلم ومفتاح الحكمة معرفة النفس فاعرف الناس بنفسه
اعرفهم بربه ولما كانت ثمرة ذلك انهم اضاعوها فهلكوا قال أولئك أي البعيدون من كل خير هم
أي خاصة الفاسقون أي العريقون في المروق من دايرة الدين ولما تم الدليل على ان حزب الله
هم المفلحون لما ايدهم به في هذه الحياة الدنيا من النصر والشدة على الأعدا واللين والمخاصفة للاوليا
وساير الافعال الموصلة الى جنة المأوى وصرح في آخر الدليل بخسران حزب الشيطان فعلم ان لهم مع
هذا الهوان عذاب النيران وكان المغرور بعيدا من هذا بالدنيا الغافل عن الآخرة لاجل شهوات فانية
وحظوظ زايلة عاملا عمل من يعتقد انه لا فرق بين الشقي بالنار والسعيد بالجنة لتجشمه التجرع لمرارات
الاعمال المشتملة عليها انتج ذلك قوله منزلا لهم منزلة الجاهل بذلك او الغافل عنه تنبيها لهم على غلطهم
وايقاظا من غفلتهم لا يستوي اي بوجه من الوجوه أصحاب النار التي هي محل الشقا الأعظم وأصحاب
الجنة التي هي دار النعيم الاكبر لا في الدنيا ولا في الاخرة وهي من أدلة انه لا يقتل مسلم بكافر ولما
كان نفي الاستوا غير معلم في حد ذاته بالاعلى من الامرين وكان السياق معلما بما حقه من القراين بعلو
أهل الجنة صرح به في قوله أصحاب الجنة هم أي خاصة الفائزون اي المذكورون لكل محبوب الناجون
من كل مكروه وأصحاب النار هم الهالكون في الدارين كما وقع في هذه الغزوة لفريقي المؤمنين وبني النضير
ومن والاهم من المنافقين فشتان ما بينهما ولما كان قد مر في هذه السورة فضلا عما تقدمها من حكمة
هذا القرآن واعجازه تارة بمطابقته لما نزل بسببه مطابقة يجلو عنه كل اشكال وتارة بما يشاهد من صدقه
فيما اخبر باتيانه من الأفعال وأخرى بما يتحدى به من الاقوال ومرة بنظم كل جملة مع ما تقدمها على ما لا يمكن

البشر مثله من الاحوال الي غير ذلك من امور لا تحصرها المقال ترتب علي ذلك قوله مبينا ان سبب افتراق
الفريقين في العقبي افتراقهم في القران في الاولي تمثيلا للقلوب في قسوتها اولينها عند سماع القران وتخيلا
توبيخا للقاسي ومدحا للعاطف اللين لافتا القول الي اسلوب العظمة لاقتضا الحال لها **لو انزلنا** بعظمتنا
التي ابانها هذا الانزال **هذا القران** اي الجامع لجميع العلوم الفارق بين كل ملتبس المبين لجميع الحكم **علي**
جبل اي جبل كان **لرايته** يا اشرف الخلق وان لم يتاهل غيرك لمثل تلك الرؤية **خاشعا** اي مطمئنا مخبتا
علي صلابته منذللا باكيا **متصدعا** اي متشققا غاية التشقق كما تصدع الطور لتجلينا له بما دون
ذلك من العظمة التي جلونا كلامنا الشريف لموسي عليه السلام في ملابسها **من خشية الله** اي من الخوف
العظيم ممن له الكمال كله حذرا من ان لا يكون مؤديا ما افترض عليه من تعظيم القران عند سماعه فما لابن
ادم وقد اتاه الله من العقل ما لم يؤت الجبل يستخف بحقه ويعرض عما فيه من العبر **وفي الاية**
مدح للنبي صلي الله عليه وسلم في ثباته لما لا تثبت له الجبال وذم للمعرضين بكونهم اقسي من الجبال
ولما كان التقدير توبيخا وتبكيتا لمن لم يرق للقران افلم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر
الله وما نزل من الحق فانا قد فصلنا لهم الحلال والحرام والامر والنهي واوضحنا المحكم ودللنا علي
المتشابه وقصصنا الاقاصيص بعد جعلهم عقلا ناطقين فتلك اقاصيص الماضين لعلهم يعتبرون عطف
عليه قوله **وتلك الامثال** اي التي لا يضاهيها شي **نضربها للناس** اي الذين يحتاجونها وهم من فيهم
تذبذب واضطراب **لعلهم يتفكرون** اي لتكون حالهم عند من ينظرهم حال من يرجي تفكره في تلك
الامثال فينفعه ذلك اذا اداه التفكر الي التذكر فراي بتنبيه الرسول صلي الله عليه وسلم له ان كل ما
في القران من شي ففيه شاهد منه فتطابق له كتاب الخلق وكتاب الامر فتخلي من الشهوات البهيمية فنجي
من الحظوظ النفسية فتحلي بالملابس الروحانية فصار بالمجاهدات والمنازلات الي الصفات الملكية
فكان اهلا للمقامات القدسية في الجنان العلية **ولما** اعلي سبحانه اولياءه بان فتح السورة
بالايمان بالغيب وهو العزيز الحكيم بعد التنزيه عن نقايص التعطيل وكل شايبة نقص وتنزل لعباده
في اسباب الصفات والافعال الي ان اوصلهم الي محسوس الامثال فتاهلوا اللقا في ذاته وما علا من صفاته
الموجبة لخشيته رقاهم الي التفكر في تفصيل ما افتتح به فقال عادلا عن اسلوب العظمة الي اعظم منها
باسبال حجب العزة علي منهاج الحكمة **هو** اي الذي وجوده من ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه فلا شي
يستحق الوصف بهو غيره لانه الموجود دايما ازلا وابدا فهو حاضر في كل ضمير غايب بعظمته كل حس فلذلك
يتصدع الجبل من خشيته **ولما** عبر عنه باخص اسمايه اخبر عنه لطفا بنا وتنزلا لنا باشهرها التي
هو مسمي الاسما كلها فقال **الله** اي المعبود الذي لا تنبغي العبادة ولا الالهية الا له الذي بطن عما لم يحط
ولا تحيط به العقول من نعوت الكبريا والعظمة والاكرام وظهر بافعاله التي لا تضاهي بوجه غاية
الظهور فتميز غاية التميز فلم يلحقه بشرك اصلا في امة من الامم ولا نسمة من النسم **قال** الحرالي في شرح
الاسما وهو وله القلوب والعقول اي محارها الذي لا تدركه فلزم الخلق من اسم الاله ما حصل لهم من
توحيد اسم الله من الاحدية الاحاطية انتهي فلذلك كان وصفه **الذي لا اله الا هو** فانه لا مجانس له
ولا يليق ولا يصح ولا يتصور ان يكافيه او يدانيه شي ولا اله او لا اسم لله فلذلك لا يكون احد مسلما الا
بتوحيده فتوحيده فرض وهو اساس كل فريضة وتوحيد ساير الاسما وهو اساس كل نافلة فمن وحد في الكل
كمل دينه وتمت النعمة عليه والا كان من الذين امنوا فان كان ذلك منه قولا عصم من نار الاحكام علي الابد
في الدنيا وان كان علما تخلص من نار الهلع علي النفوس في الدنيا وهو الجزع عند مس الشر والمنع والبخل عند
مس الخير ولن يشهد التوحيد في هذه الكلمة التي مفهومها توحيد اسم الاله احسانا الا بعد احصا جميع الاسما

علما

علما قال الحرالي والاله المتعبد وهو المتذلل فمن توهم حاجة لشي وتوهم ان عنده قوام حاجته
تذلل له فكان تذلله له تالها وكل من عبد ما احاط به عينه فقد خذله عقله عن تصحيح معني الاله
الذي يجب ان يكون غيبا فكان تصحيح معني اله انه غيب قايم مستحق للعبادة والتذلل لاجل قيامه
والاستغنا به **ولما** اخبر بتفرده دل عليه باية استحقاقه لذلك فقال مقدما لما هو متقدم
في الوجود **عالم الغيب** اي الذي غاب عن علم جميع خلقه **ولما** كان هذا ربما ظن ان وصفه بالغيب
امر نسبي سمي غيبا بالنسبة لناس دون ناس دل بذكر الضد علي ان المراد كل ما غاب وكل ما شهد
فقال **والشهادة** اي الذي وجد فكان بحيث تحسه ويطلع عليه بعض خلقه **ولما** تعالي في صفات
العظمة ونعوت الجلال والكبر فبطن غاية البطون اخذ في رحمة العباد بالتنزل لهم بالتعرف اليهم
بعواطف الرحمة فقال بانيا الكلام علي الضمير اعلاما بان المحدث عنه اولا هو بعينه المحدث عنه
ثانيا **هو الرحمن** اي العام الرحمة قال الحرالي والرحمة اجرا الخلق علي ما يوافق جبلتهم ويلايم
خلقهم ومقصد افيدتهم فاذا اختص ذلك بالبعض كان رحيمية واذا استغرق كان رحمانية ولولا
استغراق معني اسم الرحمن لم يكن لتمام معناه وجود في الخلق فلم يجر بحق علي احد منهم فلذلك لحق اسمه
الرحمن في معني استغراقه يعني باسم الله **ولما** كانت الرحيمية خاصا بما ترضاه الالهية قال **الرحيم**
اي ذو الرحمة العامة المسعدة في الظاهر والرحمة الخاصة المسعدة في الباطن **قال** الحرالي الرحمة
من الرحيم اختصاص من شملته الرحمانية بمزية ما اوثر به من الرحمة في مقابلة من ال امره الي نقمة
ليجمع مقتضي الاسمين بين عموم الرحمانية واختصاص الرحيمية **ولما** اظهر علي الخلق خصوص الايتا
اجري عليهم اسم الرحيم كرحمة الخلق ابناهم **ولما** كان حق اسم الرحيم اثبات رحمة غير مجذوذة ولم يكن
ذلك للخلق لم يكن بالحقيقة الرحيم الا الله الذي اذا اختص بالرحمة لم يحزها فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقي لا انفصام لها ان الله لا ينزع العلم انتزاعا بعد ان اعطا
واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شا ربك عطا غير مجذوذ
فلذلك بالحقيقة لا رحيم الا الله تحقيق علم كما انه لا رحمان الا الله بادي معني **ولما** كان الملك كمال
استيلا علي الخلق يقصرهم به ملكهم علي بعض مستطاعهم ويدينهم اي يجزيهم علي حسب دينهم اي ما وضع
لهم من عادة قصره لهم وحكمه عليهم وبحسب احصايه عليهم دقيق اعمالهم واحاطته بخفي احوالهم والاطلاع
علي سرايرهم بتحقق استيفا الجزا فيتحقق بذلك كمال الملك فكان لذلك لا يتحقق حقيقة الملك فيمن هو دون
العلم بالستر واخفي المحصي الحسيب لمثاقيل الذر الخبير بخبث الكون فكان لا ملك بالحقيقة الا الله
ولكنه تعالي لما كان قد اولي الخلق من رفعه بعضهم فوق بعض ما اجري عليهم اسم **الملك** فتنة لهم فضل
بسبب ذلك قوم ادعوا الملك الحقيقي فغلط من اراد الله من الخلق فيهم فضلوا بهم اعاد التهليل مع اسمه
الملك كما ابتداه مع اسمه الاله اول اسما الله ولذلك ايضا قال النبي صلي الله عليه وسلم في حديث ابي
هريرة رضي الله عنه الذي رواه الشيخان وابو داود والترمذي في حديث الذي تسمي ملك الملوك في رواية
مسلم لا ملك الا الله فقال مصرحا بما في باطن اسمي الرحمة من القهر والجبر علي النسق الاول في البنا علي الضمير
تاكيدا للتعيين المحدث عنه وتوحيدا **هو الله** اي الذي لا يقدر علي تعميم الرحمة لمن اراد وتخصيصها
بمن شا الا هو **الذي لا اله** اي معبود بحق **الا هو الملك** فلا ملك في الحقيقة الا هو لانه لا يحتاج الي شي
فانه مهما اراد كان **ولما** كان الملك اصل ما لحق الخلق من الافات لانه راس الشرف الذي هو باب
الترف الملازم لمخالفة كتاب الله اما في الاعمال فيكون فتنة واما في الراي فيكون علوا وكبرا وكفرا
فان امر الله في ادم علي ما هو نبوة ثم ينزل فيصير خلافة ثم ينتهي نزوله فيكون ملكا ثم تتداعي الاحداث

فلما كان تداعي الاحداث لموجبات الذم قال عقيب صفة الملك **القدوس** مصرحًا بما لزم عن تمام ملكه
من ان البليغ في النزاهة عن كل وصم يدركه حس او يتصوره خيال او يسبق اليه وهم او يختلج به ضمير فالقدوس
القدوس طهر لا يقبل التغير ولا يلحقه رجس فلا يزال العلي وصف احمد بثبات القدس ولما كان ما خوله
سبحانه الخلق من حال طهر لا يظهر فيه تغير بما دونه اجري عليهم اسم القدس كروح القدس المؤيد للشارع
بالنفث في روعه المؤيد لمشاعره في مكافحة عنه ولاجل قصر تحلي الخلق بالملك في قليل متاع الدنيا رغب
النبي العبد صلى الله عليه وسلم عنه واختار العبودية الدائمة بدوام العزة لسيده فوضح بذلك علم
ان لا قدس الا الله حقيقة معنى وتصحيح احاطة **ولما** كان سبحانه بتمام ملكه وعلو ملكه وكمال
قدسه لا يتصور ان يلحقه نقص في ذات ولا صفة ولا فعل فلا يقع منه اهلاك على حال من الاحوال
ولا مس بضر في الدنيا والاخرة في وقت من الاوقات لانه سبحانه لعلمه بالبواطن والظواهر على
حد سوا يضع الامور في احكم مواضعها بما لا يدركه غيره اصلا او لا يدركه حق ادراكه فاحتيج الى ما
يؤمن من ذلك وكان السلام حد ما بين الالفة والفرقة وحد ما بين الرحمة والسطوة وهو ادنى
منال الجاهل من عباد الرحمن ومنال المتعدي من المعتدي وكان سلام المسلم للجاهل مداراة لئلا
يزيد في جهله عليه او ارتقابا لاستقبال مكنة وكان الله لا يعبأ بالخلق ولا يحتاج لارتقاب مكنة لانه
لا يعجزه شي فلم يتحقق السلام بكل معنى من وجود السلامة وافاضتها على غيره تماما الا منه اعفاء مع
استحقاق السطوة وحفيظة لحرمة اختصاص الرحمة اتبع ذلك مؤمنا للعاصي من المعاجلة وللمطيع
من سوء المعاملة قوله **السلام** لانه حد ما بينهما ظاهرا ولذلك اردفه بما يتعلق بالباطن لتحصل
احاطة السلامة ظاهرا وباطنا فقال **المؤمن** لان الامن حد ما بين المحبة والكره فمن لا وسيلة له
للحب وهو ادنى ما يقبله ذو الحق ممن يستحق منه الحب ولذلك لم يقبل بذل الحق ممن كان ظاهر الوسيلة
للحب الا بالحب فلم يثبت ايمان المؤمن بمجرد الايمان حتى الله بل ايثار المحبته على كل حب وما وراه لاجنه
المؤمن فيما يحب لنفسه وادناه الامنة في الغيب من الغيبة والعيب الى غاية الايمان من بوايق الغشم
والظلم من الجار المستحق حفظ جاره في غيبه فالاخلال بالايمان لكونه الامنة بالغيب نفاق والاخلال
بالاسلام لكونه السلم في المواجهة اجرام فما ذي اخلال في جانب الحق او الخلق ينثلم الاسلام والايمان
وذلك كله انما هو في الحقيقة من الله تعالى فهو الذي يعزى اليه الامن والامان بافادة اسبابه
ومنع اسباب المخاوف فلا امن في الوجود ولا امان الا وهو مستفاد من جهته **ولما** كان الاطلاع
على ما بين ما ذكر لتحقق معنى السلم والامن وعلى كل من تلك الحدود خفيا جدا يفتقر الى مزيد علم قال
المهيمن فان الهيمنة شهادة خبرة واحاطة وابصار لكلية ظاهر الامر وباطنه بحيث لا تخفى منه خافية
هوتية ولا بادية ولاحاطة معناه لا يكاد يقع له في الخلق مسوغ اطلاق الا بمسامحة لان الخلق لا يشهدون
الا الظواهر وما يشهدون من البواطن ولذلك انبهم معناه على كثير من فصحا العرب فمفهوم معناه موجب
توحيده فواضح ان لا مهيمن بمعنى انه شهيد على الوجه المشروح مع الامانة المامونة والحفظ والرعاية
فيكون قايما على كل شي بكل ما له من رزق وعمل واجل الا هو ولذلك كان القران الذي هو صفته سبحانه
مهيمنا على جميع الكتب التي قبله مصدقا لما يستحق التصديق منها مكذبا لما يستحق التكذيب فمن كان به
امهر كان بذلك اعلم **ولما** كان تمام الخبرة ملزوما لتمام القدرة صرح بهذا اللازم فقال **العزيز**
والعزة غلبة لا يجد معها المغلوب وجه مدافعة ولا انفلات ولا اعجاز فالعزيز الذي صعب على
طالبه ادراكه مع افتقار كل شي اليه في كل لحظة الشديد في انتقامه الذي لا معجز له في انفاذ احكامه
ولذلك ينظم كثيرا بايات امضا الاحكام متصلا بالحكمة والعلم انبا عن العدل قال الغزالي وهو الذي

يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه **ولما** كان المغلوب على الشي فيوخذ من يده
قد لا ينقاد باطنا فلا يباشر ما غلب عليه للغالب وقد لا يكون العز ظاهرا لكل احد اردفه بقوله **الجبار** وهو
العظيم الذي يفوت المقاوم مناله فهو على هذا من اسما الذات ويصلح امور من يريد من الخلق ويقهرهم على
ما يريد فهم احقر من ان يعصوه طرفة عين بغير ارادته والجبر طول يلجي الادنى لما يريد منه الاعلى ويغيب
من الاعلى ما يحاول مناله منه الادنى مع الظهور التام الذي تذور ومادته عليه فالجبار لا يخرج شي عن
قبضته وتقصر الايدي عن حمى عز حضرته ولا ينال منه الا ما نوّل وهو ابعد شي عن اوصاف الخلق لمنال
الذباب منهم ما شا وعجزهم ولما فيه من الالجا كان هو الاسم الذي يلجي النار لقصرها على مراده منها من
الحسب الذي جبلها على ضده من الاستزادة فلا تزال تقول ما جبلت عليه هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها
قدمه اي يقهرها فان القدم موضع الاهانة وهذه الاهانة هي مبدا ظهور غلبة الرحمة للغضب فله
الملك ظهورا بالايدي الظاهرة من الانسان وما دونه وله الملك بطونا بالايدي الباطنة من الملك
وما دونه وله الملك بطونا بالايدي الباطنة من الملك الجبروت اختصاصا من ورا كل ملك وملكوت
ولما كان الالجا قد يكون ملاطفة اتبعه قوله **المتكبر** ليعم الالجا الظاهر والباطن فالكبر يا جملة
بادي امر الله وظاهر خلقه الذي يجد الخلق صغرهم من دونه وكبره عليهم وامتناعه عما لا يريد من مرادهم
لان الكل حقيرون بالاضافة الى جلاله وعز جبروته وعظمته وكماله ولسوا الخلق في عام حصر القدرة
عليهم الصغر فلا يصح منهم كبر ولا شرع لهم تكبر فلم يكن للخلق منه حقيقة حظ ولا لبس حق فاختص بهذا
الاسم لاستيلائه على الظواهر باظهار ما له من الكبر لعدم الحاجة الى شي وبالجا غيره الى الاحتياج اليه
والايقاع بجبابرتهم واذلالهم وغير ذلك من الامور المزعجة المرهبة من غير مبالاة بشي كما اختص بالجبار
لاستيلائه على البواطن **ولما** تقرر بما ذكر من مظاهر عظمته استيلاوه على الظواهر والبواطن باللطف
انتج ذلك تعاليه عن شوب نقص لا سيما بالشرك فقال سبحانه **سبحان الله** اي تنزه الملك الاعلى الذي
اختص بجميع صفات الكمال تنزها لا تدرك العقول منه اكثر من انه علا عن اوصاف الخلق فلا يدانيه شي
من نقص **عما يشركون** اي من هذه المخلوقات من الاصنام وغيرها مما في الارض او في السما من كبير
وصغير جليل وحقير **ولما** تم دليل الوحدانية بما حصل من التفهيم بالتدلي الى الملك ثم بالتعلي الى
التكبر فانتج هذه الخاتمة ابتدا سبحانه دليلا اخر هو في غاية التنزل والوضوح فقال مفتتحا بما افتتح
به الاول من الترتيب في المراتب الثلاث غيب الغيب ثم الغيب ثم الظهور على مراتبه اعلاما بانه لا براح
عن الايمان بالغيب ومن برح عنه هلك **هو** اي الذي لا شي يستحق ان يطلق عليه هذا الضمير غيره لان
وجوده من ذاته ولا شي غيره الا وهو ممكن فهو اهل لان لا يكون فلا يكون له ظهور ليكون له بطون **ولما**
ابتدا بهذا الغيب المحض الذي هو اظهر الاشيا اخبر عنه باشهر الاشيا الذي لم تقع فيه شركة بوجه
فقال **الله** اي الذي ليس له سمي فلا كفو له فهو المعبود بالحق فلا شريك له بوجه **ولما** بداه
سبحانه بهذا الدليل الجامع بين الغيب والظهور شي بتنزل متضمن للعلم والقدرة وهو في غاية الظهور
فقال **الخالق** اي الذي لا خالق على الحقيقة الا هو لان الخلق فرض حد وقدر في مطلق منه لم يكن بعد
حد كالحاذي يخلق اي يقدر في الجلد حدا وقدرا الفعل ونحوه وهو سابق للفري والبري ونحوه سبق
العلم العمل فالخالق حقيقة هو الذي كل شي عنده بمقدار الذي يقول يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد
خلق وان من شي الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم ومن ناشية القدر الفرق والترتيب ومن
ناشية الفرق والترتيب الاحيا والاماتة ومن معاد الفرق والاحيا والاماتة على اول امره الجمع والرب
فلا يملك الخلق والفرق الا من يملك الجمع والرب وقد اوتي الخلق ملكة ما في الفرق والشتات ولم يملكوا

جمع ما فرقوا ولا إلف ما شتتوا كالقاطع عضوا لا يقدر على لامه والهادم بنا لا يقدر على رمه على حد
والكاسر شيا لا يقدر على وصله فلان الخلق لا يحيطون بتقدير ما يشرعون في قدرهم ولا يقدرون بعد الفرق
والفري على رمه ووصله كان المحيط التقدير في الشي من جميع جهاته وجملة حدوده القادر على جمع ما
فرق الذي كما بدا اول خلق يعيد هو احسن الخالقين وتلاح تحت هذا اللبس في اطلاق اسم الخالق على الخلق
للحق ذي الحول والقوة والقدرة والاحاطة والابدا والاعادة وعلى الخالق من الخلق المقدر بغير احاطة
علم ولا تاصيل حول ولا قدرة ولا اتمام ابدا ولا حظ من اعادة انه لا خالق الا الله كما انه لا معبود لنا ابدا
الا الله وان لبس اطلاق هذا الاسم على الخلق مبدا فتنته التي يضل بها من يشا ويهدي من يشا وتحقيق افراد
الخلق لله فيما يظهر على ايدي اهل الملك والملكوت واحاطة جبروته بما ظهر وما بطن من اعمالهم وصنايعهم
هو اول مجمع من مجامع التوحيد وهو اساس لايمان امة محمد صلى الله عليه وسلم حيث فرض عليهم في الفاتحة
اياك نعبد واياك نستعين فهم خير امة اخرجت للناس حيث اخلصوا الدين لله ولموقع الشرك فيه كانت القدرية
مجوس هذه الامة **ولما** كان الخالق الحق هو من اتقن التقدير والبري وان كان اغلب الخلق لقصورهم
لا يفهمون منه الا مطلق التقدير كما قال شاعرهم ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
اردفه تنبيها على ذلك ونصا وتاكيدا قوله **البارئ** اي الذي يدقق ما وقع به التقدير ويقطعه ويصلحه
لقبول الصورة على انتحال فان كان من المحيط العلم كان تمام التهيو للصورة على كمال المشية فيها وان
كان ممن لا يحيط اي الذي يدقق ما وقع به التقدير ويقطعه ويصلحه لقبول الصورة على انتحال علما طراله
في البري من النقص عن التمام ما لا يمكن معه حصول المقصود في الصورة ولا يكاد يقع الاحسان للخلق في مصنو
الا وفاقا لا يعلمون كنهه ولا يثقون بحصوله **ولما** كان من يهيئ الامور للتصوير قد لا يتقنه قال **المصور**
فان التصوير اتمام تفصيل الخلق الظاهر واكمال تخطيطه واحكام اعضايه وهو حد ما انتهي اليه الخلق في
الظهور وليس وراء التصور كون الا لطايف تطويرها في اسنان كمالها بعد بعثها باحيايها بما لها من الروح المقوم
لها سوا كان حيوانيا او غيره الى غاية كمالها الذي يعطيه المصور لها افضالا ومزيدا ويظهره ابداعا ويتضح
الفرق جدا بين الاسما الثلاثة بالبنا فانه يحتاج اولا الى مقدر يقدر ما لا بد منه من الحجر واللبن والخشب
والحديد ومساحة الارض وعدد الابنية وطولها وعرضها وهذا يتولاه المهندس فيرسمه وهو الخلق ثم
يحتاج الى حجار ينحت الحجارة ويهييها لتصلح لمواضعها التي تكون فيها من الابواب واوساط الجدر واطرافها
وزواياها وغير ذلك وكذا الخشاب والحداد في الخشب والحديد وهو البري ثم ياخذ الكل البنا فيضعها
مواضعها الى ان تقوم صورتها التي رسمها المهندس اولا وقدرها ولا تقوم الصورة بالحق الا اذا كانت محكمة
بحسب الطاقة كما ان البنا يضع الحجارة اولا ثم يحمل الخشب فوقها لا بالاتفاق بل بالحكمة ولو قلب ذلك لم
يثبت الصورة ولم يكن لها الاسم الا على اقل وجوه الضعف فكل من كان احكم كان تصويره اعظم ولذلك لا
مصور الا الله قال الرازي في اللوامع والتصوير موجود في كل اجزا العالم وان صغر حتى في الذرة والنملة
بل في كل عضو من اعضا النملة بل الكلام يطول في طبقات العين وعددها وهياتها وشكلها ومقاديرها
والوانها ووجه الحكمة فيها فمن لم يعرف صورتها لم يعرف مصورها الا بالاسم المجمل وهكذا القول في كل صورة
لكل حيوان ونبات بل لكل جز من نبات وحيوان **ولما** علم من هذا لا بد وان يكون المصور بالغ الحكمة اردفه
بقوله **له** اي خاصة **الاسما الحسنى** اي من الحكيم وغيره مما لا يتم التصوير الا به ولا تدرك كونه اتم حق ادراكه
ولما اخبر سبحانه اول السورة ان الكاينات اوجدت تسبيحه خضوعا لعزته وحكمته ودل على ذلك بما
تقدم الى ان اسمعه للاذان الواعية بالاسما الحسنى دل على دوام اتصافه بذلك لمن يحتاج لماله من النقص
من الخلق الى التذكير معبرا بالمضارع فقال **يسبح** اي يكرر التنزيه الاعظم من كل شايبة نقص على سبيل التجديد

والاستمرار

والاستمرار **له** اي على وجه التخصيص بما افهمه قصر المتعدي وتعديته باللام **ما في السموات** **ولما** كان
هذا المنزه الذي استجلى التنزيه من الاسما الحسنى قد اشرقت انفاسه ولطفت اقطاره واغراسه حتى صار علويا
فراي الارض عالية كالسما لما شاركها به في الدلالة على تمام كماله فجعلها معها لانه الى تاكيد كالشي الواحد
بالسقاط والصقها بها الاحة الى ذلك فقال **والارض** فمن تامل الوجود مجملا ومفصلا علم تسبيح ذلك كله بنعوت
الكمال واوصاف الجلال والجمال **وهو** اي والحال انه وحده **العزيز** اي الذي يغلب كل شي ولا يغلبه شي
ولا يوجد له مثل ويعز الوصول اليه وتشتد الحاجة اليه **ولما** كان من يكون بهذه الصفة لا يتم امره
ويثبت كل ما يريده الا ان كان على قانون الحكمة قال **الحكيم** من الحكمة وهي اتقان الحكم وانهاؤه الى حد لا يمكن
نقضه والحكم قال الحرالي المنع عما يترامى اليه المحكوم اياله عليه وحمله على ما يمتنع منه نظرا له ففي ظاهره الجهد
وفي باطنه الرفق وفي عاجله الكره وفي اجله الرضى والروح فموقعه في الابدان المداواة تداووا عباد الله
فان الذي انزل الدا انزل الدوا وموقعه في الاديان التزام الاحكام والصبر والمصابرة على مجاهدة الاعمال
وجهاد الاعدا ظاهرا من عدو الدين والبغي وباطنا من عدو النفس اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك
ومن بعض الاهل والولد عدو والشيطان عدو ويجري من ابن ادم مجرى الدم ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا فالحمل على جميع انواع الصبر والمصابرة ظاهرا بالاياله العالية هو الحكم والعلم بالامر الذي
لاجله وجب الحكم من قوام امر عاجلته وحسن العقبى في اجلته هي الحكمة فالحكم مباح التعليم للناس عامة بل واجب
ان يعلم كل امر من الاحكام ما يخصه وان يندب طايفة لعلم ما يعم جميع الناس فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة
ليتفقهوا في الدين والحكمة التي هي العلم بما لاجله وجب الحكم مشروطة التعليم بالتزكية هو الذي بعث في الاميين
رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فما يعلمهم الحكمة الا بعد التزكية
فمن تزكى فهو من اهلها ومن لم يتزك فليس من اهلها فالحكمة تحلي مرارة جهد العمل بالاحكام فييسر بها ما يعسر
دونها والحكم ضيق الامر للنفس كما ان السجن ضيق للخلق للبدن والحكمة توطئة محل ضيق الحكم لانها تخرج وتود
الى سعة الواسع ولا يتم الحكم ولا تستوي الحكمة الا بحسب سعة العلم **ولما** لم يكن للخلق من العلم الا بقدر ما
يهبهم الله لم يكن من الحكمة الا مقدار ما يورثهم ولقد اتينا لقمان الحكمة **ولما** كان انما العلم عند الله كان
انما الحكمة حكمة الله وانما الحكم حكم الله فهو الحكيم الذي لا حكيم الا هو انتهى وقد علم سر اتباع الاسما الشريفة
من غير عطف وذاك انه لما ابتدا بهو واخبر عنه بالاسم العلم الاعظم المفرد المصون الجامع لجميع معاني الاسما
الحسنى اتبعه تلك الاوصاف العلى من غير عطف اعلاما بانه لا شي منها يؤدي جميع معناه بالمفهوم المتعارف
عند اهل اللغة ولذلك جمع بعدها الاسما اشارة الى انه لا يجمع معناه الا جميع الاوصاف المنزلة في كتبه
والماخوذة عن اوليايه والتي استاثر بها في غيبه وليس شي مما ذكر منها هنا مضادا في المعنى الظاهري
للاخر كالاول والاخر حتى يظن لاجله نقص في المعنى بسبب ترك العطف واما ترتيبها هكذا فلان كل اسم منها كالمفضي
شارح لما خفي من الذي قبله ومبين للازمه وموضح لما لاح انه من مضمونه وقد انعطف على افتتاحها ختامها
وعانق ابتداها تمامها ووفى بمطلعها مقطعها وزاد وبلغ الغاية من الارشاد الى سبل الرشاد فسبحان من
انزله رحمة للعباد وهاديا الى الصواب والسداد

مقصودها براءة من اقر بالايمان ممن اتسم بالعدوان دلالة على صحة مدعاه كما ان الكفار تبراوا من
المؤمنين وكذبوا بما جاءهم من الحق ليلا يكونوا على باطلهم احرص من المؤمنين على حقهم وتسميتها بالممتحنة
اوضح شي فيها وادله على ذلك لان الضمير اعظم الوصل واشرفها بعد الدين فاذا نفي ومنع دل على اعظم المقاطعة

لدلالته على الامتهان بسبب المكفرات الذي هو اقبح العصيان **بسم الله** الكافي من لجا اليه فمن تولاه اغناه عمن سواه **الرحمن** الذي عم بنعمة الايجاد من فلق عن وجوده العدم وبراه وشمل برحمة البيان من خاطبه بالعقل ورعاه **الرحيم** الذي خص بالتوفيق من احبه وارتضاه لما كان التاديب عقب الانعام جديرا بالقبول وكان قد اجرى سبحانه سنته الالهية بذلك ناداب عباده المؤمنين عقب سورة الفتح السببي بسورة الحجرات وكانت سورة الحشر مذكرة بالنعمة في فتح بني النضير ومعلمة بانه لاولي الا الله ولذلك ختمها بصفتي العزة والحكمة بعد ان افتتحها بهما وثبت ان من الحكمة حشر الخلق وان اولياء الله هم المفلحون وان اعداءهم الخاسرون وكان الحب في الله والبغض في الله افضل الاعمال واوثق عرى الايمان ولذلك ذم سبحانه من والى اعداءه وناصرهم وسماهم مع التكلم بكلمة الاسلام منافقين انتج ذلك قطعا وجوب البراءة من اعدائه والاقبال على خدمته وولايته فقال معيدا للتاديب عقب سورة الفتح على اهل الكتاب بسورة جامعة تتعلق بالفتح الاعظم والفتح السببي **يايها الذين امنوا** مناديا باداة البعد وان كان من نزلت بسببه من اهل القرب ومعبرا بالماضي اقامة لمن والى الكفار نوع موالاة في ذلك المحل الهابا له وتهييجا الى الترفع عنه لئلا يقدح في خصوصيته ويحط من على رتبته مع التلطف به في التسمية له بالايمان حيث شهد سبحانه على من فعل نحو فعله مع بني النضير بالنفاق واحله محل اهل الشقاق وختم على القلوب في الموضعين فقال هناك الذين نافقوا كما قال هنا الذين امنوا ولما كان قد تقدم في المجادلة النهي الشديد عن اظهار مطلق الموادة للكفار وفي الحشر الزجر العظيم عن ابطان ذلك فتكفلت السورتان بالمنع من مصاحبة ودهم ظاهرا او باطنا بكث هنا من اتصف بالايمان وفرعه ووبخه في موادتهم والتكلف لتحصيلها فان ذلك قادح في اعتقاد توحيده سبحانه بالعزة والحكمة فعبر لذلك بصيغة الافتعال فقال بعد التبكيت بالندا باداة البعد والتعبير بادني اسنان الايمان **لا تتخذوا** وزاد في ذلك المعنى من وجهين التعبير بما منه العداوة تجرية عليهم وتنفيرا منهم والتوحيد لما يطلق على الجمع لئلا يظن ان المنهي عليه يقيد الاجتماع والاشارة الى انهم في العداوة على قلب واحد فاهل الحق اولى بان يكونوا كذلك في الولاية فقال **عدوي** اي وانتم تدعون موالاتي ومن المشهور ان مصادق العدو ادني مصادقه لا يكون وليا فكيف بما هو فوق الادنى وهو مفعول من عداه وابلغ في الايقاظ بقوله **وعدوكم** اي العريق في عداوتكم مادمتم على مخالفته في الدين ولما وحد لاجل ما تقدم من الاشارة الى اتحاد الكلمة بين ان المراد الجمع فقال **اولياء** ثم استانف بيان هذا الاتخاذ بقوله مشيرا الى غاية الاسراع والمبادرة الى ذلك بالتعبير بقوله **تلقون** اي جميع ما هو في حوزتكم مما لا يطمعون فيه القاء الشيء الثقيل من علو **اليهم** على بعدهم منكم حسا ومعنى **بالمودة** اي بسببها ولما توقع السامع التصريح بمضادتهم في الوصف الذي ناداهم به بعد التلويح اليه قال ملهبا ومهيجا الى عداوتهم بالتذكير بمخالفتهم اياهم في الاعتقاد المستلزم لاستصغارهم لانه اشد المخالفة **وقد** اي والحال انهم قد **كفروا** اي غطوا جميع ما لكم من الادلة **بما** اي بسبب ما **جاءكم من الحق** اي الامر الثابت الكامل في الثبات الذي لا شيء اعظم ثباتا منه ثم استانف بيان كفرهم بما يبعد عن مطلق موادتهم فضلا عن السعي فيها بقوله مذكرا لهم بالحال الماضية زيادة في التنفير منهم ومصورا لها بما يدل على الاصرار **يخرجون الرسول** اي الكامل في الرسلية الذي يجب على كل احد عداوة من عاداه ادني عداوة ولو كان اقرب الناس فكيف اذا كان عدوا وبين ان المخاطب من اول السورة من المهاجرين وان ايراده على وجه الجمع للستر والتعميم في النهي بقوله **واياكم** اي من دياركم من مكة المشرفة ولما بين كفرهم معبرا بالمضارع اشارة الى دوام اذاهم لمن امن المقتضي لخروجه عن وطنه علل الاخراج بما تحقق معنى الكفر والعداوة فقال **ان** اي اخرجوكم من اوطانكم لاجل ان **تؤمنوا** اي توقعوا حقيقة الايمان مع التجديد والاستمرار ولما كان الايمان به

سبحانه

سبحانه مستحقا من وجهين الذات والوصف لفت الخطاب من التكلم الى الغيبة للتنبيه عليهما فقال **بالله** اي الذي اختص بجميع صفات الكمال ولما عبر بما ابان انه مستحق للايمان لذاته اردفه بما يقتضي وجوب ذلك لاحسانه فقال **ربكم** ولما الهبهم على مباينتهم له بما فعلوا معهم وانقضى ما اريد من التنبيه بسياق الغيبة عاد الى التكلم اشد تحببا واعظم استعطافا وادل على الرضى فالهبهم بما كان من جانبهم من ذلك الفعل ان لا يضيعوه فقال معلما ان ولايته سبحانه لا تصح الا بالايمان ولا تثبت الا بدلائله من الاعمال ولا تصح الاعمال الا بالاخلاص ولا يكون الاخلاص الا بمباينة الاعدا **ان كنتم** اي كونا راسخا حين اخرجوكم عن اوطانكم لاجل ايمانكم بي **خرجتم** اي منها وهي احب البلاد اليكم **جهادا** اي لاجل الجهاد **في سبيلي** اي بسبب ارادتكم تسهيل طريقي التي شرعتها لعبادي ان يسلكوها **وابتغا مرضاتي** اي ولاجل تطلبكم باعظم الرغبة لرضاي ولكل فعل يكون موضعا له وجواب هذا الشرط محذوف لدلالة لا تتخذوا عليه ولما فرغ من بيان حال العدو وشرط الخلاص لولي وكان التقدير فلا تتخذوهم اولياء بني عليه قوله مبينا التلقي اعلاما بان الاسرار الى الجاحد بما فيه نفعه لا يكون الا توددا **تسرون** اي توجدون اسرار جميع ما يدل على مناصحتهم والتودد اليهم واشار الى بعدهم عنهم بقوله **اليهم** اعلاما في التوبيخ بالاشارة الى انهم يتجشمون في ذلك مشقتين الابلاغ الاخبار التي يريد النبي صلى الله عليه وسلم وهو المؤيد بالوحي كتمها عنهم على وجه الاسرار خوف الافتضاح والابلاغ الى المكان البعيد **بالمودة** اي بسببها او بسبب الاعلام بايجاد ارادتها او يلزم منها المودة ولما كان المراد بالاسرار الستر على من يكره ذلك قال مبكتا لمن يفعله **وانا** اي والحال اني **اعلم** اي من كل احد حتى من نفس الفاعل **بما اخفيتم** اي من ذلك **وما اعلنتم** فاي فائدة لاسراركم ان كنتم تعلمون اني عالم به وان كنتم تتوهمون اني لا اعلمه فهي القاصمة ولما كان التقدير بما هدى اليه العاطف فمن فعل منكم هذا فقد ظن اني لا اعلم الغيب او فعل ما يقتضي ظن ذلك عطف عليه قوله **ومن يفعله** اي يوجد الاتخاذ سرا او علنا او يوجد الاسرار بالمودة فالاعلان اولى في وقت من الاوقات ماض او حال او استقبال ولما كان المحب قد يفعل بسبب الادلال ما يستحق به التبكيت فاذا بكت ظن ان ذلك ليس على حقيقته لان محبته لا يضرها شيء وكان قد ستر المعاتب بان اخرج الكلام مخرج العموم بان هذا العتاب مراد به الاحباب فقال **منكم** وحقق الامر وقربه بقوله **فقد ضل** اي عمي ومال واخطا **سواء السبيل** اي قويم الطريق الواسع الموصل الى القصد قويمه وعدله وسبب نزول هذه الايات روي من وجوه كثيرة فبعضه في الصحيح عن علي ومنه في الطبراني عن انس ومنه في التفاسير ان سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هشام بن عبد مناف اتت المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فسالها ما اقدمها فقالت ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة وكنتم الاهل والعشيرة والموالي فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب فاعطوها وكسوها وحملوها فكتب معها حاطب ابن ابي بلتعة حليف بني اسد بن عبد العزى من حاطب ابن ابي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم واعطاها عشرة دنانير فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر وعليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوا منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فانطلقوا تعادي بهم خيلهم فادركوها في ذلك المكان فانكرت وحلفت بالله ففتشوها فلم يجدوه فهموا بالرجوع فقال علي رضي الله عنه ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب او لالقين الثياب ولاضربن عنقك فقالت على ان لا تردوني ثم اخرجته من عقاصها وقد لفت عليه شعرها فخلوا سبيلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حاطب هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك علي هذا فقال لا تعجل يا رسول الله والله ما كفرت منذ اسلمت
ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يدفع الله
به عن عشيرته وكنت غريبا حليفا وكان اهلي بين ظهرانيهم فاردت ان اتخذ عندهم يدا يدفع الله بها عن اهلي
وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم باسه وان كتابي لا يغني عنهم شيا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم صدق
ولا تقولوا له الا خيرا فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع علي اهل بدر فقال اعملوا ما شيتم
فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي الله عنه وقال الله ورسوله اعلم فانزل الله تعالي يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الايات • وقال الامام ابو جعفر بن الزبير افتتحت يعني هذه السورة بوصية المومنين علي موالاة
اعدايهم ونهيهم عن ذلك وامرهم بالتبري منهم وهو المعني الوارد في قوله خاتمة المجادلة لا تجد قوما يومنون
بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباهم او ابناهم الي اخر السورة وقد حصل
منها ان اسني احوال اهل الايمان واعالي مناصبهم اوليك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه فوصي
عباده في افتتاح الممتحنة بالتنزه عن موالاة الاعدا ووعظهم بقصة ابراهيم عليه السلام والذين معه في تبريهم
من قومهم ومعاداتهم والاتصال في هذا بين وكانت سورة الحشر وردت مورد الاعتراض المقصود بها تمهيد
الكلام وتمهيد السامع علي ما به تمام الفايدة لما ذكر ان شان المومنين انهم لا يوادون من حاد الله ورسوله
ولو كانوا اقرب الناس اليهم اعترض بتنزيههم عن مرتكبا تهم ثم اتبع ذلك ما عجله لهم من النقمة والنكال
ثم عاد الامر الي النهي عن موالاة الاعدا جملة ثم لما كان اول سورة الممتحنة انما نزل في حاطب ابن ابي بلتعة
رضي الله عنه وكتابه لكفار قريش بمكة والقصة مشهورة وكفار مكة ليسوا من يهود وطلب المعاد اولجميع
واحد فلهذا فصل بما هو من تمام الاخبار بحال يهود وحينيذ عاد الكلام الي الوصية عن نظايرهم من
الكفار المعاندين والتحمت السور الثلاث وكثر في سورة الممتحنة ترداد الوصايا والعهود وطلب الوفا
بذلك كله ولهذه المناسبة ذكر فيها الحكم في بيعة النسا وما يشترط عليهن في ذلك فمبني السورة علي
طلب الوفا افتتاحا واختتاما حسب ما بين في التعبير لينزه المومن عن حال ما قدم ذكره في سورة الحشر
وفي خاتمة سورة المجادلة انتهي • ولما كان ما بينه تعالي من اخراجهم لهم موضحا لعداوتهم وكان
طول كفهم عن قصدهم بالاذي من سنة الاحزاب سنة خمس الي سنة ثمان ربما شكك في امرها وكان سبحانه
قد اعز المومنين بعد ذلهم وقواهم بعد وهنهم وضعفهم وثقفهم بعد جهلهم بين ضلال معتقد ذلك بان
كف الكفار انما هو لعجزهم وانه لو حصل لهم ما هو للمسلمين الان من القوة لبادروا الي اظهار العداوة مع
ان ذلك في نصر الشيطان فاوليا الرحمن اولي باتباع ما اتاهم من الايمان فقال مبينا لبقا عداوتهم ان
يثقفوكم اي يجدوكم في وقت من الاوقات ومكان من الاماكن وهم يطمعون في اخذكم بكونهم اقوي
منكم او اعرف بشي مما يتوسل به الي الغلبة واشار باداة الشك الي ان وجدانهم وهم علي صفة الثقافة
مما لا تحقق له وانما هو علي سبيل الفرض والتقدير وانه مما علم سبحانه انه لو كان كيف كان يكون مع انه مما
لا يكون ونبه علي عراقتهم في العداوة بالتعبير بالكون فقال يكونوا لكم اي خاصة اعدا اي يعدون الي
اذاكم كل عدو يمكنهم وان وادد تموهم ولما كانت العداوة قد تكون باغرا الغير عرف انهم لشدة غيظهم
لا يقتصرون علي ذلك فقال ويبسطوا اليكم اي خاصة وان كان هناك في ذلك الوقت من غيركم من قتل
اعز الناس عليهم ايديهم اي بالضرب ان استطاعوا والسنتهم اي بالشتم مضمومة الي فعل ايديهم فعل
من ضاق صدره بما تجرع من اخر من الغصص حتي اوجب له غاية السفه بالسوء اي بكل ما من شانه ان
يسو ولما كان اعدي الاعدا لك من تمني ان يفوتك اعز الاشيا لديك وكان اعز الاشيا عند كل احد

جنتهم قال تعالي ثمما للبيان وودوا اي وقعت منهم هذه الودادة قبل هذا لان مصيبة الدين اعظم فيهم اليها
اسرع لان داب العدو القصد الي اعظم ضرر يراه لعدوه وعبر بما يفهم التمني الذي يكون في المحال
ليكون المعني انهم احبوا ذلك غاية الحب وتمنوه وفيه بشري بانه من قبيل المحال لو تكفرون اي يقع
منكم الكفر الموجب للهلاك الدايم وقدم الاول لانه ابين في العداوة وان كان الثاني انكا • ولما
كانت عداوتهم معروفة وانما غطاها محبة القرابات لان الحب للشي يعمي ويصم فخطا رايهم في موالاتهم
بما اعلمهم به من حالهم وزهدهم فيهم بما يرجع الي حال من والوهم لاجلهم بما تورثه من الشقا الدايم يوم البعث
فقال مبينا نفا اعلاما بانها خطا علي كل حال لن تنفعكم اي بوجه من الوجوه ارحامكم اي قراباتكم الحاملة
لكم علي رحمتهم والعطف عليهم ولا اولادكم الذين هم اخص ارحامكم ان واليتم اعدا الله لاجلهم فينبغي ان لا
تعدوا قربهم منكم بوجه اصلا ثم علل ذلك وبينه بقوله يوم القيمة اي القيام الاعظم • ولما كان النا
للتفخيم وقوع الفصل لا كونه من فاصل معين قال بانيا للمفعول علي قراة ابي عمرو ونافع وابن كثير وابي جعفر
وابن عامر من اكثر طرقه الا انه شدد الصاد للمبالغة للفصل يفصل اي يوقع الفصل وهو الفرقة العظيمة
بانقطاع جميع الاسباب بينكم اي ايها الناس فيدخل من اهل طاعته الجنة ومن شا من اهل معصيته النار
فلا ينفع احد احدا منكم بشي من الاشيا الا ان كان قد اتي الله بقلب سليم فباذن الله في اكرامه بذلك ولما
كان التقدير اعلاما بان الله هو الفاصل وهو القادر النافع بما دلت عليه قراة الباقين الا ان حمزة
والكساي بضم اليا وفتح الفا وكسر الصاد مشددة اشارة الي عظمة هذا الفصل بخروجه عن المالوف
نعود الي الاسم الاعظم اشارة الي عظم الامر بانتشار الخلايق واعمالهم فالله علي ذلك قدير عطف عليه
قوله والله اي الذي له الاحاطة التامة بما تعملون اي من كل عمل في كل وقت بصير فيجازيكم عليه
في الدنيا والاخرة وقد مضي غير مرة ان تقديم الجار في مثل هذا للتنبيه علي مزيد الاعتنا بعلم ذلك لا
علي الاختصاص ولا لاجل الفواصل ولما ابلغ في وعظهم سبحانه في ذلك وكانت عادته التربية
بالماضين كان موضع توقع ذلك فقال معبرا باداة التوقع قد كانت اي وجدت وجودا تاما وكان تانيث
الفعل اشارة الي الرضي بها ولو كانت علي ادني الوجوه لكم اي ايها المومنون اسوة اي موضع اقتدا
وتاسية وتسنن وتشرع وطريقة مرضية حسنة يرغب فيها في ابراهيم اي في قول ابي الانبيا والذين
معه اي ممن كان قبله من الانبيا قاله القشيري وممن امن به في زمانه كابن اخيه لوط عليه السلام وهم
قدوة اهل الجهاد والهجرة اذ اي حين قالوا وقد كان من امن به اقل منكم واضعف لقومهم الكفرة وقد كانوا
اكثر من عدوكم واقوي وكان لهم فيهم ارحام وقرابات ولهم فيهم رجا بالقيام والمحاولات ولما كان ما
ذكر من ضعفهم وقوة قومهم مبعدا لان يبادروهم الكدوا قولهم فقالوا انا اي من غير وقفة ولا شك برآا
اي متبرون تبرية عظيمة منكم وان كنتم اقرب الناس الينا ولا ناصر لنا منهم غيركم ولما تبراوا منهم اتبعوه
ما هو اعظم عندهم منهم وهو سبب العداوة فقالوا ومما تعبدون اي توجدون عبادته في وقت من
الاوقات الماضية المفيد التعبير عنها بالمضارع تصوير الحال او الحاضرة او الاتية كاينا من كان لا نخاف
شيا من ذلك لان الهنا الذي قاطعنا كل شي في الانقطاع اليه لا يقاويه شي ولا تقدرون انتم مع اشراككم
به علي البراة منه ولما كانوا مشركين قالوا مستثنين ومبينين لسفول كل شي متعالي رتبة معبودهم
من دون الله اي الملك الاعظم الذي هو كاف لكل مهم ولما كانت البراة علي انحا كثيرة بينوا انها
براة الدين الجامعة لكل براة فقالوا كفرنا بكم اي اوجدنا الستر لكل ما ينبغي ستره حال كوننا مكذبين بكل ما
يكون من جهتكم من دين وغيره الذي يلزم منه الايمان وهو ايقاع الامان من التكذيب لم يخبرنا بسبب
كل ما يضاده مصدقين بذلك المضاد ولما كان المومن علي جبلة مضادة لجبلة الكافر عبر بما يفهم ان العداوة

كانت موجودة ولكنها كانت مستورة فقال دالا على قوتها بتذكير الفعل وبدا اي ظهر ظهورا عظيما وعلى شدة عظمتها بالدلالة بنزع الخافض على انها شاملة لجميع النسبين فقال بيننا وبينكم اي في جميع الحد الفاصل بين كل واحد منا وكل واحد منكم العداوة وهي المباينة في الافعال بان يعدو كل على الآخر ولا يكون ذلك الا عن غيظ ما يستخف الغيظ الانسان لارادة ان يشفي صدره من شدة ما حصل له من حرارة الحنق فالعداوة مما يعتد فتكون مالية لظرفها قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في تلويحه على توضيح صدر الشريعة في اوائله في علاقات المجازات المجاز الفعل المنسوب الى ظرف الزمان بواسطة تقدير في دون ذكره يقتضي كون الظرف معيارا له غير زايد عليه مثل صمت الشهر يدل على صوم جميع ايامه بخلاف صمت في الشهر فاذا امتد الفعل امتد الظرف ليكون معيارا له فيصح حمل اليوم في نحو سرت يوم كذا على حقيقته وهو ما يمتد من الطلوع الى الغروب واذا لم يمتد الفعل يعني مثل وقوع الطلاق لم يمتد الظرف لان الممتد لا يكون معيارا لغير الممتد فحينئذ لا يصح حمل اليوم على النهار الممتد بل يجب ان يكون مجازا عن جزء من الزمان لا يعتبر في العرف ممتدا وهو الآن سوا كان من النهار او من الليل بدليل قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره فان التولي عن الزحف حرام ليلا كان او نهارا ولان مطلق الآن جزء من الآن اليومي وهو جزء من اليوم فيكون مطلق الآن جزا من اليوم فتتحقق العلاقة ولما كان ذلك قد يكون لغير البغض بل للتاديب ونحوه قال والبغضا اي وهي المباينة بالقلوب بالبغض العظيم ولما كان ذلك قد يكون سريع الزوال قالوا ابدا ولما كان ذلك موئسا من صلاح الحال وكان قد يكون لحظ نفس بينوا غايته على وجه عرفت به علته بقولهم حتى تؤمنوا اي توقعوا الامان من التكذيب لمن امركم بالايمان واخبركم عن الرحمن حال كونكم مصدقين ومعترفين بالله اي الملك الذي له الكمال كله ولما كانوا يؤمنون به مع الاشراك قالوا وحده اي تكونوا مكذبين بكل ما يعبد من دونه ولما حث سبحانه المخاطبين على التاسي بقول ابراهيم ومن معه في ذلك الوقت عليهم السلام استثنى منه فقال تاسيا لمن نزلت القصة بسببه واستعطافا له وهو حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه الا قول ابراهيم اي فلا تاسي لكم به لابيه واعدا له قبل يتبين له انه ثابت العداوة لله تعالى لكونه مطبوعا على قلبه فلا صلاح له بقال ان اباه وعده انه يؤمن فاستغفر له فلما تبين له انه لا يؤمن تبرا منه لاستغفرن اي لاوجدن طلب الغفران من الله لك فان هذا الاستغفار لكافر فلا ينبغي لهم ان يتاسوا به فيه مطابقا غير ناظرين الى علم انه مطبوع على قلبه او في حيز الرجوع ولما وعده بالاستغفار ترهيبا له ورهبة لئلا يترك السعي في النجاة بما معناه انه ليس في يدي غير الاستغفار فقال وما املك لك اي لكونك كافرا من الله اي لانه الملك الاعلى المحيط بنعوت الجلال واغرق في النفي بقوله من شي والاستثنا وقع على هذا القول بعيد الاجماع ولا يلزم منه التعرض للاجزا فلا تكون هذه الجملة على حيالها مستثناة لان النبي صلى الله عليه وسلم واضحاه انزل الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين كان يقول لكل من سماه لا املك لك من الله شيا حتى قال في آخر ذلك يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شيت لا اغني عنك من الله شيا ولما حثهم على التاسي بقول الخلص وقدم منهم المجافاة لانها المقصودة واستثنى ما لا ينبغي التاسي فيه اعتراضا به بين اجزا مقالهم بيانا للاهتمام للتنفير من قوله اتم ما يوتسى فيه فقال مبينا انهم ما اقدموا على مجافاتهم بما قال الا وقد قدروا جميع ما يفعلونه ورضوا بهودون مواداتهم وانقطعوا الى الله وحده انقطاعا تاما يفعل بهم ما يشا من تسليطهم عليهم او حمايتهم منهم لكنهم سالوا الحماية لا لذاتها ولا لانفسهم بل لئلا يزيد ذلك اعداهم ضلالا ربنا اي ايها المحسن الينا بتخليصك لنا من الهلاك باتباعهم عليك اي لا على غيرك توكلنا اي فعلنا في جميع امورنا معك فعل من يحملها على قوي ليكفيه امرها لانا نعلم انك تكفي اذا شيت كل مهم وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وقد عادينا فيك قوما عتاة اقويا ونحن ضعفا ورضينا بكل ما يحصل لنا منهم غير

انهم فيك هي اوسع لنا ولما كان الذي ينبغي لكل احد وان كان محسنا ان يعد نفسه مقصرا نازلا عن رتبه لان العظيم جلاله لا يقدر احد ان يقدره حق قدره وان يعزم على الاجتهاد في العبادة قالوا مخبرين بذلك عازمين ذلك العزم رجوعا واليك انبنا اي رجعنا بجميع ظواهرنا وبواطننا ولما كان المعنى تعليلا فانه منك المبدا عطف عليه قوله واليك اي وحدك المصير ولما اخبروا باسلامهم له سبحانه وعللوه بما اقتضى الاحاطة فاقتضى مجموع ذلك الثنا الاتم فلزم منه الطلب صرحوا به فقالوا داعين باسقاط الاداة للدلالة على غاية قربه سبحانه بما له من الاحاطة ربنا اي ايها المربي لنا والمحسن الينا لا تجعلنا باضعافنا والتسليط علينا فتنة اي موضع اختبار للذين كفروا بان يعذبونا بعذاب يميلنا عما نحن عليه ويمنعهم عما وصلوا اليه بسبب اسلامنا من الزلزال بما يوجب ذلك لهم من اعتقاد انك لو كنت راضيا بديننا فكنا على الحق وكانوا هم على الباطل ما امكنت منا فيزيدهم ذلك طغيانا منهم انهم على الحق وانا على الباطل ولما كان راس مال المسلم الاعظم الاعتراف بالتقصير وان بلغ النهاية في الجاهد فان الاله في غاية العظمة والعبد في نهاية الضعف فبلوغه ما يحق له سبحانه لا يمكن بوجه قال واغفر لنا اي استر ما عجزنا فيه وامح عينه واثره ولما طلبوا منه الحياطة من جميع الجوانب عللوه زيادة في التضرع والخضوع واستنجاز المطلوب مكررين صفة الاحسان زيادة في الترقق والاستعطاف بقولهم ربنا اي ايها المحسن الينا واكدوا اعلاما بشدة رغبتهم في حسن الثنا عليه سبحانه واعترافا بانهم قد يفعلون ما فيه شي من تقصير فيكون مثل افعال من لا يعرفه سبحانه فقالوا انك انت اي وحدك لا غيرك العزيز الذي يغلب كل شي ولا يغلبه شي الحكيم الذي يضع الاشيا في اوفق محالها فلا يستطاع نقضها ومن كان كذلك فهو حقيق بان يعطي من امله فوق ما طلب ولما اتم ما حثهم على التاسي فيه بذكر اعظم ابايهم لان دواعي الانسان الى المداراة عما يخاف عليه من اقاربه واله وجميع احواله عظيمة جدا ان كان المدارا اعظيما لاسيما ان كان قد تقدم له صداقة وبه الفة فكان جديرا بعد الوعظ والتاسية ان تبقى عنده بقايا ولاسيما والناس متفاوتون منهم من يرده ايسر وعظ ومنهم من يحتاج الى اكثر من ذلك اعاد التاسية تاكيدا لها على وجه بلغ الذروة من جمال الترغيب وجلال الترهيب وليكون فيها اتم دلالة على ما بينهما من قول ابراهيم عليه السلام المامور بالتاسي به من الدعا وغيره الا ما استثني لتشتد الرغبة فيه فقال مصدرا بما دل على القسم اشارة الى ان من فعل غير هذا كان فعله فعل منكر لحسن هذا التاسي وكذلك ذكر الفعل الذي انثه في الاول لقد كان لكم اي ايها الذين ادعوا الايمان وقدم الظرف بيانا للاهتمام به فقال فيهم اي ابراهيم ومن معه اسوة حسنة وابدل من لكم ما هو الفيصل في الدلالة على الباطن فقال مشيرا الى ان من لم يتاس بهم في هذا لم يكن راجيا لما ذكر لمن كان اي جبل على انه يرجوا الله اي الملك المحيط بجميع صفات الكمال فهو ذو الجلال الذي يجير ولا يجار عليه والاكرام الذي هو جدير بان يعطي جميع ما سيله واليوم الآخر الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير ولا يخفى فيه خافيه فمن لم يتاس بهم كان تركه للتاسي دليلا على سو عقيدته فلا يلومن الا نفسه فقد اذن لامام المسلمين ان عثر عليه في عقوبته فان علم الغيب الذي اعلمناه لنبينا صلى الله عليه وسلم بان حاطبا رضي الله عنه صحيح العقيدة غير متاهل للعقوبة منقطع بموته صلى الله عليه وسلم ولا يبقى الا ما نصبناه من الشعاير واقمناه من الدلايل ولما كان التقدير فمن اقبل على هذا التاسي لكونه يرجوا الله واليوم الاخر فلم يخلد الى الدنيا يتولاه الله فان الله رحيم ودود عطف عليه قوله ومن يتول اي يوقع الاعراض عن اوامر الله تعالى في كل وقت من الاوقات مطلقا لكونه اخلد الى الدنيا ولم يرج اليوم الاخر اعرض الله عنه واشار بصيغة التفعل الى ان ذلك لا يقع الا بمعالجة للفطرة الاولى والكدلان فاعل ذلك

كالمنكر لمضمون الكلام فقال فإن الله اي الذي له الإحاطة الكاملة هو اي خاصة الغني اي عن كل شي
الحميد اي الذي له الحمد المحيط لإحاطته باوصاف الكمال في حال الطاعة له والمعصية فإن العاصي عبد
لارادته كما ان المطيع عبد لامره وارادته ولطفه فلا يخرج شي عن مراده وكل شي خاضع لحكمه وقد بين
الاية ادب العشرة بما الهبت وهيجت على المفارقة للعصاة والتبري منهم حسا ومعنى واظهار ذلك لهم قولا
وفعلا الى ان تحصل التوبة ومن لم يفعل ذلك كان شريكا في الفعل فيكون شريكا في الجزا كما ورد ثم لا يمنعه
ذلك ان يكون اكيله وجليسه فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على السنة الانبيا ومن فعل ما امر
الله به كان فعله جديرا بان يكون مسبب الوصلة والقرب والمودة والاية من الاحتباك ذكر الرجا اولا
دليلا على ضده ثانيا والتولي ثانيا دليلا على ضده اولا وسره انه ذكر سبب السعادة ترغيبا وسبب
الشقاوة ترهيبا ولما امرهم وعظهم بما هو الانفع والاقرب الى صلاحهم ففعلوا وكان ذلك شاقا لما جبل
عليه البشر من حب ذوي الارحام والعطف عليهم فتشوف النفوس الى تخفيف بنوع من الانواع اتبعه
الترجية فيما قصده حاطب رضي الله عنه بغير الطريق الذي توصل به فقال على عادة الملوك في الرمز الى ما
يريدونه فيقنع الموعود به بل يكون ذلك الرمز عنده اعظم من البت من غيرهم لما لهم من العظمة التي تقتضي
النزاهة عما يلم بشائبة نقص وذلك اعظم في الايمان بالغيب لان الموعود لا يزال بين خوف ورجا وايا
لمن كانه يقول كيف يكون الخلاص من مثل هذه الواقعة وقد بنيت يرب هذه الدار على حكمة الاسباب
عسى الله اي انتم جديرون بان تطمعوا في الملك المحيط بكل شي قدرة وعلما ان يجعل باسباب لا تعلمونها
بينكم وبين اي في جميع الحد الفاصل بين المجموعين او بين كل شخصين من الجمعين الذين عاديتم
بالمخالفة في الدين منهم اي من هولا الذين عادوكم بما تقدم باعيانهم من اهل مكة مودة وقد
جعل ذلك عام الفتح تحقيقا لما رجاه سبحانه واجرى سنته الالهية بان من عاديته فيه جعل عاقبة
ذلك الى ولاية عظيمة ومن تهاونت في مقاطعته فيه سبحانه اقامه لك ضدا ولما كان التقدير
فالله بكم رفيق عطف عليه تذكيرا لهم سبحانه من العظمة قوله والله اي الذي له كمال الاحاطة قدير
اي بالغ القدرة على كل ما يريد فهو يقدر على تقليب القلوب وتيسير العسير فلما تم الرجا لم يبق الا
كدر الذنب فاتبعه تطييبا للقلوب مما نزلت هذه الايات بسببه قوله والله اي الذي له جميع صفات
الكمال غفور اي محا لاعيان الذنوب واثارها رحيم يكرم الخاطئين اذا اراد بالتوبة ثم بالجزاء
غاية الاكرام قال الرازي في اللوامع كان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل ابا سفيان رضي الله عنه
على بعض اليمن فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اقبل فلقي ذا الخمار مرتدا فقاتله فكان اول من قاتل
على الردة فتلك المودة بعد المعاداة ولما تم الوعظ والتاسية وتطييب النفوس بالترجية وكان
وصف الكفار بالاخراج لهم من ديارهم يحتمل ان يكون بالقوة فيعم ويحتمل ان يكون بالفعل فيخص اهل
مكة او من باشر الاذى الذي تسبب عنه الخروج منهم بين ذلك بقوله موذنا بالاشارة الى الاقتصاد
في الولاية والعداوة كما قال صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما
ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما لا ينهاكم الله اي الذي اختص بالجلال
والاكرام عن الذين لم يقاتلوكم اي بالفعل في الدين اي بحيث تكونون مظروفين له ليس شي من احوالكم
خارجا عنه فاخرج ذلك القتال بسبب حق دنيوي لا تعلق له بالدين واخرج من لم يقاتل اصلا
كخزاعة والنسا ومن ذلك اهل الذمة بل الاحسان اليهم من محاسن الاخلاق ومعالي الشيم لانهم حيز
ولما كان الذين لم يقاتلوا كذلك ربما كانوا قد ساعدوا على الاخراج قال ولم يخرجوكم وقيد
بقوله من دياركم ولما كان قد وسع لهم سبحانه بالتعميم في ازالة النهي خص بقوله مبدلا من الذين

اي

اي لا ينهاكم عن ان تبروهم بنوع من انواع البر الظاهرة فان ذلك غير صريح في قصد الموادة
وتقسطوا اي تعدلوا العدل الذي هو في غاية الاعتدال بان تزيلوا القسط الذي هو الجور وبين ان
المعنى موصلين لذلك الاقساط اليهم اشارة الى ان فعل الاقساط ضمن الايصال والى ان ذلك لا يضرهم
وان تكلفوا الارسال اليهم من البعد بما اذن فيه فان ذلك من الرفق والله يحب الرفق في جميع الامور ويعطي
عليه ما لا يعطي على الخرق ثم علل ذلك بقوله موكدا دفعا لظن من يرى اذى الكفار بكل طريق ان الله اي
الذي له الكمال كله يحب اي يفعل فعل المحب مع المقسطين اي الذين يزيلون الجور ويوقعون العدل
ولما علم الحال من هذا ومما في اول السورة اتبعه التصريح بما افاده مجموعا احسن جمع مصورا احسن
تصوير فقال انما ينهاكم الله اي الذي له الاحاطة الكاملة علما وقدرة عن الذين قاتلوكم
متعمدين لقتالكم كائنين في الدين اي ليس شي من ذلك خارجا عنه لتكون العداوة في الله واخرجوكم
من دياركم اي بانفسهم لبغضكم وظاهروا اي عاونوا غيرهم على اخراجكم ولما تناول هذا
المقصودين صريحا وكان النهي الذي موضعه الافعال قد علق باعيانهم تاكيدا له عرف بالمقصود بقوله
انما ينهاكم عن المذكورين في ان تولوهم اي تكلفوا فطركم الاولى ان تفعلوا معهم جميع ما يفعله القريب
الشفيق فتصرحوا بانهم اولياوكم وتناصروهم ولو كان ذلك على ادنى الوجوه بما اشار اليه اسقاط
التا ولما كان التقدير فمن اطاع فاولئك هم المفلحون عطف عليه قوله ومن يتولهم اي يكلف
نفسه الحمل على غير ما تدعو اليه الفطرة الاولى من المنابذة واطلق ولم يقيد بمنكم ليعم المهاجرين وغيرهم
فاولئك اي الذين ابعدوا عن العدل هم اي خاصة العريقون في انهم الظالمون اي العريقون في
ايقاع الاشيا في غير مواضعها كمن يمشي في ماخذ الاشتقاق بسبب هذا التولي ولما كان نزول هذه
الايات الماضية في الفتح الاعظم حين قصد النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثمان المسير بجنود الله الى مكة
المشرفة لدخولها عليهم بالسيف حين نقضوا بقتالهم لخزاعة الذين كانوا قد تحيزوا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فكانوا في عقده وعهده في صلح الحديبية الذي كان سنة ست على وضع الحرب بينهم وبين
النبي صلى الله عليه وسلم ومن دخل في عقده وكان من ذلك الصلح ان من جا الى النبي صلى الله عليه
وسلم من قريش ومن دخل في صلحهم رده اليهم وان كان مسلما ومن جاهم ممن كان مع النبي صلى الله
عليه وسلم لم يردوه اليه بحيث قام من ذلك وقعد كثير من الصحابة رضي الله عنهم من اعظمهم عمر رضي الله
عنه حتى سكنه الصديق رضي الله عنه بما وقر في صدره من الحكم ورد اليهم صلى الله عليه وسلم ابا بصير
رضي الله عنه وكان رده اليهم للوفا بالعهد سبب التصديق لقوله صلى الله عليه وسلم من جانا منهم
فرددناه اليهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وقصته في ذلك كله مشهورة وكانت من من صيغ العموم
وكانت دلالة العام قطعية في الحكم على الافراد ظنية كما قال الشافعي رحمه الله في الدلالة على جزئي
من تلك الافراد بخصوصه حيث لا قرينة لان تلك الصيغ ترد تارة على عمومها وتارة يراد بها بعض الافراد
فتكون من العام الذي اريد به الخصوص وتارة يقع فيها التخصيص فتكون من العام المخصوص نظرها
الاحتمال فاحتاجت ما دلت عليه من الظاهر الى قرينة وكان دخول النسا تحت لفظ من في صلح الحديبية
اما عريا عن القرينة او ان قرينة القتال الذي وقع الصلح عليه وبسببه صارفة عنه وكذا قرينة
التعبير عنهن بما دون من في كثير من الكتاب العزيز فانكحوا ما طاب لكم من النسا او ما ملكت ايمانكم
ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا والمحصنات من النسا الا ما ملكت ايمانكم واحل لكم ما ورا ذلكم فما استمتعتم
به منهن فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانكم وكان قد ختم سبحانه
هذه الايات التي ادب بها في غزوة الفتح بما ابان به ما لا يخرج عن الصلح في عمرة الحديبية مما هو اقرب الى

الخير من البر والعدل ونهي عن تولي الكفار وكانت المصاهرة والمناكحة من اعظم التولي وصل بذلك
ما لا يخرج عنه ولا يخل بالعهد في ان من جا من الكفار الي النبي صلي الله عليه وسلم رده اليهم وان كان
مسلما فقال مخاطبا لادني اسنان اهل الايمان الذين يحتاجون الي التفهيم واما من هو اعلي منهم فهو عالم
بذلك مؤتمر به بما آتاه الله من الفهم وانار به قلبه الشريف من فنون العلم ليكفوا النبي صلي الله عليه وسلم
معترمات البيعة لهن **يا ايها الذين آمنوا** اي اقروا بالايمان وهو ايقاع الامان من التكذيب لمن يخبرهم
بما ينبغي التصديق به بسبب تصديقهم بالله ولما كان في علمه سبحانه انه ياتيهم نسا يهربن بدينهن الي
الله بشرهم بذلك بالتعبير باداة التحقق فقال **اذا** اي صدقوا ما ادعيتموه من الايمان بانه في اي زمان
جاكم ولما كان لا يهجر داره وعشيرته لا سيما ان كانوا اقارب بسبب كفرهم الا من رسخ في الايمان قدمه
ذكرا كان او انثي قال **المومنات** اي النسا اللاتي صار وصف الايمان لهن صفة راسخة بدلالة الهجرة
عليه **مهاجرات** للكفار ولارضهم **فامتحنوهن** اي اختبروهن تاكيدا لما دلت عليه الهجرة من الايمان بالتحليف
بانهن ما خرجن لحدث احدثنه ولا بغضا في زوج ولا رغبة في عشير ولا خرجن الا حبا لله ولرسوله ورغبة
في دين الاسلام قال الامام شهاب الدين بن النقيب في العمدة من مختصره للكفاية لفقيه المذهب نجم الدين
احمد بن الرفعة في شرح التنبيه واختلف قول الشافعي هل كان النبي صلي الله عليه وسلم شرط لقريش في
الصلح رد النسا ففي قول لم يشرطه بل اطلق رد من جاه فتوهموا تناول النسا وكان صلي الله عليه وسلم عالما
بعدم دخولهن فاطلق ذلك خديعة يعني ومن شرعه ان الحرب خدعة وفي قول شملهن الشرط لكن هل
شرطه صريحا او دخلن في الاطلاق فيه وجهان اظهرهما الثاني وهل كان شرط ردهن جايزا فيه وجهان
احدهما نعم ثم نسخ وهل الناسخ الاية المذكورة ام منع النبي صلي الله عليه وسلم من الرد فيه وجهان مبنيان
علي انه هل يجوز نسخ السنة بالقران وفيه قولان عن الشافعي ومختاره منهما المنع وهو الجديد وكذا لا يجوز
عنده وعند اصحابه نسخ الكتاب بالسنة وان كانت متواترة انتهي ومعناه انه لم يقع فان وقع نسخها بالقران
كان معه سنة وان وقع نسخه بالسنة كان معها قران وهو معني قول السبكي في جمع الجوامع قال الشافعي
وحيث وقع بالسنة فمعها قران او بالقران فمعه سنة عاضدة تبين توافق الكتاب والسنة ولما كان
الاختبار ربما دل علي ايمانهن لا يعلم الايه نفي ذلك بقوله مستانفا في جواب من يقول اليس الله بعالم
بذلك ومفيدا ان علمكم الذي تصلون اليه بالامتحان ليس بعلم وانما سماه به ايذانا بان الظن الغالب في
حكمه بالاجتهاد والقياس قايم مقام العلم مخرج من عهده ولا تقف ما ليس لك به علم **الله** اي المحيط بكل شي قدرة
وعلما **اعلم** اي منكم ومنهن انفسهن **بايمانهن** هل هو كاين او لا علي وجه الرسوخ او لا فانه محيط بما غاب
كاحاطته بما شهد وانما وكل الامر اليكم في ذلك سترا للناس وليلا تكون شهادته لاحد بالايمان او الكفر
موصلة الي عين اليقين فيخرج من مبني هذه الدار قال القشيري وفي الجملة الامتحان طريق الي المعرفة وجوهر
النفس تتبين بالتجربة ومن اقدم علي شي من غير تجربة يحتسي كاس الندم **فان علمتموهن** اي العلم الممكن لكم
وهو الظن المؤكد بالامارات الظاهرة بالحلف وغيره **مؤمنات** اي مخلصات في الهجرة لاجل الايمان والتعبير
بذلك للايذان بمزيد الاحتياط ولما ذكر هذا الامتحان بين انه علة لحمايتهن والدفع عنهن فاتبعه
مسببه فقال **فلا ترجعوهن** اي بوجه من الوجوه **الي الكفار** وان كانوا ازواجا ومن الدليل علي ان هذا
ظاهر في المراد وان القراين موضحة له انه صلي الله عليه وسلم لما ابي ان يرد اليهم من جاه من النسا لم
يعب احد من الكفار ذلك ولا نسب الي عمل صلي الله عليه وسلم وحاشاه خللا ولولا ان ذلك كذلك لملاوا
الارض تشغيبا كما فعلوا في سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه الي نخلة التي نزل بسببها يسلونك عن الشهر
الحرام الايات علي ان الاخبار الصحيحة وغيرها ناطقة بان هذه الاية نزلت في الحديبية قبل ان ينفصل الامر غاية

الانفصال وبستقر روي البخاري في المغازي من صحيحه والبغوي من طريقه وهذا لفظه عن مروان
والمسور بن مخرمة عن اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم قالوا كاتب سهيل بن عمرو فكان مما اشترط علي النبي صلي
الله عليه وسلم انه لا ياتيك منا احد وان كان علي دينك الا رددته الينا فكاتبه النبي صلي الله عليه وسلم
علي ذلك فرد يوميذ ابا جندل الي ابيه سهيل بن عمرو ولم ياته احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان
مسلما وجا المومنات مهاجرات وكانت ام كلثوم بنت عقبة ابن ابي معيط ممن خرج الي رسول الله صلي الله عليه
وسلم وهي عاتق فجا اهلها يسلون النبي صلي الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها اليهم لما انزل الله فيهن
اذا جاكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن وقال البغوي قال ابن عباس رضي الله عنه اقبل رسول الله
صلي الله عليه وسلم معتمرا حتي اذا كان بالحديبية صالحوا مشركوا مكة علي ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم
فجات سبيعة بنت الحرث مسلمة بعد الفراغ من الكتاب فاقبل زوجها وكان كافرا فقال يا محمد اردد علي
امراتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فانزل الله عز وجل يا ايها الذين
امنوا اذا جاكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها ان تستحلف ما هاجرت لبغض زوج
ولا عشقا لرجل من المسلمين ولا رغبة عن ارض ولا لحدث احدثته ولا التماس الدنيا وما خرجت الا رغبة
في الاسلام وحبا لله ورسوله صلي الله عليه وسلم علي ذلك فحلفت فلم يردها فاعطي زوجها مهرها وما انفق
عليها فتزوجها عمر رضي الله عنه وكان يرد من جا من الرجال ويحبس من جا من النسا بعد الامتحان ويعطي
ازواجهن مهورهن ودعوي النسخ ليست بشي الا ان تؤول بانه لما كان من العام الذي اريد به الخصوص
بان ان بعض ما تناوله ظاهر اللفظ من الحكم مرفوع وذلك بان الله لا يامر بخلاف الوعد فكيف بنقض
العهد ولما نهي عن رد المهاجرات والمشركين وعبر بالكفار تعميما علل ذلك بقوله مقررا ما حكم به
تشريفا لهن لهجرتهن **لا هن** اي الازواج **حل** اي موضع حل ثابت **لهم** اي للكفار باستمتاع ولا غيره
ولما كان نفي الحل الثابت غير مانع من تجدد حل الرجال لهن ولو علي تقدير من التقادير وفرض من
الفروض قال مفيدا لذلك ومؤكدا بقطع العلاقة من كل جانب **ولا هم** اي رجال الكفار **يحلون** اي
يتجدد في وقت من الاوقات ان يحلوا **لهن** اي للمومنات حتي لو تصور ان يكون رجالهن نسا وهن ذكورا
ما حلوا لهن بخلاف اهل الكتاب وكذا تنفك الملازمة في مسلة المظاهر والايلا فيحل للمراة ان تستمتع
به اذا كان نايما مثلا واما هو فيحرم عليه ذلك قبل التكفير وقال البيضاوي الاولي لحصول الفرقة
والثانية للمنع من الاستيناف انتهي فنفت هذه الجملة الفعلية من وجه تجدد الحل للنسا فانتجت الجملتان
عدم الحرج فيما كان قبل ذلك تطييبا لقلوب المومنات **ولما** نهي عن الرد وعلله امر بما قدم من الاقساط
اليهم فقال **وآتوهم** اي الازواج **ما انفقوا** اي عليهن من المهور فان المهر في نظير اصل العشرة ودوامها
وقد فوتتها المهاجرة فلا يجمع عليه خسران الزوجة والمالية واما الكسوة والنفقة فانها لما يتجدد من
الزمان **ولما** جزم بتابيد منعهن عن الكفار اباحهن للمسلمين فقال علي وجه الرفق واللطف **ولا جناح**
اي ميل وحرج **عليكم** ايها المشرفون بالخطاب **ان تنكحوهن** اي تجددوا زواجكم بهن بعد الاستبرا وان
كان ازواجهن من الكفار لم يطلقوهن لزوال العلق منهم عنهن لان الاسلام فرق بينهم فانه لن يجعل
الله للكافرين علي المؤمنين سبيلا **ولما** كان قد امر برد مهور الكفار فكان ربما ظن انه مغن عن تجديد
مهر لهن اذا نكحهن المسلم نفي ذلك بقوله **اذا آتيتموهن** اي لاجل النكاح **اجورهن** ولما قطع ما بين
الكفار والمسلمات مع الاعراض عن الكفار لعصيانهم قطع ما بين المؤمنين والكافرات مع الاقبال عليهم
لطاعتهم رفعا لشانهم فقال **ولا** ولما كان امساك المراة مع عداوتها لمخالفتها في الدين دليلا علي
غاية الرغبة فيها دل علي ذلك اشارة الي التوبيخ بالتضعيف في قراة البصريين فقال **تمسكوا** اي بعد

التصريح بالطلاق بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما يديم علقة النكاح واسألوا أي أيها المؤمنون
الذين ذهبت ازواجهم الى الكفار ما أنفقتم اي من مهور نسائكم اللاتي اعتصمن عنكم بهم او فررن
اليهم ولما امر برد مهور المومنات الي الكفار واذن للمومنين في المطالبة بمهور ازواجهم
اذن للكفار في مثل ذلك ايقاعا للقسط بين عباده مسلمهم وكافرهم معبرا بالامر مع الغيبة اعلاما
بشدة كراهته سبحانه للظلم وانه يستوي فيه الكافر مع عداوته بالمومن مع ولايته وليسألوا أي
الكفار ما أنفقوا اي من مهور ازواجهم اللاتي اسلمن واعتصمن بكم عنهم وهل هذا الحكم باق قال قوم
نعم وقال عطا ومجاهد وقتادة نسخ فلا نعطي الكفار شيا ولو شرطنا الاعطا ولما كان هذا حكما
عدلا لا يفعله مع عدوه ووليه الا حكيم قال مشيرا الي مدحه ترغيبا فيه مشيرا باسم الجمع الي
العموم ذلكم اي الحكم الذي ذكر في هذه الايات البعيد بعلو الرتبة عن كل سفيه حكم الله اي
الملك الذي له صفات الكمال فلا ينبغي لشايبة نقص ان تلحقه ولما كان هذا مما يتمدح به
ويعظم عنه تقدير فواته قال مستانفا مبشرا بادامة تجديد امثاله لهم يحكم اي الله او حكمه علي سبيل
المبالغة ودل علي استغراق الحكم لجميع ما يعرض بين العباد وانه لم يهمل سبحانه شيا منه باعرا الجار
من قوله بينكم اي في هذا الوقت وفي غيره علي هذا المنهاج البديع وذلك لاجل الهدنة التي كانت
وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم واما قبل الحديبية فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك
النسا ولا يرد الصداق ولما كان التقدير فالله حكم عدل قال والله اي الذي له الاحاطة
التامة عليم اي بالغ العلم لا يخفى عليه شي حكيم اي فهو لتمام علمه يحكم كل اموره غاية الاحكام
فلا يستطيع احد نقض شي منها ولما كان المظنون بالكفار عدم العدل فلا يعطون المؤمنين مهور
نسائهم الكافرات قال مداويا لذلك الدا وإن فاتكم اي بالانفلات منكم بعد الهجرة او بادامة الاقامة
في بلاد الحرب شيء اي قل او كثر من أزواجكم اي من انفسهن او مهورهن إلى اي متحيزا او واصلا الي
الكفار فعجزتم عنه فعاقبتم اي تمكنتم من المعاقبة بان فات الكفار شي من ازواجهم بالهجرة اليكم
او غنمتم من اموال الكفار فجاءت نوبة ظفركم باداء المهر الي اخوانكم طاعة وعدلا عقب نوبتهم التي
اقتطعوا فيها ما انفقتم عصيانا وظلما فآتوا اي فاحضروا واعطوا من مهر المهاجرة الذين ذهبت أزواجهم
اي منكم ان اختاروا الاخذ مثل ما أنفقوا علي الكافرة الفايتة الى الكفار مما غنمتم من اموالهم او بان
تدفعوا اليهم مثل مهور ازواجهم مما كنتم تعطوه لازواج المهاجرات فيكون ذلك جزاء وقصاصا لما
فعل الكفار ولما كان التحري في مثل ذلك عسرا علي الناس فان المهور تتفاوت تارة وتتساوي
اخري وتارة تكون نقودا وتارة تكون عروضا الي غير ذلك من الاحوال مع ان المعامل عدو
في الدين فلا يحمل علي العدل فيه الا خالص التقوي قال واتقوا اي في الاعطا والمنع وغير ذلك الله
الذي له صفات الكمال وقد امركم بالتخلق بصفاته علي قدر ما تطيقون ثم وصفه بما يوكد صعوبة
الامر ويحث علي العدل فقال ملهبا لهم كل الالهاب هازا لهم بالوصف بالرسوخ في الايمان الذي
أنتم به اي خاصة مؤمنون اي متمكنون في رتبة الايمان ولما خاطب سبحانه المؤمنين الذين
هم موضع الذب والحماية والنصرة بما وطن به المؤمنات في دار الهجرة فوقع الامتحان وعرف الايمان
امر النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحكم بايمانهن بمبايعتهن فقال يا أيها النبي مخاطبا له بالوصف
المقتضي للعلم ودل علي تحقق كون ما يخبر به من مجيئهن باداة التحقق علما من اعلام النبوة فقال إذا
جاءك المؤمنات جعل اقبالهن عليه صلى الله عليه وسلم لا سيما مع الهجرة مصححا لاطلاق الوصف عليهن
يبايعنك اي كل واحدة منهن تبايع على أن لا يشركن اي يوقعن الاشراك لاحد من الموجودات في

وقت من الاوقات بالله اي الملك الذي لا كفؤ له شيئا أي من الاشراك علي الاطلاق ولما كان
الشرك بذلا لحق الملك لمن لا يستحقه اتبعه اخذ مال المالك بغير حق لاقتضا الحال لذلك بتمكن المراة
من اختلاس مال الزوج وعسر تحفظه منها فقال ولا يسرقن أي يأخذن مال الغير بغير استحقاق
في خفية واتبع ذلك بذل لحق الغير لغير اهله فقال ولا يزنين اي يمكن احدا من وطئهن بغير
عقد صحيح ولما كان الزنا قد يكون سببا في ايجاد او اعدام نسمة بغير حقها اتبعه اعدامه
نسمة بغير حقه فقال ولا يقتلن اولادهن اي بالوأد كما تقدم في النحل وسوا في ذلك كونه
من زنا او لا ولما ذكر اعدام نسمة بغير وجه اتبعه ما يشمل ايجاد نسمة بغير حل فقال مقبحا له
علي سبيل الكناية عنه بالبهتان وما معه بالتصوير له بلوازمه وآثاره لان استحضار القبيح وتصور
صورته ازجر عنه فقال ولا يأتين ببهتان اي ولد من غير الزوج يبهت من الحاقه به حيره في نفيه
عنه يفترينه اي يتعمدن كذبه وحقق المراد به وصوره بقوله بين أيديهن اي بالحمل في البطون
وأرجلهن أي بالوضع من الفروج ولان عادة الولد مع انه يسقط بين يدي امه ورجليها ان يمشي
امامها وهذا شامل لما كان من شبهة او لقطة ولما حقق هذه الكباير تعظيما لامرها لعسر الاحتراز
منها واكد النهي عن الزنا مطابقة والتزاما لما يجر اليه من الشرور والقتل فما دونه وغلظ امر النسب
لئلا يتفرع عليه من ايقاع الشبهات وانتهاك الحرمات عمم في النهي فقال ولا يعصينك اي علي حال من
الاحوال في معروف اي فرد كان منه صغيرا كان او كبيرا وفي ذكره مع العلم بانه صلى الله عليه وسلم
لا يأمر الا به اشعار بانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقدم المنهيات علي المامورات المستفادة
من المعروف لان التخلي عن الرذايل مقدم علي التحلي بالفضايل لان درء المفاسد اولي من جلب المصالح
فبايعهن اي التزم لهن بما وعدت علي ذلك من اعطا الثواب لمن وفت منهن في نظير ما التزمن انفسهن
من الطاعة ولما كان الانسان محل النقصان لا سيما النسوان رجاهن سبحانه بقوله واستغفر
اي اسأل لهن الله اي الملك الاعظم ذا الجلال والاكرام في الغفران ان وقع منهن تقصير وهو واقع لانه
لا يقدر احد علي ان يقدر الله حق قدره ولما كانت عظمته سبحانه مانعة لعظم الهيبة من سؤاله
قاطع به علله بقوله معيدا الاسم الاعظم لئلا يظن باضماره بقيد حيثية الهجرة من النسا ونحو ذلك موكدا
لما طبع الادمي عليه من انه لا يكاد يترك المسي من عقاب او عتاب فضلا عن التفضل بزيادة الاكرام إن
الله اي الذي له صفات الكمال فلو ان الناس لا يذنبون لجا بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم
لتظهر صفة اكرامه غفور اي بالغ الستر للذنوب عينا واثرا رحيم اي بالغ الاكرام بعد الغفران فضلا
منه واحسانا وقد حقق سبحانه ذلك وصدق ومن اصدق من الله قيلا فاقبل النسا للبيعة عامة ثاني
يوم الفتح علي الصفا بعد ما فرغ صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال فنزلت هذه الاية وهو علي الصفا
فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة متنقبة
متنكرة مع النسا خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فلما ذكر الشرك قالت والله انك لتأخذ
علينا امرا ما رايناك اخذته علي الرجال وبايع الرجال يوميذ علي الاسلام والجهاد فقط فقال ولا يسرقن
فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فلا ادري أيحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما
اصبت من شي فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال وانك لهند
بنت عتبة قالت نعم فاعف عني ما سلف عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني الحرة فقال ولا
يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا وانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة ابن ابي سفيان
قتل يوم بدر فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر البهتان

وهو ان تقذف ولدا على زوجها ليس منه قالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تدعونا الا الى الرشد
ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك فقالت ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شي
وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة لا تحل له وكانت اسما بنت زينب بن السكن
في المبايعات فقالت يا رسول الله ابسط يدك نبايعك فقال اني لا اصافح النسا لكن آخذ عليهن وعن
الشعبي انه صلى الله عليه وسلم دعا بقدح من ما فغمس يده فيه ثم غمسن ايديهن فيه وعن النبي صلى الله
عليه وسلم لقنهن في المبايعة فيما استطعتن واطقتن فقالت الله ورسوله ارحم بنا من انفسنا
ولما ذكر ما امر به نبيه صلى الله عليه وسلم في المبايعات بعد ان ذكر الذين آمنوا اصلا في امتحان
المهاجرات فعلم من ذلك ان تولي النساء مع انه لا ضرر فيهن بقتال ونحوه لا يسوغ الا بعد العلم
بايمانهن وكان الختم بصفتي الغفر والرحمة ربما جرأ على محاباة المؤمنين لبعض الكفار من ازواج او
غيرهم لقرابة او غيرها لعله يبديها الزوج او غير ذلك من الامور كرر سبحانه الامر بالبراءة من كل
عدو ردا لآخر السورة على اولها تاكيدا للاعراض عنهم وتنفيرا من توليهم كما افهمته اية المبايعة واية
الامتحان فقال ملذذا لهم بالاقبال بالخطاب كما فعل اولها لذلك للعتاب **يا ايها الذين آمنوا**
ولما كان الميل عن الطريق الاقوم على خلاف ما تامر به الفطر الاولى فلا يكون الا معالجة عبر
بالتفعل كما عبر اول السورة بالافتعال فقال **لا تتولوا** اي تعالجوا انفسكم ان تلوا **قوما** اي ناسا
لهم قوة على ما يحاولونه فغيرهم من باب الاولى **غضب الله** اي اوقع الملك الاعلى الغضب **عليهم**
لاقبالهم على ما احاط بهم من الخطايا فهو عام في كل من اتصف بذلك يتناول اليهود تناولا اوليا
ولما كان السامع لهذا يتوقع بيان سبب الغضب قال معللا ومبينا انه لا خير فيهم يرجى
وان ظهر خلاف ذلك **قد يئسوا** اي تحققوا عدم الرجا **من الآخرة** اي من ان ينالهم منها خيرا
ما لاحاطة معاصيهم بهم او لعدم اعتقادهم لقيامها ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
فيوشك من والاهم ان يكتسب منهم فيحل به الغضب **كما يئس** من نيل الخير منها **الكفار** ولما كان
من مات فصار اهلا للدفن كشف له عن احوال القيمة فعرف انه ناج او هالك وكان الموتى اعم
من الكفار وموتى الكفار اعم من ان يدفن منهم قال **من اصحاب القبور** فان الكفار منهم قد
علموا ياسهم من حصول الخير منها علما قطعيا ويجوز ان يكون من ابتدائية فيكون المعنى كما يئس عباد
الاوثان من لقا من مات فدفن باعتقاد انه لا اجتماع بينهم اصلا لانه لا يمكن بعثه على زعمهم
لا الى دنيا ولا الى آخرة لانه لا آخرة عندهم لا سيما ان كان مدفونا في قبر وعلى هذا يكون الظاهر
وضع موضع المضمر للدلالة على ان الذي ايأسهم تغطية الدلائل مع وضوحها لو انصفوا فلا تتولوا من هذه
صفته فيكون بينكم وبينه ما بين القريب مع قريبه من تولي كل منهم من الآخر ما يتولاه القريب الصديق
القريب لقريبه فان توليهم ضرر لا نفع فيه فان من غضب عليه الملك الشهيد لكل حركاته وسكناته
لا يفلح هو ولا من تولاه واقل ما في ولايته من الضرر انها تقطع المعاونة فيها والمشاركة بالموت وان
كان بعد الموت مشاركة في العذاب الدائم والخزي اللازم وقد علم ان هذا الآخر هو اولها وهذا
الموصل مفصلها فسبحان من انزله كتابا معجزا حكيما وقرانا موجزا جامعا عظيما ٭ ٭ ٭ ٭

مقصودها الحث على الاجتهاد التام في الاجتماع على قلب واحد في جهاد من دعت الممتحنة الى البراءة
منهم بحملهم على الدين الحق او محقهم عن جديد الارض اقصى المحق تنزيها للملك الاعلى عن الشرك وصيانة

جـ

لجنابه الاقدس عن الافك ودلالة على الصدق في البراءة منهم والعداوة لهم فهي نتيجة سورة التوبة
وادل ما فيها على هذا المقصد الصف بتامل اياته وتدبر ما له من جليل النفع في اوله واثنائه وغايته
وكذا الحواريون **بسم الله** الملك الاعظم الذي له الامر كله لانه لا كفؤ له **الرحمن** الذي عم بنعمة
البيان عما يرضيه لمن شاءه فقد شرع لكل احد يرده او يقبله **الرحيم** الذي خص باتمام الانعام
الموصل الى دار السلام من شاء من عباده فهياه لذلك واهله **لما ختمت** الممتحنة بالامر بتنزيهه
سبحانه عن تولي من يخالف امره بالتولي عنهم والبراءة منهم اتباعا لاهل الصافات المتجردين عن كل ما سوى
الله لا سيما عمن كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون افتتحت الصف بما هو كالعلة لذلك فقال
سبح لله اي اوقع التنزيه الاعظم للملك الاعظم **ما في السموات** من جميع الاشيا التي لا تعقل من افلاكها
ونجومها وغير ذلك من جواهرها واعراضها في طلوعها وافولها وسيرها في ذهابها ورجوعها وانشا السحاب
وانزال المياه ونحو ذلك ولما كان الخطاب مع غير المخلص اكد فقال **وما في الارض** اي بامثال
جميع ما يراد منه مما هو كالمامور بالنسبة الى افعال العقلاء من نزول المياه واخراج النبات من النجم والشجر
وانفتاح الحبوب والثمار وغير ذلك من الامور الصغار والكبار ولما كان امتثال غير العاقل
وعصيان العاقل ربما اوهم نقصا قال **وهو** اي وحده **العزيز** اي العظيم النفع الذي يغلب كل شي ولا
يغلبه شي ويصعب الوصول اليه **الحكيم** الذي يضع الاشيا في اتقن مواضعها فما مكن العاقل من المعصية
الا لاظهار صفات الكمال من العلم والقدرة والحلم والكرم والرحمة والغضب وغير ذلك وقد علم بهذا
التنزيه وختم ايته بهاتين الصفتين انه تعالى منزه عما تضمنه ياس الكفار المذكور من انه لا بعث وعن ان
يجعل سبحانه لهم حظا في الآخرة لان كلا من عدم البعث والتسوية بين المسيء والمحسن نقص وقال الامام ابو
جعفر ابن الزبير افتتحت بالتسبيح لما ختمت به سورة الممتحنة من قوله لا تتولوا قوما غضب الله عليهم وهم يهود
وقد تقدم الايما الى ما استوجبوا به هذا فاتبع بالتنزيه لما تقدم بيانه فانه مما تعقب به ذكر جرائم المرتكبات
ولا يرد في غير ذلك ثم اتبع ذلك بامر العباد بالوفا وهو الذي حد لهم في الممتحنة ليتنزهوا عن حال مستوجبي
الغضب بنقيض الوفا والمخالفة بالقلوب والالسنة يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ليا بالسنتهم وطعنا
في الدين من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا
ثم يتولى فريق منهم وبمجموع هذا استحقوا اللعنة والغضب فقيل للمؤمنين يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما
لا تفعلون احذروا ان تشبه احوالكم حال من استحق المقت واللعنة والغضب ثم اتبع بحسن الجزا لمن وفى
قولا وعقدا لسانا وضميرا وثبت على ما امر به فقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا الاية ثم
تناسج ما بعد ولما كان الوارد من هذا الغرض في سورة الممتحنة قد جا على طريق الوصية وسبيل النصح
والاشفاق في سورة الصف بصريح العتب في ذلك والانكار ليكون بعدما تمهد في السورة قبل اوقع في الزجر
وتامل كم بين قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الآيات وما تضمنت من
التلطف وبين قوله ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون انتهى ولما تقدمت في الممتحنة
قصة الفتح الاعظم في شان حاطب ابن ابي بلتعة رضي الله عنه وجعل منابذة الكفار بكل اعتبار علما على صحة
الهجرة وادعاء التجرد لاعداء الله وقصة الفتح السببي من تحريم المؤمنات على المشركين وتحريم المشركين
على المؤمنات في عمرة الحديبية وابدى سبحانه في ذلك من الصنايع التي تعجز قوى الخلق عنها ان رتب في
الفتح السببي على ما في الفتح الفعلي الحقيقي فجعل الاول في الزمان آخرا في الرتبة والآخر في الزمان اولا
في الرتبة مع شدة الاحكام في ترصيف النظام والبلوغ في الارشاق والانسجام الى حد لا تطيقه قوى قدامها
مع بداعة المعاني ومتانة المباني وكان فعل من ناصح الكفار ممن آمن بلسانه واذعن بجنانه وهاجر

لجهاده

بارك الله في نوع منا صحة فعل من يقول ما لا يفعل في منا بذتهم والتجرد لعداوتهم فذكرا ولاهل التسوية
من تنزيههم بالسنة احوال ما لا يعقل ما يحمل المسلم بشيء من ذلك تاديبا لامثاله وتدريبا لمن يمر بشيء من
المخالفة بباله وكان العاقل اولى من غيره بتنزيه جناب القدس بالطاعة فكيف اذا كان ممن اقر بالايمان
وتقلد عملة الاذعان وكان من عصى منهم منادا على نفسه بمخالفة قوله لفعله ومن نزهه حق تنزيهه
لم يقصر في حق من حقوقه بتضييع شيء من اوامره كما ان تنزيه ما لا يعقل بان لا تخالف شيئا من مراده
قال مرهبا مبتدا بالبعد والتوبيخ الذي هو من مبادي الغضب والانكار بالاستفهام والتعبير بما يفهم ادنى
مراتب الايمان **يا ايها الذين امنوا** اي ادعوا الايمان **لم** قال في الكشاف هي لام الاضافة داخلة
على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في بم وفيم وعم ومم والى م وعلى م وانما حذفت
الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالها بزيادة ها السكت او الاسكان ومن اسكن في الوصل
فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلثه اربعة بالهاء والقا حركة الهمزة عليها محذوفة وقال الرضي في الموصول
انها حذفت لان لها صدر الكلام ولم يمكن تاخير الجار عنها فقدم وركب معها حتى يصير المجموع ككلمة موضوعة
للاستفهام فلا يسقط الاستفهام عن مرتبة الصدر وجعل حذف الالف دليل التركيب **تقولون** اي من
دعوى الايمان التي مقتضاها التزام الاخلاص في جميع الاحوال **ما لا تفعلون** اي ما لا تصدقونه بالفعل
الذي يكون بغاية الرغبة والقوة فتتخذوا العدو وليا بالاقبال عليه وارسال النصح اليه وقد تلفظتم
بالايمان الذي يستلزم المعاداة لكل من كفر وخلف الوعد في نفسه قبيح ومع الخالق اقبح **ولما** كان
ذلك مهلكا زجر المخاطبين بتعظيمه لينجوا انفسهم بالكف عنه فقال **كبر** فقصد به التعجيب وهو تعظيم
الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا في امر خارج عن نظائره واشكاله وفسر ما قصد منه
للدلالة على خلوصه في المقت بقوله **مقتا** اي عظم جدا وما اعظمه من بغض هو اشد البغض وزاد في
تبشيعه زيادة في التنفير منه بقوله **عند الله** اي الملك الاعظم الذي يحقر عنده كل متعاظم **ولما**
ابلغ في تبشيعه فتشوفت النفس الى المسند اليه ذلك قال **ان تقولوا** اي عظم من تلك الجهة ان يقع
في وقت من الاوقات او حال من الاحوال قولكم **ما لا تفعلون** وقال القشيري ويقال لم يتوعد الله على
زلة بمثل ما توعد على هذا انتهى وكلما ذكروه في سببها صالح للسببية قول بعضهم لو ندري احب الاعمال
الى الله لاجهدنا فيه ثم ولوا يوم احد وتوانى بعضهم في الجهاد وكون صهيب رضي الله عنه قتل يوم
بدر رجلا اذى المسلمين وانكا فيهم وادعى غيره انه قتله فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
عمر وعبد الرحمن بن عوف لصهيب رضي الله عنهم اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك قتلته فقال صهيب
رضي الله عنه انما قتلته لله ولرسوله فاخبر عمر وعبد الرحمن رضي الله عنهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اكذلك ابا يحيى قال نعم يا رسول الله والتزام المنافقين احكام الاسلام وتخلفهم اخلافا في الامور العظام
وكذا قصة حاطب رضي الله عنه **ولما** عظم ما يكرهه بعد ما الهب به من تنزيهه غير العاقل فكان
العاقل جديرا بان يسئل عما يحبه ليتنزه به قال ذاكرا الغاية التي هي ام جامعة لكل ما قبلها من المحاسن مؤكدا
لان الخطاب مع من قصر او هو في حكمه **ان الله** اي الذي له جميع صفات الكمال **يحب** اي يفعل فعل المحب
مع **الذين يقاتلون** اي يوقعون القتال **في سبيله** اي بسبب تسهيل طريقه الموصلة الى رضاه ايقاعا
مظروفا للسبيل لا يكون شيء منه لشيء خارج عنه فيقاتلون اعدا الدين من الشيطان بالذكر القلبي واللسان
والانسان بالسيف والسنان **صفا** اي مصطفين حتى كانهم في اتحاد المراد على قلب واحد كما كانوا
في التساوي في الاصطفاف كالبدن الواحد **ولما** كان الاصطفاف يصدق مع التقدم والتاخر
اليسير نفى ذلك بقوله حالا بعد حال **كانهم** اي من شدة التراص والمساواة بالصدور والمناكب

والثبات في المراكز **بنيان** وزاد في التاكيد بقوله **مرصوص** اي عظيم الاتصال شديد الاستحكام
كانما رص بالرصاص فلا فرجة فيه ولا خلل فان من كان هكذا كان جديرا بان لا تخالف شيء من افعاله شيئا
من اقواله فالرص اشارة الى اتحاد القلوب والثبات في موالاة الله ومعاداة من عاداه المنتج لتسوية
الصفوف في الصلاة التي هي محاربة الشيطان والحرب التي هي مقارعة حزبه اولي الطغيان والافعال
التي هي ثمرات الابدان **ولما كان** التخلف عن امر الله والغفلة عن شيء يؤدي تركه الى النهاون به
والاخلال بادب من ادابه موجبا للكون في صف الشيطان ومفارقة حزب الرحمن فيكون اذى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فيوجب ذلك الشقاء كله لانه جدير بان يجر الى اكبر منه الى ان تحبط الخطايا فتنتج
الرزايا وكان للتذكير بالمشاهدات والامور الواقعات ما ليس لغيره في التاديب ومزج الترهيب
ذكر بما كان لبني اسرائيل ترهيبا من مثل حالهم لئلا يوقع في نكالهم حين تقاعسوا عما امروا به من
فتح بيت المقدس من الله تعالى غضب من فعلهم ذلك فسماهم فاسقين وضربهم بالتيه اربعين سنة
واماتت في تلك الاربعين كل من توانى منهم في ذلك فلم يدخل الى بيت المقدس منهم احد فحرموا البلاد التي
تقاعدوا عن فتحها وهي بعد مكة والمدينة خير بلاد الله ومهاجر ابيهم ابراهيم عليه السلام وموطن ابويهما
اسحق ويعقوب عليهما السلام وانزه الارض واكثرها خيرا وابركها مع ما كانوا فيه من الضيق والنكد
من التيه الذي هو طرد عن جناب الله بما اشار اليه التعبير عن زمنه بالسنين الى ما ابقوا بعدهم من سوء
الذكر وشناعة المقالة الى اخر الدهر فقال تعالى **واذ** عطفا على ما تقديره اذكروا ما فعل بعضكم بما
اشرت اليه اول هذه الايات من الاداب من تنبيه الكفار بما قد يمنع من الفتح او يكون سببا في عسره
او في اهلاك خلق كثير من عبادي الذين خلقتهم في احسن تقويم من المؤمنين وغيرهم او من الفرار من
الكفار عند المقارعة او التقاعس عن اللقاء عند البعث عليه فاذى ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي اذاه من اذى الله فحلم عنكم وقبل بما له من بليغ الرحمة بكم والشفقة عليكم منكم وكان انهى ما
عاقبكم به مرسله سبحانه البرآ بما هو لاذى الانسان في الايمان في نظير اطلاقه على بني اسرائيل الفسق بالوصف
المؤذن بالرسوخ واذكروا حين **قال موسى لقومه** وهم مع كونه منهم ممن له قوة على ما يحاولونه
يا قوم استعطافا لهم واستنهاضا الى رضى ربهم **لم تؤذونني** اي تجددون اذاي مع الاستمرار
بالتواني في امر الله والتقاعد عن فتح بيت المقدس مع قولي عن الله انكم فاتحوها ان اطعتموه وان الله
اقسم لابائكم انه مانحكموها لا محالة **ولما** كان الاستفهام الانكاري موجبا للتوقع ما ياتي بعده من نفي
التعظيم بذل الاذى والتخيل والاباء والابعاد موضع التوقف والاباء قال محققا بحرف التحقيق مضمون **وقد** اي والحال
انكم **تعلمون** اي علمتم علما قطعيا مع تجدده لكم كل وقت بتجدد اسبابه بما اتيتكم به من المعجزات وبالكتاب
الحافظ لكم عن الزيغ **اني رسول الله** الملك الاعظم الذي لا كفؤ له ورسوله يعظم ويحترم لانه تنتهك
جلالته وتحترم **اليكم** لا اقول لكم شيئا الا عنه ولا انطق عن الهوى فعصيانكم عصيانه مع اني ما قلت لكم
شيئا الا تم وان كنتم قاطعين بخلافه فهي معصية لا حامل عليها اصلا الا رداءة الجبلات **ولما** تحتم النهيم
واستعطفهم وذكرهم ما يعلمون من رسليته وصلته بالله بما شاهدوا من الايات التي هي اعظم الاحسان اليهم
اعلم انهم اوشكوا العصيان فقال معبرا عن ذلك بالفا تسبيبا عن هذا القول الذي هو اهل لان يسبب
الثبات وتعقيبا وتقريبا **فلما زاغوا** اي تحقق زيغهم عن قرب عن اوامر الله في الكتاب الاتي اليهم بما ابوا
من قبول امره في الاقدام على الفتح **ازاغ الله** الذي له الامر كله **قلوبهم** عن الاستوا وجمع الكثرة بدل
انه لم يثبت منهم الا القليل فهزمهم بين يدي اعدائهم وضربهم بالتيه لانهم فسقوا عن امر الله فالله لا يهديهم
فاسند الذنب اليهم والعقوبة اليه وان كان الكل فعله تعليما لعباده الادب واعلاما بان افعالهم الاختيارية

بنسب اليهم كسبها وتقوم به الحجة عليهم لعدم علمهم بالعاقبة والله اي الملك الاعظم الذي له الحكمة
البالغة لانه المستجمع لصفات الكمال لا يهدي اي بالتوفيق بعد هداية البيان القوم الفاسقين
اي العريقين في الفسق الذين لهم قوة المحاولة فلم يحملهم علي الفسق ضعف فاحذروا ان تكونوا
مثلهم في العزايم فتساووهم في عقوبات الجرايم ولما كان اذي النبي صلي الله عليه وسلم بمخالفة
امر الله تارة يكون مع العلم برسالته والاقرار بها وتارة مع الانكار وقدم العقاب علي ما كان منه
علي تقدير التصديق وذكر فيه بقصة قوم موسي عليه السلام الذين كانوا يؤذونه مع العلم برسالته
وهدد بما اتفق لهم من زيغ القلوب التي هي عماد الابدان وصلاح الانسان اتبعه ما يكون منه عند
فرض الانكار ولما كان رد المنكر تارة يكون بالعقل وتارة بالنقل وكان الذي بالعقل يكون بنظر
المعجزات ولاسيما اخراج الخبء وقد كان منه في قصة حاطب رضي الله عنه في اخراج كتابه الذي اجتهد
في اخفايه واجتهدت الطعينة الحاملة له في كتمانه ما فيه مقنع في العلم بالرسالة وتحقق الجلالة اتبع ذلك
دليلا نقليا تاييدا للعقل بالنقل مع كونه دليلا علي صحة الاخبار بازاغة قلوب بني اسرايل جزاء علي زيغهم عن
الحق فقال واذ اي واذكر حين قال عيسي ووصفه بما حقق من هو فقال ابن مريم اي لقوم موسي عليه
السلام الذين ارسل اليهم وثبتت نبوته لديهم بالمعجزات مع اخلاص الدعوة لله وتصديق من كان قبله
من اهل الله يا بني اسرايل تذكرهم بما كان ابوهم عليه من الدين وما اوصي به بنيه من التمسك بالاسلام ولم
يعبر بالقوم كما قال موسي عليه السلام لانه لا اب له فيهم وان كانت امه منهم فان النسب انما هو من جهة
الاب واكد لانكار بعضهم فقال اني رسول الله اي الملك الاعظم اليكم لا الي غيركم حال كوني مصدقا
نصبه بما في الرسول من رايحة الفعل ولا ينصب باليكم لانه صلة للرسول وحروف الجر لا تعمل بانفسها بل بما
فيها من معني الفعل فاذا كانت صلات لم تكن متضمنة لمعني فعل فلا تعمل وهو الحرف الذي يسمي في غير الكتاب
العزيز لغوا لما بين يدي اي من قبلي تقدمني وكان من قبلي من التوراة التي تعلمون ان الله تعالي انزلها
علي موسي عليه السلام وهي اول الكتب التي نزلت بعد الصحف وحكم بها النبيون فتصديقي لها مع تاييده
لها مؤيد لان ما اتيته من الدلايل حق ومبين انها دليلي فيما لم انسخه منها كما يسند لما قدامه من الاعلام
ويراعيه ببصره ولما ذكر اول الكتب ذكر آخر الرسل ليكون في ذلك اشارة الي ان البشارة به في
التوراة والانجيل فقال ومبشرا اي في حال تصديقي للتوراة ولما كانت رسالته صلي الله عليه وسلم
لجميع الخلق لم يذكر في رسالته حرف الغاية كما ذكر في الرسالتين المذكورتين قبل فقال برسول اي الي كل من
شملته الربوبية ياتي ولما كان اتيانه بعده بمدة طويلة ادخل الجار فقال من بعدي ولما كان
الاتيان بغاية البيان وازاحة اللبس بكل اعتبار اقعد في العتاب لمن هفا بعده والاخذ لمن جفا فنقض
عهده اتي بالاسم الذي ما شارك النبي صلي الله عليه وسلم فيه احد في زمانه ولا قبله اصلا ووزنه دال علي
المبالغة في معناه فقال اسمه احمد اي دال علي انه ابلغ الخلق حامدا ومحمودا وهو اسمه صلي الله عليه وسلم
في السما التي سيصير اليها هذا المبشر وفي تخصيصه بالذكر احتراز عن ان يتوهم ان البعدية في الرتبة لانه
لا يليق بتصديره بالهمزة التي هي اول الحروف مخرجا واشد حروف الحلق الذي هو اول المخارج وتتمته الميم
الي انه صلي الله عليه وسلم كما انه خاتم بما اشار اليه اشهر اسمايه واعظمها محمد لابتدايه بالميم التي هي امكن حروف
الشفه التي هي خاتمة الحروف لان مخرجها آخر المخارج لا نبي بعده فهو فاتح مقدم باعتبار الذكر والشرف
والحكم بالوصف الشريف لا نبي قبله وجبت له النبوة وان ادم لمنجدل في طينته وبين الروح والجسد كما في
الحديث الذي اخرجه احمد عن ميسرة الفجر رضي الله عنه والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه واخرجه البيهقي
في اوايل دلايل النبوة وقال معناه انه كذلك في قضا الله وتقديره وكانه يريد قضا مكتوبا في ام الكتاب ومذكورا

لمن اراد من الملايكة قبل اتمام خلق آدم عليه السلام فانه يحتمل انه سبحانه لما صور آدم عليه السلام جعله
طينته شفافة تشف عن ذريته وجعل لصالحيهم نورا فلما راوا اعظمهم نورا سالوا عنه فاخبرهم سبحانه به واثبت
من اوصافه في ام الكتاب كما انه كان نبيا بالاخبار في دعوة ابيه ابراهيم وبشارة عيسي بن مريم عليهم السلام
وبامارة النور الذي خرج من امه كما في الحديث الذي رواه البيهقي في الدلايل وغيره عن العرباض بن
سارية رضي الله عنه اني عبد الله وخاتم النبيين وفي رواية اني عبد الله لخاتم النبيين وان ادم لمنجدل
في طينته وساخبركم عن ذلك دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسي بي ورؤيا امي التي رات وكذلك امهات النبيين
يرين وان ام رسول الله صلي الله عليه وسلم رات حين وضعته نورا اضات له قصور الشام فتاويل ذلك
بذكره سبحانه للملايكة مثل تاويله بدعوة ابراهيم عليه السلام في قوله تعالي حكاية عنه ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يتلو عليهم اياتك وبشارة عيسي عليه السلام في مثل حكايته سبحانه عنه في هذه وتاويله بالنور
الذي راته امه مثل تاويله بالنور الذي يحتمل ان تكون الملايكة عليهم السلام راوه في شفاف طينة آدم
عليه السلام والله تعالي اعلم وكانت سورة القتال احق باسمه الدال علي الختم لان الختام يحتاج
الي علاج في لام ما كان من صدع الافتراق وكذا سورة الفتح لما يلزمه من محاولة المغلق وازالة
الاغلاق وختام السورتين بالميم عظيم المناسبة لذلك لان الميم اسم لتمام الظاهر المقام بالالف والي
ذلك اشار رسم الالف التنوين في الفتح بعد الميم مع انه لا يخلو من اشارة الي انه الفاتح مع كونه الخاتم
ويؤيد ذلك افتتاح السورة باول حرف الاسم المبلغ الي الفتح وكانت هذه السورة احق به لان الاول
دال علي الاتفاق واجتماع الكلمة دون اختلاف وافتراق كما كان عند نزول آدم عليه السلام وبعده
بمدة والي ذلك اشار ختمها ونظيرتها الصافات بالنون الذي مظهر مبين محيط بما اظهره فهو مبشر لهذه
الامة بالاجتماع والظهور علي الامم الذي يحيط آخره بجميع اهل الارض علي زمن المبشر عيسي عليه السلام
المؤيد للمبشر به بتجديد امره واقامة دينه صلي الله عليه وسلم وآخر هذه نتيجة آخر الصافات بالحمد الذي
هو الاحاطة باوصاف الكمال ذكر ما يصدق هذه الاية من الانجيل من تصديقه للتوراة وبشارته باحمد
صلي الله عليه وسلم قال وكان رجل مريض اسمه العازر من بيت عينا وهو اخو مريم ومرتا فارسلت
الاختان الي يسوع ان الذي تحبه مريض فاقام في الموضع الذي هو فيه يومين ثم قال للتلاميذ امضوا
بنا الي اليهودية فقال له تلاميذه الان يا معلم اراد اليهود رجمك وانت تريد المضي اليهم فقال ان العازر
حبيبنا قد نام فانا انطلق فاوقظه قالوا يا سيد ان كان نايما فهو يستيقظ فقال العازر مات فاقبلوا الي
بيت عينا فاذا له اربعة ايام في القبر وكانت بيت عينا من يروشليم علي نحو خمس عشرة غلوة وكان كثير
من اليهود قد جا الي مرتا ومريم يعزونهما فلما سمعت مرتا بقدوم يسوع خرجت لتلقاه فقالت له يا سيد
لو كنت هاهنا لم يمت اخي وانا اعلم ان الله يعطيك كل ما سالته قال سيقوم اخوك قالت انا اعلم انه
سيقوم في القيامة ثم جات مريم للقايه فظن اليهود الذين كانوا يعزونها انها تذهب الي القبر فتبعوها
فلما انتهت الي المكان الذي كان فيه يسوع خرت علي قدميه ساجدة فلما راها تبكي وراي اليهود الذين كانوا
معها قال اين وضعتموه فقالوا له يا سيد تعال وانظر فدمع يسوع فقال اليهود انظروا كيف كان يحبه
فقال ناس منهم اما كان هذا الذي فتح عيني الاعمي يقدر ان يجعل هذا لا يموت فجا القبر وكان مغارة وعليه
حجر موضوع فقال ارفعوا الصخرة فقالت له مرتا اخت الميت يا سيد قد انتن لان له اربعة ايام قال
يسوع الم اقل لك ان امنت رايت مجد الله فرفعوا الصخرة فرفع يسوع نظره الي فوق وقال اشكرك لانك
تسمع لي اقول هذا من اجل هذا الجمع ليؤمنوا انك ارسلتني قال هذا القول ونادي بصوت عظيم عازر
اخرج فخرج الميت ويداه ورجلاه ملفوفة باللفايف ووجهه ملفوف بعمامة فقال يسوع حلوه ودعوه

يمضي وان كثيرا من اليهود الذين جاوا الي مريم لما راوا ما صنع يسوع امنوا ومضي قوم منهم الي الفريسيين
فاخبروهم فجمع عظما الكهنة والفريسيين محفلا وقالوا ماذا نصنع اذا كان هذا الرجل يعمل ايات كثيرة وان
تركناه فيومن به جميع الناس وتاتي الروم فتتغلب علي امتنا وموضعنا وان واحدا منهم اسمه قيافا كان عظيم الكهنة
في تلك السنة قال لهم ان خيرا لنا ان يموت رجل واحد من الشعب من ان تهلك الامة كلها الي اخر ما مضي في النسا
عند قوله تعالي وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الايات رجع الي متي قال حينيذ ذهب الفريسيون
وتشاوروا ليصطادوه بكلمة فارسلوا اليه تلاميذهم والهيرودسيين قايلين يا معلم قد علمنا انك محق وطريق
الله بالحق تعلم ولا تبالي لاحد ولا تنظر لوجه انسان فقل لنا ما عندك ايجوز لنا ان نعطي الجزية لقيصر ام لا ه
فعلم يسوع شرهم فقال لماذا تجربون يا مراوون اروني دينار الجزية فاتوه بدينار فقال لهم يسوع لمن هذه
الصورة والكتبة فقالوا لقيصر حينيذ قال لهم اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله فلما سمعوا تعجبوا وتركوه
ومضوا وقال يوحنا فقال يسوع انا ما كنت معكم زمانا يسيرا ثم انطلق الي من ارسلني وتطلبوني
فلا تجدوني وحيث اكون انا لستم تقدرون علي المجي الي فقال اليهود فيما بينهم الي اين هذا مزمع ان يذهب
حتي لا نجده لعله مزمع ان يذهب الي بني اليونانيين ليعلم اليونانيين وقال متي وفي ذلك اليوم جا اليه الزنادقة
القايلون ليس قيامه وسالوه فذكر سوالهم وجوابه لهم الي ان قال وفي اخر جوابه اما قراتم ما قيل لكم من
الله وقال مرقس في سفر موسي قول الله علي العوسج اذ قال انا هو اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب
وانتم تضلون كثيرا وعبارة لوقا فقد انبا بذلك موسي في العلقية كما قال الرب انا اله ابراهيم واله اسحق
واله يعقوب وقال متي فلما سمع الجمع بهتوا من تعليمه فلما سمع الفريسيون انه قد ابكم الزنادقة قد اجتمعوا
عليه جميعا وساله كاتب منهم ليجربه قايلا يا معلم اي الوصايا اعظم في الناموس قال له يسوع تحب الرب
الهك من كل قلبك وقال اسمع يا اسرايل الرب الهك واحد هو وتحب الرب الهك من كل قلبك انتهي ومن
كل نفسك ومن كل فكرك هذه الوصية الاولي العظيمة والثانية التي تشبهها ان تحب قريبك مثل نفسك
قال مرقس ليس وصية اعظم من هاتين انتهي في الوصيتين سايرا الناموس والانبيا تتعلق قال مرقس فقال
له الكاتب حينيذ يا معلم الحق قلت انه واحد وليس اخر غيره وان تحب من كل القلب ومن كل النية ومن
كل النفس ومن كل القوة وتحب القريب مثلك هذه افضل من جميع الذبايح والمحرقات فلما راي يسوع عقله
اجابه قايلا لست بعيدا من ملكوت الله وقال لوقا فقال ليسوع ومن هو قريبي قال يسوع كان رجلا نازلا
من يروشليم الي اريحا فوقع بين اللصوص فسالوه وجرحوه ومضوا وتركوه مثخنا قريب الموت واتفق ان كان
هنا نازل في تلك الطريق فابصره وجاز وكذلك لاوي جا الي المكان فابصره وجاز وان سامريا جاز به فلما
تحنن ودنا منه وضمد جراحاته وحمله علي دابته وجاء به الي الفندق وعني بامره وفي الغد اخرج دينارين
اعطاهما لصاحب الفندق وقال اهتم به فان انفقت عليه اكثر من هذين دفعت لك عند عودي فمن من
هولا الثلاثة تظن انه قد صار قريبا للذي وقع بين اللصوص فقال له الذي صنع منه رحمة فقال له ه
يسوع اذهب انت وافعل هكذا وقال مرقس فلم يستجر احد ان يساله ثم قال وكانت جماعة كثيرة يسمعون
منه بشهوة وقال يوحنا وامن باسمه عند كونه باروشليم في عيد الفسح كثير لانهم عاينوا الايات التي عمل ثم
قال وكان رجل من الفريسيين اسمه نيقوديمس رييسا لليهود اتي الي يسوع ليلا وقال له يا معلم نحن نعلم انك
من الله اتيت معلما لانه ليس يقدر احد ان يعمل هذه الايات التي تعمل الا من الله معه قال متي وحينيذ كلم
يسوع الجمع وتلاميذه وقال علي كرسي موسي جلس الكتبة والفريسيون وكل ما قالوه لكم احفظوه انتم وافعلوا
ومثل اعمالهم لا تصنعوا لانهم يقولون ولا يفعلون لانهم يربطون احمالا ثقالا صعبة الحمل ويحملونها علي اعناق
الناس ولا يريدون ان يحركوها باصبعهم وكل اعمالهم يصنعونها لكي يراها الناس يعرضون اردينهم ويعظمون

اطراف ثيابهم ويحبون اول المتكات في الولايم وصدور المجالس في الجامع والسلام في الاسواق وان يدعوهم
الناس معلمين فاما انتم فلا تدعوا لكم معلما علي الارض ولا مدبرا فان مدبركم واحد هو المسيح وانتم جميعا اخوة ولا
تدعوا لكم ابا علي الارض فان اباكم واحد الذي في السموات والكبير الذي فيكم يكون لكم خادما فمن رفع
نفسه اتضع ومن وضع نفسه ارتفع الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون لانكم تاكلون بيوت الارامل والايتام بعلة
تطويل صلاتكم ومن اجل هذا تاخذون اعظم دينونة الويل لكم انكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس
فلا انتم تدخلون ولا تتركون الداخلين الويل لكم انكم تطوفون البر والبحر لتصطنعوا غريبا واحدا فاذا صار
صيرتموه لجهنم ابنا مضعفا لكم الويل لكم يا هداة العميان الذين يقولون من حلف بالهيكل فليس عليه شي ومن
حلف بذهب الهيكل يخطي ايها الجهال العمي ايما اعظم الذهب ام الهيكل الذي يقدس الذهب ومن حلف بالمذبح
فلا شي ومن حلف بالقربان الذي فوقه فهو يخطي يا جهال ويا عميان ايما اعظم القربان او المذبح الذي
يقدس القربان ومن حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما فوقه ومن يحلف بالهيكل فهو يحلف به وبالساكن
فيه ومن حلف بالسما فهو يحلف بكرسي الله وبالجالس عليه الويل لكم انكم تعشرون الشبث والنعنع والكمون
وتتركون ثقل الناس والحكم والرحمة والايمان وقال لوقا تعشرون النعنع والسذاب وكل البقول ه
وترفضون حكم الله ومحبته قد كان ينبغي ان تعملوا هذا ولا تغفلوا عن تلك انتهي يا هداة عميانا الذين
يتركون الباعوضة ويبلعون الجمل الويل لكم انكم تنقون خارج الكاس والسكرجة وداخلهما مملو اختطافا وظلما
ايها الاعمي نق اولا داخل الكاس والسكرجة لكيما يتطهر خارجهما وقال لوقا اعطوا الرحمة فكل شي يتطهر
لكم الويل لكم لانكم تشبهون القبور المكلسة التي تري من خارجها حسنة وداخلها مملو عظام الاموات وكل
نجس وقال لوقا لانكم مثل القبور المخفية والناس يمشون عليها ولا يعلمون انتهي وكذلك انتم ترون الناس
ظاهركم مثل الصديقين ومن داخل مملوون اثما وريا قال لوقا وانتم ايها الكتبة الويل لكم لانكم تحملون ه
اوساقا ثقالا وانتم لا تدنون منها باحدي اصابعكم الويل لكم لانكم اخذتم مفاتيح المعرفة فما دخلتم ومنعتم
الذين يريدون الدخول انتهي وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا في ايام ابايينا لم نشاركهم
في دم الانبيا فانتم تشهدون علي انفسكم انكم ابنا قتلة الانبيا انكم تكملون مكيلة ابايكم ايها الحيات اولاد الافاعي
كيف تهربون من دينونة جهنم من اجل هذا ارسل اليكم انبيا وحكما وكتبة فتقتلون منهم وتصلبون وتجلدون
منهم في مجامعكم وتطردونهم من مدينة الي مدينة لكي ياتي عليكم دم الصديقين المسفوك علي الارض وقال لوقا
وانتم تشهدون وتسرون باعمال ابايكم لانهم قتلوهم وانتم تبنون قبورهم ولهذا قالت حكمة الله هوذا
ارسل اليكم انبيا ورسلا فتقتلون منهم وتطردونهم ليتنقل عن دم جميع الانبيا الذي هريق من اول العالم الي
هذا الجيل وقال متي من دم هابيل الصديق الي دم زكريا بن مواشيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح
الحق اقول لكم ان هذا كله ياتي علي هذا الجيل يا روشليم يا قاتلة الانبيا وراجمة المرسلين اليها كم مرة اردت
ان اجمع بنيك فيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها فلم تريدوا هوذا اترك بيتكم لكم خرابا انا اقول لكم اني لا
تروني من الان حتي تقولوا مبارك الاتي باسم الرب وقال مرقس ثم جا يسوع عند باب الخزانة ينظر الجمع
يلقي نحاسا في الخزانة واغنيا كثير القوا كثيرا فجات امراة ارملة مسكينة فالقت فلسين فاستدعي تلاميذه ه
وقال لهم الحق اقول لكم ان هذه الارملة القت اكثر من الكل الذين القوا في الخزانة لان الكل القوا من
فضل ما عندهم وهذه القت مع مسكنتها كل ما لها ثم خرج من الهيكل انتهي هذا ما فيه الدلالة علي الرسالة
وتصديق التوراة واما البشارة بمحمد صلي الله عليه وسلم فقد تقدم في هذا الكتاب مفرقا في السور كالاعراف
والنسا وغيرهما وقال ابن هشام في تهذيب السيرة النبوية جمع ابن اسحق قال ابن اسحق وقد كان
فيما بلغني عما كان وضع عيسي بن مريم عليه السلام فيما جاه من الله في الانجيل من صفة رسول الله صلي الله

عليه وسلم مما اثبت يحنس الحواري لهم حين نسخ لهم الانجيل من عهد عيسى بن مريم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهم انه قال من ابغضني فقد ابغض الرب ولولا اني صنعت بحضرتهم صنايع لم يصنعها احد قبلي ما كانت لهم
خطية ولكن من الآن بطروا وظنوا انهم يعزوني وايضا للرب ولكن لا بد ان تتم الكلمة التي في الناموس انهم
ابغضوني مجانا اي باطلا فلو قد جا المنحمنا هذا الذي يرسله الله اليكم من عند الرب روح القسط هذا الذي من
عند الرب خرج فهو شهيد علي وانتم ايضا لانكم قديما كنتم معي هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا فالمنحمنا بالسريانية محمد
صلى الله عليه وسلم وهو بالرومية البارقليطس انتهى ولما تم الدليل المتعلق على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى كونه اشرف الانبيا فاتحالهم وخاتما عليهم ذلك الزام بني اسرائيل الزيغ فقال فلما جاءهم اي عيسى او محمد صلى
الله عليهما وسلم بني اسرائيل وغيرهم بالبينات اي من المعجزات العظيمة التي لا يسوغ لعاقل الا التسليم لها من
الكتاب المبين قالوا عند مجيها سوا من غير نظره لتامل ولا غيره هذا المتاتى به من البينات او الآتي بها على
المبالغة كما دل عليه قراة حمزة ساحر اشارة بالاشارة الى القريب بعد الاشارة بقا التعقيب الى شدة
اتصال الكفر باول اوقات المجي سحر فكانوا اول كافر به لان هذا وصف لهم لازم شوا بلغهم ذلك وهم بعد هم
او من منضما الى غيرهم مبين اي في غاية البيان في سحريته حتى ان شدة ظهوره في نفسه مظهرة لكل من راه
انه سحر عنادا منهم ومكابرة للحق الذي لا لبس فيه ولما كان التقدير اعلاما بانهم اظلم الناس لتعمدهم
للكذب فمن اظلم منهم لتهتكهم في ذلك عطف عليه قوله ومن اظلم وعم كل من اتصف بوصفهم فقال ممن
افترى اي تعمد على الله اي الملك الاعلى الكذب الذي هو اقبح الاشيا وهو والحال انه يدعى من اي
داع كان الى الاسلام الذي هو احسن الاشيا فيكفي في الدعا اليه ادنى تنبيه لانه الاعتراف بالحق
لمن هو له فيجعل مكان الاجابة افترا الكذب في تلك الحالة الحسنى ولما كان التقدير فهو لا يهديه الله
لاجل ظلمه عطف عليه قوله والله اي الذي له الامر كله فلا امر لاحد معه لا يهدي القوم اي لا يخلق
الهداية في قلوب من فيهم قوة المحاولة للامور الصعاب الظالمين اي الذين يخبطون في عقولهم خبط
من هو في الظلام ولما اخبر عن ردهم للرسالة علله بقوله يريدون اي يوقعون ارادة ردهم
للرسالة بافترايهم ليطفئوا اي لاجل ان يطفئوا نور الله اي الملك الذي لا شي يكافيه بافواههم اي بما
يقولون من كذب لا منشا له غير الافواه لانه لا اعتقاد له في القلوب لكونه لا يتخيله عاقل فهم بذلك كالنافخ
في الشمس ارادة ان يمحو نجمها عينها وينقص شينهم زينها فمثل ارادتهم لاخفا القران بتكذيبهم وجميع كيدهم بمن
يريد اطفا الشمس بنفخه فهو في اجهد الجهد واضل الضلال وفي تعب من تحسد الشمس ضوءها ❀
ويجهد ان ياتي لها بضريب ❀ فافاد قصر الفعل ان اراداتهم كلها مصروفة لهذا الغرض وانه لا ارادة
لهم غير ذلك وانه لا ينبغي ان تكون لهم ارادة لانهم عبيد والارادة لا تنبغي الا للسيد لتكون ارادة
العبد تابعة لها فتكون امتثالا لا ارادة فكانه لا ارادة له فهو ابلغ مما في براة لان هذه نتيجتها ولما
اخبر بعلة ارادتهم واشار الى وهي امرهم بعد ان اخبر بردهم للحق وجرا عليهم بالاخبار باضلالهم
زاد ذلك بقوله مظهرا غير مضمر تنبيها على جميع صفات الجلال والاكرام والله اي الذي لا مدافع له لتمام
عظمته ولما كانت هذه السورة نتيجة سورة براة اخبر فيها بانه يابي الا اتمام نوره اخبر في هذه
نتيجة ذلك وهي ثبات تمام النور ودوامه لان هذا شان الملك الذي لا كفو له اذا اراد شيا فكيف اذا
ارسل رسولا فقال متم وهذا المعنى يؤيد قول الجمهور انها مدنية بعد التاييد بذكر الجهاد فان فرضه
بعد الهجرة والظاهر من ترتيبها على الممتحنة التي نزلت في غزوة الفتح انها بعد براة في النزول ايضا
ولما كان النور لاظهار صور الاشيا بعد انطماسها سببا لوضع الاشيا في اتقن مواضعها وكان ما اتى من
عند الله من العلم كذلك جعل عينه فاطلق عليه اسمه فقال نوره فلا يضره ستر احد له بتكذيبه ولا ارادة

الطفايه

الطفايه وزاد ذلك بقوله ولو كره اي اتمامه له الكافرون اي الراسخون في صفة الكفر المجتهدون في
المحاماة عنه ولما اخبر بذلك علله بما هو شان كل ملك فكيف بالواحد في ملكه فقال هو اي الذي
ثبت انه جامع لصفات الجمال والجلال وحده من غير ان يكون له شريك او وزير الذي ارسل رسوله
اي الحقيق بان يعظمه كل من بلغه امره لان عظمته من عظمته ولم يذكر حرف الغاية اشارة الى عموم الارسال
الى كل من شمله الملك كما مضى بالهدى اي البيان الشافي ودين الحق اي الملك الذي ثباته لا يدانيه
ثبات فلا ثبات لغيره فثبات هذا الدين بثباته ويجوز ان يكون المعنى والدين الذي هو الحق الثابت
في الحقيقة الكاملة فيها كما لا ليس لغيره فيكون من اضافة الموصوف الى صفته اشارة الى شدة التباسه
به ليظهره اي يعليه مع الشهرة واذلال المنازع على الدين اي جنس الشريعة التي تجعل ليجازي
من يسلكها ومن يزيغ عنها بما يشرع فيها من الاحكام كله فلا يبقى دين الا كان دونه وانمحق به وذلك
اهله له ذلا لا يقاس به ذل ولو كره اي اظهاره المشركون اي المعاندون في كفرهم الراسخون في تلك
المعاندة واعظم مراد بهذا اهل العناد ببدعة الاتحاد فانهم ما تركوا شيا مما سواه حتى اشركوه به تعالى الله
عما يقولون علوا كبيرا وهم مع بعد خلتهم من العقول وفسادها في الاوهام ومصادمتها لجميع النقول في
غاية الكثرة لمصير الناس الى ما وعد الله ورسوله من الكثرهم قد موجت عمودهم وجفت اما ناتهم وصاروا
حثالة التمر لا يعبا الله بهم لكنهم على كثرتهم بما تضمنته هذه الاية في امثالها في غاية الذل ولله الحمد
لا عز لهم الا باظهار الاتباع للكتاب والسنة وهم يعلمون انهم يكذبون في هذه الدعوى لانهم في غاية
المخالفة لهما بحيث انهم يعتقدون انهما شرك لاثباتهما لله تعالى وجودا خالقا ووجود الخلق وهم يقولون
مكابرة للضرورة ان الوجود واحد وانه لا موجود ظاهرا وباطنا سواه ولذلك سموا الوجودية ثم لا
يردهم علمهم بذلهم وانه لا عز لهم الا بحمى الشريعة عن ضلالهم فاعجب لذلك والجا الى الله تعالى بسوال
العافية فان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشا وضربهم بالذل مع كثرتهم في غاية الدلالة على الله سبحانه
لان الملك الكامل القدرة لا يقر من يطغى في ملكه ويسعى في رد رسالته واهانة رسله ولقد انجز سبحانه
كثيرا من وعده بما دل لكونه تغليبا على اقوى الملوك من الاكاسرة والقياصرة على القدرة على الباقين
وذلك انه لما تقاعد قومه عن نصرته وانتدبوا للتكذيب وجحد ما شاهدوه من صدقه يسر الله
له انصارا من امته هم نزاع القبايل واحاد الافاضل وسادات الاماثل فبلغوا في تاييده اقصى الامل
ولما انتج هذا كله نصر رسوله صلى الله عليه وسلم على كل حال لا بد من وروده سوا خاض الانسان
الحتوف او احترس في القصور المشيدة فقال تعالى في اسلوب الندا والاستفهام لانه افخم واشد تشويقا
بالاداة التي لا يكون ما بعدها الا بالغا في العظم الى النهاية يا ايها الذين امنوا اي قالوا في اقرارهم
بالايمان ما عليهم ان يفعلوا بمقتضاه هل ادلكم وانا المحيط علما وقدرة فهي ايجاب في المعنى ذكر بلفظ
الاستفهام تشويقا ليكون اوقع في النفس فتكون له اشد تقبيلا والاية ايضا نتيجة ما مضى باعتبار آخر
لانه لما وبخ على اخلال العزايم واخبر بما يحب من القتال وبكت على اذى الرسول صلى الله عليه وسلم
بالمخالفة واخبر ان من خالفه لا يضر الا نفسه كان موضع الاستباق في طاعته فرتب عليه الاشتياق
الى ذكر ثمرته فذكرها ولما كان فعل حاطب رضي الله عنه لاجل ان لا تجاح اهله الذين كانوا بمكة في
انفسهم ولا في شي من مالهم وكان هذا في معنى التجارة قال على تجارة وقراة ابن عامر تنجيكم بالتشديد
انسب لهذا المقام من قراة الجماعة بالتخفيف وقراة الجماعة انسب لمقصود حاطب رضي الله عنه من
عذاب اليم بالاجاحة في النفس او المال ولما كان الاتجار اجهاد النفس في تحصيل الربح النافع
وكان الايمان والجهاد اعظم اجهاد للنفس في تحصيل الجنة الباقية التي لا ربح يوازيها فاستعار لهما

أسهل وكان جواب النداء الاقبال وجواب الاستفهام نعم عدوا كانهم اقبلوا وانعموا تنبيها على ما هو الأليق
بهم فاستونف لهم بيان التجارة بانه الجمع بين الايمان الذي هو اساس الاعمال كلها والجهاد بنوعيه المكمل للنفس
والمكمل للغير فقيل **تؤمنون** اي امنوا ابشرط تجديد الايمان على سبيل الاستمرار **بالله** الذي له جميع صفات
الكمال **ورسوله** الذي تصديقه آية الاذعان للعبودية والخضوع لكونه ملكا **وتجاهدون** اي وجاهدوا
بيانا لصحة ايمانكم على سبيل التجديد والاستمرار ويدل على انهما بمعنى الامر ما ارشد جزم ما اقيم في موضع
الجواب مع قراءة عبد الله رضي الله عنه امنوا وجاهدوا بصيغة الامر **في سبيل الله** اي بسبب تسهيل
طريق الملك الاعظم الموصل اليه الذي لا امر لغيره بحيث يكون ظرفا لكم في جميع هذا الفعل فلا يكون شيء
منه خارجا ليكون خالصا بفتح بلد الحج ليسهل الوصول اليه من كل من اراده وغير من شرايعه لتكونوا ممن
يصدق فعله قوله وهذا المعنى لا وقفة فيه لانه فرق بين قولنا فلان فعل كذا الصادق بمرة وبين قولنا
بفعله الدال على ان فعله قد صار ديدنا له فالمعنى يا من فعل الايمان ان اردتم النجاة فكونوا عريقين
في وصف الايمان حقيقين به ثابتي الاقدام فيه واديموا الجهاد دلالة على ذلك فان الجهاد لما فيه من الخطر
والمشقة والضرر اعظم دليل على صدق الايمان **ويؤيد** ذلك ان السياق لقصة حاطب رضي الله عنه
المفهمة في الظاهر لعدم الثبات في الايمان وارادة الجهاد الدال على الصدق فيه ولذلك قال عمر رضي الله
عنه ما قال والله الهادي **ولما** كان الجمع بين الروح وعديلها المال على وجه الرضى والرغبة ادل
على صحة الايمان قال **باموالكم** وقدمها لعزتها في ذلك الزمان ولانها قوام الانفس والابدان فمن بذل ماله
كله لم يبخل بنفسه لان المال قوامها **ولما** قدم القوام اتبعه القايم به فقال **وانفسكم** **ولما** امرهم
بهذا في صيغة الخبر اهتماما به وتاكيدا لشانه اشار الى عظمته بمدحه قبل ذكر جوابه فقال **ذلكم** اي الامر
العظيم من الايمان وتصديقه بالجهاد **خير لكم** اي خاصة مما تريدون من الذبذبة بمناصحة الكفار
ان كنتم اي بالجبلات الصالحة **تعلمون** اي ان كان يمكن ان يتجدد لكم علم في وقت فانتم تعلمون ان ذلك
خير لكم فاذا علمتم انه خير اقبلتم عليه فكان لكم به امر عظيم وان كانت قلوبكم قد طمست طمسا لا رجا لصلاحه
فصلوا على انفسكم صلاة الموت **ولما** كان معنى تؤمنون الامر كما تقدم لكنه حول عن ذلك لما ذكر وكان
أهم ما الى الانسان خوفه مما هدد عليه امن سبحانه من ذلك دالا على اصل الفعل بجزم ما هو في موضع
الجواب فقال **يغفر لكم** اي خاصة دون من يفعل ذلك دالا على اصل الفعل **ذنوبكم** اي يمحو اعيانها
وآثارها كلها **ولما** فرغ القلوب من كدر العقاب والعتاب لذذها بطيب الثواب فقال **ويدخلكم**
اي بعد التزكية بالمغفرة رحمة لكم **جنات تجري** ودل على قرب الجاري وتخلله الاراضي بالجار فقال
من تحتها اي تحت اشجارها وغرفها وكل متنزه فيها **الانهار** فهي لا تزال غضة زهرا ولم يحتج هذا
الاسلوب الى ذكر الخلود لاغناء ما بعد عنه ودل على الكثرة المفرطة في الدور بقوله في صيغة منتهى
الجموع **ومساكن** **ولما** كانت المساكن لا تروق الا بما زينتها من المعاني الحسنة قال **طيبة** **ولما**
كانت لا يرغب فيها الا بدوام الاقامة بين صلاحيتها لذلك بقوله **في جنات عدن** اي بساتين هي
اهل للاقامة بها لا يحتاج في اصلاحها الى شيء خارج يحتاج في تحصيله الى الخروج عنها له ولا اجر لتلك
الاقامة قال حمزة الكرماني في كتابه جوامع التفسير هي قصبة الجنان ومدينة الجنة اقربها الى العرش
ولما كان هذا امرا شريفا لا يوجد في غيرها قال **ذلك** اي الامر العظيم جدا وحده **الفوز العظيم** **ولما**
ذكر ما انعم عليهم به في الاخرى لانه اهم لدوامها وكان التقدير بما دل عليه العطف هذا لكم عطف عليه
ما جعل لهم في الدنيا فقال **واخرى** اي ولكم نعمة او وبعطيكم او يزيدكم نعمة اخرى **ولما** كان الانسان
احب في العاجل وافرح بالناجز قال **تحبونها** اي محبة كثيرة متجددة متزايدة ففي ظاهر هذه البشرى

تشويق

تشويق الى الجهاد وتحبيب وفي باطنها حث على حب الشهادة بما يشير اليه من التوبيخ على حب العاجل
والتقريع **نصر من الله** اي الذي احاطت عظمته بكل شيء لكم وعلى قدر احاطته تكون نصرته **وفتح قريب**
اي تدخلون منه الى كل ما كان متعسرا عليكم من حصون اعدايكم وغيرها من امورهم في حياة نبيكم صلى الله
عليه وسلم اعظم فتح مكة الذي كتب حاطب رضي الله عنه بسببه وبعد مماته وفيه شهادة لحاطب رضي
الله عنه بانه نصره النبي صلى الله عليه وسلم والفتح عليه لمكة وغيرها لصحة ايمانه كما اخبر به النبي صلى الله
عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى **ولما** كان ما تقدم من المعاتبة انذارا لمن خالف فعله قوله
من الذين امنوا وكان المقام قد اخذ حظه من الانذار والتوبيخ طوى ما تقديره فانذر من لم
يكن راسخا في الدين من المنافقين ومن خالف فعله قوله من المومنين عطف عليه دلالة عليه ليكون
اوقع في النفس لما يشير اليه من الاستعطاف قوله **وبشر المومنين** اي الذين صار الايمان لهم وصفا
لحاطب رضي الله عنه بان الله تعالى يفتح لك البلاد شرقا وغربا واول ذلك مكة المشرفة ولا
يحوجهم سبحانه الى ان يداروا عن عشايرهم واموالهم ولا ان يكون شيء من افعالهم تخالف شيئا من
اقوالهم **ولما** هز سبحانه الى الجهاد وشوق اليه بانه متجر رابح ولوح الى النذارة بالتنشيط
بالبشارة فتهيات النفوس للاقبال عليه وانبعث اي انبعاث اليه حض عليه بالايجاب المقتضي للثواب
او العقاب فقال مناديا باداة البعد والتعبير بما يدل على ادنى الاسنان تانيبا على انه لا يعدم الموصف
بالايمان الا مغرور بالحرمان تشويقا وتحبيبا **يا ايها الذين امنوا** اي اقروا بذلك فاذعنوا بهذا
الوعظ غاية الاذعان اني امرت رسولي صلى الله عليه وسلم ان يقول لكم **كونوا** اي بغاية جهدكم
انصار الله اي راسخين في وصف النصرة وفي الذروة العليا من ثبات الاقدام في تاييد الذي له الغنى
المطلق لتكونوا بما اشارت اليه قراءة الجماعة بالاضافة بالاجتهاد في ذلك كانكم جميع انصاره فانكم اشرف
من قوم عيسى عليه السلام وما ندبكم سبحانه لنصرته الا لتشريفكم بمصاحبة رسله الذين هم خلاصة خلقه
عليهم السلام فقولوا سمعنا واطعنا نحن انصار الله وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بالتنوين ولام الجر
على معنى كونوا بعض انصاره ويشبه ان يكون الماموربه في هذه القراة الثبات على الايمان ولو في ادنى
الدرجات وفي قراة الجمهور الرسوخ فيه **ولما** كان التقدير على صفة هي من الثبات والسرعة على صفة
الحواريين عبر عن ذلك بقوله **كما** اي كونوا لاجل اني ندبتكم انا بقولي من غير واسطة ولقد ندبتكم بخطابي
مثل ما كان الحواريون انصار الله حين **قال عيسى ابن مريم** حين ارسله الى بني اسرايل ناسخا لشريعة
موسى عليه السلام **للحواريين** اي خلص اصحابه وخاصته منهم **من انصاري** حال كونهم سايرين
في منازل السلوك والمعاملات ومراحل المجاهدات والمنازلات **الى الله** اي المحيط بكل شيء فنحن اليه
راجعون كما كنا به مبدوين **ولما** اشتد تشوف السامع الى جوابهم ابان ذلك بقوله **قال الحواريون**
معلمين انهم جادون في ذلك جدا لا مزيد عليه عاملين فيما دعاهم اليه عمل الواصل لا السايرالمنازل
لعلمهم ان اجابته اجابة الله لانه لا ينطق عن الهوى فليس كلامه الا عن الله **نحن** اي باجمعنا **انصار
الله** اي الملك الاعلى الذي هو غني عنا وقادر على تمام نصرنا ولو كان عدونا كل اهل الارض ننصره
الآن بالفعل لا نحتاج الى تدريب يسير ولا نظر الى غير لاستحضارنا لجميع ما يقدم عليه الادمي من صفات
جلاله وجماله وكماله ولذلك اظهروا ولم يضمروا **ولما** كان التقدير ثم دعوا من خالفهم من بني
اسرايل وبارزوهم سبب عنه قوله **فامنت** اي به **طايفة** اي ناس فيهم اهلية الاستدارة لما لهم
من الكثرة **من بني اسرايل** قومه **وكفرت طايفة** اي منهم واصل الطايفة القطعة من الشيء
فايدنا اي قوينا بعد رفع عيسى عليه السلام **الذين امنوا** اي الذين اقروا بالايمان المخلص منهم

وغيره في القول والفعل وشددنا قلوبهم على عدوهم الذين عادوهم لاجل ايمانهم ولما كان الظفر بالمحبوب احب ما يكون اذا كان اول النهار سبب عن تاييده قوله فاصبحوا اي صاروا بعد ما كانوا فيه من الذل ظاهرين اي عالين غالبين قاهرين في اقوالهم وافعالهم لا يخافون احدا ولا يستخفون منه فالتاييد تارة يكون بالعلم وتارة بالفعل علمه شديد القوي فصار علمه في غاية الاحكام وبتعته قوة تبي في منتهي التمام لانه ناشي عن علم مستفاد من قوة والا لقال علمه كثير العلم قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قوة مستفادة من علم والظاهر كما هو ظاهر قوله تعالى وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة وغيره ان تاييد المؤمنين به كان بعد رفعه بيسير حين ظهر للحواريون وانبثوا في البلاد يدعون الى الله بما اتاهم من الايات فاتبعهم الناس فلما طال تمادي الزمان ومات الحواريون رضي الله عنهم افترق الناس ودب اليهم الفساد فغلب اهل الباطل وضعف اهل الحق حتى كانوا عند بعث النبي صلى الله عليه وسلم عدما او في حكم العدم كما دلت عليه قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه فقد ختم السورة كما ترى بما وقع من التنزه عما يوهمه علو الكفرة من النقص بنصر اوليائه وقسر اعدايه ومن الامر بما اجرا ولها انه بحبه من القتال في سبيله حثا عليه وتشويقا اليه على اولها واتصل بما بشر به من آمن ولو على ادنى وجوه الايمان من العز موصلها بمفصلها بما ازيل من الاسباب الحاملة له على المداراة والامور التي اوقعته في المماشاة مع الكفار والمجاراة فاوجب ذلك رسوخ الايمان وحصول الايقان المقتضي للتنزيه بالفعل عن كل شوب نقصان والله الموفق

مقصودها بيان منتهى الصف بدليل هو اوضح شرايع الدين واوثق عرى الاسلام وهو الجمعة التي اسمها مبين للمراد منها من فرضية الاجتماع فيها وايجاب الاقبال عليها والتجرد عن غيرها والانقطاع لما وقع من التفرق حال الخطبة عمن بعث للتزكية بالاجتماع عليه في الجهاد وغيره في العسر واليسر والمنشط والمكره واسمها الجمعة انسب شي فيها لهذا المقصد بتدبر اياته وتامل اوايله وغاياته الحاثة على قوة التواصل والاجتماع والحاملة على دوام الاقبال على المزكي والحب له والاتباع بسم الله الذي احاط علمه بكل معلوم فتم بيانه الرحمن الذي عمت نعمة بيانه بعد شمول كرامة ايجاده فهو العظيم شانه الرحيم الذي خص حزبه بالتوفيق لما يرضاه فثبت في سويدا كل منهم حبه له وايمانه لما ختمت الصف بالاقبال ببعض بني اسرايل الى جنابه الاقدس بعد ما زاغوا فازاغ قلوبهم كلهم او الا الشاذ منهم بما افهمه اطلاق الضمير عليهم ثم تاييدهم على من استمر منهم على الزيغ فثبت ان له تمام القدرة المستلزم لشمول العلم اللازم منه التنزه عن كل شايبة نقص وكان سبحانه قد ذكر التسبيح الذي هو الاعظم الاشهر للتنزيه بلفظ الماضي ثلث مرات في افتتاح ثلث سور وذلك نهاية الاثبات المؤكد فثبت بذلك انه وقع تنزيهه من كل ناطق وصامت اجبارا كرهن ان ذلك التنزيه على وجه التجديد والاستمرار بالتعبير بالمضارع لاستمرار ملكه فقال يسبح اي يوقع التنزيه الاعظم الاتم الاكمل لله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما واكد ذلك بما في التغابن ولم تحتج بعد الاقرار بالوقوع على هذا الوجه الى التاكيد باكثر من مرة وجعل بين كل مسبحتين سورة خلية من ذلك ليكون ذلك ادل على قصد التاكيد من حيث شدة الاعتنا بالفكر وان وقع فصل ويكون التاكيد اكثر تنبيها واعظم صدعا وتذكيرا ولما كان تسبيح العاقل الناطق بطاعة الصامت اعظم قال ما في السموات وان كان العاقل يدخل في ذلك لوقوع ما عليه فيكون تسبيحه تارة طوعا موافقة للامر وتارة كرها بالانقياد

مع الارادة وتسبيح الصامت طوعا في كل حال ولما كان الخطاب مع الذين اسوادعاد لك الى التاكيد لاحتياجهم اليه فقال وما في الارض كذلك ولما ثبت بالسور الثلث الماضية ان الموجودات اوقعت له التسبيح واجرت هذه باستمرار ذلك على سبيل التجديد دل على ذلك مع التنزيه عن النقايص على اثبات الكمال الذي لا يكون الا للملك عظيم الشان مطاع الامر وكان الاقتصار على الصامت بالتعبير بما هو ظاهر فيه وربما اوهم شيا قال مصرحا بما افهمه السياق الملك اي الذي ثبت له جميع الكمالات فهو ينصر من يشا من جنده ولو كان ذليلا فيصبح ظاهرا القدوس الذي انتفت عنه جميع النقايص فلا يكون شي الا باذنه وتنزه عن احاطة احد من الخلق بعلمه وادراك كنه ذاته فليس في ايدي الخلق الا التردد في شهود افعاله والتدبر لمفاهيم نعوته وجلاله واحقهم بالقرب والعداد في حزبه المتخلق باوصافه على قدر اجتهاده فينبغي للمؤمن التنزه عن ان يقول ما لا يفعل او يبني شيا من اموره على غير احكام وقد مضى شرح الاسمين الشريفين قريبا ذكر خلاصة شرحهما بما هو خاصة الملك للملك وابة الطهارة للطاهر فقال العزيز اي الذي يغلب كل شي ولا يغلبه شي فلو اراد لجعل العقلا كلهم ايضا مع تسبيحهم بالجري تحت مراده طوعا وكرها مسبحين بالموافقة لامره طوعا الحكيم الذي يوقع كل ما اراد في احكم مواقعه واتمها واتقنها وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير لما ختمت سورة الصف بالثنا على الحواريين في حسن استجابتهم وجميل ايمانهم وقد امر المومنين بالتشبه بهم في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا انصارا لله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله الاية كان ذلك مما يوهم فضل اتباع عيسى عليه السلام على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فاتبع ذلك بذكر هذه الامة والثنا عليها فافتتحت السورة بالتنزيه عما اشار اليه قوله وكفرت طايفة فانهم ارتكبوا العظيمة وقالوا بالبنوة فنزه سبحانه نفسه عن ذلك ثم قال هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الى قوله ذو الفضل العظيم ثم اعلم تعالى بحال طايفة لاح لها نور الله ووضح لها سبيل الحق فعميت عن ذلك وارتكست في ظلمات جهلها ولم تزدد بما حملت الا حيرة وضلالا فقال تعالى مثل الذين حملوا التوراة الايات وهي في معرض التنبيه لمن تقدم الثنا عليه ورحمة الله اياه ليلا يكونوا مما يتلو عليهم نبيهم من الايات ويعلمهم من الكتاب والحكمة مثل اوليك الممتحنين فانهم مقتوا ولعنوا بعد حملهم التوراة وزعموا انهم التزموا احكامه والوفا به فوعظ هولا بمثالهم لطفا من الله بهذه الامة وما يتذكر الا اولوا الالباب انتهى ولما كانت القدرة على تزكية الخلف اجلا في حمله على التنزيه ادل على القدرة على غيره وكان قد اسلف عن بني اسرايل انهم لم يقبلوا التزكية بل زاغوا دل على قدرته في عزته وحكمته وملكه وقدسه على تزكية جميع العقلا بقوله هو اي وحده الذي بعث اي من حضرة غيب غيبه لشرع اوامره ونواهيه في الاميين اي العرب لانهم كانوا معروفين انهم من بين ساير الامم لا يكتبون بل هم على الخلقة الاولى حين الخروج من بطن الام وذكر صرف البعث واهمال غايته دال على انها كل من يتاتى البعث اليه وهم جميع الخلق ويجوز ان تطلق الامية على جميع اهل الارض لان بعثه صلى الله عليه وسلم كان حين ذهب العلم من الناس ولان العرب اصل لجميع الباقين تبع لهم فلا بدع ان تحمل عليهم وصفهم ولما كان تقويم الشي بمثله اعجب قال منهم بل الامية بمعنى عدم الكتابة والتجرد عن كل تكلف وصف لازم له دايما وعلمه لما لم يكن يعلم من غير تطلب فكانت اثار البشرية عنه مندرسة وانوار الحقايق عليه لايحة وذلك ليلا يتوهم الافتقار الى الاستعانة بالكتب لان مشاكلته لحال من بعث فيهم اقرب الى مساواتهم له لو امكنهم فيكون معنى عدم امكان المساواة ادل على الاعجاز وذكر بعثه فيهم ان خص الوصف بالعرب لا ينفي بعثه الى غيرهم ولا سيما مع ما ورد فيه

من الصرايح وأثبته من الدلايل القواطع فذكر موضع البعث وابتداءه فتكون الغاية مطلقة تقديرها
الي غاية الخلق ولما كان كونه منهم مفهما لانه لا يزيد عليهم من حيث كونه منهم وان زاد فبشي يسير
عجب من امره ونبه علي معجزة عظيمة له بقوله مستانفا يتلو اي يقرا قراءة يتبع بعضها بعضا علي وجه
الكثرة والعلو والرفعة عليهم مع كونه اميا مثلهم اياته اي اياتهم بها علي سبيل التجدد والمواصلة اية
بينة علي صدقه لانه امي مثلهم بل فيهم الكاتب والعالم وان كانوا مغمورين فما خصه عنهم بذلك الا القادر
علي كل شي ولما كان المقام للتنزيه والتاديب من وقع في موادة الكفار ونحو ذلك قدم التزكية
فقال ويزكيهم اي عن الاخلاق الرذيلة والعقايد الزايغة فكانت تزكيته لهم مدة حياته بنظره
الشريف اليهم وتعليمه لهم وتلاوته عليهم فربما نظر الي الانسان نظرة محبة فزكاه الله بها وربما سرت
تلك النظرة الي ثان فاشرقت انوارها عليه علي حسب القابليات كما وقع لعمير بن وهب ثم صفوان بن
امية وكذا ذو النور الطفيل بن عامر الدوسي رضي الله عنه ثم قومه فاما عمير فكان من اعظم المؤذين للنبي
صلي الله عليه وسلم ولمن آمن به فتذاكر مع صفوان وقعة بدر في الحجر ومن فقد من صناديدهم وانه ليس
في العيش بعدهم خير ثم تمنوا رجلا يغتال النبي صلي الله عليه وسلم فقال عمير لولا فقري وبنات لي وعيال
اخشي عليهم الضيعة من بعدي لاتيته بعلة اشتري عندهم فقتلته فاغتنمها صفوان فعاهده ان يكفي عياله
ان مات وان يواسيه ان عاش فقال اكتم عني ثلثا ثم ذهب الي النبي صلي الله عليه وسلم فهداه الله
فحلف صفوان ان لا يكلمه ابدا فلما فتحت مكة فر صفوان ليركب البحر من جدة فاستاذن عمير النبي صلي الله
عليه وسلم ثم ذهب اليه فلحقه فلم يزل به حتي رجع ثم اسلم فكان من خيار الصحابة رضي الله عنه واما
ذو النور فحين دعاه النبي صلي الله عليه وسلم اسلم ثم سال في اية يعينه الله بها علي قومه فآتاه الله نورا
حين اشرف علي الحي الذي هو منه ثم دعا اباه وامه فاسلما ثم صاحبته فكذلك ثم قومه فما تخلف منهم
احد واما غير الصحابة رضي الله عنهم فتزكيته لهم باثاره بحسب القابليات والامور التي قضي الله ان تكون
مهيات فمن كان له اعشق كان لاتباعه الزم فكان في كتاب الله وسنته ارسخ من سيرة وغيرها علما
وعملا فكان اشد زكا ولما كانوا بعد التزكية التي هي تخلية عن الرذايل احوج ما يكون الي التحلية
بالفضايل قال ويعلمهم الكتاب اي المنزل عليه الجامع لكل خير ديني ودنيوي في الاولي والاخري
والحكمة وهي غاية الكتاب في قوة فهمه والعمل به فهي العلم المزين بالعمل والعمل المتقن بالعلم معقوله
ومنقوله ليضعوا كل شي منه في احكم مواضعه فلا يزيغوا عن الكتاب كما زاغ بنوا اسرايل فيكون مثلهم
كمثل الحمار ولو لم يكن له صلي الله عليه وسلم معجزة الا هذه لكانت غاية ولما كان الوصف بالامية
مفهما للضلال وكان كثير منهم حال انزال هذه السورة يعتقد انهم علي دين متين وحال جليل مبين
وكانوا بعد هدايته لهم بعد الامية سيصلون لان الارسال من حضرة غيب الغيب في العلوم المنافية
للامية الي ما لم تصل اليه امة من الامم قبلهم وكان ذلك موجبا للتوقف في كونهم كانوا اميين اكد
هذا المفهوم بقوله وان اي والحال انهم كانوا اي كونا هو كالجبلة لهم ولما كان كونهم ذلك
في بعض الزمن الماضي ادخل الجار فقال من قبل اي قبل ارساله اليهم من حين غيروا دين ابيهم اسمعيل
عليه السلام وعبدوا الاصنام لفي ضلال اي بعد عن المقصود مبين اي ظاهر في نفسه مناد
لغيره انه ضلال باعتقادهم الاباطيل الظاهرة وظنهم انهم علي شي وعموم الجهل لهم ورضاهم به واحتيا
له وعيبهم من يميل الي التعلم ويتحو نحو التبصر كما وقع لهم مع زيد بن عمرو بن نفيل وغيره فوضعهم بهذا
غاية في نفي التعلم من مخلوق عن نبيهم اعظاما لما جي به من الاعجاز وتقريرا لشدة احتياجهم الي نبي
يرشدهم الي الهدي وينقذهم مما كانوا فيه من العمي والردا ولما كانت تزكيته لهم مع اميتهم

وعشائرهم بوصف الامية في الجهل امرا باهرا في دلالته علي تمام القدرة زاد في الدلالة علي ذلك بالحاق
كثير ممن في غيرهم من الامم مثلهم في الامية فقال وآخرين اي وبعثه في اخرين منهم في الامية لا في العربية
لما يلحقوا بهم في وقت من الاوقات الماضية في صفة من الصفات بل اجلف الناس كعوام المجوس واليهود
والنصاري والبرابر ونحوهم من طوايف العجم الذين هم الكن الناس لسانا واجمدهم اذهانا واكثفهم طبعا
وشانا وسيلحقهم الله بهم في العلم والتزكية ولما كان عدم لحاقهم بهم في الماضي ربما اوهم شيا في القدرة
والحاقهم في المستقبل في غاية الدلالة علي القدرة قال وهو اي والحال انه وحده العزيز الذي يقدر علي
كل شي ولا يغلبه شي فهو يزكي من يشا ويعلمه ما اراد من اي طايفة كان ولو كان اجمد اهل تلك الطايفة
لان الاشيا كلها بيده الحكيم فهو اذا اراد شيا موافقا لشرعه وامره جعله علي اتقن الوجوه واوثقها فلا
يستطاع نقضه ومهما اراده كيف كان فلا بد من انفاذه فلا يطاق رده بوجه ويكون المراد بالاخرين العجم
وان الله تعالي سيلحقهم بالعرب قال ابن عمر رضي الله عنهما وسعيد ابن جبير وهو رواية ليث عن مجاهد
ويؤيده ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا سال عنهم لما نزلت سورة الجمعة فوضع النبي
صلي الله عليه وسلم يده علي سلمان رضي الله عنه وقال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هولا
ولما كان هذا امرا باهرا اعظمه بقوله علي وجه الاستثمار من قدرته ذلك اي الامر العظيم الرتبة
من تفضيل الرسول وقومه وجعلهم متبوعين بعد ان كان العرب اتباعا لا وزن لهم عند غيرهم من الطوايف
فضل الله اي الذي له جميع صفات الكمال والفضل ما لم يكن مستحقا بخلاف الفرض يؤتيه من يشا
بحوله وقوته بان يهيئه له ولو كان ابعد الناس منه والله اي الملك الاعظم ذو الفضل ولما
كانت اي دالة علي الكمال دل علي ذلك بقوله العظيم الذي يحقر دونه كل عطا من غيره ولما ادب عباده
المؤمنين في الممتحنة عما يؤذي رسول الله صلي الله عليه وسلم واتمه في الصف بما حذر من ازاغة القلوب
لمن اذي نبيه موسي عليه السلام واعلم انه سبحانه جمع الآداب كلها في هذا الكتاب الذي انزله علي نبيهم
الذي جعله خاتم الانبيا واشرف الاصفيا ودل علي فضله العظيم بتعليم الجاهل دل علي عقابه الاليم تتميما
للدلالة علي باهر قدرته بتجهيل العالم بازاغة قلبه واذهاب لبه بياسه من الآخرة لغضبه عليه تحذيرا من
الوقوع فيما يوجب الاضلال بعد العلم فقال جوابا لمن كانه قال هذا فضله علي الجاهل فكيف فعله بالعالم
فلا تحذيرا لمن يزكي فلا يتزكي بان يقول ما لا يفعل ويحمل الكتاب فيحمله غير عامل به من ان يفعل به ما فعل باليهود
من الذل في الدنيا والخزي والعذاب في الآخرة بازاغة القلوب واحاطة الذنوب فيكون اقبح مما قيل فيه
من فاته العلم واخطاه الغني فذاك والكلب علي حد سوا مثل الذين ولما كان العلم ولا سيما
الرباني يجب ان يفرح به ويرغب فيه من اي موصل كان بني للمجهول قوله وصيانة لاسمه الشريف عن ان يذكر
عند العصيان حملوا التوراة اي كلفوا والزموا حمل الكتاب الذي اتاه الله لبني اسرايل علي لسان موسي
عليه السلام بان علمهم اياها سبحانه وكلفهم حفظ الفاظها عن التغيير والنسيان ومعانيها عن التحريف والتلبيس
وحدودها واحكامها عن الاهمال والتضييع ولما كان تركهم لحملها وهي من عند الله وعلي لسان رجل
منهم هو اعظمهم في انفسهم واجلهم احسانا اليهم في غاية البعد ولا سيما مع طول الزمان المسهل لحفظها الميسر
لتدبرها وتعرف مقدارها باداتها البعد فقال ثم لم يحملوها بان حفظوا الفاظها ولم يعملوا بما فيها من الوصية
باتباع عيسي عليه السلام اذا جاهم ثم محمد صلي الله عليه وسلم اذا جا فهي ضارة لهم بشهادتها عليهم قاذفة
لهم في النار من غير نفع اصلا كمثل اي مثل مثل الحمار الذي هو ابلد الحيوان فهو مثل في الغباوة حال
كونه يحمل اسفارا اي كتبا من العلم كاشفة لامور تنفع الالبا جمع سفر وهو الكتاب الكبير المسفر
عما فيه ولما كان المثل الجامع لهما وهو وجه الشبه شخصا مثقلا متعبا جدا بشي لا نفع له به اصلا هو

صُرّ عليه ضرر لا يدرك مما هو حامله غير انه متعب ولا يدري اصخر هو ام كتب انتهى قوله معبرا بالاداة
التي هي للجامع الذم ترهيبا للاميين من ان يتهاونوا بشيء من احكام القران فيكونوا اسوا مثلا من اهل
الكتاب فيكونوا دون الحمار لان رسولهم صلى الله عليه وسلم اعظم وكتابهم اعلى وافخم فقال بئس
مثل القوم اي الذين لهم قوة شديدة على محاولة ما يريدونه فلم يؤتوا من عجز يحذرون به الذين كذبوا
اي عمدا على علم بايات الله اي دلالات الملك الاعظم على رسله ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم وجميع
ما يرضيه مثلهم فان مثلهم قد تكفل بتعريف انهم قد اجتمعوا مع الحمار في وصف هو الروح الباطني وهو الفرز
الصرف الذي لا ينتفع فيه بوجه بانفع الاشيا وهو ما دل على الله فضمن سعادة الدارين • وهذا المثل
وان كان في اليهود فهو لجميع قرا السوء من كل ملة لاشتراكهم معهم في وجه الشبه كما ان مثل الكلب في الاعراف
على هذا النحو وكانه لم يدخل سبحانه هذه الامة في ذلك صريحا اشارة الى حفظها من غير ان يكلها الى نفسها
كما انه اتاها العلم مع الامية منها ومن رسولها من غير ان يكلهم الى كتابة ولا تقدم علم ما ولا تكلف لشي
ولما كان التقدير فاستحقوا الوصف بجميع المذام لانهم ظلموا اشد الظلم عطف عليه قوله والله
اي الذي له جميع صفات الكمال لا يهديهم هكذا كان الاصل ولكنه اظهر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال
لا يهدي القوم اي لا يخلق الهداية في قلوب الاقويا الذين تعمدوا الزيغ الظالمين اي الذين تعمدوا
الظلم بمنابذة الهدى الذي هو البيان الذي لم يدع لبسا حتى صار الظلم لهم صفة راسخة • ولما كان
قولهم انهم اوليا الله واحباؤه في غاية البعد من هذا المثل استانف ما يدل على صحة المثل قطعا فقال
معرضا عنهم امرا لمن كذبوه بتبكيتهم قل اي يايها الرسول الذي هم قاطعون بانه رسول الله يايها الذين
هادوا اي تدينوا باليهودية • ولما كان الحق يصدع من له ادنى مسكة فكانوا جديرين بالرجوع
عن العناد عبر باداة الشك فقال ان زعمتم اي قلتم قولا هو معرض للتكذيب ولذلك اكدتموه انكم اوليا
لله اي الملك الاعلى الذي لا امر لاحد معه خصكم بذلك خصوصية مبتدئة من دون اي ادنى رتبة من
رتب الناس فلم تتعد الولاية تلك الرتبة الدنيا الى احد منهم غيركم بل خصكم بذلك عن كل من فيه
اهلية الحركة لا سيما الاميين فتمنوا الموت واخبروا عن انفسكم بذلك للنقلة من دار البلا الى محل الكرامة
والالا ان كنتم اي كونا راسخا صادقين اي عريقين عند انفسكم في الصدق فان من علامات المحبة
الاشتياق الى المحبوب ومن المقطوع به ان من كان في كدر وكان له ولي قد وعد عند الوصول اليه
الراحة التي لا يشوبها ضرر انه يتمنى النقلة الى وليه • روي انه صلى الله عليه وسلم قال لهم والذي
نفسي بيده لا يقولها منكم احد الا غص بريقه فلم يقلها منهم احد علما منهم بصدقه صلى الله عليه وسلم فلم يقولوا
ولم يؤمنوا عنادا منهم • ولما كان التقدير فقال لهم رسولنا صلى الله عليه وسلم امتثالا لامرنا
ذلك فلم يتمنوه في الوقت الحاضر تصديقا لنبوته وتحقيقا لمعجزات رسالته دل على هذا المقدر بما عطف
عليه من قوله الدال قطعا على صدقه بتصديقهم له بالكف عما اخبر انهم لا يفعلونه ولا يتمنونه اي في
المستقبل واكتفى هنا بالتعبير بلا لان المذكور من دعواهم هنا انهم اوليا لا كل الاوليا فهي دون دعوى
الاختصاص بالاخرة وايضا الولاية للتوسل الى الجنة ولا يلزم منها الاختصاص بالنعمة بدليل ان الدنيا
ليست خالصة للاوليا المحقق لهم الولاية بل البر والفاجر مشتركون فيها • ولما اخبر عن عدم تمنيهم
وسع لهم المجال تحقيقا للمراد فقال ابدا وعرف ان سبب معرفتهم بانهم اعدا الله فقال بما قدمت
ولما كان اكثر الافعال باليد نسب الكل اليها لانها صارت عبارة عن القدرة فقال ايديهم اي من المعاصي
التي احاطت بهم فلم تدع لهم حظا في الاخرة بعلمهم • ولما كان التقدير تسبيبا عن هذا لئلا يقولوا انما
جميع ما قيل في الظالمين لكنا لسنا منهم فالله عليم بهم في افعالهم ونياتهم عطف عليه قوله معلقا بالوصف

تعميما واعلاما بان وصف ما قدموا الظلم والله اي الذي له الاحاطة بكل شي قدرة وعلما عليم اي بالغ
العلم محيطه بهم هكذا كان الاصل ولكنه قال بالظالمين تعميما وتعليقا بالوصف لا بالذات فالمعنى انه
عالم باصحاب هذا الوصف الراسخين فيه منهم ومن غيرهم فهو يجازيهم على ظلمهم وهم يعلمون ذلك
واعظم مصدق لله ومن اصدق من الله قيلا في هذا انهم ما قوتلوا قط الا فروا الى حصونهم وقراهم كما مر
في سورة الحشر فدل ذلك على انهم احرص على الحياة من الذين اشركوا كما مضى في سورة البقرة فانهم عالمون
بانهم يصيرون الى النار والعرب يظنون انهم لا يبعثون فهم لا يخافون ما بعد وهم شجعان يقدمون على الموت
كما قال شداد بن عنترة بن شداد العبسي • بكرت تخوفني الحتوف كانني • اصبحت عن عرض الحتوف بمعزل •
فاجبتها ان المنية منهل • لا بد ان اسقى بذاك المنهل • فاقني حياءك لا ابا لك واعلمي • اني امرؤ ساموت
ان لم اقتل • ولما كان عدم تمنيهم علما من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لموافقته ما اخبر به وكان
ذلك فعل من يعتقد ان التمني يقدمه عن اجله وعدمه يؤخره فصاروا بين التكذيب بما عندهم ونهاية
البلادة امره صلى الله عليه وسلم بتنبيههم على بلادتهم تبكيتا لهم فقال قل واكد اعلاما لهم بانه يلزم من
فعلهم هذا انكار الموت الذي لا ينكره احد فقال ان الموت وزاد في التقريع والتوبيخ بقوله الذي
تفرون منه اي بالكف عن التمني الذي هو ايسر ما يكون مع انه يوصلكم الى تكذيب من انتم جاهدون في
تكذيبه واكد وقوعه بهم لان علمهم عمل من هو منكر له وربطه بالفا جعلا لفرارهم كالسبب له فان الجبن من اسباب
الموت مع ما يكسب من العار كما قال ان الجبان حتفه من فوقه • اي غالب عليه غلبة العالي على السافل فقال
فانه ملاقيكم اي مدرككم في كل وجه سلكتموه بالظاهر او الباطن • ولما كان الحبس في البرزخ امرا مع انه
لا بد منه مهولا نبه عليه وعلى طوله باداة التراخي فقال ثم تردون بالبنا للمفعول على العظمة منه سبحانه والصغار
منهم وانه عنده في غاية السهولة • الى عالم الغيب وهو كل ما غاب عن العباد فهو يخبر عن اخلاقكم عن علم
ولما كان بعض الفلاسفة يقر بعلمه تعالى بالكليات وينكر علمه بالجزئيات قال والشهادة وهو كل ما ظهر وتشخص
ولو لواحد من الخلق قبل كونه وبعد كونه • ولما كان التوقيف على الاعمال فظيعا مرجفا قال مسببا عن
الرد فينبئكم اي يخبركم اخبارا عظيما مستقصى مستوفى بما كنتم اي بما هو لكم كالجبلة تعملون اي بكل جزء
منه مما برز الى الخارج ومما كان في جبلاتكم ولو بقيتم لعلمتموه ليجازيكم عليه • ولما قبح سبحانه المخالفة
بين القول والفعل وصور صاحبها بصورة الحمار على الهيئة السابقة وحذر من ذلك بما هيأ به العاقل للاجابة
الى دوام الطاعة بعد ان بين ان جميع الكائنات مقرة بشمول ملكه بما لها من التسبيح بالسنة الاحوال والقال
في مراداته بغاية الامتثال فكان العاقل جديرا بالمبادرة الى غاية التسبيح بلسان المقام وختم بالتحذير من الاخبار
يوم الجمع الاعظم بجميع الاعمال قال على طريق الاستنتاج مما مضى من الترغيب والترهيب نادبا لهم ليكونوا اوليا
لله الى التزكية المذكورة التي هي ثمرة الرسالة بما حاصله الاقبال بالكلية على الله والاعراض بالكلية عن الدنيا
ليجمع المكلف بين التحلي بالمزايا والتخلي عن الدنايا باخص من المزايا اعظم تسبيح يفعله العاقل في ايام الاسبوع
وهو الاسراع بالاجتماع العظيم في يوم الجمعة الذي يناظر الاجتماع باجابة المنادي في يوم الجمع الاكبر ثم الاقبال
الاعظم بفعل صلاة الجمعة التي هي سر اليوم الذي ضيعه اليهود واستبدلوا به ما كان سبب تعذيبهم بعذاب من
لم يعذب به احد من العالمين كما جعل نتيجة السورة الماضية النداء بالارشاد الى الايمان والجهاد الموجب للامان
يايها الذين امنوا اي اقروا بالسنتهم بالايمان والهبهم باداة البعد المشيرة الى احتياجهم الى التزكية الى
المبادرة الى الاقبال على ما يتعقب ذلك من الاوامر اذا نودي اي من اي مناد كان من اهل النداء للصلاة
اي لاجل الحضور اليها واليه عند قعود الامام على المنبر للخطبة • ولما كانت الاجابة يكفي في ايجابها النداء في
الوقت المعروف للنداء ولا يشترط لها استغراق النداء لجميع اليوم اتى بالجار فقال من يوم الجمعة اي اليوم

الذي عرض علي من قبلنا فأبوه فكانوا كمثل الحمار يحمل اسفارا وادخره الله لنا ووفقنا لقبوله فكانوا
لنا تبعا مع تاخرنا عنهم في الزمان سمي بذلك لوجوب الاجتماع فيه للصلاة فعله بالسكون ويضم اسم للمفعول
كالضحكة للمضحوك منه فان فتح ميمه كان بمعني الوقت الجامع كالضحكة للكثير ومن جمعه ان فيه اجتمع
خلق ادم عليه السلام فاجتمع بخلقه جميع الخلق وهو مذكر بيوم البعث والجمع الذي يقع فيه الانبا بالاعمال
ويظهر فيه ظهورا بينا تاما الجلال والجمال يوم ينادي المنادي من مكان قريب وفيه تقوم الساعة
روي مالك عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس
يوم الجمعة فيه خلق ادم عليه السلام وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة
وما من دابة الا وهي مصيخة من حين تصبح حتي تغرب الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة
لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسال الله شيا الا اعطاه اياه وفي اخر الحديث ان عبد الله بن سلام رضي الله
عنه قال انها اخر ساعة في يوم الجمعة واول الصلاة بما اعم من فعلها وانتظارها لقول النبي صلي الله عليه وسلم
من جلس مجلسا ينتظر فيه الصلاة فهو في صلاة حتي يصليها وكان الندا في زمن رسول الله صلي الله عليه
وسلم عند باب المسجد اذا صعد صلي الله عليه وسلم علي المنبر فاذا نزل بعد الخطبة اقيمت الصلاة وكذا
في زمن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما كان عثمان رضي الله عنه وكثر الناس وتباعدت المنازل وقلت
الهمم زاد مؤذنا اخر علي داره التي تسمي الزوراء فاذا جلس علي المنبر اذن المؤذن ثانيا الاذان الذي كان علي
زمن النبي صلي الله عليه وسلم فاذا نزل من المنبر اقيمت الصلاة ولم يعب احد علي عثمان رضي الله عنه زيادة
الاذان الاول لعلمهم انه من السنة بما جعل اليه النبي صلي الله عليه وسلم حين قال عليكم بسنتي وسنة الخلفا
الراشدين من بعدي ولما كان المراد انجاب المضي جزما من غير تردد مع قطع كل علاقة بلا التفات الي
شي من غير ما عذر الشارع به عبر عنه بالسعي وهو معني قول الحسن انه السعي بالنية لا بالقدم فقال
فاسعوا اي لتكونوا اوليا لله ولا تتهاونوا في ذلك تكونوا اعداه كاليهود الي ذكر الله اي بالخطبة والصلاة
المذكرة بالملك الاعظم الذي من انقطع عن خدمته هلك هذا المراد بالسعي لا حقيقته بل هي منهي عنها كما قال
صلي الله عليه وسلم اذا اقيمت الصلاة فلا تاتوها تسعون ولكن ايتوها وعليكم السكينة فما ادركتم فصلوا
وما فاتكم فاتموا ولما امر بالمبادرة الي تجارة الاخرة وكان طلب الارباح لكونها حاضرة اعظم مانع عن
امور الاخرة لكونها غايبة وكان البيع اجل ذلك لتعين الفايدة فيه ولكونه اكثر ما يشتغل به اهل الاسواق
لكثرة الوافدين الي الامصار يوم الجمعة من الحواضر واجتماعهم للتجارة عند تعالي النهار قال ناهيا عن تجارة
الدنيا وكل ما يعوق عن الجمعة معبرا به عنها لانه اعظمها وذروا البيع اي اتركوه ولو علي اقبح حالاته واذلها
واحقرها فافاد النهي عنه النهي عن غيره من باب الاولي ووقت التحريم من الزوال الي فراغ الصلاة فان خالف
وباع صح العقد مع عصيانه فان النهي ليس لعينه ولا لما هو داخل فيه ولا لما هو خارج ولا لازم له بل لامر
مقارن بطريق الاتفاق وهو ما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الدار المغصوبة والثوب المغصوب
والوضوء بالما المغصوب ولما امر بما هو شاق علي النفوس معبرا بالفعل المريض لفظا ومعني رغب فيه
بقوله ذلكم اي الامر العالي الرتبة من فعل السعي وترك الاشتغال بالدنيا خير لكم لان الامر الذي امركم
به له الامر كله وهو يريد تطهيركم في اديانكم وابدانكم واموالكم وبيده اسعادكم واشقاؤكم والقلب الي
ذلك وزاد في الحث عليه بقوله ان كنتم اي بما هو لكم كالجبلة تعلمون اي يتجدد لكم علم في يوم من الايام فانتم
ترون ذلك خيرا فاذا علمتموه خيرا اقبلتم عليه فكان ذلك لكم خيرا وصلاة الجمعة فرض عين يجب علي كل من جمع البلوغ
والعقل والحرية والذكورة والاقامة اذا لم يكن له عذر مما ذكره الفقها وانما عبر عنها بهذا اشارة الي ان عاقلا
لا يسعه ان يترك ما يعلم انه اعلي وجوه الخير وكل من لا يجب عليه حضور الجمعة فاذا حضر وصلي مع الامام سقط

عنه

عنه فرض الظهر ولا يكمل به عدد الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر تكمل به العدد ولما حث
علي الصلاة وارشد الي ان وقتها لا يصلح لطلب شي غيرها وانه متي طلب فيه شي من الدنيا محقت بركته مع ما
اكتسب من الاثم بين وقت المعاش فقال مبيحا لهم ما كان حظر عليهم ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما
ان شيت فاخرج وان شيت فاقعد فاذا قضيت الصلاة اي وقع الفراغ منها علي اي وجه كان فانتشروا
اي فدبوا او تفرقوا مجتهدين في ذلك في الارض اي جميعها ان شيتم لا حجر عليكم ولا حرج رخصة من الله لكم
وابتغوا اي وتعمدوا وكلفوا انفسكم مجتهدين بالسعي في طلب المعاش من فضل الله اي نافلة الملك الاعلي
الذي له كل كمال ولا يجب لاحد عليه شي بالبيع والشرا وغيرهما من مصالح الدين والدنيا التي كنتم
نهيتم عنها ولما كان السعي في طلب الرزق ملهيا عن الذكر بين انه اعظم السعي في المعاش وان من
غفل عنه لم ينجح له مقصد وان تخايل له غير ذلك فقال واذكروا الله اي الذي بيده كل شي ولا شي
لغيره فانه لا رخصة في ترك ذكره اصلا ولما كان العبد مطلوبا بالعبادة في كل حال فانه مجبول علي
النسيان فمهما فتر عن نفسه استولت عليها الغفلة فمرنت علي البطالة فهلكت قال كثيرا اي بحيث لا
تغفلوا عنه بقلوبكم اصلا ولا بالسنتكم حتي عند الدخول الي الخلا وعند اول الجماع وعند الانزال واستثني
من اللساني وقت التلبس بالقذر كالكون في قضا الحاجة ولما كان مراد الانسان في جميع تصرفاته الفوز
بمراداته قال معللا لهذا الامر لعلكم تفلحون اي لتكونوا عند الناظر لكم والمطلع عليكم من امثالكم ممن
يجهل العواقب علي رجا من ان تظفروا بجميع مطلوباتكم فان الامور كلها بيد من تكثرون ذكره وهو عالم بمن
يستحق الفلاح فيسعفه به وبمن عمل ريا ونحوه فيخيبه فاذا امتثلتم امره كان جديرا بتنويلكم ما تريدون
وان نسيتموه كنتم جديرين بان يكلكم الي انفسكم فتهلكوا ولما كان التقدير بما كان ينطق به نص الخطاب
هذه اوامرنا الشريفة وتقديساتنا العظيمة وتفضيلاتنا الكريمة العميمة فما لهم اذا نودي لها تواني
بعضهم في الاقبال اليها وكان قلبه متوجها نحو البيع وغيره من الامور الدنيوية عاكفا عليها ساعيا
بجملته اليها فخالف قوله انه اسلم لرب العالمين فعله هذا عطف عليه قوله واذا راوا اي بعد الوصول
الي موطنها المربح ومحلها الفسيح الشرح المليح والاشتغال بشانها العالي تجارة اي حمولا هي موضع للتجارة
ولما ذكر ما من شانه اقامة المعاش اتبعه ما هو ازل منه وهو ما اقل شؤونه البطالة التي لا ينجح
اليها ذو قدر ولا يلقي لها باله فقال او لهوا اي ما يلهي عن كل نافع ولما كان مطلق الانفضاض قبيحا
لانه لا يكون الا تفرقا علي حال سيي من الفض وهو الكسر بالتفرقة والانفضاض ما تفرق من الشي عند
الكسر ويقال فض الفم والطابع كسرهما فكيف اذا كانت علته قال تعالي معبرا به انفضوا اي نفروا
متفرقين من العجلة ولما كان سبب نزول الاية انه اصاب الناس جوع وجهد فقدم دحية الكلبي رضي الله
عنه بعير تحمل ميرة وكان من عرفهم ان يدخلوا في مثل ذلك بالطبل والمعازف والصياح وكان قصد
بعض المنفضين العير وبعضهم ما قارنها من اللهو ولكن قاصد التجارة هم الاكثر انث الضمير فقال معلما بالاهتمام
بها لان اللهو مسبب عنها اليها وللدلالة علي انه اذا ذم قاصدها مع ما فيها من النفع والانسان لا بد له
من اصلاح معاشه لقيام حاله ولا سيما والحاجة اذ ذاك شديدة كان الذم بقصد اللهو من باب الاولي
ولما كان ذلك حال الخطبة التي هي جديرة بشدة الاصغا اليها والاتعاظ بها في صرف النفس عن الدنيا
والاقبال علي الاخرة قال وتركوك اي تخطب حتي بقيت في اثني عشر رجلا قال جابر رضي الله عنه انا احدهم
ودل علي مشروعية القيام بقوله قايما فالواجب خطبتان قايما يفصل بينهما بجلوس والواجب فيهما ان
يحمد الله ويصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم ويوصي بتقوي الله هذه الثلاث واجبة في الخطبتين معا ويجب ان
يقرا في الاولي اية من القران وفي الثانية ان يدعو للمومنين فلو ترك واحدة من هذه الخمس لم تصح الخطبة عند

الشافعي ولجواز الجمعة خمس شرايط الوقت وهو وقت الظهر والعدد وهو اربعون والامام والخطبة وداء الاقامة فان فقد شرط وجبت الظهر ولا يبتدي الخطبة الا بعد تمام الاربعين وبقا هذا العدد شرط الي آخر الصلاة فلو انفض بعضهم ثم عاد ولم يفته شي من الاركان صحت ولما كان هذا فعل من شغلت همته عن سماع كلام الحق من الحق امره صلي الله عليه وسلم بوعظهم الهابا لهم الي الرجوع الي تاهيلهم للخطاب ولو بالعتاب قال قل اي لهم ترغيبا في الرجوع الي ما كانوا عليه من طلب الخير من معدة ما عند الله اي المحيط بجميع صفات الكمال من الاعواض العاجلة في الدنيا من واردات القلوب وبوادي الحقيقة الحاصلة من سماع الخطبة الآمر بكل خير الناهي عن كل شر المفيد لتزكية الباطن وتقويم الظاهر والبركة في جميع الاحوال والآجلة في الاخرة مما لا يدخل تحت الوصف خير ولما قدم التجارة اولا اهتماما به قدم هنا ما كانت سببا له ليصير كل منهما مقصودا بالنهي فقال من اللهو ولما بدا به لاقبال الاغلب في حال الرفاهية عليه قال معيدا الجار للتاكيد ومن التجارة اي وان عظمت ولما كان من عنده الشي قد لا يعطيه بسهولة واذا اعطاه لا يعطيه الا لمن يحبه قال والله اي ذو الجلال والاكرام وحده خير الرازقين لانه يرزق متاع الدنيا لسفوله ولكونه زاد الي الاخرة البر والفاجر المطيع والعاصي ويعطي من يريد ما لا يحصيه العد ولا يحصره الحد واما المعارف الالهية والاعمال الدينية الدال عليها رونق الصدق وصفا الاخلاص وجلالة المتابعة فلا يوتيها الا الابرار وان كانوا اضعف الناس وابعدهم من ذلك ولا يفوت احدا اقبل علي ما شرعه شيا كان ينفعه فلا تظنوا ان الغني في البيع والتجارة انما هو في متابعة امر من احل البيع وامر به وشرع ما هو خير منه تزكية وبركة ونما في الظاهر والباطن روي صاحب الفردوس عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال يوم الجمعة اللهم اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك سبعين مرة لم تمر به جمعتان حتي يغنيه الله واصل الحديث اخرجه احمد والترمذي وقال حسن عن علي رضي الله عنه وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما فاقبلوا علي متابعة رسوله صلي الله عليه والزموا هديه واستمسكوا بغرزه تنالوا خير الدارين بسهولة فقد رجع آخر السورة كما تري علي اولها بما هو من شان الملك من الرزق وانالة الارباح والفوايد ولا سيما اذا كان قدوسا وتبكيت من اعرض عن خطبة رسول الله صلي الله عليه وسلم اللازم منه الاقبال عليه ودوام الاقامة بين يديه لانه لا يدعوهم الا لما يحييهم من الصلاة والوعظ الذي هو عين تنزيه الله وتسبيحه يتلو عليهم اياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ليزكيهم ربه ويرزقهم من فضله ❁ ❁

مقصودها كمال التحذير مما يثلم الايمان من الاعمال الباطنة والترهيب مما يقدح في الاسلام من الاحوال الظاهرة بمخالفة الفعل للقول فانه نفاق في الجملة فيوشك ان يجر الي كمال النفاق فيخرج من الدين ويدخل الهاوية ليكون هذا التحذير سببا في صدق الاقوال ثم صدق الاعمال ثم صدق الاخلاق ثم صدق الاحوال ثم صدق الانفاس فصدق القول ان لا يقول القايل الا عن برهان وصدق العمل ان لا يكون للبدعة عليه سلطان وصدق الاخلاق ان يلاحظ ما يبدو منه من الاحسان بعد المبالغة فيه بعين النقصان وصدق الاحوال ان يكون علي كشف وبيان وصدق الانفاس الا عن وجود كالعيان وتسميتها بالمنافقين واضحة في ذلك بسم الله الذي له الاحاطة العظمي علما وقدرة لمن زاغ ارداه الرحمن الذي ستر لعموم رحمته من اراده من عباده وفضح من شا وان دق مكره واخفاه الرحيم الذي وفق اهل وده باتمام نعمته لما تحبه ويرضاه لما نهي سبحانه في الممتحنة عن اتخاذ عدوه وليا وذم

في الصدق علي المخالفة بين القول والفعل وحذر آخر الجمعة من الاعراض عن حال من احوال النبي صلي الله عليه وسلم علي حال من الاحوال ولو مع الوفاق لان صورة ذلك كله صورة النفاق فتح في اول هذه حال من اقبل عليه علي حال النفاق لانه يكون كاليهود الذين حملوا التورة ثم لم يحملوها واستمرت السورة كلها في ذمهم باقبح الذم ليكون زاجرا عن كل ما ظاهره الا نفاق فقال تعالي اذا جاءك اي يا ايها الرسول المبشر به في التوراة والانجيل المنافقون اي العريقون في وصف النفاق وهو اسلام الظاهر وكفر الباطن واغلبهم من اليهود قالوا موكدين لاجل استشعارهم لتكذيب من يسمعهم لما عندهم من الارتياب نشهد قال الحسن هو بمنزلة يمين كانهم قالوا نقسم انك التاكيد لذلك وابهاما لان قوة تاكيدهم لشدة رغبتهم في مضمون ما يقولونه لرسول الله اي الملك الذي له الاحاطة الكاملة فوافقوا الحق بظاهر احوالهم وخالفوا بقلوبهم وافعالهم ولما كانت الشهادة الاخبار عن علم اليقين لانها من الشهود وهو كمال الحضور وتمام الاطلاع ومواطاة القلوب الالسنة صدق سبحانه المشهود به وكذبهم في الاتسام بالشهادة ومواطاة السنتهم لقلوبهم فقال والله يعلم اي وعلمه هو العلم في الحقيقة واكد سبحانه بحسب انكار المنافقين فقال انك لرسوله سوا شهد المنافقون بذلك ام لم يشهدوا فالشهادة بذلك حق ممن يطابق لسانه قلبه ووسط هذا بين شهادتهم وتكذيبهم لئلا يتوهم ان ما تضمنته شهادتهم من الرسالة كذب ولما كان ربما ظن ان هذا تاييد لكلام المنافقين دل علي انه تحقيق لمضمون كلامهم دون شهادتهم فقال والله اي المحيط بجميع صفات الكمال يشهد شهادة هي الشهادة لانها محيطة بدقايق الظاهر والباطن ان المنافقين اي الراسخين في وصف النفاق لكاذبون اي في اخبارهم عن انفسهم انهم يشهدون لان قلوبهم لا تطابق السنتهم فهم لا يعتقدون ذلك ومن شرط قول الحق ان يتصل ظاهره بباطنه وسره بعلانيته ومتي تخالف ذلك فهو كذب لان المراد انهم كاذبون في صحة ما تضمنته شهادتهم من انك رسول الله والحاصل ان الشهادة تتضمن شيين صدق مضمون الخبر والاذعان له فصدقهم الله في الاول وكذبهم في الثاني فصاروا بنفاقهم اسفل حالا وشرا مالا من اليهود ❁ وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير لما اعقب حال المومنين فيما خصهم الله به مما انطوت عليه الايات الثلاث في صدر سورة الجمعة الي قوله والله ذو الفضل العظيم بذكر حال من لم ينتفع بما حمل حسبما تقدم وكان في ذلك من المواعظ والتنبيه ما ينتفع به من سبقت له السعادة اتبع بما هو اوضح في الغرض وابلغ في المقصود وهو ذكر طايفة بين اظهر من قدم الثنا عليهم ومن اقربايهم واترابهم واقاربهم تلبست في الظاهر بالايمان واظهرت الانقياد والاذعان وتعرضت فاعرضت وتنصلت فما وصلت بل عاقتها الاقدار فعميت البصاير والابصار ومن المطرد المعلوم ان اتعاظ الانسان باقرب الناس اليه وباهل زمانه من ابناء جنسه اعظم من اتعاظه بمن بعد عنه زمانا ونشبا فاتبعت سورة الجمعة بسورة المنافقين وعظا للمومنين بحال اهل النفاق وبسط من قصصهم ما يلايم ما ذكرناه وكان قد قيل لهم ليس من اظهر الانقياد والاستجابة من بني اسراييل ثم كان فيما حمل كمثل الحمار يحمل اسفارا باعجب من حال اخوانكم زمانا وقرابة وانتم اعرف الناس بهم وانهم قد كانوا في الجاهلية موصوفين بجودة الراي وحسن النظر واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم ولكن المنافقين لا يفقهون قلت وقدم في الخطبة ما رويناه في مصنف ابن ابي شيبة من قول اناس من المومنين كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقرا في الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين فاما سورة الجمعة فيبشر بها المومنين ويحرضهم واما سورة المنافقين فيوبس بها المنافقين ويوبخهم وهذا نحو مما ذكرناه اولا انتهي ❁ ولما كان المعني انهم لم يعتقدوا ما شهدوا به وكان كانه قيل فما الحامل لهم علي هذا الكلام الموكد والكذب في غاية القباحة لا سيما عند العرب علله بقوله مسميا شهادتهم

أيمانا لان الشهادة تجري مجري القسم في ارادة التوكيد ولذلك تتلقي بما يتلقي به القسم **اتخذوا** أي
اخذوا بجهدهم **ايمانهم** اي كلما من شهادتهم هذه المجتهد في توكيدها وكل يمين سواها **جنة** اي وقاية
تقيهم المكاره الدنيوية ويستترون بها منها فيصونون بها دماهم واموالهم فاستضاؤوا بنور الاجابة
فلم ينبسط عليهم شعاع نور السعادة فانطفا نورهم بنهر الحرمان وبقوا في ظلمات القسمة السابقه
بحكم الخذلان **فصدوا** اي فتسبب لهم اتخاذهم هذا ان اعرضوا بانفسهم مع سوء البواطن وحرارة
الصدور وحملوا غيرهم علي الاعراض لما يري من مشي حالهم بتلك الظواهر مع بقايهم علي ما كانوا القوه من
الكفر الذي يزينه الشيطان **عن سبيل الله** اي عن طريق الملك الاعظم الذي شرعه لعباده ليصلوا
به الي محل رضوانه ووصلوا الي ذلك بخداعهم ومكرهم بجراتهم علي الايمان الحانثة التي يمشون حالهم بها
لما شرعه الله في هذه الحنيفية السمحة من القناعة من الحالف بيمينه فيما لا يعلم الا من قبله **ولما** كان
ما اخبر به من حالهم في غاية القباحة انتج قوله **انهم** واكده لان حالهم تعجبهم وتعجب كثيرا ممن قاربهم **ساما**
كانوا اي جبلة وطبعا **يعملون** اي يجددون عمله مستمرين عليه بما هو كالجبلة من جراتهم علي الله ورسوله
صلي الله عليه وسلم وخلص عباده بالايمان الحانثة **ولما** كانت المعاصي تعمي القلب فكيف باعظمها علله
بقوله **ذلك** اي الامر العظيم في البعد من الخير من الكذب في الاخبار بالشهادة والحلف علي الصدق والصد
عن السبيل والوصف لعملهم بالسوء **بانهم امنوا** اي بسبب ايمانهم اقروا بالايمان بالسنتهم من غير مطابقة
من قلوبهم **ولما** كان الكفر مستبعدا فكيف اذا كان بعد الاقرار عبر باداة البعد لذلك وليفهم الذم علي
التعقيب من باب الاولي ولئلا يتوهم ان الذم انما هو علي تعقيب الايمان بالكفر فقط لا علي مطلقه فالتعبير
بثم يفهم ان من استمر طول عمره علي الايمان ثم كفر قبل موته بلحظة كان له هذا الذم فقال **ثم كفروا** اي سرا
فما بوا الناس ولم يهابوا الله **ولما** كان مجرد الطبع علي القلب في غاية البشاعة كان معلما البشاعة
ما كان منه من الله من باب الاولي بني للمجهول قوله **فطبع** اي فحصل الطبع وهو الختم مع انه معلوم
انه لا يقدر علي ذلك غيره سبحانه **علي قلوبهم** لاجل اجترائهم علي ما هو اكبر الكباير علي وجه النفاق حتي مرنوا
علي الكفر واستحكموا فيه وكذلك من ترك الجمعة ثلث مرات تهاونا بها **فهم** اي فتسبب عن ذلك انهم **لا يفقهون**
اي لا يقع لهم فقه في شي من الاشيا فهم لا يميزون صوابا من خطا ولا حقا من باطل لان المختوم عليه لا يصل
اليه شي ولا يخرج منه شي منه **ولما** وصف سبحانه بواطنهم بما زهد فيهم لان الانسان بعقله كما ان
الماكول بشكله وكانت لهم اشكال تغر ناظرها لان العرب كانت تقول المنظر يدل غالبا علي حسن
المخبر قال تعالي **واذا رايتهم** أي أيها الرسول علي ما لك من الفطنة ونفوذ الفراسة او ايها الراي
كاينا من كان بعين البصر **تعجبك اجسامهم** لضخامتها وصباحتها فان غنايتهم كلها بصلاح ظواهرهم
وترفيه انفسهم فهم اشباح وقوالب ليس وراها الباب وحقايق قال ابن عباس رضي الله عنهما كان
ابن ابي يعني الذي انزلت السورة بسببه جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل
صفته وهم روسا المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم ويستندون فيه ولهم
جهارة المناظر وفصاحة الالسن وكان النبي صلي الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم **ولما**
وصف البواطن والظواهر وكان قولهم المر باصغريه قلبه ولسانه مشروطا كما هو ظاهر العبارة
بمطابقة اللسان للقلب قال معبرا باداة الشك اشارة الي انهم لا يكلمونه صلي الله عليه وسلم الا الاضطرار
لانهم لا يحبون مكالمته ولا باعث لهم عليها لما عندهم من امراض القلوب **وان يقولوا** أي يوجد منهم
قول في وقت من الاوقات **تسمع لقولهم** اي لانه يكون بحيث يلذ المسمع ويروق الفكر لما فيه من الادهان
مع الفصاحة فهو ياخذ بمجامع القلب **ولما** اخبر عن ظاهرهم دل علي ان ذلك الظاهر امر لا حقيقة

له وانهم لما وطنوا انفسهم علي الوقاحة وخلعوا لباس الحيا الكذب بذلوا جميع الجهد في تحسين القول
لانه لا ذرك عليهم فيه فيما يحسبون بوجه لانهم لا يحسبون للاخرة حسابا فقال **كانهم** اي في حسن ظواهرهم
وسوء بواطنهم وفي الجبن والخور وعدم الانتفاع بهم في شي من فهم او ثبات فانهم لا حقيقة لهم **خشب** جمع
كثرة لخشبة وهو دليل علي كثرتهم **ولما كان** الخشب مما اطلق علي المغروس نفي ذلك بقوله مبينا له
بالتشديد علي الكثرة **مسندة** اي قد قطعت من مغارسها وقشرت واسندت الي الجدار لئلا يفسدها
التراب فهي بيض تلوح تعجب ناظرها ولا ثبات لها ولا باطن بثمرة ولا سقي فلا مدد سماوي لها اصلا بزكيها
نوع زكا فقد فقدت روح الانبات الذي به كمالها كما فقد المنافقون روح الايمان الذي به كمال الناطق
وبقاوه فهم في تلك الحالة اشباح بلا ارواح اجسام بلا احلام **ولما** كان من يقول ما لا يفعل يصير
متهما لكل من يكلمه لانه لا خلاقة له قد صار عدوه فيتوهم الناس كلهم اعدا له فيكسبه ذلك اشد الجبن وذلك
هو السبب الاعظم في تحسين قوله قال **يحسبون** اي لضعف عقولهم وكثرة ارتيابهم لكثرة ما يباشرون
من سوء اعمالهم **كل صيحة** أي من ندا مناد في انفلات دابة او انشاد ضالة ونحو ذلك **عليهم** اي واقعة **ولما**
كان من يظن عداوة الناس له يكون هو عدوا لهم قال ما هو نتيجة ما مضي **هم** اي خاصة **العدو** اي الكامل
العداوة بما دل عليه الاخبار بالمفرد الذي يقع علي الجمع اشارة الي انهم في شدة عداوتهم للاسلام
واهله وكمال قصدهم وشدة سعيهم فيه علي قلب واحد وان اظهروا التردد في الكلام والتقرب به
الي اهل الاسلام فان السنتهم معكم اذا لقوكم وقلوبهم عليكم مع اعدايكم فهم عيون لهم عليكم **ولما**
بين ذلك من سوء احوالهم سبب عنه قوله **فاحذرهم** لان اعدا الاعدا العدو المداجي الذي
يكاسرك وتحت ضلوعه الدا الدوي فان من استشعر انك عدو له بغي لك الغوايل واغلب من يعجبك
قوله علي هذا الوصف يكون ولكنه يكون بلطف الله دايم الخذلان منكوسا في اكثر تقلباته بيد القهر
والحرمان لسر قوله تعالي **قاتلهم الله** اي احلهم الملك المحيط قدرة وعلما محل من يقاتله عدو قاهر
له اشد مقاتلة علي عادة الفعل الذي يكون بين اثنين **ولما** كان حالهم في غاية العجب في صرفهم
عن الاسلام اولا بالعمي عن الايات الظاهرات وثانيا عن الاخبار باسرارهم وخفي مكرهم واخبارهم
وفي عدم صرفهم عما هم عليه من قبح السراير وسوء الضماير بتعكيس مقاصدهم وتخييب مصادرهم
ومواردهم دل علي ذلك بقوله **اني** اي كيف ومن اي وجه **يوفكون** اي يصرفهم عن ادراك قبح ما
هم عليه صارف ما كاينا ما كان ليرجعوا عنه الي حسن الدين والانس به وادراك بركته وعظيم اثره **ولما**
كان هذا امرا عظيما قاطعا عن الله ورسوله فيحتاج فاعله حاجة شديدة الي التطهير وهو جدير لعظمه ان
لا يطهره غاية الطهر الا سوال النبي صلي الله عليه وسلم وكانوا لا يفعلون ذلك دل علي سوء بواطنهم وغلظ
اكبادهم وانهم كالخشب المسندة في انهم لا ثمرة لهم ولا زكاة اصلا بقوله **واذا قيل لهم** اي من اي قايل
كان **تعالوا** اي ارفعوا انفسكم مجتهدين في ذلك بالمجي الي اشرف الخلق الذي لا يزال مكانه عاليا لعلو
مكانته **يستغفر لكم** اي يطلب الغفران لاجلكم خاصة بعد ان تتوبوا من ربكم من اجل هذا الكذب الذي
انتم مصرون عليه **ولما** تقدم عاملان اعمل الثاني منهما كما هو المختار من مذهب البصريين فرفع
قوله **رسول الله** اي اقرب الخلق الي الملك الاعظم الذي لا شبيه لجوده **لووا رءوسهم** اي فعلوا اللي
بغاية الشدة والكثرة وهو الصرف الي جهة اخري اعراضا وعتوا واظهارا للبغض والنفرة وبالغوا
فيه مبالغة تدل علي انهم مغلوبون عليه لشدة ما في بواطنهم من المرض **ورايتهم** اي بعين البصيرة **يصدون**
اي يعرضون اعراضا قبيحا عما دعوا اليه مجددين لذلك كلما دعوا اليه والجملة في موضع الثاني لرايت المفعول
وهم مستكبرون أي ثابتون الكفر عمن دعوا اليه وعن اجلال انفسهم في محل الاعتذار فهم لشدة غلظهم

لا يدركون قبح ما هم عليه ولا يهتدون الى دوايه واذا ارشدهم غيرهم ونبههم لا ينتبهون فقد
روي انهم لما نزل القرآن فيهم اتاهم عشايرهم من المؤمنين وقالوا ويحكم افتضحتم واهلكتم انفسكم فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوبوا اليه واسئلوه ان يستغفر لكم فابوا ذلك فانزل الله هذه الاية
وروي أن ابن أبي راسهم لوى راسه فقال لهم امرتم على بالايمان فامنت وامرتم على بان اعطي
زكاة مالي ففعلت ولم يبق الا تامروني بالسجود لمحمد **ولما** كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب
صلاحهم فهو يحب ان يستغفر لهم وربما ندبه الى ذلك بعض اقاربهم فكان استغفاره بحيث عنه قال
مبينا على انهم ليسوا باهل للاستغفار لانهم لا يؤمنون **سوا** اي على واستعلى هذا الاستوا الذين عالجوا
انفسهم عليه حتى تخلقوا به فصار مجردا عن ادنى ميل وكلفة **عليهم** **فلما** كان قد سلخ في مثل هذا
السياق عن الهمزة معنى الاستفهام كان معنى **أستغفرت لهم** اي مثل هذا الوقت **أم لم تستغفر**
لهم اي فيه او فيما بعد مستو عندهم استغفارك لهم وتركه لانهم لا اثر له عندهم ولهذا كانت
نتيجته عقوبة لهم النفي المبالغ فيه بقوله **لن يغفر الله** اي الملك الاعظم **لهم** ولعل التعبير بالاستفهام
بعد سلخ معناه للاشارة الى انهم لو شاهدوا الملك يستفهمك عن ذلك ما ردهم عن نفاقهم وما زادهم
ذلك على ما عندهم شيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قيد هذه الاية باية براة المحتملة للتخيير
وانه ان زاد على السبعين كان الغفران مرجوا فاستخار بذلك الصلاة على ابن ابي راس المنافقين والاستغفار
لما عنده صلى الله عليه وسلم من عظيم الشفقة على عباد الله ومزيد الرحمة لهم لاسيما من كان في عداد
اصحابه وللانصار رضي الله عنهم به عناية **ولما** كان التقدير لتعليل المبالغة في الاخبار بعدم الغفران
لهم لانهم فسقوا قد استحكم فصار وصفا لهم ثابتا عبر عن ذلك بقوله **ان الله** اي الذي له صفات الكمال
لا يهدي القوم اي الناس لهم قوة في انفسهم على ما يريدونه **الفاسقين** لانهم لا عذر لهم في الاصرار
على الفسق وهو المروق من حصن الاسلام بخرقه وهتكه مرة بعد مرة والتمرن عليه حتى استحكم فهم
راسخون في النفاق والخروج عن مظنة الاستصلاح **ولما** كان هذا داعيا الى السؤال عن الامر الذي
فسقوا به قال مبينا له **هم** اي خاصة بخالص بواطنهم **الذين يقولون** اي اوجدوا هذا القول ولا
يزالون يجددونه لانهم كانوا مربوطين بالاسباب محجوبين عن شهود التقدير غير محققين بتصريف الاحكام
فانطقهم ما خامر قلوبهم من تمني اطفاء نور الله فتواصوا فيما بينهم بقولهم **لا تنفقوا** ايها المخلصون في النصرة
على من اي الذين **عند رسول الله** اي الملك المحيط بكل شي وهم فقرا المهاجرين وكانوا عبروا بذلك تهكما
لا يعتقدونه تهكما او اشارة الى انه لو كان رسوله وهو الغني المطلق لاغنى اصحابه ولم يحوجهم الى ان
ينفق الناس عليهم وما دري الاغبيا ان ذلك امتحان منه سبحانه لعباده فسبحان من يضل من يشا حتى
يكون كلامه ابعد شي عن الصواب بحيث يعجب العاقل كيف يصدر ذلك من احد وان هذه ليست عبادتهم
وهو الظاهر **وعبر** سبحانه عنهم بذلك اشارة الى ان كلامهم يؤول الى ارادة خير من الله توقيفا على كفرهم
وتنبيها على ان من ارسل رسولا لا يكله الى احد بل يكفيه جميع ما يهمه من غير افتقار الى شي اصلا فقد ارسل
اليه صلى الله عليه وسلم بمفاتيح خزاين الارض فاباها وما كفاهم هذا الجنون حتى زادوا [من الناس صح] ما دل على انهم ظنوا
ان ابواب الرزق تغلق اذا امتنع المنفقون عن انفاقهم وعبروا بحرف غاية يكون لما بعده حكم ما قبله فقالوا
حتى ينفضوا اي يتفرقوا تفرقا قبيحا فيه كسر فيذهب كل احد منهم الى اهله وشغله الذي كان له قبل ذلك قال
الحرالي حتى كلمة تفهم غاية محوطة يدخل ما بعدها في حكم ما قبلها مقابل معنى الى وقال اهل العربية لا يجر بها
الا اخر او متصل بالاخر نحو الفجر في حتى مطلع الفجر وحتى اخر الليل ولا تقول حتى نصف الليل وما دري الجهلا
انهم لو فعلوا ذلك اباح الله غيرهم للانفاق او امر رسوله صلى الله عليه وسلم فدعا في الشي اليسير فصار كثيرا

او

اوكان بحيث لا ينفد او اعطى كلا يسيرا من طعام على كيفية لا ينفد معها كتمر ابي هريرة وشعير عايشه وعكة ام ايمن
رضي الله عنهم وغير ذلك كما راوا ذلك غير مرة ولكن من يضلل الله فما له من هاد ولذلك عبر في الرد عليهم بقوله
ولله اي قالوا ذلك واستمروا على تجديد قوله والحال ان للملك الذي لا امر لغيره **خزاين السموات** اي كلها
والارض كذلك من الاشيا المعدومة الداخلة تحت مقدوره انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون
ومن الاشيا التي اوجدها فهو يعطي من يشا منها ما يشا حتى من ايديهم لا يقدر احد على منع شي من ذلك لا مما في يده ولا
مما في يد غيره ونبه على سوء غباوتهم وانهم تقيدوا بالوهم حتى سفلوا عن رتبة البهايم كما قال بعضهم ان
كان محمد صادقا لنحن شر من البهايم بقوله **ولكن المنافقين** اي العريقين في وصف النفاق **ولما** كان ما
يساق الى الخلق من الارزاق يظن كثير منهم انهم حصلوه بقوتهم عبر بالفقه الاخص من العلم فقال **لا يفقهون**
اي لا يتجدد لهم فهم اصلا لان البهايم اذا رات شيا ينفعها يوما ما في مكان طلبته مرة اخرى وهولا راوا غير
مرة ما اخرج الله من خوارق البركات على يد رسوله صلى الله عليه وسلم فمن لم ينفعهم ذلك فمن راى ان الرزق
بيد الخلق فالهاه ذلك عن الله حتى ضيع حقوقه وداهن في دينه فقد بري من القران ودل على عدم فقههم
بقوله **يقولون** اي يوجدون هذا القول ويجددونه مؤكدين لاستشعارهم بان اكثر قومهم ينكره **لين رجعنا**
اي نحن ايتها العصابة المنافقة **الى المدينة** اي من غزاتنا هذه التي قد دار فيها من نصرة النبي صلى الله
عليه وسلم ما يعجز الوصف وهي غزوة بني المصطلق حي من هذيل بالمريسيع وهو ما من مياههم من ناحية قديد
الى الساحل وفيها تكلم ابن ابي بالافك واتباعه **ليخرجن** ودلوا على تصميمهم على عدم المساكنة بقوله **الاعز**
يعنون انفسهم **منها** اي المدينة **الاذل** وهم كاذبون في هذا لكنهم تصوروا الشدة غباوتهم ان العزة
لهم وانهم يقدرون على اخراج المومنين **ولله** اي والحال ان كل من له نوع بصيرة يعلم انه للملك الاعلى الذي
له وحده عن الالهية **العزة** كلها فهو قهار لمن دونه وكل ما عداه دونه **ولما** حصر العزة فيه بما دل على
ذلك من تقديم المعمول اخبر انه يعطي منها من اراد ما اراد وا حقهم بذلك من اطاعه فترجم ذلك بقوله
ولرسوله لان عزته من عزته بعز النبوة والرسالة واظهار الله دينه على الدين كله **وللمومنين**
اي الذي صار الايمان لهم وصفا راسخا لان عزتهم بعز الولاية ونصر الله اياهم عزة لرسولهم صلى الله
عليه وسلم ومن بايعه رضي الله عنهم واعلايهم على كل من ناواهم قال مبينا على ذلك **ولكن المنافقين** اي الذين
استحكم فيهم مرض القلوب **ولما** كانت الدلايل على عزة الله لا تخفي على احد لما تحقق من قهره للملوك
بالموت الذي لم يقدر احد على الخلاص منه ولا المنازعة فيه ومن المنع من اكثر المرادات ومن نصر الرسل
باتباعهم باهلاك اعدايهم بانواع الهلاك وبانه سبحانه ما قال شيا الا تم وما قالت رسله شيا الا صدقهم
فيه ختم الاية بالعلم الاعم من الفقه فقال **لا يعلمون** اي لا يوجد لهم علم الان ولا يتجدد في حين من
الاحيان فلذلك هم يقولون مثل هذا الخراف وروي انه لما نزلت هذه الاية جا عبد الله ولد عبد الله
ابن ابي سلول الذي نزلت بسببه الى ابيه وذلك في غزوة المريسيع لبني المصطلق فاخذ بزمام ناقة ابيه
وقال انت والله الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز **ولما** دنوا من المدينة الشريفة جرد
سيفه واتى اباه فاخذ بزمام ناقته وزجرها الى ورايه وقال اياك وراك والله لا تدخلها حتى ياذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولين لم تقر بان رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وانت الاذل
لاضربن عنقك قال افاعل انت قال نعم فقال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمومنين وشكا ولده الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر ان يدعه يدخل المدينة فاطلقه فدخل **ولما** كان هذا الذي
حكاه سبحانه عن المنافق بحيث يعجب غاية العجب من قصور قايله له فضلا عن ان يتفوه به فكيف بان
يعتقده نبه على ان العلة الموجبة له طمس البصيرة وان العلة في طمس البصيرة الاقبال بجميع القلب على الدنيا

رجوعا الي ايضاح ما تقدم في نتيجة الجمعة من الاذن في طلب الرزق والتحذير من مثل فعل حاطب رضي الله
عنه وفعل من انصرف عن خطبة الجمعة كذلك وكان هذا التنبيه علي وجه حسم لمادة شرهم في كلامهم فان كلمة
الشح كما قيل مطاعة ولو بان تؤثر اثرا ما ولو بان تفتر نوع تفتير في وقت ما قال منادي بالمن يحتاج الي ذلك
يا ايها الذين امنوا اي اخبروا بما يقتضي ان بواطنهم مذعنة كظواهرهم لا تلهكم اموالكم ولما كان الخطاب
مع من يحتاج الي التاكيد قال ولا اولادكم اي لا تقبلوا علي شي من ذلك بجميع قلوبكم اقبالا يحيركم سوا كان
ذلك في اصلاحها او التمتع بها بحيث تشغلون وتغفلون عن ذكر الله اي من توحيد الملك الاعظم الذي له
الاحاطة الكاملة بكل شي فله الملك وله الحمد يعطي من يشا ويمنع من يشا فاذا كان العبد ذاكرا له بقلبه دايما
لم يقل كقول المنافقين لا تنفقوا ولا ليخرجن الاعز منها الاذل لعلمه ان الامر كله لله وانه لن يضر الله شيئا
ولا يضر بذلك الا نفسه وهذا يشمل ما قالوه من التوحيد والصلاة والحج والصوم وغير ذلك والارادة
المبالغة في النهي وجه النهي الي الاموال والاولاد بما المراد منه نهيهم ولما كان التقدير فمن انتهى فهو
من الفايزين عطف عليه قوله ومن يفعل اي يوقع في زمن من الازمان علي سبيل التجديد والاستمرار
فعل ذلك اي الامر البعيد عن افعال ذوي الهمم من الانقطاع الي الاشتغال بالفاني والاعراض عن الباقي
والاقبال علي العاجل مع نسيان الآجل فاولئك اي البعدا عن الخير هم خاصة الخاسرون اي العريقون في
الخسارة حتي كانوا كانهم مختصين بها دون الناس وذلك ضد ما ارادوا بتوفير النظر اليهم والاقبال عليهم
من السعي للتكثير والزيادة والتوفر في اهمامه ان من شغله ما يهمه من امر دينه الذي امره سبحانه به ونهاه
عن اضاعته وتوعده عليها كفاه سبحانه امر دنياه الذي ضمنه له ونهاه عن ان يجعله اكبر همه وتوعده علي
ذلك فما ذكره الا من وحده في جميع اموره دينا ودنيا وتوجه اليه في جميع نوايبه واقبل عليه بكل همومه وبذل
نفسه له بذل من يعلم انه مملوك مربوب فقدم امره علي نفسه واتخذه وكيلا فاستراح من المخاوف
ولم يمل الي شي من المطامع فصار حرا ولما حذر من الاقبال علي الدنيا رغب في بذلها مخالفة للمنافقين
فقال وانفقوا اي ما امرتم به من واجب او مندوب وزاد في الترغيب بالرضى منهم باليسير مما يوكله له
بقوله مما رزقناكم اي بعظمتنا وبلغ النهاية في ذلك بالرضى بفعل ما امر به مع التوبة النصوح في زمن ما
ولو قل مما ارشد اليه اثبات الجار فقال مرغبا في التاهب للرحيل والمبادرة لمباغتة الاجل محذرا من
الاغترار بالتسويف في اوقات السلامة من قبل وفك المصدر ليفيد ان مزيد القرب فقال ان ياتي
ولما كان تقديم المفعول كما تقدم في النسا اهول احدكم الموت اي برؤية دلايله وامارته
وكل لحظة مرت فهي دلايله وامارته ولما كانت الشدايد تقتضي الاقبال علي الله سبب عن ذلك
قوله فيقول اي سايلا في الرجعة واشار الي ترقيقها للقلوب بقوله رب لولا اي هلا ولم لا اخرتني اي اخرت
موتي امهالا الي اجل اي زمان وبين ان مراده استدراك ما فات ليس الا بقوله قريب فاصدق
اي للتزود في سفري هذا الطويل الذي انا مستقبله قال الغزالي في كتاب التوبة من الاحيا قال
بعض العارفين ان ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستاخر عنها طرفة عين
فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت الدنيا له بحذافيرها لخرج منها علي ان يضم الي تلك الساعة ساعة
اخري ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه يقول يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الي ربي واتوب وازود
فيه صالحا لنفسي فيقول فنيت الساعات فلا ساعة فتغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتردد
انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس عن التدارك وحسرة الندامة علي تضييع العمر فيضطرب
اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا زهقت نفسه فان كانت سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه
علي التوحيد فذلك حسن الخاتمة وان سبق له القضا بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه علي الشك

والاضطراب وذلك سو الخاتمة ومن ترك المبادرة الي التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما
ان تتراكم الظلمة علي قلبه من المعاصي حتي يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو الثاني ان يعاجله المرض او الموت
فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو فياتي الله بقلب غير سليم فالقلب امانة الله عند عبده قال بعض العارفين
ان الله تعالي يلقي الي عبده سرين علي سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي قد اخرجتك
الي الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وايتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني والثاني
عند خروج روحه يقول له عبدي ما صنعت في امانتي عندك هل حفظتها حتي تلقاني علي العهد والقاك علي
الوفا او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعذاب ولعله ادغم تا التفعل اشارة الي انه اخر فعل ذلك علي وجه
الاخفا ليكون افضل او يكون ادغامها اختصارا لبلوغ الامر الي حد محوج الي غاية الايجاز في القول كما
طلب في الزمن ويؤيد قراة الجماعة غير ابي عمرو واكن بالجزم عطفا علي الجواب الذي هدي السياق الي
تقديره فان حال هذا الذي اشرف هذا الاشراف يقتضي ان يكون اراد ان اخرتني اتصدق ولكنه
حذفه لضيق المقام عنه واقتضا الحال لحذفه وهو معني ما حكاه سيبويه عن الخليل ان الجزم علي توهم الشرط
الذي دل عليه التمني علي الموضع فان الجازم غير موجود ومعني ما قال غيره ان لولا لكونها تحضيضية
متضمنة معني الامر ومعني الشرط فكانه قيل اخرني فيكون جوابه العاري عن الفا مجزوما لفظا والمقرون
بها مجزوما محلا فاكن عطفا علي المحل ونصب ابو عمرو عطفا علي اللفظ لانه جواب التمني الذي دلت عليه لولا
واجماع المصاحف علي حذف الواو لا يضره لانه قال انها للاختصار وهو ظاهر وذلك للمناسبة بين الخط   اللفظ و
والزمان والمراد ومن هنا تعرف جلالة القرا ومرادهم ان شا الله بقولهم في الضابط المشهور وان
توافق رسم المصحف ولو احتمالا من الصالحين اي العريقين في هذا الوصف العظيم وزاد في الحث علي
المبادرة بالطاعات قبل الفوات بقوله مؤكدا لاجل عظيم الرجا من هذا المحتضر عطفا علي ما تقديره فلا يؤخره
الله فيفوته ما اراد ولن يجوز ان يكون الجملة حالا اي قال ذلك والحال انه لن يؤخر الله اي الملك
الاعظم الذي لا كفو له فلا اعتراض عليه نفسا اي نفس كانت وحقق الاجل بقوله اذا جا اجلها اي
وقت موتها الذي حدده الله لها فلا يؤخر الله نفس هذا القايل لانها من جملة النفوس التي يشملها النفي
ولما كان المعني علي طريق النتايج التي لا شك في ارشاد اللفظ اليها الله عالم بانه يقول ذلك
عطف عليه قوله حاثا علي المسارعة الي الخروج عن عهدة الطاعات والاستعداد لما لا بد منه من اللقا
محذرا من الاخلال لانه لا تهديد كالعلم والله اي الذي له الاحاطة الشاملة علما وقدرة خبير
اي بالغ الخبرة والعلم ظاهرا وباطنا بما تعملون اي توقعون عمله في الماضي والحال والمآل
كله باطنه وظاهره من هذا الذي اخبرتكم ان المحتضر العاصي يقوله ومن غيره ايها الناس هذا علي قراة
الجمهور بالخطاب وعلي قراة ابي بكر عن عاصم بالغيب يمكن ان يراد المنافقون ويمكن ان يعم فيكون
الضمير للنفس علي المعني ويمكن ان يكون الضمير للناس علي الالتفات للاعراض تخويفا لهم ولذلك
علم سبحانه كذب المنافقين في انهم يعتقدون ما شهدوا به في امر الرسالة وعلم جميع ما قص من اخبارهم
الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير

مقصودها الابلاغ في التحذير مما حذرت منه المنافقون باقامة الدليل القاطع علي انه لا بد من العرض علي
الملك للدينونة علي النقير والقطمير يوم القيمة يوم الجمع الاعظم واسمها التغابن واضح الدلالة علي ذلك
وهو ادل ما فيها عليه فلذلك سميت به بسم الله مالك الملك فلا كفو له ولا مثيل الرحمن الذي وسع

الخلايق بره الجليل الرحيم الذي خص ممن عمه فوفقهم للجميل لما ختمت باثبات القهر بنفوذ الامر واحاطة العلم افتتح هذه باحاطة الحمد ودوام التنزه عن كل شايبة نقص ارشادا الي النظر في افعاله وا التفكر في مصنوعاته لانه الطريق الي معرفته واما معرفته بكنه الحقيقة فمحال لانه لا يعرف الشي كذلك الا مثله ولا مثل له فقال مؤكدا لما افهمه اول الجمعة يسبح اي يوقع التنزيه التام مع التجديد والاستمرار لله اي الذي له الاحاطة باوصاف الكمال ما في السموات الذي من جملته الاراضي وما فيها فلا يريد من شي منه شيا الا كان علي وفق الارادة فكان ذلك الكون والكاين شاهدا له بالتبري عن كل شايبة نقص ولما كان الخطاب مع من تقدم في آخر المنافقين ممن هو محتاج الي التاكيد قال مؤكدا باعادة الموصول وما في الارض اي لذلك بدلالتها علي كماله واستغنايه وقد تقدم ان موافقة العاقل للامر مثل موافقة غير العاقل للارادة فعليه ان يهذب نفسه غاية التهذيب ليكون في طاعته بامتثال الاوامر كطاعة غير العاقل في امتثاله لما يراد منه ولما ساق سبحانه ذلك الدليل النقلي علي كمال نزاهته علي وجه يفهم الدليل العقلي لمن له لب كما قال علي رضي الله عنه لا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا ينفع الشمس وضو العين ممنوع وذلك لكونه سبحانه وتعالي جعلهم مظروفين كما هو المشاهد والمظروف محتاج لوجود ظرفه قبله فهو عاجز فهو مسبح دايما ان لم يكن بلسان حاله كان بلسان قاله وصانعه الغني عن الظرف وغيره سبوح علل ذلك بقوله له اي وحده الملك اي كله مطلقا في الدنيا والآخرة وهو السيادة العامة للخاص والعام والسياسة العامة بركنيها دفع الشرور وجلب الخيور الجالبة للسرور والحبور من الابداع والاعدام فهو ابلغ مما في الجمعة فان الملك قد يكون ملكا في الصورة وذلك الملك الذي هو ظاهر فيه لغيره فدوام التسبيح الذي اقتضته عظمة الملك هنا اعظم من ذلك الدوام ولما اتبعه في الجمعة التنزيه عن النقص اتبعه هنا الوصف بالكمال وله اي وحده الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال كلها فلذلك ينزهه جميع مخلوقاته فمن فهم تسبيحها فذلك المحسن ومن كان في طبعه وفطرته الاولي بالفهم ثم ضيعه يوشك ان يرجع فيفهم ومن لم يهيا لذلك فذلك الضال الذي لا حيلة فيه وهو اي وحده علي كل شي اي شي ممكن ان يتعلق به المشية قدير لانه وحده بكل شي مطلقا عليم لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الي الاشيا كلها علي حد سوا وهذا واضح جدا ولان من عرف نفسه بالنقص عرف ربه بالكمال وقوة السلطان والجلال وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما بسط في السورتين قبل من حال من حمل التوراة من بني اسرايل ثم لم يحملها وحال المنافقين المتظاهرين بالاسلام وقلوبهم كفرا وعنادا متكاثفة الاظلام وبين خروج الفريقين عن سوا السبيل المستقيم وتنكبهم عن هدي الدين القويم واوهم ذكرا تصافهم بمتحد اوصافهم خصوصهم في الكفر بوسم الانفراد وسمًا ينبي عن عظم ذلك الابعاد سوي ما يتناول غيرهم من اضطراب الكفار فانبا تعالي عن ان الخلق بجملتهم وان تشعبت الفرق وافترقت الطرق راجعون بحكم السوابق الي طريقين فقال تعالي هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن وقد اوضحنا الدلايل ان المومنين علي درجات واهل الكفر ذووا طبقات واهل النفاق ادونهم حالا واسواهم كفرا وضلالا ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وافتتحت السورة بالتنزيه لعظيم مرتكب المنافقين في جهلهم ولولم ننطق سورة المنافقين من عظيم مرتكبهم الا علي ما حكاه تعالي من قولهم لين رجعنا الي المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد اشار قوله تعالي يعلم ما في السموات وما في الارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور الي ما قبله وبعده من الايات الي سو جهل المنافقين وعظيم جرمهم في قولهم بالسنتهم ما لم تنطو عليه قلوبهم والله يشهد ان المنافقين واتخاذهم ايمانهم جنة الي ما وصفهم سبحانه به فافتتح تعالي سورة التغابن بتنزيهه عما توهموه من مرتكباتهم التي لا تخفي عليه سبحانه الم يعلموا ان الله يعلم سرهم

ونجواهم

ونجواهم ثم قال تعالي يعلم ما يسرون وما يعلنون فقرع ووبخ في عدة ايات ثم اشار الي منعهم من تامل الايات وصدهم عن اعتبار المعجزات وانه الكبر المهلك غيرهم فقال تعالي مخبرا بسفلهم في هذا المرتكب من اعقبه ذلك اليم العذاب وسو المنقلب ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا ثم تناسج الكلام معرفا بما لهم الاخراوي ومآل غيرهم الي قوله وبيس المصير ومناسبة ما بعد تبين في التفسير بحول الله انتهي ولما كان اعظم الدلايل عليه سبحانه ايات الافاق وايات الانفس وقدم الاول علوية وسفلية لوضوحه اتبعه الثاني دلالة علي عموم قدرته الدال علي تمام ملكه بانه المختص بالاختراع لاعجب الاشيا خلقا والحمل علي المكاره قال هو اي وحده الذي خلقكم اي انشاكم علي ما انتم عليه بان قدركم واوجدكم بالحق علي وفق التقدير خلافا لمن انكر ذلك من الدهرية واهل الطبايع ولما كان قد تقدم في سورة المنافقين ما اعلم انهم فريقان عرف في هذه ان ذلك سبب عن ابداعه لان من معهود الملك ان يكون في مملكته الولي والعدو والموالف والمخالف والطايع والعاصي والملك ينتقم ويعفو ويعاقب ويثيب ويقدم ويوخر ويرفع ويضع ولذلك قال صلي الله عليه وسلم لو لم تذنبوا فتستغفروا لذهب الله بكم ثم جا بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم اخرجه مسلم والترمذي عن ابي ايوب رضي الله عنه فقال تعالي مقدما للعدد واشارة الي انه عالم به وقادر عليه وما كان منه شي الا بارادته وفيه تلويح الي الاكثر ومع كثرته هو الاضعف لان الله ليس بمعينه والاعدم الصنف الآخر فمنكم اي فتسبب عن خلقه لكم وتقديره لامشاجكم التي تنشا عنها الاخلاق ان كان منكم بابداعه لصفاتكم كما ابدع ذواتكم كافر اي عريق في صفة الكفر مهلك نفسه بما هياه لاكتسابه وميزه بعد ما خلقه في احسن تقويم علي الفطرة الاولي وفي الحديث ان الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام طبع كافرا بمعني ان فطرته الاولي خلقت مهياة للكفر فان الافعال عامة وخاصة فالخاصة تضاف الي العبد فيقال صلي وصام وامن وكفر والعامة تضاف الي الله تعالي فيقال اوجد القدرة علي الحركة والسكون والافعال الخاصة متعلق الامر والنهي ومنكم مومن اي راسخ في الايمان في حكم الله تعالي في الازل مبح نفسه بالاعمال الصالحة التي طابق بها العلم الازلي فهو سبحانه خلق الكافر وخلق كفره والمومن وايمانه فعلا له لانه خلق القدرة والاختيار وغيب العاقبة فكل منهما يكتسب باختياره بتقدير الله ولا يوجد من كل منهما الا ما قدره عليه واراده منه لان وجود غير المقدور عجز وخلاف المراد المعلوم جهل وقد علم من هذه القسمة علما قطعيا ان احد القسمين مبطل ضال مخالف لامر الملك الذي ثبت ملكه ومن المعلوم قطعا ان كل ملك لا بد له ان يحكم بين رعيته في الامر الذي اختلفوا فيه وينصف المظلوم من ظالمه ومن المشاهد ان بعضهم يموت علي كفرانه من غير نقص يلحقه وبعضهم علي ايمانه كذلك فعلم ان هذه الدار ليست دار الفصل وان الدار المعدة له انما هي بعد الموت والبعث وهذا مما هو مركوز في الطبايع لا يجهله احد ولكن الخلق اعرضوا عنه بما هم فيه من القواطع فصار مما لا يخطر بافكارهم بحيث لا تستقل به عقولهم ولكنهم اذا ذكروا به واوضحت لهم هذه القواطع التي اشار سبحانه اليها وجرود النفس عن الحظوظ والمروة مع الالف عدوة كلهم من الضروريات وعلم من تسبيبه تقسيمهم هذا عن تقديره وجوب الايمان خيره وشره ولما كان التقدير فالذي ابدعكم وحملكم علي ذلك وفاوت بينكم علي كل شي قدير عطف عليه قوله والله اي الذي له الاحاطة الكاملة بفعله ذلك وقدم الجار لا للتخصيص بل اشارة الي مزيد الاعتنا كما تقول لمن سالك هل تعرف كذا وظهر منه التوقف في علمك له نعم اعرفه ولا اعرف غيره فقال بما تعملون اي توقعون عمله كسبا بصير اي بالغ العلم بذلك فهو الذي خلق جميع اعمالكم التي نسب كسبها اليكم وهو خالق جميع الاستعدادات والصفات

كما خلق الذوات خلافا للقدرية لانه لا يتصور ان يخلق الخالق ما لا يعلمه ولو سئل الانسان كم مشي في يومه
من خطوة لم يدر فكيف لو سئل اين موضع مشيه ومتي زمانه فكيف وانه ليمشي اكثر مشيه وهو غافل عنه ومن
جهل افعاله كما وكيفا واينا وغير ذلك لم يكن خالقا لها بوجه ولما ذكر المظروف ذكر ظرفه دالا على
احاطته بالبواطن والظواهر بانه يخلق الشي العظيم جدا على وفق الارادة ثم لا يحتاج ان يزيد فيه
ولا ان ينقص منه فقال **خلق السموات** اي التي هي السقف لبيت عبد الملك على كبرها وعلوها كما ترون
والارض اي التي هي قرار بينهم ومهاده على سعتها وما فيها من المرافق والمعاون **بالحق** اي بالامر الذي
يطابقه الواقع فلا زايدا عنه ولا ناقصا بل جا الواقع منها مطابقا لما اراد سوا لا كما يريد احدنا الشي
فاذا اوجده لم يكن على وفق مراده سوا وبسبب اظهار الامر الثابت وابطال الباطل فهو خالق المسكنين
الدنيوي والاخروي خلافا لمن لا يقول بذلك من صابي وفلسفي وغيرهم ولما كان اهل الطبايع يقولون
ان الافلاك لها تاثير بحسب الذات والطبع قال نافيا لذلك مذكرا النعمة للشكر **وصوركم** اي ايها المخاطبون
على صور لا توافق شيا من صور العلويات ولا السفليات ولا فيها صورة توافق اخري من كل وجه
فاحسن صوركم فجعلها احسن الحيوانات كلها كما هو مشاهد في الدنيا وكذا في الاخرة خلافا لاهل
التناسخ مع ان وضعها في نفسها احسن الاوضاع لو غير شي منها عن مكانه الي شي مما نعلمه لحصلت البشاعة
والنفرة به مع تفضيل الادمي بتزيينه بصفوة اوصاف الكاينات وجعل سبحانه اعضاه متصرفة بكل ما
يتصرف به اعضا ساير الحيوان مع زيادات يختص بها الادمي الي حسن الوجه وجمال الجوارح فهو احسن
بالنسبة الي النوع من حيث هو هو وبالنسبة الي الافراد في نفس الامر وان كان بعضها احسن من بعض فقبح
القبيح منه انما هو بالنسبة الي احسن منه ولذا قال الحكما شيان لا غاية لهما الجمال والبيان فخلق الانسان
في احسن تقويم لا ينبغي ان يكون للنوع الذي جعل احسن افراد انواع لما فوقه من الجنس لا نهاية لاحسنية بعضها
بالنسبة الي بعض يشاهد ما وجد من افراد نوعه من الذوات وقدرة الله لا تتناهي فاياك ان تصغي الي
ما وقع في كتب الامام الغزالي انه ليس في الامكان ابدع مما كان وان كان قد علم انه اعترض عليه في ذلك
واجاب عنه في الكتاب الذي اجاب فيه عن اشيا اعترض عليه فيها فانه لا عبرة بذلك الجواب ايضا فان ذلك
يخل الي انه سبحانه لا يقدر على ان يخلق احسن من هذا العالم وهذا لا يقوله احد وهو لا ينقص مقدار الغزالي
فان كل احد يوخذ من كلامه ويرد كما قال الامام مالك وعزاه الغزالي نفسه الي ابن عباس رضي الله عنهما
وقال الشافعي صنفت هذه الكتب وما الوت فيها جهدا واني لا اعلم ان فيها الخطا لان الله تعالي يقول ولو
كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولما كان التقدير فكان منه سبحانه المبدا عطف عليه
قوله **واليه** اي وحده **المصير** اي بعد البعث بعين القدرة التي قدرتها على المبدات فمن كان على
الفطرة الاولي لم يغيرها ادخله الجنة ومن كان قد افسدها فجعل روحه نفسا بما طبعها به من خبث جسد
ادخله النار وفي الدنيا ايضا بانفراده بالتدبير فلا يكون من الملك والسوقة الا ما يريد لا ما يريد ذلك
المويد الفاعل ولما تقرر بما مضي احاطة قدرته بما دل على ذلك من ابداعه للخلق على هذا الوجه
المحكم وشهد البرهان القاطع بان ذلك صنعه وحده لا فعل فيه لطبيعة ولا غيرها دل على ان ذلك
بسبب شمول علمه اشارة الي ان من لم يكن تام العلم كان ناقص القدرة فقال **يعلم** اي علمه حاصل
في الماضي والحال والمال يتعلق بالمعلومات على حسب تعليق قدرته على وفق ارادته بوجدانها **ما**
اي الذي او كل شي **في السموات** كلها ولما كان الكلام بعد قيام الدليل القطعي البديهي على جميع
اصول الدين مع الخلص لان بداهة الادلة قادتهم الي الاعتقاد او الي حال صاروا فيه اهلا للاعتقاد
والتحلي بحليه اهل السداد لم يوكد باعادة الموصول بل قال **والارض** ولما ذكر حال الظرف على وجه

يشمل

يشمل المظروف وكان الاطلاع على احوال العقلا اصعب قال موكدا باعادة العامل **ويعلم** اي على سبيل
الاستمرار **ما تسرون** اي حال الانفراد وحال الخصوصية مع بعض الافراد ولما كانت لدقتها وانتشارها
بحيث ينكر بعض الضعفا الاحاطة بها وكان الاعلان ربما خفي لكثرة لغط واختلاط اصوات ونحو ذلك اكد فقال
وما تعلنون من الكليات والجزئيات خلافا لمن يقول يعلم الكليات فقط ولا يعلم الجزئيات الا بعد وجودها
من فلسفي وغيره ولمن يقول يعلم الكليات وجزئيات خاصة ولما ذكر حال المظروف على وجه يشمل ظرفه
وهي الصدور وكان امرها اعجب من امر غيرها قال مصرحا بها اشارة الي دقة امرها مظهرا موضع الاضمار
تعظيما **والله** اي الذي له الاحاطة التامة بكل كمال **عليم** اي بالغ العلم **بذات** اي صاحبة **الصدور**
من الاسرار والخواطر التي لم تبرز الي الخارج سوا كان صاحب الصدر قد علمها اولا وعلمه لكل ذلك علي حال سوا
لا تفاوت فيه بين علم الخفي وعلم الجلي لان نسبة المقتضي لعلمه وهو وجود ذاته على ما هي عليه من صفات
الكمال الي الكل على حد سوا فراقبوه في الاخلاص وغيره مراقبة من يعلم انه بعينه لا يغيب عنه واحذروا ان
تخالف السر العلانية فان حقه ان يتقي ويحذر وتكرير العلم في معني تكرير الوعيد وتقديم تقرير القدرة
علي تقديره لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وكمال قدرته يستلزم كمال علمه لان من لا يكمل
علمه لا تتم قدرته فلا ياتي مصنوعه محكما ولما تقرر الايمان به من انه الملك الذي له وحده الملك واشار
بما يشاهد من انقسام عبيده الي مومن وكافر الي انه لا بد من الاخذ على يد الظالم منهما كما هي عادة الملوك
لا يسوغ في الحكمة ولا في العادة غير ذلك واخبر ان علمه محيط نسبته الي العلويات والسفليات والظواهر
والبواطن على حد سوا اتبع ذلك وجوب الايمان برسله لجمع الكلمة عليه سبحانه لتكمل الحياة باصلاح ذات البين
ليلا يقع الخلاف فتفسد الحياة ووجوب الاعتبار بمن مضي من اممهم ممن لم يعتبر عثر في مهواة من الاهمال ودل عليه
باهلاكهم من خالفهم اهلاكا متسقا في خرقه للعادة وخصوصه بهم على وجه معترما مضي من انفراده بالملك
فعلم ان الكفرة هم المبطلون فقال **الم ياتكم** اي يا ايها الناس ولا سيما الكفار ليعلموا انه شامل العلم محيط
القدرة ينتقم من المبي **نبا الذين** وعبر بما يشمل شديد الكفر وضعيفه فقال **كفروا** اي خبرهم العظيم ولما
كان المهلكون على ذلك الوجه بعض الكفار وهم الذين ارسل اليهم الرسل فلم يستغرقوا ماضي الزمان قال
من قبل كالقرون المذكورين في الاعراف ثم سبب عن كفرهم وعقب قوله **فذاقوا** اي باشروا مباشرة الذايق
بالعدل الثاني كما قال حكيم عليم بالعدل الاول بالتقسيم الي كافر ومومن **وبال امرهم** اي شدة ما كانوا
فيه مما يستحق ان يشاور فيه ويومر وينهي وثقله ووخامة مرعاه في الدنيا واصله الثقل كيف ما قلب **ولهم**
اي مع ما ذاقوا بسببه في الدنيا **عذاب اليم** اي في البرزخ ثم القيمة التي هي موضع الفصل الاعظم ولما
ذكر ما احله بهم سبحانه واشار الي القطع بانه من عنده باتساقه في خرقه للعوايد بالاستيصال والخصوص
لمن كذب الرسل والنجية لمن صدق هم علله بقوله **ذلك** اي الامر الشنيع العظيم من الوبال الدال قطعا
على ان الكفر ابطل الباطل وانه مما يغضب الخالق ولما لم يكن مقصودها لمقصود غافر من تصنيف الناس
صنفين وانما حصل تصنيفهم هنا بالغرض للدلالة على الساعة اكتفي بضمير الشان فقال **بانه** اي بسبب ان
الشان العظيم البالغ في الفظاعة **كانت تاتيهم** على عادة مستمرة **رسلهم** اي رسل الله الذين ارسلهم اليهم
وخصهم بهم ليكونوا موضع سرورهم بهم **بالبينات** اي الامور التي توضح غاية الايضاح انهم رسل الله من
الكتب وغيرها فنشا هذا الامر من معدنه فلذلك كان عذابهم اشد ولما كان سبحانه قد اودع الانسان
من جملة ما منحه به خاصة لطيفة وهي العزة وحب الكبر والعلو فمن وضعها موضعها بالتكبر على من امر الله
بالتكبر عليه وهم شياطين الانس والجن ممن عصاه سبحانه نجا ومن وضعها في غير موضعها بالتكبر على اوليا الله
رب العزة هلك بين تعالي ان الكفار وضعوها في غير موضعها **فقالوا** اي الكل لرسلهم منكرين غاية الانكار

تكبرا **البشر** اي هذا الجنس وهو مرفوع على ان الفاعلية لان الاستفهام يطلب الفعل **ولما** كان تكذيب
الجمع اعظم وكان لو افرد الضمير لم يكن له روعة الجمع قال **يهدوننا** فانكروا على الملك الاعظم ارساله لهم **فكفروا**
بذلك عقب مجي الرسل وبسببه من غير نظر وتفكر او دني تامل وتبصر حسدا للرسل لكونهم مساوين لهم في البشرية
فاستبعدوا ان يختصوا من بينهم بامر ولا سيما ان كان عظيما جدا فلزمهم ارتكاب اقبح الامور وهو استبعاد ان
يكون النبي بشرا مع الاقرار بان يكون الاله حجرا **وتولوا** اي كلفوا انفسهم خلاف ما تدعوا اليه الفطرة الاولى
من الاعراض عن الرسل بعد انكار رسالتهم لشبهة قامت عندهم وذلك انهم قالوا ان الله عظيم لا يشبه البشر
فينبغي ان يكون رسله من غير البشر ولو تاملوا حق التامل لعلموا ان هذا هكذا وان الرسل انما هي ملكية لكن
لما كان لا يقوي البشر على رؤية الملائكة كما هو مقتضي العظمة التي توهموها ولم يثبتوها على وجهها خص
سبحانه من البشر ناسا وهم الانبيا عليهم السلام بقوي زايدة طوقهم على معالجتهم فاستووا اليهم ليكونوا واسطة
بين الله وبين خلقه لان بعض الجنس اميل الي بعض واقبل **ولما** كان هذا كله انما هو لمصالح الخلق لا يعود
على الله سبحانه وعز شانه نفع من وجوده ولا يلحقه عدم ضرر من عدمه ولا بالعكس نبه على ذلك بقوله
واستغنى الله اي فعل الملك الاعظم الذي لا امر لاحد معه فعل من يطلب الغني عنهم واوجد ايجادا عظيما عن
هداه لاتباع الرسل فاعرض عنهم حين اعرضوا عن رسله فضرهم اعراضه عنهم ولم يضره اعراضهم وما ضروا
الا انفسهم واطلق الاستغنا ليعم كل شي **ولما** كان التعبير بذلك قد يوهم حدوث ما لم يكن له نفي ذلك بقوله
مظهرا زيادة في العظمة **والله** اي المستجمع لصفات الكمال من غير تقيد بحيثية **غني حميد** له صفة الغني المطلق
والحمد الابلغ الذي هو الاحاطة بجميع اوصاف الكمال على الدوام ازلا وابدا لم يتجدد له شي لم يكن **ولما**
قرر وجوب الايمان به وبرسله وكتبه وبالقدر كله وقسم الناس الي مومن وكافر واجترا الكافر تكبرا على الرسل
عين الموجب الاعظم لكفرهم بقوله دالا على وجوب الايمان بالبعث وترك القياس والراي فان عقل الانسان لا
يستقل ببعض امور الالهية معبرا بما اكثر اطلاقه على ما يشك فيه ويطلق على الباطن اشارة الي انهم
شاكون وان كانوا جازمين لكونهم لا دليل لهم والي انهم في نفس الامر مبطلون **زعم** قال ابن عمر رضي الله
عنهما هي كنية الكذب وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنهما عند ابي داود بيس مطية الرجل زعموا **الذين**
كفروا اي اوقعوا الستر لما دلت عليه العقول من وحدانية الله ولو على ادني الوجوه **ولما** كان الزعم
ادعا العلم وكان مما يتعدي الي مفعولين اقام سبحانه مقامهما قوله **ان لن يبعثوا** اي من اي باعث ما
بوجه من الوجوه **ولما** كان قد اشار سبحانه بنوعي المومن والكافر الي الدليل القطعي الضروري على
وجود المبطل اللازم منه ردعه اللازم منه وجوب البعث اكتفي في الامر باجابتهم بقوله **قل** اي لهم
اي لتبعثن ثم اكده بصريح القسم فقال **وربي** اي المحسن الي بالانعام ممن كذب بي واحقاق كل حق وامتة
وابطال كل باطل اقسم **لتبعثن** مشيرا ببنايه للمفعول الي انه يكون على وجه القهر لهم باهون شي وايسر امر
وكذلك قوله **ثم لتنبؤن** اي تخبرن حتما اخبارا عظيما ممن يقيمه الله لاخباركم **بما عملتم** للدينونة
عليه وشرح بما افاده بنا الفعلين للمجهول بقوله **وذلك** اي الامر العظيم عندكم من البعث والحساب
على الله اي المحيط بصفات الكمال وحده **يسير** لقبول المادة وحصول القدرة وكون قدرته كذلك
شانها نسبة الاشيا الممكنة كلها جليلها وحقيرها اليها على حد سوا **ولما** كان في رد قولهم على هذا الوجه
مع الاقسام من غير استدلال اشارة الي تامل الكلام السابق بما اشتمل عليه من الادلة التي منها ذلك
البرهان البديهي سبب عنه قوله فذلكة لما مضي من الادلة وجمعا لحديث جبريل عليه السلام في الايمان
بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره والاسلام والاحسان **فامنوا بالله**
اي الذي لا اظهر منه ان له الاحاطة الكاملة بكل شي وانه لا كفو له ولا راد لامره ولما دعا هذا الي

الايمان

الايمان به سبحانه عقلا ونقلا ذكرا وفكرا اثني بالايمان بالرسل من الملايكة والبشر فقال **ورسوله**
اي كل من ارسله ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم بما ثبت من تصديقه بالمعجزات من انه رسوله ويلزم
من الايمان به الايمان عن ابلغه من الملايكة **ولما** كانت تلك المعجزات موجبات للعلم كانت احق الاشيا
باسم النور فان النور هو المظهر للاشيا بعد انجابها بردا الظلام وكان اعظم تلك المعجزات واحقها بذلك
كتب الله المنزلة على انبيايه عليهم السلام واعظمها القران الذي هو مع اعجازه بيان لكل شي قال **والنور**
وعينه بقوله **الذي انزلنا** اي بما لنا من العظمة فكان معجزا فكان اعجازه ظاهرا بنفسه مظهرا لغيره وهذا
وان كان هو الواقع لكن ذكر هذا الوصف صالح لشموله كل ما اوحاه الله سبحانه الي رسله صلى الله
عليهم وسلم ومن المعلومات ان اعظمه القران المنزل على اشرف رسله فهو احق ذلك باسم النور لما مضي من
اعجازه فمن امن به ادخل الله قلبه من انوار الفهوم والالطاف والسكينة ما يضي الاقطار **ولما**
كان التقدير فالله محاسبكم على ما قابلتم به انعامه عليكم بذلك من ايمان وكفران عطف عليه مرغبا
مرهبا **والله** اي المحيط علما وقدرة وقدم الجار لما تقدم غير مرة مزيد التاكيد فقال **بما تعملون**
اي توقعون عمله في وقت من الاوقات **خبير** اي بالغ العلم بباطنه وظاهره **ولما** اخبر بالبعث واقسم
عليه واشار الي دليله السابق وسبب عنه ما ينجي في يومه ذكر يومه وما يكون ليحذر فقال متبعا ما مضي
من دعايم الايمان دعامة اليوم الاخر واعظا لمن يقول يا ليت شعري ما حالي تقديرا حالي وقامعا لمن يقول
لا حال بعد الرحال بالاعلام بانها احوال اي احوال تشيب الاطفال وتقصم ظهور الرجال بل تهد شم
الجبال **يوم** اي تبعثون في يوم **يجمعكم** ايها الثقلان **ولما** كان الوقت المورخ به فعل من الافعال انما
يذكر لاجل ما وقع فيه صار كانه علة لذلك الفعل فقال تعالى **ليوم الجمع** اي لاجل ما يقع في ذلك اليوم
الذي يجمع فيه اهل السموات والارض من الحساب والجزا الذي يكون فوزا للناس فيكونون غابنين
ويكون خيبة لناس فيكونون مغبونين وكل منهم يطلب ان يكون غابنا **ولما** كان هذا المقصد
امرا عظيما مقطعا ذكره للاكباد قال تعالى مشيرا الي هوله باداة البعد مستانفا **ذلك** اي اليوم
العظيم المكانة الجليل الاوصاف **يوم التغابن** اي الذي لا تغابن في الحقيقة غيره لعظمه ودوامه والغبن
ظهور النقصان للحظ الناشي عن خفا لانه يجمع فيه الاولون والاخرون وساير الخلق اجمعون ويكون
فيه السمع والابصار على غاية لا توصف بحيث ان جميع ما يقع فيه يمكن ان يطلع عليه كل احد من ذلك
الجمع فاذا فضح احد افتضح عند الكل وما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اسا ليزداد
شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة فيغبن فيه كل كافر
بتركه الايمان وكل مومن بتقصيره في الاحسان **ومادة** غبن تدور على الخفا من مغابن الجسد وهي
ما يخفي عن العين وسمي الغبن في البيع لخفايه عن صاحبه فالكافر والظالم لم يظن انه غبن المومن بنعيم
الدنيا الذي استاثر به الكافر وبالنقص الذي ادخله الظالم على المظلوم وقد غبنهما المومن والمظلوم
على الحقيقة بنعيم الاخرة وكمال جزايه العظيم الدايم فالغبن فيه لا يشبهه غبن فقد بعث ذكر هذا اليوم
على هذا الوجه على التقوي اتم بعث وهي الحاملة على اتباع الاوامر واجتناب النواهي لئلا يحصل
الغبن بفوت النعيم او نقصانه ويحصل بعده للكافر العذاب الاليم **ولما** كان كل احد يحب ان
يكون في النور ويكره ان يكون في الظلام ويحب ان يكون غابنا ويكره ان يكون مغبونا ارشدت
سوابق الكلام ولواحقه الي ان التقدير فمن امن كان في النور وكان في ذلك اليوم برجحان ميزانه
من الغابنين ومن كفر كان في الظلام وكان في ذلك اليوم بنقصان ميزانه من المغبونين فعطف
عليه قوله بيانا لاثار ذلك الغبن وتفصيلا له باصلاح الحامل على التقوي وهو انور منهما القوة العلمية

أهل

ومن يؤمن اي يوقع الايمان ويجدده علي سبيل الاستمرار بالله أي الملك الاعظم الذي لا كفؤ له
ولما ذكر الراس وهو اصلاح القوة العلمية اتبعه البدن وهو اصلاح العملية فقال ويعمل تصديقا
لايمانه صالحا اي عملا هو مما ينبغي الاهتمام بتحصيله لانه لا مثل له في جلب المنافع ودفع المضار ولما كان
الدين مع سهولته متينا لن يشاده احد الا غلبه قال حاملا له علي التقوي بالوعد بدفع المضار ولعله افرد
الضمير اشارة الي ان زمان التكفير والدخول متفاوت بحسب طول الحساب وقصره فكلما فرغ واحد من
الحساب دخل الجنة ان كان من اهلها يكفر اي الله علي قراة الجماعة بان يستر سترا عظيما عنه سيئاته التي
غلبه عليها نقصان الطبع واتبع ذلك الحامل الاخر وهو الترجية بجلب المسار لان الانسان يطير الي ربه
سبحانه بجناحي الخوف والرجا والرهبة والرغبة والنذارة والبشارة ويدخله اي رحمة له واكراما
وفضلا جنات اي بساتين ذات اشجار عظيمة واغصان ظليلة تستر داخلها ورياض مديدة منوعة الازاهير
عطرة النشر تبهج رائيها واشار الي دوام ريها بقوله تجري ولما كان عموم الما لجميع الارض غير ممدوح
بين انه في خلالها علي احسن الاحوال فقال من تحتها وبين عظمه بقوله الانهار ولما كان البروح او
توقعه عن مثل هذا محزنا ازال توقع ذلك بقوله جامعا لئلا يظن الخلود لواحد بعينه تصريحا بان من معناها
الجمع وان كل من تناولته مستوون في الخلود خالدين فيها واكد بقوله ابدا والتقدير علي قراة نافع
وابن عامر بالنون بفعل التكفير والادخال الي هذا النعيم بما لنا من العظمة فانه لا يقدر علي اسعاد من شا
واشقا من شا الا من كان عظيما لا راد لامره اصله ولما كان هذا امرا باهرا جالبا سرورا القالب اشار
الي عظمته بما يجلب سرور القلب بقوله ذلك اي الامر العالي جدا من الغفران والاكرام لا غيره الفوز العظيم
لانه جامع لجميع المصالح مع دفع المضار وجلب المسار ولما ذكر الفايز بلزومه التقوي ترغيبا اتبعه
العلمية والعملية ترهيبا فقال بادئا بالعلمية والذين كفروا أي غطوا أدلة ذلك اليوم فكانوا في الظلام
وكذبوا أي أوقعوا جميع التغطية وجميع التكذيب باياتنا أي بسببها مع ما لها من العظمة باضافتها الينا
فلم يعملوا اشيا ولما بين افسادهم للقوتين توعدهم بالمضار فقال معربا من الفا في جانبي الاشقيا
والسعدا طرحا للاسباب لان نظير هذه السورة الي الجبلات التي لا مدخل فيها لغيره اكثر بقوله هو الذي
خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن فان ذلك احذر بالبعد عما يدل علي الجبلة الفاسدة من الاعمال السيئة
أولئك اي البعدا البغضا أصحاب النار ولما كان السجن اذا رجي الخلاص منه قل من خوف داخله
وكان التعبير بالصحبة مشعرا بالدوام القطع للقلوب لانه مؤيس من الخلاص اكده بقوله خالدين فيها
وزاد في الارهاب منها بقوله مشيرا الي مضارة القلب بعد ذكر مضار القالب وبئس المصير اي جمعت
المذام كلها الصيرورة اليها وبقعتها التي الصيرورة اليها فكيف علي وجه الاقامة زمانا طويلا فكيف اذا
كان علي وجه الخلود ولما كان من تعرفه من المرغبين والمرهبين لا يفعل ذلك الا فيما ليس قادرا علي
حفظه وضبطه حتي لا يحتاج العامل في عمل ذلك الي رقيب يحفظه ووكيل يلزمه ذلك العمل ويضبطه
وكان قول المنافقين المتقدم في الانفاق والاخراج من المصايب وكانت المصايب تطيب اذا كانت
من الحبيب قال جوابا لمن توهم عدم القدرة متمما ما مضي من خلال الاعمال بالايمان بالقدر خيره وشره
مرغبا في التسليم مرهبا من الجزع قاصرا الفعل ليعم كل مفعول ما أصاب أي احدا يمكن المصايب ان
تتوجه اليه وذكر الفعل اشارة الي القوة واعرق في النفي بقوله من مصيبة اي مصيبة كانت دينية
او دنيوية من كفر او غيره الا باذن الله اي بتقدير الملك الاعظم وتمكينه فلا ينبغي لمؤمن ان يعوقه شي
من ذلك عن التقوي النافعة في يوم ولما تسبب عن ذلك ما تقديره فمن يكفر بالله بتقديره عليه
الكفر يغو قلبه ويزده ضلالا فيفعل ما يتوغل به في المصيبة حتي تصير مصايب عدة فيهلكه عطف عليه

قوله

قوله باعثا علي اول ركني الاسلام وهو اصلاح القوي العلمية ومن يؤمن بالله اي يوجد الايمان في وقت
من الاوقات ويجدده بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله بسبب الملك الاعظم وتقديره واذنه
يهد قلبه اي يزده هداية بما يجدده له من التوفيق في كل وقت حتي يرسخ ايمانه فتنزاح عنه كل مصيبة
فانه يتذكر انها من الله وان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضايه فيصبر
له ويفعل ويقول ما امر الله به ورسوله فيخف عليه ولا يعوقه عن شي من المحبات في يوم التغابن بل
تحصل له بسببها عدة ارباح وفوايد فتكون حياته طيبة بالعافية الشاملة في الدينيات والكونيات لان
بالعافية في الكونيات تطيب الحياة في الدنيا وبالعافية في الدينيات تطيب الحياة في الاخرة فيكون في العيشة
راضية وذلك بان يصير عمله كله صوابا في سرايه وضرايه فيترك كل فاحشة دينية ظاهرة بدنية وباطنة
قلبية ويترك الهلع في المصايب الكونية كالخوف والجوع ونقص الاموال والانفس والثمرات وذلك لانه
بصلاح القلب ينصلح البدن كله ولما كان التقدير تعليلا لذلك فالله علي كل شي قدير فهو لا يدع شيا
يكون الا باذنه عطف عليه قوله والله اي الملك الذي لا نظير له بكل شي مطلقا من غير مثنوية عليم فاذا
تحقق من هدي قلبه ذلك زاح عنه كل اعتقاد باطل من كفر او بدعة او صفة خبيثة ولما كان التقدير
فاصبروا عند هجوم المصايب عطف عليه قوله تحذيرا من ان يشتغل بها فتوقع في الهلاك وتقطع عن اسباب النجاة
الا علي تعلم امور الدين من معادنها مشيرا الي ان العبادة لا تقبل الا بالاتباع لا بالابتداع وأطيعوا الله اي
الملك الاعلي الذي له الامر كله فافعلوا في كل مصيبة ونايبة تنوبكم وقضية تعروكم ما شرعه لكم واكد باعادة
العامل اشارة الي ان الوقوف عند الحدود ولا سيما عند المصايب في غاية الصعوبة فقال وأطيعوا
الرسول أي الكامل في الرسلية فانه معصوم بما خلق فيه من الاعتدال وما زكي به من شق البطن وغسل القلب
مرارا وما ايد به من الوحي فمتي كانت الافعال باشارة العقل مع الطاعة لله والمتابعة لرسوله صلي الله
عليه وسلم في كل اقدام واحجام كانت معتدلة سوا كانت شهوانية او غضبية ومتي لم تكن كذلك كانت منحرفة
الي اعلي او الي اسفل فكانت مذمومة فان الله بلطف تدبيره ركب في الانسان قوة غضبية دافعة لما يهلكه
ويوذيه وقوة شهوانية جالبة لما ينميه ويقويه فاعتدال الغضبية شجاعة ونقصها جبن وزيادتها تهور
فالناس باعتبارها جبان وشجاع ومتهور واعتدال الشهوانية عفة ونقصانها زهادة وزيادتها شره
والناس باعتبارها زهيد وعفيف وشره وكلا طرفي قصد الامور ذميم وميزان العدل متابعة الرسول
صلي الله عليه وسلم فيما شرعه فبذلك تنزاح الفتن الظاهرة والباطنة ولا طريق الي الله الا بما شرعه وكل
طريق لم يشرعه ضلال من الكفر الي ما دونه ثم سبب عن امره ذلك قوله معبرا باداة الشك اشارة الي
البشارة بحفظ هذه الامة عن الردة ومشعرا بان بعضهم يقع منه ذلك ثم يقرب رجوعه او هلاكه فان
توليتم اي كلفتم انفسكم ضد ما تدعوا اليه الفطرة الاولي من الاعراض عن هذا النور الاعظم والميل الي طرف
من الاطراف المفهومة من طرفي القصد فما علي رسولنا شي من توليكم فانما علي رسولنا اضافه اليه علي وجه
العظمة تعظيما له وتهديدا لمن يتولي عنه البلاغ المبين اي الظاهر في نفسه المظهر لكل احد انه اوضح له غاية
الايضاح ولم يدع لبسا وليس اليه خلق الهداية في القلوب ولما كان هذا موجبا لاشعاره باعراضهم
مع عدم الحيلة في ردهم عرفت بان ذلك انما هو اليه وانه القادر عليه فقال جوابا لمن كانه قال فما الحيلة
في امرهم مكملا لقسمي الدين بالاستعانة بعد بيان قسمه الاخر وهو العبادة الله اي المحيط بجميع صفات الكمال
لا اله الا هو فهو القادر علي الاقبال بهم ولا يقدر علي ذلك غيره فاليه الالتجا في كل دفع ونفع وهو المستعان في
كل شان فليحج في هدايتهم المهتدون وعلي الله اي الذي له الامر كله لا علي غيره ولما كان مطلق الايمان
هو التصديق بالله باعتقاد انه القادر علي كل شي فلا امر لاحد معه ولا كفؤ له فكيف بالرسوخ فيه نبه علي هذا

المقتضي بالربط بالفاء والتأكيد بلام الامر في قوله **فليتوكل المؤمنون** اي توجد التوكل ايجادا هو في غاية الظهور
والثبات العريقون في هذا الوصف في رد المتولي منهم ان حصل منهم تول وكذا في كل مفقود فالعفة ليست
مختصة بالموجود فكما ان قانون العدل في الموجود الطاعة فقانون العدل في المفقود التوكل وكذا فعل الصحابة
رضي الله عنهم فكان لهم الحظ الاوفر في كل توكل ولا سيما حين ارتدت العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم
وكان احقهم بهذا الوصف الصديق رضي الله عنه كما يعرف ذلك من ينظر الكتب المصنفة في السير واخبار الردة
لا سيما كتابي المسمى بالعدة في اخبار الردة **ولما** كانت فتنة الدين بالاقبال عليه والاعراض عنه اعظم الفتن
لانها تفرق بين المرء وزوجه وبين المرء وابنه وتذهل الخليل عن خليله كما شوهد ذلك في بدء الاسلام وكان
اعظم ذلك في الردة وكان قد تقدم النهي عن الهاء الاموال والاولاد وكان النهي عن ذلك في الاولاد نهيا
عنه في الازواج بطريق الاولى فلذلك اقتصر عليهم دون الازواج وكان المامور بالتوكل ربما راى ان تسليم
قياده لكل احد لا يقدح في التوكل اشار الى ان بنا هذه الدار على الاسباب مانع من ذلك فامر بنحو اعقلها
وتوكل واحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز الحديث فقال جوابا عن ذلك لمن يحتاج الى السؤال عن
مثله مبينا للاوامر بالاعتبار الامتحان التكويني وان كان اولى الناس ببذل الجهد في تاديبه وتقويمه وتهذيبه
اقرب الاقارب والصق الناس بالانسان وهو كالعلة لآخر المنافقين **يا ايها الذين آمنوا** **ولما** كان
الازواج اقرب عداوة من الاولاد قدمهن فقال مؤكدا لمن يستبعد ذلك **ان من ازواجكم** وان اظهرن
غاية المودة **واولادكم** وان اظهروا غاية الشفقة **عدوا لكم** اي لشغلهم لكم عن الدين او لغير ذلك من جمع
المال وتحصيل الجاه والتهاون بالنهي عن المنكرات الولد مجبنة مبخلة وغير ذلك. قال ابو حيان ولا اعدى
على الرجل من زوجه وولده اذا كانا عدوين وذلك في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فباذهاب ماله وعرضه
واما في الآخرة فبما يسعى من اكتسابه من الحرام لهما وربما يكتسبانه منه بسبب جاهه فالرجل من راى ذلك نعمة
من الله فجعله معينا له على طاعته لا قاطعا ومعوقا عما يرضيه بان يلهي بمحبته او عداوته وبغضته. **ولما**
اخبر عن العداوة عبر بما قد يفهم الواحد فقط تخفيفا **ولما** امر بالجد رجع اشارة الى زيادة التحرز والخوف
من كل احد ولو كان اقرب الاقرب بالان الحزم سوء الظن كما رواه الطبراني في الاوسط فتسبب عن الاخبار
بالعداوة الامر بالحذر في قوله **فاحذروهم** اي بان تتقوا الله في كل امرهم فتطلبوا في السعي الكفاف من
حله وتقتصروا عليه ولا يحملكم حبهم على غير ذلك وليشتد حذركم منهم بالعمل بما امر الله حتى في العدل بينهم
لئلا يتمكنوا من اذاكم فيعظم بهم الخطبة ويكون ذلك فاتنا لكم في الدين اما بالردة والعياذ بالله او بالشغل
عن الطاعة او بالاقتحام في المعصية ومخالفة السنة والجماعة **ولما** كان قد يقع منهم ما يؤذي من الحذر
لانه لا يغني من قدر اوقع الاستسلام وكان وكل المؤذي الى الله اولى واعظم في الاستنصار قال مرشدا الى
ذلك **وان تعفوا** اي توقعوا المجاوزة عن ذنوبهم بعدم العقاب عليها فانه لا فايدة في ذلك لان من طبع على شيء
لا يرجع عنه وانما النافع الحذر الذي ارشد اليه سبحانه لئلا يكون سببا للوم المنهي عنه **ولما** كان الرجوع
عن الحظوظ صعبا جدا اكد سبحانه فقال **وتصفحوا** اي بالاعراض عن المقابلة بالتثريب باللسان **وتغفروا**
اي بان تستروا ذنوبهم سترا تاما شاملا للعين والاثر بالتجاوز بعد ترك العقاب عن العتاب ولا يكون
منكم اشتغال بعداوتهم ولا ما قد يجرها عما ينفع من الطاعة **ولما** كان التقدير يغفر الله لكم سبب عنه
قوله **فان الله** اي الجامع لصفات الكمال **غفور** اي بالغ المحو لاعيان الذنوب وآثارها جزاء لكم على غفرانكم
لهم وهو جدير بان يصلحهم لكم بسبب غفرانكم **رحيم** يزيد بعد ذلك الستر الاكرام بالانعام ان اكرمتموهم
فتخلقوا باخلاقه سبحانه يزدكم من فضله **ولما** حكم على البعض كان كانه قيل فما حكم سايره وكان الحكم بذلك
يلزم منه الحذر من الكل لكن التصريح سر كبير في ركون النفس اليه فقال حاصرا للجميع ضنا ما اليهم المال الذي

به قيام ذلك كله وقدمه لانه اعظم فتنة **انما** واسقط الجار لان شيئا من ذلك لا يخلو عن شغل قلب فقال
اموالكم اي عامة **واولادكم** كذلك **فتنة** اي اختبار ممثل من الله لكم وهو اعلم بما في نفوسكم منكم لكن ليظهر
في عالم الشهادة من يميله ذلك فيكون عليه نقمة ممن لا يميله فيكون له نعمة فربما رام الانسان صلاح ماله
وولده فبالغ فافسد نفسه ثم لا يصلح ذلك ماله ولا ولده وذلك انه من شانه انه يحمل على كسب الحرام ومنع
الحق والايقاع في الاثم روى ابو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري عنه انه قال يؤتى برجل يوم القيمة
فيقال اكل عياله حسناته وتكفي في فتنة المال قصة ثعلبة بن حاطب احد من نزل فيه قوله تعالى ومنهم من عاهد
الله وكانه سبحانه ترك ذكر الازواج في الفتنة لان منهن من يكون صلاحا وعونا على الآخرة **ولما** كان
التقدير ففي الاحتراز من فتنتهم تعب كبير لا يفوت به منهم الا حظ يسير وكانت النفس عند ترك مشتهياتها
ومحبوباتها قد تنفر عطف عليه مهونا له بالاشارة الى كونه فانيا وقد وعد عليه بما لا نسبة له منه مع بقايه
قوله **والله** اي ذو الجلال **عنده** وناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله وعظمه **اجر** ولم يكتف سبحانه بدلالة
السياق على ان التنوين للتعظيم حتى وصفه بقوله **عظيم** اي لمن ايتمر باوامره التي انما نفعها لصاحبها فلم يقدم
على رضاه مالا ولا ولدا وذلك الاجر اعظم من منفعتكم باموالكم واولادكم على وجه ينقص من الطاعة **ولما**
كان التقدير وعنده عذاب اليم لمن خالف سبب عنه قوله فذلكة اخرى لما تقدم من السورة كلها **فاتقوا**
الله مظهرا غير مضمر تعظيما للمقام واحترازا من ان يتوهم نوع تقييد فافهم الاظهار ان المعنى اجعلوا بينكم وبين
سخط الملك الاعلى وقاية من غير نظر الى حيثية ولا خصوصية بشيء ما باجتناب نواهيه بعد امتثال الاوامر
فان التقوى اذا انفردت كان المراد بها فعل الاوامر وترك المناهي واذا جمعت مع غيرها اريد بها اجتناب
النواهي فقط **ولما** كان الامر اذا نسب اليه اعظم من مقالة قايل فلا يستطيع ان يقدره سبحانه حق
قدره خفف ويسر بقوله **ما استطعتم** اي ما دمتم في الجملة قادرين مستطيعين ويتوجه عليكم التكليف
في العلميات والعمليات وابذلوا جهدكم في ذلك في الايمانيات لما علمتم من ذاته ومرتبته وصفاته
تعالى وافعاله وغير ذلك من جميع اعمالكم الظاهرة والباطنة واعظمه الهجرة والجهاد فلا يمنعكم الاخلاد اليهم
ذلك فالتقوى فيما وقع من المكروهات بالندم والاقلاع مع العزم على ترك العود وفيما لم يقع بالاحتراس عن
اسبابه وبذل الانسان جميع جهده هو الاتقاء حق التقاه فلا نسخ والله اعلم **ولما** كان اظهار الاسلام ليس
فيه مشقة كالاعمال قال **واسمعوا** اي اذعان وتسليم لما توعظون به ولجميع اوامره **واطيعوا** اي وصدقوا
ذلك الاذعان بمباشرة الافعال الظاهرة في الاسلاميات من القيام باوامر الله والشفقة على خلق الله في كل امر
وهي على حسب الطاقة وحذف المتعلق ليصدق الامر بكل طاعة من العمل وكذا في الانفاق **ولما** كان
الانفاق شديدا اكد امره بتخصيصه بالذكر فقال **وانفقوا** اي اوقعوا الانفاق كما حد لكم فيما اوجبه او ندب
اليه وان كان في حق من اطلعتم منهم على عداوة والانفاق لا يختص نوعا بل يكون بكل ما رزق الله من الذاتي
والخارجي. **ولما** كان الحامل على الشح ما يخطر بالبال من الضرورات التي اعزها ضرورة النفس رغب
فيه بما ينصرف اليه بادي بدء ويعم جميع ما تقدم فقال **خيرا** اي يكن ذلك اعظم خير واقع **لانفسكم** فان الله
يعطي خيرا منه في الدنيا مع ما يزكي به النفس ويدخر عليه من الجزاء في الآخرة ما لا يدري كنهه فلا يغرنكم عاجل
شيء من ذلك فانما هو زخرف **ولما** ذكر ما في الانفاق من الخير عم في جميع الاوامر فقال **ومن يوق** بناه
للمفعول تعظيما للترغيب فيه نفسه مع قطع النظر عن الفاعل اي يقيه واق اي واق كان واضافه الى
ما الشوم كله منه فقال **شح نفسه** فيفعل في ماله وجميع ما امر به ما يطيعه مما امر به موقنا به مطمينا
اليه حتى ترتفع عن قلبه الاخطار ويتحرز عن رق المكونات والشح خلق باطن هو الداء العضال راس
الحية وكل فتنة ضلالة والبخل فعل ظاهر ينشا عن الشح والنفس تارة تشح بترك المعاصي فتفعلها وتارة باعطا

الاعضا في الطاعات فتركها وتارة بانفاق المال ومن فعل ما فرض عليه خرج من الشح ولما كان الوالي انما هو الله سبحانه عن وقايته قوله فاولئك اي العالوا المرتبة هم اي خاصة المفلحون اي الذين حازوا جميع المرادات بما اتقوا الله فيه من الكونيات من المال والولد والاهل والمشوشات من جميع القواطع ولما امر به ورهب من ضده علي وجه اعم رغب فيه تاكيدا للامر لما فيه من الصعوبة لاسيما في زمان النبي صلي الله عليه وسلم فان المال كان فيه في غاية العزة ولاسيما ان كان في لوازم النسا اللاتي افتتح الامر بان منهن اعدا ولاسيما ان كان في حال ظهور العداوة فقال مبينا للافلاح متلطفا في الاستدعا بالتعبير بالقرض مشيرا الي انه علي خلاف الطبع باداة الشك إن تقرضوا الله اي الملك الاعلي ذا الغني المطلق لجميع صفات الكمال بصرف المال وجميع قواكم التي جعلها فتنة لكم في طاعاته ورغب في الاحسان فيه بالاخلاص وغيره فقال قرضا حسنا اي علي صفة الاخلاص والمبادرة ووضع في احسن مواضعه علي ايسر الوجوه واجملها واهناها واعدلها واعظم الترغيب فيه بان رتب عليه الربح في الدنيا والغفران في الاخرة فقال يضاعفه لكم اي لاجلكم خاصه اقل ما يكون للواحد عشرا الي ما لا يتناهي علي حسب النيات • قال القشيري يتوجه الخطاب بهذا علي الاغنيا في بذل اموالهم وعلي الفقرا في اخلا ايامهم واوقاتهم من مروآتهم وايثار مراد الحق علي مراد انفسهم فالغني يقال له اثر حكمي علي مرادك في مالك وغيره والفقير يقال له اثر حكمي في نفسك وقلبك ووقتك ولما كان الانسان لما له من النقصان وان اجتهد لا يبلغ جميع ما امر به لان الدين وان كان يسيرا فهو متين لن يشاده احد الا غلبه قال ويغفر لكم اي يوقع الغفران وهو محو ما فرط عينه واثره لاجلكم ببركة الانفاق • وقد تضمنت هاتان الجملتان جلب السرور ودفع الشرور وذلك هو السعادة كلها ولما كان التقدير فالله غفور رحيم عطف عليه قوله والله اي الذي لا تقاس عظمته بشي شكور اي بليغ الشكر لمن يعطي لاجله ولو كان قليلا فيثيبه ثوابا جزيلا خارجا عن الحصر وهو ناظر الي المضاعفة حليم لا يعاجل بالعقوبة علي ذنب من الذنوب وان عظم بل يمهل طويلا ليتذكر العبد الاحسان مع العصيان فيتوب ولا يهمل ولا يغتر بحلمه فان غضب الحليم لا يطاق وهو راجع الي الغفران ولما كان قد يتوهم في حلمه بان ينسب الي الجهل بالذنب او بمقداره قال عالم الغيب وهو ما غاب عن الخلق كلهم فيشمل ما هو داخل القلب مما توثره الجبلة ولا علم لصاحب القلب به فضلا عن غيره ولما كان قد يظن انه لا يلزم من علم ما غاب علم ما شهد او يظن ان العلم انما يتعلق بالكليات قال موضحا ان علمه بالعالمين بكل من الكليات والجزئيات قبل الكون وبعده علي حد سوا والشهادة وهو كل ما ظهر وكان بحيث يعلمه الخلق وهذا الوصف داع الي الاحسان من حيث انه يوجب للمومن ترك ظاهر الاثم وباطنه وكل قصور وفتور وغفلة وتهاون فيعبد الله كانه يراه ولما شمل ذلك كل ما غاب عن الخلق وما لم يغب عنهم فلم يبق الا ان يتوهم ان تاخير العقوبة للعجز قال العزيز الذي يغلب كل شي ولا يغلبه شي ولما كان ذلك قد لا يكون لامر اخر لا يمدح عليه قال الحكيم اي انه ما اخره الا لحكمة بالغة تعجز عن ادراكها الخلايق وقد اقام الخلايق في طاعته بالجري تحت ارادته وتارة يوافق ذلك امره فيسمي طاعة وتارة يخالفه فيسمي معصية فمن اراد اتم طاعته عليه بالتوفيق للطاعة بموافقته امره باحاطة علمه والاتقان في التدبير ببالغ حكمته وادامة ذلك وحفظه عن كل آفة بباهر عزته ومن اراد منعه ذلك بذلك ايضا والكل يسبح له سبحانه بافادة انه الواحد القهار وقد احاط اول الجمعة بهذه السورة اولها واخرها فجات هذه شارحة له وكاشفة عنه علي وجه الخم لان مقصد هذه نتيجة مقصد تلك وقد رجع بالتنزه عن شوايب النقص والاختصاص بجميع صفات الكمال وشمول القدرة للخلق والاحاطة

العلم باحوال الكافر والمومن علي افتتاحها حسن ختامها وعلم علما ظاهرا جلالة انتظامها • وبداعة اتساق جميع آيها وبراعة التيامها • والله الموفق • • • • • • •

مقصودها تقدير حسن التدبير في المفارقة والمهاجرة بتهذيب الاخلاق بالتقوي لاسيما في الانفاق • لاسيما ان كان ذلك عند الشقاق • لاسيما ان كان في امر النسا لاسيما عند الطلاق • ليكون الفراق علي نحو التواصل والتلاق • واسمها الطلاق اجمع ما يكون لذلك فلذا سميت به وكذا سورة النسا القصري لان العدل في الفراق بعض مطلق العدل الذي هو محط مقصود سورة النسا بسم الله الذي له جميع صفات الكمال الرحمن الذي عم برحمته النوال الرحيم الذي خص بتمام النعمة ذوي الهمم العوال • لما ختمت التغابن بانه تعالي شكور حليم عزيز حكيم بعد تمام العلم وشمول القدرة بعد التحذير من النسا بالعداوة وكانت العداوة تجر الي الفراق افتتح هذه بزم الانفس عند ثوران الحظوظ بزمام التقوي واعلي الخطاب جدا بتوجيهه الي اعلي الخلق تنبيها علي عظمة الاحكام الواردة في هذه السورة فانها مبنية علي الاسما الاربعة لتتلقي بغاية الرغبة فقال يا ايها النبي مخصصا له صلي الله عليه وسلم ذاكرا الوصف الذي هو سبب التلقي لغرايب العلوم • ورغايب الحكم والفهوم • ولما علم من الاقبال عليه صلي الله عليه وسلم عظمة الحكم ومن التعبير في الندا باداة التوسط التي لا تذكر الا في امر مهم جدا ان الذي هو اقرب اهل الحضرة غير مقصود به من كل وجه وان القصد التنبيه لجلالة هذه الاحكام وبذل الجهد في تفهيمه والعمل به فلذا اقبل علي الامة حين انتهوا والقوا اسماعهم فقال معبرا باداة التحقق لانه من اعظم مواقعها اذا طلقتم وعلم من ذلك عموم الحكم له صلي الله عليه وسلم لكن لما كان للانسان مع نسايه حالان احدهما المشاححة كان غيره اولي بالخطاب فيه وثانيهما الجود والمصالحة بالحلم والعفو فكان هو صلي الله عليه وسلم اولي بذلك فجات له سورة التحريم النسا اي اردتم طلاق هذا النوع واحدة منه فاكثر فطلقوهن اي ان شيتم مطلق طلاق ثلاثا او دونه وكلما قل كان احب بدليل ما ياتي من لواحق الكلام من الاشارة الي الرجعة لعدتهن اي في وقت او عند استقبال طهر يحسب منها وهو الطهر الذي لم تجامع فيه ان كانت مدخولا بها وذلك معني قراة ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم في قبل عدتهن فهذا طلاق السنة وغيره طلاق بدعة فان الطلاق في الحيض تطويل للعدة لانه غير محسوب ولا بد ان يكون الطهر لم تجامع فيه لانها اذا جومعت ربما حملت فطالت العدة وهذه اللام للوقت مثلها في كتب هذا الجنس تبين من شهر كذا واختير التعبير بها لانها تفهم مع ذلك ان ما دخلت عليه كالعلة الحاملة علي متعلقها فصار كانه قيل طلقوا لاجل العدة واذا كان لاجلها علم ان المراد تحقيقها علي المراة بحسب الطاقة لان مبني الدين علي اليسر وذلك دال علي ان العدة بالاطهار وان الطلاق في الحيض حرام لان الامر بالشي نهي عن ضده ولا يدل علي عدم الوقوع لان النهي غير مستلزم للفساد • وقد بين ذلك كله حديث ابن عمر رضي الله عنهما في طلاقه زوجته في الحيض حرام في الحيض الذي كان سبب النزول فغضب النبي صلي الله عليه وسلم وامره ان يراجعها ثم يمسكها حتي تطهر ثم ان شا امسك وان شا طلق قبل ان يمس وعلم ان عدتها بعين الاقرا الذي يمكن طولها وقصرها وهي غير المدخول بها والتي لم تحض والايسة والحامل لا سنة في طلاقها ولا بدعة وكذا المخالعة لان النبي صلي الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس رضي الله عنه في الخلع من غير استفصال عن حال امراته لانه انما يكون في الغالب عن تشاجر وتشاور من المراة ويقع الطلاق البدعي لان النبي صلي الله عليه وسلم امر ابن عمر رضي الله عنهما بالمراجعة منه ويأثم به بعد العلم ولو طلق في الحيض وراجع جاز له ان يطلق حال انقضا الحيض قبل

المجامعة والأمر بالإمساك إلى كمال الطهر والحيض الذي بعده للندب حتى لا يكون في صورة من راجع للطلاق
ولا بدعة في جمع الثلث لانه لا إشارة اليه في الاية ولا في حديث ابن عمر رضي الله عنه الذي هو سببها
نعم قد يدعي ذلك في آية البقرة في قوله مرتان والطلاق ابغض الحلال الى الله كما رواه ابو داود
وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما فا بغضه اليه انهاه وما حلف به ولا استحلف الا منافق كما في الفردوس
عن انس رضي الله عنه **ولما** كان نظر الشارع الى العدة شديدا لما فيها من الحكم ما لثاني لاحمال
الندم وما للظن لبراءة الرحم احتياطا للانساب ويقطع المنازعات والمشاجرات المفضية الى ذهاب
الأموال والأرواح وقد اهمه التعبير باللام صرح به بصيغة الأمر فقال **وأحصوا** اي اضبطوا
ضبطا كانه في اتقانه محسوس بعد الحصى **العدة** لتكملوها ثلثة اقرا كما تقدم به ليعرف زمان الرجعة
والنفقة والسكنى وحل النكاح لاخت المطلقة مثلا ونحو ذلك من الفوائد الجليلة **ولما** كان الطلاق
على غير هذا الوجه حراما للضرار ومخالفة الأمر وكذا التهاون في الضبط حتى أن تنكح المراة قبل الانقضاء
امر بمجانبة ذلك كله بقوله **واتقوا** اي في ذلك **الله** اي الملك الاعظم الذي له الخلق والامر لذاته في الزيادة
والاحصا لان في ذلك ما هو حقه **ربكم** اي لاحسانه في تربيتكم في حملكم على الحنيفية السمحة ودفع جميع الاصار
عنكم **ولما** امر بالتقوى وناط بعضها بصفة الاحسان فسره بقوله **لا تخرجوهن** اي ايها الرجال في حال
العدة **من بيوتهن** اي المساكن التي وقع الفراق وهي سكنهن وكانه عبر بذلك اشارة الى استحقاقها لا بقاء
العدة به في العظمة كاستحقاق المالك ولانها كانت في حال العصمة كانها مالكة له فليس من المروة اظهار
الجفا بمنعها منه ولانها ان روجعت كانت حاصلة في الحوزة ولم يفحش الزوج في المقاطعة وان لم تحصل
ذلك وظهر انها حامل لم تحصل شبهة في الحمل **ولما** كان ذلك ربما افهم لحقهن فقط نفاه بقوله
ولا يخرجن اي بانفسهن ان اراد ذلك من غير مخرج من جهة الزوج او غيره فعلم من ذلك استكمال العدة
في موضع السكنى وان الاسكان على الزوج وتخرج لضرورة بيع الغزل وجذاذ النخل ونحوه **ولما**
كان منطوق ذلك انه لا يجوز له اخراجها كاره ولا يجوز لها ان تخرج بنفسها فقط وهو كاره فافهم ذلك
انهما لو اتفقا جاز لان ذلك خارج عن النهي استثنى من كلا شقي المنهي عنه قوله **الا ان يأتين** اي
جنس المطلقات الصادق بواحدة واكثر **بفاحشة** اي خصلة محرمة شديدة القباحة **مبينة** اي ظاهرة
في نفسها ظهورا بينها عند كل من أريد بيانها له وذلك كالبذاءة منها على الزوج او اقاربه فانه كالنشوز
يسقط حقها من السكنى فيجوز له اخراجها لقطع الشر وهو معنى قراءة أبي رضي الله عنه الا ان يفحش عليكم
وكالزنا فتخرج بنفسها وتخرجها غيرها من الزوج وغيره لاقامة الحد عليها وغير ذلك من الفواحش كان
يطلقها للنشوز فانه لا سكنى لها حينئذ **ولما** كان التقدير هذه احكام هذا النوع عطف عليه
تعظيما لها **وتلك** اي الاحكام العالية جدا بما فيها من الجلالة وبانتسابها الى الملك الاعلى من هذا الذي ذكر
في هذه السورة وغيره **حدود الله** اي الملك الأعظم الذي هو نور السموات والارض **ولما** كان
التقدير فمن تحاماها فقد اتصف نفسه باخذ الفوز المبين عطف عليه قوله **ومن يتعد** اي يقع منه
وقت من الاوقات انه يتعمد ان يعدو **حدود الله** اي الملك الاعظم **فقد ظلم نفسه** بان مشاها في
الظلام فصارت تضع الاشيا في غير مواضعها فصار معرض الهلاك بالعقاب كما ان الماشي في الظلام
معرض للوقوع في حفرة والدوس على شوكة او حية او عقرب او سبع او لان ينفرد بقاطع او ان يضل
عن الطريق الى مهلك لا يمكن النجاة منها ومثال ذلك الحكيم اذا وصف دوا بقانون معلوم في وقت محدود
ومكان مخصوص فخولف لم يضر المخالف ذلك الحكيم وانما ضر نفسه **ولما** كان له تحت اوامره سبحانه
مع انها كلها خير لا شر فيه بوجه أسرار واغوار لا تدرك ولا تحصى وقد يظهر بعضها لسان الحدثان بيد

القدرة وكان متعديها ظالما وكان من اقرب ظلمه وابنيه الايقاع في مهاوي العشق فسره سبحانه
بقوله مبينا عظمته بخطاب الأعلى **لا تدري** اي ايها النبي الكريم ما يكون عن ذلك من الامور التي تحدث
الله للتسبير على المطلق بشي مما يصلحه فغيرك من باب الأولى **ولما** نفى عنه العلم المعيب لاختصاصه
سبحانه به وحذف المتعلق اغراقا في التعميم وكان كل احد فيما يحدث له من الامور ما بين رجا واشفاق عبر عن
ذلك باداة صالحة لهما فقال **لعل الله** اي الذي بيده القلوب ومقاليد جميع الأمور **يحدث** أي يوجد
شيا حادثا لم يكن ايجادا ثابتا لا يقدر الخلق على التسبب في زواله فيكون مستغرقا للزمان العمر كما اشار
اليه نزع الجار في قوله **بعد ذلك** اي الحادث من الاساءة بالضرار بالاخراج او تطويل العدة او غير ذلك **أمرا**
اي من الأمور المهمة كالرغبة المفرطة في الزوجة فلا يتاتى ذلك الا بان كان الضرار بالطلاق الثلاث
او بان كانت من ذوي الأنفة فاثرت فيها الإساءة وفي من يتبصر لها فمنعت نفسها منه • وقال الامام ابو جعفر
ابن الزبير **لما** تقدم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وقوله في
التغابن ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة والمؤمن
قد يعرض له ما يضطره الى فراق من نبه على فتنته وعظم محنته وردت هذه السورة منبهة على كيفية الحكم في
هذا الافتراق وموضحة احكام الطلاق وان هذه العداوة وان استحكمت ونار هذه الشهوة وان اضطرمت
لا توجب التبرو بالحكمة وقطع المعروف لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا ووصى سبحانه بالاحسان المجمل
في قوله او تسريح باحسان وبين تفصيل ذلك وما يتعلق به فهذا الرفق المطلوب بايقاع الطلاق في اول
ما تستقبله المطلقة في عدتها وتحسبه من مدتها تحذيرا من ايقاع الطلاق في الحيض الموجب طول العدة وتكثير
المدة واكد سبحانه هذا بقوله واتقوا الله ربكم ثم نبههن سبحانه على حقهن ايام العدة من الابقا في مستقرهن
حين ايقاع الطلاق الى انقضا العدة فقال لا تخرجوهن من بيوتهن الى ما استمرت عليه السورة من بيان
الاحكام المتعلقة بالطلاق وتفصيل ذلك كله • **ولما** كان الاولاد اذا ظهر منهم ما يوجب فراقهم وابعادهم
غير متعرفين الى ما سوى الرفض والترك بخلاف المراة لم يحتج الى ما احتيج اليه في حقهن فقد وضح وجه
ورود سورة الطلاق في هذا الموضع والله اعلم انتهى • **ولما** احد سبحانه ما يفعل في العدة اتبعه ما يفعل
عند انقضايها فسبب عما امره فيها معبرا باداة التحقيق لان الخطاب على تقدير الحياة معلما ان له الرجعة
الى آخر جزء من العدة لانها اذا ثبتت في آخرها البعيد من الطلاق كان ما قبله اولى لانه اقرب الى الطلاق
فقال **فاذا بلغن** اي المطلقات **أجلهن** اي شارفن انقضا العدة مشارفة عظيمة **فامسكوهن** أي
بالمراجعة وهذا يدل على ان الاولى من الطلاق ما دون البائن لا سيما الثلاث • **ولما** كان الانسان
لما له من النقصان لا يقدر على كمال الاحسان قال منكرا **بمعروف** اي حسن عشرة لا لقصد المضارة
بطلاق آخر لاجل ايجاب عدة أخرى ولا غير ذلك **أو فارقوهن** اي بعدم المراجعة لتتم العدة فتملك نفسها
بمعروف بايفا الحق مع حسن الكلام وكل امر عرفه الشرع اي حسنه فلا يقصد اذاها بتغريبها من ولدها
مثلا او منه ان كانت عاشقة له لقصد الاذى فقط من غير مصلحة وكذا ما اشبه ذلك من انواع الضرر
بالفعل او القول فقد ضمنت الاية بافصاحها الحث على فعل الخيرات وبافهامها اجتناب المنكرات **ولما**
كان كل من المرافقة والمفارقة امرا عظيما تبنى عليه احكام تحل فتحرم اضدادها فيكون الخلاف فيها في غاية
الخطر وكان الاشهاد اليق بالمراد واقطع للنزاع قال تعالى حاثا على الكيس واليقظة والبعد عن افعال
المغفلين العجزة **وأشهدوا** اي على المراجعة او المفارقة **ذوي عدل** اي مكلفين حرين تقيين فطنين
منكم اي مسلمين وهو امر ارشاد مندوب اليه وعن الشافعي وجوبه في الرجعة والصحيح الاول ومن
فوايده ان لا يموت احدهما فيدعي الاخر الزوجية ببقا علقة العدة ليرث **ولما** كان ادا الشهادة

يعسر على الشاهد لترك مهمانه وعسر لقا الحكم الذي يؤدي عنده وربما بعد مكانه وكان للعدل في الادا
عوايق ايضا وكان الشهود من المامورين بالاشهاد حث على الادا على وجه العدل بقوله **واقيموا** اي ايها
المامورون حيث كنتم شهودا **الشهادة** اي التي تحملتموها باداها على اكمل احوالها كما يفعل من يريد اقامة
شي ليبصر واقفا بنفسه غير محتاج الى ما يدعمه ولما كان ربما ميل احد من المشهود عليهما الشاهد
بشي من المرغبات فاداها على وجهها لذلك الشي لا لكونه الحق مرغبا مرهبا **لله** اي مخلصين لوجه الملك
الاعلى المحيط علما وقدرة وهو ذو الجلال والاكرام في ادايها على وجه الحق ظاهرا وباطنا لا لاجل المشهود
له والمشهود عليه ولا لشي سوى وجه الله ولما كانت احكامه سبحانه لا سيما في هذا الكتاب المعجز
مقرونة بعللها وفيها عند التامل رقايق تخشع لها القلوب وتجب الافيدة في داخل الصدور قال **ذلكم**
اي الذي ذكرت لكم اياته الامة من هذه الامور البديعة النظام العالية المرام واولاها بذلك هنا الاشهاد
واقامة الشهادة ولما كانت اوامر الله كلها وقصصه واحكامه وجميع كلامه مختصا من بين كلام الناس
بانه يرقق القلوب ويلين الشكايم لكونه روحا لما فيه من العدل الذي تهواه النفوس وتعشقه الالباب
وتميل اليه الطباع وقامت به السموات والارض ولما فيه ايضا من ذكر من يعشقه الفطرة القويمة
من جميع اهل الخير من الانبيا والملايكة والاوليا مع تشريف الكل بذكر الله مسمي وعظا وبني للمجهول للاشارة
الى ان المسمي الوعظ نفسه نافع ولو لم يعرف قايله والى ان الفاعل معروف انه الله لكونه مسمي وعظا مع
كونه احكاما فقال **يوعظ** اي يلين ويرقق **به من كان** اي كونا راسخا من جميع الناس **يؤمن بالله** اي
يوقع ويجدد منكم او من غيركم على سبيل الاستمرار من صميم قلبه الايمان بالملك الذي له الكمال كله ولما
البعث محط الحكمة لان الدنيا مزرعة الاخرة ولا يكون زرع بغير حصاد كان خلو الايمان عنه مقدما
للايمان فقال **واليوم الاخر** فانه المحط الاعظم للترقيق واما من لم يكن متصفا بذلك فكانه لقساوة
قلبه ما وعظ به لانه لم ينتفع به ولما كانت العبادة لا تكون الا بالاعانة وكان التقدير فمن اتعظ
بذلك كان اتعاظه شاهدا له بايمانه بذلك وكان متقيا عطف عليه قوله اعتراضا بين هذه الاحكام تاكيدا
للترغيب في الاعانة المترتبة على التقوي **ومن يتق الله** اي يخف الملك الاعظم فيجعل بينه وبين ما يسخطه
وقاية بما يرضيه وهو اجتلاب ما امر به واجتناب ما نهي عنه من الطلاق وغيره ظاهرا وباطنا وكان ملاح
قوي العلم بالايمان والعمل الفعل المامور وترك المنهي لانه تقدم ان التقوي اذا انفردت في القران عن ملازمة
عمت الامر والنهي وانما قرنت بغيرها نحو احسان او رضوان خصت المناهي **يجعل** اي الله بسبب التقوي
له مخرجا بدفع المضار من كل ضيق احاط به في نظير ما اجتنب من المناهي **ويرزقه** بحوله وقوته بجلب
المسار في الدين والدنيا والاخرة في نظير ما اجتلب من فعل الاوامر ولما كان احلي الهبات ما جاء من
مكان لا يرجي قال **من حيث لا يحتسب** اي لا يقوي رجاوه له واكد في هذا واعظم الوعد لانه وان كان
عاما لكل متق متعلقه بما تقدم اقوي والنظر فيما تقدم الي حقوق العباد اكثر والمضايقة فيها اشد
والدواعي اليها ابلغ فالاتقا فيه بعدم الحيض والاضرار بالمراة بتطويل العدة او الاخراج من المسكن وكتمان
الشهادة والعسر في ادايها والاخلال بشي منها وللتاكيد والابلاغ في الوعد لاجل ما جبل عليه الانسان من
من القلق في امور عطف على ذلك قوله **ومن يتوكل** اي يسند اموره كلها ويفوضها معتمدا فيها **على الله** اي
الملك الذي بيده كل شي ولا كفو له فقد جمع الاركان الثلاثة التي لا يصلح الوكيل الا بها وهي العلم المحيط
ليلا يدلس عليه والقدرة التامة ليلا يعجز والرحمة بالمتوكل والعناية به ليلا يحيف عليه والتوكل يكون
مع مباشرة الاسباب وهي من المقامات العظيمة والا كان اتكالا وليس عقاما بل خسة همة وعدم مروة
لانه ابطال حكمة الله التي احكمها في الدنيا من ترتيب المسببات على الاسباب قاله الملوي **فهو** اي الله في

الطلاق في

غيبه

غيبه فضلا عن الشهادة بسبب توكله **حسبه** اي كافيه وحذف المتعلق للتعميم وخوف الاستغلاق
للاشارة الى انه كانه قد حمل اموره كلها عليه سبحانه لانه القوي الذي لا يعينه شي والكريم الذي يحسن
حمل ذلك ورعبه والعزيز الذي يدفع عنه كل ضار ويجلب له كل سار الي غير ذلك من المعاني الكبار فلا يبدو
له في عالم الشهادة شي يشقيه لا من الغيب ولا من غيب الغيب وفي الحديث لو انكم توكلتم على الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولما كان ذلك امرا لا يكاد يحيط به الوهم علله
بقوله مهولا له بالتاكيد والاظهار في موضع الاضمار **ان الله** اي المحيط بكل كمال المنزه عن كل شايبة نقص
بالغ امره اي جميع ما يريده فلا بد من نفوذه سوا حصل توكل ام لا وسماه امرا اشارة الى انه مما يستحق
ان يومر به والى انه في سرعة الكون اذا اريد لم يتخلف بوجه بل يكون كالمؤتمر الحقير للملك الجليل الكبير
ولما كان ضرب المقادير من العادة موجبا لعدم الاخلال بشي منها علل ذلك بما اقتضي الوعد والتوكل
فقال **قد جعل الله** اي الملك الذي لا كفو له ولا معقب لحكمه جعلا مطلقا من غير تقيد بجهة ولا حيثية **لكل
شي قدرا** اي تقديرا لا يتعداه في مقداره وزمانه وجميع عوارضه واحواله وان اجتهد جميع الخلايق
في ان يتعداه فمن توكل استفاد الاجر وخفف عنه الالم وحذف في قلبه السكينة ومن لم يتوكل لم يغنه
ذلك وزاد المه وطال غمه بشدة سعيه وخيبة اسبابه التي يعتقد انها هي المنجحة فمن رضي فله الرضي
ومن سخط فله السخط جف القلم فلا يزاد في المقادير شي ولا ينقص منها شي منها شي ويحكي ان رجلا اتي
عمر رضي الله عنه فقال اولني مما اولاك الله فقال اتقرا القران قال لا قال انا لا نولي من لا يقرا القران
فانصرف الرجل واجتهد حتي تعلم القران رجا ان يعود الي عمر فيوليه فلما تعلم القران تخلف عن عمر رضي الله
عنه فراه ذات يوم فقال يا هذا اهجرتنا فقال يا امير المؤمنين لست ممن يهجر ولكني تعلمت القران فاغناني
الله عن عمر وعن باب عمر قال اي اية اغنتك قال قوله تعالي ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومن توكل
على غيره سبحانه ضاع لانه لا يعلم المصالح وان علمها لم يعلم اين هي وان علم لم يعلم متي يستعملها وان علم لم يعلم
كم القدر المستعمل وان علم لم يعلم كيف يستعملها وهو سبحانه المتفرد بعلم ذلك كله وما لا يعلمه حق علمه غيره
والاية تفهم ان من لم يتق تعتر عليه وهو موافق لما روي ابن حبان في صحيحه والحاكم واللفظ له وقال صحيح
الاسناد عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر الا الدعا ولا
يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وتفهم ان من لم يتوكل لم يكف شيا من
الاشيا ولما وسط بين العدد هذه الجمل الواعظة دلالة على عظمتها حثا على امتثالها والمبادرة اليه
وختم بالتقدير اتبع ذلك بيان مقادير العدد على وجه ابان ان الكلام الماضي كان في الحوايض الرجعيات
فقال **واللاي يئسن** اي من المطلقات **من المحيض** اي الحيض وزمانه لوصولها الي سن تجاوز القدر
الذي يرجوا فيه النسا الحيض فصارت بحيث لا يرجوه وذلك السن خمس وخمسون سنة او ستون سنة وقيل
سبعون وهن من القواعد واما من انقطع حيضها في زمن ترجو فيه الحيض فانها تنتظر سن الياس وكان هذا
الحكم خاصا بازواج المسلمين لحرمة فرشهم وحفظ انسابهم قال **من نسايكم** اي ايها المسلمون سوا كن مسلمات
او من اهل الكتاب ولما كان الموجب للعدة انما هو الدخول لا مجرد الطلاق قال **ان ارتبتم** بان اخذتم
النظر في امرهن فاداكم الي ريب في هل هن حاملات ام لا وذلك بالدخول عليهن الذي هو سبب الوسيلة بالحمل
في الجملة **فعدتهن ثلاثة اشهر** كل شهر يقوم مقام حيضة لان اغلب عوايد النسا ان يكون كل قرء في شهر
ولما تم قسمي ذوات الحيض اشارة وعبارة قال **واللاي لم يحضن** اي لصغرهن او لانه لا حيض لهن
اصلا وان كن بالغات فعدتهن ثلاثة اشهر ايضا وهذا مشير الي ان اولات الحيض باينات او لا عدتهن ثلثة
قرو كما تقدم في البقرة لان هذه الاشهر عوض عنها فاما ان يكون القرء وهو الطهر بين حيضتين او بين الطلاق

تحتم

لما هو

والحيض وهذا كله في المطلقة واما المتوفي عنها زوجها فاربعة اشهر وعشرا كما في البقرة ولما
فرغ من اقسام الحوايل اتبعه ذكر الحوامل فقال واولات الاحمال اي من جميع الزوجات المسلمات
والكوافر المطلقات علي كل حال والمتوفي عنهن اذا كان حملهن من الزوجات مسلما كان او لا اجلهن اي
لمنتهي العدة سوا كان لهن مع الحمل حيض او لا ان يضعن ولما كان يوجد الحمل لا ينشا عنه وكان
الجمع ربما اوهم انه لا تحل واحدة منهن حتي تضع جميعا قال حملهن وهذا علي عمومه مخصص لاية
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لان المحافظة علي عمومه اولي من المحافظة علي عموم ذاك في
قوله ازواجا لان عموم هذه بالذات لان الموصول من صيغ العموم وعموم ازواجا بالعرض لانه بدلي
لا يصلح لتناول جميع الازواج في حال واحد والحكم معلل هنا بوصف الحملية بخلاف ذاك ولان سبيعة
بنت الحرث وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليال فاذن لها النبي صلي الله عليه وسلم ان تتزوج ولان
هذه الاية متاخرة النزول عن اية البقرة فتقديمها علي تلك تخصيص وتقديم تلك في العمل بعمومها رفع
لما في الخاص من الحكم فهو نسخ والاول هو الراجح للوفاق فان كان الحمل من زنا او شبهة فلا حرمة له
والعدة بالحيض ولما كانت امور النساء في المعاشرة والمفارقة من المعاشرة والمباشرة في غاية المشقة
فلا يحمل علي العدل فيها والعفة الا خوف الله كرر تلميحها بالحث علي التقوي اشارة الي ذلك وترغيبا في لزوم
ما حده سبحانه فقال عاطفا علي ما تقديره فمن لم يحفظ هذه الحدود عسر الله عليه اموره ومن يتق
الله اي يوجد الخوف من الملك الاعظم ايجادا مستمرا ليجعل بينه وبين سخطه وقاية من طاعاته
اجتلابا للمامور واجتنابا للمنهي يجعل له اي يوجد ايجادا مستمرا باستمرار التقوي ان الله لا يمل حتي تملوا
من امره اي كله في النكاح وغيره يسرا اي سهولة وفرجا وخيرا في الدارين بالدفع والنفع وذلك
اعظم من مطلق المخرج المتقدم في الاية الاولي ولما كان تكرير الحث علي التقوي للسؤال عن
سببه استانف قوله كالتعليل ذلك اي الامر المذكور من جميع هذه الاحكام العالية المراتب امر الله اي
الملك الاعلي الذي له الكمال كله ونبه علي علو رتبة الامر بقوله انزله اليكم ولما كان التقدير فمن
اباه هوي في مهاوي الهلكات الي اسفل سافلين عطف عليه قوله ومن يتق الله اي الذي لا امر لاحد
معه بالاجتلاب والاجتناب ولما كان الانسان محل العجز والنقصان انسه بانه اذا وقع منه زلل
فراجعه بالتقوي لطف به جزاء علي تقواه بالدفع والنفع فقال يكفر اي يغطي تغطية عظيمة ويستر ويغيب
ويسقط عنه سياته ليتخلي عن المبعدات فان الحسنات يذهبن السيات ولما كان الكريم لا يرضي
لمن اقبل اليه بالعفو فقط قال ويعظم له اجرا بان يبدل سياته حسنات ويوفيه اجرها في الدارين
مضاعفا فيتحلي بالقربات وهذا اعظم من مطلق اليسر المتقدم ولما قدم التكفير واتبعه الاجر الكثير
وكان قد تقدم ايجاب ترك المطلقة في منزل الطلاق واذن في اخراجها عند الفاحشة المبينة وربما كان
منزل الطلاق مستعارا وكان مما لا يليق بالزوج وكان ربما نزل الكلام السابق عليه استانف البيان له
بما لا يحتمل لبسا فقال امرا بعد ذلك النهي علي وجه مشير لسابقه ولاحقه الي الحكم عنهن فيما يمكن الحكم
فيه حفظا للقلوب وابعادا للشقاق بعد الايحاش بالطلاق لئلا يعظم الكسر والوحشة اسكنوهن
اي هولاء المفارقات في العدة ان كن مطلقات حاملات كن او لا مبتوتات كن او رجعيات خلاف ما
كان في العدة عن وفاة بغير حمل او كان عن شبهة او فسخ ولما كان المراد مسكنا يليق بها وان
كان بعض مسكن الرجل ادخل اداة التبعيض فقال من حيث سكنتم اي من اماكن سكناكم لتكون قريبة
منكم ليسهل تفقدكم لها للحفظ وقضا الحاجات ولما كان الانسان ربما سكن في ماضي الزمان ما لا يقدر
عليه الان قال مبينا للمسكن المامور به مبقيا للمودة بعدم التكليف بما يشق من وجدكم اي سعتكم

وطاقتكم باجارة او ملك او اعارة حتي تنقضي العدة بحمل كانت او غيرها ولما كان الانسان قد يكون مع
الشنان قال ولا تضاروهن اي حال السكني في المسكن ولا في غيره ولما كانت المضارة قد تكون حسن
بان يكون تاديبا لامر معروف ليتوصل بصورة شر قليل ظاهرا الي خير كثير قال لتضيقوا اي تضييقا بالغا
لا شبهة في كونه كذلك مستعليا عليهن حتي يلجئهن ذلك الي الخروج ولما كانت النفقة واجبة للرجعية
وكانت عدتها تارة بالاقرا وتارة بالاشهر وتارة بالحمل وكان ربما يوهم ان ما بعد الثلاثة الاشهر من مدة
الحمل للرجعية وجميع المدة لغيرها لا يجب الانفاق فيه قال تعالي وان كن اي المعتدات اولات حمل اي من
الازواج كيف ما كانت العدة من موت او طلاق باين او رجعي فانفقوا عليهن وان مضت الاشهر حتي
يضعن حملهن فان العدة الاعتداد بالحمل وهذه الشرطية تدل علي اختصاص الحوامل من بين المعتدات
البواين بوجود النفقة ولما عني سبحانه وجوب الانفاق بالوضع وكانت قد تريد ارضاع ولدها
وكان اشتغالها بارضاعه يفوت عليها كثيرا من مقاصدها ويكسدها جبرها بان قال حاثا علي مكافاة
الاخوان علي الاحسان باداة الشك الي انه لا يجب عليها الارضاع فان ارضعن وبين ان النسب للرجال
بقوله لكم اي باجرة بعد انقضا علقة النكاح فاتوهن اجورهن علي ذلك الارضاع ولما كان ما
يتعلق بالنسا من مثل ذلك موضع المشاجرة لا سيما امر الرضاع وكان الخطر في امره شديدا وكان الله تعالي
قد رحم هذه الامة بانه يحرك لكل منهما حنينا من يامرهما بخير لا سيما في امر الولد رحمة له قال مشيرا الي
ذلك وايتمروا اي ليامر بعضكم بعضا في الارضاع والاجر فيه وغير ذلك وليقبل بعضكم امر بعض وزادهم
رغبة في ذلك بقوله بينكم اي ان هذا الخير لا يعدوكم واكد ذلك بقوله بمعروف وذكره سبحانه تخفيفا
علي الامة بالرضي بالمستطاع وهو يكون مع الخلق بالانصاف ومع النفس بالخلاف ومع الحق بالاعتراف
ولما كان ذلك موجبا للمباشرة وكان قد يوجد في الناس من الغالب عليه الشر قال مشيرا بالتعبير
باداة الشك الي ان ذلك وان وجد فهو قليل عاطفا علي ما تقديره فان تياسرتم فهو حظكم وانتم جديرون
لسماع هذا الوعد بذلك وان تعاسرتم اي طلب كل منكم ما يعسر علي الاخر بان طلبت المراة الاجرة
وطلب الزوج ارضاعها مجانا فليس له ان يكرهها ولما كان سبحانه قد تكفل بارزاق عباده وقدرها
قبل ايجادهم قال مخبرا خبر الاب بما يتضمن عتابا للام فسترضع اي يوجد لا خلف فيه وصرف الخطاب الي
الغيبة ايذانا بان للاب ترك الاولي فيما هو جدير به من المباسرة لكونه حقيقا بان يكون اوسع بطانا
واعظم شانا من ان يضيق عما يرضي به المراة استنانا به صلي الله عليه وسلم في انه ما خير بين امرين الا
اختار ايسرهما ما لم يكن اثما او قطيعة رحم فقال له اي للاب اخري اي مرضعة غير الام رضي الله عنها
وليس له اكراهها الا اذا لم يقبل ثدي غيرها وهذا الحكم لا يختص بالمطلقة بل المنكوحة كذلك ولما كانت
المعاشرة في الغالب من ترك السماح من خوف الاعدام نبه سبحانه علي ان ذلك ليس بعذر
بتقسيم الناس الي موسع عليه وغيره وان الاليق بالموسع عليه ان يوسع ولا يسي الظن بربه وقد جرب رفق
وان المقتر عليه لا ينبغي له ان يفعل فعل من يخاف ان يخلف وعده فقال شارحا للمياسرة لينفق ذو سعة
اي مال واسع ولم يكلفه سبحانه جميع وسعه بل قال من سعته اي التي اوسعها الله عليه ولما كان
الاعطا من غير تقدير ملزوما للسعة كان التقدير كناية عن الضيق فقال ومن قدر اي ضيق وسكنت
عنه حركته وردت عنه معيشته عليه رزقه بان جعله الله الذي لا يقدر علي التضييق والتوسيع
غيره بقدر ضرورياته فقط من غير وسع لشي غيرها الامر من الامور التي يظهر الله بها عجز العباد رحمة لهم
ليتهذب به نفوسهم وبناه للمفعول تعليما للادب معه سبحانه فلينفق اي وجوبا علي المرضع وغيرها من كل
ما اوجبه الله عليه او ندبه اليه وبشر سبحانه بانه لا يخلي احدا من شي يقوم به ما دام حيا بقوله مبشرا

بالتبعيض اي ان ما اوجبه سبحانه لا يستغرق ما وهبه **مما آتاه الله** اي الملك الذي لا ينفد ما عنده ولا احد لجوده
ولو من راس المال ومتاع البيت ومن ثمن الضيعة ان لم يكن من الغلة لانه سبحانه قد ضمن الاخلاف ومن ضمن
ما يكفيه للوقت ثم اهتم للزيادة للغد فذلك اهتمام غير مرحوم وصاحبه غير معاتب وفي هذا ارشاد الي الاقتدا
به صلي الله عليه وسلم في عدم التكليف والستر في كل امر علي حسب الاوقات • ولما كان تعالي له التكليف
بما لا يطاق اخبر انه رحم العباد بانه لا يفعله فقال معللا او مستانفا جوابا لمن يقول ثم ما يفعل من لم يكن له موجود
اصلا محببا في دينه صلي الله عليه وسلم بما فيه من اليسر **لا يكلف الله** اي الذي له الكمال كله **نفسا** اي نفس كانت
الا ما آتاها وربما افهم ان من كلف انفاقا وجب من فضل ما عنده من الاثاث الفاضل عن سد جوعته وستر عورته
ولما كان التذكير بالاعدام ربما اوجع قال تعالي جابرا له وتطييبا لقلبه نادبا الي الايمان بالغيب **سيجعل
الله** اي الملك الذي له الكمال كله فلا خلف لوعده ونزع الجار زيادة في الجبر فقال **بعد عسر** اي من الامور
التي تعسرت لانه يجعل ذلك بعد كل عسر **يسرا** اي لا بد من ذلك ولا يوجد احد يستمر التقتير عليه طول عمره في
جميع احواله قال العشيري وانتظار اليسر من الله صفة المتوسطين في الاحوال الذين انحطوا عن درجة الرضي
واستووا وجود السبب وفقده وارتقوا علي حد الياس والقنوط ويعيشون في افنا الرجا ويتعللون بحسن المواعيد
انتهي • **ولقد** صدق الله وعده فيمن كانوا موجودين حين نزول الاية ففتح عليهم جميع جزيرة العرب ثم فارس
والروم وابتلوا كنوزها حتي صاروا اعين الناس وصدق الاية دايم غير انه كان في الصحابة رضي الله عنهم
ايمن لان ايمانهم اتم • **ولما كان** الامر قد بلغ النهاية في الاحكام والمواعظ والترغيب لمن اطاع فلم يبق الا
التهديد لمن عصي بما شوهد من المثلات وبالغ العقوبات فان من الناس البليد الذي لا يتعظ بما يري وكان
التقدير فكاي من ناس كانوا في غاية الضيق فاطاعوا اوامرنا فجعلنا هم في نهاية السعة بل جعلناهم ملوكا عطف
عليه تزهيدا في الرفاهية بانها تطغي في الاغلب وتهديدا لاهل المعاصي قوله معيدا لكثرة القري الخارجة
وكاين من قرية اي مدينة كبيرة جامعة عبر عن اهلها بها مبالغة **عتت** اي استكبرت وجاوزت الحد في
عصيانها وطغيانها فاعرضت عنادا **عن امر ربها** اي الذي احسن اليها ولا محسن اليها غيره بكثرة الرزق
وطيب العيش واللطف في التربية والرحمة بعد الايجاد والملك **ورسله** فلم تقبل منهم ما جاؤها به عن
الله فان طاعتهم من طاعة الله • **ولما** كانت محاسبة مثل هولا الاهلاك لان الحساب هو ذكر الاعمال
والمجازاة عليها بما يحق لكل منها قال ملتفتا الي مقام التكلم في مظهر العظمة **فحاسبناها** اي تسبب عن عدم شكرهم
للاحسان ان احصينا اعمالها ولما كان ذلك علي وجه المناقشة علي النقير والقطمير بالمجازاة علي كل فعل بما يليق
به قال **حسابا شديدا** بمعناه المطابقي من ذكر الاعمال كلها والمجازاة عليها وهذا هو المناقشة وهي ان
العامل اذا اثر اثرا بعمله هو كالنقش في الجامد اثر المجازي له فيه اثرا بحسب عمله علي سبيل الاستقصا
واما الحساب اليسير فهو عرض الاعمال فقط من غير جزا علي قبيحها فهو ودلالة تضمن وانما شدد علي هذه القرية
لان اعراضها كان كذلك بما نبه عليه تسميته عتوا **وعذبناها** اي في الدنيا علي ما احصيناه من ذنوبها
عذابا نكرا اي شديد النكارة لان العقل يتحير في امره لانه لم ير مثله ولا قريبا منه ليعتبره به وازال
ذكر الكثرة شبهة ان يكون الاهلاك وقع اتفاقا في وقت من الاوقات **فذاقت** بسبب ذلك بعد ما كان
لها من الكثرة والقوة **وبال** اي وخامة وعقوبة وشدة وثقل وفساد **امرها** اي في العتو وجميع ما
كانت تامر به مثله بالمرعي الوخيم الذي يمرض ويهلك • ولما كان كل مقهور انما يسلي نفسه بانتظار
الفرج ورجا العاقبة اياس من ذلك مذكرا للفعل اشارة الي الشدة بقوله **وكان عاقبة** اي آخر ومنتهي
وعقب **امرها** اي جميع عملها الذي كانت فيه **خسرا** اي نفس الخسر في الدارين فكلما امتد الامر وجدوه
امامهم فان كل من زرع الشوك كما قال العشيري لا يجني الورد ومن اضاع حق الله لا يطاع في حظ نفسه

دمن

ومن احترق بمخالفة امر الله فليصبر علي مقاساة عقوبة الله ثم فسر الخسر او استانف الجواب لمن يقول
هل لها غير هذا في غير هذه الدار بقوله **اعد الله** اي الملك الاعظم **لهم** بعد الموت وبعد البعث **عذابا
شديدا** • **ولما تمت** الاحكام ودلايلها واحكمت الايات وفواصلها والتهديدات وغوايلها كانت فذلكتها
وثمرة سياقها وموعظتها ما تسبب عن ذلك من قوله تعالي تنبيها علي ما يحيي الحياة الطيبة وينجي في الدارين
فاتقوا الله اي الذي له الامر كله بامساك اوامره واجتناب نواهيه • ولما كان في تخليص المواعظ
من الاحكام واستمدادها من فواصل هذا الكلام امر عظيم هو من الدقة بمكان لا يبصره الا ذووا الافهام
قال **يا اولي الالباب** اي العقول الصافية النافذة من الظواهر الي البواطن **الذين امنوا** اي خلصوا
من دايرة الشرك واوجدوا الايمان حقيقة ثم هذا الامر بما ازال العذر فقال تنبيها علي ما من علينا
به من المراسلة فان مراسلات الاكابر فخر فكيف بمراسلات ملك الملوك حثا بذلك علي شكره **قد انزل الله**
اي الذي له صفات الكمال **اليكم** خاصة **ذكرا** اي كلاما مذكورا فيه غاية الشرف لكل من يقبله بل
تشرفت الارض كلها بنزوله ودفع عنها العذاب وعمها النور والصواب لان فيه تبيان كل شي فمن استضا
بنوره اهتدي ومن لجا الي برد افيايه وصل من دا الجهل الي شفايه • **ولما** كان الرسول صلي الله
عليه وسلم صورة سورة القران فالقران باطنه وهو ظاهره لانه خلقه لا قول له ولا فعل الا به فكان كانه
هو ابدل منه قوله **رسولا** علي ان الامر فيه غني عن التاويل فان الذكر بكسر الدال في اللغة كما في القاموس
من الرجال القوي الشجاع الابي ثم بين كونه ذكرا بقوله **يتلوا** اي يتابع اي يقص **عليكم ايات الله** اي
دلايل الملك الاعظم ذي الجلال والاكرام الظاهرة جدا حال كونها **مبينات** اي لا لبس فيها بوجه ولما
تبين ان الذكر والرسول صار شيا واحدا وعلم ما في هذه المراسلة من الشرف اتبع ذلك بيان شرف آخر
ببيان ثمرة انزاله فقال **ليخرج الذين امنوا** اي اقروا بالشهادتين **وعملوا** تصديقا لما قالوه بالسنتهم
وتحقيقا لانه من قلوبهم **الصالحات من الظلمات** اي النفسانية والاخلاق الرذيلة المؤدية الي ظلمة
الجوارح بعملها الظلام وانتشارها في السبل الشيطانية **الي النور** الروحاني العقلي الخالص الذي لا دنس
فيه بسلوك صراط الله الذي هو واحد لا شتات فيه وبين لا لبس فيه • وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل كما بادروا الي اخراج انفسهم من ظلمات الكفر الي نور الايمان ومن فساد الاعمال الطالحة
الي سداد الاعمال الصالحة وذلك بان يصيرهم متخلقين بالقران ليكونوا مظهرا له في حركاتهم وسكناتهم
واقوالهم وافعالهم فيكونون ذكرا • ولما كان التقدير فمن امن بالله وعمل صالحا شاهد بركة ذلك
في نفسه عاجلا عطف عليه ملبيا بالسعادة الآجلة قوله **ومن يؤمن بالله** اي يجدد في كل وقت علي الدوام
الايمان بالملك الاعلي بان لا يزال في ترق في معارج معارفه **ويعمل** علي التجديد المستمر **صالحا** لله وفي
الله فله دوام النعما وهو معني ادخاله الجنة • **ولما** كان قد تقدم قريبا في اية التقوي انه يكفر عنه
سياته قال شارحا لقوله ويعظم له اجرا **يدخله** اي عاجلا مجازا بما يمنح له من لذات العرفان ويفتح
له من الانس • واجلا حقيقة **جنات** اي بساتين هي في غاية ما يكون من جمع جميع الاشجار وحسن الدار
وبين دوام ريها بقوله **تجري** وبين انكشاف كثير من ارضها بقوله **من تحتها** اي من تحت غرفها **الانهار**
وهو كناية عن ارضها في غاية الري بحيث ان ساكنها يجري في اي موضع اراد نهرا او الي زيادة عظمها
اشارت قراة نافع وابن عامر بنون العظمة • ولما افرد الشرط والجزا اجرا علي لفظ من اشارة الي
انه لا يشترط في الايمان ولا في جزايه مشاركة احد وانه لا توقف للقبول علي شي غير الوصف المذكور
جمع الحال بشارة بان الداخلين كثير وان الداخل الي دار الكرامة لا يحصل له هوان بعد ذلك اصلا
فقال **خالدين فيها** واكد معني الخلود ليفهم الدوام بلا انقضا فقال **ابدا** • ولما اعلم ان الخلود

لكل الداخلين الي الجنة رجع الي الاسلوب الاول تنصيصا علي كل فرد ابلاغا في عظمة هذا الجزا بقوله نتيجة
لذلك منبها علي ان هذه النتيجة من حقها اي يتوقع قولها من كل من سمع هذه البشري قد احسن الله اي الملك
الاعلي ذا الجلال والاكرام له خاصة رزقا اي عظيما عجيبا قال القشيري الرزق الحسن ما كان علي حد الكفاية
لا نقصان فيه يتعطل عن اموره بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه كذلك ارزاق القلوب
احسنها ان يكون له من الاحوال ما يستقل بها من غير نقصان ولا يتعذب بتعطشه ولا يكون زيادة فيكون علي
خطر من مغاليط لا يخرج منها الا بتاييد من الله سماوي ولما تقدم ان فايدة الذكر النقل من خلق الي خلق
وكان من المعلوم ان تحويل جبل عن مكانه ايسر من تحويل شخص عن خلقه وشانه وتقدم ان اجره
المجاهدة في ذلك الجنات الموصوفات وكان ذلك يحتاج الي قدرة تامة دل علي قدرته سبحانه بقوله
الله اي الذي له جميع صفات الكمال التي القدرة الشاملة احديها ثم اخبر عنه بما يدل علي ذلك لان
الصنعة تدل علي الصانع وعلي ما له من الصفات فقال الذي خلق اي اوجد وحده من العدم بقدرته
علي وفق ما دبر بعلمه علي هذا المنوال الغريب البديع سبع سموات اي وانتم شاهدون عظمة ذلك وتشهدون
انه لا يقدر عليه الا تام العلم كامل القدرة ثم زاد ذلك ما انتم اعرف به فقال ومن الارض مثلهن اي سبعا
كما دل عليه حديث سعيد بن زيد وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين من اخذ شبرا من الارض
طوقه الله من سبع ارضين وقد تقدم في سورة السجدة ما ينفع في ذلك وظاهره يدل علي انها كما هي مثلها
في العدد هي مثلها في الكرية واحاطة كل واحدة منها بالتي تحتها واما التي نحن عليها هي السابعة العليا كالسما
السابعة التي سقفها الكرسي لان ذلك ادل علي ما السياق له من تمام العلم وشمول القدرة في الاستدلال
عليه بقوله يتنزل اي بالتدريج الامر اي الذي يجود به الرحمن من التدبير من امر الدين والتكوين من
العرش والكرسي بينهن بالوحي من السما السابعة العليا الي الارض السابعة السفلي وانتم ترونهن
بلا فروج فما تقدير بينهن تنفذ فيهن وذلك والله اعلم هو ما يريد من عظيم تدبيره بانزال الكتب وارسال
الرسل واثبات شريعة ومحو اخري وتوجيه الاسباب الي المسببات من المطر والنبات والليل والنهار
والفصول وخلق الحيوانات والمعادن وسائر النباتات وترديد الملايكة بسائر المصنوعات هذا ما
دل عليه ظواهر الكتاب والسنة واولها بعضهم بانها سبعة اقاليم وهو مردود بعد القاعدة في ان التاويل
بغير دليل مما ياتي من صريح الحديث النبوي والكلام الضابط فيما يؤول وما لا يؤول ان النقليات
اربعة اقسام قطعي السند والدلالة ظنيهما ظني السند قطعي الدلالة عكسه قطعي السند ظني الدلالة
فالاول يجب اعتقاد ظاهره ومن خالفه كفر والبقية يجب اعتقاد ظواهرها ما لم تعارض فان عورضت
بقطعي وجب العدول عن الظاهر اجماعا فمن اعتقد كفر ثم الناس بعد ذلك مذهبان اما السلف فيفوضون
المراد الي الله واما الخلف فان كان لذلك محمل عينونه وان كان ثم محامل سردوها ولم يعينوا شيا منها
مع اعترافهم بانهم ليسوا علي قطع من ان المراد شي مما ذكروه وانما هو شي يليق بالمقام والعلم عند الله
وبان طريق السلف اسلم وبانه ما حملهم علي التاويل الا انتشار المبتدعين واشتهارهم بدعهم بين الناس قال
الامام علا الدين القونوي في باب السير في شرحه للحاوي قال الامام يعني امام الحرمين ولو بقي الناس
علي ما كانوا عليه في صفوة الاسلام لما اوجبنا التشاغل بعلم الكلام بل ربما نهينا عنه واما الان وقد
ثارت البدع فلا سبيل الي تركها تلتطم امواجها فلا بد من اعداد ما يدعي به الي المسلك الحق وتحل به الشبه
فصار الاشتغال بادلة المعقول وحل الشبه من فروض الكفايات ومن استراب في اصل من اصول الاعتقاد
فعليه السعي في ازاحته الي ان يستقيم عقده انتهى ثم انك تجد العلما يختلفون في بعض الادلة فبعضهم
يجريها علي الظاهر وبعضهم يؤول وذلك للاختلاف في المعارض هل هو قطعي الدلالة ام لا وهذا الموضع منه

فان

فان ظواهر الكتاب والسنة تدل علي ان الارضين مثل السموات في العدد وفي ان بينهما خلا وفي ان في كل
واحدة مخلوقات لا يعلمها الا الله بل بعض الاخبار يكاد يقطع به في ذلك ولكنه لم يخرج عن ان يكون ظنيا فاكثر
العلما ومحققوهم علي ان المعارض وهو ما قاله اهل علم الهيئة من الادلة علي كونها واحدة ليس بقطعي فاولوا
كونها سبعة بالاقاليم السبعة وقد رايت في التعدد حقيقة حديثا صريحا لكن لا ادري حاله ذكره ابن
برجان في اسمه تعالي الملك من شرحه الاسما الحسني قال ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اتدرون
ما تحت هذه الارض قالوا الله ورسوله اعلم قال هوا اتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال
ارض اتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم حتي عد سبع ارضين ثم رايته في الترمذي عن ابي
رزين العقيلي ولفظه هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال انها الارض ثم قال هل
تدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ان تحتها ارضا اخري بينهما خمسمايه سنة حتي عد سبع
ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم رايت في الفردوس عن ابن مسعود رضي الله عنه ان
النبي صلي الله عليه وسلم قال ما بين السما الي السما خمسمائة عام وعرض كل سما وثخانة كل سما خمسمائة
عام وما بين السما السابعة وبين الكرسي والعرش مثل ذلك وما بين السما الي الارض مسيرة خمسمائة
عام والارضون وعرضهن وثخانتهن مثل ذلك ولما ذكر سبحانه الصنعة تنبيها علي التفكر فيها
والاعتبار بها ذكر ان ثمرتها العلم بصفاته بعد العجز عن احاطة العلم بغيب ذاته فقال لتعلموا اي بهذا
العالم الذي اوجده بتسويه كل واحد من القبيلين سبعا كل واحدة بينها وبين الاخري مسافة بعيدة
مع الكثافة الزايدة وانتم تعلمون انه لا ينفصل الجسم ولا سيما الكثيف عن آخر مثله الا بفاصل قاهر بقوة
باهرة وقدرة ظاهرة وعلم شامل لا يحتاج اليه ذلك فكيف اذا كان علي هذا المنهاج البديع والوجه
المنيع علي مر الدهور والاعقاب وتعاقب الشهور والاعوام علي حساب معلوم ونظام منظوم لا يدركه
الا اعلي الناس حسابا واعظمهم صوابا مع المنافع التي تفضل عن سكانها والمرافق التي ينزه الخالق بايثار
واعيانها وتوقظ الغافل وتنبه الجاهل وتدمغ الحايد ببرهانها فانه لا يسع احدا المنازعة في خلقه لها
ومن خلقها قدر علي تدبيرها علي الوجه المذكور ومن كان كذلك كان منزها عن الشريك قطعا ومن
كان كذلك قدر علي كل شي فلذا قال ان الله اي الملك الاعلي الذي له الاحاطة كلها علي كل شي اي من غير
هذا العالم مما يمكن ان يدخل تحت المشية فانه بمعني معقول من عالم آخر مثل هذا العالم وابدع منه وابدع
من ذلك الابداع الي ما لا نهاية له بالاستدلال بهذا العالم فان من قدر علي ايجاد ذرة من العدم
قدر علي ايجاد ما هو دونها ومثلها وفوقها الي ما لا نهاية له لانه لا فرق في ذلك بين قليل وكثير جليل وحقير
ما تري في خلق الرحمن من تفاوت واياك ان تلتفت الي من قال انه ليس في الامكان ابدع من هذا العالم
فانه مذهب فلسفي خبيث والاية نص في ابطاله وان نسبه بعض الملحدين الي الغزالي فاني لا اشك انه مدسوس
عليه فانه مذهب فلسفي خبيث بشهادة الغزالي كما بينت ذلك في كتابي تهديم الاركان من ليس في الامكان
ابدع مما كان وكتابي دلالة البرهان علي ان في الامكان ابدع مما كان وكتابي اطباق الاغلال في اعناق
الضلال ومع كونه مذهب الفلاسفة اخذه اكفر المارقين ابن عربي واودعه فصوصه وغير ذلك من كتبه
واستند في بعضها الي الغزالي افترا ومكرا اعاذ الله من شره والغزالي بري منه بشهادة ما وجد من عقايده
في الاحيا وغيره قدير اي بالغ القدرة ولما كانت احاطة العلم دالة علي تمام القدرة واليهما يرجع
جميع الاسما والصفات قال وان الله اي الذي له جميع صفات الكمال قد احاط لتمام قدرته بكل شي
مطلقا ولما اسند اليه سبحانه تعظيما لها بين جهتها بتمييز محول عن الفاعل فقال علما فله الخبرة التامة
بما يامر به من الاحكام في العلم بمصالحه ومفاسده فعاملوه معاملة من يعلم احاطة علمه فيعلم انه رقيب عليه

فاذا طلقتم النسآ فافعلوا ما امركم به تسلموا في الدنيا وتسعدوا في الاخرة والاولى ودبروا في جميع اموركم
مثل ما دبر به امركم في تربيتكم ومسكنكم ارضه وبيته فانه جعل فيه ما تحتاجونه وبسط نواله على من يرضيه
ومن يسخطه ونشر حلمه وفضله واخر باسه وعدله فقد عانق اخرها اولها وبين مجملها مفصلها ٭

مقصودها الحث على تقديرالتدبير في الاداب مع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومع ساير العباد والندب
الى التخلق بالادب الشرعي وحسن المعاشرة لاسيما للنسا اقتدآ بالنبي صلى الله عليه وسلم في حسن عشرته وكرم
صحبته وبيان الادب الشرعي تارة يكون باللين والاناة واخري بالسوط وما داناه بالسيف وما والاه ٭
وكل من اسميها التحريم والنبي موضح لذلك بسم الله الذي له الكمال كله على الدوام الرحمن الذي عم عباده
بعظيم الانعام الرحيم الذي اتم على خواصه نعمة الاسلام • لما ختم سبحانه الطلاق باحاطة علمه وتنزل امره
بين الخافقين في تدبيره دل عليه او لهذا بما على امور الخلق امر وقع بين خير خلقه وبين نسايه اللاتي هن خير
النسا واجتهد كل في احقا ما تعلق به منه فاظهر سبحانه عتابا لازواج نبيه صلى الله عليه وسلم
في صورة عتابه لانه ابلغ رفقابه لانه يكاد من شفقته ان يبخع نفسه الشريفة رحمة لامته تارة
لطلب رضاهم • واخري رغبة في هداهم • لانه صلى الله عليه وسلم بالغ في تهذيب اخلاقه مع ما طهره
الله به من نزاهتها عن كل دنس حتى ضيق عليها بالامتناع عن بعض ما ابيح له حفظا لخاطر الغير فقال
مناديا له باداة البعد وهو اقرب اهل الحضرة مع انها معدة لما يكون ذا خطب جليل ومعنى جسيم جزيل •
وفيها ايما الى تنبيه الغير واسماعه ارادة لتاديبه وتزكيته وتهذيبه يا ايها النبي فخاطبه بالوصف
لانه للتلقي عن الله فيحث كل سامع على البعد عن كل ما يشوش عليه صلى الله عليه وسلم ادني تشويش لم تحرم
اي تفعل فعل المحرم بمنع نفسك الشريفة ما احل الله اي الملك الذي لا امر لاحد معه لك بالوعد لبعض
امهات المومنين رضي الله عنهن بالامتناع من شرب العسل الذي كان عند حفصة او زينب رضي الله عنها
والامتناع من ملامسة سريتك مارية رضي الله عنها فتضيق على نفسك لاحسان العشرة مع نسايك
رضي الله عنهن فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشرب عسلا عند حفصة بنت عمر او زينب بنت
جحش رضي الله عنهما على اختلاف الروايتين في ذلك في الصحيح وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
صلى الغداة دخل على نسايه امراة امراة وكانت قد اهديت لحفصة بنت عمر رضي الله عنهما عكة من
عسل فكان اذا دخل عليها فسلم حبسته وسقته منها وان عايشة رضي الله عنها انكرت احتباسه عندها
فقالت لجويرية عندها حبشية يقال لها خضرة اذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على حفصة فانظري
ماذا يصنع فاخبرتها الخبر فوصفت صواحباتها فنفرنه من شربه باخباره بانه يوجد منه ريح كريه
لان نحله جرست العرفط فقال لن اعود له وروي الطبري وابن مردويه انه صلى الله عليه وسلم
خلا بمارية رضي الله عنها ام ولده ابراهيم عليه السلام في بيت حفصة رضي الله عنها فتوجعت من ذلك
حفصة رضي الله عنها فقال هي علي حرام ولا تذكري ذلك لاحد وابشرك على ذلك بشارة وهي ان ابا بكر يلي
هذا الامر من بعدي وان اباك يليه من بعد ابي بكر رضي الله عنهما لا تخبري بذلك احدا فاخبرت عايشة رضي الله
عنها ويروي ان حفصة رضي الله عنها قالت في يومها من النبي صلى الله عليه وسلم ان لي الى ابي حاجة نفقة
لي عنده فايذن لي ان ازوره واتيه فاذن لها فلما خرجت ارسل الى جاريته مارية القبطية رضي الله
عنها فوقع عليها فاتت حفصة فوجدت الباب مغلقا فجلست عنده فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك قال انما اذنت لي من اجل هذا وقعت عليها في يومي وعلى

فراشي اما رايت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال صلى الله عليه وسلم اليس هي جاريتي
قد احلها الله لي اسكتي فهي حرام علي التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا احدا فلما خرج اخبرت بذلك
عايشة رضي الله عنها فحلفته على ترك مارية رضي الله عنهن ثم علل ذلك سبحانه بقوله تبتغي اي تريد
ارادة عظيمة من مكارم اخلاقك وحسن صحبتك مرضات ازواجك اي الاحوال والمواضع والامور
التي يرضين بها وهن اولى بان يبتغين رضاك وكذا جميع الخلق لتتفرغ لما يوحي اليك من ربك
لكن ذلك للزوجات اكد ولما كان اعلى ما يقع به المنع من الاشيا من جهة العباد الايمان وكان ٭
تعالى قد جعل من رحمته لعباده لايمانهم كفارة قال والله اي تفعل ذلك لرضاهن والحال ان الملك
الاعلى غفور رحيم اي محا ستور لما يشق على خلص عباده مكرم لهم • ثم علل وبين بقوله قد فرض الله
اي قدر ذو الجلال والاكرام الذي لا شريك له ولا امر لاحد معه • وعبر بالفرض حثا على قبول الرخصة
اشارة الى ان ذلك لا يقدح في الورع ولا تحل بحرمة اسم الله لان اهل الهمم العوال لا يحبون النقلة
من عزيمة الى رخصة بل من رخصة الى عزيمة او عزيمة الى مثلها ولما كان التخفيف على امته تعظيما
له صلى الله عليه وسلم قال لكم اي ايتها الامة التي انت راسها وعبر بمصدر دال المزيد مثل تكرمة
اظهارا لمزيد العناية فقال تحلة اي تحللة ايمانكم اي شيا تحللكم مما اوثقتم به انفسكم منها تارة
بالاستثنا وتارة بالكفارة تحليلا عظيما بحيث يعيد الحال الى ما كان عليه قبل اليمين وقد بين ذلك
في سورة المايدة تحلل يمينك واخرج من مضيقك على نفسك واشرح صدرك لتتلقى ما ياتيك من انبا
الله وانت متفرغ له بطيب النفس وقرة العين • وهذا يدل على انه قوله انت علي حرام كاليمين اذا لم
يقصد به طلاقا للزوجة ولا اعتاقا للامة واذا كان الله قد فرض لكافة الامة تيسيرا عليهم فراسهم اولى
بان يجعل له ذلك قال مقاتل فاعتق صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة رقبة وقد قيل ان تحريمه صلى
الله عليه وسلم هنا كان بيمين حلفها وحينيذ لا يكون فيه حجة لمن راى ان انت حرام يمين والله اي
والحال ان المختص باوصاف الكمال مولاكم اي يفعل معكم فعل القريب الصديق وهو اي وحده العليم
اي البالغ العلم بمصالحكم وغيرها الى ما لا نهاية له الحكيم الذي يضع كل ما يصدر عنه لكم في اتقن ٭
محاله بحيث لا ينسخه هو ولا يقدر غيره ان يغيره ولا شيا منه • وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير ٭
لا خفا بشدة اتصال هذه السورة بسورة الطلاق لاتحاد مرماهما وتقارب معناهما وقد ظن انه
صلى الله عليه وسلم طلق نساه حين اعتزل في السربة حتى سأله عمر رضي الله عنهما والقصة معروفة ٭
وتخييره عليه الصلاة والسلام اياهن اثر ذلك وبعد اعتزالهن شهرا كاملا وعتب الله عليهن في قوله
وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وقوله عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن الاية
فهذه السورة وسورة الطلاق اقرب شي واشبه بسورة الانفال وبراة لتقارب المعاني والتحام
المقاصد انتهى • ولما كانت العادة فيمن راى حبيبه قد ضاق صدره ان يسعى اولا في شرح صدره
وطيب نفسه ثم يزيل بسطا بان يقول للحاضرين ان حبيبنا هذا الكريم علينا اتفق له كذا او قد
كرهت هذا وصممت زواله وكان تعالى قد طيب نفسه صلى الله عليه وسلم باول السورة اتبعه
الامر الاخر فكان التقدير اذكروا هذا الذي ذكرته من حسن عشرة نبيكم صلى الله عليه وسلم لنسايه
رضي الله عنهن وكريم صحبته وشريف اخلاقه وجميل افضاله وجليل حلمه واذكروا ما خفف الله به
عنكم في الايمان التي لا مثنوية فيها ولو ذكر فيها اسمه المقدس عطف عليه قوله تشريفا لنبيه صلى الله
عليه وسلم بالمعاتبة عليه وباطنها ربما هو حامل له من ثقل هذا السر على اجمل وجه تخفيفا عنه وترويحا
له واذ اي واذكروا كريم اخلاقه صلى الله عليه وسلم وظاهر شمايله في عشرتهن حين اسر النبي

اي الذي شانه ان يرفعه الله دايما بان يتلقي من قيام علمه ما يخبر به الناس فانه ما ينطق عن الهوي وابهم
الزوجة ولم يعينها سبحانه تشريفا له صلي الله عليه وسلم ولها فقال **الي بعض ازواجه** وهي حفصة
رضي الله عنها كني عنها صيانة لهن لان حرمتهن من حرمته صلي الله عليه وسلم **حديثا** ليس هو من شان
الرسالة ولو كان من شانها لعم به واعلنه ولم يخص به ولا اسره وذلك هو تحريم مارية رضي الله
عنها ووعدها ان يترك العسل وبشارته بولاية ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولم يبين الحديث ويفصله اكراما
له صلي الله عليه وسلم وحفظا لسره لان العادة جارية بان الانسان لا يحب تفصيل سره وان كنا اطلعنا
عليه بعد ذلك لنتاسي به فيما فيه من افشايه في زمن التحديث بالفا في قوله **فلما نبات** اي خبرت **به**
اخبارا عظيما جليلا لشرفه في نفسه ولانه من عند الله وبالغت في ذلك فاخبرت به كله من جميع وجوهه
وجعل ذلك في سياق حكاية لانه استر لحرمة النبي صلي الله عليه وسلم حيث لم يقل ونبات به ولا قال انبات
بالانبا به ونحو هذا مما يفهم انه مقصود بالذات **واظهره الله** اي اطلعه الملك الذي له الاحاطة بكل شي
عليه اي الحديث بانه قد افشي مناصحة له في اعلامه بما يقع في غيبته ليحذر ان كان شرا ويثبت عليه ان
كان خيرا **عرف** اي النبي صلي الله عليه وسلم التي اسر اليها **بعضه** وهو امر الخلافة عتابا لها عليه
لانه كان اوصاها ان لا تظهره والكف عن بعض العتب ابعث علي حيا المعتوب واعون علي توبته وعدم
عوده الي فعل مثله **واعرض عن بعض** وهو امر السرية والعسل تكرما منه ان يستقصي في العتاب
وحيا وحسن عشرة قال الحسن ما استقصي كريم قط وقال سفيان ما زال التغافل من فعل الكبرا وانما
عاتب علي امر الخلافة خوفا من ان ينتشر في الناس ويذيع فربما اثار حسدا من بعض المنافقين واورث
الحسود للصديق والفاروق كيدا او جرا الي مفسدة لا تخلها وخفف الكسائي عرف اي اقر به والمعرفة
بينت التعريف والتعريف عن المعرفة فاطلاق احدهما علي الاخر سايغ وعلاقة ذلك • واشار الي مبادرته
بتعريفها ذلك ليلا ينتشر ما يكرهه بقوله **فلما نباها به** اي بما فعلت من افشا ما عرفها منه علي وجه لم
يغادر من ذلك الذي عرفها به شيا منه ولا من عوارضه لتزداد بصيرة روي انها قالت لعايشة رضي الله
عنها سرا وانا اعلم انها لا تظهره قاله الملوي وهو معني قوله **قالت** اي ظنا منها ان عايشة رضي الله عنها
افشت عليها **من انباك هذا** اي مطلق اخبار واستانف قوله **قال نباني** وحذف المتعلق اختصارا
للفظ وتكثيرا للمعني بالتعميم اشارة الي انه اخبره بجميع ما دار بينها وبين عايشة رضي الله عنهما مما
عرفنا به ومن غيره علي اتم ما كان **العليم** اي المحيط العلم **الخبير** اي المطلع علي الضماير والظواهر
فهو اولي ان يحذر فلا يتكلم سرا ولا جهرا الا بما يرضيه • **ولما** عرف من هذا ان المعاتب المنبية ومن
نباته وكان قد يكون عددا اشار الي انه واحد فالمعاتب ثنتان وكانتا قد اتسعت قلوبهما لما ياتي من
قبل الله من الرغايب بهذا العتاب علي هذا الامر الخفي جدا والكرم عليهما فيه بعدم الاستقصا فمالت قلوبهما
الي المعالي وغاصت عن جليل المعارف فصاغت من جواهر ذلك من المعاني لعنت اليهما الخطاب بلطيف
العتاب لشريف المتاب فقال تشريفا له اخرصلي الله عليه وسلم بالاقبال علي نسايه رضي الله عنهما بالعتاب
لاجله بيانا ما عنه بما ربما ازعجه له باشر حفظا لخاطره الشريف بما قد يغيره **ان تتوبا** اي يا عايشة
ويا حفصة مما صنعتما حفصة بالافشا وعايشة بالاحتيال علي المنع من شرب العسل والتحليف علي مارية
الي الله اي الملك الذي احاط علمه فجلت قدرته ولطف بهما لاجله صلي الله عليه وسلم غاية اللطف بقوله
فقد صغت اي مالت وغاصت بما غاصت **قلوبكما** وفي جمع القلوب جمع كثرة تاييد لما فهمته من ميل القلب
بكثرة المعارف بما افادهما اظهار هذا السر والعتاب عليه من الحيا فصارتا جديرتين بالمبادرة الي التوبة
متاهلتين لذلك غاية التاهل • **ولما** اورد ما صارتا حقيقتين به باداة الشك اقامة للسامع بين الخوف

والرجا

والرجا من ذلك وهو اعلم يكون اكمل ذلك يذكر شق الخوف فقال معلما ان الملك واولياه انصار له **وان تظاهرا**
بالتشديد للادغام في قراة الجماعة لان التظاهر هنا ان وقع كان علي وجه الخفا في اعمال الحيلة في امر مارية
رضي الله عنها والعسل وما ياتي من مثل ذلك مما تبعث عليه الغيرة **عليه** اي النبي صلي الله عليه وسلم المنبا
من قبل الله بما يرفع قدره ويعلي ذكره • **وقراة** الكوفيين التخفيف باسقاط احد التايين اشارة الي
سهولة امرهن المظاهرة وقلة اذاها له صلي الله عليه وسلم **ولما** كان المعني فانه لا يبالي بمظاهرهما
عبر عنه بعلته فقال موكدا اعلاما بان حال المتظاهرين عليه حال المنكر لمضمون الكلام **فان الله** اي
الملك الاعظم الذي لا كفو له **هو** اي بنفسه الاقدس وحضرة غيب غيبه التي لا يقوم لها من العظمة
شي **مولاه** اي ناصره والمتولي من امره ما يتولاه القريب الصديق القادر وكل من له وعي يعلم كفاية
سبحانه في ذلك فهو يفعل ابلغ ما يفعله مولي مع من هو متول لامره وفي معاونته لنبيه صلي الله عليه وسلم
اظهار لشرفه ومراعاة لحفظ خاطره وشرح لصدره • **ولما** كانت تبني هذه الدار علي حكمة الاسباب
موكلة بها ناظم امر نظرابها وكان نسا النبي صلي الله عليه وسلم لكثرة ما يتلي في بيوتهن من ايات الله والحكمة
علي لسان جبريل عليه السلام وكثرة تردده الي النبي صلي الله عليه وسلم في بيوتهن ويعلمهن قد صار عندهن
من الاسباب الظاهرة المالوفة وكان هو اعظم انصار النبي صلي الله عليه وسلم قال **وجبريل** لانه من
اعظم الاسباب التي يقيمها الله سبحانه • **ولما** كان الحامل علي مظاهرته صلي الله عليه وسلم علي كل ما يريد
الايمان فكلما كان الانسان فيه امكن كان له اشد مظاهرة واعون قال **وصالح المومنين** اي الراسخين
في رتبة الايمان والصلاح من الانس والجن وابوانما رضي الله عنهما اعظم مراد بهذا وقد روي ان عمر
رضي الله عنه قال للنبي صلي الله عليه وسلم لو امرتني لاضربن عنقها والصالح وان كان لفظه مفردا فمعناه
الجمع المستغرق لانه للجنس ودل علي ذلك مع دلالة السياق اضافته للجمع ولعله عبر بالافراد مع ان هذا
المراد للاشارة الي قلة المتصف بهذا جدا لعله الراسخين في الايمان وقلة الراسخين في الصلاح من الرا سخين
في الايمان فهو قليل من قليل وجوز بعضهم ان يكون جمعا وانه حذفت واوه في الرسم علي خلاف القياس وهي
محذوفة في الوصل لالتقا الساكنين فظن لذلك مفردا ودخل في ذلك جبريل عليه السلام ايضا **ولما**
كان الله سبحانه قد اعطي الملايكة من القوي والتصرف في الظواهر والبواطن ما يجل علي الوصف قال
تعظيما للمقام **والملايكة** اي كلهم ومنهم جبريل عليه السلام فهو مذكور خصوصا وعموما ثلث مرات اظهارا
لشدة محبته وموالاته النبي صلي الله عليه وسلم **ولما** كان المراد التعميم في الزمان والمكان بعد
التعميم في الصالحين من الملايكة والانس والجن قال من غير جار معظما لنصرة الملايكة لما لهم من العظمة
في القلوب لما تقرر لمن باشر منهم العذاب تارة بالرجفة واخري بالصعقة وتارة بالخسف واخري بغير
ذلك فكيف اذا تصور الادمي المقيد بالمحسوسات اجتماعهم علي ما لهم من الاشكال المهولة **بعد ذلك**
اي الامر العظيم الذي تقدم ذكره وهو مظاهرة الله ومن ذكره معه **ظهير** اخبر عن الجمع باسم الجنس
اشارة الي انهم علي كلمة واحدة في المظاهرة فحوف بهذا كله لاجل المتاب لطفا به صلي الله عليه وسلم
واظهار العظمته وفي قصة صاحب ياسين قال وما انزلنا علي قومه الاية تحقيرا لقومه واهانة لهم ويجوز
ان يكون ظهير خبر جبريل عليه السلام وخبر ما بعده محذوف لدلالة عليه اي كذلك • **ولما** حذر بما تقدم زاد في
التحذير ما يقطع القلوب لان اشد ما علي المراة ان تطلق ثم اذا طلقت ان يستبدل بها ثم ان يكون البدل خيرا
منها فقال مبينا لادني انواع المظاهرة سايقا الامر مساق الرجا اشارة الي انه يكفي العاقل في الخوف تجويز
احتمال الضرر فكيف اذا كان الامر حتما لان من المعلوم ان عسي من الله علي طريق الكبر لا سيما الملوك في اكتفايهم
بالاشارات والرموز فمن هنا كانت واجبة لانه ملك الملوك وهو ذو الكبريا في الحقيقة لا غيره **عسي ربه** اي المحسن

٤٠

اليه بجميع انواع الاحسان التي عرفتموها وما لم تعرفوه منها اكثر جدير وحقيق وقسط بينهما وبين خيرها
اهتماما وتخويفا قوله ان طلقكن اي بنفسه من غير اعتراض عليه جمع او بعضكن بايجاد الطلاق لمن لم يطلقها
وادامته لمن طلقها ان يبدله منكن بمجرد طلاقه لكن من غير ان تحوجه الي تعيش تبديلا مما لا خافيه بما اشارت اليه
اليه قراءة نافع وابي جعفر وابي عمرو وبالتشديد هي ابلغ من قراءة الباقين بالتخفيف الدال علي مطلق الابدال الصالح
للمبالغ وغيره ومن التشريف ايضا اضافة الطلاق اليه والابدال الي الله مع التعبير بصفة الاحسان وتخصيص
الاضافة بضميره ولما كان الاوجع لقلب الحرة حرة مثلها لا سرية قال ازواجا ولما كان علوها
عليها في الرتبة هو النهاية في التاسيف قال خيرا ودل علي انها للتفضيل بقوله منكن وهذا علي سبيل الفرض
وعام في الدنيا والآخرة فلا يقتضي وجود من هو خير منهن مطلقا وان قيل بوجوده في خديجة رضي الله
عنها لما جرت من تحاملها علي نفسها في حقه صلي الله عليه وسلم وبلوغها في حبه والادب معه ظاهرا وباطنا النهاية
القصوى ومريم عليها السلام احسنت حتى كانت من القانتين فذلك في الآخرة والكلام خارج مخرج الشرط
بالطلاق وقد علم سبحانه انه لا يقع لكنه سبحانه علم انه لو وقع ابدله صلي الله عليه وسلم من هو بالصفات المذكورة
المقتضية للاخلاص في طاعته كما اشار اليه فانيات ولا شك ان الا لازم طاعته وقيد الاتصال به في الدارين
كان خيرا من غيره وتطليق الكل لا يدل علي انه لم يطلق حفصة رضي الله عنها فقد روي انه طلقها ولم يردها — تعليقهم
ذلك الا انفصالا لان الله تعالي امره ان يراجعها لانها صوامة قوامة والله الموفق ولما وعد بما ذكر وكان
اول منظور اليه الظاهر فصل ذلك الوعد وفسر الخير به بادئا بقوله مسلمات اي ملقيات لجميع قيادهن ظاهرا
وباطنا لله ولرسوله صلي الله عليه وسلم علي وجه الخضوع ولما كان المشاهد من الاسلام انما هو الظاهر
قال مؤمنات اي راسخات في القوة العلمية بتصديق الباطن ولما كان ذلك قد يكون فيه نوع شوب قال
قانتات اي مخلصات في ذلك لا شائبة في شيء منه فهي في غاية ما يكون من ادامة الطاعة مع الذل والانكسار
والمبادرة الي امتثال امره صلي الله عليه وسلم في المنشط والمكره ولما كان الانسان مجبولا علي النقصان
وكان الاخلاص يدل صاحبه علي تقصيره فكان ربما فتره ذلك قال تسهيلا لخدمته وتقريبا لدوام طاعته معلما
الادب لمحتاجه تائبات اي راجعات من الهفوات او الزلات سريعا ان وقع منهن شيء من ذلك ولما كان
هذا مصححا للعبادة مسهلا لدوامها قال عابدات اي مديمات للعبادة بسبب ادامة تجديد التوبة ولما
كان دوام العبادة مسهلا للخروج عن الدنيا قال سائحات اي متصفات بصفات الملائكة من التخلي من الدنيا
والاستغراق في الآخرة بما ادناه الصيام ماضيات في ذلك غاية المضا ليتم الانقياد لله ورسوله صلي الله
عليه وسلم لان من كان هكذا لم يكن له مراد فكان تابعا لارادته في امره دائما ويصير لطيف الذات حلو الشمائل
قال الملوي والمراة اذا كانت كثيرة الصيام قليلة الاكل يقل عرقها ويصغر كرشها وتلطف رائحتها وتخف حركتها
لما يراد منها انتهي وسوق هذه الاوصاف هذا السياق في عتاب من هو متصف بها معرف ان المراد منها
التمام لا سيما وهي لا يوجد وصف منها علي سبيل الرسوخ الا كان مستلزما لسائرها فلذلك لم تحتج في تعدادها
الي العطف بالواو والتجريد عنه اقعد في الدلالة علي ارادة اجتماعها كلها ولما اكمل الصفات الدينية
النافعة في امر العشرة ولم يبق الا الصفات الكونية وكان التنويع الي عارفه بالعشرة وباقيه علي
اصل الفطرة الذ واشهي الي النفس قال مقسما للنسا المتصفات بالصفات الستة عاطفا ثاني الوصفين بالواو
للتضاد ثيبات قدمهن لانهن اخبر بالعشرة التي هذا سياقها وابكارا ولما ابلغ سبحانه في عتاب
النبي صلي الله عليه وسلم مع حياتهن عن التسمية اكراما له صلي الله عليه وسلم وعلم اتصافهن بهذه الصفات
العظيمة علي سبيل الرسوخ من دوام صحبة النبي صلي الله عليه وسلم لهن ليكن من ازواجه في الجنة وكان اتصافهن
بذلك الذي اداهن الي السعادة العظمي انما هو بحسن تاديب اوليائهن لهن وكان ذلك الادب بحسن

عشرته

عشرته صلي الله عليه وسلم وتاديبهن بكريم اخلاقهن اثمر ذلك الادب حسن عشرته صلي الله عليه وسلم وتاديبه بكريم اخلاقه اثمر ذلك امر الامة بالتاسي به في هذه الاخلاق الكاملة والتاسي باوليائهن في ذلك ليعرفن
حق الله وحق الازواج فيحصل بذلك صلاح ذات البين المثمرة للخير كله فقال تعالي متبعا لهذه الموعظة
الحاصلة بموعظة عامة دالة علي وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر للاقرب فالاقرب يايها مخاطبا
لادني الاسنان اشارة الي من فوقهم تاسي من حين دخوله في الاسلام فهو غني عن امر جديد الذين امنوا
اي اقروا بذلك قوا انفسكم اي اجعلوا لها وقاية بالتاسي به صلي الله عليه وسلم في ادبه مع الخلق والخالق
في لينه لمن يستحق اللين من الخلق تعظيما للخالق فعاملوه قبل كل شيء بما يعاملكم به من الادب وكذا كونوا مع
بقية الخلق ولما كان الانسان راعيا لاهل بيته ومسئولا عن رعيته قال واهليكم النسا والاولاد
وكل من يدخل في هذا الاسم قوهم نارا بالنصح والتاديب ليكونوا متخلقين باخلاق اهل النبي صلي الله
عليه وسلم كما روي احمد والطبراني عن سعيد بن العاص رضي الله عنه رفعه ما نحل والد ولدا
افضل من ادب حسن ولما كانت الاشيا لا تعظم في نفسها وعند المخبر بها الا باخباره بما تشتمل عليه
من الاوصاف قال وقودها اي الذي توقد به الناس والحجارة اي الين الاشيا واصلبها فما بين ذلك
هو لها وقود بطريق الاولي ولما كان وصفها بغاية الادب في الايثار اتبعه وصف القوام فقال
معبرا باداة الاستعلا الدالة علي تمكينهم من التصرف فيها عليها ملائكة اي يكون امرها علي سبيل الاستعلا
فلا تعصيهم لتاديب الله لها غلاظ اي في الابدان والقلوب فظاظ علي اهلها لاستحقاقهم لذلك بعصيانهم
الملك الاعلي ولما كان الغلظ قد يكون مع الرخاوة قال شداد اي في كل شيء بحاولونه بالقول
والفعل حتى روي ان الواحد منهم يلقي بالدفعة الواحدة في النار من الكفار سبعين الفا ولما كان
المعني انهم يوقعون غلظتهم وشدتهم باهل المعاصي علي مقادير استحقاقهم بين ذلك بما يخلع القلوب لكونه
بامر الله فقال لا يعصون الله اي الملك الاعلي في وقت من الاوقات ما امرهم اي اوقع الامر لهم
في زمن ما ولما كان المطيع منا قد يخل ببعض المامور به في ذاته بنقص ركن او شرط او وقت لنسيان
او نوم ونحوه او بترك مندوب ونحوه او ما في معناه بوسوسة او حديث نفس ونحوه يقصر عن ايقاعه
علي اعلي الدرجات كما قال صلي الله عليه وسلم فيما اخرجه ابن ماجة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والطبراني
عن ثوبان رضي الله عنه استقيموا ولن تحصوا قال نافيا لذلك عنهم ويفعلون اي مجددين مع كل امر
علي سبيل الاستمرار ما يؤمرون اي ما يقع لهم الامر به في اي وقت كان من غير نقص ما وبني الفعل لما لم يسم
فاعله كناية عن سهولة انقيادهم واشارة الي ان الذي امرهم انه الله ولما كان النبي صلي الله
عليه وسلم اعظم من اريد بامر الامة بالتادب معه فكان تعمد الاخلال بالادب معه كفرا اعلم ان هذا لنا
لا وليك فعلم ان التقدير يقولون يايها الذين كفروا اي بالاخلال بالادب مع النبي صلي الله عليه وسلم
فاداهم ذلك الي الاخلال بالادب مع الله وبالادب مع سائر خلقه لا تعتذروا اي تبالغوا في اظهار العذر
وهو ايساع الحيلة في وجه يزيل ما ظهر من التقصير اليوم فانه يوم الجزا لا يوم الاعتذار وقد فات — في الاعتذار
زمان الاعتذار وصار الامر الي ما صار واذا نهي عن المبالغة لعدم نفعها كان لان معناه ان الاعتذار
لا ينفعكم وان بالغتم وكذلك استانف قوله علي طريق الحصر انما تجزون اي في هذا اليوم ما كنتم اي بما هو لكم
كالجبلة والطبع تعملون اي علي سبيل الاصرار ولا بعد علي الله في ان يصور لكل انسان صورة عمله بحيث لا
يشك انها عمله ثم يجعل تلك الصورة عذابه الذي يجد فيه من الالم ما علم سبحانه انه بمقدار استحقاقه
ولما افهم ان الامر بالوقاية والمدح للملايكة ان المامورين بالوقاية مقصرين قال مرشدا الي دوا
التقصير يايها الذين امنوا اذا دا هم بما هو اليق بهم من اداة البعد توبوا اي ارجعوا رجوعا تاما

الي الله اي الملك الذي لا كفو له ولما كان كل فعول بمعني فاعل يستوي فيه المذكر والمونث قال
توبة نصوحا اي بالغة في كونها ناصحة علي الاسناد المجازي اي منصوحا بالاخلاص في الازمان الثلاثة
الماضي بالندم والحال بالاقلاع والمستقبل بالعزم علي عدم العود الي الذنب فلا يقع فيه رجوع كما لا
يعود الحليب الي الضرع فلا يوذي احد رسوله صلي الله عليه وسلم فان اذي رسوله من اذاه قال
القرطبي النصوح يجمعها اربعة اشيا الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان
ومهاجرة سيي الاخوان وقال رويم الراعي هي ان يكون لله وجها بلا قفا كما كنت له عند المعصية
قفا بلا وجه ولما امر بالتوبة بما يفيد الاطماع من الاقامة بين الرجا والخوف اعلاما بان هذا المقام
هو المنجي لانه اعتقاد الكمال له سبحانه وهو ان له ان يفعل ما يشا في المطيع وغيره بقوله عسي ربكم اي
افعلوا ذلك ليكون المحسن اليكم بهذا البيان جديرا وحقيقا ان يكفر اي يغطي تغطية عظيمة عنكم اي
بالتوبة واذا كان التايب علي خطر فما ظنك بالمصر سياتكم اي ما بدا منكم مما يسوء ولما ذكر نفع التوبة
في دفع المضار ذكر نفعها في جلب المسار فقال ويدخلكم اي يوم الفصل جنات اي بساتين كثيرة
الاشجار تستر داخلها لانها تجري ولما كان ذلك الجري في بعض ارضها قال معبرا باداة التبعيض
من تحتها اي تحت غرفها واشجارها الانهار فهي لا تزال دريه ولما ذكر الغفران والاكرام ذكر وقته
فقال لاهله معرضا لغيرهم مسمعا الاهل وده بكونه وقتهم ولم يتخذهم كاعدايه يوم لا يخزي الله اي
الملك الاعظم النبي اي الرجل الذي ينبيه الله بما يوجب له الرفعة التامة من الاخبار التي هي في غاية
العظمة والذين اي ولا يخزي الذين امنوا معه وهم الصحابة رضي الله عنهم ان كان المراد المعية
في مطلق الزمان وسابقوهم ان كان المراد في الوصف او زمان مخصوص كبدر وبيعة الرضوان
لان النبي صلي الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة كما رواه مسلم عن ام مبشر
رضي الله عنها وابو داود والترمذي عن جابر رضي الله عنه ولعل الله اطلع علي اهل بدر فقال اعملوا
ما شيتم فقد غفرت لكم وقال تعالي لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الي قوله وكلا وعد الله
الحسني ونساؤه رضي الله عنهن احق بان يكن اول راغب في الكون معه في الايمان ليبعدن عن النار
واذا استحضرت قصص الانبيا من سورة هود عليه السلام اتضح لك حسن هذا الوجه ويجوز ان يكون
الذين مبتدا خبره نورهم او يكون الخبر معه اشارة الي ان جميع الانبيا وصالحي اممهم من امته وتحت لوايه
وذلك في غاية ما يكون من الشرف والرفعة له صلي الله عليه وسلم عن الايمان المطلق فلا مانع من ان
يدخل غيرهم من المؤمنين النار ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين فلا متمسك للمعتزلة بها في ان مرتكب
الكباير مخلد في النار فهو مخزي فهو غير موصوف بالايمان لان من اتصف بالايمان لا يخزي بدليل هذه
الاية قال ابو حيان وفي الحديث انه صلي الله عليه وسلم تضرع في امر امته فاوحي الله اليه ان شيت
جعلت حسابهم اليك فقال يا رب انت ارحم بهم مني فقال تعالي اذن لا اخزيك فيهم ولما نفي عنهم
الخزي فسره بقوله مقدما للنور لان السياق لتعظيم النبي صلي الله عليه وسلم بخلاف ما مضي
في الحديد نورهم يسعي اي سعيا مستمر التجدد وعلي التعبير الاخر يكون هذه الجملة حالية ويجوز ان يكون
خبرا للذين اذا جعلناه مبتدا بين ايديهم وحذف الجار اشارة الي انه ملي تلك الجهة وكذا وبايمانهم
واما ما يلي شمايلهم فانهم لا يلتفتون اليه لانهم اما من السابقين واما من اهل اليمين فهم يمشون في هاتين
الجهتين ويوتون صحايف اعمالهم منها واما اهل الشمال فيعطونها من ورا ظهورهم ومن شمايلهم وهم بما لهم
من النوران قالوا سمع لهم وان شفعوا شفعوا ولما كانت ادامة البعيد للملك اشرف صفات العبد
قال يقولون اي مجددين لذلك دايما لعلمهم ان الله تعالي له ان يفعل ما يشا لا حق لاحد عليه ولا سيما

اذا

اذا راوا انطفا نور المنافقين قال سهل لا يسقط الافتقار الي الله عن المؤمنين في الدنيا ولا في الاخرة
بل هم في الاخرة اشد افتقارا اليه وان كانوا في دار العز لشوقهم الي لقايه ربنا اي ايها المتفضل
علينا بهذا النور وبكل خير كنا او نكون فيه اتمم فاظهروا الان المقاولة ولما كان الانسان ربما رزق
شيا فانتفع به غيره دونه قالوا لنا نورنا اي الذي مننت به علينا حتي نكون في غاية التمام فنوصلنا
من دار الماتم الي دار السلام ولا تجعلنا كالمنافقين الذين اطفات نورهم فكانت عاقبتهم الي الظلام
ولما كان كل من حسن ادبه لا بد ان يعتقد في نفسه النقص قالوا واغفر لنا اي امح عنا كل نقص كان
يميل بنا الي احوال المنافقين عينه واثره وهذا النور من صورة اعمالهم في الدنيا لان الاخرة يظهر
فيها حقايق الاشيا ويتبع الصور معانيها وهو شرع الله الذي شرعه فهو الصراط الذي يضرب به
بين ظهراني جهنم لان الفضايل في الدنيا متوسطة بين الرذايل فكل فضيلة يكتنفها رذيلتان افراط وتفريط
فالفضيلة هي الصراط المستقيم والرذيلتان ما كان في جهنم عن يمينه وشماله فمن كان يمشي في الدنيا
علي ما امر به سوا من غير افراط ولا تفريط كان نوره تاما ومن امالته الشهوات طفي نوره في بعض الاوقات
واختطفته كلاليب هي صور الشهوات فتميل به في النار بقدر ميله اليها والمنافق يظهر له نور اقراره
بكلمة التوحيد فاذا مشي طفي لان اقراره لا حقيقة له ولما كان ما ذكر لا يقدر عليه الا الله علله
بقوله مؤكدا لانكار الكفار البعث وما تفرع عليه انك اي وحدك علي كل شي اي يمكن دخول المشية فيه
قدير اي بالغ القدرة ولما ذكر ما تقدم من لينه صلي الله عليه وسلم لاضعف الناس النسا وحسن
ادبه وكريم عشرته لانه مجبول علي الشفقة علي عباد الله والرحمة لهم وختم بما للمؤمنين من الشرف والله
من تمام القدرة انتج ذلك القطع باذلال اعدايهم واخزايهم فقال مداويا لهم من خطر ذلك اليوم بيد انضج
الخلق ليكون صلي الله عليه وسلم جامعا في طاعته سبحانه بين المتضادات من اللين والشدة والرضي
والغضب والحلم والانتقام وغيرها فيكون ذلك ادل علي التعبد لله بما امر به سبحانه والتخلق باوامره
وكل ما يرضيه يا ايها النبي مناديا باداة التوسط اسماعا للاية الوسطي تنبيها علي انهم المنادون في الحقيقة
ولاجل دلالتها علي التوسط والله اعلم كان لا يتعقبها الا ما له شان عظيم معبرا بالوصف الدال علي الرفع بالاعلام
بالاخبار الالهية المبنية علي الاحكام والعظمة المثمرة للغلبة واما وصف الرسالة فيغلب فيه الرحمة فيكثر اقباله علي
اللين والمسايسة نظرا الي وصف الربوبية جاهد الكفار اي المجاهدين بكل ما يجهدهم فيكفهم من السيف وما دونه
ليعرف ان الاسود انما اكتسبت من صولتك فيعرف ان ذلك اللين لاهل الله انما هو من تمام عقلك وغزير
علمك وفضلك وخوفك من الله ونبلك والمنافقين اي المساترين بما يليق بهم من الحجة علي المساترة والسيف
ان احتيج اليه ان ابدوا نوع مظاهرة واغلظ اي كن غليظا بالفعل والقول بالتوبيخ والزجر والابعاد والهجر
عليهم فان الغلظة عليهم من اللين لله كما ان اللين لاهل الله من خشية الله وقد امره سبحانه باللين لهم في اول
الامر لازالة اعذارهم وبيان اصرارهم فلما بلغ الرفق اقصي مداه جاوزه الي الغلظة وتعداه وقد بان بهذه الاية
ان افعل التفضيل في قول النسوة لعمر رضي الله عنه افظ واغلظ من رسول الله صلي الله عليه وسلم علي بابه ولا
محذور ولما كان انتقام الولي من العدو انما هو لا حظ له فيه فكان موجبا لعدم اكتفا الله به في حق الولي
فكان التقدير فانهم ليس لهم عصمة ولا حرمة في الدنيا ولا قوة وان لاح في امرهم خلاف ذلك عطف عليه قوله
وماواهم اي في الاخرة جهنم اي الدركة النارية التي تلقي داخلها بالعبوسة والكراهة ولما كان التقدير
اليها مصيرهم لا محالة عطف عليه قوله وبيس المصير اي هي فذلك جزا الله عن الاساءة الي اولياه والانتقاص
لاحبايه ولما كان امر الاستيصال في الانجا والاهلاك اشبه شي بحال اهل الاخرة في الديمومة بالعدل والفضل
وكان المفتتح به السورة عتابا للنسا ثم اتبع بالامر بالتاديب لجميع الامة الي ان ختم بهلاك المخالف في الدارين

وكان للكفار قرابات بالمسلمين ربما انها تنفعهم وللمسلمين قرابات بالكفار ربما توهم انها تضرهم قال مجيبا لما يتخيل
من ذلك تاديبا لمن نكد عليه من النسا وغيرهن ضرب الله اي الملك الذي احاط بكل شي علما وقدرة مثلا يعلم
به من فيه قابلية العلم ويتعظ به من له اهلية الاتعاظ للذين كفروا اي غطوا الحق على انفسهم وعلى غيرهم سوا
كانوا مشاققين او منافقين في عدم انتفاعهم مع كفرهم بما بينهم وبين المؤمنين من الوصل والعلايق فتغلظ
عليهم في الدار معامله بما يستحقونه من غير محاباة لاحد وان علا مقامه وعلا منصبه ومرامه لان الكفر قاطع
للعلايق بين الكافر والمسلم امرات نوح الذي اهلك الله من كذبه بالغرق واسمها فيما يقال واعله وامرات لوط
الذي اهلك الله من كذبه بالحصب والخسف والاغراق واسمها فيما قيل واهله ودل على وجه المشبه بقوله كانتا
اي مع كونهما كافرتين ولم يغن تحتهما بل اظهر بوصف العبودية المضافة اليه سبحانه والوصف بالصلاح
لان ذلك افخم فيكون اشد تاثيرا للموعوظ واعظم ردعا لان يتوهم شي لا يليق بمقامهما عليهما الصلاة والسلام
فقال تحت عبدين اي كل واحدة منهما تحت واحد وعبر بذلك لان اثر الناس عند الملك عبيده كما تقدم ودل على كثرة
عبيده تنبيها على غناه بقوله من عبادنا ولما كانت طبقات القرب متفاوتة بحسب الصلاح قال
صالحين وهما نوح ولوط عليهما السلام فخانتاهما بعدم المتابعة في الدين نفاقا منهما لا بالخيانة في الفرا
فقد صان الله جميع الانبيا من ذلك فلم تقل واحدة منهما لاجل كفرهما رب اجعلني مع نبيك في الجنة واذن بقبول
الشفاعة فيمن اسا الي الحبيب وبعذابهما حتما للتشفي بقوله فلم اي فتسبب عن ذلك ان العبدين الصالحين لم
يغنيا عنهما اي المراتين بحق الزواج من الله اي من عذاب الملك الذي له الامر كله فلا امر لغيره شيا اي من
اغنا لاجل خيانتهما بالمخالفة في الدين ودل على كمال قدرته تعالى بالتعبير بالمجهول فقال وقيل اي للمراتين
ممن اذن له في القول النافذ الذي لا مرد له ادخلا النار اي معدنا من الاصرار على الكفر ثمرة الاهلاك
بعذاب الاستيصال في الدنيا وحقيقتها في الاخرة لان الله ابغضهما لانهما عدوة لاوليايه وذلك كما قيل عدو صديقي
ليس لي بصديق ولما فعلتا فعل الرجال في استقلالهما وعدم عدهما لانفسهما تبعا غلظ عذابهما بالكون
مع الرجال في عذابهم فقال دالا على نفوذ الحكم فيمن هو اقوى منهما بعد نفوذه فيهما مع الداخلين اي الذين
هم اغلظ منهما ممن لهم وصلة باهل الله وممن لا وصلة لهم بهم فليتادب كل احد مع النبي صلى الله عليه وسلم
غاية الادب خوفا من مثل ذلك وهذا خالع لقلوب من ابتدا بتاديبهن رضي الله عنهن ولما اتم
مثل النذارة بان طاعة المطيع لا تنفع العاصي وان كان اقرب الناس الي المطيع الا ان كان له اساس يصح
البنا عليه ويجوز الاعتداد به والنظر اليه اتبعه مثل البشارة بان عصيان العاصي لا يضر المطيع فقال
وضرب الله اي الملك الاعلى الذي له صفات الكمال مثلا للذين امنوا ولو كانوا في ادنى درجات الايمان
مبينا لان وصلة الكفار اذا كانت على وجه الاكراه والاجبار لا تضر امرات فرعون واسمها آسية بنت مزاحم
امنت وعملت صالحا فلم تضرها الوصلة بالكافر بالزوجية التي هي من اعظم الوصل ولا نفعه ايمانها كل امري
بما كسب رهين واثابها سبحانه ان جعلها في الاخرة زوجة خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم في دار كرامته
بصبرها على عبادة الله وهي في حبالة عدوه واسقط وصفه بالعبودية دليلا على تحقيره وعدم رحمته
لانه اعدى اعدايه واشارة الي وجه الشبه في المثل وهو التحيز الي حزب الله بقدر الوسع فقال اذ
اي مثلهم مثلها حين قالت تصديقا بالبعث منادية ندا الخواص باسقاط الاداة لاجل انها مؤمنة وان
كانت تحت كافر بنا فلم تضرها صحبته شيا لاجل ايمانها رب اي ايها المحسن الي بالهداية وانا في حبالة هذا
الكافر الجبار ولم تغرني بعز الدنيا وسعتها ابن لي ولما كان الجار مطلوبا كما قالوا قبل الدار طلبت خير
جار اهتماما به لنصه على المجاورة ولدلالته على الزلفى فقالت عندك بيتا وعينت مرادها بالعندية فقالت
في الجنة اي دار المقربين فيظهر من اول كلامها واخره ان مطلوبها اخص داره وقد اجابها سبحانه بان جعلها

زوجة خاتم رسله الذي هو خير خلقه واقربهم منه فكانت معه في منزله الذي هو اعلى المنازل ولما
سالت ما حيزها الي جناب الله سالت ما يباعدها في الدارين من اعدايه فقالت ونجني اي تنجية عظيمة
من فرعون اي فلا اكون عنده ولا تسلطه علي بما يضرني عندك في الاخرة وعمله اي ان اعمل بشي منه
ونجني اعادت العامل تاكيدا من القوم الظالمين اي الناس الاقويا العريقين في ان يضعوا اعمالهم في
غير مواضعها التي امروا بوضعها فيها فعل من يمشي في الظلام عامة وهم القبط لا تخالطني باحد منهم فاستجاب
الله دعاها واحسن اليها لاجل محبتها للمحبوب وهو موسى عليه السلام كما يقال صديق صديقي داخل
في صداقتي وذلك ان موسى عليه السلام لما غلب السحرة امنت به فعذبها فرعون فماتت بعذابه واراها الله
بيتها في الجنة ولم يضرها كونها تحت فرعون شيا لانها كانت معذورة في ذلك فالاية من الاحتباك حذف
اولا فلم تسال الجنة لدلالة رب ابن لي ثانيا عليه وحذف ثانيا كانت تحت كافر لدلالة الاول عليه ولما
اتم المثل بمن اساتا الادب فلم تنفعهما الوصلة بالاوليا بل زادتهما للاعراض عن الخير مع قربه وتيسره
وبمن احسنت الادب فلم تضرها الوصلة باعدى الاعدا بل زادتها خيرا لاحسانها مع قيامها المفتر لها عن
الاحسان ضرب مثلا بعزتها في قوله صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان عن ابي موسى رضي الله عنه
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا الا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وفضل عايشة على النساء
كفضل الثريد على ساير الطعام ومع معادلتها له في الكمال فبين حاليهما في الثيوبة والبكورة فلم يبتلها
سبحانه بخلطة زوج جمعا بين ما تقدم من صنفي الثيبات والابكار اللاتي يعطيهما لنبيه صلى الله عليه وسلم
فاحسنت الادب في نفسها مع الله ومع ساير من لزمها الادب معه من عباده فاحسن اليها رعاية لاسلافها
اذ كانوا من اعظم الاحباب فقال ومريم اي وضرب مثلا لاهل الانفراد والعزلة من الذين امنوا مريم
ابنة عمران احد الاحباب وذكر وجه الشبه فقال التي احصنت فرجها اي عفت عن السوء وجميع
مقدماته عفة كانت كالحصن العظيم المانع من العدو فاستمرت على بكريتها الى الممات فتزوجها في الجنة
جزا لها بخير عبادنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا وامام المرسلين ولما اغتنت بانسها بروح الله
الذي بث في قلبها من محبة الذكر والعبادة عن الانس بازواج الناس كان ذلك سببا لان وهبنا
روحا منه جسدك في اكمل الصور المقدرة في ذلك الحين فقال مخبرا عن ذلك فنفخنا اي بعظمتنا بواسطة ملكنا
روح القدس ولما كانت هذه السورة لتشريف النبي صلى الله عليه وسلم وتكميل نسايه في الدنيا وفي الاخرة
نص على المقصود بتذكير الضمير ولم يؤنثه قطعا للسان من يقول تعنتا ان المراد نفخ روحه في جسدها فقال
فيه اي فرجها الحقيقي او هو جيبها وكل جيب يسمى فرجا ويدل على الاول قراة فيها شاذة من روحنا اي روح
هو اهل لشرفه بما عظمنا من خلقه ولطف تكوينه ان البنا لكونه خارجا عن التسبيب المعتاد وهو جبريل
عليه السلام او روح الحياة ولما كان التقدير فكان ما اردنا فحملت من غير ذكر وولدت عيسى
عليه السلام الذي كان من كلمتنا وهي احملي ثم كلمتنا تكن يا حمل من غير ذكر ثم كلمتنا لديه يا مريم من غير
ذكر مساعد ثم كلمتنا تكلم يا عيسى في المهد بالحكمة عطف عليه قوله وصدقت فاستحقت لذلك ان تسمى
صديقة بكلمات ربها اي المحسن اليها بما تقدم وغيره مما كان من كلام جبريل بسببه ومن عيسى عليه السلام
ومما يكلم به عن الله وكتابه اي الضابط الجامع لكلامه الذي انزل على ولدها وغيره من كتب الله كما دل على
ذلك قراة البصريين وحفص بالجمع ولما كان المصدق ربما كان تصديقه في الظاهر او مشوبا بشي في
الضماير قال وكانت اي جبلة وطبعا وشرفها بان جعلها في رتبة الاكمل وهم الرجال فقال من القانتين
اي المخلصين الذين هم في غاية القوة والكمال لانها كانت من بنات الاحباب المصطفين على العالمين فلم
تكن عبادتها تقصر عن عبادة الكملة وقد اتم سبحانه الامثال في الاداب بالثيبات والابكار الاخيار

والاسرار فانتظم آخر السورة علي اولها في المعاني والآداب وزاد ذلك حسنا كونها في النسا وفي
الذوات والاعيان بزواج النبي صلي الله عليه وسلم لاسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران في الجنة
دار القرار السالمة من الاكدار الزواج الابدي اولا السورة وآخرها في ازواجه صلي الله عليه وسلم
وفي ختامها بالقنوت الذي هو خلاصة الاوصاف الماضية في الابدال المذكورات اعظم مناسبة والله الهادي

وتسمي تبارك • والمانعة • والواقية • والمنجية • قال الولي الملوي هذه السورة كان رسول الله
صلي الله عليه وسلم يحبها لكثرة علومها وقال وددت لو كانت في صدر كل مسلم **مقصودها** الخضوع
لله لاتصافه بكمال الملك الدال عليه تمام القدرة الدال عليه قطعا احكام المكونات الدال عليه تمام
العلم الدال عليه مع احكام المصنوعات علم ما في الصدور لينتج ذلك العلم بحتم البعث لدينونة العباد علي
ما هم عليه من الصلاح والفساد كما هي عادة الملوك في دينونة رعاياهم لتكمل الحكمة وتتم النعمة وتظهر
صورة الملك واسمها الملك واضح في ذلك لان الملك محل الخضوع من كل من يري الملك وكذا تبارك لان من
كان كذلك كان له تمام الثبات والبقا فكان له من كل شي كمال الخضوع والانقا وكذا اسمها المانعة
والواقية والمنجية لان الخضوع حامل علي لزوم طريق السعادة ومن لزمها نجا مما يخاف ومنع من كل هول
وفي كل محذور **بسم الله** الذي خضعت لكمال عظمته الملوك **الرحمن** الذي عم بنعمة الايجاد وبيان
محل السلوك **الرحيم** الذي خص اولياه بتمام الهداية وزوال الشكوك • **لما ختمت** تلك بان من اعرض
عنه سبحانه اهلكه ولم يغن عنه احد ومن اقبل عليه رفعه واستخلصه فلم يضره احد وختم بانه قوي
مريم عليها السلام حتي كانت في درجة الكملة ورزقها الرسوخ في الاخلاص • وكان مثل هذا لا يقدر
علي فعله الا من لا كفو له اهل لان تخلص له الاعمال ولا يلتفت الي سواه بحال لانه الملك الذي يملك
الملك قال مشيرا الي الاستبصار المثمر للارادة الي رياضة تثمر جميع ابواب السعادة **تبارك** اي تكبر وتقدس
وتعالي وتعاظم وثبت ثباتا لا مثل له مع اليمن والبركة وتواتر الاحسان والعلا • **ولما** كان من له الملك
قد لا يكون متمكنا من ابقايه في يده او اعطا ما يريد منه لغيره ونزعه منه متي اراد قال **الذي بيده**
اي بقدرته وتصرفه لا بقدرة غيره **الملك** اي امر ظاهر العالم فاليه كل تدبير له وتدبير فيه وبقدرته
اظهر ما يريد لا مانع له من شي ولا كفو له بوجه • وهو كناية عن الاحاطة والقهر وذكر اليد انما هو
تصوير للاحاطة ولتمام القدرة لانها محلها مع التنزه عن الجارحة وعن كل ما يفهم حاجة او شبها بالخلق وقال
الامام ابو جعفر ابن الزبير ورود ما افتتحت به هذه السورة من التنزيه وصفات التعالي انما يكون عقيب
تفصيل وايراد عجايب من صنعه سبحانه كورود قوله تعالي فتبارك الله احسن الخالقين عقب تفصيل التقلب
الانساني من لدن خلقه من سلالة من طين الي انشايه خلقا آخر • وكذا كل ما ورد من هذا لم يرد الا
اي قد جردت التنزيه والاعلام بصفات التعالي والجلال • **ولما** كان اوقع في آخر سورة التحريم
ما فيه اعظم عبرة لمن تذكر واعلي اية لمن استبصر من ذكر امراتين كانتا تحت عبدين صالحين قد بعثهما الله
رحمة لعباده واجتهدا في دعا الخلق فحرم الاستنارة بنورهما والعياذ بهما من لم يكن احد جنسهما
اقرب اليهما ولا اكثر مشاهدة لما مدا به من الايات وعظيم المعجزات ومع ذلك فلم يغنيا عنهما من الله شيا
ثم اعقبت هذه العظة بما جعل في طرف منها ونقيض من حالها وهو ذكر امراة فرعون التي لم يغرها مرتكب
صاحبها وعظيم جراته مع شدة الوصلة واستمرار الالفة لما سبق لها في العلم القديم السعادة وعظيم الرحمة
فقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة وحصل في هاتين القضيتين تقديم سبب رحمة حرم التمسك به

أوفي

اوفي الناس في ظاهر الامر وتقديم سبب امتحان عصم منه اقرب الناس الي التورط فيه • **ثم** اعقب ذلك
بقصة عريت عن مثل هذين الشيين وانفصلت في مقدماتها عن تينك القصتين • **وهو** ذكر مريم
ابنة عمران ليعلم العاقل حيث يضع الاسباب • وان القلوب بيد العزيز الوهاب • اعقب تعالي ذلك بقوله
الحق تبارك الذي بيده الملك وهو علي كل شي قدير واذا كان الملك بيده سبحانه فهو الذي يوتي الملك
والفضل من يشا وينزعه ممن يشا ويعز من يشا ويذل من يشا كما صرحت به الاية الاخري في آل عمران
فقد اتضح اتصال سورة الملك بما قبلها **ثم** بنيت سورة الملك علي التنبيه والاعتبار ببسط الدلايل
ونصب البراهين حسبما يبسطه التفسير انتهي • **ولما** كان المتصرف في الملك قد لا تكون قدرته تامة
ولا عامة قال **وهو** اي وحده له عظمة تستولي علي القلوب وسياسة تعم كل جلب ودفع لانه **علي كل شي**
اي ممكن يشاوه من الملك وغيره من باطنه وهو الملكوت وغيره مما وجد ومما لم يوجد **قدير** اي تام
القدرة ودل علي ذلك بقوله **الذي خلق** اي قدر واوجد • **ولما** كان الخوف من ابتاع المولم ادعي
الي الخضوع لانه ادل علي الملك مع ان الاصل في الاشيا العدم قدم قوله **الموت** اي هذا الجنس وهو زوال
الحياة عن الحي الذي هو في غاية الاقتدار علي التقلب بجعله جمادا كان لم تكن به حركة اصلا واول ما يفعل
في تلك الدار بعد استقرار كل فريق في داره ان يعدم هذا الجنس فيذبح بعد ان يصور في صورة كبش
والحياة اي هذا الجنس وهو المعني الذي يقدر الجماد به علي التقلب بنفسه بالارادة • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما الموت خلقه الله علي صورة كبش املح لا يمر بشي ولا يجد ريحه الا مات والحياة علي صورة فرس
بلقا وهي التي كان جبريل والانبيا عليهم السلام يركبونها لا تمر بشي ولا يجد ريحها الا حيي وهي التي اخذ السامري
قبضة من اثرها والقاها علي الحلي الذي القاه بنو اسرايل ونوي ان يكون عجلا فصار عجلا • **ولما**
ذكر الدال علي القدرة اتبعه غايته وهو الحكم الذي هو خاصة الملوك فقال **ليبلوكم** اي يعاملكم وهو
اعلم بكم من انفسكم معاملة المختبر لاظهار ما عندكم من العمل بالاختيار **ايكم احسن عملا** اي من جهة العمل
اي عمله احسن من عمل غيره وعبارة القران في اسناد الحسن الي الانسان تدل علي ان من كان عمله احسن
كان هو احسن ولو انه ابشع الناس منظرا ومن كان عمله اسوا كان بخلاف ذلك والحسن انما يدرك بالشرع
فما حسنه الشرع فهو الحسن وما قبحه فهو القبيح وكان ذلك مفيدا للقيام بالطاعة لان من تفكر في حاله
علم انه مباين لبقية الحيوانات بعقله وللنباتات بحياته وللجمادات بنموه وان ذلك ليس له من ذاته
بدليل موته فما كان له ذلك الا بفاعل مختار له الحياة من ذاته فيجتهد في رضاه باتباع رسله ان كان
عاقلا فيشكره ويصبر ان امتحن وانتقم ويخدمه بما امره وينزجر عما عنه زجره • **فهذه** الاية مشتملة
علي وجود المقتضي للسعادة وانتفا المانع منها ووجود المقتضي اعداد وارشاد فالاعداد اعانته سبحانه
للعبد باعداده لقبول السعادة كالحداد يلين الحديد بالنار لتقبل ان تكون سكينا والارشاد اخذه
بالناصية الي ما اعدله كضرب السكين واصلاحها للقطع بها • وانتفا المانع هو الموقف عن ذلك وهو دفع
المشوشات المفسدات كتثلم السكين وهو يجري مجري السبب وسبب السبب وهو ما اشتمل عليه قوله
صلي الله عليه وسلم اللهم اعني ولا تعن علي الحديث فذكره لتمام القدرة والعزة مع ذكر الاحسن دال
علي توفيقه بما ذكر من تامل الاية عرف انه ما خلق الا ليتميز جوهره من صدف غيره او صدفه من جوهر غيره
وان الدنيا مزرعة وان الاخرة محصدة فيصير من نفسه علي بصيرة وثار في ارادته لما خلق له تارة
بالنظر الي جمال ربه من حسن واحسان واخري الي جلاله من قدرة وامكان وتارة بالنظر لنفسه بالشفقة
عليها من خزي الحرمان فيجتهد في رضي ربه وصلاح نفسه خوفا من عاقبة هذه البلوي • **ولما** كان لا
يفعل الابتلا منا الا جاهل بالعواقب وعاجز عن رد المسي عن اساته وجعله محسنا من اول نشاته قال نافيا

لذلك عن منيع جنابه بعد ان نفاه بلطف تدبيره وعظيم امره في خلق الموت والحياة ومزيلا بوصف العزة
لما قد يقوله من يكون قوي الهمة انا لا احتاج الي تعب كبير في الوصول اليه سبحانه بل أصل اليه اي وقت
شيت بايسر سعي **وهو** اي والحال انه وحده **العزيز** اي الذي يصعب الوصول اليه جدا من العزاز
وهو المكان الوعر والذي يغلب كل شي ولا يغلبه شي فلو اراد جعل الكل محسنين ولا يكون كذلك الا وهو
تام القدرة فيلزم تمام العلم والوحدانية ووجوب الوجوب ازلا وابدا **ولما** كان العزيز منا يهلك
كل من خالفه اذا علم بمخالفته قال مبينا سبب امهاله للعصاة مرغبا للمسي في التوبة بعد ترهيبه من
الاصرار علي الحوبة لانه قد يكون مزدريا لنفسه قايلا مثلي لا يصلح للخدمة لما لي من الذنوب القاطعة
واين التراب من رب الارباب **الغفور** اي انه مع ذلك يفعل في محو الذنوب عينا واثرا فعل المبالغ في
ذلك ويتلقي من اقبل اليه احسن تلق كما قال تعالي في الحديث القدسي ومن اتاني يمشي اتيته هرولة
ولما اثبت له سبحانه صفتي العز والغفر علي ابلغ وجه ما يكون دل علي ذلك بقوله دالا علي كمال تفرده
بعد ايات الانفس بايات الافاق ارشادا الي معالي الاخلاق **الذي خلق** اي ابدع علي هذا التقدير من
غير مثال سبق **سبع سموات** حال كونها **طباقا** جمع طبق كل واحدة منها كانها لشدة مطابقتها للاخري
مطالبة مطابقتها بحيث يكون كل جز منها مطابقا لجز من الاخري ولا يكون جز منها خارجا عن ذلك وهي لا
تكون كذلك الا بان تكون الارض كرة والسما الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة من جميع الجوانب والثانية
محيطة بالدنيا وهكذا الي ان يكون العرش محيطا بالكل والكرسي الذي هو اقربها بالنسبة اليه كحلقة ملقاة
في فلاة فما ظنك بما تحته وكل سما في التي فوقها بهذه النسبة **وقد** قرر اهل الهيئة انها كذلك وليس
في الشرع ما يخالفه بل ظواهره توافقه ولا سيما التشبيه بالحلقة الملقاة في فلاة كما مضي بسط ذلك في سورة
السجدة واحاط سبحانه بالارض منافعها من جميع الجوانب وجعل المركز بحيث يجذب اليه الاسفل بحيث ما مشي
الحيوان في جوانبها اقتضي المركز ان تكون رجلاه الي الارض وراسه الي السما لتكون السما في رايه دايما
اعلي والارض اسفل في اي الجوانب كان هو عليها فسبحان اللطيف الخبير **ولا** شك ان من تفكر في هذه العظمة
مع ما لطف بنا فيما هيا فيها لنا من المنافع اثره سبحانه بالحب وافرده عن كل ضد فانقطع بالالتجا اليه
ولم يعول الا عليه في كل دفع ونفع وسارع في مراضيه ومحابه في كل خفض ورفع **ولما** كان ذلك
في حد ذاته خارجا عن طوق المخلوق وكان سمك كل سما مسيرة خمسماية عام وما بين كل سماين كذلك مع عدم
الفروج والعمد والاطناب فكان ذلك النهاية في الخروج عن العادة في حد ذاته ولانه قيل ان القبة
اذا بنيت بلا فروج ولا شي يدخل الهوا منه تفسط وتسقط دل علي عزته بعظيم صنعه في ذلك بقوله واصفا
لها **ما ترى في** وكان الاصل خلقها ولكنه دل علي عزته وعموم عظمته بقوله **خلق الرحمن** اي لها ولغيرها
ولولا رحمته وعموم رحمته التي اقتضت اكرامه لخلقه بعد غفرانه لما لهم من النقايص ما احسن اليهم بها
في اتساعها وزينتها وما فيها من المنافع واغرق في النفي بقوله **من تفاوت** بين صغير ذلك الخلق وكبيره
بالنسبة الي الخالق في ايجاده له علي حد سوا انما قوله اذا اراده كن فيكون لا فرق في ذلك بين الذرة
مثلا والعرش ولا بالنسبة الي الخلايق في عجز صغيرهم او كبيرهم عن ايجاد شي من العدم صغيرا كان او كبيرا
جليلا كان او حقيرا ولا ترى تفاوتا في الخلق بان يكون شي منه فايتا للاخر بالمخالفة والاضطراب والتناقض
في الخلقة غير مناسب له بان يكون خارجا عنه او منافرا له في مقتضي الحكمة واثار الاحسان في الصنعة والنزول
عن الاتقان والاتساق والخروج عن الاحكام والاتفاق والدلالة للخالق علي كمال القدرة وللمخلوق علي الحدوث
بنوع من ضعف البنية بحيث يكون كل واحد كالطالب لان يخالف الاخر او تعمد لان يفوت الاخر ويخالفه
علي قراة حذف الالف والتشديد بحيث يكون التفاضل في المزدوجات وعدم المساواة كانه مقصود بالذا

وبالعقد

وبالعقد الاول بل لا توجد المخالفة الا نادرا بحيث يعلم ان المشاكلة هي المقصود بالذات وبالقصد
الاول فاذا وقع في شي منه مخالفة كان علي وجه الندور انه ليس مقصودا بالذات وانما اريد به الدلالة
علي الاختيار وان الفاعل هو القادر المختار لا الطبيعة **قال** الرازي كان التفاوت الشي المختلف لا علي
النظام وقال البغوي من اعوجاج واختلاف وتناقض وقال غيره عدم التناسب كان بعض الشي يفوت
بعضا ولا يلايمه وهو من الفوت وهو ان يفوت بعضها بعضا لقلة استوايها **وقال** ابو حيان والتفاوت
تجاوز الحد الذي يجب له زيادة او نقصانا انتهي يظهر ذلك بان اغلب الخلق اجوف والاجوف يعمل مبسوطا
ثم يضم ويوصل احد جانبيه بالاخر فيكون ثم نوع فطر يعرفه اهل الحذق وان اجتهد صانعه في اخفايه
وان كان فيه اشيا متقابلة كان فيها تفاوت ولو قل وان اجتهد الصانع في المساواة وخلق الله لا تفاوت
فيه بوجه فالسموات كرية ولا ترى في جانب منها شقا ولا فطرا ظاهرا ولا خفيا والحيوان اجوف ولا ترى في
شي من جسمه فيما يكون الضم والتجويف وقع به وكل من متقابليه مساو للاخر كالعينين والاذنين والمنخرين
والساقين ونحوها مما يقصد فيه التساوي لا تفاوت فيه اصلا الي غير ذلك مما يطول شرحه ولا يمكن ضبطه
فسبحان من لا تتناهي قدرته فلا تتناهي مقدوراته ولا تحصي بوجه معلوماته وكل ذلك عليه هين والامر
في ذلك واضح بين هذا مع الاتساع الذي لا يدرك مقداره باكثر من ان كل سما بالنسبة الي التي فوقها كحلقة
ملقاة في فلاة الي ان يوصل الي الكرسي ثم العرش العظيم ومن سر كونها كذلك حصول النفع بكل ما فيها من كواكب
مرطبة او ميبسة او منورة واتصالات ممطرة ومنبتة تجري كل منها علي ترتيب مطرد ونظام غير منخرم مقدرة
بالقسط مرتب علي منافع الوجود ومصالح الكاينات كلها ملفوفة علي هوا لطيف بتدبير شريف لا يتعدي شي منها
طوره ولا يتخطي حده لا يرسب فيما تحته من الهوي فيهوي ولا يرتفع عن محله بمقدار ذرة فيطفو فقد احاط بكلها
الامر وضبطها صاعقة القهر **ولما** كان العلم الناشي عن الحس اجلي العلوم دل علي بديع ما ذكره بمشاهدة
الحس له كذلك فسبب عنه قوله منبها بالرجع الذي هو تكرير المرجوع علي ان كل احد يشاهد ذلك كذلك من حين
يعقل الي ان يبلغ حد التكليف المقتضي للمخاطبة بهذا الكلام **فارجع البصر** اي بعد ترديدك له قبل ذلك وذلك
بتوجيه الخطاب نحو اكمل الخلق في السمع والبصر والبصيرة وكل معني الي ان ذلك لا شبهة فيه **ولما** كان
السوال عن الشي يدل علي شدة الاهتمام بالبحث عنه نبه علي ان هذا مما اشتدت عناية الاولين به فقال **هل
ترى** اي في شي منها **ولما** كان هذا الاستفهام مفيدا للنفي اغرق في النفي بقوله **من فطور** اي خلل بشقوق
وصدوع او غيرها لتغاير ما هي عليه واخرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما يحق لها مما يدل علي عزة
بانيها وبليغ غفرانه **وهذا** ايضا يدل علي الاحاطة كل منها بما دونه فانه لو كان لها فروج لفاتت المنافع التي
رتبت لها النجوم المفرقة في طبقاتها او بعضها او كما لها فالهوا وجميع المنافع منحبسة فيها محوطة بها مضطربة
منصرفة فيها علي حسب التدبير والحيوان في الهوا كالسمك في الما لو انحبس الهوا عنه لمات كما انه لو انكشف الما
عن السمك لمات **ولما** كان في سياق المجازاة بالاعمال الصالحة والطالحة التي دل عدم الانتصاف من
الظالمين في هذه الدار علي انها تكون بعد البعث وكانت العزة مقتضية لذلك وكان خلقه سبحانه لهذا الوجود
علي هذا النظام مثبتا لها وكانت اعاظم اعمال المنكرين لها ولا سيما نفيهم بانه لا بعث دل علي عظمة عزته بما ابدعه
من هذا السقف الرفيع البديع بجعله محفوظا هذا الحفظ المنيع علي تعاقب الاحقاب وتكرر السنين فقال معبرا باداة
التراخي دالا علي جلاله بادامة التكرير طول الزمان **ثم ارجع البصر** واكد ما افهمته ثم من طلب التكرير بقوله
كرتين اي مرتين اخريين هذا مدلولها لغة وبالنظر الي السياق علم ان المراد مرة بعد مرة لا تزال تكرر ذلك
لارتياد الخلل الي نهاية كما ان لبيك مراد به اجابة بعد اجابة الي غير نهاية وعلي ذلك دل قوله **ينقلب اليك**
اي من غير اختيار بل غلبة واعيا وانكسار **البصر خاسيا** اي صاغرا مطرودا ذليلا بعيدا عن اصابة المطلوب

وهو اي والحال انه حسير اي كليل تعب معي من طول المعاودة وتدقيق النظر وبعد المسرح واذا كان
هذا الحال في بعض المصنوع فكيف عند طلب العثر بالصانع في كماله من جلاله وجماله فكيف من يتفوه بالحلول
او الاتحاد حسبه جهنم وبيس المهاد ولما اخبر سبحانه عن بديع هذا الخلق ونبه على بعض دقايقه وامر
بالابصار وتكريره وكان السامع اول ما يصوب نظره الى السما لشرفها وغريب صنعها وبديع وضعها
ومنيع رفعها فكان بحيث يتوقع الاخبار عن هذه الزينة التي رصعتها قال في جواب من توقعه موكدا بالقسم
اعلاما بانه ينبغي ان يبعد العاقل عن انكار شي مما ينسب الى صاحب هذا الخلق من الكمال عاطفا على ما تقديره
لقد كفى هذا العذر في الدلالة على عظمة مبدعه وتمام قدرته ولقد واستجلب الشكر بجلب المسار فقال ناظرا
الى مقام العظمة صرفا للقول عما اقتضاه الرحمن من عموم الرحمة تذكيرا بما في الاية الماضية وتنبيها على ما
في الزينة بالنجوم من مزجها بالرجوم الذي هو عذاب زينا دلالة اخرى بعد تلك الدلالة السما الدنيا
اي ادنى السموات الى الارض وهي التي تشاهدونها وهي سقف التي اجمعتم فيها في هذه الحياة بمصابيح اي
بنجوم متقدة عظيمة جدا كثيرة تفوت الحصر ظاهرة سايرة مضية زاهرة وهي الكواكب التي تنور الارض بالليل
انارة السروج التي تزينون بها سقوف دوركم فتفيد شعبة من ضوء الصباح والتزين بها لا يمنع ان تكون
مركوزة فيما فوقها من السموات وهي تتراآى لنا بحسب السقوف بما لاجرام السما من الصفا ولتلك المصابيح من
شدة الاضاة ولما اخبر بعظيم قدرته فيها منبها على ما فيها من جلب المسار بتلك الانوار والهداية في الدين
والدنيا التي لولاها لما انتفع احد في ليل انتفاعا تاما اخبر بما فيها مع الزينة من دفع المضار بعبارة
عامة وان كان المراد البعض الاغلب فان ما للمرجوم منها غير ما للاهتدا والرسوم فقال وجعلناها اي النجوم
من حيث هي بعظمتنا مع كونها زينة واعلاما للهداية رجوما جمع رجم وهو مصدر واسم لما يرجم به للشياطين
الذين يحق لهم الطرد من الحق لما لهم من الاحتراق حراسة للسما التي هي محل تنزل امرنا بالقضا والقدر
وانزال هذا الذكر الحكيم لئلا يفسدوا باستراق السمع منها على الناس دينهم الحق ويلبسوا عليهم امرهم
بخلط الحق الذي جئنا به الاديان بالباطل فيخرجوهم لانهم اعداوهم من النور الى الظلمات كما كانوا في
الجاهلية مع ما فيها بما خلق سبحانه في امزجتها من ترطيب وتجفيف وحر وبرد واعتدال تنشا عنه الفصول
الاربعة وقهرها به من شروق وغروب وحركة وسكون يعرف بها ما اليه المآل مما اخبرت به الرسل
من الزوال مع ما تدل عليه من الليل والنهار والعشي والابكار واشيا يكل عنها الوصف في ذواتها
وعن احصا منافعها حتى لو عدم شي مما في السموات مما دبره الحكيم لصلاح هذا العالم لهلك كل حيوان
ونبات على وجه الارض والشهاب المرجوم به منفصل من نار الكوكب وهو قار في فلكه على حاله كقبس
النار يوخذ منها وهي باقية لا تنقص وذلك مسوغ لتسميتها بالرجوم فمن لحقه الشهاب منهم قتله او ضعضع
امره وخبله ويحتمل مع ذلك ان يكون المراد ظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون يتكلمون بها رجما للغيب في
اشيا هي من عظيم الابتلا الموفق من المزلزل والعالم من الجاهل وفي البخاري قال قتادة خلقت
النجوم لثلاث زينة للسما ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول فيها غير ذلك اخطا واضاع
نصيبه وتكلف ما لا علم له به ولما كان التقدير ورجمناهم بها بالفعل عند استراقهم للسمع ابعادا لهم
عن سمع المكرمين ومحل النزاهة والانس ومهبط القضا والتقدير ونكالا لغيرهم من امثالهم عذابا
لهم في الدنيا عطف عليه قوله ترهيبا من جلاله بعد ما رغب في عظيم جماله واعتدنا اي هيانا في
الاخرة مع هذا الذي في الدنيا بما لنا من العظمة لهم اي الشياطين عذاب السعير اي النار التي هي في
غاية الاتقاد فالاية بشارة لاهل السمع والعقل ولما اخبر عن تهيئة العذاب لهم
بالخصوص اخبر عن تهيئته لكل عامل باعمالهم على وجه اندرجوا هم فيه فقال حاثا على التفكر في عظيم انتقامه

الخارج عن العادة في عدم الانطفا ولا للمعذب من الخلاص منها رجا بل كلما طال الزمان تلقته بالشدة
والامتداد بئس الجامعة للمذام في كل انتقام مع الاهانة والاحتقار وللذين كفروا اي اوقعوا التغطية
لما من حقه ان يظهر ويشهر من الاذعان للاله فقال صارفا القول عن مقام العظمة الى صفة الاحسان
الخاصة بالتربية تنبيها على ما انكاره من عظيم الكفران بربهم اي الذي تفرد بايجادهم والاحسان اليهم
فانكروا ايجاده لهم بعد الموت كفرا لما شاهدوا من اختراعه لهم من العدم عذاب جهنم اي الدركة النارية
التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة والتغضب ولما كان التقدير هي مصيرهم قال دالا على عدم خلاصهم
منها اصلا وبئس المصير اي هي ولما عبر عن ذمها بجمع المذام اتبعه الوصف لبعض تجهمها على وجه
التعليل فقال دالا بالالقا على خساستهم وحقارتهم معبرا باداة التحقق دلالة على انه امر لا بد منه
وبالبنا للمفعول على ان القاهم في غاية السهولة على كل من يومر به اذا القوا اي طرح الذين كفروا الاخسا
من اي طارح امرناه بطرحهم فيها حين تغتلم الملايكة فتطرحهم كما يطرح الحطب سمعوا لها اي جهنم نفسها
شهيقا اي صوتا هايلا اشد نكارة من اول صوت الحمار لشدة توقدها وغليانها او لاهلها على حذف
مضاف وهي تفور اي تغلي بهم كغلي المرجل بما فيه من شدة التلهب والتسعر فهم لا يزالون فيها صاعدين
هابطين كالحب اذا كان الما يغلي به لا قرار لهم اصلا ولما وصفها بالفوران بين سببه تمثيلا لشدة
اشتعالها عليهم فقال تكاد تميز اي تقرب من ان يتفصل بعضها من بعض كما يقال يكاد فلان ينشق من
غيظه وفلان غضب فطارت شقة منه وشقة في السما كناية عن شدة الغضب من الغيظ اي عليهم
وكانه حذف احدى التاءين اشارة الى انه تحصل منها افتراق واتصال على وجه من السرعة لا يكاد يدرك
حق الادراك وذلك كله لغضب سيدها وتاتي يوم القيمة تقاد الى المحشر بالف زمام لكل زمام سبعون
الف ملك يقودونها به وهي من شدة الغيظ تقوى على الملايكة وتحمل على الناس فتقطع الازمة جميعا
وتحطم اهل المحشر فلا يردها عنهم الا النبي صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فترجع مع ان لكل ملك من
القوة ما لو امر به ان يقتلع الارض وما عليها من الجبال ويصعد بها في الجو فعل من غير كلفة وهذا
كما اطفاها في الدنيا بنفخه كما رواه الجماعة الا الترمذي وهذا لفظ ابي داود عن عبد الله بن عمرو
رضي الله عنهما قال انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر صلاته الى ان قال
ثم نفخ في اخر سجوده فقال اف اف الم تعدني ان لا تعذبهم وانا فيهم الم تعدني ان لا تعذبهم وهم
يستغفرون وفي رواية للنسايي انه قال صلى الله عليه وسلم لقد ادنيت مني النار حتى جعلت اتقيها
خشية ان تغشاكم ولما ذكر سبحانه حالها اتبعه حالهم في تعذيب القلب باعتقادهم انهم ظلمة
على وجه بين التسبب في عذابهم زجرا عنه فقال كلما ولما كان المنكى مجرد الالقا بني للمفعول دلالة
على ذلك وعلى حقارتهم بسهولة القايهم قوله القي فيها اي جهنم بدفع الزبانية لهم الذين اغيظ عليهم
من النار فوج اي جماعة هم في غاية الاسراع مزعجين مضطربي الاجواف من شدة السوق سالهم
اي ذلك الفوج خزنتها اي النار سوال توبيخ وتقريع ولما كان كانه قيل ما كان سوالهم قال قالوا
موبخين لهم مبكتين محتجين عليهم في استحقاقهم العذاب زيادة في عذابهم بتعذيب ارواحهم بل تعذيب
اشباحهم الم ياتكم اي في الدنيا نذير اي يخوفكم هذا العقاب ويذكركم بما حل من قبلكم من المثلات
لتكذيبهم بالايات ويقرا عليكم الكتب المنزلات قالوا بلى ولما طابق هذا الجواب فتوقع السامع ايضاحه
افصحوا بما افهمه وشرحوه تاسفا على انفسهم وتحسرا فقالوا قد جانا واظهروا موضع الاضمار تاكيدا
وتنصيصا فقالوا نذير اي محذر بليغ التحذير فكذبنا اي فتسبب عن مجيئه انا اوقعنا التكذيب بكل
ما قاله النذير وقلنا اي زيادة في التكذيب ما نزل الله اي الذي له الكمال كله عليكم ولا على غيركم ولعل

التعبير بالتفعيل اشارة الي انكارهم الفعل بالاختيار الملازم للتدريج تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا واغرقنا
في البغي فقلنا من شي لا وحيا ولا غيره وما كفانا هذا الفجور حتي قلنا موكدين ان اي ما ولما كان تكذيبهم
برسول واحد تكذيبا بجميع الرسل قالوا انتم اي ايها النذر المذكورون في نذير المراد به الجنس وفي خطاب
الجمع اشارة ايضا الي ان جواب الكل للكل كان متحدا مع افتراقهم في الزمان حتي كانهم كانوا علي ميعاد الا
في ضلال اي بعد عن الطريق خطا وعمي محيط بكم كبير فبالغنا في التكذيب والسفه بالاستجهال والاستخفا
ولما حكي سبحانه ما قالوه للخزنة تحسرا علي انفسهم حكي ما قالوه بعد ذلك فيما بينهم زيادة في التحزن
ومقتا لانفسهم بانفسهم فقال وقالوا اي الكفرة زيادة في توبيخ انفسهم لو كنا اي بما هو لنا كالغريزة ولما
كان السمع اعظم مدارك العقل الذي هو مدار التكليف قالوا نسمع اي سماعا ينفع بالقبول للحق والرد
للباطل او نعقل بما ادته الينا حاسة السمع وغيرها عقلا ينجي وان لم يكن لنا سمع وانما قصروا الفعل اشارة
الي ان ما كان لهم من السمع والعقل عدم لكونه لم يدفع عنهم هذا البلا بالقبول من الرسل لما ذكروهم به
من نصايح ربهم وشهادة الشواهد من الايات البينات ما كنا اي كونا دايما في اصحاب السعير
اي في عداد من اعدت له النار التي هي في غاية الاتقاد والحر والتلهيب حتي كانت بها جنونا وحكم تخلو
في صحبتها واعظم ما في هذا من العذاب بكونهم الجيوا الي ان باشروا توبيخ انفسهم ومقتها بانفسهم انهم لا
يقبل منهم خروجا عن العادة في الدنيا من ان الانسان اذا اظهر الخضوع باعترافه ولومه نفسه وانصافه
رحم وقبل وفي الاية اعظم فضيلة للعقل روي ابن المحبر في كتاب العقل والحرث عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لكل شي دعامة ودعامة المومن عقله فبقدر عقله تكون
عبادته اما سمعتم قول الفجار لو كنا نسمع الاية ولما كان هذا الاقرار ابدا في ضررهم وانما يكون
نافعا لهم لو قالوه في دار العمل وندموا عليه واقلعوا عنه سبب عنه قوله ضاما الي ما تقدم من تعذ
ارواحهم بمقت الملايكة لهم ثم مقتهم لانفسهم مقت الله لهم فاعترفوا اي بالغوا جامعين الي مقت الله
وملايكته لهم مقتهم لانفسهم في الاعتراف وهو الاقرار عن معرفة ولما كان الذي اوردهم المهالك
هو الكفر الذي تفرعت منه جميع المعاصي افرد فقال بذنبهم اي في رد الجزا كما كانوا يبالغون في التكذيب
في دار العمل فلم يكن ينفعهم لفوات محله او انه لم يجمع الذنب اشارة الي انهم كانوا كلهم في المبالغة في
التكذيب علي حد واحد كما قال تعالي كذلك ما اتي الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
اتواصوا به بل هم قوم طاغون او ان الافراد اشد في التحذير من كثير الذنوب وقليلها حقيرها وجليلها
ولما كانوا ابلغوا في كلتا الدارين في ابعاد انفسهم عن مواطن الرحمة وتسفيلها الي محال النقمة انتج ذلك
وسبب قوله فسحقا اي بعدا في جهة السفل وهو دعا عليهم مستجاب لاصحاب واظهر تنبيها علي عظيم توقدها
وتغيظها وتهددها فقال السعير اي الذين قضت اعمالهم بملازمتها ولما ذكر سبحانه اهل المعاملة
بصفة العزة لما حصل لهم من العزة ابتعهم اضدادهم المطوعين انفسهم لاشارة العقل المتاهلين لنعت
المعرفة فقال موكدا لما للاضداد من التكذيب ان الذين يخشون اي يخافون خوفا ارق قلوبهم وارق
عيونهم بحيث كانوا كالحب علي المقلي لا يقر لهم قرار من توقعهم العقوبة كلما ازدادوا طاعة ازدادوا خشية
يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة فوقوا انفسهم فوران النار بهم وعدل عن سياق الجلالة الجامع الي صفة
الاحسان تنبيها علي انهم غلب عليهم النظر الي الاحسان فقادهم الي الشكر مع ما بعثت عليه الخشية من اتصافهم
بالعرق الذي اداهم الي الذعر فقال ربهم الذي احسن اليهم بتطويرهم بما جعل لهم من الاسباب في اطوار
الخير واذا كانوا يخشونه مع نظرهم الي صنعه فما ظنك بهم عند النظر الي صفات انتقامه بالغيب اي حال
كونهم غايبين عنه سبحانه ووعيده غايبا عنهم وهم غايبون عن اعين الناس وقد ملا الخوف ما غاب منهم

عن الناس ذمي قلوبهم فهم مع الناس يتكلمون وقلوبهم تتلظي بنيران الخوف وتتكلم بسيوف الهيبة فيتركون
المعصية حيث لا يراهم احد من الناس ولا يكون لهم هذا الا برياضة عظيمة لما عند الانسان من القوي
الموجبة للطغيان قال بعض العارفين في الانسان خواص تستدعي العلو بما يشوبها من الحظوظ فتنشا منها
والعياذ بالله المنازعة في الكبريا والعظمة والجلال والجمال فالقلب يستدعي التفرد بالوجود والامر والنهي
فما من احد الا وهو مستبطن ما قال فرعون ولكن لا يجد له مجالا كما وجد فرعون والعقل يستدعي في تدبيره
وتاثيره اعتقاد انه لو مكن من الوجود لدبره ويري ان تدبيره هو التدبير وان كان افسد الفاسد ولذلك
لا يزال يقول لو كان كذا لكان كذا والنفس تتخيل انها من القوة والاقتدار بحيث لو ارادت ان تخرب هذا
وتبنيه فعلت فليحذر الانسان فان اعدي عدو له نفسه فمهما تركها انتشرت كلا ان الانسان ليطغي
ان راه استغني ولهذا كان بعض الاكاسرة وكانوا اعقل الملوك يرتب واحدا يكون وراه بالقرب
منه يقول له اذا اجتمعت جنوده بعد كل قليل انت عبد لا يزال يكرر ذلك والملك يقول له كلما قاله
نعم فعلي العاقل ان يطوع نفسه لان ترجع مطمينة بان يرضي بالله ربا ليدخل في رق العبودية وبالاسلام
دينا ليصير عن بقايها فلا ينازع الملك في ردايه الكبريا وازاره العظمة وتاجه الجلال وحلته الجمال
ولا ينازعه فيما يدبره من الشرايع ويظهره من المعارف ويحكم به علي عبيده من قضايه وقدره ولما
كانت الخشية مشيرة الي الذنوب فكان اهم ما اليهم الاراحة منها قال لهم مغفرة اي عظيمة تاتي علي جميع
ذنوبهم ولما كان السرور انما يتم بالاعطا قال واجر كبير يكون لهم به من الاكرام ما ينسيهم اي من فضل الله صح
ما قاسوه في الدنيا من شدايد الايلام وتصغر في جنبه لذايذ الدنيا العظام ولما كانت الخشية من
الافعال الباطنة وكان كل احد يدعي انه يخشي الله قال مخوفا لهم بعلمه نادبا الي مراقبته ليلا يغتروا
بحلمه قال عاطفا علي ما تقديره لا يحاب المراقبة فابطنوا افعالكم او اظهروها واسروا اي ايها الخلايق
ولما كان افراد الجنس دالا علي قليله وكثيره قال قولكم اي خيرا كان او شرا او اجهروا
به فانه يعلمه ويجازيكم به لان علمه لا يحتاج الي سبب وذلك ان المشركين كانوا يقولون اسروا لئلا
يسمع له محمد ثم علل ذلك موكدا لاجل ما للناس من استبعاد ذلك بقوله انه اي ربكم عليم اي بالغ العلم
بذات الصدور اي بحقيقتها وكنهها وحالها وجبلتها وما يحدث عنها سوا كانت قد تخيلته ولم
تعبر عنه او كان مما تخيله بعد بدليل ما اخبر عنه سبحانه عنهم مما وقع وهم يخفونه او لم يقع بعد ثم يقع
كما اخبر سبحانه ثم دل علي ذلك بقوله منكرا ممن يتوقف فيه ادني توقف ومنكرا عليه باثبات العلم ونفي
ضده علي ابلغ وجه الا يعلم اي كل ما يمكن ان يعلم وحذف المفعول للتعميم ثم ذكر الفاعل واصفا له بما
يقرب الخبر للافهام فقال من خلق اي الذي اوجد الخلق من القلوب الحاوية للاسرار وغير ذلك والابدان صح
وطبع في كل شي من ذلك ما طبع مما قدره بعلمه واتقنه بحكمته فان كل صانع ادري بما صنعه ويجوز وهو
احسن ان يكون من مفعولا والفاعل مستترا اي الا يعلم الله مخلوقه علي الاطلاق وله صفتا اللطف والخبر
اللتان شانهما ادراك البواطن ادراكا لا يكون مثله لان الغرض اثبات العلم بما اخفوه لظنهم انهم
اذا اسروا يخفي لا اثبات مطلق العلم فانهم لم ينكروه وهو اي والحال انه هو اللطيف اي الذي
يعلم ما يثه في القلوب لانه يصل الي الاشيا باضدادها فكيف بغير ذلك الخبير اي البالغ العلم بالظواهر
والبواطن فكيف يخفي عليه شي من الاشيا وهو اعظم تهديد يكون فان من علم ان من يعصيه عالم
به وهو قادر عليه لا يعصيه ابدا ولما كان ذلك امرا غامضا دل عليه بامر مشاهد ابدعه
بلطفه واتقنه بخبره لاستدعا الشكر من عباده علي ما ابدع لهم ومن عليهم به من النعم الباهرة التي
بها قوامهم ولولاها لما كان لهم بقا فقال مستانفا هو اي وحده الذي جعل لكم لتتوصلوا الي ما ينفعكم

الأرض على سعتها وعظمها وحزونة كثير منها ذلولا اي مسخرة لا تمتنع قابلة للانقياد لما تريدون منها من مشي
وانباط مياه وزرع حبوب وغرس اشجار وغير ذلك غاية الانقياد بما تفهمه صيغة المبالغة مع ان فيها اماكن
خوار تسرح فيها الارجل وتغوص فيها ما خالطها ومواضع مشتبكة بالاشجار يتعذر او يتعسر سلوكها واماكن
هي ملأى سباعا وحيات وغير ذلك من الموانع واماكن هي جبال شاهقة اما يتعذر سلوكها كجبل السد بيننا
وبين ياجوج وماجوج ورد في الحديث انه تزلق عليه الارجل ولا تثبت او يشق سلوكها ومواطن هي بحور
عذبة او ملحة فلو شا لجعلها كلها كذلك لتكون بحيث لا يمكن الانتفاع بها فما قسمها الى سهول وجبال وبرور
وبحور وانهار وعيون وملح وعذب وزرع وشجر وتراب وحجر ورمال ومدر وغير ذلك الا بحكمة بالغة
وقدرة باهرة لتكون قابلة لجميع ما تريدون منها صالحة لسائر ما ينفعكم فيها ولما كان معنى التذلل
ما تقدم تسبب عنه قوله تمثيلا لفرط التذليل لان منكبي البعير وملتقاهما من الغاربين ارق شي من البعير
وانباه عن ان يطاه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فامشوا اي الهونا مكتسبين وغير مكتسبين ان شئتم من
غير صعوبة توجب لكم وثبا او حبوا في مناكبها اي اماكنها التي هي لولا تسهيلنا كمناكب الحيوانات يتنكب عن
الوقوف عليها فكيف بالمشي وقال ابن عباس رضي الله عنهما انها الجبال لان تذليلها ادل على تذليل غيرها وليكن
مشيكم فيها وتصرفاتكم بذلك واجبات وسكون استصغارا لانفسكم وشكرا لمن سخر لكم ذلك ولما ذكر انه
يسرها للمشي ذكرهم بانه سهلها لاخراج البركات فقال وكلوا ودل على ان الرزق فوق الكفاية بقوله
من رزقه اي الذي اودعه لكم فيها وامكنكم من اخراجه بضد ما تعرفون من احوالكم فان الدفن في
الارض مما يفسد المدفون ويحيله الى جوهرها كما يكون لمن قبرتموه فيها ومع ذلك فانتم تدفنون الحب وغيره
مما ينفعكم فيخرجه لكم سبحانه على احسن ما تريدون ويخرج لكم منه من الاقوات والفواكه والادهان والملابس
ما تعلمون وكذلك النفوس هي صعبة كالجبال وان قدتها للخير انقادت لك كما قيل هي النفس ما عودتها
تتعود ولما كان التقدير للبعث على الشكر والتحذير من الكفر واعبدوه جزاء على احسانه اليكم وتربيته
لكم فمنه مبدا جميع ذلك عطف عليه ما يدعو الى الحيا من السيد والخجل من توبيخه عند لقائه فقال واليه
اي وحده النشور وهو اخراج جميع الحيوانات التي اكلتها الارض واستدتها بخروجها في الوقت الذي يريده على ما
كان كل منها عليه عند الموت كما اخرج تلك الارزاق لا فرق بين هذا وذاك غير انكم لا تتاملون فيسالكم عما كنتم تعملون
فيا فوز من شكر ويا هلاك من كفر فان هذا ابعث شي على الشكر واشد شي ابعادا عن العصيان لا سيما الكفر لما قرر
من حاجة الانسان والاحسان اليه بانواع الاحسان ولما لم يكن بعد الاستعطاف الا الانذار على الخلاف قال
مهددا للمكذبين بعذاب دون عذاب جهنم منكرا عليهم الامان بعد اقامة الدليل على ان بيده الملك وانه قادر
على ما يريد منه باسباب جنوده وبغير سبب معترفا بعد تقرير حاجة الانسان وعجزه انه لا حصن له ولا مانع بوجه
من عذاب الله فهو دايم الافتقار ملازم للصغار ءامنتم اي ايها المكذبون وخاطبهم بما يعتقدون مع انه اذا
حمل على الرتبة واول السما بالعلو او جعل كناية عن التصرف لان العادة جرت غالبا ان من كان في شي كان
متصرفا فيه صح من غير تاويل فقال من في السماء اي على زعمكم العالية عليكم القاهرة لكم او ان المعنى من الملايكة
الغلاظ الشداد الذين صرفهم في مصالح العباد والمعنى هو في غاية العلو رتبته او ان ذلك اشارة الى ان في السما
اعظم امره لانها ترفع اليها اعمال عباده وهي مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القدس والسلطان والكبريا وجهة
العرش ومعدن المطهرين والمقربين من الملايكة الذين اقامهم الله في تصريف اوامره ونواهيه والذي دعا الى
مثل هذا التاويل السايغ الماشي على لسان العرب قيام الدليل القطعي على انه سبحانه ليس بمتحيز الى جهة
لانه محيط فلا يحاط به لان ذلك لا يكون الا للمحتاج ثم ابدل من من بدل الاشتمال فقال أن ولما كانت قدرته
على ما يريد بلا واسطة كقدرته بالواسطة وقدرته اذا كان الواسطة جمعا كقدرته اذا كان واحدا لان الفاعل

على كل تقدير حقيقة هو لا غيره وحده بما يقتضيه لفظ من اشارة الى هذا المعنى سوا اريد بمن هو سبحانه او
ملايكته او واحد منهم فقال يخسف اي ءامنتم خسفه ويجوز ان يراد بمن الله تعالى كما مضى خطابا على زعمهم
وظنهم انه في السما والزاما لهم بانه كما قدر على الامطار والانبات وغيرهما من التصرفات في الارض فهو يقدر
على غيره بكم الارض كما خسف بقارون وغيره ولما كان الذي يخسف به من الارض يصير كالساقط
في الهوا وكان الساقط في الهوا يصير يضطرب سبب عن ذلك قوله فاذا هي اي الارض التي انتم بها تمور اي
تضطرب وهي تهوي بكم وتجري هابطة في الهوا وتتكفا الى حيث شا سبحانه قال في القاموس المور الاضطراب
والجريان على وجه الارض والتحرك ولما كانوا ربما استبعدوا الخسف وكانوا يعهدون ما ينزل من السما
من الامطار والصواعق عاد بذلك قوله ام امنتم اي ايها المكذبون وكرر لهم ذكر ما يحسونه زيادة في الترهيب
فقال ان يرسل عليكم اي من السما حاصبا اي حجارة تحصبكم اي ترميكم بها مع ريح عاصف تقويها كما وقع لقوم
لوط واصحاب الفيل ولما كان هذا الكلام انذارا عظيما ووعظا بليغا وكان حالهم عنه مترددا بين
اقبال وادبار تسبب عنه على تقدير ادبارهم بتماديهم لما للانسان من النقصان قوله متوعدا بما يقطع القلوب
ولفت القول الى مقام التكلم ايذانا بشديد الغضب فستعلمون اي عن قرب بوعيد لا خلف فيه في الدنيا ثم
في الاخرة ولما كان العلم بكيفية الشي اعظم من العلم بمطلق ذلك الشي لانه يلزم من العلم بها العلم به وكان
ما هو بحيث يسال عنه لا يكون الا عظيما قال كيف نذير اي انذاري البليغ اذا شاهدتم العذاب وهو بحيث
لا يستطاع ولا تتعلق الاطماع بكشف له ولا دفاع وحذف اليا منه ومن نكير اشارة الى انه وان كان خارجا
عن الطوق ليس منتهى مقدوري بل لديه مزيد لا غاية له بوجه ولا تحديد ولما من المعلوم ان المامور
بالابلاغ هذا الانذار صلى الله عليه وسلم في غاية الرحمة لهم والشفقة عليهم فهو بحيث يشق عليه غاية المشقة
ما افهمه هذا الكلام من اهلاكهم ان لم يصدقوا وبحسب ان لا ياتي بهم لفت سبحانه الخطاب اليه عاطفا على ما تقديره
فلقد طال امهالنا لهم وحلمنا عليهم وتعريفنا لهم بعظيم قدرتنا وهم لا يرجعون وكثر وعظنا لهم وتصريفنا
القول بينهم وهم يتمادون ولا ينتهون قوله مصورا لهم ما توعدهم به في امر محسوس لان الامور المشاهدات
اروع للانسان لما له من التقيد بالوهم موكدا اشارة الى ان التكذيب مع اقامة البراهين امر يجب انكاره
ولا يكاد يصدق ولقد كذب الذين ولما كان التكذيب لم يعم الماضين بعض فقال من قبلهم يعني
كفار الامم الماضية ولما كان سبحانه قد املى لهم ثم اخذهم بعد طول الحلم اخذا بقيت اخباره ولم تندرس
الى الان على تمادي الزمان اثاره فكان بحيث يسال عنه لعظيم احواله وشدة زلزاله وفظاعة اهواله سبب
عن ذلك قوله منبها على استحضار ذلك العذاب ولو بالسوال عنه فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بما اصبتهم به
من العذاب في تمكن كونه وهو لامره فقد جمع الى التسلية غاية التهديد ولما ذكر بمصارع الاولين
وكان التذكير بالحاصبة تذكيرا لقريش بما حصب به على قرب الزمان عدوهم اصحاب الفيل بما ارسل عليهم من
الطير الابابيل تحذيرا لهم من ذلك ان تمادوا على كفره ولم ينقادوا الى شكره فكان التقدير تقريرا لزيادة قدرته
وحسن تدبيره ولطف تدبيره حيث جبر الطير لضعفها بالطيران ليكمل بعموم حمايته امر معاشها تقريرا لان
بيده الملك وترهيبا من ان ينازعه احد في تدبيره مع تنقية القول مصروفا عن خطابهم ايذانا بحسابهم وسوء
منقلبهم وماابهم اولم يروا الى قدرتنا على مصارع الاولين واهلاك المكذبين وانجا المومنين عطف عليه قوله
معرضا عنهم زيادة في الانذار بالحصب من الطير وغيرها اولم يروا واجمع القرا على القراءة هنا بالغيب لان السياق
للرد على المكذبين بخلاف ما في النحل واشار الى بعد الغاية بحرف النهاية فقال الى الطير وهو جمع طاير ولما
كان الجو كله مباحا للطيران نزع الجار فقال فوقهم وبين حال الطير في الفوقية بقوله واصفا لها بالتانيث
اشارة الى ضعفها في انفسها لولا تقويته لها صافات اي باسطات اجنحتها تمدها غاية المد بحيث تصير مستوية

لا اعوجاج فيها مع انه اذا كان جماعة كانت صفوفا او صفا واحدا في غاية الانتظام تابعة لامام منها ولما عبر عن الصف بالاسم لانه الاصل الثابت عبر عن التحريك بالفعل لان الطيران في ساحة الهوا كالسباحة في باحة الما والاصل في السباحة مد الاطراف وبسطها والقبض طاري على البسط فقال **ويقبضن** اي يوقعن قبض الاجنحة وبسطها وقتا بعد وقت للاستراحة والاستظهار به على التسبح في الهوا ولما تم هذا التقرير على هذا الوجه الرايع للقلب ترجمه بقوله اي في الجو جميع العالم في حال القبض والبسط عن السقوط على خلاف ما يقتضيه الطبع ولما كان هذا من التدبير المحكم الناظر الى عموم الرحمة قال **ما يمسكهن الا الرحمن** اي الملك الذي رحمته عامة لكل شي بان هياهن بعد ان افاض عليهن رحمة الايجاد على اشكال مختلفة وخصايص مفترقة للجري في الهوا بما اوجد لها من القوادم والخوافي وغير ذلك من الهيات وغير ذلك من الهيات القابلة لذلك وكذا جميع العالم لو امسك عنه حفظه طرفة عين لفسد بتهافت الافلاك وتداعي الجبال وغيرها وعبر في النحل بالاسم الاعظم لان سياقها للرد على اهل الطبايع وهم الفلاسفة الذين لا يقوم بالرد عليهم الا المتبحر في معرفة جميع اصول الدين بمعرفة جميع معاني الاسما الحسنى والصفات العلا التي يجمعها اسم الذات ولما كان هذا امرا رايعا للعقل ولكنه لشدة الالف صار لا ينتبه له الا بالتنبيه وكان الجاهل ربما ظن ان التقدير على الطيران خاص بالطير نبه سبحانه على عظمة ما هيا الطير له وعلى انه يقدر ان يجعل ذلك لغيره بقوله مؤكدا لاجل قصور بعض العقول عن التصديق بذلك وتضمن الاشراك للطعن في تمام الاقتدار المتضمن للطعن في تمام العلم **انه** اي الرحمن سبحانه **بكل شي بصير** اي بالغ البصر والعلم بظواهر الاشيا وبواطنها فمهما اراد كان وهو يخلق العجايب ويوجد الغرايب فيمشي من اراد من الادميين وغيرهم لمثل ذلك ولما كان التقدير تقريرا لذلك فمن يدبر مصالحكم ظاهرا وباطنا ويفعل هذه الانواع من العذاب ه بالمكذبين من قبلكم عطف عليه قوله عايدا الى الخطاب لانه اقعد في التبكيت والتوبيخ دالا على ان المخاطب ليس باهل لان يهاب مغيرا لانه مختص بالملك **ام من** ونبه على ان المدبر للاشيا لا بد ان يكون في غاية القرب والشهادة لها ليكون بصيرا بها رايعا ويكون مع مزيد قربه عالي الرتبة بحيث يشار اليه فقال مقررا لعجز العباد **هذا** باشارة الحاضر **الذي** وابرز العايد لانه لا بد من ابرازه مع الاسم لعدم صلاحه لتحمل الضمير فقال **هو جند** اي عز وعون **لكم ينصركم** اي على من يقصدكم بالخسف والحصب وغيرهما ويجوز ان يكون التقدير الكم اله يدبر مصالحكم غيرنا ام كان الذي عذب من كذب الرسل سوانا ام لكم جند يشار اليه ينصركم دوننا كما قال تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا ولكنه اخرجه مخرج الاستفهام عن تعيين الجند تعريفا بانهم لغاية جهلهم اعتقدوا ان لهم من اجناد الارض او السما من ينصرهم والا لما كانوا آمنين ولما كانت المراتب متضايلة عن جنابه متكثرة جدا قال تعالى مشيرا بالحرف والظرف الى ذلك منبها على ظهوره سبحانه فوق كل شي لم يقدر احد ولا يقدر ان ينازعه في ذلك ولا في انه مستغرق لما دونه من المراتب **من دون الرحمن** ان ارسل عليكم عذابه واظهر ولم يضمر بعثا على استحضار ما له من شمول الرحمة وتلويحا الى التهديد بانه لو قطعها عن احد ممن اوجده عمه الغضب كله ولذلك قال مستنتجا عنه تنبيها على ان دفع المضار وجمع المسار ليس الا بيده لانه المختص بالملك **ان** اي ما وابرز الضمير تعميما وتعليقا للحكم بالوصف ومواجهة بذلك لانه اقعد في التوبيخ فقال **الكافرون** اي العريقون في الكفر وهم يموت عليه **الا في غرور** اي قد احاط بهم فلا خلاص لهم منه وهو انهم يعتمدون على غير معتمد ولما قدم اعظم الرحمة بالحياطة والنصرة الموجبة للبقا اتبعه ما يتم به البقا فقال **امن** واشار الى القرب بالعلم والبعد بالعلو والعظمة بقوله **هذا** واشار الى معرفة كل احد له بصفاته العلية التي تنشا عنها افعاله الحكمية السنية فقال **الذي يرزقكم** اي على سبيل التجدد والاستمرار لا ينقطع معروفه ابدا مع انه قد وسع كل شي ولا غفلة له عن شي **ان امسك رزقه** بامساك الاسباب التي ينشا عنها ويكون وصوله اليكم منها كالمطر ولو كان الرزق موجودا وكثيرا

وسهلا

وسهلا التناول نوضع الاكلة في فمه فامسك الله عنه قوة الازدراد عجز اهل السموات والارض عن ان يسوغوه بتلك اللقمة ولما قامت بهذا الدليل قدرته وشمول علمه على سبيل العموم فالخصوص فكان ذلك مظنة ان يرجع الجاحد ويخجل المعاند ويعلم الجاهل ويتنبه الغافل فكان موضع ان يقال هل رجعوا عن تكذيبهم عطف عليه قوله لافتا الكلام الى الغيبة اعراضا عنهم تنبيها على سقوط منزلتهم بسوء افهامهم وقوة غفلتهم **بل لجوا** اي تمادوا واسفاهة لا احتياطا وشجاعة قال الرازي في اللوامع تعم الامر مع كثرة الطوارق عنه **في عتو** اي مظروفين لعناد وتكبر عن الحق وخروج الى فاحش الفساد **ونفور** اي شراد عن حسن النظر والاستماع دعا اليه الطباع واستولى ذلك عليهم حتى احاط بهم مع انهم لا قوة لاحد منهم في جلب سار ولا دفع ضار ذا الداعي الى ذلك الشهوة او الغضب ولما كان هذا فعل من لا بصر له ولا بصيرة سبب عنه قوله ممثلا للموحد والمشرك بسالكين ولدينيهما بمسلكين **افمن يمشي** اي على سبيل الاستمرار **مكبا** اي داخلا بنفسه في الكب وصايرا اليه وهو السقوط **على وجهه** وهو كناية عن السير على رسم مجهول واثر معوج معلول على عادة العقلا لخلل في اعضايه واضطراب في عقله وارايه فهو حين يعثر فيخر على وجهه لانه لعدم نظره يمشي في اصعب الاماكن لامالة الهوى له عن المنهج المسلوك وغلبة الجهل عليه فهو بحيث لا يكون تكرر المشاق عليه زاجرا له عن السبب الموقع له فيه ولم يسم سبحانه ممشاه طريقا لانه لا يستحق ذلك ولما كان ربما صادف السهل لا عن بصيرة بل اتفاقا قال **اهدى** اي اشد هداية **ام من يمشي** دايما مستمرا **سويا** قايما رافعا راسه ناصبا وجهه سالما من العثار لانتصابه يبصر ما امامه وما عن يمينه وما عن شماله **على صراط** اي طريق موطا واسع مسلوك **مستقيم** اي هو في غاية القوم هذا مثل من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا فانه ضبع الفطرة الاولى السليمة عن شهوة او غضب وشايبة حظ والاول مثل الكافر حاله في سيره ه الى الله حال المكب اي الذي كب نفسه بغاية الشهوة على وجهه لا يرى ما حوله ولا يشعر بما احاط به ولا ينظر في الايات ولا يعتبر بالمسموعات فهذا اليوم مشي باطن يظهر يوم القيمة فيحشر على وجهه الى النار جزا لرضاه بحالته هذه في هذه الدار فيظهر له سبحانه ما ابطن له اليوم والمؤمن بخلاف ذلك فيهما والاية من الاحتباك ذكر الكب اولا دليلا على ضده ثانيا والمستقيم ثانيا دليلا على المعوج اولا وسره انه ذكر انكا ما للمجرم واسر ما للمسلم ولما كان العرب الموعوظون بهذا الذكر يتغالون في التفاخر بالهداية في الطرق المحسوسة وعدم الاخلال بشكر المعروف لمسديه ولو قل فنفى عنهم الاول بقيام الادلة على خطايهم الفاحش في كل ما خالفوا فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من طريقهم المعنوي الذي اتخذوه دينا فهو اشرف من الطريق المحسوس اتبعه بيان انسلاخهم من الثاني مع التاكيد لانسلاخهم من الاول فقال امرا للرسول صلى الله عليه وسلم بتنبيههم لان الانسان عن نوعه اقبل لانه اليه اميل اسقاطا لهم عن رتبة الفهم عن الله لسفول هممهم لقصور نظرهم مع انه جعل لهم حظا ما من الحضور بتاهيلهم لخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قامتهم بالمذكور في الاية فيما يرجى معه العلم ويورث الفطنة والفهم **قل** اي يا اشرف الخلق واشفقهم عليهم مذكرا لهم بما دفع عنهم الملك من المفسدات وجمع لهم من المصلحات والقوى والعقل ليرجعوا اليه ولا يعولوا في حال من احوالهم الا عليه وينظروا في لطيف صنعه وحسن تربيته فيمشي كل منهم سويا **هو** اي الذي شرفكم بهذا الذكر وبين لكم هذا البيان **الذي انشاكم** اي اوجدكم ودرجكم في مدارج التربية حيث طوركم في اطوار الخلقة في الرحم ويسر لكم بعد الخروج اللبن حيث كانت المعدة ضعيفة عن الكثيف منه ولما كان اعظم النعم بعد الايجاد العقل اتبعه به وبدا بطريقه تنبيهه فقال **وجعل لكم** اي خاصة مسببا عن الجسم الذي انشاه **السمع** اي الكامل لتسمعوا ما تعقله قلوبكم فيهديكم ووحده لقلة التفاوت فيه ليظهر سر تصرفه سبحانه في القلوب بغاية المفاوتة

مع انه اعظم الطرق الموصلة للمعاني اليها والابصار لتنظروا صنايعه فتعتبروا وتزدجروا عما يرديكم
والافئدة اي القلوب التي جعلها سبحانه في غاية التوقد بالادراك لما لا يدركه بقية الحيوان لتشكروا
فتقبلوا على ما يعليكم وجمعهما لكثرة التفاوت في نور الابصار وادراك الافكار وهذا تنبيه على اعمال هذه
القوي في درك الحقايق بتلطيف السر لتدقيق الفكر قال الشيخ ولي الدين الملوي انظر الى الافئدة كيف تحكم
بان الاثنين اكثر من الواحد وان الجسم الواحد لا يكون في مكانين في آن واحد وان الضدين لا يجتمعان
وغير ذلك مما لا يخفى ولما كان التقدير فتسببتم مشي المكب على وجهه فلم تستعملوا شيا من هذه الاسرار التي
فيما خلق له كانت ترجمة ذلك قليلا واكد المعنى بما صورته صورة النافي فقال ما ولما زاد تشوف
النفس الى العامل في وصف المصدر دل عليه بقوله تشكرون اي توقعون الشكر لمن اعطاكم ما لا تقدرون
قدره باستعماله فيما خلق لاجله وانتم تدعون انكم اشكر الناس للاحسان واعلاكم في العرفان ولما دل
سبحانه على بعدهم عن الهداية وعن الشكر اللذين تفخرون على الناس كافة بكل منهما واستعطفهم بما اودع
فيهم من اللطايف الربانية الروحانية المقتضية بنورانيتها للعروج الى مواطن القدس ومعادن الانس
دل على قدرته على حشرهم تحذيرا لهم من التمادي في الاعراض بمعنى تجلي كل منهم في نفسه على وجه دال
على كمال قدرته بما اودع فيهم مع تلك اللطايف من كثايف طباع الارض الموجبة للسفول ليكون اذا
اعلته تلك اللطايف بالتوبة مجتهدا في تنقية آثار تلك الكثايف المسفلة كما يكون للزرع اذا حصد من
بقايا تلك الجذور التي ان لم تقلع من اصلها عادت بالنبات الى ما كان عليه الزرع اولا فقال مستانفا بيانا
لانه دليل برأسه كاف فيما سيق له قل هو اي وحده الذي ذرأكم اي خلقكم وبثكم ونشركم وكثركم وانشاكم
بعد ما كنتم كالذر اطفالا ضعفاء ثم قواكم ثم جعلكم شيبا ضعافا واسكنكم الغضب والذعر واللجاج الحامل
لكم على الولوع بما يلجي اليه الطبايع المثيرة في الارض التي تقدم انه ذللها لكم ورزقكم منها النبات الذي
تقدم انه ابداه منها ثم رده اليها وافناه فيها ثم اعاده كما كان بعد ان صار رفاتا وشيا فانيا مما شا
دليل على القدرة على البعث لا فرق في ذلك بينه وبينكم اصلا فكان منه البدو واليه وحده تحشرون
شيا فشيا الى البرزخ ودفعة واحدة يوم البعث على ايسر وجه بمن اراد من عباده كرها منكم كما كان
امركم في الدنيا فانه لم يكن الى الانسان منكم احب من الدعة والسكون فكان سبحانه يضطره بما اودعه
من الطبايع المتضادة واثار له من الاسباب في تطلب رزقه وغير ذلك من امره الى السعي الى حيث يكره
فكما انه قدر على ذلك منكم في الابتدا فهو يقدر على مثله في الانتها ليحكم بينكم ويجازي كلا على عمله كما يفعل
كل ملك برعيته وكل انسان منكم في جماعته ولما كان التقدير فلقد ابلغ سبحانه في وعظهم بنفسه
وعلى لسانك يا اشرف العباد بما هدى اليه السياق قطعا ذكر ما لهم عند ذلك فقال اعلاما بكثافة
طباعهم حيث لم تلطف اسرارهم لقبول محبة الله واثارة الاحوال الحسنة من الصبر المثبت واليقين
وحسن الانطباع لقبول النصايح والخوف وعدم الاغترار باحد غير الله من جهة نفع او ضر ولذلك
لفت القول الى الاعراض ايذانا بشديد الغضب منهم ويقولون اي يجددون هذا القول تجديدا
مستمرا استهزاء وتكذيبا ويجوز ان يكون حالا من الواو في بل لجوا متى هذا وزادوا في الاستهزاء بقولهم
الوعد والهبوا وهيجوا ايضاحا للتكذيب في زعمهم بقولهم ان كنتم اي جبلة وطبعا صادقين اي
في انه لا بد لنا منه وانكم مقربون عند الله فلو كان لهم ثبات الصبر لما طاشوا هذا الطيش بابراز هذا
القول القبيح الذي ظاهره طلب الاخبار بوقت الامور المتوعد به وباطنه الاستعجال به
استهزاء وتكذيبا ولما كان قولهم مع هذا الاستعجال بامر الساعة استهانة بها حتى انها عندهم
كانها من قبيل الوعد الحسن وهو متضمن لايهام انها مما يطلع الخلق على تعيين وقته نفي ذلك بيانا لعظمتها

بعظمة

بعظمة من امرها بيده فقال آمرا له بجوابهم مؤذنا بدون ذلك للاعراض لانهم لا ينكرون علمه تعالى ذلك
للانكار قل اي يا اكرم الخلق منبها لهم على تحصيل اليقين بان ما علموه حكموا بعلمهم فيه وما لا ردوا علمه الى
الله انما العلم اي المحيط من جميع الوجوه بما سالتم عنه من تعيين زمان هذا الوعد وغيره ولاجل اظهار
فضل العلم اللازم من كماله تمام القدرة صرف القول عن عموم الرحمة الى ابهام العموم المطلق بالاسم
الاعظم فقيل عند الله اي الذي له الاحاطة بجميع صفات الكمال فهو الذي يكون عنده وبيده جميع ما
يراد منه لا يطلع عليه غيره وهيبته تمنع العالم بما له من العظمة ان يجتري على سواله عما لم ياذن فيه
وعظمته تقتضي الاستيثار بالامور العظام والى ذلك يلوح قوله وانما انا ولما كان السياق للتهويل
والتخويف وكانت النذارة يكفي فيها تجويز وقوع المنذر به فكيف اذا كان مظنونا فكيف اذا كان معلوم
الوقوع في الجملة ليكون العاقل متوقعا له في كل وقت قال نذير اي كامل في امر النذارة التي يلزم منها
البشارة لمن اطاع النذير لا وظيفة لي عند هذا الملك الاعظم غير ذلك فلا وصول الى سواله عما لا يؤذن
لي في السوال عنه ولما كان النذير قد لا يقدر على اقامة الدليل على ما ينذر به لانه يكفي العاقل
في قبوله غلبة الظن بصدقه بل امكان صدقه في التحرز عما ينذر به بين ان ليس كذلك فقال مبين
اي كاشف للنذري غاية الكشف باقامة الادلة عليها حتى تصير كانها مشاهدة لمن له قبول للعلم
ولما كان ما ينذر به لا بد من وقوعه وكان كل آت قريبا عبر عن ذلك بالفا والماضي فقال
صارفا القول الى الاعراض لان وقت الرؤية للعذاب في غاية المناسبة للاهانة فلما راوه اي الوعد
بانكشاف الموعود به عند كونه وحقق معنى الماضي والفا بقوله زلفة اي ذا قرب عظيم منهم وذلك
بالتعبير عن اسم الفاعل بالمصدر ابلاغا في المعنى المراد واكد المبالغة بالتا لانها ترد للمبالغة اذا لم يرد
منها التانيث ولا سيما ان دلت قرينة اخرى على ذلك ولما كان المخوف في النذري الوقوع في
السوء لا بعيد كونه من معين قال سيئت ولما كان السوء يظهر في الوجه قال وجوه واظهر في
موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال الذين كفروا اي ظهر السوء وغاية الكراهة في
وجوه من اوقع هذا الوصف ولو على ادنى وجوه الايقاع وغلبتها الكآبة ولما كان لا اوجع من
التبكيت عند احاطة المكروه من غير حاجة الى تعيين فاعله بني للمفعول قوله وقيل اي لهم تقريعا
وتوبيخا هذا الذي كنتم اي جبلة وطبعا به اي بسببه ومن اجله وصرف القول الى الخطاب لانه
التفريع به انكا في العذاب تدعون اي تطلبون اي توقعون الطلب له طلبا شديدا تبلغون فيه غاية
الجهد على وجه الاستعجال ان ينزل بكم مكروهه فعل من لا يبالي بوجه وتكررون ذلك الطلب وتعودون
اليه في كل وقت معرضين عن السعي في الخلاص فيه من عدوان العذاب ونيل الوعد الحسن بجزيل الثواب
ولبيان قوة طلبهم له وتداعيهم اليه استهزاء به حتى كانهم لا مطلوب لهم غيره قدم الجار المفيد غالبا للاختصاص
وهو افتعال من دعا الشي وبالشي اذا طلبه ودعاه الله بمكروه انزله به ولما كان من المعلوم ان من
نهى آخر عن هواه وبالغ في ذلك ابغضه ذلك المنهي وتمنى هلاكه فكيف اذا والى عليه الانذار والتخويف بما
لا يصل الى دركه عقله ولا يرى له مقدمة يتحققها وكان الكفار يسعون في هلاك النبي صلى الله عليه وسلم
ومن تبعه كل سعي وكان هلاك النذير انما ينفع المنذر على تقدير نجاته من هول ما كان يحذره منه
النذير امره سبحانه ان يذكرهم بهذا لينظروا في ذلك المتوعد به فان كان ممكنا سعوا في الخلاص مما قد
يكون منه من العذاب وسلكوا في الهرب منه مسلكا سهلا يبعد من سوء الانقلاب ونحوا الى فسيح المناخ
منه من اوسع باب او كفوا عن السعي في هلاك النذير وطووا ما مدوا له من الاسباب ليدلهم اذا كان
صادقا على شي يجيهم او يخففه عنهم ذلك المصاب فقال منبها على شدة الحذر من مكر الله وعدم الاغترار به

للمومن الطايع لعلمه انه لا يقدر الله حق قدره فكيف بالعاصي فضلا عن الكافر مكررا للامر بالقول تنبيها على ان كل جملة صدرت به كافية في الدلالة على معصوم السورة وقايلة اليه لما اشتملت عليه من باهر القدرة ووافر العظمة **قل** اي لهولا الذين طال تضجرهم منك وهم يتمنون هلاكك **أرأيتم** اي اخبروني خبرا انتم في الوثوق به على ما هو كالروية **ولما** كانوا غير عالمين بعاقبة الامر في هلاكه ومن معه بما يقصدونهم به حذرهم عاقبة ذلك بالتعبير باداة الشك واسناد الاهلاك الى الله معبرا عنه بالاسم الدال على تناهي العظمة الى حد لا يدع لغيره منها شيا اعلاما بانه على القطع بانه لا شي في ايديهم فهو لا يخافهم بوجه فقال **ان اهلكني** اي اماتني بعذاب او غيره **الله** اي الذي له من الجلال والاكرام ما يعم به وليه ويقصم عدوه **ومن معي** اي من المومنين والمناصرين بغضبه علينا مع ما لنا من الاسباب بالطاعة بالاعمال الصالحة التي رتب سبحانه عليها الفوز والنجاة حتى لا يبقى احد ممن يكدر عليكم بالمنع من الهوى القايد الى التوى والحث على العقل الضامن للنجاة **أو رحمنا** بالنصرة واظهار الاسلام كما نرجوا فانجانا بذلك من كل سوء ووقانا كل محذور واتى لنا كل سرور **فالاية** من الاحتباك ذكر الاهلاك اولا دليلا على النجاة ثانيا والرحمة ثانيا دليلا على الغضب اولا **فمن** وكان ظاهر الحال يقتضي يجيركم مع طلبكم المسببات من الفوز والنجاة بغير اسباب بل باسباب منافية للنجاة جالبة للعذاب فوضع الظاهر موضع المضمر تعميما وتعليقا للحكم بالوصف واستعطافا لهم الى ايقاع الايمان والرجوع عن الكفران فقال **يجير الكافرين** اي العريقين في الكفر بان يدفع عنهم ما يدفع الجار عن جاره **من عذاب أليم** يصيبهم به الذين هم عالمون بانه لا شي الا بيده وانه لا ينجي احد من الموت الذي خلقه وقدره بين عباده جزا على ما كانوا يعملون به من يدعوهم اليه وينصحهم فيه فاذا كان لا ينجيهم من عذابه شي سوا امتنا او بقينا فالذي ينبغي لهم ان كانوا عقلا السعي فيما ينجي من عذابه لا السعي في اهلاك من هو ساع في خلاصهم من العذاب ولا يقدرون على اهلاكه اصلا الا بتقدير الذي امره بانذارهم **ولما** كان لا يقدر على النعيم بالنعمة الا من كان عام النعمة والرحمة وكان التذكير بالنعم اشد استعطافا صرف القول الى التعبير بما هو صريح في ذلك قال مذكرا بذلك لعلمهم بانه لا نعمة عليهم الا منه واعترافهم بذلك ليحذروه ويتذكروا عموم قدرته فيعلموا اقتداره على البعث فينفصل النزاع **قل** يا خير الخلق **هو** اي الله وحده **الرحمن** اي الشامل الرحمة لكل ما تناولته الربوبية فلا يليق في عقل عاقل ان يدع احدا من خلقه في ظلم ظالمه فلا ياخذ له بحقه لان ذلك لا يرضاه اقل الناس لنفسه مع عجزه فكيف بمن هو كامل القدرة والا لما قدر على عموم الرحمة **امنا به** اي انا ومن امن بي لهذا البرهان القاطع بانه لا يكافيه شي فهو كاف في الايمان به **وعليه** اي وحده **توكلنا** لانه لا شي في يد غيره والا لرحم من يريد عذابه او عذب من يريد رحمته فكل ما جرى على ايدي خلقه من رحمة او نقمة فهو الذي اجراه لانه الفاعل بالذات المستجمع لما يليق به من الصفات فنحن نرجوا خيره ولا نخاف غيره وقد افردنا له بهذه العبارة على وجه الحصر بالالوهية والربوبية فلا نجنح في السلوك اليه الى معوق عن ذكره والتفكر في الاية ولو كان المعوق نفيسا في ظاهر الحياة الدنيا ولو كان مخوفا فانه لا خوف معه سبحانه والتوكل عليه منجاة لكل هلكة مجلبة لكل ملكة ولم نفعل كما تفعلون انتم في توكلكم على رجالكم وجاهكم واموالكم **ولما** ابان هذا طريق الصواب وجلى كل ارتياب وكان لا بد من الرجوع اليه والانقلاب لاتمام الرحمة بالثواب والعقاب سبب عنه قوله **فستعلمون** اي عند التجلي عليكم بصفة القهر عما قليل بوعد لا خلف فيه **من هو** اي منا ومنكم متداع بذاته ظاهرا وباطنا **في ضلال** اي اخذ في غير مسلك موصل الى مقصد محيط به الضلال بحيث انه لا قدرة له على الانفكاك منه الا ان اطاع من يخرجه منه **ولما** كان الشي اذا كان فيه نوع لبس كان ربما اقتضى قبول العذر قال **مبين** اي بين في نفسه موضح لكل احد انه لا خفا به **ولما** افتتح السورة بعظيم

بركته

بركته وتمام قدرته وتفرده في مملكته ودل على ذلك بتفرده بالاماتة والاحيا ختم بمثل ذلك بالما الذي وجوده سبب للحياة وعدمه سبب للموت فقال قارعا بالتنبيه حشيرا بتكرير الامر الى مزيد التوبيخ والزجر والتبكيت دالا على تعيين ما ابهمه من اهل الضلال ومصرحا بما لوح اليه من ذلك الاجمال **قل** يا اعظم خلقنا واعلمهم بنا **أرأيتم** اي اخبروني اخبارا لا لبس فيه **ولما** كان شديد العناية بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم سكن قلبه في وعيدهم بالاشارة الى الرفق بهم لاجله فابتدأ الوعيد بحرف الشك فقال **ان** **ولما** كانت النعمة اشد ما تكون اذا كانت في الصباح الذي هو موضع ارتفاق الفلاح قال **أصبح ماؤكم** اي الذي تعدونه في ايديكم بما نبهت عليه الاضافة **ولما** كان المقصود المبالغة جعله نفس المصدر فقال **غورا** اي نازلا في الارض بحيث لا يمكن لكم نيله بنوع حيلة بما دل على ذلك الوصف بالمصدر **فمن ياتيكم** على ضعفكم حينيذ وافتقاركم وانخلاع قلوبكم واضطراب افكاركم **بما معين** اي جار دايما لا ينقطع او ظاهرا للاعين سهل الماخذ فقد رجع هذا الاخر كما ترى على ذلك الاول وعانقه على احسن وجه واكمله

مقصودها اظهار ما استتر وبيان ما ابهم في اية فستعلمون من هو في ضلال مبين بتعيين المهتدي الذي برهن على هدايته جبارته العلم الذي هو النور الاعظم الذي لا يضل مصاحبه بتعقل القران والتخلق بالفرقان الذي هو صفة الرحمن بقدر الامكان الذي تصل اليه قوة الانسان وادل ما فيها على هذا الغرض ن وكذا والقلم فلذا سميت بكل منهما وبالكلام على كل منهما يعرف ذلك وحاصله ان النون مبين محيط في بيانه كما يحيط ضو الشمس بما يظهره وكما يحيط الدواة بمدادها باية ما دل عليه بمخرجه وصفاته واستقرا الكلم الواقع فيها ذات المعاني التي اشتركت في لفظه واما القلم فابانته للمعارف امر لا ينكر **بسم الله** الذي له الاحاطة الكاملة فهو على كل شي قدير لانه بكل شي عليم **الرحمن** الذي عمت نعمة ايجاده لاهل معاده البري منهم والسقيم **الرحيم** الذي اتم تلك النعمة على من وفقه لطاعته فالزمه الصراط المستقيم **لما** ابهم الضال والمهتدي في اخر الملك والمسي والمحسن في العمل اولها وختم باية الما المعين الذي دلت حروفه بمجموعها على تمام معناه ودل كل واحد منها على شي منه فدلت ميمه على تمام شي ظاهر وعينه على ابة هاديه وياوه على قايم ملطف متنزل مع كل مقام ونونه على مظهر مبين محيط بما اظهره وردهم سبحانه اليه بعد شرادهم عنه بالاستفهام في هذه الاية بما نبههم عليه من عجزهم وعجز كل من يدعونه من دونه وانه لا يقدر على الاتيان بذلك الما الذي هو حياة الاشباح بعد ذهابه الا من تمت قدرته فكان قادرا على كل ما يريد وكان لا يقدر على كل ما يريده الا من كمل علمه الذي يحيي به ميت الارواح دل على شمول قدرته بكمال علمه بما افاضه على هذا النبي الامي من العلوم التي زخرت بحارها فاحيى مدارها واغرق تيارها فافتتح هذه السورة بكلمة البيان وهو اسم الحرف الذي هو اخر حروف تلك ومن لوازم بعض ما دل عليه الما الذي هو الحياة المصححة للعلم ونبه على نصبه له سبحانه دليلا على العلم بما دل عليه من مخرج مسماه وصفاته ومواقعه في الكلم في جميع تقلباته فقال **ن** هذه الكلمة حرف من حروف المعجم وهي اسم لمسمى به ظهور الاشيا وعلمها وادراكها كما دل عليه موقعه في اسم النور والنار والنيل والنمو والمباهة والنقا والنصح والنبا والنجابة والنجاة والبحث والندم وقد تقدم في البقرة عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال لكل كتاب سر وسر القران هذه الحروف ولا يعلم ما هي الا واضعها سبحانه **ولما** كان هذا الحرف مشتركا في اللغة بين حرف المعجم والدواة والحوت وشفرة السيف يسكن للدلالة بادي بدء على انه حرف ولا يمنع اسكانه المناسب في البنا من ارادة بقية المعاني لان العرب ربما سكنت الكلمة بنية الوقف تنبيها على عظمة معناها فلا يلزم من الاسكان عن غير عامل البنا وقيل النون اللوح والنونة الكلمة من الصواب والسمكة فهو صالح لحرف المعجم الكلي الصالح لكل فرد وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اخر حروف الرحمن وللدوا

لما يتاثر عنها من العلوم والحوت الذي على ظهره الكون واسمه البهموت لما في ذلك من عجايب القدرة والاسرار
ويكون الاقسام وقع بالنون سفلا والقلم علوا للاحاطة والسيف لما يتاثر عنه من جليل الاثار وكيف ما كان المراد
فهو للاحاطة وهو سر باطن لا يظهر وانما تظهر نتايجه فهو الحكم ونتايجه القضا والقدر بالاشقا والاسعاد **ولما**
كان هذا الحرف اية الكشف للاشيا كان مخرجه امكن المخارج وايسرها واوسعها وهو راس المقول فانه يخرج
مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا من اللثة وهو اخرج من مخرج اللام ومن مخرج الرا ايضا وتسمى هذه الحروف
الثلثة الذلقية مع بقية حروف فر من لب لان طرف كل شي ذلقه والنون امكنها في هذا المخرج فاشدها انطباقا
فيما بين اللسان واللثة وهو مما كرر مسماه في اسمه فانتهى الى حيث ابتدا واختص بكون عماده وقوامه الحرف
الاقوى الاظهر ذا الرفعة والعلو وهو الواو والذلقية التي هو احدها ضد المصمتة وهو اخف الحروف على
اللسان واكثرها امتزاجا بغيرها واما المصمتة فمنعت ان تنفرد بنفسها في لغة العرب في كلمة هي اكثر من ثلاثة
احرف بل لا بد ان يكون معها بعض الذلقية والالف خارجة عن الصنفين لانها مجرد هوا لا مستقر لها فقد
ناسبت مخرجها لسعته وخفته ووصفها بالذلاقة التي يقع لما اتصف بها من الحروف الكمال غنية عن سواها
ولا يقع لما لم يخالطها كمال فيما ذكر مما ذكر من ان معناها البيان والاظهار **ومن** صفاته الجهر وبين الشدة
والرخاوة والانفتاح والاستفال والغنة الخارجة من الخيشوم اذا سكن وكل هذا واضح في العلم الذي له
الاتساع والانتشار والتغلغل في الاشيا الباطنة ويشاركه الميم في الغنة كما انه يشاركه في ان له حظا من
الظهور والنون هو الاصل في الغنة كما انه الاصل في الظهور لما له من العلو بالعماد وهو ايضا من حروف الزيادة
والزيادة التي لا تستقر على حال فتقع مرة زوايد واخرى اصولا كما ان العلم ايضا كذلك لا استقرار له بل كلما
وسعته اتسع وكلما تركته اضمحل وانجمع وهو من حروف الابدال التي تبدل من غيرها ولا يكون غيرها بدلا
منها ولازم الميم بدل من البا بخلاف العكس كما ان العلم اصل يتبعه غيره ولا يكون هو تابعا لغيره وهي من الحروف
الصحيحة وليست معتلة والعلم جدير بهذا الوصف وهو اذا كان مخفى من الحروف المشربة ويقال لها المخالطة
بكسر اللام وفتحها وهي التي استحسنتها العرب فزادتها على التسعة والعشرين المستعملة وهو من الحروف الصتم
وهي ما عدا الحلقية سميت بذلك لتمكنها في خروجها من الفم واستحكامها فيه يقال للمحكم المصمت والعلم اشد
ما يكون مناسبة لهذا الوصف فقد انطبقت مخرجها وجميع صفاتها على العلم الذي هو مقصود السورة فتبين حقا
انه وامارته القلم في بيان العلم واظهاره وكشف خفاياه واسراره وبثه واشهاره فهي بحيث لا يجهلها
احد اتصف بالعقل ومما يختص به هذا الحرف انه يصحب كل حرف لان حركته هو ما يعبر عنه التنوين الذي استطال
بالحركات هو ما ايته العلم المكمل به الحياة الذي هو اية ما يعبر عنه هذه الحركات فلما كانت الحركات اية على
ما هو الحياة كان التنوين عقبها اية على ما به كمال الحياة من العلم وهو سبب لما به القيام من الظهور
ومن معناه اسمه تعالى النور ثم هو اسم لكل ما يظهر ما خفي باطنا كالعلم في الادراك الذي تظهر حقايق الاشيا
به وظاهرا كالنيرين للعيون وساير الانوار الظاهرة والباطنة وما هو وسيلة الظهور ما كالعيون فيما
تنشا هذه الاشيا وتظهر به صورها والدواة التي منها مداد ما كتب بالقلم في العوالم اعلاها وادناها وكل
آلة يتوصل بها الى اظهار صورة تكون تماما للنون الذي هو مداد كل شي كون الله به الكاينات والبادي
وجعلنا من الما كل شي حي ومنه معنى النجم النباتي الذي هو للشجر بمنزلة القول للبشر ملتبسا بالنور بالفتح
الذي فيه حظ من النور بالضم والدري الذي هو ظاهر في نفسه مظهر لطرق الاهتدا وكذا الامر في النار المخلصة
من رتبة ظلمتها التي هي غايتها بالرماد وابتداؤها بما تخرج منه من شجر وحديد وحجر **ولما** كان هذا
الحرف اسما لما به ظهور امور لم يختص بشي من المظهرات دون آخر بل شمل النور والحاسة والمراد والمادة
ولذلك كان مع الكاف الذي علم التكوين سبب ظهور كل شي انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون

ولصدقه

ولصدقه على كل مظهر فسره ابن عباس رضي الله عنهما بالدواة ففسر بما يستمد منه العلم وتلحظ موقعه في
نجد فانه اسم لما ارتفع من الارض وظهر في نفسه واظهر غيره وفي نهود الجارية وهو ظهور نهدها وفي
النهب وهو ما اخذ اخذا ظاهرا **كما** قال صلى الله عليه وسلم ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس
فيها ابصارهم وفي النفخ والنفع والنصر والنفر والنقب وما اشبهها فانها كلها ظهور واظهار كالنمو
والمن والنمو ولاجل علوه واستبطانه وانه استغراق المظهر المبين كانت اقامته بتعالي الالف وهو
الواو وانتهاؤه الى مثل ما بدي به وكون الميم تماما كان قوامه بمنزلة الالف التي هي البا في قولك ميم
ولرجوع الواو الى علو الالف كان عمادها الالف في قولك واو **وهذه** الحروف الثلثة ظاهرة في
عالمين ظاهرهما المبدو به وباطنهما المختوم به فالنون الاولى يعبر بها عن نور الابصار والخاتمة يعبر بها
عن نور القلوب **ولما** كان الها وتر الدال وكان محيطا باطنا غيبا وجب ان يكون محل تضعيفه بالبا محل
محيط باطن نازل الرتبة في الغيب عن الها لوقوعه في رتب العشرات وهو النون فكان ظاهرا بالاضافة الى
خفا الها باطنا بالاضافة الى ظهور الميم فيكون بالنون ظهور الميم المعبر عن الملك الذي سبق في السورة الماضية
كما كان شهادة الدال وثبوته بالها ولذلك انبنى تمام كل عمل على نور علم كما كان قوام ظاهر كل دال غيبها وكان
النون مداد المثل العلم الذي يظهر صورها بسط القلم حتى ان اية ما يظهر منه فاظهره القلم هو ما بطن دون
الارض من النون الذي عليه الارض الذي هو اول ما يطعمه اهل الجنة زيادة كبده مع الثور الذي عليه
الارض ايضا الذي يذبح لهم على ما ورد في الخبر وقابل استبطان النون في الارض ظهور القاف على ظاهرها الذي
هو جبل الزبرجد المحيط بالدنيا وعن ذلك كان الاستيلا على القلوب في الدنيا انما يكون بالعلم الذي هو حقيقة نون كما
ان الاستيلا على الاجسام في ظاهر الدنيا انما يكون بالقدرة التي هي حقيقة قاف على ما يظهر من حال العلما في النون
الابطن والملوك في القاف الاظهر وهذان الصنفان من الخلق هما المستوليان على الناس بالايالة ونفوذ
الامر ولذلك اقيم المفصل من القران بحرفي ق ون واقترن ايضا هذان الحرفان في كلمة القران ولفظ
الفرقان اللذين هما من ظواهر اسمايه وانما كان اول ما يطعمه اهل الجنة من الثور الذي عليه الدنيا الذي
كان يرعى في اطراف الجنة على ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام لان صورة الثور هي معنى ما هو الكد والكدح
وجهد العمل في الارض الذي قام عليه امر الدنيا **ولما** كان اهل الدنيا اول ما يرحون منه من امر الدنيا
تقدير امر الكد بين يدي معاشهم في الجنة كان الذي يذبح لهم الثور الذي هو صورة كدهم فياكلونه
وهو جزا ما عملوا به في دنياهم من حيث كانوا ذوي دين فاستحقوا بذلك جزا كدهم بما هو صورته واضيف
لذلك زيادة كبد النون التي هي صورة حظهم من اصل العلم فاطعموها وجوزوا بها وروعي في اعمالهم حسن نياتهم في
اصل دينهم فلما اتوا عليها استقبلوا الراحة والخروج عن الكلفة في معاشهم في الجنة والذي جرهم به سبحانه
الى سني هذه الرتبة ما اتقنه بحكمه من بنا المفصل القراني على حرفي القاف الذي به القوة والقهر والقدرة
والنون الذي به اظهار ذلك للعقل بنور العلم وذلك ان القران نزله سبحانه مثاني ضمن ما عدي المفصل
منه الذي هو من قاف الى خاتمة الكتاب العزيز وفاتحته ما يختص باولي العلم والفقه من مبسوطات الحكم
ومحكمات الاحكام ومطولات الاقاصيص ومتشابه الايات والسور المفتتحة بالحروف العلمية الاحاطة
العلية المنجي المستندة الى احاد الاعداد مما يختص بعلم ظاهرها خاصة ويختص بامر باطنها الى محمد صلى الله عليه وسلم
فلعلو رتبه امر ما عدا المفصل ثنى الحق تعالى الخطاب وانتظمه في سورة كثيرة العدد يسيرة عدد الاي
المفصل ذكر فيها من اطراف القصص والمواعظ والاحكام والانبا وامر الجزا ما يليق بسماع العامة ليشمل
عليهم سماعه وليأخذوا بحظ مما اخذ الخاصة وليتكرر على اسماعهم في قراءة الايمة له في الصلوات المفروضة
التي لا مندوحة لهم عنها ما يكون لهم خلفا مما يفوتهم من مضمون ساير السور المطولات فكان احق ما افتتح به

مفصلهم حرف القاف الذي هو وتر الاحاد حتى صارت عشرة ثم اذا ضربت في نفسها صارت مائة فافتتح
به المفصل ليكون مضمون ما يحتوي عليه اظهر مما يحتوي عليه افتتح بالم ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر
ان يقرا في خطبة يوم الجمعة ق فيفتتح للعامة المتوجة بخطبة يوم الجمعة اليهم لانها صلاة جامعة الظاهرة سورة
بفاتحة المفصل الخاص وفي مضمونها من معنى القدرة والقهر المحتاج اليه في اقامة امر العامة ما فيه
كفاية وشفعت بسورة ن المطهرة ظاهر ق تخصصوا بما فيه الفهم والابانة واختصت سورة ن من مقتضى
العلم بما هو محيط بامر العامة المنتهي الى غاية الذكر الشامل للعالمين لان القوة العرية عن العلم
ربما كان ضررها اكثر من نفعها كما قال بعض السلف كل عز لم يوطده علم فالى ذل يؤول وكما كان
جميع السور التسع والعشرين المفتتحة بالحروف المتضمنة للمراتب التسع في التسعة وللعاشر الجامع للمراتب
التسع بايثار احادها وللعاشر الجامع بضرب العشر المؤثر في نفسه قواما واحاطة في جميع القران كذلك
كان سورة ق وسورة ن قواما خاصا واحاطة خاصة بما يخص العامة من القران الذين تجمعهم
الارض بما احاط بظاهرها من صورة جبل قاف وما احاط بباطنها من صورة حوت ن الذين تمام امرهم
بما بين مددي اقامتهما وبهذه السور المفتتحة بالحروف ظهر اختصاص القران وتميز عن سائر الكتب
لتضمنه الاحاطة التي لا تكون الا للخاتم الجامع واقترن من التفصيل في سورها ما يليق باحاطتها واحاطة
معانيها وابهامها كان كل ما فسرت به من معنى يرجع الى مقتضاها صحيحا في احاطتها ومنزلها من اسماء
الله وترتيبها في جميع العوالم فلا يخطي فيها مفسر لذلك لانه كلما قصد وجها من التفسير لم يخرج عن احاطة
ما يقتضيه ومهما فسرت به من انها من اسماء الله او من اسماء الملائكة او من اسماء الانبياء او من مثل
الاشياء او صور الموجودات او من انها اقسام اقسم بها او فواتح عرفت بها السور او اعداد تدل على
حوادث وحظوظ من ظواهر الامر وباطنه على اختلاف رتب واحوال مما اعطيه المنزل عليه صلى الله عليه ٢
وسلم من مقدار الخلافة والملك والسلطنة وما ينتهي اليه امره من ظهور الهداية ونحو ذلك مما يحيط
بامد يومه الى غير ذلك وكل داخل في احاطتها وكذلك ايضا لا تختص بمحل مخصوص تلزمه علامة اعرابية
مخصوصة فمهما قدر في مواقعها من هذه السور جرا او نصبا او رفعا فداخل في احاطة رتبتها ولم
يلزمها معنى خاص لما لم يكن لها انتظام لانها مستقلات محيطات وانما ينتظم ما يتم معنى كل واحد من
المنتظمين بحصول الانتظام وذلك يختص من الكلم بما يقصر عن احاطة مضمون الحروف حتى انه متى وقع
استقلال واحاطة في كلمة لم يقع فيها انتظام ولما كان قوام هذا الوجود بالسيف والقلم وكان
نون مشتركا بين معاني منها السيف والدواة التي هي آلة القلم واللوح الذي هو محل ما يثبت من العلم
وكان السيف قد تقدم في حيز القاف الذي افتتحت به سورة ق كما هو انسب لتضمنه القوة والقدرة
والقهر في سورة الحديد بعد الوعظ والتهديد والتذكير بالنعم في السور الواقعة بينهما ذكر هنا ما
هو لحيز النون من اية العلم فقال مقسما والقلم اي قلم القدرة الذي هو اول ما ابدعه الله ثم قال له اكتب
فخط جميع الكائنات الى يوم القيمة في اللوح المحفوظ حقيقة وفي الواح صفحات الكائنات حالا ومجازا فاظهر
جميع العلوم ثم ختم على فيه فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيمة والذي يكتب به الخلق ما نولهم الله من تلك المعارف
والفهوم وذلك هو قوام امور الدنيا والاشارة به الى القضا الذي هو من نتايج نون لانه من مصنوعات
الله الظاهرة التي اقتضت حكمته سبحانه ايجادها ووجهه الى تفصيل ما جرى به الحكم ولما كان الحاصل
بالقلم من بث الاخبار ونشر العلوم على تشعبها والاسرار ما يفوق الحصر فكان كانه العالم المطيق واللبس
المنطبق وكان المراد به الجنس اسند اليه كما يسند الى العقلاء فقال وما يسطرون اي قلم القدرة
وجمعه واجراه مجرى اولي العلم للتعظيم لانه فعل افعالهم او الاقلام على ارادة الجنس ويجوز ان يكون الاسناد

الى

الى الكاتبين به لما دل عليهم من ذكره اما الملائكة ان كان المراد ما كتب في الكتاب المبين واللوح المحفوظ
وغيره مما يكتبونه واما كل من يكتب منهم ومن غيرهم حتى اصاب الصحيفة الظالمة التي تقاسموا فيها على ان يقاطعوا
بني هاشم ومن لاقهم حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعون به ما شاؤوا فكيف ما كان فهو
اشارة الى القدر لانه انما يسطر ما قضى به وحكم ولما كان المخاطب بهذا صلى الله عليه وسلم قد عاشر
المرسل اليهم دهرا طويلا وزمنا مديدا اربعين سنة وهو اعلاهم قدرا واطهرهم خلايق واسمهم عقلا واحكمهم
رايا وارفعهم عن شوايب الادناس همة وازكاهم نفسا بحيث انه لا يدعى بينهم الا بالامين ولم يجدوا له شيئا
يستحق به ان يصفوه بسببه بالجنون الذي ينشا عنه الضلال عن المقاصد المذكور آخر الملك في قوله
فستعلمون من هو في ضلال مبين الا النعمة التي ما نال احد قط مثلها في دهر من الدهور ولا عصر من
الاعصار قال مجيبا هذا القسم العظيم رادا عليهم باجلى ما يكون وادله على المراد وتانيسا له صلى الله عليه وسلم
بما اوجب افتراوهم عليه له من الوحشة وشرحا لصدره وتهدية لسره ما انت اي يا اعلى المتاهلين
لخطابنا بنعمة اي بسبب انعام ربك المربي لك بمثل تلك الهمم العالية والسجايا الكاملة بان خصك بالقران
الذي هو الجامع لكل علم وحكمة واكد النفي زيادة في شرفه صلى الله عليه وسلم فقال بمجنون اي بل الذي
وصفك بهذا هو الحقيق باسم الجنون ومعناه فضلا عن الضلال الذي ردد في آخر تلك بينك وبينهم فيه
سلوكا لسبيل الانصاف لينظروا في ذلك بالادلة فيعلموا ضلالهم وهداك بالدليل القطعي بالنظر في الآثار
المظهرة لذلك غاية الاظهار فنفي عنه صلى الله عليه وسلم الشقاوة التي سببها فساد العقل فثبتت السعادة
التي سببها صلاح العقل ونعمة الرب وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير لما تضمنت سورة الملك من عظيم البراهين
ما تعجز العقول عن استيفا الاعتبار ببعضه كالاعتبار بخلق السموات في قوله تعالى الذي خلق سبع سموات
طباقا اي يطابق بعضها بعضا من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق ويشعر هذا بتساويها في مساحة اقطارها
ومقادير اجرامها والله اعلم ووقع الوصف بالمصدر ليشعر باستحكام مطابقة بعضها لبعض انبا منه سبحانه
انها مع عظيم اجرامها وتباعد اقطارها يطابق بعضها بعضا من غير زيادة ولا نقص ما ترى في خلق الرحمن من
تفاوت اي من اختلاف واضطراب في الخلقة او تناقض ما ترى فيه من تفاوت ليشعر ان جميع المخلوقات جار على
هذا كل شكل يناسب شكله لا تفاوت من ذلك ولا اضطراب فاعطي الظاهر من التنعيم ما لم يكن ليعطيه للاضمار كما اشعر
خصوص اسم الرحمن بما في هذه الادلة المبسوطة من الرحمة للخلايق لمن رزق الاعتبار ثم نبه تعالى على ما يرفع الريب
ويزيح الاشكال في ذلك فقال فارجع البصر اي عاود الاعتبار وتامل ما شاهدته من المخلوقات حتى يصح عندك
ما اخبرت به بالمعاينة ولا يبقى معك في ذلك شبهة هل ترى من فطور اي من صدوع وشقوق ثم امر تعالى
بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا هل تجد عيبا او خللا ينقلب اليك البصر خاسئا اي انك اذا فعلت هذا رجع بصرك
بعيدا عن اصابة الملتمس كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار وبالاعيا وبالكلال لطول الاجالة والترديد
وامر برجوع البصر ليكون في ذلك استجابة واستعداد حتى لا يقع بالوجهة الاولى التي يمكن فيها الغفلة والذهول
الى ان يحسر بصره من طول المعاودة اذ معنى التثنية في قوله كرتين التكرير كقولهم لبيك وسعديك فيحسر البصر
من طول التكرار ولا يعثر على شي من فطور فلو لم تنطو السورة على غير ما وقع من اوله الى هنا لكان في ذلك اعظم
معتبر واوضح دليل لمن استبصر اذ هذا الاعتبار بما ذكر من عمومه جار في كل المخلوقات ولا يستقل بفهم مجاريه الا الاحاد
من العقلاء بعد التحريك والتنبيه فشهادته بنبوة الآتي به قايمة واضحة ثم قد تكررت في السورة دلالات كقوله
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وقوله الا يعلم من خلق الايات الى آخر السورة وادناها كاف في الاعتبار
فانى يصد بعض عن متصف ببعض ما هزوا به في قولهم مجنون وساحر وشاعر بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
فلعظيم ما انطوت عليه سورة الملك من البراهين اعقبت بتنزيه الآتي بها صلى الله عليه وسلم عما تقوله المبطلون

مقسما علي ذلك زيادة في التعظيم وتاكيدا في التعزير والتكرير فقال تعالي ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة
ربك بمجنون واني يصح من مجنون تصور بعض تلك البراهين وقد انقطعت دونها انظار العقلا فكيف ببسطها وايضاحها
في نسق موجز ونظم معجز تتلازم بينهما العقول وعبارة تفوق كل معقول تعرف ولا تدرك ويستوضح سبيلها فلا تسلك
قل لين اجتمعت الانس والجن علي ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله فقوله سبحانه ما انت بنعمة ربك بمجنون ۝
جوابا لقوله تعالي في آخر السورة ويقولون انه لمجنون وتقدم الجواب بنفي قولهم والتنزيه عنه علي حكاية قولهم
ليكون ابلغ في اجلاله صلي الله عليه وسلم واخف وقعا عليه وابسط لحاله في تلقي ذلك منهم ولهذا تقدم مدحه
صلي الله عليه وسلم بما خص به من الخلق العظيم فكان هذا اوقع في الاجلال من تقديم قولهم ثم رده اذ كسر
سورة تلك المقالة الشنعا بتقديم التنزه عنها اتم في الغرض واكمل واوضح اليق بذكر تنزيهه عليه الصلاة والسلام
ووصفه من الخلق والمنح الكريمة بما وصف مما اعقبه ذلك اذ بعض ما تضمنته سورة الملك مما تقدم الايما اليه شاهد
قاطع لكل عاقل منصف بصحة نبوته صلي الله عليه وسلم وجليل صدقه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا ۝ فقد تبين موقع هذه السورة هنا وتلاوم ما بعد من آيها يذكر في التفسير انتهي ۝ ولما نفي عنه ما قالوه
مما توافحوا به فثبت له صلي الله عليه وسلم كمال وكان المجنون من لا يكون له عمل ينتظم ولا قول يرتبط فلا ۝
يستعمله احد في شي ليكون له عليه اجر اثبت له الاجر المستلزم للعقل فيتحقق اثباته من احكم الحكما علي وجه ابلغ
مما لو صرح به فقال علي وجه التاكيد لانكارهم له بما ادعوا من البهت وان لك اي علي ما تحملت من اثقال النبوة
وعلي صبرك عليهم فيما يرمونك به وهو تسلية له صلي الله عليه وسلم لاجرا ولما اثبت له مما يلازم العقل ويصلح
لان يكون في الدنيا وان يكون في الاخرة بتنوينه وما افهمه من السياق من مدحه علي عظمته
وكان الاجر لا يستلزم الدوام وقد يكون منغصا بنوع منه قال غير ممنون اي مقطوع ولا منقوص في دنيا
ولا اخرة ولا لاحد من الناس عليك به صنيع يمتن به بان يذكره علي سبيل اللوم والتقريع فهذا ابيات
السعادة والاجر لا يكون الا علي العمل الصالح والعمل رشح الاخلاق فصالحه نتيجة الاخلاق الحسنة والعقل
الراجح ولما اثبت بهذا العقل مع ما افاده من الفضل وكان الذي يوجر قد يكون في ادني رتب
العقل بين انه صلي الله عليه وسلم في اعلاها بقوله موكدا الماضي وانك وزاد في التاكيد لزيادتهم في
المكابرة فقال لعلي خلق ولما افهم السياق التعظيم صرح به فقال عظيم وهو الاسلام الذي دعا
٢ اليه القران لا بالبلا ينحرف ولا بالعطا ينصرف لانه خلقه بشهادة اعرف الناس به زوجه ام المؤمنين الصديقة
عايشة بنت الصديق ابي بكر رضي الله عنهما القران فلا يتحرك ولا يسكن الا بامره ونهيه فهذا الخلق نتيجة
الهدي والهدي نتيجة العقل وهو سبب السعادة فافهم ذلك عدم سعادتهم لعدم عقولهم ۝ وقال
الواسطي اظهر الله قدرته في عيسي عليه السلام ونفاذه في آصف وسخطه وقهره في عصي موسي عليه
السلام واظهر اخلاقه ونعوته في محمد صلي الله عليه وسلم فكان متخلقا باخلاق الله والتخلق باخلاقه
ان ينزه علمه عن الجهل وجوده عن البخل وعدله عن الظلم وحلمه عن السفه ۝ واعلم ان الخلق والخلق
صورتان الخلق صورة الظاهر والخلق صورة الباطن ۝ فتناسب الاعضا الظاهرة يعبر به عن الخلق الحسن
وتناسب المعاني الباطنة يعبر به عن الخلق الحسن ۝ ثم الخلق الحسن تارة مع الله وتارة مع حكمه وتارة
مع الخلق فمع الله بالتعظيم والاجلال ومع حكمه بالصبر في الضرا والشكر في الرخا والامتثال للاوامر والانزجار
عن النواهي عن طيب قلب مسارعة ومسامحة وحسن الخلق مع الخلق بث النصفة في المعاملة وحسن
المجاملة في العشرة روي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال الخلق وعا الدين لان من الخلق يخرج
الدين وهو الخضوع والخشوع وبذل النفس لله واحتمال المكروه ۝ ولما كان الاسلام اشرف الاديان
اعطاه الله تعالي اقوي الاخلاق واشرفها وهو الحيا كما روي ان لكل دين خلقا وخلق الاسلام الحيا

من الحياة

من الحياة حياة القلب فكان صلي الله عليه وسلم ياخذ العفو ويامر بالعرف ويعرض عن الجاهلين ولا
يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مع ذلك ويحمل تجاذب بردته حتي توثر في عنقه فيلتفت وهو
يضحك ويقضي حاجة الجاذب ويحسن اليه ۝ فقد اشتمل الكلام التدبيري المشار اليه بالنون والقضا
الكلي التاثيري المشار اليه بالقلم والقدر المبرم التفصيلي الواقع علي وفق القضا المشار اليه بالسطر ومثال
ذلك ان من اراد بناد ولابد احتاج اولا الي مهندس يدبر له بعلمه موضع البير والمدار وموضع المحلة وموضع
السهم وموضع الجداول ونحو ذلك وهو الحكم التدبيري وثانيا الي صانع يحفر البير ويبني ويجار يركب الاخشاب
علي وفق حكمة المهندس وهو القضا التاثيري وثالثا الي اقامة الثور في موضعه ودوران المحلة بما عليها
من القواديس وجري الما في الجداول علي وفق القضا وهو القدر ورابعا وخامسا الي بيان انقسام المقدر
الي سعيد وشقي فالحكم باطن وهو سر من اسراره تعالي ۝ ولما اقسم سبحانه علي نفي ما بهتوه به ودل
علي ما وهبه له من كمال العقل وتمام الشرف والنبل تلويحا وتصريحا فثبت غاية الثبات باخبار العالم
الحكيم دل عليه بالمشاهدة علي وجه هو من اعلام النبوة للحكم علي المستقبل فقال مسببا عن صادق هذا
الاخبار فستبصر اي ستعلم عن قرب بوعد لا خلف فيه علما انت في تحققه كالمبصر بالحس الباصر ۝
ويبصرون اي يعلم الذين رموك بالبهتان علما هو كذلك ۝ ولما كان هو صلي الله عليه وسلم
ومن معه فريقا وقد ابهم اخو الملك الضال في الفريقين قال بايكم اي في اي فريقيكم المفتون اي بالضلال
والجنون حتي صد عن الهدي ودين الحق او بايكم الفتنة بالجنون وغيره علي ان يكون مصدرا فتن ۝ قال الرازي
مصدر مثل الفتون وهو الجنون بلغة قريش كما يقال ما له معقول وليس له مجلود اي عقل وجلادة ۝ ولما
كان هذا اخبارا بجنونهم المستلزم لضلالهم علي هذا الوجه المنصف وكان مثل هذا قد يقع في محاورات
الناس بضرب من الظن استانف تعالي ما هو كالتعليل لما افاده السياق من هذا الحكم عليهم اعلاما ۝
بانه ناشي عن علم قطعي لا مرية فيه بوجه فقال موكدا لاجل انكارهم الامر علي ما افاده ما تقدم ان ربك
اي الذي رباك احسن تربية وجبلك علي اعظم الخلايق هو اي وحده اعلم اي من كل احد لا سيما من ۝
يتخرص بمن ضل اي جار وحار وذهب وزل وضاع وغاب غيبة عظيمة لا يهتدي منها وسلك غير سبيل
القصد واخطا موضع الرشد معرضا عن سبيله فكان احق المجانين لانه سبحانه خالقهم وشارعه
الا يعلم من خلق ولا سيما وهو الحي القيوم الذي لا يغفل وهو خاصة اعلم بالمهتدين اي الثابتين علي
الهدي وهم اولوا الاحلام والنهي ۝ وهذا سر القدر الذي يقال انه انما يظهر يوم الحاقة ولما
كان من طبع البشر ان الحليم منهم الرزين اذا اشتد عليه الاذي ممن لم تجر العادة بان مثله يطيق مثلهم
قاربهم ولا ينتقم فيما وقع الخلاف بسببه ببعض المقاربة انما هو عدم علمه بالعواقب سبب سبحانه عما
مضي من اعلامه بحقايق الامور وكشفه لمستورها قوله الهابا وتهييجا علي الثبات علي معاصاتهم اعلاما
للضال بما رابه ليعلم المهتدي لان الامور تعلم باضدادها وهو خطاب له صلي الله عليه وسلم والمراد
امته ليكون ذلك ابلغ في سماعهم فلا تطع اي ايها الماموربانفاذهم من غوايل اهوايهم واشراك هلاكهم المكذبين
اي العريقين في التكذيب ۝ قال الملوي ولا يخفي ان كل كفر ظهر وكل ضلال ظهرت وكل بدعة وكل شر انما
كان سببه افساد القوة العلمية والنطقية وهو يكون بالتكذيب ثم علل ذلك بما يدل مجموعه علي وقوعه
منهم من مدة طويلة وانهم مستمرون عليه بقوله ودوا اي احبوا محبة واسعة متجاوزة للحد قديما مع الاستمرار
علي ذلك واكد تمالكم علي هذه الودادة بما يفهم التمني وان ذلك مستمر منهم لا انه وقع ومضي فقال مشيرا
الي افسادهم القوة النطقية وخلق الشجاعة الغريزية لو تدهن اي تلاين فتوافق علي بعض ما يريدون ۝
فتهادنهم علي ترك نهيهم عن الشرك وترك التعرض لسب الهتهم وتسفيه احلامهم وتضليل ابايهم ۝ قال ابن برجان

والادهان ملاينة والانجرار بالباطل والاغماض عن الحق مع المعرفة بذلك انتهى وهو من الدهن لانه يلين ما
يدهن به • ولما كانوا يلينون له صلى الله عليه وسلم بعض الاوقات خداعا كما قيل في سبب نزول الكافرون
من انهم قالوا له تعال فلنصطلح على ان نعبد الهك سنة ونعبد الهتنا سنة ونحو هذا من الاباطيل حتى
انهم سجدوا وراءه صلى الله عليه وسلم لما تلا عليهم سورة النجم فسجد فيها فسجد وراءه الكفار والمؤمنون
والجن والانس حتى سمع المهاجرون الى الحبشة وهم بالحبشة فرجع بعضهم ظنا منهم انهم قد اسلموا فوجدوهم
على اخبث ما كانوا عليه قال سبحانه معرفا بان ذلك منهم خداع فيدهنون اي فبسبب ودادتهم
انك تدهن وهم يدهنون فهو عطف على ودوا والاجواب لو لاجل تنبيهه صلى الله عليه وسلم على ان لينهم
انما هو خداع لم يرد به غير الفساد وقد اخروا الادهان وان كانوا قد بادوا في وداده طمعا ان تبدا
به فيظهروه حينئذ • قال القشيري من اصبح عليلا تمنى ان يكون الناس كلهم مرضى • ولما نهاه عن
طاعة المكذب وعلله وكان من الناس من يخفى تكذيبه قال ناصبا علامات المكذب ولا تطع
اي في وقت من الاوقات كل حلاف اي مبالغ في الاجترا على الايمان وان لم يظهر لك تكذيبه وليس المراد
النهي عن العموم بل عموم النهي اي انته عن كل حلاف فالنهي اصل والكل وارد عليه كما تقدم تخريج مثله
في اخر البقرة في قوله تعالى والله لا يحب كل كفار اثيم وهذه الاوصاف منفرجة من الكتب وخبث
السجية فهي كالتفصيل فكثرة الحلف دالة على فساد القوة العلمية فنشا عنها سقوط تعظيم الحق فصار صاحبها
لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا فلذلك يحلف صادقا وكاذبا كيف ما اتفق مهين اي حقير ضعيف وضيع سافل الهمة
والمروة فاسد الراي لان الانسان لا يكثر الحلف الا وهو يتصور في نفسه انه لا يصدق الا بذلك لانه ليس
له من المهابة عند من يحدثه والجلالة ما يصدقه بسببه وهو مؤثر للبطالة لما فيها من موافقة طبعه
وذلك هو الحقارة • ولما كان من اتصف بصفة احب ان يشاركه الانسان فيها او يقاربه لا سيما ان كانت
الصفة دنية ليسلم من العيب او الانفراد به ولان الشيء لما داناه يألف قال هماز اي كثير العيب للناس
في غيبتهم وقال الحسن هو الذي يغمز باخيه في المجلس اي لان الهمز العض والعصر والدفع من المهماز الذي
يطعن به في بطون الدواب وهو مخصوص بالغيبة كما ان اللمز مخصوص بالمواجهة • ولما كانت
النميمة وهي نقل الحديث على وجه السعاية اشد الهمز افاد انه يفعله ولا يقتصر على مجرد النقل بل يسعى به
الى غيره وان بعد فقال مشاء اي كثير المشي بنميم اي بنقل ما قاله الانسان في اخر واذاعة سر لا يريد
صاحبه اظهاره على وجه الافساد للبين مبالغ في ذلك • ولما كان من كان يريد اعلا نفسه بهضم الناس
وكان المنع لارادة الاستيثار بالممنوع ليكون الغير محتاجا اليه وعالة عليه لان من طبعه انه لا يرتبط
الا طمعا لا شكرا بضد الجواد فانه يرفع نفسه عن المطامع ولا يرتبط الا شكرا على الصنايع فيجود ظنا
منه ان الناس كذلك قال مناع اي كثير المنع شديد للخير اي كل خير من المال والايمان وغيرهما من
نفسه ومن غيره من الدين والدنيا • ولما كان من يفعل هذه المخازي من الناس ويقتصر في الهمز والنم
على الواقع وفي المنع على ماله منعة ليما بين ان لا يقنع بذلك بل زاد عليه ببذل الجهد فيما يصير به الامر فقال
معتد اي ثابت التجاوز للحدود في كل ذلك اثيم مبالغ في ارتكاب ما يوجب الاثم فيترك الطيبات وياخذ
الخبائث يرغب في المعاصي ويتطلبها ويدع الطاعات ويزهد فيها • ولما كان من يتصف بهذه الدنايا
التي من شانها ابعاد الناس عنه ونفرتهم منه يسعى في سترها ان كان عاقلا بلين وتواضع وخداع وسهولة
انقياد بين ان هذا على غير ذلك فقال منبها على هذا بالبعدية عتل اي اكول شديد الخصومة جاف غليظ في
خلقه وخلقه ثقيل مر كانه قطعة جبل قد انقطع عن سايره لا يجر الى خير الا بعسر وصعوبة وعنف من عتله
اذا قاده بغلظة فهو في غاية ما يكون من يبس الطباع وعدم الطواعية في الخير والانطباع قال الرازي وسئل عنه

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الشديد الخلق الرحيب الجوف الاكول الشروب الظلوم ونبه سبحانه على
ثباته في تلك المخازي الموجب لاستغراق اوقاته واحواله بها بنزع الخافض فقال بعد ذلك اي الخلق الجدير
بتكلف الابعاد عنه الذي جمع من هذه الاوصاف التي بلغت نهاية القباحة حتى صارت كانها خلق واحد
ثابت راسخ لا حيلة في مداواته وعلى ذلك نبه قوله زنيم اي صارت له علامة سوء وشر وشنا قبيح
ولامة بينة يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها وهي الجلدة التي تكون تحت حلقها مدلاة تنوش والعبد بمعايبه
وسفساف اخلاقه • وقيل هو الذي يتشبه بقوم وليس منهم في شيء ولا يخلو التعبير به من اشارة الى
انه دعي ليس ثابت النسب الى من ينتسب اليه ليكون منقطعا من كل خير وان كان ينتسب الى اباء كرام لغزا
من زنمة البعير وهي جلدة تقطع من اذنه فتترك معلقة ولا يفعل ذلك الا بكرام الابل وهذه الافعال
كلها تنافي الشجاعة المقتضية لاحسان صاحبها الى كل احد وان لا يحسب له حسابا ولا يوصل اليه اذى الا
بعد ظهور شره فيعامله حينئذ بحسب العدل بما لا يزري بالمروة والمشار اليه بهذا مع ارادة العموم
قيل الوليد بن المغيرة وقيل الاخنس بن شريق • وقيل الاسود بن عبد يغوث قال ابن قتيبة
لا نعلم ان الله وصف احدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة • ولما كان حطام
هذه الدنيا كله عرضا وظلا متقلصا زايلا لا يغتر به بل ولا يلتفت اليه الا من كان بهذه الاوصاف فاذا كان
اكبر همه ومبلغ علمه اثمر له الترفع على الحقوق والتكبر على العباد قال ان اي لاجل ان كان اي هذا الموصوف
ذا مال اي مذكور بالكثرة وبنين اي انعمنا عليه بهما فصار يطاع لاجلهما فكان بحيث يجب عليه شكرنا
بسببهما اذا تتلى اي تذكر على سبيل المتابعة عليه ولو كان ذلك على سبيل الخصوص له اياتنا اي العلامات
الدالة دلالة هي في غاية الظهور على الملك الاعلى وعلى ما له من صفات العظمة قال اي فاجأ هذا القول
من غير تامل ولا توقف عوضا عن الشكر فان مع جارة متعلق بما دل عليه الكلام نحو كذب لاجل كونه
متمكنا ولا يتعلق بقال لانه جزا الشرط ويجوز ان يتعلق بلا تطع اي لا توجد طاعته لاجل ان كان كذا وقرئ
بالكسر على انها شرطية فيكون النهي عن طاعته لعلة الغنى مفهما للنهي عن طاعته عند الوصف بغيره من باب
الاولى كالتعليل بالاملاق في الواد اساطير جمع سطور جمع سطر الاولين اي اشيا سطروها ودونوها
وفرغوا منها فحمله دني طبعه على تكبره بالمال فورطه في التكذيب باعظم ما يمكن سماعه فجعل الكفر
موضع الشكر ولم يستح من كونه يعرف كذبه كل من يسمعه فاعرض عن الشكر ووضع موضعه الكفر
فكان هذا دليلا على جميع تلك الصفات السابقة مع التعليل بالاستناد الى ما هو عند العاقل اوهى من بيت
العنكبوت والاستناد وحده كاف في الاتصاف بالرسوخ في الدناة ولا يعمل فيه ان قال بل ما دل عليه
لان ما حيز الشرط لا يعمل فيما قبله • ولما كان هذا المذكور قد اغرق في الشر فتوقع السامع جزاءه قال
معلما انه يجعل له من الخزي والفضايح ما يصير به شهرة بين الخلايق في الدنيا والاخرة سنسمه اي نجعل
ما يلحق به من العار في الدارين كالوسم الذي لا ينمحي اثره اصلا تقول العرب وسمه ميسم سوء • ولما
كان الوسم منكيا وكان جعله في موضع لا يستر انكا وكان الوجه اشهر ما في الانسان وكان اظهر ما فيه
واكرمه الانف ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة قال على الخرطوم اي الانف الطويل
جميعه وما قاربه من الحنكين وسما مستعليا عليه بوضوحه جدا ليكون هتكه بين الناس وفضيحة لقومه
وذلا وعارا وكذا كان لعموم له بهذا الذكر الشنيع والذنب القبيح من الكفر وما معه وسيكون له
يوم الجمع الاعظم ما هو اشنع من هذا على انه قد حقق في الدنيا هذا الخطم حسا بانه ضرب يوم بدر ضربة
خطمت انفه قاله ابن عباس رضي الله عنهما والتعبير عن الانف بهذا للاستهانة والاستخفاف • ولما
ذكر في اول الملك انه خلق الموت والحياة للابتلا في الاعمال وختم هنا بعيب من يغتر بالمال والبنين وهو نعم

ان الموت ورآه اعاد ذكر الابتلا ولكن لان اعمالهم مع العلم بانه عرض زايل اعمال من بطن الملك الثابت
والتصرف التام فقال انا بلوناهم اي عاملنا على ما لنا من العظمة هولا المكذبين الذين نسمهم على الخرطوم
من قريش وساير عبادنا بما وسعنا عليهم به معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر والباطن فغرهم ذلك وظنوا
انهم احباب ومن قترنا عليه من اوليآينا اعدآ فاستهانوا بهم ونسبوهم لاجل تقللهم من الدنيا الى السفه
والجنون والضلال والعنوف فيوشك ان ناخذهم بغتة كما فعلنا باصحاب الجنة فكل من راي رسول الله
صلي الله عليه وسلم فقد ابتلي به فان امن كان ممن احسن عملا والا كان ممن اسآ ولما لم يعرف عامة
اهل مكة نعمة الله عليهم به صلي الله عليه وسلم اخرجه الله عنهم واكرمه بانصار جعله اكرم الكرامات
لهم وكل من سمع به ولم يومن فهو كذلك تكون اعماله كهذه الجنة يظنها شيا فيجدونه احوج ما يكون
اليه او كان ابتلاونا لهم بالقحط الذي دعا عليهم به رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي اكلوا الجيف فما
تابوا كما تاب اصحاب الجنة كما بلونا اي اختبرنا بان عاملنا معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر والباطن
وحاصله انه استخراج ما في البواطن ليعلمه العباد في عالم الشهادة كما يعلمه الخالق في عالم الغيب
او انه كناية عن الجزا اصحاب الجنة عرفها لانها كانت شهيرة عندهم وهي بستان عظيم كان دون
صنعا بفرسخين يقال له الضروان يطاوه اهل الطريق كان صاحبه ينادي الفقرا وقت الصرام ويترك
لهم ما اخطا المنجل او القته الريح او بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخلة فلما مات شح بنوه بذلك
فحلفوا علي ان يجذوها قبل الشمس حتي لا ياتي الفقرا الا بعد فراغهم وذلك معني قوله تعالي اذ اي حين
اقسموا ودل علي تاكيد القسم بالتاكيد فقال ليصرمنها عبر به عن الجذاذ لدلالته علي القطع البائن
المعزوم عليه المستاصل المبالغ للفقرا ليكون قطعا من كل وجه من الصريم بعرض علي فم الجدي ليلا يرضع
ومن الصرما للمفازة لا ما بها والناقة القليلة اللبن مصبحين اي داخلين في اول وقت الصباح ولا
اي والحال انهم لا يستثنون اي لا يطلبون ولا يوجدون ثنيا اي عودا الي ما قبل اليمين بقولهم
ان شا الله او غير ذلك من الالفاظ الموجبة لان يكون شي من جنتهم مطلقا غير ممنوع وسمي ذلك استثنا
لانه اخراج لشي يكون حكمه غير المذكورا ولا وكان الاصل فيه الان يشا الله والحق به ان شا الله لرجوعه
اليه في انجاد الحكم فطاف اي فتسبب عن عملهم هذا الطامع ان طاف عليها اي جنتهم طايف اي عذاب
مهلك محيط مع انه امر يسير جدا عند الله وان كان عظيما بالنسبة اليها لانه لم يدع منها شيا ولا يكون الطايف
بهذا المعني الا بالليل كذا قيل ويرده اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا ولما كان هذا منافي
الصورة اخبر بانه لطف وتربية في المعني بقوله من ربك اي المعروف بالعظمة التي لا تحد وبالاحسان
اليك فهو جدير بان يوذب قومك ليقبلوا منك كما ادب اصحاب الجنة بما اوجب توبتهم وهو الحقيق بتربية
العباد ليعقلوا عنك ويكونوا خليقين للتجنب للدنايا والاقبال علي المعالي وهم اي والحال ان اصحاب
الجنة المقسمين نايمون اي وقت ارسال الطايف فاصبحت اي فتسبب عن هذا الطايف الذي ارسله
القادر الذي لا يغفل ولا ينام علي مال من لا يزال اسير العجز والنوم فعلا او قوة ان صارت جنتهم وقت
اجتنابهم لها بالغدو وسرورهم بها كالصريم اي كالاشجار التي صرم عنها ثمرها اذ كالشي الذي انقطع
ما بينه وبين قاصده فلا وصول له اليه بوجه وقيل كالليل المظلم الاسود وقيل كالرماد الاسود
يبس بها ثمرة لان ذلك الطايف اتلفها لم يدع فيها شيا لانهم طلبوا الكل فلم يزكوه بما يمنع عنه الطوارق
لضد ما كان لابيهم من ثمرة عمله الصالح من الدفع عن ماله والبركة في جميع احواله ولما كانوا القوة
عزمهم علي ما اقسموا عليه كانهم كانوا علي ميعاد سبب عنه قوله فتنادوا اي كانوا كانه نادي كل منهم الاخر
مصبحين اي في حال اول دخولهم من الاصباح وفسر التنادي بقوله ان اغدوا اي بكروا واحدا

مقبلين

مقبلين ومستولين وقادرين على حرثكم اي محل فايدتكم الذي اصلحتموه وتعبتم فيه فلا يستحقه غيركم وكانهم
استبطاوا اقبالهم وغدوتهم فكنوا عنه بقولهم ان كنتم اي اليوم كونا هو لكم بغاية الرغبة صارمين اي
جادين جدادا يسلم لكم من غير مشاركة احد لكم كما نوا نعتم عليه او جازمين بما عزمتم عليه وعبر عن اسراعهم
الي الذهاب بقوله فانطلقوا اي تسبب هذا الحث وعقبه كانهم كانوا متهيئين وهم اي والحال انهم
يتخافتون اي يقولون في حال انطلاقهم قولا هو في غاية السرار كانهم ذاهبون الي سرقة من دار هي
في غاية الحراسة من الخفوت وهو الهمود ثم فسر ما يتخافتون به بقوله ان لا يدخلنها واكدوه لانه احد
لا يصدق ان احدا يصل الي هذه الوقاحة وصلابة الوجه وان جدادا تخلو من سايل ولما كانت العادة
قاضية بانه لا بد ان ينسي الانسان شيا او يغفل بابا او ثغره يدخل منه وبسببه نفير قالوا اليوم اي في
جميع النهار بما دل عليه نزع الخافض لتكرروا عليه مرارا وتفتشوه فلا تدعوا به ثمرة واحدة ولا موضعا يطمع
بسببه احد في قصدكم عليكم اي وانتم بها مسكين وهو نهي للمسكين في اللفظ للمبالغة في نهي انفسهم ان لا يدعوه
يدخل عليهم فقال لهم اوسطهم سنا وخيرهم نفسا واعدلهم طبعا بما يدل عليه ما ياتي لا تقولوا هكذا واصنعوا
من الاحسان ما كان يصنع ابوكم وكانه طواه سبحانه لانه مع الدلالة عليه بما ياتي لم يوثر شيا واكد كون
انطلاقهم حال الاصباح بقوله وغدوا اي ساروا اليه غدوة على حرد لا غيره وهو القصد وشدة الغضب مع
الجزم بالامر واللجاج فيه والسرعة والنكد بالمنع وقلة الخير من حاردت السنة لم يكن فيها مطر والابل منعت
درها وحرد اذا اسرع قادرين عند انفسهم وفي زعمهم بدليل عدم استثنايهم فان للجزم علي الفعل في
المستقبل فضلا عن ان يكون مع الحلف فعل من لا كفو له ودل علي قربها من منزلهم بالفا فقال فلما راوها
اي بعد مسير يسير وليس للزرع ولا للثمر بها اثر قالوا لانها صارت لسوء حالها من ذلك الطايف بعيدة من
حال ما كانت عليه عند توادعهم وتغييرنا بها ثم فادهشتهم منظرها وحيرهم خبرها واكدوا لان ضلالهم لا يصدق
مع قرب عهدهم بها وكثرة ملابستهم لها وقوة معرفتهم بها فقالوا انا لضالون اي عن طريق جنتنا لان هذه لا
تشبهها بوجه فيما كانت فيه بالامس من النضارة وشدة الحمل وحسن الهيئة ولما انجلي ما ادهشهم
في الحال قالوا مضربين عن الضلال بل نحن محرومون اي ثابت حرماننا مما كان فيه من الخير الذي لم نغب عنه
الا سواد الليل فحرمنا الله اياه بما عزمنا عليه من حرمان المساكين ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بانفسهم
ولما كان الفزع بالمصايب مظنة الرقة والتوبة لمن اريد به الخير وزيادة الكفر لغيره استانف قوله
قال اوسطهم اي رايا وعقلا وسنا وفضلا منكرا عليهم الم اقل لكم ان ما فعلتموه لا ينبغي وان الله سبحانه بالمرصاد
لمن غير ما في نفسه وحاد ولما كان منع الخير ولا سيما في مثل هذا مستلزما لظن النقص في الله تعالي اما بانه
سبحانه لا يخلف ما حصل التصدق به واما لانه لا يقدر علي اهلاك ما شح الانسان به قال مستانفا لولا اي هلا
ولم لا تسبحون اي توقعون التنزيه لله تعالي عما اوهمه فعلكم واقل التسبيح الاستثنا عند الاقسام شكا في قدرة
الانسان واثباتا للقدرة للملك الديان استحضارا لعظمته سبحانه ودل سياق الكلام علي انهم كانوا متهيئين للتوبة
بقوله قالوا اي من غير تلعثم بما عاد عليهم من بركة ابيهم سبحان ربنا اي تنزه المحسن الينا التنزيه الاعظم عن
ان يكون وقع منه فيما فعل بنا ظلم واكدوا قباحة فعلهم هضما لانفسهم وخضوعا لربهم وتحقيقا لتوبتهم
لان ما كانوا عليه من الحال يقتضي ان لا يصدق رجوعهم عنه بقولهم انا كنا اي بما في جبلاتنا من الفساد
ظالمين اي راسخين في ايقاعنا الاشيا في غير مواضعها حيث لم نعزم عن ما جاز ما علي ما كان يفعل ابونا من البر
ثم حيث حلفنا علي ترك ذلك ثم حيث لم نرد الامر الي الله بالاستثنا حيث حلفنا فان الاستثنا تنزيها لله عن
ان يجري في ملكه ما لا يريد واكدوا توبتهم بقوله مسببا عن اعترافهم بالظلم فاقبل بعضهم اي في الحال مبادرة
الي الخضوع علي بعض ودلت التسوية بين فريقيهم في اللفظ علي الاستوا في التوبة يتلاومون اي يفعل كل

منهم مع الآخر في اللوم على ما قصدوه من المنع وترك ما تركوه من الاعطا والدفع ما يفعله الآخر معه من نسبة النقصان اليه كما هو داب المغلوبين العجزة ولما تشوف السامع الى معرفة بعض ذلك قال قالوا امنا لما شغله قربه منهم وملازمته لهم عن كل شي يا ويلنا اي هذا وقت حضورك ايها الويل ايانا ومنادمتك لنا فانه لا نديم لنا الآن غيرك والويل الهلاك والاشراف عليه ولما كان اهل الرذالة ينكرون ان يكون من يمنع الفقرا طاغيا اكدوا قولهم انا كنا اي جبلة وطبعا طاغين اي مجاوزين للحدود فيما فعلنا من التقاسم على منع الفقرا او على جدها في الصباح من غير استثنا العاجز وكان ذلك ان كان لا بد لنا منه ممكنا بغير قسم ولا اخفا من الغير ولا مخافتة حال السير بان يقال للفقرا يفتح الله ونحو ذلك من الكلام ولما قدموا ما هو انفع لهم من اللوم المقتضي لاجماعهم على التوبة فعلم بذلك الندم الذي هو امارة التوبة استانفوا جوابا لمن سال هل اقتصروا على التلاوم قولهم عسى اي يمكن ان يكون وهو جدير وحليق بان يكون ربنا اي الذي احسن الينا بتربية هذه الجنة وباهلاك ثمرها الآن تاديبا لنا ان يبدلنا اي من جنتنا شيا خيرا منها يقيم لنا امر معاشنا فتنقلب احوالنا هذه التي نحن فيها من الهموم والبذاذة بسرور ولذاذة بما افاده ايقاع الفعل على ضميرهم وقراة ابي عمرو ونافع بالتشديد وقراة الباقين بالتخفيف وهما متقاربتان على ان التشديد يدل على تدريج والتخفيف ابلغ معنى وانما تعلق رجاونا بسبب توبتنا وعلمنا بان ربنا قادر على ما يريد ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولما دل هذا الدعا على اقبالهم على الله وحسن ضراعتهم اكدوا لان حالهم الاول كان حال من ينكر منه مثل ذلك فقالوا معللين انا ولما كان المقام للتوبة والرجوع عن الحوبة عبروا باداة الانتها اشارة الى بعدهم عن الحضرات الربانية تادبا منهم فقالوا الى ربنا اي المحسن الينا والمربي لنا بالايجاد ثم الابقا خاصة لا الى غيره راغبون اي ثابتة رغبتنا ورجاونا الخير والاكرام بعد العفو وقد قيل ان الله تقبل رجوعهم واخلف عليهم فابدلهم جنة يقال لها الحيوان بحيث كان القطف الواحد منها يحمله رجل من كبره البغل رواه البغوي عن ابن مسعود لكن لما كان المقام للترهيب من ركن الى ماله واحتقر الضعفا من عباد الله ولم يحلم بجلاله طواه وذكر ما صوره هذا الكلام وانتجه من مساواة حال قريش وحال هولاء في الاحسان وطول الحلم مع احتقار اوليايه والتقوي عليهم بافضاله ونعمايه فقال مرهبا كذلك اي مثل هذا الذي بلونا به اصحاب الجنة من اهلاك ما كانوا عند انفسهم في غاية القدرة عليه والثقة به مع الاستحسان منهم لفعلهم والاستصواب وهدد نابه اهل مكة فلم يبادروا الى المتاب العذاب اي الذي نحذرهم منه ونخوفهم به في الدنيا فاذا تم الاجل الذي قدرناه له اخذناهم به غير مستعجلين ولا مفرطين لانه لا يعجل الا ناقص يخاف الفوت ولما كانوا منكرين لامور الاخرة اشد من انكارهم لامور الدنيا اكد قوله ولعذاب الآخرة اي الذي يكون فيها للعصاة اكبر اي من كل ما يتوهمونه ولما كان هذا موجبا لمن له ادنى شعور للهرب منه قال لو كانوا اي الكفار يعلمون اي لو كان لهم علم بشي من غرايزهم في وقت من الاوقات لرجعوا عما هم فيه مما عرفوا انه يغضب الله فيكون سبب العذاب في الدارين وهم مع ذلك بما يزريهم عند الناس من تلك الاثار الخبيثة التي منها الايمان الكاذبة ويدل على قلة شجاعتهم وقلة عقولهم لكنهم ليس لهم نوع علم الآن والمختوم بموته على الكفر لا يتجدد له نوع علم وغيره سيرجع في الوقت الذي قدره الله له ولما ذكر ما لاهل الجمود الذين لا يجوزون الممكنات ذكر اضدادهم فقال مؤكدا لاجل انكارهم ان للمتقين اي العريقين في صفة التقوى خاصة دون غيرهم ممن لا يتقي والتقوى الاحتراز بالوقا الحامل عليه الخوف من المؤذي الحامل عليه تجويز الممكنات قال الملوي واصلها ان الفرس الواقي وهو الموجوع الحافي لا يضع حافره حتى ينظر هل الموضع لين مناسب وكذا المتقي لا يتحرك ولا يسكن الا عن بصيرة من رضى الله بذلك فلا يفعل احد منهم شيا من تلك الاثار الخبيثة التي تقدمت للمكذبين فحازوا الكمال بصلاح القوة العملية عن صلاح

القوة

القوة العلمية وزاد في الترغيب اشارة الى جنة القلب وبسط الروح بقوله عند ربهم اي المحسن اليهم في موضع ندم اوليك وخيبة امالهم فان تقريبهم دال على رضاه سبحانه ورضي صاحب الدار مطلوب قبل نظر الدار ولما اشار الى جنة القلب ابتهاجه القالب فقال جنات جمع جنة وهي لغة البستان الجامع وفي عرف الشرع مكان اجتمع فيه جميع السرور وانتفى منه جميع الشرور النعيم وهو الخالص من المكدر والمشوش والمنغص لا شي فيها غيره اصلا بما افادته الاضافة ولما كان عدم ايراث كل من الفريقين الدار التي تقدم وصفها تسوية بين المحسن والمسيء وكان ذلك لا يليق بحكيم ان يفعله وجب انكاره لتحقق ان ما اخبر به سبحانه لا يكون الا كذلك لا سيما وقد كان الكفار يقولون انهم كالمسلمين او احسن حالا منهم وذلك انه ان كان لا بعث كما كانوا يظنون فقد استووا فيما بعده مع فضولهم به في الدنيا من اتباع الاهوا والظفر باللذايذ وان كان ثم بعث فكانوا يقولون لشبهة دعتهم اليها شهوة انا نكون على تقديره احسن حالا منكم واثر عند الله في حسن العيش كما نحن في هذه الدار لانه ما بسط لنا في هذه الدار الا ونحن عنده افضل منكم فقال تعالى منكرا لذلك غاية الانكار عايبا التحكم بالجهل غاية العيب نافيا للمساواة لتكون انتفا ما هو اعلى من باب الاولى مسببا عما تقديره ولا يكون لغير المتقين ذلك افنجعل المسلمين اي الذين هم عريقون في الانقياد لاوامرنا والصلة لما امرنا بوصله طلبا لمرضاتنا فلا اختيار لهم معنا في نفس ولا غيرها لحسن جبلاتهم كالمجرمين اي الراسخين في قطع ما امرنا به ان يوصل وانتم لا تقرون بمثل ذلك بل عاندكم نوع معاندة فاطعتموه ولو وصل الامر الى القتل ولما كشف هذا الدليل الشبه ورفع الستر فاوصل الى اعظم من ضوء النهار لفت القول اليهم بالخطاب لفتة المغضب عند العتاب فقال معجبا منهم منبها على ما هم فيه من اعوجاج الفطر وفساد الفكر منكرا عليهم غاية الانكار ما لكم اي اي شي يحصل لكم من هذه الاحكام الجايرة البعيدة عن الصواب ولما نبههم على انه ليس لهم في مثل هذه الاحكام شي يمكن ان يكون نافعا وكان العاقل اذا علم ان شيا من الاشيا لا ينفع فيه ابعد منه انكر عليهم ثانيا حال الحكام هذه لان نفي احوالها اشد لنفيها كما تقدم في كيف تكفرون في البقرة فقال كيف تحكمون اي اي عقل دعاكم الى هذا الحكم الذي يتضمن التسوية من السيد بين المحسن من عبيده والمسيء ولما كان الحكم لا يمكن وجوده الا مكيفا بكيفية وكان سبحانه قد نفى حكمهم هذا بانكار جميع كيفياته التي يمكن ان يصح معها وكان الحكم الصحيح لا بد وان يكون مستندا الى عقل او نقل زاد بطلان حكمهم وضوحا بنفي الامرين معا فقال عاطفا على ما تقديره الكم دليل من العقل اليه تلجاون ام لكم كتاب اي سماوي معروف انه من عند الله خاص بكم فيه لا في غيره من اساطير الاولين وزبر المحرفين تدرسون اي تقراون قراءة اتقنتم مخالطتها وانعمتم فهمه بسببها ولما ذكر الدرس ذكر المدروس فقال ان لكم فيه اي خاصة على وجه التاكيد الذي لا رخصة في تركه اي الكتاب لتكونوا في غاية الوثوق به لا في غيره مما لا وثوق لكم به لما تخيرون اي تبالغون في انتقايه واخذ خياره وكسر الهمزة وكان حقها الفتح لولا اللام لان ما بعدها هو المدروس ويجوز ان تكون الجملة حكاية للمدروس وان تكون استينافية ولما نفى دليل العقل والنقل مع التعجيب منهم والتهكم بهم وكان قد بقي الانسان ربما عاهد غيره على شي فيلزمه الوفا به وان كان خارجا عما يدعو اليه العقل والنقل نفى ذلك بقوله ام لكم ايمان اي غليظة جدا علينا قد حملتمونا اياها بالغة اي لاجل عظمها الى نهاية رتب التاكيد بحيث يكون بلوغ غيرها ما يقصد بالنسبة الى بلوغها ذلك عدما اي ان بلوغها هو البلوغ لا غيره وثباتها منته الى يوم القيمة لا يمكن الخروج عن عهدتها الا في ذلك اليوم لنحتاج لاجلها الى اكرامكم في الدارين ولما ذكر القسم بالايمان ذكر المقسم عليه فقال ان لكم اي خاصة دون المسلمين لما تحكمون اي تفعلونه فعل الحاكم الذي يلزم قوله

لعلوا امره علي وجه التاكيد الذي لا مندوحة عنه فتحكمون لانفسكم بما تريدون من الخير ولما عجب
منهم وتهكم بهم ذيل ذلك بتهكم اعلي منه يكشف عوارهم غاية الكشف وينزل بهم اشد الحتف فقال مخوفا
لهم بالاعراض سلهم اي يا ايها الرسول الذي محت دلايله بقوة انوارها الانوار ولما كان السوال سببا
لحصول العلم علقه عن مطلوبه الثاني وكان حقه ان يعدي بعن فقال ايهم بذلك اي الامر العظيم
من المعاهدة والدليل النقلي او العقلي زعيم اي كفيل وضامن او سيد او رئيس ومتكلم بحق او باطل لتلزمه
في ادعائه صحة ذلك ما مدعه به ضحكة للعباد واعجوبة للحاضر منهم والباد فلم يحسر لما يعلمون من حقيقة
هذا القران وما لاقوا لهم كلها من العراقة في البطلان احد منهم علي شق عداوتهم ومحبتهم للمغالبة وشماتتهم
ان يبرز لادعا ذلك ولما نفي ان يكون لهم منه سبحانه في تسويتهم بالمسلمين دليل عقلي او نقلي او عهد
وثيق علي هذا الترتيب المحكم والمنهاج الاقوم اتبعه ما يكون من عند غيره ان كان ثم غير علي ما ادعوا فقال
ام لهم شركا اي شرعوا لهم امرا او وعدوهم بشي اقاموا عليه من الادلة ما اقمنا لنبينا صلي الله عليه
وسلم فلياتوا بشركايهم اي باقوالهم وافعالهم كما اتينا نحن في نصرنا نبينا صلي الله عليه وسلم من الامرين
معا بما لا شبهة فيه ونجل عليهم بالكذب ملهبنا مهيجا بما يحرق اكبادهم ولا يقدرون علي دفعه بوجه
فيكون ذلك اعظم دليل علي ابطالهم فقال ان كانوا اي جبلة وطبعا صادقين اي عريقين في هذا الو
كما يدعونه ولما نفي جميع شبههم التي يمكن ان يتشبثوا بها مع البيان لقدرته علي ما يريد من تفتيق
الادلة وتشقيق البراهين الدال علي تمام العلم اللازم منه كمال القدرة فاوصلهم من وضوح الامر الي حد
لم يبق معه الا العناد اتبع ذلك تهديدهم بما ثبتت قدرته عليه من يوم الفصل ومعاملتهم فيه بالعدل
فقال يوم يجوز ان يكون بيانا ليوم القيمة وبني لاضافته الي جملة وان يكون ظرفا لياتوا او منصوبا
بما اخذ من معني الكلام من نحو سيعلمون ما يلقون من غب هذه المعاندات وان نالوا في هذه الدار جميع
اللذاذات في جميع اليوم الذي يكشف اي يحصل الكشف فيه بني للمفعول لان المخيف وقوع الكشف الذي
هو كناية عن تفاقم الامور وخروجها عن حد الطوق لا كونه من معين مع ان من المعلوم انه لا فاعل هناك
غيره سبحانه عن ساق اي يشتد فيه الامر غاية الاشتداد لان من اشتد عليه الامر وجد في فصله شمر
عن ساقه لاجله وشمرت حرمه عن سوقهن غير محتشمات فهو كناية عن هذا ولذلك نكر تهويلا له وتعظيما
نقل هذا التاويل عن ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما وعن انكشاف جميع الخلايق وظهور الجلايل فيه والدقايق
من الاهوال وغيرها كما كشفت هذه الايات جميع الشبه فتركت السامع لها في مثل ضو النهار وفي
الجزء الخامس والثلاثين من مسند ابي يعلي الموصلي عن ابي بردة عن النبي صلي الله عليه وسلم في هذا عن نور
عظيم يخرون له سجدا وهو لا ينافي ما ذكر من التاويلين الشدة والكشف ولما كان هذا الكشف الذي
كشف لهم المعاني في هذا القران انما هو لاجل العبادة التي هي الخضوع الذي يعبر عنه بالسجود وهو اية
وامارة ما اشتمل عليه الباطن منها وعلامتها وبانوها وهم قادرون عليها ذكرهم يوما يريدونها فيه فلا تتاتي
لهم تنديما لهم وزيادة تحسير واظهار تضليل وتحبير لان ظهورهم واعضاهم تكون طبقا واحدا لا تنثني فلما
ارادوا السجود انقلبوا علي اقفايهم فقال بانيا للمفعول دلالة علي ارادتهم الانقياد ورغبتهم فيه من
اي داع كان وهو دال علي ان التكليف لا ينقطع الا بدخول كل من الفريقين داره ويدعون اي من
داعي الملك الديان الي السجود توبيخا علي تركه الان وتنديما وتعنيفا لا تعبدا او تكليفا فيريدونه
ليفدوا انفسهم مما يرون من المخاوف فلا اي فيتسبب عن ذلك انهم لا يستطيعون اي لانهم غير سالمين
لا اعضا لهم تنقاد به مع شدة معالجتهم لانفسهم علي ان تطوع لهم اعضاوهم بما تفهمه هذه الصيغة من
ان الانسان منهم اراد الفعل وعالجه فلم يطقه لان ظهورهم تكون علي حالة لا تنثني معها بل كان فيها السفافيد

فيكون

فيكون لهم من ذلك اشد ندم لتركهم اياه في الدنيا وهم يقدرون عليه وهو اذ ذاك نافع لهم ومعالجتهم
فعله اشد معالجة وهم غير قادرين عليه وهو غير نافع لهم واذا عجزوا مع المعالجة كانوا بذلك اعجز
وذلك انه يبعث المرء علي ما مات عليه ويحشر علي ما بعث عليه ولما كان ربما ظن ظان ان المانع
لهم الكبر كما في هذه الدنيا قال خاشعة اي مخبتة متواضعة ابصارهم لان ما في القلب يعرف في العين
وذلك ان المومنين يرفعون رووسهم من السجود ووجوههم اضوا من الشمس ووجوه الكافرين والمنافقين
سود مظلمة ولما كان الخاشع كذلك قد يكون خشوعه لخير عنده حمله علي ذلك مع العز قال ترهقهم
اي تغشاهم وتقهرهم ذلة اي عظيمة لانهم استعملوا الاعضا التي اعطاهموها سبحانه ليتقربوا بها اليه
في دار العمل في التمتع بما يبعد منه ولما دلت هذه العبارة مطابقة لما ورد في الحديث الصحيح علي ان
من كان في قلبه مرض في الدنيا يصير ظهره طبقا واحدا فقارة واحدة فيعالج السجود فيصير كلما اراده
انقلب لقفاه عجب منهم في ملازمة الظلم الذي هو ايقاع الشي في غير موقعه فقال وقد اي والحال
انهم كانوا اي دايما بالخطاب الثابت يدعون في الدنيا من كل داع يدعو الينا الي السجود وهم
اي فيابونه والحال انهم سالمون فهم مستطيعون ليس في اعضايهم ما يمنع من ذلك وانما يمنعهم منه الشقا
والكبر فالاية من الاحتباك ذكر عدم الاستطاعة اولا دال علي حذف الاستطاعة ثانيا وذكر
السلامة ثانيا دال علي حذف عدم السلامة اولا ولما علم بهذا انه سبحانه المتصرف وحده بما يشا وكيف
شا من المنع والتمكين وكان النبي صلي الله عليه وسلم يجد من تكذيبهم له مع اتيانه بما لا يحتمل التكذيب
بوجه من المشقة ما لا يعلم مقداره الا الله تعالي وكان علم المعموم بان له سوقا يخفف عنه وكان علمه
باقتداره علي ما يراد منه اقر لعينه سبب عن كمال اقتداره قوله تخفيفا عنه لافتا القول الي التكلم بالافراد
تنصيصا علي المراد بزيادة في تسكين القلب وشرح الصدر فذرني اي اتركني علي اي حالة اتفقت ومن
يكذب اي يوقع التكذيب لمن يتلو ما جددت انزاله من كلامي القديم علي اي حالة كان ايقاعه وافرد
الضمير نصا علي تهديد كل واحد من المكذبين بهذا الحديث اي بسببه اي خل بيني وبينهم وكل امرهم
الي ولا تكترث بشي منه اصلا فاني اكفيكهم لانه لا مانع منهم فلا تهتم بهم اصلا ولما كان كانه قيل
وما ذا تعمل فيه اذا خليت بينك وبينه اجابه بقوله جامعا الضمير ليكون الواحد مهددا من باب الاولي
سنستدرجهم اي سناخذهم بعظمتنا علي ما قيل علي غرة بوعد لا خلف فيه وندنيهم الي الهلاك درجة درجة
بواسطة من شينا من جنودنا وبغير واسطة بما نواتر عليهم من النعم التي توجب عليهم الشكر فيجعلونها
سببا لزيادة الكفر فتوجب لهم النقم ولما كان اخذ الانسان من مامنه علي حالة غفلة بتوريطه
في اسباب الهلاك حتي لا يحس بالهلاك الا وهو لا يقدر علي التقصي منها بوجه قال من حيث اي من
جهات لا يعلمون اي لا يتجدد لهم علم ما في وقت من الاوقات بغوايلها وذلك انه سبحانه يغرهم بالامهال
ولا يعاجلهم بالعقاب في وقت المخالفة كما يتفق لمن يراد به الخير فيستيقظ بل يمهلهم ويمدهم بالنعم حتي
يزول عنهم خاطر التذكر فيكونوا منعمين في الظاهر مستدرجين في الحقيقة فيقولون قد قلتم ان القدر
فايض عن القضا وان الاعمال قضا وجزاها قدر وتقولون ان افعالنا في الدنيا قبيحة ونحن لا نري جزاها
الا ما يسرنا ولو لا يعذبنا الله بما نقول فانتم كاذبون في توعدنا فانا كلما احدثنا ما تسمونه معصية تجددت
لنا نعمة وذلك كما قادهم الي بدر حينهم وهم في غاية الرغبة قال القشيري والاستدراج ان يريد
الشي ويطوي عن صاحبه وجه القصد حتي ياخذه بغتة فيدرج اليه شيا بعد شي ولما كان الاستدراج
يكون باسباب كثيرة من بسط النعم وغيرها فابرزه بالنون المشتركة بين الاستتباع والعظمة وكان تاخير
الاجل لا يكون الا لله وحده بغير واسطة شي قال واملي اي اوخر تاخيرا وحدي في اجالهم واوسع لهم

في جميع تمتعهم ليزدادوا اثما لهم لانه لا يقدر علي مد الاجل وترفيه العيش غيري. ولما سلاه صلي الله
عليه وسلم بهذا غاية التسلية علل او استانف في جواب من لعله يقول لم يكون اخذهم علي هذا الوجه
مسميا انعامه كيدا ان كيدي اي ستري لاسباب الهلاك عمن اريد اهلاكه وابداي ذلك له في ملابس
الاحسان وخلع البر والامتنان متين اي في غاية القوة حيث كان حاملا للانسان علي اهلاك نفسه
باختياره وسيعلم عند الاخذ اني لما اهملته ما اهملته وان امهالي انما كان استدراجا ولما كان
هذا القران اعظم احسان ساقه سبحانه اليهم فكان موجبا للشكر عليهم للذي انزله وللاكرام للاتي به فكان
سببا لمباشرتهم من التكذيب والاذي الاتي اليهم به ما يوجب اخذهم قال دالا علي متانة كيده سبحانه
ودقة استدراجه عاطفا علي ما تقديره لبيان انهم يباشرون ما يهلكهم باختيارهم من غير موجب الكان
تكذيبهم بهذا الذكر لشي فيه يرتابون قوله منكرا عليهم مبينا ان تكذيبهم انما هو لانه طبع وخبث سجية
لا شهوة لهم فيه ولا شبهة ام تسئلهم انت يا اعف الخلق واعلاهم همما اجرا علي ابلاغه فهم اي فتسبب
عن ذلك وتعقب انهم من مغرم كلفتهم به مثقلون اي واقع اثقالهم به حتي اوجب لهم ذلك لغرم الناقص
لاموالهم التقاعد عن التصديق فصاروا يشتهون اقلاعك عنه. ولما نفي ان يكون تكذيبهم لشهوة
دعتهم الي ذلك نفي ان يكون لهم في ذلك شبهة من شك في الذكر او حيف في المذكور وان يكونوا علي ثقة او ظن
من سلامة العاقبة فقال ام عندهم اي خاصة الغيب اي علمه من اللوح المحفوظ او غيره فهم بسبب ذلك ٢
يكتبون اي ما يريدون منه ليكونوا قد اطلعوا علي ان هذا الذكر ليس من عند الله او علي انهم لا درك
عليهم في التكذيب به فقد علم بهذا انه لا شهوة لهم في ذلك عادية ولا شبهة وانما تكذيبهم مجرد خبث طباع
وظلمة نفوس واماني فارغة واطماع. ولما انتفي جميع ذلك فثبت انهم علي خطر عظيم وانه سبحانه المختص
بعلم الغيب وقد اخبر باهلاكهم من اجله صلي الله عليه وسلم وان كفر من كفر وايمان من امن بقضائه وتقديره
فكان لا بد منهما كان ذلك سببا حاملا له علي الصبر الي الوقت الذي ضربه سبحانه للفرج فقال مسببا
عما تقديره لم يكن لهم شي مما ذكروا وانما هو القضا والقدر فاصبر اي اوقع الصبر واوجده علي كل ما
يقولونه فيك وعلي غير ذلك من كل ما يقع منهم ومن غيره من مر القضا لحكم ربك اي للقضا الذي قضاه
وقدره المحسن اليك الذي اكرمك بما اكرمك به من الرسالة والزمك بما الزمك من البلاغ وخذلهم
بالتكذيب ومد لهم علي ذلك في الاجال واوسع عليهم النعم واخر ما وعدك به من النصر ولما كان
حاصل قصة يونس عليه السلام انه استثقل الكرامة بالرسالة لما فيها من الامور الشديدة من معالجة
الخلق فامتحن كان سببا لعفوه له ذلك ثم كان سبب اسلام قومه اذ دنا العذاب منهم وتقريب غشيانه
لهم اشار له بقصته الي انه يراد اعلاوه عليه واعلا امته علي امته بما يحتاج الي الصبر علي ما يستقبل من
ضر وامر شديد مر فقال ولا تكن اي لا يكن حالك في الضجر والعجلة ولما كان قد افتتح السورة
بالنون الذي من مدلولاته الحوت عبر به هنا تحقيقا لارادته فقال كصاحب اي كحال صاحب الحوت
وهو يونس عليه السلام اذ اي حين والعامل في هذا الظرف المضاف المحذوف من الحال ونحوها ويكون
التقدير لا يكن حالك كحاله يحصل لك مثل ما حصل له حين نادي اي ربه في الظلمات من بطن الحوت وظلمة
ما يحيط به من اللجة وظلمة اللج وهو اي والحال انه عند ندائه مكظوم اي مملو كربا وهما وشدة وغما
محمول علي السكوت ببطنه فهو لا ينطق من شدة حزنه ومحبوس عن جميع ما يريد من التصرف الي ان الجاه
سبحانه بذلك الي الدعا والتضرع من الكظم وهو السكوت عن امتلا وتجرع للمرارات ومن هذا كظمت
السقا اذا ملاته وشددته فكان مكظوما والمكظوم المكروب كانه قد اخذ بكظمه وهو مخرج نفسه ولما
تشوف السامع الي ما كان من امره بعد هذا الامر العجيب قال لولا ان وعظم الاحسان بالتذكير وصيغة

التفاعل

التفاعل فقال تداركه اي ادركه ادراكا عظيما كان كلا من النعمة ومنه يريد ان يدرك الاخر نعمة اي عظيمة
جدا من ربه اي الذي احسن اليه بارساله وتهذيبه للرسالة والتوبة عليه والرحمة لنبذ اي لولا هذه
الحالة السنية التي انعم الله عليه بها لطرح طرحا هينا جدا بالعرا اي الارض القفر التي لا بنا فيها ولا نبات
البعيدة من الانس حين طرح فيها كما حكم بذلك من الازل وهو اي والحال انه مذموم اي ملوم علي الذنب ولما
كان التقدير ولكنه تداركه بالنعمة فلم يكن في نبذه ملوما سبب عنه قوله فاجتباه اي اختاره لرسالته
ربه ثم سبب عن اجتبائه قوله فجعله من الصالحين اي الذين رسخوا في رتبة الصلاح فصلحوا في
انفسهم للنبوة والرسالة وصلح بهم غيرهم فنبذ بالعرا وهو محمود من صبر اعظم من صبره كان اعظم الجزا من
اجره وانت كذلك فانت شرف للعالمين. ولما نهاه صلي الله عليه وسلم عن طاعة المكذبين وحذره
اذاهم وضرب لهم الامثال وتوعدهم الي ان قال ذرني ومن يكذب بهذا الحديث وختم بقصة يونس
عليه السلام للتدريب علي الصبر وعدم الضعف ولو بالصغو الي المدهن فكان التقدير تسبيبا عما فيهما
من النهي فانهم انما يبالغون في اذاك لتضجر فتترك ما انت فيه قال عاطفا علي هذا المقدر مخبرا له بما في صدورهم
من الاحن عليه وفي قلوبهم من الضغاين له ليشتد حذره من اذاهم مؤكدا لان من يري اذاهم
يظن اذعانهم وينكر لمبالغتهم فيه طغيانهم وان اي وانه يكاد واظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف
الذين كفروا اي ستروا ما قدروا عليه مما جئت به من الدلايل ولما كانت ان مخففة اي باللام التي
في علمها فقال ليزلقونك اي من شدة عداوتهم وحسدهم وغيظ قلوبهم بابصارهم اي يوجدون لك
التنحية عما انت فيه والزلل العظيم الذي صاحبه في موضع دحض لا مستمسك فيه بالهلاك فما دونه من
الاذي حتي يرموك من قامتك الي الارض كما يزلق الانسان فينطرح لما يترآي في عيونهم حين تصويب النظر
للغيظ من الحنق والسخط الدال علي ان صدورهم تغلي وهو من فوقهم نظرا الي نظرا كاد يصرعني لو امكنه
ان يصرعني به لصرعني كما قال يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا وقيل يهلكونك باصابة العين
قال القشيري كانوا اذا ارادوا ان يصيبوا شيا باعينهم جاعوا ثلثة ايام ثم نظروا الي ذلك الشي وقالوا
ما احسنه من شي فيسقط المنظور اليه في الوقت ففعلوا ذلك بالنبي صلي الله عليه وسلم وقالوا ما افصحه
من رجل فحفظه الله منهم. وللشيخين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال العين حق
وفي رواية عند احمد وابن ماجة يحضرها الشيطان وحسد ابن ادم ولاحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما
رفعه العين حق ولو ان شيا سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا. ولابي نعيم في الحلية من حديث
جابر رضي الله عنه رفعه العين حق تدخل الجمل القدر والرجل القبر. ولابي داود من حديث اسما بنت يزيد
رضي الله عنها وانها لتدرك الفارس فتدعثره ولما ذكر هذا الازلاق العظيم ذكر ظرفه معبرا بالماضي
تذكيرا بالحالة الماضية فقال لما سمعوا الذكر اي القران الذي غلب عليه التذكير بامور يعلمها كل احد من
نفسه ومن الافاق حتي كان هو اياه اولما سمعوه حسدا علي ما اوتيت من الشرف فكان سماعهم له باعثا
لما عندهم من البغض والحسد علي انه لم يزدهم تمادي الزمان الا حقا بدلالة ويقولون اي قولا لا يزالون
يجددونه ولما كان صلي الله عليه وسلم في غاية البعد عما يشين اكدوا قولهم انه لمجنون حيرة في امرك وتنفيرا
عنك لما يعلمون من انه لا يسمعه احد لا غرض له الا كذبهم ومال بكليته اليك وكان معك واغتبط بما جيئت
به. وعن الحسن ان قراءة هذه الاية دوا للاصابة بالعين ولما كان معني قولهم هذا ان ما يقوله
تخابيط من يصرع بالجن اكذبهم بغض الطرف قوله معجبا منهم وما اي والحال لان هذا القران او الرسول صلي الله
عليه وسلم ما هو الا ذكر اي موعظة وشرف للعالمين اي كلهم عاليهم ودانيهم ليس منهم احد الا وهو
يعلم انه لا شي يشبهه في جلالة معانيه وحلاوة الفاظه وعظمة سبكه ودقة حواشيه وجزالة نظومه ويفهم

منه على حسب ما هيأ ما لله لبنا بسبب عموم دكرته عموم الرسالة للمرسل به وكل ما فيه من وعد ووعيد
واحكام ومواعظ شامل لهم كلهم ثم جيت التفرقة بين مسلمهم ومجرمهم لتصدق اقواله فيكمل جلاله وجماله
فقد رجعت خاتمتها كما ترى على فاتحتها بالنون والقلم وما يسطرون من هذا الذكر وسلب ما قالوه فيه من
الجنون والاقسام على الخلق العظيم الذي هو هذا الذكر الحكيم وبيته كونه ذكر الجميع للخلق بما فيه من الوعد والوعيد
على انه لابد من الحاقة وهي القيمة ليظهر فيها تاويله واجماله وتفصيله ويتضح غاية الاتضاح سبيله وتحق فيها
حقايقه وتظهر جلايله ودقايقه بما يقع من الحساب ويتبين غاية البيان للخطا من الصواب ❁ ❁ ❁

مقصودها تنزيه الخالق ببعث الخلايق لاحقاق الحق وازهاق الباطل بالكشف التام لشمول العلم للكليات
والجزئيات وكمال القدرة على العلويات والسفليات واظهار العدل بين سائر المخلوقات بتمييز المسلم من
المجرم بالملذذ والمولم وتسميتها بالحاقة في غاية الوضوح في ذلك وهو واضح لما فيها عليه **بسم الله** الذي له
الكمال كله نزاهة **الرحمن** الذي عم جوده بالعدل كبرا ومجدا **الرحيم** الذي خص اهل وده بالوقوف عند
حدوده لينالوا بطيب جواره علوا وجدا بالاماني وسعدا **لما** قدم سبحانه في ن الانكار الشديد لان يسوى
المسي بالمحسن وذكر القيمة وبينها بيوم كشف الساق وزيادة المشاق وهدد التهديد العظيم باية الاستدراج
الذي لا يدفع بعلاج وختم بان القران ذكر اي شرف وتذكير ومواعظ للعالمين في شمولهم كلهم برحمته اما من بعد
انزاله فبوعده ووعيده ووعظه وقصصه وامره ونهيه واما من قبل انزاله فبالشهادة لهم وعليهم وكان تاويل
ذلك وجميع اثاره انما يظهر ظهورا تاما يوم الجمع الاكبر وكان ذلك اليوم اعظم مذكر للعالمين وواعظ لهم وزاجر
تنبني جميع الخيرات على تذكره وتذكر العرض على الملك الديان والسر في انزال القران هو التذكير بذلك اليوم الذي
هو نظام الوجود قال واصفا للقيمة واليوم الذي يكشف فيه عن ساق واعظا بذكرها ومحذرا من امرها
الحاقة اي الساعة التي يكذب بها هولا وهي اثبت الاشيا واجلاها فلا كاذبة لها ولا لشي فيها فلابد
من حقوقها فهي ثابتة في نفسها ومن احضار الامور فيها بحقايقها والمجازاة عليها بالحق الذي لا مرية فيه
لاحد من الخلق فهي فاعلة بمعنى مفعول فيها وهي فاعلة ايضا لانها غالبة لكل خصم من حاقته فحققته احقه
اي غالبته في الحق فغلبته فيه فهي تحق الحق ولابد فيعلو على الباطل فيدمغه ويزهقه فيحق العذاب للمجرمين
والثواب للمسلمين وكل ما فيها داير على البيان والثبات لان ذلك مقتضى الحكمة ولا يرضى احد من الحكام
ترك رعيته بغير انصاف بينهم على زعمه فكيف بالحكيم العليم وقصة صاحب الحوت عليه الصلاة والسلام
ادل دليل على القدرة عليها **ولما** كان ذلك امرا رايعا للعقول هازا للقلوب مزعجا للنفوس
وكان ربما توقف فيه الجلف الجافي اكد امره وزاد في تهويله واطنب في تفخيمه وتجليله اشارة الى
ان هو له يفوت الوصف بقوله معلما انه مما يحق له ان يستفهم عنه سايقا له باداة الاستفهام مرادا
به التعظيم للشان وان الخبر ليس كالعيان **ما الحاقة** فاداة الاستفهام مبتدا اخبر عنه بالحاقة
وهما خبر عن الاولى والرابطة تكرير المبتدا بلفظه نحو زيد ما زيد اي ما هو واكثر ما يكون ذلك اذا
اريد معنى التعظيم والتهويل **ولما** كان السياق لترجمة المراد بكشف الساق عظم التهويل بقوله
وما ادراك اي في الزمن الماضي وقصره لتذهب النفس فيه كل مذهب اي واي شي اعلمك بشي من الاشيا
مع تعاطيك البحث والمداورة ثم زاد التحذير منها بقوله على النهج الاول مستفهما والمراد التفخيم
ومزيد التعظيم **ما الحاقة** اي انها بحيث لا يعلم كنهها احد ولا يبلغها دراية وكيف ما قدرت حالها
فهي اعظم من ذلك فلا تعلم حق العلم الا بالعيان **وقال** الامام ابو جعفر ابن الزبير **لما** بنيت سورة

ن والقلم على تقريع مشركي قريش وساير العرب وتوبيخهم وتنزيه نبي الله صلى الله عليه وسلم عن شنيع
قولهم وقبيح بهتهم وبين حسدهم وعداوتهم وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم اتبعت بسورة
الحاقة وعدا لهم وبيانا ان حالهم في سو ذلك المرتكب قد سبق اليه غيرهم كذبت ثمود وعاد بالقارعة
فهل ترى لهم من باقية الاية وكم اهلكنا قبلهم من قرن فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم
وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسورة الحاقة جارية مجرى هذه
الاي المعقب بها ذكر عناد مشركي العرب ليتعظ بها من رزق التوفيق لنجعلها لكم تذكرة وتعيها
اذن واعية **ولما ذكر** حال من هلك من الامم السالفة بسو تكذيبهم وقبيح عنادهم اتبع ذلك بذكر
الوعيد الاخراوي يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ثم عاد الكلام الى ما بنيت عليه سورة ن والقلم
من تنزيهه صلى الله عليه وسلم وتكريمه مقسما على ذلك انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر ولا
بقول كاهن وانتهى نفي ما يقولونه منصوصا على نزاهته عن كل خلة منها في السورتين ما انت بنعمة ربك
بمجنون وما الذي جيت به بقول شاعر ولا بقول كاهن بل هو تنزيل من رب العالمين وانه لتذكرة
للمتقين وانه لحق اليقين فنزه ربك وقدسه عن عظيم ما ارتكبوه انتهى **فلما** بلغ التهويل حده وكان سبب الانكار
للساعة ظن عدم القدرة عليها مطلقا او لعدم العلم بالجزئيات قال دالا على تمام القدرة والعلم بالكليات
والجزئيات محذرا من انكرها بانه قادر على تعجيل الانتقام ولكنه لاكرامه لهذه الامة اخر عذابها الى
الاخرة الا لمن كان منهم من الخواص فانه يطهرهم في الدنيا ليتم نعيمهم بعد الموت باديا باشر القبايل
تكذيبا بالبعث لكون ناقتهم ادل دليل على القدرة عليه وقالوا مع ذلك ابشرا منا واحدا نتبعه الى ان
قالوا بل هو كذاب اشر وقالوا في التكذيب به ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون
هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا الايتين فان الامر فيهم داير بين عاد وثمود
كذبت ثمود ونقديمهم ايضا من حيث ان بلادهم اقرب الى قريش ووعظ القرب اكبر واهلاكهم
بالصيحة وهي اشبه بصيحة النفخ في الصور المبعثرة لما في القبور **وعاد** وكان الاصل ان يقال بها
ولكنه اظهرها بوصف زادها عظما وهولا فقال **بالقارعة** اي التي تقرع اي تضرب ضربا قويا وتدق
دقا عنيفا شديدا الاسماع وجميع العالم بانفطار السموات وتناثر النيرات ونسف الجبال الراسيات
فلا يثبت لذلك الهول شيء **ولما** جمعهم بالتكذيب فصلهم بالتعذيب لاجل ذلك التكذيب فقال **فاما
ثمود** وهم قوم صالح عليه السلام **ولما** كان الهايل لهم لتقيدهم بالمحسوسات انما هو العذاب لا
كونه من معين بني للمجهول قوله **فاهلكوا** اي بايسر امر من اوامرنا **بالطاغية** اي الصيحة التي جاوزت
الحد في الشدة فرجفت منها القلوب **ولما** ذكر المهلكين بالصيحة لاجل التكذيب بالقارعة تحذيرا
لمن يكذب بها اتبعه المهلكين بما هو لا نفاد الصيحة وتقويتها دلالة على تمام القدرة على كل نوع من
العذاب فقال **واما عاد** اي قوم هود عليه السلام **فاهلكوا** باشق ما يكون عليهم وايسر ما يكون
في قدرتنا **بريح صرصر** اي هي في غاية ما يكون من شدة البرد والصوت كانه كرر فيها البرد حتى صار
يحرق بشدته والصوت حتى صار يصم بقوته **وقال** الملوي اصله صر وهو البرد الشديد او الحر
الشديد **عاتية** اي مجاوزة للحد في شدة عصفها وعظمة قصفها تفعل افعال المستكبر الذي لا يبالي
بشي فلم يستطع خزانها ضبطها ولم يملك المعذب بها ردها ولا ربطها بل كانت تنزعهم من مكانهم التي
احتفروها ومضانهم التي اتقنوها واختاروها فتهلكهم **قال** الملوي قال علي بن ابي طالب وابن
عباس رضي الله عنهما لم ينزل قط ما ولا ريح الا بمكيال على يد ملك الا يوم الطوفان فان الله تعالى
اذن للما فطغى على الخزان ويوم عاد اذن للريح فعتت على خزانها **ولما** وصفها بالعتو على الخلق والغلبة

لهم بحيث كانت خارقة للعادة لم يات مثلها قبل ولا بعد دالا على صغارها بالنسبة الى عظمته وانه هو الذي
اوجدها لا الطبيعة ولا غيرها بل انما كانت بقدرته واختياره فهو الحق طعن في ملكه وكذب رسله فيما
اخبروا به من امر الساعة التي هي موضع الحكمة واظهار جميع العظمة فقال مستانفا دالا على ذلك **سخرها**
اي قهرها على ان سلطها والتسخير استعمال الشي بالاقتدار ودل على انه تسخير تعذيب لا تسخير رحمة
وتاديب باداة الاستعلا فقال **عليهم** وكلفها ذلك وذللها له فلم يمكنها مع عتوها الا ان كانت طوع
امره وصنيعة عظمته وقهره **ولما** كانت هذه السورة لتحقيق الامور وكشف المشكل وايضاح
الخفي حقق فيها زمن عذابهم تحقيقا لمن يتقدم مثله فذكر الايام والليالي وقدم الليالي لان المصايب
فيها افظع واقبح واشنع لقلة المغيث والجهل بالماخذ والخفا في المقاصد والمنافذ ولان عددها مذكر
في اللفظ وتذكير اللفظ ادل على قوة المعنى ولذلك جعل المميز جمع كثرة ولانها سبع والسبع يبالغ به وهو
اجمع العدد كما ياتي تحقيقه قريبا في حملة العرش ولا يمكن ان يظن بتقديمها ان ابتدا العذاب كان فيها
لانه يلزم حينيذ ان تكون بعدد الايام فلذلك قال **سبع ليال** اي لا تفتر فيها الريح لحظة لانه بولغ في
شدتها مبالغة لم تكن مثلها قط ولا يكون **وثمانية ايام** كذلك حالكونها **حسوما** جمع حاسم اي نحس مانع
من التصرف دايم متتابع لا فترة له من حسم الكي اذا تابع فيه بالمكواة قاطع لكل خير مستاصل له فاتت عليهم
من غير فترة اصلا في جميع ذلك الوقت فاستاصلتهم لم تبق منهم احدا حتى ان عجوزا منهم توارت في سرب فاتبعتها
واهلكتها وبها سميت ايام العجوز ولانها عجز الشتا وهي ذات برد ورياح شديدة وهي من صبيحة الاربعا
لثمان بقين من شوال الى غروب الاربعا الاخر وهو اخر الشهر وقد لزم من زيادة عدد الايام ان الابتدا
كان بها قطعا والا لم تكن الليالي سبعا فتام ذلك **ولما** كان الحاسم المهلك سبب عنه قوله مصورا
لحالهم الماضية **فترى القوم** اي الذين هم غاية في القدرة على ما يحاولونه **فيها** اي تلك المدة من الايام
والليالي لم يتاخر احد منهم عنهم **صرعى** اي مجدلين على الارض موتى معصورين اي مجموع على كل منهم من شدة
ضغطها باد عليهم الذل والصغار جمع صريع **كانهم اعجاز** اي اصول **نخل** قد شاخت وهرمت فهي في غاية
العجز **خاوية** اي متاكلة الاجواف ساقطة من خوى النجم اذا سقط للغروب ومن خوي المنزل اذا خلي من
قطانه قالوا كانت تدخل من افواههم فتخرج ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم فالوصف بذلك لعظم اجسامهم
وتقطيع الريح لهم وقطعها لرؤسهم وخلوهم من الحياة وتسويدها لهم **ولما** كان امرا يعا لمن له ادنى
معقول وكان الاستفهام بمايز بذا الروعة قال مسببا عن استيصالهم ليكون الاخبار به المستلزم لغاية
العالم بالجزئيات كالدعوى بدليلها **فهل ترى** اي ايها المخاطب الخبير بالناس في جميع الاقطار **لهم** اي خصوصا
واغرق في النفي وعبر بالمصدر الملحق بالها مبالغة فقال **من باقية** اي بقا او نفس موصوفة بالبقا
ونجي الله صالحا عليه السلام ومن امن به من بين ثمود ولم تضرهم الطاغية وهودا عليه السلام ومن
امن به من بين عاد لم يهلك منهم احد فدل ذلك دلالة واضحة على ان له تعالى تمام العلم بالجزئيات كما ان
له كمال الاحاطة بالكليات وعلى قدرته واختياره وحكمته فلا يجعل المسلم اصلا كالمجرم ولا المسي كالمحسن
ولما اخبر تعالى عمن اهلك بالريح ومن اهلك بما سببته الريح تسبيبا قريبا بغير واسطة وكان ذلك
كله لخروجه عن العادة رادا على اهل الطبايع اخبر عمن اهلك بما تسببه الريح من الما بواسطة السحاب
وكانت سبب تطابقه عليهم مع ان كفرهم بالتعطيل الذي هو اخص انواع الكفر للقول بالطبيعة التي
تتضمن الانكار للبعث وكان اغراقهم بما يكذب معتقدهم لخروجه عن العادة فقال منبها على قوة كفرهم
بالمجي **وجا** اي اتى اتيانا غالبا شديدا **فرعون** الذي ملكناه على طايفة من الارض فتجبر وادعى الالهية
ناسيا هيبتنا وقدرتنا بنعمتنا وانكر الصانع وقال بالطبايع **ومن قبله** اي في جهته وفي حيزه وما

يليه

يليه في السير بسيرته من العلو في الارض بغير الحق والعتو في الكفر وهو ظرف مكان **هذا** على قراءة البصريين
والكسائي بكسر القاف وفتح الموحدة فعم ذلك كل من كان كافرا عاتيا من قبله ومن بعده **وهو** معنى
قراءة الباقين بفتح القاف واسكان البا على انه ظرف يقابل بعد بزيادة **ولما** كان قوم لوط عليه السلام
قد جمعوا انواعا من الفسوق لم يشاركهم فيها احد فاجتمع عذابهم على ما لم يكن مثله عذاب فكان كل من فعلهم
الذي لم يسبقهم به احد من العالمين وعذابهم الذي ما كان مثله ولا بعده رادا على اهل الطبايع نص عليهم
من بين من دخل فيمن قبله على القراتين فقال **والمؤتفكات** اهل المداين المنقلبات باهلها حتى صار عاليها
سافلها لما حصل لاهلها من الانقلاب حتى صاروا اياه واتبعت حجارة الكبريت وخسف بها وغمرت بما ليس في
الارض مثله وهي قرى قوم لوط عليه السلام **بالخاطية** اي الخطا او الانفعال ذات الخطا التي تخطا منها الى
نفس الفعل القبيح من اللواط والصفع والضراط مع الشرك وغير ذلك من انواع الفسق **ولما كانت**
الرسل كالفرد الواحد لاتفاق مقاصدهم في الدعا الى الله والحمل على طاعته قال مسببا عن مجيئهم بذلك
موحدا في اللفظ ما هو صالح الكثير بارادة الجنس **فعصوا** اي خالفوا ونابذوا **رسول ربهم** اي خالفت كل
امة من ارسله المحسن اليها بابداعها من العدم وابداعها القوي وتربيتها وبعث رسولها لارشادها اغترارا
باحسانه ولم يجوزوا ان المحسن يقدر على الضر كما قدر على النفع لانه الضار كما انه النافع فللتنبيه على مثل ذلك
لا يجوز فصل احد الاسمين عن الاخر وسبب عن العصيان قوله **فاخذهم** اي ربهم اخذ قهر وغضب **اخذة** لم تبق
من امة منهم احدا ممن كذب الرسول فلم يكن كمن ينتصر على عدو من الادميين لا بد ان يفوته كثير منهم وان
اجتهد في الطلب وما ذاك الا لتمام علمه سبحانه بالجزئيات والكليات وشمول قدرته وتلك الاخذة مع كونها
بهذه العظمة من انها اخذ نقم كنفس واحدة جعلها سبحانه **رابية** اي عالية عليهم علية القدر في قوة البطش
وشدة العنف زايدة عن الحد نامية بقدر زيادة اعمالهم في القبح والربا النمو واصله الزيادة واغرق كل من
كذب نوحا عليه السلام وهم كل اهل الارض غير من ركب معه في السفينة وحمل مداين لوط عليه السلام
بعد ان فتقها من الارض على متن الريح بواسطة من امره بذلك من الملايكة ثم قلبها واتبعها الحجارة وخسف بها وغمرها
بالما المنتن الذي ليس في الارض ما يشبهه **ولما** كان ربما وقع في وهم التعجب من وجود فرعون ومن بعده
من الاخبار بالاخذ من قبله على قراءة الجماعة مع ان من من صيغ العموم وذلك مفهم لجميع من في الارض اشار الى
بالاخذه
انه كما اهلك جميع المخالفين انجى جميع الموافقين فقال جوابا لذلك السؤال مؤكدا لاجل من يتعنت ولان ذلك
مما يتعجب منه ويتلذذ بذكره **انا** اي على عظمتنا **لما طغى الما** اي زاد عن الحد حتى علا على اعلى جبل في الارض بقدر ما
يغرق من كان عليه حين اغرقنا قوم نوح عليه السلام به فلم يطيقوا اضبطه ولا قاووه بوجه من الوجوه ولا
وقفوا الركوب السفينة فكان خروجه عن العادة رادا على اهل الطبايع **ولما** كان الايجاد نعمة فكان انجا
ابايهم من الغرق حتى كان ذلك سببا لوجودهم نعمة عليهم قال **حملناكم** اي في ظهور ابايكم بعظمتنا **في الجارية** اي
السفينة التي جعلناها بحكمتنا عريقة في الجريان حتى كانه لا جارية غيرها على وجه الما الذي جعلنا من شانه الاغراق
وهو تعبير بالصفة عن الموصوف ونوح عليه السلام اول من صنع السفينة وانما صنعها بوحي الله وتحفظه
له من ان يزل في صنعتها قال اجعلها كهيئة صدر الطاير ليكون ما يجري في الما مقاربا لما يجري في الهوا واغرقنا
سوى من في تلك السفينة من جميع اهل الارض من ادمي وغيره **ولما** بدا سبحانه بثمود الذين هم اقرب المهلكين
الى مكة المشرفة لان التخويف بالاقرب اقعد وختم بقوم نوح عليه السلام لانهم كانوا جميع اهل الارض ولم يخف امرهم
على احد ممن بعدهم علل اختيار انجايهم بالسفينة دون غيرها فقال **لنجعلها** اي هذه الفعلات العظيمة من انجا المومنين
بحيث لا يهلك منهم بذلك العذاب احد واهلاك الكافرين بحيث لا يشذ منهم احد وكذا السفينة التي حملنا فيها نوحا
عليه السلام ومن معه بابقايها اية من اياته واعجوبة من بدايع بيناته وغريبة في الدهر من اعجوباته **لكم** ايها

الا نابي تذكرة اي سببا عظيما لذكر اول اشياها والموعظة به لتستدلوا بذلك على كمال قدرته تعالى وتمام علمه وعظمة رحمته وقهره فيعود ذكر ذلك اليه ويقبل بقلوبكم عليه وتعيها اي وتحفظ قصة السفينة وغيرها بما تقدم حفظا ثابتا مستقرا كانه يحوي في وعاء • ولما كان المنتفع بما يسمع الحافظ له قليلا جدا دل على ذلك بتوحيد الاذن فقال موحدا منكرا مع الدلالة على تعظيمها اذن اي عظيمة النفع واعية اي من شانها ان تحفظ ما ينبغي حفظه من الاقوال والافعال الالهية والاسرار الربانية لنفع عباد الله كما كان نوح عليه السلام ومن معه وهم قليل سببا لادامة النسل والبركة فيه حتى امتلأت منه الارض والوعي الحفظ في النفس والايعا الحفظ في الوعا وفي ذلك توبيخ للناس بقلة الواعي منهم ودلالة على ان الاذن الواحدة اذا عقلت عن الله فهي السواد الاعظم وما سواها لا يبالي بهم الله بالة قاله الاصبهاني والزمخشري وغيرهما ولما ذكر القيمة وهول امرها بالتعبير بالحاقة وغيرها ودل على قدرته عليها وعلى حكمته بقصص من ذكر على الوجه الذي مر الى ان ختم بالذين كانت قصتهم اشبه تلك القصص بالقيمة من حيث ان امر الله فيها عم اهل الارض وفي زمن يسير وكان الناجون فيها بالنسبة الى المهلكين كالشعرة البيضا في جلد الثور الاسود سبب عن جميع ما مضى قوله شرحا لامرها فاذا نفخ وبني الفعل للمجهول دلالة على هوان ذلك عليه وانه وما تاثر عنه لا يتوقف على نافخ معين بل من اقامه لذلك من جنده تاثر عنه ما يريده وذكره وان كان المسند اليه للفصل ولكونه غير حقيقي التانيث وللدلالة على قوة النفخ في الصور اي القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام كانه عبر عنه به دون القرن مثلا لانه يتاثر عنه تارة اعدام الصور وتارة ايجادها وردها الى اشكالها بسعة فمه كما بين السما والارض واسند الفعل الى المصدر ليفيد بادي بدء لا ليؤكد وان كان التاكيد يفهم منه وهو غير مقصود بالذات فقال نفخة ولما دل بالفعلة على الوحدة اكدها دلالة على عظيم قدرته وحقارة الاشيا عنده بقوله واحدة اي فهلك الخلايق كلهم هكذا قالوا ان هذه النفخة هي الاولى قالوا وعندها خراب العالم وظاهر السياق انها الثانية التي بها البعث وخراب ما ذكر بعد قيامهم انسب لانه لهم ارهب وكونها الثانية احدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما ولما ذكر التاثير في الاحيا اتبعه التاثير في الجمادات وبدا بالسفليات لملابستها للانسان فتكون عبرته بها اكثر فقال وحملت اي بمجرد القدرة الارض اي المنبسطة ورجت رجا والجبال اي التي بها ثباتها فرفعت من اماكنها وبستا بسا فكانت هبا منبثا لم يبق فيها حجر ولا كدية • ولما اريد قوة الدك والابلاغ في تاثيره جعل الجبال شيا واحدا فقال فدكتا اي مسحت الجملتان الارض واوتادها وبسطتا ودق بعضها ببعض دكة واحدة اي فصارتا كثيبا مهيلا وسويتا بايسر امر فلم يميز شي منهما من الاخر بل صارا في غاية الاستوا من قولهم ناقة دكا اي لا سنام لها وارض دكا اي متسعة مستوية قالوا والدك والدق اخوان والدك ابلغ قال ابو حيان والدك فيه تفرق الاجزا والدق فيه اختلاط الاجزا ولما ذكر نفخ الصور سبب عنه قوله فيومئذ اي اذ دكتا وهو بدل من اذا كرره لطول الفصل وافادة تهويلا لها وتعظيما ونصب الظرف بقوله وقعت الواقعة اي التي وقع الوعد والوعيد بها فكانت كانها شي ثقيل جدا ليس له ممسك فما له من ذاته غير السقوط وهي القيمة والحاقة والقارعة نوع اسماها تهويلا لها اي قامت القيمة وكان المراد بها النفخة الثانية ولما ذكر تاثير العالم السفلي ذكر العلوي فقال وانشقت السما اي هذا الجنس لشدة ذلك اليوم ولما كان الشي لا ينشق الا لخلل فيه سبب عنه قوله تحقيقا لذلك فهي يومئذ واهية اي ضعيفة متساقطة خفيفة لا تماسك ولما كانت العادة جارية فيما نعرف ان الملك يظهر انواعا من عظمته يوم عرض الجند قال معرفا لنا بنحو ما الفاه والملك اي هذا النوع الذي يصدق على الواحد فما فوقه والجمع لا يصدق ما دون الجمع فهذا اشمل على ارجايها اي

نواحي السما واطرافها وحواشي ما لم يتشقق منها قال الضحاك يكونون بها حتى يامرهم الله فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها انتهى • وقيل ارجا الارض واحدها رجا مقصور والاثنان رجوان فيحيطون بالجن والانس فيحشرونهم حشر الصيد لارادة اخذه ولما كان الملك يظهر في يوم العرض سرير ملكه ومحل عزه قال ويحمل عرش ولما كان هذا امرا هايلا مقطعا للقلوب قال مونسا للمنزل عليه هذا الذكر مومنا له من كل ما يحذر ربك اي المحسن اليك بكل ما تريده لا سيما في ذلك اليوم بما يظهر من رفعتك ولما كان العرش عاما لجهة الفوق كلها اسقط الجار فقال فوقهم اي فوق رؤسهم يومئذ اي يوم اذ وقعت الواقعة بعدد ما كان تحته من السموات السبع والكرسي ثمانية اي من الملايكة اشخاصا او صفوفا يويد حملته الاربعة في الدنيا باربعة اخرى لشدة ذلك اليوم وثقله وهو في حديث اخرجه ابو داود والترمذي وابن ماجة وابو يعلى والبغوي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وظاهره انهم اشخاص ولفظه ثمانية اوعال بين ركبهم واظلافهم كما بين السما والارض وظاهر ذلك انهم في الدنيا وكونهم في الدنيا اربعة فقط ذكره المعتنون • ورواه الطبراني من طريق ابن اسحق قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرين • وهو مذكور في حديث الصور الطويل الذي يرويه ابو يعلى وغيره من طريق اسماعيل بن رافع عن يزيد بن ابي زياد عن القرظي عن رجل عن ابي هريرة رضي الله عنه • وهذا العدد يحتمل ان يراد به اهل السموات السبع والكرسي فتلك ثمانية وهم خلق لا يحصيهم الا الله وهو اوفق لاظهار العظمة ويمكن ان يراد انهم ثمانية افراد ويكون حملهم له اظهر في العظمة لعلم كل من يرى ذلك ان مثلهم لا يقدر على حمل مثله في عظمته واحاطته وهذا هو اظهر المعاني من الاحاديث الواردة فيه واختيار هذا العدد اوفق للوجه الذي قبله لانه يزيد على العدد الموضوع للمبالغة وهو السبع بواحد اشارة الى انها ابلغ من عدد المبالغة لانه اشارة الى انك كلما بالغت زاد الامر على مبالغتك بما هو فوق العدد وذلك اشارة الى عدم الانتها والوقوف عند حد والى ذلك يشير ايضا ان للثمانية من الكسور النصف والربع والثمن وذلك سبعة والسبعة عدد جامع لجميع انواع العدد الفرد والزوج وزوج الزوج وزوج الفرد وكل ذلك اشارة الى المبالغة في اظهار العظمة والكبريا والعز وتمثيل لنا بما نعرف من احوال الملوك والا فالامر اعظم من مقالة قايل ان رقق البلغا او ان فخموا • اعلاما بعظمة ذلك اليوم ليخشى العباد فيلزموا اسباب الاسعاد • وهذا الذي قلته من سر السبعة قد ذكره الامام بدر الدين ابن الدماميني من شيوخنا في الكلام على الواو من حاشيته على مغني ابن هشام عن تفسير العماد الكندي قاضي الاسكندرية المسمى الكفيل بمعاني التنزيل فقال ونقل الاستاذ عبد الله الكفيف انها لغة فصيحة لبعض العرب ان يقولوا واحد اثنان ثلثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة عشرة هكذا لغتهم ومتى جا في كلامهم لفظ الثمانية ادخلوا الواو وقد نظم بعض اصحابنا في كون السبعة منتهى العدد ابياتا وهي •

يا سايلي عن سر كون العدد • غايته في سبعة لم تزد •
ما سره الا انحصار قسمه • في واحد فرد وشي مسند •
وذلك الشي الذي تسنده • منحصر في واحد وازيد •
فالفرد والفرد اذا ما اجتمعا • زوج مع الفرد الذي لم يسند •
واثنان واثنان اذا ما اجتمعت • اربعة تضم مع ما في اليد •
فتلك سبعة اذا تكاملت • اربعة واثنان مع منفرد •
وما اتى من بعد هذا فهو تكرار له لا زايد في العدد •
ثلثة مع مثلها فرد وفرد • قد مضى وما مضى لا تعدد •
وهكذا الاربعة مع مثلها زوج وزوج قد مضى لا تزد •

وقال الامام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مقدمة كتابه في الملل والنحل اكبر اصحاب العدد على ان الواحد لا يدخل في العدد فالعدد مصدره الاول اثنان وهو ينقسم الى زوج وفرد فالفرد الاول ثلثة والزوج الاول اربعة وما ورا الاربعة مكرر كالخمسة فانها مركبة من فرد وزوج وتسمى العدد الذي

والستة مركبة والسبعة مركبة من فردين وتسمى العدد التام والسبعة مركبة من فرد وزوج وتسمى
الكامل والثمانية مركبة من زوجين وهي بداية أخرى فمصدر الحساب في مقابلة الواحد الذي هو
علة العدد وليس بداخل فيه ولذلك هو فرد لا اخت له ولما كان العدد مصدره من اثنين صار
منهما المحقق محصوراً في قسمين ولما كان العدد منقسماً الى فرد وزوج ذلك من ذلك الاصل محصوراً
في اربعة فان الفرد الاول ثلثة والزوج الاول اربعة وهي النهاية وما عداها مركب منها وكان
البسايط العامة الكلية في العدد واحد واثنان وثلثة واربعة وهي الكمال وما زاد عليها من
المركب الكلي فمركبات كلها ولا حصر لها وقال أبو الحكم ابن برجان في تفسيره سورة القدر انها العدد
بستة والسابع وترها ولما بلغ النهاية في تحذير العباد من يوم التناد وكان لهم حالتان عامة
وخاصة فالعامة العرض والخاصة التقسيم الى محسن ومسيء زاده عظماً بقوله يومئذ اي اذا كان جميع
ما تقدم ولما كان المهول نفس العرض بنى فعله للمفعول ولانه كلا امر القادرين فقال تعرضون
اي على الله للحساب كما يعرض السلطان الجند لينظر في امرهم ليختار منهم المصلح للاكرام والتقريب والاثابة
والمفسد للابعاد والتعذيب والاصابة عبر عن الحساب بالعرض الذي هو جزءه فالمحسن لا يكون له
غير ذلك والمسيء يناقش لا تخفى منكم اي في ذلك اليوم على احد بوجه من الوجوه خافية اي لا يقدر
اصلاً على حال من الاحوال شيء من خفا لشيء كان من حقه الخفا في الدنيا ولا من الانفس وان في غاية
الدقة والغموض لان ذلك يوم الظهور التام من القبور وغير ذلك من الامور ليكون ذلك اجل لسعادة
من اسعد واقبح لشقاوة من اشقى فما بعد قال ابو موسى رضي الله عنه هي ثلث عرضات فاما عرضتان
فجدال ومعاذ واما الثالثة تعبر ها تطاير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله كان من المعلوم انهم قسمان
محسن ومسيء وكان التقدير فنعطي كلا منكم صحيفة اعماله من افعاله واقواله وجميع خلايقه واحواله فمنكم
من تدفع اليه في يمينه فتظهر له حسناته وتستر عنه سياته ومنكم من يعطاها في شماله فتبدو له
سياته وتمحى ما كان من حسناته لانه اوفى ثوابها في الدنيا بما عجل له من طيباته عطف عليه قوله مفصلا
له قوله فاما من اوتي بناه للمفعول لان دلالة السعادة الوقوع في اليمين لا من معطى معين كتابه
اي الذي اثبت فيه اعماله بيمينه فيقول لما راى من سعادته تبجحا بحاله واظهارا لنعمة ربه لان الانسان
مطبوع على ان يظهر ما اتاه من خير تكميلا للذته بكبت اعدايه وتفريح اوليايه قيل انه تكتب سياته
في باطن صحيفته وحسناته في ظاهرها فيقرا الباطن ويقرا الناس الظاهر فاذا انتهاه قيل له قد غفرها
الله اقلب الصحيفة فحينئذ يكون قوله هاؤم اي خذوا ايها الحاضرون من الخلايق الملايكة وغيرهم
فها صوت يفهم منه معنى خذ واو يوصل تارة بالكاف وتارة بالهمزة اسم فعل وانما اختارها هنا
ليعلم ان خطابه بجميع اهل الموقف من كان منهم باطنا من الملايكة والجن وغيرهم ومن كان منهم ظاهرا
لان الالف عند الربانيين غيب واحاطة كما دل عليه مخرجه فهي عبارة عندهم عن القايم الاعلى المحيط وروي
معنى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما والهمزة بدء غيبه ولذلك كان مخرجه اقصى الحروف الحلقية دلالة
على ذلك وبدء غيب الله سبحانه وتعالى افعاله وهي تشمل الخفي والظاهر واما الكاف فهي عندهم ظهوره
متكاملا ذي استقلال وهو من يكون من شانه الظهور وابنا الجنس احق بهذا وقد دل على ذلك مخرج
الكاف الذي كان بعد القاف من اصل اللسان الاقرب الى وسط ومفعولها محذوف عند البصريين
دل عليه كتابيه من قوله اقرءوا كتابيه هاؤه للسكت كانها اشارة الى شدة الكرب في ذلك اليوم للدلالة
على انه اذا كان هو السعيد يسكت في كل جمله للاستراحة لا يقدر على المضي في الكلام فما الظن بغيره
ويشير ايضا مع ذلك الى فراغ الامر وتجازه والجزم به والوثوق بانه لا يغير ولما كانت حقيقة للحسا

ذكر الاعمال والمجازاة عليها وكان الادمي لانه مجبول على النقص لا يقدر ان يقدر الله حق قدره وكلما
كان الانسان اعلى كان لاستشعار النقص من نفسه اكثر وكان من نوقش الحساب كما قال النبي صلى
الله عليه وسلم عذب قال مؤكدا لان من يرى حاله وكتابه ينكر ان يكون له ذنب او منه تقصير
اني ظننت اي في هذا اليوم خوفا من سوء اعمال شتى اعرفها من نفسي اني ملاق اي ثابت لي ثباتا لا ينفك
ان القى حسابيه لاني كنت جامعا كما امرت بين الخوف والرجا فاخاف ان يقابل بين حسناتي وبين النعم
فلا تقوم لاصغر نعمة فاعذب على سياتي وارجو غفرانه فحقق سبحانه رجاي وامن خوفي فعلمت الان
اني لا اناقش الحساب وانما حسابي العرض وهو الحساب اليسير بان تعرض اعمالي فلا اجازي على سيئها
واثاب على حسنها منا منه ورحمة وفضلا ونعمة ويجوز ان يكون الظن في الدنيا عبر به عن اليقين
اشارة الى انه يكفي العاقل في الخوف الحامل على العمل ظن الخطر وفيه اشعار بهضم النفس لان الانسان
لا ينفك عن خطرات من الشبه تعرض له وتهجم عليه وايذان بان مثل ذلك لا يقدح في الجزم بالاعتقاد وتنبيه
على انه يكفي في ايجاب العمل الظن فيكون حينئذ تعليلا لاعطا الكتاب باليمين وفيه تبكيت للكفار وتبدا
عليهم بانهم لم يصلوا في هذا الامر المحقق الى مرتبة الظن فكيف بالمحقق من العلم فاهملوا العمل له فخابوا
ولما كان تقدير هذا واضحا سبب عنه ما تاثر عن الحساب اليسير من اعطا الثواب فقال
فهو في عيشة اي حالة من العيش ولما كان الرضى بالشي لا يكون الا اذا بلغ نهاية السؤل ودعا
المامول قال مسندا الرضى الى العيشة كناية عن رضى صاحبها على الوجه الابلغ راضية اي ثابت لها
الرضى ودايم لها لانها في غاية الحسن والكمال والعرب لا تعبر عن اكثر السعادات باكثر من العيشة الراضية
بمعنى ان اهلها راضون بها والمعتبر في كمال اللذة الرضى وانه لو كان للعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها
ولما شوق سبحانه الى حال صاحب هذه العيشة وكانت امرا اجماليا فصلها وبينها بالابدال منها
زيادة في التشويق فقال في جنة اي بساتين جامعة لجميع ما يراد منها ولما كان شرف المسكن بالعلو
قال عالية اي في المكان والمكانة والابنية والدرجات والاشجار وكل اعتبار فلما كان من
شان العالي عسر الوصول اليه قال قطوفها جمع كثرة لقطف بالكسر وهو ما يجنى من الثمرات المجتمعة
في عرق من فروعه دانية اي قريبة الماخذ سهلة المتناول جدا للراكب والقايم والقاعد والمضطجع كله
ذلك على حد سوا دايما من غير انقطاع لا كلفة على احد من انه لم يبنا في تناول شيء من ذلك ولما كان كون
الثمار بهذه الصفة دالا على كثرة الري كما ان الري دالة على غزارة المشرب وكانت من مفرده اللفظ عامة
المعنى وكان قد افرد الضماير باعتبار لفظها تنصيصا على كل فرد فرد جمع باعتبار المعنى اعلاما باشتراك جميع اهلها
في النعيم حال الانفراد والاجتماع فقال كلوا واشربوا اي مقولا لهم ذلك اشارة الى ان ذلك لا مانع منه
والى انهم يؤمرون به صريحا دلالة على رضى صاحب الجنة لئلا يتنغص عليهم عيشهم بنوع من الانواع الموهمة
للخطر وحذف المفعول ايذانا بالتعميم لئلا يظن انه يستثنى منها شيء فيكون سبب الفتنة كما وقع لادم عليه السلام ولما
كانت الماكل والمشارب في هذه الدار تورث التخم والامراض وفيها ما لا يلذ وكان ما وقع لابينا ادم وامنا
حوا عليهما السلام على اكله واجلة من وخامة العاقبة معروفا قال مؤمنا من ذلك هنيا اي اكلا طيبا
لذيذا شهيا مع البعد عن كل اذى وسلامة العاقبة بكل اعتبار ولا فضلة هناك من بول ولا غايط ولا بصاق
ولا مخاط ولا قرف ولا وهن ولا صداع ولا ثقل ولما شوق الى المستلذات حملهم على اسبابها وحضهم على المسابقة
في تحصيلها والمثابرة والمداومة على الاستكثار منها فقال زيادة في لذتهم بان ذلك على وجه العوض
لا امتنان عليهم في شيء منه لاحد من الخلق فان احب ما الى الانسان ان ياكل مما افادته يمينه وحصله بعمله
مع ما في ذلك من التشرف بما اسلفتم اي اعطيتم من انفسكم لاخرتكم طوعا من الاعمال الصالحة ومما تركتم من

الدنيا مما هو سافل بالنسبة الي ما عوضتم عنه من اعمال القلب والبدن والمال في الايام ولما كان
سبحانه قد ضمن كل ما يشتغل به الانسان من مصالح دنياه فهو واصل اليه لا محالة وان فرغ اوقاته كلها
لعبادة ربه قال الخالية اي الماضية في الدنيا التي انقضت وذهبت واسترحتم من تعبها والتي لا شاغل
فيها عن العبادة اما بترك الاشتغال بالمعاش للواصل الي درجة التوكل واما بالسعي علي وجه الاقتصاد
بقصد المساعدة للعباد في امور هذه الدار والافضال عليهم وان لا يكون كلا عليهم من غير اعتماد علي السعي
بل امتثالا للامر مع القناعة بالكفاف ولما كانت العادة جارية بان اهل العرض ينقسمون الي
مقبول ومردود وذكر سبحانه المقبول بادئا به تشويقا الي حاله وتغبيطا بعاقبته وحسن ماله
اتبعه المردود تنفيرا عن اعماله بما ذكر من قبايح احواله فقال وأما من ولما كان الدال علي
المساة الابا علي وجه قبيح لا تعيين المؤتي قال بانيا للمفعول لذلك وللدلالة علي ذل الآخذ وعدم قدرته
علي الامتناع عن شي يسوءه أوتي كتابه اي صحيفة حسابه بشماله فيقول اي لما يري من سوء عاقبته
التي كشف له عنها الغطا حتي لم يشك فيها لما راي من قبايحه التي قدمها وكل ما ياتي مما يوهم شكه في ذلك
اليوم فمن باب المكابرة والمدافعة بالباطل علي ما كان عليه في الدنيا يا ليتني تمنيا للمحال وجري علي
نسق ما مضي في البنا للمفعول الدال علي ذله وعدم حيلته فقال لم اوت اي موت ما كتابيه
اي هذا الذي ذكرني بخبايث اعمالي وعرفني جزاها ولم اي ويا ليتني لم ادر ولو حاولت الدراية
ما اي حقيقة حسابيه من ذكر العمل وذكر جزايه بل استمريت جاهلا لذلك كما كنت في الدنيا ولما
تمني هذين الشيئين استانف مراده بهما فقال لانه راي اي ان ما يستقبله شر مما كان فيه من البرزخ
يا ليتها اي الموتة التي متها كانت القاضية اي البانة الخاتمة الملزمة لدوام الموت الخاتمة عليه
حتي لا يكون بعدها بعث ولا شي غير الموت كما كنت اعتقد في الدنيا قال الرازي وفي الحديث تمنوا
الموت اي اذ ذاك ولم يكن في الدنيا شي اكره منه عندهم ولما كان التمني مفهما لانه كان له ضد
ما تمناه من البعث علي ما كانت تخبره به الرسل ومن الحساب الذي هو سر البعث وخالصه وقد كان
يقول انه يتخلص منه علي تقدير كونه بماله وجاهه قال معللا لتمنيه ما اغني نافيا تاسفا علي فوات ما
كان يرجو من نفعه والمفعول علي هذا التقدير محذوف للتعميم او مستفهما استفهام انكار علي نفسه وتوبيخ
حيث سولت له ما اثرله كل سوء وكل محال منازعة للفطرة الاولي المؤيدة بما اخبرت به الرسل حتي اوقعه
ذلك التسويل في الهلكة عني ماليه اي الذي منعت منه حق الله وتعظمت به علي عباده وهذا النفي
للاغنا سامع مفهوم علي كل تقديري النفي والاستفهام ولما كان المال سبب الوصول الي السلطان
قال نافيا لما اوصله اليه ماله شارحا لعدم اغنايه هلك عني اي مجاوزا الي حتي كاني لم اكن فيه
ساعة قط سلطانيه اي تسلطي علي الدعاة الي الله بالشبه الباطلة التي كان مطلق اللسان بها فاساعد
عليها مع ظهور بطلانها الملك الذي اوصل اليه المال فعاد الآن ذلك الملك اعظم هلك والمساعد
ابعد مباعد ولما كان كانه قيل هذا ما قال فما يقال له اجيب بانه يقال للزبانية تعذيبا لروحه
بالتوبيخ والامر بالتعذيب علي رؤس الاشهاد خذوه اي ايها الزبانية الذين كان يستهين بهم عند سماع
ذكرهم ولما كان الاخذ دالا علي الاهانة الناشية عن الغضب سبب عنه قوله فغلوه اي اجمعوا
يديه الي عنقه ورجليه الي ورا قفاه الي ناصيته ولما كان الغل لما بعده من العقاب قال معظما
لرتبة عقابه في الشدة والهول بالتعبير باداة التراخي ثم الجحيم اي النار العظمي التي تجحم علي من يريد
دفاعها وتجحم عنها من راها لانها في غاية الحر والتوقد التغيظ والتشدد صلوه اي بالغوا في تصليته
وكرروها بغمسه في النار كالشاة المصلية مرة بعد اخري ولا تصلوه في اول امره غيرها لانه كان لا يالوا

جهدا ان يحرق قلوب النصحا باشد ما يقدر عليه من الكلام وغيره وكان يتعظم علي الضعفا فناسب
ان يصلي اعظم النيران وعبر ايضا باداة التراخي لعلو رتبة مدخولها فقال مؤذنا بعدم الخلاص ثم في
سلسلة اي عظيمة جدا لا ما هو دونها ولما قدمها دلالة علي الاهتمام بها وعلي تخصيصها لشدة فيها
عرف بعظم هولها وشدة فظاعتها ليجمع المفهوم والمنطوق علي تهويلها فقال ذرعها اي في اي شي
فرضت من طول او عرض سبعون ذراعا يحتمل ان يكون هذا العدد حقيقة وان يكون مبالغة والذي
يدل علي انها للمبالغة ما رواه الترمذي وقال اسناده حسن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لو ان رصاصة مثل هذه واشار الي مثل الجمجمة ارسلت من السما
الي الارض وهي مسيرة خمسماية سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من راس السلسلة لسارت
اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ اصلها وقعرها واشار سبحانه الي ضيقها علي ما يحيط به من بدنه
بتعبيره بالسلك فقال فاسلكوه اي ادخلوه بحيث يكون كانه السلك اي الخيط الذي يدخل في
ثقب الخرزة بعسر لضيق ذلك الثقب اما باحاطتها بعنقه او بجميع بدنه بان تلف عليه فيصير في غاية
الضنك والهوان لا يقدر علي حركة اصلا وهذا تعذيب القالب لانه افسد القلب بعدم الايمان
والقالب بعدم الاعمال ولما ذكر علي الاجمال عقابه اتبعه اسبابه فقال بادئا باعظمها مؤكدا لان
كل كافر حتي المعطل يقر بالله نوع اقرار ويدعي الايمان به نوع ادعا لانه لا يقدر علي غير ذلك لما له سبحانه
من غلبة الظهور وانتشار الضيا والنور انه كان اي جبلة وطبعا وان اظهر شيا يلبس به علي الضعفا
ويدلس علي الاغنيا لا يؤمن اي الآن ولا في مستقبل الزمان بالله اي الملك الاعلي الذي يعلم السر واخفي
ولما كانت عظمة الملك موجبة لزيادة النكال لمن يعاند علي قدر علوها وكان الذي اورث هذا
الشقي هذا الخزي هو تعظمه علي اوامر الله وعباده اشار الي انه لا يستحق العظمة غيره سبحانه فقال العظيم
اي الكامل العظمة ولما بين عناده للملك الاعظم بافساده القوة العلمية بين ما يوجبه الكفر من
احتقاره للضعفا افسادا للقوة العملية اعلاما بانه مكلف بفروع الشريعة كما انه مكلف باصولها
وبيانا لان عناده من فوقه لرداة طبعه لا لعلو همته فقال معظما لهذا الذنب لجعله في سياق الكفر
وبالتعبير بالحض مشيرا به الي ان فاعل ذلك شديد الاستغراق في حب الدنيا لانه لا يمنعه من حث غيره
علي الخير الا ادخاره لنفسه ولا يحض اي يحمل ويحث علي بذل طعام اي اطعام المسكين اي تسهيله باعانته
عليه ان كان موجودا والسوال في بذله وما يقوم مقامه ان كان مفقودا فكيف بالبذل من عنده
فان كان ذلك لا يحمل عليه الايمان لخلوه عن حظ والتقييد يفهم انه يحث علي خدمة الاكابر الجبابرة ويحب
العكوف علي ابوابهم والاضافة مع التعبير بالطعام دون الاطعام للاشعار بان الفقرا يملكون كفايتهم من
اموال الاغنيا تدل ذلك علي انه مع كفره الذي هو اشنع صفات الباطن في غاية الشح والقساوة وعدم
المروة للاعراض عن اسباب التمدح وعن التنزه عن سو القالة وقبيح الذكر وذلك اشنع الرذايل فلذلك
خصص هذين الامرين وكان ابو الدردا رضي الله عنه يحض علي طعامهم ويقول خلعنا نصف السلسلة
بالايمان افلا نخلع الآخر يعني بالحث علي الاطعام وذمه علي استهانته بالمساكين يفهم الذم علي الاستهانة
بمن دونهم ممن هم اسوا حالا منهم بطريق الاولي ولما وصفه سبحانه باقبح العقايد واشنع الرذايل
سبب عنهما في مقابلة افساد القوتين العلمية والعملية قوله فليس له اليوم ولما ذكر الزمان
المتعقب للبعث ذكر المكان الكاين فيه وهو الدار الآخرة فقال ههنا اي في جميع القيمة كله حميم
اي صديق خالص يحترق له ويحميه من العذاب لانهم كلهم له اعدا كما انه هو كان لا يرق علي الضعفا
لما هم فيه من الاقلال من حطام الاموال ولما نفي عنه الجاه لانسلاخه من حزب الملك الولي الودود

وتحيزه الي حزب الشيطان العدو الجحود اتبعه المقصود بالمال الذي تنشا عنه جميع الاستمتاعات ويقصد عند الاجتماع والانس بالاصحاب لاخلاده الي ماله واعراضه عن عيال الملك لاجل ضعفهم الذي ذهبه المال وامرهم بمواساتهم فيه فقال **ولا طعام** ولما كان الاستثنا معيارا للعموم قال **الا من غسلين** اي غسالة اهل النار من قيحهم وصديدهم فعلين من الغسل ويلزم من هذا الطعام ان يكون تحت غيره ليسيل ما غسالته اليه ولما حصر طعامه في ان لا يقربه احد باختياره حصر من تناوله معبرا عنهم بالوصف الذي اوجب لهم اكله فقال **لا ياكله** وفرغ الاستثنا تنبيها علي ان المستثني هو المقصود حتي كانه لا مستثني منه فقال **الا الخاطئون** اي ياكله المتعمدون للخطايا لا غيرهم وهو من خطي للرجل بوزن فرح مهموزا اذا تعمد الذنب واما المخطي فهو من قصد الخير فلم يصبه بغير تعمد فليس عليكم جناح فيما اخطاتم به اي اردتم الصواب فلم تصيبوه وهذا الطعام يغسل ما في بطونهم من الاعياب والمعاني الذي هي قوام صاحبها وهي بمنزلة ما كانوا يسحون به من اموالهم التي ابطنوها وخزنوها في خزاينهم واستاثروا بها علي الضعفا **ولما ذكر** سبحانه الحاقة التي جعلها دار الحساب للمحسن والمسي اللذين قسمتهما القدرة واقتضتهما الحكمة وصوب اليهما القران الذي هو ذكر للعالمين بالوعد والوعيد والبشارة والتهديد ومن المعلوم ببديهة العقل انه لا يصح اصلا في حكمة احد ان يترك من تحت يده هملا لا سيما ان كان تقدم اليهم بالامر والنهي واقام الدليل علي قدرته عليهم بتعذيب من اساء منهم لاجل تكذيب رسلهم ليكون عذابهم ونجية المحسنين منهم مثالا محسوسا تشهد فيه الحاقة لان من قدر علي ذلك كانت له القدرة التامة وذكر ما دلت الحكمة عليه من تنعيم الطايع وتعذيب العاصي بما هو انسب الاشيا لعمل كل منهما في هذه الاساليب المعجزة مفردات وتراكيب ومعاني فدل ذلك علي اخر سورة ن عاد الي تقريره بوجه اخر وهو انه لتمام علمه وكمال قدرته لا يعجز من كذب عليه علي كذبه فضلا عن ان يؤيده فقال مسببا عن ذلك حين بلغ الامر في الوضوح الي النهاية ذاكرا ما هو ابلغ في القسم لان بعض اهل الجدل اذا حجه خصمه يقول انما غلبتني لانك اتقن مني في الجدل لا بالحق فان الحق معي فيحلف له صاحبه انه ما غالطه ولا تعمد في جدله الا الحق **فلا اقسم** اي لا يقع مني اقسام **بما** اي بمجموع ما **تبصرون** اي لكم اهلية ابصاره من كل ما دخل في عالم الشهادة **وما لا تبصرون** اي ليس لكم في هذه الدار اهلية ابصاره وذلك جميع الموجودات واجبها وجايزها معقولها ومحسوسها لان الامر اوضح من ان يحتاج الي اقسام وان كنت اقسم في غير هذا الموضع بما شيت من افراد وهذا المجموع ولما اكد غاية التاكيد بما قال من ان الامر وصل في الوضوح الي حد لا يحتمل التاكيد فكان ذلك تاكيدا بعد التاكيد استانف الخبر عما اخبر انه لا يحتاج الي اقسام باثبات اداة التاكيد لاجل انكارهم ليكون الكلام جامعا بين التاكيد بالنفي والتاكيد بالاثبات فقال **انه** اي هذا الذي ختمت به سورة ن ودل علي الساعة بما اتي به من هذه الاساليب التي هم مع كونها حكيمة معجزة **لقول** اي تلاوة **رسول** اي انا ارسلته به وعني اخذه وليس فيه شي من تلقا نفسه انما هو كله رسالة واضحة جدا انا شاهد بها بما له من الاعجاز الذي يشهد انه كلامي ولما كان من شان الرسول ان لا يبلغ الا ما ارسله به مرسله وكان بعض الرسل ربما زاد او نقص تعمدا او سهوا اخبر انه صلي الله عليه وسلم من الوصف ما يحفظه فقال **كريم** اي هو في غاية الكرم الذي هو البعد عن مساوي الاخلاق باطنها ومعاليها لشرف النفس وشرف الابا فهو لا يزيد ولا ينقص وكرم الشي اجتماع الكمالات اللايقة به فيه ولما اثبت انه قوله سبحانه لانه قول رسوله صلي الله عليه وسلم وهو لا ينطق عن الهوي نفي عنه ما يقولونه عليه فبدا بالشعر وهو ما يقوله الانسان من تلقا نفسه علي وزن مقصود صدقا كان او كذبا ولا بد فيه للتقيد بالوزن

والقافية من التكلف الذي القران بعيد عنه وهو مع مشاركته للسجع في التكلف الناقص للمعني اعلي منه بالوزن الذي يكسبه الرونق والحلاوة فقال **وما هو** اي هذا الذكر في باطن امره ولا ظاهره واكد النفي فقال **بقول شاعر** اي ياتي بكلام مقفي موزون بقصد الوزن وانما قيل لانه ليس بقول من هو كذلك لانه لا يوافق الوزن فيه الا اماكن نادرة بالنسبة الي مجموع القران ومن المعلوم به ان ذلك لا يرضي به شاعر وهو ان ينصب نفسه منصب النظم ولا ياتي بقصد الوزن ثم ياتي بكلام اكثره غير موزون فعلم قطعا ان الذي وافق الوزن فيه غير مقصود فليس بشعر ولما كانت مخالفة القران للشعر خفية من حيث انه لا يعرف ذلك الا الشعرا وهم قليل في الناس والاغلب لا يعرفون ذلك ختم الاية بالايمان الذي هو التصديق بالغيب فقال **قليلا ما تؤمنون** اي ما توجد ولا التصديق الذي هو الايمان الا ايجادا او زمانا قليلا وذلك لاني قد اخبرتكم بذلك في غير موضع فلم تصدقوا وفيكم شعرا كثير يعرفون معرفة تامة انه مخالف للشعر وقد اخبركم بعضهم بذلك كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وغيرهما ثم لا تتبعون ذلك ثمرته وهو الايمان بالله ورسوله وايمانهم القليل اقرارهم اقر من شعرايهم انه ليس بشعر واخلاصهم بالوحدانية عند الاضطرار واقرارهم الخالق بالخلق والربوبية وهو ايمان لغوي لا شرعي ولما كان من يعرف الشعر يعرف النثر فهو اعلي فقدمه اتبعه النثر فقال **ولا بقول كاهن** وهو المنجم الذي يخبر عن اشيا يوهمها لراي يخبره بذلك واغلبها ليس لها صحة وعبارته عن ذلك بالسجع المتكلف المقصود كونه سجعا الذي يكون المعني فيه تابعا للفظ للتحلية بمشاكلة المقاطع ولما كانت مباينة القران للسجع خفية جدا لما فيه من الفواصل في الاغلب وتركها في البعض فارق لان الساجعين لا يرضون ان ياتوا بقرينة لا اخت لها ويعدون ذلك عيا وعيبا ردها وكذا تطويل السجعة عن قرينتها وتضعيفها علي عديلتها لا يرضي به ساجع ولو انه هاجع ومباينة النبي صلي الله عليه وسلم للكهنة ظاهرة جدا فان الكاهن من ينصب نفسه للدلالة علي الضوايع والاخبار بالمغيبات يصدق فيها تارة ويكذب كثيرا وياخذ الجعل علي ذلك ويقتصر علي من يساله فعبر لذلك بكاهن دون ساجع اذا امره علي التفكر فقال **قليلا ما** واكد امر القلة والخفا بادغام تا الافتعال فقال **تذكرون** فلذلك يلتبس عليكم الامر او علي من تلبسون عليه بذلك فعلم ان الذي يفرق بينهما موجود فيهم لانه يري ان الكتاب تابع للمعني الصحيح الثابت فان صح غاية الصحة مع وجود القراين المتوافقة في الروي كان والا انتقل عن ذلك الي قراين غير متوافقة في روي ولا ما يقاربه او قرينة مفردة مع امكان جعلها كما قبلها لكن مع نقصان المعني المقصود او طول الكلام ونحو ذلك وان النبي صلي الله عليه وسلم لم يدع يوما من الايام علم الغيب ولا نصب نفسه الشريفة لشي مما الكهان فيه ولا نقل في ساعة من الدهر عن الجن خبرا ذكر انه استفاده منهم ولا مدحهم لذلك كما تفعل الكهان بل ذم الفاسقين منهم غاية الذم وقال ان اكثر ما ياتون به الكذب ولا سال جعلا علي ما يدعوا اليه ولا اقتصر علي من ياتيه للسوال بل هو صلي الله عليه وسلم يتبع الناس في مجامعهم يدعوهم الي الله بانقاذهم من الضلال فمباينة الكهان لا تحتاج الي غير تذكر قليل كما اشار اليه ادغام تا التفعل فثبت ان القول ليس بكهانة وقايله والمودي له ليس بكاهن ونسبة القول الي المبلغ لكونه مبلغا واضحة الصحة ولما اثبت انه قول الرسول الذي لا ينطق عن الهوي ونفي عنه ما قد تلبس من الشعر والكهانة ولم يذكر ما كانوا يرمونه به من السحر والاضغاث لانه عناد محض لا يرتاب احد فيه وكانت السورة مقصودا فيها اثبات الحقايق التي قد تخفي وصفه بما حقق ما اريد من نسبته الي الرسول صلي الله عليه وسلم فقال **تنزيل** اي علي وجه التنجيم واشار الي الرسالة الي جميع الخلق من اهل السموات والارض بقوله **من رب العالمين** اي موجدهم

ومدبرهم بالاحسان اليهم بما يعمهم كل منهم من هذا الذكر الذي رباهم به ورتب سبحانه نظمه على وجه
سهله على كل منهم شيا يكفي في هدايته البيانية بخلاف الشعر والكهانة فانه لا يفهمها الا قليل من الناس
لا جميع العالمين بل كثير من اكابر العلما وحذاقهم ربما قرئ على احدهم الان القصيدة من قصايد العرب
فلا يفهم المراد منها ولا يتضح له بوجه • ولما كان قد بقي من الاقسام التي كانوا يقولونها عليه الافترا
في الرسالة بمعنى انه عثر على بعض كتب الله التي نزلت على من قبله فانتحلها من غير ان توحى اليه وكان الدليل
على ان ذلك ليس كذلك ان العادة تحيل ان يطلع شخص من الناس على شي لم يطلع عليه احد منهم ولا
سيما ان ذلك الشخص قليل المخالطة للعلما فكيف ان كان اميا لا يكتب ولا يقرا كما كان صلى الله عليه
وسلم قال عاطفا على ما تقديره فلو لم يكن تنزيل رب العالمين عليه لم تعجزوا عنه ولو تقول اي كلف
نفسه ان يقول مرة من الدهر كذبا علينا على ما لنا من العظمة بعض الاقاويل اي التي لم نقلها او
قلناها ولم ناذن له فيها وهو جمع افعولة من القول كالاضاحيك جمع اضحوكة لا جمع اقوال ليكون
جمع الجمع لانه يلزم عليه ان لا يعاقب بما دون ثلثة اقوال لاخذنا اي لعظمتنا قوة وغضب وقهر واهلاك
واكد للاعلام بشدة الغضب من الكذب وشدة قبحه • ولما كان اخذا يلاشي عنده كل اخذ لان من
افترى على الملوك لا يفعل به الا ذلك قال منه اي خاصة باليمين اي التي هي العضو الاقوى منه فبها
يكون بطشه فنذهب بشدة بطشنا او اليمين منا فيكون كناية عن اخذنا له بغاية القوة فان قوة كل شي في
ميامنه وقيل اذا اراد الملك اهانة شخص قال خذ يا فلان فياخذ بيمينه فهو كناية عن الاذلال
وقيل هذا تصوير لقتل الشخص باشنع صورة فان الملك اذا اراد التخفيف على من يقتله امر السياف فاخذ
بيساره وضرب بالسيف من ورايه لان العنق من خلف اوسع فيكون اسرع قطعا ولا يرى المقتول
لمع السيف وان اراد التعذيب والمبالغة في الاهانة اخذ بيده اليمنى بيده اليسرى وضربه وهو مستقبل
له يرى لمع السيف وربما وقعت الضربة لضيق المجال من قدام في حنكه فيحتاج الى ثانية وثالثة فهو افحش ولما
صور مبدا الاهلاك بافظع صورة اتمه مشيرا الى شدة بشاعته بحرف التراخي فقال ثم لقطعنا اي حتما بلا
مثنوية بما لنا من العظمة قطعا يتلاشى عنده كل قطع منه الوتين اي العرق الاعظم في العنق الثابت الدايم اللين
الذي يسمى الوريد وهو بين العلبا والحلقوم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نياط القلب وفي القاموس
عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه انتهى • واختير التعبير به لان مادته بهذا الترتيب تدور على المتانة
والدوام فلذا كان يفوت صاحبه بفواته • وقال ابن برجان عرق متصل بنياط القلب مستبطن للصلب يعلا
الجسد كله تسقيه الكبد وهي بيت الدم وهو تجري منها الدم في البدن ياخذ منه ستون عرقا هي انهار
الدم في الجسد كله من هذه الانهار تاخذ عروق الجسد ثمانية عشر تسقي الصدر وسبعة تسقي العين واربعة
تسقي الدماغ والوتين في مجمع الوركين الى مجمع الصدر بين الترقوتين ثم تنقسم عنه ساير العروق الى ساير
الجسد ولا يمكن في العادة الحياة بعد قطعه وفي المايدة عند والله يعصمك من الناس مما ينفع هنا ولما
انتج تصوير ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه من ان ياخذ السياف او اعوانه بيمينه ويكفحه بالسيف فيضرب به
عنقه سبب عنه قوله اتماما للعظمة فما منكم اي ايها الناس واغرق في النفي فقال من احد عنه اي القتل
او المقتول المتقول ولما كان احد عاما حقق عمومه واصفا له او اخبر عما على لغة الحجاز بقوله حاجزين
اي يكون حاجزا اي جرما كثيفا مانعا من الوصول اليه فلا غرض يتعلق من عاقل بان ينتصح لاحد بنصيحة
تعود على المنصوح وخلو بالنفع ولا حظ للقايل فيها يكذب يكلف نفسه تقوله على ملك لا يقدر ذلك المنصوح ان يحميه
عن عقوبته على ذلك الكذب واختار الاخبار بالجمع لانه يدل على عدم حجز الفرد من باب الاولى ومنكم حال لتقدمه
وهذا كله كناية على ابلغ الوجوه عن ان هذا الذكر كلام الله لا شبهة فيه بوجه مضموما ذلك الى وجوه اعجازه

لان

لان لو لامتناع الثاني لاجل امتناع الاول فالتقدير كما يقال في القياس الاستثنايي لكنا لم ناخذه هذا
الاخذ فثبت انه ما تقول علينا شيا فثبت انه ما قال كلامنا ثبوتا تاما بالبرهان على وجه لا يرام نقضه
ولما كان هذا كناية عن هذا من غير نظر الى حقايق مفرداته ولا معنى شي منها على انفراده فكان
كانه قيل تنزيل من رب العالمين غير متخيل فيه الكذب بوجه عطف على ذلك قوله وانه اي القران بعد
ان كان ذكرا لجميع العالمين لتذكرة اي مذكر عظيم جدا للمتقين اي من العالمين لانهم المنتفعون به
لاقبالهم عليه اقبال مستفيد • ولما علم من هذا انه سبحانه عالم بعقبى المسي والمحسن ظواهرهم وبواطنهم
صرح بالقسم الآخر فقال مؤكدا لاجل انكار الضلال وانا اي بما لنا من العظمة لنعلم اي علما عظيما محيطا
ان منكم ايها الارضيون السفليون الذين ليس لهم اهلية العلو الى تجريد الارواح عن علايق الجسد
الكثيفة مكذبين اي عريقين في التكذيب فانزلنا الكتب وارسلنا الرسل ليظهر منكم الى عالم الشهادة
منها ما كنا نعلمه في الازل غيبا من تكذيب وايمان فتستحقون بذلك الثواب او العقاب فلذلك وجب
في الحكمة التي لا يكذب بها احد ولا يشك في انها خاصة الملك لمظهره لكماله ان نعيد الخلق الى ما كانوا عليه
من اجسامهم قبل الموت لنحكم بينهم فنجازي كلا بما يليق به اظهارا للعدل • ولما كان سبب التكذيب
سترا ما تجليه مرائي العقول من الدلايل وكان التقدير فانه لبشرى للمومنين ولكنه طواه لان السياق
للتهديد بالحاقة عطف عليه قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب به وانه اي القرآن لحسرة اي
بما يرى من تاويله في الدنيا والآخرة على الكافرين اي العريقين في الكفر لكونهم كذبوا به لما يظهر
لهم من جزائهم وجزاء المومنين • ولما كان كل من الفريقين يذوق جزاءه في الآخرة وكان كل احد سمع
القرآن ذاق انه لا يقدر على الاتيان بشي يماثله ولا يدانيه قال مؤكدا تنزيلا لهم في عداد الجاهلين
وانه اي القرآن او الجزاء يوم الجزاء لحق اليقين اي الامر الثابت الذي يذاق فيصير لا يقبل الشك فهو
يقين مؤكد بالحق من اضافة الصفة الى الموصوف وهو فوق علم اليقين • وفي ذلك اشارة الى ان العبد
ينبغي له ان يتحقق لذلك معرفة الحق فيكون مشاهدا للغيوب كمشاهدة المرئيات لما يشاهد من امثالها
فامر البعث يشاهد كل يوم في الليل والنهار وفي العام في النبات وغيره ذلك • ولما كان البعث لهذا
المقصد من اعظم الكمال • وكان عدمه موجبا للنقص سبب عن كلا الامرين اشارة وعبارة قوله
آمرا بعد الاخبار في اول المسبحات فسبح اي اوقع التنزيه الكامل عن كل شايبة نقص باسم اي بسبب
علمك بصفات ربك اي الموجد والمربي لك والمحسن اليك بانواع الاحسان العظيم الذي ملات الاقطار
كلها عظمته • وزادت على ذلك بما شاء سبحانه بما لا تسعه العقول لا سيما عن قولهم لن يغنيها فانه تعالى
قادر على ذلك لا يعجزه شي • وقد وعد بذلك وهو صادق الوعد وعدم البعث مخل بالحكمة اكثر
الناس • وفيه اشارة الى المتاركة والتعجب من حالهم في تصميمهم على الكذب والعناد والجدل على الجدل
والفساد • وقد رجع آخر السورة على اولها باحقاق الحاقة بنفي ما وقع الخبط فيه في دار الاحتجاب
بالاسباب من مواقع النقص ومظنات اللبس فيثبت الحق وينفي الباطل فيفرق بين المحسن والمسيء والسعيد
والشقي فيحق السلام لحزب الرحمن ويثبت الهلاك لاصحاب الشيطان ويظهر اسمه الظاهر لكل مومن
وكافر ان في ذلك لعبرة لاولي الالباب

مقصودها اثبات القيمة وانذار من كفر بها وتصوير عظمتها بعظمة ملكها وطول يومها وتسلية المنذر
بها بما لمن كذب به من الصغار والذل والتبار ودل على وجوب وقوعها سابقا بما ختمه بتسميتها في

السورة الماضية بالحاقة تنبيها على انه لابد منها ولا محيد عنها ودل على ذلك بالقدرة في اولها والعلم
في آخرها اثباتا والتنزه عما في اهمالها من النقص في آخرها ولاحقا بما اخبر من انه ارسل جميع رسله بالتحذير
منها فارسل نوحا عليه السلام في الزمان الاقدم كما ذكر في سورته عند ما اختلف الناس بعد ما كانوا
عليه في زمان ابيهم آدم عليه السلام من الاتفاق على الدين الحق فافترقوا الى مصدق ومكذب نعلم منه
ان من بعده اولى بذلك لقربهم منها واتبع ذلك الاعلام بانه دعا الى ذلك الجن الذين كان سبيلهم فيها
سبيل الادميين واتبع ذلك بعد ارسال اول الرسل بها زمانا آخرهم زمانا واولهم نبوة حين كان آدم
نبيا وآدم بين الروح والجسد فبدا في سورة المزمل بنبوته ومزيد تزكيته وتقديسه ورفعته والاخبار عن
رسالته والتحذير من مخالفته واتبع ذلك الانذار بها بالصدع بالرسالة لمحو كل ضلال له فلما تقررت نبوته
وثبتت رسالته على اجمل الوجوه واجلاها وابينها واعلاها واشرفها واولاها جعل سبحانه سورة القيمة
كلها لها اعلاما بان الامر عظيم جدا يجب الاعتنا به والتاهب له والاجتهاد بغاية القوة وافراغ الجهد
ثم اتبع ذلك الانسان دلالة على انه المقصود بالذات من الاكوان فلا يسوغ في الحكمة ان يجعله سبحانه
سدى وبين كثيرا من احوالها ثم اقسم في المرسلات ان امرها حق لابد منه ولا مندوحة عنه ثم عجب في
عم منهم في تساولهم عنها وتجهيلهم ثم اقسم على وقوعها في النازعات وصور من امرها وهزاهزها ما
اراد ثم اولى ذلك الدلالة في سورة عبس على ان من الناس من طبع على قلبه فلا حيلة في تصديقه بها
مع ما تبين بالسور الماضية وغيرها من امرها ثم صورها في كورت تصويرا صارت به رأي عين
لو كشف الغطا ما ازداد الموقنون بها يقينا ثم بين في الانفطار ان الامور فيها ليست على منهاج الامور
هنا بل الاسباب كلها منقطعة والانساب مرتفعة والكل خاضعون مخبتون خاشعون اعظمهم في الدنيا
تجبرا اشدهم هنالك صغارا وتحسرا ثم اتبع ذلك من يستحق هنالك النكال والسلاسل والاغلال ثم اولا
رفعه اهل الايمان الذين طبعهم على الاقرار بها والعرفان واستمر على هذا الى آخر القران قل ان تاتي
سورة الا وهي معرفة بها غاية المعرفة الى ان ختم بالدين اشارة بذلك الى ان معرفتها هي الدين
واشار في تبت اليها واتبعها الاخلاص اشارة الى انه لا يسلم فيها الا الموحدون المعاذون من الفتن
الباطنة والظاهرة المتصفون بالمحامد المتعاظمة المتكاثرة فاذن ذلك ان اكثر عناية القران في امرها
العظيم الشان لانه لا كتاب بعد هذا الكتاب ينتظر ولا امة اشرف من هذه تخص ببيان اعظم من بيانها
وهو احد الاوجه التي فاق بها القران على الكتب الماضية والصحف الكاينة في القرون الخالية واذن
ذلك بان الامر قد قرب والهول قد دهم والخوف قد فدح ليشمر اهل الاختصاص في النجاة من عذابها والخلاص
حين لا مفر ولا ملجا ولات مناص فنسال الله العافية في يومها والعيشة الراضية وعلى هذا المقصد
دل اسمها سال وكذا المعارج وهما انسب ما فيها للدلالة على ذلك وقانا الله من آفاتها والهمنا لك
بسم الله الملك الاعظم الذي تنقطع الاعناق والآمال دون علياته الرحمن الذي اوضح نعمة البيان دعا
بها وشهرها حتى صارت في الوضوح الى حد لا مطمع لاحد في ادعا خفائه الرحيم الذي اصطفى من عباده
من وفقه للفهم عنه والطاعة له فكان من اوليائه لما ختم امر الطامة الكبرى في الحاقة
ختما ثبت امره وتساوى سره وجهره ودل عليها حتى لم يبق هناك نوع لبس في وجوب التفرقة
٢ في الحكمة بين المحسن والمسيء وختم بان ترك ذلك مناف للكمال فيما تعارفه من امور العمال بعد ان اخبر
انه يعلم ان منهم مكذبين وكان السايل عن شي يدل على ان السايل ما فهمه حق فهمه ولا اتصف بحقيقة علمه
عجب في اول هذه ممن سال عنها فقال سال ودل على انه لو لم يسال عنها الا واحد من العباد لكان
جديرا بالتعجب منه والانكار عليه بالافراد في قوله سايل وهو من السوال في قراة من خفف بابدال

الهمزة الفا من همز ولما كان سوالهم عن وقت مجي الساعة والعذاب وطلبهم تعجيل ذلك انما هو استهزا
ضمن سال استهزا ثم حذفه ودل عليه بحال انتزعها منه وحذفها ودل عليها بما تعدى به فقال او انه حذف
مفعول مفعول السوال المتعدي بعن ليعم كل مسوول عنه اشارة الى ان من تامل الفطرة الاولى وما تدعو اليه
من الكمال فاطاعها فكان مسلما فاضت عليه العلوم وبرقت له مجلية اشعة الفهوم فبين المراد من دلالة
النص بقوله بعذاب اي عن القيمة بسبب عذاب او مستهزيا بعذاب عظيم جدا واقع وعبر باللام تهكما
بهم مثل فبشرهم بعذاب فقال للكافرين اي الراسخين في هذا الوصف بمعنى انه كان لهم في الاخرة
شي فهو العذاب وقراة نافع وابن عامر بتخفيف الهمزة اكثر تعجيبا لان اندفع فمه بالكلام وتحركت به شفتاه
لانه مع كونه يقال سال يسال مثل خاف يخاف لغة في المهموز يحتمل ان يكون من سال يسال قال البغوي
وذلك ان اهل مكة لما خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا
عنه فانزلت ولما اخبر بحتم وقوعه علل بقوله ليس له اي بوجه من الوجوه ولا حيلة من الحيل
دافع مبتدي من الله اي الملك الاعلى الذي لا كفو له فلا امر لاحد معه واذا لم يكن له دافع منه لم يكن
له دافع من غيره وقد تقدم الوعد به ودلت الحكمة عليه فتحتم وقوعه وامتنع رجوعه ولما كان
القادر يوصف بالعلو والعاجز يوصف بالسفول والدنو وكان ما يصعد فيه الى العالي يسمى درجا
وما يهبط فيه الى السافل يسمى دركا وكانت الاماكن كلها بالنسبة اليه سبحانه على حد سوا اختير التعبير
بما يدل على العلو الذي يكنى به عن القدرة والعظمة فقال واصفا بما يصلح كونه مشيرا الى التعليل ذي
المعارج اي الدرج التي لا انتها لها اصلا بما دلت عليه صيغة منتهى الجموع وهو كناية عن العلو وسميت
بذلك لان الصاعد في الدرج يشبه مشية الاعرج وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها السموات
ودل على ما دلت عليه الكثرة مع الدلالة على عجيب القدرة في تخفيفها على الملايكة بقوله تعرج الملايكة
اي وهم اشد الخلق واقدره على اختراق الطباق والاسراع في النفوذ حتى يكونوا اعظم من لمع البرق
الخفاق والروح اي جبريل عليه السلام خصه تعظيما له او خلق هو اعظم من الملايكة وقيل روح
العبد المؤمن اذا قبض اليه اي الى محل مناجاته ومنتهى ما يمكن من العلو لمخلوقاته وعلق بالعروج
او بواقع قوله في يوم اي من ايامكم وبين عظمه بقوله كان اي كونا هو في غاية الثبات مقداره
اي لو كان الصاعد فيه ادميا خمسين الف وبين المشقة في صعودها او الكون فيه ان اريد القيمة
بان قال سنة ولم يقل عاما مثلا ويجوز ان يكون هذا اليوم ظرفا للعذاب فيكون المراد به يوم القيمة
وان يكون طوله على الكافر باعتبار ما يلحقه من الغم لشدة المخاوف عليه فانه ورد انه يخفف على المؤمن
حتى يكون بمقدار صلاة واحدة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المعنى انه ان ولي
الحساب غير الله لم يفرغ منه الا في هذا المقدار ويفرغ هو سبحانه منه في نصف يوم من ايام الدنيا
وقال مجاهد والحكم وعكرمة هو مدة عمر الدنيا من اولها الى آخرها خمسون الف سنة لا يدري احد
كم مضى وكم بقي الا الله وقد مضى في سورة الم السجدة ما ينفع هنا ولما كان هذا كله تسليا
للنبي صلى الله عليه وسلم عن استعجالهم اياه بالعذاب استهزا وتكذيبا سوا اريد تصوير العظمة
او العذاب سبب عنه قوله فاصبر اي على اذاهم ولا يلفتك ذلك عن تبليغهم فانك شارفت وقت
الانتقام منهم ايها الفاتح الخاتم الذي لم ابين لاحد ما بينت على لسانه والصبر حبس النفس على المكروه
من الاقدام او الاحجام وجماله بسكون الظاهر بالتثبت والباطن بالعرفان صبرا جميلا اي لا يشوبه
شي من اضطراب ولا استثقال ولا شكوى ولا استعجال فان عذابهم ونصرك عليهم لعظمة من ارسلك
فلابد من وقوعه لان القدح فيه والتكذيب به قدح فيها وهذا قبل الامر بالقتال وقال الامام

ابو جعفر بن الزبير لما انطوت سورة الحاقة على اشد وعيد واعظمه اتبعت بجواب من استبطا ذلك
واستعجله اذ هو مما يلجا اليه المعاند الممتحن فقال تعالى سال سايل بعذاب واقع الى قوله انهم يرونه
بعيدا ونراه قريبا ثم ذكر حالهم اذ ذاك يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه الاية ثم اتبع بان
ذلك لا يغني عنه ولا يفيده انها لظى ثم ختمت السورة بتاكيد الوعيد واشد التهويل فذرهم يخوضوا
ويلعبوا الى قوله ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ذلك يوم الحاقة ويوم القارعة انتهى ولما
كان كونه تعالى بما تقدم من العظمة امرا معلوما بما له من الاثار من هذا الكون وما فيه وكان استبعادهم
لما اخبر به امرا واهيا ضعيفا سفسافا لا يكاد يصدق ان احدا يحاول ان يرد به هذه الامور التي هي في
وضوحها كالشمس لا خفا بها اصلا ولا لبس قال مؤكدا انهم اي الكفار يرونه اي ذلك اليوم الطويل او
عذابه بعيدا اي زمن وقوعه لانهم يرونه غير ممكن او يفعلون افعال من يستبعده ونراه لما لنا من
العظمة التي قضت بوجوده وهو علينا هين قريبا سوا اريد بذلك قرب الزمان او قرب الامكان فهو هين
على قدرتنا وهو آت لا محالة وكل آت قريب والبعيد والقريب عندنا على حد سوا ولما ذكره
عن هذا اليوم ما يبعث على السوال عنه استانف بيانه مبينا عظمته فقال يوم اي يقع حين تكون
السما اي التي هي اوثق ما تراه واصلبه من عظمة ما يقع فيه من الاهوال كالمهل اي الشي المذاب من
المعادن في مهل او دردي الزيت وتكون الجبال التي هي اشد الارض واثقل ما فيها كالعهن اي الصوف
المصبوغ الوانا المنفوش تطيره الريح كالهبا وذلك لان الجبال في اصلها متلونة كما قال تعالى ومن
الجبال جدد بيض وحمر الاية قال البغوي ولا يقال عهن الا للمصبوغ قال واول ما تتغير به الجبال تصير
رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم هبا منثورا انتهى ولا يسئل من شدة الاهوال حميم حميما اي قريب في غاية
القرب والصداقة قريبا مثله عن شي من الاشيا لفرط الشواغل ولانه قد كشف لهم انه لا تغني نفس عن نفس
شيا وانه قد تقطعت الاسباب وتلاشت الانساب لما كشف الابتلا عن انه لا عز الا بالتقوى هذا على قراة
الجماعة بفتح اليا وعلى قراة ابن كثير بالبنا للمفعول المعنى انه لا يطالب احد باحد كما يفعل بعض الحكام في الدنيا
من انه يلزم قاربا من قريبه لانه لا حاجة له بذلك لان القدرة محيطة بالكل على حد سوا ولما كان عدم
السوال قد يكون لعدم رؤية بعضهم بعضا لكثرة الجمع وشدة الزحام وتفرق الناس فيه على حسب مراتب
اعمالهم استانف الجواب لمن كانه يقول لعل ذلك يترك لعدم رؤيتهم لهم فقال دالا بالمجهول والتفعيل
على عظمة ذلك التبصير وخروجه عن العادة جامعا لان المقصود من الحميم الجنس والجمع ادل على عموم التبصير
قال البغوي وليس في القيمة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه من الجن والانس انتهى وكانت حكمة ذلك انه
ادل على تقطع الاسباب فلا يسيل احد منهم الاخر عن شي من امره لاشتغاله بنفسه فعدم السوال لا للخفا
بل للاشتغال يبصرونهم اي يبصرهم بهم مبصر فلا يخفى احد على احد وان بعد مكانه ويفر كل من الاخر لشغله
بنفسه ولما تناهى الاخبار بعظمة ذلك اليوم الى حد لا تحتمله القلوب ذكر نتيجة ذلك فقال مستانفا
يود المجرم اي هذا النوع سوا كان كافرا او مسلما عاصيا علم انه يعذب بعصيانه وقيده لان المسلم
الطايع يشفع فيمن اذن له فيه ولا يهمه شي من ذلك ودل على ان هذه الودادة مجرد تمن بقوله لو يفتدي
اي نفسه من عذاب يومئذ اي يوم اذ كانت هذه المخاوف باعلق الناس بقلبه واقربهم منه فضلا عن
ان يسئل عن احواله ولما كان السياق للافتدا بدا باعزهم في ذلك خلاف ما ياتي في عبس فقال
ببنيه لشدة ما يرى ولما ذكر الصق الناس بالفواد واعز من يلزمه نصره والذب عنه اتبعه ما يليه
في الرتبة والمودة وما الافتدا به لا سيما عند العرب من اقبح العار فقال وصاحبته اي زوجه الذي يلزمه
الذب عنها والكون دايما معها لكونها عديلة روحه ولما ذكر الصاحبة لما لها من تمام الوصلة اتبعها

الشفيق الذي لا يلزم من الذب عنه ما يلزم من الذب عن الحريم وربما كان مباينا فقال واخيه ولما
كان من بقي من الاقارب بعد ذلك متقاربين في الرتبة ذكر اقربهم فقال وفصيلته اي عشيرته الذين
هم اقرب من فصل عنه التي تؤويه اي تضمه اليها عند الشدايد وتحميه لانه اقرب الناس اليها واعزهم
عليها فهم اعظم الناس حقا واعزهم لديه ولما كانت هذه الاية في الفدية قدم الابعد عن ذلك فالابعد
من جهة النفع والمعزة ولما كانت اية عبس في الفرار والنفرة قدم الالصق فالالصق والاعلق فالاعلق في الانس
فالاعلق ولما خص هنا عم فقال ومن في الارض اي من الثقلين وغيرهم سوا كان فيهم صديق لا صبر
عنه ولا بد في كل حال منه اولا ولما كان ربما خص ذلك بغيره قال محققا لارادة الحقيقة في معنى من
جميعا ولما كان الانسان تكشف له الامور هناك اي كشف وتظهر له اتم ظهور قال تعالى فبصرك
اليوم حديد فيعلم انه لا ينجيه من الخطايا المحيطة المحبطة شي دل على الاستبعاد باداة البعد فقال عاطفا
على يفتدي ثم ينجيه اي ثم يود لو تكون له بذلك نجاة تتجدد ولو في وقت من الاوقات ولما كان
هذا مما قد يطمع في النجاة فان بعض الناس يطبع على قلبه فيستغويه الاطماع حتى يعد المحال ممكنا قال معبرا
بمجموع الروادع والزواجر الصوادع كلا اي ليكن للمجرم ردع اي ردع عن ودادة هذا وترتباته عليه
فان ذلك لا يكون ابدا بوجه من الوجوه ولما كان الاضمار قبل الذكر لتعظيم ذلك المضمر في المهيع الذي
هو فيه لان ذلك اشارة الى انه مستحضر في الذهن لا يغيب اصلا لما للمقام عليه من عظم الدلالة قال بعد
هذا الردع العظيم عن النجاة بل عن ودادة تمنيها انها اي النار التي هي سوط الملك المعد لمن عصاه المهدد
في هذا السياق بعذابها المستولية عليه لتكون سجنه لظى اي ذات اللهب الخالص المتناهي في الحر تتلظى اي
تتوقد فيا كل بسببه بعضها بعضا ان لم تجد ما تاكله وتاكل كل ما وجدته كاينا ما كان نزاعة للشوى اي
هي شديدة النزع لجلود الروس بليغته فما الظن بغيره من الجلد وقال في القاموس الشوى اليدان والرجلان
والاطراف وقحف الراس وما كان غير مقتل انتهى وقيل والجلد كله واللحم تنزع ذلك ثم يعود كما كان في الحال
ليروا البعث الذي كانوا ينكرونه في انفسهم في كل لحظة ولما كان الخلاص غير ممكن من الداعي القادر على
الاحضار كنى عن احضارها اياهم وجذبها لهم بقوله تدعوا ويجوز ان يكون ذلك حقيقة فتقول في الدعا
الى نفسها الي يا مشرك الي يا منافق ونحو هذا ثم تلتقطهم التقاط الطير للحب من اي كل شخص ادبر اي
وقع منه ادبار عما من حقه الاقبال عليه سوا كان ذلك الادبار عنها او عن الاعمال التي من شانها التنجية
منها ولما كان الادبار قد يكون عن طبع غالب فيكون صاحبه في عداد من يعذر بين ان الامر ليس
كذلك فقال وتولى اي كلف فطرته الاولى المستقيمة الاعراض عن اسباب النجاة ولما كانت الدنيا
والاخرة ضرتين فكان الاقبال على احديهما دالا على الاعراض عن الاخرى قال دالا على ادباره بقلبه وجمع
اي كل ما كان منسوبا الى الدنيا ولما كانت العادة جارية بان من كانت الدنيا اكبر همه كان همه
بجمعه الاكتناز لا الانفاق تسبب عن جمعه قوله فاوعى اي جعل ما جمعه في وعا وكنزه حرصا وطول امل ولم
يعط حق الله فيه فكان همه الايعا لا الاعطا ما وجب من الحق اقبالا على الدنيا واعراضا عن الاخرة ولما
كان من اعجب العجب ان يقبل على الدنيا احد يسمع هذا التهديد بالعرض بين يدي الله والعقاب لمن لم يقبل
على عبادته سبحانه بين ان ذلك لما جبله عليه سبحانه وان الانسان مقهور مع جبلته الا من حفظه الله
وذلك دال على كلا الطرفين على عظيم قدرته سبحانه قال مؤكدا لاقتضا المقام للتاكيد لان الانسان لو خوف
بالعرض على بعض الامرا لما لابس ما يغضبه فكيف بالعزيز الحكيم القدير العليم ان الانسان اي هذا
الجنس غير به لما له من الانس بنفسه والرؤية لمحاسنها والنسيان لربه ولذنبه ولما دعا الحال الى
بيان الجبلة الداعية الى ما تقتضيه باختيار صاحبها على وجه كانه الجا بيانا لسهولة الامور عليه سبحانه

بني المعقول لقوله خلق هلوعا اي جبل جبلة هو فيها بليغ الهلع وهو افحش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشح على المال والسرعة فيما لا ينبغي وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه الحريص على ما لا يحل له وروي عنه ان تفسيره ما بعده ولما كان الهلع شدة الحرص وقلة الصبر نشر معناه فقال معقدما المعمول الذي هو الظرف على العامل بيانا للاسراعه في ذلك اذا مسه اي ادنى مس الشر اي هذا الجنس وهو ما تطاير شرره من الضر جزوعا اي عظيم الجزع وهو ضد الصبر بحيث يكاد صاحبه ينقد نصفين ويتفتت واذا مسه اي كذلك الخير اي هذا الجنس وهو ما يلايمه فيحبه من السعة في المال وغيره من انواع الرزق منوعا اي مبالغا في الامساك عما يلزمه من الحقوق للانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليه ووقوفا مع المحسوس لغلبة الجمود والبلادة وهذا الوصف ضد الايمان لانه نصفان شكر وصبر ولما كان ذا التقدير فهو يسارع في اثار ما جبل عليه مما يترتب على الجزع مما لا يجوز في الشرع وما يترتب على المنع من ذلك ايضا فيكون من اهل النار وكان من القدرة البالغة ان يحفظ سبحانه من اراد من الجري على جبلته ويحمله على كسر نفسه مرة بعد اخرى حتى يتلاشى ما عنده من جبلة الشر وتبقى الروح على حالها عند الفطرة الاولى فلا تزال تحثه على المبادرة الى طاعته سبحانه وحفظ حدوده فكان لا كرامة اعظم من حفظ المكلف حدود الشرع مع المنافاة لطبعه فيكون جامعا للايمان بنصفيه الصبر والشكر لما جمع من هذه الاوصاف الثمان المحاذية لابواب الجنة الثمان فكانت اسبابا لها استثنى من هذا النوع الهلوع ولذلك جمع فقال الا المصلين اي المحافظين على الصلاة التي هي موطن الافتقار العريقين في هذا الوصف فانه لا يشتد هلعهم فلا يشتد جزعهم ولا منعهم فيكونوا في احسن تقويم معتدلين مسارعين فيما يرضي الرب لانه سبحانه قرن بما جبلهم عليه من الهلع من طهارة الجسد لطهارة طينته وزكا روحه ما هياه به لتهذيب نفسه مما يسره له من اصدقا الخير واوليا المعروف وسماع المواعظ الحسان والابعاد عن معادن الدنس من البقاع والاقران والكلام والافعال وغير ذلك من ساير الاحوال والملابسة لكل ما يحمل على المعالي من صالح الخلال حتى كانوا من اهل الكمال ولذلك وصفهم بما يبين عراقتهم في الوصف بها فقال الذين هم اي بكلية ضمايرهم وظواهرهم على صلاتهم اي التي هي معظم دينهم وهي النافعة لهم لا لغيرهم بما افادته الاضافة والمراد الجنس الشامل لجميع الانواع لانها معظم المقصود الغرض ولذلك عبر بالاسم الدال على الثبات في قوله دايمون اي لا فتور لهم عنها ولا انفكاك لهم منها بل يلازمونها ملازمة تحكم بسببها انها في حال الفراغ منها نصب اعينهم بدوام الذكر لها والتهيؤ لادايها لانها صلتهم بمعبودهم الذي لا خير عندهم الا منه فلم يكونوا ناسين لمساويهم ولا ناسين لمحاسنهم وكفى بالصلاة بركة في دلالتها على النجاة من هذا الوصف الموجب لاسباب النار وهي عبادة ذات شروط واركان وابعاض وهيئات وسنن وآداب مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم وهي منقسمة الى ذات ركوع وسجود والى ذات سجود بلا ركوع كسجدة الشكر والتلاوة والى ما لا ركوع فيها ولا سجود كصلاة الجنازة ولما ذكر زكاة الروح اتبعه زكاة عديلها المال فقال مبينا للرسوخ في الوصف بالعطف بالواو والذين في اموالهم التي من سبحانه بها عليهم حق ولما كان السياق هنا لاعم من المحسنين الذين تقدموا في الذاريات اقتصر على الغرض فقال معلوم اي من الزكوات وجميع النفقات الواجبة ولما كان في السؤال من بذل الوجه وكسر النفس ما يوجب الرقة مع وقاية النفس من المذمة قدم قوله للسايل اي المتكفف ولما كان في الناس من شرفت همته وعلت رتبته عن مهاوي الابتذال بذل السؤال مع الاقلال ندب المقبل على الله للتفطن والتوسم لاوليك فقال والمحروم اي المتعفف الذي لا يسيل فيظن غنيا ولا مال له يغنيه فهو يتلظى بناره في ليله ونهاره ولا مفزع له بعد ربه المالك لعلانيته واسراره الا الى افاضة مدامعه بذله وانكساره وهذا من الله تعالى حث على تفقد ارباب الضرورات

ممن

ممن لا كسب له ومن افتقر بعد الغنى وقد كان للسلف الصالح في هذا قصب السبق حكي عن زين العابدين انه لما مات وجد في ظهره اثار سواد كانها السيور فعجبوا منها فقال بعد موته نسوة ارامل كان شخص ياتي الينا بقرب الما على ظهره واجربة الدقيق ففقدناه واحتجنا فعلموا انه هو وان تلك السيور من ذلك وحكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان شخصا راه ماشيا في زمن خلافته في الليل فتبعه فجا الى بيت نسوة ارامل فقال اعندكن ما والا املا لكن فاعطينه جرة فاخذها وذهب فملاها على كتفه واتى بها اليهن والحكايات عنهم في هذا كثيرة ولما كان المال قد يصرف كذلك لاصلاح الدنيا بين ان النافع منه انما هو المصدق للايمان فقال والذين يصدقون اي يوقعون التصديق لمن يخبرهم ويجددونه كل وقت بيوم ولما كان المقصود الحث على العمل لاجل العرض على الملك الاعلى عبر بقوله الدين اي الجزا الذي ما مثله وهو يوم القيمة الذي يقع الحساب فيه والدينونة على النقير والقطمير والتصديق به حق التصديق الاستعداد له بالاعمال الصالحة فالذين يعملون لذلك اليوم هم العمال واما المصدقون بمجرد الاقوال فلهم الوبال وان انفقوا امثال الجبال ولما كان الدين معناه الجزا من الثواب والعقاب وكان ربما صرفه صارف الى الثواب فقط للعلم بعموم رحمته سبحانه وان رحمته غلبت غضبه صرح بالعقاب فقال والذين هم اي بجميع ضمايرهم من عذاب ربهم اي المحسن اليهم لا من عذاب غيره فان المحسن اولى بان يخشى ولو من قطع احسانه واذا خيف مع تجليه في مقام الاحسان كان الخوف اولى عند اعتلانه في نعوت الجلال من الكبر والقهر والانتقام مشفقون اي خايفون في هذه الدار خوفا عظيما هو في غاية الثبات من ان يعذبهم في الاخرة او في الدنيا او فيهما فهم لذلك لا يفعلون الا ما يرضيه سبحانه ولما كان المقام للترهيب ولذلك عبر عن الرجا على فعل الطاعات بالدين فصار العذاب مذكورا مرتين تلويحا وتصريحا زاده تاكيدا بقوله اعتراضا موكدا لما الهمهم من انكاره ان عذاب ربهم اي الذين هم مغمورون باحسانه وهم عارفون بانه قادر على الانتقام ولو بقطع الاحسان غير مامون اي لا ينبغي لاحد ان يامنه بل يجوز ان يحل به وان بالغ في الطاعة لان الملك مالك وهو تام الملك له ان يفعل ما يشا ومن جوز وقوع العذاب ابعد عن موجباته غاية الابعاد ولم يزل مترجحا بين الخوف والرجا ولما ذكر التحلي بتطهير النفس بالصلاة وتزكية المال بالصدقة ندب الى التخلي عن امر جامع بين تدنيس المال وهو الزنا الحامل عليه شهوة الفرج التي هي اعظم الشهوات حملا للنفس على المهلكات فقال بعد ذكر التخويف بالعذاب اعلاما بانه اسرع الى صاحب هذه القاذورة وقوعا من الذباب في احلى الشراب فقال والذين هم اي ببواطنهم الغالبة على ظواهرهم لفروجهم اي سوا كانوا ذكورا او اناثا حافظون اي حفظا ثابتا دايما عن كل ما نهى الله عنه ولما ذكر هذا الحفظ على هذا الوجه ذكر ما اذن فيه في اسلوب الاستثنا اشعارا بانه كانه لم يذكر فيخرج الا بعد تقرير عموم الحفظ لانه مقصود ابتدا قصد الصفة فقال الا على ازواجهم اي بعقد النكاح ولما قدمهن لشرفهن وشرف الولد بهن اتبعه قوله او ما عبر بما هو في الاغلب لغير العقلا ندبا الى ابساع البطان في احمالهن ملكت ايمانهم اي من السراري اللاتي هن محل الحرث والنسل اللاتي هن اقل عقلا من الحراير اللاتي هن اقل عقلا من الرجال ولما كان النكاح عبادة نادرا جدا وكان الاصل في العبادة الخروج عن العادة وان لم يتجرد للعبادة كان حلوما اكتفي في مدحه بنفي اللوم عنه واكده لان الاصل كان استحقاقه للملام لاقباله على تحصيل ما له من المرام فقال مسببا عن المستثنى فانهم اي بسبب اقبالهم بالفروج عليهن وازالة الحجاب من اجل ذلك

غير ملومين اي في الاستمتاع بهن من لا ايم تما كما نبه عليه البنا للمفعول فهم يصحبونهن للتعفف وصون النفس وابتغا الولد للتعاون على طاعة الله ولما افهم ذلك تحريم غير المستثني ووجوب الحفظ للفروج عنه صرح به على وجه يشمل المقدمات فقال مسببا عنه فمن ابتغي اي طلب وعبر بصيغة الانفعال لان ذلك لا يقع الا عن اقبال عظيم من النفس واجتهاد في الطلب وراء ذلك اي شيا من هذا خارجا عن هذا الامر الذي احله الله والذي هو اعلي المراتب في امر النكاح وقضا اللذة واحسنها واجملها ولما كان الوصول الي ذلك لا يكون الا بسبب من الفاعل ربط بالفا قوله فاولئك اي الذين هم في الحضيض من الدناة وغاية البعد عن مواطن الرحمة هم اي بضمايرهم وظواهرهم العادون اي المختصون بالخروج عن الحد الماذون فيه ولما ذكر العادي اتبعه الواقف عند الحدود فقال والذين هم اي ببذل الجهد من توجيه الضماير لاماناتهم اي كل ما ايتمنهم الله عليه من حقه او حق غيره ولما كان ذلك قد يكون من غير عهد قال مخصصا وعهدهم اي ما كان من الامانات بربط بالكلام وتوثيق راعون اي حافظون لها معترفون بها على وجه نافع غير ضار ولما كان اجل العهود والامانات ما كان باشهاد قال بيانا لفضل الشهادة والذين هم اي بغاية ما يكون من توجه القلوب بشهاداتهم التي شهدوا بها او يستشهدون بها بطلب او غيره وتقديم المعمول اشارة الي انهم في فرط قيامهم بها ومراعاتهم لها كانهم لا مشاغل لهم سواها قايمون اي يتحملونها ويؤدونها على غاية التمام والحسن اذا من هو متهيئ لها واقف في انتظارها ولما كانت اضداد هذه المذكورات نقايص مهلكات وكانت الانفس لما لها من النقص نزاعة الي النقايص ميالة الي الدسايس ذكر سبحانه بالدوا المبري من كل دا فقال مشيرا الي حفظ احوال الصلاة واوصافها بعد ذكر الحفظ لذواتها واعيانها تنبيها على شدة الاهتمام بها والذين هم ولما وسط الضمير اشارة الي الاقبال بجميع القلب قدم الصلاة كما فعل بما قبل تاكيدا وابلاغا في المراد الي اقصي ما يمكن كما لا يخفي على ذي ذوق فقال على صلاتهم اي من الفرض والنفل يحافظون اي يبالغون في حفظها ويجدون دونه حتي كانهم يبارون بها الحفظ ويسابقونها فيه فيحفظونها لتحفظهم او يسابقون غيرهم في حفظها لاوقاتها وشروطها واركانها وسننها في ظواهرها وبواطنها من الخشوع والمراقبة وغير ذلك من خلال الاحسان التي اذا فعلوها كانت ولا بد ناهية لفاعلها لان الصلاة اي الكاملة تنهي عن الفحشا والمنكر فتحمل على جميع هذه الاوامر وتبعد عن اضدادها ولكون السياق هنا للتخلي عن الاوصاف الجارة الي الكفر وحد الصلاة اشارة الي انه يكفي في ذلك الفرايض وان كان الجنس يشمل وفي المومنون السياق لاهل الرسوخ في المحاسن فلذلك جمع بين النوعين الافراد في الاول لينصب بادي بدء الي الفرايض والجمع في بعض القراءات ليفهم مع ذلك النوافل بانواعها وفي فتح الاوصاف بالصلاة وختمها بها من بيان جلالتها وعظمها امر باهر ولما ذكر خلالهم اتبعه ما اعطاهم فقال مستانفا او منتجا من غير فا اشارة الي ان رحمته هي التي اوصلتهم الي ذلك من غير سبب منهم في الحقيقة اولئك اي الذين هم في غاية العلو لما لهم من هذه الاوصاف العالية وعبر بما يدل على انه عجل جزاهم سبحانه فقال في جنات اي في الدنيا والاخرة اما في الاخرة فواضح واما في الدنيا فلانهم لما جاهدوا فيه باتعاب انفسهم في هذه الاوصاف حتي تخلقوا بها اعطاهم بمباشرتها لذاذات من انس القرب وحلاوة المناجاة لا يساويها شي اصلا والجنة محل اجتمع فيه جميع الراحات والمستلذات والسرور وانتفي عنه جميع المكروهات والشرور وضدها النار وزادهم على ذلك بقوله مكرمون معبرا باسم المفعول اشارة الي عموم الاكرام من الخالق والخلق الناطق وغيره لانه سبحانه قضي بان يعلي مقدارهم حتي يكون اعظم منتقص لهم في الغيب مبالغا في

اكرامهم عند المواجهة ليكون لهم نصيب من خلق نبيهم صلي الله عليه وسلم لقيه يوم بني قريظة علي رضي الله عنه وكان قد سبقه اليهم فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هولا الاخابث فقال ولم لعلك سمعت لي منهم اذي قال لو قد دنوت منهم لم يقولوا من ذلك شيا ثم دنا منهم فقال هل اخزاكم الله يا اخوان القردة والخنازير فقالوا له يا ابا القاسم ما كنت جهولا وكلموه باحسن ما يمكنهم وكذا كانت معه قريش قبل الهجرة في اكثر احوالهم هذا في الدنيا واما في الاخرة فيتلقاهم الله بالبشري حين الموت وفي قبورهم ومن حين قيامهم من قبورهم الي دخولهم الي قصورهم ولما تحرر بهذا الكلام الالهي الذي لا يشك عاقل في ان مخلوقا لا يقدر عليه وانه لا يقدر عليه الا الاله الواحد الذي لا شريك له العالم بكل شي القادر على كل شي انه لا يتفصي عن نقايص الانسان حتي يتخلص من ظلمات النقصان الي نور الايمان الا من لازم هذه الاوصاف وزكي نفسه بها ليصير كامل لامع العلم القطعي عند المسلم والكافر ان الكمال سبب السعادة وان الانسان مطبوع على ما صدر به سبحانه من النقايص علم ان المتصفين بهذه الاوصاف هم المختصون بالسعادة الاخروية وكان الكفار ياتون النبي صلي الله عليه وسلم ويجلسون حوله بالقرب منه ليسمعوا كلامه ويكذبوه ويهزوا به وكان العاقل لا ينبغي ان ياتي شيا لا سيما ان كان اتيانه اليه على هيئة الاسراع الا لتحصيل السعادة سبب عن ذلك قوله معبرا عن عظمة القران بما حاصله انهم حين يسمعونه يصيرون لشدة ما يقرعهم امره لا يتمالكون فيفعلون افعال من لا وعي له فما للذين كفروا اي اي شي من السعادة للذين ستروا مرآي عقولهم عن الاقرار بمضمون هذا الكلام الذي هو اوضح من الشمس حال كونهم قبلك اي نحوك ايها الرسول الكريم وفيما اقبل عليك مهطعين اي مسرعين مع مد الاعناق وادامة النظر اليك في غاية العجب من مقالك هيئة من يسعي الي امر لا حياة له بدونه ولما كان الذي يتطير فيراعي الايامن او الاشايم على ما تقدم في الصافات لا يترك ذلك الا في امر ادهش عقله واطار لبه فلم يدعه يتامل قال مشيرا الي شدة اعتنايهم بهذا الاهطاع مع عدم التحفظ من شي عن اي متجاوزين اليك كل مكان كان عن جهة اليمين اي منك حيث يتيمنون به وعن الشمال اي منك وان كانوا يتشامون به عزين اي حال كونهم جماعات جماعات وحلقا حلقا متفرقين فرقا شتي افواجا لا يتمهلون ليأتوا جميعا جمع عزة واصلها عزوة لان كل فرقة تعتزي الي غير ما تعتزي اليه الاخري جمع جمع سلامة شذوذا ولما كان هذا الاسراع على هذا الوجه لا ينبغي ان يكون الا فيما يتحقق انه مسعد ومع تحقق انه مسعد لا ينبغي ان يكون الا فيما تحصل به السعادة الابدية قال منبها على ذلك منكرا ان يكون لهم ما كان ينبغي ان لا يكون فعلهم ذلك الا له مع انه كان من جملة استهزايهم اذا تحلقوا لسماع ما يقرا ان يقولوا ان كان ما يقول حقا من البعث والجنة لنكونن اسعد بها منهم كما انا اسعد منهم في هذه الدار كما قال تعالي عنهم في قوله ولين رددت الي ربي ان لي عنده للحسني وذلك انه كثيرا ما ياتي الغلط من ان الانسان يكون في خير في الدنيا فيظن ان ذلك مانع له من النار لانه خير في نفس الامر او يظن ان انه له وهو على الباطل رضي به ولا يدري انه لا يفجر ويغلق ويعجل الامن تخاف الفوت او يكون شي بغير ارادته ايطمع اي بهذا الاتيان وعبر بالطمع اشارة الي انهم بلغوا الغاية في السفه لكونهم طلبوا اعز الاشيا من غير سبب تعاطوه له ولما كان اتيانهم على هيئة التفرق من غير انتظار جماعة لجماعة قال كل امرئ منهم اي على انفراده ولما كان المحبوب دخول الجنة لا كونه من مدخل معين قال بانيا للمفعول ان يدخل اي بالاهطاع وهو كافر من غير ايمان يزكيه كما يدخل المسلم فيستوي المسي والمحسن جنة نعيم اي لا شي فيها غير النعيم في كل ما فيها على تعدد رضبطه ولما كان معني الاستفهام الانكاري المفيد للنفي لا يدخل اكد ذلك مع افهام الزجر

والاستصغار بالاتيان بامر الزواجر والروادع فقال كلا اي لا يكون ما طمعوا فيه اصلا لان ذلك تمن
فارغ لا سبب له يبادله عليه التعبير بالطمع دون الرجا ولما كان الانسان اذا اكثر من شي وجعله
ديدنه ساغ عندهم ان يقال فلان خلق من كذا علل ذلك بقوله مؤكدا عداهم منكرين لانهم مع علمهم
بنقصانهم يدعون الكمال انا على ما لنا من العظمة خلقناهم بالعظمة التي لا يقدر احد ان يقاويها ويتصرف
شيا من اراده به عن تلك الوجهة التي وجهته اليها الى غيرها مما يعلمون اي بما يستحيي من ذكره ذاتا
ومعنى اما الذات فهو نطفة مذرة اخرجت من مخرج البول مرتين وغذيناها بدم الحيض فهي بين
البول والعذرة واما المعنى فالهلع والجزع والمنع اللاتي هم موافقون على عدها نقايص فلا يصلحون
لدار الكمال الا بتزكية انفسهم بما تقدم من هذه الخلال التي حض عليها الملك المتعال روى البغوي
بسنده عن بشر بن جحاش رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في كفه
ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله عز وجل بني ادم اني تعجزني وقد خلقتك من هذه حتى سويتك
وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق
وانى اوان الصدقة ولما كان في ذكر هذا الخلق مع ما تقدم اشارة عظيمة الى ما كانوا يقولون انه
ان كان الامر كما يقولون من الحشر والجنة لنكونن آثر عند الله منكم ولندخلنها كما نحن الان آثر منكم عنده بما لنا
من الاموال والبسطة في الدنيا والوجاهة والاقبال وتنبيه على ان الكل متساوون في انهم من نطفة
فما فضلهم في هذه الدنيا بهذه النعم الظاهرة الا هو سبحانه وقد فضل المؤمنين بالنعم الباطنة التي
زادتهم في التمكن فيها التزكية بهذه الاوصاف العملية الناشية عن الصفة العلمية وهو قادر على
ان يضم الى النعم الباطنة النعم الظاهرة ولذلك سبب عنه قوله واكد بنفي القسم المشير الى عدم الحاجة
اليه لكثرة الادلة المغنية عنه لما لذلك المقسم عليه من الغرابة في ذلك الوقت لكثرة الكفار وقوة
شوكتهم فلا اي فتسبب عن خلقنا لهم من ذلك المنية على انا نقدر على كل شي نريده وانه لا يعجزنا شي اي
لا اقسم فلفت القول الى الافراد الضمير معري عن مظهر العظمة لئلا يتعنت متعنت في امر الوحدانية
برب اي سيد ومبدع ومدبر المشارق التي تشرق الشمس والقمر والكواكب السيارة كل يوم
في موضع منها على المنهاج الذي دبره والقانون القويم الذي اتقنه وسخره ستة اشهر صاعدة
وستة هابطة والمغارب كذلك وهي التي نشا عنها الليل والنهار والفصول الاربعة فكان بها صلاح
العالم بمعرفة الحساب واصلاح المآكل والمشارب وغير ذلك من المآرب فيوجد كلا من الملوين
بعد ان لم يكن والنبات من النجم والشجر كذلك عادة مستمرة دالة على انه قادر على الايجاد والاعدام
لكل ما يريده كما يريده من غير كلفة ما ولما كان المعنى لا اقسم بذلك وان كان عظيما لان الامر
في وضوحه لا يحتاج الى قسم كما لو قال خصم لخصمه احلف فيقول له الامر غني عن حلفي او يحتاج الى اليمين
من لا بينة له ثم لا ياتي من البينات بما لا يكون معه شبهة وكانوا في تفضيل انفسهم مع الاعتراف لله
بالقدرة كالمنكرين للقدرة على قلب الامر اكد قوله عايدا الى مظهر العظمة بعد دفع اللبس بما هو في وضوحه
اجلى من الشمس انا اي بما لنا من العظمة لقادرون بانواع التاكيد بالاداة والاسمية واللام اشارة الى
مظهر العظمة في كل من الاسم والخبر فكان في اخباره بعد الاقسام مع التاكيد اشارة الى اعلى مراتب
التاكيد على ان نبدل اي تبديلا عظيما بما لنا من الجلالة عوضا عنهم خيرا منهم اي بالخلق او تحويل
او الوصف فيكونوا اشد بطشة في الدنيا واكثر اموالا واولادا واعلى قدرا واكثر حشما وجاها وخدما
فيكونوا عندك خلفا على قلب واحد في سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك والسعي في كل ما يشرح صدرك
بدل ما يعمل هولاء من الهزء والتصفيق والصفير وكل ما يضيق به صدرك وقد فعل ذلك سبحانه بالمهاجرين

والانصار

والانصار والتابعين لهم باحسان بالسعة في الرزق باخذ اموال الجبارين من كسرى وقيصر والتمكن في الارض
حتى كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما يوجب لهم ملك الاخرة فرجوا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبذلوا في مرضاته الانفس والاموال ولما كان الانسان قد يفعل شيا ثم ينقض عليه اخبر انه سبحانه
على غير ذلك فقال وما واكد الامر بالاسمية الكاينة في مظهر العظمة فقال نحن واغرق في النفي فقال
بمسبوقين اي من سابق ما يغلب على شي لم نرده بوجه من الوجوه ولذلك اتى باسم المفعول ولما
ثبت ان له سبحانه العظمة البالغة الباهرة من شمول العلم وتمام القدرة فانتج اعتماد اهل حزبه عليه
واعراضهم عن كل ما سواه سبب عن ذلك قوله تهديدا للمخالفين وتسلية للموالفين فذرهم اي اتركهم ولو
على اسوا احوالهم يخوضوا اي يفعلوا في مقالهم وفعالهم الذي لا شي منه على اتقان بل هو كفعل الخايض
في الما الذي لا يضع رجله في موضع يعلم انه يرضيه فهو بصدد ان يقع او يغرق ويلعبوا اي يفعلوا فعل
اللاعب الذي لا فايدة لفعله الا اضياع الزمان والتعطل عما يهم من عظيم الشان ولما كان ما توعد
الله من احوال الاخرة من وقوعه كان كانه قادم على الانسان والانسان ساع بجملته اليه فلذلك عبر بالمفاعلة
فقال حتى يلاقوا ولما كان ما يقع للكفار منه اعظم كان ذلك اليوم كانه خاص بهم فقال يومهم الذي
ولما كان الوعيد وهو ما كان من الخبر تخويفا للمتوعد صادعا للقلوب انما كان من القادر من غير
حاجة الى ذكر المتوعد بني للمفعول قوله يوعدون وهو يوم كشف الغطا الذي اوله تجليه عند الغرغرة
ونهايته النفخة الثانية الى دخول كل من الفريقين في داره ومحل استقراره والاية منسوخة باية السيف
ولما كان ما بعد النفخة الثانية اعظمه واهوله ابدل منه قوله يوم يخرجون اي هولا الذين يسالون
عنه سوال استهزا ويستبعدونه وقراة ابي بكر عن عاصم بالبنا للمفعول على طريقة كلام القادرين تدل على
انه بما هو في غاية السهولة من الاجداث اي القبور التي صاروا بتغيبهم فيها تحت وقع الحافر والخف فهم بحيث
لا يدفعون شيا يفعل بهم بل هم كلحم في فم ماضغ فان الجدث القبر والجدثة صوت الحافر والخف ومضغ اللحم
سراعا اي نحو صوت الداعي ولما كانت عادة الانسان الاسراع الى ما يقصده من الاعلام المنصوبة
وعادتهم هم بالخصوص المبادرة الى الانصاب التي يعبدونها على ما هي عليه من الخساسة خفة منهم في العلوم
وطيشا في الحلوم قال كانهم الى نصب اي علم منصوب مصدر بمعنى المفعول كما تقول هذا نصب عيني وضرب
الامير هذا على قراة الجماعة بالفتح وعلى قراة ابن عامر وحفص بالضم الى علم او شي يعبدونه من دون الله على ما
فيه من الذل القاتل والبلا او حجر يذبحون عليه قال في الجمع بين العباب والمحكم النصب والنصب والنصب الدا
والبلا والنصب كل ما نصب فجعل علما والنصب العلم المنصوب والنصب والنصب كل ما عبد من دون الله
والجمع انصاب والانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله وانصاب الحرم حدوده
وقال ابو حيان والنصب ما نصب للانسان فهو يقصده مسرعا اليه من علم او بنا او صنم وغلب في الاصنام
حتى قيل الانصاب اي يعجلون عجلة من هو ذاهب الى ما يسره حتى كانه يطرد اليه كما كانوا يسرعون الى
انصابهم ولما كان ايفاضهم الى الانصاب على حال السرور اخبر ان هذا على خلاف ذلك وان ذكر النصب
وتصوير حالة الاتيان اليه ما كان تهكما بهم فقال يوفضون خاشعة اي منكسرة متواضعة لما بها
من الذل والحقها علامة التانيث زيادة في هذا المعنى ومبالغة فيه ابصارهم ولما كان خشوعها
دايما عبر بالاسم وكان ذلهم يتزايد في كل لحظة عبر بالفعل المضارع المفيد للتجدد والاستمرار فقال
ترهقهم اي تغشاهم فتقهرهم وتحمل عليهم فتكلفهم كل عسر وضيق على وجه الاسراع اليهم ذلة ضد ما كانوا
عليه في الدنيا لان من تعزز في الدنيا على الحق ذل في الاخرة ومن ذل للحق في الدنيا عز في الاخرة ولما
صوره بهذه الصورة اشار الى ان هذا ما تدركه العقول من وصفه وانه اعظم من ذلك فقال ذلك اي الامر

الذي هو في غاية ما يكون من علو الرتبة في العظمة **اليوم الذي كانوا** اي في حالة الدنيا على غاية ما يكون من المكنة في الوعيد **ولما** كان الوعيد لا يتحقق الا اذا كان من القادر واذا كان كذلك كان مخيفا موجعا من غير ذكر من صدر عنه بني للمفعول قوله **يوعدون** اي يجدد لهم الايعاد في الدنيا في كل وقت لعلهم يتعظون فترق قلوبهم فيرجعون عما هم فيه من الجبروت وهذا هو زمان العذاب الذي سالوا عنه اول السورة **فقد** رجع كما ترى آخرها على اولها اي رجوع وانضم مفصلها الى موصلها انضمام المفرد الى المجموع والله الهادي

مقصودها الدلالة على القدرة على ما انذر به آخر سال من اهلاك المنذرين وتبديل خير منهم ومن القدرة على ايجاد يوم القيمة الذي طال انذارهم به وهم عنه معرضون وبه مكذبون **وتسميتها** بنوح عليه السلام ادل ما فيها على ذلك فان امره في اهلاك قومه بسبب تكذيبه في ذلك مشهور ومقصوص في غير ما موضع ومذكور وتقرير امر البعث في قصته في هذه السورة معزز ومسطور **بسم الله** الذي له الكمال كله من الجلال والاكرام **الرحمن** الذي عم بما افاضه من ظاهر الانعام **الرحيم** الذي خص اولياءه بلزوم الطاعة في الابتدا واتمام النعمة في الختام **لما ختمت** سال بالانذار للكفار وكانوا عباد اوثان بعذاب الدنيا والاخرة ابتدا هذه باعظم عذاب كان في الدنيا على تكذيب الرسل بقصة نوح عليه السلام وكان قومه عباد اوثان وكانوا اشد تمردا من قريش واجلف واقوى واكثر فلم ينفعهم شيء من ذلك عند نزول النقمة عليهم باتيان العذاب اليهم وابتداها بالانذار تحويفا من عواقب التكذيب به فقال مؤكدا لاجل انكارهم ان يكون الرسول بشرا او لتنزيلهم منزلة المنكرين حيث اقروا برسالته وطعنوا في رسالة غيره مع المساواة في البشرية **انا** اي بما لنا من العظمة البالغة **ارسلنا نوحا** وهو اول رسول اتى بعد اختلاف اولاد آدم عليه السلام في دين ابيهم الاقوم **الى قومه** اي الذين كانوا في غاية القوة على القيام بما يحاولونه وهو بصدد ان يجيبوه ويكرموه لما بينهم من القرب بالنسب واللسان وكانوا جميع اهل الارض من الادميين **ولما** بان بما مضى المرسل والرسول والمرسل اليهم وكان الارسال متضمنا معنى القول اخذ في تفسيره بيانا للمرسل به فقال **ان انذر** اي حذر تحذيرا عظيما **قومك** الاستمرار على الكفر **ولما** كان المقصود اعلامهم بذلك في بعض الاوقات لان الانسان لا بد له من اوقات شغل بنفسه من نوم واكل وغيره اتى بالجار تخفيفا عليه ورفقا به عليه السلام فقال **من قبل ان ياتيهم** اي على ما هم عليه من الاعمال الخبيثة **عذاب اليم** وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير لما امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر في قوله فاصبر صبرا جميلا وجليل الاغضا في قوله فذرهم يخوضوا ويلعبوا اتبع ذلك بذكر قصة نوح عليه السلام وتكرر دعايه قومه الى الايمان وخص من خبر حاله في طول مدة التذكار والدعا لان المقصود في الموضع تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم وليتاسى به في الصبر والرفق في الدعا كما قيل له صلى الله عليه وسلم في غير هذا الموضع فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فقد دام دعا نوح قومه ادوم من مدتك ومع ذلك فلم يزدهم الا فرارا قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا آي السورة على هذا المنهج من تجديد الاخبار بطول مكابدته عليه السلام وتكرار دعايه فلم يزدهم ذلك الا بعدا وتصميما على كفرهم حتى اخذهم الله واجاب فيهم دعا نبيه نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وذلك لياسه من فلاحهم والجي في هذا احض نبينا صلى الله عليه وسلم على الصبر وليتاسى به في الصبر والرفق في الدعا على قومه والتحمل منهم كما صرح به في قوله تعالى خذ العفو وامر

بالعرف

بالعرف واعرض عن الجاهلين وكما قيل له فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك انتهى **ولما اخبر** عن رسالته ومضمونها بما اعلم ان الفساد كان غالبا عليهم استانف قوله بيانا لامتثاله **قال** اي نوح عليه السلام **يا قوم** فاستعطفهم بتذكيرهم انه احدهم يهمه ما يهمهم **ولما** كان من طبع البشر انكار ما لم يعلم الا من عصم الله فجعله منقادا للايمان بالغيب اكد قوله **اني لكم نذير** اي مبالغ في النذارة **مبين** اي امره بين في نفسه بحيث انه صار من شدة وضوحه كانه مظهر لما يتضمنه مناد بذلك للقريب والبعيد والفطن والغبي **ولما** كان ترك ما انذرهم بسببه من الكفر لا يغنيهم الا ان امنوا وكان الايمان مخلصا من عواقب الانذار لانه لا يصح الا مع ترك جميع انواع الكفر فسر الانذار بقوله **ان اعبدوا الله** اي الملك الاعظم الذي له جميع الكمال وذلك بان تخلصوا التوجه اليه فان غناه يمنع من ان يقبل عبادة فيها شرك وهذا هو الايمان **واتقوه** اي اجعلوا بينكم وبين غضبه وقاية تمنعكم من عذابه بالانتهاء عن كل ما يكرهه فلا تتحركوا حركة ولا تسكنوا سكنة الا في طاعته وهذا هو العمل الواقي من كل سوء **ولما** لا سبيل الى معرفة ما يرضي الملك ليلزم وما يسخطه ليترك الا منه ولا وصول الى ذلك الا من خاصته ولا خاصة مثل رسوله الذي ائتمنه على سره قال **واطيعون** اي لا غير فكم ما تقصر عنه عقولكم من صفات معبودكم ودينكم ودنياكم ومعادكم وادلكم على اجتلاب اداب تهديكم واجتناب شبه تردكم ففي طاعتي فلاحكم برضى الملك عنكم وهذا هو الاسلام فقد جمع هذا الدعا الايمان والاسلام والعمل وهي الاثافي التي تدور عليها اسباب الفلاح **ولما** كان الانسان محل النقصان فلا ينفك عن ذنب فلا يسعه الا فنا الكرم اشار الى ذلك مرغبا مستعطفا لهم لئلا ييأسوا فيهلكوا بقوله جوابا للامر **يغفر لكم** اي كرما منه **ولما** كان من الذنوب ما لا يحتم غفرانه وهو ما بعد الاسلام قال **من ذنوبكم** اي ما تقدم الايمان من الشرك والعصيان وما تاخر عن الايمان من الصغاير التي تفضل الله بالوعد بتكفيرها باجتناب الكباير هذا مما اوجبه سبحانه على نفسه المقدس بالوعد الذي لا يبدل واما غيره مما عدا الشرك فالى مشيته سبحانه **ولما** كان الانسان لما يغلب عليه من النسيان والاشتغال بالامال يعرض عن الموت اعراض الشاك فيه بل المكذب به ذكرهم ترهيبا لهم لطفا بهم ليستحضروا انهم في القبضة فينزعوا عما يغضبه سبحانه فقال مشيرا الى ان طول العمر في المعصية وان كان مع رغد العيش عدم مهددا بانه قادر على الاهلاك في كل حين **ويؤخركم** اي تاخيرا ينفعكم **ولما** علم ان الامور كلها قد قدرت وفرغ من ضبطها لاحاطة العلم والقدرة فلا يزاد فيها ولا ينقص ليعلم ان الارسال انما هو مظهر لما في الكيان ولا يظن انه قالب للاعيان بتغيير ما سبق به القضا من الطاعة والعصيان فقال **الى اجل مسمى** اي سماه الله وعلمه قبل ايجادكم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه فيكون موتكم على العادة متفرقا والا اخذكم جميعا بعذاب الاستيصال وهذا من علم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون وذلك انه علم انهم ان اطاعوا نوحا عليه السلام كان موتهم على العادة والا هلكوا هلاك نفس واحدة وعلم انهم لا يطيعونه وان موتهم انما يكون بعذاب الاستيصال **ولما** كان الانسان مجبولا على الاطماع الفارغة فكان ربما قال المتعنت او غيره لم لا يخلدنا قال قطعا عن ذلك مؤكدا لاقتضا المقام له **ان اجل الله** اي الذي له الكمال كله فلا راد لامره **اذا جا لا يؤخر** واما قبل مجيئه فربما يقع الدعا والطاعات والبر والبركة فيه بمنع الشواغل واطابة الحياة فبادروا مجي الاجل بالايمان لانه اذا جا لم يمكنكم التدارك ولا ينفعكم بعد العيان الايمان **ولما** كان من يعلم هذا يقينا ويعلم انه اذا كشف له الغطا عند الغرغرة احب ان يؤخر ليتوب حين لا تاخير احسن العمل خوفا من فوات وقته وتحتم مقته نبه على ذلك بقوله **لو كنتم تعلمون** اي لو كان العلم او تجدده وقتا ما في غرايزكم لعلمتم بتنبيه رسولكم صلى الله عليه وسلم ان الله يفعل ما يشا وان الاجل آت لا محالة فعملتم للنجاة ولكنكم تعملون بالاعمال في

الشهوات عمل الشاك في الموت • ولما كان صلي الله عليه وسلم اطول الانبيا عمرا وكان قد طال نصحه
لهم وبلاؤه بهم نبه علي ذلك بقوله مستانفا قال مناديا لمن ارسله لانه تحقق ان لا قريب منه غيره
واسقط اداة الندا لما هي عادة اهل القرب فقال رب ولما كانت العادة جارية بان التكرار لا بد ان
يوثر ولو قليلا فكانت مخالفتهم لذلك مما هو اهل لان يشك فيه قال موكدا اظهارا لتحسره وحرقته
عليه السلام منهم في تماديهم في اصرارهم علي التكذيب شكاية لحاله الي الله تعالي واستنصارا به واستمطا
للتنبيه علي ما يفعل بعد بذله الجهد وتنبيها لمن يقص عليهم هذا وان كان المخاطب سبحانه عالما بالسر
واخفي اني دعوت اي اوقعت الدعا الي الله بالحكمة والموعظة الحسنة قومي اي الذين هم جديرون
بالحب لمعرفتهم بي وقربهم مني وفيهم قوة المحاولة لما يريدون • ولما كان قد عم جميع الاوقات
بالدعا قال ليلا ونهارا فعبر بهذا عن المداومة • ولما تسبب عن ذلك ضد المراد قال فلم
يزدهم دعاي اي شيا من احوالهم التي كانوا عليها الا فرارا اي بعدا عنك ونفورا واعراضا حتي
كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة واسند الزيادة الي الدعا لانه سببها • ولما كان الفرار مجازا
عن رد كلامه عطفا عليه ما بينه فقال موكدا لان اعراضهم مع هذا الدعا الطويل مما لا يكاد يصدق واني
كلما اي علي تكرار الاوقات وتعاقب الساعات دعوتهم اي الي الاقبال عليك بالايمان بك والاخلاص لك • ولما
كان اعراضهم عما ينفعهم اقبح ذكر ما يتسبب عن الاجابة بالايمان فقال لتغفر لهم اي ليومنوا فتمحو ما فرطوا
فيه في حقك فافرطوا لاجله في التجاوز في الحدود محوا بالغا فلا يبقي لشي من ذلك عينا ولا اثرا حتي لا تعاقبهم
عليه ولا تعاتبهم جعلوا في كل دعا ودل علي مبالغتهم في التصام بالتعبير بالكل عن البعض فقال اصابعهم
كراهة لهم واحتقارا للداعي في اذانهم حقيقة ليلا يسمعوا الدعا اشارة الي انا لا نريد ان نسمع ذلك منك
فان ابيت الا الدعا فانا لا نسمع لسد اسماعنا ودلوا علي الافراط في كراهة الدعا بما ترجم عنه قوله
واستغشوا ثيابهم اي اوجدوا التغطية لروسهم بثيابهم ايجاد من هو طالب لذلك شديد الرغبة فيه
حتي يجمعوا بين ما يمنع السماع لكلامه والنظر اليه اظهارا للكراهة وكراهة كلامه وهكذا حال النصحا مع من
ينصحونه دايما واصروا اي داموا علي سو اعمالهم دوام من هو في غاية الاقبال عليه من اصر الحمار علي العانة
اذا صر اذنيه واقبل عليها يطردها ويكدمها استعير للاقبال علي المعاصي وملازمتها لانه يكون بغاية الرغبة
كان فاعله حمار وحش قد صارت شهوته واستكبروا اي اوجدوا الكبر طالبين له راغبين فيه واكد ذلك
بقوله استكبارا تنبيها علي ان فعلهم منابذ للحكمة فكان مما ينبغي ان لا يفعلوه فهو مما لا يكاد يصدق لذلك
وقد نادت هذه الايات بالتصريح في غير موضع بانهم عصوا نوحا عليه الصلاة والسلام وخالفوه مخالفة
لا اقبح منها ظاهرا بتعطيل الاسماع والابصار وباطنا بالاصرار والاستكبار ولم يوافقوه بقول ولا فعل فلعنة
الله عليهم وعلي من يقول انهم وافقوه بالفعل لانه دعاهم للمغفرة وقد غطوا وجوههم والتغطية هي الغفر
ونحو ذلك من الخرافات التي لو سمعها اسخف عباد الحجارة الذين لا اسخف منهم لهزوا بقايلها وما قال هذا القايل
ذلك الا تحريفا لكتاب الله بنحو تحريف الباطنية التي اجمعت الامة علي تكفيرهم لذلك التحريف ولعنة الله علي
من يشك في كفر من يحرف هذا التحريف او يتوقف في لعنه وهم الاتحادية الذين مرقوا من الدين في اخر
الزمان ومن اكابرهم الحلاج وابن عربي وابن الفارض وتبعهم علي مثل هذا الهذيان اسخف الناس عقولا ان
هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا • فلقد اخبرني العلامة برهان الدين ابراهيم ابن ابي شريف المقدسي الشافعي
الثبت النحرير عن بعض من يتعصب لهم في هذا الزمان وهو من اعيان المدرسين بالقاهرة انه قال له ما حملني
علي اعتقادي لابن الفارض الا اني رايت كلام التايية له متناقضا فتارة يفهم منها الحلول وتارة الاتحاد وهو
عندي يحاشي عن ذلك فعلمت ان لهولا القوم اصطلاحا سبيلنا منه نسبة البنايين اذا سمعوا النحوي يقول لا الفاعل

مرفوع فانهم يضحكون منه ولو فهمنا اصطلاحهم لم نعترض هذا معني ما نقل لي وهو مما لا يرضاه ذو مسكة
وهو شبيه بما نقل المسعودي في اوايل مروج الذهب عن بعض من اتهم بعقل وعلم من النصاري في زمن احمد بن
طولون فاختبره فوجده في العلم كما وصف فساله عن سبب ثباته علي النصرانية مع علمه فقال السبب تناقضها
مع انه دان بها ملوك متكبرون وعلما متبحرون ورهبان عن الدنيا معرضون ومدبرون فعلمت انه ما جمع هولا
الاصناف علي الديونة بها مع تناقضها الا امر عظيم اضطرهم لذلك فدنت بها فقال له اذهب في لعنة الله فلقد
ضيعت كل عقل وصفت به ولقد والله صدق في الامر الذي حملهم علي ذلك وهو القضا والقدر الذي حمل كل احد
منهم علي المتابعة في نار جهنم باختياره بل برغبته في ذلك ومقاتلة من يصده عن ذلك • وذلك ادل دليل
علي تمام علم الله وقدرته وانه واحد لا شريك له ولا معقب لحكمه • وفي هذا تصديق قول النبي صلي الله
عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وهم اهل الكتاب ولقد اشبعت القول في
هذا في كتابي الفارض لتكفير ابن الفارض الذي بينت فيه عوارهم واظهرت عارهم وكذا كتابي صواب الجواب
للسايل المرتاب وتدمير المعارض في تكفير ابن الفارض ولم ابق علي شي من ذلك شيا من لبس ولله الحمد • ولما ذكر
دعاه في جميع الاوقات مع اعراضهم وكان هذا مويسا وموجبا للاقلاع عن الدعا وان وجد الدعا بعده
فهو في غاية البعد نبه علي ايجاده مع الاستغراق به لجميع الحالات كما استغرق جميع الاوقات معبرا باداة
التراخي للدلالة علي تباعد الاحوال فقال ثم واكد لنحو ما مضي من ان مجرد اقباله علي دعايهم بعد ذلك لا
يكاد يصدق فضلا عن الاكثار منه فقال اني دعوتهم اي الي الايمان ومنابذة الشيطان • ولما كان
الجهر احد نوعي الدعا نصبه به نصب المصدر فقال جهارا اي مكاشفة مع فخامة الصوت والتعميم لجماعتهم
جليلهم وحقيرهم والاخلاص في ذلك والمداومة له حتي كاد بصري يكل من شدة التحديق اليهم والاقبال عليهم
من غير احتجاب عنهم ولا ارتقاب منهم بل مباغتة وكررت ذلك عليهم حتي اخرجت ما عندهم من الجواب ولم
الكف عن سد اذانهم واستغشايهم ثيابهم • ولما كان الجهر قد لا يشيع وينتشر في جماعاتهم قال مشيرا الي
انه اذاع ذلك واكد الاشارة الي ما فيه من الشدة فقال ثم اني اعلنت اي اظهرت واشعت وشهرت ليعلموا
انه الحق من ربهم لكوني مستحييا منه ولا مستوحشا له لهم اي خصصتهم بذلك لم يكن فيه حظ نفس لي بوجه
فاني كررت ذلك عليهم بعد ان سقط الوجوب عني • ولما قدم الجهر لانه اقرب الي عدم الاتهام وكان
السر اجدر بمعرفة الضماير واقرب الي الاستمالة اتبعه به فقال واسررت لهم اي دعوت كل واحد منهم
علي انفراده ليكون ادعي له واجدر بقبوله النصيحة وادل علي الاخلاص وكل ذلك ما فعلته الا لاجل نصيحتهم
لا حظ لي انا في ذلك • ولما كان تحين الانسان ليكون وحده ليس عنده احد ولا هو مشتغل بشاغل
مما يعسر جدا فلا يكاد يصدق اكده فقال اسرارا وليدل بتاكيده علي تاكيد ما قبله من الافعال
والظاهر من حاله ومن هذا الترهيب بما صرح به من الاجتهاد انه سار فيه علي مقتضي الحكمة فدعا
اولا اقرب الناس اليه واشدهم به الفا ثم انتقل الي من بعدهم حتي عمهم الدعا • وكانت هذه الدعوة
سرا كل واحد منهم علي حدته ليعلموا نصحه ولا يحمل احدا منهم ذلك علي تبكيت ولا تقريع فلا يكون في دعايه
ما يكون سببا لانفة احد منهم فلما اطبقوا علي الاعراض جهر ليعلموا انه ملجا من الله الي ذلك وانما عزمه
ان قصروا فيها عن الاجابة عوقبوا فلما اصروا جمع بين السر والعلن • فلما تمادوا وطال الاذي شكا
وعلي هذا فثم لبعد الرتب لا للترتيب في الزمان • ويمكن كونها للترتيب لان الجهر ابعد من الاتهام ثم
الاعلان فوقه ازيد بعدا • ولما اخبر بانه بالغ في الدعوة الي حد لا مزيد عليه فلم يدع من الاوقات
ولا من الاحوال شيا سبب عنه بيان ما قال في دعوته وهو التسبب في السعادة كلها بدفع المضار وجلب
المسار فقال مقدما لطلب الغفران بالتوبة عن الكفر ليطهروا فيكونوا قابلين للتحلية بالمحاسن الدينية

بعد التخلية من الاخلاق الدنية فقلت اي في دعاي لهم استغفروا ربكم اي اطلبوا من المحسن اليكم المبدع
لكم المدبر لاموركم ان يحو دنوبكم اعيانها واثارها بالرجوع عن عبادة غيره الي الاخلاص في عبادته
ولما ذكر انه استعطفهم اولا ببيان ان رجوعهم ممكن لئلا يقولوا انا قد بالغنا في المعاصي فلا تقبل
واعلمهم ان الاستغفار باب الدخول الي طاعة الجبار اكد ذلك الاستعطاف بقوله معللا للامر والجوابه
بنحو يغفر لكم موكدا الاجل توقفهم انه كان اي ازلا وابدا ودايما سرمدا غفارا اي متصفا بصفة الستر
علي من رجع اليه علي ابلغ الوجوه واعلاها واذا وقع الغفران دفع المضار كلها ولما قرر امر التوبة
وبين قبولها وقدمه اهتماما به لانه اصل ما ينبني عليه ولان التخلي قبل التحلي ودرء المفاسد قبل جلب
المصالح والفوايد رغب فيها بما يكون عنها من الزيادة في الاحسان على اصل القبول دينشا عن الاستغفا
من الاثار والكبار من الافضال بجلب المسار بما هو مثال للجنة التي كان سبب الاخراج منها النسيان لانهم
احب شي في الارباح الحاضرة والفوايد العاجلة لا سيما بما يهيج النفوس ويشرح الصدور لا ذهابه البوس
فقال مجيبا لفعل الامر يرسل السما اي المظلة للخضرا او السحاب او المطر عليكم اي بالمطر وانواع البركات
مدرارا اي حال كونها كثيرة الدرور متكررته وهذا البنا يستوي فيه المذكر والمونث ويمددكم
اظهر لان الموضع لارادة المبالغة والبسط والسعة باموال وبنين وذلك يفهم ان من اكثر الاستغفا
حباه الله ما يسره وحماه ما يضره ويجعل لكم اي في الدارين جنات اي بساتين عظيمة واعاد العامل
للتاكيد والبسط لان المقام له فقال ويجعل لكم انهارا يحصل بذلك عمن لم يفعل ذلك فان من لزم الاستغفا
جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا روي ان عمر رضي الله عنه استسقي فلم يزد علي الاستغفار
فلما نزل قيل يا امير المومنين ما رايناك استسقيت فقال لقد طلبت الغيث بمجاديح السما التي بها يستنزل
القطر ثم قرا هذه الاية وقال القشيري من وقعت له الي الله حاجة فلن يصل الي مراده الا بتقديم
الاستغفار وقال ان عمل قوم نوح كان بضد ذلك كلما ازداد نوح في الضمان ووجوه الخير والاحسان
ازدادوا في الكفر والنسيان ولما كان من رجا ملكا عمل بما يرضيه ومن خافه تجنب ما يسخطه
نبههم علي ذلك بالاشارة الي الجلال الموجب للتوقير والجمال بالاحسان الي الخلق مصرحا لهم بالترغيب
ملوحا الي الترهيب فقال مستانفا في جواب من يقول منهم هل بقي شي من فوقكم ما اي شي يحصل لكم حال
كونكم لا ترجون اي تكونون في وقت من الاوقات علي حال تومِّلون بها وبين فاعل الوقار ومبدعه
بتقديمه فانه لو اخره لكان لوقارا فقال لله اي الملك الذي له الامر كله وقارا اي ثوابا يوقركم فيه
ولو قل فان قليله اكثر من كثير غيره ولا تخافون له اهانة بالعقاب بان تعلموا انه لا بد من ان يحاسبكم
بعد البعث فيثيب الطايع ويعاقب العاصي كما هي عادة كل احد مع من تحت يده فتوقروا رسله بتصديقهم
فتومنوا وتعملوا فان من اراد من احد ان يوقره وقره وعظمه ليجازيه علي ذلك فان الجزا من جنس
العمل وذلك انما يكون بمعرفة الله بما له من الجلال والجمال والخلق انما تفاضلوا بالمعرفة بالله لا بالاعمال
انما سبق ابو بكر رضي الله عنه بشي وقر في صدره فان المعرفة تزكوا الاعمال وتصلح الاقوال وانما يصح
تعظيمه سبحانه بان لا تري لك عليه حقا ولا تنازع له اختيارا وتعظم امره ونهيه بعدم المعارضة
بترخص جاف او تشديد غال او حمل علي توهن الانقياد وتعظم حكمه بان لا تبتغي له عوجا ولا تدافعه بعلم
ولا تبتغي له غرضا وعلة ولاجل ان المطلوب تحصيل الاعمال التي هي اسباب ظاهرية عبر بالرجا ليبشرهم
بان اعمالهم موثرة وعبر بالطمع في غير هذه الاية تنبيها علي انه لا سبب في الحقيقة الا رحمة الله تعالى
دعا الي ذلك ولما كان هذا اشارة الي الاستدلال علي البعث بما يعلمونه من انفسهم صرح بعدما لوح
فقال اتيا بحرف التوقع لانه مقامه وقد اي والحال انه قد احسن اليكم مرة بعد مرة بما لا يقدر عليه

غيره

غيره فدل ذلك علي تمام قدرته ثم لم يقطع احسانه عنكم فاستحق ان تومنوا به لانه هل جزا الاحسان الا الاحسان
ورجا لدوام احسانه وخوفا من قطعه لانه خلقكم اي اوجدكم من العدم مقدرين اطوارا اي تارات
عناصر اولا ثم مركبات تغذي الحيوان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما واعصابا
ودما ثم خلقا اخر تاما ناطقا ذكرانا واناثا طوالا وقصارا بيضا وسودا وبين ذلك الي غير ذلك من
الامور الدالة علي قدرته علي كل مقدور ومن قدر علي هذا ابتدا كان علي الاعادة اعظم قدرة وقد
ثبتت حكمته وانه لم يخلق الخلق سدي بما بان من هذا التطوير علي هذه الهيات المعجبة التي لا قدرة
لغيره عليها بوجه وهم يتهارجون في هذه الدار تهارج الحمر ويموت المظلوم علي حاله والظالم لم يبلغ
اماله فلا بد ان يعيدهم ليفصل بينهم فتظهر حكمته وعدله واكرامه وفضله ولو ترك ذلك لكان نقصا
في ملكه ومن قدر علي ذلك كان قادرا علي الجزا بالثواب والعقاب فهو اهل لان يخشي ويرجي ولما
كان هذا واضحا ولكنهم قوم لد لا يردهم الا الشمس النيرة في وقت الظهيرة ذكرهم بعد التذكير بما في انفسهم
بما هو اكبر من ذلك من ايات الافاق وقسمها الي علوي وسفلي وبدا بالانفس لانها مع شرفها اقرب منظور
اليه وثني بالعلوي لانه يليها في الشرف ووضوح الايات فقال دالا علي القدرة علي البعث والجزا بالثواب
والعقاب الم تروا اي ايها القوم ولما كان تامل الكيفيات يحتاج الي دقة ويوقف علي عجايب
ولطايف تودن بقطعيات فاعلها لا يعجزه شي قال منكرا عليهم عدم التامل كيف خلق الله اي الذي له
العلم التام والقدرة البالغة والعظمة الكاملة سبع سموات هي في غاية العلو والسعة والاحكام
والزينة يعرف كونها سبعة بما فيها من الزينة ولما كانت المطابقة بين المتقابلات في غاية الصعوبة
لا يكاد يقدر عليها من جميع الوجوه احد قال طباقا اي متطابقة بعضها فوق بعض وكل واحدة في التي تليها
محيطة بها ما لها من فروج لا يكون تمام المطابقة الا كذلك بالاحاطة من كل جانب ولما كان المحيط لا يتوصل
الي داخله الا محيط العلم والقدرة قال دالا علي كمال تصرفه معبرا بالجعل الذي يكون عن تصيير وتسبيب
وجعل القمر اي الذي ترونه وهو في السما الدنيا وبدا به لقربه وسرعة حركته وقطعه جميع البروج
في كل شهر مرة وغيبته في ليال السرار ثم ظهوره وذلك اعجب في القدرة ولما كانت السما شفافات
قال فيهن اي السموات جميعهن نورا اي لامعا منتشرا كاشفا للمرييات احد وجهيه يضي لاهل الارض
والثاني لاهل السموات ولما كان نوره مستفادا من نور الشمس قال وجعل معظما لها باعادة العامل
الشمس اي في السما الرابعة سراجا اي نورا عظيما كاشفا لظلمة الليل عن وجه الارض وهي في السما
الرابعة وروي ابن مردويه وعبد الرزاق والطبري عن ابن عباس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم
ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السما واقفيتهما الي الارض وروي الحاكم منه ذكر القمر وجعلهما سبحانه
اية علي رويته عباده المحسنين له في الجنة فانه يري كل احد كلا من مكانه مخليا به وكذلك يرونه سبحانه عيانا
جهارا كما راوه في الدنيا بالايمان نظرا واعتبارا ولما دل علي كمال علمه وتمام قدرته بخلق الانسان
ثم بخلق ما هو اكبر منه اعاد الدلالة بخلق الانسان لانه اعظم المحدثات واد لها علي الله علي وجه اخر مبين
لبعض ما اشار اليه الاول من التفصيل مصرح بالبعث فقال مستعيرا الانبات للانشا والله اي الملك الاعظم
الذي له الامر كله انبتكم اي بخلق ابيكم ادم عليه السلام من الارض اي كما ينبت الزرع وعبر بذلك
تذكيرا لنا لما كان من خلق ابينا ادم عليه السلام لانه ادل علي الحدوث والتكون من الارض واشار الي انه
جعل غذانا من الارض التي خلقنا منها وبذلك الغذا نمونا ولما انكارهم للبعث كانه انكار للابتدا اكده
بالمصدر واجراه علي غير فعله بتجريده من الزيادة اشارة الي هوانه عليه سبحانه وسهولته مع ابداع
وابتدا واختراع فقال نباتا دمع ذلك فالاية صالحة للاحتباك ذكر انبت اولا دالا علي حذف مصدره

ثانيا وذكر النبات ثانيا دال على حذف فعله او لا ليكون التقدير انبتكم انباتا فنبتم نباتا ولما كان في
الموت ايضا دليل على تمام العلم والقدرة غير انه ليس كدلالة الابتدا بالابداع وكان مسلما ليس فيه نزاع
ذكره من غير تاكيد بالمصدر فقال دالا على البعث والنشور ثم يعيدكم على التدريج فيها اي الارض بالموت
والاقبار وان طالت الآجال ويخرجكم اي منها بالاعادة واكد بالمصدر الجاري على الفعل اشارة الى
شدة العناية به وتحتيم وقوعه لانكارهم له فقال اخراجا اي غريبا ليس هو كما تعلمون بل تكونون به في
غاية ما يكون من الحياة الباقية تلابس ارواحكم بها اجسامكم ملابسة لا انفكاك بعدها لاحدهما عن الآخر ولما
كان النابت من الشي لا يتصرف في ذلك الشي دل على كمال قدرته بخرق تلك العادة لهم على وجه الانعام
عليهم فقال مظهر الاسم الشريف مرة بعد اخرى تعظيما للادلة ولئلا تتقيد القدرة بما يقترن به الاسم
دالا بالعالم السفلي بعد الارشاد بالعلوي واخر السفلي لان اياته على ظهورها خفيت بكثرة الالف لها والله
اي المستجمع لجميع الجلال والاكرام جعل لكم اي نعمة عليكم اهتماما بامركم الارض بساطا اي سهل عليكم
التصرف فيها والتقلب عليها سهولة التصرف في البساط ثم علل ذلك فقال لتسلكوا اي متخذين منها
اي الارض مجددين ذلك سبلا اي طرقا واضحة مسلوكة بكثرة فجاجا اي ذوات اتساع لتتوصلوا
الى البلاد الشاسعة برا وبحرا فنعم الانتفاع بجميع البقاع فالذي قدر على احداثكم واقدركم على التصرف
في اصلكم مع ضعفكم قادر على اخراجكم من اجداثكم التي لم تزل طوع امره ومحل عظمته وقهره ولما كانوا
قد جادلوه عليه السلام بعد هذا البيان الذي لا يشك في دلالته على المراد من تحقق بصفا الايقان فاكثروا
الجدال ونسبوه الى الضلال وعصوه اقبح العصيان وقابلوه باشنع الاقوال والافعال طوى ذلك
مشيرا اليه مستانفا قال نوح اي بعد رفقه بهم ولينه لهم شاكيا منهم رب اي ايها المحسن الى
المدبر لي المتولي لجميع امري ولما كان الضعفا اكثر الناس بحيث اذا اجتمعوا دل الروس الاقويا بالاموال
والاولاد كانوا كانهم الكل فقال مؤكدا لان عصيانهم له بعد ذلك مما يستبعد وقوعه انهم اي قومي الذين
دعوتهم اليك مع صبري عليهم الف سنة الا خمسين عاما عصوني اي فيما امرتهم به ودعوتهم اليه فابوا
ان يجيبوا دعوتي وشردوا عني اشد شراد وخالفوني اقبح مخالفة واتبعوا اي بغاية جهدهم نظرا
الى المظنون العاجل بعد ترك المحقق عاجلا وآجلا من اي رؤساهم البطرين باموالهم المغترين بولدانهم
وفسرهم بقوله لم يزده اي شيا من الاشيا ولما كان المال يكون للانسان قبل الولد وكان
ينبغي ان يشكر الله الذي آتاه اياه ليكون له خيرا في الدارين وكذا الولد قال ماله اي بكثرته
وولده كذلك وهو للجنس في قراة التحريك وكذا في قراة ابن كثير والبصريين وحمزة والكسائي بالضم
والسكون على انه لغة في المفرد كالحزن والحزن والرشد والرشد او يكون على هذا جمعا كالاسد والاسد
ويكون اختيار ابي عمرو ولهذه القراة في هذا الحرف وحده للاشارة بجمع الكثرة المبني على الضمة التي هي
اشد الحركات الى انهم وان زادت كثرتهم وعظمت قوتهم لا يزيدونهم شيا الا خسارا بالبعد من الله
والعمى عن محجة الطريق فان البسط لهم في الدنيا بذلك كان سببا لطغيانهم وبطرهم واتباعهم لاهوائهم
حتى كفروا واستغووا غيرهم فغلبوا عليهم فكانوا سببا في شقايهم وخسارتهم بخسارتهم وكان عندهم انها
زادتهم رفعة وفي السياق دليل على انهم ما حصلت لهم الوجاهة الا بها ولما كانت كثرة الروسا اخرى
الى قوتهم بمتاع الدنيا وكان التقدير فامرتهم بالايمان فابوا وامروهم بالكفر فانقادوا لهم عطف عليه
مبينا لكثرتهم بضمير الجمع العايد على من عاطفا على لم يزده المفردة الضمير للفظ جامعا له للمعنى لتجمع العبارة
الحكم على المفرد والجمع فتكون ادل شي على المراد منها فقال ومكروا اي هولا الروسا في تنفير الناس عني
واكد الفعل بالمصدر دلالة على قوته فقال مكرا وزاده تاكيدا بصيغة هي النهاية في المبالغة فقال

كبارا

كبارا فانه ابلغ من كبير كبار المخفف الابلغ من كبير فلم يدعوا احدا منهم بذلك المكر يتبعني وقالوا اي لهم
في ادآبي المكر ولما كان دعا الرسل عليهم السلام جديرا بالقبول لما له من الجلالة والحلاوة والبيان
والرونق والظهور في الفلاح اكد قولهم لا تذرن آلهتكم اي لا تتركنها على حاله من الحالات لا قبيحة ولا
حسنة واضافوها اليهم تحبيبا فيها ثم خصوا بالتسمية زيادة في الحث وتصريحا بالمقصود فقالوا مكررين
العامل تاكيدا ولا تذرن ولعلهم كانوا يوافقون العرب في ان الود هو الحب الكثير فناسب المقام
بدايتهم بقولهم ودا واعادوا النافي تاكيدا فقالوا ولا سواعا واكدوا هذا التاكيد وابلغوا فيه
فقالوا ولا يغوث ولما ابلغ التاكيد نهايته وعلم ان القصد النهي عن كل فرد فرد لا عن المجموع بقيد
الجمع اعروا فقالوا ويعوق ونسرا معرا من التاكيد للعلم بارادته وكان هولا ناسا صالحين فلما ماتوا
حزن عليهم الناس ثم زين لهم ابليس تصويرهم تسويقا الى العمل بطرايقهم الحسنة فصوروهم فلما تمادي
الزمان زين لهم عبادتهم لتحصيل المنافع الدنيوية ببركاتهم ثم نسي القوم الصالحون وجعلوا اصناما آلهة
من دون الله وكانت عبادة هولا اول عبادة الاوثان فارسل الله نوحا عليه السلام للنهي عن ذلك
الى ان كان من امره وامر قومه ما هو معلوم ثم اخرج ابليس هذه الاصنام بعد الطوفان فوصل
شرها الى العرب فكان ود لكلب بدومة الجندل وسواع لهذيل ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر
لحمير لآل ذي الكلاع وقيل غير ذلك قال البغوي سواع لهذيل ويغوث لمراد لبني غطيف بالجوف عند
سبا ويعوق لهمدان قال ابو حيان قال ابو عثمان النهدي رايت يغوث وكان من رصاص يحمل على جمل احم
ولا يهيجونه ويسيرون معه حتى يكون هو الذي يبرك فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي لكم المنزل فينزلون
حوله ويضربون عليه بنا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب وصول شر ذلك الاوثان الى العرب
انها دفنها الطوفان ثم اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات لثقيف
والعزي لسليم وغطفان وجشم ومناة بقديد لهذيل واساف ونايله وهبل لاهل مكة وكان اساف
حيال الحجر الاسود ونايله حيال الركن اليماني وكان هبل في جوف الكعبة وقال الواقدي ود على
صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر
انتهى ولا يعارض هذا انهم صور لناس صالحين لان تصويرهم لهم يمكن ان يكون منتزعا من معانيهم
فكان ود كان المكمل في الرجولية وكان سواع امراة كاملة في العبادة وكان يغوث شجاعا ويعوق كان
سابقا قويا وكان نسر عظيما طويل العمر والله اعلم ولما ذكر مكرهم وما اظهروا من قولهم عطف عليه ما
توقع السامع من امرهم فقال وقد اضلوا اي الاصنام وعابدوها بهذه العبادة كثيرا من عباد الله الذين
خلقتهم على الفطرة السليمة من اهل زمانهم وممن اتى بعدهم فانهم اول من سن هذه السنة السيئة فعليهم وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ولما كان التقدير فلا تزد الظالمين الا خسارا عطف عليه قوله مظهرا
في موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف ولا تزد الظالمين اي الراسخين في الوصف الموجب لان
تكون آثارهم المتصف به كاثار الماشي في الظلام في وقوعها مختلة شيا من الاشيا التي يمكن ان تزادوها على
الاشيا التي هي فيهم الا ضلالا اي طبعا على قلوبهم حتى يعموا عن الحق وعن مقاصدهم فلا يكون منها شي
على وجه يكون فيه شي من سداد وكان هذا كان بعد ان اعلمه الله سبحانه انه لن يؤمن منهم الا من قد
آمن والكلام عليه على كل حال كالكلام على دعا موسى وهرون عليهما السلام في الشد على قلوب فرعون
وملايه لئلا يؤمنوا في حال ينفعهم فيه كما مضى في سورة يونس عليه السلام وقد بالغ ابن عربي في المروق
من الدين فقال في فصوصه ان هذا الدعا حسن في حقهم وقال ان الضلال اهدي من الهدي وان الضال
احسن حالا من المهتدي لان الضال لا يزال قريبا من القطب المقصود داير احواله والمهتدي صاحب طريق مستطيلة

فهو يبعد عن المقصود فأبان عن الله تعالى لم يخلق خلقا اسفه منه الا من ابتعه وعلى نحوه من الضلال الذي
لا يرضاه عاقل من عباد الاصنام الذي لا اسفه منهم ولا غيره فعليهم اشد الخزي واللعنة ٭ ولما فرغ من
امرهم في ضلالهم ودعا رسولهم صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا اهلاكهم وكان من مفهومات الضلال
المحق واذهاب العين كما يضل الما في اللبن قال مبينا اجابته لدعايه ذاكرا الجهة التي اهلكوا بسببها
واكد بما النافية في الصورة لضد مضمون الكلام لاعتقاد الكفار ان الانجا والاهلاك عادة الدهر
مما ولما كان الكافر قد اخطا ثلث مرات بكفره في الايمان بالطاغوت وتكذيب ربه وتكذيب رسوله
صلى الله عليه وسلم وكان ذلك كافيا في استحقاقه للاخذ قال خطاياهم جامعا له جمع السلامة في قراة
الجماعة وافهمت قراة ابي عمرو بجمع التكسير ان لهم مع هذه الامهات الكافية في الاخذ من الذنوب ما يفوت الحصر
توجب تغليظ ذلك الاخذ فهي مشيرة الى انه ينبغي الاحتراز من كل ذنب ٭ ولما كان الموجع اغراقهم لا كونه من
معين قال مخبرا كما فعل بهم في الدنيا اغرقوا اي بالطوفان بانيا له للمفعول كذلك والاعلام بانه في غاية السهولة
على الفاعل المختار الواحد القهار نطاف الما عليهم جميع الارض السهل والجبل فلم يبق منهم احدا وكذا الكلام
فيما تسبب عنه وتعقبه من قوله فادخلوا اي بقهر القهار في الاخرة التي اولها البرزخ يعرضون فيه على
النار بكرة وعشيا نارا اي عظيمة جدا اخفها ما يكون من مبادئها في البرزخ قال الشيخ ولي الدين الملوي
فعذبوا في الدنيا بالغرق وفي الاخرة بالحرق والاياس من الرحمة واي عذاب اشد من ذلك ٭ وقال الضحاك
في حالة واحدة كانوا يغرقون من جانب ويحترقون في الما من جانب بقدرة الله وفيها دلالة في قول غيره
على عذاب القبر ٭ ولما كانوا قد لجاوا الى الهتهم لتنصرهم من اخذ الله قال مسببا عن هذا الاغراق والادخال
مويسا من الرحمة ليكون اشد في العذاب فان الانسان كما قال الملوي اذا كان في العذاب ويرجو الخلاص
يهون عليه الامر بخلاف ما اذا ييس من الخلاص معلما بان الهتهم عاجزة فانها لم تغن عنهم شيا توبيخا لمن
يعبد مثلها فلم يجدوا وحقق الامر فيهم بقوله لهم اي عندما اناخ الله بهم سطوته واحل بهم نقمته ولما
كانت الرتب كلها دون رتبته تعالى وكان ليس لاحد ان يستغرق جميع ما تحت رتبته سبحانه من المراتب
قال مثبتا الجار من دون الله اي الملك الاعظم الذي تتضاءل المراتب تحت رتبة عظمته وتذل لعزه وجليل سطوته
انصارا ينصرونهم على من اراد بهم ذلك ليمنعوه مما فعل بهم ويقتصوا منه لهم بما شهد به شاهد الوجود الذي
هو اعدل الشهود من انه تم ما اراده سبحانه من اغراقهم من غير ان يتخلف منهم احد على كثرتهم وقوتهم
لكونهم اعداه وانجا نبيه عليه السلام ومن معه رضوان الله عليهم على ضعفهم وقلتهم لم يفقد منهم احد
لكونهم اولياه فكما انه لم يهلك ممن اراد انجاه احد فكذلك لم يسلم منهم احد فمن قال عن عوج ما يقوله القصاص
فهو ضال اشد ضلال فلعنة الله على من يقول ان الله عين ناصرهم مع هذه الدلالات التي هي نص في انه
عدوهم وان نصرهم انما يكون عن بنيه نوح عليه السلام واعتقاد ذلك او شي منه كفر ظاهر لا محيد عنه
بوجه وقايل ذلك هو ابن عربي صاحب الفصوص الذي لم يرد بتصنيفه الا هدم الشريعة المطهرة ونظمه
ابن الفارض في تائيته فلعنة الله عليه وعلى من تبعه او شك في كفره او توقف في لعنه بعد ما نصب من
الضلال الذي سعر به البلاد واردى كثيرا من العباد ٭ ولما اتم الخبر عن اغراقهم وقدمه للاهتمام بتعظيم
الرسول صلى الله عليه وسلم في اجابة دعوته تحذيرا للعرب ان يخرجوا رسولهم صلى الله عليه وسلم فيحوجوه الى
مثل ذلك عطف على قول نوح عليه السلام من اوله قوله عندما اخبره تعالى انهم مغرقون وانه لا يؤمن
منهم الا من قد آمن بعد ان طال بلاؤه بهم حتى ان كان الرجل ليأتي بابنه اليه فيقول له احذر هذا ان
يضلك وان ابي حذرنيه وكانت صيغة العموم ليست بنص في افرادها استنجازا للوعد وتصريحا بمراده ٭
وقال نوح واسقط الاداة كما هي عادة اهل الحضرة فقال رب لا تذر اي تترك بوجه اصلا ولو على ادنى الوجوه

على الارض اي كلها من الكافرين اي الراسخين في الكفر ديارا اي احدا يدور فيها وهو من الفاظ العموم التي
تستعمل في النفي العام فيعال من الدور او الدار لا فعال والا لكان دوارا ويجوز وهو اقرب ان يكون هذا
الدعا عند ركوبه السفينة وابتدا الاغراق فيهم يريد به العموم كراهية ان يبقى احد منهم على ذروة جبل او
نحوه لا اصل الاغراق وان يكون معنى ما قبله الحكم باغراقهم وحتم القضا به او الشروع فيه ٭ ولما كان
الرسل عليهم السلام لا يقولون ولا يفعلون الا ما فيه مصلحة الدين علل دعاه بقوله واكد اظهارا للجزم به
باعتقاد ما انزل عليه من مضمون قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وان كان ذلك خارجا عن
العادة انك اي يا رب ان تذرهم اي تتركهم على اي حالة كانت في ابقايهم سالمين على وجه الارض ولو كانت
حالة دنية يضلوا عبادك اي الذين آمنوا بي والذين يولدون على الفطرة السليمة ٭ ولما كان ربما
كان الانسان ضارا ووجد له ولد نافع نفى ذلك بقوله ولا يلدوا اي ان قدرت بقاهم الا فاجرا اي مارقا
من كل ما ينبغي الاعتصام به واكتفى فيه باصل الفاعل اشارة الى ان من جاوز حدا وشرع في شي بعد من التمادي
في الغي صار ذلك له ديدنا فبالغ فلذلك قال كفارا اي بليغ الستر لما يجب اظهاره من ايات الله لان قولك
يا رب لا يتخلف اصلا والظاهر ان هذا الكلام لا يقوله الا عن وحي كما في سورة هود عليه السلام من قوله تعالى
انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فيكون صغارهم معذبين بما يعلم الله منهم لو بلغوا الا بما عملوه كما قال صلى
الله عليه وسلم في اولاد الكفار الله اعلم بما كانوا عاملين ٭ ولما دعا على اعدا الله دعا لاوليايه وبدا بنفسه
لانه راس تلك الامة فقال مسقطا على عادة اهل الخصوص رب اي ايها المحسن الي باتباع من اتبعني وتجنب من
تجنبني فان من طبيعته على شي لا يتحول عنه ٭ ولما كان المقام الاعلى اجل من ان يقدره احد حق قدره
قال اغفر لي اي فانه لا يسعني وان كنت معصوما الا حلمك وعفوك ورحمتك ٭ ولما اظهر بتواضعه
عظمة الله رتب المدعو لهم على الاحق فالاحق فقال ولوالدي وكانا مؤمنين وهما لمك بن متوشلخ وشمخا
بنت انوش قال ابو حيان وقال ابن عباس رضي الله عنهما لم يكفر لنوح عليه السلام اب فيما بينه وبين
آدم عليه السلام واعاد الجار اظهارا للاهتمام فقال ولمن دخل بيتي لان المتحرم بالانسان له حق اكيد
لا سيما ان كان مخلصا في حبه ولذا قال مؤمنا ولما خص عم واعاد الجار ايضا اهتماما فقال
وللمؤمنين والمؤمنات اي العريقين في هذا الوصف في كل امة الى آخر الدهر ولا تزدهم في حال من الاحوال
شيا من الاشيا الا مغفرة ولما كان التقدير بما ارشد اليه الاحتباك ولا تكرم المارقين عطف عليه
قوله ولا تزد الظالمين اي العريقين في الظلم في حال من الاحوال الا تبارا اي هلاكا مدمرا مفتتا
لصورهم قاطعا لاعقابهم ٭ وكما استجاب الله له في اهل الايمان والكفران من اهل ذلك الزمان فكذلك يستجيب
له في اهل الايمان واهل الخسران بالسعادة والتبار في جميع الاعصار الى ان يقفوا بين يدي العزيز الجبار
والاية من الاحتباك اثبات الدعا المقتضي لاصل اكرام المؤمنين اولا مرشد الى حذف الدعا المفهم لاصل
اهانة الكافرين ثانيا واثبات الدعا بزيادة التبار ثانيا مفهم لحذف الدعا الموجب لزيادة المفاز
اولا وهذا الاخر المفصح بالتبار هو ما ارشد اليه الابتدا بالانذار فقد انطبق الاخر على الاول على اصح
وجه واكمل واحسن حال واجمل ٭

مقصودها اظهار شرف هذا النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم حيث لين له قلوب الجن والانس وغيرهم فصار
ما لك القلوب المجانس وغيره وذلك لعظمة هذا القران ولطف ما له من غريب الشان هذا والزمان في اجزه
وزمان لبثه في قومه دون ربع العشر من زمن نوح عليهما السلام اول نبي بعثه الله الى المخالفين وما

امن معه من قومه الا قليل وعلى ذلك دلت تسميتها بالجن وبقل اوحي بتامل الاية المشتملة على ذلك وما فيهما
من لطيف المسالك بسم الله المحيط بالكمال ارسل رسوله الخاتم بالهدى ليظهره على الدين كله بما له من الجلال
والجمال الرحمن الذي بعموم رحمته عم بهذا الارسال ليعم بالبيان ما يلزم الخلق من المقال والفعال الرحيم
الذي خص من بين اهل الدعوة من شا بمحاسن الاعمال لما سبق لهم من الفوز في ازل الآزال لما كان
نوح عليه السلام اول رسول ارسله الله الى المخالفين من اهل الارض وكان قومه عباد اوثان وعصوه
اشد العصيان مع انه منهم نسبا ولسانا وختمت سورته بدعايه عليهم وكان نبينا صلى الله عليه وسلم
خاتم النبيين فهو آخر رسول بعثه الله الى اهل الارض وغيرهم من جميع الخلق وكان قومه العرب قد
وافقوا قوم نوح عليه السلام في اكثر احوالهم عبادة الاوثان حتى تلك الاوثان اما باساميها او باعيانها
على ما ورد في الاخبار وفي عصيان رسولهم واستصعاب اتباعه والاستمرار ابتديت هذه بما كان
من سهولة من سمع هذه الدعوة الخاتمة الجامعة من غير الجنس فضلا عن الموافقين في الجنس مع قصر الزمان
وضعف الاعوان لجلالة هذا القران فقال منبها له بالامر على ما في هذا من عظيم القدر مع الاشارة الى
تبكيت العرب عن التباطو عن الاجابة الى ما يعرفون من رشده بمعناه ونظمه لكونه بلسانهم وكونهم من نوع
الداعي وقبيله واقرب الناس اليه قل اي يا محمد لقومك ولما كان المقصود تعظيم الموحى به وانما الموحى الى
كل من الرسولين فواحد بني للمفعول قوله مبينا لسيرة الجن في تلقيهم لهذا القران بالاخذ ارثا من اشرف
النبيين والقايهم له بالابلاغ الى غيرهم من وراث العلم منهم ليكون لهم الشرف فان شرف العلم لكمال
انفسهم والتعليم لتكميل غيرهم فيكون لهم مثل اجر من عمل بما القوه اليه واملوه عليه اوحي الي اي اخبرت
على وجه الخفا ممن لا يعلم الغيب غيره في هذا القران الذي اقتضى اعجازه ان اكون اكثر الانبيا تابعا على
لسان جبريل عليه السلام الذي هو امينه والواسطة بينه وبين انبيايه ثم وضع موضع المفعول
الذي لم يسم فاعله قوله انه اي الشان العظيم استمع اي بغاية الاصغا والاقبال والتقبل والالف
استماعا هو الاستماع في الحقيقة لانه لقراني هذا القران نفر في غاية النفرة جبلة وطبعا من الجن
الذين هم في غاية الاستتار وهم اجسام حية عاقلة خفيفة تغلب عليها النارية او الهوايية كما تغلب
على اجسام الانس الترابية والنفر ما بين الثلاثة والعشرين قال البغوي وكانوا تسعة في جن نصيبين
وقيل كانوا سبعة وفي هذه العبارة دليل على انه صلى الله عليه وسلم ما رآهم ولا قرا عليهم وانما اتفق
حضورهم عند قراته وهل هذا الاستماع هو المذكور في الاحقاف او غيره قال ابو حيان المشهور انه
هو وقيل غيره والجن الذي اتوه جن نصيبين والذي اتوه بنخلة جن نينوى والسورة التي استمعوها
قال عكرمة العلق وقيل الرحمن ولم يذكر هنا ولا في الاحقاف انه رآهم ويظهر من الحديث تعدد
الواقعة فمنها ما كان في المبدا ولم يكن معه احد من الصحابة رضي الله عنهم كما في حديث عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه الذي في الصحيح انهم فقدوه صلى الله عليه وسلم فالتمسوه في الاودية والشعاب
فلما اصبح اذا هو جا من قبل حرا فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرات عليه القران فانطلق بنا فارانا
اثارهم واثار نيرانهم ومنها ما كان معه عبد الله رضي الله عنه فذهب معه الى الحجون عند الشعب
فخط عليه خطا وقال لا تجاوزوه فانحدر عليه امثال الحجل يجرون الحجارة باقدامهم حتى غشوه فلا اراه فقاموا
الى بيده ان اجلس فتلا القران فلم يزل صوته يرتفع واحتفوا بالارض حتى ما اراهم قال الاصبهاني
وقيل كانوا من بني الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس وقال القشيري
لما رجم بالشهب فرق ابليس جنوده لعلم ذلك فاتي سبعة منهم بطن نخلة فاستمعوا قراة النبي صلى الله عليه
وسلم فامنوا ثم اتوا قومهم فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يعني ولم يرجعوا الى ابليس لما علموه من كذبه

وشفاهية

وشفاهية وجاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين من قومهم فاسلموا فذلك قوله تعالى واذ صرفنا اليك
الايات فقالوا اي فتسبب عن استماعهم ان قال من سمع منهم لمن لم يسمع او لمن كان يواجهم من الانس
امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم امرا سمع منا مقالة فوعاها فاداها كما سمعها وكان قولهم سكوتا
الى هذا القران واشتابه موكدين لبعد حالهم عن سماع الوحي وعلمهم بما زاد به من الاعجاز انا بالكسر
لانه مبتدا محكي بعد القول سمعنا حين تعمدنا الاصغا والقينا اليه افهامنا قرانا اي كلاما هو في غاية
الانتظام في نفسه والجمع لجميع ما يحتاج اليه او وصفوه بالمصدر مبالغة في امره فقالوا عجبا اي بديعا
خارجا عن عادة امثاله من جميع الكتب الالهية فضلا عن كلام الناس في جلالة النظم واعجاز التركيب والوضع
مع الموافقة لها في الدعوة الى الله والبيان للمحاسن والمساوي والدعا الى كل فلاح حتى صار نفس العجب
والعجب ما خرج عن حد اشكاله ونظايره فخفي سببه وهذا يدل على قوتهم العلمية في فصاحتهم وكمالهم
في علم الرسوم وهذا وضوع الكلام على ابلغ جهات النظوم وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تقدم
ذكر حال كفار قريش في تعاميهم عن النظر وجريهم في اللدد والعناد حسبما انطوت عليه سورة ن
والقلم ثم اتبعت بوعيدهم في الحاقة ثم بتحقيقه وقرب وقوعه في المعارج ثم بتسليته عليه الصلاة
والسلام وتانيسه بقصة نوح مع قومه اعقب ذلك بما يتعظ به الموفق ويعلم ان القلوب بيد الله فقد
كانت استجابة معاندي قريش والعرب اقرب في ظاهر الامر لنبي من جنسهم ومن انفسهم فقد تقدمت لهم
معرفة صدقه وامانته ثم جاهم بكتاب بلسانهم الذي به يتحاورون ولغتهم التي بها يتكلمون قد بهرت العقول
اياته ووضحت لكل ذي لب سليم براهينه ومعجزاته وقد علموا انهم لا يقدرون على معارضته الى ما شاهدوه
من عظيم البراهين ومع ذلك عموا وصموا وسبق الى الايمان من ليس من جنسهم ولا سبقت له مزية تكريمهم
وهم الجن ممن سبقت لهم من الله الحسنى فامنوا وصدقوا وامر صلى الله عليه وسلم بالاخبار بذلك فانزل
عليه قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الايات الى قوله اخبارا عن تعريف الجن ساير اخوانهم بما شاهدوه
من عناد كفار العرب وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ثم استمرت الاي ملتحمة المعاني
معتضدة المباني الى آخر السورة انتهى ولما بينوا فضله من جهة الاعجاز وغيره بينوا المقصود بالذات
الدال على غوصهم على المعاني بعد علمهم بحسن المباني فقالوا يهدي اي يبين غاية البيان مع الدعا في
لطف وهدو الى الرشد الى الحق والصواب الذي يشرد لثقله على النفوس الداعية الى الهوى وخفة
ضده الغي والسفه الملايم لنقايص النفوس ولما وصفوه بهذه الكمالات سببوا عن ذلك قولهم
اعمالا للقوة العملية في المبادرة الى الصواب من غير تخلف اصلا فامنا اي كل من استمع منا لم يتخلف
منا احد ولا توقف بعد الاستماع به اي اوقعنا الايمان لمبلغ القران ان نكذبه او نخالفه ادنى مخالفة
بسبب هذا القران ولما اخبروا عن الماضي وكان الايمان لا يفيد الا مع الاستمرار قالوا عاطفين
على ما تقديره فوحدنا الله في الحال لان ذلك نتيجة الايمان بالقران وخلعنا الانداد ولن اي والحال
انا مع ايقاع الاذعان في الحال لن نشرك بعد ذلك اصلا الكدوه لانه امر لا يكاد يصدق بربنا اي
الذي لا احسان قايم بنا من الايجاد وما بعده الا منه احدا اي من الخلق لانه لم يشركه في شي من امرنا
احد وقد وضحت الدلايل على التوحيد فيما سمعنا من هذا القران ولما اظهروا العلمية بفهمهم للقران
والعملية بما حصل لهم من الاذعان اعملوا ما لهم في الدعا الى الله من قوة البيان فبعدوا براوه سبحانه عن
الشرك عموما خصوا موكدين في قراة ابن كثير وابي جعفر بالكسر لما تقدم من ان مثل هذه السهولة لا تكاد
تصدق فقالوا عطفا على انا سمعنا وانه اي الشان العظيم قال الجن تعالى اي انتهى في العلو الى حد
لا يستطاع جد اي عظمة وسلطان وكمال غنى ربنا الموجد لنا المحسن الينا واذا كان هذا التعالي لجده

فما بالك بمن كذا حكمت هذه القراة بقول الجن ما بعد هذا الا وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام فانه مفتوح فيها عطفا على الموحى به فهو في محل رفع الا عند ابي جعفر فانه فتح وانه تعالى وانه كان يقول وانه كان رجال ووافقه نافع وابو بكر عن عاصم في غير وانه لما قام فانهما كسراها وفتح الباقون وهم ابن عامر وحمزة والكسا وحفص عن عاصم الكل الا ما صدر بالفا على انه معطوف على محل الجار في به اي صدقناه وصدقنا انه لا على لفظه والا لزم اعادة الجار عند نحاة البصرة وقيل عطف على لفظ الضمير في به على المذهب الكوفي الذي نصره ابو حيان وغير واحد من اهل اللسان ولما وصفوه بهذا التعالي الاعظم المستلزم للغنى المطلق والتنزه عن كل شائبة نقص بينوه بنفي ما ينافيه بقولهم ابطالا للباطل ما اتخذ عبر بصيغة الافتعال بيانا للموضع النقص لا تقييدا صاحبة اي زوجة ولا ولدا لان العادة جارية بانه لا يكون ذلك الا بمعالجة وتسبيب ومثل ذلك لا يكون الا لمحتاج الى بضاع او غيره والحاجة لا تكون الا من ضعف وعجز وذلك ينافي الجد فالمحتاج لا يصح اصلا ان يكون الها وان كان بغير تسبيب ومهلة فهو عبث لان مطلق الاختراع مغن عنه فلم يبق الا العبث الذي ينزه الاله عنه والصاحبة لابد وان تكون من نوع صاحبها ومن له نوع فهو مركب تركيبا عقليا من صفة مشتركه وصفة مميزه والولد لابد وان يكون جزا منفصلا عن والده ومن له اجزا فهو مركب تركيبا حسيا ومن المقطوع به ان ذلك لا يكون الا لمحتاج وان الله تعالى متعال عن ذلك من تركيب حسي او عقلي ولما تبين لهم ما هو عليه من النزاهة عن كل شائبة نقص ووصفوا من قال بضد ما بان لديهم وغرضهم بالترفع عن الخسائس والرذايل بعدم التمادي في الباطل مقتا للخلق في ذات الخالق مؤكدين لما للسامع في الغالب من تصديق ما يسمع والمحاجة عنه فقالوا وانه وقالوا ان الشان هذا على قراة الكسر واما بانه على قراة الفتح كان يقول اي قولا هو في عراقته في الكذب بمنزلة الجبلة سفيهنا هو للجنس فيتناول ابليس راس الجنس تناولا اوليا وكل من تبعه ممن لم يعرف الله لان ثمرة العقل العلم وثمرة العلم معرفة الله فمن لم يعرفه فهو الذي يلازم الطيش والخفة لانه لا علم عنده اصلا يحمله الرزانة كاذبا مستقولا على الله الذي له صفات الكمال المنافية لقول هذا السفيه في الولد شططا اي قولا هو في بعد عن الصواب نفس البعد ومجاوزة الحد ولما ذكروا ما اهتدوا اليه من الحق في الله وفي من كان يحملهم على الباطل ذكروا عذرهم في اتباعهم للسفيه وفي دفعهم في مواقع التهم فقالوا مؤكدين لان ما كانوا عليه من الكفر جدير بان يظن انه لا يخفى على احد لبشاعته ووضوح بطلانه وانا اي معشر المسلمين من الجن ظننا اي بما لنا من سلامة الفطر المقتضية لتحسين الظن بشهادة حديث ابي هريرة رضي الله عنه عند احمد المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم ان اي انه وزادوا في التاكيد لما مضى فقالوا ان لن تقول وبداوا بافضل الجنسين فقالوا الانس واتبعوهم قرناهم فقالوا والجن اي مخصوصين على الله اي الملك الاعلى الذي بيده النفع والضر كذبا اي قولا هو لعراقته في مخالفة الواقع نفس الكذب وهو في قراة جعفر بفتح القاف والواو المشددة المفتوحة مصدر من غير اللفظ وانا ظننا ذلك لما طبع عليه المجبول على الشهوات من تصديق الاشكال لا سيما اذا كان قولهم جازما وعظيما لا يقال مثله الا بعد تثبت لا سيما اذا كان على ملك الملوك لا سيما اذا كان القايل كثيرا لا سيما اذا تايدوا بجنس آخر فصاروا ذوي العضون كثرة ولا تطيق العقول مخالفة جمع بهذه الصفة الا بتاييد الهي بقاطع نقلي والاية على قراة ابي جعفر من الاحتباك فعل التقول اولا دليل على فعل الكذب ثانيا ومصدر الكذب ثانيا دليل على مصدر التقول اولا وسره ان التقول دال على التعمد فهو الفحش معنى والكذب الفحش لفظا وهذا مرشد الى انه لا ينبغي التقليد في شي لان الثقة بكل احد عجز وانما ينكشف ذلك بالتجربة والتقليد قد يجر الى الكفر المهلك هلاكا ابديا واليه ارشد النبي صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنه بان من اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه وفي ذلك غاية الحث على ان الانسان لا يقدم ولا يهجم في

اصول

اصول الدين الا بقاطع ولما علم من قولهم ان مستند الضلال ظنون وشبه متى حكمت على محك النظر بان فسادها واظهر زيفها اتبعه شبه اخرى زادت الفريقين ضلالا بعضهم ببعض للتقيد بالمحسوسات والوقوف مع الخيالات الموهومات فقال حاكيا عنهم تنبيها على عدم الاغترار بالمدح والاطرا الموجبين للغلط في النفس وعلى انه يجب التثبت حتى لا يقع الغلط في الاسباب المسخرة فيظن انها مؤثرة فيتجاوز بها الحد عن رتبة الممكنات الى رتبة الواجب مؤكدين لانه لا يكاد يصدق ان الجن تخاطبهم الانس فيكادمونهم وانه اي الشان كان رجال اي ذووا قوة وباس من الانس اي النوع الظاهر في عالم الحس يعوذون اي يلجاؤن ويعتصمون خوفا على انفسهم وما معهم اذا نزلوا واديا برجال من الجن اي القبيل المستتر عن الابصار فان كان القوم منهم اذا نزلوا واديا او غيره من القفر تعبث بهم الجن في بعض الاحيان لانه لا مانع لهم منهم من ذكر الله ولا دين صحيح ولا كتاب من الله صريح فحملهم ذلك على ان يستجيروا بعظمائهم فكان الرجل يقول عند صدفه اني اعوذ بعظيم هذا الوادي من سفها قومه او نحو هذا فلا يرى الا خيرا وربما هدوه الى الطريق وردوا عليه ضالته فكان ذلك فتنة للانس باعتقادهم في الجن غير ما هم عليه فتبعوهم في الضلال وفتنة للجن بان يغتروا بانفسهم ويقولوا سدنا الجن والانس فيضلوا ويضلوا ولذلك سبب عنه قوله فزادوهم اي الانس الجن باستعاذتهم هذه المرتب عليها اعاذتهم والجن الانس بترئيس الانس لهم وخوفهم منهم رهقا اي ضيقا وشدة وغشيانا لما هم فيه من احوال الضلال التي يلزم منها الضيق والشدة واصل الرهق غشيان بقوة وشدة وقهر وقال البغوي والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم كما يتفق لمن يسلك من اهل التصوف على غير اصل فيرى في اثنا السير انوارا واشيا معجبة شيطانية فيظنها رحمانية فيقف عندها ويانس بها لفساد في اصل جبلته نشا عنه سو مقصده فربما كان ذلك سببا لكفره فيزداد هو وامثاله من الانس ضلالا ويزداد من اضله من الجن ضلالا واضلالا وعتوا ويزداد الفريقان بعدا عن اللجا الى الله وحده ولقد اغنانا الله بالقران والذكر الماخوذ عن خير خلقه بشرطه في اوقاته عن كل شي كما اخبر صلى الله عليه وسلم ان من قال عند اتيان الخلا بسم الله اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبايث ستر عن الجن وان من قال اذا اتى امراته بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني فاتاه ولد لم يقدر الشيطان ان يضره ومن اذن امن تغول الغيلان وروى الترمذي واحمد قال المنذري ورواته رواة الصحيح عن شداد بن اوس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم ياخذ مضجعه فيقرا سورة من كتاب الله الا وكل الله به ملكا فلا يقربه شي يوذيه حتى يهب متى هب وللطبراني في الكبير قال المنذري ورواته رواة الصحيح الا المسيب بن واضح قال الهيثمي وهو ضعيف وقد وثق عن عبد الله بن بشر رضي الله عنه قال خرجت من حمص فاواني الليل الى البقيعة فحضرني من اهل الارض فقرات هذه الاية من الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الى آخر الاية فقال بعضهم احرسوه الآن حتى يصبح فلما اصبحت ركبت دابتي والاحاديث في هذا كثيرة في اية الكرسي وغيرها وكذا حكايات من اعترضه بعض الجن فلما قرا ذهب عنه ولما كان التقدير فضل كل من الفريقين بالآخر ضلالا بعيدا حتى ابعدوا عن الشرائع النبوية واعتقدوا ما لا يجوز اعتقاده من التعطيل واعتقاد الطبيعة فلا يزال الامر هكذا ارحام تدفع وارض تبلع ولا رسول يهديهم ولا بعث للعرض على باريهم عطف عليه قولهم مؤكدين في قراة الكسر اشارة الى ظهور دلايل البعث وانه لا يكاد يصدق ان احدا يكذب به منبها على ان الاهوا والاغاليط قد يطابق عليها الجم الغفير حثا للمهتدي على ان لا يستوحش في طريق الهدى لقلة السالكين ولا يغتر بطرق الردى لكثرة الهالكين وانهم اي الانس ان كانوا يخاطبون الجن والجن ان كانوا يخاطبون الانس ظنوا اي الجن او الانس ظنا ليسوا فيه على ثلج والظن

قد يصيب وقد يخطي وهو الاكثر كما ظننتم اي ايها الجن او الانس والمعنى في قراة الفتح واوحي الي ان الجن
والانس ظنوا وسد عن مفعولي ظن بقولهم ان اي ان الشان العظيم لن اكد للدلالة على شدة انكارهم لذلك
يبعث واشاروا الي خطا هذا الظن بالتعبير بالجلالة فقالوا الله اي الذي له الاحاطة الكاملة علما وقدرة
احدا اي بعد موته لما لبس به عليهم ابليس حتي راوا احسنا ما ليس بالحسن او احدا من الرسل يزيل به عماية
الجهل وما عليه الانس من استغوا الجن لهم وغير ذلك من الضلال وقد ظهر بالقران ان هذا الظن كاذب وانه
لا بد من البعث في الامرين فانه حكمة الملك وخاصة الملك ولما كان عدم البعث من خلل في القدرة
شرعوا في اثبات تمام القدرة على وجه دال على صحة القران وحراسته من الجان لئلا يظن انه من نحو ما للكهان
فقالوا موكدين في قراة الكسر لاستبعاد الوصول الي السما حقا علي طلب المهمات وان بعد مكانها وانا ولما
كان يعبر عن الامعان في التفتيش باللمس وكان تجريد الفعل اعظم في ذلك للدلالة على الخفة وعدم الكلفة
قال لمسنا السما اي الدنيا التمسنا اخبارها على ما كان من عادتنا الاستماع ما نغوي به الانس التماسا
هو كالجس باللمس باليد فوجدناها اي حراسا من جميع نواحيها وهو من الوجدان ملئت اي ملأ هو في غاية
السهولة والخفة علي فاعله حرسا اي حراسا اسم جمع فهو مفرد اللفظ ولذلك وصف بقوله شديدا
اي بالملايكة وشهبا جمع شهاب وهو المتوقد من النار فعلت هممهم حتي طلبوا المهمات الدنيوية والشهوات
النفسانية من مسيرة خمسماية سنة صعودا فاف لمن يكسل عن طلب مهمات الدين المحققة من مسيرة ساعة
او دونها وان يقعد في مجلس العلم ساعة او دونها والتعبير بالملي يدل على انها كانت قبل ذلك تحرس لكن
لا علي هذا الوجه فقيل انها حرست لنزول التوراة ثم اشتد الحرس للانجيل ثم ملئت لنزول القران
فمنعوا من الاستماع اصلا الا ما يصدق القران ارهاصا للنبوة العظمي الخاتمة لئلا يحصل بهم نوع لبس ولما
اخبروا عن حالها اذ ذاك لانه الاهم عندهم اخبروا عن حالها قبل فقالوا موكدين لما للانس من التكذيب بوصول
احد الي السما وانا كنا اي فيما مضى نقعد منها اي السما مقاعد اي كثيرة قد علمنا ها لا حرس فيها فهي
صالحة للسمع اي لان نسمع منها بعض ما تتكلم به الملايكة مما امروا بتدبيره وقد جا في الخبر ان صفة
قعودهم هو ان يكون الواحد منهم فوق الاخر حتي يصلوا الي السما قال ابو حيان فمتي احترق الاعلي كان
الذي تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها الي الكهان فيزيدون معها الكذب ولما كان التقدير
فيستمع منها فنستمع ما يقدر لنا من غير مانع عطف عليه قوله فمن يستمع اي يجتهد في الوصول الي السمع الآن
اي في هذا الوقت فيما يستقبل كانهم قسموا الزمان الي ما كان من اطلاق الاستماع لهم والي ما صار اليه
الحال من الحراسة واطلقوا الآن علي الثاني كله لانهم ارادوا وقت قولهم فقط او ارادوه لانهم لانهم لا
يعلمون ما بعد فيجوزون ان يكون الحال فيه علي غير ذلك يجد له اي لاجله شهابا اي شعلة من نار
ساطعة محرقة ولما كان الشهاب في معنى الجمع لان المراد ان كل موضع منها كذلك وصفه باسم الجمع
فقال رصدا اي يرصده الرامون به من غير غفلة ويجوز ان يكون مصدرا على المبالغة كرجل عدل
والرصد الترقب لانه لما كان لا تاخر عن رميه عند الدنو من السما كان كانه هو الراصد له المراقب
لامره الملاحظ الذي لا فتور عنه ولا غفلة بوجه بل هو الرصد وهو المعنى بنفسه فمتي ستم للاستماع
رمي بنفسه فيمنعه من الاستماع واذا ادركه احرقه واما السمع فقد امتنع لقوله تعالي وانهم عن السمع
لمعزولون ولما اخبروا عن ايمانهم انه كان عقب سماعهم من غير توقف ثم ذكروا منعهم من الاستراق ذكروا
انهم اشتبه عليهم المنع فلم يعلموا اسره دلالة علي ان حمل بعض المسايل الفرعية لا يقدح وندبا الي رفع الهمة
عن الخوض في شي بغير علم وحثا علي التفويض الي علام الغيوب فبينوا الذي حملهم علي ضرب مشارق الارض
ومغاربها حتي وجدوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرا القران فقالوا موكدين لان العرب كانوا ينسبونهم

الي علم المغيبات وحل المشكلات وانا لا ندري اي بوجه من الوجوه وان دافعنا واجتهدنا اشر ولما
كان المجرور نفس الارادة الماضية لا كونها من معين مع ان الفاعل معروف وهو الفاعل المختار الذي له
الارادة الماضية النافذة بنوا للمفعول قولهم اريد معلمين للادب في ان الشر يتحاشي من اسناده
اليه سبحانه حيث لا اشكال في معرفة ان لا يكون شي الا به بمن في الارض اي بهذه الحراسة فينشا
عنها الغي ام اراد بهم ربهم اي المحسن اليهم المدبر لهم بنوه للفاعل في جانب الخير اعلاما مع تعليم الادب
بان رحمته سبقت غضبه واشارة الي انه قد يكون اراد بهذا المنع الخير رشدا اي سدادا فينشا عنه
الخير فالاية من الاحتباك ذكر الشر اولا دليلا علي الخير ثانيا والرشد ثانيا دليلا علي الغي اولا ولما
اخبر سبحانه بسهولة ايمانهم فكان ربما ظن ان ذلك ما كان الا لان شانهم اللين اتبعه ما يعلم ان
ذلك خارقة لاجله صلى الله عليه وسلم كانت ولاعظامه واكرامه وجدت فقال حكاية عنهم موكدين لان
الكلام السابق ظاهر في سلامة طباع الكل وانا منا اي ايها الجن الصالحون اي العريقون في صفة
الصلاح التي هي مهيية لقبول كل خير ولما كان غير الصالح قد يكون فاسدا بان يكون مباشرا للفساد ٢
قاصدا له وقد يكون غير مباشر له قالوا متفطنين لمراتب العلوم والاعمال المقربة والمبعدة ومنا دبنا
الظرف المبتدا به لاضافته الي مبني فقيل دون اي قوم في ادني رتبة من ذلك اي هذا الوصف الشريف
العالي ولما كان من دون الصالح ذا انواع كثيرة قابليته للفساد او الصلاح وتهيوه له او بعده
عنه حسن بيان ذلك بقولهم كنا اي كونا هو كالجبلة طرايق اي ذوي طرق اي مذاهب ووجوه كثيرة
واطلقوا الطرق علي اصحابها اشارة الي شدة تلبسهم بها ولما كان الانفصال قد يكون بادني شي
بين على انه اعلى الوجوه فاطلق عليهم نفس المتقطع ووصفهم به فقال قددا اي فرقا متفرقة هواها جمع
قدة وهي الفرقة من الناس هواها على غير هواهم من القد وهو القطع الموجب للتفرق العظيم مثل
السيور التي تقطع من الجلد وتقد منه بحيث تصير كل فرقة علي حدتها قال الحسن والسدي كافرين ومسلمين
ورافضة ومعتزلة ومرجية وغير ذلك مثل فرق الانس ولما دلوا علي قهرهم عما كانوا يقدرون عليه
من ابواب السما بما ذكروا وعلي قهر معتقداتهم بهذا القران عن كثير مما كانوا يفعلونه باهل الارض فقهروا
بهذا القران في الحقيقة عن الخافقين فمنعنا منه وحفظا به ودلوا على انهم موضع القهر بالتفرق كان ذلك
موجبا للعلم بشمول قدرته تعالي حتي لا يدركه طالب ولا ينجو منه هارب لما ابداهم من شوون عظمته
وقهره في الحراسة وغيرها فذكر سبحانه ما اثمر ذلك عندهم من الاعتراف والاذعان للواحد القهار فقال
حاكيا عنهم ذلك ندبا الي الاقتدا بهم في معرفة النفس بالعجز والذلة والضعف بالتفرقة والانقسام ومعرفة
الرب بالقدرة الكاملة والسلطان والعظمة بالتفرد التام الذي لا يقبل المماثلة ولا القسمة وانا اكدوا
لظن الانس في قوتهم غير ما هو لها ظننا اطلقوا الظن علي العلم اشارة الي ان العاقل ينبغي له ان يتجنب
ما تخيله ضارا ولو بادني انواع التخيل فكيف اذا تعين ان اي ان الشان العظيم وزادوا في التاكيد
لما تقدم فقالوا لن نعجز الله اي ان نقاومه ان اراد بنا سوا لما له من الاحاطة بكل شي علما وقدرة
لانه واحد لا مثل له ودلوا علي وجه الضعف بقولهم في الارض اي كاينين فيها مقيمين وهي جهة
السفلى الملزومة للقهر وذلك اقتضي جهدنا فاين نحن من سعة ملكه الذي هو في قبضته ولن نعجزه
اي بوجه من الوجوه هربا اي ذوي هرب او من جهة الهرب اي هربنا من الارض الي غيرها فان
السما منعت منا وليس لنا مضطرب الا في قبضته فاين ام الي اين المهرب وقد منعوا بذلك وجهي النجا
باللقا والنصر والهرب عند القهر ولما كان الظان قد يبادر الي العمل بموجب ظنه وقد لا يبينوا
ان مرادهم به العلم وانهم بادروا الي العمل بما دعا اليه فقالوا موكدين بما للجن من الاباء والعسر وانا

لما سمعنا اي من النبي صلى الله عليه وسلم الهدى اي القرآن الذي له من الغرابة التامة في صفة البيان
والدعا الى الخير ما سوغ ان يطلق عليه نفس الهدى امنا به اي من غير وقفة اصلا عملا بما له من هذا النعت
العظيم • ولما كان التقدير فآمنا بسبب ايماننا الذي قادنا اليه حفظا السما من الايقاع بنا لتمام قدرته
علينا الذي هدانا اليه منعنا من الاستماع بالحراسة سببوا عن ذلك قولهم معترفين بالعجز عن مقاومة التهديد
من الملك طالبين التحصين بتحصينه والاعتصام بحبله فمن يؤمن اي يوجد حقيقة الايمان ويستمر على تجديدها
كل لحظة • ولما فهموا ان دعاه اليه وبيانه للطريق مع قدرته التامة انما هو من عموم لطفه ورحمته
ذكروا وصف الاحسان لزيادة الترغيب فقالوا بربه اي المحسن اليه منا ومن غيرنا ولما كان المؤمن
هو المختص من بين الخلق بالنجاة ادخل الفا على الجواب ورفعه على تقدير مبتدا دلالة على ذلك وعلى ان نجاته
ما لا بد منه فقال فلا اي فهو خاصة لا يخاف اصلا بخسا اي نقصا وقلة وحبسا ونكدا في الثواب والاكرام
بوجه من الوجوه ولا رهقا اي مكروها يلحقه فيقهره لانه لم يفعل مع احد شيا من ذلك ليجازى عليه فهذا
حث للمؤمن على اجتناب ذلك لئلا يجازى به وقد هدى السياق الى تقدير ومن يشرك به فلا يامن بخسا
ولا رهقا • ولما كان هذا ظاهرا في انهم اسلموا كلهم قالوا نافين لهذا الظاهر مؤكدين لان اسلامهم
مع شديد نفرتهم لا يكاد يصدق وانا منا اي ايها الجن المسلمون اي المخلصون في صفة الاسلام للهادي
فاسلموه قيادهم فهم عريقون في ذلك مقسطون مستقيمون فلا يفارقون الدليل فهم على الصراط السوي
العدل الرضي ومنا الجائرون الكافرون ومنا القاسطون وهم الجائرون عن المنهج الاقوم الساقطون في
المهامه والمجاهل التي ليس بها معلم فهم بربهم كافرون ومنا المقسطون يقال قسط اذا جار جورا اقسطه
عن رتبة الانسان الى رتبة ادنى الحيوان واقسط اذا زال الجور فعدل فالآية من الاحتباك المسلمون
يدل على الكافرين والقاسطون يدل على المقسطين • ولما كانوا قد علموا مما سمعوا من القرآن انه لا بد
من البعث للجزا سببوا عن هذه القسمة قولهم فمن اسلم اي اوقع الاسلام كله بان اسلم ظاهره وباطنه للدليل
من الجن ومن غيرهم • ولما كان في مقام الترغيب في الحق ربط بفعلهم ذلك تسبيبا عنه قوله مدحا لهم
فاولئك اي العالوا الرتبة تحروا اي توخوا وقصدوا مجتهدين رشدا اي صوابا عظيما وسدادا كان لما
عندهم من النقايص شاردا عنهم فعالجوا انفسهم حتى ملكوه فجعلوه لهم منزلا من قولهم الحرا بالقصر مخوص
القطاة تاوي اليه الظبي والناحية والموضع وما احراه بكذا ما اوجبه له وبالحرا ان يكون كذا اي خليق كونه
وفلان حري بكذا اي خليق • وقد يجي بالجر من غير يا يراد به بالجهد وتحريت الشي تصدت ناحيته فكانت
لهم ذلك الى الجنة سببا ومن قسط فاولئك ضلوا فنالوا غيا وشططا • ولما عرفوا بما من الاعتصام بطاعة
الله نبهوا على خطر التعرض فقالوا واما القاسطون اي العريقون في صفة الجور عن الصواب من الجن وغيرهم
فاولئك اهملوا انفسهم فلم يتحروا لها فضلوا فابعدوا عن المنهج فوقعوا في المهالك التي لا منجا منها فكانوا اي جبلة
لجهنم اي النار البعيدة القعر التي تلقاهم بالتجهم والكراهة والعبوسة حطبا توقد بهم النار في اتقاد
ما داموا احيا وهم احيا ما دامت تتقد لا يموتون فيستريحون ولا يحيون فينتعشون • فالآية من الاحتباك
وهو منطوق لما اوجبه من السياق لا مفهوم ذكر التحري اولا دليلا على تركه ثانيا وذكر جهنم ثانيا دليلا
على حذف الجنة اولا • وسر ذلك انهم في مقام الترهيب فذكروا ما يحذر وطووا ما يجب للعلم به لان
الله تعالى لا يضيع لاحد اجرا بل لا يقتصر على ما يقابل الحسنة في العرف بل لا بد ان يزيد عليها سبعة اضعاف
وعنده المزيد • ولما رغب ورهب سبحانه على السنة الجن بما هداهم له ونور قلوبهم وكانت الآية السابقة
آخر ما حكي عنهم وكان التقدير اوحي الي ان القاسطين من قومي وغيرهم لو امنوا فعل بهم من الخير ما فعل بمومني
الجن حين امنوا فاغناهم الله في الدنيا بحلاله عن حرامه من غير كلفة فكسا لهم كل عظم لقوه لحما اوفر ما كان ه

وافاد

فيا غادلهم كل روث راوه حبا احسن ما كان ببركة هذا النبي الكريم • عليه افضل الصلاة والتسليم وان لو ه
استقاموا اي طلب القاسطون من الخلق كلهم الجن والانس القوم واوجدوه كاينين على الطريقة اي التي لا
طريقة غيرها وهي التي فهمها الجن من القرآن من الاسلام والاقساط المودية الى الفلاح في الدارين • ولما
كان الما اصل كل خير كما قال تعالى في قصة نوح عليه السلام يرسل السما عليكم مدرارا وكان منه كل شي حي
وكان عزيزا عند العرب قال معظما له بالالتفات الى مظهر العظمة لاسقيناهم اي جعلنا لهم بما لنا من العظمة
ما غدقا اي كثيرا عظيما عظيم النفع يكثر به الرزق ويزين به الارض ويرغد به العيش • ولما كانت نعمه
فضلا منه وليست مستحقة عليه بعبادة ولا غيرها قال معرفا ان غايتها استحقاق الثواب او العقاب
على ما كتبه على نفسه سبحانه ولا يبدل القول لديه وان جميع ما يعامل به عباده سبحانه من نفع وضر انما
هو فتنة لهم يستخرج ما جبلوا عليه من حسن وقبيح لنفتنهم • اي لنعاملهم معاملة المختبر بما لنا من العظمة
فيه اي في ذلك الما الذي تكون عنه انواع النعم لينكشف حال الشاكر والكافر قال الرازي وهذا
بعد ما حبس عنهم المطر سنين انتهى • وقال غيره قال عمر رضي الله عنه اينما كان الما كان المال واينما كان
المال كانت الفتنة • وقال الحسن وغيره كانوا سامعين مطيعين ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر ففتنوا
بها فوثبوا بامامهم فقتلوه يعني عثمان رضي الله عنه ويجوز ان يكون مستعارا للعلم وانواع المعارف الناشية
عن العبادات التي هي للنفوس كالنفوس للابدان وتكون الفتنة بمعنى التخليص من الهموم الرذايل في الدنيا
والنعم في الآخرة من فتنت الذهب اذا خلصته من غشه • ولما كان التقدير فمن يقبل على ذكر ربه ه
ننعمه في دار السلام ابدا عطف عليه قوله ومن يعرض اي اعراضا مستمرا الى الموت عن ذكر ربه اي
مجاوزا عن عبادة المحسن اليه المربي له الذي لا احسان عنده من غيره نسلكه اي ندخله عذابا يكون ه
مطرقا له كالخيط في ثقب الخرزة في غاية الضيق صعدا اي شاقا شديدا يعلوه ويغلبه ويصعد عليه
ويكون كل يوم اعلى مما قبله جزاء وفاقا فان الاعراض كلما تمادى زمانه كان اقوى مما كان • ولما
كان التقدير لانه اوحي الى ان الامر على ما تتعارفونه بينكم من ان من خدم غير سيده عذبه ابدا عطف
عليه قوله مبينا لسيرة الانبيا وما يجب لهم من الكمال الذي يكون بقوتي العلم والعمل والتكميل الذي يكون
بهما مع قوة البيان ومن لم يكن كاملا لم يتصور منه تكميل ليكون له ولد قلب كما ان من لم يكن بالغا لم
يتحقق منه ولد صلب ومبينا لما يجوز عليهم وما يستحيل منهم وما لله تعالى من العناية بشانهم وان اي
واوحي الي ان المساجد اي مواضع السجود من العالم الآفاقي من الارض ومن العالم النفسي من الجسد
كما قال سعيد بن جبير وطلق بن حبيب لله اي مختصة بالملك الاعظم فلا تدعوا اي بسبب ذلك ايها
المخلوقون على وجه العبادة مع الله اي الذي له جميع العظمة احدا لان من تعبد لغير سيده في ملك
سيده الذي هو العالم الآفاقي وبآلة سيده الذي هو العالم النفسي كان اشد الناس لوما وعقوبة
فكيف يليق بكم ان يخلق لكم وجها ويدين ورجلين وارضا تنتفعون بها وسما تنتفعون بها فتسجدون بالاعضا
التي اوجدها لكم في الارض التي امكنكم من الانتفاع بها تحت السما التي انتم منتفعون بها لغيره فتكونون قد
صرفتم نعمة السيد التي يجب شكره عليها لغيره ايفعل هذا عاقل قال البغوي فان جعلت المساجد مواضع
الصلاة فواحدها بكسر الجيم وان جعلتها الاعضا فواحدها بفتح الجيم • ولما كان من يدعو سيده وينقطع
اليه عاملا للواجب عليه اللايق بامثاله لا ينكر عليه ولا يعجب منه وانما يعجب ممن دعا غير سيده او ما لا
اليه ادنى ميل فيسال عن سببه قال معجبا من القاسطين من الجن والانس وانه اي واوحي الي انه
قال الجن لمن اطاعهم من قومهم حاكين ما راوا من صلاته وازدحام اصحابه عليه متعجبين من ذلك ان الشان
والقصة العظيمة العجيبة لما قمت كادوا يكونون على هكذا كان الاصل ولكنه عبر بالبعد كما تقدم من ان

من دعا سيّده ولو كان ذلك السيد احقر الموجودات لا يفعل به ذلك فكيف اذا كان سيّده مالك الملك ومَلِك
الملوك فقال قام عبد الله اي عبد الملك الاعلي الذي له الجلال كله والجمال فلا موجود يدانيه بل كل موجود
من فايض فضله يدعوه اي يدعو سيّده دعا عبادة من حيث كونه عبده ومن حيث كون سيّده يسمع من
دعاه ويجيبه ولمّا كان القاسطون اكثر الناس بل الناس كلهم في ذلك الزمان جنا وانسا قال مبينا
لانه يجوز علي الانبيا ان يؤذوا او ينتقصوا رفعا لدرجاتهم وتسلية لورثاتهم وان كانت رتبتهم تابي ذلك
كادوا اي قرب القاسطون من الفريقين الجن والانس يكونون عليه اي علي عبد الله لبدا اي متراكمين
بعضهم علي بعض من شدة ازدحامهم حتي كان ذلك جبلة لهم تعجبا مما راوا منه من عبادته وارادة لرده عن
ذلك وذلك امر لا يعجب منه وانما العجب ما فعلوا هم من عبادتهم لغيره سبحانه ومن تعجبهم من عبادة
عبده له واخلاصه في دعايه وهو جمع لبدة بكسر اللام وقرئ بضم اللام جمع لبدة بضمها وهي ما تلبّد بعضه
علي بعضه ولمّا استشرفت علي قراءة الكسر نفس السامع الي قوله صلي الله عليه وسلم لمن تراكموا عليه في ذلك
استانف الجواب بقوله مبينا لما يستحيل علي الانبيا عليهم الصلاة والسلام من دعا غير الله ومن ترك الدعا
اليه ومن مخالفة شي من امره قال ولمّا تاقت نفسه صلي الله عليه وسلم علي قراءة الفتح الي ما يدفع به ما راي
منه قال تعالي مرشدا له الي ذلك قل اي لمن ازدحم عليك عادا لهم عداد الجاهلين بما تصنع لانهم عملوا عمل
الجاهل انما ادعوا ربي اي دعا العبادة ربي اي الذي اوجدني ورباني ولا نعمة عندي الا منه وحده لا
ادعو غيره حتي تعجبوا مني فتزدحموا علي والظاهر المتبادر الي الفهم ان المعني واوحي الي اي لما قمت في
الصلاة اعبد الله في بطن نخلة وراني الجن الذين وجههم ابليس نحو تهامة وسمعوا القران ازدحموا علي حتي
حتي كادوا يغشونني ويكون بعضهم علي بعضهم فسمعوا توحيدي لله وتمجيدي له وافراده بالقدرة والعلم
وجميع صفات الكمال امنوا وقيل هو حكاية الجن لقومهم عن صلاة النبي صلي الله عليه وسلم وفعل
اصحابه وراه في تصافّهم في صلاتهم وحفوفهم به ووعظه وتعليمه لهم ويحكي هذا القول عن ابن عباس رضي
الله عنهما وسعد بن جبير فان ذلك هيئة غريبة يحكي ان ملك الفرس ارسل من دخل في المسلمين لما قصدوا
بلاده فكان مما حكي له عنهم ان قال اذا صلوا اصفّوا انفسهم صفوفا ويتقدمهم رجل يقومون بقيامه
ويسجدون بسجوده ويقعدون بقعوده ويفعلون كفعله لا تخالف بينهم فلمّا سمع ذلك الملك راعه وقال
مالي ولهولا مالي ولعمر ونقل ابو حيان عن مكحول انه بلغ من تابع النبي صلي الله عليه وسلم ليلة الجن
سبعين الفا وفرغوا عند انشقاق الفجر ولمّا كان الداعي لولي نعمته يمكن ان يكون اشرك غيره في
دعايه ولو بادني وجوه الاشراك ويكون الحصر باعتبار الاغلب فاستحق الانكار عليه والازدحام نفي ذلك
بقوله تاكيدا لمعني الحصر وتحقيقا له ولا اشرك به اي الآن ولا مستقبل الزمان بوجه من الوجوه
من ود وسواع ويغوث وغيرها من الصامت والناطق ولمّا كان السامع ربما قال ما له هو لا يهلكهم
او يدعو ربه في دفع المتلبدين عليه بالاهلاك او التوبة والمتابعة امره بما يبين عظمة ربه وانه لا يفعل الا
ما يريد بقوله مبينا انه يستحيل عليه صلي الله عليه وسلم ما يستحيل علي جميع الممكنات من ان يؤثر في شي
بنفسه او يخالف ربه قل اي لهولا الذين خالفوك واكد قطعا لمن ربما اعتقد لكثرة ما يري من الكرامات
انه مهما اراده فعله الله له اني لا املك اي الآن ولا بعد لكم بنفسي من غير اقدار الله لي لانه لا يوثر
في شي من الاشيا الا الله ولمّا كان المقام لدفع شرهم عنه قال ضرا فافهم ذلك ولا نفعا ولا غيّا
ولا رشدا اي صوابا وسدادا فالاية من الاحتباك وهو ظاهر علي هذا التقدير قال ابو حيان فحذف
من كل ما يدل مقابله عليه انتهي ويجوز ان يكون تقديره لا املك ضرا لاني لا املك لكم اضلالا ولا املك رشدا
فلا املك لكم نفعا وانه لا نفع في غير الرشاد ولا ضر في غير الضلال فقبح الله ابن عربي الطاي الذي يقول

في فصوص

في فصوصه ان الضلال اهدي من الهدي فلا اسخف عقلا منه الا من تبعه عليهم لعنة الله وحزبه فان قالوا
انه اراد غير ما يفهم منه من ظاهر اللفظ فقل كذبتم فقد بين مراده اطباقكم علي الفسق والفجور لا نكاد نجد منكم
من يتهم بمذهبه وهو يعتقد بشرع ولم تخرج الاية بهذا عن الاحتباك فان ذكر الضر اولا دل علي حذف
النفع ثانيا وذكر الرشد ثانيا دل علي حذف الضلال اولا ولمّا اجاب من تشوّف الي علة صبره
عن دفعهم عنه بما حاصله انه لا شي بيده لان الهه من العظمة في احاطة العلم والقدرة وانه لا يخرج شي عن
مراده فلا يفوته شي فلا يعجل في شي بحيث لا يفعل الا ما يريد سوا سيل اولا فكان ذلك ربما اوجب ان
يظن منه صلي الله عليه وسلم موافقته لهم لئلا يضروه لانهم يستعجلون في اذي من خالفهم اجاب بما حاصله
انه بين ضررين احدهما منهم ان خالفهم والاخر منه سبحانه ان اعرض عنه وهو سبحانه يرد اذاهم ان
اراده وهم لا يقدرون علي رد اذاه بوجه فقال قل اي لمن يدعوك الي موافقتهم واكد لما في ظن كثير من
الناس من ان الاسباب لا تتخلف فقال اني وزاد في التاكيد لان ذلك في غاية الاستقرار في النفوس فقال
لن يجيرني اي فيدفع عني ما يدفع الجار عن جاره من الله اي الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه احد
اي كاينا من كان ان ارادني سبحانه بسوء ولمّا كان من هو بهذه المثابة ربما هرب منه المطلوب قال
مؤكدا ولن اجد اي اصلا ولمّا كانت كل رتبة دون رتبته وكانت الرتب التي دون رتبته كثيرة جدا
لما له من العلو المطلق ولغيره من مراتب السفول التي لا تحد قال مشيرا الي ذلك بالجار من دونه اي الله
ملتحدا اي معدلا وموضع ميل وركون ومدخلا وملجا وحيلة وان اجتهدت كل الجهد لان اللحد اصله الميل
ولا يقال الا في ميل من حق الي باطل والحد جادل ومارى وركن ولمّا كان من المعلوم ان هذا شي لا
مثنوية فيه وكانت الرتب التي دون شريف رتبته سبحانه كثيرة جدا وكان ما يليها له حكم شرفها وحقيقتها
وكان اول ذلك البلاغ منه سبحانه بلا واسطة ثم البلاغ بواسطة ملايكته الكرام عنه استثني من ملتحدا علي
طريق لا ملجا ولا منجا منك الا اليك ففروا الي الله فقال الا بلاغا اي يبلغني كاينا من الله اي الذي احاط بكل
شي قدرة وعلما وبكنهه لسعة رحمته يجري الامور علي ما يتعارفونه في انه لا ياخذ الا بحجة تعرفون بانها
حجة ولمّا بين الرتبة الاولي التي هي علي اتبعها التي تليها فقال ورسالاته اي التي اوحي الي بها بواسطة
الملك فاني اتلقي ذلك حتي تلقيه بحفظه والعمل به فيكون ذلك عاصما من كل سو في الدنيا والاخرة ولمّا
كان التقدير لبيان ان الله شرف الرسل بان اعطاهم عظمة من عظمته فجعل عصيانهم عصيانه حتي يكون جزا
من عصاهم هو جزا من عصاه سبحانه لانهم انما يتكلمون بامره فمن يطع الله ورسوله فان له جنة نعيم
يكونون فيها مدا الدهر سعدا عطف عليه قوله ومن يعص الله اي الذي له العظمة كلها ورسوله
الذي ختم به النبوة والرسالة فجعل رسالته محيطة بجميع خلقه في التوحيد او غيره علي سبيل الجحد فان له
اي خاصة نار جهنم اي التي تلقاه بالعبوسة والغيظ ولمّا عبّر بالافراد نظرا الي لفظ من لانه اصرح
في كل فرد بالجمع حملا علي معناها لانه ادل علي عموم الذل فقال خالدين فيها واكد المعني لقول من يدعي
الانقطاع فقال ابدا واما من يدعي انها لا تحرق وان عذابها عذوبة فليس احد اجرا منه الا من يتابعه علي
ضلاله وغيه ومحاله وليس لهم دوا الا السيف في الدنيا والعذاب في الاخرة بما سموه عذوبة وهم صايرون
اليه وموقوفون عليه • ولمّا ذكر تلبدهم عليه وقدم ما هو الاهم من امره من كشف غمتهم باعلامهم ان ذلك
الذي انكروه عليه هو الذي يحق له ومن انه مع ضعفه عن مقاومتهم هو عن الاعراض عن الله اضعف لان الله
اقوي من كل شي وانه لا يسعه الا امتثال امره واشار الي انهم عاجزون عن سطواته سبحانه بعدم القدرة علي
الاحاطة عليه صرّح بذلك ممددا لهم فقال معيبا لتلبدهم عليه حتي اذا راوا اي بابصارهم هم فيه ما
اي الشي الذي ولمّا كان المنكي من الوعيد بروكه علي من كان لاجله الوعيد لا كونه من معين قال يوعدون

اي ما حصل الايعاد به في الدنيا او في الاخرة اما في الاخرة فواضح واما في الدنيا فمثل اخراج النبي صلي الله
عليه وسلم مع اجتماع المشركين علي المكر به لقتله واجتهادهم في ذلك ثم سراياه وغزواته ثم غزوة بدر وغيرها
من ايام الله التي ملات الارض نورا واهل الحق سرورا وحبورا واهل الباطل خسرا وبورا ورعبا وهلاكا
وثبورا فستعلمون اي في ذلك اليوم الذي يكون فيه تاويله بوعد لا خلف فيه ولا طول لامده من اضعف
ناصرا اي من جهة الناصر انا وان كنت في هذا الوقت وحيدا مستضعفا او هم واقل عددا وان كانوا
الان بحيث لا تحصيهم عددا الا الله فيالله ما اعظم كلام الرسل حيث يستضعفون انفسهم من حيث هي
ويذكرون قوتهم من جهة مولاهم الذي بيده الملك وله جنود السموات والارض بخلاف اهل الاتحاد فانه
لا كلام لهم الا في تعظيم انفسهم وازدرا من سواهم واذا حاققت احدا من اتباع احدهم قالوا هذا علي لسان
النبوة ونحو هذا من مخادعاتهم ولما كان من المعلوم انهم اذا سمعوا هذا الوعيد قالوا استهزا
وعمي عن طريق الصواب واستعلاما متي يكون تجاربه استانف قوله جوابا لهم جواب من لا يستخفه عجلة
ولا ضجر لانه لا يخاف الفوت ولا يلحقه ضرر بسبقا العدو واجتهادهم في اذي اوليايه مبينا ما يجوز علي
الرسل من انه يخفي عليهم ما يخفي علي البشر ويطلعهم علي ما يخفي علي غيرهم قل اي جوابهم ان كذبوا اتيانا
العذاب وسالوا استهزا عن وقت وقوعه اما كونه فلا بد منه لانه قد برز الوعيد به ممن لا يخلف الميعاد
واما تعيين وقته فقد اخفاه سبحانه لانه افعد في التهديد وهو معني قوله ان ادري بوجه من الوجوه
وان عالجت ذلك وتسببت فيه وزاد في تقرير خفايه وانه لا يزال في حيز ما يسيل عنه بصيغة الاستفهام
فقال معدما ما يخيفهم اقريب ما توعدون اي فيكون الان او قريبا من هذا الاوان بحيث يتوقع
عن قرب ام بعيد يجعل له اي لهذا الوعيد ولما كان التاخير ربما افهم تهاونا بالولي قال دافعا
لذلك ربي اي المحسن الي ان قدمه او اخره امدا اي اجلا مضروبا عظيما بكل اعتبار حتي في البعد لا يتاتي
مع ذلك ان يكون الان ولا ان يتوقع دون ذلك الامد فهو في كل حال متوقع فكونوا علي غاية الحذر لانه
لا بد من وقوعه لا كلام فيه وانما الكلام في تعيين وقته ولما نفي صلي الله عليه وسلم علمه عن نفسه الشريفة
نفي ذلك عن غيره علي وجه عام لجميع الغيب خال من عظمة مرسله ما تنقطع دون ذلك الاعناق فقال واصفا
له عالم الغيب اي كله وهو ما لم يبرز الي عالم الشهادة فهو مختص سبحانه بعلمه فلذلك سبب عنه
قوله فلا يظهر اي بوجه من الوجوه في وقت من الاوقات علي غيبه اي الذي غيبه عن غيره فهو
مختص به احدا لعزة علم الغيب ولانه خاصة الملك ولما كان لا يعلم الغيب الا بابرازه الي عالم الشهادة
وكان لاول من يطلع عليه شرف ينبغي ان يعرف له قال الا من ارتضي اي علم الله تعالي في كونه رضي علم من
يتعمد ذلك وتجتهد فيه وبين من بقوله من رسول اي من الملك ومن الناس فانه يظهر عليه ذلك
المرتضي الموصوف لا كل مرتضي بان يظهره علي ما شاء منه لان الغيب جنس لا تحقق له الا في ضمن افراده
فاذا ظهر فرد منه فقد ظهر فيه الجنس بظهور حصته منه وتارة يكون ذلك الرسول ملكا وتارة يكون بشرا
يكلمه الله بغير واسطة كموسي عليه السلام في ايام المناجاة ومحمد صلي الله عليه وسلم ليلة المعراج في العالم
الاعلي في حضرة قاب قوسين او ادني واذا ظهر عليه الرسول خرج عن كونه غيبا واوصله الرسول الي من
اوصله في ايصاله له تارة بالوحي للانبيا وتارة بالنفث والالهام للاوليا وذلك عند تهيو نفوسهم بسكون
قواها عن منازعة العقل بالشهوات والحظوظ كما يكون للنفوس عامة حين سكون القوي عن المنازعة بالنوم
فيكون متهيية للنفث فيها ثم من اعرض عن جانب الحس واقبل علي جناب القدس فقد هيا نفسه لنفث الملك
في روعه بعلم ما لم يكن يعلم وليس احد من الناس الا وقد علم من نفسه انه اذا اقبل علي شي بكليته حدث
له فيه امور حدسية الهامية بغتة من غير سابقة فكر وطلب وعلي قدر التهيية يكون النفث من قبل الله سبحانه

وربما كان النفث شيطانيا بما تلقته الشياطين من الاستراقات من الملايكة اما من الارض بعد نزولهم
او من السما بالاستراق فيها والله تعالي اعلم ويجوز ان يكون للاوليا مشافهة من الملك كما كان لمريم عليها
السلام من الملايكة وقال جبريل عليه السلام عن بعضهم انه لو سلم رد عليه ولما دل هذا السياق علي
عزة علم الغيب وكانت عزته سببا للحراسة من يطلع عليه ليوديه الي من امر به كما امر به اعلم سبحانه بذلك
بقوله موكدا بمثل ما اخبره من علم الكهان الذي اصله عن الجان دالا علي اجلال الرسل واعظامهم وتبجيلهم واكرامهم
فانه اي الله سبحانه يظهر ذلك الرسول علي ما يريد من الغيب وذلك انه اراد اظهاره عليه يسلك اي يدخل
ادخال السلك في الجوهرة في تقومه ونفوده من غير ادني تعريج الي غير المراد ولما كان الغرض يحصل بمن
يقيمه سبحانه من جنوده للحراسة ولو انه واحد من كل جهة بل وبغير ذلك وانما جعل هذا الاخراج الامر علي ما
يتعارفونه العباد عبر بالجار دليلا علي عدم استغراق الرصد للجهات الي منقطع الارض مثلا فقال من بين
يديه اي الجهة التي يعلمها ذلك الرسول ومن خلفه اي الجهة التي تغيب عن علمه فصار ذلك كناية عن كل جهة
ويمكن ان يكون ذكر للجهتين دلالة علي الكل وخصهما لان العدو متي اغريت واحدة منهما اتي منها ومتي حفظتا
لم يات من غيرها لانه يصير بين الاولين والاخرين رصدا اي حرسا من جنوده يحرسونه ويحفظونه لحفظه
ما معه في الغيب من اختطاف الشياطين او من غيرهم ليلا يسترقوا شيا من خبره قاله ابن عباس رضي الله عنهما
وقال مقاتل وغيره يخبرونه بمن انكره بان يحذروه منه ان كان شيطانا او يامروه بالسماع منه ان كان ملكا
وذلك ان ابليس كان ياتي الانبيا في صورة جبريل عليه السلام ولما كان هذا الباب من الحفظ في كل رسول
بين الغاية جامعا تعيينا لما اقتضاه الجنس لان الافراد او لا مراد به الجمع وانه ما عبر به الا ليشمل الحراسة كل
فرد فرد منهم فقال ليعلم اي الله علما كاينا واقعا علي هذه الصفة التي تعلق بها علمه في الازل قبل وجودها علا ما
يعلمه الا هو سبحانه انها ستكون ان اي ان الرسل قد ابلغوا اي الي من ارسلوا اليه رسالات ربهم اي الذي
اوجدهم ودبر جميع امورهم واختارهم لرسالته علي ما هي عليه لم تشبها شايبة ولا لحقها غير ولما كان هذا ربما
اوهم انه محتاج في الحفظ الي الرصد ازال ذلك بقوله واحاط اي فعل ذلك والحال انه قد احاط بما لديهم
اي الرسل والمرسل اليهم من الملايكة والبشر علي ادق الوجوه واعظمها واعزها بما اشار اليه التعبير بلدي ولما
كان هذا كافيا في المقصود لكنه قاصر علي محل الحاجة عم تعريفا بالامر علي ما هو عليه فقال حاملا علي شدة الوثوق
بما تقوله الرسل عن ربهم وانه ليس فيه ولا غايلة بوجه مبينا غاية البيان كذب حديث الغرانيق الذي ذكره
بعض المفسرين وغيرهم في سورة والنجم واحصي اي الله سبحانه كل شي اي علي العموم من غير استثنا اصلا عددا
اي من جهة العدد لكل ما يمكن عده ولو علي اقل مقادير الذر فيما لم يزل وفيما لا يزال فهو دليل قاطع
علي علمه تعالي بالجزييات كعلمه بالكليات وقد التقي اول السورة واخرها وباطنها العيني وظاهرها فدل
اخرها علي الاول المجمل واولها علي الاخر المفصل وذلك ان اول السورة بين عظمة الوحي بسبب الجن ثم ربين في اثنا
حفظه من مسترق السمع وختم بتاكيد حفظه وحفظ جميع كلماته واستمر في تاكيد امره حتي بانت عظمة هذا القران
وظهرت عزة هذا الفرقان علي كل كتاب بكل اعتبار وحساب فافتتح المزمل بمثل ذلك وختمها بالامر بقراة ما تيسر
منه وذكر في المدثر طعن الطاعن فيه وما ناله بسبب ذلك الطعن من الخزي والعذاب في الدنيا والاخرة
مع ضمان الحفظ منه ثم نهي نبيه صلي الله عليه وسلم في سورة القيمة عن العجلة في امره ليلا يخل حفظه او يزيغ ادني
زيغ لحفظه وتشريعا لامته في ترك الاستعجال فانه ليس من داب الرجال ثم اكد امر تنزيله في الانسان وبين ان
علة الاعراض عنه حب العاجلة التي هي عين النقصان وختم المرسلات بنهاية ما يتخيله الاوهام والظنون
فقال فباي حديث بعده يومنون فسبحان من نظم هذا النظام وجعله اقصي المراد وغاية المرام

مقصودها الاعلان بان محاسن الاعمال تدفع الاخطار والاوجال وتخفف الاحمال الثقال ولاسيما الوقوف
بين يدي الملك المتعال والتجرد في خدمته في ظلمات الليال فانه نعم الاله لقبول الافعال والاقوال ومحو
ظلل الضلال والمعين الاعظم علي الصبر والاحتمال لما يرد من الكدورات في دار الزوال دار القلعة والارتحال
واسمها المزمل ادل ما فيها علي هذا المقال بسم الله الكافي من توكل عليه في جميع الاحوال الرحمن الذي عم بنعمة
الايجاد والبيان المهدي والضال الرحيم الذي خص حزبه بالسداد في الاقوال والافعال لايصالهم الي
دار الكمال لما تقدم في آخر الجن تعظيم الوحي وان من تعظيمه حفظ المرسل به من جميع الافات المفترة
عن ابلاغه بما له سبحانه من احاطة العلم والقدرة وندب بنبيه الذي ارتضاه لرسالته والاطلاع علي ما اراد
من غيبه صلي الله عليه وسلم اول هذه الي القيام باعبا النبوة بالمناجاة بهذا الوحي في وقت الانس والخلوة
بالاحباب والبسط والجلوة لمن دق الباب للاعتلا والمتاب المهيئ لحمل اعبا الرسالة والمقوي علي اثقال المعالجة
لاهل الضلالة فقال معبرا بالاداة الصالحة للقرب والبعد المختصة بانها لايقال بعدها الا الامور التي هي
في غاية العظمة اشارة الي انه صلي الله عليه وسلم يراد به غاية القرب بالامور البعيدة عن تناول الخلق بكونها
خوارق للعادات ونواقض للمالوفات المطردات واما التزمل فهو وان كان من آلات ذلك الا انه من الامور
العادية فهو دون ما يراد من التهيئة لذلك الاستعداد وبالتزمل لكونه منافيا للقيام في الصلاة يا ايها
المزمل اي الذي اخفي شخصه وستر امره وما امرناه به بما اشار اليه التزمل الذي مدلوله التلفف في الثوب
علي جميع البدن والاختفاء لزوم مكان واحد وكانه يكون منطرحا علي الارض كما قال صلي الله عليه وسلم
في قتلي احد زملوهم بثيابهم ودمائهم مع الاشارة الي الاختفاء ايضا بادغام التا التفعل وربما اشار الادغام
الي ان الستر بالثوب لم يعم جميع البدن كما ياتي في المدثر علي ان فيه مع ذلك اشارة الي البشارة بالقوة علي حمل
اعبا ما يراد به من قولهم زمل الشي اذا رفعه وحمله والازدمال احتمال الشي وزملت الرجل علي البعير وغيره
اذا حملته عليه ومن زملت الدابة في عدوها اذا نشطت والزامل من حمر الوحش الذي كانه يطلع من نشاطه
ورجل ازميل شديد والزاملة بعير يستظهر به الرجل لحمل طعامه ومتاعه عليه ويقال للرجل العالم بالامر
هو ازوملته وقال ابن عطا يا ايها المخفي ما نظهره عليه من اثار الخصوصية هذا اوان كشفه وقال عكرمة
يا ايها الذي حمل هذا الامر وقال السدي اراد يا ايها النائم وقال غيره كان هذا في ابتدا الوحي بالنبوة
والمدثر في ابتدا الوحي بالرسالة ثم خوطب بعد ذلك بالنبي والرسول قم اي في خدمتنا بحمل اعبا نبوتنا
فانا افردناك بالاجتهاد في الاحمال واترك التزمل فانه مناف للقيام ولما كان الاجتهاد في الخدمة
دالا علي غاية المحبة وكانت النية خيرا من العمل وكان الانسان مجبولا علي الضعف وكان الله لطيفا بهذه
الامة تشريفا لامامها صلي الله عليه وسلم رضي منا سبحانه بصدق التوجه الي العمل وجعل اجورنا اكثر
من اعمالنا فجعل احيا البعض احيا للكل فاطلق اسم الكل واراد البعض فقال الليل اي الذي هو وقت
الخلوة والخفية والستر فصل لنا في كل ليلة من هذا الجنس وقف بين يدينا بالمناجاة والانس بما انزل عليك
من كلامنا فانا نريد اظهارك واعلا قدرك في البر والبحر والسر والجهر وقيام الليل في الشرع معناه الصلاة
فلذا لم يقيده وهي جامعة لانواع الاعمال الظاهرة والباطنة وهي عمادها فذكرها دال علي ما عداها
ولما كان للبدن حظ في الراحة قال مستثنيا من الليل الا قليلا اي من كل ليلة ويؤدي هذا الندا
لانه صلي الله عليه وسلم لما جاءه الوحي في غار حرا رجع الي خديجة زوجته رضي الله عنها يرجف فؤاده
فقال زملوني زملوني لقد خشيت علي نفسي فسالته رضي الله عنها عن حاله فلما قص عليها امره وقال
خشيت علي نفسي يعني ان يكون هذا مبادي شعر او كهانة وكل ذلك من الشياطين وان يكون الذي ظهر له
بالوحي ليس بملك وكان صلي الله عليه وسلم يبغض الشعر والكهانة غاية البغضة فقالت له وكانت وزيرة

صدق

صدق كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتعين علي نوايب الحق ونحو
هذا من المقال الذي يثبت وفايدة التزمل ان الشجاع الكامل اذا دهمه امر هو فوق قواه فزع امره فرجع
الي نفسه وقصر بصره وبصيرته علي حسه اجتمعت قواه اليه فقويت جملته الصالحة علي تلك العوارض التخيلية
فهزمتها فرجع الي امر الجبلة العلية البدنية وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما كان ذكر اسلام
الجن قد احرز غاية انتهي مرماها وتم مقصدها ومبناها وهي الاعلام باستجابة هولا وحرمان من كان
اولي بالاستجابة واقرب في ظاهر الامر الي الانابة بعد تقدم وعيدهم وشديد تهديدهم صرف الكلام الي
امره صلي الله عليه وسلم بما يلزمه من وظايف عبادته وما يلزمه في اذكاره من ليله ونهاره مفتتحا ذلك
باجمل مكالمة والطف مخاطبة يا ايها المزمل تسلية له صلي الله عليه وسلم كما ورد فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات وليحصل منه الاكتراث بعناد من تقدم عناده وكثرة لججه واتبع ذلك بما يشهد لهذا الغرض
ويعضده وهو قوله تعالي واصبر علي ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين اولي النعمة ومهلهم
قليلا وهذا عين الوارد في قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وفي قوله نحن اعلم بما يقولون وما
انت عليهم بجبار ثم قال ان لدينا انكالا فذكر ما اعد لهم واذا تاملت هذه الاي وجدتها قاطعة بما قدمنا
وبان لك التحام ما ذكره ثم رجع الكلام الي التلطف به عليه الصلاة والسلام وباصحابه رضي الله عنهم واجزل
جزاهم مع وقوع التقصير ممن يصح منه لعظم المعبود الحق جل جلاله علم ان لن تحصوه فتاب عليكم الي قوله فاقروا
ما تيسر من القران ثم ختم السورة بالاستغفار من كل ما تقدم من عناد الجاحدين المتقدم ذكرهم فيما قيل
من السور الي ما لا يفي العباد المستجيبون به بما اشار اليه قوله تعالي علم ان لن تحصوه انتهي ولما كان الليل
اسما لما بين غروب الشمس وطلوع الفجر وكان قيامه في غاية المشقة خفف عنا سبحانه من ثقل ذلك فقال
مبينا المراد بما حط عليه الكلام بعد الاستثنا ومبدلا من جملة المستثني والمستثني منه نصفه اي الليل
فعلم ان المراد بالقليل المستثني النصف وسماه قليلا بالنسبة الي جميع الليل وبالنسبة الي النصف الذي
وقع احياوه لان ما ملي بالعمل اكثر مما لا عمل فيه ويجوز ان يكون نصفه بدلا من الليل فيكون كانه قيل
قم نصف الليل الا قليلا وهو السدس او انقص منه الي الربع وجات العبارة هكذا لتفيد ان من قام ثلث
الليل بل ربعه فما فوقه كان محييا لليل كله ولما كانت الهمم مختلفة بالنسبة الي الاشخاص وبالنسبة الي
الاوقات قال او انقص منه اي من هذا النصف الذي امرت بقيامه او من النصف المستثني منه القليل
علي الوجه الثاني وهو الثلث قليلا فلا تتمه حتي لو احييت ثلث الليل علي الوجه الاول ولو ربعه علي الوجه
الثاني كنت محييا له كله في فضل الله بالتضعيف او زد عليه اي علي النصف قليلا كالسدس مثلا فيكون
الذي تقومه الثلثين مثلا وعلي كل تقدير من هذه التقادير يصادف القيام وهو لا يكون الا بعد النوم
الوقت الذي يباركه الله بالتجلي فيه فانه صح انه ينزل سبحانه عن ان يشبه ذاته شيا او نزوله نزول غيره
بل هو كناية عن فتح باب السما الذي هو كناية عن وقت استجابة الدعا حتي يبقي ثلث الليل وفي رواية
حين يبقي شطر الليل الاخر الي سما الدنيا فيقول هل من سايل فاعطيه هل من تايب فاتوب عليه هل من كذا هل
من كذا حتي يطلع الفجر وكان القيام في اول الاسلام فرضا عليهم علي التخيير بين هذه المقادير الثلاثة
فكانوا يشقون علي انفسهم فكان النبي صلي الله عليه وسلم يقوم حتي يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب وكذا
بعض اصحابه رضي الله عنهم واشتد ذلك عليهم حتي انتفخت اقدامهم وكان هذا قبل فريضة الخمس فنزل آخرها
بالتخفيف بعد سنة علم ان لن تحصوه الايات فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة ولما امر بالقيام
وقدر وقته وعينه امر بهيئة التلاوة علي وجه عام للنهار معلم بان القيام بالصلاة التي روحها القران فقال
ورتل القران اي اقراه علي تؤدة وبين حروفه بحيث يتمكن السامع من عدها وحتي يكون المتكي

شيئًا بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان فان ذلك موجب لتدبره تكشف له مهماته وتجلي
عليه اسراره وخفياته • قال ابن مسعود رضي الله عنه ولا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر ولكن
قفوا عند عجايبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم آخر السورة • روى الترمذي عن عايشة
رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح باية والاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم • ولما امر سبحانه بالترتيل امر شرفه بالتاكيد بالمصدر فقال ترتيلا
ولما كان المراد منه صلى الله عليه وسلم الثبات للنبوة ومن امته الثبات في الاقتدا به في العمل والامر
والنهي • وكان ذلك في غاية الصعوبة • وكان الانسان عاجزا الا باعانة مولاه • وكان العون النافع انما
يكون لمن صفت نفسه عن الاكدار واشرقت بالانوار • وكان ذلك انما يكون بالاجتهاد في خدمته سبحانه
علل هذا الامر بقوله مبينا للقران الذي امر بقراته ما هو وما وصفه معلما ان التهجد يعد للنفس من القوي
ما به تعالج المشقات مؤكدا لان الاتيان بما هو خارج عن جميع اشكال الكلام لا يكاد يصدق انا اي
بما لنا من العظمة سنلقي اي قريبا بوعد لا خلف فيه فتهيأ لذلك بما يحق له • ولما كان المقام لبيان
الصعوبة عبر باداة الاستعلا فقال عليك واشار الي اليسر مع ذلك اشارة الي ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر بالتعبير بما تدور مادته علي اليسر والخفة فقال قولا يعني القران ثقيلا اي لما
فيه من التكاليف الشاقة من جهة حملها وتحميلها للمدعوين لانها تضاد الطبع وتخالف النفس ومن جهة
رزانة لفظه لامتلايه بالمعاني مع جلالة معناه وتقاعله في خفا فلا يفهمه المتامل ويستخرج ما فيه
من الجواهر الا بمزيد فكر وتصفية سر وتجريد نظر فهو ثقيل علي الموافق من جميع الوجوه وغيرها وعلي
المخالف من جهة انه لا يقدر علي رده ولا يتمكن من طعن فيه بوجه مع انه ثقيل في الميزان وعند تلقيه
وله وزن وخطر وقدر عظيم • روي في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اتاه الوحي
يفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشاتي الشديد البرد • وكان اذا نزل عليه الوحي
صلى الله عليه وسلم وهو راكب علي ناقة وضعت جرانها فلا تكاد تتحرك حتى يسري عنه قال القشيري
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان سورة الانعام نزلت عليه جملة وهو راكب فبركت الناقة من
ثقل القرآن وهيبته وهو مع ثقله علي الاركان خفيف علي اللسان سهل التلاوة والحفظ علي الانسان • ولما
افهم هذا ان التهجد في غاية العظمة اكد ذلك حاثا علي عدم الرضا بدون الافضل الاجمل الاكمل بقوله مؤكدا
ليخف امر القيام علي النفس ان ناشئة الليل اي ساعاته التي كل واحدة منها ناشئة والعبادة التي
تنشا فيه بغاية الخفة ممن نشا اي نهض من مضجعه بغاية النشاط لقوة الهمة ومضا العزيمة التي جعلتها
كانها نشأت بنفسها • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما كان بعد العشا فهو ناشية وما كان قبله فليس
بناشية • وقالت عايشة رضي الله عنها الناشية القيام بعد النوم • وقال الازهري الناشية القيام
مصدر جا علي فاعله كالعافية بمعنى العفو • ولما كان ذلك في غاية الصعوبة لشدة منافرته للطبع
زاد في التوكيد ترغيبا فيه فقال هي اي خاصة لما لها من المزايا اشد اي اثقل واقوي وامتن وارصن
وطا اي كلفة ومشقة لما فيها من ترك الراحة وفراق الالف والمحبوب واشد ثبات قدم علي انه مصدر
وطي في قراة الجماعة بفتح ثم سكون ومواطاة بين القلب واللسان في الحضور وفي التزام الدين بالاذعان
والخضوع علي انه واطا مثل قاتل علي قراة ابي عمرو وابن عامر بالكسر والمد وهي ابلغ لان صيغة المفاعلة
تكون بين اثنين يتغالبان فيكون الفعل اقوي • ولما كان التهجد يجمع القول والفعل وبين ما في الفعل
لانه اشق فكان بتقديم الترغيب بالمدحة احق اتبعه القول فقال واقوم قيلا اي واعظم سدادا
من جهة القيل في فهمه ووقعه في القلوب لحضور القلب وزكاة الليل بهدو الاصوات وتجلي الرب سبحانه

بحصول البركات واخلص من الريا والقصود الدنيات • ولما بين سبحانه من اول السورة الي هنا
ما به صلاح الدين وعصمة الامر وبه صلاح الدارين واظهر ما للمتهجد من الفضايل فكان التقدير حتما
فواظب عليه لتنال هذه الثمرات قال معللا مخففا له مبينا ما به صلاح الدنيا التي فيها المعاش وصلاحها
وسيلة الي صلاح المقصود وهو الدين وهو الذي ينبغي له ليلا يكون كلا علي الناس ليحصل من الرزق ما
يعينه علي دينه ويوسع به علي عباد الله من غير ملل ولا ضجر ولا كسل ولا مبالغة مؤكدا لما للنفس من الكسل
عنه ان لك اي ايها المتهجد او يا اكرم العباد ان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ليكون اكد في
الزام الامة به في النهار الذي هو محل السعي في مصالح الدنيا • ولما كان الانسان يهتم في سعيه
لنفسه حتى يكون كانه لشدة عزمه وسرعة حركته كالسابح فيما لا عايق فيه قال سبحا طويلا اي تقلبا
ممتد الزمان قال البغوي واصل السبح سرعة الذهاب • وقال الرازي سهولة الحركة • ولما كان
التقدير فاجتهد عطف عليه قوله حاثا علي حضور الفكر واذكر اسم ربك اي المحسن اليك والموجد والمدبر
لك بكل ما يكون ذكرا من اسم وصفة وثنا وخضوع وتسبيح وتحميد وصلاة وقراة ودعا واقبال علي علم
شرعي وادب مرعي ودم علي ذلك فاذا عظمت الاسم بالذكر فقد عظمت المسمى بالتوحيد والاخلاص وذلك
عون لك علي مصالح الدارين اما الاخرة فواضح واما الدنيا فقد ارشد النبي صلى الله عليه وسلم اعز الخلق
عليه فاطمة ابنته رضي الله عنها لما سالته خادما يقيها التعب الي التسبيح والتحميد والتكبير عند النوم
ولما كان الذكر قد يكون مع التعلق بالغير اعلم ان الذاكر بالحقيقة انما هو المستغرق فيه سبحانه وبه
يكون تمام العون فقال وتبتل اي اجتهد في قطع نفسك عن كل شاغل والاخلاص في جميع اعمالها بالتدريج
قليلا قليلا منتهيا اليه ولا تزال علي ذلك حتى يصير لك خلقا فتكون نفسك كانها منقطعة بغير قاطع ومقطعة
تقطيعا كثيرا بكل قاطع فيكون التقدير بما ارشد اليه المصدر تبتلا وبتلها تبتيلا فاعلم بالتاكيد بالمصدر
المرشد الي الجمع بين التفعل والتفعيل بشدة الاهتمام وصعوبة المقام وهو من البتل وهو القطع صدقة
بتلة اي مقطوعة عن صاحبها ولذلك قال زيد بن اسلم التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله
والبتول مريم عليها السلام لانقطاعها الي الله عن جميع خلقه وكذا فاطمة الزهرا البتول ايضا لانقطاعها
عن قرين ونظير فالمراد بهذا هو المراد من كلمة التوحيد المقتضية للاقبال عليه والاعراض
عن كل ما سواه وذلك بملازمة الذكر وخلع الهوي • والاية من الاحتباك وهو ظاهر ذكر فعل التبتل دليلا
علي حذف مصدره وذكر مصدر بتل دليلا علي حذف فعله • ولما كان الواجب علي كل احد شكر المنعم
بين انه سبحانه الذي انعم بسكن الليل الذي امر بالتهجد فيه ومنتشر النهار الذي اذن بالسبح فيه فقال
واصفا الرب المامور بذكره في قراة ابن عامر ويعقوب والكوفيين غير حفص معظما له بالقطع في قراة الباقين
بالرفع رب المشرق اي موجد محل الانوار التي بها يمحي هذا الليل الذي انت قايم فيه ويضي بها
الصباح وعند الصباح يحمد القوم السري بما انالهم من الانوار في مرآي قلوبهم وما زينها به من شهب
المعاني كما اوجد لهم في آفاق افلاكهم من شموس المعاني المثمرة لدور الانس في مواطن القدس فلا يطلع كوكب
في الموضع الذي هو ربه الا باذنه وهو رب كل مكان • وما احسن ما قال الامام الرباني تقي الدين ابن دقيق
العيد • كم ليلة فيك وصلنا السري • لا نعرف الغمض ولا نستريح • واختلف الاصحاب ماذا الذي
يزيح من شكواهم او يزيح • فقيل تعريسهم ساعة • وقلت بل ذكراك وهو الصحيح • ولما ذكر
مطالع الانوار لانها المقصودة لما لها من جلي الاظهار ووحد لانه اوفق لمقصود السورة الذي محطه
الاجماع المدلول عليه بالتزمل اتبعه مقابله فقال والمغرب اي الذي يكون عنه الليل الذي هو محل
السكن وموضع الخلوات ولذيذ المناجاة فلا تغرب شمس ولا قمر ولا نجم الا بتقديره واذا كان ما فيه هذه

الصنايع التي هي ابدع ما يكون كان رب ما دون ذلك ولما علم بهذا انه المحقق بتدبير الكاينات المتفرد
بايجاد الموجودات كان اهلا لان يفرد بالعبادة وجميع التوجه فقال مستانفا لا اله اي معبود بحق
الا هو اي ربك الذي دلت تربيته لك علي مجامع العظمة واعني صفات الكمال والتنزه عن كل شايبة
نقص ولما علم تفرده سبحانه كان الذي ينبغي لعباده ان لا يوجه احد منهم شيا من رغبته لغيره فلذلك
سبب عنه قوله فاتخذه اي خذ بجميع جهدك وذلك بافرادك اياه بكونه وكيلا اي علي كل من خالفك
بان تفوض جميع امورك اليه فانه يكفيكها كلها ويكلوها غاية الكلاية فانه المنفرد بالقدرة عليها ولا شي
اصلا في يد غيره فلا تهتم بشي اصلا وليس ذلك بان يترك الانسان كل عمل فان ذلك طمع فارغ بل بالاجمال
في طلب كل ما ندب الانسان الي طلبه ليكون متوكلا في السبب لا من دون سبب فانه يكون حينيذ كمن يطلب
الولد من غير زوجة وهو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية علي الاسباب ولو لم يكن في افراده بالوكالة
الا انه يفارق الوكلا بالعظمة والشرف والرفق من جميع الوجوه فان وكيلك من الناس دونك وانت
تتوقع ان يكلمك كثيرا في مصالحك وربك اعظم العظما وهو يامرك بان تكلمه كثيرا في مصالحك وتسله
طويلا ووكيلك من الناس اذا حصل مالك سالك الاجرة وهو سبحانه يوفر مالك ويعطيك الاجر ووكيلك
من الناس ينفق عليك من مالك والله سبحانه يرزقك وينفق عليك من ماله ومن تمسك بهذه الاية
عاش حرا كريما ومات خالصا شريفا ولقي الله تعالى عبدا صافيا مختارا نقيا ومن شرط الموحد ان
يتوحد الي الواحد ويقبل علي الواحد ويبذل له نفسه عبودة ويامنه علي نفسه ويفوض اليه اموره
ويترك التدبير ويثق به ويركن اليه ويذل لربوبيته ويتواضع لعظمته ويتزين ببهايه ويتخذه علي كل
نايبة دنيا وآخرة ولما كانت الوكالة لا تكون الا فيما يعجز وكان الامر بها مشيرا الي انه لا بد
ان يكون عن هذا القول الثقيل خطوب طوال وزلازل واهوال قال واصبر واشار الي عظمة الصبر
بتعديته بحرف الاستعلا فقال علي ما وخفف الامر بالاشارة الي انهم لا يصلون الي غير الاذي بالقول
وعظمه باستمرارهم عليه فقال يقولون اي المخالفون المفهومون من الوكالة من مدافعتهم الحق بالباطل
في حق الله وحقك ولما كانت مجانبة البغيض الا عند الاضطرار مما يخفف من اذاه قال واهجرهم
اي اعرض عنهم جهرا دافعا للتي هي احسن مهما امكن هجرا جميلا بان تعاشرهم بظاهرك وتباينهم بسرك وخاطرك
فلا تخالطهم الا فيما امرك الله به علي ما حده لك من دعايهم اليه سبحانه ومن موافاتهم في افراحهم واحزانهم
فتودي حقوقهم ولا تطالبهم بحقوقك لا تصريحا ولا تلويحا ولما كان في امره هذا بما يفعل ما يشق
جدا بما فيه من احتمال علوهم اعلم بقرب فرجه بتهديدهم باخذهم سريعا فقال وذرني اي اتركني علي
اي اتفقت مني في معاملتهم واظهر في موضع الاضمار تعليقا للحكم بالوصف وتعميما فقال والمكذبين
اي العريقين في التكذيب فاني قادر علي رحمتهم وتعذيبهم ولما ذكر وصفهم الذي استحقوا به العذاب
ذكر الحامل عليه تزهيدا فيه وصرفا عن معاشرة اهله ليلا تكون المعاشرة فتنة فتكون حاملة علي الانقياد
به وجارة الي حب الدنيا فقال اولي النعمة اي اصحاب التنعم بغضارة العيش والبهجة التي افادتهموها
النعمة بالكسر وهي الانعام وما ينعم به من الاموال والاولاد والجاه الذي افادته النعمة بالفتح وهي
المسرة التي تقتضي الشكر وهم اكابر قريش واغنياوهم ولما كان العليم القدير اذا قال مثل ذلك لولي من
اوليايه عاجل عدوه قال محققا للمراد بما امر به من الصبر من هذا في النعم الدنيوية فان زمنها قصير
ومهلهم اي اتركهم برفق وتان وتدريج ولا تهتم بشانهم ولما بشره بوعيدهم الشديد بهذه العبارة
التي مضمونها ان اخذهم بيده صلى الله عليه وسلم وهو سبحانه يسيل تاخيره لهم زاد في البشارة بقوله
قليلا اي من الزمان او الامهال الي موتهم او الايقاع بهم قبله وكان بين نزول هذه الاية وبين

وهم

وقعة بدر يسير قاله الطبري وفيه بشارة له صلى الله عليه وسلم بالبقا بعد اخذهم كما كان وانه ليس محتاجا
في امورهم الي غيره وكلهم اليه سبحانه بالقايهم عن باله وتفريغ ظاهره وباطنه لما هو مامور به من الاقبال علي
الله سبحانه ففي الاية ان من اشتغل بعدوه وكله الله الي نفسه فصار ذلك كالمانع من اخذ الله له فاذا
توكل عليه فقد زال ذلك المانع ولما كان هذا مناديا بعذابهم وكان وصفهم بالنعمة مفهما لانهم معتادون
بالماكل الطيبة وكان منع اللذيذ من الماكل لمن اعتاده لا يبلغ في نكاية النفس بعد نكاية البدن الا بعد
تقدم اهانة استانف قوله بيانا لنوع ما افهمه التهديد من مطلق العذاب واكده لاجل تكذيبهم ان واشار
الي شدة غرابته وجلالته وعظمته وخصوصيته وتحقق حضوره بقوله لدينا دون عندنا ولما كان اشد
ما علي الانسان منعه مما يريد من الانبساط به بالحركات قال ذاكرا ما يضاد ما هم فيه من النعمة والعز
انكالا جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل الذي لا ينفك ابدا امانة لهم لا خوفا من فرارهم جزا علي تقييدهم
انفسهم بالشهوات عن اتباع الداعي واتساعهم في المشي في فضا الاهوية ولما كان ذلك محرقا للباطن اتبعه
حريق الظاهر فقال وجحيما اي نارا حامية جدا شديدة الاتقاد بما كانوا يتقيدون به من تبريد الشراب
والتنعم برقيق اللباس والثياب وتكلف انواع الراحة ولما اتم ما يقابل تكذيبهم اتبعه ما يقابل النعمة فقال
وطعاما ذا غصة اي صاحب انتشاب في الحلق كالضريع والزقوم يشتبك فيه فلا يسوغ لا ينزل ولا يخرج بما
كانوا يعانونه من تصفية الماكل والمشارب وافراغ الجهد في الظفر بجميع المارب ولما خص عم فقال وعذابا
اليما اي مولما شديد الايلام لا يدع لهم عذوبة بشي من الاشيا اصلا بما كانوا يصفون به اوقاتهم ويكدرون
علي من يدعوهم الي ما ينفعهم بالخلاص من قيود المشاهدات والعروج من حضيض الشهوات الي اوج الباقيات
الصالحات ولما ذكر هذا العذاب ذكر ظرفه فقال يوم ترجف اي تضطرب وتتزلزل زلزالا شديدا
الارض اي كلها والجبال التي هي اشدها ولما كان التقدير فكانت الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا امتا عطف عليه قوله وكانت الجبال اي التي هي مراسي الارض واوتادها وعبر عن شدة الاختلاط
والتلاشي بالتوحيد فقال كثيبا اي رملا مجتمعا فعيل بمعنى مفعول من كثبه اذا جمعه ومادة كثب بتركيبها
كثب وكبث تدور علي الجمع مع القرب وتلزمه القلة فان حقيقة القرب قلة المسافة زمانا او مكانا والنعومة
من كثبت التراب درسته تكثب عليه بمعنى حمل او كر معنى قارب ان يخالطه والكثيب الرمل قطعه تنقاد محدودبة ناظر
الي القلة من معنى قطعه وكل ما انصب كذلك ايضا لان الانصباب عادة يكون لما قل ولما انتم واما نعم كتاب
بتقديم التاو وتاخيرها ايضا اي كثير فجانبه الكثرة من الصيعة والكاثبة من الفرس هو اضيق موضع في عرضها
والكثبة من الارض المطمينة بين الجبال لانها تكون صغيرة غالبا والكباث كسحاب النضيج من الاراك وقيل ما لم
ينضج وقيل حمله اذا كان متفرقا فان اريد النضج منه فتسميته به لانه مجتمع وان اريد ما لم ينضج فهو من مقاربة
النضج وان اريد المتفرق فلقرب بعضه من بعض لان الاراك نفسه صغير الشجر وكبث اللحم كفرح مات معموما فتغير
او اروح اي جمع علي انايه الذي هو فيه انا آخر وجمع ما فيه حتى تضايق فهو من الجمع لهذا واما الكنيث كقنفذ
والياموخزه للصلب الشديد فهو في الغالب من تجمع اجزايه وتداخل بعضها في بعض وتكبيثا لسفينة ان تجنح
الي الارض هو من الجمع والقرب معا واما كبث كنانته بمعنى نكتها فكان فعل استعمل هنا للازالة اي ازال اجتماعها
او بمعنى انه قربها من رميه بتيسيرها لسرعة التناول ولما كان الكثيب ربما اطلق مجازا علي ما ارتفع
وان لم يكن عما قال مهيلا اي رملا سايلا رخوا لينا منثورا من هاله اذا نثره وقال الكلبي هو الذي اذا اخذ
منه شيا تبعك ما بعده ولما ذكر العذاب ووقته وقدمهما ليكون السامع اقبل لما يطلب منه اتبعهما السبب
فيه مشيرا الي ما به اصلاح امر الاخرة التي فيها المعاد واليها المنتهى والماب فقال مؤكدا لاجل تكذيبهم انا
ارسلنا اي بما لنا من العظمة اليكم يا اهل مكة تشريفا لكم خاصة والي كل من بلغته الدعوة عامة رسولا اي عظيما

جدا وهو محمد صلي الله عليه وسلم خاتم النبيين وامامهم صلي الله عليه وسلم شاهدا عليكم أي بما تصنعون
ليؤدي الشهادة عند طلبها منه يوم ننزع من كل امة شهيدا وهو يوم القيمة ولما كانت هذه السورة
من اول ما نزل والدين ضعيف واهله في غاية القلة والذلة ليعتبر بهم من آل به الامر الي ان كان في زمانه
صار فيه الدين عزيزا كغربته اذ ذاك وكان فرعون أعتي الناس في زمانه واجبرهم واشدهم خداعا ومكرا
وكان بنوا اسرايل في غاية الذل له والطواعية لامره ومع ذلك فلما ارسل الله اليه موسي عليه السلام الذي
ذبح فرعون ابنا بني اسرايل لاجل ان يكون في جملة من ذبحه لانه قيل له انه يولد لبني اسرايل مولود يكون هلاك
القبط علي يده اظفره به واهلكه علي قوته وانجي منه بني اسرايل علي ضعفهم قال تعالي تنبيها لقريش والعرب
وغيرهم علي ان من كان الله معه لا ينبغي ان يقاوي ولو انه اضعف الخلق وتنبيها لهم علي الاعتبار بحال
هذا الطاغية الذي يزيد عليهم بالملك وكثرة الجنود والاموال كما ارسلنا اي بما لنا من العظمة الي فرعون
اي ملك مصر رسولا ولعله نكره للتنبيه علي انه ليس من قوم فرعون فلا مانع له منه من حميم ولا شفيع ليعلم
ان من كان له قبيلة تحامي عنه اولي بالنصرة ولما كان الارسال سببا للقبول او الرد قال فعصي فرعون
اي بما له من تعوج الطباع الرسول اي الذي تقدم انا ارسلناه اليه فصار معهودا لكم بعدما اراه من
المعجزات والايات الدامغات بما اشار اليه مظهر العظمة وكذلك سبب عن عصيانه قوله فاخذناه اي
بما لنا من العظمة وبين انه اخذ قهر وغضب بقوله اخذا وبيلا اي ثقيلا شديدا متعبا مضيقا ردي
العاقبة من قولهم طعام وبيل اذا كان وخما لا يستمري لا ينزل في المري ولا تخف عليه وذلك بان اهلكناه
ومن معه اجمعين لم ندع منهم احدا وسيأتي ان شا الله تعالي في المرسلات تاج اعادة النكرة والمعرفة
ولما علم بهذا انه سبحانه شديد الاخذ ولا يغني ذا الجد منه الجد سبب عن ذلك قوله محذرا لهم الاقتدا
بفرعون فكيف تتقون اي توجدون الوقاية التي تقي انفسكم ولما كان التعبير من سبب التهديد اهم
لانه ادل علي رحمة المحذر وابعث علي اجتنابه قال مشيرا باداة الشك الي ان كفرهم به بالله مع ما نصب من
الادلة العقلية المؤيدة بالنقلية ينبغي ان لا يوجد بوجه وانما يذكر علي سبيل الغرض والتقدير ان كفرتم
اي اوقعتم الستر لما غرس في فطركم من انوار الدلايل القايدة الي الايمان فبقيتم علي كفركم علي ان العبارة مشيرة
الي انه عفا عنهم الكفر الماضي فلا يعده عليهم رحمة منه وكرما ولا يعد عليهم الا ما اوقعوه بعد مجي الرسول
صلي الله عليه وسلم يوما اي هو مثل في الشدة بحيث يقال فيه يجعل لشدة اهواله وزلازله واوجاله الولدان
اي عند الولادة او بالقرب منها شيبا جمع اشيب وهو من ابيض شعره وذلك كناية عن كثرة الهموم فيه
لان العادة جارية بانها اذا تفاقمت سرعت بالشيب والمعني انكار ان يقدروا علي ان يجعلوا لهم وقاية
بغاية جهدهم تقيهم عذاب ذلك اليوم الموصوف بهذا الهول الاعظم وذلك حين يقول الله يا ادم قم فابعث
بعث النار من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين واسند الجعل الي اليوم لكونه واقعا فيه كما جعله المتقي
وانما المتقي العذاب الواقع فيه ولما كان هذا امرا عظيما صور بعض اهواله زيادة في عظمه فقال السما
اي علي عظمها وعلوها وشدة احكامها ولما كان المراد الجنس الشامل للكل ذكر فقال منفطر اي منشق متزايل ايضا
من هيبة الرب تزايل المتفرط من السلك ولو انث لكان ظاهرا في واحدة من السموات وفي اختيار التذكير لطيفة
اخري وهي ابهامها لشدة الزايلة في الهول المؤدي الي انفطار ما هو في غاية الشدة لان الذكر في كل شي اشد من
الانثي وذلك كله تهويلا لليوم به اي بشدة ذلك اليوم وبابه للالة ويجوز كونها بمعني فيه اي يحصل فيه التفطر
والتشقق بالغمام ونزول الملايكة وغير ذلك من التساقط والوهي علي شدة وثاقتها فما ظنك بغيرها ولما كان
هذا عظيما استانف بيان هوانه بالنسبة الي عظمته سبحانه فقال كان اي علي كل حال وبكل اعتبار وعده اي
وعد الله الذي تقدم ذكره في مظاهر العظمة فالاضافة للمصدر الي الفاعل مفعولا اي سهلا معزوما منه في اي

شي

شيء كان فكيف اذا كان بهذا اليوم الذي هو محط الحكمة او الضمير لليوم فالاضافة الي المفعول اشارة الي انه
الوعد الواقع به وفيه لا بد منه انه لا يكون الا من الله ولما كان ما مضي في هذه السورة من الاحكام
والترغيب والترهيب مرشدا الي معالي الاخلاق منقذا من كل سو قال مستانفا موكدا تنبيها علي عظمها وانها مما
ينبغي التنبيه عليه ان هذه اي القطعة المتقدمة من هذه السورة تذكرة اي تذكير عظيم هو اهل لان يتعظ به
ويعتبر به المعتبر ولاسيما ما ذكر فيها باهل الكفر من انواع العقاب ولما كان سبحانه قد جعل للانسان
عقلا يدرك به الحسن والقبيح واختيارا يتمكن به من اتباع ما يريد فلم يبق له مانع من جهة اختيار الاصلح والاحسن
الا قسر المشية التي لا اطلاع له عليها ولا حيلة له فيها سبب عن ذلك قوله فمن شا اي التذكر للاتعاظ
اتخذ اي بغاية جهده الي ربه اي خاصة لا الي غيره سبيلا اي طريقا يسلك فيه حظوظه لكونه لا لبس فيه فيسلك
علي وفق ما جاءه من التذكرة وذلك للاعتصام حال السير بالكتاب والسنة علي وفق ما اجمعت عليه الامة ومتي
زاغ عن ذلك هلك ولما كان ربما تغالي بعض الناس في العبادة وشق علي نفسه وربما شق علي غيره
اشار سبحانه الي الاقتصاد تخفيفا لما يلحق الانسان من التعب مشيرا الي ما يعمل حالة اتصال الروح بالجسد
وهي حالة الحياة لان منفعتها التزود من كل خير لما ادناه هول المقابر فان الروح في غاية اللطافة والجسد في
غاية الكثافة لانها من عالم الامر وهو ما يكون الايجاد فيه بمرة واحدة من غير تدريج وتطوير والجسد من
عالم الخلق فهي غريبة فيه تحتاج الي التانيس وتانيسها بكل ما يعرفها الي العالم الروحاني المجرد عن علايق
الاجسام وذلك بصرف القلب عن هذه الدنايا والتلبس بالاذكار والصلوات وجميع الاعمال الصالحات
فان ذلك هو المعين علي اتصالها بعالمها العالي العزيز والغالي واعون ما يكون علي ذلك الحكمة وهي العدل في
الاعمال والاقتصاد في الاقوال والافعال فقال مستانفا الجواب عن تيسير السبيل وبنايه علي الحنيفية السمحة
بحيث صار لا مانع منه الايذ العذرة ان ربك اي المدبر لامرك علي ما يكون احسانا اليك ورفقا بك وبامتك
يعلم انك تقوم اي في الصلاة كما امرت به اول السورة ولما كانت كثرة العمل ممدوحة وقلته بخلاف
ذلك استعار للاقل قوله ادني اي زمانا اقل والادني مشترك بين الاقرب والادون الانزل رتبة لان
كلا منهما يلزم عنه قلة المسافة من ثلثي الليل في بعض الليالي ونصفه وثلثه اي اوادني من كل منهما في بعض
الليالي هذا علي قراة الجماعة والمعني علي قراة ابن كثير والكوفيين بالنصب تعيين النصف والثلث الداخل تحت
الادني من الثلثين وهو علي القراتين مطابق لما وقع التخيير فيه في اول السورة بين قيام النصف بتمامه او
الناقص منه وهو الثلث او الزايد عليه وهو الثلثان او الاقل من الاقل من النصف وهو الربع ولما ذكر سبحانه
قيامه صلي الله عليه وسلم اتبعه قيام اتباعه فقال عاطفا علي الضمير المستكن في تقوم وحسنه الفصل وطايفة
اي وتقوم كذلك جماعة فيها اهلية التحلق باقبالهم عليك واقبال بعضهم علي بعض ولما كان الصاحب
ربما اطلق علي من مع الانسان بقوله دون قلبه عدل الي قوله من الذين معك اي باقوالهم وافعالهم
اي علي الاسلام وكانه اختار هذا دون ان يقول من المسلمين لانه يفهم ان طايفة لم تقم هذا القيام فلم
يرد ان يسميهم مسلمين والمعية اعم ولما كان هذا القيام علي هذا التفاوت مع الاجتهاد في التسبق
في العبادة دالا علي عدم العلم بالمقادير علي ما هي عليه قال تعالي والله اي تقومون هكذا علمكم
بمقادير الساعات علي التحرير والحال ان الملك المحيط بكل شي قدرة وعلما وحده يقدر اي تقديرا
عظيما هو في غاية التحرير الليل والنهار فيعلم كل دقيقة منهما علي ما هي عليه لانه خالقهما لا يوجد شي منهما
الا به الا يعلم من خلق ولما علم من هذا المشقة عليهم في قيام الليل علي هذا الوجه علما وعقلا ترجم
ذلك بقوله علم الله ان لن تحصوه اي تطيقوا التقدير علما وعملا ومنه قوله صلي الله عليه وسلم استقيموا
ولن تحصوا فتاب اي فتسبب عن هذا العلم انه سبحانه رجع بالنسخ عما كان اوجب عليكم بالترخيص لكم

في ترك القيام المقدر اول السورة اي دفع التبعة عنكم في ترك القيام المقدر اول السورة اي رفع التبعة
عنكم في ترك القيام علي ذلك التقدير الذي يجل كما دفعنا علي التايب وكانه سماه توبة وان لم يكن معصية اشارة
الي انه من شانه لتقلدان يجر الي المعصية ولما رفعه سبب عنه امر بما يسهل عليهم فقال معبرا عن الصلا
بالقراة لانها اعظم اركانها اشارة الي التهجد مستحب لا واجب فاقروا اي في الصلاة او غيرها في الليل والنها
ما تيسر اي سهل وهان الي الغاية عليكم ولان وانقاد لكم من القران اي الكتاب الجامع لجميع ما ينفعكم
قال القشيري يقال من خمس ايات الي ما زاد ويقال من عشر ايات الي ما يزيد قال البغوي قال قيس ابن ابي
حازم صليت خلف ابن عباس رضي الله عنهما بالبصرة فقرا في اول ركعة بالحمد واول اية من البقرة ثم قام في
الثانية فقرا بالحمد والاية الثانية. وقيل انه امر بالقراة بمجردة اقامة لها مقام ما كانت تجب عليهم من الصلا
زيادة في التخفيف• ولذلك روي ابو داود وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاصي
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قام بعشر ايات لم يكتب من الغافلين ومن قام
بماية اية كتب من القانتين ومن قام بالف اية كتب من المقنطرين قال المنذري من سورة الملك الي اخر القران
الف اية ولما كان هذا نسخا لما كان واجبا من قيام الليل اول السورة لعلمه سبحانه بعدم احصايه فسر
ذلك العلم المجمل بعلم مفصل بيانا للحكمة اخري للنسخ فقال علم ان اي انه سيكون يعني بتقدير لا بد منه منكم مرضي
جمع مريض وهذه السورة من اول ما انزل عليه صلي الله عليه وسلم ففي هذه بشارة بان اهل الاسلام
يكثرون جدا ولما ذكر عذر المرض وبدا به لكونه اعم ولا قدرة للمريض علي دفعه اتبعه السفر للتجارة لانه
يليه في العموم فقال مبشرا مع كثرة اهل الاسلام باتساع الارض لهم واخرون اي غير المرضي يضربون
اي يوقعون الضرب في الارض اي يسافرون لان الماشي بجد واجتهاد يضرب في الارض برجله ثم استانف
بيان علة الضرب بقوله يبتغون اي يطلبون طلبا شديدا واشار الي سعة ما عند الله بكونه فوق
امانيهم فقال من فضل الله اي بعض ما اوجده الملك الاعظم لعباده ولا حاجة به اليه بوجه من الربح
في التجارة او تعلم العلم واخرون اي منكم ايها المسلمون يقاتلون اي يطلبون ويوقعون قتل اعدا الله
ولذلك بينه بقوله في سبيل الله اي ذلك القتال مظروف لطريق الملك الاعظم ليزول عن سلوكه المانع
بقتل قطاع الطريق المعنوي والحسي والظاهر ولم يضم تعظيما للجهاد ولئلا يلبس بالعود الي المتجر وهو ندب
لنا من الله الي رحمة العباد والنظر في اعذارهم فمن لا يرحم لا يرحم قال البغوي روي ابراهيم عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال ايما رجل جلب شيا من مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر
يومه كان عند الله بمنزلة الشهدا ثم قرا عبد الله واخرون يضربون في الارض الاية وعن ابن عمر
رضي الله عنهما انه قال ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي
رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله ولما كانت هذه اعذارا اخري مقتضية للترخيص او اسبابا لعدم
الاحصا رتب عليها الحكم السابق فقال مؤكدا للقراة بيانا لمزيد عظمتها فاقروا اي كل واحد منكم ما
تيسر اي لكم منه اي القران اضمره اعلاما بانه عين السابق فصار الواجب قيام شي من الليل علي وجه
التيسر ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ولما كان صالحا لان يراد به الصلاة لكونها اعظم اركانها وان
يراد به نفسه من غير صلاة زيادة في التخفيف قال ترجيحا لارادة هذا الثاني او تنصيصا علي ارادة
الاول واقيموا اي اوجدوا الصلاة المكتوبة بجميع الامور التي تقوم بها من اركانها وشروطها ومقدماتها
ومتمماتها وهياتها ومحسناتها ومكملاتها ولما ذكر بصلة الخالق التي هي احد عمود الاسلام البدني
والمالي اتبعها العمود الاخر وهو الوصلة بين الخلايق فقال واتوا الزكاة اي المفروضة ولما كان
المراد الواجب المعروف اتبعه ساير الانفاقات المفروضة والمندوبة فقال واقرضوا الله اي الملك

الاعلى الذي له جميع صفات الكمال التي منها الغني المطلق من ابدانكم واموالكم في اوقات صحتكم ويساركم قرضا
حسنا من نوافل الخيرات كلها في جميع شرعه برغبة تامة وعلي هيئة جميلة في ابتدايه وانتهايه وجميع
احواله فانه محفوظ لكم عنده مبارك فيه يرده عليكم مضاعفا احوج ما تكونون اليه• ولما كان هذا
الدين جامعا وكان هذا القران حكيما لان منزله له صفات الكمال فامر في هذه الجمل بامهات الاعمال
اهتماما بها اتبع ذلك امرا عاما لجميع شرايع الدين فقال وما تقدموا وحث علي اخلاص النية بقوله
لانفسكم اي خاصة سلفا لاجل ما بعد الموت حيث لا تقدرون علي الاعمال من خير اي خير كان من عبادات
البدن والمال تجدوه محفوظا لكم عند الله اي المحيط بكل شي قدرة وعلما هو اي لا غيره خيرا اي
لكم وجاز وقوع الفصل بين غير معرفتين لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع دخول اداة التعريف
عليها ولما كان كل من عمل خيرا جوزي عليه سوا كان عند الموت او في مهل الحياة سوا كان كافرا
او مسلما مخلصا او لا ان كان مخلصا كان جزاوه في الاخرة والا ففي الدنيا قال واعظم اجرا اي مما لمن
اوصي في مرض الموت او كان بحيث يجازي به في الدنيا• ولما كان الانسان اذا عمل ما يمدح عليه
ولا سيما ان كان المادح له رتبة ربما ادركه الاعجاب بين له انه لا يقدر بوجه علي ان يقدر الله حق قدره
فلا يزال مقصرا فلا يسعه الا العفو بل الغفر فقال حاثا علي ان يكون ختام الاعمال بالاستغفار والاعتراف
بالتقصير في خدمة المتكبر الجبار مشيرا الي حالة انفصال روحه عن بدنه وان صلاحها الراحة من كل
شر واستغفروا الله اي اطلبوا واوجدوا ستر الملك الاعظم الذي لا تحيطون بمعرفته فكيف باداء
حق خدمته لتقصيركم عينا واثرا بفعل ما يرضيه واجتناب ما يسخطه• ولما علم من السياق ومن
التعبير بالاسم الاعظم انه سبحانه بالغ في العظمة الي حد يوئس من اجابته علل الامر بقوله مؤكدا
تقريبا لما يستبعده من يستحضر عظمته سبحانه وشدة انتقامه وقوة بطشه ان الله واظهر اعلاما
بان صفاته لا تقصر اثارها علي المستغفرين ولا علي مطلق السايلين غفور اي بالغ الستر لاعيان
الذنوب واثارها حتي لا يكون عنها عقاب ولا عتاب رحيم اي بالغ الاكرام بعد الستر افضالا
واحسانا وتشريفا وامتنانا• وقد اشتملت هذه السورة علي شرح قول النبي صلي الله عليه وسلم
فيما اوتي من جوامع الكلم• اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري• واصلح لي دنياي التي فيها معاشي
واصلح اخرتي التي اليها منقلبي• واجعل الحياة زيادة لي في كل خير• واجعل الموت راحة لي من كل شر كما
اشير الي كل جملة منها في محلها• ولقد رجع اخر السورة بالترغيب في العمل وذكر جزايه علي اولها الامر
بالقيام بين يديه وباشارة الاستغفار الي عظم المقام• وان جل العمل ودام• وان كان بالقيام في ظلام
الليالي والناس نيام• فسبحان من له هذا الكلام• المعجز لساير الانام• لاحاطته بالجلال والاكرام•

مقصودها الجد والاجتهاد في الانذار بدار البوار• لاهل الاستكبار• واثبات البعث في انفس المكذبين
الفجار• والاشارة بالبشارة لاهل الادكار• بحكم العزيز الغفار• واسمها المدثر ادل ما فيها علي ذلك
وذلك واضح لمن تامل النداء والمنادي به والسبب بسم الله الملك الاعلي الواحد القهار الرحمن الذي
عم بنعمتي الايجاد والبيان الابرار والفجار الرحيم الذي خص اهل اصطفايه بالاستبصار والتوفيق
الي ما يوصل الي دار القرار• لما ختمت المزمل بالبشارة لارباب البصارة بعد ما بديت بالاجتهاد
في الخدمة المهيي للقيام باعبا الدعوة افتتحت هذه بمحط حكمة الرسالة وهي النذارة• لاصحاب الخسارة
فقال معبرا بما فيه بشارة بالسعة في المال والرجال والصلاح وحسن الحال في الحال والمال• ومعرفا

بان المخاطب في غاية اليقظة بالقلب وان ستر القالب **يا ايها المدثر** اي المشتمل بثوبه من تدثر بالثوب
اشتمل به والدثار بالكسر ما فوق الشعار من الثياب والشعار ما لاصق البدن الانصار شعار والناس
دثار والدثر المال الكثير ودثر الشجر اورق وتدثير الطاير اصلاحه عشه والتعبير بالاداة الصالحة
للقرب والبعد يراد به غاية القرب بما دل عليه السياق وان كان التعبير بالاداة فيه نوع ستر لذلك
مناسبة للتدثر واختير التعبير بها لانه لا يقال بعدها الا ما جل وعظم من الامور وكان الدثار لم يعم
بدنه الشريف بما دل عليه التعبير بالادغام دون الاظهار الدال على المبالغة لان المراد انما كان ستر
العين ليجمع القلب فيكفي في ذلك ستر الراس وما قاربه من البدن والادغام شديد المناسبة للدثار
ولما كان في حال تدثره قد لزم موضعا واحدا فلزم من ذلك اخفا نفسه الشريفة امره صلى الله
عليه وسلم بالقيام وسبب عنه الانذار اشارة الى ان ما يراد به من انه يكون اشهر الخلق بالرسالة العامة
مقتض لتشمير الذيل والحمل على النفس بغاية الجد والاجتهاد اللازم عنه كثرة الانتشار فهو مناف للتدثر
بكل اعتبار فقال **قم** اي مطلق قيام ولاسيما من محل تدثرك بغاية العزم والجد ولما كان الامر عند
نزول هذه السورة في اوله والناس قد عمهم الفساد ذكر احد وصفي الرسالة ايذانا بشدة الحاجة
اليه فقال مسببا عن قيامه **فانذر** اي فافعل الانذار بكل ما يمكن انذاره فانذر من كان راقدا في غفلاته
متدثرا باثواب سكراته لاهيا عما امامه من اهوال القيمة وكذا من كان مستيقظا ولكنه متدثرا باثواب
تشريفاته واغشية قراباته فانه يجب على كل مربوب ان يشكر ربه والا عاقبه بعناده او غفلته عنه
بما اقله الاعراض عنه وحذف المفعول اشارة الى عموم الانذار لكل من تمكن منه المخالفة عقلا وهم
جميع الخلق وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان نزل عليه جبريل عليه السلام باقرا باسم ربك ونحوها
فكان بذلك نبيا ثم نزلت عليه هذه فكان بها رسولا وذلك انه نودي وهو في جبل حرا فلما سمع الصوت
نظر يمينا وشمالا فلم ير شيا فرفع راسه فاذا جبريل عليه السلام جالس على عرش بين السما والارض
ففرق من ذلك اشد الفرق فبادر المجي الى البيت ترجف بوادره وقال دثروني دثروني لقد خشيت على
نفسي صبوا علي ما باردا ولما كان الانذار يتضمن مواجهة الناس بما يكرهون وذلك عظيم على الانسان
وكان المفتر عن اتباع الداعي احد امرين تركه لما يامر به وطلبه عليه الاجر كما ان الموجب لاتباعه بما
دعا اليه وبعده عن اخذ الاجر عليه امره بتعظيم من ارسله سبحانه فانه اذا عظم حق تعظيمه صغر كل شي
دونه فهان عليه الدعا وكان له معينا على القبول فقال **وربك** اي خاصة **فكبر** اي وقم فسبب
عن قيامك بغاية الجد والاجتهاد ان تصفه وحده بالكبريا قولا واعتقادا على كل حال وذلك بتنزيهه
عن الشرك اول كل شي وكذا عن كل ما لا يليق به من وصل وفصل ومن سوال غيره والاشتغال بسواه
وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير ملايمتها لسورة المزمل واضحة واستفتاح السورتين من نمط واحد
وما ابتديت به كل واحدة منهما من جليل خطابه عليه السلام وعظيم تكريمه يا ايها المزمل يا ايها المدثر
والامر فيهما بما تخصه قم الليل الا قليلا نصفه الاية وفي الاخرى قم فانذر وربك فكبر اتبعت في الاولى
بقوله واصبر على ما يقولون وفي الثانية بقوله ولربك فاصبر وكل ذلك قصد واحد واتبع امره
بالصبر في المزمل بتهديد الكفار ووعيدهم وذرني والمكذبين الايات وكذلك في الاخرى ذرني
ومن خلقت وحيدا الايات فالسورتان واردتان في معرض واحد وقصد متحد انتهى ولما كان
تنزه العبد عن الادناس لاجل تنزيه المعبود ابلغ في تنزيه المعبود قال امرا بتطهير الظاهر والباطن
باستكمال القوة النظرية في تعظيمه سبحانه ليصلح ان يكون من اهل حضرته وهو اول مامور من رفض العادات
المذمومة **وثيابك فطهر** اي وقم فخص ثيابك الحسية بابعادها عن النجاسات بمجانبة عوايد المتكبرين

من تطويلها وبتطهيرها لتصلح للوقوف في الخدمة بالحضرة القدسية والمعنوية وهي كل ما اشتمل على العبد من
الاخلاق المذمومة والعوايد السقيمة من الفترة عن الخدمة والضجر والاسترسال مع شي من عوايد النفس
وذلك يكون باستكمال القوة النظرية ولما امر بمجانبة القذر في الثياب واراد الحسية والمعنوية
وكان ذلك ظاهرا في الحسية اوجعل ذلك كناية عن تجنب الاقذار كلها لان من جنب ذلك ملبسه ابعده عن
نفسه من باب الاولى حقق العموم واكده فقال **والرجز** اي كل قذر فانه سبب الدنايا التي هي سبب
للعذاب قال في القاموس الرجز بالكسر والضم القذر وعبادة الاوثان والعذاب والشرك **فاهجر** اي
جانب جهارا وعبادة ليحصل لك الثواب كما كنت تجانبها سرا وعادة فحصل لك الثنا الحسن حتى ان قريشا
انما تسميك الامين ولا تناظر بك احدا منها ولما بدا باحد سببي القبول اتبعه الثاني المبعد عن قاصمة
العمل من الاعجاب والريا والملل فقال **ولا تمنن** اي على احد بدعايك له او بشي تعطيه له على جهة الهبة او
القرض بان تقطع لذة من احسنت اليه بالتثقيل عليه بذكره على وجه الاستعلاء والاستكبار بما فعلته معه
اولا تعط شيا حال كونك **تستكثر** اي تطلب ان تعطى اجرا واكثر مما اعطيت قاله ابن عباس رضي الله عنهما وهو
من قولهم من اذا اعطى وذلك لان الاليق بالمعطي من الخلق ان يستقل ما اعطى ويشكر الله الذي وفقه له
وبالاخذ ان يستكثر ما اخذ فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يفعل شيا لعلة اصلا بل لله خالصا فانه اذا زال
الاستكثار حصل الاخلاص لانه لا تتعلق همته بطلب الاستكثار فكيف بالاستقلال فيكون العمل في غاية الخلوص
لا يقصد ثواب اصلا ولا يراد لغير وجه الله وهذا هو النهاية في الاخلاص ولما كان الانذار شديدا على
النفوس بما يحصل به من المعالجات ما الموت دونه لان ترك المالوفات اصعب شي على النفوس وكذا ترك العوايد
قال امرا بالتحلي بالعاصم بعد التخلي عن القاصم معلما بان الاذى من المنذرين امر لا بد منه ليدخل في الطاعة
على بصيرة فاقتضى الحال لذلك ان الانذار يهون بالغنا عن الغانين والكون مع الباقي وحده فاشار الى ذلك
بتعديم الاله معبرا عنه بوصف الاحسان ترغيبا فقال **ولربك** اي المحسن اليك المربي لك المدبر لجميع مصالحك
وحدك **فاصبر** اي على مشاق التكاليف امرا ونهيا واذى المشركين وشظف العيش وجميع البلايا فانه يجزل عطاك
من خيري الدارين بحيث لا يحوجك الى احد ويحوج الناس اليك ويهون عليك حمل المشاق في الدارين ولاسيما
امر يوم البعث فان من حمل العمل في الدنيا حمله العمل في الاخرة ولما كان المقام للانذار وكان من رد
الاوامر تكذيبا كفر ومن تهاون بها ما اطاع ولا شكر حذر من العثور عنها بذكر ما للمكذب بها فقال مسببا عن
ذلك باعثا على الكتاب الخيرات من غير كسل ولا توقف مذكرا بان الملك التقم القرن واصغى بجبهته انتظارا للامر
بالنفخ مشيرا بالبنا للمفعول الى هوانه لديه وخفته عليه موذنا باداة التحقق انه لا بد من وقوعه **فاذا نقر**
اي نفخ وصوت بشدة وصلابة ونفوذ وانكا **في الناقور** اي الصور وهو القرن الذي اسرافيل عليه
السلام ملتقمه الان وهو مصغ لانتظار الامر بالنفخ فيه للقيمة ويجوز ان يراد الايام التي يقضى فيها بالذل
على الكافرين كيوم بدر والفتح وغيرهما كما جعلت الساعة والقيمة كناية عن الموت تعالى صلى الله عليه وسلم
من مات فقد قامت قيامته عبر عنه بالنقر اشارة الى انه في شدته كالنقر في الصلب فيكون عنه صوت هايل
واصل النقر القرع الذي هو سبب الصوت فهو اشد من صدعك لهم بالانذار الحذار من دار البوار فهنالك
ترد الارواح الى اجسادها فينبعث الناس فيقومون من قبورهم كنفس واحدة وترى عاقبة الصبر ويرى
اعداوك عاقبة الكبر والتعبير فيه بصيغة المبالغة وجعله فاعلا كالجاسوس اشارة الى زيادة العظمة حتى
كانه هو الفاعل على هيئة هي في غاية الشدة والقوة وحذر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه رضي الله عنهم من
النفخ في الصور وقربه فقالوا كيف نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ويجوز ان يكون التسبيب
عن الامر بالصبر اي اصبر فلنا خذن بثارك في ذلك اليوم بما يقر عينك فيكون تسلية له صلى الله عليه وسلم

وتهديدا لهم ولما ذكر هذا الشرط الذي صوره بصورة هايلة اجابه بقوله فذلك اي الوقت الصعب
الشديد العظيم الشان جدا البالغ في ذلك مبلغا يشار اليه اشارة ما هو ابعد بعيد وهو وقت النقر ثم ابدل من هذا
المبتدا زيادة في تهويله قوله يومئذ اي وقت اذ يكون ذلك النقر الهايل يوم عسير اي بالغ العسر على الكافرين
اي الذين كانوا يستهينون بالانذار ويعرضون عنه لانهم راسخون في الكفر الذي هو ستر ما يجب اظهاره من
دلايل الوحدانية ولما كان العسر قد يطلق على الشي وفيه يسر من بعض الجهات او يعالج فيرجع يسيرا بين انه
ليس كذلك بقوله غير يسير فجمع فيه بين اثبات الشي ونفي ضده تحقيقا لامره ودفعا للمجاز عنه وتابيدا لكونه
وانه غير منقطع بوجه وتقييده بالكافرين يشعر بيسره على المومنين ولما اذن هذا بان اكثر الخلق يوافي
يوم القيمة على كفره وخبث طويته وسو امره وكان ذلك مما يهم لشفقته صلى الله عليه وسلم على الخلق ولما يعلم
من نصبهم للعداوة هون امرهم عليه وحقر شانهم لديه بوعده بالكفاية بقوله مستانفا منبها على اسباب الهلاك
التي اعظمها الغرور وهو شبه اوجبتها شهوة ذرني اي اتركني على اي حالة اتفقت ومن اي مع كل من خلقت اي
اوجدت من العدم وانشات في اطوار الخلقة حال كونه وحيدا لا مال له ولا ولد ولا شي وحال كوني انا واحدا
شديد الثبات في صفة الوحدانية لم يشاركني في صنعه احد فلم يشكر هذه النعمة بل كفرها بالشرك بالله ولما
كان المطغي للانسان المكنة التي قطب دايرتها المال قال وجعلت له اي باسباب انا اوجدتها انا وحدي لا حول
منه ولا قوة بدليل ان غيره اقوى منه بدنا وقلبا واوسع فكرا وعقلا وهو دونه في ذلك مالا ممدودا اي
مبسوطا واسعا ناميا كثيرا جدا عاما لجميع اوقات وجوده والمراد به كما ياتي الوليد بن المغيرة قال ابن عباس
رضي الله عنهما كان له بين مكة والطايف ابل وحجور ونعم وجنان وعبيد وجوار ولما كان اول ما
تمتد اليه النفس بعد كثرة المال الولد وكان احب الولد الذكر قال وبنين ولما كان الاحتياج الى
فراقهم ولو زمنا يسيرا اشفاقا وكان الزامهم له واغناوهم عن الضرب بنعمة اخرى قال شهودا اي حضورا (في الارض)
معه لغناهم عن الاسفار بكثرة المال وانتشار الخدم وقوة الاعوان وهم مع حضورهم في الذروة من الحضو
بتمام العقل وقوة الحذق فهم في غاية المعرفة بما يريدهم للاطلاع عليه حيثما ارادهم وخدمهم وتمتع بلقياهم
ومع ذلك فهم اعيان المجالس وصدور المحافل كانه لا شاهد بها غيرهم منهم خالد الذي من الله باسلامه
فكان سيف الله وسيف رسوله صلى الله عليه وسلم ولما كان هذا كناية عن سعة الرزق وعظم الجاه
وكان من بسط له في المال والولد والجاه تتوق نفسه الى تمام ذلك بالحفظ والتيسير قال مستعطفا لمن
كان هكذا بالتذكير بنعمه ومهدت اي بالتدريج والمبالغة له اي وطات وبسطت وهيات في الرياسة
بان جمعت له الى ملك الاعيان ملك المعاني التي منها القلوب واطلت عمره وازلت عنه موانع الرغد في
العيش ووفرت اسباب الوجاهة له حتى دان لذلك الناس واقام ببلده مطمينا يرجع الى رايه الاكابر
قال ابن عباس وسعت له ما بين اليمن الى الشام فاكملت له من سعادة الدنيا ما اوجب التفرد في زمانه
من اهل بيته وفخذه بحيث كان يسمى الوحيد وريحانة قريش فلم يرع هذه النعمة العظيمة واكد ذلك بقوله
تمهيدا ولما كان قد فعل به ذلك سبحانه فاورثته هذه النعمة من البطر والاستكبار على من خوله فيها
ضد ما كان ينبغي له من الشكر والازدجار قال محققا انه سبحانه هو الذي وهبها له وهو الواحد
القهار مشيرا باداة التراخي الى استبعاد الزيادة له على حالته هذه من عدم الشكر ثم اي بعد الامر
العظيم الذي ارتكبه من تكذيب رسولنا صلى الله عليه وسلم يطمع اي بغير سبب يدلي به الينا مما
جعلناه سبب المزيد من الشكر ان ازيد اي فيما اتيته من دنياه او اجرته وهو يكذب رسولي صلى الله
عليه وسلم ولما كان التقدير انه ليطمع في ذلك لان المال والجاه يجران الشرف والعظمة بايسر
سعي هذا هو المعروف المتداول المالوف استانف زجره عن ذلك بمجامع الزجر علما من اعلام النبوة وبرهانا

قاطعا

قاطعا على صحة الرسالة فقال ما لا يصح ان يقوله غيره سبحانه لانه مع انه لا تردد فيه ولا امترا طابق
الواقع فلم يزد بعد ذلك شيا بل لم يزل في نقصان حتى هلك وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته
كلا اي وعزتنا وجلالنا لا تكون له زيادة على ذلك اصلا واما النقصان فسيرى ان استمر على تكذيبه
فليرتدع عن هذا الطمع وليزدجر وليرجع فانه حمق محض وزخرف بحت وغرور صرف ولما ردعه هذا
الردع المقتضي ولا بد للاذعان وصادق الايمان ممن لم يستول عليه الحرمان علله بقوله موكدا لانكارهم
العناد والمعاد انه اي هذا الموصوف كان بخلق كانه جبلة له وطبع لا يقدر على الانفكاك عنه لاياتنا
على ما لها من العظمة خاصة لكونها هادية الى الوحدانية لا لغيرها من الشبه القايدة الى الشرك عنيدا
اي بالغ العناد على وجه لا يعد عناده لغيرها بسبب مزيد قبحه عنادا والعناد كما قال الملوي من كبر في
النفس او يبس في الطبع او شراسة في الاخلاق او خبل في العقل وقد جمع ذلك كله ابليس لانه خلق من
نار وهي من طبعها اليبوسة وعدم الطواعية وحقيقته ميل عن ابجاده ومجاوزة للحد مع الاصرار واللزوم
ومنه مخالفة الحق مع المعرفة بانه حق ولما كان هذا مجرا للتشوف الى بيان هذا الردع وكان
العناد غلظة في الطبع وشكاسة في الخلق يوجب النكد والمشقة جعل جزاءه من جنسه فقال سارهقه
اي الحقه بعنف وغلظة وقهر الحاقا يغشاه ويحيط به بوعيد لا خلف فيه صعودا اي شيا من الدواهي
والانكاد كانه عقبة فان الصعود لغة العقبة شاق المصعد جدا روى الترمذي عن ابي سعيد رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي وفي رواية
انه كلما وضع يده في معالجة الصعود ذابت فاذا رفعها عادت وكذا رجله وقال الكلبي انه صخرة
ملسا في النار يكلف ان يصعدها يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد
فيصعدها في اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها اسقط الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها فذلك دابه ابدا ولما
حصل التشوف الى بعض ما عاند به الايات قال مبينا لذلك موكدا لاستبعاد العقلا لما صنع لبعده
عن الصواب ومعرفة كل ذي لب انه كذب انه اي هذا العنيد فكر اي ردد فكره وادارة تابعا
لهواه لاجل الوقوع على شي يطعن به في القران وقدر اي اوقع تقدير الامور التي يطعن بها فيه
وقاسها في نفسه ليعلم ايها اقرب الى القبول ولما كان تفكيره وتقديره قد اوقعا غيره في الهلاك
بمنعه من حياة الايمان اصيب هو بما يمنعه من حياة نافعة في الدارين وذلك هو الهلاك الدايم
ولما كان الضار انما هو الهلاك لا كونه من معين سبب عن ذلك بانيا للمفعول قوله مجبرا او داعيا
دعا مجابا لا يمكن تخلفه فقتل اي هلك ولعن وطرد في دنياه هذه ولما كان التقدير غاية التفكير
وكان التفكير ينبغي ان يهديه الى الصواب فقاده الى الغي تعجب منه فقال منكرا عليه معبرا باداة
الاستفهام اشارة الى انه مما يتعجب منه ويسال عنه كيف قدر اي على اي كيفية اوقع تقديره
هذا واذا انكر مطلق الكيفية لكونها لا تكاد لبطلانها تحقق كان انكار المكيف احق ولما كان وقوعه
في هذا الطعن عظيما جدا لما فيه من الكذب المفضوح ومن معاندة من هو القوي المتين المنتقم القهار العظيم
ومن غير ذلك من الوجوه المبعدة عن الوقوع فيه اكد المعنى زجرا عن مثله وحثا على التوبة منه فقال
معبرا باداة البعد دلالة على عظمة هذا القتل بالتعبير به وبالتكرار ثم قتل اي هلك ولعن هذا العنيد
هلاكا ولعنا هو في غاية العظمة فيما بعد الموت في البرزخ والقيمة كيف قدر ولما كان الانسان
الماهر بالنظر اذا فكر وصحح فكره نظر في لوازمه قال مشيرا الى طول ترويه ثم نظر اي فيما يدفع به امر
هذا القران مرة بعد اخرى وفي ذلك اشارة الى قبح افعاله بظهور الحق له مع اصراره فان تكرار
النظر في الحق لا يزيده على كل حال الا ظهورا وفي الباطل لا يزيده الا ضعفا وفتورا ولما كان من فعله

كذلك فظهر له فساد رايه ووقف مع حظ نفسه بصير يعبس ويفعل اشيا تتغير لها خلقته من غير اختياره
قال ثم عبس اي قطب وجهه وكلح فتربد وجهه مع تقبض الجلد ما بين العينين بكراهة شديدة كالمهتم
للتفكر في شي وهو لا يجد فيه فرجا لانه ضاقت عليه الحيل لكونه لم يجد في ما جا به النبي صلى الله عليه وسلم
مطعنا وبسر اتباع لعبس تاكيد لها وربما افهمت انه سبر ما قاله ووزنه بميزان الفكر وتتبعه تتبعا مفرطا
حتى رسخت فيه قدمه كذا قالوا انها اتباع فان اريد به التاكيد والا فقد وردت مفردة قال في القاموس
بسر اذا عبس وبسر الحاجة طلبها في غير اوانها وبسر الدين تقاضاه قبل محله فكانه لما طال عليه التفكير
صار يستعجل وصوله الي مراده ويقال بسر اذا ابتدا الشي فكانه لما عبس خطر له السحر فابدا في ابتدا ما سنح
له من امره وقال ابن برجان البسور هية في الوجه تدل على تحزن في القلب ولما كان هذا
النظر على هذا الوجه امدح شي للمنظور فيه اذا لم يوصل منه الي طعن وكان ظاهره انه لطلب الحق فكان
الاصرار معه على الباطل في غاية البعد قال دالا على ذلك من المدح وعدم وجدان المطعن معبرا باداة
البعد ثم اي بعد هذا التروي العظيم ادبر اي عما اداه اليه فكره من الايمان بسلامة المنظور فيه
وعلوه عن المطاعن فحاد عن وجوه الافكار الي اقفايها واستكبر اي واوجد الكبر عن الاعتراف بالحق
ابجاد من هو في غاية الرغبة فيه فكان هذا غاية العناد فكان معنى العنيد فقال اي عقب ما جره
اليه طبعه الخبيث من ايقاع الكبر على هذا الوجه لكونه راه نافعا لهم في الدنيا ولم يفكر في عاقبة ذلك
من جهة الله وانه سبحانه لا يهدي كيد الخاينين ولا ينجح مراد الكاذبين ونحو هذا مما جربوه في
دنياهم فكيف لو رقي نظره الي امر الاخرة واكد الكلام لما يعلم من انكار من يسمعه فقال ان اي ما
هذا اي الذي اتي به محمد صلى الله عليه وسلم الا سحر اي امور تخييلية لا حقايق لها وهي لدقتها
بحيث تخفي اسبابها ولما كان من المعلوم لهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما سحر قط ولا تعلم سحرا
فكان من ادعى فيه علم كذبه بادي نظر بعد الامر بقدر استطاعته فقال يؤثر اي من شانه ان ينقله السامع
له عن غيره فهو لقوة سحريته وافراطها في بابها يفرق بمجرد الرواية بين المرء وزوجه وبين المرء وابيه
وابنه الي غير ذلك من العجايب التي تنشا عنه ولما كان السامع يجوز ان يكون ماثورا عن الله فيوجب
له ذلك الرغبة فيه قال من غير عاطف كالمبين للاول والمؤكد له وساقه على وجه التاكيد بالحصر
لعلمه ان كل ذي بصيرة ينكر كلامه ان اي ما هذا اي القران الا قول البشر اي ليس فيه شي عن الله
فلا يغتر احد به ولا يعرج عليه وقد مدحه بهذا الذم بعد هذا التفكير كله من حيث انه اثبت انه معجز
عنه لاغلب الناس كما يعجزون عن السحر فسكت الفا ونطق خلفا فكان شبيها من بعض الوجوه بما قاله بعضهم
لو قيل كم خمس وخمس لاغتدي • يوما وليلة يعد ويحسب • ويقول معضلة عجيب امرها • ولين عجبت لها
لامري اعجب • حتى اذا خدرت يداه وغورت • عيناه مما قد يخط ويكتب • اوفى على شرف وقال الا انظروا
ويكاد من فرح يجن ويسلب • خمس وخمس ستة او سبعة • قولان قالهما الخليل وثعلب ••
وهكذا كل حي تجد المبالغ في ذمه لا ينفك ذمه عن افهام مديح له ينقض كلامه ولكن ابن النقاد
المعدود من الافراد بين العباد وهكذا الكلام صالح لعموم كل من خلقه سبحانه هكذا في الروغات
عن الحق لما تفضل الله عليه من الرياسة لان اهل العظمة في الدنيا هم في الغالب القايمون في رد الحق
والتعاظم على اهله كما ذكر هنا ولا ينا في ذلك ما قالوا انها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي بل ذلك
من اعجاز كلام الله ان تنزل الاية في شخص فتبين حاله غاية البيان ويعم غيره ذلك البيان • قالوا كان
للوليد هذا عشرة من البنين كل واحد منهم كبير قبيلة ولهم عبيد يسافرون في تجاراتهم ويعملون
احتياجاتهم ولا يحوجونهم الي الخروج من البلد لتجارة ولا غيرها واسلم منهم ثلاثة الوليد بن الوليد

وخالد

وخالد وهشام وقيل انه لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم اول سورة غافر الي المصير واول
فصلت قراها النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد والوليد يسمعه فاعاد القراة فانطلق الوليد حتى اتي
مجلس قومه بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن
ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى ثم انصرف •
فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبون قريش كلها وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال ابن
اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد الي جنب الوليد حزينا فقال له الوليد ما لي اراك حزينا يا ابن اخي قال
وما يمنعني وهذه قريش تجمع لك نفقة تعينك بها على كبر سنك وتزعم انك صبوت لتدخل على ابن ابي كبشة
وابن ابي قحافه لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش اني من اكثرها مالا وولدا
وهل شبع محمد واصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع ابي جهل حتى اتي مجلس قومه وادار وا
الراي فيما يقولونه في القران فقالوا له ما تقول في هذا الذي جا به محمد قال فقولوا اسمع لكم قالوا شعر
قال ليس بشعر قد علمنا الشعر كله وفي رواية هل رايتموه يتعاطى شعرا قالوا كهانة قال ليس بكهانة
هل رايتموه يتكهن فعد وا انواع البهت التي رموا بها القران فردها واقام الدليل على ردها وقال لا
تقولون شيا من ذلك الا علم انه كذب قالوا فقل انت اقم لنا فيه رايا نجتمع عليه قال اقرب ذلك اليه السحر
هو يفرق بين المرء وابيه وبين المرء وابنه والمرء وزوجه وعشيرته فافترقوا على ذلك وكان قوله
هذا سبب هلاكه فكان كما قال بعضهم • احفظ لسانك ايها الانسان • لا يلدغنك انه ثعبان •
كم في المقابر من قتيل لسانه • كانت تهاب لقاه الشجعان • ولما انقضي بيان عناده
فحصل التشوف لتفصيل جزايه في معاده قال مبينا لبعض ما اجمله ارهاقه الصعود ساصليه اي بوعيد
لا بد منه عن قرب سقر اي الدركة النارية التي تفعل في الادمغة من شدة حموها ما يجل عن الوصف
فادخله اياها والوحه في شدايد حرها واديب دماغه بها واسيل دهنه وكل عصاراته بشديد
حرها جزا على تفكيره هذا الذي قدره وتخيله وصوره بادارته في طبقات دماغه ليحرق به اكباد
اصفيا الله واوليايه • ولما اثبت له هذا العذاب عظمه وهوله بقوله وما ادراك اي اعلمك وان
اجتهدت في البحث ما سقر يعني ان علم هذا خارج عن طوق البشر لا يمكن ان يصل اليه احد منهم الا
باعلام الله له لانه اعظم من ان يطلع عليه بشر ولما اثبت لها هذه العظمة زادها عظما ببيان
فعلها دون شرح ماهيتها لا تبقي اي لا تترك سقر شيا يلقي فيها على حالة البقا على ما كان عليه ولا تذر
اي تترك على حالة من الحالات ولو كانت اقبح الحالات فضلا عما دونها بل هي دايمة الاهلاك لكل
ما اذن لها فيه والتغيير لاحواله ما اذن لها في عذابه ولم يوذن في محقه بالكلية لكل شي فترة وملال
دونها ولما كان تغير حال الانسان الي دون ما هو عليه غايظا له موجعا واذا كان ذلك تغير
لونه لان الظاهر عنوان الباطن قال تعالى دالا على شدة فعلها في ذلك لواحة اي شديدة التغيير
بالسواد والزرقة واللمع والاضطراب والتخطيش ونحوها من الافساد من شدة حرها تقول العرب
لاحت النار الشي اذا احرقته وسودته للبشر اي الناس او لجلودهم جمع بشرة وجمع البشر ابشار
عليها اي مطلق النار بقرينة ما ياتي من الخزنة تسعة عشر اي ملكا لطبقة المومنين وهي العليا ملك
واحد وللست الباقية ثمانية عشر لكل واحدة ثلثة لان الواحد بواز ربنيان وهما يعززان بثالث
فلذا والله اعلم كانوا ثلثة ولان الكفر يكون بالله وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم فكان لكل تكذيب
في كل طبقة من طبقاتها الست ملك او صنف من الملايكة وعلى الاول في كونهم اشخاصا باعيانهم اكثر
المفسرين وقد علم مما مضى انهم غلاظ شداد يكفي كل واحد منهم لاهل الارض كلهم كما ان ملكا واحدا وكل

بقبض جميع الارواح وجا في الاثر ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي تخرج لهب النار من
افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من
جهنم قال عمرو بن دينار ان واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة اكثر من ربيعة ومضر وقيل ان هذه
العدة لمكافاة ما في الانسان من القوي التي بها ينتظم قوامه وهي الحواس الخمس الظاهرة السمع والبصر والشم
والذوق واللمس والخمس الباطنة المتخيلة والواهمة والمفكرة والحافظة والذاكرة وقوتا الشهوة والغضب
والقوي الطبيعة السبعة الماسكة والهاضمة والجاذبة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وقيل
اختير هذا العدد لان التسعة نهاية الاحاد والعشرة بداية العشرات فصار مجموعهما جامعا لاكثر القليل
فكان اجمع الاعداد فكان اشارة الي ان خزنتها اجمع الجموع ويروي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان قراة وأقل الكثير صح
البسملة تنجي من خزنة النار فانها تسعة عشر حرفا كل حرف منها لملك منهم ولما كان هذا غير مميز للمعدود
وكانت الحكمة في تعيين هذا العدد غير ظاهرة وكان هذا العدد مما يستقله المتعنت فيزيد كفرا قال تعالي
مبينا لذلك وما جعلنا اي بما لنا من العظمة وان خفي وجه العظمة فيه علي من عمي قلبه اصحاب النار اي خزنتها
الا ملايكة اي فليسوا من جنس المعذبين فيرقوا لهم او يطيق المعذبون محاولتهم او يستروحوا اليهم وهم اقوي
الخلق وقد تكرر عليكم ذكرهم وعلمتم اوصافهم وانهم ليسوا كالبشر بل الواحد منهم يصيح صيحة واحدة فيهلك
مدينة كاملة كما وقع لثمود فكيف اذا كان كل واحد من هذه الخزنة رييسا تحت يده من الجنود ما لا يحصيه
الا الله وما جعلنا علي ما لنا من العظمة عدتهم اي مذكورة ومحصورة فيما ذكرنا الا فتنة اي حالة مخالطة
مميلة محيلة للذين كفروا اي اوجدوا هذا الوصف ولو علي ادني فانهم يستقلونه ويستهزون به
ويتعنتون انواعا من التعنت بحيث ان بعض اغنيا قريش وهو ابو جهل قال ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة
يقول كذا وانتم الدهم ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاسد ابن اسيد بن كلدة الجمحي وكان
شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين وهذا كله علي سبيل الاستهزا فانهم مكذبون بالبعث
الذي هو من اثاره وكان في علم اهل الكتاب ان هذه العدة عدتهم وان العرب اذا سمعوا هذه العدة
كانت سببا لشك اكثرهم وموضعا للتعنت فلذلك علق بالفتنة او بجعلنا قوله ليستيقن اي يوجد اليقين
ايجادا تاما كانه بغاية الرغبة الذين اوتوا الكتاب بناه للمفعول لان مطلق الايتا كاف في ذلك من
غير احتياج الي تعيين المؤتي مع انه معروف انه هو الله قال البغوي مكتوب في التوراة والانجيل انهم
تسعة عشر ويزداد الذين امنوا اي اوجدوا هذه الحقيقة ولو علي ادني الوجوه الي ما عندهم
من الايمان ايمانا بتصديق ما لم يعلموا وجه حكمته لا سيما مع افتنان غيرهم به وكثرة كلامهم فيه فان
الايمان بمثل ذلك يكون اعظم ولما اثبت لكل من الجاهل والعالم ما اثبت اكده بنفي ضده مبينا للفتنة
فقال ولا يرتاب اي يشك شكا يحصل بتعمد وتكسب الذين اوتوا الكتاب لما عندهم من العلم المطابق
لذلك قال ابن برجان وروي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان قوما من اهل الكتاب جاوا اليه
في قصة فيها طول وفيها انهم سالوه عن خزنة جهنم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم بيده هكذا
وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة فقالوا بارك الله عليك يا ابا القسم ثم سالهم ما تربة الجنة فسكتوا
هنية ثم قالوا اخبره يا ابا القسم فقال صلي الله عليه وسلم الخبزة من الدرمك والمومنون اي لا يرتاب الذين
رسخ الايمان عندهم لما راوا من الدلايل التي جعلتهم في مثل ضوء النهار وليقول الذين استقر في قلوبهم
مرض اي شك او نفاق وان قل ونزول هذه السورة قبل وجود المنافقين علم من اعلام النبوة ولا
ينكر جعل الله تعالي بعض الامور علة لصلاح ناس وفساد اخرين لانه لا يسيل عما يفعل علي ان العلة قد
تكون مقصودة لشي بالقصد الاول ثم يترتب عليها شي اخر يكون قصده بالقصد الثاني تقول خرجت من

البلد المخافة الشر ومخافة الشر لا يتعلق بها الغرض والكافرون اي ويقول الراسخون في الكفر الجازمون
بالتكذيب المجاهرون به الساترون لما دلت عليه الادلة من الحق ماذا اي اي شي اراد الله اي الملك
الذي له جميع العظمة بهذا اي العدد القليل في جنب عظمته مثلا اي من جهة انه صار بذلك
مستغربا استغراب المثل او ان ذلك اشارة الي انه ليس المراد به ظاهره بل مثل لشي لم يفهموه
وفهموا ان بين استجماعه للعظمة وهذا العدد عنادا وما علموا ان القليل من حيث العدد قد يكون
اعظم بقوته من الكثير العدد فيكون ادل علي استجماع العظمة ولما كان التقدير اراد بهذا
اضلال من ضل وهو لا يبالي وهداية من اهتدي وهو لا يبالي كان كانه قيل هل يفعل مثل في غير هذا
فقال جوابا كذلك اي مثل هذا المذكور من الاضلال والهداية يضل الله اي الذي له مجامع
العظمة ومعاقد العز من يشا باي كلام شا ويهدي بقدرته التامة من يشا بنفس ذلك
الكلام او بغيره وذلك من حكم جعل الخزنة تسعة عشر والاخبار عنهم بتلك العدة فان ابراز الاحكام
علي وجه الغموض من اعظم المهلكات والمسعدات لان المنحرف الطباع يبحث عن عللها بحث متعنت
فاذا عميت عليه قطع ببطلان تلك الاحكام او شك وربما ابي الانقياد وذلك هو كفر ابليس
والمستقيم المزاج يبعث مع التسليم فان ظهر له الامر ازداد تسليما والا قال امنت بذلك كل من عند
ربنا فكان في غاية ما يكون من تمام الانقياد لما لا يعلم سره رزقنا الله التسليم لامره واعاننا
علي ذكره وشكره ولما كان هذا مما يوهم قلة جنوده تعالي اتبعه ما يزيل ذلك فقال وما
اي والحال انه ما يعلم جنود ربك المحسن اليك بانواع الاحسان المدبر لامرك بغاية الاتقان من
جعل النار وخزنتها وجعلهم علي هذه العدة وغير ذلك فلا يعلم عدتهم لاجل كثرتهم وخروجهم عن طوق
المخلوق وما هم عليه من الاوصاف في الاجسام والمعاني الا هو فلو اراد لجعل الخزنة اكثر من ذلك فقد
روي ان البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الفا من الملايكة لا تعود له نوبة اخري وقد ورد ان
الارض في السما كحلقة ملقاة في فلاة وكل سما في التي فوقها كذلك وقد ورد في الخبر اطت السما
وحق لها ان تيط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك قايم يصلي وانما خص هذا العدد لحكم لا يعلمها الا
هو ومن اراد اطلاعه علي ذلك من عباده مع ان الكفاية تقع بدون ذلك فقد كان في الملايكة من اقتلع
مداين قوم لوط وهي سبعة الي عنان السما وكل ما في الانسان من الجواهر والاعراض من جنود الله لو سلط
عليه شي من نفسه لاهلكه لو تحرك عرق ساكن او سكن متحرك او انسد مجوف او تجوف منسد لهلك ولما ذكر
شيا من اسراره سوق الاخبار عنها غامضا وكان ذلك من رحمة العباد ليفتح لهم بابا الي التسليم لما يغمض من
تذكيرهم بامر مليكهم لان العاجز لا يسعه في المشي علي قانون الحكمة الا التسليم للقادر والا اهلك نفسه
وما ضر غيرها حصر امرها في التذكير تاكيدا للاعلام بالنعمة لاجل ما الاغلب المخاطبين من اعوجاج الطباع المقتضي
للرد والانكار المقتضي لسوق الكلام علي وجه التاكيد فقال وما هي اي النار التي هي من اعظم جنوده سبحانه
الا ذكري للبشر اي تذكرة عظيمة لكل من هو ظاهر البشرة فبدنه اقبل شي للتاثر بها لاجل ما يعرفون منها
في دنياهم والا فهو سبحانه قادر علي ايجاد ما هو اشد منها واعظم واكثر ايلاما مما لا يعلمه الخلايق ولما
كان حصرها في الذكري ربما اوهم نقصا في امرها اوجب لبعض المعاندين ريبة في عظمها وانه لا حقيقة
لها ولا عذاب فيها قال رادعا عن ذلك ومنبها علي الاستعداد والحذر بكلمة الردع والتنبيه كلا اي اياك
ان ترتاب في اهوالها وعظيم احوالها واوجالها فالامر اطم واعظم مما يخطر بالبال فليرتدع السامع
وليزدجر ولما تم امره في الذكري ونفي ان يظن بها نقص فيما جعلت له تاكيدا للكلام اشارة الي ما الاغلب
المخاطبين من الشكاسة والعوج ايقاظا مما هم فيه من الغفلة وتلطيفا لما لهم من اللوم والكثافة وتنبيها

لهم علي السعي في تقويم انفسهم بما يستعملونه من الادوية التي يرشدهم سبحانه الي علاج امراض القلوب
بها زاد الامر تاكيدا فاقسم علي ذلك بما هو ذكري للناس ولا يظهر معه ظلام الليل كما ان ضيا القران
لا يظهر معه ظلام الجهل لمن اعمل عين فكرته والقي حظوظ نفسه فقال والقمر اي الذي هو اية الليل
الهادية لمن ضل بظلامه والليل اذ ادبر اي فانقلب راجعا من حيث جا فانكشف ظلامه فزال الجهل
بانكشافه وانصرفت الريب والشكوك بانصرافه والصبح اذا أسفر فاقبل ضياوه فحل العلم
بحلوله وجعلت الهداية بحصوله • او دبر بمعني اقبل قال قطرب تقول العرب دبرني فلان اي جا
خلفي • ولما اقسم علي ما اخبر به من ذكراها واكده لانكارهم العظيم لبلاياها استانف تعظيمها والتخويف
منها تاكيدا للتخويف لما تقدم من الانكار فقال انها اي النار التي هي سقر دركة من دركاتها وزاد في
التاكيد علي مقتضي زيادتهم في الاستهزا فقال لاحدي الكبر اي من الدواهي والعظايم جمع كبيرة
وكبري وهي كناية عن شدة هولها كما يقال هو احد الرجال اي لا مثل له او المراد انها واحدة سبع هي
غاية في الكبر اي دركات النار وهي جهنم • فلظي • فالحطمة • فالسعير • فسقر • فالجحيم • فالهاوية • هي
احداها في عظم اخطارها وشديد ايلامها واضرارها حال كونها نذيرا عظيما او من جهة نذارتها
او انذارا بالغا فعيل بمعني المصدر فكيف كان نكيرا اي انكاري وعبر بقوله للبشر لما تقدم من الاشارة
الي اسراع الجسم العاري في قبول التاثر لا سيما بالنار • ولما كان التقدم عند الناس لا سيما
العرب محبوبا والتاخر مكروها • وكان سبحانه قد خلق في الانسان قوة واختيارا بها يفعل ما قدره الله
له وغطي عنه علم العاقبة قد صار الفعل ينسب اليه وان كان انما هو بخلق الله قال تعالي باعثا لهم
علي الخير ومبعدا من الشر مستانفا او مبدلا جوابا لمن يقول وما عسي ان يفعل او ينفع الانذار • وقد قال
انما هو الهادي المضل يضل الله من يشا ويهدي من يشا لمن شا اي بارادته وصرح بالمقصود لئلا
يتعنت متعنتهم فيقول المراد غيرنا فقال منكم ان يتقدم اي الي الخيرات او يتاخر اي عنها فيصل الي
غضب الله والنار التي هي اثر غضبه التي جعل ما عندنا من مولم الحر ومهلك البرد متاثرا عن نفسها تذكيرا
لنا ورحمة وحذف المفعول لان استعماله كثر حتي صار يعرف وان لم يذكر وترجمة ذلك لمن شا ان يتقدم
التقدم بما له من المكنة والاختيار في ظاهر الامر ولمن شا ان يتاخر التاخر فان يتقدم مبتدا وهو مثل لمن
توضا ان يصلي • ويجوز ان تكون الجملة بدلا من للبشر علي طريق الالتفات من الغايب الي الحاضر ليصير كل مخاطب
به كانه هو المقصود بذلك بالقصد الاول فيتامل المعني في نفسه فيجد صادقا ثم يتامل فلا يجد مانعا من
تعديته الي غيره من جميع البشر وتكون ان والفعل علي هذا مفعولا لشا • ولما كان التقدم والتاخر
بالافعال • وكان اكثر افعال الانسان الشر لما جبل عليه من النقصان قال مبينا لما يقدم وما يوخر كل
نفس اي ذكر او انثي علي العموم بما كسبت اي خاصة لا بما كسب غيرها رهينة اي مرتهنة بالفعل اسم
بمعني الرهن كما في قول الحماسي • أبعد الذي بالنعف نعف كويكب • رهينة رمس ذي تراب وجندل •
لا تانيث رهين الذي هو وصف لان فعيلا بمعني مفعول يستوي مذكره ومونثه • ولو كانت الفواصل
التي يعبرون بها عن السجع تاتي باتراعي في القران بوجه لقيل رهين لاجل يمين ولكنه لا نظر فيه لغير المعني
ويجوز ان تكون الها للمبالغة بمعني موثقة ايثاقا بليغا محبوسة حبسا عظيما فهي في النار بجعل الاصل
في الكسب الموبق ولما كان الرهن تارة يفك وتارة يعلق وكان اكثر الخلق هالكا جعل رهينة بمعني
هالكة ثم استثني الممدوح فقال الا اصحاب اليمين اي الذين تقدم وصفهم وهم الذين تحيزوا الي
الله فايتمروا باوامره وانتهوا بنواهيه فانهم لا يرتهنون باعمالهم بل يرحمهم الله فيقبل حسناتهم ويتجاوز
عن سيئاتهم • ولما اخرجهم من حكم الارتهان الذي اطلق علي الاهلاك لانه سببه استانف بيان حالهم •

فقال في جنات اي بساتين في غاية العظم لانهم اطلقوا انفسهم وفكوا رقابهم فلم يرتهنوا فالاية من
الاحتباك اثبت اولا الارتهان دليلا علي حذف ضده ثانيا واثبت ثانيا الجنة دليلا علي حذف ضدها
اولا • ولما كان السوال عن حال الغير دالا دلالة واضحة علي الراحة والفراغ عن كل ما يهم النفس
عبر عن راحتهم في اجلي وعظ والطف تحذير بقوله يتسالون اي فيما بينهم يسال بعضهم بعضا عن المجرمين
اي احوال الغريقين في قطع ما امر الله به ان يوصل ولما كان يوم القيمة في غاية الصعوبة فكل احد
مشغول فيه بنفسه فكان لا علم له بتفاصيل ما يتفق لغيره وكان اولياء الله اذا دخلوا دار كرامته
ارادوا العلم بما فعل باعدايهم فيه سبحانه فتسالوا عن حالهم فقال بعضهم لبعض لا علم لنا فكشف الله
لهم عنهم حتي راوهم في النار تسعر بهم ليقر الله اعينهم بعذابهم زيادة في نعيمهم وثوابهم كما تقدم في
الصافات عنه قال قايل منهم اني كان لي قرين • وكان بساط الكلام دالا علي هذا كله اشار لنا سبحانه
اليه بقوله حكاية عما يقول لهم اولياوه توبيخا وتعنيفا وشماتة وتعريفا تصديقا لقوله تعالي فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون الايات ولتكون حكاية ذلك موعظة للسامعين وذكري للذاكرين
ما هي محتملة للاستفهام والتوبيخ والتعجيب سلككم اي ادخلكم ايها المجرمون ادخالا هو في غاية
الضيق حتي كانكم السلك في الثقب في سقر فكان هذا الخطاب مفهما لانهم لما تسالوا نفوا العلم عن انفسهم
وكان من المعلوم ان نفي العلم لانهم شغلوا عن ذلك بانفسهم وانهم ما شغلوا عن كونهم من اهل السعادة الا لان
ذلك اليوم عظيم الشواغل وكان من المعلوم انه اذا تعذر عليهم علم احوالهم من اهل الجنة وهم غير مريدين
الشفاعة فيهم لم يبق لهم طريق الي علم ذلك لا يظن به التعريض بالشفاعة الا السوال منهم عن انفسهم في
انهم يخاطبونهم بذلك فيعلمون علمهم ليزدادوا بذلك غبطة وسرورا بما نجاهم الله من مثل حالهم ويكثروا
من الثنا علي الله بما وفقهم له وليكون ذلك عظة لنا بسماعنا اياه فحكي الله انهم لما سالوهم قالوا •
ذاكرين علة دخولهم النار بافساد القوة العملية في التعظيم لامر الله فذلكة لجميع ما تقدم من مهمات
السورة بما حاصله انهم لم يتحلوا بفضيلتين ولم يتخلوا عن رذيلتين تعريفا بانهم كانوا مخاطبين بفروع
الشريعة • وفي البداءة بالعمل تنبيه علي انه يجب علي العاقل المبادرة الي ما يامر به الصادق لانه المصدق
لحسن الاعتقاد والمبادرة الي التلبس بالعمل اسهل من المبادرة الي التلبس بالعلم لان العمل له صورة
وحقيقة ومطلق التصوير اسهل من التحقيق ومن صور شيا كان اقرب الي تحقيقه ممن لم يصوره فكان
اجدر بتحقيقه ممن لم يباشر تصويره ففيه حينئذ علي المسابقة الي الاعمال الصالحة وان لم تكن النية
خالصة وايذان بان من ادمن ترك الاعمال قاده الي الانسلاخ من حسن الاعتقاد وورطه في الضلال
لم نك حذفوا النون دلالة علي ما هم فيه من الضيق عن النطق حتي بحرف يمكن الاستغنا عنه ودلالة
علي انهم لم يكن لهم نوع طبع جيد يحثهم علي الكون في عداد الصالحين فكان ذلك مشيرا الي عظيم ما هم
فيه من الدواهي الشاغلة بضد ما فيه اهل الجنة من الفراغ الحامل لهم عن السوال عن احوال غيرهم
وكان ذلك منبها علي فضيلة العلم من المصلين اي صلاة يعتدبها فكان هذا تنبيها علي ان رسوخ القدم
في الصلاة مانع من مثل حالهم ولانهم يعاقبون علي فروع الشريعة وان كانت لا تصلح منهم فلو فعلوها
قبل الايمان لم يعتدبها وعلي ان الصلاة اعظم الاعمال وان الحساب بها يقدم علي غيرها • ولما
نفوا الوصلة بالخالق اتبعوه افساد القوة العملية بعدم وصلة الخلايق بترك الشفقة علي خلق الله
فقالوا ولم نك بحذف النون ايضا لما هم فيه من النكد ونفيا لادني شي من الطبع الجيد نطعم
المسكين اي لاجل مسكنته نفوا هنا وجود اطعامه لانهم ان اتفق اطعامهم له فلعلة اخري غير المسكنة
واما الصلاة فهم يوجدونها لله بزعمهم لكن لما كانت علي غير ما امر لم تكن مقبولة فلم يكونوا من الراسخين في

وصفنا ولما سلبهم التحلي بلباس الاوليا اثبت لهم التحلي بلباس الاشقيا بافساد القوة النطقية جامعا
القول الي الفعل فقالوا وكنا اي بما جبلنا عليه من الشر نخوض اي نوجد الكلام الذي هو في غير
مواقعه ولا علم لنا به ايجاد الماشي من الخايض في ما غمر مع الخايضين بحيث صار لنا هذا وصفا راسخا
فنقول في القران انه سحر وانه شعر وانه كهانة وغير هذا من الاباطيل لا نتورع عن شي من ذلك
ولا نقف مع عقل ولا نرجع الي صحيح نقل فلنا اخذ الذين يبادرون الي الكلام في كل ما يسئلون عنه من
انواع العلم من غير تثبت منزلتهم من هنا ولما كان الادمان علي الباطل يجر الي غلبة الهزء والسخريا
وغلبة ذلك توجب ولا بد افساد القوة العلمية بتصديق الكذب وتكذيب الصدق قالوا اينا
لا ستيجابهم الخلود وكنا نكذب اي بحيث صار لنا ذلك وصفا ثابتا بيوم الدين ولما كان التقد
واستمر تكذيبنا لصيرورته لنا اوصافا ثابتة بنوا قولهم حتى اتانا اي قطعا اليقين اي بالموت او
مقدماته التي قطعتنا عن دار العمل فطاح الايمان بالغيب ولما اقروا علي انفسهم بما اوجب العذاب
الدايم فكانوا ممن فسد مزاجه فتعذر علاجه سبب عنه قوله فما تنفعهم اي في حال اتصافهم بهذه
الصفات وهي حالة لازمة لهم ابدا شفاعة الشافعين اي لو تشفعوا فيهم ولما كان هذا
الاخبار بنعيم المنعم وعذاب المعذب موجبا للتذكر سبب عنه الانكار عليهم فقال فما اي اي
شي يكون لهم حال كونهم عن التذكرة اي التذكر العظيم خاصة بالقران خصوصا وبغيره عموما
معرضين وعلي الباطل وحده مقبلين وذلك من اعجب العجب لان طبع الانسان اذا حذر من شي حذره
اشد الحذر كما لو حذر المسافر من سبع في طريقه فانه يبذل جهده في الحيد عنه والحذر منه وان كان
المخبر كاذبا فكيف يعرضون عن هذا المحذور الاعظم والمخبر اصدق الصادقين فاعراضهم هذا دليل علي
اختلال عقولهم واختبال فهومهم وزاد ذلك عجبا شدة نفارهم حتى كانهم في اعراضهم عن التذكرة من شدة
النفر والاسراع في الفرار حمر اي من حمر الوحش وهي اشد الاشيا نفارا ولذلك كان اكثر تشبيهات
العرب في وصف الابل بسرعة السير بالحمر في عدوها اذا وردت ما فاجشت عليه ما يريبها وفي
تشبيه الكفرة بالحمر ولا سيما في هذه الحالة مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين وشهادة عليهم بالبله
وقلة العقل وعدم التثبيت مستنفرة اي موجدة للنفار بغاية الرغبة فيه حتى كانها تطلبه
من انفسها لانه من شانها وطبعها هذا علي قراة الجماعة وقراة اهل المدينة والشام بالفتح بمعني انه
نفرها منفر ولما كان ذلك لا يكون الا لسبب عظيم يتشوف اليه استانف قوله فرت من قسورة
اي اشد شديد القسر عظيم القهر فنشبت في حبايل سقر او صيادين ولما كان الجواب قطعا لا شي
لهم في اعراضهم هذا اضرب عنه بقوله بل يريد اي علي دعواهم وبزعمهم كل امري منهم اي المعرضين
من اد غاية الكمال في المروة ان يوتي اي من السما بناه للمفعول لان مرادهم معروف صحفا اي قراطيس
مكتوبة منشرة اي كثيرة جدا وكل واحد منها منشور لا مانع من قراته واخذه وذلك انهم قالوا للنبي
صلي الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كلا منا بكتاب من السما فيه من الله الي فلان اتبع محمدا ولما
كان ذلك انما هو تعنت لا انه علي حقيقة قال كلا اي ليس لهم غرض في الاتباع بوجه من الوجوه لا بهذا
الوجه ولا بغيره بل علتهم في هذه الاعراض انهم لا يخافون اي في زمن من الازمان الاخرة ولما للحقيقية
كان فعلهم هذا فعل من يعتقد في القران ليس بوعظ صحيح يستحق ان يتبع قال رادعا لهم عن هذا اللازم
كلا اي ليس الامر قطعا كما تزعمون من ان هذا القران لا يستحق الاقبال عليه ثم استانف قوله مؤكدا
لاجل ما تضمن هذا الفعل من انكارهم انه اي القران تذكرة اي موضع وعظ عظيم يوجب ايجابا عظيما
اتباعه وعدم الانفكاك عنه بوجه فليس لاحد ان يقول انا معذور لاني لم اجد مذكرا ولا معرفا فان

علىٰ

عنده اعظم مذكر واشرف معرف ولما كان في غاية السهولة والحلاوة لكل من عرفه بوجه من الوجوه
وكان الله سبحانه قد خلق القوي والقدر وجعل للعبد اختيارا قال مسببا عن كونه موضعا للتذكرة
فمن شا اي ان يذكره ذكره فثبت في صدره وعلم معناه وتخلق به فليس احد يقدر ان يقول انه صعب
التركيب عظيم التعقيد عسر الفهم يحتاج في استخراج المعاني منه الي علاج كبير وممارسة طويلة فانا معذور
في الوقوف عنه بل هو كالبحر الفرات من شا اغترف لانه خوطب به امة امية لا ممارسة لها لشي
من العلوم فسهل في لفظه ومعناه غاية السهولة مع انه لا يوصل الي قراره ولا يطمع في مناظرة اثر من
اثاره بل كلما زاد الانسان فيه تاملا زاده معاني ولما كان هذا ربما اوهم ان للعبد استقلالا
بالتصرف قال معلما بان هذا انما هو كناية عما له من السهولة والحلاوة والعذوبة التي توجب عشقه
لكل ذي لب منبها علي ترك الاعجاب واظهار الذل والافتقار والالتجا الي العزيز الغفار في طلب التوفيق
لاقوم طريق وما تذكرون اي ولا واحد منكم هذا القران ولا غيره في وقت من الاوقات الا ان يشا
الله اي الملك الاعظم الذي لا امر لاحد معه وهو صريح في ان فعل العبد من المشية وما ينشا عنها
انما هو بمشية الله ولما اثبت انه سبحانه الفعال لما يريد وانه لا فعل لغيره بدون مشيته وكان
من المعلومات ان اكثر افعال العباد مما لا يرضيه فلولا حلمه ما قدروا علي ذلك وكان عفو القادر مستحسنا
قال مبينا لانه اهل للرغبة والرهبة هو اي وحده اهل التقوي اي ان يتقيه عباده ويحذروا غضبه
بكل ما تصل قدرهم اليه لما له من الجلال والعظمة والقهر ويجوز ان يكون الضمير للمتقي واهل المغفرة
اي لان يطلب غفرانه للذنوب لا سيما اذا اتقاه المذنب لان له الجمال واللطف وهو قادر ولا قدرة
لغيره فلا ينفعه شي ولا يضره فهو الحقيق بان يجعل موضع الانذار الذي امر به اول السورة البشارة
ويوفق عباده لتكبيره وهجران الرجز وكذا فعل سبحانه بقوم هذا النبي الكريم صلي الله عليه وسلم
روي احمد والترمذي والنساي وابن ماجة وابن عاصم والطبراني في الاوسط والحاكم وابو يعلي والبغوي
والبزار عن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قرا هذه الاية قال يقول الله انا
اهل ان اتقي فمن اتقي ان يشرك بي غيري فانا اهل ان اغفر له وقال الترمذي وابن عدي والطبراني
ان تفرد به سهيل ابن ابي حزم القطعي فقد رجع اخر السورة علي اولها وانطبق مفصلها علي موصلها
بضم البشارة الي النذارة وصار كانه قيل انذر العاصي فانه اهل لان يرجع الي طاعته فيكون
سبحانه اهلا لان يعود عليه بستره لانه

مقصودها الدلالة علي عظمة المدثر المامور بالانذار صلي الله عليه وسلم لعظمة مرسله سبحانه
وتمام اقتداره بانه كشف له العلوم حتى صار الي الاعيان بعد الرسوم بشرح اخر سورته من
ان هذا القران تذكرة عظيمة لما اودعه الله من وضوح المعاني وعذوبة الالفاظ وجلالة النظوم
ورونق السبك وعلو المقاصد فهو لذلك معشوق لكل طبع معلوم ما خفي من اسراره واشاراته بصدق
النية وقوة العزم بحيث يصير بعد كشفه اذا اثر كانه كان منسيا بعد حفظه فذكر فمن شا ذكره فحفظه
وعلم معانيه وتخلق به وانما المانع عن ذلك مشية الله فمن شا حجبه عنه اصلا وراسا ومن شا حجبه عن بعضه
ومن شا كشف عنه الحجاب وجعله منه علي اعظم صواب دون شك ولا ارتياب وجلا عليه اوانسه
وعرايسه وحباه جواهره ونفايسه وحلاه به فكان ملكه وسايسه كما كان المدثر صلي الله عليه وسلم
حين كان خلقه القران واسمها القيمة واضح في ذلك جدا وليس فيها ما يقوم بالدلالة عليه غيره اذا توملت

الاية مع ما اشارت اليه لا النافية للقسم او المؤكدة من انها في الوضوح في حد لا يحتاج الى اقسام عليه
لانه لا يوجد احد يدع من تحت يده يعدو بعضهم على بعض ويتصرفون فيما خولهم فيه من غير حساب
فكيف باحكم الحاكمين الذي وكل بعبيده اضعافهم من الملائكة فهم يديرون في كل لحظة فيهم كؤوس المنايا
ويأخذون من امرهم به سبحانه الى دار البرزخ للتهيئة للعرض ويسوقونهم زمرا بعد زمر الى العود
في الارض حتى ينتهي الجمع في القبور ويقيمهم بالنقر في الناقور والنفخ في الصور الى ساحة الحساب للثواب
والعقاب ولم تحجب عن علم ذلك حتى ضل عنه اكثر الخلق الا مشيئته سبحانه بتغليب النفس الامارة حتى
صارت اللوامة منهمكة في الشر شديدة اللوم عن الاقصار عن شيء منه كما ان ما جلاه لنبيه صلى الله عليه
وسلم حتى كان خلقه ولمن اراد من اتباعه الا ارادته سبحانه بتغليب المطمئنة حتى صار الكل روحا صرفا
ونورا خالصا نحتا **بسم الله** الذي شرف رسوله صلى الله عليه وسلم فاعجز الخلق بكتابه بماله من الجلال
الرحمن الذي عم بنعمى الايجاد والبيان اهل الهدى والضلال **الرحيم** الذي خص اهل النعمة العناية
بالسداد في الاقوال والافعال • **لما** ذكر سبحانه الاخرة اول المدثر وخوف منها بالتعبير بالناقور ٥
وما يتبعه ثم اعاد امرها آخرها وذكر التقوى التي هي اعظم اسباب النجاة فيها والمغفرة التي الدواء الاعظم
لها وكان الكفار يكذبون بها وكان سبحانه قد اقام عليها من الادلة من اول القرآن الى هنا تارة مع الاقسام
واخرى مع الخلو عنه ما صيرها في حد البديهيات وكانت العادة قاضية بان المخبر اذا كذبه السامع
حلف على ما اخبر به وكان الاقسام مع تحقق العناد لا يفيد اشار سبحانه الى ان الامر قد صار غنيا عن على مع
الاقسام لما له من الظهور الذي لا ينكره الا معاند فقال مشيرا الى تعظيمها والتهويل في امرها عند ذكرها
واثبات امرها بعد الاقسام او تاكيده **لا اقسم** اي لا اوقع الاقسام او اوقعه مؤكدا **بيوم القيمة** على وجود
يوم القيمة او بسبب وجوده لان الامر غني فيه عن ذلك • وعلى القول بانه قسم هو مؤكد بالنافي ودخوله
في التاكيد شايع بل شايع في كلامهم جدا وجاز القسم بالشيء على وجوده اشارة الى انه في العظمة في الدرجة
العليا كما يقول الانسان والله ان الله موجود اي لا شيء احلف به على وجوده يا ايها المنكر اعظم منه حتى
احلف به ولا بد لي من الحلف لاجل انكارك فانا احلف به عليه فالمعنى حينئذ انه لا شيء ادل على عظمة الله من
هذين الشيئين فلذا اوقع القسم بهما وسر التاكيد بلا كما قال الرازي في اللوامع ان الاثبات من طريق النفي
آكد كانه رد على المنكر اولا ثم اثبت القسم ثانيا فان الجمع بين النفي والاثبات دليل الحصر • **ولما** كان من
المقرر المعلوم الذي هو في اقصى غايات الظهور ان من طلبه الملك طلب عرض وحساب وثواب وعقاب
يلوم نفسه في كونه لم يبالغ في العمل بما يرضي الملك والاخلاص في موالاته والتحيز اليه ومما فاته وكان ٥
اكثر لوم النفس واقعا في ذلك اليوم وكان ادراكها اللوم المرتب على ادراك الامور الكلية والجزئية ومعرفة
الخير والشر والتمييز بينهما من اعظم الدلائل على تمام قدرة الخالق وكمال عظمته الموجب لايجاد ذلك اليوم
لاظهار عظمته وحكمه وحكمته قال **ولا اقسم بالنفس** على حد ما مضى في ان الآ صلة او سببه **اللوامة** اي التي
تلوم صاحبها وهي خيرة وشريرة فالخيرة تكون سببا للنجاة فيه والاخرى تكون سببا للهلاك فيه فان ٥
لامت على الشر وعلى التهاون بالخير انجت وان لامت على ضد ذلك اهلكت • وكيفما كانت لا بد ان تلوم
وهي بين الامارة والمطمئنة فما غلب عليها منهما كانت في حيزه قال الرازي فالمطمئنة التي انقادت لاوامر
الله والامارة المخالفة لها المتبعة للهوى واللوامة هي المجاهدة فتارة لها اليد وتارة عليها وهي نفس ٥
الانسان خاصة لانها بين طوري الخير والشر والكمال والنقصان والصعود والهبوط والطاعة والعصيان
قال الامام السهروردي في الباب الستين والخمسين من معارفه وهي نفس واحدة لها صفات متغايرة والملائكة
في درجة الكمال والحيوانات الاخر في دركة النقصان ولهذا جمع بين القيمة وبين اللوامة لان الثواب

والعقاب

والعقاب للادمي دون الملائكة والحيوانات العجم واللوامة يشتد لومها في ذلك اليوم على عدم الخير او عدم
الزيادة منه لا اقسم على ذلك بهذا الذي هو من ادل الامور على عظمته سبحانه فان الامر في ذلك غني عن القسم
ولما كان التقدير قطعا بما يرشد اليه جميع ما مضى جوابا للقسم انك والله صادق في انذارك فلا بد ان
ينقر في الناقور بالنفخ في الصور قال بيانا عليه بعد الاشارة الى تعظيم امر القيمة بما دل عليه حذف الجواب من
انها في وضوح الامر وتحتم الكون على حالة لا تخفى على احد منكرا على من يشك فيها بعد ذلك **ايحسب الانسان**
اي هذا النوع الذي جبل على الانس بنفسه والنظر في عطفيه والسرور بحسه واسند الفعل الى النوع كله لان ٥
اكثرهم كذلك لغلبة الحظوظ على العقل الا من عصم الله **ان** اي انا **ولما** كان فيهم من يبالغ في الانكار
عبر ايضا باداة التاكيد فقال **لن نجمع** اي على ما لنا من العظمة **عظامه** اي التي هي قالب بدنه وعماده
من الارض فنعيدها كما كانت بعد تمزقها وتفتتها وافتراقها وبلاها وانمحاقها وقد سدت المخففة مسد
مفعولي تحسب المقدرين بحسبنا غير جامعين • وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تقدم قوله مخبرا عن
اهل الكفر وكنا نكذب بيوم الدين ثم تقدم في صدر السورة قوله تعالى فاذا نقر في الناقور الى قوله
غير يسير والمراد به يوم القيمة والوعيد به لمن ذكر بعد في قوله ذرني ومن خلقت وحيدا الايات
ومن كان على حالة في تكذيب وقوع ذلك ثم تكرر ذكره عند جواب من سئل بقوله ما سلككم في سقر
فبسط القول في هذه السورة في بيان ذكر ذلك اليوم واهواله واشير الى حال من كذب به في قوله تعالى
يسئل ايان يوم القيمة وفي قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ثم اتبع ذلك بذكر احوال الخلايق
في ذلك اليوم ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر انتهى • **ولما** اسند الحسبان الى النوع لان منهم
من يقول لا نبعث لانا نتفتت ونمحو قال مجيبا له **بلى** اي لنجمعن عظامه وجميع اجزائه لانا قدرنا على تفصيل
عظامه وتفتيتها من بعد ارتتاقها حال كونها نطفة واحدة لان كل من قدر على التفصيل قدر على الجمع ٥
والتوصيل حال كوننا **قادرين** اي بما لنا من العظمة **على ان** **ولما** كانت تسوية الصغير اصعب قال
نسوي بنانه اي اصابعه او سلامياته وهي عظامه الصغار التي في يده ورجله كل منها طول اصبع
واقل خصها لانها اطرافه وآخر ما يتم به خلقه بان نجمع بعضها الى بعض على ما كانت عليه قبل الموت سواء فالكبار
بطريق الاولى لانها ابين • ولا فرق بين تسويتنا ذلك من النطفة وتسويتنا له من التراب وهي لا تكون مسواة
وهي قالب البدن الا بتسوية ما عليها من لباس اللحم والعصب والجلد كما يعدها العاهد فتسوية البنان
كناية عن تسوية جميع البنيان كما لو قيل لك اتقدر على تاليف هذا الحنظل فقلت نعم وعلى تاليف الخردل ٥
مع ما تفهم من تخصيصها من التنبيه على ما فيها من بديع الصنع المتاثر عنه ما لها من لطيف المنافع او ان
نشوءها الآن فنجمعها على ما كانت عليه حال كونها نطفة من الاجتماع قبل فتقها وتفريقها حتى تكون كخف البعير
فان القادر على تفصيل الانامل حتى تهيأت للاعمال اللطيفة قادر على جمعها فتزول عنها تلك المنفعة ومن قدر
على تفصيل الماء بعد اختلاطه وجمعه بعد انفصاله قادر على جمع التراب بعد افتراقه وكيفما كان فهو
تنبيه على التامل في لطف تفصيل الانامل وبديع صنعها الموجب للقطع بان صانعها قادر على كل ما يريد
قال في القاموس البنان الاصابع او اطرافها او السلامي وزن حبارى عظام صغار طول اصبع واقل
في اليد والرجل **ولما** تقدم ما اشار الى ان القيمة في غاية الظهور اضرب عن هذا الانكار فقال
بانيا على ما تقديره انه لا يحسب عدم ذلك لانه من الظهور في حد لا يحتاج الى كبير تامل فلو مشى مع عقله
عرف الحق **بل يريد** اي يوقع الارادة **الانسان** اظهر في موضع الاضمار التصريح بالتعميم لمقتضى الطبع
الموجب له عدم الفكر في الاخرة مع شدة ظهورها لانه معنى بشهواته فلا نجاة الا بعصمة الله وحذف
مفعول يريد اشارة الى ان كل ما يريد بمقتضى طبعه وشهواته خارج عن ظهوره فهو معاقب عليه لانه

عبد والعبد يجب عليه ان يكون مراقبا للسيد لا يريد الا ما يامره به فاذا اراد ما امره به لم تنتسب
اليه ارادة بل الارادة للسيد لا له ولما كان ذلك وكانت ارادته الخارجة عن الامر معصية قال
معللا **ليفجر امامه** اي تقع منه الارادة ليقع منه الفجور في المستقبل من زمانه بان يقضي شهواته
ويمضي راكبا راسه في هواه ونفسه الكاذبة تورد عليه الاماني وتوسع له في الامل وتطمعه في العفو
من دون عمل قال الحسن المؤمن ما تراه الا يلوم نفسه ويقول ما اردت بكلامي ما اردت باكلي
والفاجر يمضي قدما لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها **ويجوز** ان يعود الضمير على الله تعالى ليكون
المعنى ليعمل الفجور بين يدي الله تعالى وبمراي منه ومسمع ويطمع في ان لا ياخذ بذلك او يجازيه بفجوره
قال في القاموس والفجور الانبعاث في المعاصي والزنا كالفجور ولما كان غريقا في التلبس بهذا
الوصف انتج له الاستهزا بهذا الخطب الاعظم فترجم ذلك بقوله **يسئل** اي سؤال استهزا او استبعاد
ووضع موضع مفعول يسئل جملة اسمية من خبر مقدم ومبتدا موخر فقال **ايان** اي اي وقت يكون
يوم القيمة ولما كان الجواب يوم يكون كذا وكذا عدل عنه الى ما سبب عن استبعاده لانه
اهول فقال دالا على خراب العالم بتجرد الانسان عن مسكنه وما الفه من احواله فيكون اهول
معبرا باداة التحقق لانه موضعها **فاذا برق البصر** اي شخص ووقف فلا يطرف من هول ما يرى هذا
على قراءة نافع بالفتح وهي اشارة الى مبدا حاله وقراه الجماعة بالكسر مشيرة الى ماله فان معناها
تحير ودهش وغلب من برق الرجل الى نظر الى البرق فحسر بصره وتفرق تفرق الشي في المايع اذا
انفتح عنه وعاوده بدليل قراءة يلق الباب اذا انفتح ويلق الباب كنصر فتحه كله او شديدا كابلقه الجماعة صح
فانبلق وبلق كفرح تحير قاله في القاموس ولما كانت ايات السموات اخوف ذكرها باديا بما
طبعه البرد اشارة الى شدة الحر والتوهج والاخذ بالانفاس الموجب لشدة الباس فقال **وخسف القمر**
اي وجد خسفه بان خسفه الله فاذهب صورته كما تذهب صورة الارض المخسوفة وذلك باذهاب
ضوئه من غير سبب لزوال ربط المسببات في ذلك اليوم بالاسباب وظهور الخوارق بدليل قوله
وجمع اي جمعا هو في غاية الاحكام والشدة كما افهمه التذكير وعلى ايسر الوجوه واسهلها **الشمس**
اي اية النهار **والقمر** مع عدم انارته وان كان نوره الان من نورها فذهب الانتفاع بهما وهما
مع ذهاب النور وتفرق البصر مدركان لوجود الكشف التام عن الخفيات كما قال تعالى فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وبعد جمعهما يلقيان في النار كانهما ثوران عقيران وبني الفعل
للمفعول لان المهول مطلق جمعهما المخرج لهما عن العادة وللدلالة على السهولة ولما عظم امر
القيمة بما تقدم اكد ذلك بان الامر فيه على غير ما نعهد في الدنيا من وجدان مهرب او حاكم يغني الذي
يخافه المطلوب او شي من تشعب الكلمة وتفرقها قال **يقول الانسان** اي لشدة روعه جريا مع طبعه
يومئذ اي اذ كان هذا الخطب الاجل والفادح الاكبر وحكى بيقول جملة اسمية من خبر متقدم ومبتدا
موخر فقال **اين المفر** اي الفرار والموضع الذي اليه الفرار والزمان القابل لذلك قول ايس مدهوش
قاده اليه الطبع وذلك حين تقادهم بسبعين الف سلسلة كل سلسلة بايدي سبعين الف ملك لها زفير
وشهيق ولما كان ذلك اليوم يوم انقطاع الاسباب قال نافيا لما سال عنه باداة الردع
كلا اي لا ينال هذا فانه لا سبيل الى وجود معناه وهو معنى **لا وزر** اي ملجا ومعتصم ولا حصن ولا
النجا واعتصام وكون هذا من كلام الانسان رجوعا من طبعه الى عقله اقعد وادل على الهول لانه
يفهم انه بعد ان سال من عظيم الهول نظر في جملة الامر فتحقق ان لا حيلة بوجه اصلا فقال معبرا بالاداة
الجامعة لمجامع الردع ولما كان المعنى لا مفر من الله الا اليه لان ملكه محيط وقدرته شاملة قال

مترجما

مترجما عنه ذاكرا صفة الاحسان لوما لنفسه على عدم الشكر **الى ربك** اي المحسن اليك بانواع الاحسان
وحده لا الى شي غيره **يومئذ** اي اذ كانت هذه الاشيا **المستقر** اي استقرار الخلق كلهم ناطقهم وصامتهم
ومكان قرارهم وزمانه الى حكمه سبحانه ومشيته ظاهرا وباطنا لا حكم لاحد غيره بوجه من الوجوه في
ظاهر ولا باطن كما هو في الدنيا ولما كان موضع السوال عن علمه هذا الاستقرار قال مستانفا بانيا
للمفعول لان المنكي انما هو كشف الاسرار لا كونه من كاشف معين وللدلالة على يسر ذلك عليه سبحانه
بان نديه الى ذلك فعله كائنا من كان **ينبؤا** اي يخبر تخبيرا عظيما مستقصى **الانسان يومئذ** اي اذ
كان هذا الزلزال الاكبر **بما قدم** اي من عمله العظيم **واخر** اي في اول عمره واخره كناية عن الاستقصا
او بما قدمه فاثره على غيره هل هو الشرع او للهوى او بما عمل في مدة عمره وبما اخر عمله لمعاجلة الموت
له عنه فيخبر بما كان يعمله من امله لو مد في اجله او الذي قدمه هو ما عمله بنفسه وما اخره هو ما
سنه فعمل به الناس من بعده من خير او شر قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعليه مشى الغزالي في
الباب الثالث من كتاب البيع من الاحيا ولما عظم القيمة بكشف الاسرار فيها بالانبا بها وكان
الشان ان الانسان لا ينبا الا بما هو جاهل له او غايب عنه وكان مما يخفف على الانسان في
الدنيا النسيان وكان ذلك اليوم يوم كشف الغطا زاده عظما بالاعلام بانه يجلو بصيرة الانسان حتى
يصير مستحضرا لجميع ما له من شان فكان التقدير وليس جاهلا بشي من ذلك ولا محتاجا الى الانبا به
قال بانيا عليه **بل الانسان** اي كل واحد من هذا النوع **على نفسه** خاصة **بصيرة** اي حجة بينة
على اعماله فالها للمبالغة يعني انه في غاية المعرفة باحوال نفسه فانه اذا تامل وانعم النظر ولم يقف
مع الحظوظ عرف جيد فعله من رديه اما في الدنيا فلان الفطر الاولى شاهدة بالخير والشر كما اشار
اليه صلى الله عليه وسلم بقوله البر ما اطمانت اليه النفس وسكن اليه القلب والاثم ما حاك في الصدر
وترددت فيه النفس وان افتاك الناس وافتوك رواه الامام احمد عن ابي ثعلبة الخشني رضي الله عنه
وقوله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شيت
رواه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه واما في الاخرة فان الله تعالى يعطيه ذلك اليوم قوة
الذكرى حتى تصير اعماله كلها بين عينيه لانه تعالى ينفي عنه الشواغل البدنية ويكشف عنه الحجب
النفسانية حتى تصير اعماله ممثلة له كانه يراها ولا تنفعه معذرته لان كل شي يعتذر به عن نفسه
يعرف كذبه بنفس وجوده لا بشي خارج عنه تارة يكون خالقه او جل على ما هو عليه من العلم وسلامة
الاسباب المزيلة للجهل وتارة بانطاق جوارحه ولما كان الانسان يعتذر في ذلك اليوم عن كل
سو عمله ويجادل اعظم مجادلة وكان المجادل في الغالب يظن انه لم يذنب او لا يعلم له ذنبا قال
تعالى **ولو القى** اي ذكر بغاية السرعة ذلك الانسان من غير تلعثم دلالة على غاية الصدق والاهتمام
والتملق **معاذيره** اي كل كلام يمكن ان يخلص به جمع عذر او معذرة وهو اتساع الحيلة في دفع الخلل
وفي القاموس المعاذير الستور والحجج جمع معذار وذلك لاشتراكهما في مطلق الستر بالفتح الستر بالكسر
في ستر المذنب والحجة في ستر الذنب فالمعنى انه حجة على نفسه ولو احتج عنها واجتهد في ستر عيوبها
فلا تقبل منها الاعذار لانه قد اعطي البصيرة فاعماها بهوى النفس وشهواتها وتلك البصيرة هي نور المعرفة
المركوز في الفطرة الاولى وهي كقوله تعالى لا تنفع الظالمين معذرتهم ولما كان معنى هذا كله ان
الانسان محجوب في هذه الدار عن ادراك الحقايق بما فيه من الحظوظ والكسل والفتور لما فيه من
النقايص وكان النبي صلى الله عليه وسلم مبرا عن ذلك لخلق الله له كاملا وترقيته بعد ميلاده كل يوم
في مراقي الكمال حتى صار الى حد لا يشغله عن العلوم شي فكان بحيث يرى مواقع الفتن خلال البيوت

كمواقع القطر ويري من ورايه كما يري من امامه ويقول والله ما يخفي علي خشوعكم ولا ركوعكم اني لاراكم من وراء ظهري • ويري صلي الله عليه وسلم في اشد الظلام وغير ذلك مما له صلي الله عليه وسلم مما يدل علي الكشف التام ولكنه كان صلي الله عليه وسلم لتعظيمه لهذا القران لما له في نفسه من الجلالة ولما فيه من خزاين السعادة والعلوم التي لا حد لها فتستقصي ولانه كلام الملك الاعظم وبامره نزل اليه مع رسوله صلي الله عليه وسلم يعالج عند سماعه اول ما ياتيه فكان يحرك به لسانه استعجالا بتعهده ليحفظه ولا يشذ عنه منه شي • وكان قد ختم سبحانه ما قبلها بالمعاذير وكانت العجلة مما يعتذر عنه وكان الحامل علي ما يوجب الملامة والاعتذار ما طبع عليه الانسان من حب العاجل قال سبحانه نتيجة عن هذه المقدمات الموجبة لانكشاف الاشيا للانسان الموجب لاخباره بها والخوف من عواقبها لان لا يميل الي العاجلة ولا يقع في مخالفة لولا ما شغله به من الحجب اعلاما بانه صلي الله عليه سبحانه قد رفع عن النبي صلي الله عليه وسلم تلك الحجب واوصله من رتبة لو كشف الغطا ما ازددت يقينا الي انها رتبة وبانه قادر علي ما يريد من كشف ما يريد لمن يريد كما يكشف لكل انسان عن اعماله في القيمة حتي يصير يعرف ما قدم منها وما اخر وتنبيها علي ان النبي صلي الله عليه وسلم لا كسب له في هذا القران بغير حسن التلقي ابعادا له عن قول البشر وتمهيدا لما يحرك من لسانه بالقران قبل الالقا لزوم ما طبع عليه الانسان **لا تحرك به** اي القران الذي هو تذكرة من شا ذكره لولا حجاب المشية وقد كشف سبحانه حجاب المشية لهذا النبي الكريم وشا ان يذكره حين قال وما يشاون الا ان يشا الله لانه ما نزل اليه بغير اكتساب منه الا وقد شا ذلك **لسانك** الذي ليست له حركة الا في ذكر الله • **ولما** لم يكن لهذا التحريك فايدة مع حفظ الله له علي كل حال الا قصد الطاعة بالعجلة وكانت العجلة هي الاتيان بالشي قبل اوانه الاليق به وان كان النبي صلي الله عليه وسلم مثابا علي ذلك اعظم الثواب لانه لا حامل له عليه الا حب الله وحب ما ياتي منه جعلها سبحانه علة وان لم تكن مقصودة فقال **لتعجل به** اي بحمله واخذه قبل ان يفرغ من القايه اليك رسولنا جبريل عليه السلام مخافة ان ينفلت منك فان هذه العجلة وان كانت من الكمالات بالنسبة اليك والي اخوانك من الانبيا عليهم السلام كما قال موسي عليه السلام وعجلت اليك رب لترضي لانها من النفس اللوامة التي تلوم علي ترك المبادرة الي افعال الخير فغيرها من افعال المطمينة اكمل منها فنقل صلي الله عليه وسلم من مقام كامل الي اكمل منه وكان هذا الكلام المتعلق بالقران والذي بعده فرقا بين صفتي اللوامة في الخير واللوامة في الشر والاية ناظرة الي قوله تعالي في المدثر حكاية ان هذا الا قول البشر وما بينهما اعتراض في وصف حال القيمة جر اليه قوله ساصليه سقر اي ان الذي خيل به المتقول في القران امران احدهما انه سحر والاخر انه قول البشر والعلم اليقين حاصل بانتفا الاول • واما الثاني فكان صلي الله عليه وسلم يخشي ان لا يتمكن من حفظه فتدخل عليه كلمة مثلا فتكون من قول البشر فنهاه الله تعالي عن العجلة وضمن له الحفظ ثم علل هذا النهي بقوله موكدا لانه من مجراته **ان علينا** اي لما لنا من العظمة لا علي احد سوانا **جمعه** اي في صدرك حتي تثبته وتحفظه **وقرانه** اي اطلاق لسانك به واثباته في رتبته من الكتاب حال كونه مجموعا اتم جمع ميسرا احسن تيسير فارح نفسك مما تعالج في امره من المشقة وتكابد من العنا • **ولما** نهاه امره فقال **فاذا قراناه** اي اقدرنا جبريل عليه السلام علي تاديته اليك كما حملناه اياه بما لنا من العظمة وعلي حسبها **فاتبع** اي بغاية جهدك بالقا سمعك واحضار ذهنك **قرانه** اي قراته مجموعة علي حسب ما اداه اليك رسولنا وجمعناه لك في صدرك وكرر تلاوته حتي تصير لك به ملكة عظيمة واعمل به حتي يصير لك خلقا فيكون قايدك الي كل خير فالضمير يجوز ان يكون للقران ويكون القران هنا بمعني

القراة

القراة عبر به عنها تعظيما لها اي اتبع قراة القران اي قراة جبريل عليه السلام له ولو كان علي بابه لم يكن محذور فان المراد به خاص وبالضمير عام ويجوز ان يكون الضمير لجبريل عليه السلام اي اتبع قراته ولا تراسله • **ولما** كان بيان كلماته ونظومه علي اي وجه سمعه من مثل صلصلة الجرس وغيرها وبيان معانيه وما فيه من خزاين العلم من العظمة بمكان يقصر عنه الوصف اشار اليه باداة التراخي فقال دالا علي جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب الي وقت الحاجة مشعرا بانه كان يعجل بالسوال عن المعني كما كان يعجل بالقراة **ثم** واكد ذلك اشارة الي انه لعظمه مما يتوقف فيه فقال **ان علينا** اي بما لنا من العظمة **بيانه** اي بيان الفاظه ومعانيه لك سوا سمعته من جبريل عليه السلام علي مثل صلصلة الجرس او بكلام الناس المعتاد بالصوت والحرف ولغيرك علي لسانك وعلي السنة العلما من امتك • والاية مشيرة الي مطلق العجلة لانه اذا نهي عنها في اعظم الاشيا واهمها كان غيره بطريق الاولي • روي البخاري في تفسير الاية في اول صحيحه واخره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلي الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة كان يحرك شفتيه قال سعد بن جبير قال ابن عباس رضي الله عنهما فانا احركهما لك كما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يحركهما فانزل الله عز وجل الاية حتي قال جمعه في صدرك ثم تقراه فاذا قراناه فاتبع قرانه قال فاستمع له وانصت ثم ان علينا ان تقراه فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل عليه السلام استمع مطرقا فاذا انطلق جبريل عليه السلام قراه النبي صلي الله عليه وسلم كما اقراه كما وعد الله بكفالته في قوله تعالي فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصي كل شي عددا • **ولما** كان سبحانه قد ختم الكلام في المكذبين بان اعمالهم محفوظة وان كل احد علي نفسه شاهد لانه يعلم جميل ما يفعل من قبيحه وان اعتذر واولاه ما اشتد اتصاله به وختم بضمان البيان للقران فكان شاهدا بينا علي كل انسان بما له من عظيم البيان قال نافيا لما يظن من جهلهم بقبيح افعالهم الذي اقتضاه اعتذارهم مشعرا بان الادمي مطبوع علي الاستعجال بعد النهي عن العجلة في اعز الاشيا واعلاها واهمها واولاها لانه اصل الدين ليكون ذلك موكدا للنهي عن العجلة بالقران وموكدا لذمهم بحب العاجلة مغلظا لتوبيخهم علي الميل مع الطبع وترك ما يقتضيه العلم والعقل **كلا** اي لا يجهل احد منهم قبايح ما ارتكبه وان اعتذر وما ارتكب شيا منها عن جهل **بل هم يحبون** اي محبة متجددة علي تجدد الزمان **العاجلة** بدليل انهم يقبلون غاية الاقبال عليها فياخذونها وحبها اوجب لهم ما تعلمون ارتكاب ما يعلمون قبحه فان الاخرة والاولي ضرتان من احب احداهما فعل ولا بد ما يباعد من الاخرى فان حبك للشي يعمي ويصم وهذا بخلاف نبينا صلي الله عليه وسلم في مطلق العجلة فكيف بالعاجلة فانا طبعناه علي الكمال فكان يعالج من العجلة بالقراة شدة فحين نهيناه عن ذلك انتهي رجوعا الي طبعه الكامل الذي لا يشوبه نقص ولذا كان امره تكوينيا لا تابعه ولا كلفه فان نفسه المطمينة هي العالية ولها السلطان الاكبر ولا جل تضادر الدارين وكونهم يحبون العاجلة قال **ويذرون** اي يتركون علي اي وجه كان ولو انه غير مستحسن **الاخرة** لانهم يبغضونها لارتكابهم ما يضرهم فيها وجمع الضمير وان كان مبني الخطاب مع الانسان نظرا للمعني اشارة الي انه لا يسلم من العجلة المذمومة الا افراد حفظهم الله بقدرته الباهرة والاية من الاحتباك ذكر الحب اولا دليلا علي البغض ثانيا والترك ثانيا دليلا علي الاقبال والاخذ اولا فانفسهم اللوامة تلومهم علي التقصير في الشر كما ان نفسك تحثك علي الازدياد من الخير والمبادرة اليه فنعم النفس هي ولتعلين مقامها واما انفسهم فانها تحثهم لاجل اللوم علي التقصير في الشر علي الاخلاد الي العاجل الفاني والاقلاع عن الباقي لكونه غايبا فبيس الانفس هي • **ولما** ذكر الاخرة التي اعرضوا عنها ذكر ما يكون فيها بيانا لجهلهم وسفههم وقلة عقلهم وترهيبا لمن ادبر عنها وترغيبا لمن اقبل عليها لطفا بهم ورحمة لهم فقال **وجوه**

اي من المحشورين وهم جميع الخلايق يومئذ أي إذ تقوم القيمة ناضرة من النضرة بالضاد وهي النعمة
والرفاهية اي هي بهية مشرقة ظاهر عليها اثر النعمة بحيث يدل ذلك علي نعمة اصحابها الي ربها اي المحسن لها
خاصة باعتبار ان عد النظر الي غيره كلا نظر ناظرة اي دايما هم محدقون ابصارهم نحو جوده بالتجلي لا غفلة لهم عن
ذلك فاذا رفع الحجاب عنهم ابصروه باعينهم بدليل التعدي بالي وذلك النظر جهرة من غير اكتنام ولا تضامر ولا
زحام كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما واكثر المفسرين وجميع اهل السنة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في
الاحاديث الصحاح من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة وتكون الرؤية كما مثلت في الاحاديث كما ترى القمر
ليلة البدر كل من يريد رؤيته من بيته مخليا به هذا وجه التشبيه لا انه في جهة ولا في حالة لها شبيه تعالى الله عن
التشبيه وهكذا رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام من الاشخاص المستكثرة في البلاد المتباينة في الوقت
الواحد وقدم الجار الدال علي الاختصاص اشارة الي ان هذا النظر مباين للنظر الي غيره فلا يعد ذاك نظرا
بالنسبة اليه والي ان تلك الوجوه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث لا تغتر عن ذلك ولا تعد نظرها الي ما سواه
شيا وهي آمنة من ان يفعل بها فاقرة وعبر بالوجوه عن اصحابها لانها ادل ما تكون علي السرور وليكون ذكرها
اصرح في ان المراد بالنظر حقيقته وزاده صراحة بالتعدية بالي فان الانتظار لا يعدي بها قال الامام حجة
الاسلام الغزالي في كتاب المحبة من الاحيا بعد ان جوز ان الله تخلق النظر في الجبهة وغيرها والحق ما ظهر لاهل
السنة والجماعة من شواهد الشرع ان ذلك تخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وساير الالفاظ
الواردة في الشرع تجري علي ظاهره اذ لا تجوز ازالة الظواهر الا بضرورة انتهي واهل الجنة متفاوتون في النظر
روي ان منهم من ينظر الي الله بكرة وعشيا وفي خبر آخر وما بين القوم وبين ان ينظروا الي ربهم الا ردا الكبريا علي
وجهه في جنة عدن ومتفاوتون في مقدار الكشف في الجمال والانس والبهجة التي تكون عنها اللذة بحسب اعمالهم
ولما ذكر اهل النعمة اتبعه اضدادهم من اهل النقمة فقال ووجوه يومئذ اي في ذلك اليوم بعينه باسرة
اي شديدة العبوس والكلوح والتكره لما هي فيه من الغم كانها قد غرقت فيه فرسبت بعد ان سبرت احوالها
فلم يظهر لها وجه خلاص والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع لاشتداد كلوحه عند العراك وتلك
الوجوه عن ربها محجوبة والي انواع العذاب ناظرة ولما كان ظن الشر كافيا في الحذر منه والمبالغة في
استعمال ما ينجي منه قال دالا علي انه عبر بالوجه عن الجملة تظن اي تتوقع بما ترى من المخايل ان يفعل بناه للمفعول
لان المحذور وقوع الشر لا كونه من معين بها اي بهم فانه اذا اصيب الوجه الذي هو اشرف ما في الجملة كان
ما عداه اولى فاقرة اي داهية تكسر الفقار وهي عظم سلسلة الظهر الذي هو اصلب ما في العظام فتكون
قاصمة الظهر فالاية من الاحتباك ذكر النظر في الاولي دليل علي ضده في الثانية وذكر الفاقرة في الثانية دليل
علي ضده في الاولي ولما كان ذكر محبتهم للعاجلة بالمضارع الدال علي التجدد والاستمرار فاقتضى ذلك انه حب
غير منفك التجدد اصلا اخبر انه ينقطع عند هول المطلع مع الدلالة علي تمام القدرة وانه لا يرد قضاؤه فقال
رادعا لمن يظن عدم انقطاعه كلا اي لا يدوم هذا الحب بل لا بد ان ينقطع انقطاعا قبيحا جدا ولما
كان المحب للدنيا هو النفس اضمرها للذكر ولدلالة الكلام عليها فقال ذاكرا ظرف ما افهم حرف الردع
تقديره من عدم المحبة اذا بلغت اي النفس المقبلة علي العاجلة بامر محقق بما افهمته اداة التحقق التراقي
اي عظام اعالي الصدر جمع ترقوة وهي العظام التي حول الحلقوم عن يمين ثغرة النحر وشمالها من الثغرة
وبين العاتق ولكل انسان ترقوتان وهو موضع الحشرجة ولعله جمع المثنى اشارة الي شدة انتشارها
بغاية الجهد لما هي فيه من الكرب لاجتماعها من اقاصي البدن الي هناك وضيق المجال عليها كانها تريد ان
تخرج من ادنى موضع يقرب منها وهذا كناية عن الاشفا علي الموت وما احسن قول حاتم الطايي واشد البيت
مع ما هنا في امر الروح * اماوي ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر * ولما

كان

كان اهل الميت يشتد انزعاجهم اذ ذاك ويشتد تطلبهم لما ينجي المحتضر من غير ان يغنيهم ذلك شيا فكان
قولهم كانه لا قايل له علي التعيين بني للمفعول قوله وقيل اي من كل قايل يعز عليه الميت استفهاما واستبعادا
من راق اي من هو الذي يتصف برسوخ القدم في امر الرقي الشافية ليرقيه فيخلصه مما هو فيه فانه
صار الي حالة لا يحتمل فيها دوا فلا رجا الا في الرقي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا القول من بعض
الملايكة للاستفهام عمن يرقى بروحه الي السما املايكة الرحمة او ملايكة العذاب فالاول اسم فاعل من رقي
يرقي بمعنى الرقية بالفتح في الماضي والكسر في المضارع والثاني الذي بمعنى الصعود بالكسر في الماضي
والكسر في المضارع ولما كان الانسان مطبوعا علي الترجح بين الامور الممكنة يتعلق لما يغلب عليه
من طبع الالف وشدة الركون لما يالفه بادنى شي عبر عما هو اهل للتحقق بالظن فقال وظن اي المحتضر لما
لاح له من امور الاخرة او القايل هل من راق من اهله انه اي الشان العظيم الذي هو فيه الفراق اي
لما كان فيه من محبوب العاجلة الذي هو الفراق الاعظم الذي لا فراق مثله ففي الخبر ان العبد ليعالج
كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها علي بعض تقول السلام عليك تفارقني وافارقك الي يوم
القيمة والتفت الساق اي هذا النوع بالساق اي انضمت اليها واتصلت بها ودارت احداهما بالاخرى
فكانا كالشي الواحد وهو كناية عن الموت لان المشي لا يكون الا مع انفصال احدى الساقين عن الاخرى
او عن اشتداد الامر جدا او بعده عن الخلاص فان العرب لا تذكر الساق في مثل هذا السياق الا في امر
شديد مثل شمر عن ساق واذا اشتد جراب المتحاربين دنت السوق بعضها من بعض فلا افتراق الا عن
موت احدهما واشد من موته من هزيمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كناية عن اختلاط شدة اخر
الدنيا بشدة اول الاخرة وجواب اذا محذوف تقديره زال تعلقه الذي كان بالدنيا وحبه لها
واعراضه عن الاخرة ولما صور وقت تاسفه علي الدنيا واعراضه عنها ذكر غاية ذلك فقال مفردا
النبي صلى الله عليه وسلم بالخطاب اشارة الي انه لا يفهم هذا حق فهمه غيره الي ربك اي موعد وحكم
المحسن اليك بارسالك وتصديقك في جميع ما بلغته عنه ونصرك علي كل من ناواك لا الي غيره يومئذ
اي اذا وقع هذا الامر المساق اي السوق وموضع السوق وزمانه كل ذلك داخل في حكمه قد انقطعت
عنه احكام اهل الدنيا فاما ان تسوقه الملايكة الي سعادة بينة واما الي شقاوة بينة او هو كناية
عن عرضه بعد الموت علي الله تعالى فلا ينفعه اذا حقق له الوعظ بالموت قوله اموت فاستريح فانه يرجع
بالموت الي سيده فان كان مطيعا لقيه بما يرضيه وان كان عاصيا لقيه بما يلقى به العبد الابق علي قدر
اباقه ولما ذكر كراهته للدنيا ولما ذكره كراهته للاخرة ذكر ان سببه افساده ما اتاه الله من قوتي
العلم والعمل بتعطيلهما علي الخير واستعمالهما في الشر فقال مبينا عمل العبد الموافق والابق عاطفا علي يسيل ايان
الذي معناه يجحد البعث فلا صدق اي هذا الانسان الذي الكلام فيه الرسول فيما اخبره به بما كان
يعمل من الاعمال الخبيثة ولا بماله بالانفاق في وجوه الخير التي ندب اليها واجبة كانت او مسنونة وحذف
المفعول لانه ابلغ في التعميم ولما ذكر اصل الدين اتبعه فروعه دلالة علي ان الكافر مخاطب بها فقال
ولا صلى اي ما امر به من فرض وغيره فلا تمسك بحبل الخالق ولا وصل حبل الخلايق علي حد ما شرع له ولما
نفى عنه افعال الخير اثبت له افعال الشر فقال ولكن اي فعل ضد التصديق بان كذب اي بما اتاه
من الله وتولى اي وفعل ضد الصلاة التي هي صلة بين المخلوق والخالق فاجتهد في خلاف ما تدعوه
اليه فطرته الاولى المستقيمة من الاعراض عن الطاعة من الصلاة وغيرها حتى صار له ذلك ديدنا
فصارت الطاعة لا تخطر له بعد ذلك علي بال لموت الفطرة الاولى وحياة النفس الامارة وليس هذا
بتكرار لانه لا يلزم من عدم التصديق التكذيب ولما كان الاصرار علي هذا عظيما يبعد كل البعد ان يجعله

احد فكيف بالافتخار به وا لتكبر لاجله اشار اليه باداة البعد فقال موذنا بان الحامل علي التكذيب الكبر والحامل
علي الكبر الترف وسبب ذلك الانقياد او لا مع الطبع في افساد القوتين العملية والعلمية حتي نشا عنهما
هذا الخلق السيي وهو عدم المبالاة ولم يزل به ذلك حتي صار ملكة يفتخر به **ثم ذهب** اي هذا الانسان
بعد توليته عن الخلق **الي اهله** غير مفكر في عاقبة ما فعل من التكذيب حال كونه **يتمطي** اي يتبختر افتخارا
بتكذيبه واعراضه وعدم مبالاته بذلك من المط ابدل الحرف الثاني الفا تخفيفا فصار من المطا وهو
الظهر كانه يشاهد علي مد الخطا او لان المتبختر اذا مشي يلوي ظهره وانما فعل هذا المرونة مع المعصية علي
بدل الاستحيا او الخجل والانكسار **ولما** كان هذا غاية الفجور وكان اهل الانسان يحبونه اذا اقبل
عليهم لاسيما اذا كان علي هذه الحالة عند اغلب الناس اخبر بما هو حقيق ان يقال له في موضع تحية اهله من
التهديد العظيم فقال **اولي لك** اي اولاك الله ما تكره ودخلت اللام للتاكيد الزايد وا لتخصيص وزاده
التاكيد بقوله **فاولي** اي ابتلاك الله بداهية عقب داهية وابلغ ذلك التاكيد اشارة الي انه يستحقه علي مدي
الاعصار فقال مشيرا باداة التراخي الي عظم ما ارتكب وقوة استحقاقه لهذا التاكيد **ثم اولي لك** اي ايها
الذي قد احل نفسه بالغفلة دون محل البهايم **فاولي** اي وصلت الي هذا الهلاك بداهية تعقبها داهية
تارة متواليا وتارة متراخيا وبعضها اعظم من بعض لحقك ذلك لا محالة فان هذا دعا ممن بيده الامر
كله ويجوز ان يكون المعني اولي لك ان تترك ما انت عليه وتقبل علي ما ينفعك وقال ابن جرير في تفسير
المدثر ان ابا جهل لما استهزا علي خزنة النار تسعة عشر اوحي الله الي النبي صلي الله عليه وسلم ان ياتيه
فياخذ بيده في بطحا مكة ويقول له اولي لك الي اخرها فلما قال ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ابو جهل
والله لا تفعل انت وربك شيا فاخزاه الله يوم بدر انتهي ويمكن تنزيل الكلمات الاربع علي حالاته الاربع
الحياة ثم الموت ثم البعث ثم دخول النار فيكون المعني لك المكروه الآن وفي الموت والبعث ودخول
النار قال البغوي وكان النبي صلي الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة
ابو جهل **وقد** انعمت الاية ان من اصلح قوتي علمه وعمله بان صدق بالله وملايكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر واقبل واقام الصلاة فتبعتها جميع الاعمال التي هي عمادها فنشا عن ذلك خلق
حسن وهو الوجل مع الطاعة فهنا لك يقال له بشري لك فبشري ثم بشري لك فبشري **ولما** كان
هذا فعل من اعرض عن الله اصلا فلم يخطر شيا من عظمته علي باله فكان ظانا انه مهمل لا مالك له وانه هو
السيد لا عبودية عليه فلا يومر ولا ينهي ولا يعمل الا بمقتضي شهواته قال منكرا عليه معبرا بالحسبان
الذي الحامل عليه نقص العقل **ايحسب** اي يجوز لقلة عقله **الانسان** اي الذي هو عبد مربوب ضعيف
عاجز محتاج بما يري من نفسه وابنا جنسه **ولما** كان الحامل علي الجراة مطلق الترك هملا لا كون الترك
من معين قال بانيا للمفعول **ان يترك** اي يكون تركه بالكلية **سدي** اي مهملا لا عبا لاهيا لا يكلف ولا
يجازي ولا يعرض علي الملك الاعظم الذي خلقه فيسئله عن شكره فيما اسدي اليه فان ذلك مناف للحكمة
فانها تقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن المساوي والجزا علي كل منهما واكثر الظالمين والمظلومين يموتون
من غير جزا فاقتضت الحكمة ولا بد البعث للجزا **ولما** كان الانسان يجري مع ما في طبعه من النقص
فيغفل عما خلق له فيتراكم ظلماته فيبعد عن علم ذلك اما يجهل بالحكمة او يجهل بالقدرة رحمه سبحانه
باعادة البرهان علي المعاد بامر يجمع القدرة والحكمة وذلك انه لا يجوز في عقل عاقل ان صانعا يصنع شيا
ويتركه ضياعا وهو حكيم او حاكم فكيف باحكم الحكما والحاكمين فقال منكرا عليه ظنه انه يهمله سبحانه
مع علمه يضنا بعد المحكمة فيه مقررا احوال بداياته التي لا يسوغ معها انكار اعادته لانها ادل دليل علي
انه لا مانع منها اصلا حاد قانون الكون اعلاما بان الامر في هذه النتيجة العظمي ضاق عن اقل شي يمكن

الاستغنا

الاستغنا عنه كراهية التمادي من الموعوظ علي ما وعظ لاجله فيحصل له الهلاك واشارة الي مهانة اصله
وحقارته **الم يك** اي الانسان **نطفة** اي شيا يسيرا جدا **من مني** اي ما من صلب الرجل وترايب المراة
مقصود مقدر من الله للابتلا والاختبار بما له المنية التي هي الموت **تمني** اي سبب الله للانسان المعالجة
في اخراجه بما ركب فيه من الشهوة وجعل له من الزوج التي يسرها لقضا وطره منها حتي ان وقت صبها
في الرحم انصبت منه بغير اختياره حتي كانه لا فعل له فيها اصلا ولذلك بني الفعل لما لم يسم فاعله ولما
كان تكثير تلك النطفة وتحويلها امرا عظيما عجيبا اشار اليه باداة البعد مع افادتها للتراخي في الزمان
ايضا فقال **ثم كان** اي كونا محكما **علقة** اي دما احمر عبيطا شديد الحمرة والغلظ **فخلق** اي قدر سبحانه
عقب ذلك لحمه وعظامه وعصبه وغير ذلك من جواهره واعراضه **فسوي** اي عدل من ذلك خلقا
اخر غاية التعديل شخصا مستقلا **ولما** كان استبعادهم للقيمة اما لاستبعاد القدرة علي اعادة
الاجزا بعد تفرقها او لاستبعاد القدرة علي تمييز ترابها من تراب الارض بعد الاختلاط وكان تمييز النطفة
الي ذكر وانثي كافيا في رد الاستبعادين قال **فجعل** اي بسبب النطفة **منه** اي هذا الما الدافق او المخلوق
المسوي وهو شي واحد **الزوجين** اي القرينين اللذين لا يكمل الانتفاع باحدهما الا بالاخر ثم بينهما بقوله
الذكر والانثي وهما كما تعلمون متباينان في الطباع مختلفان في اوصاف الاعضا والالات والمتاع فكما
لم يترك النطفة حتي صيرها علقة ولا ترك العلقة حتي صيرها عظاما ولم يترك العظام حتي صيرها خلقا اخر الي
اخر تمام الخلقة لتمام الحكمة الظاهرة وفصلها الي ذكر وانثي وهي ما تمييز ما يصلح منه للذكر وما يصلح منه
للانثي اشد واخفي من تمييز تراب الميت من تراب الارض فكذلك لا يترك الجسم بعد موته حتي يعيده ثم يبعثه
الي اخر ذلك لتمام الحكمة الباطنة وهي الجزا والحكم الذي هو خاصة الملك **ولما** تقرر من حيث اتقان
الاصطناع انه لا يجوز معه الاهمال وانقطع النزاع وكان ربما توقف من حيث ظن عدم القدرة علي ذلك بعد
الموت قال منبها علي تمام القدرة مقررا عليه منكرا علي من يتوقف فيه موبخا له مرتبا علي ما قام علي القدرة
علي الاعادة من دليل القدرة المشهودي علي البداية **اليس ذلك** اي الخالق المسوي الاله الاعظم الذي قدر
علي هذه الانشات وصنع هذه الصنايع المتقنة التي لا يقدر غيره علي شي منها واغرق في النفي فقال **بقادر** اي
عظيم القدرة **علي ان يحيي** اي كيف ما اراد دفعة او في اوقات متعاقبة **الموتي** فيقيم القيمة بلي وعزته وجلاله
وعظمته وكماله انه علي كل ما يريد قدير **وقد** رجع اخر السورة علي اولها اتم رجوع والتام به اتم التيام
فتمت معانيها اعظم تمام بجمع العظام وايجاد القيام ليوم التغابن والزحام اعاننا الله فيه بحسن الختام
روي البغوي بسنده من طريق ابي داود عن اعرابي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم من قرا منكم والتين والزيتون فانتهي الي اخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلي وانا علي ذلك
من الشاهدين ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة فانتهي الي قوله اليس ذلك بقادر علي ان يحيي الموتي فليقل بلي
ومن قرا المرسلات فقرا فباي حديث بعده يومنون فليقل امنا بالله ورواه الترمذي وقال في اخر القيمة
ان يحيي الموتي بلي وعزة ربنا وقال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوايد وروي احمد وفيه رجلان لم
اعرفهما عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا المرسلات عرفا فباي حديث
بعده يومنون فليقل امنا بالله ومن قرا التين والزيتون فليقل وانا علي ذلك من الشاهدين ومن قرا اليس ذلك
بقادر علي ان يحيي الموتي فليقل بلي

مقصودها ترهيب الانسان بما دل عليه اخر القيمة من العرض علي الملك الديان لتعذيب العاصي في النيران

وتنعيم المطيع في الجنان بعد جمع الخلايق كلها الانس والملايك والجان وغير ذلك من الحيوان وتكون لهم
مواقف طوال وزلازل واهوال لكل منها اعظم شان وادل ما فيها على ذلك الانسان بتامل اياته وتدبر
مبدايه وغايته وكذا تسميتها بهل اتى وبالدهر وبالامشاج من غير ميل ولا اعوجاج **بسم الله** الملك الذي
خلق الخلايق لمعرفة اسمايه الحسنى **الرحمن** الذي عمهم بنعمه الظاهرة فرادى ومثنى **الرحيم** الذي خص
منهم من اختاره لوداده بالنعمة الباطنة والمقام الاسنى **لما** تقدم في آخر القيمة التهديد على مطلق
التكذيب وان المرجع الى الله وحده والانكار على من ظن انه يترك سدى والاستدلال على البعث وتمام
القدرة عليه تلاه اول هذه بالاستفهام الانكاري على ما يقطع معه بانه لا يترك سدى فقال معقبا لما له
سبحانه عليه من نعمة الايجاد والاعداد والامداد والاسعاد **هل اتى** اي بوجه من الوجوه **على الانسان**
اي هذا النوع الذي شغله عما يراد به ويراد له لعظم مقداره في نفس الامر الانس بنفسه والاعجاب
بظاهر حسه والنسيان لما بعد حلول رمسه **حين من الدهر** اي مقدار محدود وان قل من الزمان الممتد
الغير المحدود حال كونه **لم يكن** اي في ذلك الحين كونا راسخا **شيا مذكورا** اي ذكر اله اعتبار ظاهر في الملا
الاعلى وغيره حتى انه يكون منتهيا ونابه غير منظور اليه ليجوز ان يكون سدى بلا امر ونهي ثم يذهب عدما
بالكلية ليس الامر كذلك بل ما اتى عليه شي من ذلك بعد خلقه الا وهو فيه شي مذكور وذلك ان الدهر
هو الزمان والزمان مقدار حركة الفلك كما نقله الرازي في كتاب اللوامع في سورة يس عند ولا الليل
سابق النهار فانه قال الزمان ابتدا من حركات السما فان الزمان مقدار حركات الفلك انتهى وادم
عليه السلام تم الخلق بتمام خلقه في آخر يوم الجمعة اول جمعة كانت وكانت طينته قبل ذلك بمدة مخمرة
هو فيها بين الروح والجسد قال ابن مسعود رضي الله عنه خلق الله ادم عليه السلام من تراب فاقام اربعين
سنة ثم من طين اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنه ثم خلقه بعد
ستين ومائة سنة وقال البغوي قال ابن عباس رضي الله عنهما ثم خلقه بعد عشرين ومائة سنة
فحينئذ ما اتى عليه زمان الا وهو شي مذكور اما بالتخمير او بتمام التصوير فالاستفهام على بابه وهو
انكاري وليست هل بمعنى قد الا ان قدرت قبلها الهمزة وكان الاستفهام انكاريا لينتفي مضمون الكلام
والمراد انه هو المراد من العالم فحينئذ ما خلق الزمان الا لاجله فهو اشرف الخلايق وهذا ادل
دليل على بعثه للجزا فهل يجوز مع ذلك ان يترك سدى فيفنى المظروف الذي هو المقصود بالذات ويبقى
الظرف الذي ما خلق الا صونا له والذي يدل على ذلك من اقوال السلف انه روي ان رجلا قراها
عند ابن مسعود رضي الله عنه فقال يا ليت ذلك لم يكن شيا مذكورا تعريف للانسان بحاله وقال
الامام ابو جعفر بن الزبير قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا تعريف للانسان
بحاله وابتدا امره ليعلم ان لا طريق له للكبر واعتقاد السيادة لنفسه وان لا يغلطه ما اكتنفه من الالطاف
الربانية والاعتنا الالهي والتكرمة فيعتقد انه يستوجب ذلك ويستحقه وما بكم من نعمة فمن الله ولما
تقدم في القيمة اخباره تعالى عن حال منكري البعث عنادا واستكبارا وتعاميا عن النظر والاعتبار
ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وقوله فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى اهله
يتمطى اي يتبختر عتوا واستكبارا ومرحا وتجبرا وتعريفه بحاله التي لو فكر فيها لما كان منه ما وصف وذلك
قوله الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى اتبع ذلك بما هو اعرق في التوبيخ واوغل في
التعريف وهو انه قد كان لا شي فلا نطفة ولا علقة ثم انعم عليه بنعمة الايجاد ونقله تعالى من طور الى طور فجعله
نطفة من ما مهين في قرار مكين ثم كان علقة ثم مضغة الى اخراجه وتسويته خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين
فمن اعتبر اتصافه بالعدم ثم تقلبه في هذه الاطوار المستنكف حالها والواضح فناوها واضمحلالها وامده الله

بتوفيقه

بتوفيقه عرف جرمان من وصف في قوله ثم ذهب الى اهله يتمطى فسبحان الله ما اعظم حلمه واكرم رفقه
ثم بين تعالى ان ما جعله للانسان من السمع والبصر ابتلا له ومن ادراكه ادركه الغلط وارتكب الشطط
انتهى **ولما** ذكر مطلق خلقه وقرر انه خلاصة الكون شرع يذكر كيفية خلقه ويدل على ما لزم من
ذلك من انه ما خلق الخلق الا لاجله وانه لا يجوز ان يهمل فقال معلما بالحال التي هي قيد الجملة ومحط الفايدة
انه ما خلق الا للاجرة مفصلا امر الايجاد بالفاعل والصورة والمادة والغاية واكد لانكارهم له
انا اي على ما لنا من العظمة **خلقنا** اي قدرنا وصورنا واظهر ولم يضمر لان الثاني خاص والاول عام
لادم عليه السلام وجميع ولده فقال **الانسان** اي بعد خلق آدم عليه السلام **من نطفة** اي مادة
هي ما يسير جدا من الرجل والمراة وكل ما قليل في وعا فهو نطفة وهي المادة التي هي السبب الحامل للقوة المولدة
ولما كان خلقه على طبايع مختلفة وامزجة متفاوتة اعظم لاجره ان جاهد ما يتنازعه من المختلفات بامر
ربه الذي لا يختلف **ولما** كانت افعاله تابعة لاخلاقه واخلاقه تابعة لجبلته قال **امشاج** اي
اخلاط جمع مشج او مشيج مثل جدن واجدان وخدين واخدان وخلط وخليط واخلاط من مشجت الشي اذا خلطته
لانه من مني الرجل ومني المراة وكل منهما مختلف الاجزا متباين الاوصاف في الرقة والثخن والقوام والخواص
يجتمع من الاخلاط وهي العناصر الاربعة ما الرجل غليظ ابيض وما المراة رقيق اصفر فايهما علا كان الشبه
له وما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ما المراة وقال يمان كل لونين
اختلطا فهو امشاج وقال قتادة هي اطوار الخلق من النطفة وما بعدها وكما يشبه ما غلب عليه من باطن
الامشاج من الطيب والخبث وكيفية تمشيجه ان الما اذا وصل الى قرار الرحم اختلط بما المراة ثم بدم الطمث
وخثر حتى صار كالرايب ثم احمر وحينيذ تسمى علقة فاذا اشتد ذلك الامتزاج وقوي وتمكن حتى استعد
لان تقسم فيه الاعضا سمي مضغة فاذا افيضت عليه صور الاعضا وتقسم كساه حينيذ مفيضه عز وجل لحما
فافاض عليه القوة العاقلة وحينيذ سمي جنينا وذلك بعد تقسيم اجزايه الى عظام واعصاب وعروق واوتار
ولحم فدور الراس وشق في جانبيه السمع وفي مقدمه البصر والانف والفم وشق في البدن ساير المنافذ
ثم مد اليدين والرجلين وقسم رؤوسها بالاصابع وركب الاعضا الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال
والرية والمثانة فسبحان من خلق تلك الاشيا من نطفة سخيفة كون منها العظام مع قوتها وشدتها وجعلها
عماد البدن وقوامه وقدرها بمقادير واشكال مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل وقصير ومستدير وعريض
ومجوف ومصمت ودقيق وثخين ولم يجعلها عظما واحدا لان الانسان محتاج الى الحركة بجملة بدنه وببعض
اعضايه ثم جعل بين تلك العظام مفاصل ثم وصلها باوتار وانبتها من احد طرفي العظم والصقها بالطرف الاخر
بالرباط له ثم خلق في احد طرفي العظم زوايد خارجة وفي الآخر حفر موافقة لشكل الزوايد لتدخل فيها وخلق
الراس مع كريته من خمسة وخمسين عظما مختلفة الاشكال والف بعضها مع بعض فجعل في القحف ستة وفي
اللحي الاعلى اربعة عشر واسنان للاسفل والباقي في الاسنان وجعل الرقبة مركبا للراس وركبها من سبع خرزات
فيها تجويفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض وركب الظهر من اربع وعشرين خرزة وعظم
العجز من ثلثة اجزا وجعل من اسفله عظم العصعص والفه من ثلاثة اجزا مختلفة ثم وصل عظام الظهر
بعظام الصدر وعظام الكتف وغيرها حتى بلغ مجموع عظام بدن الانسان مايتي عظم وثمانية واربعين
عظما سوى العظام التي حشى بها خلل المفاصل وخلق سبحانه آلات التحريك للعظام وهي العضلات وهي
خمسمائة وسبع وعشرون عضلة كل منها على قدر مخصوص ووضع مخصوص لو تغير عن ذلك ادنى تغير
لاختلت مصالح البدن وكذا الاعصاب والاوردة والشرايين ثم انظر كيف خلق الظهر اساسا للبدن
والبطن حاويا لالات الغذا والراس مجمعا للحواس ففتح العين ورتب طبقاتها واحسن شكلها ولونها واحكامها

بحيث ينطبع في مقدار عدسة منها صورة السموات علي عظمها وحماها بالاجفان ليسترها ويحفظها ثم اودع
الاذنين ما مرا يدفع عنها الهوام وحاطها بصدفين لجمع الصوت ورده الي الصماخ وليحس بدبيب الهوام
وجعل فيها تعريجا لتطول الطريق فلا يصل الهوا الي جرم الصماخ سريعا ثم دفع الانف في الوجه واودع فيه
حاسة الشم للاستدلال بالروايح علي الاطعمة والاغذية ولاستنشاق الروايح الطيبة لتكون مروحة للقلب
واودع الفم اللسان وجعله علي كونه لحمة واحدة معربا عما في النفس وزين الفم بالاسنان فحدد بعضها
لتكون الة للثقب وحدد بعضها لتصلح للقطع وجعل بعضها عريضا مفلطحا صالحا للطحن وبيض الوانها ورتب
صفوفها وسوي رؤسها ونسق ترتيبها حتي صارت كالدر المنظوم ثم انطبق علي الفم الشفتين وحسن لونها
ليحفظا منفذه وهيا الحنجرة لخروج الصوت وخالف اشكال الحناجر في الضيق والسعة والخشونة والملاسة
والصلابة والرخاوة والطول والقصر فاختلف الاصوات بسببها ليميز السامع المصوتين بسبب تميز
اصواتهم فيعرفهم وان لم يرهم وسخر كل عضو من اعضا الباطن لشي مخصوص فالمعدة لانضاج الغذا والكبد
لاحالته الي الدم والطحال لجذب السودا والمرارة لجذب الصفرا والكلية لجذب الفضلة المايية والمثانة
لخدمة الكلية بقبول الما عنها ثم اخراجه من طريقه والعروق لخدمة الكبد في ايصال الدم الي ساير اطراف البدن
وكان مبدا ذلك كله النطفة علي صغرها في داخل الرحم في ظلمات ثلث ولو كشف الغطا وامتد البصر اليه لراي
التخطيط والتصوير يظهر عليه شيا فشيا ولا يري المصور ولا الاله فسبحانه ما اعظم شانه واباهر برهانه
فيا لله العجب ممن يري نقشا حسنا علي جدار فيتعجب من حسنه وحذق صانعه ثم لا يزال يستعظمه ثم ينظر الي
هذه العجايب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوره فلا تدهشه عظمته ولا تحيره جلاله وحكمته
ولما كان الانسان مركبا من روح خفيف طاهر وبدن هو مركب الحظوظ والشهوات واللوم والدنيات
فكان الروح بكماله والبدن بنقايصه يتعالجان كل منهما يريد ان يغلب صاحبه قوي سبحانه الروح بالشرع
الداعي الي معالي الاخلاق الناهي عن مساويها المبين لذلك غاية البيان علي يد انسان طبعه سبحانه علي الكمال
ليقدر علي التلقي من الملايكة فيكمل ابنا نوعه فدل علي ذلك بحال بناها منه ضمير العظمة فقال مبينا للغاية
نبتليه اي نعامله بما لنا من العظمة بالامر والنهي والوعظ معاملة المختبر ونحن اعلم به منه ولكنا فعلنا
ذلك لنقيم عليه الحجة علي ما يتعارفه الناس فان العاصي لا يعلم انه اريد منه العصيان وكذا الطايع فصا
التكليف بحسب وجهه لما خلق له تعالي من القوة والقدرة الصالحة في الجملة ولما ذكر الغاية اتبعها
الاعدادات المصححة لها فقال **فجعلناه** اي بما لنا من العظمة بسبب ذلك **سميعا** اي بالغ السمع **بصيرا**
اي عظيم البصر والبصيرة ليتمكن من مشاهدة الدلايل ببصره وسماع الايات بسمعه ومعرفة الحجج ببصيرته
فيصح تكليفه وابتلاوه وقدم العلة الغائية لانها متقدمة في الاستحضار علي التابع لها المصحح لورودها
وقدم السمع لانه انفع في المخاطبات ولان الايات المسموعة ابين من الايات المرئية قال الرازي في اللوامع
والي هنا انتهي الجبر النظري ثم يبتدي منه الاختيار الكسبي انتهي وذلك بنفخ الروح وهي حادثة بعد حدوث البدن
باحداث القادر المختار لها بعد تهيئة البدن لقبولها ثم افاض سبحانه علي الجملة العقل وجعل السمع والبصر
الذين له ولعله خصهما لانهما انفع الحواس ولان البصر يفهم البصيرة وهي تتضمن الجميع وجعل سبحانه له ذلك
لاستقرا صور المحسوسات وانتزاع العلوم الكلية منها وبذلك يكمل علمه الذي منه الدفع عن نفسه التي
جعلها الله محل التكليف ليكمل تكليفه وذلك انه سبحانه ركبه من العناصر الاربعة وجعل صلاحه بصلاحها
وفساده بفسادها لتغالبها فاضطر الي قوي يدرك بها المنافي فيجتنبه والملايم فيطلبه فرتب له سبحانه
الحواس الخمس الظاهرة فجعل السمع في الاذن والبصر في العين والذوق في اللسان والشم في الانف
وبث اللمس في ساير البدن ليدفع به عن جميع الاعضا ما يوذيها وهذه الحواس الظاهرة تنبعث عن قوة

باطنة

باطنة تسمي الحس المشترك تحمل ما ادركته فيرتسم هناك وهو في مقدم البطن الاول من الدماغ وينتقل ما ارتسم
هنا الي خزانة الخيال وهي في موخر هذا البطن من الدماغ فتحفظ فيها صورته وان غابت عن الحواس وثم
قوة اخري من شانها ادراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات الشخصية كعداوة زيد وصداقته تسمي الوهم
ومحلها الدماغ كله والاخص بها التجويف الاوسط وخصوصا موخره وقوة اخري ايضا شانها خزن ما ادركته
القوة الوهمية من المعاني الجزئية تسمي الحافظة باعتبار والذاكرة باعتبار ومحلها التجويف الموخر في الدماغ
وقوة اخري من شانها تفتيش تلك الخزاين وتركيب بعض مودعاتها مع بعض وتفصيل بعضها من بعض ومحلها
وسلطانها في اول التجويف الاوسط وتلك القوة تسمي متخيلة باعتبار تصريف الوهم لها ومفكرة باعتبار
استعمال النفس لها وقد اقتضت الحكمة الربانية تقديم ما يدرك الجرمية وتاخير ما يدرك المعاني الروحانية
وتوسيط المتصرف فيهما بالحكمة والاسترجاع للامثال المنمحية من الجانبين ثم لا تزال هذه القوي تخدم ما
فوقها كما خدمتها الحواس الي ان يصير عقلا مستفادا وهو قوة للنفس بها يكون له حضور المعقولات بالفعل
وهذا العقل هو غاية السلوك الطلبي للانسان وهو الرئيس المطلق المخدوم للعقل بالفعل وهو القوة
التي تكون للنفس بها اقتدار علي استحضار المعقولات الثانية وهو المخدوم للعقل الهيولاني المشبه بالهيولي
الخالية في نفسها عن جميع الصور وهو قوة من شانها الاستعداد المحض لدرك المعقولات باستعمال الحواس
في تصفح الجزئيات واستقرايها المخدومات كلها للعقل العملي وهو القوة النظرية المخدوم للوهم المخدوم لما
بعده من الحافظة وما قبله من المتخيلة المخدومتين للخيال المخدوم للحس المشترك المخدوم للحواس الظاهرة ولما
كان كانه قيل هيئه خلق هكذا فكان ماذا قال شفا لعي هذا السوال وبيانا لنعمة الامداد **انا** اي بما لنا
من العظمة **هديناه** اي بينا له لاجل الابتلا **السبيل** اي الطريق الواضح الذي لا طريق في الحقيقة
غيره وهو طريق الخير الذي من حاد عنه ضل وذلك بما انزلنا من الكتب وارسلنا من الرسل ونصبنا
من الدلايل في الانفس والافاق وجعلنا له من البصيرة التي يميز بها بين الصادق والكاذب وكلام الخلق
وكلام الخالق والحق والباطل **ولما** كان الانسان عند البيان قد كان منه قسمان وكان السياق
لبيان تعظيمه بانه خلاصة الكون والمقصود من الخلق قال مبينا حالا من ضميره في هديناه مقسما له
مقدما القسم الذي انعم عليه بالبيان بنعمة الهداية بخلق الايمان لان ذلك انسب بذكر تشريفه للانسان
بجعله خلاصة الوجود وبقوله ان رحمتي سبقت غضبي في سياق ابتدا الخلق معبرا باسم الفاعل الخالي عن
المبالغة لانه لا يقدر احد ان يشكر جميع النعم فلا يسمي شكورا الا بتفضيل من ربه عليه **اما شاكرا** اي لانعام
ربه عليه **ولما** كان الانسان لما له من النقصان لا ينفك غالبا عن كفر ما اي بصيغة المبالغة تنبيها له علي
ذلك معرفا له انه لا ياخذه الا بالتوغل فيه ليعرف نعمة الحلم عنه فيحمله الخجل علي الاقبال علي من يرضي منه
بقليل الشكر ويحتمل ان يفهم ذلك ان من كفر نعمة واحدة فقد كفر الجميع فصار بليغ الكفر فقال **واما كفورا**
اي بليغ الكفر بالاعراض والتكذيب وعبادة الغير والمعاندة فاحسانه غير موقوف واساته مغرطة وبدا بالشاكر
لانه الاصل روي الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال كل مولود يولد
علي الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه الحديث ورواه احمد بن منيع عن ابن عباس رضي الله
عنهما ورواه الامام احمد عن جابر رضي الله عنه ولفظه كل مولود يولد علي الفطرة حتي يعرب عنه لسانه
اما شاكرا واما كفورا ورواه احمد ايضا وابو يعلي عن الاسود بن سريع رضي الله عنه **ولما** قسمهم
الي القسمين ذكر جزا كل قسم فقال مستانفا جواب من يسال عن ذلك مبشرا للشاكر الذي استعد بعروجه
في مراقي العبادات الي ملكوت العلويات لروح وريحان وجنة نعيم ومنذرا للكافر الذي استعد
بالهبوط في دركات المخالفات الي التقيد بالسفليات لنزل من حميم وتصلية جحيم مقدما العاصي لان

طريق النشر المشوش افصح وليعادل البداة بالشاكر في اصل التقسيم ليتعادل الخوف والرجا وليكون الشاكر
اولا وآخرا ولان الانقياد بالوعيد اتم لانه ادل على القدرة لاسيما في حق اهل الجاهلية الذين بعدت عنهم معرفة
التكاليف الشرعية واكثر في القران العظيم من الدعا بالترغيب والترهيب لانه الذي يفهمه الجهال الذين هم
اغلب الناس دون الحجج والبراهين فانه لا يفهمها الا الخواص واكد لاجل تكذيب الكفار **انا** اي على ما لنا من العظمة
اعتدنا اي هيانا واحضرنا بشدة وغلظة **للكافرين** اي العريقين في الكفر خاصة وقدم الاسهل في العذاب
فالاسهل ترقيا فقال **سلاسل** يقادون ويوثقون بها وقراءة من نون مشيرة الى انها عظيمة جدا وكذا وقف
ابي عمرو عليه بالالف مع المنع من الصرف **واغلالا** اي جوامع تجمع ايديهم الى اعناقهم فيهانون بها **وسعيرا**
اي نارا حامية جدا شديدة الاتقاد **ولما** اوجز في جزا الكافر اتبعه جزا الشاكر واطنب فيه تاكيدا
للترغيب فان النفوس بعد كسر الوعيد لها تهتز لادنى وعد واقله فكيف باتمه واجله فقال مستانفا
مؤكدا لتكذيب الكافر مبتديا بذكر الخمر على هذه الصفة في اسمى ما يكون من رغد العيش لانه يلزم من شربها
جميع مقدماتها ومتمماتها **ان الابرار** بخصوصهم من عموم الشاكرين جمع بر كارباب جمع رب او بار كاشهاد جمع
شاهد وهم الذين سمت هممهم عن المستحقرات فظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة فانفوا من مساكنة الدنيا
يشربون اي ما يريدون شربه **من كاس** اي خمر قاله الحسن وهو اسم لقدح تكون فيه **كان مزاجها**
اي الذي تمزج به **كافورا** لبرده وعذوبته وطيب عرفه وذكر فعل الكون يدل على ان له شانا في المزج عظيما
يكون فيه كانه من نفس الجبلة لا كما يعهد **ولما** كان الكافور على ما نعهده جامدا بين ان هناك ليس كذلك
فقال مبدلا من كافورا **عينا يشرب بها** اي بمزاجها كما تقول شربت الما بالعسل **عباد الله** اي خواص الملك
الاعظم اولياؤه اي شراب ارادوا **ولما** كان المزاج يتكلف لنقله قال **يفجرونها تفجيرا** اي حال كونهم
يشققونها ويجرونها بغاية الكثرة اجرا حيث ارادوا من مساكنهم وان علت وغيرها **ولما** ذكر جزاهم على برهم
المبين لشكرهم اتبعه تفصيله فقال مستانفا بيانا لان شكرهم بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وعمارة
الظاهر والباطن لانهم جمعوا ابين كرم الطبع ولطافة المزاج الحامل على تجويز الممكن المقتضي للايمان بالغيب **يوفون**
اي على سبيل الاستمرار **بالنذر** وهذا كناية عن وفايهم بجميع انحا العبادة لان من وفى بما اوجبه على نفسه
كان بما اوجبه الله من غير واسطة اوفى ويجوز ان يكون النذر كلما تقدم اليهم فيه سبحانه **ولما** دل وفاؤهم
على سلامة طباعهم قال عاطفا دلالة على جمعهم للامرين المتعاطفين انهم يفعلون الوفا لا لاجل الخوف بل لكرم الطبع
ويخافون اي مع فعلهم للواجبات **يوما كان** اي كونا هو في جبلته **شره** اي ما فيه من الشدايد **مستطيرا** اي
موجود الطيران وجودا كانه بغاية الرغبة فيه فهو في غاية الانتشار والخوف ادل دليل على عمارة الباطن فلولا
وما فارق الخوف قلبا الا خرب من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل فالخوف لاجتناب الشر والوفا لاجتلاب
الخير **ولما** كان من خاف شيا سعى في الامن منه بكل ما عساه ينفع فيه وكان قد ذكر تدرعهم منه بالوفا
اتبعه المندوب دلالة على انهم لا ركون لهم الى الدنيا ولا وثوق بها فقد جمعوا الى كرم الطبع بالوفا ورقة
القلب شرف النفس بالانسلاخ من الفاني فقال **ويطعمون الطعام** اي على حسب ما يتيسر لهم من عال ودون
على الدوام **ولما** كان الانسان قد يسمح بما لا يلذ له قال **على حبه** اي حبهم اياه هو في غاية المكنة منهم
والاستعلا على قلوبهم لقلته وشهوتهم له وحاجتهم اليه كما قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليفهم
انهم للفضل اشد بذلا **ولهذا** قال صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم اي
الصحابة رضي الله عنهم ولا نصيفه لقلة الموجود اذ ذاك وكثرته بعد **مسكينا** اي محتاجا احتياجا يسيرا فصاحب
الاحتياج الكبير اولى **ويتيما** اي صغيرا لا اب له ذكرا كان او انثى **واسيرا** اي في ايدي الكفار او اعم من
ذلك ليدخل فيه المملوك والمسجون والكافر الذي في ايدي المسلمين وقد نقل في غزوة بدر ان بعض الصحابة

رضي الله عنهم

رضي الله عنهم كان يؤثر اسيره على نفسه بالخبز وكان الخبز اذ ذاك عزيزا حتى كان ذلك الاسير يعجب من مكارمهم
حتى كان ذلك مما دعاه الى الاسلام وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لما دفعهم اليهم قال استوصوا بهم
خيرا وفي حكم الاسير الحقيقي كل مضرور يفعلون ذلك والحال انهم يقولون بلسان الحال او المقال ان احتيج
اليه ازاحة لتوهم المن او توقع المكافاة مؤكدين اشارة الى ان الاخلاص امر عزيز لا يكاد احد يصدق انه
ياتي لاحد **انما نطعمكم** اي ايها المحتاجون **لوجه الله** اي لذات الملك الذي استجمع الجلال والاكرام لكونه امرنا
بذلك وعبر به لان الوجه الذي يستحيى منه ويرجى ويخشى عند رؤيته **ولما** اثنوا بهذا الاخلاص حققوه
بنفي ما يعبر فيه وفسروه بما لا يكون الا به فقالوا **لا نريد منكم** اي لاجل ذلك **جزا** اي لنا من اعواض الدنيا
ولا شكورا بشي من قول ولا فعل وكانه اختير هذا المصدر المزيد كالدخول والخروج والقعود دائما الى ان
المنتهي ما يتكلف له واما مثل المحبة والدعا فلا ولو ارادوا شيا من ذلك لما كان لله **وروي** في سبب نزول
هذه الاية ان عليا وابنيه وامهما فاطمة رضي الله عنهم آثروا على انفسهم ثلاثة ايام واصبحوا الرابع يرتعشون
فلما راهم النبي صلى الله عليه وسلم ساه ذلك فاتاه جبريل عليه السلام بهذه السورة مهنيا له بها ولا يستبعد
الصبر على الجوع هذه المدة لانه ربما كانت للنفس هيئة قوية من استغراق في محبة الله تعالى او غير ذلك فيبطنه
الى البدن فتشغل الطبيعة عن تحليل الاجزا فلا يحصل الجوع كما انا نشاهد الانسان يبقى في المرض الحاد مدة من
غير تناول لشي من غذا ولا يتاثر بدنه لذلك فلا بدع ان تقف الافعال الطبيعية في حق بعض السالكين وهو احد
القولين في قول النبي صلى الله عليه وسلم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقين **ولما** كانت الانفس مجبولة
على حب الجزا والثنا فكان لا يكاد يصدق ان احدا يفعل ما لا يقصد به شيا من ذلك وكان الله سبحانه قد من
علينا بان جعل العبادة لاجل خوفه ورجائه لا تقدح في الاخلاص عللوا قولهم هذا على وجه التاكيد بقولهم
انا نخاف **ولما** كان الخوف من المحسن بالنظر الى احسانه موجبا للخوف منه بالنظر الى عزه وجبروته وسلطانه
من باب الاولى قالوا **من ربنا** اي الخالق لنا المحسن الينا **يوما** اي اهوال يوم هو في غاية العظمة وبينوا عظمه
بقولهم **عبوسا** اي ضيقا قاله ابن عباس رضي الله عنهما نسبوا العبوس اليه لانه في شدته كالاسد الغضوب
فهو موجب لعبوس الوجوه فيه او هو لعبوسة اهله كليله قايم ونهاره صايم وعيشة راضية **قمطريرا** اي طويلا
قاله ابن عباس رضي الله عنهما او شديد العبوس مجتمع الشر كالذي يجمع بين عينيه ماخوذ من القطر لانه يوم
يكون عابسا وزيد فيه الميم وبولغ فيه بالصيغة وهو يوم القيمة يقال اقمطر اليوم فهو مقمطر اذا كان
صعبا شديدا **ولما** كان هذا فعلهم خالصا لله سبب عنه جزاهم فقال مخبرا انه دفع عنهم المضار وجلب
لهم المسار **فوقاهم الله** اي الملك الاعظم بسبب خوفهم **شر ذلك اليوم** اي العظيم واشار الى نعيم
الظاهر بقوله **ولقاهم** اي تلقية عظيمة فيه وفي غيره **نضرة** اي حسنا ونعمة تظهر على وجوههم
وعيشا هنيا والى نعيم الباطن بقوله **وسرورا** اي دائما في قلوبهم في مقابلة خوفهم في الدنيا وعبوس الكفار
في الاخرة وحزنهم وهذا يدل على ان وصف اليوم بالعبوس للدلالة على المبالغة في عبوس اهله واشار الى
المسكن بقوله **وجزاهم بما صبروا** اي بسبب ما اوجدوه من الصبر على العبادة في لزوم الطاعة
واجتناب المعصية ومنع انفسهم الطيبات وبذل المحبوبات **جنة** اي بستانا جامعا ياكلون منه ما يشتهون
جزا على ما كانوا يطعمون **ولما ذكر** ما يكسو الباطن ذكر ما يكسو الظاهر فقال **وحريرا** اي هو في
غاية العظمة **ولما** ذكر انه كفاهم الخوف وحباهم الجنة اتبعه حالهم فيها فقال دالا على راحتهم الدايمة
متكين فيها اي لان كل ما ارادوه حضر اليهم من غير حاجة الى حركة اصلا ودل على الملك بقوله **على الارايك**
اي الاسرة العالية التي في الحجال لا تكون اريكة الا مع وجود الحجلة وقال بعضهم هي السرير المتخذ في قبة
عليه شواره ونجده اي متاعه وهي مشيرة الى الزوجات لان العادة جارية بان الارايك لا تخلو عنهن بل هي

لهن لاستمتاع الازواج بهن فيها ولما كانت بيوت الدنيا وبساتينها تحتاج الي الاشتغال منها من موضع
الي موضع لاجل الحر او البرد بين ان جميع ارض الجنة وغرفها سوا في لذة العيش وسبوغ الظل واعتدال الامر
فقال نافيا ضر الحر ثم البرد لا يرون فيها اي بابصارهم ولا ببصايرهم اصلا شمسا اي ولا قمرا ولا
يرون فيها ببصايرهم اي لا يحسون زمهريرا اي بردا شديدا من عدا ولا حرا فالاية من الاحتباك
ذكر نفي الشمس اولا على نفي القمر لان ظهوره بها وذكر نفي الزمهرير الذي هو سبب البرد ثانيا على
نفي الحر الذي سببه الشمس فافاد هذا ان الجنة غنية عن النيرين لانها نيرة بذاتها واهلها غير محتاجين
الي معرفة زمان لانه لا تكليف فيها بوجه وانها ظليلة ومعتدلة دايما لان سبب الحر الان قرب الشمس
من مسامتة الرؤس وسبب البرد بعدها عن ذلك ولما كانت ترجمة هذا كما مضى جنة ظليلة
ومعتدلة عطف عليه بالواو دلالة على تمكن هذا الوصف وعلى اجتماعه مع ما قبله قوله ودانية
اي قريبة مع الارتفاع عليهم ظلالها من غير ان يحصل منها ما يزيل الاعتدال وذللت قطوفها جمع
قطف بالكسر وهو العنقود واسم للثمار المقطوفة اي المجنية تذليلا اي سهل تناولها تسهيلا
عظيما لا يرد اليد عنها بعد ولا شوك لكل من يريد اخذها على اي حالة كان من اتكا وغيره فان كانوا قعودا
تدلت اليهم وان كانوا قياما وكانت على الارض ارتقت اليهم وهذا جزاؤهم على ما كانوا يذللون انفسهم
لامر الله ولما كان الدوران بالانية متجددا عبر فيه بالمضارع وبناه للمفعول ايضا لان المقصود
مطلقا من غير تعيين طايف فقال ويطاف اي من اي طايف كان لكثرة الخدم عليهم بانية جمع انا جزا
على طوافهم على المحتاجين بما يصلحهم ولما كان مقصودها ترهيب الانسان الموبخ في سورة القيمة
من الكفر وكان الانسان ادنى اسنان المخاطبين في مراتب الخطاب اقتصر في الترغيب على شرف الانية
على الفضة دون الذهب المذكور في فاطر والحج المعبر فيهما بالناس فلعل هذا الصنف وذاك لصنف اعلى
منه مع امكان الجمع والمعاقبة واما من هو اعلى من هذين الصنفين من الذين امنوا ومن فوقهم فلهم
فوق هذين الجوهرين من الجواهر ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال من فضة
اي اسمه ذلك واما الحقيقة فاين الثريا من يد المتناول ولما جمع الانية خص فقال واكواب
جمع كوب وهو كوز لا عروة له فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج عند التناول الي الادارة
كانت اي تلك الاكواب كونا هو من جبلتها قواريرا اي كانت بصفة القوارير من الصفا والرقة والشفوف
والاشراق والزهارة جمع قارورة وهي ما قر فيه الشراب ونحوه من كل انا رقيق صاف وقيل هو خاص
بالزجاج ولما كان هذا راس اية وكان التعبير بالقارورة ربما افهم او اوهم انها من الزجاج وكان
في الزجاج من النقص سرعة الانكسار لافراط الصلابة قال معيدا للفظ الاول الاية الثانية تاكيدا
للاتصاف بالصالح من اوصاف الزجاج وبيانا لنوعها قواريرا من فضة اي جمعت صفتي الجوهرين المتباينين
صفا الزجاج وشفوفه وبريقه وبياض الفضة وشرفها ولينها وقراءة من نون الاثنين صارفا ما من
حقه المنع مشيرة الي عظمتها وامتداد كثرتها وعلوها في الفضل والشرف وقراءة ابن كثير في الاقتصار
على تنوين الاول للتنبيه على انه راس اية والثاني اول التي بعدها مع افهام العظمة لان الثاني اعادة للاول
لما تقدم من الافادة فكانه منون ووقف ابو عمرو على الاول بالالف مع المنع في الصرف لان ذلك كاف في
الدلالة على انه راس اية ولما كان الانسان لا يحب ان يكون الانا ولا ما فيه من ماكول او مشروب
زايدا عن حاجته ولا ناقصا عنها قال قدروها اي في الذات والصفات تقديرا اي على مقادير الاحتياج
من غير زيادة ولا نقص لان ما اراده كل منهم كان لا كلفة ولا كدر ولا نقص ولما ذكر الاكواب اتبعها
غايتها فقال تخصيصا بالعطف على ما تقديره يسقون فيها ما تشتهي انفسهم وتلذ اعينهم ويسقون ممن

اراده

اراده من خدمهم الذين لا يحصون كثرة فيها اي الجنة او تلك الاكواب كاسا اي خمرا في انا كان مزاجها
على غاية الاحكام زنجبيلا هو في غاية اللذة وكانت العرب تستلذ الشراب الممزوج به لهضمه وتطييبه
الطعم والنكهة ولما كان الزنجبيل عندنا شجرا يحتاج في تناوله الي علاج ابان انه هناك عين لا يحتاج
في صيرورته زنجبيلا الي ان تحيله الارض بتخميره فيها حتى يصير شجرا يتحول عن طعم الما الي طعم الزنجبيل خرقا
للعوايد عينا فيها اي الجنة يمزج بها شرابهم كما تمزج بالما ولما كان الزنجبيل يلذع الحلق فتصعب
اساغته قال تسمى اي لسهولة اساغتها ولذة طعمها وسمو وصفها سلسبيلا والسلسبيل والسلسل والسلسال
ما كان من الشراب غاية في السلاسة زيدت فيه البا دلالة على المبالغة في هذا المعنى قالوا وشراب الجنة
في برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع ولما ذكر المطوف به لانه الغاية المقصودة
وصف الطايف لما في طوافه من العظمة المشهودة تصويرا لما هم فيه من الملك بعد نجاته من الهلك ويطوف
عليهم اي بالشراب وغيره من الملاذ والحاب ولدان اي غلمان هم في سن من هو دون البلوغ اقل اهل
الجنة من يخدمه الف غلام مخلدون اي تحكم من لا يرد حكمه بان يكونوا كذلك دايما من غير علة ولا ارتفاع
عن ذلك الحد مع انهم مزينون بالخلد وهو الحلق والاساور والقرطة والملابس الحسنة اذا رايتهم اي يا اعلى
الخلق وانت ابت الناس نظرا وابهم الراي من كان في اي حالة رايتهم فيها حسبتهم من بياضهم وصفا الوانهم
ولمع انوارهم وانعكاس شعاع بعضهم الي بعض وانبثاثهم في المجالس ذهابا وايابا لؤلؤا منثورا وذلك كناية
عن كثرتهم وانتشارهم في الخدمة وشرفهم وحسنهم وعن ان لؤلؤ الجنة في غاية الكبر والعظمة واختلاف الاشكال
وكانه عبر بالحسبان اشارة الي ان ذلك مطلق تجويز لا مع ترجيح قال بعض المفسرين هم غلمان ينشيهم الله
لخدمة المؤمنين وقال بعضهم هم اطفال المؤمنين لانهم ماتوا على الفطرة وقال ابن برجان واري والله اعلم انهم من
علم الله ايمانه من اولاد الكفار يكونون خدما لاهل الجنة كما كانوا لهم في الدنيا سبيا وخداما واما اولاد المومنين
فيلحقون بابايهم بسنا قد لما وسرورا لهم ويويد هذا قوله صلى الله عليه وسلم في ابنه ابراهيم عليه السلام
انه لظير اتم رضاعه في الجنة فانه يدل على استقبال شانه فيما هنالك وتنقله في الاحوال كالدنيا ولا دليل على
خصوصيته بذلك ولما ذكر المخدوم والخدم ذكر المكان فقال واذا رايت اي اجلت بصرك وحذف
مفعوله ليشيع ويعم ثم اي هناك في اي مكان كان واي شي كان رايت نعيما اي ليس فيه كدر بوجه من
الوجوه ولما كان النعيم قد يكون في حالة وسطى قال وملكا كبيرا اي لم يخطر على بال بما هو فيه من
السعة وكثرة الوجود والعظمة ادناهم وما فيهم دني الذي ينظر في ملكه مسيرة الف عام يري اقصاه كما يري
ادناه ومهما اراده كان ولما ذكر الدار وساكنيها من مخدوم وخدم ذكر لباسهم بانيا حالا من الفاعل
والمفعول عاليهم اي حال كون الخادم والمخدوم يعلو اجسامهم على سبيل الدوام وسكن نافع وحمزة اليا
على انه مبتدا وخبر شارح للملك على سبيل الاستيناف ثياب سندس وهو مارق من الحرير خضر رفعه
الجماعة صفة لثياب وجره ابن كثير وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم صفة لسندس حملا على المعنى فانه
اسم جنس واستبرق وهو ما غلظ من الديباج يعمل بالذهب او هو ثياب حرير صفاق نحو الديباج قاله في
القاموس رفعه ابن كثير ونافع وعاصم نسقا على ثياب وجره الباقون على سندس ولما كان المقصود
لارباب اللباس الفاخر الحلية اخبر عن تحليتهم وبنى الفعل للمفعول دلالة على تيسر ذلك لهم وسهولته عليهم
فقال وحلوا اي وجدت تحلية المخدومين والخدم اساور من فضة وان كانت تتفاوت بتفاوت الرتب
وتقدم سر تخصيص هذه السورة بالفضة والاساور تجمع ما فيها من لذة الزينة لذة اتساع الملك فانها
كناية عنه لانه كما قال الملوي كان في الزمن القديم اذا ملك ملك اقاليم عظيمة كثيرة لبس سوارا وسمي
الملك المسور لاتساع مملكته وعظمها وكثرة اقاليمها وان لم تجمع اقاليم لم يسور فما ظنك بمن اعطي من

ذلك جمع الكثرة وهي بالغة من الاعضا ما يبلغه التحجيل في الوضوء كما قال صلى الله عليه وسلم الحلية من
المؤمن حيث يبلغ الوضوء فلذا كان ابو هريرة رضي الله عنه يرفع الى المنكبين والى الساقين ولما كان
ربما ظن بما تقدم من ذلك الممزوج شي من نقص لاجله يمزج كما هو في الدنيا وكان قد قال اولا يشربون
بالبنا للفاعل وثانيا يسقون بالبنا للمفعول قال ثالثا بانيا للفاعل بيانا لفضل ما يسقونه في نفسه وفي
كونه من عند الاله الاعظم المتصف بغاية الاحسان على صفة من العظمة تليق باحسانه سبحانه
بما افاده اسناد الفعل اليه وسقاهم وعبر بصفة الاحسان تاكيدا لذلك فقال ربهم اي الموجد لهم
المحسن اليهم المدبر لمصالحهم شرابا طهورا اي ليس هو كشراب الدنيا سوا كان من الخمر او من الما او من
غيرهما بل هو بالغ الطهارة والوصف بالشرابية من العذوبة واللذة واللطافة وهو مع ذلك اله للتطهير
البالغ للغير فلا يبقي في بواطنهم غش ولا وسواس ولا يريدون الا ما يرضي مليكهم مما اسس على غاية الحكمة
وفاق كامل وسجايا مطهرة واخلاق مصفاة لا عوج فيها ولا يستحيل شي من شرابهم الى نجاسة من بول
ولا غيره بل يصير رشحا كرشح المسك ويعطي الرجل شهوة ماية رجل في الاكل وغيره فاذا اكل شرب فطهر
باطنه ورشح منه المسك فعادت الشهوة بل الحديث يدل على ان شهوتهم لا تنقضي اصلا فانه قال يجد لاخر
لقمة من اللذة ما يجد لاولها يفعل بهم هذا سبحانه قايلا لهم مؤكدا تسكينا لقلوبهم لئلا يظنوا ان ما
هم فيه على وجه الضيافة ونحوها فيظنوا انقطاعه ان هذا اي الذي تقدم من الثواب كله كان كونا
ثابتا لكم بتكويني اياه من قبل موتكم جزا اي على اعمالكم التي كنتم تجاهدون فيها انفسكم عن هواها الى ما يرضي
ربكم فكنتم كلما عملتم عملا كونت من هذا ما هو جزا له وكان اي على وجه الثبات سعيكم ولما كان
المقصود القبول لان القابل الشاكر هو المعمول له بني للمفعول قوله مشكورا اي لا نضيع شيا منه ونجازي
باكثر منه اضعافا مضاعفة ولما ذكر انه بين للناس السبيل فانقسموا الى مبصر شاكر واعمى كافر
واتبعه جزا الكافرين والشاكرين وختمه بالشراب الطهور الذي من شانه ان يحيي ميت الاراضي
كما ان العلم الذي منبعه القران يحيي ميت القلوب وسكن القلوب بتابيد الجزا وختم الكلام بالشكر
كما بدايه وكان نصب ما يهدي جميع الناس امرا لا يكاد يصدق قال ذاكرا لما اشرف به النبي صلى
الله عليه وسلم في الدنيا قبل الاخرة وجعل الشراب الطهور جزا له لما بينهما من المناسبة على سبيل
التاكيد واكده ثانيا بما افاد التخصيص لما لهم من الانكار ولتطمين انفس اتباعه بما حث عليه من الصبر
الى وقت الاذن في القتال انا نحن اي على ما لنا من العظمة التي لا نهاية لها لا غيرنا نزلنا عليك
وانت اعظم الخلق انزالا استعلى حتى صار المنزل خلقا لك القران اي الجامع لكل هدى الحافظ
من الزيغ كما تحفظ الطب للصحيح صحة المزاج الشافي لما عساه يحصل من الادوا بما يهدي اليه من العلم
والعمل وزاد في التاكيد لعظم انكارهم فقال تنزيلا اي على التدريج بالحكمة جوابا للمسايل ورفقا بالعباد
فدرجهم في وظايف الدين تدريجا موافقة للحكمة ولم يدع لهم شبهة الا اجاب عنها وعلمهم جميع الاحكام
التي فيها رضانا واتاهم من المواعظ والاداب والمعارف بما ملا الخافقين وخصصناك به شكرا على
سيرتك الحسنى التي كانت قبل النبوة وتجنبك كل ما يدنس فلما كان بتنزيلنا كان جامعا للهدى بما لنا
من احاطة العلم والقدرة فلا عجب في كونه جامعا لهدى الخلق كلهم لم يدع لهم في شي من الاشيا لبسا
وهي ناظرة الى قوله في القيمة لا تحرك به لسانك الملتفتة الى ما في المدثر من ان هل تذكرة الناظرة
الى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا المشيرة الى ما في سورة الجن من امر القران فالحاصل ان القران في تقرير
عظمة القران فانه المقصود بالذات لانه الاية الكبرى التي اذا ثبتت تبعها جميع المراد من الشريعة وتفريق
تقرير شانه اتقن ما يكون في احكام امره وذلك ان الحكيم اذا اهتم بشي افتتح الكلام به فاذا اى من تركه

الكثرة

انتقل

انتقل الى غيره على قانون الحكمة ثم يصير يرمي به في خلال ذلك رميا كانه غير قاصد له ولا يزال يفعل
ذلك حتى يتقرر امره غاية التقرر وتثبت في النفس من حيث لا تشعر ولما تقرر ان من الناس
من ترك الهدى الذي هو البيان فعمي عنه لاعراضه عنه تسبب عن هذا الانزال وذاكرا لضلالهم
قوله منبها على امراض القلوب ومرشدا الى دوايها فاصبر لحكم ربك اي المحسن اليك بتخصيصه لك بهذه
النعمة على ضلال من حكم بضلاله وعلى كل ما ينوبك واطعه في التعبد له بجميع ما امرك به من الرفق الى
ان يامرك بالسيف واستعن على مر الصبر باستحضار ان المربي الشفيق يربي بما يشا من المر والحلو
على حسب علمه وحكمته والصبر حبس النفس وضبطها على مقاومة الهوى لئلا تنقاد الى شي من قبايح اللذات
ولما امره سبحانه بالصبر وكان الامر به مفهما وجود المخالف وكان المخالفون له صلى الله عليه
وسلم هم القسم المضاد للشاكر وهم الكفرة وكان ما يدعونه اليه تارة مطلق اثم واخرى كفرا وتارة
غير ذلك ذكر النتيجة ناهيا عن القسمين الاولين ليعلم ان المسكوت عنه لا نهي فيه فقال ولا تطع
منهم اي الكفرة الذين هم ضد الشاكرين اثما اي داعيا الى اثم سوا كان مجردا عن مطلق الكفر او مضما
له او كفورا اي مبالغا في الكفر وداعيا اليه وان كان كبيرا او عظيما في الدنيا فان الحق اكبر من كل كبير
وذلك انهم كانوا مع شدة الاذى له صلى الله عليه وسلم يبذلون له الرغايب من الاموال والتمليك
والتزويج لاعظم نسايهم على ان يتبعهم على دينهم ويكف عما هو عليه والنهي عن الاحد المبهم نهي عن كل
منهما فان كلا منهما في انه يجب اجتنابه في رتبة واحدة وذروا ظاهر الاثم وباطنه وكذا الانتها عنه لا
يتحقق الا بالانتها عن كل منهما ولو عطف بالواو لم يفد ذلك لان نفي الاثنين لا يستلزم نفي كل منهما وافهم
ترتيب النهي على الوصفين انه اذا دعاه الكفار الى ما لا يتعلق به كفر ولا اثم جاز له قبوله ولما نهى عن
طاعتهما القاطعة عن الله امر بملازمة الموصل الى الله وهو الذكر من غير عايق الذي هو دوا لما عساه
يلحق من الادوا لمجرد رؤية الاثم او الكفور لارباب القلوب الصافية والذكر مقدم على كل عبادة فان
وضع العبادة لما كان طلبا للتوصل الى نيل معرفة الله سبحانه وكان التصور بحسب الاسم اول مراتب
التصور طبعا بذاته وضعا وذلك لان النفس تحب السفول لما لها من النقايص فاحتاجت الى سبب مشوق
لها الى الاعلى فوضعت لها العبادات واجلها العبادة المشفوعة بالفكر لانه السبب الموصل الى المقصود
ولا تفيد العبادة بدونه فقال واذكر اي بلسانك اسم ربك اي المحسن اليك بكل جميل بكرة عند قيامك
من منامك الذي هو الموتة الصغرى وتذكرك انه يحيي الموتى ويحشرهم جميعا واصيلا عند انقراض
نهارك وتذكرك انقراض دنياك وطي هذا العالم لاجل ايجاد يوم الفصل وفي ذكر الوقتين ايضا اشارة
الى دوام الذكر وذكر اسمه لازم لذكره ويجوز ان يكون امرا بالصلاة لانها افضل الاعمال البدنية لانها
اعظم الذكر لانها ذكر اللسان والجنان والاركان فوظفت فيها اذكار لسانية وحركات وسكنات على
هيات مخصوصة من عادتها ان لا تفعل الا بين ايدي الملوك فكان تنبيهها على وجود الصانع والاعتراف
بهيبته وتفرده اكثر فكانت افضل فيكون هذا على هذا امرا بصلاتي الصبح والعصر فانه لم يكن امر
في اول الاسلام بغيرهما وبهما امر من كان قبلنا وهما افضل الصلوات وكانتا ركعتين ويجوز ان يكون
امرا بصلاتي الصبح والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما لانه مطلق العشي واما المغرب
والعشا فنافلة الليل فدخلتا في قوله ومن الليل اي بعضه والباقي للراحة بالنوم فاسجد له اي
فصل له صلاتي المغرب والعشا وذكرهما بالسجود تنبيها على انه افضل الصلاة فهو اشارة الى ان الليل
موضع الخضوع وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص ومزيد الفضيلة لان
الالتفات فيه الى جانب الحق اتم لزوال الشاغل للحواس من حركات الناس واصواتهم وساير الاحوال

الدنيوية فكان ابعد عن الريا فكان الخشوع فيه واللذة التامة بحلاوة العبادة أوفى وَسَبِّحْهُ اي بالتهجد
لَيْلًا طَوِيلًا نصفه او اكثر منه او اقل ولعله سماه تسبيحا لان مكابدة القيام فيه وغلبة النوم بما فيه
من العظمة بالتنزه عن كل نقيصة ولانه لا يترك محبوبه من الراحة بالنوم الا من كان الله عنده في غاية النزاهة
وكان له في نهاية المحبة • ولما انهى امره بلازم النهي علل النهي بقوله محقرا باشارة القريب مؤكدا لما
لهم من التعنت بالطعن في كل ما يذكره صلى الله عليه وسلم إِنَّ هَؤُلَاءِ اي الذين يغفلون عن الله من الكفرة
وغيرهم فاستحقوا المقت من الله يُحِبُّونَ اي محبة تتجدد عندهم زيادتها في كل وقت الْعَاجِلَةَ اي ويأخذون
منها ويستحقون لما حفت به من الشهوات زمنا قليلا لقصور نظرهم وجمودهم على المحسوسات التي الاقبال
عليها منشا البلادة والقصور ومعدن الامراض للقلوب التي في الصدور ومن تعاطى اسباب المرض
مرض وسمي كفورا ومن تعاطى ضد ذلك شفي وسمي شاكرا ويكرهون الآخرة الآجلة وَيَذَرُونَ اي
يتركون منها على حالة هي من اقبح ما يسوؤهم اذا رأوه وَرَاءَهُمْ اي امامهم اي قدامهم على وجه الاحاطة بهم
وهم عنه معرضون كما يعرض الانسان عما وراءه او خلفهم لانه يكون بعدهم ولا بد ان يدركهم يَوْمًا اي منهم
ولما كان ما اعيى الانسان وشق عليه ثقل قال ثَقِيلًا اي شديدا جدا لا يطيقون حمل ما فيه من
المصايب بسبب انهم لا يعدون له عدته • فالاية من الاحتباك ذكر الحب والعاجلة اولا دلالة على ضدهما
ثانيا والترك والثقل ثانيا دلالة على ضدهما اولا • وسر ذلك ان ما ذكره ادل على سخافة العقل بعدم
التأمل للعواقب • ولما كان تركهم لليوم الثقيل على وجه التكذيب الذي هو اقبح الترك وكان تكذيبهم
لاعتقادهم عدم القدرة عليه قال دالا على الاعادة بالابتدا من باب الاولى نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ بما لنا من
العظمة لا غيرنا وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ اي قوينا واتقنا ربط مفاصلهم الظاهرة والباطنة بالاعصاب على
وجه الاحكام بعد كونهم نطفة امشاجا في غاية الضعف واصل الاسر القد تشد به الاقتاب او
الربط والتوثيق ولا شك ان من قدر على انشا شخص من نطفة قادر ان يعيده كما كان لان جسده الذي
انشاه ان كان محفوظا فالامر فيه واضح وان كان قد صار ترابا فابداعه منه مثل ابداعه من النطفة
واكثر ما فيه ان يكون كابيه آدم عليه السلام بل هو اولى فان ترابه له اصل في الحياة بما كان حيا وتراب
آدم عليه السلام لم يكن له اصل قط في الحياة والاعادة اهون في مجاري عادات الخلق من الابتدا
ولذلك قال معبرا باداة التحقق وَإِذَا شِئْنَا اي بما لنا من العظمة ان نبدل ما نشا من صفاتهم او
ذواتهم بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ اي بعد الموت في الخلقة وشدة الاسر تَبْدِيلًا او المعنى جينا بامثالهم بدلا منهم
وخلايف لهم او يكون المراد وهو اقعد بالمثل الشخص اي بدلنا اشخاصهم لتصير بعد القوة الى ضعف
وبعد الطول الى قصر وبعد البياض الى سواد وغير ذلك من الصفات كما شوهد في بعض الاوقات
في المسخ وغيره وكل ذلك دال على تمام قدرتنا وشمول علمنا ولما كان هذا دليلا عظيما على القدرة
على البعث محررا لهم قال مؤكدا لانكارهم عنادا إِنَّ هَذِهِ اي الفعلة البدايية او المواعظ التي ذكرناها في هذه
السورة وفي جميع القران تَذْكِرَةٌ اي موضع تذكر عظيم للقدرة على البعث وتذكر عظيم لما فعلت في الانشا اولا وموعظة
فان في تصفحها تنبيهات للغافلين وفي تدبرها وتذكرها فوايد جمة للطالبين السالكين ممن القى سمعه واحضر
قلبه فكانت نفسه مقبلة على ما القي اليه سمعه فمن اقبل هذا الاقبال علم انا اتيناه من الايات والدلايل ما ان
سلك معه مجتهدا او ضل دون ضلاله • وكذلك تسبب عن كونها تذكرة قوله من خطاب البسط فَمَنْ شَاءَ اي ان يجتهد
في وصوله الى الله اتَّخَذَ اي اخذ بجهده من مجاهدة نفسه وغالبته هواه إِلَى رَبِّهِ اي المحسن اليه الذي ينبغي
له ان يحبه بجميع قلبه ويجتهد في القرب منه سَبِيلًا اي طريقا واضحا واسعا سهلا بافعال الطاعة التي امرنا
لانا بينا الامور غاية البيان وكشفنا اللبس واذنا جميع موانع الفهم عمن شينا وركزنا ذلك في الطباع

فلم يبق مانع من استطراق الطريق اصلا غير مشيئتنا والفطرة الاولى اعدل شاهد بهذا • ولما اثبت لهم
المشيئة التي هي مناط التكليف وهي الكسب فكان ربما ظن ظان او ادعى مدع في خلق الافعال كما قال اهل
الاعتزال قال نافيا عنهم الاستقلال لا فتا القول الى خطابهم وهو مع كونه خطاب قبض استعطاف لهم الى
التذكر في قراة الجماعة وبالغيب على الاسلوب الماضي في قراة ابن كثير وابن عامر وَمَا تَشَاءُونَ اي في
وقت من الاوقات مشيئة من المشيئات لهذا وغيره على سبيل الاختراع والاستقلال إِلَّا وقت أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ من الملك الاعلى الذي له الامر كله ولا امر لاحد معه فيوجد المعاني في انفسكم على حسب ما يريد
ويقدر على ما يشا من آثارها • وقد صح بهذا ما قال الاشعرية وساير اهل السنة من ان للعبد مشيئة تسمى كسبا
لا تؤثر الا بمشيئة الله وتحريكها لقدرة العبد وانتفى مذهب القدرية الذين يقولون انا نحن نخلق افعالنا
ومذهب الجبرية القايلين لا فعل لنا اصلا • ومثل الملوي ذلك بمن يريد قطع بطيخة فاخذ سكينا وهياها
واوجد فيها اسباب القطع وازال عنها موانعه ثم وضعها على البطيخة فهي لا تقطع دون ان يتحامل عليها التحامل
المعروف لذلك ولو وضع عليها ما لم يصلح للقطع كخشبة مثلا لم يقطع ولو تحامل فالعبد كالسكين خلقه الله وهياه
بما اعطاه من القدرة للفعل فمن قال انا اخلق فعلي مستقلا به فهو كمن قال السكين تقطع بمجرد وضعها من غير تحامل
ومن قال الفاعل الله من غير نظر الى العبد اصلا كان كمن قال هو يقطع البطيخة بتحامل يده او قصبه ملساء من غير
سكين والذي يقول انه لا شي بقدرته المهياة للفعل بخلق الله لها وتحريكها في ذلك الفعل كمن قال ان السكين
قطعت بالتحامل عليها بهذا اجرى سبحانه عادته في الناس ولو شا غير ذلك فعل ولا يخفى ان هذا هو الحق الذي
لا مرية فيه ثم علل ذلك باحاطته بمشيئتهم قايلا إِنَّ اللَّهَ اي المحيط علما وقدرة كَانَ اي ازلا وابدا عَلِيمًا حَكِيمًا
اي بالغ العلم والحكمة فهو يمنع منعا محكما من ان يشا غيره ما لم يأذن فيه فمن علم في جبلته خيرا اعانه عليه
ومن علم منه الشر ساقه اليه وحمله عليه وهو معنى يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ اي ممن علمه اهلا للسعادة ليس بظالم
فِي رَحْمَتِهِ بحكمته فييسر له اتخاذ السبيل الموصل اليه بان يوفقه للعدل ويعد له ثوابا جسيما • ولما بشر
اهل العدل بالفعل المضارع المؤذن بالاستمرار ولم يجعله ماضيا لئلا يتعنت متعنت ممن هو متلبس بالضلال
فيقول انا لا اصلح لانه ما ادخلني عطف عليه ما لا يضادهم في جملة فعلية بناها على الماضي اعلاما بان عذابهم
موجود قد فرغ منه فقال وَالظَّالِمِينَ اي واهان العريقين في وصف المشي على غير سنن مرضي كالماشي في
الظلام فهو يدخلهم في نقمته وقد أَعَدَّ لَهُمْ اي اعدادا امضاه بعظمته فلا يزاد فيه ولا ينقص عَذَابًا أَلِيمًا
فالاية من الاحتباك ذكر الادخال والرحمة اولا دلالة على الضد ثانيا والعذاب ثانيا دلالة على الثواب اولا
وسر ذلك ان ما ذكره اولى بترغيب اهل العدل فيه وان سات حالهم في الدنيا وبترهيب اهل الظلم منه وان
حسنت حالهم في الدنيا • فقد رجع هذا الاخر المفصل الى السعادة والشقاوة على اولها المؤذن بان الانسان
معتنى به غاية الاعتنا وانه ما خلق الا للابتلا فهو اما كافر مغضوب عليه واما شاكر منظور اليه والله الهادي

مقصودها الدلالة على آخر الانسان من اثابة الشاكرين بالنعيم • واصابة الكافرين بعذاب الجحيم • في يوم الفصل
بعد جمع الاجساد • واحيا العباد • بعد طي هذا الوجود • وتغيير العالم المعهود • بما له سبحانه من القدرة على
ابنات النبات • وانشا الاقوات • وانزال العلوم • وابساع الفهوم • لاحيا الارواح • واسعاد الاشباح باسباب
خفية • وعلل مرئية وغير مرئية • وتطوير الانسان في اطوار الاسنان • وايداع الايمان فيما يرضي من الابدان •
وايجاد الكفران في اهل الخيبة والخسران • مع اشتراك الكل في البيان • في اساليب هذا القران • الذي عجز
الانس والجان • عن الاتيان بمثل اية منه على كثرتهم وتطاول الزمان • واسمها المرسلات وكذا العرف واضح في

الدلالة على ذلك لمن تدبر الاقسام وتذكر ما دلت عليه من معاني الكلام بسم الله الذي له القدرة
التامة على ما يريد الرحمن الذي له عموم الانعام على ساير العبيد الرحيم الذي خص اهل رضوانه
باتمام ذلك الانعام وعنده المزيد لما ختمت سورة الانسان بالوعد لاوليايه والوعيد لاعدايه
وكان الكفار يكذبون بذلك افتتح هذه بالاقسام على ان ذلك كاين فقال والمرسلات اي من الرياح
والملايكة عرفا اي لاجل القا المعروف من القران والسنة وغير ذلك من الاحسان ومن القا الروح
والبركة وتيسير الامور في الاقوات وغيرها او حال كونها متتابعة متكاثرة يتلو بعضها في اثر بعض من
قول العرب الناس الى فلان عرف واحد اذا توجهوا اليه فاكثروا ويقال جاوا عرفا واحدا وهم عليه
كعرف الضبع اذا تالبوا عليه ولما كان العصوف للعواصف يتعقب الهبوب عطف بالفا
تعقيبا وتسبيبا فقال فالعاصفات اي الشديدات المر من الرياح عقب هبوبها ومن الملايكة عقب
شقها للهوا بما لها من كبر الاجسام والقدرة على الاسراع التام عصفا اي عظيما بما لها من النتايج الصالحة
ولما كان نشر الرياح للسحاب متراخيا عن هبوبها ومتباطئا في الثوران وكذا نشر الملايكة لاجنحتها
كما يفعل الطاير القوي في طيرانه عطف بالواو الصالحة للمعية والتعقيب بمهلة وغيرها قوله والناشرات
اي للسحاب وللاجنحة على وجه اللين في الجو وللشرايع التي تنشر العدل بين الناس نشرا واذا راجعت
اول الذاريات ازددت في هذا بصيرة ولما كان السحاب يجتمع بعد الثوران من محال البخارات
ويتكاثف ثم يحمل الما وكان ذلك مع كونه معروفا قد تقدم في الذاريات والروم وغيرهما ثم بعد
الحمل تضغط السحاب حتى تتحامل بعضه على بعض فتنفرق هناك فرج تخرج منها ذلك وذكر هذا فقال
بالفا التعقيبية فالفارقات فرقا اي للسحاب حتى تخرج الودق من خلاله وللاجنحة وبين الحق والباطل
وللحب والنوى وغير ذلك من الاشيا ولما كانت السحاب عقب الفرق ينزل منها ما في ذلك
السحاب من ما او ثلج او برد او صواعق وغير ذلك مما يريد الله مما يبعث على ذكر الله ولا بد والملايكة
تلقي ما معها من الروح المحيي للقلوب قال معبرا بالفا التعقيب والتسبيب فالملقيات ذكرا اطلق عليه
الذكر لانه سببه ان كان محمول السحاب او محمول الملايكة وقد يكون محمول الملايكة ذكر الله حقيقة
ولا يخفى انهما سبب لاصلاح الدين والدنيا ولما ذكر هذه الاقسام عللها بقوله عذرا او نذرا
وهما منصوبان على الحال جمعا لعذير بمعنى المعذرة او العاذر ولنذير بمعنى الانذار والمنذر يعني
كانت هذه منقسمة الى عذر ان كانت الفت مطرا نافعا مريا مريعا غير ضار كان بعد قحط فانه يكون
كانه اعتذار عن تلك الشدة وان كانت الملايكة القت بشاير فهي واضحة في العذر لا سيما ان كانت
بعد انذار والى نذر ان كانت الفت صواعق وما في معناها من البرد الكبار ونحوها وكذا الملايكة
والكل سبب لذكر الله وهو سبب لاعتذار ناس بالتوبة وسبب لعذاب الذين يغفلون عن الشكر ويستقبلون
ذلك بالمعاصي او ينسبون ذلك الى الانوا ولما تمت هذه الاقسام مشتملة على امور عظام منبهة
على ان اسبابها من الرياح والمياه كانت مع الناس وهم لا يشعرون بها كما انه يجوز ان تكون القيمة كذلك
سوا بسوا قال ذاكرا المقسم عليه موكدا لاجل انكارهم انما اي الذي توعدون اي من العذاب في
الدنيا والاخرة ومن قيام الساعة ومن البشاير لاهل الطاعة وبناه للمفعول لانه المرهوب لا
كونه من معين مع انه معروف انه ما توعد به الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لواقع اي كاين
لا بد من وقوعه واسبابه عتيدة وان كنتم لا ترونها كما كان في هذه الاشيا التي اقسم بها وما تاثر عنها
وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير اقسم تعالى بالملايكة المتتابعين في الارسال والرياح المسخرة وولاية
بالمطر والملايكة الفارقة بما به بين الحق والباطل والملقيات الذكر بالوحي الى الانبيا اعذارا من الله وانذارا

اقسم تعالى

اقسم تعالى بما ذكر من مخلوقاته على ذكر الموعود به في قوله انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا
الايات وقوله انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا وقوله وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا الى وكان
سعيكم مشكورا وقوله ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وقوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد
لهم عذابا اليما ولو لم يتقدم الا هذا الوعد والوعيد المختتم به السورة لطابقه افتتاح الاخرى قسما
عليه اشد المطابقة فكيف وسورة هل اتى على الانسان براسها مواعد اخراوية واخبار جزايية فاقسم
سبحانه وتعالى على صحة الوقوع وهو المتعالي الحق وكلامه الصدق ولما كان من المعلوم انهم يقولون
استهزا متى هو وكان وقته مما استاثر الله بعلمه لان اخفاه عن كل احد اوقع في النفوس واهيب عند
العقول سبب عن ذلك قوله ما لا تحتمله العقول لتزداد الهيبة ويتعاظم الخوف معبرا باداة التحقق
فاذا النجوم اي على كثرتها طمست اي اذهب ضوها بايسر امر فاستوت مع بقية السما فدل طمسها على
ان لفاعله غاية القدرة واعاد الظرف تاكيدا للمعنى زيادة في التخويف فقال واذا السما اي على عظمها
فرجت اي انشقت فخربت السقوف وما بها من القناديل باسهل امر واذا الجبال اي على صلابتها
نسفت اي ذهب بها كلها بسرعة ففرقتها الرياح فكانت هبا منبثا فلم يبق لها اثر وذلك كما ينسف الحب
فزال ثبات الارض بالاسباب التي هي الرواسي لان تلك الدار ليست بدار اسباب ولما ذكر تغيير
السما والارض ذكر ما فعل ذلك لاجله فقال واذا الرسل اي الذين انذروا الناس ذلك اليوم فكذبوهم
وقتت اي بلغها الذي لا قدر سواه بامر ميقاتها الذي كانت منتظرة وهو وقت قطع الاسباب
وايقاع الرحمة والثواب للاحباب والنقمة والعقاب للاعدا بشهادتهم بعد جمعهم على الامم بما كان منهم
من الجواب وحذف العامل في اذا تهويلا له لتذهب النفس فيه كل مذهب فيمكن ان يكون تقديره وقع
ما توعدون فرايتم من هذا الوعيد ما لا تحتمل ولا تثبت لوصفه العقول وعلى ذلك دل قوله ملقنا لما
ينبغي ان يقال وهو لاي يوم اي عظيم اجلت اي وقع تاجيلها به بناه للمفعول لان المقصود تحقيق
الاجل لا كونه من معين وتنبيها على ان المعين له معلوم انه الله الذي لا يقدر عليه سواه ثم اجاب
عن هذا السوال بقوله مبدلا من لاي يوم ليوم الفصل اي الذي اذا اطلق ذلك لم ينصرف الا اليه
لانه لا يترك فيه شي الا وقع الفصل فيه بين جميع الخلق من كل جليل وحقير ثم هوله وعظمه بقوله
وما ادراك اي واي شي اعلمك وان اجتهدت في التعرف ثم زاد تهويلا بقوله ما يوم الفصل
اي انه امر يستحق ان يسال عنه ويعظم وكلما عظم بشي فهو اعظم منه ولا يقدر احد من الخلق على الوصول
الى علمه لانه لا مثل له يقاس عليه ولما هول امره ذكر ما يقع فيه من الشدة على وجه الاجمال
فقال ويل اي هلاك عظيم جدا يوميذ اي اذ يكون يوم الفصل للمكذبين اي بالمرسلات التي اخبرت
بذلك اليوم وغيره من امر الله والويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة
على ثبات معناه وقد كررت هذه الجملة بعدة المقسم به وما ذكر هنا مما يكون في يوم الفصل من الطمس
وما بعده وهو تسعة اشيا وزادت واحدة فتكون كل جملة لواحدة من المذكورات والعاشرة للتاكيد
دلالة على ان لهم من الويل ما لا ينتهي كما ان الواحد لا ينتهي على انها لو كانت كلها لتاكيد الاول لكان ذلك
حسنا فان من كذبك في اشيا كان من البلاغة ان تقرره بواحدة منها ثم تقول له عند قيام الدليل
ويل لك ثم تفعل فيما بعده كله كذلك وتعيد عليه ذلك القول بعينه تاكيدا له وتحقيقا لوقوع معناه
دلالة على ان الغيظ قد بلغ منتهاه والعجز وانقطاع العذر لم يدع موضعا للتفصيل منه والبعد عنه
وذلك في كلام العرب شايع معروف ولما اقسم على وقوع الوعد والوعيد مطلقا اعم ان يكون
في الدنيا او في الاخرة لانه قادر على كل ما يريد باقسام دلت على القدرة عليه دلالة جلية اتبعه

دلالة اجلي منها بما يشاهد من خراب العالم النفسي فقال منكرا علي من يكذب به تكذيبهم مع ما كان
منه سبحانه الي من كذب الرسل ومن آمن بهم **الم نهلك** اي بما لنا من العظمة **الاولين** اي اهلاكه
عذاب وغضب بتكذيبهم الرسل عليهم السلام كقوم نوح ومن بعدهم امة بعد امة وقرنا بعد قرن
لم ندع منهم احدا **ولما** كان هذا اهلاكا من في زمان النبي صلي الله عليه وسلم ان لم ينقص عن
اهلاك الاولين لم يزد وكان جواب هذا التقرير بلي قد اهلكتهم قال عاطفا علي هذا الذي ارشد
السياق اليه ارشادا ظاهرا جعله كالمنطوق ما تقديره نعم اهلكناهم **ثم** اي بعد اهلاكنا لهم **ولما**
كان الفعل مرفوعا علمنا انه ليس معطوفا علي نهلك ليكون تقريرا بل هو اخبار للتهديد تقديره نحن ان شئنا
نتبعهم الاخرين اي الذين في زمانك من كفار العرب وغيرهم لتكذيبهم لك او الذين قربوا من ذلك الزمان
كاصحاب الرس واصحاب الفيل **ولما** هدد من واجه الرسل بالتكذيب تسلية لهم سلي من قطعوا
من اتباعهم مما يجب وصله بهم من المعروف فقال مستانفا منبها علي الوصف الموجب لذلك الاهلاك
كذلك اي مثل ذلك الاهلاك **نفعل بالمجرمين** اي جميع الذين يفعلون فعل اولئك الذين يقطعون ما
امر الله به ان يوصل وهم علي يقين في ذلك القطع وذلك مثبت لنا القدرة علي جمعهم ليوم الفصل
كما قدرنا علي جمعهم لوقت الاجرام وعلي فصلنا في الاهلاك والانجا بين مكذبي الامم ومصدقيهم فلابد
من ايجادنا ليوم الفصل **ويل يومئذ** اي اذ يوجد **للمكذبين** اي بالعاصفات التي اهلكنا بها
تلك الامم تارة بواسطة القلب وامطار الحجارة واخري بواسطة الما وتارة بالرجفة وتارة بغير
واسطة **ولما ذكر** الاهلاك علي ذلك الوجه الدال علي القدرة التامة علي البعث وعلي ما يوعد به بعد
البعث اتبعه الدلالة بابتدا الخلق ومواد فقال مقررا ومنكرا علي من تخلف علمه بذلك عمله **الم نخلقكم**
اي ايها المكذبون بما لنا من العظمة التي لا يعسرها عظمة **من ما مهين** اي نطفة مذرة ذليلة وهو من
مهن بالفتح قال في القاموس والمهين الحقير والضعيف والقليل **فجعلناه** اي بما لنا من العظمة بالانزال
لذلك الما في الرحم **في قرار مكين** اي محفوظ مما يفسد من الهوا وغيره ومددنا ذلك لاجل التطوير
في اطوار الخلقة والتدبير في ادوار الصنعة **الي قدر** اي مقدار من الزمان قدره الله للولادة
معلوم اي عندنا من تسعة اشهر للولادة الي ما فوقها او دونها لا يعلمه غيره **ولما** كان هذا عظيما
ترجمه ونبه معظما له بقوله **فقدرنا** اي بعظمتنا علي ذلك او فجعلناه علي مقدار معلوم من الارزاق والاجال
والاحوال والاعمال **فنعم القادرون** نحن مطلقا علي ذلك وغيره او المقدرون في تلك المقادير
لما لنا من كمال العظمة بحيث نجعل ذلك بمباشرة من اردناه منه بطوعه واختياره ولعل التعبير بما قد
يفيد مع العظمة الجمع لما اقام سبحانه في ذلك من الاسباب بالملايكة وغيرها وفيه مع ذلك ابتلا
للعباد الموحد منهم والمشرك **ويل يومئذ** اي اذ كان ذلك **للمكذبين** اي بالناشرات التي نشرت
تلك النفوس وكلما يراد نشره وهم يعلمون قدرتنا علي ما ذكر وتقديره من ابتداينا لخلقهم وغيره مما
يفيد كمال القدرة وهم يكذبون بالبعث ولا يقيسونه بمثله **ولما** دل بابتدا الخلق علي تمام قدرته
اتبعه الدلالة بانتها امره واثنايه وما دبر فيهما من المصالح فقال **الم نجعل** اي تصيير بما شئنا بما لنا من
العظمة **الارض كفاتا** اي وعا قابلة لجمع ما يوضع فيها وضمه جمعا فيه فتك وهدم وهو اسم لما يكفت من
الحديد مثلا اي يختلف بالغضة ويضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او هو مصدر نعتت به او جمع كافتة
كصايمة وصيام او جمع كفت وهو الوعا ولو شئنا لجعلناها ناشرة لكم اذا وضعتم فيها كما تنشر النبات ونجعل
ذلك اذا اردنا البعث **ولما** كان من المعلوم انه حذف المفعول وهو لكم ابدي حالة دالة ايضا عليه
فقال **احيا** اي علي ظهرها في الدور وغيرها **وامواتا** اي في بطنها في القبور وغيرها كما كنتم قبل خلق ادم

عليه

عليه السلام **ولما** ذكر ما تغيبه من جبال العلم والملك وغيرهما اتبعه ما تبرزه من الشوامخ اعلاما
بانه لو كان الفعل للطبيعة ما كان الامر هكذا فانه لا يخرج هذه الجبال العظيمة علي ما لها من الكبر والثقل
والصلابة وغير ذلك من العظمة الا الفاعل المختار وهذا الي ما تحفظ في اعاليها من المياه التي تنبت الاشجار
وتخرج العيون والانهار بل اكثر ما تخرج من المياه هو منها وكذا غالب المنافع من المعادن وغيرها
قال **وجعلنا** اي بما لنا من العظمة **فيها** اي الارض **رواسي** لولاها لمادت باهلها ومن العجايب ان مراسيها
من فوقها خلافا للمراسي السفن **شامخات** اي هي مع كونها ثوابت في انفسها مثبتة لغيرها طوال جدا عظيمة
الارتفاع كانها قد تكبرت علي بقية الارض وعلي من يريد صعودها وتنكيره للتعظيم **ولما** كان من العجايب
الخارقة للعوايد فوران الما الذي من طبعه ان يغور لا ان يفور لما له من الثقل واللطافة التي افادته
قوة السريان في الاعماق وفي كون ذلك منه من موضع من الارض دون آخر وكونه من الجبال التي هي
اصلب الارض ومن صخورها غالبا دلالة ظاهرة علي ان الفعل للواحد المختار الجبار لا للطبايع قال
واسقيناكم اي جعلنا لكم مما لنا من العظمة شرابا لسقيكم وسقي ما تريدون سقيه من الانعام والحرث
وغير ذلك **ما** من الانهار والعيون والغدران والابار وغيرها **فراتا** اي عظيما عذبا سايغا وقد كان
حقيقا بان يكون ملحا اجاجا لما للاراضي الممسكة له من ذلك **ولما** كان في هذا دلالة ظاهرة علي قدرته
علي البعث وغيره قال **ويل يومئذ** اي يوم اذ تقوم الساعة ليكون الفصل بين العباد فساقها مساق
ما هو ثابت لا نزاع فيه اشارة الي انه لا يكذب به بعد ظهور الادلة الا من لا مسكة له **للمكذبين**
اي الذين هم في غاية الرسوخ في التكذيب حتي كذبوا بما لنا في هذا من الفرق الذي فرقنا به بين
ارض واخري حتي جعلنا بعضها صالحا لانفراق ارضه عن الما وبعضها غير صالح وجعلنا بعضها قابلا للجبال
وبعضها غير قابل الي غير ذلك من الفروق البديعة **ولما** وصلت ادلة الساعة في الظهور الي حد
لا مزيد عليه وحكم علي المكذبين بالويل مرة واكد بثلاث فكان من حق المخاطب ان يؤمن فلم يؤمن اوم
بما يدل علي الغضب فقال تعالي معلما لهم بما يقال لهم يوم اذ يحل بهم الويل **انطلقوا** اي ايها المكذبون
الي ما كنتم اي بما هو لكم كالجبلة **به تكذبون** اي في الدنيا من العذاب تكذيبا هو من عظمه بحيث يعد
غيره من التكذيب بالنسبة اليه عدما وتجدد دون ذلك التكذيب مستمرين عليه **ولما** كان المراد
زيادة تبكيتهم وتقريعهم والتهويل عليهم كرر الامر واصفا ما امروا بالانطلاق اليه فقال **انطلقوا**
هذا علي قراءة الجماعة وقراءة رويس عن يعقوب بصيغة الماضي للدلالة علي تمام انقيادهم هناك وانه
لا شي من منعه عندهم اصلا وهي استينافية لجواب من يقول ما كان حالهم عند هذا الامر الفظيع **الي**
ظل اي من دخان جهنم الذي سمي باليحموم لما ذكره في الواقعة **ذي ثلث شعب** يتشعب من عظمه كما
تري الدخان العظيم يتفرق ذوايب وخصوصية الثلث لان التكذيب بالله وكتبه ورسله فتعذبهم
كل واحدة منها عذابا يعلمون هناك لاي تكذيبة منها هي او لان الحاجب عن انوار القدس الحس والخيال
والوهم او لان السبب فيه القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية
التي في يساره **وقيل** يخرج عنق من النار يكون ثلث فرق نار ونور ودخان يقف النور علي المومنين
واللهب الصافي علي الكافرين والدخان علي المنافقين يكون كذلك الي الفراغ من الحساب وقال الرازي
الشعب لهب وشرر ودخان **ولما** كان المتبادر من الظل ما يستروح اليه فظنوا ذلك ازال
عنهم هذا التوهم علي طريق التهكم بهم ليكون اشد في النكال فقال واصفا الذي **لا ظليل** اي من الحر بوجه من
الوجوه **ولما** كان ما انتفي عنه غزارة الظل التي افهمتها صيغة المبالغة قد يكون فيه نفع ما قال **ولا يغني**
اي شيا من اغنا **من اللهب** اي هذا الجنس **ولما** بين ان هذا الظل زيادة في العذاب وكان من المعلوم

انه لا يكون دخان الا من نار فقال مبينا انه لو كان هناك ظل ما اغني انها اي النار التي عليها الشباك ترمي اي
من شدة الاستعار بشرر وهو ما تطاير من النار اذا التهبت واحدتها شرارة وهي صواعق تلك الدار كالقصر
اي كل شررة منها كانها قصر مشيد من عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة وجمرة وهي اسم جنس
جمعي لم يستعمل الا في جمع فهو شامل للكثير للجموع وقليلها وكذا كل ما فرق بين واحده وجمعه التا وليس بجمع لانه ليس بجمع وهو ظاهر
سلامة ولا تكسير لان اوزانه معروفة وليس منها فعل وليس بجنس فانه لا يشمل ما دون الجمع ومن عظمة شررها
تعرف عظمة جمرها ولما شبهه في عظمه شبهه في لونه فقال كانه جمالات جمع جمالة جمع جمل مثل حجارة وحجر
للدلالة مع كبره علي كثرته وتتابعه واختلاطه وسرعة حركته ومن قرا بضم الجيم فهو عنده جمع جمالة وهو الحبل
الغليظ من حبال السفينة شبه به في امتداده والتفافه ولاننا في فان الشرر منه ما هو هكذا ومنه
ما هو كما تقدم صفر جمع اصفر للون المعروف وقيل المراد به سواد يضرب الي صفرة كما هي الوان
الجمال ولما كان هذا امرا هائلا كانت ترجمته ويل يومئذ اي اذ يكون ذلك للمكذبين اي العريقين في التكذ
بالقا الذكر علي الانبيا للبشارة والنذارة ولما ادت قراة انطلقوا بالفتح علي امتثال الامر من غير ان ينبسو
بكلمة صرح به فقال دالا علي ما هم فيه من الموت والغضب هذا اي الموقف الذي هو بعض مواقف ذلك اليوم
سمي يوما لتمام احكامه فلذا قال مخبرا عن المبتدا يوم لا ينطقون اي بشيء بينت شفة من فرط الدهشة والحيرة
في بعض المواقف وينطقون في بعضها فانه يوم طويل ذو الوان كما قال ابن عباس رضي الله عنهما او لا ينطقون بما
ينفعهم لانهم كانوا في الدنيا لا ينطقون بالتوحيد الذي ينفعهم ولما كانوا لا يقدرون علي شي ما الا باذن
الله وكان الموجع لهم عدم الاذن بني للمفعول قوله دلالة علي عدم ناصر لهم او فرح باتيهم ولا يؤذن اي من
آذن ما لهم اي في كلام اصلا ولما كان المراد انه لا يوجد لهم اذن ولا يوجد منهم اعتذار من غير
ان ينظر الي تسببه عن عدم الاذن لئلا يتوهم ان لهم عذرا ولكنهم لم يبدوه لعدم الاذن قال رافعا عطفا
علي يؤذن فيعتذرون فدل ذلك علي نفي الاذن ونفي الاعتذار عقبه مطلقا ولو نصبه لدل علي ان السبب
في عدم اعتذارهم عدم الاذن فينقص المعني ولما كان هذا امرا فظيعا ترجمه بقوله ويل يومئذ
اي اذ كان هذا الموقف للمكذبين اي العريقين في التكذيب بالاخبار بطمس النجوم فجعلت عقوبتهم سكوتهم
الذي هو ذهاب نور الانسان ليكون كالطمس كذبوا به ولما ذكر حيرتهم ودهشتهم التي هي امارة قبول
الحكم وكانت مواطن ذلك اليوم تسمي اياما لتمام الاحكام في كل موطن منها وتميزه بذلك عما عداه قال هذا
اي ذلك اليوم كله يوم الفصل اي بين ما اختلف فيه العباد من الحق والباطل والعالي والسافل ثم استانف
قوله جمعناكم اي يا مكذبي هذه الامة بما لنا من العظمة والاولين اي الذين تقدم انا اهلكناهم وقد
كانوا اكثر منكم عددا واعظم عددا لنفصل بين المتنازعين ونصلي العذاب ونجزي بالثواب وقد كان منكم
من يقول انا اكفي عشرة من ملايكة النار ثم اشار الي انقطاع الاسباب فقال مسببا عن ذلك فان كان لكم
اي ايها المكذبون علي وجه ثابت من ذواتكم كيد اي معاواة بنوع حيلة او شدة فكيدون تقريع لهم علي كيدهم
لاوليائنا المؤمنين في الدنيا بما مكنتهم به من الاسباب وتنبيه علي ان من آذي وليه فقد آذنه بالحرب وعلي انهم
عاجزون ولما كانوا اقل من ان يجيبوا عن هذا واحقر من ان يهملوا للكلام قال مترجما لحالهم بعد
هذا الكلام منبها علي انهم لو عقلوا لبكوا علي انفسهم الآن لانه لا حيلة لهم اذ ذاك ويل يومئذ اذ يقال لهم هذا
الكلام فيكون زيادة في عذابهم للمكذبين اي الراسخين في التكذيب بان السما تفرج كما كانوا يكذبون
بانه يفصل بينهم بعد الموت ولما كان الواقع بعد الفصل قرار كل في داره وكان قد بدا بالمكذبين لان
التحذير في السورة اعظم ففصلهم عن المصدقين فقال انطلقوا الي آخره ثني باضدادهم الفريق الناجي المشار
اليه في آخر الانسان بقوله تعالي يدخل من يشا في رحمته فقال مؤكدا لاجل تكذيب الكفار بتلك الدار

وبان

وبان يكون المؤمنون اسعد منهم ان المتقين اي الذين كانوا يجعلون بينهم وبين كل ما يغضب وقاية مما
يرضيه لعراقتهم في هذا الوصف يوم القيمة في ظلال هي في الحقيقة الظلال لا كما تقدم من ظل الدخان ولا
يشبهها اعلي ظل في الدنيا واحسنه الا بالاسم ودل علي انها علي حقيقتها بقوله وعيون لانها تكون عنها
الرياض والاشجار الكبار كما دل علي ان ذلك الظل المتشعب للتهكم بما ذكر بعده من اوصاف النار فهذه العيون
تبرد الباطن وتنبت الاشجار المظلة كما ان اللهب تحرق الظاهر والباطن وتهلك ما قرب منه من شجر وغيره
فلا يبقي ولا يذر ولما ذكر العيون اتبعها ما ينشا عنها فقال دالا علي ان عيشهم كله لذة وفواكه ولما كانت
يوجد في فواكه الدنيا الدون قال دالا علي انه ليس هناك دون مما يشتهون اي بغاية الرغبة ولما
فهم من التعبير بفي انهم متمكنون من هذا جميعه تمكن المظروف من ظرفه قال منبها علي انه اريد بالفاكهة جميع الماكل
وانما عبر بها اعلاما بان كل ما اكل فيها تفكه ليس منه شي لجلب نفع غير اللذة ولا دفع ضر كلوا اي مقولا لهم
تنا ولوا جميع الماكل علي وجه التفكه والتلذذ لا لحفظ الصحة فانها حاصلة بدونه واشربوا اي من جميع
المشارب كذلك فان عيونها ليست من الماخاصة بل من كل شراب اكلا وشربا هنيا اي ليس في شي من
ذلك توقع ضرر وزاد في تنعيمهم بان جعل ذلك عوضا فقال بما كنتم اي بجبلاتكم التي جبلتم عليها تعملون
اي في الدنيا من الاعمال الصالحة المبنية علي اساس العلم الذي افاد التصديق بالجنة فاوجب دخولها
كما اوجب تكذيب المجرمين بالنار دخولهم اياها وعذابهم وتكذيبهم بالجنة طردهم عنها وحرمانهم لنعيمها
جزاء وفاقا ولما كان ربما توهم متوهم انه هذا الناس معينين في زمن مخصوص قال معللا بالتعميم مؤكدا
ردا علي من ينكر انا اي بما لنا من العظمة كذلك اي مثل هذا الجزا العظيم نجزي المحسنين اي كل من كان
عريقا في الاحسان لسنا كملوك الدنيا يعوقهم علي الاحسان الي بعض المحسنين عندهم بما يرونه جزاهم
بعض اهل مملكتهم لما لهم من الاهوية ولملوكهم من الضعف ولما كان هذا النعيم عذابا عظيما علي من لا
يناله قال ويل يومئذ اي اذ يكون هذا النعيم للمتقين المحسنين للمكذبين اي الذين يكذبون بان الجبال
تنسف فتكون الارض كلها سهلة دمثة مستوية لا عوج فيها اصلا صالحة للعيون والاشجار والتسطح في
ارجايها كيف ما يريد صاحبها ويختار ولما ذكر نعيم اهل الجنة الذي لا ينقضي لان لهم غاية المكنة
فيه وكان ذلك اجلا وكان المكذبون في اتساع في الدنيا وتقدم قوله تعالي ان عذاب ربك وكان
الشقاء منه وقع بعد نعيم فسحة وعد النعيم ولو كان كثيرا طويلا قليلا قال نتيجة لجواب القسم ضد ما يقال
للمتقين تسلية لهم وتحزينا للمكذبين بنا علي ما تقديره ان المكذبين في هذه الدنيا في استدراج وغرور
يقول لهم لسان الحال المعرب عن اعمالهم في الماكل توبيخا وتقريبا كلوا اي ايها المكذبون في هذه الدنيا
وتمتعوا اي كذلك بمثل الجيفة فان المتاع من اسمايها كما ذكر غير واحد عن اهل اللغة قليلا اي وان امتد
زمنه فانه زايل مع قصر مدته في مدة الاخرة ولا يوثر ذلك علي اللبا في التنفيس الا خسيس الهمة قال الرازي
وقال بعضهم التمتع بالدنيا من افعال الكافرين والسعي لها من افعال الظالمين والاطمينان اليها من افعال
الكاذبين والسكون فيها علي حد الاذن والاخذ منها علي قدر الحاجة من افعال عوام المؤمنين والاعراض عنها
من افعال الزاهدين واهل الحقيقة اجل خطرا من ان يوثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها ولما ٣
اعلمهم هذا المحل الخبيث وكان التقدير فانه لا بد من وقوع العذاب بكم يوم الفصل علل ذلك بقوله
مؤكدا لانهم ينكرون وصفهم بذلك انكم مجرمون اي عريقون في قطع كل ما امر الله به ان يوصل فلا يجاز
ان تعاملوا معاملة المحسنين فلذلك كانت نتيجة هذا ويل يومئذ اي تعذبون باجرامكم للمكذبين إذ هم
اي بوصول الرسل الي وقتها المعلوم الذي كانت تتوعد به المجرمين في الدنيا حيث كذبوهم لاجل تمتعهم
هذا القليل الكدر وعرضوا انفسهم للعذاب الدايم المستمر ولما كان التقدير فانهم كانوا في دار العمل

اذا قيل لهم امنوا لا يومنون عطف عليه قوله **واذا قيل لهم** اي لهولا المجرمين من اي قايل كان **اركعوا** اي
صلوا الصلاة التي فيها الركوع واطلقوا عليها تسمية لها باسم جزء منها وخص هذا الجزء لانه يقال على الخضوع
والطاعة ولانه خاص بصلاة المسلمين وكان بعض العرب نفر عن الدين من اجله وقال لا احبي لان فيه
زعم ابرازا للاست فيكون ذلك مسبة وكذلك السجود قال في القاموس جبي تجبية وضع يديه على ركبتيه
او على الارض او انكب على وجهه والتجبية ان يقوم قيام الراكع **لا يركعون** اي لا يخضعون ولا يوجدون
الصلاة فلذلك كان وعيدهم وفيه دلالة على ان الامر للوجوب يستحق تاركه العذاب وعلى ان الكفار مخاطبون
بالفروع **ويل يومئذ** اي اذ يكون الفصل **للمكذبين** اي بذلك الذي تقدم في السورة او بشيء منه او بغيره
مما جاءت به الرسل وقد كررت هذه الجملة بعدد اجزاء القسم واجزاء ظرف الجواب لتكون كل جملة منها وعيدا
على التكذيب بواحد من تلك الاجزاء وتكون هذه الجملة العاشرة مؤكدة لتلك التسع ومكملة لعددها ومعناها
ومعلمة بان الويل لهم دايما من غير انفصال كما ان الواحد لا انفصال له **ولما** اعلم هذا ان لهم الويل دايما
ذكر ان سببه عدم الايمان بالقران وان من لم يومن بالقران لم يومن بشيء ابدا فقال مسببا عن معنى الكلام
فباي حديث اي ذكر يتجدد نزوله على المرسل به في كل وقت تدعو اليه الحاجة **بعده** اي بعد هذا القران
الذي هو شاهد لنفسه عنه بصحة النسبة الى الله من جهة ما حاز من البلاغة في تراكيبه بالنسبة الى
كل جملة وبالنسبة الى نظم الجمل بعضها مع بعض وبالاخبار بالمغيبات والحمل على المعالي والتنبيه على الحكم
وغير ذلك من بحور العلوم ورياض الفنون فالله باعتبار ذلك هو الشاهد بانه كلامه **يومنون**
اي يجددون الايمان بسببه بكل ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم اذا لم يومنوا بهذا الحديث الذي
الله شاهد بانه كلامه بما اشتمل عليه بعد اعجازه من الدلايل الواضحة والمعاني الشريفة الصالحة
والنظوم الملايمة لكل طبع والرقايق المرققة لكل قلب والبشاير المشوقة لكل سمع فمن لم يومن به لم
يومن بحديث غيره فانه لا شيء يقاربه فكيف بان يدعي شيء يباريه او يراقيه ومثل هذا انما يقال عند
مقاربة الياس من الموعوظ والعادة قاضية بحلول العذاب اذ ذاك وانزال الباس فهو من اعظم
انواع التهديد **فقد** رجع اخرها على اولها في وعيد المكذبين وانطبق اولها على اخرها في اخزاء المجرمين والله اعلم

مقصودها الدلالة على ان يوم القيمة الذي كانوا مجمعين على نفيه وصاروا بعد بعث النبي صلى الله
عليه وسلم في خلاف فيه مع المومنين ثابت ثباتا لا يحتمل شكا ولا خلافا بوجه لان خالق الخلق مع انه
حكيم قادر على ما يريد دبرهم احسن تدبير بنى لهم مسكنا واتقنه وجعلهم على وجه يبقى به نوعهم من انفسهم
بحيث لا يحتاجون الى امر خارج يرونه فكان ذلك اشد لالفتهم واعظم لانس بعضهم ببعض وجعل
سقفهم وفراشهم كافلين لمنافعهم والحكيم لا يترك عبيده وهو تام القدرة كاهل السلطان يمرحون يبغي
بعضهم على بعض وياكلون خيره ويعبدون غيره بلا حساب فكيف اذا كان حاكما فكيف اذا كان احكم الحاكمين
هذا ما لا يجوز في عقل ولا يخطر ببال اصلا فالعلم واقع به قطعا وكل من اسميها واضح في ذلك بتامل
ايته ومبدا ذكره وغايته **بسم الله** الحكيم العظيم الذي له جميع صفات الكمال **الرحمن** الذي ساوى
بين عباده في اصول النعم الظاهرة الايجاد والجاه والمال وبيان الطريق الاقوم بالعقل الهادي
والانزال والارسال **الرحيم** الذي خص من شا باتمام تلك النعم فوفقهم لمحاسن الاعمال **لما** اخبر في المرسلات
بتكذيبهم بيوم الفصل وحكم بان لهم على ذلك الويل المضاعف المكرر وختمها بانهم ان كفروا بهذا القران
لم يومنوا بعده بشيء افتتح هذه بان ما خالفوا فيه وكذبوا الرسل في امره لا يقبل النزاع لما ظهر من بيان

القران

القران لحكمة الرحمن التي لا يختلف فيها اثنان مع الاعجاز في البيان فقال معجبا منهم غاية العجب زاجرا لهم
ومنكرا عليهم ومتوعدا لهم ومفخما للامر بصيغة الاستفهام منبها على انه ينبغي ان لا يغفل وجه خلافهم ولا
يعرف محل نزاعهم فينبغي ان يسال عنه كل احد حتى العالم به اعلاما بان ما يختلفون فيه لوضوحه لا يصدق
ان عاقلا يخالف فيه وانه لا ينبغي التساول الا عما هو خفي فقال **عم** اي عن اي شيء خفف لفظه
وكتابة بالادغام وحذف الفه لكثرة الدور والاشارة الى ان هذا السوال مما ينبغي ان يحذف فان
لم يكن فيخفى ويستحيى من ذكره ويخفف **يتساءلون** اي اهل مكة وكل من يسال عن شيء من القران سوال
شك وتوقف وتلذذ فيما بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين رضي الله عنهم والشك العجب
سمي جدالهم وانكارهم وعنادهم اذا تليت عليهم اياته وجليت بيناته مطلق سوال **ولما** فخم ما يتساءلون
عنه معجبا منهم فيه بينه بقوله اعلاما بان ذلك الابهام ما كان الا للاعظام **عن النبا** اي من رسالة
الرسول واتيانه بالكتاب المبين واخباره عن يوم الفصل والشاهد بكل شيء من ذلك الله باعجاز هذا
الحديث وتوعده الجازم الحثيث **ولما** كان في مقام التفخيم له وصفه تاكيدا بقوله **العظيم** مع ان النبا
لا يقال الا للخبر عظيم شانه ففي ذلك كله تنبيه على انه من حقه ان يدعى له كل سامع ويهتم بامره لا ان يشك
فيه ويجعله موضعا للنزاع وعظم توبيخهم بقوله **الذي هم** اي بضمايرهم مع ادعايهم انها اقوم الضماير
فيه مختلفون اي شديد اختلافهم وثباتهم فيه فبعضهم صدق وبعضهم كذب والمكذبون بعضهم شك
وبعضهم جزم وقال بعضهم شاعر وبعضهم ساحر الى غير ذلك من الاباطيل وذلك الامر هو امر النبي صلى
الله عليه وسلم الذي اهمه البعث بعد الموت اشتد التباسه عليهم وكثرت مراجعتهم فيه ومسايلتهم
عنه مع عظمه وعظم ظهوره والعظيم لا ينبغي الاختلاف فيه بوجه فان ذا المروة لا ينبغي له ان يدخل في امر
الا وهو على بصيرة فكيف به اذا كان عظيما فكيف به اذا تناهى عظمه فكيف به اذا كان اهم ما يهمه فانه
يتعين عليه ان يبحث عنه غاية البحث ويطلب فيه الادلة ويفحص عن البراهين ويستوضح الحجج حتى يصير
من امره بعد علم اليقين الى عين اليقين من حين يبلغ مبلغ الرجال الى ان يموت فكيف اذا كان بحيث
تتلى عليه الادلة وتجلى لديه قواطع الحجج وتجلت اليه البينات وهو يكابر فيها ويماري ويعاند
ويبادي **وقال** الامام ابو جعفر ابن الزبير اما مطلعها فمرتب على تساول واستفهام وقع منهم
وكانه وارد هنا في معرض العدول والالتفات واما قوله كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ثم
اورد تعالى من جميل صنعه وما اذا اعتبره المعتبر علم انه لم يخلق شيء منه عبثا بل ليعتبر به ويستوضح
وجه الحكمة فيه فيعلم انه لا بد من وقت ينكشف فيه الغطا ويجازى الخلايق على من نسبة من احوالهم
في الاعتبار والتدبر والخضوع لمن نصب مجموع تلك الدلايل ويستشعر من تكرار الفصول وتجدد
الحالات واحيا الارض بعد موتها جري ذلك في البعث واطراد الحكم واليه الاشارة بقوله كذلك نخرج
الموتى فقال تعالى منبها على ما ذكرناه الم نجعل الارض الى قوله وجنات الفافا فهذه المصنوعات
بها الاعتبار كما قدم ثم قال تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا اي موعد الجزايكم لو اعتبرتم بما ذكر لكم لعلمتم
منه وقوعه وكونه ليقع جزاوكم على ما سلف منكم فويل يومئذ للمكذبين ويشهد لهذا القصد ما بعد
من الايات قوله تعالى لما ذكر ما اعد للطاغين انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا
وكل شيء احصيناه كتابا ثم قال بعد ان للمتقين مفازا وقوله بعد ذلك اليوم الحق واما الحياة
الدنيا فلعب ولهو وان الدار الاخرة لهي الحيوان وقوله بعد يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول
الكافر يا ليتني كنت ترابا انتهى **ولما** كان الامر من العظمة في هذا الحد قال موكدا البيان لان ما
اختلفوا فيه وسالوا عنه ليس موضعا للاختلاف والتساول باداة الردع فقال تهديدا لهم وتاكيدا

وعيدهم كلا اي ليس ما سالوا عنه واختلفوا فيه بموضع اختلاف اصلا ولا يصح ان يطرقه ريب بوجه من
الوجوه فلينزجروا عن ذلك وليرتدعوا قبل حلول ما لا قبل لهم به ولما كان كانه قيل فهل ينقطع ما هم فيه
اجاب بقوله مهددا اخاذا فان متعلق العلم للتهويل لاجل ذهاب النفس كل مذهب سيعلمون اي يصلون الى
حد يكون حالهم فيه في ترك العناد حال العالم بكل ما ينفعهم ويضرهم وهذا عن قريب بوعد لا خلف فيه
ويكون لهم حينئذ عين اليقين الذي لا يستطاع دفاعه بعد علم اليقين الذي دافعوه وعظم رتبة هذا الردع
والتهديد والزجر والوعيد بقوله ثم كلا اي ان امره في ظهوره رادع عن الاختلاف في امره سيعلمون
اي بعد الموت بعد علمهم قبله ما يكون من امره بوعد صادق لا شك فيه ويصير حالهم اذ ذاك حال العالم
في كفهم عن العناد وهم بين ذلول وذليل وحقير وجليل فاما من اخترناه منهم للايمان فيكون ذلولا ومن
ادمنا شقاه بالكفران فتراه ناكسا ذليلا ويشترك الكل بالذوق في حق اليقين وقد كان هذا كما قال
الجليل بعد من قليل عند ما اقحمتهم ايام الله وارغمت منهم الانوف واذلت الجباه وقراة ابن عامر على ما
قيل عنه بتا الخطاب اعظم في الوعيد وادل على الاستعطاف للمتاب • ولما حقق لهم امره تحقيق من
هو على غاية الوثوق بما يقول دل على ذلك بما لا يحتمل شكا ولا وقفة اصلا فقال مقررا لهم ومنكرا
عليهم التساول بما ندب اليه من التامل وقربه من النظر في باهر اياته وغرايب مخلوقاته التي ابدعها
من العدم دلالة تامة عظيمة على كمال القدرة مع تمام الحكمة الموجب للقطع بكل ما بنيت عليه الرسل
من الشرايع والبعث والجزا بادبا بما هو له اشد ملابسة وهو الظرف الم نجعل اي بما لنا من العظمة
الارض مهادا اي فراشا لكم موطا ممهدا لكي يمكن الاستقرار عليه لتتصرفوا فيها كيف شيتم والجبال
التي تعرفون شدتها وعظمتها وعجزكم عن اقل شي من امورها اوتادا تثبتها كما ان البيت لا يثبت الا
باوتاده قال الافوه الاودي • والبيت لا يبتني الا له عمد • ولا عماد اذا لم ترس اوتاد • وذلك لئلا
تميد بكم فانها معلقة على فضا العلم ممسكة تبيينا للقدرة فلولا الجبال لعظم تقلبها لانها بمنزلة السفينة
العالية الفارغة على متن البحر في غاية الحركة لا سيما اذا عظمت الريح فانها حينئذ لا يستقر عليها قايم
ولا يثبت قاعد ولا نايم فالجبال بمنزلة الامتعة الثقيلة التي تنزلها في الما فتحفظها عن كثرة التقلب
فكيف يصح بوجه ان يتوقف في اخبار من هذه قدرته لا سيما اذا كان ذلك الخبر به مما ركز سبحانه
امره في الفطرة الاولى وقررت صحته في العقول التقرير الاوضح الاجلى • ولما ذكر بما في الظرف الذي
هو فرشهم من الدلالة على تمام القدرة اتبعه التذكير بما في المظروف وهو انفسهم لتجتمع ايات الانفس
والافاق فيتبين لهم انه الحق فقال وخلقناكم اي بما دل على ذلك من مظاهر العظمة ازواجا طوالا وقصارا
وحسانا ودماما وذكرانا واناثا لجميع اصنافكم على تباعد اقطارهم وتنائي ديارهم لتدوم انواعكم الى
الوقت الذي يكون فيه انقطاعها • ولما ذكر ما هو سبب لبقا النوع ذكر ما هو سبب لحفظه عن
اسراع الفساد فقال وجعلنا اي بما لنا من العظمة نومكم الذي ركبنا البدن على قبوله سباتا
اي قطعا عن الاحساس والحركة التي اتعبتكم في نهاركم مع الامتداد والاسترسال اراحة للقوى الحيوانية
والحواس الجسمانية وازاحة لكلالها مع انه قاطع لكمال الحياة فهو مذكر بالموتة الكبرى والاستيقاظ
مذكر بالبعث قال الزجاج السبات ان ينقطع عن الحركة والروح فيه • ولما ذكر النوم اتبعه
وقته الاليق به مذكرا بنعمة الظرف الزماني بعد التذكير بالظرف المكاني فقال دالا بمظهر
العظمة على عظمه وجعلنا الليل اي بعد ذهاب الضياء حتى كانه لم يكن لباسا اي غطاء وغشاء ساترا
بظلمته ما اتى عليه عن العيون كما يستره اللباس لتسكنوا فيه عن المعاش وجعلنا النهار اي الذي اية
الشمس معاشا اي وقتا للتقلب الذي هو من اسباب التحصيل الذي هو من اسباب المعاش وهو

العيش

العيش وقته وموضعه ومظهر لما ستره الليل • فالاية من الاحتباك ذكر اللباس اولا دليلا على حذف ضده
ثانيا والمعاش ثانيا دليلا على حذف ضده اولا • ولما ذكر المهاد وما فيه اتبعه السقف الذي بدورانه
يكون الوقت الزماني وما يحويه من القناديل الزاهرة والمنافع الظاهرة لاحيا المهاد ومن فيه من العباد
فقال وبنينا اي بما لنا من العظمة بنا عظيما فوقكم اي عاما لجهة الفوق وهي عبارة تدل على الاحاطة سبعا اي من السموات
شدادا اي هي في غاية القوة والاحكام لا صدع فيها ولا فتق لا يوثر فيها كر العصور ولا مر الدهور
حتى ياتي امر الله باظهارها عظايم المقدور • ولما ذكر السقف ذكر بعض ما فيه من امهات المنافع فقال
دالا بمظهر العظمة على عظمها وجعلنا اي بما لا يقدر عليه غيرنا سراجا اي نجما منيرا جدا وهاجا اي هو مع
تلالوه وشدة ضيايه حار مضطرم الاتقاد وهو الشمس من قولهم وهج الجوهر تلالا والجمر اتقد • ولما ذكر
ما يحيي الرطوبة بحرارته اتبعه ما يطفي الحرارة برطوبته وبرودته فينشا عنه المآكل والمشارب
التي بها تمام الحياة ويكون تولدها من الظرف بالمهاد والسقف وجعل ذلك اشبه شي بما يتولد بين
الزوجين من الاولاد فالسما كالزوج والارض كالمراة والما كالمني والنبات من النجم والشجر
كالاولاد فقال وانزلنا اي بما يعجز غيرنا من المعصرات اي السحايب التي اثقلت بالما فشارفت
ان تعصرها الرياح فتمطر كما حصد الزرع اذا حان له ان يحصد قال الفرا المعصر السحابة التي تتحلب
بالمطر ولم تجتمع كالمراة المعصر وهي التي دنا حيضها ولم تحض وقال الرازي السحايب التي دنت ان
تمطر كالمعصر التي دنت من الحيض ما ثجاجا اي منصبا بكثرة يتبع بعضه بعضا يقال ثجه وثج المسببات ٥
بنفسه • ولما ذكر بدايته اتبعها نهايته فقال لنخرج اي بعظمتنا التي ربطنا بها الاسباب به
اي الما شيا حبا اي نجما ذا حب هو مقصود لانه يقتات العباد صرح به لانه المقصود وبدا
به لانه القوت الذي به البقا كالحنطة والشعير وغيرهما ونباتا تتفكهون به وتتنزهون فيه
وتعتلفه البهايم • ولما كان من المشاهد الذي لا يسوغ انكاره ان في الارض من البساتين ما
ما يفوت الحصر عبر بجمع القلة تحقيرا له بالنسبة الى باهر العظمة ونافذ الكلمة فقال وجنات اي بساتين
تجمع انواع الاشجار والنبات المعتنات وغيره الفافا اي ملتفة الاشجار مجتمعة بعضها الى بعض من
شدة التفافها جمع لف بالكسر كجذع قال البغوي وقيل هو جمع الجمع يقال جنة لفا وجمعها لف بضم اللام
وجمع الجمع الفاف وتضمن هذا الذي ذكرهم المياه النابعة الجارية والواقعة فاكتفي بذكرهم عن
ذكرها قال مقاتل وكل من هذا الذي ذكرا عجب من البعث • ولما ذكر ما دل على غاية القدرة
ونهاية الحكمة فدل قطعا على الوحدانية لانه لو كان التعدد لم تكن الحكمة ولم تتم القدرة فاثمر المحبة
لمن اتصف بذلك فانتج للطايع الشوق الى لقايه والترامي الى مطالعة كمال نعمايه وللعاصي ما هو
حقيق به من الخوف من لقايه ليرده ذلك عن اعراضه وابايه اتبعه ما اعلم انه ما ذكره الا للدلالة
على النبا العظيم في لقا العزيز الرحيم فقال مفتتحا عما مضى من الوعيد وما دل على تمام القدرة موكدا
لاجل انكارهم ان يوم الفصل اي الذي هو النبا العظيم وتقدم الانذار به في المرسلات وما خلق
الخلق الا لاجلهم فيه واظهار صفات الكمال ليفصل فيه بين كل ملتبس فصلا لا شبهة فيه ويوخذ للمظلوم
من الظالم كان اي في علم الله وحكمته كونا لا بد منه جعل فيه كالجبلة في ذوي الارواح ميقاتا اي
حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده مع ما فيها من الخلايق • ولما ذكره ذكر ما فيه تعظيما له وحثا على
الطاعة فقال مبدلا منه او مبينا له يوم ولما كان الهايل المفزع النفخ لا كونه من معين بني للمفعول
قوله ينفخ اي من اي نافخ اذن الله له في الصور وهو قرن من نور على ما قيل سعته اعظم مما بين السما
والارض وهي نفخة البعث وهو الثانية من النفخات الاربع كما مر في اخر الزمر • ولذلك قال فتاتون

اي بعد القيام من القبور الي الموقف احيا كما كنتم اول مرة لا تفقدون من اعضايكم وجلودكم واشعاركم
واظفاركم والوانكم الاصلية شيا بجعلكم من الارض بعد ان تمزقتم فيها واختلط تراب من بلي منكم بترابها وترابا
بعضكم ببعض وتمييز ذلك وجمعه وتركيبه كما كان واعادة الروح فيه بيسير عليه سبحانه كما فعل ذلك كله من
نطفة بعد ان فعله في ادم عليه السلام من تراب لا اصل له في الحياة حال كونكم **افواجا** اي امما وزمرا وجماعات
كل امة بامامها ٭ روي الثعلبي وابن مردويه عن البرا رضي الله عنه ٭ وقال شيخنا ابن حجر في ترجمة محمد بن زهير
من لسان الميزان انه ظاهر الوضع ان معاذا رضي الله عنه سال عن هذه الافواج فقال النبي صلي الله عليه
وسلم ان امتي تحشر علي عشرة اصناف علي صورة القردة وعلي صور الخنازير وبعض منكسون يسحبون
علي وجوههم وبعض عمي وبعض صم بكم وبعض يمضغون السنتهم فهي مدلاة علي صدورهم يسيل القيح من
افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعض مقطعة ايديهم وارجلهم وبعض مصلبون علي جذوع من نار وبعض
اشد نتنا من الجيف وبعض ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم وفسرهم بالقتات واكلي
السحت واكلة الربا والجايرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلما الذين يخالف قولهم فعلهم والموذين
للجيران والساعين بالناس الي السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين خيلا ٭ ولما
ذكر الاية في انفسهم ذكر بعض ايات الافاق وبدا بالعلوي لانه اشرف فقال بانيا للمفعول لان المفرع
مطلق التفتيح ولان ذلك ادل علي قدرة الفاعل وهوان الامور عليه **وفتحت السما** اي شقق هذا الجنس
تشقيقا كثيرا وقرا الكوفيون بالتخفيف لان التكثير يدل عليه ما سبب عن الفتح من قوله **فكانت** اي كلها
كينونة كانها جبلة لها **ابوابا** اي كثيرة جدا لكثرة الشقوق الكثيرة بحيث صارت كانه لا حقيقة لها
الا الابواب ٭ ولما ذكر السقف ذكر قرب الارض اليه واشدها فقال علي طريقة كلام القادرين ايضا
وسيرت اي حملت بايسر امر علي السير **الجبال** علي ما تعلمون من صلابتها وصعوبتها في الهوا كانها الهبا
المنثور وعلي ذلك قوله **فكانت** اي كينونة راسخة **سرابا** اي لا يري منها الا خيال يتراي وهو سايرة يمر
مر السحاب ثم تخفي لتناثر اجزايها كالهبا فيا لها من عظمة تجب لها القلوب وتتعاظم الكروب ٭ ولما
بين ان يوم الفصل هو النبا العظيم بعد ان دل عليه وذكر ما فيه من المسير ذكر ما اليه من الدارين
المصير ٭ فقال بعد التذكير بما في الجبال من العذاب بحزونتها وما فيها من السباع والحشرات والاشجار
السابلة والقواطع المتشابكة وغير ذلك من عجايب لتقدير مؤكدا للتكذيبهم **ان جهنم** اي النار التي تلقي
اصحابها متجهمة لهم بغاية ما يكرهون **كانت** جبلة وخلقا **مرصادا** اي موضع رصد لاعدا الله ترصدهم
فيها خزنة النار فاذا راوهم كردسوهم فيها ولاوليا الله ترصدهم فيها خزنة الجنة لا نجايهم منها عند ورودها
او هي راصدة بليغة الرصد للكفار حتي صارت مجسدة من الرصد لتجمع اصحابها فلا يفوت منهم واحد كالمطعان
للكثير الطعن والمكثار للمبالغ في الاكثار ٭ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان علي جسر جهنم سبعة محابس
يسيل عن اولها شهادة ان لا اله الا الله فان جابها تامة جاز الي الثاني فيسيل عن الصلاة فان جابها تامة
جا الي الثالث فيسيل عن الزكاة فان جابها تامة جاز الي الرابع فيسيل عن الصوم فان جابه تاما جاز الي
الخامس فيسيل عن الحج فان جابه تاما جاز الي السادس فيسيل عن المظالم فان خرج منها والا قيل انظروا
فان كان له تطوع اكمل به اعماله فاذا فرغ انطلق به الي الجنة ٭ ولما كان درء المفاسد اولي من جلب المصالح
قدم ذكر المخوف فقال **للطاغين** اي المجاوزين لحدود الله **مابا** اي مرجعا وماوي بعد ان كان الله دلهم
لها فكانهم كانوا فيها ثم هياهم للخروج منها والبعد عنها بفطرهم الاولي ثم بما انزل الله من الكتب وارسل
من الرسل فكانه بذلك اخرجهم منها ثم رجعوا اليها بما احدثوا من التكذيب ٭ ولما ذكر مصيرهم اليها
ذكر اقامتهم فيها فقال حالا من ضمير الطاغين **لابثين فيها** ولما كان جمع القلة يستعار للكثرة وكان

الحقب

الحقب يطلق علي الزمان من غير حد ويطلق علي زمان محدود فقيل علي ثمانين سنة وعلي سبعين
الف سنة فكان السياق من تصدير السورة بالنبا وبوصفه مع التعبير بالنبا العظيم وما بعد ذلك
يفهم ان المراد الدوام ان اريد ما لا حد له وان المراد ان اريد المحدود جمع الكثرة واكثر ما فسر به الحقب
وانه للمبالغة لا التحديد كان جمع القلة هنا غير مشكل فمن حمله علي ما دون ذلك فكفاه زاجرا لم يضره التعبير
به ومن اجترا عليه واستهان به كان فتنة له كما كان حصر عدد الخزنة بتسعة عشر فلم يضر الا نفسه فلذلك
عبر عن طرف اللبس بقوله **احقابا** اي دهورا عظيمة متتابعة لا انقضا لها علي ان التعبير به ولو حمل علي
الاقل وجعل منقضيا لا ينافي ما صرح فيه بالخلود لانه اثبت شيا ولم ينف ما فوقه ٭ وعن الحسن
انه قال لا يكاد يذكر الحقب الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها من غير انقضا ولما كان المسكن
لا يصلح الا بالاعتدال والما الذي هو حياة كل شي قال ذاكرا حالهم هذا اللبث **لا يذوقون** اي ساعة ما
فكيف بما فوق الذوق **فيها** اي النار خاصة وكانه اشار بتقديمه الي انهم يذوقون في دار اخري الزمهرير
بردا اي روحا وراحة تنفعهم من الحر او مطلق برد **ولا شرابا** من ما او غيره يغنيهم من العطش علي حال
من الاحوال **الا** حال كون ذلك الشراب **حميما** اي ما حارا يشوي الوجوه قد انتهي حره **و** حال كون ذلك
الشراب مع حرارته او البرد **غساقا** اي عصارة اهل النار من القيح والصديد البارد المنتن فالاستثنا
علي هذا موزع الحميم من الشراب والغساق من البرد فالحميم شرابهم في دولة السعير والغساق في دولة
الزمهرير ٭ ولما حكم عليهم بهذا العذاب الذي لا يطاق ذكر حكمته فقال انه جزاهم بذلك **جزا وفاقا** اي
ذا وفاق لاعمالهم لانهم كانوا ياخذون اموال الناس فيحرقون صدورهم عليها ويبردون بها الشراب ويصفونه
ويبخرونه فهم يحرقون الان بعصارة غيرهم المنتنة وكانهم بعد الاحقاب ان جعلت منقضية يبدلون عذابا
جحيما غير الحميم والغساق ثم علل عذابهم بقوله مؤكدا تنبيها علي ان الحساب من الوضوح بحالة يصدق به
كل احد فلا يكاد يصدق ان احدا يكذب به فلا يجوزه فقال **انهم كانوا** اي بما هو لهم كالجبلة اي لا تقبل
غير ذلك فهم يفسدون القوي العلمية بانهم **لا يرجون** اي في حال من الاحوال ولو راوا كل اية **حسابا**
فهم لا يعملون بغير الشهوات فوافق هذا خلودهم في النار وعبر عن تكذيبهم بنفي الرجا لانه ابلغ وذلك
لان الانسان يطمع في الخير بادني احتمال ٭ ولما دل انتفا رجايهم علي تكذيبهم المفسد للقوة العلمية صرح
به علي وجه اعم فقال **وكذبوا باياتنا** اي علي ما لها من العظمة الدالة انها من عندنا **كذابا** اي تكذيبا
هو في غاية المبالغة بحيث لو سمعوا الكذب ما كذبوا به كما كذبوا بها فكان تجريبهم لما لا يصلح ان يشتريه
احد وان جرع منه شيا مات في الحال من غير موت لهم جزا علي تكذيبهم بالخوارق التي يجرعون بها الصادقين
انواع الحرق ٭ وقرئ بالتخفيف للدلالة علي انهم كذبوا في تكذيبهم ٭ ولما كان التقدير فكل شي جعلناه له
وزانا عطف عليه قوله **وكل شي** اي مطلقا من اعمالهم وغيرها او كل ما يقع عليه الحساب **احصيناه**
ولما كان الاحصا موافقا للكتابة في الضبط اكد فعله بها فقال **كتابا** فلا جايز ان نترك شيا من الاشيا
بغير جزا ويمكن تنزيل الاية علي الاحتباك وهو احسن دل فعل الاحصا علي حذف مصدره واثبات مصدره
كتب عليه اي احصيناه احصا وكتبناه كتابا وذلك الاحصا والكتب لعدم الظلم ٭ ولما ذكر عذابهم ووجه
موافقته لجزايهم سبب عن تكذيبهم ما يقال لهم بلسان الحال او المقال اهانة وزيادة في الخزي علي طريق
الالتفات المؤذن بشدة الغضب وكمال القدرة فقال ويجوز ان يكون مسببا عن مقدر بعد كتابا نحو
ليجازيهم عن كل شي منه قايلا لهم الملايكة او لسان الحال **فذوقوا** اي من هذا العذاب في هذا الحال
بسبب تكذيبكم بالحساب واكد ذوقهم في الاستقبال فقال **فلن نزيدكم** اي شيا من الاشيا في وقت من الاوقات
الا عذابا فان داركم ليس بها الا الجحيم كما ان الجنة ليس بها الا النعيم فانهم هذا ان حصول شي لهم غير العذاب

محال ولما ذكر جزا الكافرين واشعر آخره بكونه آجرا ذكر جزا المؤمنين المخالفين لهم فقال مستانفا مؤكدا لتكذيب الكافرين ان للمتقين اي الراسخين في الخوف المقتضي لاتخاذ الوقاية مما يخاف فوقوا انفسهم من سخط الله بما يرضيه من الاعمال والاقوال والاحوال مفازا اي فوزا وموضع فوز وزمان فوز بالراحة الدايمة من جميع ما مضى ذكره للطاغين الذين هم اضدادهم وقد كشفوا انفسهم للعذاب كل الكشف ثم فسره او ابدل منه على حذف مضاف اي فوز حدايق اي بساتين فيها انواع الاشجار ذوات الثمار والرياحين ليجمع مع لذة المطعم لذة البصر والشم قد احدقت بها الجدران وحوطت بها قال ابن جرير فان لم تكن محيطا ان محدقة بها لم يقل لها حديقة وخص اشجار العنب لطيبها وشرفها وحسنها وما فيها من لذة الذوق وعبر عن اشجارها بثمرتها اعلاما بانها لا توجد الا موقرة حملا وان ثمرتها هي جل منفعتها فقال واعنابا ولما ذكر المساكن النزهة المونقة المعجبة ذكر ما يتمتع به وهو جامع لالذاذ الحواس البصر واللمس والذوق وكواعب اي نسا كعبت ثديهن اترابا اي على سن واحد ما مس جلد واحدة التراب قبل الاخرى بل لو كن مولدات لكانت ولادتهن في آن واحد ولما ذكر النسا ذكر الملايم لعشرتهن فقال وكاسا اي من الخمر التي لا مثل لها في لذة الذوق ظاهرا وباطنا واكمال السرور وانعاش القوي ولما كانت العادة جارية بان الشراب الجيد يكون قليلا دل على كثرته دليلا على جودته بقوله دهاقا اي ممتلية ولما كانت مجالس الخمر في الدنيا ممتلية بما ينغصها من اللغو والكذب الا عند من لا مروة له فلا ينغصه القبيح قال نافيا عنها ما يكدر لذة السمع لا يسمعون فيها اي الجنة في وقت ما لغوا اي لفظا يستحق ان يلغى لانه ليس له معنى اعم من ان يكون مهملا ليس له معنى اصلا او مستعملا ليس له معنى موجود في الخارج وان قل او له معنى ولكنه لا يترتب عليه كبير فايدة ولما انتفى الكذب بهذه الطريقة وكان التكذيب اذى للمكذب نفاه بقوله ولا كذابا فان هذه الصيغة تقال على التكذيب ومطلق الكذب فصار المعنى ولا اذى بمعارضة في القول مع موافقة قراة الكسائي بالتخفيف فان معناها كذبا او مكاذبة وشدد في قراة الجماعة لرشاقة اللفظ وموازنة اعنابا واترابا مع الاصابة لحاق المعنى من غير ادنى جور عن القصد ولا تكلف بوجه ولما كان العطا اذا كان على المعاوضة كان اطيب لنفس الآخذ قال جزا وبين انه ما جعله جزاهم الا اكراما للنبي صلى الله عليه وسلم فانه سبحانه لا يجب عليه لاحد شي لان احدا لا يمكنه ان يوفي شكر نعمة من نعمه فان عمله من نعمه فقال من ربك اي المحسن اليك باكرام امتك بانواع الاكرام وفي عطا اشارة الى ذلك وهو بدل من جزا حسابا اي على قدر الكفاية وان فعل الانسان منهم ما فعل وحسب جميع انواع الحساب من قولهم اعطاه فاحسبه اذا تابع عليه العطا واكثره حتى جاوز العد وقال حسبي لا يمكن ان يحتاج مع هذا العطا وان زاد في الانفاق واختير التعبير به دون كافيا مثلا لانه اوقع في النفس فانه يقال اذا كان هذا الحساب فما الظن بالثواب ولما ذكر سبحانه سعة فضله وصف نفسه الاقدس بما يدل على عظمته زيادة في شرف المخاطب صلى الله عليه وسلم لان عظمة العبد على حسب عظمة السيد فقال مبدلا على قراة الجماعة وقاطعا بالرفع على المدح عند الحجازيين وابي عمرو رب السموات والارض اي مبدعهما ومدبرهما ومالكهما وما بينهما ملكا وملكا ولما شمل ذلك العرش وما دونه علله بقوله الرحمن اي الذي له الانعام العام الذي ادناه الايجاد وليس ذلك لاحد غيره فان الكل داخل في ملكه وملكه ولذلك قال دالا على الجبروت بعد صفة الرحمة لا يملكون اي اهل السموات والارض ومن بين ذلك اصلا دايما في وقت من الاوقات في الدنيا والاخرة لا في يوم بعينه منه اي العام النعمة خاصة خطابا اي ان يخاطبوه ويخاطبوا غيره بكلمة فما فوقها اي في امر هم في غاية الاهتمام به بما افادة التعبير بالخطاب فكيف بما دونه واذا لم يملكوا ذلك منه فهم والكل في ملكه وملكه وعدم ملكهم لان يخاطبهم مفهوم موافقه والحاصل انهم لا يقدرون على خطاب ما من ذوات انفسهم

كما هو

كما هو شان المالك واما غيره فقد يملكون ان يكرهن على خطابهم وان يخاطبوه بغير اذن من ذلك الغير ولا رضى وبغير تمليك منه لهم لانه لا ملك له واذا كان هذا في الخطاب فما ظنك بمن يدعي الوصال بالاتحاد عليهم اللعنة ولهم سو المآب ما اجراهم على الالحاد قال الاستاذ ابو القسم القشيري كيف يكون للمكون المخلوق والفقير المسكين مكنة يملك منه خطابا او يتنفس نفسا كلا بل هو الله الواحد الجبار ولما كان هذا ربما افهم سد باب الشفاعة عنده سبحانه وكان الكلام انما ينشا من الروح وكان الملايكة اقرب شي الى الروحية اكد هذا المعنى مزيلا ما قد يوهمه في الشفاعة سوا قلنا ان الروح هنا جنس او لا قال ذاكرا ظرف لا يتكلمون يوم يقوم الروح اي هذا الجنس او خلق من خلق الله عظيم الشان جدا قيل هو الموكل بالارواح او جبريل عليه السلام او القران المشار اليه بمثل قوله تعالى ينزل الملايكة بالروح من امره وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قاله ابن زيد والملايكة اي كلهم ونبه بالاصطفاف على شدة الامر فقال صفا للعنا ما في ذلك اليوم من شدايد الاهوال وحفظ الثقلين وهم في وسط دايرة صفهم من الموج والاضطراب لعظيم ما هم فيه ثم زاد الامر عظما بذكر العامل في يوم فقال لا يتكلمون اي من تقدم كلهم بكلمة واحدة مطلق كلام خطابا كان اي في امر عظيم او لا لا له سبحانه ولا لغيره اصلا ولا لاحد منهم ويجوز ان يكون هذا حالا لهولا الخواص فيكون الضمير لهم ولغيرهم بطريق الاولى الا من اذن له اي في الكلام اذنا خاصا الرحمن اي الملك الذي لا يكون نعمة الا منه وقال صوابا فان لم يحصل الامران لم يقع الكلام من احد منهم اصلا وهذا كالدليل على ابية الخطاب لانه اذا كان الروح والقريب منه بهذه المثابة في حال كل من حضره كان احوج ما يكون الى الكلام فما الظن بغيرهم وهم في غيره كذلك بطريق الاولى وغيرهم فيه وفي غيره من باب الاولى واما في الدنيا فانه وان كان لا يتكلم احد الا باذنه لكنه قد يتكلم بالخطا ولما عظم ذلك اليوم بالسكوت خوفا من ذي الجبروت وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا اشار اليه بما يستحقه زيادة في عظمته فقال ذلك اي المشار اليه لبعد مكانته وعظم رتبته وعلو منزلته اليوم الحق اي في اليومية لكونه ثابتا في نفسه فلا بد من كونه ولا زوال له ثبوتا لا مرية فيه لعاقل وثابتا كل ما اثبته وباطلا كل ما نفاه ولما قرر من عظمته ما يعجز غيره عن ان يقرر مثله وكان قد خلق القوى والقدرة والفعل بالاختيار فكان من حق كل عاقل ان يتدرع ما ينجي منه سبب عن ذلك تنبيها على الخلاص منه وحثا عليه قوله فمن شا اي الاتخاذ من المكلفين الذين اذن لهم اتخذ اي بغاية جهده الى ربه اي خالقه نفسه المحسن اليه او رب ذلك اليوم باستعمال قواه التي اعطاه الله اياها في الاعمال الصالحة مآبا اي مرجعا هو المرجع مما يحصل له فيه الثواب بالايمان والطاعة فان الله جعل لهم قوة واختيارا ولكن لا يقدر احد منهم على مشية شي الا بمشية الله ولما قدم في هذه السورة من شرح هذا النبا العظيم ما قدم من الحكم والمواعظ واللطايف والوعد والوعيد لخصه في قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب انا على ما لنا من العظمة انذرناكم اي ايتها الامة وخصوصا العرب بما مضى من هذه السورة وغيرها عذابا ولما كان لا بد من اتيانه وكونه سوا كان بالموت او بالبعث وكان كل ما تحقق اتيانه اقرب شي قال قريبا ولما حد زمنه عين وقته مشددا لتهويله فقال يوم ينظر المرء اي جنسه الصالح منه والطالح نظرا لا مرية فيه ما اي الذي قدمت يداه اي كسبه في الدنيا من خير وشر وعبر بهما لانهما محل القدرة فكنى بهما عنها من ان اكثر ما يعمل كاين بهما مستقلين او مشاركين فيه خيرا كان او شرا ولما كان التقدير فيقول المومن يا ليتني قدمت قبل هذا عطف عليه قوله ويقول الكافر اي العريق في الكفر عندما يرى من تلك الاهوال متمنيا محالا يا ليتني كنت اي كونا لا بد منه ولا يزول ترابا اي في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم اعذب والمراد به الجنس او ابليس الذي تكبر عن السجود لادم عليه السلام المخلوق من التراب وعظم نفسه بالحسد والافتخار بكونه مخلوقا من نار فيقول ذلك

عندنا بري ما لآدم عليه السلام وخواص بنيه من الكرامة وعن ابي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم ان الله تعالى يقتص يوم البعث للبهايم بعضها من بعض ثم يقول لها كوني ترابا فتكون فيتمنى الكافر مثل ذلك وقد علم ان ذلك اليوم في غاية العظمة وانه لا بد من كونه فعلم ان التساؤل عنه للتعجب من كونه من اعظم الجهل فرجع آخرها على اولها وانعطف مفصلها اي انعطاف على موصلها واتصل مع ذلك بما بعدها اي اتصال فان المشرف بالنزع على الموت يرى كثيرا من الاهوال والزلازل والاوجال التي يتمنى لاجلها انه كان منقطعا عن الدنيا ليس له بها وصال يوما من الايام ولا ليلة من الليال

مقصودها

مقصودها بيان آخر امر الانسان بالاقسام على بعث الانام ووقوع القيام يوم الزحام وزلل الاقدام بعد البيان التام فيما مضى من هذه السور العظام تنبيها على انه وصل الامر في الظهور الى مقام ليس بعده مقام وصور ذلك بنزع الارواح بيدي الملايكة الكرام ثم امر فرعون اللعين وموسى عليه السلام واسمها النازعات واضح فيما ذلك المرام اذا تؤمل القسم وجوابه المعلوم للايمة الاعلام وكذا الساهرة والطامة اذا تؤمل السياق وحصل التدبر في تقرير الوفاق بسم الله الظاهر الباطن الملك العلام الرحمن الذي عم بالانعام الرحيم الذي خص اهل ولايته بالتمام فاختصوا بالاكرام في دار السلام ولما ذكر سبحانه يوم يقوم الروح ويتمنى الكافر العدم اقسم اول هذه بنزع الارواح على الوجه الذي ذكره بايدي الملايكة عليهم السلام على ما يأتي تزعه من البعث وساقه على وجه التاكيد بالقسم لانهم به مكذبون فقال والنازعات اي من الملايكة كما قال علي وابن عباس رضي الله عنهما للارواح والانفس من مراكزها في السموات امتثالا للاوامر الالهية غرقا اي اغراقا بقوة شديدة تغلغلا الى اقصى المراد من كل شي من البدن حتى الشعر والظفر والعظم كما يغرق النازع في القوس فيبلغ اقصى المد وكان ذلك لنفوس الكفار والعصاة كما تنزع السفود وهي الحديدة المتشعبة المتعاكسة الشعب من الصوف المبلول وعوابن جرير كما هي عادته في كل ما يحتمله اللفظ فقال والصواب ان يقال ان الله تعالى لم يخصص فكل نازعة داخلة في قسمه يعني للاعتبار بما اتاها الله من القدرة على ذلك النزع الدالة على تمام الحكمة والاقتدار على ما يريد سبحانه ولما ذكر الشد مبتديا به لانه اهول اتبعه الرفق فقال والناشطات اي المخرجات برفق للارواح او لاجنحتها من محالها نشطا اي رفيقا فلا تدع وان كان رفيقا بين الروح والجسد تعلقا كما ينشط الشي من العقال اي يحل من عروة كانت عقدت على هيئة الانشوطة قال الفرا انه سمع العرب يقولون نشطت العقال اذا حللته وانشطته اذا عقدته انشوطه انتهى والنشط ايضا الجذب والنزع يقال نشطت الدلو نشطا اذا نزعتها وقال الخليل النشط والانشا مدك الشي الى نفسك حتى يخل وكان هذا الارواح اهل الطاعة وكذلك نزع النبات والانشا والاتما لكل ما يراد نزعه او نشطه فالذي قدر بعض عبيده على هذا الذي فيه تمييز الارواح من غيرها على ما لها من اللطافة وشدة الممازجة قادر على تمييز جسد كل ذي روح من جسد غيره بعد ان صار كل ترابا واختلط بتراب الاخر ولما ذكر نوعي السل بالشدة والرفق ذكر فعلها في اقبالها اليه ورجوعها عنه فقال والسابحات اي من الملايكة ايضا في الجو بعد التهيؤ للطيران الى ما امر الله به من اوامره من الروح او غيرها سبحا هو في غاية السرعة لانه لا عايق لها بل قد اقدرها الله على النفوذ في كل شي كما اقدر السابح في الما والهوا لذلك نسق عليه بالفا قوله فالسابقات اي بعد السبح في الطيران الى ما امروا به من غمس الارواح في النعيم او الجحيم او غير ذلك مما امروا به في اسرع من اللمح مع القدرة والغلبة لجميع ما تقع محاولته سبقا ولما كان بذلك حسن امتثالها للاوامر بان به عظيم نظرها في العواقب فدل على ذلك بالفا في قوله فالمدبرات اي الناظرات في أدبار

الامور

الامور وعواقبها لاتقان ما امروا به في الارواح وغيرها امرا اي عظيما ويصح ان يكون ذلك للشمس والقمر والكواكب والرياح والخيل السابحة في الارض والجو بمنفعة العباد وتدبير امورهم وبعضها سابق لبعض وبه قال بعض المفسرين والجواب محذوف اشارة الى انه من ظهور العلم به بدلالة ما قبله وما بعده عليه في حد لا مزيد عليه فهو بحيث لا يحتاج الى ذكره فحذفه كاثباته بالبرهان فتقديره لتذهبن الى انتم مختبرون لنزعنا لها من محالها وتقطيع اوصالها فان كل ما تقدم من اعمال ملايكتنا هو من مقدمات ذلك تكذيبا لقول الكفار ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر المشار اليه بنسا ولهم عنها لانه على وجه الاستمرار والتكذيب ولتقومن الساعة او انكم تبعثون بعد الموت وانها هذه الدار ثم تجازون بما عملتم باسباب موجودة مهيئة بين اظهركم دبرناها واوجدناها حين اوجدنا هذه الحياة الدنيا وان كنتم لا ترونها كما ان هذه الامور التي اخبرناكم بها في نزاع الارواح والنبات والمنافع موجودة بين اظهركم والميت اقرب ما يكون منكم وهي تعمل اعمالها والمحتضر اشد ما يكون صوتا واعظمه حركة اذا هو قد خفت وهمد بعد ذاك الامر وسكنت واهتدت اعضاوه ومات وذهب عنكم قهرا وفات الذي فات كان قط ما كان ولا يتقلب في زمن من الازمان بتلك الاسباب التي تعمل اعمالها وتمد حبالها وترسي اثقالها وتلقي اهوالها واوحالها وانتم لا ترونها فبالله العجب الابد كم ذلك على كثرته عن ان تستبعدوا على قدرته تمييز تراب جسد من تراب جسد آخر وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير لما اوضحت سورة النبا حال الكافر في قوله يا ليتني كنت ترابا عند نظره ما قدمت يداه ومعاينته من العذاب عظيم ما يراه وبعد ذكر تفصيل احوال واهوال اتبع ذلك ما قد كان حاله عليه في دنياه من استبعاد دعوته في اخراه وذكر قرب ذلك عليه سبحانه كما قال في الموضع الآخر وهو اهون عليه وذلك بالنظر الينا ولما عهدناه والا فليس عنده سبحانه شي اهون من شي انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون فقال تعالى والنازعات غرقا الى قوله يقولون اينا لمردودون في الحافرة ايذا كنا عظاما نخرة او تستبعدون ذلك تستدفعونه فانما هي زجرة واحدة اي صيحة فاذاهم بالساهرة اي الارض فيها ما ينظرون ما قدمت ايديهم ويتمنون ان لو كانوا ترابا ولا ينفعهم ذلك ثم ذكر تعالى من قصة فرعون وطغيانه ما يناسب الحال في قصة الاتعاظ والاعتبار ولهذا اتبع القصة بقوله سبحانه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى انتهى ولما اقسم على القيام بتلك الافعال العظام التي ما اقدر اهلها عليها الا الملك العلام ذكر ما يكون من الاعلا تهويلا لامر الساعة لان النفوس للمحسوسات نزاعة وفي الغايبات عندها حسية مضاعة فقال ناصبا الظرف بذلك المحذوف لانه لشدة وضوحه كالملفوظ يوم ترجف اي تضطرب اضطرابا كبيرا من عجا الراجفة اي الصيحة وهي النفخة الاولى التي هي بحيث تبلغ من شدة ارجافها للقلوب وجميع الاشيا الساكنة من الارض والجبال الى نزع النفوس من جميع اهل الارض مبلغا يستحق به ان يوصف بالعراقة في الرجف قال النحوي واصل الرجفة الصوت والحركة ولما ذكر الصيحة الاولى اتبعها الثانية حالا منها دلالة على قربها تحقيقا للوقوع ولان ذلك كله في حكم يوم واحد فصح مجي الحال وان بعد زمنه من زمن صاحبه فقال تتبعها الرادفة الصيحة التابعة لها التي يقوم بها جميع الاموات وتجمع الرفات وتضطرب من هولها الارض والسما وتدك الجبال ويعظم الزلزال ويكون عنها التسيير بعد المصير الى الكثيب المهيل ونحو ذلك من الامر الشديد الطويل قال الحرمي الكرماني روى السدي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى امطر عليهم ما من تحت العرش يدعى ما الحياة فينبتون منه كما ينبت الزرع من الما حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيها الروح ثم تلقى عليهم نومة فيناموا في قبورهم فاذا نفخ في الصور ثانية جلسوا وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم واعينهم ولما ذكر البعث ذكر حال المكذب به لان التبيان قوله فقال مبتديا بنكرة موصوفة قلوب يومئذ اي اذ قام الخلايق بالصيحة التابعة للاولى واجفة اي شديدة الاضطراب في اجوافها

خوفا تكاد تخرج منها من شدة الوجيف ولما وصفها بالاضطراب وكان قد تخفى سببه لكونه قد يكون
عند السرور العظيم كما قد يكون عند الوجل الشديد اخبر عنه بما يحقق معناه فقال ابصارها أي
ابصار اصحابها نحو من الاستخدام خاشعة اي ذليلة ظاهر عليها الذل واضطراب القلوب من
سوء الحال ولذلك اضافها اليها ولما وصفها بالاضطراب والذل علله ليعرف منه ان من يقول
بضده قولهم يكون له ضده وضمهم من الثبات والسكون والعز الظاهر فقال يقولون اي في الدنيا
قولا يجددونه كل وقت من غير خوف ولا استحيا استهزا وانكارا اينا لمردودون اي بعد الموت ممن
يتصف بردنا كاينا من كان في الحافرة اي في الحياة التي كنا فيها قبل الموت وهي حالتنا الاولى من
قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها بحفرها اي اثر فيها بمشيه كما يوثر الاقدام والحوافر
في الطرق اطلق على المفعولة فاعلة مبالغة وذلك حقيقته ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم رجع اليه
رجع الى حافرته وقيل الحافرة الارض التي هي محل الحوافر ولما وصف قلوبهم بهذا الانكار الذي
ينبغي لصاحبه ان يذوب خجلا اذا فرط منه مرة واحدة واشار الى شدة وقاحتهم بتكريره اتبعه التصريح
بتكريرهم له على وجه مشير الى العلة الحاملة لهم على قوله وهو قولهم أيذا كنا اي كونا صار جبلة لنا
عظاما نخرة اي هي في غاية الانتخار حتى تفتتت فكان الانتخار وهو البلى والتمزق والتفتت كانه
طبعت عليه وهي اصلب البدن فكيف بما عداها من الجسم وعلى قراءة ناخرة المعنى انها خلا ما فيها فصار
الهوا يتخرق فيها اي يصوت ولما كان العامل في اذا مقدرا نحو ان يقال نرد عند ذلك في حالتنا
الاولى ونعود كما كنا دل على هذا المحذوف قوله تعالى عنهم قالوا اي مرة من المرات تلك اي الردة
الى الحالة الاولى العجيبة جدا البعيدة من العقل في زعمهم اذن اي اذ نرد الى حياتنا الاولى لا شي لنا كما
ولدنا لا شي لنا ونفقد كل ما سعينا في تحصيله وجمعه وتاثيله كرة اي رجعة واعادة وعطفة
خاسرة اي هي لشدة خسارتنا فيها بما فقدنا مما حصلناه من الحال والمال وصالح الحلال عريقة في
الخسارة حتى كانها هي الخاسرة ولعله عبر بالماضي لانهم ما سمحوا بهذا القول الا مرة من الدهر وكما
اغلب قولهم فكان انهم يكونون على تقدير البعث اسعد من المومنين على قياس ما هم عليه في الدنيا ونحو
هذا من الكذب على الله ولما كان التقدير نعم والله لتردن يا هولا انما هذا الذي يقولونه كله استبعاد
منكم لما انتم مقرون بسهولته لو عقلتم اما من جهة القدرة فلان الابتدا اصعب من الاعادة وانتم معترفون
بالابتدا ولان الاستبعاد ان كان من جهة وقوع الظن بان من صار ترابا يصير عوده محالا من جهة
تعذر تمييز ترابه من تراب غيره فتمييز النازع والناشط من الملايكة للروح من الجسد اصعب من
ذلك بكثير وكذا غير هذا مما تدبره الملايكة من الامور فكيف يصعب على ربهم سبحانه شي يسهل
مثله عليهم واما من جهة العوايد فلا احد الا يدع رعية له بغير ديونة اصلا واما من جهة الوعد فقد
تقدم به وليس من شيم الكرام فضلا عن الملوك اخلاف الوعد ولا اقرار الظلم فلا تكذبوا بها ولا
تستصعبوها قال مسببا عن هذا المقدر محددا لاصحاب الشبهة المقلدين فانما هي اي القيمة زجرة
اي صيحة بانتهار تتضمن الامر بالقيام والسوق الى المحشر والمنع من التخلف واحدة عبر بالزجر وهو
اشد من النهي لانه يكون للعرض لانها صيحة لا يتخلف عنها القيام اصلا فكان كان لسان قال عن تلك
الصيحة ايها الاجساد البالية انتهي عن الرقاد وقومي الى الميعاد بما حكمنا به من المعاد فقد انتهى
زمن الحصاد وآن اوان الاجتنا لما قدم من الزاد فيا ويل من ليس له زاد فاذا هم اي فتسبب عن هذه
النفخة وهي الثانية انهم فاجاوا بغاية السرعة كونهم احيا قايمين بالساهرة اي على ظهر الارض البيضا
المستوية الواسعة التي يجددها الله للجزا فتكون لسعتها كانها قد ابتلعتهم على كثرتهم الية تفوت العد

ديونة

وتزيد

وتزيد على الحد سميت بذلك لان السراب يجري فيها من الساهرة وهي العين الجارية او لان سالكها
يسهر خوفا كما ان النوم يكون امنة او لان هذه الارض بالخصوص لا نوم فيها مع طول الوقوف وتقلب
الظروف الموجبة للتخوف ولما كانت قصة موسى عليه السلام مع القبط اشبه شي بالقيمة لما حصل
فيها من التقلبات والتغيرات وايجاد المعدومات من الجراد والقمل والضفادع على تلك الهيأت
الخارجة عن العادات في اسرع وقت وقهر الجبابرة والمن على الضعفا حتى كان اخر ذلك ان حشر
بني اسرايل فنشطهم من بين القبط نشطا رفيقا كلهم مع دوابهم وجميع ما لهم الى ربهم وحشر جميع القبط
وراهم فنزعهم نزعا كلهم بحشر فرعون لهم باصوات النادين عنه في اسرع وقت وايسر امر الى هلاكهم
كما يحشر الاموات بعد احيايهم بالصيحة الى الساهرة ثم كانت العاقبة في الطايفتين بما للمدبرات
امرا ان نجا بنو اسرايل بالبحر كما ينجو يوم البعث المومنون بالصراط وهلك فرعون وآله به كما يتساقط
الكافرون بالصراط وذلك انه راى فرعون وجنوده البحر قد انفلق لبني اسرايل فلم يعتبر وابدلك
ثم دخلوا فيه وراهم ولم يجوز وان الذي حسره عن مكانه قادر على ان يعيده كما ابداه فيغرقهم
واستمروا في عماهم حتى رده الله فاغرقهم به كما ان من يكذب بالقيمة راى بدا الله له ولغيره وافناه
بعد ابدايه ثم انه لم يجوز ان يعيده كما بداه اول مرة وصل بذلك قوله تعالى جوابا لمن يقول هل لذلك
من دليل مخاطبا لاشرف الخلق اشارة الى انه لا يعتبر هذا حق اعتباره الا انت مستفهما عن الاتيان
للتنبيه والحث على جمع النفس على التامل والتدبر والاعتبار مقررا ومسليا له صلى الله عليه وسلم
ومهددا للمكذبين بان يكون حالهم وهم اضعف اهل الارض لانه لا ملك لهم كحال فرعون في هذا وقد كان اقوى
اهل الارض بما كان له من الملك وكثرة الجنود وقوتهم وسحرهم ومرودهم في خداعهم ومكرهم وراى من
الايات ما لم يره احد قبله فلما اصر على التكذيب ولم يرجع ولا افاده التاديب اغرقه الله وآله
فلم يبق منهم احدا وقد كانوا لا يحصون عددا بحيث انه قيل ان طليعته كانت على عدد بني اسرايل ستمايه
الف هل اتاك اي يا اعلم الخلق حديث موسى اي ما كان من امره الذي جددناه له حين اردنا
فيكون كافيا لك في التسلية ولقومك في الحث على التصديق والتنبيه على الاعتبار والتهديد على
التكذيب والاضرار والاصرار اذ اي حين ناداه ربه اي المحسن اليه بايجاده وتقريبه وتدبيره امره
ارساله وتقديره بالواد المقدس اي المطهر غاية الطهر بتشريف الله له بانزال النبوة المفيضة
للبركات ثم بينه بقوله طوى وهو الذي طوى فيه الشر عن بني اسرايل ومن اراد الله من خلقه ونشر
بركات النبوة على جميع اهل الارض المسلم باسلامه وغيره برفع عذاب الاستيصال عنه فان العلما قالوا
ان عذاب الاستيصال ارتفع حين انزلت التوراة وهو واد بالطور بين ايلة ومصر ولما ذكر المناداة
فسرها بقوله مستانفا منبها لاصحاب الشهوة المعجبين المتكبرين وقد ارشد السياق الى ان
التقدير ناداه قايلا اذهب الى فرعون اي ملك مصر الذي كان قد استعبد بني اسرايل ثم خوف من
واحد منهم فصار يذبح ابناهم خوفا منه وهو انت تربينا ك في بيته لهلاكه حتى يعلم انه لا مفر من قدرنا
فكنت اعز بني اسرايل وكان سبب هلاكه معه في بيته بمراي منه ومسمع وهو لا يشعر بذلك ثم قتلت منهم
نفسا وخرجت من بلدهم خايفا تترقب ولما امره بالذهاب اليه علله بما يستلزم اهلاكه على يدي عليه
السلام شاء له بالبشارة بانه لا سبيل له عليه ولذلك اكده لان مثل ذلك امر يقتضي طبع البشر التوقف
فيه فقال انه طغى اي الحد وتجاوز الحد فاستحق المقابلة بالحد ثم سبب عن الذهاب اليه فقال فقل
اي له تفصيلا لبعض ما تقدم في طه من لين القول ولطف الاستدعا في الخطاب هل لك اي ميل وحاجة
الى ان تزكى اي تتحلى بالفضايل وتتطهر من الرذايل ولو بادنى انواع التزكي الطهارة الباطنة الموجبة للنما

وا لكثرة وابهام الأدني بما يشير اليه اسقاط التفعل المقتضي للتخفيف وذلك بالاذعان المقتضي للايمان ٥
وارسال بني اسرآيل وقرا الحجازيان ويعقوب بالتشديد اي تزكية مليغة لان من دخل في التزكي
علي يد كامل لا سيما نبي من اولي العزم اوشك ان يبلغ الغاية في الزكا **ولما** اشار له الي الطها
عن الشرك اتبعه الاعمال فقال **واهديك** اي ابين لك بعد التزكية بالايمان الذي هو الاساس
كيف المسير **الي ربك** اي الموجد لك المحسن اليك بتعريفك ما يرضيه من الاعمال وما يغضبه من
الخصال بعد ان بلغك في الدنيا غاية الآمال **فتخشي** اي فيتسبب عن ذلك انك تصير تعمل اعمال
من يخاف من عذابه خوفا عظيما فتؤدي الواجبات وتترك المحرمات وساير المنهيات فتصير الي
اعلي رتب التزكية فيجمع ملك الاخرة الي ملك الدنيا لان الخشية هي الحاملة علي كل خير والامن هو الحامل
علي الشر **ولما** كان التقدير فذهب اليه كما امره الله تعالي فقال له ذلك فطلب الدليل علي
صحة الرسالة واستبعد ان يخص عنه بعلوه وقدرباه وليدا **فاراه** اي فتسبب عن طلبه له انه دل
علي صدقه بان اراه **الآية** اي العلامة الدالة علي ذلك **الكبري** وهي قلب العصي حية او جميع معجزاته
فكذب اي فتسبب عن رؤيته ذلك انه اوقع التكذيب بشي انما يقتضي التصديق **وعصي** اي اوقع
العصيان وهو الإبا الكبير لامتثال ما دعي اليه مجموعا الي التكذيب بعد اقامة الدليل علي الصدق
وتحققه الامر **ولما** كان التمادي علي التكذيب ممن عرف الحق ولا سيما اذا كان كبيرا مستبعدا
جدا اشار اليه باداة التراخي مع دلالتها علي حقيقة التراخي ايضا فقال **ثم ادبر** اي فرعون بعد
المهلة والاناة ادبارا عظيما بالتمادي علي اعظم مما كان فيه من الطغيان بعد خطوب جليلة ومشاهد
طويلة حال كونه **يسعي** اي يعمل بغاية جهده عمل من هو مسرع غاية الاسراع في ابطال الامر الرباني
بقلة عقله وفساد رايه وابي ان يقبل الحق **فحشر** اي فتسبب عن ادباره ساعيا وتعقبه انه جمع السحرة
طوعا وكرها وجنوده **فنادي** اي في المجامع **فقال** اي مناديه الذي لا يشك انه عنه فكان
قوله كقوله **انا** وقال حمزة الكرماني قال له موسي عليه السلام ان ربي ارسلني اليك لئن امنت بربك تكون
اربعمائة سنة في السرور والنعيم ثم تموت فتدخل الجنة فقال حتي استشير هامان فاستشاره فقال
اتصير عبدا بعد ما كنت ربا تعبد فعند ذلك بعث الشرط وجمع السحرة والجنود فلما اجتمعوا قام
عدو الله علي سريره فقال انا **ربكم الاعلي** فكان هذا ندآه يعني كلكم ارباب بعضكم فوق بعض وانا
اعلاكم ولا رب فوقي اصلا وذلك لان الاله عنده الطبيعة وهي مقسمة في الموجودات فهم كلهم ارباب ومن
كان اعلي كان اقعد في المراد وهو كان اعلي منهم فقبحه الله ولعنه ولعن من تمذهب بمذهبه كابن عربي وابن
الفارض واتباعهما حيث انكروا الواحد المختار الملك القهار ورسوله المصطفي المختار وتبعوا في وحدة
الوجود بعض الفلاسفة ثم الحلاج بعد فرعون هذا الذي لم يصرح الله بذم احد ما صرح بذمه ولم
يصرح بشقا احد ما صرح بشقايه كهذه الاية فانها مصرحة بوقوع نكاله في الاخرة كما وقع في الدنيا
وقوله تعالي فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ايمة
يدعون الي النار ويوم القيمة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين
الي غير ذلك من الايات البينات وهي كثيرة واعظمها القياس البديهي الانتاج وان فرعون لعالٍ في الارض
وانه لمن المسرفين وان المسرفين هم اصحاب النار **ويروي** ان ابليس لما سمع منه قوله هذا قال انا جرت
علي ادم فلعنت ما لعنت وهذا يقول هذا وهذا دعاه اليه الكبر الناشي عن فتنة السرا التي الصبر
فيها اعظم من الصبر علي الضرا **قال** الامام الغزالي في كتاب الصبر من الاحيا فالصبر علي الطاعة شديد
لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية **ولذلك** قال بعض العارفين ما من نفس الا وهي

مضمرة

مضمرة ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم الاعلي **ولكن** فرعون وجد مجالا وقبولا فاظهر اذا استخف قومه
من اخذ الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته فان كان ممتنعا
من اظهاره فان استعاظه وغيظه عند تقصيرهم في خدمته لا يصدر الا من اضمار الكبر ومنازعة الربوبية
في ردا الكبريا انتهي **ويؤيده** ان النبي صلي الله عليه وسلم ما لام خادمه في شي قط والله الموفق ٥
ولما اخبر سبحانه عنه بهذه الكلمة الشنعا القادحة في الملك وكان الملوك لا يحتملون ذلك بوجه
سبب عنها وعقب قوله **فاخذه الله** اي الملك الذي لا كفو له ولا امر لاحد معه اخذ قهر وذل امتثالا
به **نكال الاخرة** فهو مصدر من المعني اي اخذ تنكيل فيها يكون مثلا يتقيد به كل من سمعه عن مثل حال فرعون
وقدمها اهتماما بها واشارة الي ان عظمة عذابها اعظم ولا يذوقه الانسان الا بكشف غطا الدنيا بالموت
وتنبيها علي ان المنع من مثل هذه الدعوي للمصدق بها امكن وليس ذلك للفاصلة لانه لو قيل الاخري لوافقت
والاولي اي ونكال الدنيا التي هي قبل الاخرة فان من سمع قصة غرقه ومجموع ما اتفق له كان له ذلك
نكالا مانعا عن عمل مثله **قال** الضحاك اما في الدنيا فاغرقه الله والقاه بنجوة من الارض واما العقبي ٥
فيدخله النار ويجعله ظاهرا علي تل منها مغلولا مقيدا ينادي عليه هذا الذي ادعي الربوبية دون الله
انتهي **وانا** لا اشك ان الحلاج وابن عربي وابن الفارض واتباعهم يكونون في النار تحته وتحت آله يشربون عصارتهم
فانهم ادعوا انه ناج وصدقوه فيما ادعاه وادعوا لانفسهم وغيرهم مثل ما ادعاه تكذيبا للقران واغراقا في
العدوان وزادوا واعليه بابتذال الاسم الاعظم الذي حماه الله من ان يدعيه احد قبل ارسال النبي صلي الله عليه
وسلم فادعوا انه يطلق عليهم وعلي كل احد بل كل شي وامارة هذه الطايفة الخبيثة التي لا تتخلف ان يقول لاحدهم
العن فرعون الذي اجمع علي بغضه جميع الطوايف وهو مثل عندهم في الشرارة والخبث فلا يلعنه وان لعنه فبعد
توقف **ولما** لخص سبحانه ما مضي من قصصه في هذه الكلمات اليسيرة احسن تلخيص واقربه مع عدم
المخالفة لشي مما مضي لان المفصل موضع الاختصار اما باعتبار النزول فانه نزل اولا فكان تقريب ٥
القصص للناس بالاقتصار علي ما لا بد منه اولي ليستانسوا به واما من جهة الترتيب فلتذكيرهم بما مضي
ليجتمع في المخيلة في اقرب وقت ويتذكر به ذلك المبسوط وختمه بأخذه هذا الاخذ الغريب ارشد الي ما في القصة
من العبرة مشيرا الي استحضار ما مضي كله فقال مؤكدا ليفرد المكذب وينبها للمصدق **ان في ذلك** اي الامر ٥
العظيم الذي فعله والذي فعل به **لعبرة** اي امرا عظيما يتحمل الاعتبار به من معني الي معني حتي يقع به الوصول
الي كثير من المعارف **لمن يخشي** اي من شانه الخوف العظيم من الله لان الخشية كما تقدم راس الخير فاوّل ٥
العبور ان ينقل السامع حال غيره اليه فيتذكر بانجا بني اسرايل علي ضعفهم منهم علي قوتهم ثم بقوة ما حصل لهم
من القهر من ذلك حتي اوجب لتباعهم بالجنود ثم لتفرق البحر ثم بايرادهم اياه ثم باغراقهم فيه كلمح البصر ٥
لم يخرج منهم مخبر قدرة الله تعالي علي ايراد الكفار النار وقهرهم كل جبار وبجعل العصي حية واخراج
القمل والضفادع من الارض وتحويل الما دما قدرته سبحانه علي ذلك السامع بالعذاب وغيره وعلي خصوص
البعث الي غير ذلك من العبر وواضح الاثر **ولما** ختم قصته بالعبرة وكان اعظم عبرتها القدرة التامة
لا سيما علي البعث كما هي مشيرة اليه باولها وآخرها والعقوبة علي التكذيب به لان التكذيب به مجمع مجامع
الشر والتصديق به مجمع مجامع الخير وكانوا يستبعدونه لاستبعاد القدرة عليه وصل به ما هو كالنتيجة
منه فقال مقررا مخاطبا لاصحاب الشبه الشاكين موقفا لهم علي القدرة منكرا عليهم استبعادهم ذلك
ملتفتا بعد تخصيص الخطاب به صلي الله عليه وسلم لما تقدم من دقة فهمه وجلالة علمه صلي الله عليه وسلم
الي عموم الخطاب لوضوح هذا البرهان لكل انسان استعطافا لهم في توبيخ **آانتم** اي ايها الاحيا مع
كونكم خلقا ضعيفا **اشد خلقا** اي اصعب واثقل من جهة التقدير والايجاد **ام السما** علي ما فيها من السعة

والكبر والعلو والمنافع • ولما كان الجواب قطعاً السماء لما يرى من عظمها لان العالم الانساني مختصر
العالم الافاقي ويزيد الافاقي بطول البقاء مع عدم التأثير وصل به قوله دليلا على قدرته على لقدرته
على ما هو اشد منه لان الذي قدر على ابتدا الاكبر هو على اعادة الاصغر أقدر مبيناً لكيفية خلقه
لها بناها اي جعلها سقفاً للارض على ما لها من العظمة ثم بين البنا بقوله رفع سمكها اي جعل مقدار
ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا قال في القاموس السمك السقف او من اعلى البيت
الى اسفله او القامة من كل شي • وقال ابو حيان السمك الارتفاع الذي بين سطح السما الذي يلينا وسطحها
الذي ما فوقها فسواها اي عدلها عقب ذلك بان جعلها مستوية لا شي فيها اعلى من شي ولا اخفض
ولا فطور فيها واصلحها بما تم به كما لها من الكواكب وغيرها وجعل مقدار ثخن كل سما وما بين كل سماءين وثخن
كل ارض وما بين كل ارضين على السوا لا يزيد شي من ذلك على الاخر اصلا • ولما كان كل من ذلك يدل
على القدرة على البعث لانه ايجاد ما هو اشد من خلق الادمي من عدم اتبعه ما يتصور به البعث في كل
يوم وليلة مرتين فقال وأغطش اي اظلم اظلاما لا يهتدي معه الى ما كان في حال الضيا ليلها
بغياب شمسها فاخفى ضياها بامتداد ظل الارض على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه واضافه اليها
لانه يحدث بحركتها وبدا به لانه كان اولا والعدم قبل الوجود وأخرج ضحاها بطلوع شمسها
فاضا نهارها • فالاية من الاحتباك ذكر باغطش على اضا وباخراج الضحى على اخفا الضيا ولعله
عبر بالضحى عن النهار لانه اظهر ما فيه واقوى نورا ولما بدا بدلالة العالم العلوي لانه ادل لما
فيه من العجايب والمنافع مع كونه اشرف فذكر انه اتقن السما التي هي كالذكر ثنى بانه سوى ما هي
لها كالانثى فقال والارض ولما كان المراد استغراق الزمان باستمرار الدحو حذف الخافض
فقال بعد ذلك اي المذكور كله دحاها اي بسطها ومهدها للسكنى وبقية المنافع بعد ان كان خلقها
واوجدها قبل ايجاد السما غير مسواة بالفعل ولا مدحوة • ولما ذكر الدحو اتبعه ما استلزمه من المنافع
لتوقف السكنى المقصودة بالدحو عليه فقال كالمبين له من غير عاطف أخرج منها اي الارض ماءها بتفجير
العيون واضافته اليها دليل على انه مودع فيها ومرعاها الذي يخرج بالما والمراد ما يرعى منها ومكانه
وزمانه ولما ذكر الارض ومنافعها ذكر المراسي التي تم بها نفعها فقال والجبال اي خاصة ارساها
اي اثبتها واقرها ومع كونها ثابتة لا تتحول فانه سبحانه جعلها مراسي للارض تكون سببا لثباتها
كما ان المراسي سبب لثبات السفينة • ولما كانت الاعادة واضحة من تناول الحيوان الماكل والمشرب
وغيرهما من المتاع فان كل ما نقص منه شي تناول ما قدر له ليعود ذلك او بعضه قال منبها على انه كل يوم
في اعادة بانيا حالا مما تقدم تقديره حال كونها متاعا مقدرا لكم تتمتعون بما فيها من المنافع ولأنعامكم
اي مواشيكم بالرعي وغيره ولما ذكر ما دل على البعث اتبعه ما يكون عن البعث مسببا عنه دلالة
على ان الوجود ما خلق الا لاجل البعث لانه محط الحكمة فإذا جاءت اي بعد الموت الطامة الكبرى
اي الداهية الدهيا التي تطم اي تعلو على ساير الدواهي وتغطيها فتكون اكبر داهية توجد وهي
البعث بالنفخة الثانية كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما والعامل في إذا محذوف تقديره فصل الناس
الى شقي وسعيد ولما كان الشي لا يعرف قدره اذا كان غايبا الا بما يكون فيه قال مبدلا منه يوم
يتذكر اي تذكرا عظيما ظاهرا بما اشار اليه الاظهار الإنسان اي الخلق الانس بنفسه الغافل عما
خلق له ما سعى اي عمل كله من خير وشر لانه يراه في صحيفة اعماله والاخبار عن تذكره منبه على ما في
ذلك اليوم من الخطرات احدا لا يعمل جهله في تذكره الا المحوج الى ذلك وهو الحساب وتدوينه في صحيفة
اعماله • ولما اشار الى الحساب ذكر ما بعده فقال وبرزت اي أظهرت إظهارا عظيما وبناه للمفعول

لان الهايل مطلق تبريزها لا كونه من معين مع الدلالة على الخفة والسهولة لكونه على طريقة كلام القادرين
الجحيم اي النار التي استوقدوها وخشوها لمن يرى اي كاينا من كان لانه لا حايل بين احد وبين رويتها
لكن الناجي لا يصرف بصره اليها فلا يراها كما قال تعالى لا يسمعون حسيسها ولما كان جواب اذا كما
مضى محذوفا وكان تقديره انقسم الناس قسمين قسم للجحيم وقسم للنعيم قال تعالى مسببا عنه مفصلا
فاما من طغى اي تجاوز الحد في العدوان فلم يخش مقام ربه • قال في القاموس طغى جاوز القدر وارتفع
وطغى غلا في الكفر واسرف في المعاصي والظلم والما ارتفع • ولما كان الذي يعد حدود الله هو
الدنيا صرح به فقال وآثر اي اكرم وقدم واختار الحياة الدنيا بان جعل اثر العاجلة الدنية لحضورها
عنده اعظم من اثر الاخرة العليا لغيابها فكان كالبهايم لا ادراك له لغير الجزئيات الحاضرة فانهمك في
جميع اعمالها واعرض عن الاستعداد للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس فلم ينه نفسه عن الهوى • ولما
كان الانسان مواخذا بما اكتسب سبب عن اعماله هذه قوله موكدا لتكذيبهم بذلك فإن الجحيم اي النار
الشديدة التوقد العظيمة الجموح على من يدخلها هي اي لا غيرها المأوى اي المسكن له هذا مذهب البصريين
ان الضمير محذوف وعند الكوفيين ان ال نايبة عن الضمير • قال ابو حيان ولما ذكر الطاغي اتبعه
المتقي فقال وأما من خاف ولما كان ذكر الخوف مما يتعلق بالشي لاجل ذلك الشي اعظم من ذكر الخوف
من ذلك الشي نفسه فقال مقام ربه اي قيامه بين يدي المحسن اليه عند تذكر احسانه فلم يطغ فكيف عند
تذكر جلاله وانتقامه او المكان الذي يقوم فيه بين يديه والزمان واذا خاف ذلك المقام فما بالك
بالخوف من صاحبه وهذا لا يفعله الا من تحقق المعاد • ولما ذكر الخوف ذكر ما يتاثر عنه ولم
يجعله مسببا عنه ليفهم ان كلا منهما فاضل على حياله وان انفصل عن الاخر فقال ونهى النفس اي التي لها
المنافسة عن الهوى اي كل ما تهواه فانه لا يجر الى خير لان النار حفت بالشهوات والشرع كله مبني
على ما يخالف الطبع وما تهوى الانفس وذلك هو المحارم التي حفت بها النار فانها بالشهوات • قال الرازي
والهوى هو الشهوة المذمومة المخالفة لاوامر الشرع • قال الجنيد اذا خالفت النفس هواها صار داؤها
دواها اي فافاد ذلك انه لم يوثر الحياة الدنيا • فالاية من الاحتباك ذكر طغى اولا دليلا على ضده ثانيا وبالنهي
عن الهوى ثانيا دلالة على ايثار الدنيا اولا • ولما كان مقام ترغيب ربط الجزا بالعمل كما صنع في الترهيب
فقال واكد لاجل تكذيب الكفار فإن الجنة اي البستان الجامع لكل ما يشتهي هي اي خاصة المأوى اي له
لا ياوي الى غيرها وهذا حال المراقبين • ولما قسمهم هذا التقسيم المفهم ان هذا شي لا بد منه استانف ذكر
استهزايهم تعجيبا منهم فقال يسألونك اي قريش على سبيل التجديد والاستمرار سوال استهزا وانكار واستبعاد
عن الساعة اي البعث الاخر لكثرة ما تتوعدهم بها عن امرنا • ولما كان السوال عنها مبهما بينه بقوله
أيان مرساها اي في اي وقت ارساؤها اي وقوعها وثباتها واستقرارها • ولما كان ايراد هذا هكذا
مفهما للانكار عليهم في هذا السوال وكان من المعلوم انهم يقولون انهم ليسألونني وربما تحركت نفسه الشريفة
صلى الله عليه وسلم الى اجابتهم لحرصه على اسلامهم شفقة عليهم قطعه عن ذلك وصرح بالانكار بقوله فيم اي في اي
شي أنت من ذكراها اي ذكرها العظيم لتعرفها وتبين وقتها لهم حرصا على اسلامهم وذلك لا يفيد علمها ثم
عرفها بما لا يمكن المزيد عليه مما افادته الجملة التي قبل من انه لا يمكن علمها لغيره سبحانه فقال إلى ربك اي
المحسن اليك وحده منتهاها اي منتهى علمها وجميع امرها • ولما كانوا يقولون انه متقول من عند نفسه
قلب عليهم الامر فقال إنما أنت اي يا اشرف المرسلين منذر اي مخوف على سبيل الحتم الذي لا بد منه
مع علمك بما تخوف به العلم الذي لا مرية فيه من يخشاها اي فيه اهلية ان يخافها خوفا عظيما فيعمل لها
لعلمه باتيانها لا محالة وعلمه بموته لا محالة وعلمه بان كل ما تحقق وقوعه فهو قريب وذلك لا يناسب تعيين

وقتها فان فيه اهلية الخشية لا يزيل ابهامها الا الخشية وغيره لا يزيل ذلك الا اجترامًا واجترانًا ما ارسلت الا للانذار بها لا اعلام بوقتها فان النافع الاول دون الثاني ولست في شي مما يصفونك به كذبًا منهم لانا ما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ولا انت مبعوث لتحرير وقت الساعة وعلم عينه وانما قصره علي من يخشي لان غيره لا ينتفع بانذاره فكان كانه لم تحصل له الانذار ولهذا المعني اضاف اشارة الي انه عريق في انذار من يخشي واما غيره فهو منذر له في الجملة اي تحصل له صورة الانذار لا انه منذر بمعني انه تحصل له معني الانذار ولما اثبت انه منذر وكان اخوف الانذار الاسراع قال مستانفا محقرًا الهم الدنيا مزهدًا لهم فيها كانهم اي هولا المنكرين لصحة الانذار بها يوم يرونها اي يعلمون قيامها علما هو كالرؤية ويرون ما يحدث فيها بعد سماع الصيحة وقيامهم من القبور من علمهم بامور من زمانهم وما ياتي منه لم يلبثوا اي في الدنيا وفي القبور الا عشية اي من الزوال الي غروب الشمس ولما كانوا علي غير ثقة من شي مما يقولونه قال او ضحاها اي ضحي عشية من العشايا وهو البكرة الي الزوال والعشية ما بعد ذلك اضيف اليها الضحي لانها من النهار والاضافة تحصل بادني ملابسة وهي هنا كونهما من نهار واحد فالمراد ساعة من نهار من اوله او اخره لم تستكملوا نهارًا تامًا ولم تجمعوا بين طرفيه وهذا كما قال صلي الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه فلينظر بما يرجع وهذا تعبير لنا بما نحسه تقريبًا لعقولنا وان كانت القاعدة انه لا نسبة لمتناهٍ الي ما لا يتناهي علي ان الكفار ايضا يستقصرون مدة لبثهم وكانهم اصناف بعضهم يقول ان لبثتم الا عشرا وبعضهم يقول ان لبثتم الا يومًا وبعضهم يتحير فيقول اسئل العادين او ان تلك اقوالهم والحق من ذلك هو ما اخبر الله به غير مضاف الي اقوالهم من ان ما مضي لهم في جنب ما ياتي كانه ساعة من نهار بالنسبة الي النهار الكامل كما قال في سورة يونس عليه السلام ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من نهار يتعارفون بينهم علي ان منهم من يقول ذلك ايضا كما قال تعالي في سورة المؤمنين حين قال تعالي كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يومًا او بعض يوم فاسئل العادين وذلك بالنسبة الي ما كشف لهم عن انهم يستقبلونه مما لا آخر له او انهم لما نزعتهم نفخة اسرافيل عليه السلام بيد القدرة من قبورهم نزعًا نازعًا شديدًا فقاموا وراوا تلك الاهوال وعلموا ما يستقبلونه من الاوجال استقصروا مدة لبثهم قبل ذلك لان من استلذ شيا استقصر مدته وهم استلذوا ذلك وان كان من امر المرّ في جنب ما كشف لهم عن انهم لاقوه فقد رجع آخرها بالقيمة علي اولها والتف مفصلها بنزع الانفس اللوامة علي موصلها واتصلت باول ما بعدها من جهة الخشية والتذكر فيا طيب متصلها فسبحان من جعله متعانق المقاطع والمطالع وانزله رياضا محكمة المذاهب والمراجع والله الموفق

مقصودها شرح انما انت منذر من يخشاها بان المراد الاعظم تزكية القابل للخشية بالتخويف بالقيمة التي قام الدليل علي القدرة عليها بابتدا الخلق من الانسان وبكل من الابتدا والاعادة لطعامه والتعجيب ممن اعرض مع قيام الدليل والاشارة الي ان الاستغنا والترف اما الاعراض وعدم القابلية والمهيئ للكفر والفجور والي ان المصايب امارة الطهارة والاقبال واستكانة القلوب وسمو النفوس بشريف الاعمال فكل من كان فيها ارسخ كان قلبه ارق والطف فكان اخشي فكان الاقبال عليه احب واولي واسمها عبس هو الدال علي ذلك بتامل اياته وتدبر فواصله وغاياته وكذا الصاخة النافخة بشرها وشررها والباخة بسم الله الذي له القدرة البالغة والحكمة الباهرة الرحمن الذي عم بنعمة

الايجاد الظاهرة ثم بايات البيان الزاهرة الرحيم الذي خص اولياه بان اتم نعمته عليهم فكانت بهم الي مرضاته سايرة ولما قصره سبحانه علي انذاره من يخشي وكان قد جاءه عبد الله ابن ام مكتوم الاعمي رضي الله عنه وكان من السابقين وكان النبي صلي الله عليه وسلم مشتغلا بدعا ناس من صناديد قريش الي الله وقد وجد منهم نوع لين فشرع عبد الله رضي الله عنه يسئله وهو لا يعلم ما هو فيه من الشغل يسئله ان يقريه ويعلمه مما علمه الله فكره ان يقطع كلامه مع اوليك خوفا من ان يفوته منهم ما يرجو من اسلامهم المستتبع لاسلام ناس كثير من اتباعهم فكان يعرض عنه ويقبل عليهم وتظهر الكراهة في وجهه لاطفه سبحانه بالعتاب عن التشاغل عن اهل ذلك بالتصدي لمن شانه ان لا يخشي لافتتانه بزينة الحياة الدنيا واقباله بكليته علي ما يفني فقال مبينا لشرف الفقر وعلو رتبته وفضل اهل الدين وان هانوا وخسة اهل الدنيا وان زانوا معظمًا له صلي الله عليه وسلم بسياق الغيبة كما قال سعد بن معاذ رضي الله عنه لما حكم في بني قريظة وعلي من هنا يشير الي ناحية النبي صلي الله عليه وسلم وهو معرض عنها حيا منه واجلالا له عبس اي فعل الذي هو اعظم خلقنا وبجلة عن ان نواجهه بمثل هذا العتاب بوجهه فعل الكاره للشي من تقطيب الوجه بما له من الطبع البشري حين يحال بينه وبين مراده واذن بمدحه صلي الله عليه وسلم بان ذلك خلاف ما طبعه عليه سبحانه من رحمة المساكين ومحبتهم والسرور بقربهم وصحبتهم بقوله وتولي اي كلف نفسه الاعراض عنه رجا ان يسلم اوليك الاشراف الذين كان يخاطبهم فيتايد بهم الاسلام ويسلم باسلامهم اتباعهم فتعلو كلمة الله لاجل ان جاءه الاعمي الذي ينبغي ان يبالغ في العطف عليه وفي اكرامه جبرا لكسره واعترافا بحقه في مجيئه وذكره بالوصف للاشعار بعذره في الاقدام علي قطع الكلام والبعث علي الرافة والرحمة له فكان النبي صلي الله عليه وسلم اذا راه بعد ذلك قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه علي المدينة الشريفة عند غزوه مرتين قال انس بن مالك ورايته يوم القادسية عليه درع ومعه راية سودا رضي الله عنه ولما عرف من سياق الغيبة ما اريد من الاجلال وكان طول الاعراض موجبا للانقباض اقبل عليه صلي الله عليه وسلم فقال وما يدريك اي واي شي يجعلك داريا بحاله وان اجتهدت في ذلك فان ذوات الصدور لا يعلمها الا الله لعله اي الاعمي يزكي اي يكون بحيث يرجي تطهره ونمو احواله الصالحة بما يسمع منك ولو علي ادني الوجوه بما يشير اليه ادغام تا الافتعال وكذا قوله او يذكر اي او يقع منه التذكر لشي يكون سببا لهدايته وتذكره ولو كان ذلك منه علي ادني الوجوه المخرجة من الكفر فان الخير لا يحقر شي منه وسبب عن تزكيه وتذكره قوله فتنفعه اي عقب تذكره وتسببه الذكري وفي ذلك ايما الي ان الاعراض كان لتزكية غيره وتذكره وقراة النصب علي انه جواب لعل ولما ذكر العبوس والتولي عنه فافهما ضدهما لمن كان مقبلا عليهم بين ذلك فقال اما من استغني اي طلب الغنا وهو المال والثروة فوجد وان لم يكن يخشي ولم يجي اليك فانت له اي دون الاعمي تصدي اي تتعرض بالاقبال عليه والاجتهاد في وعظه رجا اسلامه واسلام اتباعه باسلامه وهم عتبة بن ربيعة وابو جهل وابي وامية ابنا خلف واشار حذف تا التفعل في قراة الجماعة وادغامها في قراة نافع وابن كثير الي ان ذلك كان علي وجه خفيف كما هي عادة العقلا وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير لما قال سبحانه ان في ذلك لعبرة لمن يخشي وقال بعد انما انت منذر من يخشاها افتتحت هذه السورة الاخري بمثال يكشف عن المقصود من حال اهل التذكر والخشية وجميل الاعتنا الرباني بهم وانهم وان كانوا في دنياهم ذوي خمول لا يوبه بهم فهم عند سبحانه في عداد من اختاره لعبادته واهله لطاعته واجابة رسله صلي الله عليه وسلم واعلا منزلته لديه رب اشعث اغبر لا يوبه له لو اقسم علي الله لابره ومنهم ابن ام مكتوم الاعمي مودّد

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي بسببه نزلت السورة ووردت بطريق العتب وصاة للنبي
صلى الله عليه وسلم وتنبيها على ان يحمل نفسه الكريمة على مصابرة امثال ابن ام مكتوم وان لا يحتقره
وحاشاه عليه السلام من ذلك ولكن التحذير من هذا وان لم يكن وقع يشعر بعظيم الاعتنا بمن حذر ومنه
قوله سبحانه لئن اشركت ليحبطن عملك ولا تدع مع الله الها آخر ولا تمش في الارض مرحا وهو كثير وبسط
هذا الضرب لا يلايم مقصودنا في هذا التعليق لما دخل عليه صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم سايلا ومسترشدا
وهو صلى الله عليه وسلم يكلم رجلا من اشراف قريش وقد طمع في اسلامه ورجا انقاذه من النار وانقاذ ذويه
واتباعه فتمادى على تطلبه هذا الرجل لما كان يرجوه ووكل ابن ام مكتوم الى ايمانه فاغفل فورية مجاوبته
وشق عليه الحاحه خوفا من تقلب الآخر ومضيه على عقبه وهلاكه عتب سبحانه عليه فقال عبس وتولى
ان جاه الاعمى وما يدريك لعله يزكى وهي منه سبحانه واجبة وقد تقدم في السورة قبل قول موسى
عليه السلام هل لك الى ان تزكى فلم يقدر له بذلك ولا انتفع ببعد صيته في دنياه ولا اغنى عنه ما ناله
منها وبادرت مواد تدبيره وعمت عليه الانبا الى ان قال ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان
على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل فانى يزكى
ولو سبقت له سعادة لابصر من حاله غير اللهو واللعب حين مقالته الشنعا ام انا خير من هذا الذي هو مهين
ولما سبقت لابن ام مكتوم الحسنى لم يضره عدم الصيت الدنياوي ولا اخل به عماه بل عظم به شانه
لما نزل في حقه وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى فيا له صيتا ما اجله بخلاف من تقدم ذكره
ممن طرد فلم يتزك ولم ينتفع بالذكرى حين قصد بها انما انت منذر من يخشاها كابن ام مكتوم ومن نمط
ما نزل في ابن ام مكتوم قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه وقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فتبارك ربنا ما اعظم لطفه
بحبيبه اللهم لا تويسنا من رحمتك ولا تقطع بنا عنك بمنك واحسانك انتهى • ولما كان فعله ذلك فعل من
يخشى ان يكون عليه في بقايهم على كفرهم ملامة بين له انه سالم من ذلك فقال وما اي فعلت ذلك والحال
انه ما عليك اي باس في الا يزكى اصلا وراسا ولو بادني تزك بما اشار اليه الادغام ان عليك
الا البلاغ ويجوز ان يكون استفهاما اي واي شي عليك في عدم تزكيه • وفيه اشارة الى انه يجب
الاجتهاد في تزكية التابع الذي عرف منه القبول • ولما ذكر المستغني ذكر مقابله فقال واما من جاءك
حال كونه يسعى اي مسرعا رغبة فيما عندك من الخير المذكر بالله وهو فقير وهو اي والحال انه يخشى
اي يوجد الخوف من الله ومن الكفار في اذاهم على الاتيان الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معاثر الطريق
لعماه فانت عنه اي خاصة في ذلك المجلس لكونه في الحاصل تلهى اي تتشاغل لاجل اوليك الاشراف الذين
تريد اسلامهم ليعلو بهم الدين تشاغلا ضعيفا بما اشار اليه حذف التا من لهي عنه كرضي اذا سلا وغفل
وترك وفي التعبير بذلك اشارة الى ان الاشتغال باوليك لا فايدة فيه على ما تفهمه تصاريف المادة
والى ان من يقصد الانسان ويتخطى رقاب الناس اليه له عليك حق عظيم • والاية من الاحتباك ذكر الغنى
اولا يدل على الفقر ثانيا وذكر المجي والخشية ثانيا يدل على ضدهما اولا وسره ذلك التحذير مما يدعو اليه
الطبع البشري من الميل الى الاغنيا ومن الاستهانة بحق الاتي اعظاما لمطلق اتيانه • ولما كان العتاب
الذي هو من شان الاحباب ملوحا بالنهي عن الاعراض عمن وقع العتاب عليه وكل من كان حاله كحاله
والتشاغل عن راغب صرح به فقال كلا اي لا تفعل ذلك اصلا فان الامر في القضا والقدر ليس
على ما يظن العباد ولا هو جار على الاسباب التي تعرفونها بل هو من وراء علومهم على حكم يدق عن افكارهم
وفهومهم ثم علل ذلك فقال مؤكدا لانكارهم ذلك انها اي القران ولعله انث الضمير باعتبار ما تلا

عليهم

عليهم في ذلك المجلس من الايات او السور تذكرة اي تذكرهم تذكيرا عظيما بما ان تاملوه شاهدوه في
انفسهم وفي الافاق ليس فيه شي الا وهم يعرفونه لو اقبلوا بكليتهم عليه فما على المذكر بها غير البلاغ فمن اقبل
عليه فاهلا وسهلا ومن اعرض فبعدا له وسحقا • ولما كان سبحانه قد خلق للانسان عقلا واختيارا
ويسرا من القران في الحفظ والفهم لمن اقبل عليه سبب عن ذلك قوله فمن شا اي الذكر بعد مشيئة الله
تعالى كما تقدم تقييده في القران غير مرة ذكره اي حفظ القران كله وتذكر ما فيه من الوعظ من غير
تكرير ولا معالجة تحوج الى الاعراض عن بعض المقبلين الراغبين للاشارة الى حفظه كله ذكر الضمير ولما
كان التقدير حال كون القران مثبتا او حال كون الذاكر له مثبتا له قال واصفا التذكرة مبينا لشرفها
بتشريف ظرفها وظرف ظرفها في صحف اي شيا يكتب فيها من الورق وغيره مكرمة اي مكرمة التكريم
ومعظمة في السما والارض في كل امة وكل ملة مرفوعة اي علية المقدار باعلا كل احد لا سيما من له
الامر كله مطهرة اي منزهة عن ايدي اهل السفول وعن قولهم انها سحر وشعر ونحو ذلك وعلق ايضا
لمثبت بالفتح او الكسر على اختلاف المعنيين قوله مبينا شرف ذلك الظرف لذلك الظرف اشارة الى نهاية
الشرف للمظروف بايدي سفرة اي كتبة يظهرون الكتابة بما فيها من الاخبار الغريبة والاحكام المعلية
في كل حال فان كان ما تعلق به الجار بالفتح فهو حقيقة في انهم ملايكة يكتبونه من اللوح المحفوظ او يكون
جمع سافر اما بمعنى الكاتب اي المسافر اي القاطع للمسافة او السفير الذي هو المصلح لانهم سفرا بين الله
وانبيايه وبهم يصلح امر الدين والدنيا وان كان بالكسر فهو مجاز لان من اقبل على كتابة الذكر يكون
مهديا في الحال او في المال في الغالب وتركيب سفر للكشف كرام اي ينطوون على معالي الاخلاق مع انهم
اعزا على الله بررة اي اتقيا في اعلا مراتب التقوى والكرم واعزها واوسعها • ولما قال الوصف بهذه
الاوصاف العالية للكتبة الذين ايديهم ظرف للصحف التي هي ظرف للتذكرة للتنبيه على علو المكتوب وجلالة
مقداره وعظمة آثاره وظهور ذلك لمن تدبره وتامله حق تامله واتبع نظره عقبه بقوله ناعيا على من لم
يقبل بكليته عليه داعيا عليه باعظم شدايد الدنيا التي هي القتل في صيغة الخبر لانه ابلغ قتل الانسان
اي هذا النوع الانس بنفسه الناسي لربه المتكبر على غيره المعجب بشمايله التي ابدعها له خالقه حصل
قتله بلعنه وطرده وفرغ منه بايسر سعي واسهله من كل من يصح ذلك منه لانه اسرع شي الى الفساد
لانه مبني على النقايص الا من عصم الله ما اكفره اي ما اشد تغطيته للحق وجحده له وعناده فيه
لانكاره البعث واشراكه بربه وغير ذلك من امره فهو دعا عليه باشنع دعا وتعجيب من افراطه في
ستر محاسن القران التي لا تخفى على احد ودلالته على القيمة وكل شي لا يسع احدا التعبير في وجه شي
منها وهذا الدعا على وجازته يدل على سخط عظيم وذم بليغ وهو وان كان في مخصوص فالعبرة
بعمومه في كل من كفر نعمة الله • روي انها نزلت في عتبة بن ابي لهب غاضب اباه فاسلم ثم استصلحه
ابوه واعطاه مالا وجهزه الى الشام فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم انه كافر برب النجم اذا هوى
وافحش في غير هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك فلما انتهى الى مكان
من الطريق فيه الاسد ذكر الدعا فجعل لمن معه الف دينار ان اصبح حيا فجعلوه في وسط الرفقة
والمتاع والرحال فاقبل الاسد الى الرحال ووثب فاذا هو فوقه فمزقه فكان ابوه يندبه ويبكي عليه
وقال ما قال محمد شيا الا كان ومع ذلك فما نفعه ما عرف من ذلك فسبحان من بيده القلوب يضل من
يشا ويهدي من يشا وكل ذلك من هدايته واضلاله شاهد بان له الحمد • ولما كان اكثر انصباب
التعجب منه ناظرا الى تكذيبه بالساعة لاجل ظهور ادلتها في القران جدا ولانه توالت في هذه السورة
اقامة الادلة عليها بما لا مزيد عليه شرع في اقامة الدليل عليها باية الانفس من ابتدا الخلق في اسلوب

مبين لخسته وحقارته فان من البينه اثواب الشرف بعد تلك الخسة والحقارة جدير منه بالشكر لا بالكفر
فقال مبنيا له بالسؤال من أي شيء والاستفهام للتقرير مع التحقير خلقه ثم أجاب اشارة الي ان الجواب
واضح لا يحتاج فيه الي وقفة اصلا فقال مبينا حقارته من نطفة اي ماء يسير جدا لا من غيره خلقه اي
اوجده مقدارا علي ما هو عليه من التخطيط فقدره اي هيأه لما يصلح له من الاعضا الظاهرة والباطنة والاشكال
والاطوار الي ان صلح لذلك ثم جعله في ظلمات ثلث ظلمة البطن ثم الرحم ثم المشيمة او هي علي ما قال اهل
التشريح ثلثة اغشية احدها المشيمة تتصل بسرة الجنين يمده بالغذا والثاني يقبل بوله والثالث يقبل البخارات
التي تصعد منه بمنزلة الخرق والوسخ في ابدان الكاملين واعطاه قدرة لما اراده منه ثم اي بعد
انتها المدة السبيل اي الاكمل في العموم والاتساع والوضوح لا غيره وهو مخرجه من بطن امه وطريقه
الي الجنة او النار يسره اي سهل له امره في خروجه بان فتح فم الرحم والهمه ان يتنكس وذلل له سبيل
الخير والشر وجعل له عقلا يقوده الي ما يسر له منهما وفيه ايما علي هذا الي ان الدنيا دار ممر والمقصد
غيرها وهو الاخري التي تدل عليها الدنيا ولذلك عقبه بقوله عادا ان الموت من النعم لانه لو دام
الانسان حيا مع ما يصل اليه من الضعف والخوف لكان في غاية البشاعة والشماتة لاعدايه والمساة
لاوليايه علي ان الموت سبب الحياة الابدية ثم اي امور قدرها سبحانه من آجال وتقلبات اماته
واشار الي ايجاب المبادرة الي التجهيز بالفا المعقبة في قوله فاقبره اي جعل له قبرا فغيبه فيه او امر بدفنه
تكرمة له وصيانة عن السباع والاقبار جعلك للميت قبرا واعطاوك القتيل لاهله ليدفنوه والمعني الامتنان
بانه جعل للانسان موضعا يصلح لدفنه وجعله بعد الموت بحيث يتمكن من دفنه ولو شا لجعله يتفتت
مع العفن ونحوه مما يمتنع من قربانه او جعله بحيث يتهاونون به فلا يدفن كبقية الحيوانات فقد عرف
بهذا ان اول الانسان نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة فما شرفه بالعلم
الا الذي ابدعه وصوره وذلك موجب لان يشكره لا ان يكفره ولما كانت مدة البرزخ طويلة
وكان البعث امرا محققا غير معلوم الوقت بالعين لغيره تعالي عبر عن المعاني الثلاثة باداة التراخي
والتحقق ثم اذا شا انشاره انشره اي بعثه من قبره كما كان في دنياه بزيادة انه علي تركيب قوي
لا يتهيا فيه فراق الروح للجسد ولما كان اخباره بانه هو الذي يسر له السبيل قد يفهم انه يحمل الايمان
يرضيه نفي ذلك علي سبيل الردع فقال كلا اي ليرتدع هذا الانسان الذي عرف ان هذه حالاته اولا
واخرا واثنا ومخرجا تارة من مخرج البول واخري من مخرج الحيض ومقبرا وليزدجر وليعرف نفسه
بالذلة والخسة والحاجة والعجز وليعرف ربه سبحانه بالعزة والعظمة والكبريا والغني والقدرة علي تشريف
الحقير وتحقير الشريف وبانه سبحانه لا يلزمه شي فلا يلزم من تعريف هذا الانسان السبيل وتمييزه
له انه لا يفعل الا ما لا يعاتب عليه فانه لا يكون من الانسان وغيره الا ما يريد وتارة يريد هداه وتارة
يريد ضلاله فقد يامر بما لا يريد ويريد ما لا يامر به ولا يرضاه ولذلك قال مستانفا نفي ما افهمه
تيسيره للسبيل من ان الانسان يفعل جميع ما امره به الله الذي يسر له السبيل لما يقض اي يفعل
الانسان فعلا نافذا ماضيا ما امره اي به الله كله من غير تقصير ما من حين تكليفه الي حين اقباره
بل من حين وجداده عليه السلام الي حين نزول هذه الاية والي آخر الدهر لان الانسان مبني علي النقصان
والا له منزه التنزه الاكمل وما قدروا الله حق قدره وايضا الانسان هو النوع لم يعمل باسره بحيث
لم يشذ منه فرد جميع ما امره بل اغلب الجنس عصي وكذب بالساعة التي هي حكمة الوجود وان صدق بها
بعضهم كان تصديقه بها تكذيبا لانه يعتقد اشيا منها علي خلاف ما هي عليه ولما ردعه بعد تفصيل
ما في نفسه من الايات واشار الي ما له من النقايص شرع يقيم الدليل علي تقصيره بانه لا يقدر علي

شي

شكر نعمة المنعم فيما له من المطعم الذي به قوامه فكيف بغيرها في اسلوب دال علي الانشار بايات الافاق منبه
علي ساير النعم في مدة بقايه المستلزم لدوام احتياجه الي ربه فقال مسببا عن ذلك فلينظر الانسان اي
يوقع النظر التام بكل شي يقدر علي النظر به من بصره وبصيرته ومد له المدي فقال الي طعامه يعني مطعومه
وما يتصل به ملتفتا اليه بكليته للاعتبار بما فيه من العبر التي منها انا لو لم نيسره له هلك ولما كان
المقصود النظر الي صنايع الله فيه وكانت افعال الانسان واقواله في تكذيبه بالبعث افعال من ينكر ذلك
الصنع قال سبحانه مفصلا لما يشترك في علمه الخاص والعام من صنايعه في الطعام مؤكدا تنبيها علي ان التكذيب
بالبعث مستلزم للتكذيب بابداع النبات واعادته وذلك في اسلوب مبين ان الانسان محتاج الي جميع ما في
الوجود ولو نقص منه شي اختل امره وبدا اولا بالسماوي لانه اشرف وبالما الذي هو حياة كل شي تنبيها
له علي ابتدا خلقه انا اي علي ما لنا من العظمة صببنا الما اي الذي جعلنا منه كل شي حي صبا وشي بالارض التي
هي كالانثي بالنسبة الي السما فقال ثم اي بعد مهلة من انزال الما فاوينا بينهما في البلاد والنبات شققنا
اي بما لنا من العظمة الارض بالنبات الذي هو في غاية الضعف عن شق اضعف الاشيا فكيف بالارض اليابسة
المتلززة جدا عند مخالطة الما وحقق المعني فقال شقا ثم سبب عن الشق ما هو كالتفسير له مبينا الاحتياج
الي النبات بقوله فانبتنا اي اطلعنا علي وجه الاتصال الموجب للتغذي والنمو فيها بسبب الشق حبا اي
لاقتيات الانسان وغيره من الحيوان كالحنطة والشعير والرز وغيرها ولما كان الحب قوتا فبدا به لانه
الاصل في القوام عطف عليه ما هو فاكهة وقوت فقال وعنبا هو فاكهة في حال عنبيته وقوت باتخاذه زبيبا
ودبسا وخلا ولما كان في بيان عجايب الصنع ادل علي القدرة علي كل شي فيدل علي القدرة علي البعث ذكر
ما ان اخذ من منبته قبل بلوغه فسد وان ترك اشتد وصلح للادخار اتبعه ما لا يصلح للادخار بوجه فقال وقضبا
وهو الرطبة من البقل وغيره وهو يزيد علي الماضيين بانه فيه ما هو دوا نافع وسم ناقع وبانه يقطع مرة بعد
اخري فيخلف شيا بمصدره فقضبه اذا قطعه بحصد او قلع ولما ذكر ما لا يصلح ان يوكل الا رطبا من غير
تاخير اتبعه ما لا يفسد بحال لا علي امه ولا بعد القطاف ويصلح بعد القطاف فيوكل او يزرع يعصر فيكون
له دهن الاستصباح والادهان والايتدام وفيه تقوية للعظام والاعصاب ولا يفسده الما بوجه كما ان العنب
يعصر فيكون منه دبس وخل وغيرهما ومتي خالطه الما فسد فقال وزيتونا يكون فيه مع ما مضي حرافة
وعفاصة فيها اصلاح المزاج ولما ذكر ما لا يفسد وشجره يصبر علي البرد اتبعه ما هو كالعنب يوكل علي امه
ويقطع فيدخر وهو جامع بين التحلي والتحمض بالخل والتفكه والتقوي والتداوي للسم الناقع والسحر الضارع
من عجوة المدينة الشريفة وغير ذلك من ثمره وشجره ولا يصبر شجره علي البرد فقال ونخلا وكل من هذه الاشجار
مخالف للاخري في الشكل والحمل وغير ذلك مع الموافقة في الارض والسقي ولما ذكر هذه الاشيا من الاقوات
والفواكه لكثرة منافعها وكانت البساتين تجمعها وغيرها مع ما لها من بهجة العين وسرور النفس وبسط الخاطر
وشرح القلب قال وحدايق جمع حديقة وهي الروضة ذات النخل والشجر او كل ما احاط به البنا وهي تجمع
ذلك كله غلبا جمع غلبا بفتح الغين والمد وهي الحديقة ذات اشجار كثيرة عظام غلاظ طوال ملتفة الاغصان
متكاثفة متكاثرة مستعار من وصف الرقاب يقال غلب فلان كفرح اي غلظ عنقه والغلبا ايضا من القبايل
العزيزة ومن الهضاب المشرفة ولما ذكر ما يتفكه ويدخر جمع فقال وفاكهة اي ثمرة رطبة يتفكه
بها كالخوخ والتين والعنب والتفاح والمكثري مما يمكن ان يصلح فيدخر ومما لا يمكن ولما ذكر فاكهة
الناس ذكر فاكهة بقية الحيوان فقال وابا اي ومرعي ونباتا وعشبا وكلا ما دام رطبا يقصد من ابّ
الشي اذا امه ولما جمع ما يقتات وما يتفكه فدل دلالة واضحة علي تمام القدرة ذكر بالنعمة فيه
قارعا باسلوب الخطاب لتعميم الافراد بعد سياق العتاب للتصريح بان الكل عاجزون عن الوفا بالشكر

فكيف اذا انضم اليه الكفر فقال **متاعا** وهو منصوب على الحال ولما ذكر ما يا كله الناس وما يعلف للدواب
وكان السياق هنا لطعام الانسان قال مقدما ضميره **لكم ولانعامكم** بخلاف ما في السجدة وقد مضى والانعام
به يكون تمام الصلاح للانسان بما له فيها من النفع بالركوب والاكل والشرب والكسوة والجمال وساير المنافع وذكره
هذا الذي ذكر ظاهر مشير الى المعادن لان منها ما لا يتم ما مضى الا به وهي آلات الزرع والحصد والطبخ والعجن
وغير ذلك والملايكة المدبرة لما ضمنه الله فيه من ذلك فدل ذلك على ان الوجود كله خلق لاجل منافع الانسان
ليشكر لا ليكفر ودلت القدرة على ذلك قطعا على القدرة على البعث ولما ذكر عجايب الصنع في الطعام
وكان ذلك يقطف فيعود لا سيما المرعي فانه ياتي عليه الخريف فينشف ثم يتحطم من الرياح ويتفرق في الارض
ثم يصير ترابا ثم يبعث الله المطر فيجمعه من الارض بعد ان صار ترابا ثم ينبته كما كان وكان ذلك مثل احيا
الموتى سوا فتحقق بذلك ما تقدم من امر الانتشار بعد الاقبار وكان ذلك ايضا متذكرا بامر ابينا آدم عليه
السلام لما امره الله بالاكل من الجنة الا من الشجرة التي نهاه عنها فلما اكل منها اخرجه من الجنة فسجنه في دار
ليست جنة ولا نارا ولا غيرهما بل هي من ممتزج الدارين وكالبرزخ بينهما فيها ما يذكر بهذه وما يذكر بتلك
وفيها امثلة الموجودات كلها قال مسببا عما اثبت به الاحيا للبعث الى الحشر معبرا باداة التحقق لان الساعة
مما لا بد منه ولا محيد عنه لانها سر الكون فان فيها حساب الذين استخلفوا في هذا الوجود وافيضت عليهم
النعم التي اودعها فيه واشار الى انهم عاجزون عن القيام بشكرها وكثير منهم بل اكثرهم زاد على ذلك بكفرها
فاوجب ذلك ولا بد حسابهم على ما فعلوا فيما استخلفوا فيه واسترعوه كما هي عادة كل مسترع ومستخلف
فاذا جات اي كانت ووجدت لان كل ما هو كاين كانه لا قيك وجاء اليك **الصاخة** اي الصرخة العظيمة
التي تبالغ في اسماع الاسماع بها حتى تكاد تصمها لشدتها وكانها تطعن فيها لقوة وقعها وعظيم وجبتها
وتنقط الاذان الى ان تصيخ اليها اي تستمع وهي من اسما القيمة واصل الصخ الضرب بشي صلب على مصمت
ولما كان وصفها بما يقع فيها اهيب قال مبدلا من اذا ما يدل على جوابها من نحو اشتغل كل بنفسه
ولم يكن عنده فراغ ما لغيره **يوم يفر المرء** اي الذي هو اعظم الخلق مروة ولما كان السياق
للفرار قدم ادناهم رتبة في الحب والذب فادناهم على سبيل الترقي واخر الاوجب في ذلك فالاوجب
بخلاف ما في سال كما مضى فقال **من اخيه** لانه يالفه صغيرا وقد يركن اليه كبيرا مع طول الصحابة وشدة
القرب في القرابة فيكون عنده في غاية العزة ولما كانت الام مشاركة له في الالف ويلزم من حمايتها
اكثر مما يلزم للاخ وهو لها آلف واليها احن وعليها ارق واعطف قال **وامه** ولما كان الاب اعظم
منها في الالف لانه اقرب في النوع وللولد عليه من العاطفة لما له من مزيد النفع اكثر مما قبله قال
وابيه ولما كانت الزوجة التي هي اهل لان تصحب الصق بالفواد واعرق في الوداد وكان الانسان
ادب عنها عند الاستداد قال **وصاحبته** ولعله افردها اشارة الى انها عنده في الدرجة العليا
من المودة بحيث لا يالف غيرها ولما كان للوالد الى الولد من المحبة والعاطفة والاباحة بالسر
والمشاورة في الامر ما ليس لغيره وكذلك يضيع عليه رزقه وعمره قال **وبنيه** وان اجتمع فيهم الصغير
الذي هو عليه اشفق والكبير الذي هو في قلبه اجل وفي عينه انبل ومن بينهما من الذكر والانثى ولما
ذكر فراره الذي منعه قراره علله فقال **لكل امرء** اي وان كان اعظم الناس مروة **منهم يومئذ**
اي اذ تكون هذه الدواهي العظام والشدايد والالام **شان** اي امر عظيم **يغنيه** اي يكفيه في الاهتمام
بحيث لا يدع له حصة يمكنه صرفها الى غيره ويوجب له لزوم المعنى وهو المنزل الذي يرضيه مع انه يعلم انهم
لا ينفعونه ويخاف ان يطالبوه لما هم فيه من الكرب بما لعله قصر فيه من حقوقهم ولما ذكر اليوم الذي
قسم اهله الى القسمين المقصودين بالتذكرة اول السورة فقال دالا على البواطن باشرف الظواهر

وجوه يومئذ اي اذ كان ما تقدم من الفرار وغيره **مسفرة** اي بيض مضيئة بالاشراق والاستنارة
من اسفر الصبح اذا اسفر واستنار **ضاحكة** لما علمت من سعادتها **مستبشرة** اي طالبة للبشر وهو تغير
البشرة من السرور وموجد لذلك وهي بيضا نيرة لما ترى من تبشير الملايكة وذلك بما كانت فيه في الدنيا
من عبوس الوجوه وتغيرها وسحوبها من خشية الله وما يظهر من جلاله في الساعة كابن ام مكتوم رضي الله
عنه الذي كان يحمله خوف الساعة على حمل الراية في اشد الحروب كيوم القادسية والثبات بها حتى
تكون كالعمود لا يزول من مركزه اصلا ليرضي المعبود ولما ذكر اهل السعادة الذين هم المقبلون على الخير
المصابون في انفسهم بما يكفر سياتهم ويعلي درجاتهم ذكر اضدادهم فقال **ووجوه** واكد باعادة
الظرف لازالة الشبه فقال **يومئذ** اي اذ اوجد ما ذكر **عليها** اي ملاصقة لها مع الغلبة والعلو
غبرة اي اربداد وكابة بحيث تصير كانه قد علاها غبار وهي عابسة حذرة وجلة مذعرة وذلك بما
يلحقها من المشقات وكثرة الزحام مع رعب الفواد وتذكر ما هي صايرة اليه من الانكاد الشداد **ترهقها**
اي تغشاها وتقهرها وتعلوها **قترة** اي كدورة وسواد وظلمة ضد الاسفار فهي باكية عابسة مما كانت
فيه في الدنيا من الفرح واللعب والضحك والامن من العذاب **فالاية** من آل احتباك ذكر الاسفار
والبشر اولا يدل على الخوف والذعر ثانيا وذكر الغبرة ثانيا يدل على البياض والنور اولا **وسر ذلك**
انه ذكر الراحة ودليل التعب لظهورهما ترغيبا وترهيبا **ولما كان** هذا امرا هايلا وكان الغالب
لما على قلبه من الرين وله من القساوة قليل الخوف من الآجل عديم الفكر فيما ياتي منه عدد لما غلب عليه من
الشهوتين السبعية والبهيمية بخلاف المتقي في كل ذلك استانف الاخبار زيادة في التهويل فقال **اولئك**
اي البعدا البغضا **هم** اي خاصة **الكفرة** اي الذين ستروا دلايل الايمان **الفجرة** اي الذين خرجوا
عن دايرة الشرع خروجا فاحشا حتى كانوا عريقين في ذلك الكفر والفجور وهم في الاغلب المترفون
الذين تحملهم غنايمهم عن التكبر والاشر والبطر فجمعهم بين الفجور والكفر جمع بين الغبرة والقترة كما يكون
للمزوج من القباحة اذا علا وجوههم غبار ووسخ فقد عاد آخرها على اولها فيمن يستحق الاعراض عنه
ومن يستحق الاقبال عليه والله الهادي

مقصودها التهديد الشديد بيوم الوعيد الذي هو محط الرحال لكونه اعظم مقام لظهور الجلال
لمن كذب بان هذا القران تذكرة في صحف مكرمة بايدي سفرة والدلالة على حقية كونه كذلك بان السفير
به امين في الملا الاعلى مكين المكانة فيما هنالك والموصل له الينا منزه عن التهمة بري من النقص
لما يعلمونه من حاله قبل النبوة وما كانوا يشهدون له من الكمال في صحبته لهم المتطاولة التي نبههم
بالتعليق بها على ما لا يشكون فيه من امره ولم ياتهم بعدها الا بما هو مشرق ويذكر بما في انفسهم وفي
الافاق من الايات وذلك كاف لهم في الحكم بانه صدق والعلم اليقين بانه حق **واسمها التكوير**
ادل ما فيها على ذلك بتامل الظرف وجوابه وما فيه من بديع القول وصوابه وما تسبب عنه من عظيم
الشان لهذا القران **بسم الله** الواحد القهار **الرحمن** الذي عمت نعمة ايجاده الابرار والفجار **الرحيم**
الذي خص اهل وداده بما اسعدهم في دار القرار **لما ختمت عبس** بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخة
لجحودهم بما لهذا القران من التذكرة ابتدئت هذه بتمام ذلك فصور ذلك اليوم بما يكون فيه من الامور
الهايلة من عالم الملك والملكوت حتى كانه راي عين كما رواه احمد والترمذي والطبراني وغيرهم عن ابن
عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم برجال ثقات ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب
ان ينظر الى يوم القيمة راي العين فليقرا اذا الشمس كورت فقال بادئا بعالم الملك والشهادة لانه اقرب

تصور لما يغلب على الانسان من الوقوف مع المحسوسات معلما بأنه سيخرب تزهيدا في كل ما يجر اليه
وحثا على عدم المبالاة به والابعاد من التعلق بشيء من اسبابه إذا الشمس اي التي هي اعظم آيات السما
الظاهرة واوضحها للحس ولما كان المهول مطلق تكويرها الدال على عظمة مكورها بني للمفعول على
طريقة كلام القادرين قوله كورت اي لفت بايسر امر من غير كلفة ما اصلا فادخلت في العرش كما
قاله ابن عباس رضي الله عنهما فذهب ما كان ينبسط من نورها من كورت العمامة اذا لففتها فكان بعضها
على بعض وانطمس بعضها ببعض والثوب اذا جمعته فرفعته فالتكوير كناية عن رفعها او القائها في جهنم
زيادة في عذاب اهلها ولا سيما عبدتها او القيت عن ذلك من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب
للادارة والجمع والرافع للشمس فعل دل عليه كورت لان اذا تطلب الفعل لما فيها من معنى الشرط ولما
كان التاثير في الاعظم دالا على التاثير فيما دونه بطريق الاولى اتبع ذلك قوله معمما بعد التخصيص
واذا النجوم اي كلها صغارها وكبارها انكدرت اي انقضت فتهاوت وتساقطت وتناثرت حتى
كان ذلك كانه بانفسها من غير فعل فاعل في غاية الاسراع او اظلمت من كدرت الما فانكدر قال ابن عباس
رضي الله عنهما يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيمة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها
فتصير نارا وقال الكلبي وعطا تمطر السما يومئذ نجوما لا يبقى نجم الا وقع ولما بدا باعلام السما
لانها اشهر واعم تخويفا وارهابا وذكر منها اثنين هما اشهر ما فيها واعمه نفعا اتبعها اعلام الارض فقال
مكررا للظرف لمزيد الاعتنا بالتهويل واذا الجبال اي التي هي في العالم السفلي كالنجوم في العالم
العلوي وهي اصلب ما في الارض ودل على عظمة القدرة بالبنا للمفعول فقال سيرت اي وقع تسييرها
بوجه الارض فصارت كانها السحاب في السير والهبا في النثر لتستوي الارض فتكون قاعا صفصفا
لا عوج فيها لان ذلك اليوم لا يقبل العوج في شي من الاشيا بوجه ولما ذكر اعلام الجماد اتبعه الحيوان
النافع الذي هو اعز اموال العرب واغلبها على وجه دل على عظم الهول فقال واذا العشار
اي النوق التي اتى على حملها عشرة اشهر جمع عشرا مثل نفسا وهي احب اموال العرب اليهم وانفسها
عندهم لانها تجمع اللحم والظهر واللبن والوبر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر في اصحابه بعشار من
النوق حفل فاعرض عنها وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذا انفس اموالنا لم لا تنظر اليها ثم قال
قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك الاية ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام السنة عطلت
اي تركت مهملة كانه لا صاحب لها مع انها انفس اموالهم فكانت اذا بلغت ذلك احسنت اليها واعزتها
واشتد اقبالها عليها وقالت جاخبرها من ولد ولبن لان الامر لاشتغال كل احد بنفسه اهول من ان
يلتفت احد الى شي وان عز ولما ذكر المفزعات الدالات على ارادة امر عظيم قرب ذلك الامر
بافهام انه الحشر ودل على عمومه بذكر ما يظن اهماله فقال واذا الوحوش اي دواب البر التي لا تانس
باحد التي يظن انه لا عبرة بها ولا التفات اليها فما ظنك بغيرها حشرت اي بعثت وجمعت من كل
اوب قهرا لارادة العرض على الملك الاعظم والفصل فيما بينها في انفسها حتى يقتص للجما من القرنا فيها
وبين غيرها ايضا حتى يسئل العصفور قاتله لم قتله قال قتادة يحشر كل شي للقصاص حتى الذباب
انتهى ولا يستوحش الوحش من الناس ولا الناس من الوحوش من شدة الاهوال وذلك اهول وافزع
واخوف واقطع قال القشيري ولا يبعد ذلك بايصال منافع اليها جوازا لا وجوبا كما قاله اهل البدع أن يكون
انتهى فكل شي في الدنيا يحضر في تلك الدار زادا وقع الفصل جعل الخبيث في جهنم زيادة في عذاب اهلها
والطيب في الجنة زيادة في نعيم اهلها ولما اتم هذا الحشر ذكر ما يدل على ما يناله اهل الموقف من
الشدايد من شدة الحر فقال واذا البحار اي على كثرتها سجرت اي فجر بعضها الى بعض حتى صارت

بحرا

بحرا واحدا وملئت حتى كان ما فيها اكثر منها واحميت حتى كانت كالتنور التهابا وتسعرا فكانت شرابا
لاهل النار وعذابا عليهم ولا يكون هذا الا وقد حصل من الحر ما يذيب الاكباد ولما ذكر من
الايات العلوية من عالم الملك اثنين ومن السفلية اربعة فافهم جميع الخلق ان الامر في غاية الخطر
فتشوفت النفوس الى ما يفعل قال ذاكرا لما اراد من عالم الغيب والملكوت وهو امور ستة على عدد
ما مضى من عالم الملك والشهادة ترغيبا في الاعمال الصالحة والقرنا الصالحين لئلا يزوج بما يسوءه
وابتدا بما يناسب تكوير الشمس واذا النفوس اي من كل ذي نفس من الناس وغيرهم زوجت اي
قرنت بابدانها وجمع كل من الخلق الى ما كانت نفسه تالفه وتنزع اليه فكانوا اصنافا كما قال تعالى
احشروا الذين ظلموا وازواجهم والتفاف الازواج كالتفاف الشمس حتى يذهب نورها ولما صح
الامر فكانت القلوب احر من الجمر ذكر ما هو المقصود الاعظم وهو السؤال على وجه يفهم العموم
فقال واذا الموؤدة اي ما دفن من الاولاد حيا بعد الولادة او حصل تسبب في قتله قبل الولادة
بدوا ونحوه سميت موؤدة لما يوضع عليها من التراب فيثقلها فيقتلها وأد مقلوب اد اذا ثقل والقاوها
في البير المحفور لها قريب من انكدار النجوم وتساقطها ولما كان هذا اهون القتل عندهم وكانوا
يظنون انه مما لا عبرة به بين انه معتنى به وانه لا بد من بعثها وجعلها بحيث تعقل وتجيب وان كان نفخ الروح
فيها في زمن يسير فقال سئلت اي وقع سؤالها عما يليق ان تسئل عنه ثم قيل على طريق الاستيناف تخويفا
للوائدين باي اي بسبب اي ذنب يا ايها الجاهلون قتلت اي استحقت به عندكم القتل وهي لم تباشر
سوا لكونها لم تصل الى حد التكليف فما ظنك بمن هو فوقها وبمن هو جان وسؤالها على وجه التبكيت
لقاتلها فان العرب كانت تدفن البنات احيا مخافة الاملاق والخوف العار بهن ويقولون نردها الى
الله هو اولى بها فلا يرضون البنات لانفسهم ويرضونها لخالقهم وكان فيهم من يتكرم عن ذلك ومن يفدي
الموؤدات ويربيهن وليس في الاية دليل على تعذيب اطفال الكفرة ولا عدمه فان الكافر الذي يستحق
الخلود قد يكون مستامنا فلا يحل قتله والاطفال ما عملوا ما يستحقون به القتل ويؤخذ من سؤال الموؤدة
تحريم الظلم لكل احد وكف اليد واللسان عن كل انسان ولما دل هذا على عموم السؤال ذكر ما ينشا
عنه مما يدل على النعيم او النكال فقال واذا الصحف اي الاوراق التي كتبت فيها اعمال العباد
نشرت اي فرقت مفتحة تفتيحا عظيما على اربابها بايسر امر فياتي السعيد في يمينه من تلقا وجهه على ما
يكون فيه بشارة له وياتي الشقي من ورا ظهره في شماله بعد ان كانت طويت عند موته ونشرها مثل
تسيير الجبال ونظايرها فمن اعتقد ان صحيفته تاتيه فترديه او تنجيه لم يضع فيها الا حسنا من قول
او عمل او اعتقاد ولما ذكر ما يطلق وينشر اتبعه ما يطوى ويحضر ليبدو ما فوقه من العجايب
وليبطل فقال واذا السما اي هذا الجنس كله ازده لانه يعلم بالقدرة على بعضه القدرة على الباقي
كشطت اي قلعت بقوة عظيمة وسرعة زايدة فازيلت عن مكانها التي هي سايرة له محيطة به او عن الهوا
المحيط بسطحها الذي هو كالروح لها كما يكشط الاهاب عما هو ساتر له ومحيط به مع شدة الالتزاق به لان
ذلك يوم الكشف والاظهار فكشفنا عنك غطاك وكشطها هو مثل انكشاف الناس عن العشار وتفرقهم
عنها فمن اعتقد زوالها اعرض عن ربط همته بشي منها وناط اموره كلها بربها ولما ازالت الموانع ظهرت
عجايب الصانع التي هي غايات المطالب ونهايات الرغايب والرهايب واذا الجحيم اي النار الشديدة التاجج
والتي بعضها فوق بعض والعظيمة في مهواة عميقة سعرت اي اوقدت ايقادا شديدا بايسر امر وقربت
من الكافرين بغاية السرعة فكان الامر في غاية الحسر وذلك قريب من نتيجة ما يحصل من الهول من حشر
الوحوش ولما ذكر دار الاعدا البعدا ترهيبا اتبعه دار المقربين السعدا ترغيبا فقال واذا الجنة

اي البستان ذو الاشجار الملتفة والرياض المعجبة **أُزْلِفَتْ** اي قربت من المومنين ونعمت ببرد العيش
وطيب المستقر ودرجت درجاتها وهيئت وحليت ضياحها ومصانعها وزينت صحانها ونظفت ارضها وطهرت
عن كل ما يشين وحسنت رياضها بكل ما يزين من قول اهل اللغة الزلف محركة القربة والدرجة والحياض الممتلئة
والزلفة الممتلئة والصحف والارض المكنوسة والزلف بالكسر الروضة ومعنى هذا ضد سجر البحار فالآية
من الاحتباك ذكر التسعير اولا دالا على ضده في الجنة ثانيا وذكر التقريب ثانيا دالا على مثله اولا ولما كانت
هذه الاشيا لهولها موجبة لاجتماع الهم وصرف الفكر عما يشغله من زينة او لهو او لعب او سهو فكان موجبا
للعلم بما يرجى نعيما او يوجب جحيما وكان ذلك موجبا لتشوف السامع الى ما يكون قال تعالى كاشفا
تلك الغمة بالعامل في اذا وما عطف عليها **عَلِمَتْ نَفْسٌ** اي كل ذات جاهلة من النفوس فالتنكير فيه مثله في تمرة
خير من جرادة ودلالة هذا السياق المهول على ذلك يوجب اليقين فيه **مَا** اي كل شي **أَحْضَرَتْ** اي علمت
واوجدت فكان اهلا للحضور وكان عملها له سببا لاحضار القدير اياه لها في ذلك محفوظا لم يغب منه
عنها ذرة من خيره وشره فلاجل ذلك كان لكل امرء شان يغنيه فانه لا بد ان يكون في اعماله ما لا يرضيه
وما يستصغره عن حضرة العلي الكبير فمن اعتقد ذلك رغب في ان لا يحضر الا ما يسره ورهب من احضار ما
يسوءه فيضره وجميع هذه الاشيا الاثني عشر المعدودة المذكورة في حيز اذا في الاخرة بعد النفخة الثانية
على ما تقدم في الحاقة انه الظاهر وانه رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لان التهويل بعد القيام انسب
وادخل في الحكمة واغرب • وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير لما قال سبحانه فاذا جاءت الصاخة يوم يفر
المرء من اخيه الايات الى اخر السورة كان مظنة الاستفهام السايل عن الوقوع ومتى يكون فقال تعالى اذا
الشمس كورت ووقوع تكوير الشمس وانكدار النجوم وتسيير الجبال وتعطيل العشار كل ذلك متقدم على فرار
المرء من اخيه وامه وابيه الى ما ذكر الى اخر السورة لاتصال ما ذكر في مطلع سورة التكوير بقيام الساعة
فيصح ان يكون امارة للاول وعلما عليه انتهى • **ولما كان** السياق للترهيب وكان الاليق باخر عبس
ان يكون للكفرة وكان اعظم ما يحضره الكفرة من اعمالهم بعد الشرك التكذيب بالحق واعظمه التكذيب بالقران
وذلك التكذيب هو الذي جمع الخزي كله للمكذب به في قوله قتل الانسان ما اكفره الذي السياق كله له
وانما استحق المكذب به ذلك لان التكذيب به يوقع في كل حرج مع انه لا شي اظهر منه في انه كلام الله لما له
من الرونق والجمع للحكم والاحكام والمعارف التي لا يقدر على جمعها على ذلك الوجه وترتيبها ذلك الترتيب
الا الله ثم وراء ذلك كله انه معجز سبب عن هذا التهديد قوله مقسما بما دل على عظيم قدر المقسم عليه بتركه
الاقسام باشيا هي من الاجلال والاعظام في اسنى مقام **فَلَا أُقْسِمُ** اي لاجل حقية القران لان الامر فيه
غني عن قسم لشدة ظهوره وانتشار نوره وكذلك اشار الى عيوب تلحق هذه الاشيا التي ذكرها والقران
منزه عن كل شايبة نقص لانه كلام الملك الاعلى فقال **بِالْخُنَّسِ** اي الكواكب التي يتاخر طلوعها عن طلوع الشمس
فتغيب في النهار لعلية ضيا الشمس لها وهي النجوم ذوات الانوا التي كانوا يعظمونها بنسبة الامطار والرحمة
التي ينزلها الله اليها قالوا وهي القمر فعطارد فالزهرة فالشمس فالمريخ فالمشتري فزحل • وقد نظمها
بعضهم متدليا فقال • زحل اشترى مريخه من شمسه • فتزهرت لعطارد اقماره • ثم ابدل منها اعظمها
فقال **الْجَوَارِ الْكُنَّسِ** اي السيارة التي تختفي وتغيب بالنهار تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا
دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر • وقال الرازي يكنس ويستتر العلوي منها بالسفلي
عند القرانات كما تستتر الظبا في الكناس • وقال قتادة تسير بالليل وتخنس بالنهار فتخنس ولا ترى • وروي
ذلك عن علي رضي الله عنه • قال البغوي واصل الخنوس الرجوع الى ورا اذ الكنوس ان تاوي الى مكانسها
وقال القشيري ان ذلك غروبها وانما نفى الاقسام بها لانها وان كانت عظيمة في انفسها بما ناط بها سبحانه

من المصالح

من المصالح وانتم تعظمونها وتغلون فيها لان فيها نقايص الغيبوبة وانبهار النور والقران المقسم لاجله
منزه عن ذلك بل هو الغالب على كل ما سواه من الكلام غلبة هي اعظم من غلبة ضيا الشمس لنور ما سواها
من الكواكب فلذلك لا يليق ان يقسم بها لاجله • **ولما ذكر** غيابها فهم منه محله وهو النهار ذكر محل ظهورها
فافهم الظهور فقال **وَاللَّيْلِ** اي الذي هو محل ظهور النجوم ذوات الخنوس وذهاب كنوسها **إِذَا عَسْعَسَ** اي
اقبل ظلامه واعتكر سواده وتمامه فظهرت الكواكب زهرا منثورا في بيد تلك الغياهب فان فيه نقصانا
بالظلام وغير ذلك من الاحكام • وقيل معناه ادبر وقيل اظلم وقيل انتصف وقيل انقضى
وعسعس بمعناه فهو مما لا يستحيل بالانعكاس • **والآية** من الاحتباك ذكر خنوس الكواكب وكنوسها
اولا يفهم ظهورها ثانيا وذكر الليل ثانيا يفهم حذف النهار اولا • **ولما** كان ربما ظن ان ما نقص
بالظلام عن صلاحية الاقسام يناهب لذلك يزواله قال نافيا لذلك **وَالصُّبْحِ** اي الذي هو اعدل اوقات
النهار **إِذَا تَنَفَّسَ** اي اضا واقبل روحه ونسيمه وانسه ونعيمه • واتسع نوره • وانفرج به عن الليل دجوره
وذلك بعد اقبال الليل ثم ادباره اي لا اقسم به لانه وان كان ذا نور ونعمة وحبور وبهجة وسرور فان
ذلك يتضال عن نور القران • وما فيه من النعيم والرضوان • واين الثريا من يد المتناول • على ان
تنفسه بالبرد واللطافة • تنسخه الشمس بالحر والكثافة • وتنفس القران بنفحات القدس • ونعيم المواعظ
والانس لا ينسخه شي • **ولما** بين ان هذه الاشيا التي لولاها لما طاب لهم عيش ولا تهنوا بالحياة وهي من
الفضل بحيث لا يعلمه الا خالقها تصغر ان يقسم بها على شي من فضايل القران لما له من عظيم الشان الذي لا يطيق
التعبير عنه البيان ويتضال دونه اللسان قال مجيبا لذلك اخبارا عما هو محقق في نفس الامر اعظم من تحقق
هذه الاشيا المقسم بها هاديا الى مصالح الدارين اكثر من هدايتها مبينا للسفيرين الملكي والبشري عليهما الصلاة
والسلام والتحية والاكرام • موكدا لما يستحقه السياق كما يستحقه مع ما لهم من الانكار تنبيها على ضعف
عقولهم وعظيم سفههم بعد ان اقسم بثلاثة اقسام فان نفي الاقسام بها بما ذكر من نقايصها كالاقسام
مع بيان ان المقسم عليه اعظم منها بما لا يقايس **إِنَّهُ** اي هذا الذكر الذي تقدم في عبس بعض ما يستحق من
الاوصاف الجميلة والنعوت الجليلة **لَقَوْلُ رَسُولٍ** وهو جبريل عليه السلام نحن ارسلناه به الى خير خلقنا
وجعلناه بريدا بيننا وبينه لاقتضا الحكمة ذلك وهي ان تكون خلاصة الخلق ذا جهتين واجزاء ملكية يتلقى
بها من الملايكة عليهم السلام لكون غيره من البشر لا يطيق ذلك واخرى بشرية يتلقى بها منه المبعوث
اليهم • ومن المعلوم ان الرسول انما وظيفته تبليغ ما ارسل به فهو سفير محض فالذي اوحاه وان كان
قوله لكونه نطق به وبلغه من غير مشاركة شيطان ولا غيره هو قول الله من غير شك لكونه معبرا عن
الصفة القديمة النفسية ولو كان قول الرسول مستقلا به لما كان لوصفه بالرسالة مدخل فما كانت
البلاغة تقتضي ذكره بالوصف • **ولما** بين بوصف الرسالة انه ليس بقوله الا لكونه مرسلا به
ومبلغا له وانه في الحقيقة قول من ارسله وصفه بما افهمه الوصف مما يوجب حفظه من غير تحريف
ما ولا تغيير اصلا بوجه من الوجوه وذلك ببيان منزلته عند الله ووجاهته وبيان قدره ونفوذ كلمته
فقال **كَرِيمٍ** اي انتفت عنه وجوه المذام كلها وثبت له وجوه المحامد كلها فهو جواد شريف النفس طاهر
معالي الاخلاق بري من ان يلم شي من اللوم بساحته فلذلك هو يفيض الخيرات باذن ربه على من امر به من
العالمين فيؤدي ما ارسل به كما هو لقيامه بالرسالة قيام الكرام فلم يغير فيها شيا ولا فرط حتى يمكن غيره
ان يحرف او يغير والكرم اجتماع كمالات الشي اللايقة به • **ولما** اقتضى هذا القوة صرح به تاكيدا فقال
ذِي قُوَّةٍ اي على ضبط ما ارسل به بنفسه وعلى المدافعة للغير عن ان يدخل فيه شيا من نقص واكد القوة
بقوله **عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ** اي الملك الاعلى المحيط عرشه بجميع الاكوان الذي لا عند في الحقيقة الا له **مَكِينٍ**

اي بالغ المكنة عنده عظيم المنزلة جدا بليغ فيها فهو بحيث لا يتاتي منه تفريط ما في ابلاغ شي مما ارسل به
لانه لا تغيره الاحوال ولا يعمل فيه تضادا الشهوات لانه لا شهوة له الا ما يامر به مرسله سبحانه ولما كان
المتمكن في نفسه قد لا يكون له اعوان قال مطاع ثم اي في الملا الاعلي فهم عليهم السلام اطوع شي له قال
الحسن فرض الله علي اهل السموات طاعة جبريل عليه السلام كما فرض علي اهل الارض طاعة محمد صلي الله عليه
وسلم ولما كان ذلك يقتضي الامانة صرح به فقال امين اي بليغ الامانة فهو مصدق القول
مقبول الامر موثوق به في امر الرسالة وافاضة العلوم علي القلوب روحاني مطهر جوهرا وفعلا
وحالا ومن كان بهذه الصفات العظيمة كان بحيث لا ياتي الا في امرهم جدا لان الملوك لا يرسلون
خواصهم الا في مثل ذلك ولذلك ايتمنه الله علي رسالته ولما وصف السفير الملكي وهو جبريل
عليه السلام بهذه الصفات الخمس التي ازالت عن القران كل لبس وكان وصفه بها انما هو لاجل
اثبات شرف الرسول البشري الذي هو بين الحق وعامة الخلق وهو النبي صلي الله عليه وسلم بان ما
يقوله كلام الله حقا وكانوا يصفونه بما هو في غاية النزاهة عنه وهم يعلمون ذلك ابطله مبكتا
لهم بالكذب وموبخا بالبلادة بقوله زيادة في شرفه حيث كان هو المدافع عنه وما صاحبكم
اي الذي طالت صحبته لكم وانتم تعلمون انه في غاية الكمال حتي انه ليس له وصف عندكم الا الامين
واغرق في النفي فقال بمجنون اي كما تبهتونه به من غير استحيا من الكذب الظاهر مع ظهور التناقض
بفعل الامر اللئام بل جا بالحق وصدق المرسلين فما القران الذي يتلوه عليكم قول مجنون ولا قول
متوسط في العقل بل قول اعقل العقلا واكمل الكملة وهذا النفي المؤكد ثابت له دايما علي سبيل
الاستغراق لكل زمان هذا ما دل عليه الكلام لا ما قال الزمخشري انه يدل علي افضلية جبريل عليه
السلام علي النبي صلي الله عليه وسلم وعلي بقية الملايكة فانه ما سيق لذلك ولا هو والله مما يرضي جبريل
عليه السلام قال الاصبهاني هنا هذا يدل علي فضله واما انه يدل علي انه افضل من جميع الملايكة ومن
محمد صلي الله عليه وسلم فلا يمكنه قال في قوله تعالي في البقرة وملايكته ورسله ولم يلزم من تقديم الملايكة
في الذكر تقديمهم علي الرسل واما تقديم جبريل علي ميكايل فليس ببعيد ان يكون للشرف كما ان تخصيصهما تفضيلهم صح
بالذكر لفضلهما وقال في النجم تمرد في جبريل من ربه عز وجل وهذا قول مجاهد يدل عليه ما روي في
الحديث انه اقرب الملايكة الي الله عز وجل جبريل عليهم السلام انتهي ولو صح هذا الحديث لكان فيه كفاية
لكن لم اجده اصلا وقال الاصبهاني في عم يوم يقوم الروح عن ابن عباس رضي الله عنهما هو اعظم الملايكة
خلقا واشرف منهم واقرب من رب العالمين انتهي فهذا كما تري صريح في تفضيل الروح وقال السهيلي
في غزوة بدر من كتاب الروض ونزل جبريل عليه السلام بالف من الملايكة فكان في خمس ماية في الميمنة
وميكايل عليه السلام علي خمسماية في الميسرة ووراهم مدد من الملايكة لم يقاتلوا وهم الالاف المذكورون
في سورة ال عمران وكان اسرافيل عليه السلام وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره من الملايكة عليهم
السلام انتهي وهذا يدل علي شرف اسرافيل عليه السلام لان موقفه موقف رييس القوم وفعله فعله
والله اعلم ولما كان المجنون لا يثبت ما يسمعه ولا ما يبصره حق الاثبات فكان التقدير بعد هذا
النفي فلقد سمع من رسولنا اليه ما ارسل به حق السمع ما التبس عليه حق بباطل عطف عليه الاخبار برفعة
شانه في رويته ما لم يره غيره وامانته وجوده فقال ولقد راه اي المرسل اليه وهو جبريل عليه السلام
علي صورته الحقيقية ليلة المعراج وبعرفات جامعا الي حس السمع حس البصر بالافق المبين اي الاعلي
الذي هو عند سدرة المنتهي حيث لا يكون لبس اصلا ولا يكون لشيطان علي ذلك المكان سبيل فعرفه حق
المعرفة وقال البيضاوي بمطلع الشمس الاعلي يعني وهو مشرق الانوار والافق الناحية التي تفوق وتعلو

ذلك

ولما انتفي ما يظن من لبس السمع وزيغ البصر لم يبق الا ما يتعلق بالتادية فنفي ما يتوهم من ذلك
بقوله وما اي سمعه وراه والحال انه ما هو علي الغيب اي الامر الغايب عنكم في النقل عنه ولا في
غيره من باب الاولي بظنين اي بمتهم من الظنة وهي التهمة كما يتهم الكاهن لانه يخطي في بعض ما يقوله فهو
حقيق بان يوثق بكل شي يقوله في كل احواله هذا في قراة ابن كثير وابي عمرو والكسايي ورويس عن يعقوب
بالظا والمعني في قراة الباقين بالضاد بخيل كما يبخل الكاهن رغبة في الحلوان بل هو حريص علي ان
يكون كل من امته عالما بكل ما امره الله بتبليغه ولما اثبت الامانة والجود بعد ان نفي عنه ما يبهتونه
به وكان الجنون اظهر من قول المجنون لان بعض المجانين ربما تكلم الكلام المنتظم في بعض الاوقات فنفاه
لذلك وكان قول الكاهن اظهر من الكهانة نفي القول فقال وما هو اي القران الذي من جملة معجزاته
الاخبار بالمغيبات واغرق في النفي بالتاكيد بالبا فقال بقول شيطان ولما كان الشيطان لا
ينفك عن الطرد لان اشتقاقه من شطن وشاط وذلك يقتضي البعد والاحتراق وصفه بما هو لازم له
فقال رجيم اي مرجوم باللعن وغيره من الشهب لاجل استراق السمع مطرود عن ذلك لان القايل له ليس
بكاهن كما تعلمون وبقي مما قالوه السحر وهو لا يحتاج الي نفيه لانه ليس بقول بل هو فعل صرف او قول مقترن
به والاضغاث وهي كذلك واضحة العوار فلم يعدها فمن علم هذه الاوصاف للقران والرسولين الاتيين به
الملكي والبشري احبه واجلهما وبالغ في التعظيم والاجلال واقبل علي تلاوته في كل اوقاته وبالغ في السعي
في كل ما يامر به والهرب مما ينهي عنه ليحصل له الاستقامة رغبة في مرافقة من اتي به ورويته من اتي
عنده ولما لم يدع وجها يلبس به علي من لا يعرف حاله صلي الله عليه وسلم سبب عنه قوله منكرا
موبخا فاين تذهبون اي يعدلوبكم عن هذا الحق المبين يا اهل مكة المدعين لغاية الفطنة وقد علمتم هذا
الحفظ العظيم في الرسولين الملكي والبشري فمن اين ياتي ما تدعون من التخليط في هذا الكتاب العظيم
الذي دل علي حفظه برهان عجزكم عن معارضة شي منه وهو استضلال لهم واستجهال علي ابلغ وجه
في كل ما كانوا ينسبونه اليه بحيث صار مثلا لهم معروفا لا لبس فيه ولما كان الحال قد صار في
الوضوح الي انه اذا نبه صاحبه بمثل هذا القول نظر ادني نظر فقال من غير وقفة لا اين قال ان اي
ما هو اي القران الذي اتاكم به الا ذكر للعالمين اي شرف للخلق كلهم من الانس والجن والملايكة
وموعظة بليغة عظيمة لهم ولما انشرف الوجود كله باظهاره فيه نوع تشرف اطلق هذه العبارة
ولما كان الذي تم شرفه المهتدي فكان الوعظ والشرف انما هو له في الحقيقة لمن شا منكم
اي ايها المخاطبون ان يستقيم اي يطلب القوم ويوجده ولما كان ذلك ربما تعنت به المتعنت
في خلق الافعال قال نافيا لاستقلالهم ومثبتا للكسب وما تشاون اي ايها الخلايق الاستقامة
الا ان يشا الله اي الملك الاعلي الذي لا حكم لاحد سواه مشيئتكم وان لم يشاها لم تقدروا علي
مشيئة فادعوه مخلصين له الدين ليسال لكم ما يرضيه فيوفقكم اليه وعن وهب بن منبه انه قال الكتب
الذي انزلها الله علي الانبيا عليهم السلام بضع وتسعون كتابا قرات منها بضعا وثمانين كتابا فوجدت فيها
من جعل الي نفسه شيا من المشية فقد كفر انتهي ومن تامل هذه الاية ادني تامل علم ان كلام المعتزلة
بعدها في القدر دليل علي ان الانسان اذا كان له هوي لا يرده شي اصلا ومن يضلل الله فما له
من هاد ولما وصف نفسه سبحانه بانه لا يخرج شي عن امره اتبع ذلك الوصف بما هو كالعلة لذلك
فقال رب العالمين اي الموجد لهم والمالك والمحسن اليهم والمربي لهم وهو اعلم بهم منهم فلاجل ذلك لا
يقدرون الا علي ما قدرهم عليه ويجب علي كل منهم طاعته والاقبال بالكلية عليه وشكره استمطارا للزيادة
فلهذه الربوبية صح تصرفه في الشمس وما تبعها مما ذكر اول السورة لاقامة الساعة لاجل حساب

الخلايق والانصاف بينهم بقطع كل العلايق كما يفعل كل رب مع من يربه فكيف باحكم الحاكمين وارحم الراحمين • فقد التقى طرفاها على اشرف الوجوه واحلاها • واسمها اول الانفطار بماله من بديع الاسرار • فالتكوير كالانشقاق والتفطير والانكدار مثل التساقط والانتثار ٥

مقصودها التحذير من الانهماك في الاعمال السيئة اغترارا باحسان الرب وكرمه ونسيا باليوم الدين الذي يحاسب فيه على النقير والقطمير ولا تغني فيه نفس عن نفس شيا واسمها الانفطار ادل ما فيها على ذلك بسم الله الذي له الجلال • كما ان له الجمال • الرحمن الذي عم بالرحمة ليشكره فغر ذلك اهل الضلال • الرحيم الذي خص من اراد بالتوفيق لما يرضي من الخصال • لما ختمت التكوير بانه سبحانه لا يخرج شي عن مشيته وانه موجد الخلق ومدبرهم وكان من الناس من يعتقد ان هذا العالم هكذا بهذا الوضع لا آخر له ارحام تدفع وارض تبلع ومن مات فات وصار الى الرفات ولا عود بعد الفوات افتتح سبحانه هذه بما يكون مقدمة للمقصود التي قبلها من انه لا بد من نقضه لهذا العالم واخرابه ليحاسب الناس فيجزي كلا منهم من المسي والمحسن بما عمل فقال اذا السما اي على شدة احكامها واتساقها وانتظامها انفطرت اي انشقت شقوقا افهم سياق التهويل انه صار لها بها اطراف كثيرة فزال ما كان لها من الكرية الجامعة للهوا الذي الناس فيه كالسمك في الما فكما ان الما اذا انكشف عن الحيوانات البحرية هلكت كذلك يكون الهوا مع الحيوانات البرية فلا يكون حياة الا ببعث جديد ونقل عن هذه الاسباب ليكون الحساب بالثواب والعقاب • ولما كان يلزم من انفطارها وهيها وعدم امساكها لما اثبت بها ليكون ذلك اشد تخويفا لمن تحتها بانهم يترقبون كل وقت سقوطها او سقوط طايفة منها فوقهم فيكونون بحيث لا يقر لهم قرار قال واذا الكواكب اي النجوم الصغار والكبار كلها الغر الزاهرة المتوقدة توقد النار ٥ المرصعة ترصيع المسامير في الاشيا المتماسكة التي دبر الله في دار الاسباب بها الفصول الاربع والليل والنهار وغير ذلك من المقاصد الكبار وكانت محفوظة بانتظام السما انتثرت اي تساقطت متفرقة كما يتساقط الدر من السلك اذا انقطع تساقطا كانه لسرعته لا يحتاج الى فعل فاعل لقوة تداعيه الى التساقط • ولما كان اخباره بما دل على وهي السما مشعرا بوهي الارض لانها اتقن منها واشرف اذ هي للارض بمنزلة الذكر للانثى • وكان الانفعال ربما اوهم ان ذلك يكون بغير فاعل صرح بوهي الارض معبرا بالبنا للمفعول دلالة على ان الكل بفعله وان ذلك عليه يسير فقال مخبرا بانفطار الاراضي ايضا ليجمع بين التخويف بالمظل والترويع بالمقل واذا البحار المتفرقة في الارض وهي ضابطة لها اتم ضبط لنفع العباد على كثرتها فجرت اي تفجيرا كثيرا بزوال ما بينها من البرازخ الحايلة • وقال الربيع بفيضها وخروج مايها عن حدوده فاختلط بعضها ببعض من ملحها وعذبها فصارت بحرا واحدا فصارت الارض كلها ما ولا سما ولا ارض فاين المفر ولما كان ذلك مقتضيا لغمر القبور فاوهم ان اهلها لا يقومون كما كان العرب يعتقدون ان من مات فات قال دافعا لذلك على عظم كلام القادرين اشارة الى سهولة ذلك عليه واذا القبور اي مع ذلك كله بعثرت اي نبش ترابها على اسهل وجه عن اهلها فقاموا احيا كما كانوا فراوا ما افظعهم وهالهم وروعهم • ولما كانت هذه الشروط كلها التي جعلت اشراطا على الساعة موجبة لعلوم دقيقة وتكشف كل واحدة منها عن امور عجيبة وكانت كلها دالة على الانتقال من هذه الدار الى دار اخرى لخراب هذه الدار ناسب ان يجيب اذا بقوله علمت نفس اي

يجمع

جميع

النفوس بالانبا بالحساب وبما يحل لها سبحانه بقوة التركيب من ملكة الاستحضار كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاك والدال على ارادة العموم التعبير بالتنكير في سياق التخويف والتحذير مع العلم بان النفوس كلها في علم مثل هذا وجعله على حد سوا فهما ثبت للبعض ثبت للكل ولعله نكر اشارة الى انه ينبغي لمن وهبه الله عقلا ان يجوز انه هو المراد فيخاف ما قدمت اي من عمل واخرت اي جميع ما عملت من خير او شر او غيرهما او ما قدمت قبل الموت وما اخرت من سنة تبقى بعده • وقال الامام ابو جعفر بن الزبير هذه السورة كانها من تمام سورة التكوير لاتحاد القصد فاتصالها بها واضح ٥ وقد مضى نظير هذا انتهى • ولما كان هذا خالعا للقلوب وكان الانسان اذا اعتقد البعث قد يقول تهاونا ببعض المعاصي المرجع الى كريم ولا يفعل بي الا خيرا الى قوله مناديا باداة البعد لان اكثر الخلق مع ذلك معرض منكرا سبحانه على من يقول هذا اغترارا بخدع الشيطان انكارا بهذا الاركان يا ايها الانسان اي البشر الانس بنفسه الناسي لما يعنيه ما غرك اي ادخلك في الغرة وهي ان ترى فعلك القبيح حسنا او ترى ان يعفى عنك لا محالة وذلك بمعنى قراة سعيد بن جبير والاعمش اغرك بهمزة الانكار وتزيد المشهورة معنى التعجب بربك اي المحسن اليك الذي انساك احسانه ما خلقت له من خلاص نفسك بعمل ما شرعه لك • ولما كان التعبير بالرب مع دلالته على الاحسان يدل على الانتقام عند الامعان في الاجرام لان ذلك شان المربي فكان ذلك مانعا من الاغترار لمن تامل اتبعه ما هو كذلك ايضا ظاهره لطف وباطنه جبروت وقهر فقال للمبالغة في المنع عن الاغترار الكريم اي الذي له الكمال كله المقتضي لان لا يهمل الظالم ولا يسوي بين المحسن والمسي والموالي والمعادي والمطيع والعاصي والمقتضي لان يبالغ في التقرب اليه بالطاعة شكرا له وان لا يعرض احد عنه لان بيده كل شي ولا شي بيد غيره فيجب ان تخشى شدة بطشه لانه كذلك يكون المتصف بالكرم لا يكون الا عزيزا فانه يكون شديد الحكم عظيم السطوة عند انتهاك حرمته بعد ذلك الحكم فانه يجد اعوانا كثيرة على مراده ولا يجد المعاقب عذرا في تقصيره بخلاف اللئيم فانه لا يجد اعوانا فلا يشتد اخذه فصار الانكار بواسطة هذين الوصفين اشد واغلظ من هذه الجهة ومن جهة انه كان ينبغي ان يستحيي من المحسن الذي لا تكدير في احسانه بوجه فلا يعصى له امر ولا يفرط له في حق ومع ذلك ففي ذكر هذين الوصفين تلقين للحجة قال ابو بكر الوراق لو سالني لقلت غرني كرم الكريم وقال علي رضي الله عنه من كرم الرجل سوء ادب غلمانه • وقال الامام الغزالي في شرحه للاسما هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم اعطى ولا لمن اعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا وتغنيه عن الوسايل والشفعا • ولما ذكر هذين الوصفين الدالين على الكمال بالجلال دل عليهما تقريرا لهما بافاضة الجود في التربية بوصف الجمال بالاكرام لئلا يعتقد الانسان بماله من الطغيان انه حرما لك لنفسه يفعل ما يشا فقال الذي خلقك اي اوجدك من العدم مهيا لتقدير الاعضا فسواك عقب تلك الاطوار بتصوير الاعضا والمنافع بالفعل فعدلك اي جعل كل شي من ذلك سليما مودعا فيه قوة المنافع التي خلقه الله لها وعدل المزاج حتى قبل الصورة والتعديل جعل البنية متناسبة الخلقة وكذا العدل في قراة الكوفيين بالتخفيف اي فامالك عن تشويه الخلقة وتقبيح الصورة وجعلك معتدلا في صورتك • وكل هذا يقتضي غاية الشكر والخوف منه ان عصي لانه كما يقدر على التسوية ٥ يقدر على التشويه وغيره من العذاب • ولما اضا بهذا اضاة الشمس انه عظيم القدرة على كل ما يريد اتبع قوله معلقا بركب في اي صورة اي من الصور التي تعرفها والتي لا تعرفها من الدواب والطيور وغير ذلك من الحيوان وغيره • ولما كان المراد تقرير المعنى غاية التقرير اثبت النافي

في سياق الاثبات لينفي ضد ما اثبته الكلام فيصير ثبات المعنى على غاية من القوة لا مزيد عليها فقال
ما شاء ركبك اي الّف تركيب اعضايك وجمع الروح الى البدن روى الطبراني في معاجمه الثلاثة
برجال ثقات عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد
الله جل اسمه ان يخلق النسمة فجامع الرجل المراة طار ماؤه في كل عرق وعصب منها فاذا كان اليوم
السابع احضر الله له كل عرق بينه وبين آدم ثم قرا في اي صورة ما شاء ركبك فتحرر بهذا ان
الانسان رقيق رقا لازما ومن خلع ربقة كان الرق اللازم وكل الى نفسه فهلك ولما اوضح سبحانه
غاية الايضاح الدليل على قدرته على الاعادة بالابتدا وبين تعالى انه ما اوجب للانسان الخسار بنسيانه
هذا الدليل الدال على تلك الدار الا الاغترار وكان الاغترار يطلق على ادنى المعنى بين انه ارتقى به
الذروة فقال كلا اي ليس الامر كما ايها الناس في الاعراض عمن يجب الاقبال عليه ويقبح غاية القباحة
الاعراض بوجه عنه مطلق الغرور بل اعظم وهو انكم تكذبون اي على سبيل التجديد بتجدد اقامة
الادلة القاطعة وقيام البراهين الساطعة بالدين اي الجزا الذي وظفه الله في يوم البعث
فارجعوا عن الغرور مطلقا خاصا وعاما وارتدعوا غاية الارتداع وان اي والحال ان عليكم
اي ممن اقمناهم من جندنا من الملايكة لحافظين لهم على اعمالكم غاية العلو فهم بحيث لا يخفى عليهم
منها جليل ولا حقير ولما اثبت لهم الحفظ نزههم عن الزيادة والنقص فقال كراما اي فهم في
غاية ما يكون من طهارة الاخلاق ولما ثبت الحفظ والامانة بغاية الابانة وكان الحافظ ربما
ينسى قال كاتبين اي هم راسخون في وصف الكتابة يكتبونها في الصحف كما يكتب الشهود بينكم العهود
ليقع الجزا على غاية التحرير ولما افهم الاستعلا والتعبير بالوصف احاط الاطلاع على ما يبرز من الاعمال
صرح به فقال يعلمون اي على التجدد والاستمرار ما تفعلون اي تجددون فعله من خير وشر بالعزم
الثابت والداعية الصادقة سوا كان مبنيا على علم او لا فكيف يكون مع هذا تكذيب بالجزا على النقير
والقطمير هل يكون احصا مثاقيل الذر من اعمالكم عبثا وهل علمتم بملك يكون له رعية يتركهم هملا
فلا يحاسبهم على ما في ايديهم وما عملوه ولاجل تكذيبهم بالدين اكد المعنى المستلزم له وهو امر الحفظة
غاية التاكيد والتعبير بالمستقبل يدل على انهم يعلمون كل ما انقدح في القلب وخطر في الخاطر قبل ان يفعل
واما ما لم يجر في النفس له ذكر فلا يعلمونه كما بينه حديث ومن هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة
ولما كانت نتيجة حفظ الاعمال الجزا عليها انتج ذلك بيان ما كانت الكتابة لاجله تفريقا بين المحسن
والمسيء الذي لا يصح في حكمة حكيم ولا كرم كريم غيره قوله على سبيل التاكيد لاجل تكذيبهم ان الابرار اي
العاملين بما هو واسع لهم مما يرضي الله لفي نعيم اي محيط بهم لا ينفكون عنه اصلا في الدنيا في نعيم
الشهود وفي الاخرة في نعيم الرؤية والوجود في هذه الدار معنى وفي الاخرة حسا فكل نعيم في الجنة
لهم من المنح الآجلة فرقايقه في هذه الدنيا لهم عاجلة وان الفجار اي الذين شانهم الخروج مما ينبغي
الاستقرار فيه من رضي الله الى سخطه لفي جحيم اي نار تتوقد غاية التوقد يصلون الآن جحيم العقوبة
القطيعة كما كانوا في الدنيا في جحيم البعد والقطيعة ولما كان السياق للترهيب وصف عذاب
الفجار فقال يصلونها اي يغمسون فيها كالشاة المصلية فيباشرون حرها يوم الدين اي الجزا
على الاعمال المضبوطة على مثاقيل الذرة ولما كان العذاب على ما نعهد لا بد ان ينقضي بين ان عذابهم
على غير ذلك فقال وما اي والحال انهم ما هم عنها اي الجحيم بغايبين اي بثابت لهم غيبة ما عنها
في وقت ما بل هم فيها خالدون جزا لاعمالهم وفاقا وعدلا طباقا حتى الآن في دار الدنيا وان كانوا لا يحسون
الا بعد الموت لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ولما علم ان الوعيد الاعظم يوم الدين

هو

هول امره بالسؤال عنه اعلاما بانه اهل لان يصرف العمر الى الاعتنا بامره والسؤال عن حقيقة
حاله سؤال ايمان واذعان لا سؤال كفران وطغيان ليكون اقعد في الوعيد به فقال وما ادراك
اي اعلمك وان اجتهدت في تطلب الدراية به ما يوم الدين اي اي شي هو في طوله واهواله وفظاعته
وزلزاله ولما كانت اهواله زايدة على الحد كرر ذلك السؤال لذلك الحال فقال معبرا باداة
التراخي زيادة في التهويل ثم ما ادراك اي كذلك ما يوم الدين ولما بين انه من العظمة بحيث
لا تدركه دراية دارٍ وان عظم لخص امره في شرح ما تحتمله العقول منه على سبيل الاجمال دافعا ما قد
يقوله بعض من لا عقل له ان كان ذلك انتصمت والتجات الى بعض الاكابر وقصدت بعض الاعيان الاماثل
فاخلص بمر او بشفاعة ونحوها فقال مبدلا من يوم الدين في قراة ابن كثير والبصريين بالرفع يوم
وهو ظرف قال الكسايي العرب تؤثر الرفع اذا اضافوا الليل واليوم الى مستقبل واذا اضافوا الى
فعل ماض اثروا النصب لا تملك اي بوجه من الوجوه في وقت ما نفس اي نفس كانت من غير استثنا
ونصبه الباقون على الظرف ويجوز ان تكون الفتحة للبنا لاضافته الى غير متمكن لنفس شيا اي قل او
جل وهذا وان كان اليوم ثابتا لكنه في هذه الدار بطن سبحانه في الاسباب فتعرر في النفوس ان
الموجودين يضرون وينفعون لانهم يتكلمون ويبطشون واما هنا فالمقرر في النفوس خلاف ذلك من
انه لا يتكلم احد الا باذنه اذنا ظاهرا ولا يكون لاحد فعل ما الا باذنه كذلك فالامر كله له دايما لكن
اسمه الظاهر هناك ظاهر واسمه الباطن هناك مقرر لموجبات الغرور وسار ولما كان التقدير فلا
امر لاحد من الخلق اصلا لا ظاهرا ولا باطنا عطف عليه قوله والامر اي كله يوميذ اي اذ كان البعث
للجزا لله اي مختص به لا يشاركه فيه مشارك ظاهرا كما انه لا يشاركه فيه باطنا ويحصل هناك الكشف
الكلي فلا يدعي احد لاحد امرا من الامور بغير اذن ظاهر خاص ويصير المعارف بذلك ضرورية فلذلك كان
الانفطار والزلازل الكبار والاحصار لجميع الاعمال الصغار والكبار وقد رجع آخرها كما ترى الى
اولها والتف مفصلها بموصلها

مقصودها شرح آخر الانفطار بانه لا بد من دينونة العباد يوم التناد باسكان الاوليا اهل
الرشاد دار النعيم والاشقيا اهل الضلال والعناد غار الجحيم ودل على ذلك بانهم مربوبون والمحسن اليهم
بعموم النعمة ولا يتخيل عاقل ان احدا يربي احدا من غير سؤال كما حمله اياه وكلفه به ولا انه لا ينصف
بعض من يربيهم من بعض واسمها التطفيف ادل ما فيها على ذلك بسم الله الذي له الحكمة البالغة
والقدرة الكاملة الرحمن الذي عم بنعمة الايجاد والبيان الشاملة الرحيم الذي اكرم حزبه بالتوفيق
لحسن المعاملة لما ختم الانفطار بانقطاع الاسباب وانحسام الانساب يوم الحساب وابلغ في
التهديد بيوم الدين وانه لا امر لاحد معه وذكر الاشقيا والسعدا وكان اعظم ما يدور بين العباد
المقادير وكانت المعصية بالبخس فيها من اخس المعاصي وادناها حذر من الخيانة فيها وذكر ما اعد
لاهلها وجمع اليهم كل من اتصف بوصفهم فحمله وصفه على نوع من المعاصي كل ذلك تنبيها للاشقيا
الغافلين على ما هم فيه من السموم المرضة المهلكة ونبه على الشقا لمن اراده فقال ويل اي هلاك
ثابت عظيم في كل حال من احوال الدنيا والاخرة للمطففين اي الذين ينقصون المكيال والميزان
ويبخسون حقوق الناس وفي ذلك تنبيه على ان اصل الآفات الخلق السيي وهو حب الدنيا
الموقع في جمع الاموال من غير وجهها ولو باخس الوجوه التطفيف الذي لا يرضاه ذو مروة وهم من

يقاربون ملء الكيل وعدل الوزن ولا يملأون ولا يعدلون وكأنه من الإزالة أي أزال ما
أشرف من أعلى الكيل من الطفّ وهو ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق • ومنه ما في حديث
ابن عمر رضي الله عنه قال كنت فارسًا فسبقت الناس حتى طفّف بي الفرس مسجد بني زريق يعني
أن الفرس وثب حتى كاد يساوي المسجد ويقال طفّ الرجل الحايط إذا علاه أو من القرب من قولهم
أخذت من متاعي ما خفّ وطفّ أي قرب مني وكل شيء أدنيته من شيء فقد أطففته والطفاف من
الإناء وغيره ما قارب أن يملأه ولا يتم ملأه وفي الحديث كلكم بنو آدم طفّ الصاع أو من الطفف
وهو التقتير يقال طفّف عليه تطفيفًا إذا قتّر عليه أو من الطفيف وهو من الأشياء الخسيس الدون
والقليل فكان التضعيف للإزالة على المعنى الأول كما مضى وللمقاربة الكثيرة على المعنى الثاني أي أنه
يقارب ملء المكيال مقاربة كثيرة مكرًا وخداعًا حتى يظن صاحب الحق أنه وفّى ولا يوفي يقال أطفّ
فلان لفلان إذا أراد ختله وإذا نمى عن هذا فقد نمى عما نقص أكثر بمفهوم الموافقة وعلى المعنى الثالث
بمعنى التقتير والمشاححة في الكيل وعلى المعنى الرابع بمعنى التنقيص والتقليل فيه وكأنه اختير هذا
اللفظ لأنه لا يكاد يسرق في الميزان والمكيال إلا الشيء اليسير جدا هذا أصله في اللغة • وقد
فسّره الله تعالى فقال **الذين إذا اكتالوا** أي عالجوا الكيل أو الوزن فاتزنوا بما دلّ عليه ما يأتي
وعبّر بأداة الاستعلاء ليكون المعنى مستعلين أو متحاملين **على الناس** أي خاصّة بمشاهد منهم كاينين
من كانوا لا يخافون شيئا ولا يراعون أحدا بل صارت الخيانة والوقاحة لهم ديدنا وهذا الفعل يتعدى
بمن وعلى يقال اكتال من الرجل وعليه ويجوز أن يكون اختيار التعبير بعلى هنا مع ما تقدم الإشارة إلى
أنهم إذا كان لهم نوع علو بأن كان المكتال منه ضعيفا خانوه فيكون أمرهم دائرا على الرذالة وسفول الهمة
التي لا أسفل منها **يستوفون** أي يوجدون لأنفسهم الوفاء وهو تمام الكيل بغاية الرغبة والمبالغة
في الملء وكأنه ذكر اكتالوا ولم يذكر اتزنوا لأنه لا يتأتى في الوزن معالجة ما يتأتى في الكيل ولأنهم يتمكنون
في الاكتيال من المبالغة في الاستيفاء المؤدي إلى الزيادة ما لا يتمكنون من مثله في الاتزان وهذا الاختلاف
فإن التمكن بسببه حاصل في الموضعين فلذلك ذكرهما فيه ولما أنهم تقديم الجار الاختصاص فأفهم أنهم إذا
فعلوا من أنفسهم لا يكون كذلك صرّح به فقال **وإذا كالوهم** أي كالوا الناس أي حقهم أي ما لهم من الحق
أو وزنوهم أي وزنوا ما عليهم لهم من الحق يقال اكتال من الرجل وعليه وكال له الطعام وكاله
الطعام ووزنت الرجل الشيء ووزنت له الشيء ولعله سبحانه اختار على في الأول والمعدّي إلى
اثنين في الثاني لأنه أدل على حضور صاحب الحق فهو في غيبته أولى فهو أدل على المروق على الوقاحة فهما
كلمتان لا أربع لأنه ليس بعدها لوا والف جمع قاله البغوي وكان عيسى بن عمر يجعلها حرفين يقف كالوا ووزنوا
ويبتدي هم قاله أبو عبيدة والاختيار الأولى قاله البغوي يعني أن كل واحدة كلمة لأنهم كتبوها بغير
ألف باتفاق المصاحف وقال الزمخشري ولا يصح أن يكون ضمير المطففين لأن الكلام يخرج به إلى
نظم فاسد وذلك أن المعنى إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا أعطوهم أخسروا وإن جعلت الضمير للمطففين
انقلب إلى قولك إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا وإن
جعلته الضمير للمطففين انقلب إلى قولك إذا أخذوا من الناس استوفوا وهو كلام متنافر لأن الحديث واقع
في الفعل لا في المباشر والتعلق في إبطاله بخط المصحف وأن الألف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه
ركيك لأن خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط انتهى • ولا شك أن في خط المصحف
تقوية لهذا الوجه المعنوي وتأكيدا **يخسرون** أي يوجدون الخسارة بالنقص فيما يكيلون لغيرهم
والحاصل أنهم يأخذون وافيا أو زايدا أو يعطون ناقصا • وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير لما قال

سبحانه في سورة الانفطار وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين الآية وكان مقتضى ذلك الإشعار بوقوع
الجزاء على جزئيات الأعمال وأنه لا يفوت عمل كما قال تعالى وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها اتبع
الآية المتقدمة بجزئي عمل يتوهم فيه المرتكب وهو من أكبر الجرايم وذلك التطفيف في المكيال والميزان
والانحراف عن إقامة القسط في ذلك فقال تعالى ويل للمطففين ثم أردف بتهديدهم وتشديد وعيدهم
فقال ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ثم التحمت الآي مناسبة لما افتتحت به السورة إلى
خاتمتها ولما ذكر سبحانه أنهم أدمنوا على هذه الرذايل حتى صارت لهم خلقا مرنوا عليه وأنسوا به
وسكنوا إليه وكان ذلك لا يكون إلا ممن أمن العقاب وأنكر الحساب أنتج ذلك الإنكار عليهم على أبلغ
الوجوه لإفهامه أن حالهم أهل لأن يتعجب منه ويستفهم عنه وأن المستفهم عن حصوله عندهم الظن
وأما اليقين فلا يتخيل فيهم لبعد أحوالهم الجافية وأفهامهم الجامدة عنه فقال تعالى **ألا يظن أولئك**
أي الأخساء البعداء الأرجاس الأرذال بتجدد لهم وقتا من الأوقات ظن أن لم يتيقنوا بما مضى من البراهين
التي أفادت أعلى رتب اليقين فإنهم لو ظنوا ذلك ظنا نهاهم إن كان لهم نظر لأنفسهم عن أمثال هذه القبايح
ومن لم تقل تلك الدلايل القاطعة ظنا يحتاط به لنفسه فلا حس له أصلا **أنهم** وعبّر باسم المفعول فقال
مبعوثون إشارة إلى القهر على أهون وجه بالبعث الذي قد ألفوا مثله من القهر باليقظة بعد القهر
بالنوم **ليوم** أي لأجله وفيه وزاد التهويل بقوله **عظيم** أي لعظمة ما يكون فيه من الجمع والحساب الذي
يكون عنه الثواب والعقاب مما لا يعلمه على حقيقته إلا هو سبحانه • ولما عظم ذلك اليوم تحذيرا
منه وزاده تعظيما بأن أتبعه على سبيل القطع قوله ناصبا بتقدير أعني إعلاما بأن الجد فيه بأعين فيه
جميع الخلايق فهو بفضيحة لا تشبهها فضيحة **يوم يقوم** أي على الأرجل **الناس** أي كل من فيه قابلية الحركة
وذلك يوم القيمة خمسين ألف سنة لا ينظر إليهم سبحانه رواه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمر ورفعه
ورجاله ثقات **لرب العالمين** أي لأجل حكم موجد الخلايق ومربيهم كلهم فلا ينسى أحدا من رزقه ولا يهمله
من حكمه ولا يرضى بظلم أحد ممن يربيه فهو يقتص لكل من كل بحكم التربية كل ذلك من استفهام الإنكار وكلمة
الظن ووصف اليوم بما وصف وغير ذلك للإبلاغ في المنع عن التطفيف وتعظيم إثمه • وروى الحاكم
من رواية عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه رفعه ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم وما حكموا
بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا
النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر • ومن طريق عطاء بن أبي رباح عن عبد الله
ابن عمر مرفوعا نحوه • وللطبراني من طريق الضحاك عن مجاهد وطاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما
مرفوعا نحوه ولما انهى سبحانه ما أراد من تعظيم ذلك اليوم والتعجيب ممن لم تقل براهينه أن تجوزه
والإنكار عليه وكان مع ما فيه من التقريع مفهما للتقرير نفي بأداة الردع للمبالغة في النفي مضمون ما
وقع الاستفهام عنه فقال **كلا** أي لا يظن أولئك ذلك بوجه من الوجوه لكثافة طباعهم ووقوفهم مع
المحسوس دأب البهايم بل لا يجوزونه ولو جوزوه لما وقعوا في ظلم أحد ممن يسألون عنه في ذلك اليوم
المهول وما أوجب لهم الوقوع في الجرايم إلا الإعراض عنه • وقال الحسن هي بمعنى حقا متصلة بما بعدها
انتهى • وهي مع ذلك مفهمة للردع الذي ليس بعده ردع عن اعتقاد مثل ذلك والمواقعة لشيء مما يوجب
الخزي فيه • ولما أخبر عن إنكارهم استأنف عن إثبات ما أنكروه على أبلغ وجه وأفظعه مهولا لما يقع
لهم من الشرور وفوات السرور مؤكدا لأجل إنكارهم فقال **إن كتاب** وأظهر موضع الضمير تعميما
وتعليقا للحكم بالوصف فقال **الفجار** أي صحيفة هولا الذين حملهم على كفرهم مروقهم وكذا كل من وافقهم
في صفاتهم فكان في غاية المروق مما حقه ملابسته وملازمته وأبلغ في التأكيد فقال **لفي سجين**

هو علم منقول في صيغة مبالغة عن وصف من السجن وهو الحبس لانه سبب الحبس في جهنم اي انه ليس
فيه اهلية الصعود الى محل الاقداس اشارة الى ان كتابهم اذا كان في سجن عظيم اي ضيق شديد كانوا
هم في اعظم قاله ابن جرير وهي الارض السابعة انتهى • وهو يفهم مع هذه الحقيقة انهم في غاية الخسا
لانه يقال لكل من انحط صار ترابا و لصق بالارض ونحو ذلك ثم زاد في هوله بالاخبار بانه اهل
لان يسأل عنه و نضرب الى العالم به ان كان يمكن ارتباط الابل فقال وما ادراك اي جعلك داريا
وان اجتهدت في ذلك ما سجين اي انه بحيث لا تحتمل وصفه العقول وهو مع ذلك في اسفل سافلين
يشهده المبعدون من الشياطين وسائر الظالمين يصعد بالميت منهم الى السما فتغلق ابوابها دونه فيرد
تهوي به الريح يشمت به الشياطين وكل ما قال فيه وما ادراك فقد ادراه به بخلاف وما يدريك ولما
انتم ما اراد من وصفه اعرض عن بيانه اشارة الى انه من العظمة بحيث انه صح يكل عنه الوصف واستانف امر
الكتاب المسجون فيه فقال محذرا منه مهولا لامره كتاب اي عظيم لحفظه التغير والعظيم مرقوم
اي مسطور بين الكتابة كما تبين الرقمة البيضا في جلد الثور الاسود و يعلم كل من رآه انه غاية في الشر
وهو كالرقم في الثوب والنقش في الحجر لا يمحي ولا يبلى • ولما اعلم هذا بما للكتاب من الشر استانف
الاخبار بما انتجه مما لاصحابه فقال ويل اي اعظم الهلاك يومئذ اي اذ يقوم الناس لما تقدم
ولما كان الاصل لهم ابدله بوصفه ظاهرا تعميما وتعليقا للحكم به فقال للمكذبين اي الراسخين
في التكذيب بكل ما ينبغي التصديق به • ولما اخبر عن ويلهم وصفهم بما يبين ما كذبوا به و يبلغ في ذمهم
فقال الذين يكذبون اي يوقعون التكذيب لكل من ينبغي تصديقه مستهينين اي بسبب الاخبار
بيوم الدين اي الجزا الذي هو سر الوجود وما اي والحال انه ما يكذب اي يوقع التكذيب به
الا كل معتد اي متجاوز للحد في العناد او الجمود والتقليد لان محطه نسبة من ثبت بالبراهين القاطعة
انه على كل شيء قدير الى العجز عن اعادة ما ابتداه اثيم اي مبالغ في الانهماك في الشهوات الموجبة
للاثام وهي الذنوب فاسود قلبه فعمي بنظر الشهوات التي حفت بها النار عما عداها • ولما اثبت
له الابلاغ في الاثم دل عليه بقوله باداة التحقق اذا تتلى اي من اي تال كان مستعلية بما لها
من البراهين عليه اياتنا اي العلامات الدالة على ما اريد بيانها له مع ما لها من العظمة بالنسبة
الينا قال اي من غير توقف ولا تامل بل بحظ نفس اوقعه فيه شهوة المغالبة التي سببها الكبر
اساطير الاولين اي من الاباطيل وليست كلام الله فكان لفرط جهله بحيث لا ينتفع بشواهد النقل
كما انه لم ينظر في دلايل العقل • ولما كان هذا قد صار كالانعام في عدم النظر بل هو اضل سبيلا
لانه قادر على النظر دونها قال رادعا له ومكذبا ومبينا لما ادى به الى هذا القول وهو لا
يعتقده كلا اي ليرتدع ارتداعا عظيما وليزجر انزجارا شديدا فليس الامر كما قال في المتلو
ولا هو معتقد له اعتقادا جازما لانه لم يقله عن بصيرة بل ران اي غلب واحاط وغطى تغطية الغيم
للسما والصدا للمراة وجمع اعتبارا بمعنى كل ليلا يتعنت متعنت فقال معبرا بجمع الكثرة اشارة الى
كثرتهم على قلوبهم اي كل من قال هذا القول ما كانوا اي بجبلاتهم الفاسدة يكسبون اي يجددون
كسبه مستمرين عليه من الاعمال الردية فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات ان خيرا فخير
وان شرا فشرا فيتراكم الذنب على القلب فيسود فلذلك كانوا يقولون هذا لا لاعتقاده بل هو شي
يسدون به المجلس ويقيمون لانفسهم عند العامة المعاذير ويعترون به عزايم التالين بما يحرقون من
قلوبهم احرق الله قلوبهم وبيوتهم بالنار فانهم لا يستطيعون في عصر من الاعصار ولا يخشون من عار
ولا شار روى احمد والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال اذا اذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سودا فان تاب صقل منها وان زاد زادت حتى تعلو قلبه
فكذلك الران الذي قال الله • وقال الغزالي في كتاب التوبة من الاحيا قد سبق ان الانسان لا يخلو
في مبدا خلقته عن اتباع الشهوات وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع من نفس
الانسان ظلمة الى وجه المراة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس
في وجه المراة عند تراكمه خبثا فاذا تراكم الرين كالخبث على وجه المراة اذا تراكم وطال زمانه غاص
في جرم الحديد وافسده وصار لا يقبل التصقيل بعده وصار بالمطبوع من الخبث ولا يكفي تدارك اتباع
الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الآثار التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصورة
في المراة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الآثار
وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات وترك الشهوات
فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم واتبع السيئة الحسنة تمحها
ولما كان ادعاؤهم انما هو قول قالوه بافواههم لا يتجاوزها عظيما جدا اعاد ردعهم عنه وتكذيبهم
فيه فقال كلا اي ليس الامر كما قالوا من الاساطير لا في الواقع ولا عندهم فليرتدعوا عنه اعظم
ارتداع • ولما كان قول الانسان لما لا يعتقده ولا هو في الواقع كما قال في غاية العجب لا يكاد يصدق
علله مبينا ان الحامل لهم عليه انما هو الحجاب الذي ختم به سبحانه على قلوبهم فقال مؤكدا لاجل
من ينكر ذلك من المغرورين انهم عن ربهم اي عن ذكر المحسن اليهم وخشيته ورجايه يومئذ اي اذ
قالوا هذا القول الفارغ ولما كان المانع انما هو الحجاب بني للمفعول قوله لمحجوبون فلذلك
استولت عليهم الشياطين والاهوية فصاروا يقولون ما لو عقلت البهايم لاستحيت من ان تقوله
والاحسن ان تكون الاية بيانا وتعليلا لويلهم الذي سبق الاخبار به وتكون التقدير يوم اذ كان
يوم الدين ويكون المراد الحجاب عن الرؤية ويكون في ذلك بشارة للمؤمنين بها • وقال البغوي
قال اكثر المفسرين عن رؤيته وقال ان الامامين الشافعي وشيخه مالكا استدلا بهذه الاية على الرؤية
واسند الحافظ ابو نعيم في الحلية في ترجمة الشافعي انه قال في هذه الاية دلالة على ان اولياه يرونه
على صفته • وقال ابن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الاخرة عن رؤيته • وقال الحسن
لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت انفسهم في الدنيا وقال القشيري
ودليل الخطاب يوجب ان يكون المومنون يرونه كما يعرفونه اليوم انتهى • وفيه تمثيل لاهانتهم
باهانة من يمنع الدخول على الملك • ولما بين ما لهم من العذاب بالحجاب الذي هو عذاب القلب
الذي لا عذاب اشد منه لانه يتفرع عنه جميع العذاب شرع يبين بعض ما تفرع عنه من عذاب
القالب مؤكدا لاجل انكارهم معبرا باداة التراخي اعلاما بعلو رتبته في انواع العذاب فقال
ثم انهم اي بعد ما شا الله من امهالهم لصالوا الجحيم اي لداخلو النار العظمى ومقيمون فيها
مقاسون لحرها وينغمسون فيها كما تغمس الشاة المصلية المشوية • ولما بين ما لهم من الفعل الذي
هو للقلب والقالب اتبعه القول بالتوبيخ والتبكيت الذي هو عذاب النفس وبناه للمفعول لان
المنكي سماعه لا كونه من معين واشارة الى انه يتمكن من قوله لهم كل من يصح منه القول من خزنة النار
ومن اهل الجنة وغيرهم لانه لا منعة عندهم ثم يقال اي لهم بعد مدة تبكيتا وتقريعا وتنديما
وتبشيعا هذا اي العذاب الذي كنتم اي بما لكم من الجبلات الخبيثة به اي خاصة لان تكذيبكم بغيره
كلا تكذيب بالنسبة اليه بما له من القباحة ولكم من الرسوخ فيه والملازمة تكذبون اي توقعون
التكذيب به وتجددونه مستمرين عليه • ولما كان هذا ربما افهم انهم يرون جميع عذابهم اذ ذاك نفاه

بقوله كلا اي ليس هو المجموع بل هو من الجنس فلهذا اجمل عليه الجنس وهو تزلهم والامر اطم واعظم من
أن يحيط به الوصف ولما ذكر ما للمكذبين من العذاب اي جره اليهم اقبالهم علي الدنيا بادياً به لان
المقام من اول السورة للوعيد وصوادع التهديد اتبعه ما للمصدقين الذين اقبل بهم الي السعادة ترك
الحظوظ واعراضهم عن عاجل شهوات الدنيا فقال مؤكداً لاجل تكذيبهم إن كتاب الأبرار اي صحيفة حسنات
الذين هم في غاية الاتساع في شرح صدورهم واتساع عقولهم وكثرة اعمالهم وزكائها وغير ذلك من محاسن
امورهم لفي عليين اي اماكن منسوبة الي العلو وقع النسب اولاً الي علي تعلي ثم جمع وان كان لا واحد
له من لفظه كعشرين واخواته قال الكسائي اذا جمعت العرب مالا يذهبون فيه الي ان له بناً من واحد
واثني فانهم يجمعونه بالواو والنون في المذكر والمؤنث انتهى فهي درجات متصاعدة تصعد الي الله ولا تحجب
عنه كما يحجب ما للاشقيا بعضها فوق بعض الي ما لا نهاية له بحسب رتب الاعمال وكل من كان كتابه من الابرار
في مكان لحق به كما ان من كان كتابه من الفجار في سجين لحق به قال الرازي في اللوامع من ترقي علمه
عن الحواس والاوهام وفعله عن مقتضي الشهوات والغضب فهو حقيق بان يكون عليا ومن كان علمه وادراكه
مقصوراً علي الحواس والخيال والاوهام وفعله علي مقتضي الشهوات البهيمية فهو حقيق ان يكون في سجين
ولما كان هذا امراً عظيماً زاد في تعظيمه بقوله وما اي واي شي أدراك اي جعلك دارياً وان بالغت
في الفحص ما عليون فان وصفه لا تسعه العقول ويلزمه لعلوه فضاً مطلقاً واتساع مبين ولما عظم
المكان فعلمت عظمة الكتاب ابتدا الاخبار عنه علي سبيل القطع زيادة في عظمته فقال كتاب اي عظيم مرقوم
فيه ان فلاناً آمن من النار رقماً بالله من رقم ما احسنه وما ابهاه وما اجله ولما عظمه في نفسه
وفي مكانه عظمه في حضاره فقال يشهده المقربون اي يحضره حضوراً تاماً دائماً بما لا غيبة فيه الجماعة
الذين يعرف كل احد انه ليس لهم عند كل من يعتبر تقربه الا التقريب من له بدايته الي انتهائه هم شهود هذا
المسطور وهم الملائكة يشيعونه من سما الي سما ويحفون به سروراً وتعظيماً لصاحبه ويشهد من في السموات
من الانبيا هو دال علي الاتساع ثانياً وذكر عليين والمقربين ثانياً دال علي اسفل سافلين والمبعدين
اولاً ولما عظم كتابهم بهذه الفضايل التفتت النفس الي معرفة حالهم فقال شافياً لعي هذا الالتفات
مؤكداً لاجل من ينكر إن الأبرار اي الذين هذا كتابهم لفي نعيم اي يحيط بهم ضد ما فيه الفجار من الجحيم
ولما كان لا شي انعم للانسان من شي عال يجلس عليه ويمد نظره الي ما يشتهي مما لديه قال مبيناً لذلك
النعيم علي الأرائك اي الاسرة العالية مع هذا العلو المطلق في الحجال التي تعيي الفكر وصفها بما لها مع
العلو من ترصيع اللولو والياقوت وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر ينظرون اي الي ما يشتهون من الجنات
والانهار والحور والولدان ليس لهم شغل غير ذلك وما شابهه من المستلذات وقال القشيري اثبت
النظر ولم يبين المنظور اليه لاختلافهم منهم من ينظر الي قصوره ومنهم من ينظر الي حوره ومنهم ومنهم
والخواص علي دوام الاوقات الي الله ينظرون كما ان الفجار دائماً عن ربهم محجوبون ولما وصف نعيمهم
اخبر انهم من غراقتهم فيه يعرفهم به كل ناظر اليهم فقال تعرف اي معرفة ايها الناظر اليهم هذا علي قراة الجماعة
وقرا ابو جعفر ويعقوب بالبنا للمفعول وهو دال علي العموم في وجوههم عند رؤيتهم نضرة النعيم
اي بهجته ورونقه وحسنه وبريقه وطراوته من نضرة النبات اذا ازهر ونور وقال الحسن النضرة
في الوجه والسرور في القلب ولما كانت مجالس الانس لا سيما في الاماكن النضرة لا تطيب الا بالماكل
والمشارب وكان الشراب يدل علي الاكل قال مقتصراً عليه لان هذه السورة قصار يقصد فيها الجمع
مع الاختصار قال يسقون بانيا له للمفعول دلالة علي انهم مخدومون ابداً لا كلفة عليهم في شي من
رحيق اي شراب خالص صاف عتيق ابيض مطيب في غاية اللذة فانهم قالوا ان الرحيق الخمر او اطيبها

او افضلها او الخالص او الصافي وضرب من الطيب ولا شك ان العاقل لا يشرب الخمر مطلقاً فكيف
باعلاها اذا كان مكملاً لمقدماتها من ماكول ومشروب وملبوس ومنكوح وغير ذلك ولما كان الخمر
لا يكون الا لما عظمت رتبته وعزت نفاسته قال مزيداً الحقيقة او الكناية من نفاسته مختوم اي
فهو مع نفاسته سالم من الغبار وجميع الاقذا والاقذار ولما كان للختم حين الفك لا بد ان ينزل
من فتاته في الشراب قال ختامه مسك وقال ابن مسعود رضي الله عنه ان المراد بختامه آخر
طعمه فيحصل ان في ختامه او في اول فتحه يشربه المسك وذلك يقتضي ان لا يفتحه الا شاربه وانه
يكون علي قدر كفايته فيشربه كله والعبارة صالحة لان يكون الختام اولاً وآخراً وهو يجري مجرى
افتضاض البكر ولما كان التقدير فيه يبلغ نهاية اللذة الشاربون عطف عليه قوله وفي ذلك
اي الامر العظيم البعيد المتناول وهو العيش والنعيم والشراب الذي هذا وصفه فليتنافس اي
فليرغب غاية الرغبة بجميع الجهد والاختيار المتنافسون اي الذين من شانهم المنافسة وهي ان يطلب
كل منهم ان يكون ذلك المتنافس فيه لنفسه خاصة دون غيره لانه نفيس جداً والنفيس هو الذي يحرص
عليه نفوس الناس وتتغالي فيه والمنافسة في مثل هذا بكثرة الاعمال الصالحة والنيات الخالصة
ولما ذكر الشراب اتبعه مزاجه علي ما يتعارفه اهل الدنيا لكن بما هو اشرف منه فقال
مبيناً لحال هذا المسقي ومزاجه اي يسقون منه والحال ان مزاج هذا الرحيق من تسنيم
علم علي عين معينة وهو مع كونه علماً دال علي انها عالية المحل والرتبة والشراب ينزل عليهم
ماؤها من العلو وقال حمزة الكرماني ماؤها يجري علي الهوا متسنماً فينصب في اواني اهل الجنة
علي مقدار الحاجة فاذا امتلات امسك وهو في الشعر اسم جبل عال وكذا التنعيم واصله من السنام
ولذلك فطعا مادحاً فقال عيناً يشرب بها اي بسببها علي طريقة المزج منها المقربون اي الذين
وقع تقريبهم من اجتذاب الحق لهم اليه وقصر هممهم عليه كل شراب يريدونه واما الابرار فلا
يشربون بها الا الرحيق واما غيرهم فلا يصل اليها اصلاً وقال بعضهم ان المقربين يشربون من
هذه العين صرفاً والابرار يمزج لهم منها ولما ذكر سبحانه جزا الكافر بالجحيم وجزا المؤمن بالنعيم
وكان من اجل النعيم الشماتة بالعدو علل جزا الكافر بما فيه شماتة المؤمن به لانه اشتغل في
الدنيا بما لا يغني فلم من ذلك تفويته لما يغني فقال مؤكداً لان ذوي المروات والهمم العاليات
والطبع السليم والمزاج القويم لا يكاد يصدق مثل هذا او الكل اشارة الي ان من حقه ان لا يكون
إن الذين أجرموا اي قطعوا ما امر الله به ان يوصل كانوا اي في الدنيا ديدناً وخلقاً من
الذين آمنوا اي ولو كانوا في ادني درجات الايمان يضحكون اي يجدد دون الضحك كلما راوهم
وذكروهم استهزاً بهم في رثاثة احوالهم وقلة اموالهم واحتقار الناس لهم مع ادعائهم ان الله تعالى
لا بد ان ينصرهم ويعلي امرهم وإذا مروا اي الذين امنوا بهم اي بالذين اجرموا يتغامزون
اي يغمز بعض الذين اجرموا بعضاً لاذي الذين امنوا ولما وصفهم في مواضع التردد والتقلب
وصفهم في المنازل فقال وإذا انقلبوا اي رجع الذين اجرموا برغبتهم في الرجوع واقبالهم عليه
من غير تكره الي اهلهم اي منازلهم التي هي عامرة بجماعتهم انقلبوا حال كونهم فاكهين اي متلذذين
غاية التلذذ بما كان من مكنتهم ورفعتهم التي اوصلتهم الي الاستسخار بغيرهم قال ابن برجان
وذكر عليه الصلاة والسلام ان الدين بدا غريباً وسيعود غريباً كما بدا يكون القابض علي دينه كالقابض
علي الجمر وفي اخرى يكون المؤمن فيهم اذل من الامة وفي اخرى العالم فيهم انتن من جيفة حمار فالله
المستعان ولما ذكر تردادهم بهم ذكر مطلق رؤيتهم لهم فقال وإذا رأوهم اي راي الذين اجرموا

الذين امنوا قالوا اي عند رؤيتهم للذين امنوا مؤكدين لانهم يستشعرون ان كل ذي عقل يكذبهم مشيرين
الي تحقيرهم باداة القرب ان هولا اي الذين امنوا لضالون اي عريقون في الضلال لانهم تركوا الدنيا
لشي آجل لا صحة له وما اي والحال انهم ما ارسلوا اي من مرسل ما عليهم اي علي الذين امنوا خاصة
حتي يكون لهم بهم هذا الاعتنا في بيوتهم وخارجها عند مرورهم وغيره حافظين اي عريقين في حفظ اعمال
الذين امنوا فما اشتغالهم بهم الي هذا الحد ان كانوا عندهم في عداد الساقط المهمل كما يزعمون فما هذه
المراعاة المستقصية لاحوالهم وان كانوا في عداد المنظور اليه المعتني به فليبينوا افسادحالهم بوجه
يقبله العقول ويقوم عليه دليل اوليتبعوهم والا فهم غير عارفين بمواضع الاصلاح وتعاطي الامور علي
وجوهها فما احقهم بقول القايل • اوردها سعد وسعد مشتمل • ما هكذا تورد يا سعد الابل • ولما
كان لا نعيم افضل من الشماتة بالعدو ولا سيما اذا كانت علي اعلي طبقات الشماتة قال فاليوم
اي فتسبب عن هذا من فعلهم في دار العمل انه يكون في دار الجزا الذين امنوا ولو كانوا في ادني درجات
الايمان من الكفار خاصة وهم الراسخون في الكفر من عموم الذين اجرموا في الحشر والجنة سخرية
وهزا فان الذين لا يضحكون من عصاة المؤمنين لو راوهم يعذبون بل يرحمونهم لاشتراكهم في الدين
يضحكون قصاصا وجزا حين يرون ما هم من الذل سرورا بحالهم شكرا لله علي ما اعطاهم من
النجاة من النار والنعمة من اعدايهم قال ابو صالح تفتح لهم الابواب ويقال اخرجوا فيسرعون فاذا
وصلوا الي الابواب غلقت في وجوههم وردوا علي اقبح حال فيضحك المؤمن انتهي وبالها من خيبة
وخجله وسواد وجه وتعب قلب وتفريج نفس من العذاب بالنار وبالشماتة والعار حال كون الذين
امنوا ملوكا علي الارايك اي الاسرة العالية المزينة التي من حسنها اهل لان يقيم المتكي بها ينظرون
اي يجددون تحديق العيون اليهم كلما ارادوا فيرون ما هم فيه من الهوان والذل والعذاب بعد
العزة والنعيم نظر المستفهم هل ثوب بناه للمفعول لان الملذذ مطلق مجازاتهم الكفار اي وقع تثويب
العريقين في الكفر اي اعطاوهم الثواب والجزا علي انهي ما يكون فالجملة في محل نصب ينتظرون ما كانوا
اي نفس فعلهم بما هو لهم كالجبلات يفعلون اي بدوا عيهم الفاسدة ورغباتهم المعلولة فالجملة
في موضع المفعول • وقد علم ان لهم الويل الذي افتتحت السورة بالتهديد به لمن يفعل فعل من لا
يظن انه لا يجازي علي فعله واخرها فيمن استغض الاعراض في خفا واولها فيمن انتقص الاموال كذلك وحفا
العدل والوفا والله الهادي

مقصودها الدلالة علي آخر المطففين من ان الاوليا ينعمون والاعدا يعذبون لانهم كانوا لا يقرون
بالبعث والعرض علي الملك الذي اوجدهم ورباهم كما يعرض الملوك عبيدهم ويحكمون بينهم فينقسمون
الي اهل ثواب واهل عقاب واسمها الانشقاق دال علي ذلك بتامل الظرف وجوابه الدال علي التاقد
البصير وحسابه بسم الله ذي الجلال والاكرام الرحمن الذي كملت نعمته فشملت الخاص والعام
الرحيم الذي اتمها بعد العموم علي اوليايه فاسعدهم باتمام الانعام • لما ختمت التطفيف بان الاوليا
في نعيم والاعدا في جحيم ثوابا وعقابا ابتداهذه بالاقسام علي ذلك فقال اذا السما اي علي ما لها
من الاحكام والعظمة انشقت اي فصارت واهية وفتحت ابوابا فتخربت وتهدمت وذلك بعد
القيام من القبور كما مضي في الحاقة عن احدي روايتي ابن عباس رضي الله عنهما واذنت اي كانت
شديدة الاستماع والطواعية والانقياد علي اتم وجه كمن له اذن واعية ونفس مطيعة راضية لربها
اي لامر المخترع لها والمدبر لجميع امرها وهي الآن وان كانت منقادة فانقيادها ظاهر لاكثر الخلق وهم

المثبتة واما المعطلة فربما نسبوا تاثراتها الي الطبايع والكواكب واما عند الانشقاق فيحصل الكشف
التام فلا يبقي لاحد شبهة وحقت بالبنا للمفعول بمعني انها مجبولة علي ان ذلك حق عليها ثابت لها فهي
حقيقة به لانها مربوبة له سبحانه وكل مربوب فهو حقيق بالانقياد لربه وهي لم تزل مطيعة له
في ابتدايها وانتهايها لكن هناك يكون الكشف التام لجميع الانام • ولما بدا بالعالم العلوي لكونه
اشرف لانه اعلي مكانة ومكانا ثني بالسفلي فقال واذا الارض اي علي ما لها من الصلابة والثخانة
والكثافة واشار بالبنا للمفعول الي سهولة الفعل فيها عليه سبحانه وسرعة انفعالها مع كونه اعجب من
انشقاق السما فانه ربما كان في الشي لوهيه من تطاول مرور الزمان عليه بخلاف المد فقال
مدت اي بسطت بسط الاديم ومطت فامتطت فزيد في سعتها جدا بعد ان تهدمت فصارت
دكا جبالها واكامها وتلالها فلا تري فيها عوجا ولا امتا كما ان الاديم اذا مد كان كذلك فزال
تثنيه واتسع ولما كان الجلد جديرا بانه اذا مد ان يبين عن كل ما فيه من غيره قال والقت
ما فيها اي اخرجت ما في بطنها من الاموال والكنوز والاموات اخراجا سريعا كانها تقذفه قذفا
وذلك ايضا كالبساط اذا نفض وتخلت اي تعمدت وتكلفت الخلو عن ذلك والترك له بغاية جهدها
اي فعل ذلك سبحانه فعلا كانت الارض كانها فاعلة له علي هذا الوجه فصارت خلية عن كل شي كان في
بطنها وصار بارزا علي ظهرها ولما كان هذا ربما اوهم انه بغير امره سبحانه قال واذنت لربها
اي فعلت ذلك باذن الخالق لها والمربي وتاثرت في ذلك عن تاثيره لا بنفسها وفعلت فيه كله فعل
السميع المجيب وحقت اي وكانت حقيقة بذلك كما ان كل مربوب كذلك وتكريرا اذا للتنبيه علي ما في
كل من الجملتين من عظيم القدرة والجواب محذوف لانه في غاية الانكشاف بما دل عليه المقام مع ما تقدم
من المطففين وما قبلها من السور وما ياتي في هذه السورة تقديره ليحاسبن كل احد علي كدحه
كله فليثوبن الكفار ما كانوا يفعلون وليجازين اهل الاسلام بما كانوا يعملون • وقال الامام
ابو جعفر بن الزبير لما تقدم في الانفطار التعريف بالحفظة واحصايهم علي العباد في كتبهم وعادة
الكلام الي ذكر ما يكتب علي البر والفاجر • واستقرار ذلك في قوله تعالي ان كتاب الابرار لفي عليين
وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين اتبع ذلك بذكر التعريف باخذ هذه الكتب في القيمة عند العرض
وان اخذها بالايمان عنوان السعادة واخذها وراء الظهر عنوان الشقا اذ قد تقدم في السورتين
قبل ذكر الكتب واستقرارها بحسب اختلاف مضمناتها فمنها في عليين ومنها في سجين الي يوم العرض فيؤتي
كل كتابه فاخذ بيمينه وهو عنوان سعادته واخذ من وراء ظهره وهو عنوان هلاكه فتحصل الاخبار بهذه
الكتب ابتدا واستقرارا وتعريفا يوم العرض وافتتحت السورة بذكر انشقاق السما ومد الارض والقايها
ما فيها وتخليها تعريفا بهذا اليوم العظيم بما يتذكر به من سبقت سعادته والمناسبة بينه انتهي • ولما
كان الجواب ما ذكرته اتبعه شرحه فقال مناديا باداة صالحة للبعد لان المنادي ادني الاسنان باديا
بالاوليا لان آخر التطفيف الذي هذا شرح له ادخال السرور عليهم يايها الانسان اي الانس بنفسه الناسي
لربه ولما كان اكثر الناس منكرا للبعث اكد فقال انك كادح اي ساع وعامل مع الجهد لنفسك
من خير او شر واكثره مما يورث خدوشا وشينا وفسادا وشنا تا منتهيا الي ربك الذي اوجدك
ورباك بالعمل بما يريد معني وبالموت حسا واشار الي اجتهاد كل فيما هو فيه وخلق له بالتاكيد بالمصدر
فقال كدحا اي عظيما فملاقيه اي فتعقب كدحك لقاؤك لربك وانه يكشف لك انك كنت في سيرك
اليه كالمجتهد في لقايه اجتهاد من يسابق في ذلك آخر وكل ذلك تمثيل لنفوذ ارادته ومضي اقضيته
بسبب الانتهاء اليه وحقيقته تلاقي جزاه وسيكشف لك من عظيم امره ما ينكشف للملاقي مع من يلقاه

بسبب اللقاء وهذا امر انت ساع فيه غاية السعي لان من كان الليل والنهار مطيته اوصلاه بلا شك
الى منتهى سفره شاء او ابى فذكر هذا على هذا النمط حث على الاجتهاد في الاحسان في العمل لان من ايقن
بانه لا بد من العرض على الملك افرغ جهده في العمل بما يحمد عليه عند لقائه ولما كان من المعلوم ان عبيد
الملك اذا عرضوا عليه كان فيهم المقبول والمردود بسبب ان كدحهم تارة يكون حسنا وتارة يكون سيئا
قال معرفا ان الامر في لقائه كذلك على ما نعهد فمن كان مقبولا اعطي كتاب حسابه بيمينه لانه كان في الدنيا
في اهل اليمين اي الدين المرضي ومن كان مردودا اعطي كتابه بشماله لانه كان في الدنيا مع اهل
الشمال وهو الدين الباطل الذي يعمل من غير اذن الملك فكانه يفعل من ورائه فترجم هذا الغرض بقوله
سبحانه مفصلا للانسان المراد به الجنس جامعا للضمير بعد ان افرده تنصيصا على حشر كل فرد فاما من
اوتي بناه للمفعول اشارة الى ان امور الاخرة كلها قهرية وفي غاية السهولة عليه سبحانه وفي هذه الدار
الامر وان كان كذلك الا ان الفرق انكشاف ستر الاسباب هناك فلا دعوى لاحد كتابه صحيفة حسابه
التي كتبتها الملائكة بيمينه من امامه وهو المؤمن المطيع فسوف يحاسب اي يقع حسابه بوعد لا خلف
فيه وان طال الامد لاظهار الجبروت والكبرياء والقهر حسابا يسيرا اي سهلا لا يناقش فيه لانه كان
يحاسب نفسه فلا تقع له المخالفة الا ذهولا فلاجل ذلك تعرض اعماله فيقبل حسنها ويعفى عن سيئها ولما
كان هذا دالا على العفو اتبعه ما يدل على الاكرام فقال وينقلب اي يرجع من نفسه من غير مزعج برغبة
وقبول الى اهله اي الذين اهلهم في الجنة فيكون اعرف بهم وبمنزله الذي اعد له بمنزله في الدنيا
ولما كانت السعادة في حصول السرور من غير قيد بنى للمفعول قوله مسرورا اي قد اوتي
جنة وحريرا فانه كان في الدنيا في اهله مشفقا من العرض على الله مغموما محزونا يحاسب نفسه بكرة
وعشيا حسابا عسيرا مع ما هو فيه من نكد الاهل وضيق العيش وسرور المخالفين فذكر هنا الثمرة
والمسبب لانها المقصودة بالذات وفي الشق الاخر السبب والاصل وقد استشكلت الصديقة ام المؤ[منين]
عائشة رضي الله عنها هذه الاية بما روي عنها في الصحيح بلفظين احدهما ليس احد يحاسب الا هلك والثاني
من نوقش الحساب عذب قالت فقلت يا رسول الله اليس الله يقول فاما من اوتي كتابه الاية فقال انما
ذلك العرض فان كان اللفظ الاول هو الذي سمعته فالاشكال فيه واضح وذلك يرجع الى كلية موجبة
هي كل من حوسب هلك والاية ترجع الى جزئية سالبة وهي بعض من يحاسب لا يهلك وهو نقيض وحينئذ
يكون اللفظ الثاني من تصرف الرواة وان كان الثاني هو الذي سمعته فطريق تقرير الاشكال فيه
ان يقال المناقشة في اللغة هي الاستقصاء وهو بلوغ الغاية وذلك في الحساب بذكر الجليل والحقير
والمجازاة عليه فرجع الامر ايضا الى كلية موجبة هي كل من حوسب بجميع اعماله عذب وذلك شامل
لكل حساب سواء كان يسيرا او لا لان الاعم يشمل جميع اخصياته والاية مثبتة ان من اعطي كتابه بيمينه
يحاسب عليه ولا يهلك والصديقة رضي الله عنها عالمة بان الكتاب تثبت فيه جميع الاعمال من قوله
تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ومن حديث الحافظين وغير ذلك فرجع الامر الى ان بعض
من يحاسب بجميع اعماله لا يهلك وحينئذ فالظاهر التعارض فسألت فاقرها صلى الله عليه وسلم
على الاشكال واجابها بما حاصله ان المراد بالحساب في الحديث مدلوله المطابقي وهو ذكر الاعمال
كلها والمقابلة على كل منها وذلك هو معنى المناقشة فمعنى من نوقش الحساب من حوسب حسابا
حقيقيا بذكر جميع اعماله والمقابلة على كل منها وان المراد بالحساب في الاية جزء المعنى المطابقي وهو ذكر
الاعمال فقط من غير مقابلة وذلك بدلالة التضمن مجازا مرسلا لانه اطلاق اسم الكل على الجزء ولاجل هذا
كانت الصديقة رضي الله عنها تقول بعد هذا في تفسير الاية يقرر بذنوبه ثم يتجاوز عنها كما نقله عنه

ابو حيان

ابو حيان ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما ان
الله يدني المؤمن يوم القيمة فيضع كنفه عليه ويستره ثم يقول له اتعرف ذنب كذا حتى يذكره بذنوبه كلها
ويرى في نفسه انه قد هلك قال الرب سبحانه سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ولفظ
كنفه يدل على ذلك فان كنف الطائر جناحه وهو اذا وضع فرخه في كنفه عامله بغاية اللطف فالله
ارحم والطف سبحانه واما من اوتي اي بغاية السهولة فان اي هون ذلك كتابه اي صحيفة حسابه
وراء ظهره اي في شماله ايتاء مستغرقا لجميع جهة الوراء التي هي علم السوء لانه كان يعمل ما لم ياذن به
الله فكانه عمل من ورائه مما يظن انه يخفى عليه سبحانه فكان حقيقا بان تغل يمينه الى عنقه وتكون شماله
الى وراء ظهره ويوضع كتابه فيها وذكر اليمين اولا يدل على الشمال ثانيا وذكر الوراء ثانيا يدل على
الامام اولا وسر ذلك انه ذكر دليل المودة والرفق بالمصافحة ونحوها في السعيد ودليل الغدر
والاغتيال في الشقي فسوف يدعوا اي بوعد لا محالة في وقوعه ثبورا اي حسرة وندما بنحو
قوله واثبوراه وهو الهلاك الجامع لانواع المكاره كلها لان اعماله في الدنيا كانت اعمال الهالكين
ولما كان ذلك لا يكون الا للبلاء الكبير اتبعه ما يمكن ان يكون علة له فقال ويصلى سعيرا اي
ويغمس في النار التي هي في غاية الاتقاد ويقاسي حرها وهي عاطفة عليه ومحيطة به لانه كان تابعا
لشهواته التي هي محفوفة بها فاوصلته اليها واحاطت به ولما ذكر هذا العذاب الذي لا يطاق اتبعه
سببه ترهيبا منه واستعطافا الى التوبة وتحذيرا من السرور في دار الحزن فقال مؤكدا تنبيها
على انه لا ينبغي ان يصدق ان عاقلا يثبت له سرور في الدنيا انه كان اي بما هو له كالجبلة والطبع
في اهله في دار العمل مسرورا اي ثابتا له السرور بطرا بالمال والجاه فرحا به مخلدا اليه مترفا مع
الفراغ عن ذكر حساب الاخرة كما قال في التي قبلها واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين لا يحزن
احدهم لذنب عمله ولا لقبيح ارتكبه بل يسر بكونه تأتى له ذلك فهو يحاسب في الاخرة حسابا عسيرا
وينقلب الى اعدائه مغموما كسيرا وقد بان ان الكلام من الاحتباك ذكر الحساب اليسير الذي
هو الثمرة والمسبب اولا يدل على حذف ضده ثانيا وذكر السرور في الاهل الذي هو السبب في
الثاني يدل على حذف ضده وهو سبب السعادة وهو الغم ومحاسبة النفس في الاول فهو احتباك
في احتباك ثم علل ثبات سروره فقال مؤكدا تنبيها ايضا على انه لا يصدق ان احدا ينكر البعث مع
ما له من الدلائل التي تفوت الحصر انه ظن اي لضعف نظره ان اي انه لن يحور اي يرجع الى
ربنا وينقص او يهلك وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر فلهذا كان
يعمل عمل من لا يخاف عاقبة بلى ليرجعن صاغرا ناقصا هالكا ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لاجل من ينكر
ان ربه اي الذي ابتدا انشاه ورباه كان ازلا وابدا به اي هذا الشقي في اعادته كما كان
في ابتدائه وفي جميع اعماله واحواله التي لا يجوز في عدل عادل ترك الحساب عليها بصيرا
اي ناظرا له وعالما به ابلغ نظر واكمل علم فتركه مهملا مع العلم باعماله مناف للحكمة والعدل والملك
فهو شيء لا يمكن في العقل بوجه ولما اخبر سبحانه بانكاره لما اتاه به الرسل من الحشر على وجه
موضح للدليل على بطلان انكاره ولم يرجع سبب عنه الاقسام على صحة ذلك لانه ليس عند النذير
الناصح الشفوق بعد اقامة الادلة الا الايمان على صحة ما قال نظرا منه للمنصوح وشفقة عليه
وكان ترك الحلف على ما هو ظاهر ابلغ من الحلف لما في ذلك الترك من تنبيه المخاطب على النظر والتأمل
فقال فلا اقسم اي احلف حلفا عظيما هو كما موس البحر بهذه الامور التي ساذكرها لما لها من الدلالة
على القدرة على الابداء والاعادة لا اقسم بها وان كانت في غاية العظم عما لها من الدلالات الواضحة

لان المقسم عليه أجلاها واظهر فهو غني عن الاقسام **بالشفق** اي الضيا الذي يكون في المغرب عقب ۵ غروب الشمس اطباقا فاحمرة ثم صفرة ثم كدرة الي بياض ثم سواد فكذلك الليل اوله بياض بغيرة ثم يتزايد غبرته قليلا قليلا الي ان يسود مربادا فيوسق كل شي ظلاما سمي شفقا لرقته ومنه الشفقة لرقة القلب **والليل** اي الذي يغلبه فيذهبه **وما وسق** اي جمع في بطنه وطرد وساق من ذلك الشفق ومن النهار الذي كان قبله والنجوم التي اظهرها وغير ذلك من الغرايب التي تدل علي ان موجد بعد ان لم يكن ومذهب ما كان به قادر علي الابدا والاعادة وكل ما يريد **والقمر** اي الذي هو آيته **اذا اتسق** اي انتظم واستوي واجتمع كماله وتم امره ليلة ابداره بعد ان كان غاب اصلا ثم بدا هلالا خفيا ضئيلا دقيقا ولم يزل يزداد حتي يتم ثم ينقص الي ان يخفي ثم يعود الي حاله دليلا اظهر من الشمس علي قدرة موجده كذلك علي كل امر من الابداع والاعادة ولما كانت هذه الامور عظيمة جدا لا يقدر عليها الا الله ولها من المنافع ما لا يعلمه حق علمه الا هو سبحانه وكل منها مع ذلك دال علي تمام قدرته تعالى علي الذي يراد تقديره في العقول وايضاحه من القدرة التامة علي اعادة الشي كما كان سوا ونفي الاقسام به دليلا علي ان ذلك في غاية الظهور فالامر فيه غني عن الاقسام قال في موضع جواب القسم مقرونا باللام الدالة علي القسم ذاكرا ما هو في الظهور والبداهة بحيث لا يحتاج الي تنبيه عليه بغير ذكره **لتركبن** اي ايها المكلفون هذا علي قراة الجماعة بضم البا دالة علي حذف واو الجمع وقرا ابن كثير وحمزة والكساي بفتحها علي ان الخطاب للانسان باعتبار اللفظ **طبقا** مجاوزا **عن طبق** اي حالا بعد حال من اطوار الحياة وادوار العيش وغمرات الموت ثم من امور البرزخ وشوون البعث ودواهي الحشر بدليل ما كان لكم قبل ذلك سوا بتلك القدرة التي كونت تلك الكواين واوجدت تلك العجايب سوا فتكونون في تمكن الوجود في كل طبق بحال المتمكن علي الشي بالركوب وكل حال منها مطابق للاخر في ذلك فان الطبق ما يطابق غيره ومنه قيل للغطا طبق لمطابقته المغطي والطبق كل ما ساوي شيا ووجه الارض والقرن من الزمان او عشرون سنة وكلها واضح الارادة هنا وهو بديهي الكون فاول اطباق الانسان جنين ثم وليد ثم رضيع ثم فطيم ثم يافع ثم رجل ثم شاب ثم كهل ثم شيخ ثم ميت وبعده نشر ثم حساب ثم وزن ثم صراط ثم مقر ومثل هذه الاطباق المحسوسة اطباق معنوية من الفضايل والرذايل ولما ظهر المراد ولم يبق الا العناد تسبب عن ذلك الانكار عليهم والتوبيخ والتقريع والتهديد فقال معرضا عن خطابهم الي الغيبة ابذانا باستحقاقهم الاخذ ان لم يرجعوا **فما لهم** اي اي شي لهولا الذين انزلنا عليهم الكتاب المعجز في انهم **لا يؤمنون** اي يوقعون الايمان ويجددونه كل وقت علي الاستمرار بكل ما دعا اليه هذا الكتاب الذي ختم به ملك الملوك وقد وضحت الدلايل وقامت البراهين لا سيما دلايل القيمة هل هي الا واحدة من هذه الاطباق المستقل اليها لان من كان اليوم علي حالة وغدا علي اخري جدير بان يعلم ان تدبره الي سواه ومن لم يعلم ذلك فليس لجنونه دوا ومن علم ان تدبيره الي سواه علم ان المشية في التدبير اليه لا الي نفسه وقيل لابي بكر الوراق ما الدليل علي الصانع قال تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الاركان وقهر المشية وفسخ العزيمة **واذا قري** اي من اي قاري **عليهم القرآن** اي الجامع لكل ما ينفعهم في دنياهم واخراهم الفارق بين كل ملتبس **لا يسجدون** اي يخضعون بالقلب ويتذللون للحق بالسجود اللغوي فيسجدون بالقالب السجود الشرعي لتلاوته لانه ملك الكلام قد ابان عن معارف لا تحصي مع الشهادة ۵ لنفسه باعجازه انه من عند الله ليس لهم عذر في ذلك الا الجهل او العجز ولا جهل مع القران ولا عجز مع القوة والاختيار • ولما كان هذا استفهاما انكاريا معناه النفي فكان التقدير انهم لا يومنون

ولا عذر لهم في ذلك اصلا اضرب عنه بقوله **بل** ووضع الظاهر موضع المضمر تعميما وتنبيها علي الوصف الذي حملهم علي التكذيب فقال **الذين كفروا** أي ستروا مرآي عقولهم الدالة علي الحق **يكذبون** اي بالقران وبما دل عليه من حقايق العرفان المعلية الي اوج الايمان بالواحد الديان **والله** أي والحال ان الملك المحيط بكل شي قدرة وعلما **اعلم** اي منهم انفسهم **بما يوعون** اي يضعون في اوعية صدورهم من الكفر والعداوة بسبب الشهوات الشاغلة لهم عن التدبر لهذا القران وعن شواهد الموجودات • **ولما** كان هذا موجبا لشدايد الانذار وضع موضعه تهكما بهم واعلاما بان الغضب قد بلغ منتهاه قوله **فبشرهم** اي اخبرهم خبرا يغير ابشارهم **بعذاب اليم** اي شديد الالم لشدة ايلامه ان كان لهم يوما من الايام بشارة فهي هذه • **ولما اخبر** عنهم بهذا الهوان وكان قد عبر عنهم باذني الاسنان اشارة الي ان منهم من يقبل الايمان استثني منهم فقال **الا الذين آمنوا** اي اقروا بالايمان **وعملوا** دلالة علي صدق ايمانهم **الصالحات** ولما تقدم ان من حوسب عذب وان الناجي انما يكون حسابه عرضا علم انه ليس للاعمال دخل في الحقيقة في الاجر وان المدار كما قال النبي المختار صلي الله عليه وسلم علي التغمد بالرحمة حتي في تسمية النعيم اجرا اسقط الفا المؤذنة بالسبب فقال **لهم اجر** اي عظيم **غير ممنون** اي مقطوع او منقوص او يمتن به عليهم في الدنيا والاخرة يرون ذلك في يوم الدين يوم تنشق السما وتمد الارض ويثوب الكفار ما كانوا يفعلون ۵ **فقد** رجع اخرها علي اولها • واعتلق مفصلها حق الاعتلاق بموصلها

مقصودها

الدلالة علي القدرة علي مقصود الانشقاق الذي هو صريح آخرها من تنعيم الولي ۵ وتعذيب الشقي بمن عذبه في الدنيا ممن لا يمكن في العادة ان يكون عذابه ذلك الا من الله وحده تسلية لقلوب المؤمنين وتثبيتا لهم علي اذي الكفار • وعلي ذلك دل اسمها البروج بتامل القسم والمقسم عليه وما هدي ذلك السياق اليه **بسم الله** الذي احاط بكل شي قدرة وعلما **الرحمن** الذي عم الخلايق عدلا وجلا **الرحيم** الذي خص اولياه باتمام النعمة عليهم عينا كما اظهره رسما لما ختم تلك بثواب المؤمن وعقاب الكافر والاستهزابه بعد ان ذكر سبحانه اعلم بما يضمر الاعدا من المكر وما يرومون من الانكاد للاوليا وتوعدهم بما لا يطيقون وكانوا قد عذبوا المؤمنين ۵ بانواع العذاب واجتهدوا في فتنة من قدروا عليه منهم وبالغوا في التضييق عليهم حتي الجاوهم الي شعب ابي طالب وغيره من الترحج في البلاد ومفارقة الاهل والاولاد ابتدا هذه بما اوقعه باهل الجبروت ممن تقدمهم علي وجه معلم ان ذلك الايقاع منه سبحانه قطعا ومعلما ان الماضين تجاوزوا ما فعل هولا الي القذف في النار وان اهل الايمان ثبتوا وذلك لتسلية المؤمنين وتثبيتهم ووعيد الكافرين وتوهينهم وتعنيتهم فقال مقسما لاجل انكارهم وفعلهم في التمادي في عداوة حزب الله فعل المنكر ان الله ينتقم لهم بما يدل علي تمام القدرة **والسماء** اي العالية غاية العلو المحكمة غاية الاحكام **ذات البروج** اي المنازل للكواكب السيارة التي ركبها الله تعالى علي اوضاع جعل في بعضها قوة التسبب للابدا والاعادة بالانبات وفي بعضها قوة التربية كذلك وفي اخري الاستحصاد باسباب خفية اقامها سبحانه لا ترونها غير انكم لكثرة الفكر لذلك صرتم تدركون منه بالتجارب امورا تدلكم علي تمام القدرة فنسبها بعضكم الي الطبيعة لقصور النظر في اسباب الاسباب وكلال الفكر عن النفوذ الي نهاية ما تصل اليه الالباب فاستدل بالشكر للفكر واستدل

بالايات على ضد ما تدل عليه لجمود الذهن وانعكاس الفكر والمراد بها المنازل الاثنا عشر الحمل
والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبله والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو
والحوت وهي التي تقطعها الشمس في السنة او هي الثمانية والعشرون التي يقطعها القمر في الشهر
وهي منازل للشمس هذه الاثنا عشر يسير القمر في كل واحد منها يومين وثلثا فذلك ثمانية وعشرون يوما
ويستتر ليلتين فذلك شهر وهو اشارة الى ان الذي فصل السما هذا التفصيل وسخر فيها هذه
الكواكب لمصالح الانسان لا يتركه سدى بل لا بد من دينونته على ما يفعله من خير وشر شبهت بالقصور
لانها تنزلها السيارة وتكون فيها الثوابت وعظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السما
فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور ولما كانت هذه الجملة من القسم دالة على البعث
قال تعين نجحا واليوم الموعود اي يوم القيمة الذي تحقق الوعد به وثبت ثبوتا لا بد منه بما دل
من قدرتنا في مخلوقاتنا وانا سببنا لهم اسبابا هي عتيدة لديكم وانتم لا ترونها ولا تحسون شيا منها ولم
تثبتها لكم الرسل لقصور عقولكم عنها باكثر من الدلالة بالاسباب التي الفتموها على مثلها من غير فرق غير
انه وان كان العقل لا يستقل به ولا يفقه منه غير السماع للوعد به من الرسل فهو لا يحيله بعد سماعه
ولما كان الجمع لاجل العرض وكان العرض لا بد فيه من شهود ومشهود عليهم وجدال على عهود
قال منكرا للابهام للتعظيم والتعميم مثل علمت نفس ما احضرت وشاهد اي كريم من الاوليا ومشهود
اي في نفسه من الاعيان والآثار الهايلة او عليه فانه يوم تشهده جميع الخلايق وتحضر فيه من
العجايب امور يكل عنه الوصف وتحضره الانبيا الشاهدون وامهم المشهود عليهم ولا تبقى صغيرة
من الاعمال ولا كبيرة الا احصيت وفي ذلك اشد وعيد لجميع العبيد ولما كان جواب القسم
ما دل عليه مقصود السورة وسوابقها ولواحقها لثبوت الفريقين الاوليا والاعدا ولندينن كلا بما
عمل دل عليه بافعاله في الدنيا ببعض الجبابرة فيما مضى وبما يفعل بجبابرة من كذب النبي صلى الله
عليه وسلم فقال بادئا بمن عذب بعذاب الله في القيمة للبداءة في آخر الانشقاق بقسم المكذبين وهو
المحدث عنهم معتبرا بما يصلح للدعا والحقيقة تسلية للمومنين وتثبيتا لهم بما وقع لامثالهم وتحذيرا مما
كان لاشكالهم قتل اي لعن بايسر امر واسهله من كل لاعن لعنا لا فلاح معه ووقع في الدنيا انه
قتل حقيقة اصحاب الاخدود اي الحد العظيم وهو الشق المستطيل في الارض كالنهر روي ان ملكا
من الكفار وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان من حمير من ملوك اليمن وكان قبل مولد
النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة آمن في زمانه ناس كثير فخد لهم اخدودا في الارض وسجره
نارا وعرض من آمن عليه فمن رجع عن دينه تركه ومن ثبت وهو الاغلب قذفه في ذلك الاخدود
فاحرقه وقال الامام ابو جعفر بن الزبير وردت هذه السورة في معرض الالتفات والعدول
الى اخبار نبي الله صلى الله عليه وسلم بما تضمنته هذه السورة من قصة اصحاب الاخدود وقد تقدم
هذا الضرب في سورة المجادلة وسورة النبا وبينا وقوعه في انفس السور ومنه وهي اقرب فيما
بين السورتين واوضح انتهى ولما ذمهم سبحانه بين وجه ذمهم ببدل اشتمال من اخدودهم
فقال النار اي العظيمة التي صنعوها لعذاب اوليانا وزاد في تعظيمها بقوله ذات الوقود
اي الشي الذي توقد به من كل ما يصلح لذلك من الحطب وغيره وعلق بقتل قوله اذ هم اي
بظواهرهم وضمايرهم عليها اي على جوانب اخدودها قعود اي يحفظونه ويفعلون ما يامرهم
ملكهم في امرها من القا الناس وغيره فعل القاعد المطمين الذي ليس له شغل غيرها وهم على ما
يفعلون اي خاصة بقوة دواعيهم الى فعله ورغبتهم فيه من الفتنة بالعرض على النار وغيره

منكرين

منكرين ذلك الفعل بالمومنين اي الراسخين في الايمان الذين لم يثنهم العذاب عنه شهود اي
يشهد بعضهم لبعض عند الملك انه لم يقصر فيما امره به ويشهدون يوم القيمة بما تشهد به عليهم
ايديهم وارجلهم على انفسهم بهذا الظلم ويشهد بعضهم على بعض ويعادي بعضهم بعضا ويحيل كل على
الآخر طمعا في النجاة ولما كان هذا الفعل العظيم لا يكون الا من عاقل الا لسبب يليق به بين
انه انما هو لسبب يبعد منه فقال على طريقة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
وما نقموا اي انكروا وكرهوا منهم من الحالات وكان ذنبا لهم ونقصا فيهم الا ان يومنوا
اي يجددوا الايمان مستمرين عليه بالله اي الملك الاعلى الذي له جميع صفات الكمال ولما
كان ربما اوهم ترك معاجلته سبحانه لهم لكونهم يعذبون من آمن به لاجل الايمان به ما لا يليق نفى
ذلك بقوله واصفا له بما تحقق وجوب العبادة له وتفرده بها العزيز اي الذي يغلب من اراده
ولا يغلبه شي فلا يظن امكانه من اهل ولايته لعجز بل هو يبتليهم ليعظم اجورهم ويعظم عقاب
اعدايهم ويعظم الانتقام منهم الحميد اي المحيط بجميع صفات الكمال فهو يثيب من اصيب فيه
اعظم ثواب وينتقم ممن آذاه باشد العذاب وقرر ذلك بقوله الذي له اي خاصة ملك السموات
والارض اي على جهة العموم مطلقا فكلما فيهما جدير بان يعبده وحده ولا يشرك به شيا ولما
قدم سبحانه التحذير بالشاهد والمشهود وان الكافرين شهود على انفسهم زاد في التحذير بانه
سبحانه اعظم شهيد في ذلك اليوم وغيره فهو لا يحتاج الى غيره ولكنه اجرى ذلك على ما يتعارفه فقال
والله اي الملك الاعظم الذي له الاحاطة الكاملة على كل شي اي هذا الفعل وغيره شهيد اي
اتم شهادة لا يغيب عنه شي اصلا ولا يكون شي ولا يبقى الا بتدبيره ومن هو بهذه الصفات العظيمة
لا يهمل اولياه اصلا بل لا بد ان ينتقم لهم من اعدايه ويعليهم بعلايه ولذلك قال مستانفا جوابا
لمن يقول فما فعل بهم مؤكدا لانكار الكفار ذلك ان الذين فتنوا اي خالطوا من الاذى بما لا يحمله
القوي فلا بد ان يميل او يحيل في اي زمان كان ومن اي قوم كانوا المومنين والمومنات اي ذوي
الرسوخ في وصف الايمان ولما كانت التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان عبر باداة
التراخي فقال ثم لم يتوبوا اي عن ذنوبهم وكفرهم ولما كان سبحانه لا يعذب احدا الا بسبب
سبب عن ذنوبهم وعدم توبتهم قوله فلهم اي خاصة لاجل كفرهم عذاب جهنم اي الطبقة التي تلقى
داخلها بغاية الكراهة والتجهم هذا في الآخرة ولهم اي مع ذلك في الدارين لاجل فتنتهم لاوليا الله
عذاب الحريق اي العذاب الذي من شانه المبالغة في الاحراق بما احرقوا من قلوب الاوليا وقد
صدق سبحانه قوله هذا فيمن كذب النبي صلى الله عليه وسلم باهلاكهم شر اهلاك مغلوبين مقهورين
مع انهم كانوا قاطعين بانهم غالبون كما فعل بمن كان قبلهم فدل ذلك على انه على كل شي قدير فدل على انه
يبدي ويعيد ولما ذكر عقاب المعاندين بادئا به لان المقام له اتبعه ثواب العابدين فقال
مؤكدا لما لاعدايهم من انكار ذلك ان الذين آمنوا اي اقروا بالايمان ولو على ادنى الوجوه من المقذوفين
في النار وغيرهم من كل طايفة في كل زمان وعملوا الصالحات تصديقا لايمانهم وتحقيقا له
ولما كان الله سبحانه من رحمته قد تعمد اولياه بعنايته ولم يكلهم الى اعمالهم لم يجعلها سبب
سعادتهم فلم يقرن بالفا قوله لهم اي جزا مقاساتهم لنيران الدنيا من نار الاخدود الحسية التي ذكرت
ومن نيران الهموم والاحزان المعنوية التي يكون المباشر لاسبابها غيره سبحانه فيكون المعاصي لها
مع حفظه للدين كالقابض على الجمر جنات اي فضلا منه تجري وقرب منالها بالجر فقال من تحتها
اي من تحت غرفها واسرتها وجميع اماكنها الانهار يتلذذون ببردها في نظير ذلك الحر الذي صبروا

عليه في الدنيا ويروقهم النظر اليها مع خضرة الجنان والوجوه الحسان الجالبة للسرور الجالية
للاحزان ولما ذكر هذا النعيم الذي يسر النفوس ويذهب البوس فذلكه بقوله ذلك اي
الامر العالي الدرجة العظيم البركة الفوز اي الظفر بجميع المطالب لا غيره الكبير كبرا لا تفهمون
منه الكثير من ذكره بهذا الوصف على سبيل الاجمال وذلك ان من كبره ان هذا الوجود كله يصغر عند
اصغر شي منه ولما كان لا يثيب ويعذب على هذا الوجه الا من كان في غاية العظمة قال جلالة
لفعله ذلك دائما بذلك التعليل على ما له من العظمة التي تتقاصر الافكار دون علياها مؤكدا لما للاعدا
من الانكار ان بطش ربك اي اخذ المحسن اليك المدبر لامرك اعدا الدين بالعنف والسطوة وغاية
الشدة لشديد اي شدة يزيد عنفها على ما في البطش من العنف المشروط في تسميته فهو عنف مضاعف
ولما كان هذا البطش لا يتأتى الا لكامل القدرة دل على كمال قدرته واختصاصه بذلك بقوله
مؤكدا لما لهم من الانكار انه وزاد التأكيد بمبتدا آخر ليدل على الاختصاص فقال هو اي وحده
يبدئ اي يوجد ابتداء اي خلق اراد على اي هيئة اراد ويعيد اي ذلك المخلوق بعد فنائه
في كل وقت اراده وغيره لا يقدر على شي من ذلك وليس هذا الضمير بفصل لانه لا يكون الا والخبر
معرفة او شبيهها في انه لا تلحقه ال المعرفة مثل خير منك واجاز المازني وقوعه قبل المضارع لمشابهته
الاسم وامتناع دخول ال عليه فاشبه المعرفة وقال ولا يكون قبل الماضي لان الماضي لا يشبه الاسم
قال الرضي وما قاله دعوى بلا حجة ومثل ومكر اولئك هو يبور ليس بنص في كونه فصلا لجواز كونه مبتدا
ما بعده خبره ونقض قوله في الماضي بقوله تعالى وانه هو اضحك وابكى الآية ولما ذكر بطشه سبحانه
وكان القادر على العنف قد لا يقدر على اللطف وان قدر فربما لم يقدر على الابلاغ في ذلك وكان لا يقدر
على محو الذنوب اعيانها وآثارها عن كل احد بحيث لا يحصل لصاحبها عقاب ولا عتاب من احد اصلا
الا من كان قادرا على كل شي قال مبينا لجميع ذلك دليلا على انه الفاعل المختار ومؤكدا لخروجه عن العوايد
وهو اي وحده الغفور اي المحاء لاعيان الذنوب وآثارها اذا اراد بحيث لا يحصل لمن محا ذنبه كدر
من جهة ذلك الذنب اصلا الودود اي الذي يفعل بمن اراد فعل المحب الكثير المحبة فيحبه الى ما شا
ويلقي عن صاحب الذنب الذي محاه عنه ودا اي محبة كبيرة واسعة ويجعل له في قلوب الخلق رحمة
ومادة ود قد دور على الاتساع كما بينته في سورة الروم وزاد الامر تأكيدا مذكرا ملا ينازع
اصلا في اختصاصه به تشريفا له وتنبيها على انه اعظم المخلوقات ذو العرش اي العز الاعظم او السرير
الدال على اختصاص الملك بالملك وانفراده بالتدبير والسيادة والسياسة الذي به قوام الامور المجيد
اي الشريف الكريم العظيم في ذاته وصفاته الحسن الجميل الرفيع العالي الكثير العطا هذا اذا رفع على
انه صفة لذو وكذا ان جر على انه صفة للعرش في قراة حمزة والكسائي ولما كان الاختصاص
بذلك قطعا على كمال القدرة انتج ذكر هذه الاختصاصات قوله فعال اي على سبيل التكرار والمبالغة
لما يريد لا يؤوده شي من الافعال سوا كانت منسوبة اليه من غير واسطة او نسبت في الظاهر الى غيره
ولما تمت الدلالة على ان بطشه شديد قرره بما وجد من ذلك وذكره به تخويفا لقومه وتسلية
له لان النظر في المحسوسات امكن في النفوس فقال هل اتاك اي يا اعظم خلقنا حديث الجنود
اي اذكر ما اتاك بما حدث لهم من بطشنا وما وقع بهم من سطواتنا لتكذيبهم رسلنا عليهم بحيث صار حديثا
يتلى وذكرا بين الخلق ولعظمته لا يبلى والجنود جمع جند بالضم وهو العسكر المعد للقتال والاعوان والمدينة
والكل ناظر الى النجدة العظيمة والغلبة الزايدة ولما كان من المعلوم من السياق ان المراد من حديثهم
ما حصل لهم من البطش لتكذيب الرسل لا سيما في البعث الذي السياق له وكان الواضح من بيانه

بآيات

بآيات موسى وصالح عليهما السلام ابين مما وقع بآيات غيرهم ممن تقدم زمنه على هذه الامة
وكانت امة كل من النبيين واتباع فرعون تحوي اصنافا من الخلق كثيرة حكي ان طليعته يوم تبع
بني اسرايل وغرق كانت ستمائة الف ابدل من الجنود اعلاما بانهم اعدا الله قوله فرعون اي وكذا
اتباعه الذين كانوا اشد اهل زمانهم واعتاهم واكثرهم دعونة في دعوى الالهية منه والتصديق منهم
والرسوخ في التكذيب والسفه والخفة والطيش مع رؤية تلك الآيات العظيمة على كثرتها وطول زمنها
حتى دخل البحر على ايمان من الغرق مع ان خطر الغرق به في تلك الحالة لم يكن يخفى على من له ادنى
مسكة من عقله فاغرقه الله ومن معه اجمعين لم يبق منهم احدا فلعنة الله عليه وعلى اتباعه الطايفة
الاتحادية العربية الفارضية الذين يكفي في ظهور كفرهم تصويبهم فرعون الذي اجمع على كفره جميع الفرق
وثمود الذي حملتهم الخفة على ان عقروا الناقة بعد رؤيتهم اياها تتكون من الصخرة الصماء غير مجوزين
ان الذي خرق العادة باخراجها ذلك يهلكهم في شانها وقد جمع سبحانه بين العرب والعجم والاهلاك
بالما الذي هو حياة كل شي والصيحة التي هي امارة الساعة وانما كانت اياتهما ابين لان اية ثمود ناقة
خرجت من صخرة صما ومن ايات موسى عليه السلام ابداع القمل الذي لا يحصى كثرة من الكثبان وابداع
الضفادع كذلك والجراد واحيا العصى مرة بعد اخرى ولا شك عند عاقل ان من قدر على ذلك ابتدا
من شي لا اصل له في الحياة هو على الاعادة مما كان قبل ذلك حيا اشد قدرة ولما كان التقدير نعم
قد اتاني ذلك وعلمت من حديثهما وغيره انك قادر على ما تريد ولكن لا يصدقوني عطف عليه قوله
بل الذين كفروا اي جاهروا بالكفر من هولا القوم وغيرهم وان كانوا في ادنى رتبة في تكذيب
اي لما راوا من الايات لا مستند لهم فيه وهو شديد محيط بهم لاتباعهم اهواهم وتقليدهم اباهم
فهم لا يقدرون على الخروج من ذلك التكذيب الذي صار ظرفا لهم بعد سماعهم لاخبار هولا المهلكين
ورؤية بعض اثارهم وبعض ما اقمت لهم من الادلة على البعث في هذا القرآن المعجز ولم يعتبروا بشي
من ذلك لما عندهم من دا الحسد فحالهم اعجب من حالهم فحذرهم مثل ما لحقهم ولما كان هذا ربما
اوهم ان تكذيبهم على غير مراده سبحانه قال دافعا لذلك مؤكدا قدرته على اخذهم تحذيرا لهم وتسلية
لمن كذبوه والله اي والحال ان الملك الذي اختص بالجلال والاكرام من ورائهم اي كل جهة
يوارونها او تواريهم وذلك كل جهة محيط فهو محيط بهم من كل جهة بعلمه وقدرته فهو كناية عن انهم
في قبضته لا يفوتونه بوجه كما انه لا يفوت من صار في القبضة باحاطة العدو به من غير مانع فهو
سبحانه قادر على ان يحل بهم ما احل باولئك ولعله خص الورا لان الانسان يحمي ما وراه ولانه جهة
الفرار من المصايب ولما كان من تكذيبهم وهو اعظم تكذيبهم طعنهم في اعظم الايات القرآن بان
يقولوا هو كذب مختلق انما هو اساطير الاولين اي اكاذيبهم لا حقايق لما تخبر به مع انه قد اقام الدليل
الاعظم لنفسه بنفسه بما له من الاعجاز على انه حق قال معبرا بالضمير ايذانا به لعظمه في كل قلب لا
غيبة له اصلا ليس لاحد حديث الا فيه بانيا على ما تقديره ليس الامر كما يزعم الكفار في القرآن
بل هو اي هذا القرآن الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قرآن اي جامع لكل منقبة
جليلة بالغ الذروة العليا في كل شرف مجيد اي شريف كريم ليس فيه شي من شوايب الذم عظيم
عال جواد حسن الخلال وجيد في نظمه ومعانيه المعجبة والمشاهدة حاو لمجامع الجهد ليس بقول
مخلوق ولا هو مخلوق بل هو صفة الخالق وهو جواد بكل ما يراد منه من المحاسن لمن صدقت نيته
وظهرت طويته وعلت همته وكرمت سجيته فهو يابى له مجده ان لم يلم بساحته طعن بوجه من
الوجوه ويجل بتجريب احكامه بين عاجل ما شهد وآجل ما علم بعلم ما شهد فكان معلوما بالتجربة المتيقنة

بما تواتر من القصص الماضي وما شهد له من الأثر الحاضر وما يتجدد مع الأوقات من امثاله
واشباهه واشكاله فكذب من قال انه شعر او كهانة او سحر او غير ذلك من الاباطيل ولما وصف
في نفسه بما يابى له الحاق شي من شبهة شي وصف محله في الملا الاعلي اعلاما بانه لا يطرا عليه ما يغيره
فقال في لوح وهو كل صحيفة عريضة من خشب او عظم او غيرهما محفوظ اي له الحفظ دايما علي اتم
الوجوه من كل خلل ومن ان يصل اليه الا الملايكة الكرام قال الغزالي في كتاب الموت من الاحيا
يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بامام مبين فجميع ما جري في العالم وما سيجري
مكتوب كتبا لا يشاهد بهذه العين وليس مما نعهد من الالواح فلوحه تعالي لا يشبه الواح خلقه
كما ان ذاته لا تشبه ذوات خلقه ومثاله مثال قلب الانسان في حفظ القران مثلا كلماته وحروفه
ولو فتش قلبه لم يوجد فيه شي ولا ينظر ذلك الا نبي او ولي يقرب من درجته هذا معني كلام الامام
رحمه الله وقرا نافع بالرفع صفة للقران فحفظه من التحريف والتغيير وكل شبهة وريب في نظمه
او معناه كما ان البروج محفوظة في لوح السما المحفوظ بل القران بذلك اولي لانه صفة الخالق في
بيان وضعه لما خلق علي الوجه الاتم الاعدل لانه ترجمة ما اوجده الله سبحانه في الوجود فصح قطعا
انه لا بد ان يصدق في كل ما اخبر به ومن اعظمه انه سبحانه يحشر الناس للدينونة بالثواب والعقاب
كما دان من كذب اولياءه في الدنيا بمثل ذلك فاخذ اعداءه وانجي اولياءه فرجع الختام منها علي المبدا
وتعانق الافتتاح بالمنتهي فاقتضي ذلك تنزيه المتكلم به عن ان يترك شيا فضلا عن الانفس بغير
حفظ وعن كل ما لا يليق واثبات الكمالات له والاكمليات بكل طريق

مقصودها بيان مجد القران في صدقه في الاخبار بتنعيم اهل الايمان وتعذيب اهل الكفران في
يوم القيمة حين تبلي السراير وتكشف مخبآت الضماير عن مثقال الذر وما دون المثقال بما
دونته الحفظة في صحايف الاعمال بعد استيفا الآجال كما قدر في ازل الآزال من غير استعجال ولا
تاخير عن الوقت المضروب ولا اهمال واسمها الطارق اذا تاملته دال علي هذا الموعود الصادق
بتامل القسم والمقسم عليه حسب ما انساق الكلام اليه بسم الله الذي له الكمال كله
الرحمن الذي وسع الخلايق عدله الرحيم الذي خص اولياءه بتوفيقه فظهر عليهم جوده وفضله
لما تقدم في آخر البروج ان القران محفوظ لان منزله محيط بالجنود من المعاندين وبكل شي
اخبر ان من احاطته حفظ كل فرد من جميع الخلايق المخالفين والموافقين الموالفين ليجازي علي اعماله يوم
احقاق الحقايق وقطع العلايق فقال مقسما علي ذلك لانكارهم له والسماء اي ذات الانجم الموضوعة
لحفظها من المردة لاجل حفظ القران المجيد الحافظ لطريق الحق قال الملوي والمراد بها هنا ذات
الافلاك الدايرة لا السموات العلي بما جعل فيهما من ليل ونهار دورتهما ثلثمائة وستين درجة لا تتغير ابدا
في هذه الدار بنقص ولا زيادة بنصف درجة ولا دقيقة ولا ثانية ولا ما دون ذلك بل كلما ازداد
احدهما شيا نقص من الآخر بحسابه عرف ذلك من العقل والنقل والتجربة فعرف انه بحفظ حفيظ حي
لا يموت قيوم لا يغفل ولا ينام انتهي ولما اقسم بالسما لما لها من الشرف والمجد تنبيها علي ما فيها
من بدايع الصنع الدالة علي القدرة الباهرة اقسم باعجب ما فيها وهو جنس النجوم ثم باغربه وهو المعد
للحراسة تنبيها علي ما في ذلك من غرايب القدرة فقال والطارق ولما كان الطارق يطلق علي
غير النجم ابهمه اولا ثم عظم القسم به بقوله وما ادراك اي عرفك يا اشرف خلقنا وان حاولت

معرفة

معرفة ذلك وبالغت في الفحص عنه ما الطارق ثم زاده تهويلا بتفسيره بعد ابهامه مرة
اخري بقوله النجم الثاقب اي المتوهج العالي المضي كانه يثقب الظلام بنوره فينفذ فيه يقال
اثقب نارك للموقد او يثقب بضوئه الافلاك فتشف عنه او يثقب الشيطان بناره اذا استرق السمع
والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشانه
لعلو مكانه ولما ذكر الذي دل به علي حفظ القران عن التلبس وعلي حفظ الانسان ذكر جوابه
في حفظ النفوس التي جعل فيها قابلية لحفظ القران في الصدور ودل علي حفظ ما خلق لاجلها من
هذه الاشيا المقسم بها علي حفظ الانسان لانها اذا كانت محفوظة عن ادني زيغ وهي مخلوقة لتدبير مصالحه
فما الظن به فقال مؤكدا غاية التاكيد لما للكفرة من انكار ذلك والطعن فيه ان بالتخفيف من
الثقيلة في قراءة الجمهور اي ان الشان كل نفس اي من الانفس مطلقا لا سيما نفوس الناس لما
عليها اي بخصوصها حافظ اي رقيب عتيد لا يفارقها والمراد به الجنس من الملايكة فبعضهم
لحفظها من الآفات وبعضهم لحفظها من الوساوس وبعضهم لحفظ اعمالها واحصايها بالكتابة وبعضهم
لحفظ ما كتب لها من رزق واجل وشقاوة او سعادة فلا تتعدي شيا من ذلك فان قلت ان الحافظ
الملايكة صدقت وان قلت انه الله صدقت لانه الآمر لهم والمقتدر علي الحفظ والحافظ لهم من الوهن
والزيغ فهو الحافظ الحقيقي واللام في هذه القراءة هي الفارقة بين المخففة والنافية وما مؤكدة
بمعني صدر ما اثبتته الجملة وحافظ خبران ويجوز ان يكون الظرف الخبر وحافظ مرتفع به وقرا ابن
عامر وعاصم وحمزة بتشديد لما علي انها بمعني الا وان نافية بمعني ما والمستثني منه كل نفس وخبر
النافية محذوف تقديره كاينة او موجودة ونحوهما والمستثني نفس موصوفة بعليها حافظ ويحتمل
ان يكون نحالا فمحله يحتمل الرفع بانه خبر النافي في هذا الاستثنا المفرغ عند بني تميم والنصب بانه
خبر عند غيرهم او حال من نفس لانها عامة والتقدير ما كل نفس موجودة الا نفس كاين او كاينا
عليها حافظ والنسبة بين مفهومي القراءتين ان المشددة اخص لانها دايمة مطلقة والمخففة مطلقة
عامة ولا يظن ان المشددة غير مساوية للمخففة فضلا عن ان تكون اخص لان حرف النفي دخل
علي كل وهو من اسوار السلب الجزئي كما تقرر في موضعه فيخيل الي ان بعض النفوس ليس الا
عليها حافظ وانما كان لا يظن ذلك لانها تحل لما فيها من الحصر المتضمن للنفي والاثبات الي جملتين
احداهما اثبات الحفظ للنفس الموصوفة والاخري سلب نقيضه عنها لانه من قصر الموصوف علي
الصفة ونقيض الكلية الموجبة الجزئية السالبة اي ليس كل نفس عليها حافظ والسالبة الجزئية
اعم من السالبة الكلية فاذا نفيتها قلت ليس ليس كل نفس عليها حافظ فهو سلب السلب الجزئي واذا
سلب السلب الجزئي سلب الكلي لما تبين انه اخص واذا انتفي الاعم انتفي الاخص فلا شي من الانفس ليس
عليها حافظ فانحل الكلام الي ان الانفس كاينة الانفس عليها حافظ وان كان لفظ ليس كل من اسوار الجزئية
لما مضي فصارت الاية علي قراءة التشديد مركبة من مطلقة عامة هي كل نفس عليها حافظ بالفعل ومن
سلب نقيضها وهي الدايمة المطلقة الذي هو دايما ليس كل نفس عليها حافظ ورفعه بان يقال ليس دايما
ليس كل نفس عليها حافظ اي ليس دايما كل نفس عليها حافظ وذلك علي سبيل الحصر وقصر الموصوف علي
الصفة معناه ان الموصوف لا يتعدي صفته التي قصر عليها فاقل الامور ان لا يتجاوزها الي عدم
الحفظ وذلك هو معني الدايمة المطلقة وهو الحكم بثبوت المحمول للموضوع ما دام ذات الموضوع موجودة
وهي علي قراءة التخفيف مطلقة عامة اي حكم فيها بثبوت المحمول للموضوع بالفعل وهو الجزء الاول مما
انحلت اليه قراءة التشديد فمفهوم الاية في قراءة التشديد اخص منه في قراءة التخفيف لان كل دايم كاين

بالفعل ولا ينعكس• هذا اذا نظرنا الي نفس المفهوم من اللفظ مع قطع النظر عن الدلالة الخارجية
واما بالنظر الي نفس الامر فالجهة الدوام فلا فرق غير انه دل عليه باللفظ في قراة التشديد دون
قراة التخفيف والله اعلم• وقال الاستاذ ابو جعفر بن الزبير لما قال تعالي في سورة البروج
والله علي كل شي شهيد والله من ورايهم محيط وكان في ذلك تعريف العباد بانه سبحانه لا
يغيب عنه شي ولا يفوته هارب اردف ذلك بتفصيل يزيد ايضاح ذلك التعريف الجلي من
شهادته سبحانه علي كل شي واحاطته به فقال ان كل نفس لما عليها حافظ فاعلم سبحانه بخصوص
كل نفس ممن يحفظ انفاسها ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ليعلم العبد انه ليس بمهمل ولا
مضيع وهو سبحانه الغني عن كتب الحفظة واحصايهم ولكن هي سنته حتي لا يبقي لاحد حجة ولا تعلق
واقسم تعالي علي ذلك تحقيقا وتاكيدا يناسب لقصد المذكور انتهي• ولما كان التقدير لانه
لابد من العرض علي الخالق لان التوكيل بالانسان لا يكون الا لعرضهم علي الملك الديان ومحاسبته
له كان التقدير يحفظ اعمالها ويكتبها ليحاسبها الملك علي ذلك فتسبب عنه قوله فلينظر اي بالبصيرة
الانسان اي الانس بنفسه الناظر في عطفه ان كان يشك في ذلك مم اي من اي شي وبني للمفعول
العامل فيمن امر بالنظر وهو قوله خلق اعلاما بان الدال هو مطلق الخلق وتنبيها علي تعظيم الفاعل
بان العلم به غير محتاج الي ذكره باللفظ لانه لا يقدر علي صنعة من صنايعه غيره وامر الانسان
بهذا النظر ليعلم بامر مبدايه امر معاده فان من قدر علي الابتدا قدر علي الاعادة قطعا فاذا صح
عنده ذلك اجتهد في ان لا يملي علي حافظيه الا ما يرضي عرضه علي الملك ليسره وقت حسابه ولما
نبه بالاستفهام علي ان هذا امر مهم جدا ينبغي لكل احد ان يترك جميع مهماته ويتفرغ للنظر فيه
فانه يكسبه السعادة الابدية وكان الانسان مع كونه ضعيفا عاجزا لا ينفك عن شاغل ومعتر
فلا يكاد يفصح له نظر تولي سبحانه شرح ذلك عنه فاجاب الاستفهام بقوله خلق اي الانسان علي
ايسر وجه واسهله بعد خلق ابيه ادم عليه السلام من تراب وامه حوا عليها السلام من ضلع من
ما دافق اي هو لقوة دفع الطبيعة له كانه يدفق بنفسه فهو اسناد مجازي والدفق لصاحبه
او هو مثل لابن اي ذي دفق والدفق صب فيه دفع ولم يقل مائين اشارة الي انهما يجتمعان في الرحم
ويمتزجان اشد امتزاج بحيث يصيران واحدا ولما كان المراد به ما الرجل وما المراة قال
يخرج وبعض باثبات الجار فافهم الخروج عن مقره في قوله من بين الصلب اي صلب الرجل
وهو عظم مجتمع من عظام منفككة احكم ربطها غاية الاحكام من لدن الكاهل الي عجب الذنب والترايب
اي ترايب المراة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وصوبه ابن جرير وما ولي الترقوتين
او ما بين الثديين والترقوتين او اربع اضلاع من يمنة الصدر واربع من يسرته او اليدان
والرجلان والعينان وعلي كل تقدير شهوتها من امامها وشهوة الرجل فيما غاب عنه من وراية
ولو ورع الحافض ان الما يلا البين المذكور ولم يفهم انه يخرج من صاحبي البين• قال البيضاوي ولو
صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضا حتي تستعد لان تتولد منها
مثل تلك الاعضا ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند الانثيين فلا شك ان الدماغ اعظم
الاعضا معونة في توليدها ولذلك شبه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهو
النخاع وهو في الصلب وشعبه كبيرة نازلة الي الترايب• وهما اقرب الي اوعية المني فلذلك خصا
بالذكر وقال الملوي فالذي اخرجه من حلزون عظام الصلب والترايب الي صيره في محله من الانثيين
الي ان دفق واعتني بعد ذلك بنقله من خلق الي خلق بعد كل اربعين يوما الي ان صيره انسانا يعقل

ويتكلم

ويتكلم ويبني القصور ويهدم الصخور قادر علي بعثه• ولما علم بالحفظ والخلق في الاطوار المشار
اليها انه خلق لامر عظيم وهو الحساب وثبت بالقدرة علي ابتدايه من هذا الما وبتطويره في الحالات
المشار اليها بالتنبيه بذكر الما المعلومة لكل احد القدرة علي الاعادة بلا فرق الا كون الاعادة
علي ما نعرف اسهل وكان العرب ينكرونها قال موكدا استينافا لمن يقول قد نظرت في ذلك انه
اي خالقه القادر علي ما ذكر من شوونه المدلول علي عظمه بنبا خلق للمفعول علي رجعه اي رجع
الانسان بالبعث ورده الي حالته الاولي وخلقه الاول كما كان قبل الموت وعلي رد هذا الما
الدافق الي مجاريه التي خرج منها وحله الي المائية بعد انعقاده عظما ولحما ودما لقادر اي
لثابتة قدرته علي ذلك اتم ثبات فمن ايسر ما يكون عنده سبحانه رده بعد شيخوخته علي عقبه
بان يجعله كهلا ثم شابا ثم طفلا ثم مضغة ثم علقة ثم يدفعه الي ذكر الرجل ورحم المراة ثم الي صلبه
وترايبها وهو اهون عليه وذلك كقدرته علي رده بالبعث وعبر بانه ولم يقل ان الله مثلا لانه اقعد
لانه يقال لكل انسان من اخرجك علي هذه الهيئة فصيرك علي هذه الصفة فاذا قال القادر علي كل شي
بقدرته الكاملة قيل له وبتلك القدرة بعينها يعيدك ولو سمي له اسم غير الضمير لكان ربما قال
ليس هو خالقي• ولما كان هذا تحرك السامع غاية التحريك الي ان يقول متي يكون رجعه له
قال مجيبا له يوم تبلي وبناه للمفعول اشارة مع التنبيه علي السهولة الي ان من الامر البين غاية
البيان الذي يبلوها هو الذي رجعها وهو الله تعالي من غير احتياج الي ذكره السراير اي كلما
انطوت عليه الصدور من العقايد والنيات واخفته الجوارح من الاخلال بالوضو والغسل
ونحو ذلك من جميع الخيانات بان تخالط السراير في ذلك اليوم وهو يوم القيمة من الامور القابلة
ما يميلها فيحيلها عما هي عليه فتعود جهرا بعد ان كانت سرا فيميز طيبها من خبيثها ويجازي عليه
صاحبه• ولما كان المانع من جزايه عند اظهار سر امره اما هو بنفسه او احد بنصره قال مسببا
عن اظهارها ربما يجتهد في اخفايه فما له اي الانسان الذي اخرجت سرايره واغرق في التعميم والنفي
فقال من قوة اي يمنع بها نفسه من الجزا ولا ناصر اي ينصره فيمنعه من نفوذ الحكم فيه وليس
الدفع الا باحد هذين الامرين قوة قايمة به او قوة خارجة عنه ولما اشتملت هذه الجمل علي وجازتها
علي الذروة العليا من البلاغة في اثبات البعث والجزا والوحدانية له سبحانه الي غير ذلك من بحور
العلم فثبت ان القران كلام الله فثبت ان كلما فيه حق مع منازعتهم في ذلك كله اقتضي الحال الاقسام
علي حقيته فقال والسما اي التي كان المطلع الاقسام بها ووصفها بما يوكد العلم بالبعث الذي هو منبع
العلوم والتقوي فعليه مدار السعادة فقال ذات الرجع اي التي ترجع بالدوران الي الموضع الذي
ابتدات الدوران منه فترجع الاحوال التي كانت وتصرمت من الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب
والفصول من الشتا وما فيه من برد ومطر والصيف وما فيه من حر وصفا وسكون وغير ذلك والنبات
بعد تهشمه وصيرورته ترابا مختلطا بتراب الارض وترجع الما علي قول من يقول ان السحاب ياخذ
من البحر ويعلو به فيقصره في الهوا ثم يرده الي الارض وغير ذلك من الامور الدالة كل منها قطعا
علي ان فاعل ذلك قادر علي اعادة كل ما فني كما كان من غير فرق اصلا• ولما ذكر الامر العلوي بادئا
به لشرفه اتبعه السفلي فقال والارض اي مسكنكم التي انتم ملابسوه ومعانوه كل وقت وملامسو
ذات الصدع اي التي تتصدع وتنشق فيخرج منها النبات والعيون بدا واعادة دلالة ظاهرة علي
البعث فجمع بالقسم العالم العلوي الذي هو كالرجل والسفلي الذي هو كالمراة فكما ان الرجل يسقيها
من مايه فتتصدع عن الولد فكذلك السما تسقي الارض فتتصدع عن النبات وكما انها تتصدع عن

النبات بعد فنايه وصيرورته رفاتا فيعود كما كان فكذلك تتصدع عن الناس بعد فنايهم فيعودون
كما كانوا باذن ربها من غير فرق اصلا ولما كانت هذه كلها براهين قاطعة ودلايل باهرة ساطعة علي
حقية القران واتيانه باعلي البيان فكان من المستبعد جدا طعنهم في القران بعد هذا قال منبها علي
ذلك بالتاكيد معبرا بالضمير اشارة كما مضي الي انه المحدث عنه الآن فهو الثابت في جميع الاذهان
لا غيبة له عن شي منها اصلا انه اي القران الذي اخبر بهذه الاخبارات التي هي في غاية الوضوح
وتقدم مجيد في لوح محفوظ وان الكفرة في تكذيب به ولا سيما ما تضمن منه الاخبار بالبعث لقول
فصل اي جد يراد به فصل الامور وله من الفراقة في الفرق بين الحق والباطل ما صار به يطلق عليه
نفس الفصل ثم اكد الامر لشدة انكارهم فقال وما هو اي في باطنه ولا ظاهره بالهزل اي بالضعيف
المرذول الذي لا طايل تحته فمن حقه ما هو عليه الآن من كونه مهيبا في القلوب معظما في الصدور
يترفع به قاريه وسامعه عن ان يلم بهزل ويعلو به في اعين العامة والخاصة ولما كان ثبات
هذا علي هذا الوجه مقتضيا ولا بد رجوعهم عن العناد فكان ذلك محركا للسامع الي تعرف ما كان
من امرهم استانف قوله دلالة علي بقايهم علي الانكار واكد تنبيها علي ان بقاهم علي العناد مع هذا مستبعد
جدا انهم اي الكفار يكيدون اي بما يعملون في امره من الحيل كيدا في ابطاله واطفا نوره باثباتك
او اخراجك او قتلك او تنفير الناس عنك ولم يخالوا انه لا قوة لهم ولا ناصر وسمي جزاه لهم سبحانه
كيدا مشاكلة ولانه خفي عنهم ومكروه اليهم فهو علي صورة الكيد فقال واكيد اي انا بتمام اقتداري
كيدا باستدراجي لهم الي توغلهم فيما يغضبني ليكمل ما يوجب اخذي لهم من حيث لا يشعرون
ولما كان هذا معلما بانهم عدم لا اعتبار بهم قال مسببا عنه تهديدا لهم بما له من تهديد
فمهل اي تمهيلا عظيما بالتدريج ولما كان في المكذبين في علم الله من يؤمن فليس مستحقا للايقاع
مثل هذا التهديد عبر بالوصف المقتضي للرسوخ فقال الكافرين اي فلا تدع عليهم ولا تستعجل
لهم بالاهلاك فانا لا نعجل لان العجلة وهي ايقاع الشي في غير وقته الاليق به نقص لانه لا يعجل الا من
يكون ما يفعل المستعجل عليه خارجا عن قبضته ولما كانت صيغة التفعيل ربما افهمت التطويل
اكد ذلك مجردا للفعل دلالة علي ان المراد بالاول ايقاع الانهال مع انه زمنه قصير بالتدريج
ليطمين المهمل بذلك وتصبيرله به قوة عظيمة وذربة وعزيمة صادقة لان مما يعولونه مما تشتد كراهته
النفوس له فلا يقدر احد علي الاعراض عنه الا بمعونة عظيمة امهلهم اي بالاعراض عنهم مرة واحدة
بعد التدريج ما صار لك علي حمله من القوة بالتدريج الذي امرت به سابقا رويدا اي انهالا
يسيرا فستكون عن قريب لهم امور واي امور تشفي الصدور وهو تصغير ارواد تصغير ترخيم
قال ابن برجان وهي كلمة تعطي الرفق وهذا الآخر هو المراد بما في اولها من ان كلا منهم ومن
غيرهم محفوظ بحفظه مضبوطة اقواله وافعاله واحواله فان ذلك مستلزم لانه في القبضة فقد
التقي الطرفان علي اعظم شان بابين برهان ووقع اول هذا الوعيد يوم بدر ثم توالي نكالهم
وتحقيرهم واستغالهم الي ان ذهب كثير منهم بالسيف وكثير منهم بالموت حتف الانف الي النار
وبقي الباقون في الصغار الي ان اعزهم الله بعز الاسلام وصاروا من الاكابر الاعلام تشريفا
لهذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ٭ ٭ ٭ ٭

قال الملوي وكان النبي صلي الله عليه وسلم يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات مقصودها

ايجاب

ايجاب التنزيه للاعلي سبحانه عن ان يلحق ساحة عظمته شي من شوايب النقص كاستعجال في امر من
اهلاك الكافرين او غيره او العجز عن البعث او اهمال الخلق سدي يبغي بعضهم علي بعض بغير حساب
او ان يتكلم بما لا يطابق الواقع او بما يقدر احد ان يتكلم بمثله كما آذنت بذلك الطارق مجملا وشرحته
هذه مفصلا وعلي ذلك دل كل من اسميها سبح والاعلي بسم الله الذي له العلا كله
فلا نقص يلحقه الرحمن الذي عم جوده فكل موجود هو الذي اوجده وكل حيوان هو الذي ربيه
ورزقه الرحيم الذي من كان من حزبه فانه يلزمه الطاعة وييسرها له ويوفقه لما
تضمن امره سبحانه آخر الطارق بالامهال النهي عن الاستعجال الذي هو منزه عنه لكونه نقصا واثبتا
نفي الهزل عن القران الي انهم وصموه بذلك وهو في غاية البعد عنه الي غير ذلك مما اشير اليه فيها
ونزه نفسه الاقدس سبحانه عنه امر اكمل خلقه رسوله المنزل عليه هذا القران بتنزيه اسمه لانه
وحده العالم بذلك حق علمه واذا نزه اسمه عن ان يدعو به ربنا او غيره او يضعه في غير ما يليق به
كان لذاته سبحانه اشد تنزيها فقال مرغبا في الذكر لا سيما بالتنزيه الذي هو نفي المستحيلات
لان التخلي قبل التحلي شارحا لاصول الدين مقدما للالهيات التي هي النهايات من الذات ثم الصفات
لا سيما القيومية ثم الافعال علي النبوات ثم اتبع ذلك النبوة ليعرف العبد ربه علي ما هو عليه من
الجلال والجمال فيزول عنه داء الجمود الموقع في التقليد وداء الكبر الموقع في انكار الحقوق فيعترف
بالعبودية والربوبية مثنيا عليه سبحانه بالجلال ثم الجمال فيعبده علي ما يليق به من امتثال امره
واجتناب نهيه تعظيما لقدره سبح اي نزه وبري تنزيها وتبرية عظيمة جدا قوية شديدة اسم
ربك اي المحسن اليك بعد ايجادك علي صفة الكمال بتربيتك علي احسن الخلال حتي كنت في غاية الجلال
والجمال ولما كان الانسان محتاجا في ان يكون حياته طيبة ليتمكن مما يريد الي ثلثة اشيا
كبير ينتمي اليه لتكون له به رفعة ينفعه عند مهماته ويدفع عنه ضروراته ومعتدي يربط نفسه
به عند ملماته وطريقة مثلي يرتكبها كما اشار اليه قوله صلي الله عليه وسلم رضيت بالله ربا وبمحمد صلي
الله عليه وسلم نبيا ورسولا وبالاسلام دينا ارشد الي ان الانقطاع اليه علي الحياة فقال واصفا
لمن امره بتسبيحه باثبات ما له من الواجبات بعد نفي المستحيلات كما اشار اليه سبحانك وبحمدك الاعلي
اي الذي له وصف الاعلوية في المكانة لا المكان علي الاطلاق عن كل شايبة نقص وكل سوء من
الالحاد في شي من اسمايه بالتاويلات الزايغة واطلاقه علي غيره مع زعمهم انه فيه سوا وذكره خاليا
عن التعظيم وغير ذلك لتكون راسخا في التنزيه فتكون من اهل العرفان الذين يضيئون علي الناس مع كونهم
في الرسوخ كالاوتاد الشامخة التي هي مع علوها لا تتزحزح وقد ذكر سبحانه هذا المعني معبرا عنه
بجميع جهاته الاربع في ابتدا سور اربع استيعابا لهذه الكلمة الحسني الشريفة من جميع جهاتها فابتدا سورة
الاسرا التي هي سورة الاحسان سبحان المصدر الصالح لجميع معانيه اعلاما بان هذا المعني ثابت
له مطلقا غير مقيد بشي من زمان او غيره ثم ثني بالماضي في اول الحديد والحشر والصف تصريحا
بوقوع ما افهمه المصدر في الماضي الذي يشمل ازل الازال الي وقت الانزال في اول الجمعة والتغابن
بالمضارع لان يفهم مع ما افهمه المصدر والماضي دوام التجدد فلما تم ذلك من جميع وجوهه توجه
الامر فخصت به سورته وقد مضي في اول الحديد والجمعة ما يتم هذا ولما كان الابداع ادل ما
يكون مع التنزه علي الكمال لا سيما النور الذي هو سبب الانكشاف والظهور مع انه تفصيل لقوله مم خلق
وهو ادل شي علي البعث المذكور في يوم تبلي السراير قال مبينا للفاعل الذي ابهمه لوضوحه في مم خلق
مرغبا في الفكر في افعاله سبحانه الذي هو السبب الاقرب للسعادة بالدلالة عليه بما له من الجايزات

بعد الترغيب في الذكر الذي هو المهيج للفكر **الذي خلق** اي اوجد من العدم الذي له صفة الايجاد
لكل ما اراده لا يعسر عليه شي **فسوي** اي اوقع مع الايجاد وعقبه التسوية في كل خلق بان جعله
ما يتاتي معه كماله ويتم معاشه وعدل بين الامزجة الاربعة الما والهوا والنار والتراب بعد ان
قهرها علي الجمع مع التضاد لئلا تتفاسد وذلك بالعلم التام والقدرة الكاملة دلالة علي تمام حكمته
وفعله بالاختيار **وقال الاستاذ** ابو جعفر ابن الزبير لما قال سبحانه مخبرا عن عمه الكفار في
ظلام حيرتهم انهم يكيدون كيدا وكان وقوع ذلك من العبيد المحاط باعمالهم ودقايق انفاسهم
واحوالهم من اقبح مرتكب وابعده عن المعرفة بشي من عظيم امر الخالق جل جلاله وتعالى علاوه وشانه
اتبع سبحانه ذلك بامر نبيه عليه الصلاة والسلام بتنزيه ربه الاعلي عن شنيع اعتدايهم وافك
افترايهم فقال سبح اسم ربك الاعلي اي نزهه عن قبيح مقالهم وقدم التنبيه علي التنزيه في
امثال هذا ونظايره ووقوع ذلك اثنا السور وفيما بين سورة واخري واتبع سبحانه من التعريف
بعظيم قدرته وعلي حكمته بما يبين ضلالهم فقال الذي خلق فسوي والذي قدر فهدي فتبارك الله
احسن الخالقين وتنزه عما يتقول له المفترون انتهي **ولما كان** جعل الاشيا علي اقدار متفاوتة مع الهدا
الي ما وقع للخلق له علي اوجه متفاضلة مع التساوي في العناصر مما يلي التسوية وهو من خواص الملك
الذي لا يكون الا مع الكمال اتبعه به بالواو دلالة علي تمكن الاوصاف فقال **والذي قدر** اي
اوقع تقديره في اجناس الاشيا وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها ومنافعها وآجالها وغير
ذلك من احوالها فجعل البطش لليد والمشي للرجل والسمع للاذن والبصر للعين ونحو ذلك **فهدي**
اي اوقع بسبب تقديره وعقبه الهداية لذلك الذي وقع التقدير من اجله من الشكل والجواهر
والاعراض التي هياها لما يليق به طبعا واختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلايل
والايات لدفع الشرور وجلب الخيور فتري الطفل اول ما يقع من البطن يفتح فاه للرضاعة وغيره
من ساير الحيوانات يهتدي الي ما ينفعه من ساير الانتفاعات فالخلق لا بد له من التسوية ليحصل
الاعتدال والتقدير لا بد له من الهداية ليحصل الكمال **ولما كانت** دلايل التوحيد تارة بالنفس
وتارة بالافاق ونبه بايات النفس فلم يبق الا ايات الافاق وكان النبات من اياتها ادل المخلوقات
علي البعث قال **والذي اخرج** اي اوقع اخراج **المرعي** بما انزله من المعصرات فانبت ما ترعاه
الدواب من النجم وغيره بدا واعادة فدل ذلك علي تمام قدرته لا سيما علي البعث لانه سبحانه
اقدر علي جمع الاموات من الارض بنفسه بعد ان تفتتوا من الما علي جمعه للنبات الذي كان تفتت
في الارض وصار ترابا واخراجه كما كان في العام الماضي باذنه سبحانه وهو خلق من مخلوقاته
ولما كان ابباسه وتسويده بعد اخضراره ونموه في غاية الدلالة علي تمام القدرة وكمال
الاختيار بمعاقبة الاضداد علي الذات الواحدة قال تعالي **فجعله** اي بعد اطوار من زمن اخراجه
غثا اي كثيرا ثم انهاه فايبسه وهشمه ومزقه فجمع السيل بعضه الي بعض فجعله زبدا وهالكا
وباليا وفتاتا علي وجه الارض **احوي** اي في غاية الري حتي صار اسود يضرب الي الخضرة او الحمرة
يضرب الي سواد او اشتدت خضرته فصارت تضرب الي سواد **وقال** القزاز في ديوانه الحوه
شبه من شيات الخيل وهي بين الدهمة والكمتة وكثر هذا حتي سموا كل اسود احوي فيجوز ان يريد
حينيذ اسود من شدة يبسه ونحوته الرياح وجمعته من شدة يبسه وجمعته من كل اوب حيث تفتت الخضرة
فكل من الكلمتين فيها حياة وموت واخر الثانية ليحتملها لان دلالتها علي القدرة اتم فلو قدمت لم تفد
الي غيرها فدل جمعه بين الاضداد علي الذات الواحدة علي كمال الاختيار واما الطبايع فليس لها من

التأثير

التأثير الذي اقامها سبحانه فيه الا الايجابي كالنار متي اصابت شيا احرقته ولا تقدر بعد ذلك ان
تنقله الي صفة اخري غير التي اثرتها فيه واشار بالبداية والنهاية الي تذكر ذلك وانه علي سبيل التكرار
في كل عام الدال علي بعث الخلايق وخص المرعي لانه ادل علي البعث لانه مما لا يثبته الناس واذا انتهي
تهشم وتفتت وصار ترابا ثم يعيده سبحانه بالما علي ما كان عليه سوا كما يفعل بالاموات سوا من غير
فرق اصلا **ولما** استوفي سبحانه وصف من امره صلي الله عليه وسلم بتسبيحه بما دل علي اوصاف
جماله ونعوت كبريايه وجلاله وشرح ماله سبحانه من القدرة التامة علي الابداع والهداية
والتصرف في الارواح الجسية والمعنوية بالنشر والطي والقبض والبسط فدل علي تمام اصول
الدين بالدلالة علي وجوده سبحانه علي سبيل التنزل من ذاته الي صفاته ثم الي افعاله فتم ما
للخالق اتبعه ما للخلايق وبدا بما لا اشرف خلقه المنزل عليه هذا الذكر تقريرا للنبوة التي بها
تتم السعادة بالخلايق الواصلة من الحق الي عبده التي بها يتم امره من القوتين العلمية ثم العملية
بقبول الرسالة بعد التوحيد لان حياة الانسان لا يتم طيبها الا بمقتدي يقتدي به من اقواله وافعاله
وساير احواله ولا مقتدي مثل المعصوم عن كل ميل الموجب ذلك للحب من كل من يعرف حاله والحب
في الله اعظم دعايم الدين فقال معللا للامر بالتسبيح للموصوف بالجلال والجمال دالا علي انه يحيي
ميت الارواح بالعلم كما يحيي ميت الاشباح بالارواح **سنقريك** اي نجعلك بعظمتنا بوعد لا خلف فيه
علي سبيل التكرار بالتجديد والاستمرار قاريا اي جامعا لهذا الذكر الذي هو حياة للارواح بمنزلة
الحياة للاشباح الذي تقدم انه قول فصل عالما به كل علم ناشرا له في كل حي فارقا به بين كل ملتبس
وان كنت اميا لا تحسن الكتابة ولا القراة ولذلك سبب عنه قوله **فلا تنسي** اي شيا منه ولا من
غيره ليكون في ذلك اثبات كونك تقرا وانت امي وكونك تخبر عن المستقبل فيكون كما قلت فلا تحرك به
لسانك عند التنزيل لتعجل به ولا تتعب نفسك فان علينا حفظه في صدرك وانطلاق لسانك به **ولما**
كان سبحانه ينسخ من الشريعة ما يشا بحسب المصالح تخفيفا لما له بهذه الامة من الرفق قال لافتا
القول الي سياق الغيبة اعلاما بان ذكر الجلالة اعظم من التصريح باداة العظمة **الا ما شا الله** اي
الملك الذي له الامر كله ان تنساه لانه نسخه او لتظهر عظمته في ان اعظم الخلق بغلبه القران لانه
صفة الله فتنسي الاية او الكلمة ثم تذكرها تارة بتذكير احد من احاد امتك وتارة بغير ذلك **ولما**
كان الفاعل لهذه الامور كلها لا سيما الاقرا والحكم علي ما يقرا بانه لا ينسي الا ما شا الله لا يكون الا محيط
العلم قال تعالي مصرحا بذلك مؤكدا لاجل انكار اهل القصور في النظر لمثله جاريا علي اسلوب الغيبة
معبرا بالضمير اشارة الي تعاليه في العظمة الي حيث تنقطع اماني الخلق عن ادراكه بما اكثر من افعاله **انه**
اي الذي مهما شاه كان **ولما** كان المراد بيان احاطة علمه سبحانه وان نسبة الخفي والجلي من
جهره بالقران وترديده علي قلبه سرا وغير ذلك اليه علي حد سوا وكان السياق للجلي ذكرهما
مصرحا بكل منهما وقدم الجلي لان هذا مقامه وذكره بوصفه معبرا عنه بالاسم الدال علي احاطة علمه
به فقال **يعلم الجهر** اي ثابت له هذا الوصف علي سبيل التجدد والاستمرار في الاقراء والقراة
وغيرهما **ولما** ذكره باسمه ليدل علي انه يعلمه مطلقا لا بقيد كونه جهرا قال مصرحا بذلك **وما**
يخفي اي يتجدد خفاؤه من القراة وغيرها علي اي حالة كان الاخفا فيدل علي علمه به اذا جهر به
بطريق الاولي **ولما** ذكر الالهيات والنبوة واشير الي النسخ اشار الي ان الدين المشروع له
هو الحنيفية السمحة وانه سبحانه لا يقيمه في شي بنسخ او غيره الا كان هو الايسر له والارفق لان الرفق
والعنف يتغيران بحسب البرهان فقال مبينا للقوة العملية اثر بيانه للعلمية **ونيسرك** اي

يجعلك انت مهيأ مسهلا مليئا موفقا **لليسرى** اي في حفظ الوحي وتدبره وغيره ذلك من الطرائق والحالات كلها التي هي لينة سهلة خفيفة كما اشار اليه قوله تعالى كل ميسر لما خلق له ولهذا لم يقل ونيسرك لك لانه مطبوع على حبها ولما كمله وهيأه سبحانه للايسر ويسره غاية التيسير سبب عنه وجوب التذكير لكل احد في كل حالة تكميلا لغيره شفقة على خلق الله بعد كماله في نفسه فان لله ساعات له فيها نفحات تقضى فيها الحاجات وذلك لانه صار كالطبيب الحاذق في علاج المرضى فيقوم بنفع عباده لشكره بعد ذكره باذن منه اشارة الى ان التلميذ يحتاج الى اذن المشايخ وتزكيتهم والى ان اعظم الادوا ان يقتصر الانسان على ما عنده ولا يطلب الازدياد مما ليس عنده من خير الزاد فقال **فذكر** اي لهذا الذكر الحكيم وعبر باداة الشك افهاما للاطلاق الكلي فقال **ان نفعت الذكرى** اي جوزت نفعها وترجيته ولو كان على وجه ضعيف بما اشار اليه تانيث الفعل بعدما افادته اداة الشك ولا شك ان الانسان لعدم علمه بالغيب لا يقطع بعدم نفع احد بل لا يزال على رجاء منه وان استبعده ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال يدعو الى الله تعالى وان اشتد الامر ولا يحقر احدا ان يدعوه ولا ييأس من احد وان اشتد عليه الامر باعراض عمن تولى ونحو ذلك انما هو بالاعراض عن الحزن عليه وعن تقطيع النفس لاجله حسرات ونحو ذلك ● ولما امره بالتذكير لكل احد قسم الناس له الى قسمين قسم يقبل العلاج وقسم لا يقبله اعلاما بانه سبحانه عالم بكل من القسمين جملة وافرادا على التعيين ولم يزل عالما بذلك ولكنه لم يعين ابلاء منه لعباده سبحانه لتقوم الحجة عليهم بما يتعارفونه بينهم وله الحجة البالغة فقال حاثا على شكر الجوارح العقل ونحوه والجوارح من القلب واللسان وغيرهما **سيذكر** اي بوعد لا خلف فيه ولو على اخفى وجوه التذكر بما اشار اليه الادغام **من يخشى** اي بوعد لا خلف فيه ولو على اخفى وجوه التذكر بما اشار اليه الادغام **من يخشى** اي في جبلته نوع خشية وهو السعيد لما قدر له في نفسه من السعادة العظمى بقبول الحنيفية السمحا فيذكر ما يعلم منها في نفسه فيتعظ فان الخشية حاملة على كل خير فينتفع بقلبه وقالبه في الجنة العليا ويحيى من غير سقم ولا قوي دايما بلا آخر ولا نهاية ولما ذكر من يحب حبه في الله ذكر من يبغض في الله وعلامة الحب الاقتدا وعلامة البغض التجنب والانتها والابتداع والاباقال **ويتجنبها** اي يكلف نفسه وفطرته الاولى المستقيمة تجنب الذكرى التي نشأ تذكيره بها من اشرف الخلايق واعظمهم وصلة بالخالق ولما كان هذا الذي يعالج نفسه على العوج شديد العتو قال **الاشقى** اي الذي له هذا الوصف على الاطلاق لانه خالف اشرف الرسل فهو لا يخشى فكان اشقى الناس كما ان من امن به اشرف ممن امن بمن قبله من الرسل عليهم السلام ● ولما ذكر وصفه الذي اوجب له العمل السيئ ذكر جزاءه فقال **الذي يصلى** اي يباشر مباشرة المغموس بقلبه وقالبه مقاسيا **النار الكبرى** اي التي هي اعظم الطبقات وهي السفلى لانه ليس في طبعه ان يخشى بل هو كالجلود الاقسى لانه جاهل مقلدا ومتكبر معاندا والمراد نار الاخرى فانها اعظم من نار الدنيا بسبعين جزا فلهذا استحقت ان تتصف بافعل التفضيل على الاطلاق والاية من الاحتباك ذكره الثمرة في الاول وهي الخشية دليلا على حذف ضدها من الثاني وهي القسوة الناشية عن الحكم بالشقاوة وذكر الاصل والسبب في الثاني وهو الشقاوة دليلا على حذف ضده في الاول وهو السعادة فالاسعاد سبب والخشية ثمرة والاشقا سبب والشقاوة ثمرة ومسبب وكذا ما تبعه من النار وما نشأ عنها ● **وسر ذلك** انه ذكر مبدأ السعادة اولا حثا عليه ومآل الشقاوة ثانيا تحذيرا منه ● قال الملوي ولا شك ان القرآن العظيم على احسن ما يكون من البراعة في التركيب وبداعة الترتيب وكثرة العلوم مع الاختصار وعدم التكرار فيكتفى في موضع بالثمرة بلا سبب وفي الاخر بالسبب بلا ثمرة لدلالة الاول على الثاني والثاني على الاول فيفهم السبب الى الثمرة والثمرة الى السبب كما يطلق القضا ويكتفى به عن القدر

ويطلق

ويطلق القدر ويكتفي به عن القضا وكذلك يذكر الحكم ويترك فيدل عليهما فتذكر الثلاثة ويظهر بمثال وهو ان من اراد اقامة دولاب يهندس اولا موضع البير بسهمه وترسه ومداره وحوضه الذي يصب فيه الما وجداوله التي ينساق منها فهذا هندسة وتدبير وحكم وارادة فاذا صنع ذلك واقامه سمي قضا وايجادا وتاثيرا فاذا ركب على الجبال قواديس تحمل مقدارا من الما معينا اذا نزلت الى الما اخذته واذا صعدت فانتهت واذا ارادت الهبوط فرغته فتصرف الما في جداوله الى ما صنع له كان ذلك قدرا منوا النهاية فمتى ذكر واحد من الثلاثة الحكم والقضا والقدر دل على الاخر ● ولما كان ما هذا شانه يهلك على ما جرت به العادة في اسرع وقت فلما كان من شانه مع هذا المعظم انه لا يهلك كان ذلك دليلا واضحا على انه لا يعلم كنه عظمة مقدره الا هو سبحانه فاشار الى ذلك بالتعبير باداة التراخي اعلاما بان مراتب هذه الشدة في التردد بين الموت والحياة لا يعلم علوها على شدة الصلي الا الله فقال **ثم لا يموت فيها** اي لا يتجدد له في هذه النار موت وان طال المدى ● ولما كان من يدخل النار فلا تؤثر في موته قد يكون ذلك اكراما له من باب خرق العوايد احترز عنه بقوله **ولا يحيى** اي حياة تنفعه لانه ما تزكى فلا صدق ولا صلى ● ولما ثبت بهذا ان لهذا هذا الشقا الاعظم فكان التقدير لانه لم يزك نفسه لانه ما كان مطبوعا على الخشية انتج ولابد قوله تعالى دالا على الدين التكليفي وهو اجتلاب واجتناب فجمع الاجتلاب والاجتناب بالتزكية بالتبتل بالاوراد والملازمة للاعتاب بامتثال الامر واجتناب النهي بالمجاهدات المقربات اليه سبحانه المنجيات بعد ما حذر من المهلكات للمسارعة في محابه ومراضيه اجتماعا على العبادة الموصلة للخالق بعد حصول الكمال والتكميل فانه لا بد في الحياة الطيبة بعد الانتما الجدي الجاه العريض والاقتدا بمن لا يزيغ من الارتباط بطريقة مثلى تحصل بها الاغتباط ليصل بها الى المقصود ويعمر اوقاته بوظايف ما لئلا يحصل له خلل ولا ضياع لنفايس الاوقات ولا غفلة يستهويه بها قطاع الطريق **قد افلح** اي فاز بكل مراد **من تزكى** اي اعمل نفسه في تطهيرها من فاسد الاعتقادات والاخلاق والاقوال والافعال والاموال وبتنمية اعمالها القلبية والقالبية وصدقة اموالها وذلك هو التسبيح الذي امر به اول السورة وما تاخر عنه من عمل هذا فهو الاسعد ● ولما كان اعظم الاعمال المزكية الذكر والصلاة قال تعالى **وذكر** اي بالقلب واللسان ذكرا وذكرا بالكسر والضم **اسم ربه** اي صفات المحسن اليه فانه اذا ذكر الصفة سرى بها فاض باطنه على ظاهره ذكرا اللفظ الدال عليها واذا ذكر ذلك اللفظ وهو الاسم الدال عليها انطبع في قلبه ذكرا المسمى **فصلى** اي الصلاة الشرعية لانها اعظم الذكر فهي اعظم عبادات البدن كما ان الزكاة اعظم عبادات المال ومن فعل ذلك استراح من دا الاعجاب وما يتبعه من النقايص الموجبة لسوء الانقلاب وكان متخلقا بما ذكر من اخلاق اهل الله في اول السورة من التخلي عن النقايص بالتزكية والتحلي بالكمالات بالذكر والصلاة لانه لعظمته لايتاه لذكره الامن واظب على ذكر اسمه فلا يشقى فلا يصلى النار الكبرى بوعد لا خلف فيه ● فالاية من الاحتباك في الاحتباك ذكر اولا الصلي دليلا على حذف ضده ثانيا وثانيا التزكية دليلا على حذف ضدها اولا وقد تكفل ذكر التزكية والذكر والصلاة من اسباب التداوي بالانضاج ثم الاشربة ثم الاغذية والاية صالحة لارادة زكاة الفطر وتكبيرات العيد وصلاته وان كانت السورة مكية وفرض الصيام بالمدينة لان العبرة بعموم اللفظ لاحاطة علمه سبحانه بالماضي والحال والاستقبال على حد سوا قال الرازي في اللوامع وتقدم زكاة الفطر على صلاة العيد ● وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول رحم الله امرا تصدق ثم صلى ثم يقرا هذه الاية وان كانت السورة مكية فانه يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وانت حل بهذا البلد والسورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح انتهى واخذ من البغوي

وزاد البغوي ان ابن عمر رضي الله عنهما كان يامرنا بالفطر رضي الله عنه بنحو ما قال ابن مسعود رضي الله
عنه ويقول انما نزلت هذه الاية في هذا **وروى** البزار عن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان يامر بزكاة الفطر قبل ان يصلي صلاة العيد ويتلو هذه الاية وفي السند كثير
ابن عبد الله حسن له الترمذي وضعفه غيره **ولما كان** التقدير وانتم لا تفعلون ذلك او وهم لا
يفعلونه على القرائتين عطف عليه قوله بالخطاب في قراءة الجماعة على الالتفات الدال على تناهي الغضب منهم
على المعاملات بسبب التداوي الرابع وهو الاستفراغ بنفي الرذايل والخبايث بالذم على ما ينبغي البراة منه
والحث على ما يتعين تحصيله تحصيلا لحسن الرعاية **بل تؤثرون** اي تختارون وتخصون بذلك على وجه
الاستبداد لهم الاشقيا وبالغيب على الاصل عند ابي عمرو **الحياة الدنيا** اي الدنية بالفنا الحاضر مع انها
شر وفانية اشتغالا بها لاجل حضورها كالحيوانات التي هي مقيدة بالمحسوسات فاستغرق اشتغالكم بها
اوقاتكم ومنعكم عن ذكر اسم الله المنمي الى ذكر الله والمهيئ له وعن تزكية نفوسكم نار تعم ذلك دابي العقب
وهو البطن والديدب وهو الفرج وحب المال المؤدي الى شر الاعمال وتتركون الاخرة **و** اي والحال
ان الدار **الاخرة** التي هي غاية الخلق ومقصود الامر العالية المبرئة عن العبث المنزهة عن الخروج
عن الحكمة **خير** اي من الدنيا على تقدير التسليم لان فيها خيرا لان نعيمها خالص لا كدر فيه بوجه **وابقى**
اي منها على تقدير الحال في الدنيا من ان تماديها الى وقت زوالها يسمى بقاء لان نعيم الاخرة دايم لا انقطاع
له اصلا وما كان باقيا لا يعادله ما يفنى بوجه من الوجوه فمن علم ذلك وهو امر لا يحتمل اشتغل بما يحصل الاخرة
وينفي الدنيا بقسميها من الاعيان الحسية والشهوات المعنوية من الرعونات النفسانية والمستلذات
الوهمية **والاية** من الاحتباك ذكر الايثار والدنو اولا يدل على الترك والعلو ثانيا وذكر الخير والبقا
ثانيا يدل على ضدهما اولا وسر ذلك انه لا يؤثر الادني فذكره اولا لانه اشد في التنفير وذكر الخير والبقا
ثانيا لانه اشد في الترغيب **ولما** كانت هذه النتيجة التي هي الفلاح بالتزكية وما تبعها خالصة الكتب
المنزلة التي بها تدبير البقا الاول وصفها ترغيبا فيها بوصف جمع القدم المستلزم للصحة بتوارد الافكار
على تعاقب الاعصار لان ما مضت عليه السنون ومرت على قبوله الدهور تكون النفس اقبل للاذعان له
وادعى الى التراجع وافادته مع القدم ان المنزل اليه صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من الرسل عليهم السلام
بل هو على منهاجهم فرد رسالته من بينهم لا يقول به منصف لا وقد زاد عليهم في المعجزات وساير الكرامات
بقوله مؤكدا لاجل من يكذب **ان هذا** اي الوعظ العظيم بالتسبيح الذي ذكر في هذه السورة وما تأثر
عنه من التزكية بالذكر الموجب للصلاة والاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة لانه جامع لكل
خير وهو ثابت في كل شريعة لانه المقصود بالحكمة فهو لا يقبل النسخ **لفي الصحف الاولى** فمن تبع في هذا
القران الذي هو في هذه الصحف الربانية فقد تحلى من زينة اللسان بما ينقله من البيان الذي هو
في غاية التحذير وعظم الشان وبما يعلمه من المغيبات مما يكون او كان ونبه اهل هذه الازمان
فاستراح من ضلال الشعراء والكهان الموقعين في الاثم والعدوان فان القران جمع المديح الفايق
والنسيب الرقيق في وصف الحور والرحيق والفخر الحماسي والهجا البليغ لاعدا الله والترغيب الجاذب
للقلوب والترهيب الزاجر والملح الجزئية والحدود الشرعية الى غير ذلك من امور لا تصل اليها الشعرا
ولا ينتهي الى ادنى جنابها بلاغات البلغا **ولما** كان ذلك عاما خص من بينه تعظيما لقدر هذه الموعظة
اعظم الانبيا الاقدمين فقال مبدلا مشيرا الى الاستدلال بالتجربة **صحف ابراهيم** قدمه لان صحفه
اقرب الى الوعظ كما نطق به حديث ابي ذر رضي الله عنه **وموسى** ختم به لان الغالب على كتابه الاحكام
والمواعظ فيه قليلة ومنها الزواجر البليغة كاللعن لمن خالف اوامر التوراة التي اعظمها البشارة بمحمد

صلى الله عليه وسلم والاخبار بانهم يخالفونها كما هو مذكور في اواخرها مع ان ذكر النبيين عليهم
السلام على الاصل في ترتيب الوجود والافضلية **وقد** حث آخرها على التزكي وهو التطهر عن
الادناس الذي هو معنى التنزه والتخلق باخلاق الله بحسب الطاقة وكان في اتيانه والتذكير
به اعلام بان الله تعالى لم يهمل الخلق من البيان بعد ان خلقهم لانه لم يخلقهم سدى لان ذلك من
العبث الذي هو من اكبر النقايص وهو سبحانه منزه عن جميع شوايب النقص **فقد رجع** آخرها
على اولها فكان تنزيه الرب سبحانه وتنزيه النفس ايضا غاية معولها ۝ والله الموفق ۝

مقصودها شرح ما في آخر سبح من تنزيه الله تعالى عن العبث باثبات الدار الاخرة التي الغاشية ۝
مبتداها وذكر ما فيها للاتقى والاشقى والدلالة على القدرة عليها وادل ما فيها على هذا المقصود الغاشية
نعوذ بالله من القلب الغاشي والبصيرة الغاشية ليلا يكون للغاشية عينا بسوء الاعمال ناشية **بسم الله**
الذي له العظمة البالغة والحكمة الباهرة **الرحمن** الذي له الفيض الاعلى والنعم الظاهرة **الرحيم** الذي
اصطفى اولياه فاصلح بواطن نعمهم حتى عادت زاهرة ظاهرة **لما ختمت** سبح بالحث على تطهير النفوس
عن وضر الدنيا ورغب في ذلك بخيرية الاخرة والاقتدا باولي العزم من الانبيا احرى رهب اولئك
هذه من الاعراض عن ذلك ومن التزكي بغير منهاج الرسل احزي فقال تعالى مذكرا بالاخرة التي
حث عليها آخر تلك معبرا بالاشرف خلقه صلى الله عليه وسلم لان ذلك اعظم من تعبيرا اتباعه واقعد
في تحريك النفوس الى تلقي الخبر بالقبول **هل اتاك** اي جاءك وكان لك وواجهك على وجه الوضوح
با اعظم خلقنا **حديث الغاشية** اي القيمة التي تغشى الناس بدواهيها وشدايدها العظمى وزواجرها
ونواهيها فان الغشي لا يكون الا فيما يكره **وقال الامام** ابو جعفر ابن الزبير لما تقدم تنزيهه سبحانه
عما توهمه الظالمون واستمرت آي السورة على ما يوضح تقدير الخالق جل جلاله عن عظيم مقالهم اتبع ذلك
بذكر الغاشية بعد افتتاح السورة بصورة الاستفهام تعظيما لامرها فقال لنبيه صلى الله عليه
وسلم هل اتاك يا محمد حديث الغاشية وهي القيمة فكانه سبحانه يقول في ذلك اليوم يشاهدون ۝
جزاءهم ويشتد تحسرهم حين لا يغني عنهم ثم عرف بعظيم امتحانهم في قوله ليس لهم طعام الا من ضريع مع
ما بعد ذلك وما قبله ثم عرف بذكر حال من كان في نقيض حالهم اذ ذلك ازيد في الفرح وادعى ثم
اردف بذكر ما نصب من الدلايل وكيف لم يغن فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الايات
اي افلا يعتبرون بكل ذلك ويستدلون بالصنعة على الصانع ثم امره بالتذكار انتهى **ولما**
هول امرها بابهامها وعمومها زاد في التهويل بما ذكر من احوالها في تفصيل الناس الى شقي وسعيد وبدا
بالشقي لان المقام لانذار المؤثرين للحياة الدنيا وسوغ الابتدا بالنكرة التفصيل فقال **وجوه** اي
كثيرة جدا كاينة **يومئذ** اي تغشى الناس **خاشعة** اي ذليلة مخبتة من الخجل والفضيحة والخوف والحسر
عاملة اي مجتهدة في الاعمال تبتغي بها النجاة حيث لا نجاة بفوات دار العمل فتراها جاهدة فيما كلفتها
به الزبانية من جر السلاسل والاغلال وخوض الغمرات من النيران ونحو ذلك كان يقال له اد الامانة
ثم يمثل له امانته في قعر جهنم فيتكلف النزول اليها ثم يحملها الى عنقه ويصعد في جبال النيران حتى اذا
كاد ان يصل الى اعلاها سقطت منه فيتكلف النزول وهكذا وهكذا بما كان يهمل العمل في الدنيا **ناصبة**
اي هي في ذلك في غاية التعب والدؤوب في العمل والاجتهاد هذه رواية العوفي عن ابن عباس ۝
رضي الله عنهما وذلك لانهم لم يخشعوا لله في الدنيا فلم يعملوا له فلم ينصبوا في طاعته فاضطرهم في ذلك

اليوم الي اعظم مما ابوه في الدنيا مع المضرة دون المنفعة ويجوز ان يراد بهم الذين تعبوا ونصبوا
في الدنيا وهو علي غير دين الاسلام كالرهبان من النصارى بعد النسخ وزنادقة المتصوفة من الغلاة
واتباعهم بان يكون وجوه مبتدا ويومئذ خبره اي كاينة يومئذ ثم بيد ما بعده في جواب سوال سايل
يقول ما شانها فاجيب بقوله خاشعة اي في الدنيا الي آخره وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية
عطا عنه ولما كان العذاب لا يكون الا علي ما يكرهه المعذب دل علي ذلك وعلي انه علي ابني ما يكون
ببنا الفعل للمفعول في قراة ابي عمرو ويعقوب وابي بكر عن عاصم فقال **تصلي** اي يصليها مصل علي ايسر
وجه واسهله بامر من له الامر بان يغمسها فيها علي وجه الاحاطة بها والمعني علي قراة الجماعة بالبنا
للفاعل تدخل وتباشر بان يدعها فيها اصحابها فتحيط بها من كل جانب وهو يدل علي غاية الذل لان من
فعل بنفسه هذا لا يكون الا كذلك **نارا حامية** متناهية في الحر لانها عملت بالجهل علي خلاف ما حق
لها بنيتها فاحلت بركن العمل او بشرط لما استولي عليها من الغفلة التي احاطت بها فلم تدع لها موضعا
يصلح لدخول الرحمة منه ولما كان من في الحر احوج شي الي ما يبرد باطنه قال بانيا عند الكل
للمفعول جريا علي قراة ابي عمرو في الذي قبله **تسقي** اي يسقي كل من اذن له الملك في ذلك علي اهون وجه
من عين آنية اي بلغت غايتها في الحر فنضجت غاية النضج فصارت اذا قربوها سقط لحم وجوههم
واذا شربوا قطعت امعاهم بما شربوا في الدنيا من كاسات الهوي التي قطعوا باستلذاذهم لها قلوب الاوليا
ولما ذكر ما يسقونه علي وجه علم منه انه لا يلذذ ولا يروي من عطش اتبعه ما يطعمونه فقال
خاصرا له **ليس لهم** اي هولا الذين اذابوا انفسهم في عبادة لم ياذن الله فيها **طعام** اصلا **الا من
ضريع** اي يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم وقال في القاموس
والضريع كامير الشبرق او يبيسه او نبات رطبه يسمي شبرقا ويابسه ضريعا لا تقربه دابة لخبثه او
شي في جهنم امر من الصبر وانتن من الجيفة واحر من النار ونبات منتن يرمي به البحر وقال الهروي
في الغريبين وعبد الحق في الواعي الضريع الشبرق وهو نبات معروف بالحجاز وشوك ويقال شبرق
ما دام رطبا فاذا جف فهو ضريع وقال القزاز في ديوانه الضريع يبيس من يبيس الشجر وقيل هو يبيس
الشبرق خاصة وقيل هو نبات اخضر يرمي به البحر وهو منتن ابو حنيفة وهو مرعي لا تعقد عليه
السائمة شحما ولا لحما وان لم تفارقه الي غيره ساءت حالها وقال ابن الاثير في النهاية الضريع هو
نبت بالحجاز له شوك كبار وقال الشبرق نبت حجازي يوكل وله شوك واذا يبس سمي الضريع وهذا
ثوب مشبرق وهو الذي افسد وفي نسخة سخافة وشبرقت الثوب ايضا خرقته وقال في القاموس
الشبرق كزبرج رطب الضريع واخلها وقال البغوي قال مجاهد وعكرمة وقتادة هو نبت ذو شوك
لاطي بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه وهو رواية العوفي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا يمتنع في قدرة الله ان يكون الغسلين اذا انفصل عن ابدان اهل النار
صار علي هيئة الشبرق المسمي ضريعا فيكون طعامهم الغسلين الذي هو الضريع ويمكن ان يكون ذلك
كناية عن اقبح العيش ولا يراد به شي بعينه والله اعلم قال الملوي يسمي ضريعا لان الانسان يتضرع
عند اكله من خشونته ومرورته ونتنه ولما حصر اكلهم في هذا وكان الضريع المعروف عند العرب
قد يتصور متصور انه لو اكره شي علي اكله لسمنه او سد جوعه وكان الضريع الماكول لهم في القيمة
شوكا من نار كما ورد تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا الي النبي صلي الله عليه وسلم نفي عنه فايدة
الطعام فقال واصفا لضريع او لطعام المقدر بعد الا بما يعمه تحامي الابل التي ترعي كل نابت وهي اعظم
الحيوانات اقبالا علي انواع الشوك له من انه ضر بلا نفع **لا يسمن** اي فلا يشبع ولا يقوي لانه يلزم ما

يسمن

يسمن فعدمه يلازم عدمه ولما نفي عنه مقصود اهل الرفاهية وبداية لان المقام له نفي ما يقصد
للكفاف فقال **ولا يغني** اي يكفي كفاية مبتداة **من جوع** فلا يحفظ الصحة ولا يمنع الهزال والمقصود من
الطعام احد الامرين وذلك لانهم كانوا ياكلون الحرام التي تنبت عليه لحومهم فيفسدها بفساده وتنمو
به نفوسهم فيخبثها بخبثه ويتغذون بالشبه ويباشرون العلوم التي تظلم القلوب كالفلسفة والسحر
والشعر ونحوها مما يجر الي البدع **والاية** من الاحتباك نفي السمن اولا يدل علي اثبات الهزال
ثانيا ونفي الاغنا من الجوع ثانيا يدل علي نفي الشبع اولا ومن جعل ذلك صفة لطعام افسد المعني
لانه يوول الي ليس لهم طعام منفي عنه الاسمان والاغنا بل لهم طعام لا ينفي عنه ذلك **ولما ذكر**
الاعدا وقدمهم لما تقدم اتبعه الاوليا فقال مستانفا ذكر ما لهم من ضد ما ذكر للاعدا **وجوه يومئذ**
اي كان ما ذكر **ناعمة** اي ذات بهجة وسرور يظهر عليها النعمة والنضرة والراحة والرفاهية
بضد تلك الناصبة لان هولا اتعبوا انفسهم في دار العمل الدنيا وصبروا علي التقشف وشظف العيش
لسعيها اي عملها للاخرة الذي كانه لا سعي غيره خاصة لعلمها انه منح **راضية** لما رات من ثوابه تود
ان جميع سعيها في الدنيا كان كذلك بعد ان كان ذلك السعي الذي هو للاخرة كريها اليها في الدنيا
لا تباشره الا بشق الانفس **ولما ذكر** السعي اتبعه ثوابه فقال **في جنة عالية** اي في المكان والمكانة
والاشجار والغرف وغير ذلك بما صرفوا انفسهم عن الدنايا ورفعوا هممهم الي النفايس **ولما كان ما**
كان من هذا لا يصفو وفيه ما يكره من الكلام قال منزها لها عن كل سو **لا يسمع** اي ايها الداخل اليها
علي قراة الجماعة وقراة ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بالبنا للمفعول وهو ابلغ في النفي **فيها**
لاغية اي لغو ما او نفس تلغو وكلمة ذات لغو علي الاسناد المجازي بل المسموع فيها الذكر من التحميد
والتمجيد والتنزيه لحمل ما يري فيها من البدايع علي ذلك مع نزع الحظوظ الحاملة علي غيره من القلوب بما
يكرهون من لغو اهل الدنيا المنافي للحكمة **ولما** وصف الجنة باول ما يعتبر فيها وهو عدم المنغص اتبعه
ما يطلب بعده وهو تناول الملتذات وكان الاكل قد فهم من ذكر لفظ الجنة ذكر المفهوم لذلك والدلالة المشروب
اذا كان جاريا علي زيادة حسن الجنة وكثرة ما فيها من النباتات المعيشة والمفكهة من النجم والاشجار
والري والاطيار فقال لانه ليس كل جنة بما نعرفه فيه ما جار بنفسه **فيها** اي الجنة ولما كان الما الجاري
صالحا لان يقسم الي اماكن كثيرة وحد قوله المراد به الجنس الشامل للكثير مقابلا لاهل النار في دار البوار
عين جارية اي عظيمة الجري جدا نمي بحيث لا تنقطع اصلا لما لارضها من الزكا والكرم وما لمايها من
الغزارة وطيب العنصر فهو صالح لان يعم جميع نواحيها اقاصيها وادانيها وان عظم اتساعها وتناءت
اقطارها وبقاعها كما تراه يجري من ساق الشجرة الكبيرة جدا فيسقي جميع اغصانها واوراقها وثمارها
وتزيد علي ذلك بان جريه من اسفل الي فوق يجذبه جاذب الشوق ويسوقه اي سوق بقدرة الخلاق
العليم والذي قدر علي هذا كما هو مشاهد لنا لا شك فيه قادر علي ان يجعل هذه العين الصالحة
للجنس ولو كانت واحدة بالشخص عامة لجميع مرافق الجنة يجري الي خيامها ورياضها وبساتينها ومصانعها
ومجالسها ويصعدها الي عالي غرفها وان علت مقسمة بحسب المصالح موزعة علي قدر المنافع بغاية
الاحكام بما كان لداخليها من الخضوع الذي يجري منهم الدموع ويقل الهجوع ويكثر الظما والجوع ولما
لم يبق بعد الاكل والشرب الا الاتكا قال مخبرا انهم ملوك **فيها** معبدا الخبر قطعا للكلام عن الاول
تنبيها علي شرف العين لان الما مما لا حياة بدونه **سرر** اي زايدة الحد في الكثرة جمع سرير وهو
مقعد عال يجلس عليه الملك ينقل الي الموضع الذي يشتهيه سمي بذلك لانه يسر النفس والمادة كلها
للسرور والطيب والكرم ولذلك يطلق علي الملك والنعمة وخفض العيش **مرفوعة** اي رفعها رافع عظيم

في السمك وهو جهة العلو ليري الجالس عليها جميع ملكه وما نعم به وما شاء الله من غيره وفي القدر لا كما تعهدونه في الدنيا بل ارتفاعها بمط جليل من مقدار عظمة رافعها الذي رفع السما فالتنكير للتعظيم وبنا الاسم للدلالة علي انه ليس لها من ذاتها الا الانخفاض واما ارتفاعها فبنفس القادر علي كل شي وهذا يدل علي انها كالسما لا عمد لها قال البغوي قال ابن عباس رضي الله عنهما الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجي اهلها فاذا اراد ان يجلس عليها تواضعت حتي يجلس عليها ثم ترتفع الي موضعها انتهي وذلك بما كانوا يتواضعون ويباشرون من مشاق العبادات علي التراب ورث الاثواب ولما كان المستريح يحتاج الي تكرار الشرب وما يشرب فيه قال واكواب جمع كوب وهو انا لا عروة له فهو صالح للمناولة والشرب من كل جهة موضوعة اي ملاي وهي بحيث يسهل عليهم تناولها ولما كان من كان بهذه المثابة يحتاج الي المساند والفرش الزايد قال ونمارق اي مساند يستندون اليها جمع نمرقة بالفتح والضم وهي الوسادة مصفوفة اي بعضها الي بعض حمي في غاية الكثرة كانها الزرابي الممتدة علي بساط الارض وزرابي اي بسط عريضة كثيرة الوبر كانها الرياض فاخرة ناضرة زايدة عن مواضع استراحاتهم وهي جمع زربية مبثوثة اي مبسوطة علي وجه التفرق في المواضع التي لا يراد التنزه بها من مواضع الرياحين النابتة والاشجار المتشابكة كما بسط سبحانه اديم الارض ورصعه بانواع النبات الفاخرة بما بسطوا انفسهم في الدنيا للحق واهانوها له ولما انهي سبحانه ما اراد من تصوير تلك الدار علي ما يليق بهذه السور القصار وكانوا ينكرون غاية الانكار زعمهم بما يعميهم من الزيغ عن العقايد الحقة في استفهام انكاري مذكرا لهم بامور هي في غاية المعرفة وهي في غاية الوضوح في نفسها لان نزول هذه السور كان في اول الامر قبل ان يتمرنوا علي المعارف يدل علي قدرته علي البعث وعلي قدرته علي ما ذكر من هذه الامور التي اودعها الجنان للذة الانسان وذلك لما في هذه الامور التي ذكرها من عجايب الصنع مع تفاوته في جعل بعضها ذا اختيار في الخفض والرفع وبعضها علي كيفية واحدة لا قدرة له عن الانفكاك عنها من علو او سفول مع التمهد او التوعر فقال مسببا عما مضي من الاخبار عن احوال الفريقين في الاخرة وعن قدرته علي ما ذكر افلا ينظرون اي المنكرون من هذه الامة لقدرته سبحانه علي الجنة وما ذكر فيها والنار وما ذكر فيها نظر اعتبار ولما كان لهم من ملابسة الابل ما ليس لهم من ملابسة غيرها وكانت فردة في المخلوقات لا شبيه لها مع ما لها من كثرة المنافع كما قال الحسن رحمه الله مع اكلها لكل مرعي واجتزايها بايسر شي لا سيما في الما وطول صبرها عنه مع عظيم خلقها وكبر جرمها وشدة قوتها فكانت ادل علي تمام القدرة والفعل بالاختيار قال منبها بذكرها علي التدبر في الايات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا بعد ما اشار الي دلالتها علي البعث في البرزخ بذكر ثمود بعد ان صرح به في سبحان كما مضي بيانه في الموضعين ويأتي ان شا الله في الفجر والشمس واوضح التعبير عنها هنا بما يدل علي الخلطة المميلة المحيلة المناسبة لمعني الغاشية بخلاف التعبير في سورة النحل بالانعام لانها سورة النعم الي الابل ونبه علي ان عجيب خلقها مما ينبغي ان تتوفر الدواعي علي الاستفهام والسوال عنه باداة الاستفهام فقال بانيا للمفعول اشارة الي ان الدال هو المتامل في مجرد خلقها الدال علي احاطة علم الله وقدرته وعظيم احسانه كيف خلقت اي خلقا بباين خلق غيرها علي وجه عظيم دال علي كمال قدرته تعالي وفعله بالاختيار وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال النايية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة به من غير معين منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار الثقال ترعي كل نابت وتحتمل العطش الي عشر فصاعدا ليتاتي لها قطع المفاوز فهي سفن البر مع ما لها من منافع اخر قال البيضاوي ولذلك خصت بالذكر لبيان الايات

المنبثة

المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب انتهي وتنفعل للبسط فتتاثر بالصوت الحسن جدا ومن عجايبها انها لا تكذب اصلا فانها لا تبرك عجزا عن الحمل الا وليس فيها من القوي شي وليس فيها ما تتم كراهته الا كثر رغايها فلعله سبحانه نفي عن الجنة اللغو لذلك ولعله مثل العين الجارية وقربها بدرها والسرر المرفوعة التي حكي عنها انها تنخفض حتي يتمكن المنتفع بها من ظهورها ثم ترتفع به بالسما في علوها مع ما يعهدون من بروك الابل للحمل والركوب ثم ارتفاعها لتمام الانتفاع وقرب نصب الاكواب بسنامها والنمارق ببقيتها حال بروكها ثم فصل ما دلت عليه الابل من الاكواب بالجبال لا ترتقي مثل جبل السد والنمارق بالتي ترتقي وبسط الزرابي بمهد الارض قال ابو حيان وكيف سوال عن حال والعامل فيه خلقت واذا علق الفعل عما فيه الاستفهام لم يبق الاستفهام علي حقيقته ولما ذكر سبحانه هذا المخلوق المفرد الذي هو ادل ما يكون علي هدم القول بالطبيعة اتبعه ذكر السما ليتذكره السامع ذلك فيباعد من يقول به فقال والي السما التي هي من جملة مخلوقاتنا كيف رفعت اي حصل بايسر امر رفعها من الذي خلقها بلا عمد علي ما لها من السعة والكبر والثقل والاحكام وما فيها من جبال الكواكب والغرايب والعجايب فذلك دال علي القدرة علي ايجاد الجنة العالية وعلي رفع السرر فيها لانه دالة علي الفعل بالاختيار وتبني حكم الطبيعة حتما ذلك دال علي كمال قدرته تعالي علي كل شي ولما ذكر العالي من الحيوان الملابس للانسان والعالي من الاكوان اتبعه اعلي الارض فقال والي الجبال اي الشامخة وهي اشد الارض كيف نصبت اي كان نصبها من ناصبها عالية جدا علي بقية الارض بلا موجب فيها لذلك من طبيعة ولا غيرها بل بفعل الفاعل المختار فهي راسخة لا تميل فوضعها كذلك علي ما فيها من المنافع من المياه الجارية والاشجار المختلفة اعظم من وضع الاكواب والنمارق المزينة وبمجموع ذلك ثبتت الارض وحفظت من الميد واعتدال امر الكواكب في تقدير الليل والنهار لاعتدال البلاد بالطلوع علي بعضها قبل بعض حتي كانت المطالع والمغارب ترتيب مطرد ونظام محكم غير منخرم تتقدر به الازمان والفصول والسنون والايام والشهور الي غير ذلك من الامور ولا يكون ذلك لها الا بقاهر قادر مختار لا شريك له ولما كان الخفض لا يكون الا بخافض قاهر كما ان الرفع كذلك والي الارض اي علي سعتها كيف سطحت اي اتفق بسطها من باسطها حتي صارت مهادا موضوعا يمشي عليه بغاية السهولة والقدرة علي جعلها كذلك علي ما هي فيه من الزينة بناضر النبات وغير ذلك من الاختلافات دالة علي الفعل بالاختيار وليست بدون القدرة علي بث الزرابي في الجنة علي اختلاف اشكالها وصورها والوانها ولما دل ما ذكر من عجايب صنعه سبحانه في انواع المخلوقات من البسايط والمركبات العلويات والسفليات علي كمال قدرته علي كل شي فدل علي كمال قدرته علي البعث وعلي كل ما ذكر انه يفعله في الجنة والنار وكان الحث علي النظر في هذه الاشيا باستفهام انكاري وكان ذلك معبدا للانتفاع بالنظر قال مسببا عنه فذكر يعني كل من يرجي تذكره وانتفاعه بالتذكير باشرف خلقنا بما في غرايزهم وفطرهم من العلم الاولي بما في هذه الاشيا وامثالها مما يدل علي صحة ما نزلنا عليك ليدلهم علي كمال قدرة الذي بعثك فينقاد والكاتم انقياد لا سيما في اعتقاد حقية البعث ولا يهمنك كونهم لا ينظرون ولعل التذكير يوصل المتذكر اذا اقبل عليه بحسن رغبة الي ان يعرف ان الابل تشبه الانفس المطمينة الذلولة المنقادة والسما تشبه الارواح القدسية النورانية والجبال تشبه العقول والمعارف الراسخة والارض تشبه البدن المشتمل علي الاعضا والاركان ولما كانت هذه السورة مكية من اوايل ما انزل وكان ماموزا اذ ذاك بالصفح قال انما انت مذكر اي لا مقاتل قاهر قاسر لهم علي التذكر والرجوع فلا عليك ان لم ينظروا ولم يتذكروا لانه ما عليك الا البلاغ

ولذلك قال لست واشار الي القهر باداة الاستعلا فقال عليهم اي خاصة بمصيطر اي بمتسلط
واما غيرهم فسنسلطك عليهم عن قريب وقراها الكسائي بالسين علي الاصل ولما نفي عنهم تسلط الدنيا
وكان التقدير فمن اقبل وآمن فان الله ينعمه النعيم الاكبر قال مستدركا فتبيهم في صورة الاستثنا
الا اي لكن من تولي اي كلف نفسه المطمينة وفطرته الاولي المستقيمة الاعراض وكفر اي واصر علي
كفره واجاب الشرط بقوله مسببا عنه فيعذبه الله اي الملك الاعظم بسبب تكبره علي الحق ومخالفته
لامره المطاع ومراده الذي كله حسن جميع ولعل صوره وهو منقطع بصورة التعبير باداته اشارة الي
ان العذاب من الله عذاب منه صلي الله عليه وسلم لان سببه تكذيبهم له وقرا ابن عباس رضي الله عنهما
الا بالفتح والتخفيف علي انها استفتاحية العذاب الاكبر يعني عذاب الاخرة ويجوز ان يكون الاستثنا
متصلا فيكون المعني ان من اصر علي الكفر يسلطه الله عليه فيقتله فيعذبه الله في الدار الاخرة ثم
علل اخباره عن عذابه في الاخرة بقوله مؤكدا لما لهم من التكذيب ان الينا اي خاصة بما لنا من
العظمة ايابهم اي رجوعهم وان ابوا بالموت ثم بالبعث ثم بالحشر ولما كان الحساب متاخرا
عن ذلك كله وعظيما كما وكيفا عظمه باداة التراخي فقال ثم ان اكده لانكارهم واتي باداة
دالة علي انه كالواجب في انه لابد منه فقال علينا اي خاصة لما لنا من القدرة والتنزه عن نقص العيب
والجور وكل نقص لا علي غيرنا لان غيرنا لا قدرة له فقد تقدمنا فيه بالوعود الصادقة واكدناها
غاية التاكيد حسابهم اي يوم القيمة علي النقير والقطمير وغير ذلك من كل صغير وكبير وذلك يكون
في الغاشية يوم ينقسم قسمين في دار هوان ودار امان فقد التف اخرها باولها وتعانق مفصلها بموصلها

مقصودها الاستدلال علي آخر الغاشية الايات والحساب وادل ما فيها علي هذا المقصود الفجر
بانفجار الصبح عن النهار الماضي بالامس من غير فرق في شي من الذات وانبعاث النيام من الموت الاصغر
النوم بالانتشار في ضيا النهار للمجازاة في الحساب بالثواب والعقاب بسم الله جامع العباد
بعد تمزيقهم بما له من العظمة الرحمن الذي عمهم بعد العموم بالايجاد بالبيان المهيي من شا للايمان
الرحيم الذي خص اولياءه بالرضوان المبيح للجنان لما ختمت تلك بانه لابد من الايات والحساب
وكان تغيير الليل والنهار وتجديد كل منهما بعد اعدامه دالا علي القدرة علي البعث وكان الحج قد
جعله الله تعالي في شرعه له علي وجه التجرد عن المخيط ولزوم التربية والسير الي الاماكن المخصوصة
آية مذكرة بذلك قال تعالي والفجر اي الكامل في هذا الوصف لما له من العظمة حتي كانه لا فجر غيره
وهو فجر يوم النحر الذي هو اول الايام الآخذة في الايات الي بيت الله الحرام بدخول حرمه والتحلل
من محارمه والاضيافة ولما ذكر هذا اليوم بما العبادة به عنه ادل علي البعث لانه ينفجر
عن صبح قد اضا ونهار قد انصرم وانقضي لا فرق بينه وبين ما مضي عم فقال معبرا بالمقابل وليال
عشر هي اعظم ليالي العام وهي اية الله علي البعث بالقيام الي اجابة داعي الله علي هيئة الاموات
والشفع لمن تعجل في يومين والوتر اي لمن اتم قاله ابن الزبير وروي احمد والبزار برجال
الصحيح عن عياش بن عقبة وهو ثقة عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال
العشر عشر الاضحي والشفع يوم الاضحي والوتر يوم عرفة ولما كان تعاقب الليل والنهار ادل علي القدرة
واظهر في النعمة قال ردا لآخر القسم علي اوله ومذكرا بالنعمة وكمال القدرة لان الليل اخفاهما سيرا
وسرا فهو اعظمهما في ذلك امرا لان سير النهار ظاهرا بسرايته بخلاف الليل فانه محو صرف فكان ادل

علي القدرة

علي القدرة والليل اي من ليلة النفر اذا يسر اي ينقضي كما ينقضي ليل الدنيا وظلام ظلمها فيخلفه الفجر
ويسري فيه الذين آبوا الي الله راجعين الي ديارهم بعد حط اوزارهم وقد رجع آخر القسم علي
اوله واثبت اليا في يسري ابن كثير ويعقوب وحذفها الباقون قد سال عنها المورج الاخفش فقال اخدمني
سنة فساله بعد سنة فقال الليل يسري فيه ولا يسري فعدل به عن معناه فوجب ان يعدل عن لفظه كقوله
تعالي وما كانت امك بغيا لما عدل عن باغية عدل لفظه فلم يقل بغية انتهي وهو يرجع الي اللفظ مع
انه يلزم منه رد رواية والحكمة المعنوية فيه والله اعلم من جهة الساري وما يقع السري فيه فاما من
جهة الساري فانقسامهم ليلة النفر الي مجاور وراجع الي بلاده فاشير الي المجاورين بالحذف حثا لهم علي ذلك
لما فيه من جلالة المسالك فكان ليل وصالهم ما انقضي كله فهم يغتنمون حلوله ويلتذون طوله في تلك
المشاهد والمشاعر والمعاهد والي الراجعين بالاثبات لما سري الليل بحذافيره عنهم ابوا راجعين الي ديارهم
فيما انكشف من نهارهم واما من جهة ما وقع فيه السري فللاشارة الي طوله تارة وقصره اخري فالحذف
اشارة الي القصير والاثبات اشارة الي الطويل بما وقع من تمام سراه وما وقع للسارين فيه من القيام
وصف الاقدام بين يدي الملك العلام كما قال الامام تقي الدين ابن دقيق العيد كم ليلة فيك وصلنا
السري لا نعرف الغمض ولا نستريح الابيات المذكورة عنه في الرمل فقد انقسم الليل الي ذي طول
وقصر والساري فيه الي ذي سفر وحضر فدلت المفاوتة في ذلك وفي جميع افراد القسم علي ان فاعلها
قادر مختار واحد قهار ولذلك ابتعه الدلالة بقهر القهارين وابادة الجبارين واما بقي فذكرت حكمته
في مرتبه ولما كان هذا قسما عظيما في ذكر تلك الليالي المتضمن لذكر تلك المشاعر وما فيها من الخشوع
والبكا والخضوع كما قال ابو طالب في قصيدته اللامية المشهورة وليلة جمع والمنازل من مني وهل فوقها
من حرمة ومنازل وفي تذكيره بعد الاعدام مع ما لهذه الاشيا في انفسها وفي نفوس المخاطبين بها من الجلالة
نبه علي ذلك بقوله هل في ذلك اي المذكور مع ما له من علي الامر وواضح القدر قسم اي كاف مقنع لذي
اي صاحب حجر اي عقل يمنعه ويحجره عن الهوي في درك الهوي فيجليه الي اوج الهدي في درج العلي
حتي يعلم ان الذي فعل ما تضمنه هذا القسم لا يتركه سدي وانه قادر علي ان يحيي الموتي قال ابن جرير يقال
للرجل اذا كان مالكا لنفسه قاهرا لها ضابطا انه لذو حجر انتهي فمن بلغ ان يحجره عقله عن الماثم ويحمله علي
المكارم فهو ذو حجر وقال الامام ابو جعفر بن الزبير ابتدا سبحانه لمن تقدم ذكرهم وجها آخر من
الاعتبار وهو ان يتذكروا حال من تقدمهم من الامم وما اعقبهم تكذيبهم واجترامهم فقال الم تر كيف فعل
ربك بعاد ارم ذات العماد الي قوله ان ربك لبالمرصاد اي لا يخفي عليه شي من مرتكبات الخلايق ولا
يغيب عنه ما اكنوه سوا منكم من اسر القول ومن جهر به فهلا اعتبر هولاء بما يعاينونه ويشاهدونه من
خلق الابل ورفع السما ونصب الجبال وسطح الارض وكل ذلك لمصالحهم ومنافعهم فالابل لاثقالهم وانتقالهم
والسما لسقيهم واظلالهم والجبال لاختزان امياههم واقلالهم والارض لحملهم وادخالهم فلا بهذا استبصروا
ولا بمن خلي من القرون اعتبروا الم تر كيف فعل ربك بعاد علي عظيم طغيانهم وعظم بهتانهم ان ربك لبالمرصاد
سيتذكرون حين لا ينفع التذكر اذا دكت الارض دكا دكا وجا ربك والملك والملك صفا صفا وجي يوميذ
بجهنم يوميذ يتذكر الانسان واني له الذكري ولما كان التقدير كما هدي اليه السياق ليبعثن
كلهم صاغرين ثم ليحشرن ثم ليحاسبن فيجازي كل احد بما عمل فان امنوا بذلك نجوا والا عذبهم الذي ثبتت
قدرته علي العذاب الاكبر بعذاب الادني بسبب قدرته علي البعث بسبب قدرته علي ما رايتم
من خلق الابل والسما والجبال والارض علي ما في كل من العجايب بسبب قدرته علي كل شي وهذا هو المقصود
بالذات حذف زيادة في تعظيمه واعتمادا علي معرفته بما هدي من السياق في جميع السورة وما قبلها ولما

وعلة حذفها

طوى جواب القسم لارشاد السياق اليه وتعويل المعنى عليه وتهويلا له مع العلم بانه لا يكون قسم بغير مقسم
عليه وكان قد علمت القدرة عليه مما اشير اليه بالمقسم به اوضح تلك القدرة بامر العذاب الادنى للامم
الماضية فقال مخاطبا لمن قال له آخر تلك فذكر انما انت مذكر تسلية له صلى الله عليه وسلم واشعارا
بانه لا يتدبره حق تدبره غيره وتهديدا لمن كذب من قومه الم تر اي تنظر بعين الفكر يا اشرف رسلنا
فتعلم علما هو في التيقن به كالمحسوس بالبصر وعبر بالاستفهام اشارة الى ان ما ندب الى رؤيته مما
يستحق ان يسئل عنه كيف فعل ربك اي المحسن اليك بارسالك ختاما لجميع الانبيا بالامم الماضية بما شاركوا
به هؤلاء من تكذيب الرسل وجعل محط نظرهم الدنيا وعملوا اعمال من يظن الخلود وبدا باشدهم في ذلك
واعتاهم الذين قالوا من اشد منا قوة وقال لهم نبيهم هود صلى الله عليه وسلم وتتخذون مصانع لعلكم
تخلدون ودل على ذلك بنيانهم جنة في هذه الدنيا الفانية التي هي دار الزوال والقلعة والارتحال ۞
والنكد والبلاء والكدر والمرض والبؤس والضرر فقال مبينا لهم على حذف مضاف ارم اي اهلها وعمرتها
واطلقها عليهم لشدة الملابسة لما لها من البنا العجيب والشان الغريب ثم بينها بقوله ذات اي صاحبة
العماد اي البنا العالي الثابت بالاعمدة التي لم يكن في هذه الدار مثلها ولذا قال التي لم يخلق اي يقدر
ويصنع بناه للمفعول ارادة التعميم مثلها يعود الضمير على عاد باعتبار القبيلة وعلى ارم باعتبار البلدة
واوضح هذا بقوله معمما للارض كلها في البلاد اي في بنائها ومرافقها وثمارها وتقسيم مياهها وانهارها
وطيب ارضها وحسن اطيارها وما اجتمع بها مما يفوت الحصر ويعجز القوي ولا مثل اهلها الذين بنوها
في قوة ابدانهم وعظيم شانهم وغير ذلك من امورهم وكان صاحبها شداد قد ملك المعمورة كلها وتخيرها
فبناها في برية عدن في ثلثماية سنة يضاهي بها الجنة على ما زعم قال ابو حيان على اوصاف بعيدة
او مستحيل عادة ان يكون في الارض مثلها فلما تمت على ما اراد قصدها للسكنى وعمره اذ ذاك تسعمايه سنة
فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السما فاهلكهم فكانوا كامس الذاهب ۞
واخفى مدينتهم فلم يرها احد الا عبد الله بن قلابة خرج في طلب ابل ضلت له على زمن معوية رضي الله
عنه فوقع عليها ولما خرج منها وانفصل عنه خفيت عنه وكان قد حمل معه بعض ما راى فيها من اللؤلؤ
والمسك والزعفران فباعه وسمع به معاوية رضي الله عنه فارسل اليه فحدثه فارسل معاوية رضي الله
عنه الى كعب الاحبار فسأله عن ذلك فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك
اشقر احمر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال
هذا والله ذلك الرجل الذي ذكره شيخنا في تخريج احاديث الكشاف وقال آثار الوضع عليه لايحة وقال
جماعة منهم ابن عباس رضي الله عنهما الاوصاف كلها للقبيلة وهم عاد الاولى واسمها ارم باسم جدهم وكانوا
عربا سيارة يبنون بيوتهم على الاعمدة على عادة العرب ولم يخلق مثلهم امة من الامم في جميع البلاد ولما
بدا بهؤلاء لان امرهم كان اعجب وقصتهم اشهر واغرب ثنى باقرب الامم اليهم زمانا واشبههم بهم شانا لانهم
اترفوا بما حبوا به من جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم فجعلوا موضع ما لزمهم من الشكر والفكر
واستحبوا العمى على الهدى مع ما في ايتهم وهي الناقة من عظيم الدلالة على القدرة على الساعة فقال وثمود
الذين جابوا اي قطعوا ونقبوا قطعا حقيقيا كان عندهم كالواجب الصخر بالواد اي من وادي الحجر ۞
او وادي القرى فجعلوه بيوتا منقورة في الجبال بفعل من يخاف الدهر ويغني الزمان قال ابو حيان قيل
اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعماية مدينة كلها بالحجاز ولما ذكر قبيلتين
من العرب ذكر بعض من جاورهم من طغاة العجم لما في قصتهم من العتو والجبروت مع ما حوته من الغرايب
وخوارق العجايب لا سيما في القدرة على البعث بقلب العصي حية واعادتها جمادا مع التكرر وابعاد الفناء

والقطع

والقطع من كثبان الارض وغير ذلك فقال وفرعون اي وفعل بفرعون ذي الاوتاد اي الذي ثبتت
مملكته تثبيت من يظن انه لا يزول بالعساكر والجنود وغيرهم من كل ما يظن انه يشد امره من الجنات والعيون
والزروع والمقامات الكريمة فصارت له اليد المبسوطة في الملك ۞ ولما كان المراد بفرعون هو
وجنوده لان الراس يكتفي به عن البدن لانه جماعه وبه قوامه وصفه بوصف يجمع قومه وجميع من ذكر
هنا فقال الذين اي فرعون وجنوده وتمم من ذكر هنا من الكفرة من عاد وثمود واتباعهم طغوا اي
تجاوزوا الحدود في البلاد اي التي سلكوها بالفعل وغيرها بالقوة فاكثروا عقب طغيانهم وبسببه فيها
الفساد بما فعلوه من الكفر والظلم مما مارسته لمن سمع به ۞ ولما كان ذلك موجبا للعذاب سبب عنه
قوله فصب اي انزل انزالا هو في غاية القوة عليهم اي في الدنيا ربك اي المحسن اليك المدبر لامرك
الذي جعل ما مضى من اخبار الامم واثار الفرق موطيا له سوط عذاب اي جعل عذابهم من الاغراق والرجف والريح
وغيرهما في قوته وتمكنه وعلوه واحاطته كالمصبوب وفي شدة ضربه ولصوقه بالمضروب بالمضروب ۞
واسراعه اليه والنفاذ فيه كالسوط وفي كونه منوعا الى انواع متشابكة واصله الخلط وانما سمي
هذا الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض ولانه يخلط اللحم والدم وقيل شبه
بالسوط ما احل بهم في الدنيا اشعارا بالترديد والتكرير الى ان يهلك المعذب به وايذانا بانه بالقياس
الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى السيف هذا سوط الدنيا وسيف الاخرة اشد وامضى ثم
علل اخذه لكل ظالم واستعاذه من كل مفسد بانه رقيب فقال ممثلا ان العصاة لا يفوتونه مؤكدا تنبيها
على ان اعمال العباد من ينكر ذلك او لا يخطر بباله ان ربك اي مولاك المدبر لامر نبوتك لبالمرصاد اي
لا يفوته شي بل هو قادر ومطلع على كل شي اطلاع من يريد بالاقامة في مكان الرصد وزمانه مع
غاية الحفظ والرعي وهو قادر على ما يريده ۞ ولما ذكر سبحانه ان عادة هؤلاء الفرق كانت الطغيان
وذكر ان عادة الرب سبحانه فيمن تولى وكفر انه يعذبه كما هدد به آخر تلك ودل على ذلك بما
شوهد في الامم وعلل ذلك بانه لا يغفل ذكر عادة الانسان من حيث هو من غير تقييد بهؤلاء الفرق عند
الابتلاء في حالي السراء والضراء فقال مشيرا الى ما كانت الكفار تقوله من انهم آثر عند الله من المسلمين لاتساعه
عليهم في الدنيا وتقلل الصحابة رضي الله عنهم من الدنيا مسببا عما مضى عطفا على ما تقديره هذه كانت عادة
هؤلاء الامم وعادة الله فيهم فاما الانسان اي الذي اودع الحجر ليعقل هذه الاقسام وما بر امنه من
اعتقاد المقسم عليه بها وجبل على النسيان والانس بنفسه والمحبة لها والرضى عنها ۞ ولما كان المقصود
التعريف بحاله عند الابتلاء قدم الظرف الدال على ذلك على الخبر فقال اذا واكد الامر بالنافي فقال
ما ابتلاه اي عامله معاملة المختبر بان خالطه بما اراد مخالطته بميله وبحيله ربه اي الذي ابدعه
واحسن اليه بما يحفظ وجوده ليظهر شكره او كفره فاكرمه بان جعله عزيزا بين الناس واعطاه ما يكرمونه
به من الجاه والمال ونعمه اي بان جعله متلذذا مترفا بما اعطاه غير تعبان بسببه فيقول سرورا بذلك
وافتخارا ربي اي الموجد لي والآمر لامري اكرمن اي فيظن ان ذلك عن استحقاق فيرتفع به واما
هو اذا واكد على نمط الاول فقال ما ابتلاه اي ربه ليظهر صبره او جزعه ولما كان قوله في
الاول فاكرمه ونعمه كناية فوسع عليه قابله هنا بقوله فقدر اي ضيق تضييق من يعمل الامر بحساب
وتقدير عليه رزقه فهو كناية عن الضيق كما ان العطا بغير حساب كناية عن السعة فجعله بمقدار
ضرورته الذي لا يعيش عادة بدونه ولم يجعل فيه فضلا عن ذلك ولم يقل فاهانه موضع قدر عليه تعليما
للادب معه سبحانه وصونا لاهل الله عن هذه العبارة لان اكثرهم مضيق عليه في دنياه ولان ترك الاكرام
لا ينحصر في كونه اهانة فيقول اي الانسان بسبب الضيق ربي اي المربي لي اهانن فيهم لذلك ويضيق

به دفعا ويكون اكبر همته **ولما كان** بشبة هذا الثه توبيخا وتقريعا لقصور نظره فان الاقتار قد
يؤدي الي سعادة الدارين والتوسعة قد تؤدي الي شقاوتهما وهذا اكثر ما يوجد قال ردعا عن
مثل هذا القول باعظم ادوات الزجر معللا للتوسعة والاقتار **كلا** اي اني لا اكرم بتكثير الدنيا ولا
اهين بتقليلها لا التوسعة منحصرة في الاكرام ولا التضييق منحصر في الاهانة والاحتقار وانما انتم الاهانة
من انهم لا يطيعون الله ودنما كانت بالتوسعة وربما كانت بالاقتار فربما عصي فوسع عليه اهانة له
وهذا لمن يريد سبحانه به الشقا فيعجل له طيباته في الدنيا استدراجا وربما عصي فضيق عليه اكراما له
لان ذلك يكفر عنه وفي الحديث في الصحيح في حديث اقرع وابرص واعمي في بني اسرايل شاهد عظيم لذلك
ولما ازجر عن اعتقاد ان التوسعة للاكرام والتضييق للاهانة ذكر ان معيار من جبل علي حب
الطاعة ومن جبل علي حب المعصية بغض الدنيا وحبها فقال معربا عن كلام الانسان في الشقين وافرد اولا
لانه انص علي التعميم وجمع ثانيا اعلاما بان المراد الجنس **بل** اي يستهينون بامر الله بما عندهم من العصيان
فيوسع علي بعض من جبل علي الشقا اهانة له بالاستدراج ويضيق علي بعض من لم يجبل علي ذلك اكراما له
وردعا عن اتباع الهوي وردا الي الاحسان الي الضعفا وترجم هذا العصيان الذي هو سبب الخذلان
بقوله **لا يكرمون** اي اكثر الناس **اليتيم** بالاعطا ونحوه شفقة عليه ورحمة له لانه ضعيف لا يرجي من قبله
نفع بثنا وغيره **ولما** كان الانسان لا يمنعه من حث غيره علي الخير الا حب الدنيا ان كان المحثوث اعظم
منه فيدخره لحوايجه وان كان مثله فانه يخشي ان يقارضه بذلك فيحثه علي مسكين اخر وكان الحث علي الانسان
الاعطا اعظم من الاعطا لانه يلزم منه الاعطا بخلاف العكس قال **ولا يحضون** اي يحثون حثا عظيما
لاهلهم ولا لغيرهم **علي طعام المسكين** اي بذله له سخا وجودا اضافة اليه اشارة الي انه شريك للغني
في ماله بقدر الزكاة **ولما** دل علي حب الدنيا بامر خارجي دل عليه بامر في الانسان فقال
ويأكلون اي علي سبيل التجدد والاستمرار **التراث** اي الميراث اصله وراث ابدلت الواو تا وكانه عبر
عنه به دلالة علي اخذ الظاهر الذي يشير اليه الواو والتفتيش عن الباطن المشار اليه بخرج التا
تفتيشا ربما ادي الي اخذ بعض مال الغير **اكلا لما** اي ذا لم اي جمع وخلط بين الحلال والحرام فانهم
كانوا لا يورثون النسا ولا الصبيان وياكلون ما جمعه المورث وان كانوا يعلمون انه حرام ويقولون
انه لا يستحق المال الا من يقاتل ويحمي الحوزة **ولما** كان ذلك قد يفعل عن ضرورة مع الكراهة قال
ما هو صريح في المقصود **ويحبون** اي علي الاستمرار **المال** اي هذا النوع من اي شي كان واكده
بالمصدر والوصف فقال **حبا جما** اي كثيرا مع حرص وشره فصار قصارى امرهم النظر الدنيوي
ولم يصرفوا انفسهم عن حبه الي ما دعا اليه العقل الذي يعقل النفس عن الهوي والحجر الذي يحجرها
عن الحظوظ والنهية التي تنهاها عن الشهوات الي الاقبال علي الله **ولما** كان السياق هاديا الي ان
التقدير تحسبون ان ذلك يوفر اموالهم ويحسن احوالهم ويصلح بالهم زجر عنه بجامع الزجر فقال
كلا اي ما هذا ينبغي ان يكون الامر ثم استانف ذكر ما يوجب ندمهم وينبههم من رقدتهم ويعرفهم
ان حب المال لا يقتضي نموه ولو اقتضي نموه ما اقتضي انجابه للسعادة فقال **اذا دكت الارض** اي
حصل دكها ورجها وزلزلتها وتسويتها فتكون كالاديم الممدود بشدة المط لا عوج فيها بوجه واشار
البنا للمفعول الي سهولة ذلك لان الامر عظيم لعظمة الفاعل الحق ولذلك قال **دكا دكا** اي مكررا بالتوزيع
علي كل موضع نات فيها فيكون لكل جبل واكمه وثنية وعقبة دك تخصه علي حدته ليفيد ذلك انه دك بالغ
فيه فتصير جبالها واكامها هبا منثورا ثم تسوي حتي لا يكون فيها شي من عوج وهو كناية عن زلزال عظيمة
لا تحملها الجبال الرواسي فكيف بغيرها **ولما** دلت التسوية علي مجي امر عظيم فان العادة في الدنيا ان

الطرق لا تمهد بالكنس او الرش او التسوية الا لحضور عظيم كالسلطان قال متلطفا بالمخاطب من اواخر
البروج الي هنا بذكر صفة الاحسان علي وجه يفتت اكباد اضداده **وجاء ربك** اي امر المحسن اليك
باظهار رفعتك العظمي في ذلك اليوم الاعظم بفصل القضا بين العباد بشفاعتك **والملك** اي هذا النوع
حال كون الملايكة مصطفين **صفا صفا** اي متوزعا اصطفافهم علي اصنافهم كل صنف صف علي حدته ويحيط
اهل السما الدنيا بالجن والانس واهل كل سما كذلك وهم علي الضعف ممن احاطوا به حتي يحيط اهل السما
السابعة بالكل وهم علي الضعف من جميع من احاطوا به من الخلايق ومعني مجيه سبحانه بعد ان ينفي عنه
ان يشبه مجي شي من الخلق لانه سبحانه ليس كمثله شي في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله فاذا صححنا
العقد بذلك في كل ما كان من المتشابه قلنا في هذا انه مثل امره سبحانه في ظهور ابانة اقتداره وتبين
اثار قدرته وقهره وسلطانه بحال الملك اذا حضر بنفسه فظهر بحضوره من اثار الهيبة والسياسة
ما لا يظهر بظهور عساكره كلها خالية عنه فجيه عبارة عن اظهار عظمته وبطشه وكل ما يظهره الملوك اذا جاوا
الي مكان وهو سبحانه وتعالي شانه حاضر مع المحكوم بينهم بعلمه وقدرته لم يوصف بغيبة اصلا ازلا
ولا ابدا لحضوره في ذلك الحال وبعده كما كان قبل ذلك من غير فرق اصلا لم يتجدد شي غير تعليق قدرته
علي حسب ارادته بالفصل بين الخلق ولو غاب في وقت او امكنت غيبته بحيث يحتاج الي المجي المكان محتاجا
ولو كان محتاجا لكان عاجزا او لو عجز او امكن عجزه في حال من الاحوال لم يصلح للالهية تعالي الله
عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وفي تكرير صفا تنبيه علي صرف المجي عن حقيقته وارشادا
الي ما ذكرت من التمثيل **ولما** كانت جهنم لا تاتي بنفسها لانها لو اتت بنفسها لم يتم ما ظن انها خارجة
عن القدرة بل تقودها الملايكة فكلما عالجوها ذهابا وايابا حصل للناس من ذلك من الهول ما لا يعلمه
الا الله وكان المهول نفس المجي بها لا تعيين الفاعلين لذلك بني للمفعول قوله **وجي** اي باسهل امر
يومئذ اي اذ وقع ما ذكر **بجهنم** اي النار التي تجهم من يصلاها روي انه يوتي بها لها سبعون الف
زمام مع كل زمام سبعون الف ملك وهو كقوله تعالي وبرزت الجحيم لمن يري وابدل من اذ توضيحا
لطول الفصل وتهويلا قوله **يومئذ** اي اذ وقعت هذه الامور فراي الانسان ما اعد للشاكر والكافر
ولما قدم هذه الامور الجليلة والقوارع المهولة اهتماما بها وتنبيها علي انها لما لها من عظم الموعظة
جديرة بان يتعظ بها كل سامع ذكر العامل في ظرفها وبدله فقال **يتذكر الانسان** اي علي سبيل التجديد
والاستمرار فيذكر كل ما كان ينفعه في الدنيا وما يضره فيعلم ان حبه في للدنيا لم يغن الا خسارا لانه اذا
حبها شيا لم يكتب له ولا كان ينقصه بذلها شيا مما كتب له لو بذلها واذا تذكر ذلك هان عليه البذل وليست
تلك الدار دار العمل فلذلك قال **واني** اي وكيف ومن اي وجه **له الذكرى** اي نفع التذكر
العظيم فانه في غير موضعه فلا ينفعه لفوات دار العمل ولا يقع بذلك علي شي سوي الندم وتضاعف
الغم والالم **ولما** كان الندم يقتضي ان يعمل الانسان ما ينافيه بين انه ليس هناك عمل الا اظهاره
الندم فاستانف قوله **يقول** اي متمنيا المحال علي سبيل التجديد والاستمرار **يا ليتني** وهل ينفع شيا
ليت **قدمت** اي اوقعت التقديم لما ينبغي والعمل به **لحياتي** اي ايام حياتي في الدنيا او لاجل حياتي
هذه الباقية التي لا موت بعدها ويمكن ان يكون سبب تمنيه هذا علمه بانه كان في الدنيا مختارا وان
الطاعات في نفسها كانت ممكنة لا مانع له منها في الظاهر الا صرف نفسه عنها وعدم تعليق ما اتاه الله من
القوي بها **ولما** كان هذا غير نافع سبب عنه قوله **فيومئذ** اي اذ وقعت هذه الامور كلها **لا يعذب**
اي يوقع **عذابه** اي عذاب الله اي مثل عذابه المطلق المجرد فكيف بتعذيبه **ولما** اشتد التشوف
الي الفاعل اتي به لا علي وجه لا اعم منه فقال **احد** **ولما** جرت العادة بان المعذب يستوثق منه

بسجن او غيره ويمنع من كل شي يمكن ان يقتل به نفسه خوفا من أن يهرب او يهلك نفسه قال **ولا يوثق**
اي مثل وثاقه فكيف بايثاقه **احد** والمعنى انه لا يقع في خيال احد لاجل انقطاع الانساب والاسباب
ان احدا يقدر على مثل ما يقدر عليه سبحانه من الضر لتحشي كما يقع في هذه الدنيا بل يقع في الدنيا في
اوهام كثيرة ان عذاب من تخشونه اعظم من عذاب الله ولذلك تقدم خوفه على الخوف من الله
وبنى الكسائي ويعقوب الفعلين للمفعول والمعنى على قراة الجماعة ببنائهما للفاعل لا يعذب احد عذابا
مثل عذاب الله اي لا يعذب احد غير الله احدا من الخلق مثل عذاب الله له **والحاصل** انه لا يخاف
في القيمة من احد غير الله فانه ثبت بهذا الكلام ان عذابه لا مثل له ولم يذكر المعذب من هو
فيرجع الامر الى ان المعنى فيومئذ يخاف الانسان خوفا من الله خوفا لا مثل له اي لا يخاف من احد
مثل خوفه منه سبحانه **ويجوز** ان يكون الضمير في عذابه للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية
احدا غير الانسان مثل عذابه وفي المبني للمفعول لا يعذب عذاب الانسان احد لكن يبعد انه يلزم
عليه ان يكون عذاب الانسان اعظم من عذاب ابليس **ويجوز** ان يكون المعنى انه لا يحمل احد ما يستحقه
من العذاب كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ولما علم ان هذا الجزا للجزوع الهلوع المضطر
النفس الطايش في حالي السرا والضرا الذي لا يكرم اليتيم ولا المسكين ويحب الدنيا وكان من
المعلومات في الناس من ليس هو كذلك تشوفت النفس الى جزائه فشفى عي هذا التشوف بقوله
اعلاما بانه يقال لنفوسهم عند النفخ في الصور وبعثر ما في القبور للبعث والنشور **يا ايتها**
النفس المطمينة اي التي هي في غاية السكون لا خوف عليها ولا حزن ولا نقص ولا غبون لانها
كانت في الدنيا في غاية الثبات على كل ما اخبر به عن الدار الاخرة وغيرها من وعد ووعيد وتحذير
وتهديد فهم راجون لوعده خايفون من وعيده واذا كانت هذه حال النفس التي شانها الميل الى الدنيا
فما ظنك بالروح التي هي خير صرف **ارجعي** اي بالبعث **الى ربك** اي موعده الذي اوجدك ورباك
تربية الموفقين اولى بذلك حال كونك **راضية** اي بما تعطينه فلا كدر يلحقك بوجه كما كنت في دار
القلق والاضطراب مطمينة ساكنة تحت القضا والقدر سالكة سبيل الرضى ان حصل ابتلا بالتكريم
والتنعيم او التضييق والتغريم وثوقا بما عند الله **مرضية** عند الله وساير خلقه فلا شي يكرهك
بسبب ما كنت مطمينة تعملين الاعمال الصالحة تحت القضا والقدر تحت القضا والقدر خيره وشره
حلوه ومره ثم بين ما اجمل من الرجوع فقال **فادخلي** اي بسبب هذا الامر **في عبادي** اي في زمرة الصالحين
الوافدين على الذين هم اهل للاضافة الي او في اجساد عبادي التي خرجت في الدنيا منها وقراة عبدي
بالتوحيد للجنس الشامل للقليل والكثير تدل على ذلك **وادخلي جنتي** اي وهي جنة عدن وهي اعلى
الجنان قال البغوي قال سعيد ابن جبير مات ابن عباس رضي الله عنهما بالطايف فشهدت جنازته
فجا طاير لم ير على خلقته فدخل نعشه فلم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية ولم يدر من تلاها
وهذا الاخر هو اوقلها على ما هو ظاهر المقسم عليه بالفجر من البعث المحتوم الذي لولا هو لكان خلق
الخلق من العبث المذموم المنزه عنه الحي القيوم فسبحان الملك الاعظم الذي هذا كلامه علت معانيه
عن طعن وشرفت اعلامه وعز في ذروة الاعجاز تركيبه ونظامه واين الثريا من يد المتناول

مقصودها الدلالة على نفي القدرة عن الانسان واثباتها لخالقه الديان بذكر ما للانسان من
الهموم والاحزان وذكر الاسباب الموقعة له فيما شانا اوابي وذكرا لسبب المخلص منها الموصل الى

السعادة

السعادة الاخرة وهو ما هدى اليه ربه سبحانه وذلك هو معنى اسمها فان من تامل امان اهل
الحرم وما هم فيه من الرزق والخير على قلة الرزق ببلدهم مع ما فيه غيرهم ممن هم اكثر منهم واقوم من
الخوف والجوع علم ذلك **بسم الله** الملك الواحد القهار **الرحمن** الذي اسبغ نعمته على ساير بريته
وفاوت بينهم في عطيته فكان كل ساخطا لحالته في كبد مما يهمه في خاصته وعامته لحكم تعجز الافكار
الرحيم الذي خص اهل ولايته بما يرضيه عنهم من اقضيته فيوصلهم الى جنته وينجيهم من النار
لما ختم كلاث الفجر بالجنة التي هي افضل الاماكن التي يسكنها الخلق لا سيما المضافة الى اسمه
الاخص المؤذن بانها افضل الجنان بعد ما ختم اياتها بالنفس المطمينة بعد ذكر الامارة التي وقعت في
كبد الندم التي تمنى لاجله العدم بعد ما تقدم من انها لا تزال في كبد ابتلا المعيشة في السرا والضرا
افتتح هذه بالامارة مقسما في امرها باعظم البلاد واشرف اولي الانفس المطمينة فقال مؤكدا بالنافي
من حيث انه ينفي ضد ما ثبت من مضمون الكلام مع القطع بانه لم يقصد به غير ذلك **لا اقسم** اي اقسم
قسما اثبت مضمونه وانفي ضده ويمكن ان يكون النفي على ظاهره والمعنى ان الامر في الظهور غني
عن الاقسام حتى بهذا القسم الذي انتم عارفون بانه في غاية العظمة فيكون كقوله تعالى فلا اقسم
بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم **بهذا البلد** اي الحرام وهو مكة التي لا يصل اليها قاصدوها
الا بشق الانفس ولا يزدادون لها مع ذلك الا حبا الدال على ان الله جعلها خير البلاد وقذف حبها
في قلوب من اختارهم من كل حاضر وباد لانها تشرفت في اولها واخرها واثنايها بخير العباد ولم يصفه
بالامن لانه لا يناسب سياق المشقة بخلاف ما في التين فان المراد هناك الكمالات ولما عظم البلد
بالاقسام به زاده عظما بالحال به اشعارا بان شرف المكان بشرف السكان وذلك في جملة حالية
فقال **وانت** يعني وانت خير كل حاضر وباد **حل** اي مقيم او حلال لك ما لم يحل لغيرك من قتل من تريد
ممن يدعي انه لا قدرة لاحد عليه **بهذا البلد** فتحل قتل ابن خطل وغيره وان كان متعلقا باستار الكعبة
وتحرم قتل من دخل دار ابي سفيان وغير ذلك مما فعله الله لك بعد الهجرة بعد نزول هذه السورة
المكية بمدة طويلة علما من اعلام النبوة او المعنى يستحل اهله منك وانت اشرف الخلق ما لا يستحلونه من
صيد ولا شجر وكرر اظهاره ولم يضمر زيادة في تعظيمه تقبيحا لما يستحلونه من اذى المؤمنين فيه واشارة
الى انه يتلذذ بذكره فقد وقع القسم بسيد البلاد وسيد العباد ولكل جنس سيد وهو انهاه في الشرف
فاشرف الجماد الياقوت وهو سيده ولو ارتفع عن هذا الشرف لصار نباتا ينمو كما في الجنة واشرف
جنس النبات النخل ولو ارتفع صار حيوانا يتحرك بالارادة فالحيوان سيد الاكوان وسيد الانسان
لما له من النطق والبيان وسيد الانسان الرسل عليهم الصلاة والسلام لما لهم من عظم الوصلة بالملك
الديان وسيدهم من ختموا به لما فاق به من الفضايل التي اعلاها هذا القران فسيد الخلق محمد بن عبد الله
رسول الله اشرف الممكنات وسيدها لانه وصل الى اعلى مقام يمكن ان يكون لها ولو بقي فوق ذلك مقام
يمكن للممكن لنقل اليه ولكونه اشرف كانت مكابدته اعلى المكابدات يصبر على اذى قومه بالكلام الذي
هو انفذ من السهام ووضع السلا من الجزور على ظهره الشريف تعذيبه بحر وجوهنا ومصون جباهنا
وخدودنا وهو ساجد ووضع الشوك في طريقه والاجماع على قصده بجميع انواع الاذى من الحبس
والنفي والقتل بحيث قال صلى الله عليه وسلم ما اوذي احد في الله ما اوذيت ولما افهمت هذه
الحال ان القسم انما هو في الحقيقة به صلى الله عليه وسلم كرر الاقسام به على وجه يشمل غيره فقال
ووالد ولما كان المراد التعجيب من ابتدا الخلق بالتوليد من كل حيوان في جميع امر التوليد وبما
عليه الانسان من النطق والبيان وغريب الفهم وكان السياق لذم اولي الانفس الامارة وكانوا هم

اكثر الناس حسن التعبير باداة ما لا يعقل لانها من ادوات التعجيب فقال **وما ولد** اي من ذكر او
انثي كاينا من كان فدخل كما مضي النبي صلي الله عليه وسلم فصار معتسما به مرارا وكذا دخل ابواه ابراهيم
وابنه اسمعيل عليهما السلام وما صنعا وما صنع الله لهما بذلك البلد ومعلومات ذكر الصنعة
تنبيه علي صانعها فالمقصود القسم بمن جعل البلد علي ما هو عليه من الجلال وخص النبي صلي الله عليه
وسلم بما خصه به من الارسال وفاوت بين المتوالدين في الخصال من النقص والكمال وساير
الاحوال تنبيها علي ما له من الكمال بالجلال والجمال ولعله خص هذه الاشيا بالاقسام تسلية للنبي
صلي الله عليه وسلم وتثبيتا علي احتمال الاذي اشارة الي ان من كان قد حكم عليه بانه لا يزال في نكد
كان الذي ينبغي له ان يختار ان يكون النكد فيما يرضي الله تعالي وذلك لان النبي صلي الله عليه وسلم
كان في مكة المشرفة في اعظم شدة مما يعاينه من اذي الكفار في نفسه واصحابه رضي الله عنهم
لعلو مقامه فان اشد البلا للامثل فالامثل كما مضي مع امره صلي الله عليه وسلم بالصبر والصفح
وكل والد ومولود في شدة بالوالدية والمولودية وغير ذلك مما لا يحصي من الانكاد البشرية
من حين هو نطفه به في ظلمات ثلث في ضيق ممر ومقر وولادة وربط في تابوت وفطام عن
الالف واهنة من المؤدب والعلم وتوبيخ من المشايخ ومعاندة من الاقران ومن يتسلط عليه من
النسوان مع انه عرضه للامراض وساير ما يكره من الاعراض والاغراض والعاقات والنوايب
والافات والمطالب والحاجات لا يحظي بهواه ولا يبلغ مناه ولا يدرك ما اجتناه ولا يبحو غالبا مما
يخشاه وتفاصيل هذا الاجمال لا تحصي ولا حد لها فيستقصي الي الموت وما بعده فلذلك كان المقسم
قوله **لقد خلقنا** اي بما لنا من العظمة **الإنسان** اي هذا النوع **في كبد** اي شدة شديدة ومشقة
عظيمة محيطة به احاطة الظرف بالمظروف لو وكله سبحانه في شي منها الي نفسه هلك ولولا هذه البلايا
لادعي ما لا يليق به من عظيم المزايا **وقد** ادعي بعضهم مع ذلك الالهية وبعضهم الاتحاد برب
العباد تعالي الله عن قولهم الواضح الفساد بما قرنه سبحانه من الموت والمرض وساير الانكاد فعل
سبحانه ذلك ليظهر بما للعبد من الضعف والعجز عن ما منحه به من القوي الظاهرة والباطنة في القول
والفعل والبطش والعقل ما له سبحانه من تمام العلم وشمول القدرة وليظهر من خلقه له علي هذه الصفة
علم جميع ما في السورة فعلم قطعا انكار ظنه لتناهي قدرته وتعالي عظمته وفساد هذا الظن فيشاهد العقل
من حيث كونه مصنوعا ويشاهد الوجود من اجل انه يسلك طريق الشر ولا يقدر علي طريق الخير الا بالتوفيق
فعلم قطعا اعجاز السورة لانه لا قدرة لمخلوق علي ان ياتي بجملة واحدة بجمع جميع ما وراها من الجمل هذا
الي ما لها من فنون الايجاز التي وصلت الي حد الاعجاز هذا الي ما لبقية الجمل من الاعجاز في حسن
الرصف واحكام التركيب والربط والمراعاة بالالفاظ للمعاني الي غير ذلك مما لا يبلغ كنهه الا منزله
سبحانه وعز شانه وعلم ان الاكرام والاهانة ليستا دايرتين علي التنعيم في الدنيا والتضييق كما تقدم
شرحه في سورة الفجر ولاجل ما علم من كون الانسان لا يزال في نكد وشدة ونصب من حيث احتياجه اولا
الي مطلق الحركة والسكون وثانيا الي الماكل والمشرب وثالثا الي ما يترتب عليهما الي غير ذلك مما يعيي
عده ويجمل حده توجه الانكار في قوله تعالي بيانا للاسباب الموقعة له في النكد وهي شهوتان نفسية
وحسية والنفسية منحصرة في اربع الاولي انه يشتهي ان يكون كل من في الوجود في قبضته فاشار اليها
أيحسب اي هذا الانسان لضعف عقله مع ما هو فيه من انواع الشدايد **أن لن يقدر** ولما اكد بالفعلية
وخصوص هذا النا في قدم الجار تاكيدا بما يفيد الاهتمام بالانسان فقال **عليه** اي خاصة **أحد** اي
من اهل الارض او السما فيغلبه حتي انه يعاند خالقه مع ما ينظر من اقتداره علي امثاله بنفسه وبمن شامن

جوده فيعادي رسله ويجحد اياته **وقال** الامام ابو جعفر بن الزبير لما اوضح سبحانه حال من تقدم
ذكره في السورتين في عظيم حيرتهم وسو غفلتهم وما اعقبهم ذلك من التذكر تحسرا حتي لا ينفع الندم
ولات حين مطمع اتبع ذلك بتعريف نبيه عليه السلام بان وقوع ذلك منهم انما جري علي حكم السابقة
التي شاها والحكمة التي قدرها كما جا في الموضع الاخر ولو شينا لاتينا كل نفس هداها فاشار تعالي الي
هذا بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد اي انا خلقناه كذلك ابتلا ليكون ذلك قاطعا لمن سبق له الشقا
عن التفكر والاعتبار وان تدعهم الي الهدي فلن يهتدوا اذا ابدا فاعماهم بما خلقهم فيه من الكبد واعقل
قلوبهم فحسبوا انه لا يقدر عليهم احد **وقد** بين سبحانه بفعله هذا بهم في قوله لنبيه عليه الصلاة
والسلام ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ولو شا لتبك لامن من في الارض كلهم فانت
تشاهدهم يا محمد ذوي ابصار والات يعتبر بها النظار الم يجعل له عينين ولسانا وشفتين فهلا اخذ
في خلاص نفسه واعتبر بحاله وامسه فلا اقتحم العقبة ولكن اذا اراد الله بقوم سوا فلا مرد له انتهي
ولما كان الانسان لا يفتخر بالانفاق اذا افضي الي الاملاق فعلم ان مراده الاشارة الي ان
معه اضعاف ما انفق من حيث انه حقره بلفظ الاهلاك اشارة الي الثانية فالثالثة من شهواته
النفسية وهما ارادته ان يكون له الفخار والامتنان علي جميع الموجودات وارادته ان يكون عنده
من الاموال ما لا يحيط به الافكار ولا تحويه الاقطار كما يشير اليه حديث لو ان لابن ادم واديا من ذهب
ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب علل سبحانه جهله في حسابه ذلك وما تبعه بقوله **يقول** اي مفتخرا
بقدرته وشدته **أهلكت مالا لبدا** ولقصد المبالغة في كثرته جات قراة ابي جعفر بالتشديد
علي انه جمع لابد كركع وراكع فافهمت انه بحيث لا يحصي بل لو جمع لم تسعه الارض الا بان يكون بعضه
علي بعض فلا يعد ولا يحد اي وذلك قليل من الكثير الذي معي قلدت به اعناق الرجال المنن واستعبدت
به الاحرار في كل زمن فصرت بحيث اذا دعوت كثر الملبي واذا ناديت كثر المجيب واذا امرت عظم
الممتثل وفا لصنايعي الماضية ورغبة في نعمي الباقية فمن يستعصي علي ومن يخالف امري فضلا عن
ان يريد اخمالي ذكري او نقص تدريي **ولما** كان الشي لا يعني الا اذا كان مجهولا ولو من بعض
الجهات انكر عليه هذا الظن علي تقدير وقوعه فانه لا يوصل الي ما ظنه الا به بقوله مشيرا الي شهوته
النفسية الرابعة وهي ان تكون اموره مستورة فلا يظهر علي عيبه احد اصلا **أيحسب** اي هذا الانسان
العنيد بقلة عقله **أن لم يره** اي بالبصر ولا بالبصيرة في الزمن الماضي **أحد** اي في عمله هذا سره
وجهره وجميع امره فينقض جميع ما عمل اذا اراد وكل ما فاته من اثار هذه الشهوات الاربع وهو لا
يزال فايتا له كان من ارادة تحصيله في نكد ومعاناة وكبد بحيث يرمي نفسه لتحصيله في المهالك ولا
تحصل منه علي ما يرضيه ابدا وهذا كناية عن انه يعمل من المساوي اعمال من يظن انه لا يطلع عليه
فلذلك ينبهه الله تعالي بانواع التنبيه لياخذ حذره ويحرز عمره **ولما** انكر عليه سبحانه هذه
النقايص قرره علي ما اوجب شهوته الحسية المتفرعة الي انواع بما يستلزم ان يكون فاعله له المان عليه
به من بعض فيضه عالما بجميع امره قادرا علي نفعه وضره بنفسه وبمن اراد من جنده فقال مشيرا
الي ما يترتب علي نظر العين الباصرة الجايلة في العالم الحسي ونظر عين البصيرة الجايلة في العالم المعنوي
من شهوته ان يحصل كل ما يراه بكل باصرته ويعلمه بعين بصيرته من مليح ويخلص من كل ما يراه من قبيح
ومذكرا له بما كان يجب عليه من الشكر باستعمال هذه المشاعر فيما شرع له وتجنبا عما منع الله منه
ألم نجعل اي بما لنا من العظمة التي لا يمكن احدا ان يضاهيها ولا يقرب منها **له عينين** يبصر بهما والا
لتعطل عليه اكثر ما يريد شققناهما وهو في الرحم في ظلمات ثلث علي مقدار مناسب لا تزيد احداهما

على الاخرى شيا وقدرنا البياض والسواد او الزرقة او الشهلة او غير ذلك على ما ترون واودعنا ما
البصر على كيفية تعجز الخلق عن ادراكها **ولما قرره** سبحانه على ما ينشا عنه شهوتا تحصيل المليح
ونفي القبيح اتبع ذلك ما ينشا عنه شهوتا الامر والنهي وانواع الكمالات الكمالية فقال **ولسانا**
يترجم به عما في ضميره **وشفتين** اي يستران فاه ويعينانه على الاكل والشرب وعلى النطق بفصاحة
وبلاغة على حد معلوم لا يبلغه غيره فيجتمع له امره ويصل الى مقاصد جمة واحوال مهمة ولم يذكر
السمع لان الكلام يستلزمه والمعنى السنا قادرين بالقدرة التي جعلنا له بها ما ذكر على ان نجعل لغيره
مثل ما جعلنا له واكثر فيقاومه ويغلبه **ولما** كان لله تعالى على كل احد في كل لمحة منة جديدة
في ابقا هذه الالات الثلاثة عبر فيها بالمضارع ولما كانت النعمة في العقل انما هي بهيئته او لا اثر
يحمله به على الخير ثانيا وكان امره خفيا وكان من المعلوم ان كل احد غير مهتدي في كل حركاته
وسكناته الى ما يسعده بل كان هذا المنكر عليه لم يؤهل لطريق الخير اختير له لفظ الماضي لذلك تحقيقا
لكونه وجعله غريزة لا يتحول وطبيعة لا يتبدل بل هي غالبة على صاحبها قايدة الى مضاره او محابه
ومساره وان كره وهو السبب الذي يكون به الخلاص من شر تلك الانكاد في دار الاسعاد فقال
وهديناه اي بما اتيناه من العقل **النجدين** اي طريقي الخير والشر وصار بما جعلناه له من ذلك بصيرا
سميعا عالما فصار موضعا للتكليف **روى** الطبراني عن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر والهى يا ايها الناس انما هما
نجدان نجد خير ونجد شر فما جعل نجد الشر احب اليكم من نجد الخير قال المنذري النجد هنا الطريق
انتهى وهو طريق في ارتفاع عبر عن الخير والشر به لاعلايهما الانسان عن رتبة باقي الحيوان ولان
الانسان لا يختار واحدة منهما الا بمعاناة وتكلف كمعاناة من يصعد في عقبه والنجد لغة الموضع
العالي والله تعالى يعلي من اراد على ما شا منهما بخلاف ما كان يقتضيه ظاهر حاله من انه لا يجب
تكلف شي اصلا ولا يريد الاشيا ثابتة الا عفوا وذلك لاجل اظهار قدرته سبحانه اما صعوبة طريق
الخير فيما حفه به من المكاره حتى صار العمل به مع ان كل احد يعشق اسمه ومعناه اشد شي واصعبه
واشقه واتعبه واما صعوبة طريق الشر فواضحة جدا مع ان الله يلزمه لمن اراد بتسهيله وتحبيبه
وتخفيفه وتقريبه مع ان كل احد يكره اسمه وينفر من معناه وجعل الله الفطرة الاولى السليمة التي
فطر العباد عليها من الاستقامة بحيث تدرك الشر وتنهى عنه وتدرك الخير وتامر به غير ان الشهوات
والحظوظ تعالجها والغالب من اعانة الله والى ذلك يشير حديث اذا لم تستحي فاصنع ما شيت
وحديث البر ما اطمانت اليه النفس وانشرح له الصدر والاثم ما حاك في الصدر وتردد في القلب
وان افتاك الناس وافتوك **ولما** كان معنى ما مضى ان هذا الانسان عاجز وان تناهت قوته
وبلغت الذروة قدرته وانه معلوم جميع امره مفضوح في سره كما هو مفضوح في جهره كما اشار
اليه حديث جندب رضي الله عنه عند الطبراني ما اسر عبد سريرة الا البسه الله رداها وحديث ابي
سعيد رضي الله عنه عند احمد وابي يعلى لو ان احدكم يعمل في صخرة صما ليس له باب ولا كوة لخرج
عمله للناس فهو موصل اليه ومقدور عليه وانه كان يجب عليه الشكر على ما جعل له سبحانه من القوى
التي جعلها بسو كسبه آلات للكفر سبب سبحانه عنه قوله تفصيلا للاشيا الموصلة الى الراحة
في العقبى نافيا لفعلها عنه على سبيل الحقيقة دالة على عجزه **فلا اقتحم** اي وثب ورمى بنفسه بسرعة
وضغط وشدة حتى كان من شدة المحبة لما يراه فيما دخل فيه من الخير كانه اتاه من غير فكر ولا روية
بل هجما **العقبة** اي وهي طريق النجاة والمقر في اللغة انها الطريق الصاعد في الجبل المستعار اسمها

بالافعال البر المقرر في النفوس انها مريحة لا متعبة مع كونها اعظم فخر واعلى منقبة لانا حجبناه عنها بايدينا
وعظيم قوتنا وعجيب قدرتنا وذلك ان الخير لما كان محببا الى القلوب معشوقا للنفوس مرغوبا فيه
لا يعدل عنه احد جعلناه في بادي الامر كريها وعلى النفوس مستصعبا ثقيلا حتى صار لمخالفته الهوى
كانه عقبة كؤود لا ينال ما فيه من مشقة الصعود الا بعزم شديد وهمة ماضية ونية جازمة
ورياضة وتدريب وتاديب وتهذيب وشديد مجاهدة وعظيم مكابدة للنفس والهوى والشيطان
بحيث يكون متعاطيه في فعله له كالرامي بنفسه فيه بلا روية ربني العاشق له المتهالك عليه فكان هذا
سببا لان هذا الجاهل بنفسه المتعدي لطوره لم يختر لنفسه الخير بما اوتي من البصر الذي يبصر به صنايع
الله والبصيرة التي يعرف بها ما يضره وما ينفعه شكرا لربه سبحانه لاحسانه اليه وهل جزا الاحسان
الا الاحسان بل اختار الشر وارتكب الضر مع انا هديناه لكل منهما فبانت لنا القدرة واتضحت في
صفاتنا العظمة وتحقق له الضعف وظهر منه النقص والعجز فوجب عليه لعزتنا الخضوع واجرا صون
الدموع واظهار الافتقار والذل والصغار لنفحه سبيل الجنة وننجيه من طريق النار **ومن** اقتحم
هذه العقبة التي هي الاعمال الصالحة اقتحم عقبة الصراط فكانت سهولتها عليه بقدر مكابدته لهذه
واستراح من تلك المكابدات والاحزان والهموم وصار الى حياة طيبة كما قال تعالى من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة الاية واقتحامها بان يرتحل عن عالمه السافل الى العالم
العلوي الكامل ليس فيه الا اللذة وذلك هو الاعتراف بحق العبودية وتلك هي الحرية لان الحر من
خرج من رق الشهوات الى خدمة المولى فصار طوع امره في سره وجهره لا حظ لشهوة فيه ولا وصول
لحظ اليه **وذلك يكون** بشيئين احدهما جذب والاخر كسب فالمجذوب محمول والكاسب في
تعب المجاهدات بسيف الهمة العالية يصول **ولما بين** انه لا خلاص من التنكد الا بهذا
الاقتحام شرع في تفسير العقبة بادئا بتهويل امرها لعظيم قدرها فقال معبرا بالماضي الذي جرت
عادة القران بانه اذا عبر به شرح المستفهم عنه **وما ادراك** اي ايها السامع لكلامنا الراغب
فيما عندنا **ما العقبة** اي انك لم تعرف كنه صعوبتها وعظمة ثوابها **فلما** تفرغ القلب بالاستفهام
عما لا يعرفه وكان الانسان اشهى ما اليه تعرف ما اشكل عليه فتشوقت النفوس الى علمها قال مشيرا
الى الاولى التي هي العفة التي ثمرتها السخا واصلاح قوة الشهوة معبرا بالفك الذي هو ادنى ما يكون
من العتق لانه الاعانة فيه ولو بما قل **كما ورد** في حديث البرا رضي الله عنه اعتق النسمة وفك
الرقبة وعتقها ان تفرد به وفكها ان تعين في ثمنها ونسر المراد بهذه العقبة بما دل على معادل لا كما
يا في تعيين تقديره فانها لا تستعمل الا مكررة **فك** اي الانسان **رقبة** اي من الاسر او الظلم او
الغرم او الشغ شكرا لمن اولاه الخير وتنفيسا للكربة حبا للمعالي والمكارم لا ريا وسمعة كما
فعل هذا الطان الضال ولا للطمع في جزا ولا الخوف من عنا **او اطعم** اي اوقع الاطعام لشي له قابلية
ذلك **في يوم ذي مسغبة** اي جوع عام في مكان جوع وزمان بما افهمه الوصف والصيغة فكان
لذلك يحمل على الضنة بالموجود خوفا من مثل ما فيه المطعم فخالف النفس وآثر عليها اعتمادا على الله
يتيما اي انسانا صغيرا لا اب له يرجى او يخاف **ذا مقربة** لا يرجى باطعامه التودد لاقاربه للتكثر
بهم مع انه يجمع بذلك بين صدقة وصلة وان كان غنيا **او مسكينا** اي شخصا لا كفاية له **ذا متربة**
اي حاجة ملصقة له على التراب لا يقدر على سواه وان كان اجنبيا فهو لا يقصد باطعامه الا سد
فاقته ودخل فيه اليتيم البعيد والفقير من باب الاولى **ولما** كانت هذه الافعال خيرا في نفسها
تدل على جودة الطبع وعلو الهمة وكرم العنصر واباء النفس اشار الى شدة حسنها لانه لا يوفقها

الا المخلص وان كان غير مستند الي شرع والي ما تغيك من سلاسة الطبع وسهولة الانقياد والي عظمة الايمان بالتعبير باداة التراخي في قوله مشيرا الي العقبة الثانية وهي الحكمة المزكية للقوة النطقية **ثم كان** اي المتخلق بهذه الاخلاق الزاكية العالية النفيسة الغالية في حال كفره او مبادي اسلامه للدلالة علي صفا جبلته وجوده عنصره من الراسخين في الايمان المعبر عنه بقوله **من الذين امنوا** اي عند ما دعا اليه الهادي ولم تحمله حمية الانف وسماحة النفس عن الاباعن ان يكون تابعا بعد ما كان متبوعا وسافلا في زعمه اثر ما كان رفيعا بل سدد النظر وقوم الفكر فايقن انه يعلي نفسه من الحضيض الي ما فوق السها ويرقيها في درج المعالي الي ما ليس له انتها ان في ذلك لايات لاولي النهي فحينئذ يعلم استقامة طبعه وكرم غريزته وعلي همته وحسن نيته وجميل طويته وغزارة عقله وجلاله نبله وفضله واستحقاقه التقدم علي الاعلام في الجاهلية والاسلام **ولذلك** كان الصديق رضي الله عنه اعلي الناس درجة بعد الانبيا عليهم الصلاة والسلام والتحية والاكرام لان هذه كانت افعاله قبل الاسلام كما قال ابن الدغنه حين وجده قد خرج من مكة يريد الهجرة حين اذاه الكفار ان مثلك يا ابا بكر لا يخرج ولا يخرج انك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتعين علي نوايب الحق كما قالت خديجة رضي الله عنها للنبي صلي الله عليه وسلم حين رجع اليها يرجف فواده من تجلي جبريل عليه السلام له سوآ فلما شرب في رحيب مشربه وشرب من صافي مشربه توفيقا من الله تعالي لم يتلعثم حين دعاه الي الدين ولا كانت عنده كبوة ولا تردد ثم ترقي في درجات الاسلام الي اعلي مرام بحيث قال يوم الحديبية لعمر رضي الله عنهما حين اظهر الكراهة للصلح ما قال له النبي صلي الله عليه وسلم سوآ حرفا بحرف من غير ان يكون حاضره او ينقل اليه كلامه فصار رحينيذ حايزا قصب السبق لا مطمع في مداناته فكيف بمحاذاته ومساواته ولكماله وعظمته وجلاله لم يشرب قط خمرا وكان اذا ليم علي ذلك في الجاهلية قال لعشرايه والله لو وجدت شيا يزيد في عقلي لاشتريته بجميع مالي فكيف اشتري بمالي ما يزيل عقلي وتلك الاعمال لا تصح وان كانت ممدوحة في كل حال الا بالايمان اما ان كانت بعده فواضح واما ان كانت قبله فبانعطافه عليها كما قال صلي الله عليه وسلم اسلمت علي ما سلف منك من خير **ولما** كان الايمان معليا للانسان عن دركة الهوان الي عظم الشان حاملا له علي محاسن الاعمال ومكارم الافعال وذلك انه يقود الي جميع شرايع الدين العظيمة الشان وكانت موجبة للجهاد الاكبر من حيث مخالفتها للطبع وكان ذلك غير مقدور عليه الا بالشجاعة وهي القوة الثالثة التي اذا هذبت اراحت وكانت لا تكون الا بعظيم الصبر وكان الصبر لمرارته لا يدوم الا بالتعاون قال **وتواصوا** اي وصبروا واوصي بعضهم بعضا **بالصبر** في اقتحام عقبات الاعمال التي لا يجوزها الا ابطال الرجال من الامر بالمعروف الي ما دونه وان كان فيه الحتوف فان الشجاعة كما قيل صبر ساعة **ولما** كان الانسان لا بد ان يعرض له من غيره من الخلاف ما يوجب قسوته عليه فكانت الرحمة من ثمرات الاصطبار المثمر للعدالة وهي التوسط بين مذمتي الافراط والتفريط في الفسق والبله وهي العقبة الرابعة قال موكدا باعادة العامل اشارة الي قلة العاملين بها **وتواصوا بالمرحمة** اي الرحمة العظيمة بحسب زمانها ومكانها بان يوطنوا انفسهم علي كل ما يحمل علي الرحمة العظيمة التي توجب لهم الحب في الله والبغض فيه لانهم كانوا قبل الايمان خالصين عن الربا والاعجاب متهيين للتزكية فزكاهم الايمان فصاروا في غاية النور والعرفان **ولما** كان ذلك من معالي الاخلاق وموجبات الفواق والوفاق كانت نتيجته لا محالة **اوليك** اي العظما الكبرا العالوا المنزلة والرتبات بضمير الفصل كما ياتي لاضدادهم ليخلص الفعل له سبحانه من غير نظر الي ضمايرهم الدالة علي جبلاتهم لانه هو الذي جبلها واغني عنه بالاشارة الدالة علي علو مقامهم وبعد مرامهم **اصحاب الميمنة** اي الجانب الذي فيه اليمن

والبركة

والبركة والنجاة من كل هلكة بقسيمهم من السابقين المقربين واصحاب اليمين الابرار كما مضي شرحه في الواقعة وهذا تعريض بذلكا الذي اتلفوا امواله في المنافسة والمشاقة والمعاكسة **ولما** ارشد السياق لمعادله فلا اقتحم العقبة الي آت التقدير ولا احجم عن المعطبة التي هي الافعال الموجبة للعقبة مع كونها متعبة بل قطع من يستحق الوصل ووصل من يستاهل القطع ثم كان من الذين كفروا وتواصوا بالملامة واكتسبوا السيات واتبعوا الشهوات وعاملوا بالقسوة عطف عليه قوله **والذين كفروا** اي ستروا ما تظهر لهم مرآي بصايرهم من العلم **ولما** كان الكفر بالايات من اشد انواع الكفر لانه كفر بما جعله الله علما علي غيب عهده وهي جميع ما تدركه الحواس من الاقوال والافعال الدالة علي ذي الجلال لانها دالة علي الصفات الدالة علي الموصوف بها الذي ظهر بافعاله وبطن بعظيم جلاله قال **باياتنا** اي علي ما لها من العظمة بالاضافة الينا والظهور الذي لا يمكن خفاوه **هم** اي خاصة لسوء ضمايرهم لفساد جبلاتهم **اصحاب المشئمة** اي الخصلة المتكسبة للشوم والحرمان والهلكة فهو لا مشايم علي انفسهم وكفرهم دال علي فساد جبلاتهم فهو بشير الي من كان كفره اخف لم يكن جبليا فيوشك ان يهدي فيكون من اصحاب الميمنة **ولما** كان معني هذا انهم في الجانب الذي فيه الشوم والهلكة والبعد من كل بركة انتج قوله **عليهم** اي خاصة **نار موصدة** اي مطبقة الباب مع احاطتها بهم من جميع الجوانب بما افهمته اداة الاستعلا ومع الضيق والوعورة وهذا لعمري اشد الكبد والنصب والنكد فالمجانبه الي الله الاحد الواحد الصمد **وقد** علم ان اولها هو هذا الاخر فكان التقاطر فيها مما تشتد به الايدي وتعقد عليه الخناصر والله المرجو للهداية الي خير السراير وهو الهادي

مقصودها اثبات تصرفه سبحانه في النفوس التي هي سرج الابدان تقودها الي سعادتها او كبد وهوان ونكد كما ان الشمس سراج الفلك يتصرف سبحانه في النفوس بالاختيار ضلالا وهداية نعيما وشقاوة كتصرفه سبحانه في الشمس بمثل ذلك من صحة واعتلال وانتظام واختلال وكذا في جميع الاكوان بما له من عظيم الشان **واسمها** الشمس واضح الدلالة علي ذلك بتامل القسم والمقسم عليه بما اعلم به واشار اليه **بسم الله** الذي هو الملك الاعظم فله التصرف الاعظم **الرحمن** الذي وسعت رحمته كل شي فاليه الانعام **الرحيم** الذي خص من شا بالتوفيق فبني انعامه عليهم علي التمام **ولما** اثبت في سورة البلد ان الانسان في كبد وختمها بان من حاد عن سبيله كان في انكد النكد وهو النار الموصدة اقسم اول هذه علي ان الفاعل لذلك اولا واخرا هو سبحانه لانه يحول بين المرء وقلبه وبين القلب ولبه فقال مقسما بما يدل علي تمام علمه وشمول قدرته في الافاق علويها وسفليها والانفس سعيدها وشقيها وبدا بالعالم العلوي فافاد ذلك قطعا العلم بانه الفاعل المختار وعلي العلم بوجوب ذاته وكمال صفاته وذلك اقتضي درجات القوي النظرية تذكيرا بعظايم الاية ليحمل علي الاستغراق في شكر نعمايه الذي هو منتهي كمالات القوة العملية مع ان مقسم به مذكر بما ختم به اخر تلك من النار **والشمس** اي الجامعة بين النفع والضر بالنور والحر كما ان العقول كذلك لا انور منها اذا نارت ولا اظلم منها اذا بارت **وضحاها** اي وضوها الناشي عن جرمها العظيم الشان البديع التكوين المذكر بالنيران اذا اشرقت وقام سلطانها كاشراق انوار العقول والضحي بالضم والقصر صدر النهار حين ارتفاعه وبالفتح والمد شدة الحر بعد

امتداد النهار وشيء ضاحٍ اذا ظهر للشمس والحر ولما افتتح بذكر اية النهار اتبعه ذكر اية الليل
فقال والقمر اي المكتسب من نورها كما ان انوار النفوس من انوار العقول اذا تلاها اي اتبعها
في الاستدارة والنور بما دل على ان نوره من نورها من القرب الماحق لنوره والبعد المكتسب له
في مقدار ما يقابلها من جرمه ولا يزال يكثر الى ان تتم المقابلة فيتم النور ليلة الابدار عند تقابلهما
في افقي الشرق والغرب ومن ثم يأخذ في المقاربة فينقص بقدر ما ينحرف عن المقابلة ونسبة
التبع اليه مجازية اطلقت بالنسبة الى ما ينظر منه كذلك ولما ذكر الايتين ذكر ما هما ايتاه وبدأ
بهما لانه لا اصلاح له الا بهما كما انه لا اصلاح للبدن الا بالنفس والعقل فقال والنهار اي الذي هو
محل الانتشار فيما جرت به الاقدار اذا جلاها اي جلى الشمس تجلية عظيمة بعضها اعظم من بعض
باعتبار الطول والقصر والصحو والغيم والضباب والصفا والكدر كما ان الابدان تارة تزكي
القلوب والنفوس والعقول وتارة تدسيها لان العقل يكون في غاية الصفا والدعا الى الخير
في حال الصغر ثم لا يزال يزيد او ينقص بحسب زكا البدن في حسن الجبلة او نجاسته بسوء الجبلة
حتى يصير الشخص نورا محضا ملكا ناطقا اذا طابق البدن العقل بسوء الجبلة وشرارة الطبع ولما
ذكر معدن الضيا ذكر محل الظلام فقال والليل اي الذي هو ضد النهار فهو محل السكون والانقبا
والكمون اذا يغشاها اي يغطي الشمس فيذهب ضوءها حتى تغيب فتمتد ظلال الارض على وجهها
المماس لنا فيأخذ الافق الشرقي في الاظلام ويمتد ذلك الاظلام بحسب طول الليل وقصره كما يغطي البدن
نور العقل بواسطة طبعه نجسه ورداة عنصره وذلك كله بمقادير معلومة وموازين قسط محتومة
ليس فيها اخلال حتى يريد ذو الجلال ولم يعبر بالماضي كما في النهار لان الليل لا يذهب الضيا مرة
بل شيئا فشيئا ولا ينفك عن نور بخلاف النهار فاذا ابدى الشمس ولم يكن غيم ولا كدر جلى الشمس في آن
واحد فلم يبق معه ظلام بوجه ولما ذكر الاثنين ومحل اثرهما ذكر محل الكل فقال والسما اي
التي هي محل ذلك كله ومجلاه كما ان الابدان محل النفوس مركب العقول ولما كان في الافكار من اعظم والنفوس صح
المحسوسات المماسة الى ما هو دونه في الحسن وفوقه في الاحتياج الى اعمال فكر رقي الى الباطن الاعلى المقصود
بالذات وهو المبدع لذلك كله معبرا عنه باداة ما لا يعقل مع الدلالة بنفس الاقسام على ان له العلم
التام والاحاطة الكبرى بالحكمة البالغة تنبيها انهم وضعوه بالاشراك وانكار الحشر بتلك المنزلة
السفلى والمساواة بالجمادات التي عبدوها مع ما له من صفات الكمال التي ليس لغيره منها ادنى
شيء منها زجرا لهم بالاشارة والايما عن ذلك ومشيرا الى شدة التعجب منهم لكونها اداة التعجب فقال
وما بناها اي هذا البنا المحكم الذي ركب فيه ما ذكره اشارة الى ورائه مما يعجز الوصف ولما
ذكر البنا ذكر المهاد فقال والارض اي التي هي فراشكم بمنزلة محال تصرفاتكم بالعقل في المعاني المقصودة
وما طحاها اي بسطها على وجه هي فيه محيطة بالحيوان كله ومحاط بها في مقعر الافلاك وهي
مع كونها ممسكة بالقدرة كانها طايحة في تيار بحارها وهي موضع البعد والهلاك ومحل الجمع كل هذا
بما يشير اليه التعبير بهذا اللفظ اشارة الى ما في سعي الانسان من امثال هذا قال اهل البصاير
وليس في العالم الافاقي شيء الا وفي العالم النفساني نظيره وانشدوا في ذلك ه ه ه
دواؤك فيك وما تشعر ودآؤك منك وتستنكر وتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم
الاكبر ه فالسموات سبع كطباق الراس التي تتعلق بالقوى المعنوية كالذاكرة والحافظة والوا همة
والمخيلة والمفكرة والحس المشترك وهو كمقاسم البصر في العين ونظير الشمس الروح في اشراقه وحسنه ونظير
الليل الطبع فان ما به من نور انما هو من الروح كما ان الليل كذلك لا يكون نوره الا من الشمس

بواسطة

بواسطة افادتها للقمر المنير له والكواكب ونظير النهار الذي هو نير في اصله ومتكدر بما يحدث
له من السحب ونحوها القلب وسحبه الشكوك والاوهام النفسية ونظير القمر في ظلمته باصله
وانارته بالشمس فاذا اكسبها القلب المستفيد من الروح النور انار جميع البدن واذا اظلمت اظلم
كله والاعضا الباطنة كالكواكب يقوم بها البدن فينير له الوجود بواسطة الروح والنفس ه
والامطار كالدمع والحر كالحزن والبرد كالسرور والرعد كالنطق والبرق كالضحك والرياح ه
كالنفس الى غير ذلك من البدايع لمن تامل والعالم السفلي سبع طبقات ايضا فالعلوي وتغيرها
طبقة الجلد وهي ثلث وطبقة اللحم وطبقة الشحم وطبقة العروق وطبقة العصب والجبال كالعظام
والمعادن منها المياه وفيها العذب كالريق والملح كالدمع والمر كما في الاذن والمنتن منه كما في
الانف ومنه ما هو خارج كالبول ومنه ما هو كالعيون وهو الدم والسيل كالعرق والمعادن المنطبعة
كالحديد والرصاص وسبخ الارض وهي كالعذرة وما يخرج منها من الجلد من خبث والنبات كالشعور
وتارة تحلق كالحصاد وتارة تقلع بالنتف والحيوانات التي فيها كالقمل وطيورها كالبراغيث وعمارة
البدن ما اقبل منه وخرابه ما ادبر ولما اتم الاشارة الى النفوس لاهل البصاير صرح بالعبارة
لمن دونهم فقال ونفس اي اي نفس جمع فيها سبحانه العالم باسره ولما كانت النفوس اعجب ما
في الكون واجمع عبر فيها بالتسوية حثا على تدبر امرها للاستدلال على مبدعها للسعي في اصلاح شانها
فقال وما سواها اي عدلها عن هذا القانون الاحكم في اعضائها وما فيها من الجواهر والاعراض ه
والمعاني وعجايب المزاج من الاخلاط المتنافرة التي لا ام بينها بالتسوية والتعديل فجعلها متمازجة
وقد ارشد السباق والسياق الى ان جواب القسم مقدر تقديره لقد طبع نفوسكم سبحانه على طبايع
متباينة هيأها لمن يريد من القلوب من تزكية وتدسية بما جعل لكم من القدرة والاختيار وابلغ
في التقدم اليكم في تزكية نفوسكم وتطهير قلوبكم لاعتقاد الحشر بما هو اوضح من الشمس لا شبهة فيه
فيه ولا لبس لتنجوا من عذاب الدنيا والاخرة بالاتصاف بالتقوى والانخلاع من الفجور والطغوى
وقال الاستاذ ابو جعفر بن الزبير لما تقدم في سورة البلد تعريفه تعالى بما خلق فيه الانسان
من الكبد مع ما جعل له سبحانه من آلات النظر وبسط له من الدلايل والعبر فاظهر في صورة
من ملك قياده وميز رشده وعناده وهديناه النجدين انا هديناه السبيل وذلك بما جعل له
من القدرة الكسبية التي حقيقتها اهتمام اولم واني بالاستبداد والاستقلال ثم والله خلقكم
وما تعملون اقسم سبحانه في هذه السورة على فلاح من اختار رشده واستعمل جهده وانفق
وجده قد افلح من زكاها وخيبة من غاب هداه فاتبع هواه وقد خاب من دساها فبين حال
الفريقين وسلوك الطريقين ولما كان اعجب امورها الفجور لما غلب عليها سبحانه من الحظوظ ه
والشهوات وهي تعلم بما لها من زاجر العقل بصحيح النقل ان الفجور اقبح القبيح والتقوى لما اقام ه
عليها من ملك العقل الملكي وغريزة العقل النوراني احسن الحسن وتذوق ان الفجور اسمى شيء وان
التقوى امر شيء واصعبه واثقله واتعبه قال معلما ان هذا لا يقدر عليه سواه لانه اعجب من جمع
ما مضى لان البهيمة لا تقدم على ما يضرها وهي تبصر ولو قطعت الادمي يقدم على ما يضره وهو
يعلم ويقاتل من منعه منه صح فقال مسببا عما حذف في جواب القسم فالهمها اي النفس الهاما الفطرة
الاولى فجورها اي انبعاثها في الميل مع دواعي الشهوات وعدم الخوف الحامل على خرق سياج
الشريعة بسبب ذلك الطبع الذي عدل فيه ذاتها وصفاتها في قسر المتنافرات على التمازج غاية
التعديل وتقواها اي خوفها الذي اوجب سكونها وتحرزها بوقايات الشريعة فالاية

من الاحتباك ذكر الفجور اولا دالا على السكون الذي هو ضده ثانيا وذكر التقوى ثانيا دالا على ضده
وهو عدم الخوف اولا والهامها الامرين هو جعله لها عارفة بالخير والشر مستعدة ومتهيئة لكل منهما
ثم زاد ذلك بالبيان التام بحيث لم يبق لبس فرالت الشبه عقلا بالغريزة والالهام ونقلا بالرسالة
والاعلام ودلت بالاضافة على ان ذلك كله منسوب اليها ومكتوب عليها وان كان بخلقه وتقديره
لانه اودعها قوة وجعل لها اختيارا صالحا لكل من النجدين واوضح امر النجدين في الكتب وعلى السنة
الرسل بعد ما وهبه لها من الفطرة القويمة واخفى عنها سر القضا والقدر وعلم العاقبة فاقام بذلك
عليها الحجة واوضح المحجة. ولما كان من المعلوم ان من سمع هذا الكلام يعلم ان التقوى لا تكون الا
مامورا بها والفجور لا يكون الا منهيا عنه فيتوقع ما يقال فيهما مما ينا ثر عنهما قال تعالى قد افلح اي
ظفر بجميع المرادات من زكاها اي نماها واصلحها وصفاها تصفية عظيمة بما يسره الله له من العلوم
النافعة والاعمال الصالحة وطهرها بما يسره لمجانبته من مذام الاخلاق لان كلا ميسر لما خلق له
والدين مبني على التحلية والتخلية ودكي صالح للمعنيين وقد خاب اي حرم مراده وخسر وكان
سعيه باطلا من دساها اي اغواها اغوا عظيما وافسدها ودنس محياها وقذرها وحقرها واهلكها
بخبائث الاعتقاد ومساوي الاعمال وقبايح النيات والاحوال واخفاها بالجهالة والفسوق والجلافة
والعقوق. واصل دسى دسس. فالتزكية ان يحرص الانسان على شمسه ان لا تكسف وقمره ان لا
يخسف ونهاره ان لا يتكدر وليله ان لا يطغى. والتدسيس اقله اهمال الامر حتى تكسف شمسه
ويخسف قمره ويتكدر نهاره ويدوم ليله. وطريق ذلك اعتبار نظاير المذكورات من الروحانيات
واعطا كل ذي حق حقه فنظير الشمس هي النبوة لانها كلها ضيا باهر. وضحاها الرسالة
وقمرها الولاية والنهار هو العرفان والليل عدم طماينة النفس بذكر الله وما جا من عند واعراضها
عن الانقياد لقبول ما جا من النبوة او الولاية والعلما العاملون هم اوليا الله قال الامام ابو حنيفة
والشافعي ان لم يكن العلما اوليا الله فليس لله ولي رواه عنهما الحافظ ابو بكر الخطيب وهو مذكور في
التبيان وغيره من مصنفات النواوي ونظير السما العزة والترفع عن الشهوات وعن خطوات الشياطين
من الانس والجن والارض نظيرها التواضع لحق الله ورسوله وللمؤمنين فيكون باخراجه المنافع
لهم كالارض المخرجة لنباتها والتدسية خلاف ذلك من عمل بالسو فقد هضم نفسه وحقرها فاخفاها
كما ان اللئام ينزلون بطون الاودية ومعاطفها بحيث تخفى اماكنهم على الطارقين والاجواد ينزلون
الربا ويوقدون النيران للطارقين ويشهرون اماكنهم للمعتفين منازل الاشراف في الاطراف كما قيل
قوم على المحتاج سهل وصلهم ومقامهم وعر على الفرسان. ولما كان السياق للترهيب بما
دلت عليه سورة البلد وتقديم الفجور هنا وكان الترهيب احث على الزكا قال دالا على جهة
المدسي ليعتبر به من سمع خبره لا سيما ان كان يعرف اثره. كذبت ثمود انث فعلم لضعف اثر تكذيبهم
لان كل سامع له لم يعرف ظلمهم فيه لوضوح آيتهم وقبح غايتهم وما لهم بسفول الهمم وقباحة الشيم
وخصهم لان آيتهم مع انها كانت اوضح الايات في نفسها هي ادلها على الساعة وقريش وساير العرب
عارفون بهم لما يرون من آثارهم ويتناقلون من اخبارهم بطغواها اي اوقعت التكذيب لرسولها
بكل ما اتى به عن الله بسبب ما كان لنفوسهم من وصف الطغيان وهو مجاوزة القدر وارتفاعه
والغلو في الكفر والاسراف في المعاصي والظلم اوبما توعدوا به من العذاب العاجل وهي الطاغية
التي اهلكوا بها وطغى وادي يايي يقال طغى كدعا يطغو طغوى وطغوانا بضمها يطغى وطغى كرضي طغيا
وطغيانا بالضم والكسر فالطغوى بالفتح اسم وبالضم مصدر فقلبت اليا على تقدير كونه يابيا واو للتفرقة

بين الاسم والصفة واختير التعبير به دون اليائي لقوة الواو وفافهم انهم بلغوا النهاية في تكذيبهم
فكانوا على الغاية من سو تعذيبهم. ولما ذكر تكذيبهم دل عليه بقوله اذ اي تحقق تكذيبهم
او طغيانهم بالفعل حين انبعث اشقاها اي اشد ثمود شقا وهو عاقر الناقة للمشاركة في الكفر
والزيادة بمباشرة العقر وهو قدار بن سالف او هو ومن مالاه على عقرها فان افعل التفضيل اذا
اضيف صلح للواحد والجمع فقال لهم اي بسبب الانبعاث او التكذيب الذي دل على قصدهم
لها بالاذى واظهر ولم يضمر وعين الاظهار بالجلالة اشارة الى عظيم ايتهم وبديع بدايتهم
ونهايتهم فقال رسول الله اي الملك الذي له الامر كله فتعظيمه من تعظيم مرسله وهو صالح
عليه السلام وكذا الناقة وعبر بالرسول لان وظيفته الابلاغ والتحذير الذي ذكر هنا وكذلك
قال مشيرا بحذف العامل الى ضيق الحال عن ذكره لعظيم الهول وسرعة التعذيب عند مسها
بالاذى وزاد في التعظيم باعادة الجلالة ناقة الله اي الملك الاعظم الذي له الجبروت كله فلا
يقوم من انتهك حرمته واجترا على ما اضافه اليه ولهذا اعاد الاظهار دون الاضمار والعامل
دعوا او احذروا ونحو ذلك اي احذروا اذاها بكل اعتبار وسقياها اي الما الذي جعله الله
لها لسقيها وهو بيرها فلا تذودوها عن بيرها في اليوم الذي تكون فيه نوبتها في الشرب ولا تمسوها
بسو وكان صلى الله عليه وسلم فهم عنهم بعد مدة انهم يريدون عقرها فكرر عليهم التحذير فكذبوه
اي اوقعوا تكذيبه بسبب طغيانهم وعقب امره هذا الاخير فيما حذر من حلول العذاب وتكون
الفا هي الفصيحة اي قال لهم ذلك فكانت بعده بينه وبينهم في امرها امور فاوقعوا تكذيبه فيها
كلها فعقروها بسبب ذلك التكذيب بعضهم بالفعل وبعضهم بالرضى به فدمدم اي عذب عذابا
تاما مجللا مغطا مطبقا مستاصلا شدخ به روسهم واسرع في الاجهاز وطحنهم طحنا مع الغضب
الشديد. قال الرازي والدمدمة تحريك البناحي بتغليب وذلك باداة الاستعلا على شدته
واحاطته فقال عليهم ودل على شدة العذاب لشدة الغضب بلفت القول بذكر صفة الاحسان
التي كفروها لانه لا اشد غضبا ممن كفر احسانه فقال ربهم اي الذي احسن اليهم فغرهم احسانه
فقطعه عنهم فعادوا كامس الدابر بذنبهم اي بسببه. ولما استووا في الظلم والكفر بسبب
عقر الناقة بعضهم بالفعل وبعضهم بالرضى والحث قال مسببا عن ذلك ومعقبا فسواها اي
الدمدمة عليهم فجعلها كانها ارض بولغ في تعديلها فلم يكن فيها شي خارجا عن شي كما سوى الشمس
المقسم بها وسوى بين الناس فيها وكذا ما اقسم به بعدها فكانت الدمدمة على قويهم كما كانت
على ضعيفهم فلم تدع منهم احدا ولم يتقدم هلاك احد منهم على احد بل كانوا كنفس واحدة من قوة
الصعقة وشدة الرجفة كما انهم استووا في الكفر والرضى بعقر الناقة وكل نفس هي عند صاحبها
كالناقة قد اوصى الله صاحبها ان يرعى نعمته سبحانه فيها فيزكيها ولا يدسيها فان الناقة عبارة
عن مطية يقطع عليها السير حسا او معنى وذلك صالح لان يراد به النفس التي تقطع بها عقبات الاعمال
والسقيا ما يعيش المسقي به وهو صالح لان يراد به الذكر والعبادة. فمن لم يرع النعمة ويشكر
المنعم فقد عقرها فاستحق الدمدمة. وكما انه سوى بينهم في الدمدمة سوى بين المهتدي في النجاة
ولا اي والحال انه لا يخاف في وقت من الاوقات اي ربهم روى ذلك عن ابن عباس رضي الله
عنهما ويوئيده قراة اهل المدينة والشام بالفا المسببة عن الدمدمة والتسوية وكذلك
هي في مصاحفهم عقباها اي عاقبة هذه الدمدمة وتبعتها فانه الملك الاعلى الذي كل شي في
قبضته لا كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الابقا فعلم انه سبحانه يعلي اولياه لانهم على الحق

وَيسغل أعداءه لانهم علي الباطل فلا يضل بعد ذلك الا هالك بصيرته اشد ظلاما من الليل الحالك وقد
رجع اخرها علي اولها بالقسم وجوابه المحذوف الذي هو طبع النفوس علي طبايع مختلفة والتقدم اليهم
بالانذار من الهلاك وبنفس القسم ايضا فان من له هذه الافعال الهايلة التي سوي بين خلقه
فيها وهذا التدبير المحكم هو بحيث لا يعجزه امر ولا تخشي عاقبته وآلله الموفق

مقصودها الدلالة علي مقصود الشمس وهو التصرف التام في النفوس باثبات كمال القدرة بالاختيار
باختلاف الناس في السعي مع اتحاد مقاصدهم وهي الوصول الي الملاذ من شهوة البطن والفرج وما
يتبع ذلك من الراحة واسمها الليل اوضح ما فيها علي ذلك بتامل القسم والجواب والوقوع من ذلك علي الصواب
وايضا الليل نفسه دال علي ذلك بانه علي غير مراد النفوس بما فيه من الظلام والنوم الذي هو اخو
الموت وذلك مانع عن اكثر المرادات ومقتض لاكثر المضادات بسم آلله الذي له العظمة الظاهرة
والحكمة الباهرة الرحمن الذي شملت نعمة ايجاده وبيانه المتواترة الرحيم الذي خص من اراد من
عباده بما يرضيه فجعله حامدا وشاكرا لما بين في الشمس حال من زكي نفسه وحال من دساها
واوضح في اخرها من مخالفة ثمود لرسولهم ما اهلكهم فعلم ان الناس مختلفون في السعي في تحصيل
نجد الخير ونجد الشر فمنهم من تغلب عليه ظلمة اللبس ومنهم من يغلب عليه نهار الهدي فتباينوا
في مقاصدهم في مصادرهم ومواردهم بعد ان اثبت انه هو الذي تصرف في النفوس بالفجور والتقوي
اقسم اول هذه علي ذلك بما يدل علي عجايب صنعه في ضره ونفعه تنبيها علي تمام قدرته في انه الفاعل
بالاختيار يحول بين المرء وقلبه حتي يحمله علي التوصل مراده بضد ما يوصل اليه الي مضاده وعلي انه
لا يكاد يصدق الاتحاد في القصد والاختلاف في التوصل والسعي وشرح جزا كل تحذيرا من نجد
الشر وترغيبا في الخير وبين ما به التزكية وما به التدسية فقال والليل اي الذي هو اية الظلام
الذي هو سبب الخبط والخلط لما يحدث عنه من الاشكال واللبس في الاحوال والاهلاك الموصل
الي ظلمة العدم وهو محل الاسرار بما يصل الاخيار ويقطع الاشرار اذا يغشي اي يغطي ما كان من
الوجود مبصرا بضيا النهار علي التدريج قليلا قليلا وما يدل عليه من خلال مبدعه وعظيم ما حقه
ومطلعه والنهار اي الذي هو سبب انكشاف الامور كالموت الذي يزيل عن الروح علايق البدن
فيجلي لها ما كانت فيه من القبايح والجهر الذي يشرح النفس بازالة اللبس اذا تجلي اي ظهر ظهورا
عظيما بضيا الشمس فاظهر ما كان خفيا فلم يدع لمبصر شيا من لبس فمن يريد الشر قصد الليل ومن
اراد الجهر قصد النهار سوا كان من الابرار او من الفجار ولما ذكر المتخالطين معني اتبعهما
المتخالطين حسا فقال مصرحا فيهما بما هو مراد في الاول وخص هذا بالتصريح تنبيها علي انه لكونه
عاقلا عالما قد يغلط في نفسه فيدعي الالهية او الاتحاد او غير ذلك من وجوه الالحاد وما خلق وعبر
التعبير بما الاغلب فيه غير العقلا ما تقدم في سورة الشمس من تنبيههم علي انهم لما اشركوا به سبحانه
ما لا يعقل نزلوه تلك المنزلة وقد احاط بكل شي وهو الذي خلق العلما وهم لا يحيطون به علما مع ما
تفيد ما من التعجيب منهم في ذلك لكونها صيغة التعجيب الذكر اي حسا بالة الرجل ومعني بالهمة
والقوة والانثي حسا بالة المراة ومعني بسفول الهمة وضعف القوة وما دل عليه من عظيم
الاصطباع وما هو الاختراع والابتداع فانه دل فرقه بينهما وهما من عين واحدة وعلي التراب علي
تمام قدرته المستلزم لشمول علمه وفعله بالاختيار فالاية من الاحتباك ذكرا ولا الصنعة دلالة علي

حذفها

حذفها ثانيا وثانيا الصانع دلالة علي حذفه اولا ولما ذكر ما هو محسوس التخالف من المعاني والاجرام
اتبعه ما هو معقول التباين من الاغراض فقال ان سعيكم اي عملكم ايها المكلفون في التوصل
الي مقصد واحد وكذلك الكرة لانه لا يكاد يصدق اختلاف وجوه السعي مع اتحاد المراد وعبر
بالسعي لبذل كل في عمله غاية جهده لشتي اي مختلف اختلافا شديدا كاختلاف ما تقدم وهو جمع
شتيت كقتلي وقتيل فيكون الانسان رجلا وهو انثي الهمة ويكون انثي وهو ذكر العقل فتنافيهم
في الاعتقادات وتعاندهم في المقالات وتباينهم غاية التباين بافعال طيبات وخبيثات فساع في
فكاك نفسه وساع في ايثاقها فعلم قطعا انه لا بد من محق ومبطل ومرض ومغضب لانه جايز ان
يكون المتنافيات متحدين في الوصف بالارضا او الاغضاب فبطل ما اراد المشركون من قولهم
لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي الاية وما ضاهاها وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير
لما بين قبل حالهم في الافتراق اقسم سبحانه علي ذلك الشان في الخلايق بحسب تقديره ازلا لنبلوهم
ايهم احسن عملا فقال تعالي ان سعيكم لشتي فاتصل بقوله تعالي قد افلح من زكاها وقد خاب من
دساها ثم ان قوله تعالي فاما من اعطي واتقي الي العسري يلايمه تفسيرا او تذكيرا بما الامر عليه من
كون الخير والشر بارادته والهامه وبحسب السوابق قوله فالهمها فجورها وتقواها فهو سبحانه
الملهم للاعطا والاتقا والتصدق والمقدر للبخل والاستغنا والتكذيب والله خلقكم وما تعملون لا يسال
عما يفعل ثم زاد ذلك ايضاحا بقوله تعالي ان علينا للهدي وان لنا للاخرة والاولي فتبا للقدرية
والمعتزلة وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون انتهي ولما
طابق بين القسم والمقسم عليه ونبه بالقسم والتاكيد مع ظهور المقسم عليه علي انهم في اسمهم مع التحذير
كمن يدعي انه لا فرق وان مال الكل واحد كما يقوله اصحاب الوحدة عليهم الخزي واللعنة شرع
في بيان تشتت المساعي وبيان الجزا لها فقال مسببا عن اختلافهم ما هو مركوز في الطباع من انه
لا يجوز تسوية المحسن بالمسي ناشرا لمن زكي نفسه او دساها نشرا مستو يا ايذانا بان المطيع في
هذه الامة ولله الحمد كثير بشارة لنبيها صلي الله عليه وسلم فاما من اعطي اي وقع منه اعطا
ما علي ما حددناه له وامرناه به واتقي اي وقعت منه التقوي وهي اتخاذ الوقايات من الطاعات
واجتناب المعاصي خوفا من سطواتنا وصدق اي اوقع التصديق للمخبر بالحسني اي وهي كلمة
العدل التي هي احسن الكلام من التوحيد عنه من الوعود الصادقة بالاخرة والاخلاف في
النفقة في الدنيا واظهار الدين وان قل اهله علي الدين كله وغير ذلك من كل ما وعد به الرسول
صلي الله عليه وسلم عن الله وعدل الكلام الي مظهر العظمة اشارة الي صعوبة الطاعة علي النفس
وان كانت في غاية اليسر في نفسها لانها في غاية الثقل علي النفس فقال فسنيسره اي نهيئه
بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه لليسري اي الخصلة التي هي في غاية اليسر والراحة من الاعمال
المقتضية للعمل بما يرضيه سبحانه ليصل الي ما يرضي به من الحياة الطيبة ودخول الجنة ولما
ذكر المزكي وثمرته اتبعه المدسي وشقوته فقال واما من بخل اي اوجد هذه الحقيقة الخبيثة
فمنع ما امر به وندب اليه واستغني اي طلب الغني عن الناس وعما وعد به من الثواب واوجله
بما زعمت له نفسه الخاينة وظنونه الكاذبة فلم يحسن الي الناس ولا عمل للعقبي وكذب اي
اوقع التكذيب لمن يستحق التصديق بالحسني اي فانكرها وكان جامدا مع المحسوسات كالبهايم
فسنيسره اي نهيئه بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه للعسري اي للخصلة التي هي اعسر
الاشيا وانكدها وهي العمل بما يغضبه سبحانه الموجب لدخول النار وما ادي اليه واثار بنوك

العظمة في كل من نجد الخير ونجد الشر الى ان ارتكاب الانسان لكل منهما في غاية البعد اما نجد الخير
فلما حفه من المكاره واما نجد الشر فلما في العقل والفطرة الاولى من الزواجر عنه وذلك كله امر قد
فرغ منه في الازل بتعيين اهل السعادة واهل الشقاوة وكل كما قال صلى الله عليه وسلم ميسر لما
خلق له ولما كان اهل الدنيا اذا وقعوا في ورطة تخلصوا منها باموالهم قال وما يغني اي
في تلك الحالة عنه اي هذا الذي بخل وكذب ماله اي الذي يبخل به رجا نفعه ويجوز ان يكون استفهاما
انكاريا فيكون نافيا للاغنا على ابلغ وجه اذا تردى اي هلك بالسقوط في حفرة القبر والنار تفعل
من الردى وهو الهلاك والسقوط في حفرة القبر والنار بير ولما كان ربما قال المتعنت الجاهل
بما له سبحانه من العظمة التي لا اعتراض لاحد عليه ماله لا ييسر الكل للحسنى استانف جوابه مبينا
ما الزم به نفسه من المصالح تفضلا منه بما له من اللطف والكرم وما يفعله مما هو له من غير نظر الى ذلك
بما له من الجبروت والكبر فقال مؤكدا تنبيها على انه يجب العلم بانه لا حق لاحد عليه اصلا ان علينا
اي على ما لنا من العظمة للهدى اي البيان للطريق الحق واقامة الادلة على ذلك ولما بين ما الزمه
نفسه المقدس فصار كانه عليه لتحتم وقوعه فكان ربما اوهم انه يلزمه شي اتبعه ما ينفيه ويثبت
ان له غاية التصرف فلا يعسر عليه شي اراده فقال وان لنا اي بالها المنكرون خاصا بنا وقدم
ما العناية به اشد لاجل انكاره لا للفاصلة فانه يفيدها مثلا ان يقال للبداية والاخرى فقال
للاخرة والاولى فمن ترك ما بيناه له من طريق الهداية لم يخرج عن كونه لنا ولم يضر الا نفسه ولنا
التصرف التام بما نقيم من الاسباب المقربة للشي جدا ثم بما نقيم من الموانع الموجبة لجعل غاية
البعد فنعطي من نشا ما نشا ونمنع من نشا ما نشا ومن طلب منهما شيا من غيرنا فال رايه وخاب سعيه
وليس التقديم لاجل الفاصلة فقد ثبت بطلان هذا وانه لا يحل اعتقاده في غير موضع منها اخره
سورة براة وانه لا فرق بين ان يعتقد ان فيه شيا موزونا بقصد الوزن فقط ليكون شعرا وان
يعتقد ان فيه شيا قدم واخر لاجل الفاصلة فقط ليكون سجعا على انه لو كان هذا لاجل الفاصلة
فقط لكان يمكن ان يقال للاولى او للاولة والاخرى مثلا ولما اخبر سبحانه انه الزم نفسه
المقدس البيان وان له كل شي المستلزم لاحاطة العلم وشمول القدرة شرح ذلك بما سبب عنه
من قوله لا فتا القول الى تجريد الضمير من مظهر العظمة للترفق بالمخاطبين في تبعيد الوهم وتقريب الفهم
فقال فانذرتكم اي حذرتكم ايها المخالفون للطريق الذي بينته نارا تلظى اي تتقد وتلتهب تلهبا
هو في غاية الشدة من غير كلفة فيه على موقدها اصلا ولا احد من خزنتها بما اشار اليه اسقاط
التا وفي الادغام ايضا اشارة الى ان نار الاخرة كذلك بتصيير انذار ما تلظى منه وما فوق ذلك
من باب الاولى ولما كان قد تقدم غير مرة تخصيص كل من المحسن والمسي بداره بطريق الحصر
انكارا لان يسوى محسن بمسي في شي وكان الحصر بلا والا اصرح انواعه فقال لا يصلاها اي يقاسي
شدتها على طريق اللزوم والانغماس الا الاشقى اي الذي هو في الذروة من الشقاوة وهو الكافر
فان الفاسق وان دخلها لا يكون ذلك له على طريق اللزوم ولذلك وصفه بقوله الذي كذب
اي افسد قوته العلمية بان اوقع التكذيب بما حقه التصديق وتولى اي افسد قوته العملية
بان اعرض عن الحق تكبرا وعنادا فلم يوت ماله لزكاته وسيجنبها اي النار الموصوفة بوعد
لا خلف فيه عن قرب بما افهمته السين من التاكيد مع التنفيس وتجنيبه له في غاية السهولة بما
افهمه البنا للمفعول الاتقى اي الذي اسس قوته العلمية امكن تاسيس فكان في الذروة من رتبة
التقوى وهو الذي اتقى الشرك والمعاصي وهو يفهم ان من لم يكن في الذروة لا يكون كذلك فان

اذ فيه

الفاسق لا يدخلها ثم يخرج منها ولا بنا في الحصر السابق ولما ذكر ما يتعلق بالقوة العلمية اتبعه
ما ينظر الى القوة العملية فقال الذي يؤتي ماله اي يصرفه في مصارف الخير وكذلك بينه
بقوله يتزكى اي يتطهر من الاوضار والادناس بتطهيره لنفسه وتنميتها بذلك الايتا بالبعد عن مساوي
الاخلاق ولزوم محاسنها لانه ما كذب وما تولى فالاية من الاحتباك ذكر التكذيب اولا دليلا على
حذف ضده ثانيا وايتا المال ثانيا دليلا على حذف ضده اولا ولما كان الانسان قد يعطي ليزكي
نفسه بدفع ما نيه ومكافاة نعمة قال وما اي والحال انه ما لاحد عنده واغرق في النفي فقال من نعمة
تجزى اي هي مما يحق جزاوه لاجلها ولما نفي ان يكون بذلك بقصد مكافاة قال مبينا قصده باستثنا
منقطع الا اي لكن قصده بذلك ابتغا اي طلب وقصد ولفت القول الى صفة الاحسان اشارة الى
وصفه بالشكر فقال وجه ربه اي الذي اوجده ورباه واحسن اليه بحيث انه لم ير احسانا الا منه ولا
عند شي الا وهو من فضله الاعلى اي مطلقا فهو اعلى من كل شي فلا يمكن ان يعطي احد من نفسه شيا
يقع مكافاة له وعبر عن المنقطع باداة المتصل للاشارة الى ان الابتغا المذكور كانه نعمة ممن اتاه
المال لان الابتغا وهو تطلبه رضي الله كان السبب في ذلك الايتا بغاية الترغيب وقد ال الامر بهذه
العبارة الرشيقة والاشارة الانيقة مع ما اومات اليه من الترغيب واعطته من التحبيب الى ان المعنى
انه لا نعمة عليه في ذلك الا لله وعبر بالوجه اشارة الى ان قصده اعلى المقصود فلا نظر له الا الى ذاته
سبحانه التي عبر عنها بالوجه لانه اشرف الذات وبالنظر اليه تحصل الحيا والرغبة والترهيب لا الى
طلب شي من دنيا ولا اخرة ولما كان هذا مقاما ما ليس فوقه مقام قال تعالى بعد وعده بالانجا من
النار ولسوف يرضى اي باعطا الجنة العليا والمزيد بوعد لا خلف فيه بعد المدة في الحياة الطيبة
بما اشارت اليه اداة التنفيس ولا بدع ان يكون هذا الوعد على هذا الوجه الاعلى لان الاية نزلت
في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالا رضي الله عنه في جماعة من ضعفا المسلمين يوذيهم
المشركون فاعتقهم فبين تعالى انه مطبوع على تزكية نفسه فهو المفلح كما ذكر في الشمس وانه مخلص
لاعطايه الضعفا من الايتام والمساكين واعتاقه الضعفا في كل حال كما ذكر في سورة البلد نقل
البغوي عن الزبير يعني ابن بكار انه قال كان ابو بكر رضي الله عنه يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه
اي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال ما منع ظهري اريد وقال انه اعتق بلالا وام عميس وزنيرة
فاصيب بصرها حين اعتقها فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت
الله ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله عليها بصرها واعتق النهدية وابنتها وجارية بني
المومل وقال انه اشترى بلالا من امية بن خلف استنقاذا له مما كان فيه من العذاب بعبد كان
لابي بكر رضي الله عنه كان ذلك العبد صاحب عشرة الاف دينار وغلمان وجواري ومواشي وكان
مشركا فلما اشتراه به واعتقه قال المشركون ما فعل هذا ببلال الا ليد كانت لبلال عنده يعني فانزل
الله ذلك تكذيبا لهم ومن ابدع الاشيا تعقيبها بالضحى التي هي في النبي صلى الله عليه وسلم ودينها
ولسوف يعطيك ربك فترضى اشارة الى انه اقرب امته الى مقامه صلى الله عليه وسلم ما عدا عيسى
صلى الله عليه وسلم لانه الاتقى بعد النبيين مطلقا والى ان خلافته حق لا مرية فيه لانه مما وعد النبي
صلى الله عليه وسلم انه يرضيه وانه لا يرضيه غيره كما انه ارضاه خلافته له في الصلاة ولم يرضه
غيره حين نهى عن ذلك بل زجر لما سمع قراة غيره وقال يابى الله والمومنون الا ابا بكر رضي الله عنه
وقد رجع اخرها على اولها بان سعي هذا الصديق رضي الله عنه مباين اتم مباينة لسعي ذلك الاشقى
وقال بعضهم ان المراد بذلك الاشقى ابو جهل وايضا فان هذا الختم دال على ان من صفى نفسه

وذكاها بالتحلي بالنور المعنوي من انارة ظلام الليل بما يحليه به من ضيا القيام وغير ذلك من انواع
الخير يرضي بالنور الحسي بعد الموت والله الموفق

مقصودها الدلالة علي آخر الليل بان اتقي الانقيا الذي هو الاتقي علي الاطلاق في عين الرضا دايما
لا ينفك عنه في دنيا ولا اخره لما تحلي به من صفات الكمال التي هي للايصال للمقصود بما لها من النور
المعنوي كالضحي بما له من النور الحسي الذي هو اشرف ما في النهار وقد علم بهذا ان اسمها
ادل ما فيها علي مقصودها بسم الله المعز لمن اراد الكريم البر الودود ذي الجلال والاكرام
الرحمن الذي عم بنعمته الخاص والعام الرحيم الذي اعلي اهل وده فخصهم باتمام الانعام لما
حكم في آخر الليل باسعاد الاتقي وكان النبي صلي الله عليه وسلم اتقي الخلق مطلقا وكان قد قطع
عنه الوحي حينا ابتلا لمن شا من عباده وكان صلي الله عليه وسلم صلاح الدنيا والاخرة وكان
الملوان سبب صلاح معاش الخلق وكثير من معادهم اقسم سبحانه بهما علي انه اسعد الخلايق دنيا
وآخرة فقال مقدما ما يناسب حال الاتقي الذي قصد به ابو بكر رضي الله عنه قصدا اوليا من
النور الذي يملا الاقطار ويمحو كل ظلام يرد عليه ويصل اليه منهما بما ذكر من وقت الضيا اللايح
حاله اول النهار وآخر الليل بسابها ساق النهار عند الاسفار والضحي فذكر ما هو الطف النهار
واشرفه وهو زهرته واضواه وهو صدره وذلك وقت ارتفاع الشمس لان المقسم لاجله اشرف
الخلايق وذلك يدل علي انه يبلغ من الشرف ما لا يبلغه احد من الخلق ولما ذكر النهار
باشرف ما فيه مناسبة لاجل المقسم لاجله اتبعه الدليل مقيدا له بما يفهم اخلصه لانه ليس لاشرف
ما فيه اسم يخصه فقال والليل اي الذي به تمام الصلاح ولما كان اوله واخر النهار
وآخره واول النهار ضوءا ممتزجا بظلمة لا التفاف ساق الليل بساق النهار قيد بالظلام الخالص فقال
اذا سجي اي سكن اهله اوركد ظلامه والباسه وسواده واعتدل فخلص فغطي بظلامه كل شي
والمسجي المغطي ومع تغطيته سكنت ريحه فكان في غاية الحسن ويمكن ان يكون الاول مشيرا
الي ما ياتي به هذا الرسول صلي الله عليه وسلم من المحكم والثاني مشيرا الي المتشابه وهذه
الاربعة احوال للنور والظلمة وهي ضوء ممتزج بظلمة وظلمة ممتزجة بضوء وضيا خالص وظلام خالص
الحاصلة في الافاق في الانسان مثلها فروحه نور خالص وطبعه ظلام حالك وقلبه نور ممتزج بظلمة
النفس والنفس ظلمة ممتزجة بنور القلب فان قويت شهوة النفس علي نورانية القلب اظلم جميعه وان
قويت نورانية القلب علي ظلمة النفس صار نورانيا وان غلبت الروح علي الطبع تروحن فارتفع عن
رتبة الملكية وان غلب الطبع علي الروح انزله عن رتبة البهايم كما قال تعالي ان هم الا كالانعام بل هم
اضل سبيلا ولما اقسم بهذا القسم المناسب لحاله صلي الله عليه وسلم اجابه بقوله ما ودعك
اي تركك تركا يحصل به فرقة كفرقة المودع ولو علي احسن الوجوه الذي هو مراد المودع ربك اي الذي
احسن اليك بايجادك اولا وجعلك اكمل الخلق ثانيا ورباك احسن تربية ثالثا كما انه لا يمكن توديع
الليل للنهار بل لضحي النهار الذي هو اشد ضيايه ولا يمكن توديع الضحي للنهار ولا الليل وقت سجوه
لليل ولما كان ربما تعنت متعنت فقال ما تركه ولكنه لا يحبه تكم من مواصل وليس بواصل
قال نافيا لكل ترك وما قلي اي وما ابغضك بغضا ما وحذف الضمير اختصارا لفظيا ليعم فهو من تقليل
اللفظ لتكثير المعني وذلك لانه كان انقطع الوحي عنه مدة لانهم سالوه عن الروح وقصة اهل الكهف وذي

القرينين

القرنين فقال اخبركم بذلك غدا ولم يستثن فقالوا قد ودعه ربه وقلاه فنزلت لذلك ولما نزلت كبر
صلي الله عليه وسلم فكان التكبير وفيما بعدها سنة كما ياتي ايضاحه وحكمته آخرها وقد فهمت
هذه العبارة ان المراتب التقريبية اربعة تقريب بالطاعات ومحبة وهي للمومنين وابعاد بالمعاصي
وبغض وهي للكفار وتقريب بالطاعات مخلوط بتبعيد بالمعاصي وهي لعصاة المومنين واعراض مخلوط
بتصور طاعات لا قبول لها وهي لعباد الكفار وقال الاستاذ ابو جعفر بن الزبير لما قال تعالي فالهمها
فجورها وتقواها ثم اتبعه بقوله فسنيسره وبقوله ان علينا للهدي وان لنا للاخرة والاولي فلزم الخوف
واشتد الفزع وتعين علي الموحد الاذعان للتسليم والتضرع والتجاوه الي السميع العليم آنس تعالي
احب عباده اليه واعظمهم منزلة لديه وذكر له ما منحه من تقريبه واجتبايه وجمع خيري الدارين
له فقال والضحي والليل اذا سجي ما ودعك ربك وما قلي وللاخرة خير لك من الاولي ثم عدد تعالي
عليه نعمه بعد وعد الكريم له بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضي واعقب ذلك بقوله فاما اليتيم
فلا تقهر واما السايل فلا تنهر فقد آويتك قبل تعرضك واعطيتك قبل سوالك فلا تقابله بقهر من
تعرض وانتهار من سال وقد حاشاه سبحانه عما نهاه عنه ولكنه تذكير بالنعم وليستوضح الطريق
من وفق من امته صلي الله عليه وسلم اما هو صلي الله عليه وسلم فحسبك من تعرف رحمته ورفقه وكان
بالمومنين رحيما عزيز عليه ما عنتم الي رحيم ثم تامل استفتاح هذه السورة ومناسبة ذلك المقصود
وكذلك السورة قبلها برفع القسم في الاولي بقوله والليل اذا يغشي تنبيها علي ابهام الامر في السلوك علي
المكلفين وغيبة حكم العواقب وليناسب هذا حال المتذكر بالايات وما يلحقه من الخوف مما امره غايب
عنه من تيسيره ومصيره واستغصامه به يحصل اليقين واستشعار درجات المتقين ثم لما لم يكن هذا
غايبا بالجملة عن آحاد المكلفين اعني ما يثمر العلم اليقين ويحلي من اهل للترقي في درجات المتقين بل قد يطلع
سبحانه خواص عباده بملازمة التقوي والاعتبار علي واضحة السبيل فيريهم مشاهدة وعيانا ما قد
استبحوا قبل سبيله بمشقة النظر في الدليل قال صلي الله عليه وسلم لحارثة وجدت فالزم وقال مثله للصديق
وقال تعالي لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الاخرة ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملايكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياوكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة
فلم يبق في حق هولاء ذلك الابهام ولا كدر خواطرهم بتكاثف ذلك الاظلام بما منحهم سبحانه من نعمة الاحسان
بما وعدهم سبحانه في قوله يجعل لكم فرقانا ويجعل لكم نورا تمشون به اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا
له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها فهولاء علي بصيرة واستولوا اجتهادا
بتوفيق ربهم علي اعمال جليلة فقطعوا عن الدنيا الآمال وتاهبوا لآخرتهم باوضح الاعمال تتجافي جنوبهم عن
المضاجع فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فلا ابتدا الامر وشدة الابهام والاظلام ما
اشار قوله سبحانه والليل اذا يغشي ولما تووول اليه الحال في حق من كتب في قلبه الايمان وايده بروح
منه اشار قوله سبحانه والنهار اذا تجلي ولا تحصا د السبيل وان تشعبت في طريقي فمنكم كافر ومنكم مومن
فريق في الجنة وفريق في السعير اشار قوله تعالي وما خلق الذكر والانثي ومن كل شي خلقنا زوجين ففروا
الي الله الواحد مطلقا فقد وضح لك ان شا الله بحسن ما يسر من تخصيص هذا القسم والله اعلم اما سورة
والضحي فلا اشكال في مناسبة استفتاح القسم بالضحي لما يسره به سبحانه لا سيما اذا اعتبر ما ذكر من
سبب نزول السورة وانه صلي الله عليه وسلم كان قد فتر عنه الوحي حتي قال بعض الكفار قلي محمد
ربه فنزلت السورة مشعرة عن هذه النعمة والبشارة انتهي ولما ذكر حاله في الدنيا بانه لا يترك
مواصله بالوحي والكرامة وفيه ما هو مفتوح علي امته من بعده روي عن انس رضي الله عنه انه قال

سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول اريت ما هو مفتوح علي امتي من بعدي كفرا كفرا فسرني
ذلك فلما كان ذلك وكان ذكره علي وجه شمل الدارين صرح بالاخرة التي هي اعلي واجل ولا ادني
من يدخلها فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر فكيف بما له صلي الله عليه
وسلم فقال مؤكدا لذلك كما اكد الاول بالقسم لما لهم فيه من الانكار وللآخرة اي التي هي المقصود
من الوجود بالذات لانها باقية خالصة عن شوايب الكدر او الحالة المتاخرة لك ليفهم منه انه
لا يزال في ترق من علي الي اعلي وكامل الي اكمل دايما ابدا الا الي نهاية خير وقيد بقوله لك لانه ليس
كل احد كذلك من الاولي اي الدنيا الفانية التي لا سرور فيها خالص كما ان النهار الذي هو
بعد الليل خير منه واشرف ولاسيما الضحي منه وقد افهم ذلك ان الناس علي اربعة اقسام
منهم من له الخير في الدارين وهم اهل الطاعة الاغنيا ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة
الفقرا ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الاخرة وهم الكفرة الاغنيا ومنهم من له صورة
شر في الدنيا وخير في الاخرة وهم المؤمنون الفقرا ولما ذكر سبحانه الدنيا والآخرة
ذكر ما يشملهما مما زاده من فضله فقال مصدرا بحرف الابتدا تاكيدا للكلام لانهم ينكرونه وليست
للقسم لانها اذا دخلت علي المضارع لزمته النون المؤكدة وضم هذه اللام الي كلمة التنفيس للدلالة
علي ان العطا وان تاخر لحكمة كاين لا محالة ولسوف يعطيك اي بوعد لا خلف فيه وان تاخر
وقته بما افهمته الاداة ربك اي الذي لم يزل يحسن اليك فترضي اي فيتعقب علي ذلك ويتسبب
عن رضاك وهذا شامل لما منحه بعد كمال النفس من كمال العلم وظهور الامر واعلا الدين
وفتح البلاد ودينونة العباد ونقض ممالك الجبابرة وانهاب كنوز الاكاسرة والقياصرة واحلال
الغنايم حتي كان يعطي عطا من لا يخاف الفقر وشامل لما اخره سبحانه له في الاخرة من المقام
المحمود والحوض المورود الي غير ذلك مما لا يدخل تحت الحدود وقد افهمت العبارة ان الناس
اربعة اقسام معطي راض وممنوع غير راض ومعطي غير راض وممنوع راض وعن علي رضي الله
عنه انها ارجا اية في القران لانه صلي الله عليه وسلم لا يرضي وواحد من امته في النار ولما
وعد بانه لا يزال في كل لحظة يرقيه في مراقي العلي والشرف ذكره بما رقاه به قبل ذلك من حين
توفي ابوه وهو حمل وماتت امه وهو ابن ثمان سنين فتم يتمه من الابوين قبل بلوغه ليلا يكون
عليه كما قال جعفر الصادق حق لمخلوق فقال مقررا له الم يجدك اي يصادفك اي ليفعل بك فعل
من صادف آخر حال كونه يتيما فآوي ولما كان يلزم من اليتم في الغالب عدم العلم
لليتيم لتهاون الكافل ومن عدم العلم الضلال قال مبينا ان يتمه واهماله من الحمل علي دينهم
كان نعمة عظيمة عليه لانه لم يكن علي دين قومه في حين من الاحيان اصلا ووجدك اي صادفك
ضالا اي لا تعلم الشرايع ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فاطلق اللازم وهو الضلال علي
الملزوم والمسبب علي السبب وهو عدم العلم فكنت لاجل ذلك لا تقدم علي فعل من الافعال لانك
لا تعلم الحكم فيه الا ما علمت بالعقل الصحيح والفطرة السليمة المستقيمة من التوحيد وبعض توابعه
وهذا هو اللغوي كما تقدم في الفاتحة ولم يرد به حقيقته وانما اعراه من التعلق بشي من الشرايع
ونحوها باعدام من يحمله علي ذلك ليفرغه ذلك للتامل بنفسه فيوصله بعقله السديد الي الاعتقاد
الحق في الاصول والوقوف في الفروع فهدي اي فهداك هدي محيطا بكل علم فعلمك بالوحي
والالهام والتوفيق للنظر ما لم تكن تعلم ولما كان العيال يمنعون من التفرغ لعلم او غيره قال
ووجدك اي حال كونك عايلا اي ذا عيال لا تقدر علي التوسعة عليهم او فقيرا قال ابن القطاع

عال الرجل افتقر او عال كثر عياله فاغني بما جعل لك من ربح التجارة ثم من كسب الغنايم وقد
افهم ذلك ان الناس اربعة اقسام منهم من وجد الدين والدنيا ومنهم من عدمهما ومنهم من وجد
الدين لا الدنيا ومنهم من وجد الدنيا لا الدين ولما ذكره بما انعم عليه به من هذه النعم الثلاث
اوصاه بما يفعل في ثلث مقابلة لها فقال مسببا عنه مقدما معمول ما بعد الفا عليها اهتماما به
فاما اليتيم اي هذا النوع فلا تقهر اي تغلبه علي شي فانما اذاقك اليتم تاديبا باحسن الادا
لتعرف ضعف اليتيم وذله وفوق ذلك كفالته وهي خلافة عن الله لان اليتيم لا كافل له الا الله
ولهذا قال صلي الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين السبابة والوسطي ولما بدا بما كان مبدا
له ثني بما هو نهاية له من حيث كونه يصير راس الخلق فيصير محط الرحال في كل سوال من علم ومال
فقال مقدما له اهتماما به اشارة الي ان جبر الخواطر واستيلاف الخلق من اعظم المقاصد في اتمام
الدين واما السايل اي الذي احوجته العيلة او غيرها الي السوال فلا تنهر اي تزجر زجرا
تهيبا فقد علمت مضاضة العيلة بل اعطه ولو قليلا او رده ردا جميلا وكذا السايل في العلم ولما
ذكر له تفصيل ما يفعل في اليتيم والفقير والجاهل امره بما يفعل في العلم الذي اتاه اياه اعلاما
بانه الالة التي يستعملها في الامرين الماضيين وغيرهما لانها اشرف احوال الانسان وهي اوفق الامور
لان تكون مقطع السورة ليوافق مطلعها فقال واما بنعمة ربك اي الذي احسن اليك باصلاح
جميع ما يهمك من العلم وغيره وبالهجرة ومباديها عند تمام عدد آيها من السنين وهي احدي
عشرة فحدث اي فاذكر النبوة وبلغ الرسالة فاذكر جميع نعمه عليك فانها تعم علي الخلق كافة
ومنها انقاذك بالهجرة من ايدي الكفرة واعزازك بالانصار وتحديثك بها شكرا فانك مرشد يحتاج
الناس الي الاقتدا بك ويجب عليهم ان يعرفوا لك ذلك ويعرفوا مقدارك ليؤدوا حقك فحدثهم
اني ما ودعك وما قليتك ومن قال ذلك فقد خاب وافتري واشرح لهم تفاصيل ذلك بما وهبتك
من العلم الذي هو اضوا من ضيا الضحي وقد رجع آخرها علي اولها بالتحديث بهذا القسم
والمقسم لاجله وما للملك الاعلي في ذلك من عميم فضله ولقد امتثل صلي الله عليه وسلم وابتدا هذا
التحديث الذي يشرح الصدور ويملا الاكوان من السرور والنعمة والحبور لانه باكبر النعم
المزيلة لكل النقم بالتكبير كما ورد في قراة ابن كثير وفي رواية السوسي عن ابي عمرو واختلف القرا
في ابتدايه وانتهايه ولفظه فقال بعضهم هو من اول الضحي وقال آخرون من آخرها وقال غيرهم
من اول الشرح فمن قال للاول لم يكبر اخر الناس ومن قال للآخر انتهي تكبيره بالتكبير في آخرها
وسببه ان جبريل عليه السلام لما اتي النبي صلي الله عليه وسلم بعد فترة الوحي فتلا السورة عليه
كبر مسرورا لما كان احزنه من الفترة ومن قول المشركين قلاه ربه وقدمنا بالنعم التي حباه
الله بها في هذه السورة له ولامته امتثالا لما امر به واختلف عنهم في لفظه فمنهم من اقتصر علي الله
اكبر ومنهم من زاد التهليل فقال لا اله الا الله والله اكبر ومنهم من زاد ولله الحمد والراجح قول
من قال انه لآخر الضحي اسنادا ومعني لانها وان كانت هي السبب والعادة جارية بان من دهمه
امر عظيم يكبر مع اوله لكن شغله صلي الله عليه وسلم بالاصغا الي ما يوحي اليه منعه من ذلك فلما ختمت
السورة تفرغ له فكان ذلك الوقت كانه ابتدا مفاجاة الامر العظيم له وزاد ما في السورة من
جلايل النعم المقتضية للتحميد وما في ذلك من بدايع الصنع الموجب للتهليل وقد علم بذلك سبب
من ظنه في اولها واما من ظنه لاول الشرح فكونه كان في آخر الضحي فاذا وصل بها الم نشرح التبس
الحال وتعليق الاشيا بالاوايل هو الامر المعتاد وحكمته مع ما مضي من سببه ان التهليل توحيد

سبحانه بالامر وامتناع شريك يمنعه من شي يريده من الوحي وغيره والتكبير تعريض بالكبريا تنزيها
له عن شوب نقص يلم به عن ان يتجدد له علم ما لم يكن ليكون ذلك سببا لقطع من وصله بوحي
او غيره والتحميد اثبات التفرد بالكمال له علي اسباغ نعمه • وفي ذلك ان هذه السور اذنت
بان القرآن اشرف علي الختام لان عادة الحكما من المدبرين تخفيف المنازل في الاواخر علي السايرين
لتخفيف اول مرحلة رفقا بالمقصرين فناسب الذكر بهذا عند الاخر لان تذكر الانقضا يهيج
مثل ذلك عند السالك • ولان تقصير السور ربما اوهم شيا مما لا يليق فسن التنزيه بتكبيره
سبحانه عن كل ما يوهم نقصا واثبات الكمال له بالتوحيد منبه علي الحث علي تدبر ما في هذه
السور من الجمع للمعاني علي وجازتها وقصر اياتها وحلاوتها مع ما في ذلك من تخفيف التعليم والتدريب
علي الحفظ في المبادي والتحبيب فيه والتهييم والتمجيد علي اتمام النعمة علي غاية الاحكام من لدن حكيم عليم

مقصودها تفصيل ما في آخر الضحي من النعمة وبيان ان المراد بالتحديث بها هو شكرها بالنصب
في عبادة الله والرغبة اليه بتذكر احسانه وعظيم رحمته بوصف الربوبية وامتنانه وعلي ذلك دل
اسمها الشرح **بسم الله** الذي جل امره وتعالي جده فعظم ماله من انعام **الرحمن** الذي افاض
جوده علي ساير خلقه لانه ذو الجلال والاكرام **الرحيم** الذي اعلي اهل حضرته بخاص رحمته في
مقامات الاختصاص الي اعلي مقام **لما** امره صلي الله عليه وسلم آخر الضحي بالتحديث بنعمته
فصلها في هذه السورة فقال مثبتا لها في استفهام انكاري مبالغة في اثباتها عند من ينكرها والتقرير
بها مقدما بها المنة بالشرح في سورته قبل الاعلام بالمغفرة كما فعل ذلك في سورة الفتح الذي هو
نتيجة الشرح لتكون البشارة بالاكرام والالتفات القول الي مظهر العظمة تعظيما للشرح **الم نشرح**
اي شرحا يليق بعظمتنا **لك** اي خاصة • **ولما** عين المشروح له فكان المشروح مبهما فزاد تشوف
النفس اليه ليكون اضخم له بنية ليكون بيانا بعد ابهام فيكون اعظم في التنويه به واحل في التعريف
بامره فقال **صدرك** اي نسره ونفرجه بالهجرة فان هذه السورة مدنية عند ابن عباس رضي الله
عنهما ونجله ونعظمه ونخرج منه قلبك ونشقه ونغسله ونملاوه ايمانا وحكمة وعلما ورحمة فانفسح
جدا حتي وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان مع الحق بعظمته وارتفاعه ومع الخلق بعفو انواره
وشعاعه وقد كان هذا الشرح حقيقة مرارا وكان مجازا ايضا باحلال جميع معانيه وكل ذلك علي
ما لا يدخل تحت الوصف ولا يعبر لكم عنه باكثر من انه شق بعظمتنا فالعلم الذي شق به معرفة الله
والدار الاخرة والدين والدنيا والحكمة التي ذرت فيه هي وضع الشي في محله واعطا كل ذي
حق حقه • **وقرا** ابو جعفر المنصور الم نشرح وخرجها ابن عطية علي التاكيد بالنون الخفيفة ثم
ابدال الف من النون ثم حذف النون تخفيفا وابو حيان بان اللحياني حكي في نوادره عن بعض العرب
النصب بلم والجزم بلن وسره هنا ان الفتح في اللفظ مناسب غاية المناسبة للشرح ووجه قراة
الجمهور انه لما دل علي الفتح بالشرح دل بالجزم علي انه مع ذلك رابط لما اودعه من الحكم ضابط له
هاد بما فيه من رزانة العلم ووقار التقي والحلم قال ابن برجان ففرق ما بين النبي والولي
في ذلك ان النبي شرح صدره ظاهرا فاطلع علي ظاهره والولي شرح ذلك منه باطنا فعلي به باطنا
فالكافر ضيق ذلك منه داني بظلمته وحظوظ الشيطان منه فهو لا يستطيع قبول الهداية ولا
الصعود في معارج العبرة الا علي مقدار ما يستطيع الصعود في السما كذلك يجعل الله الرجس علي

الذين

الذين لا يومنون الايات • **ولما** كانت سعة الصدر بالعلم والحكمة هي الجمال باجتماع المحاسن وكان
ذلك مع حمل ما يعني من اعظم النكد وكان الجمال بجمع المحاسن لا يكمل الا اذا جمع الي الجمال الجلال بانتفا
الرذايل وكان الاستفهام الانكاري اذا اجتمع مع النفي صار اثباتا لانه نفي للنفي قال عاطفا عليه
ما لا يعطف الا مع الاثبات **ووضعنا** اي حططنا واسقطنا وابطلنا حطا لا رجعة له ولا فيه بوجه
بما لنا من العظمة تجاوزا **عنك وزرك** اي حملك الثقيل الذي لا يستطاع حمله ولذلك وصفه بقوله
الذي انقض ظهرك اي جعله وهو عماد بدنك تصوت مفاصله من الثقل كما يصوت الرحل الجديد
اذا الذ بالحمل الثقيل وذلك هو ما دهمه عند ما امر بانذار قومه ومعاجاتهم بما يكرهون من عيب دينهم
وتضليل ابايهم وتسفيه حلومهم في التدين بدين لا يرضاه ادني العقلا اذا تامل شيا من تامل مع التجرد
من حظوظ النفس مع ما عندهم من الانفة والحمية والقا الانفس في المهالك لادني غضب فقال يا رب اذن
تبلغوا شي فيدعوه خيرة فخفف سبحانه ذلك عنه بما اظهر له من الكرامات وايده به من المعجزات وضمن
له من الحماية الي امور لا تحيط بها علما الا الذي ايده بها علما حتي خف ذلك عليه فصار اشفق اهله عليه
يمنعه من بعض الابلاغ ويمسك بثوبه لئلا يخرج الي الناس فيقول لهم ذلك فيحصل له ما يكره فيجذب
نفسه منه ويخرج اليهم فيخبرهم كما وقع في امر الاسرا وغيره • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو ان جبريل
عليه السلام شق صدره فاخرج منه قلبه فشرحه واخرج منه علقة سودا فانقاه وغسله ثم ملاه
علما وايمانا وحكمة يعني فصار يحتمل ما لا يحتمل غيره وخف عليه ما يثقل علي غيره ولا شك ان ذلك وزر
لغوي وهو واضح وشرعي بالمال علي تقدير ترك الامتثال اللازم للاستثقال • **وقد** اعاذه الله
من ذلك • وقال الاستاذ ابو جعفر بن الزبير معني هذه السورة من معني السورة قبلها وحاصل السورتين
تعداد نعمه عليه سبحانه • **فان قلت** فلم فصلت سورة الم نشرح ولم يسبق ذكر هذه النعم في سورة
واحدة **قلت** من المعهود في البشر فيمن عدد علي ولده او عبده نعما ان يذكر له اولا ما شاهده
الحصول عليه منها بسببه مما يمكن ان يتعلق في بعضها بان ذلك وقع جزا لا ابتدا فاذا استوفي له ما قصده
من هذا ابتعد بذكر نعم ابتدايية قد كان ابتداه بها قبل وجوده كقول الاب مثلا لابنه الم اختر لاجلك
الام والنفقة حيث استولدتك واعددت من مصالحك كذا وكذا **ونظيره** مما اشرنا اليه قوله سبحانه
لزكريا عليه السلام ولم تك شيا وقد قدم له انا نبشرك بيحيي وتوهم استبعادا الكسبية في وجود الولد
غير خافية في حق من قصر نظره ولم يوقف فابتدي بذكرها ثم اعقب بما لا يمكن ان يتوهم فيه ذلك وهو قوله
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا ولها نظاير من الكتاب وعليه جا ما ورد في هاتين السورتين والله
اعلم انتهي • **ولما** شرفه في نفسه بالكمال الجامع للجمال الي الجلال وكان ذلك لا يصفو الا مع الشرف
عند الناس قال **ورفعنا** اي بما لنا من العظمة **لك** اي خاصة رفعة تتلاشي عندها رفعة غيرك من
الخلق **ذكرك** عند جميع العالمين العقلا وغيرهم بالصدق والامانة والحلم والرزانة ومكارم
الاخلاق وطهارة الشيم وانتفا شوايب النقص حتي كانت شهرتك عند قومك قبل النبوة انك الامين
وكانوا يضربون المثل بشمايلك الطاهرة واوصافك الزاهرة الباهرة ثم بالنبوة ثم بالرسالة
ثم بالمعجزة وبان جعلنا اسمك مقرونا باسمنا في كلمة الايمان والاذان والاقامة والتشهد والخطبة
فلا اذكر الا ذكرت معي ومن الكرامة الظفر علي اعدايك والكرامة لاوليايك وجعل رضاك رضاي
وطاعتك طاعتي وامر ملايكتي بالصلاة عليك ومخاطبتي لك بالالقاب العلية والسمات المعززة المعلية
من الرسول والنبي ونحو ذلك علي حسب الاساليب ومناسبات التراكيب الي غير ذلك من فضايل
ومناقب وشمايل لا تنضبط بالوصف • **قال الرازي** ثم جعل لامته من ذلك اوفر الحظ قيل يا رسول الله

من أوليآ الله قال الذين اذا ذكروا ذكر الله و في حديث الذين اذا رؤا ذكر الله وقال خياركم
من تذكركم الله رؤيته و يزيد في علمكم منطقه ويزهدكم في الدنيا عمله فمنتهي قسمة الثنا ان خلط ذكره
بذكره • ولما ذكر هذه المآثر الشريفة التي هي الكمال و كان الكمال لا يصفو الا مع مساعدة
الاقدار فان الهم اذا عظمت اتسعت مجالاتها فاذا حصل فيها تعطل حصل نكد علي حسبه بين انه
ازال عنه العوايق في عبارة دالة علي ان سبب المحنة بهذه الكمالات هو ما كان صلي الله عليه
وسلم فيه من الصبر علي الاكدار وتجرع مرارات الاقدار فقال مؤكدا ترغيبا في حمل مثل ذلك
رجا في الاثابة بما يليق من هذه المعالي مبالغا في الحث علي تحمله بذكر المعية اشارة الي تقارب
الزمنين بحيث انهما كانا كالمتلاصقين مسببا عما مضي ذكره من حاله في الضحي فان اي فعل بك
سبحانه هذه الكمالات الكبار بسبب انه قضي في الازل قضا لا مرد له ولا معقب لشي منه ان
مع العسر اي هذا النوع خاصة يسرا اي عظيما جدا يجلب به المصالح ويسرح به ما كان قبله
من القرايح فان اهل البلا ما زالوا ينتظرون الرخا علما منهم بالفطرة الاولي التي فطر الناس عليها انه
المتفرد بالكمال وانه الفاعل بالاختيار لنسبة الكواين باضدادها • وقد اجري سنته القديمة
سبحانه بان الفرج مع الكرب فلما قاسي صلي الله عليه وسلم مما ذكره في الضحي من اليتم الشديد
وضلال قومه العرب خاصة كلهم الذين الهمه الله مخالفته في اصل الدين بتجنب الاوثان وفي
فرعه في الوقوف مع الناس في الحج في عرفة موقف ابراهيم عليه السلام ومن العيلة ما لم يحمله احد
حتي كان بحيث يمتن سبحانه عليه بانقاذه منه في كتابه القديم وذكره الحكيم • وكان مع تحمل ذلك
قايما بما يحق له من الصبر ويعلو الي معالي الشكر فيحمل كما قالت الصديقة الكبري خديجة رضي الله
عنها الكل ويقري الضيف ويصل الرحم ويعين علي نوايب الحق ثم حمل اعبا النبوة فكان يلقي من
قومه من الاذي والكرب والبلا ما لا يحمله غيره بشره الله تعالي بانه يتيسر له جميع ذلك ويلين قلوبهم
علي الدين كله ويغني اصحابه رضي الله عنهم بعد عيلتهم ويكثرهم بعد قلتهم ويعزهم بعد ذلتهم
ويصير هولا المخالفون له اعظم اعضاد وينقاد له المخالف اتم انقياد وتفتح له اكثر البلاد
ليكون هذا العطا بحسب ما كان في اليسر بحسب ما كان وقع من العسر فانه قد قضي سبحانه قضا
لا يرتد انه يخالف بين الاحوال دليلا قاطعا علي انه وحده الفعال وانه يفعله بالاختيار لا بالذات
والاجبار • ولما كان العسر مكروها الي النفوس وكان لله سبحانه فيه حكما عظيمة وكانت
الحكم لا تترآي الا للافراد من العباد كرر سبحانه علي طريق الاستيناف لجواب من يقول وهل بعده
من عسر مؤكدا له ترغيبا في امره ترقبا لما يتسبب عنه مبشرا بتكوره مع وحدة العسر وان كان
حمل كل واحد منهما علي شي غير ما قصد به الآخر ممكنا فقال ان مع العسر اي المذكور فانه معرفة
والمعرفة اذا اعدت معرفة كانت عين الاولي سوآ اريد العهد او الجنس يسرا اي آخر لدفع المضا
والمكاره • فان النكرة اذا اعيدت نكرة احتمل ان يكون غير الاولي • وقد قال النبي صلي الله عليه
وسلم انها غيرها فقال الحسن البصري ان الاية لما نزلت قال صلي الله عليه وسلم اتاكم اليسر
لن يغلب عسر يسرين • وقد روي هذا من اوجه كثيرة فروي عبد الرزاق عن ابن مسعود رضي
الله عنه قال لو كان العسر في جحر ضب لتبعه اليسر حتي يخرجه وللطبراني عنه رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتي يخرجه ثم قراه
رسول الله صلي الله عليه وسلم الاية قال الحافظ نور الدين الهيثمي وفيه ابو مالك النخعي
وهو ضعيف ورواه الطبراني ايضا في الاوسط والبزار عن انس رضي الله عنه بنحوه قال الهيثمي

وفيه

وفيه عايذ بن شريح وهو ضعيف • وروي الفرا عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان النبي صلي الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين
وروي عبد الرزاق عن معمر عن ايوب عن الحسن به مرسلا • ومن طريقه اخرجه الحاكم والبيهقي
في الشعب • ورواه الطبراني من طريق ابي ثور عن معمور ورواه ابن مردويه من طريق اخري موصولا
واسناده ضعيف وفي الباب عن عمر ذكره مالك في الموطا عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر رضي الله
عنه انه بلغه ان ابا عبيدة رضي الله عنه حصر بالشام فكتب اليه كتابا فيه ولن يغلب عسر يسرين
ومن طريقه رواه الحاكم قال ذلك شيخنا ابن حجر في تخريج احاديث الكشاف وقال وهذا اصح
طرقه انتهي • وهذا من جهة ان اليسر نكرة والعسر معرفة • وقد اشتهر ان النكرة اذا اعيدت
نكرة فالثاني غير الاول والمعرفة بالعكس • قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في اوايل التلويح في
تقسيم الكلام علي المعرفة والنكرة والكلام فيما اذا اعيد اللفظ الاول اما هو مع كيفيته من التذكير والتعريف
او بدونها وحينيذ يكون طريق التعريف هو اللام او الاضافة ليصح اعادة المعرفة نكرة وبالعكس
وتفصيل ذلك ان المذكور اولا اما ان يكون نكرة او معرفة وعلي التقديرين اما ان تعاد نكرة او معرفة
فتصير اربعة اقسام وحكمها ان ينظر الي الثاني فان كان نكرة فهو مغاير للاول والا لكان المناسب
هو التعريف بنا علي كونه معهودا سابقا في الذكر ان كان معرفة فهو الاول حملا له علي المعهود الذي
هو الاصل في اللام او الاضافة وذكر في الكشف انه اذا اعيدت النكرة نكرة فالثاني مغاير للاول
والا فعينه لان المعرفة تستغرق الجنس والنكرة تتناول فيكون داخلا في الكل سوا قدم او اخر وفيه
نظر اما اولا فلان التعريف لا يلزم ان يكون للاستغراق بل العهد هو الاصل وعند تقدم المعهود
لا يلزم ان تكون النكرة عينه • واما ثانيا فلان معني كون الثاني عين الاول ان يكون المراد به هو
المراد من الاول والجز بالنسبة الي الكل ليس كذلك واما ثانيا فلان اعادة المعرفة نكرة مع مغايرة
الثاني للاول كثير في الكلام قال الله تعالي ثم اتينا موسي الكتاب الي قوله وهذا كتاب انزلناه
وقال تعالي اهبطوا بعضكم لبعض عدو وقال تعالي ورفع بعضكم فوق بعض درجات الي غير
ذلك وقال غيره يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا ومنه قول الشاعر اذا الناس ناس والزمان
زمان • فان الثاني لو كان عين الاول لم يكن في الاخبار به فايدة انتهي • قال واعلم ان المراد
ان هذا هو الاصل عند الاطلاق وخلو المقام عن القراين والا فقد تعاد النكرة نكرة مع عدم المغايرة
كقوله تعالي وهو الذي في السما اله وفي الارض اله ولولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله
قادر علي ان ينزل اية ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يعني قوة
الشباب ومنه باب التاكيد اللفظي وقد تعاد النكرة معرفة مع المغايرة كقوله تعالي وهذا
كتاب انزلناه مبارك الي قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب علي طايفتين من قبلنا وقال غيره فلا جناح
عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير المراد بالنكرة خاص وهو الصلح بين الزوجين وبالمعرفة
عام في كل صلح جايز وزدناهم عذابا فوق العذاب فان الشي لا يكون فوق نفسه انتهي • قال وقد تعاد
المعرفة معرفة مع المغايرة كقوله تعالي وهو الذي انزل اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه
من الكتاب وقال غيره قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشا الاول عام والثاني خاص هل جزا
الاحسان الا الاحسان الاول العمل والثاني الثواب وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الاولي
القاتلة والثانية المقتولة انتهي قال وقد تعاد المعرفة نكرة مع عدم المغايرة كقوله تعالي
انما الهكم اله واحد ومثله كثير والمعرفة مثل النكرة في حالتي الاعادة معرفة والاعادة نكرة في

انها ان اعيدت معرفة كان الثاني هو الاول وان اعيدت نكرة كان غيره ثم مثل بالاية التي هنا وقال وهذا مبني على ان تنكير يسر للتفخيم وتعريف العسر للعهد اي العسر الذي انتم عليه والجنس اي الذي يعرفه كل احد فيكون اليسر الثاني مغايرا للاول بخلاف العسر انتهى وقال في الكشاف واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا الكلام الثاني مستانفا عن منكر تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال ولما علم من هذا ان المواد تكون بحسب الاوراد الشداد على المعهود من الشكر ولما علم للشاكر من الوعد بالمزيد قال مسببا عما اعطاه من اليسر بعد ذلك العسر ندبا له الى الشكر واعلاما بانه لا ينفك عن تحمل امر في الله فاذا فرغت اي بما اتاك من اليسر من جهادك الذي انت فيه في وقت المخاطبة بهذا الكلام مما يوجب عسرا في المال او الحال فعقبه العسر في اي موضع كان لا سيما عند دخول الناس في الدين افواجا او من العبادة الثقيلة العظيمة بسماع الوحي وتحمله او من الغرض باليسير الذي بشرناك به فانصب اي بالغ في التعب بعبادة اخرى من التسبيح والاستغفار والنفل من او لا هذا المعروف والى ربك اي المحسن اليك بما ذكر في هاتين السورتين خاصة فارغب اي بالسؤال لانه القادر وحده كما قدر تربيتك فيما مضى وحده لانه المختص بالعظمة فلا قدرة اصلا الا لمن يعطيه ما يريد منها واجعل الرغبة شعار العبد في كل حاله اي افعل ذلك الم نشرح لك صدرك فقد اتصل هذا الاخر بالاول اتصال المعلول بالعلة وكلام ما بعدها بذلك ايضا بعينه ملائمة الشموس الاهلة واخر هذه السورة مشير الى الاجتهاد في العبادة عن الفراغ من جهاد الكفار في جزيرة العرب بعد انقضا ما يوازي عدد اي هذه السورة من السنين بعد الهجرة وهي ثمان رغبة في الاخرة التي هي خير من الاولى اشارة الى قرب الاجل بما اشارت اليه سورة النصر كما سياتي ان شا الله تعالى ٥ ٥ ٥

مقصودها سر مقصود الم نشرح وذلك هو اثبات القدرة الكاملة وهو المشار اليه باسمها فان في خلق التين والزيتون من الغرايب ما يدل على ذلك وكذا فيما اشير اليه بذلك من النبوات وضم القسم الى المقسم عليه وهو الانسان الذي هو اعجب ما في الاكوان واوضح في ذلك بسم الله الملك الاعظم الذي لا نعبد الا اياه الرحمن الذي عم بنعمتي ايجاده وبيانه جميع خلقه اسفله واعلاه وادناه واقصاه الرحيم الذي خص من بينهم اهل وده بما يرضاه واردى من عاداهم واشقاه لما ذكر سبحانه في تلك السورة اكمل خلقه وما كمله به وختمها بالامر بتخصيصه سبحانه بالرغبة اليه فكان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى ترم قدماه ويبذل الجهد في كل ما يرضاه ذكر في هذه انه سبحانه كما جعل ذاته اكمل ذوات المخلوقات خصه بان جعل نوعه صلى الله عليه وسلم اكمل الانواع وهو الانسان واصله اعظم الاصول وهو ابراهيم عليه السلام وبلده افضل البلاد وهي مكة وان من عاداه بمنابذة شرعه اسفل الخلق وان له سبحانه تمام القدرة وهو فاعل بالاختيار يعلي من يشا ويسفل من يشا فمنزلتها من اخر تلك منزلة العلة من المعلول واقسم فيها باشيا اشارها الى شرفها في انفسها وفي عجيب صنعها وشرف البقاع التي تكون بها ايما الى ما شرفها به مما اظهرها من الخير والبركات بسكنى الانبيا والصالحين فكانت مهاجر ابراهيم ومولد عيسى واكثر الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومشام وكان منها مظهر نبوة موسى ومظهر اسماعيل عليهما السلام وولده خاتم الانبيا الكرام عليهم افضل الصلاة والسلام ومكان البيت الذي هو قوام للناس وهدى للعالمين الى غير ذلك من الاشارات الظاهرات

والدلالات

والدلالات الواضحات على تمام قدرته وفعله بالاختيار لانه يعلي من يشا من العقلا وغيرهم من البقاع وغيرها الى احسن تقويم ويسفل من يشا من ذلك كله الى اسفل سافلين وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير هذه سورة موضحة ومتممة للمقصود في السورتين قبلها فبان لك ان الصورة الانسانية بظاهر الامر مما هي عليه من الترتيب والاتقان قد كانت تقتضي الاتفاق بظاهر ارتباط الكمال بها من حيث انها في احسن تقويم والافتراق يبعد في الظاهر فكيف افترق الحكم واختلف السلوك فمن صاعد بالاستنصار والامتثال ونازل الى اسفل سافلين فضلا عن ترقي بعض درجات الكمال فاذن ليس يرقى من خص بمزية التقريب الا لانه نودي من قريب فاسرع في اجابة مناديه وما اعتل بحاديه فسلك من واضحات السبيل ما رسم له وما بنى على ما كتب له من ذلك عمله ولو شينا لاتينا كل نفس هداها فعلى العاقل المنصف من نفسه ان يعلم ان كلا ميسر لما خلق له فيضرع الى خالقه في طلب الخلاص من وجد خيرا فليحمد الله فاوضحت هذه السورة ان ما اعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم وخص به من ضروب الكرامات وابتداه به من عظيم الالا مما تضمنته السورتان الى ما منحه من خير الدارين وما تضمن قسمه سبحانه له انه ما ودعه وما قلاه من الملاطفة والتانيس ودلايل الحب والتقريب كل ذلك فضل منه تعالى واحسان لا لعمل تقدم يستوجب ذلك او بعضه ولو تقدم عمل لم ينفع الا بمشيئته وتوفيقه وارادته ولا يستوجب احدا عليه شي وانما فضله يوتيه من يشا فقال سبحانه منبها على ما وقع الايما الى بعضه لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ومع ذلك لا ينفعه وقوع صورته الظاهرة في عالم الشهادة على اكمل خلق واتم وضع بل اذا لم يصحبه توفيق وسبقية سعادة من خالقه ولم يجعل له نورا يمشي به لم ير غير نفسه ولا عرف الا ابنا جنسه فقصر نظره على اول ما شاهد ووقف عند ما عاين من غير اعتبار بحاله الى تحقق ماله وتبين حاله انه لم يكن شيا مذكورا فلما قصر وما ابصر اعتقد لنفسه الكمال وعمي عن المبدا والمال فصار اسفل سافلين حيث لم ينتفع بالات نظره ولا تعرف حقيقة خبره او لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ثم قال تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم الذين هداهم ربهم بايمانهم تجري واستبقوا من خلقه في احسن تقويم واستوضحوا الصراط المستقيم واستبصروا فابصروا ونظروا فاعتبروا وقالوا ربنا الله ثم استقاموا فلهم اجر غير ممنون انتهى ولما كان التين احسن الفواكه تقويما فيما ذكروا من فضيلته وهو مع كونه فاكهة شهية حلو جدا غذا يقيم الصلب وقوت كالبر وسريع الهضم ودوا كثير المنفع يولد دما صالحا وينفع الرية والكلى ويلين الطبع ويحلل البلغم ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال فكان جامعا لجميع منافع المتناولات من الغذا والتفكه والتحلي والتداوي فهو كامل في مجموع ما هو فيه من لذة طعمه وكثرة نفعه وكونه كفاكهة الجنة بلا شائبة تعوق عن اكله من صوان يتعب او نوى يرمى مع انه ينتفع به رطبا ويابسا وهو مع ذلك في سرعة فساده وسوء تغيره اسفلها رتبة واردؤها عاقبة فهو كالفطرة الاولى في مبدايه سهولة وحسنا وقبولا لكل من الاصلاح والتغيير وكاخر الهرم عند نهايته في عظيم تغيره بحيث انه لا ينتفع بشي منه اذا تغير وغيره من الفواكه اذا فسد جانبه منه بقي اخر فكان في هذا كالقسم السافل من الانسان اقسم الله سبحانه به فقال والتين بادئا به لان القسم المشار اليه اكثر فالاهتمام به اكبر ولما كان الزيتون في عدم فساد يطرقه او تغير يلحقه وفيه الدسومة والحرافة والمرارة وهو ادام ودوا مع تهيؤه للنفع بكل حال في اكله بعد تربيته والتنوير بدهنه والادهان به لازالة الشعث وتنعيم

البشرة وتقوية العظم وشد العصب وغير ذلك من المنافع مع لذته وما يتبع ذلك من فضايله الجمة
كالمؤمن تلاه به فقال **والزيتون** ولما كانا مع ذلك مشارا بهما الى مواضع نباتهما وهي الارض
المقدسة من جميع بلاد الشام ايما الى ان من كان بها من الانبيا والتابعين لهم باحسان لاسيما ابراهيم
عليه السلام الذي كانت بها هجرته فاحياها الله بعبادته وتردد الملايكة اليه بالوحي ومن بعده
اولاده الذين طهرها الله بهم من الشرك وانارها بهم بالتوحيد وختمهم بعيسى عليه السلام احد اولي العزم
المشرف بكونه من امة محمد عليهما الصلاة والسلام وكانت الكناية بالشجرتين عن البلد المراد به سكانه
ابلغ من التصريح بالمراد من اول وهلة ساقه على ذلك النهج العزيز ولم يبق ممن لم يسكنها من اشرافهم
الا موسى وهرون واسمعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام فاشار الى الاولين بقوله معبرا بما يدل
على احسن التقويم في الطور الجبل ذو النبت من النجم والشجر المثمر وغيره **وطور** اي جبل المكان المسمى
بهذا الاسم **ولما كان** الكلام في التقويم كان المناسب له صورة جميع السلامة فقال **سينين**
اي وما كان بالجبل ذي النبت الحسن الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام من لذيذ المناجاة وعجايب
المواعدة وحكم الكلام مع ان فيه من الاشجار والاماكن ما يكن من الحر والبرد وفيه الخلوة وحسنه
وعلوه وجمع الخاطر للمتفرد وطمانينة النفس للتحلي للعبادة والتحصن مما تخشى لعلوه وصعوبته وفيه
ما يصلح للزرع من غير كلفة وفيه ما ياكله الناس والدواب مع الما العذب والفنا الرحب والمنظر
الانيق وسنين وسينا اسم للموضع الذي هذا الجبل به واشار سبحانه الى الاخيرين من اولاد ابراهيم
عليهم السلام ختاما للقسم باكمل المقسم به كما جعل المنزل عليه ذلك الذي هو خاتم الرسل اكمل النوع
المقسم لاجله ليكون في البدء بما يرد بعد حسن التقويم الى الفساد والختم بما هو اشرف المذكورين
بكل اعتبار طباق حاز اعلى الاسرار **وهذا البلد** اي مكة صرح هنا بهذين المكانين ترشيحا لان
المراد بالاولين مواضع بينهما مع تلك الاشارة اللطيفة بذكر اسميهما الى مناسبتهما للمقسم من اجله
الامين اي الذي يامن فيه من حل به من البشر والطير والوحش فكان بذلك كالرجل الامين الذي
يامنه آخر على نفسه وما يعز عليه فيوديه اليه ويوفره عليه وامانته شاملة لكل ما يخشى حتى الفقر
والعيلة والجوع وتغير الدين بعد تقرره مع ان به البيت الذي جعله هدى للعالمين وقياما
للناس فهو مدار الدين والدنيا وكان به من الاسرار بالوحي واثارة ما لم يكن في بلد من البلد
وذلك اشارة الى انه تعالى كما جعل النبي المبعوث منه في آخر الزمان في احسن تقويم جعله في
اسفل تقويم البلدان اذ كان آمنا من غير ملك مرهوب والناس يتخطفون من حوله وهو محل الانس
بالناس كما ان الذي قبله مع الانس بالانفراد وهو مجمع المرافق ومعدن المنافع ومحل ذوي الوجاهة
دينا ودنيا ومحل الرفعة والمناصب مع ما حازه المكانان من تنزل الكتب السماوية واشراق
الانوار الدينية فيهما وفي ذلك تخويف لهم بانهم اذا لم يرجعوا عن غيهم اخافه لم يخفهم بلد من
بلاد العرب فيكونون بذلك قد ردوا الاسفل سافلين في البلد كما ردوا في الاخلاق بالشقاق
واللدد **ولما** كان هذا القسم مع كونه جامعا لبدايع المصنوعات التي هي لما ذكر من حكمها
دالة على كمال علم خالقها وتمام قدرته جامعا لاكثر الذين امنوا وكان ابراهيم عليه السلام لكونه
اباهم مذكورا مرتين بالارض المقدسة من القدس ومكة فتوقع اكمل الخلق وافطنهم المخاطب بهذا
الذكر المقسم عليه علما منه ببلوغ القسم الى غايته واستوايه على نهايته اجيب بقوله محققا **لقد**
خلقنا اي قدرنا واوجدنا بما لنا من العظمة الباهرة الظاهرة والعزة الغالبة القاهرة **الانسان**
اي هذا النوع الذي جمع فيه الشهوة والعقل وفيه من الانس بنفسه ما ينسيه اكثر مهمه ولهذا

قالت

قالت الملايكة عليهم السلام اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك لانهم علموا انه اذا اجمع الغضب والشهوة
الى العقل جاءت المنازعة فيتولد الفساد من الشهوة والسفك من الغضب **في احسن تقويم** اي
كاين منا روحا وعقلا او اعم من ذلك بما جعلنا له من حسن الخلق والخلق بما خص به من انتصاب
القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكاينات ونظاير ساير الممكنات بعد ما شارك فيه غيره
من السمع والبصر والذوق واللمس والشم الجوارح التي هيات خلق له حتى قيل انه العالم
الاصغر كما مضى بسط ذلك في سورة الشمس ثم ميزناه بما اودعناه فيه بما جبلناه عليه من
الفطرة الاولى التي لا تبديل لها من الطبع الاول السليم الذي هياناه به لقبول الحق ومثل ما
قلته في حمل الاية على الفطرة الاولى قال الاصفهاني في تفسير كان الناس امة واحدة في البقرة
وقال ابن برجان هنا مفطورا على فطرة الاسلام الدين القيم ثم لما منحناه به من العقل المدرك
القويم فكما جعلنا له شكلا يميزه عن ساير الحيوان منحناه عقلا يهديه الى العروج عن دركات النيران
الى درج الجنان بالايمان والاعمال الصالحة البالغة نهاية الاحسان بدليل من فيه من الانبيا
الذين اكملهم محمد على جميعهم افضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام والتابعين لهم باحسان
الذين ملاوا الارض علما وحكمة ونورا قال البغوي خلقه سبحانه مديد القامة يتناول ماكوله
بيده مزينا بالعقل والتمييز انتهى والعقل هو المقصود في الحقيقة من الانسان لان من اسمايه
اللب ومن المعلوم ان المقصود من كل شي لبه وهو الشرع كما مضى في آخر النسا والظاهر
ان عقول الناس بحسب الخلق متقاربة وانها انما تفاوتت بحسب الجبلة فبعضهم جعل سبحانه
عنصره وجبلته في غاية الفساد فلا تزال جبلته تردي على عقله فيتناقص الى ان يصير الى اسوا
الاحوال فكل ميسر لما خلق له فبعضهم يصرف عقله بحسب ما هياه الله له الى ما ينجيه وبعضهم
يصرفه كذلك الى ما يرديه لانك تجد اعقل الناس في شي واعرفه به اشدهم بلادة في شي آخر واعناهم
في شي ادكاهم في شي آخر فاعتبر ذلك وبذلك انتظم امر الخلق في امر معاشهم بالعلوم والصنايع
والاحوال والله الهادي **وهذه** الاية تدل على ان الله تعالى منزه عن التركيب والصورة
لانه لو كان في شي منهما لكان الاحسن لان كل صفة يشترك فيها الخلق والحق فالمبالغة للحق كالعالم
والاعلم والكريم والاكرم قاله الاستاذ ابو القسم القشيري في تفسيره وصيغة افعل لا تدل على
ما قاله الزنادقة وان عزي ذلك الى بعض الاكابر من قولهم ليس في الامكان ابدع مما كان لان
الدرجة الواحدة تتفاوت الى ما لا يدخل تحت حصر كتفاوت افراد الانسان في صوره والوانه وغير
ذلك من اكوانه وبديع شانه **وقد** بينت ذلك في تصنيف مفرد لهذه الكلمة سميته تهديم
الاركان من ليس في الامكان ابدع مما كان واوضحته غاية الايضاح والبيان وجرت فيه
فتن تصم الآذان ونصر الله الحق بموافقة الاعيان وقهر اهل الطغيان ثم اردفته بكتاب دلالة
البرهان على ان في الامكان ابدع مما كان ثم شفيت الاسقام ودمغت الاخصام وحسات الاوهام
بالقول الفارق بين الصادق والمنافق وهو نحو ورقتين في غاية الابداع في قطع النزاع ويمكن
ان يكون صيغة افعل مقيدة بالنسبة الى شي اراده الله يجب ان نتفطن له نحن لان من المجمع عليه
عند اهل السنة وصرح به الاشعري وغيره في غير موضع من كتبهم ان الله تعالى لا تتناهى مقدوراته
اصلا وممن صرح بما صرح به الاشعري واكثر منه الامام حجة الاسلام الغزالي في كتبه الاحيا وغيره
ولاسيما كتابه في الفلاسفة وبين ان هذا من قواعدهم ليقيم صفة الارادة وقولهم بان فعله بالذات
وبين فساد ذلك وانه سبحانه قادر على اختراع عالم آخر وثالث متفاوتة بالصغر والكبر

وعلي كل ممكن وعرف ان الممكن هو المقدور عليه وانه يرجع الي المقدور عليه ايضا ممكن وعرف الممتنع بانه
اثبات الشي مع نفيه واثبات الاخص مع نفي الاعم واثبات الاثنين مع نفي الواحد وقال وما لا يرجع الي
ذلك فهو ممكن فدخل فيه عالم ابدع من هذا العالم والله الموفق ولما كان الانسان مع هذه المحاسن
قد سلط سبحانه عليه شهوات وهيا طبعه لرذايل واخلاق دنيات واهوية وحظوظ للانفس مميلات
وكان اكثر الخلق بها كالمتبين قدرة الله لم يستثن بل حكم علي الجنس كله بها كما حكم عليه بالتقويم فقال
دالا باداة التراخي علي ان اعوجاجه بعد ذلك العقل الرصين والذهن الصافي المستنير في غاية البعد
لولا القدرة البالغة والقوة القاسرة القاهرة **ثم رددناه** اي بما لنا من القدرة الكاملة والعلم الشامل
بتعطل منافع ما خلقناه له فضيع نفسه وفوت اسباب سعادته ونكسناه نحن في خلقه فصار بالامرين
في خلقه وخلقه نفسا وهوي او اعم من ذلك بالنكس **اسفل سافلين** اي الي ما تحت رتبة الجمادات
المستقذرات فصار يعمل الاعمال السيئات المقتضية بعد حسن الجمع لغاية الشتات اما رده في خلقه
فبان سلطنا عليه الشهوات التي ركبناها في النفوس وجعلناها داعية الي كل بوس فغلبت علي
عقله فاعمته حتي اوردته الموارد واوقعته في المهاوي والمعاطب حتي انه ليركب كثيرا من اموره
وهو قاطع بانه باطل شنيع لا يقدم علي مثله عاقل فصار يعبد من دون الله ما هو دون البشر بل
ومطلق الحيوان مما لا ضر فيه ولا نفع وصار يركب الظلم والعدوان والافك والبهتان وما لا يحصي
بالعد من انواع الفواحش والعصيان ويظلم ابنا جنسه وغيرهم ويجتهد في الفجور ويتصرف بما لا يشك
هو في انه لا يقره عليه من له ادني نظر ممن يلزمه امره ويعنيه شانه فصار بذلك احط رتبة من البهايم
بل من ادني الحشرات المستقذرات لانها وان كانت لها شهوات الا انه ليس لها عقل تغطيه وتطمس
نوره بظلامها فلا تنسب الي انها فوتت شيا لعدم تكليفها لعدم العقل الموجب للشرف واما هو فاستعمل
ما خلقناه له من الالات وما فضلناه به من الكمالات في غير ما خلقناه له فاستحق العذاب المهين ثم
يموت من غير مجازاة علي شي من ذلك او علي كثير منه فلا بد في الحكمة حينيذ من بعثه وله بعد البعث عند
ربه علي ذلك عذاب مقيم واما في خلقه فبالهرم حتي صار بعد تلك القوي ضعيفا وبعد ذلك العز
مهينا وبعد ذلك العلم الغزير والفكر المنير لا يعلم شيا وصار يستقذره وينكره من كان يالفه ويستعظمه
وقال ابن برجان اما رده في طريق الديانة فبالنكر والتكذيب واما فيما سبيله الجزا فالمنسخ في دار
البرزخ وتحويل صورته الي ما غلب عليه خلقه وعمله في الدنيا من الدواب والهوام والبهايم وفي الاخرة
تزرق عيناه ويشوه خلقه **وقال** الامام ابو العباس الاقليشي في شرح المقدم المؤخر من شرحه
للاسما الحسني ان الله خلقه اي الانسان اولا في احسن تقويم في هذا الجسم الذي يجذبه الي اسفل سافلين
فان قدم عقله علي هواه صعد الي اعلي عليين وكان من المقربين وان قدم هواه هبط الي ادراك
الجحيم وكان من المبعدين المؤخرين **ولما** حكم بهذا الرد علي جميع النوع اشارة الي كثرة المتصفين به
منهم وكان الصالح قليلا جدا حط الاستثنا فقال **الا الذين امنوا** اي بالله ورسله فكانوا من ذوي
البصاير والمعارف فغلبنا بلطفنا عقولهم بما دعت اليه واعانت عليه الفطرة الاولي علي شهواتهم وحميناهم
من ارذل العمر فكانوا كلما زدناهم سنا زدناهم انوار عقولهم ونقصنا نار شهواتهم بما اضعفنا من احكام
طبايعهم وتعلقهم بهذا العالم واحكمنا من مدارك انوار الحق واشراقاته بهم واعظمنا من قوي ادراكهم
ولما كان الانسان قد يدعي الايمان كاذبا قال **وعملوا** اي تصديقا لدعواهم الايمان **الصالحات**
اي من محاسن الاعمال من الاقوال والافعال ثابتة الاركان علي اساس الايمان محكمة بما اتيناهم من العلم
غاية الاحكام متقنة غاية الاتقان فانا حفظناهم وقليل ما هم بما كملناهم به وشرفناهم علي جميع الحيوانات

ودنيا

وسايرمن سواهم فلم يمكن منهم الشهوات ولا غيرها واقمناهم علي ما اقتضاه منهاج العقل فتبعوا الرسل
بسبب ابقاينا لهم علي الفطرة الاولي في احسن تقويم لم يدنس محياها بشهوة ولا حظ ولا هوي فسهل
انقيادهم فاداهم ذلك الي العدل والنصفة والاحسان وجميع مكارم الاخلاق ومعالي الامور ولم
يزيغوا عن منهاج الرسل في قول ولا عمل فالاية كما تري من الاحتباك حذف اولا بما اثبته ثانيا عمل السيات
وثانيا الابقا علي اصل الخلق في احسن تقويم علي الفطرة الاولي ليكون نظمها في الاصل ثم رددناه اسفل
سافلين بعمل السيات فله علي ذلك عذاب مهين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانا ابقيناهم
علي اصل الفطرة الاولي في احسن تقويم **ولما** كان السياق لمدح المؤمنين حسن ان يعد اعمالهم
التي تفضل عليهم بها سببا لما من عليهم به من الثواب فقال **فلهم** اي فتسبب عن ذلك ان كان لهم في
الدارين علي ما وفقوا له مما يرضيه سبحانه **اجر** اي عظيم جدا وهو مع ذلك **غير ممنون** اي مقطوع
او يمن عليهم به حتي في حالة المرض والهرم لكونهم سعوا في مرضات الله وعزموا عزما صادقا
انهم لا ينقصون من اعمال البر ذرة لو عاشوا مدي الدهر وذلك الاجر جزا لاعمالهم فضلا منه
بالاصل والفرع حتي انهم اذا عجزوا بالهرم كتب لهم اجر ما كانوا يعملون في حال الصحة ولمن
تابع هواه في السفول عذاب عظيم لانه رد اسفل سافلين **ولما** ثبت بهذا انه لا يجوز في الحكمة
تركهم بغير جزا مع ما يشاهد من ظلم بعض لبعض معاندة لما تقتضيه تقويم العقل الذي لا شك فيه فكان
ذلك بحيث لا يرضاه احد منهم ولا يقر مخلوق عبيدا في ملكه علي مثله بان يبغي بعضهم علي بعض فيهملهم
بل لا بد ان يحجز بينهم او ياخذ للمظلوم من الظالم لو كان ذلك المالك اقل الناس واجهلهم فكيف
ان كان عاقلا فكيف ان كان حاكما فكيف ان كان لا يخاف احدا فكيف ان كان عدلا مقسطا قد ثبتت
احاطة علمه وقدرته حسن كل الحسن ان يكون ذلك سببا للانكار علي من يظن ان الله يهمل عباده من
الحكم بينهم لمجازاة كل من المطيع والعاصي بما عمل مع ما يري من ظلم بعضهم لبعض وان الظالم لم يموت
قبل القصاص فقال مسببا عن الوعد بما افصح به الكتاب من اثابة المؤمنين الذين طالما بغي
عليهم الظلمة واستنقصهم حقوقهم الفسقة والوعيد بما افهمه الخطاب لعتاب المجرمين الذين طالما
ما بغوا علي غيرهم **فما** اي فتسبب عن اقامة الدليل علي تمام القدرة وعلي بغي العبيد بعضهم علي بعض
انه يقال ذلك تصديقا لك فيما اخبرت به من الله ببعث الخلايق بعد موتهم ليجازي كلا بما عمل وانكارا
علي من كذبك في ذلك ما **يكذبك** اي اي شي ينسبك الي الكذب يا اشرف الخلق واكملهم نفسا وانقاهم
عرضا واطهرهم خلقا وخلقا وعبر بما اشارة الي ان المكذب بهذا مع هذا الدليل القطعي الذي
ضمنته هذه السورة في عداد ما لا يعقل بل دونه **بعد** اي بعد مشاهدة بعض الناس علي بعضه
استعمالا لحال النكس واعراه من الجار اشارة الي ان هذا الذم لمن استغرق زمانه الذي بعد
هذا الدليل بالتكذيب اشارة الي ان من امن قبل الغرغرة واتصل ايمانه ذلك بموته كان ممن له
اجر غير ممنون **بالدين** اي الجزا لكل احد بما يستحقه علي سبيل العدل والانصاف لاجل تلك الاعمال
التي غلبت فيها الحظوظ علي العقول فوقع بها من الظلم والاذي ما لا يسع عاقلا من العباد ان يحسن
عنده ترك فاعلها من غير جزا حتي كان اكثر افعال العباد ظلما ومن شان الملوك الانصاف بين عبيدهم
ورعاياهم فكيف بالله الذي شرع لعباده ذلك وقد ثبت بما له من هذا الخلق العظيم علي هذا
النظام المحكم والمنهاج الاقوم انه الحكيم الذي لا حكيم غيره العليم الذي لا عليم سواه **ولما**
صح ان تارك الظالم بغير انتقام والمحسن بلا اكرام ليس علي منهاج العدل الذي شرعه الله حسن جدا
تكرير الانكار بقوله **اليس الله** اي علي ما له من صفات الكمال واكد بالجار في قوله **باحكم الحاكمين**

اي حتي يدع الخلق يهلك بعضهم بعضا من غير جزا فيكون خلقهم عبثا بل هو احكم الحاكمين علما وقدرة وعدلا
وحكمة بما شوهد من ابداعه الخلق وتفاوته بينهم وجعل الانسان من بينهم علي احسن تقويم فلا بد
ان يقيم الجزا ويضع الموازين القسط ليوم القيمة فيظهر عدله وحكمته وفضله **وهذا** الآخر هو
اولها قسما من جهة النبوات التي ظهر بها حكمه وحكمته ومقسما عليه من حيث ان الخلق في احسن تقويم يقتضي
العدل لا محالة والرد اسفل سافلين يقتضي الحكم حتما لاجل ما يقع من الظلم والتشاجر بين من استمر علي
الفطرة القويمة ومن رد اسفل سافلين **وقد** اشتملت هذه السورة علي وجازتها علي جميع مقاصد
التوراة اجمالا وزادت الدلالة علي الاخرة وذلك ان قسمها هو قوله في التوراة اتانا ربنا من سينا واشرق
لنا من جبل ساعير وظهر لنا من جبال فاران والخلق في احسن تقويم هو خلق آدم عليه السلام المذكور في
اولها وخلق زوجه وما يحتاجان اليه من السما والارض وخلق الاصفيا من اولادهما وما جاوا به من الخير
والذين امنوا وعملوا الصالحات هو ما فيها من الشرايع والاحكام وقوله بعد ما تقدم من المعتبر
بالقسم عنه معه ربوات الاطهار عن يمينه اعطاهم وحببهم الي الشعوب وبارك علي جميع اطهاره والرد
اسفل سافلين هو ما ذكر اولها من العصاة من قابيل ومن بعده الي آخرها علي ما اشار اليه من عصيان
بني اسرايل الموجب للعنهم **فقد** اكتفت باول التوراة وآخرها واوسطها وابتدا بآخرها لانه
في النبوات وهي اهم المهم لانها المنجية من شر قطاع الطريق وآخرها ادل ما فيها علي النبوات
لا سيما الثلث العظام المشار اليها بقسم هذه السورة والله الهادي

مقصودها الامر لا سيما للمقصود بالتفصيل في سورة التين بعبادة من له الخلق والامر شكرا
لاحسانه واجتنابا لكفرانه طمعا في جنابه وخوفا من نيرانه لما ثبت من انه يدين العباد يوم
المعاد وكل من اسميها دال علي ذلك لان المربي يجب شكره ويحرم غاية التحريم كفره علي ان اقرا
يشير الي الامر والعلق يشير الي الخلق واقرا يدل علي البداية وهي العبادة بالمطابقة وعلي النهاية
وهي النجاة يوم الدين باللازم والعلق يدل علي كل من النهاية ثم البداية بالالتزام لان من
عرف انه مخلوق من دم عرف ان خالقه قادر علي اعادته من تراب فان التراب اقبل للحياة من
الدم ومن صدق بالاعادة عمل لها وخص العلق لانه مركب الحياة ولذلك سمي نفسا **بسم الله**
الذي له صفات الكمال فاستحق التفرد بالالهية **الرحمن** الذي عمت نعمته فاستوجب الشكر
من ساير البرية **الرحيم** الذي وفق من شا من خواصه لما انالهم به المواهب السنية **لما** امره
سبحانه في الضحي بالتحديث بنعمته وذكره بمجامعها في الم نشرح فانتج ذلك افراده بما امره به
في ختمها من تخصيصه بالرغبة اليه فدل في الزيتون علي انه اهل لذلك لتمام قدرته الذي
يلزم منه انه لا قدرة لغيره الا به فانتج ذلك تمام الحكمة فاثمر قطعا البعث للجزا فتشوف السامع
الي ما يوجب حسن الجزا في ذلك اليوم وباي وسيلة يقف بين يدي الملك الاعلي في يوم الجمع الاكبر
من خصال الذين امنوا وعملوا الصالحات فارشد الي ذلك في هذه السورة فقال بادئا بالتعريف
بالعلم الاصلي ذاكرا اصل من خلقه سبحانه في احسن تقويم وبعض اطواره الحسنة والقبيحة
تعجيبا من تمام قدرته سبحانه وتنبيها علي تعرفها وانعام النظر فيها وقدم الفعل العامل في الجار
والمجرور هنا لانه اوقع في النفس لكونها اول ما نزل فكان الامر بالقراة اهم **اقرا** وحذف
مفعوله اشارة الي انه لا قراة الا بما امره به وهي الجمع الاعظم فالمعنى اوجد القراة لما لا مقرو غيره

دنو

وهو القران الجامع لكل خير وافصح له بانه لا يقدر علي ذلك الا بمعونة الله الذي ادبه فاحسن
تاديبه ورباه فاحسن تربيته فقال ما ارشد المعنى الي ان تقديره حال كونك مفتتحا القراة **باسم
ربك** أي بان تبسمل او مستعينا بالمحسن اليك لما له من الاسما الحسنى والصفات العلى بما خصك
به في الم نشرح او بذكر اسمه والمراد علي هذا بالاسم الصفات العلى وعبر به لانه يلزم من
حسن الاسم حسن مدلوله ومن تعظيم الاسم تعظيم المسمى وجميع ما يتصف به وينتسب اليه قالوا
وهذا يدل علي ان القراة لا تكون تامة الا بالتسمية ولكونه في سياق الامر بالطاعة الذي اليها
تذكر النعم لم يذكر الاسم الجامع وذكر صفة الاحسان بالتربية الجامع لما عداه وتانيسا له صلى الله
عليه وسلم لكونه اول ما نزل حين حبب اليه الخلا فكان يخلو يتعبد لربه في غار حرا فجاه جبريل
عليه السلام بخمس ايات في اول هذه السورة الي قوله ما لم يعلم **وهذا** النسق ساقه مساق
البسملة بعبارة هي اكثر تانيسا في اول الامر وابسط منها فاشار الي الاسم الاعظم بما في مجموع الكلام
من صفات الكمال واشار الي عموم الرحمن بصفة الخلق المشار الي تعميمها بحذف المفعول والي
خصوص صفة الرحيم بالاكرمية التي من شانها بلوغ النهاية وذلك لا يكون بدون افاضة العمل
بما يرضي فيكون سببا للكرامة الدايمة وبالتعليم الذي من شانه ان يهدي الي الرضوان واشار
الي الاستعاذة بالامر بالقراة لما افهمه قوله تعالى فاذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين
لا يومنون بالاخرة اي من شياطين الانس والجن حجابا مستورا وقوله تعالى فاذا قرات القران
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم **ولما** خصه تشريفا باضافة هذا الوصف الشريف اليه
وصفه علي جهة العموم بالخلق والامر اعلاما بان له التدبير والتاثير وبدا بالخلق لانه محسوس
بالعين فهو اعلق بالفهم واقرب الي التصور وادل علي الوجود وعظم القدرة وكمال الحكمة
فكانت البداة به في هذه السورة هي اول ما نزل انسب الامور لان اول الواجبات معرفته سبحانه
وهي بالنظر الي افعاله في غاية الوضوح فقال **الذي خلق** وحذف مفعوله اشارة الي ان له
هذا الوصف وهو التقدير والايجاد علي وفق التقدير الآن وفيما كان وفيما يكون فكل شي دخل
في الوجود فهو من صنعه ومتردد بين اذنه ومنعه وضره ونفعه **ولما** كان الحيوان
اكمل المخلوقات وكان الانسان اكمل الحيوان وزبدة محضه ولباب حقيقته وسر محضه وادله
علي تمام القدرة لكونه جامعا لجميع ما في الاكوان فكان خلقه ابدع من خلق غيره فكان لذلك
ادل علي كمال الصانع وعلي وجوب افراده بالعبادة خصه فقال **خلق الانسان** اي هذا
الجنس الذي من شانه الانس بنفسه وما راي من اخلاقه وجنسه وما الفه من ابنا جنسه
ولما كانت العرب تاكل الدم وكان الله تعالى قد حرمه لانه اصل الانسان وغيره من
الحيوان وهو مركب الحياة فاذا اكل تطبع اكله بخلق ما هو دمه قال معرفا بالنهي عنه لاهل الدار
سبحانه علي حكمة الاسباب مع قدرته علي الايجاد من غير تطوير في تسبيب **من علق** اي خلق هذا
النوع من هذا الشي وهو دم شديد الحمرة غليظ جامد جمع علقة وكذا الطين الذي يعلق
باليد يسمى علقا وهم مقرون بخلق الادمي من الامرين كليهما فالاية من ادلة امامنا الشافعي علي
استعمال المشترك في معنييه ولعله عبر به ليعم الطين فيكون مع ما فيه من الاشارة الي بديع
الصنعة اشارة الي حرمة اكل ما هو اصلنا من الدم والتراب قبل ان يستحيل فاذا استحال
وصف بالحلال لان الاستحالات لها مدخل والاحالات في النكاح وغيره واحمرار النطفة ليس
استحالة لانها كانت حمرا قبل قصر الشهوة لها وربما ضعفت الشهوة عن قصرها فنزلت حمرا فاذا

آلاعظم صح

تحول الدم لحما صار الي جنس ما يحل وكذا اذا تحول التراب بمخالطة الماء تمرا او حبا حل • وقال
الامام ابو جعفر بن الزبير لما قال سبحانه لنبيه صلي الله عليه وسلم فما يكذبك بعد بالدين اليس
الله باحكم الحاكمين وكان معني ذلك اي شي حمل علي هذا بعد وضوح الامر لك وبيانه • وقد نزهه
تعالي عن التكذيب بالحساب واعلي قدره عن ذلك ولكن سبيل مثل هذا اذا ورد كسبيل قوله تعالي لئن
اشركت ليحبطن عملك وبابه وحكم هذا القبيل واضح في حق من تعدي اليه الخطاب وقصد بالحقيقة به
من امته صلي الله عليه وسلم من حيث عدم عصمتهم وامكان تطرق الشكوك والشبهة فتقدير الكلام اي
شي يمكن فيه ان تحملكم علي التوقف او التكذيب بامر الحساب وقد وضح لكم ما يرفع الريب ويزيل الاشكال
الم تعلموا ان ربكم احكم الحاكمين افيليق به وهو العليم الخبير ان يجعل اختلاف احوالكم في الشكوك بعد
خلقكم في احسن تقويم افيحسن ان يفعل ذلك عبثا وقد قال تعالي وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما باطلا فلما تقرر سبحانه العبيد علي انه احكم الحاكمين مع ما تقدم ذلك من موجب نفي الاسترابة منه
في نوع الخلق اذا اعتبر ونظر ووقعت في الترتيب سورة العلق مشيرة الي ما به يقع الشفا وبعلم الابتدا
والانتها وهو كتابه المبين الذي جعله تبيانا لكل شي وهدي ورحمة وبشري للمحسنين فامر بقراءته
ليتدبروا اياته فقال اقرا باسم ربك مستعينا به فسوف يتضح سبيلك ويبتهج دليلك تبارك
الذي نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيرا وايضا فانه تعالي اعلم عباده بخلقه الانسان في
احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين وحصل منه علي ما تقدم بيانه افتراق الطرفين وتباين القابلين
كل ذلك بسابق حكمته وارادته ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها • وقد بين سبحانه لنا اقصي غاية
نيلها اكرم خلقه واجل عباده لديه من الصنف الانساني وذلك فيما اوضحت السورتان قبل من
حال نبينا المصطفي صلي الله عليه وسلم وجليل وعده الكريم له في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضي
وتفضل حاله ابتدا الم نشرح علي تقدم سؤال رب اشرح الي ما اشارت اليه آي السورتين من خصا[بصه]
الجليلة وذلك اعلي مقام نياله احد ممن ذكر فوقع تعقيب ذلك بسورة تضمنت الاشارة الي من جعل
في الطرف الاخر من الجنس الانساني وذلك حال من اشير اليه من لدن قوله تعالي ارايت الذي ينهي
عبدا اذا صلي الي قوله كلا لا تطعه ليظهر تفاوت المنزلتين وتباين ما بين الحالتين وهي العادة المط[ردة]
في الكتب ولم يقع صريح التعريف هنا كما وقع في الطرف الاخر لتطابق المقصود ولعل بعض من لم
يتفطن يعترض هنا بان هذه السورة من اول ما انزل فكيف يستقيم مرادك من ادعا ترتيبها
علي ما تاخر عنها نزولا فنقول له واين غاب اعتراضك في عدة سور مما تقدم بل في معظم ذلك والا
افليست سورة البقرة من المدني ومقتضي ناليفنا ايضا ما بعدها من السور علي الترتيب الحاصل
في مصحف الجماعة انما هو عليها وفيما بعد من المكي ما لا يحصي فاما غاب عنك لنسيان ما قدمناه في
الخطبة من ترتيب السور علي ما هي عليه راجع الي فعله عليه الصلاة والسلام اكان ذلك بتوقف
منه او باجتهاد الصحابة رضي الله عنهم علي ما قدمناه فارجع البصر واعد في الخطبة نظرك والله يوفقنا
الي اعتبار بيناته وتدبر اياته ويحملنا في ذلك علي ما يقرب اليه بمنه وفضله انتهي • ولما امر سبحانه
ما اراد من امر الخلق وهو الايجاد بالاسباب بالتدريج اخذ في التنبيه علي عالم الامر وهو الابداع
من غير اسباب فقال مكررا الامر بالقراءة تنبيها علي عظم شانها وتانيسا له صلي الله عليه وسلم مسكنا
لروعه ومعلما ان من جاءه الامر من قبله ليس كاربابهم • ولما كان قد قال صلي الله عليه وسلم عند
هذا الامر اخبارا بالواقع كما يقوله لسان الحال لو لم ينطق بلسان القال ما انا بقارئ فكان التقدير
فربك الذي رباك فاحسن تربيتك وادبك فاحسن تاديبك امرك بالقراءة وهو قادر علي جعلك

قارئا

قارئا عطف عليه قوله وربك او يكون التقدير والحال ان الذي خصك بالاحسان الجم ربك الاكرم
اي الذي له الكمال الاعظم مطلقا من جهة الذات ومن جهة الصفات ومن جهة الافعال فلا يلحقه
نقص في شي من الاشيا اصلا لان حقيقته البعيد عن اللوم الجامع لمساوي الاخلاق فهو الجامع لمعالي
الاخلاق وليس غيره يتصف بذلك فهو يعطيك ما لا يدخل تحت الحصر • واشار الي ان من ذلك انه يفيض
علي امته الامية من العلم والخط ما لم يفضه علي امة قبلها علي قصر اعمالهم فقال مشيرا الي العلم التعليمي
مشعرا بوصفه سبحانه بالمنح بالعلم الي ترتيب الحكم بالاكرمية علي هذا الوصف الناقل للانسان من
الحال العلقي السافل الي هذا الحال العالي الكامل الذي علم اي بعد الحكم عن معاجلتهم بالعقاب
جودا منه من غير مانع من خوف عاقبة ولا رجا منفعة بالقلم اي الكتابة به ولما نبه بذلك
علي ما في الكتابة من المنافع التي لا يحيط بها غيره سبحانه لانها انبنت عليها استقامة امور الدنيا
زادمه | والدين في الدنيا والاخرة وهي كافية في الدلالة علي دقيق حكمته تعالي ولطيف تدبيره ذلك
عظمه علي وجه يعم غيره فقال علم اي من العلم الضروري والنظري الانسان اي الذي من
شانه الانس بما هو فيه لا ينتقل الي غيره بل ينساه ان لم يلهمه ربه اياه ما لم يعلم اي بلطفه وحكمته
لينتظم به حاله في دينه من الكتاب والسنة ودنياه من المعاملات والصنائع فيفيض عليه
من علمه اللدني الذي لا سبب له ظاهر ما يعرف به ترتيب المقدمات بالحدود الوسطي فيعلم النتايج
ب | وما يعرف به المحسوسات وذلك بعد خلق القوي ونصب الدلايل وانزال الايات ولو كان ذلك بالاسبا[ب]
فقط لتساوي الناس في مدة التعليم وفي اصل المعلوم كما تساووا في مدة الحمل واصل الانسانية
وقد ذكر سبحانه مبدا الانسان ومنتهاه بنقله من احسن الحالات الي اعلاها تقريرا للربوبية
وتحقيقا لاكرميته • قال الملوي ولو كان شي من العطا والنعم اشرف من العلم لذكره عقب صفة الاكر[مية]
انتهي • وفي ذلك اشارة الي مزيد كرم العلما بالتعليم • وفي الاية اشارة الي مطالعة عالمي الخلق
والامر قال الرازي وفي كل من العالمين خصوص وعموم انتهي • فالمعني انه يعلمك ايها النبي وان
كنت اميا لا تعلم لان الاشيا كما علم بالقلم من لم يكن يعلم فتكون انت بما اشارت اليه صفة الاكرمية علي
ما انت فيه من الامية اعلم من اهل الاقلام واعلي في كل مقام سام • ولما كان الدم اكثر الاخلاط
واشدها هيجا فان مرضه لا يشبهه شي من امراض بقية الاخلاط وكان مع ذلك سريع البردان اهمل
علاجه وعولج بامر قاهر له اقوي منه • وكان العلم قرين الغني في الاغلب وكانت زلة العالم تفوق
زلة غيره قال معرفا بعد التعريف بالالهيات بامر النفس مبينا القسم الانساني المردود اسفل
سافلين مقررا لحاله ورادعا له عن ضلاله كلا اي ارتدع ايها العالم عن الطغيان ان نلت الغني
حقا ان الانسان اي هذا النوع الذي هو نوعك ومن شانه الانس بنفسه والنظر في عطفه
ليطغي اي من شانه الا من عصم الله ان يزيد علي الحد الذي لا ينبغي له مجاوزته كما يزيد الخلط الدموي
واكثر لما لاكثر الخلق من التكذيب به فانه لا طاغي يقر بانه طغي أن اي لاجل ان راه اي علم
الانسان نفسه علما وجدانيا استغني اي وجد له الغني هذا المطبع الغالب في الانسان متي استغني
عن شي عمي عن مواضع افتقاره فتغيرت احواله معه وتجاوز فيه ما لا ينبغي له الوقوف عنده ولا
يملا جوف ابن ادم الا التراب ومن كان مفتقرا الي شي كان منطاعا له كما في حديث آخر اهل النار خروجا
منها يقسم لربه انه لا يسئل غير ما طلبه فاذا اعطيه واستغني سال ربه غيره حتي يدخل دار القرار
ولعله نبه بهذا علي ان هذه الامة المحتاجة ستفتح لها خزاين الارض فيطغيها الغني كما اطغي من قبلها
وان كانوا هم ينكرون ذلك كما قال النبي صلي الله عليه وسلم حين بشرهم بالفتوحات • وقال انه يغدي

على احدكم بصفحة ويراح عليه باخرى ثم قال لهم انتم اليوم خير ام يومئذ فقال بل يومئذ نتفرغ لعبادة ربنا فقال بل انتم اليوم خير منكم يومئذ قال صلى الله عليه وسلم والله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم او كما قال صلى الله عليه وسلم **ولما** كان لا دوا لذلك مثل تذكر الجزا قال معرفا ان الانسان لا يزال مفتقرا الى مولاه في حياته ومماته وغناه وفقره محذرا له سوء حالاته مؤكدا لاجل انكارهم ذلك **ان الى ربك** اي المحسن اليك بالرسالة التي رفع بها ذكرك لا الى غيره من التراب ونحوه **الرجعى** اي الرجوع الاعظم الثابت الذي لا محيد عنه اما في الدنيا فلا محيد عن الاقرار به فانه لا يقدر احد على شي الا بتقديره واما في الاخرة فبما اثبت في برهانه في سورة التين فيحاسب الناس باعمالهم ويجازي كل احد بما يستحق من ثواب او عقاب ففيه وعيد للطاغي وتحقير لغنى ينقطع **ولما اخبر** بطغيانه وعجله بذكر دوائه لان المبادرة بالدوا ليلا يتحكم الدا اواجبة دل على طغيانه تخوفا من عواقب الرجعى في اسلوب التقرير لانه اوقع في النفس واروع للب لان اباجهل قال لئن رايت محمدا يعفر وجهه لافضخن راسه بصخرة فجا ليفعل ما زعم فنكص على عقبيه ويبست يداه على حجره فسئل عما دهاه فقال ان بيني وبينه لهوة واجنحة وفي رواية خندقا من النار وفي رواية لفحلا من الابل ما رايت مثله ولو دنوت لاكلني واصل الحديث في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه فقال **ارايت** تقدم في الانعام ان هذا الفعل اذا المركب بصريا كان بمعنى آخر فالمعنى اخبرني هل علمت بقلبك علما هو في الجلا كرؤية بصرك **الذي ينهى** اي على سبيل التجديد والاستمرار **ولما** كان الخش ما يكون صد العبد عن خدمة سيده قال معبرا بالعبودية منكرا للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال العبودية **عبدا** اي من العبيد **اذا صلى** اي خدم سيده الذي لا يقدر احد ان ينكر سيادته بايقاع الصلاة التي هي صلته به وهي اعظم انواع العبادات لانها مع كونها اقرب وصلة الى الحق انقطاع وتجرد بالكلية عن الخلق فكان نهيه عن ذلك نهيا عن ادا الحق لاهله حسدا وبغيا فكان دالا على ان من طبع اهل كل زمان عداوة اهل الفضل وصدهم عن الخير لئلا يختصوا بالكمال **ولما** كان هذا امرا خارجا عن الحد في الطغيان وكان السوال انما هو عن رؤية حاله في نهيه العبد عن الصلاة لا عن رؤية ذاته فتشوف السامع الى معرفة ذلك للحال كرر التقرير لزيادة التعجيب من حاله والتحذير فقال مكررا العامل زيادة في التاكيد وبيانا لان هذا في الحقيقة اول السوال عن الحال **ارايت** اي اخبرني عن حاله **ان كان** اي هذا الناهي وعبر باداة الاستعلا اشارة الى انه في غاية الثبات والتمكن فقال **على الهدى** اي الكامل في الهداية فكيف عن نهي هذا المصلي عن خدمة مولاه الذي هو معترف بسيادته وان ادعى كذبا ان له شركا كما انه لا ينهى عن السجود للاصنام **ولما ذكر** ما لعله يكون عليه في تكميل نفسه ذكر ما لعله يعانيه من انجا غيره فقال **او امر** اي ذلك الناهي **بالتقوى** اي التي هي عماد الدين وهي عمارة الباطن بالنور الناشية عن الهدى وعمارة الظاهر كذلك المترشحة من عمارة الباطن الموجب لذلك فامر هذا المصلي بملازمة خدمة سيده المجمع على سيادته ولا شك في توحده بالربوبية بالاقبال على ما يرضيه من افعال العبادة ليكون ذلك وقاية للفاعل من سخطه فيامن الهلاك والجواب محذوف تقديره الم يكن خيرا له فليتد كل امر من اموره فلا يقدم عليه حتى يعلم بالدليل انه هدى وتقوى **ولما** كان التقدير حتما كما هدى اليه السياق ما قدرته من جواب السوالين بنى عليه قوله زيادة في التوبيخ والتعجيب والتقريع استفهاما عن حال لهذا الناهي مناف للحال الاول معيدا الفعل ايضاحا لذلك **ارايت** اي ايها السامع ولا تستعجل **ان كذب** اي اوقع هذا الناهي التكذيب بان المصلي على الهدى بخدمة سيده المتفق على سيادة

فكان بذلك مرتكبا للضلال الذي لا شك في كونه ضلالا ولا يدعو اليه الا الهوى **ولما** كان المكذب قد لا يترك من كذبه اشار الى ان حاله هذا على غير ذلك فقال **وتولى** اي وكلف فطرته الاولى بعد معالجتها الاعراض عن قبول الامر بالتقوى وذلك التولي اخراب الباطن بالاخلاق السيئة الناشية عن التكذيب واخراب الظاهر بالاعمال القبيحة الناشية عن التكذيب والجواب محذوف تقديره الم يكن ذلك التولي والتكذيب شرا له لان التكذيب والتولي من غير دليل شر محض فكيف اذا كان الدليل قايما على ضدها **ولما** تعجب من حاله البعيدة عن العقل مع نفسه ومع ابنا جنسه انكر عليه محجا من كونه يعلم انه ليس بينه شي المنع لانه مراقب وحاله مضبوط غاية الضبط ونسي ذلك فقال ذاكرا مفعول ارايت الثاني وهو لا يكون الا جملة استفهامية **الم يعلم** اي يقع له علم يوما من الايام **بان الله** اي وهو الملك الاعلى **يرى** اي له صفتا البصر والعلم على الاطلاق فهو يعلم كل معلوم ويبصر كل مبصر ومن كان له ذلك كان جديرا بان يهلك من يراه على الضلال والاضلال وينصر من يطيع امره على كل من يعاديه وانما جا هذا الاستفهام الانكاري على هذا الوجه لانهم يعترفون بكل ما انكر عليهم فيه ويلزمهم بما يفعلون من عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ان يكونوا منكرين له وذلك هو عين التناقض الذي لا اشنع عندهم منه هذا ويمكن وهو احسن ان تنزل الاية على الاحتباك فيقال لما كان السوال عن حال الناهي لان الروية علمية لا بصرية فتشوف السامع الى معرفتها وكان للناهي حالان طاعة ومعصية بدا بالاولى اشرفها على الاسلوب الماضي في التقرير على سبيل التعجيب فقال **ارايت** اي اخبرني **ان كان** الناهي ثابتا في نفسه هذا متمكنا **على الهدى** اي الكامل **او** كان قد **امر** في ذلك الامراو في امر ما من عبادة الاوثان وغيرها **بالتقوى** وحذف جواب السوال عن هذا الحال لدلالة جواب الحال الثاني عليه وهو الم يعلم بان الله يرى كل ما يصح ان يرى فيمني عنه ان كان مكروها ولا يقره عليه ويحاسب به ليزن هذا الناهي افعاله بما شرعه سبحانه من الدليل العقلي والسمعي فيعلم اهي مما يرضيه ليقره عليه كما يقر سائر ما يرضيه او يسخطه فيمنعه منه **ولما ذكر** ما يمكن ان يكون عليه حال الناهي من السداد ذكر ما يمكن ان يكون عليه من الفساد فقال مقررا معجبا معيدا العامل لزيادة التعجيب على النمط الاول **ارايت ان كذب** اي هذا الناهي بالحق في وقت النهي **ولما** كان لا يلزم من التكذيب التولي قال **وتولى** اي عن الدين بنهيه هذا فكان على الضلال والهدى متمكنا في ذلك بحيث انه لا يصدر عنه فعل الا فاسدا **الم يعلم بان الله يرى** فيحاسب نفسه بما ارشد اليه سبحانه من البراهين فيعلم انما هو عليه من الرشد ان كان الله يقره عليه ويمكنه منه او الغواية ان كان ينهاه عنه ولا يقره عليه كما [جعل] هذا الذي اقسم ليرضخن راس هذا المصلي واقدم عليه بصخرة وهو عند نفسه في غاية القدرة على ذلك بزعمه فمنعه الله منه ورده عنه فرجع على عقبيه خاسيا ظاهرا عليه الجبن والرعب وغيرهما مما يتحاماه الرجال ويانف منه الضراغمة الابطال والاحتباك هنا بطلب ارايت جملة ليس هو من التنازع لانه يستدعي اضمارا والجمل لا تضمر انما هو من باب الحذف لدليل فحذف الكون على الضلال ثانيا لدلالة الكون على الهدى عليه اولا وحذف الم يعلم بان الله يرى اولا لدلالة ذكره آخرا **ولما** كان هذا الخبيث معرضا عن هذا العلم الذي هو معترف به كله وانما كان اعراضه لما عنده من الحظوظ والشهوات الموقعة له بحكم الرد اسفل سافلين الى رتبة البهايم اي باعظم ادوات الردع فقال **كلا** اي ليس عنده علم بشي من ذلك لسفول رتبته عن رتبة البهايم ولا في يده شي من الاشيا فهو لا يقدر على شي مما رامه من الاذى فليرتدع من تعاطي ذلك لانه لا يضر الا نفسه **ولما** كان نفي العلم عنه يوهم انه في عداد الغافلين الذين لا ملامة عليهم بين ان انتفا العلم عنه ليس عن غفلة يعذر صاحبها انما هو عن

تهاون بالخير ورضي بالعمي والتقليد فهو من قسم الضلال الذي فرط في استعمال القوة العملية المذكور
في الفاتحة فاستانف الاخبار عنه في جواب من يقول فما يفعل به معبرا باداة الشك اقامة له ولغيره
في محل الرجا لانتهايه ابقا للتكليف ومؤكدا لانهم منكرون لين لم ينته اي ينفعل هذا الناهي لهذا
العبد المطيع فيقف ويكف عما هو فيه من نهيه وتكذيبه وتوليه ولما كان الحال غير محتاج
الي اكثر من التاكيد لايقاع الفعل عبر بالخفيفة ولم يشغلها اشارة الي ان هذا الناهي اقل من ان يحتاج
فيه الي فعل شديد بل اقل نفحة من العذاب تكفي في اهلاكه وما كان اصل التاكيد الا تطييبا لقلوب
الاوليا وتكذيبا للاعدا لنسفعا اي والله لناخذن ولنقبضن قبضا واخذا بشدة وعنف
مع الجر والاجتذاب وا للطم والدفع والغيظ اخذ من يعفس ملخوذه ويذله ويسود وجهه ويقذره
بالناصية اي بالشعر الذي في مقدم راسه وهو اشرف ما فيه والعرب لا تانف من شي انفهم
من جر الناصية واذا انتهكت حرمة الاشرف فما بالك بغيره واستغني بتعريف العهد عن الاضافة
ولما كان من المعلوم ان من صار في القبضة علي هذه الهية المهينة المزرية فهو هالك اغني
به عن ان يقول واسحبنه بها علي وجهه الي النار ووصفها بما يدل علي ذلك فقال مبدلا لان البدل
وصف بما قربه من المعرفة ناصية اي عظيمة القبح كاذبة اي متعمدة للكذب خاطية اي صادر
عنها الذنب من الكذب وغيره من غير تعمد فاغلب احوالها علي غير صواب تارة عن عمد وتارة عن
غير عمد وماذاك الا لسو جبلة صاحبها حتي لا يكاد يصدر عنه فعل شديد ووصفها بما هو لصاحبها
علي الاسناد المجازي مبالغة في تكذيبه في انه يقدر علي منع المهتدي واذلاله او شي من اذاه
الا ان اذن له صاحب الامر كله فيما يكون سببا لزيادة رفعته وفي العدول عن الحقيقة كان يقال
ناصية كاذب خاطي بالاضافة الي هذا المجاز من الجزالة والفخامة والجلالة ما لا يخفي ولما
كان هذا غاية الاهانة وكان الكفار انما يقصدون باعراضهم الشماخة والانفة والعز عن ان
يكونوا اتباعا اذنابا وانما عزهم بقومه واقرب من يعتز به الانسان اهل ناديه وهم القوم الذين
يجتمعون نهارا ليحدث بعضهم بعضا ويستروح بعضهم الي بعض لما عندهم من التصافي لانهم لا يتركون
اشغالهم نهارا ويجتمعون لذلك الا عن ذلك قال تعالي مسببا عن اخذه علي هذا الوجه المزري فليدع
اي دعا استغاثة ناديه اي القوم الذين يجتمعون نهارا يتحدثون في مكان ينادي فيه بعضهم
بعضا من انصاره وعشيرته ليخلصوه مما هو فيه والذي نزلت فيه هو ابو جهل قال للنبي صلي الله
عليه وسلم اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا ولما كان كانه قيل فلو دعا ناديه يكون ما
ذا قال سندع اي بوعد لا خلف فيه الزبانية اي الاعوان الموكلين بالنار ليجروه اليها وهم
في الاصل الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبني علي النسبة اصلها زباني
والتا عوض عن اليا وهم كل من عظم خلقه واشتد بطشه وقد اجمعت المصاحف العثمانية
علي حذف الواو من هذا الفعل خطا ولا موجب لحذفه من العربية لفظا وكان المعني في ذلك
والله اعلم ان لا يظن انهم دعوا لرفعة لهم في ذواتهم يستعان بهم بسببها لان معني الواو عند
الربانيين العلو والرفعة اشارة الي انه لا قوة لهم الا بالقوي العزيز او يقال ان الحذف دال علي
تشبيه الفعل بالامر ليدل علي ان هذا الدعا امر لا بد من ايقاع مضمونه ومن اجابة المدعوين الي
ما دعوا اليه وان ذلك كله يكون علي غاية الاحكام والاتساق بين خطه ومعناه والانتظام لا سيما
مع التاكيد بالتبيين الدال علي تحتم الايجاد والتمكين او يكون المعني انا ندعوهم بايسر دعا واسهل
امر فيكون منهم ما لا يطاق ولا يستطاع دفاعه بوجه فكيف لو اكد ناد عوتهم وقوينا عزمتهم

دل

ولما كان الذي تقدم نهي الناهي للمصلي والسفع بناصيته ان لم ينته وامره بدعا ناديه وكان الحكم
في الاول انه لا يجيبه الي ترك الصلاة وفي الثاني ان الناهي لا ينتهي عن عصيانه بالتهديد وانه لا
يفيده دعا ناديه فالكل منفي حسن كل الحسن الاتيان باداة الردع فقال كلا اي لا يقدر علي دعا
ناديه ولا ينتهي عن اذاه للمطيع بالتهديد فليرتدع كل من ذلك ولما كان كانه قيل فما
افعل قال معرفا ان من علم ان طبع الزمان واهله الفساد وجب عليه الاقبال علي شانه والاعراض
عن ساير العباد لا تطعه اي في نهيه لك عن الطاعة بالصلاة او غيرها ولما كان نهيه عن
الصلاة التي هي عماد الدين وكانت الصلاه يعبر عنها بالسجود لانه مع انه جزها هو اشرفها
وهو ايضا يطلق علي مطلق العبادة قال تعالي مشيرا الي النصر له صلي الله عليه وسلم ولاتباعه علي كل
من يمنعهم عبادته واسجد اي دم علي صلاتك وخضوعك بنفسك وجدد ذلك في كل وقت
ولما كان السجود اقرب مقرب للعبد الي الله قال واقترب اي اجتهد بسرك في بلوغ درجة
القرب الي ربك والتحبب اليه بكل عبادة لا سيما الصلاة فانه اقرب ما يكون العبد من ربه وهو
ساجد وقد شرح هذا المقام كما تقدم في الفاتحة قوله صلي الله عليه وسلم اعوذ بعفوك من
عقوبتك فان هذه الجملة افادت كما قال الامام الغزالي في كتاب الشكر من الاحيا افعال الله فقط فكانه
لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله قال ثم اقترب ففني في مشاهدة الاحوال وترقي الي
مصادر الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم راي ذلك نقصانا
في التوحيد فاقترب وترقي من مقام مشاهدة الصفات الي مشاهدة الذات فقال واعوذ بك منك
فرارا منه اليه من غير روية فعل ولكنه راي نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومبينا ففني عن
مشاهدة نفسه اذا راي ذلك نقصانا فاقترب فقال انت كما اثنيت علي نفسك لا احصي ثنا عليك فقوله
لا احصي فنا عن نفسه وخروجه عن مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت بيان ان المثني هو والمثني
عليه وان الكل منه بدا واليه يعود فكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين وهو ان لا يري الا   وان كل شي هالك الا وجهه صح
الله وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل فانظر الي ما ذا انتهت نهايته اذا انتهي الي الواحد الحق حتي ارتفع
من نظره ومشاهدته سوي الذات الحق ولقد كان صلي الله عليه وسلم لا يرقي من رتبة الي اخري
الا ويري الاولي بعدا بالاضافة الي الثانية فكان يستغفر الله من الاولي ويري ذلك نقصا في سلوكه
وتقصيرا في مقامه واليه الاشارة بقوله صلي الله عليه وسلم انه ليغان علي قلبي حتي استغفر الله
في اليوم والليلة سبعين مرة فكان ذلك لترقيه الي سبعين مقاما بعضها يعد نقصا لنقص اوايلها
وان كان مجاوزا اقصي غايات مقامات الخلق ولكن كان نقصانا بالاضافة الي اواخرها فكان استغفاره
لذلك ولما قالت عايشة رضي الله عنها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فما هذا البكا في السجود
وما هذا الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا معناها افلا اكون طالبا للمزيد في المقامات فان الشكر
سبب الزيادة حيث قال تعالي ولين شكرتم لازيدنكم انتهي وهو علي ما تري من النفاسة فمن اكثر من الدعا
في سجوده فقمن ان يستجاب له والصلاة لا تكون الا بالقراة فاذا فعلت ذلك احتجبت عن الاغيار بحجاب
منيع فازددت صفا وصفت حالك عن الغير كما يرشد اليه ما في صحف ابراهيم عليه السلام ينبغي
للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا علي شانه فقد رجع اخرها علي الاول علي احسن وجه واجمل

مقصودها تفصيل الامر الذي هو احد قسمي ما ضمنه مقصود اقرا وعلي ذلك دل اسمها لان الليلة فضلت

به فهو من اطلاق المسبب على السبب وهو دليل من يقول باعتياد تفضيل الاوقات لاجل ما كان فيها
كما قال ذلك اليهودي في اليوم الذي نزل فيه اليوم اكملت لكم دينكم واقره الفاروق عمر بن الخطاب
رضي الله عنه على ذلك واعلمه انه صار لنا عيدين عيدا من جهة كونه يوم عرفة وعيدا من جهة كونه
يوم جمعة بسم الله الذي جل امره وتنزه ذاته الرحمن الذي عمت رحمته فبدعت صفاته
الرحيم الذي خص اهل التوحيد باتمام النعمة فاختصت بهم جناته لما ذكر الله سبحانه كتابه في
هذا الذكر العربي المعجز ذكرا تركه مستحضرا في كل قلب كان ذلك مغنيا عن اعادته بصريح اسمه فكان
متى اضمر علمه المخاطب لما في السياق من القراين الدالة عليه وبما له في القلب من العظمة وفي الذهن
من الحضور لاسيما في هذه السورة لافتتاح السورة بالامر بقراءته وختمها بالصلاة التي هي اعظم
اركانها فكانت دلالتها عليه دلالة هي في غاية الوضوح فكان كانه قال واقترب بقراءة القرآن في
الصلاة فكان اضماره ادل على العظمة من اظهاره لدلالة الاضمار على انه ما ثم شي ينزل غيره بحيث لا
يحتاج الى التصريح به قال مفخما له باموراضماره واسناد انزاله اليه وجعل ذلك في مظهر العظمة وتعظيم
وقت انزاله المتضمن لعظمة البلد الذي انزل فيه على قول الاكثر والنبي الذي انزل عليه مؤكدا لاجل
ما لهم من الانكار انا اي بما لنا من العظمة انزلناه اي هذا الذكر كله من اللوح المحفوظ الى بيت
العزة من السما الدنيا مرتبا هذا الترتيب الذي جمع الله الامة المعصومة عليه وهو الموجود
الآن وكذا كان انزال اول نجم منه وهو اول السورة الماضية انزالا مفيدا فالان عظمته من عظمتنا
بما له من الاعجاز في نظمه ومن تقاصر القوي عن الاحاطة بعلمه واول ما انزل منه صدرها الى خمس
ايات منها آخرها ما لم يعلم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مجاور في هذا الشهر الشريف بجبل حرا
من جبال مكة المشرفة ثم صار ينزل مفرقا بحسب الوقايع حتى تم في ثلث وعشرين سنة وكلما انزل
منه نجم يامر النبي صلى الله عليه وسلم بترتيبه في سورته عن امر الله حتى تم في السور على ما هو عليه الآن
على ما هو عليه في بيت العزة ولما عظمه بما ذكر زاده عظما بالوقت الذي اختار انزاله فيه ليكون طالعه
سعيدا كما كان اثره حميدا فقال في ليلة القدر اي الليلة التي لها قدر عظيم وشرف كبير والاعمال
فيها ذات قدر وشرف فكانت بذلك كانها مختصة بالقدر فلا قدر لغيرها وقال الامام ابو جعفر بن
الزبير ورد تعريفا بانزال ما تقدم الامر بقراته لما تقدمت الاشارة الى عظيم امر الكتب وان السالكين بنا
اليه سبحانه انما هو من ذلك الباب اعلم سبحانه بليلة انزاله وعرفنا بقدرها لنعتمدها في مظان دعا
ونعلق رجاينا ونجتهد في الاجتهاد في العمل لعلنا نوافقها وهي كالساعة من يوم الجمعة في ابهام
امرها مع جليل قدرها ومن قبيل الصلاة الوسطى ولله سبحانه في اخفا ذلك اعظم رحمة وكان
في التعريف بعظم قدر هذه الليلة التعريف بجلالة المنزل فيها فصارت سورة القدر من تمام ما
تقدم ووضح اتصالها انتهى ولما علم من السياق تعظيمها بعظمة ما انزل فيها وبالتعبير عنها بعد
قال مؤكدا لذلك التعظيم حثا على الاجتهاد في احيايها لان للانسان من الكسل والتداعي الى البطالة
ما يزهده في ذلك وما ادراك اي واي شي اعلمك وانت شديد التفحص ما ليلة القدر اي لم تبلغ
درايتك وانت اعلم الناس غاية فضلها ومنتهى علو قدرها على ما لك من سعة العلم واحاطة الفكر وعظيم
المواهب ولما ثبت عظمتها بالتنبيه على انها اهل لان يسال عن خصايصها قال مستانفا ليلة القدر
اي التي خصصناها بانزالنا له فيها خير من الف شهر اي خالية عنها او العمل فيها خير من العمل في الف
شهر ليس فيها ليلة قدر وذلك ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر قالوا وهي مدة ملك بني امية سوا وتسميتها بذلك
لشرفها ولعظيم قدرها او لانه يفصل فيها من ام الكتاب مقادير الامور فيكتب فيها عن الله حكم ما يكون

من تلك الليلة الى مثلها من العام المقبل من قولهم قدر الله على هذا الامر يقدره قدرا اي قضاه
وهي الليلة المرادة في سورة الدخان بقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للمبالغة
بنهاية مراتب العدد ليكون ابلغ من السبعين في تعظيمها او لان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر شخصا من
مومني بني اسرايل لبس السلاح مجاهدا في سبيل الله الف شهر فعجب المومنون منه وتقاصرت اليهم
اعمالهم فاعطاهم سبحانه ليلة من قامها كان خيرا من ذلك واخفاها في العشر الاخير من شهر رمضان
في قول الجمهور على ما صح من الاحاديث ليجتهدوا في ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة
والصلاة الوسطى في الخمس واسمه الاعظم في الاسما ورضاه في ساير الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه
في المعاصي لينتهوا عن جميعها وقيام الساعة في الاوقات ليجتهدوا في كل لحظة حذرا من قيامها والسر
في ذلك ان النفيس لا يوصل اليه الا باجتهاد عظيم اظهارا لنفاسته واعظاما للرغبة فيه وايذانا
بالسرور به لكن جعل السورة ثلثين كلمة سوايرجح انها السابعة والعشرون التي وازاها قوله هي كما
نقل عن ابي بكر الوراق ولما عظمها ذكر وجه العظم ليكون اعلاما بعد ابهام فهو اوقع في النفس
فقال مستانفا تنزل اي تنزلا متدرجا مواصلا على غاية ما يكون من الخفة والسرعة بما اشار اليه
حذف التا الملايكة اي هذا النوع العظيم الذي هو خير كله والروح اي جبريل عليه السلام خصه
بيانا لفضله او هو مع اشراف الملايكة او هو خلق اكبر من الملايكة او امر تسكن اليه نفوس العارفين
ويحصل به اليمن والبركة فيها واشار الى خفا ذلك التنزل باسقاط تا التنزل مع ما تقدم من الاشارة
ودل على زيادة البركة في ذلك التنزل وعظم طاعة الملايكة بقوله باذن ربهم اي بعلم المحسن اليهم المربي
لهم وتنزلهم الى الارض او السما الدنيا او تقربهم من المؤمنين مبتدي تنزلهم من كل امر اي الامور
الكلية التي يفرقون فيها باذن الله تفاصيل الامور التي يريدها سبحانه في ذلك العام في اوقاتها
من تلك الليلة الى مثلها من العام المقبل او من اجل تقدير كل شي يكون في تلك السنة وعبر عن الشي بالامر
اعلاما بانهم لا يفعلون شيا منه الا بامره ولما ذكر سبحانه هذه الفضايل كانت النتيجة انها
متصفة بالسلامة التامة كاتصاف الجنة التي هي سببها فكان ذلك ادل على عظمتها فقال سلام اي عظيم
جدا هي اي ما هي الا سلامة وخير ليس فيها شر ولا يزال ذلك السلام والبركة فيها حتى اي الى مطلع
الفجر اي طلوعه ووقت طلوعه وموضع طلوعه لا يكون فيه شر كما في غير ليلتها فلا تطلع الشمس
في صبيحتها بين قرني شيطان ان شا الله وذلك سر قراة الكساي والله اعلم والتعبير بحتى دون الى
ليفهم ان لما بعدها حكم ما قبلها فيكون المطلع في حكم الليلة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جبريل عليه
السلام ينزل ليلة القدر في كوكبة من الملايكة ومعه لوا اخضر يركزه فوق الكعبة ثم يفرق الملايكة في
الناس حتى يسلموا على كل قايم وقاعد وذاكر وراكع وساجد الى ان يطلع الفجر فمن تامل هذه السورة
علم منها ما للقران من العظمة فاقبل بكليته يتلوه حق تلاوته كما امر في سورة اقرا فامن من غير شك من
هول يوم الدين المذكور في التين ومن تلاوته بحقه تعظيم ليلة القدر لما ذكر من شرفها وذلك حاد
الى الحرص عليها في كل السنة فان لم يكن ففي كل رمضان فان لم يكن ففي جميع ليالي العشر الاخير منه ليكون
له من الاعمال بسبب فضلها ومضاعفة العمل فيها ما لا يحصيه الا الله بحيث انه ربما كان خيرا من عمل من
اجتهد فيما قبلنا الف سنة ورجوع آخرها بكون هذا التنزل في ليلة القدر على اولها في غاية الوضوح
لان اعظم السلام فيها نزول القران ولعل كونها ثلاثين كلمة اشارة الى ان خلافة النبوة التي هي
ثلثون سنة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم التي آخرها يوم نزل امير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله
عنهما فيه عن الخلافة لمعوية رضي الله عنه في شهر ربيع الاول سنة احدى واربعين هي كليلة القدر في

في الزمان وما بعدها كليا الي الفاضل فيه الفاضل وغيره وتلك المدة كانت لخمس خلفا اشارت اليهم حروف
الكلمة الاخيرة منها فالالف لابي بكر رضي الله عنه وهي في غاية المناسبة له فان الربانيين قالوا هو
اسم للقايم المحيط الاعلي الغايب عن مقامه كهي الحاضر معه وجودا كالروح وكذا كان رضي الله
عنه حاضرا مع الامة بوجوده وهو غايب عنهم بتوجهه وجميع قلبه انما هو مع الله تعالي واللام
لعمر رضي الله عنه وهي شديدة المناسبة له فانها صلة بين باطن الالف وظاهر الميم الذي هو لمحمد
صلي الله عليه وسلم لانه للتمام وكذلك فعل وصل بين السيرتين وصلا تاما بحيث وصل ضعف الصديق
في بدنه وقوته في امر الله بقوة رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي انتظم الامر به انتظاما لا مزيد
عليه والفا لعثمان رضي الله عنه وهو اشارة لبدء خلوص منه لتنقل بمزيد او نقص دايته الفطرة الاولي واتيها
المحسوسة اللين اول خروجه اذا اصابه اقل شي من الهوا الممدود غيره وكذلك الفطرة اذا اصابها اقل شي
من الهوي المقصور غيرها وكذا كان حاله رضي الله عنه حصلت افات الاحسان الي اقاربه الذي قاده
اليه قوي فطرته حتي حصلت له الافات الكبار رضي الله عنه والجيم لعلي رضي الله عنه وهو اشارة الي
الجمع والاجمال الذي يحصل عنه عنا وهو انسب الامور له رضي الله عنه فانه حصل به الجمع بعد الافتراق
العظيم بقتل امير المومنين عثمان رضي الله عنه شهيدا مظلوما وحصل به الاجمال لكن لم يتم التفصيل
بسبب ما حصل من العناد والكرا اشارة الي الحسن رضي الله عنه وهي تطوير وتصيير وتربية وهي
لكل مربب مثل زوج المراة وسيد العبد وكذلك فعل رضي الله عنه لما راي من الملك يهلك بقتل المسلمين ربابه
بنزوله عن الامر لمعوية فكان كالسيد اذن لعبده ترتي امره به **وقد** سماه النبي صلي الله عليه
وسلم سيدا رضي الله عنهم اجمعين

مقصودها الإعلام بان هذا الكتاب القيم من علو مقداره وجليل اثاره انه كما انه لقوم نور
وهدي فهو للاخرين وقر وعمي فيقود الي الجنة دار الابرار ويسوق الي النار دار الاشقيا الفجار
وعلي ذلك دل كل من اسمايها الذين كفروا والمنفكين بتامل الاية في انقسام الناس الي اهل الشقاوة
واهل الهداية وكذا القيمة بانقسام اهل الدعوة فيها بحسب الارادة الي القسمين اهل الشقاوة
واهل السعادة **بسم الله** الذي له العلو المطلق فلا يخرج شي عن مراده **الرحمن** الذي عم بنعمة
ايجاده وبيانه جميع عباده **الرحيم** الذي خص اهل وداده بالاعمال المتكفلة بانجاح العامل بها
واسعاده **لما اخبر** تعالي ان الليلة الشريفة التي صانها بنوع خفا في تنزل من يتنزل فيها وفي
تعيينها لا تزال قايمة علي ما لها من تلك الصفة حتي ياتي الفجر الذي يحصل به غاية البيان اخبر ان اهل
الاديان سوا كان لها اصل في الحق ام لا لم يصح في العادة الجارية علي حكمة الاسباب في دار الاسباب
ان يتحولوا عما هم فيه الا بسبب عظيم يكون بيانه اعظم من بيان الفجر وهو القران المذكور في القدر والرسول
المنزل عليه ذلك فقال **لم يكن** اي في مطلق الزمان الماضي والحال والاستقبال كونا هو كالجبلة والطبع
وهذا ايد ل علي ما كانوا عليه قبل ذلك بن انهم يبدلون ما هم عليه من الكفر او الايمان بكفر او بدعة ثم لا
يثبتون عليه لان ذلك ليس في جبلاتهم وانما هو خاطر عارض كما هو محكي عن سيرتهم من بعد موسي عليه
السلام لما كانت تسوسهم الانبيا عليهم السلام كما دل علي بعض ذلك قوله تعالي فعموا وصموا ثم تاب الله
عليهم ثم عموا وصموا وكذا المشركون كانوا يبدلون دين اسمعيل عليه السلام ولا ينفصلون عنه بالكلية
وتارة يعبدون الاصنام وتارة الملايكة واخري الجن ولم يكونوا يثبتون علي حالة واحدة ثباتا
كليا مثل ثباتهم علي الاسلام بعد مجي البينة ونساهم امور الجاهلية بالكلية حتي نسوا الميسر فلم يكن احد من

اولادهم

من اولادهم يعرف كيفيته وكذا السايبة وما معها وغير ذلك من خرافاتهم **الذين كفروا** اي ستروا
كانوا عريقين في الكفر اما لا ولما كان العالم اولي باتباع الحق واشد جرما عند فعل ما يقتضي
اللوم بدا بقوله **من اهل الكتاب** اي من اليهود والنصاري الذين كان اصل دينهم حقا
فالحدوا فيه بالتبديل والتحريف والاعوجاج في صفات الله تعالي ثم نسخه الله تعالي بما شرع من
مخالفته في الفروع وموافقته في الاصول فكذبوا **والمشركين** اي بعبادة الاصنام والنار والشمس
ونحو ذلك ممن هم عريقون في دين لم يكن له اصل في الحق بان لم يكن لهم كتاب **منفكين** اي منفصلين
زايلين عما كانوا عليه من دينهم انفكاكا يزيلهم عنه بالكلية بحيث لا يبقي لهم به علقة ويثبتون علي
ذلك الانفكاك واصل الفك الفتح والانفصال لما كان ملتحما من فك الكتاب والختم والعظم اذا ازيل
ما كان ملتصقا ومتصلا به او عما في انفسهم من ظن اتباع الحق اذا جاءهم الرسول المبشر به بما كان اهل
الكتاب يستفتحون به والمشركون يقسمون بالله جهد ايمانهم لين جاءهم نذير ليكونن اهدي من احدي
الامم فيصيروا بذلك احزابا وفرقا **حتي** اي الي ان **تاتيهم** عبر بالمضارع لتجدد البيان في كل
وقت بتجدد الرسالة والتلاوة **البينة** اي الاية التي هي في البيان كالفجر المنير الذي لا يزداد
بالتمادي الا ظهورا وضيا ونورا وذلك هو الرسول وما معه من الايات التي اعظمها الكتاب
سوا كان التوراة او الزبور او الانجيل او القران ولذلك ابدل منها قوله **رسول من الله** اي الذي
له الجلال والاكرام **يتلوا** اي يقرا قراة متواترة ذلك الرسول بعد تعليمنا له **صحفا** جمع صحيفة وهي
القرطاس والمراد ما فيها عبر بها عنه لشدة المواصلة **مطهرة** اي هي في غاية الطهارة والنزاهة
من كل قذر بما جعلنا لها من البعد من الادناس بان الباطل من الشرك بالاوثان وغيرها من كل زيغ لا
ياتيها من بين يديها ولا من خلفها وانها لا يمسها الا المطهرون وقراته وان كان اميا لمثل ما فيها قراة
لها **ولما** عظمه بان وصف صحفه التي هي محل المكتوب بالطهارة بين سبب ذلك فقال **فيها** اي
تلك الصحف **كتب** جمع كتاب اي علوم هي لنفاستها حقيقة بان تكتب **قيمة** اي هي في غاية الاستقامة
لنطقها بالحق الذي لا مرية فيه ليس فيها شرك ولا عوج بنوع من الانواع فاذا اتتهم هذه البينة
انفكوا وانفكاكهم انهم كانوا مجتمعين قبل هذا يومنون بالنبي صلي الله عليه وسلم لما عندهم من
البشاير الصريحة به والمشركون يقولون لين جانا نذير ليكونن اهدي من احدي الامم ويقولون
نحن نعرف الحق لاهله ولا ندفعه بوجه فلما جاءهم النبي صلي الله عليه وسلم بما لا شبهة فيه تفرقوا
فبعض امن وبعض كفر وقال الامام ابو جعفر بن الزبير هي من كمال ما تقدمها لانه لما امره عليه
الصلاة والسلام بقراة كتابه الذي به اتضحت سبيله وقامت حجته واتبع ذلك بالتعريف بليلة
انزاله وتعظيمها بعظيم ما اهلت له مما انزل فيها اتبع ذلك بتعريفه عليه السلام بان هذا الكتاب هو
الذي كانت يهود تستفتح به علي مشركي العرب وتعظم امره والامر الاتي به حتي اذا حصل ذلك
مشاهدا لهم كانوا اول كافر به فقال تعالي لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين
حتي تاتيهم البينة الي قوله وذلك دين القيمة وفي التعريف بهذا تاكيد ما تقدم بيانه مما يثمر الخوف
ويمنح باذن الله التسليم والتبري من ادعا حول او قوة فان هولا قد كانوا اقدم الناس في امر الكتاب والا
به ما يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وقد كانوا يوملون الانتصار به عليه السلام
من اعدايهم ويستفتحون بكتابه فرحم الله من لم يكن عنده علم منه فابي بكر وعمر وانظارهما رضي الله عنهم
وحرم هولا الذين كانوا علي بصيرة من امره وجعلهم بكفرهم شر البرية ورضي عن الاخرين ورضوا عنه
واسكنهم في جواره ومنحهم الفوز الاكبر والحياة الابدية وان كانوا قبل بعثه عليه السلام علي جهالة

وعمي فلم يضرهم اذ قد سبق لهم في الازل اولئك هم خير البرية انتهى ولما كان التقدير
فاذا اتتهم البينة انفكوا فلقد تفرق المشركون بعد اتيانك وانت البينة العظمى اليهم الى مهتد
وضال والضلال الى مجاهر ومساتر وكذا اهل الكتاب ثم ما اجتمع العرب على الهدى الا من
بعد ما جاءتهم البينة عطف على هذا الذي افهمه السياق قوله معلما بزيادة القبح في وقوع الذنب
من العالم بافرادهم بالتصريح عن المشركين وما تفرق اي الآن وفيما مضى من الزمان تفرقا
عظيما الذين ولما كانوا في حال هي الليق بالاعراض بني للمفعول قوله الذين اوتوا الكتاب
اي عما كانوا عليه من الاطباق على الضلال او الوعد باتباع الحق المنتظر في محمد صلى الله عليه وسلم
وكذا كان فعلهم في عيسى صلى الله عليه وسلم من قبل فاستمر بعضهم على الضلال وبالغ في نقض
العهد والعناد وقد في بعض بالوعد فاهتدى وكان تفرقهم لم يعد تفرقا الا زمنا يسيرا ثم اجتمعوا
فلم يؤمن منهم من يعد خلافه لباقيهم تفرقا لكونه قليلا من كثير فلذلك ادخل الجار فقال الا من
بعد وكان ذلك الزمن اليسير هو باسلام من اسلم من قبايل العرب الذين كانوا قد اطبقوا على
النصرانية من تنوخ وغسان وعاملة وبكر بن وايل وعبد القيس ونحوهم وكذا من كان تهود
من قبايل اليمن واسلم ثم اطبق اليهود والنصارى على الضلال فلم يسلم منهم الا من لا يعد لقلته متفرقا
لهم ما اي الزمن الذي جاءتهم فيه او مجي البينة فكان حالهم كما قال سبحانه وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد كان مجي البينة يقتضي اجتماعهم
على الحق لا تفرقهم فيه وكانه اشار الى المشركين بالعاطف ولم يصرح بذكرهم لانهم كانوا عكس اهل
الكتاب لم يتفرقوا الا زمنا يسيرا في اول الامر فكان الضال منهم اكثر ثم اطبقوا على الهدى لما لهم
من قويم الطبع ومعتدل المزاج فدل ذلك على غاية العوج لاهل الكتاب لانهم كانوا لما عندهم
من العلم اولى من المشركين بالاجتماع على الهدى ودل ذلك على ان وقوع اللدد والعناد من العالم
اكثر وحصول الآفة لهم من قوة ما لطباعهم من كدر النقص بتربيته وتنميته بالمعاصي من اكل السحت
من الربا وغيره من الكباير والتسويف بالتوبة فالفت ذلك ابدانهم فاشربته قلوبهم حتى تراكمت
ظلامها وتكاثف رينها وغمامها فلما دعوا لم يكن عندهم شي من نور تكون لهم به قابلية الانقياد
للدعا ولما كان حال من ضل على علم اشنع زاد في فضيحتهم فقال وما اي فعلوا ذلك والحال انهم
ما ولما كان المقصود بروز الامر المطاع لا تعيين الامر قال بعد وصف الصحف بانه ثبت انها
قيمة بانيا للمفعول امروا اي وقع امرهم بما امروا به ممن اذا اطلق الامر لم يستحق ان ينصرف
الا اليه في تلك الكتب التي وجب ثبوت اتباعها واذعنوا له الا ليعبدوا اي لاجل ان يعبدوا
الله اي الاله الذي له الامر كله ولا امر لاحد غيره بان يوحدوا عبادته ويجددوها في كل وقت
والعبادة امتثال امر الله كما امر على الوجه المامور به من اجل انه امر مع المبادرة بغاية الحب
والخضوع والتعظيم وذلك مع الاقتصاد لئلا يمل الانسان فيخل او يحصل له الاعجاب فتفسد عبادته
حال كونهم مخلصين اي ثابتا غاية الثبات اخلاصهم له الدين بحيث لا يكون فيه شوب شي مما يكدره
من شرك جلي ولا خفي بان يكون الامتثال لكونه امر طلبا لرضاه لا لشي من نفع ولا دفع ويكون ذلك على
الصواب فان كثيرا من العاملين يكون مخلصا ويكون بناؤه بغير اساس صالح فلا ينفعه بل يكون
وبالا عليه فانه ضيع الاصل كالرهبان وكذا كثير ممن يعتقد ولاية شخص وهو لا يعرف ان يميز بين
الولي والعدو والمكرم والمستدرج وحقيقة الاخلاص انه افراد الحق في الطاعة بالقصد مع نسيان
الخلق في الاعمال والتوصل اليه بالتوقي عن ملاحظتهم مع التنقي عن مطالعة النفس برؤية العبد نفسه

عبدا

عبدا مامورا لا يريد ثوابا اجلا ولا عاجلا كل شي وسيلة الى الله وعلامته عدم رؤية العمل ويعرف ذلك بالخوف
وعدم الالتفات الى طلب الثواب وبالحيا منه لكونه يرى انه ما قام بحق السيد على ما ينبغي كما قال
تعالى يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون • قال القشيري ويقال الاخلاص
تصفية العمل من الخلل • وقال الرازي الاخلاص النية الصافية لان النية دايمة والعمل ينقطع
والعمل يحتاج الى النية والنية لا تحتاج الى العمل ولاجل ما افهمه التعبير بالاسم من التمكن والثبات
اكده بقوله حنفا اي في غاية الميل مع الدليل الى القوم بحيث لا يكون عندهم اعوجاج اصلا بل
مهما حصل اذى زيغ عرضوه على الدليل فمالوا معه بما لهم من الحنف فقادهم الى الصلاح فصاروا
في غاية الاستقامة وتلك هي العبادة الاحسانية واصل الحنف في اللغة الميل • قال الملوي وخصه
العرف بالميل الى الخير • ولذا سمي الاحنف بن قيس لميل في رجليه الى داخل من جهة القدام ولا الى الورا
وسموا الميل الى الشر الحادا فالحنيف المطلق الذي يكون متبريا عن اصول الملل الخمسة اليهود
والنصارى والصابين والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع النحل الى الاعتقادات وعن توابعها
من الخطايا والسيات الى العمل الصالح وهو مقام التقي وعن المكروهات الى المستحبات وهو المقام
الاول من الورع وعن الفضول شفقة على خلق الله وهو ما لا يعني الى الذي يعني وهو المقام الثاني
من الورع وعما يجر الى الفضول وهو مقام الزهد • فالاية جامعة لمقامي الاخلاص الناظر احدهما
الى الحق والثاني الى الخلق فالاخلاص لمقام المشتغل بالمصفى له لانه افراد الحق بالقصد في الطاعة
والحنوف لمقام المشتغل بالمصفى منه لانه الميل عن ساير المخلوقات الى الله والى ما يرضيه • ولما ذكر
اصل الدين اتبعه الفروع فبدا باعظمها الذي هو مجمع الدين وموضع التجرد عن العوايق فقال ويقيموا
اي يعدلوا من غير اعوجاج ما بجميع الشرايط والاركان والحدود الصلاة لتصير بذلك اهلا لان تقوم
بنفسها وهي من التعظيم لامر الله • ولما ذكر صلة الخالق اتبعها صلة الخلايق فقال ويؤتوا الزكاة
اي بان يحضروها لمستحقيها شفقة على خلق الله اعانة على الدين اي ولكنهم حرفوا ذلك وبدلوه بطيبا يعمهم
المعوجة وتدخل الزكاة عند اهل الله في كل ما رزق الله من عقل وسمع وبصر ولسان ويد ورجل وجاه
وغير ذلك كما هو واضح من قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون • ولما كان هذا دينا حسنا بينا فضلوا
عنه على ما عندهم من الادلة زاد في توبيخهم بمدحه فقال وذلك اي والحال ان هذا الموصوف
من العبادة على الوجه المذكور الذي هو في غاية العلو والخير دين القيمة اي الملة والنفوس
او الكتب التي لا عوج فيها وهو على الاول من اضافة الموصوف الى الصفة وعن الخليل انه قال
هو جمع قيم والقيم والقايم واحد والمعنى دين القايمين لله بالتوحيد ودل على قدرته في امر
المشركين بذكرهم في نتيجة ما مضى في قوله مؤكدا لاجل انكارهم ان الذين كفروا اي وقع منهم
الستر لمرائي عقولهم بعد صرفها للنظر الصحيح فضلوا واستمروا على ذلك وان لم يكونوا عريقين فيه
من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى والمشركين اي العريقين في الشرك ودل بالاتيان
بالوصف هنا والفعل في اوليك والله اعلم على ان المشرك يرجع عن شركه ويؤمن ان لم يكن عريقا في الشرك
بخلاف اهل الكتاب متى تلبس احد منهم بكفر لا يرجع عنه وان كان تلبسه على اضعف الوجوه وكذا كل
من ينسب الى علم ولا سيما ان كان بليدا متى عرضت له شبهة بعد رجوعه عنها فكذلك جمع بينهم في قوله
في نار جهنم اي النار التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة تكون عذابا لاجسامهم خالدين فيها اي يوم القيمة
او في الحال لسعيهم في موجباتها واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب التساوي في النوع بل
تختلف بحسب اشتداد الكفر وخفته • ولما كان معظم السياق للعبادة والترغيب فيها من العراة

والسجود والانفكاك عن الكفر لم يذكر التابيد بلفظه بل اكتفي بما دل عليه وقال في نتيجة ما مضي
أولئك أي البعدا البغضا هم اي خاصة بما لضمايرهم من الخبث شر البرية اي الخليقة الذين
اهملوا اصلاح انفسهم وفرطوا في جوانحهم وما ربهم وهذا نار لارواحهم حين ينادي عليهم به
ولما ذكر الاعدا وبدا بهم لان السياق لذم من جمد مع المالوف وترك المعروف اتبعه الاوليا
فقال مؤكدا لما للكفار من الانكار ان الذين امنوا اي اقروا بالايمان من الخلق كلهم الملايكة وغيرهم
وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات اي هذا النوع ولما كان نعيم القلب اعظم قدمه علي
نعيم البدن ابلاغا في مدحهم فقال أولئك اي العالوا الدرجات هم اي خاصة خير البرية
ولما خصصهم بالخير ذكر ثوابهم فقال ذاكرا جنة ابدانهم معظما لهم بالتعبير عن انعامه عليهم
بلفظ الجزا المؤذن بانه في مقابلة ما وصفوا به جزاؤهم اي علي طاعاتهم وعظمه بقوله عند
ربهم اي المربي لهم والمحسن اليهم جنات عدن اي اقامة لا تحول عنها تجري اي جريا دايما لا انقطاع
له ولما كان عموم الما مانعا من تمام اللذة قرب وبعض بقوله من تحتها اي تحت ارضها
وغرفها واشجارها الانهار ولما كان النظر الي الترغيب في هذا السياق اتم حثا علي اتباع الدليل
المعروف والمفارقة للحال المالوف اكد معني الخلود تعظيما لجزايهم بقوله ابدا ولما كان هذا
كله ثمرة الرضي وكان التصريح به اقر للعين لانه جنة الروح او معللا رضي الله اي بماله من
نعوت الجلال والجمال عنهم اي بما كان سبق لهم من العناية والتوفيق ولما كان الرضي اذا
كان من الجانبين كان اتم قال ورضوا عنه لانهم لم تبق لهم امنية الا اعطاهموها
مع علمهم انه متفضل في جميع ذلك لا يجب عليه لاحد شي ولا يقدره احد حق قدره فلو اخذ الخلق
بما يستحقونه اهلكهم واعظم نعمة عليهم بعد ما من عليهم به من متابعتهم رسول الله صلي الله عليه وسلم
فان ذلك كان سببا لكل خير ولما كان ذلك ربما ادعي انه لناس مخصوصين في زمان مخصوص
قال معمما له ومنبها علي الوصف الذي كان سبب اعمالهم التي كانت سبب جزايهم ذلك اي الامر
العالي الذي جوزوا به لمن خشي ربه اي خاف المحسن اليه خوفا يليق به فلم يركن الي التسويف والتكاسل
ولم يطبع نفسه بالشر بالجري مع الهوي في التطعم بالمحرمات بل كان ممن يطلب معالي الاخلاق فيستغني
قلبه فيما يرضي ربه فكان تواتر احسانه يزيده خوفا فيزيده شكرا فان الخشية ملاك الامر والباعث
علي كل خير وهي للعارفين قال الملوي ما معناه ان الانسان اذا استشعر عقابا ياتيه او خسر الجنة
حالة يقال لها الخوف وهي انخلاع القلب عن طمانينة الامن وقلقله واضطرابه لتوقع مكروه فان اشتد
سمي وجلا لجولانه في نفسه فان اشتد سمي رهبا لادايه الي الهرب وهي حالة المؤمنين الفارين
الي الله ومن غلب عليه الحب لاستغراق في شهود الجماليات لحقته حالة تسمي مهابة اذ لا ينفك عن
خوف ابعاد او صد لغفلة او زلة ومن غلب عليه التعظيم لاستغراق في شهود الجلاليات صار في اجلال
وورا هذا الخشية انما يخشي الله من عباده العلما فمن خاف ربه هذا الخوف انفك من جميع ما عنده
مما لا يليق بجنابه سبحانه ولم يقدح في البينة ولا توقف فيها وما فارق الخوف قلبا الا خرب فكان
جديرا بان يقدح في كل ما ادي الي العمارة وقد رجع آخر السورة علي اولها بذلك وبتصنيف
الناس صنفين صنف انفك عن هوي نفسه فانجاها وصنف استمر في اسره فارداها وقد ذكرت
في مصاعد النظر للاشراف علي مقاصد السور سر تخصيص النبي صلي الله عليه وسلم لابي رضي الله
عنه بقراة هذه السورة عليه بخصوصها وحاصله ان سبب تخصيصه بذلك انه وجد اثنين من الصحابة
رضي الله عنهم تدخلاه في القراة فرفعهما الي النبي صلي الله عليه وسلم فامرهما فعرضا عليه فحسن لهما قال

فسقط

ولما كانت اللذة لا تتكمل الا
بالدوام قال خالدين فيها
صح

فسقط في نفسي من التكذيب اشد مما كان في الجاهلية فضرب صلي الله عليه وسلم في صدري ففضت عرقا
وكانما انظر الي الله فرقا ثم قص علي خبر التخفيف بالسبعة الاحرف وكانت السورة التي وقع فيها الخلاف
النحل وفيها انه سبحانه يبعث رسوله صلي الله عليه وسلم يوم البعث شهيدا وانه نزل عليه الكتاب
تبيانا لكل شي وهدي ورحمة وانه نزل عليه روح القدس بالحق ليثبت الذين امنوا وان اليهود
اختلفوا في السبت وسورة لم يكن علي قصرها حاوية اجمالا لكل ما في النحل علي طولها بزيادة وفيها
التحذير من الشك بعد البيان وتقبيح حال من فعل ذلك وان حاله يكون كحال الكفرة من اهل الكتاب
في العناد فيكون شر البرية فقراها صلي الله عليه وسلم عليه رضي الله عنه تذكيرا له بذلك كله علي
وجه ابلغ واخصر ليكون اسرع له تصورا فيكون ارسخ في النفس واثبت في القلب واعشق للطبع
فاختصه الله بالتثبيت واراد له الثبات فكان من المريدين المرادين لما وصل الي قلبه ببركة ضرب
النبي صلي الله عليه وسلم لصدره من كشف الحجب ونفي الشياطين والنظر الي سبحات القدس وشهود
تلك الحضرة الشما وصيرورته الي ان يكون اصفي الصحابة رضي الله عنهم مراقبة لتلاوة النبي صلي
الله عليه وسلم بما يتذكر من الامر بتخصيصه بذلك فيصير كلما قرا هذه السورة الجامعة غايبا عن تلاوة
نفسه مصغيا باذني قلبه الي روح النبوة يتلو عليه ذلك فيدوم له حال الشهود الذي وصل
اليه بسر تلك الضربة ولثبوته في هذا المقام قال صلي الله عليه وسلم اقراوكم ابي رواه احمد
والترمذي وابن ماجة عن انس رضي الله عنه وهو صحيح ورواه بعضهم مرسلا ومما فيه ولم
اذكره في المصاعد سنة التواضع حتي لا يمنع احدا ما يراه من علوه من القراة علي من هو دونه فانه
ما منع اكثر اهل الكتاب من الاسلام الا رؤية ما كانوا عليه من العلم بكتب الله وسنن الرسل عليهم السلام
وجهل العرب بذلك فنظروا الي ما كان ولم ينظروا الي الحالة الراهنة الان فخلق الحسد
ادبانهم وسلبهم ايمانهم وصاروا اشقي الناس كما نبه عليه اول السورة نسال الله العافية

مقصودها انكشاف الامور وظهور المقدور اتم ظهور وانقسام الناس في الجزا في دار البقا الي
سعادة وشقا وعلي ذلك دل اسمها بتامل الظرف ومظروفه وما افاد من بديع القدر وصروفه
بسم الله المحيط بكل شي قدرة وعلما الرحمن الذي عم الخلق بنعمته الظاهرة قسما
الرحيم الذي اتم النعمة علي خواصه حقيقة واسما عينا ورسما لما ختم تلك بجزا الصالح والطالح
في دار البقا علي ما اسلفوه في موطن الفنا ذكر في هذه اول مبادي تلك الدار واول غاياتها وذكر في
القارعة ثواني مباديها وآخر غاياتها وابلغ في التحذير بالاخبار بانها رما يكون عليه الجزا فقال معبرا
باداة التحقق لان الامر حتم لا بد من كونه اذا ولما كان المخوف الزلزلة ولو بعلم فاعلها وكان
البنا للمفعول يدل علي سهولة الفعل ويسره جدا بني للمفعول قوله زلزلت الارض اي حركت
واضطربت زلزلة البعث بعد النفخة الثانية بحيث يعمها ذلك لا كما كان يتفق قبل ذلك من زلزلة
بعضها دون بعض وعلي وجه دون ذلك وعظم هذا الزلزال وهوله بابهامه لتذهب النفس فيه
كل مذهب فقال كاسر الزاي لانه مصدر ولو فتحها لكان اسما للحركة قال البيضاوي وليس الا
في المضاعف زلزالها اي تحركها واضطرابها الذي يحق لها في مناسبته لعظمة جرم الارض
وعظمة ذلك اليوم ولو شرح بما يليق به لطال الشرح وذلك كما تقول اكرم التقي اكرامه واهن
الفاسق الشقي اهانته اي علي حسب ما يليق به وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير وردت عقب سورة

لم م

واضطربت

البرية ليبين به حصول جزا الفريقين ومآل الصنفين المذكورين في قوله إنّ الذين كفروا من اهل الكتاب
الي قوله شرّ البريّة وقوله إنّ الذين امنوا الي خاتمة السورة **ولما** كان حاصل ذلك افتراقهم
علي صنفين ولم يقع تعريف بتباين احوالهم اعقب ذلك بمآل الصنفين واستيفا جزا الفريقين المجمل
ذكرهم فقال تعالي يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم الي اخر السورة انتهي **ولما**
كان الاضطراب العظيم يكشف عن الخفي في المضطرب قال **واخرجت** واظهر ولم يضمر تحقيقا للعموم
فقال **الارض** اي كلها **اثقالها** اي مما هو مدفون فيها من الاموات والكنوز التي كان امرها ثقيلا
علي الناس وهو جمع ثقل بالكسر وذلك حين يكون البعث والقيام متأثرا ذلك الاخراج عن ذلك الزلزال
كما يتأثر عن زلزال البساط بالنفض اخراج ما في بطنه وطيه وغضونه من وسخ وتراب وغيره وما
كان علي ظهرها فهو ثقل عليها لا لها يعطيها الله قوة اخراج ذلك كله كما كان يعطيها قوة ان تخرج النبت
الصغير اللطيف الطري الذي هو انعم من الحرير فيشق الارض الصلبة التي تكل عنها المعاول والحديد
ويشق النواه مع ما لها من الصلابة التي تستعصي بها علي الحديد فتنفلق نصفين ويثبت منها ما يزيل
سبحانه ويفلق قشر الجوز واللوز ونوى الخوخ وغيره مما هو في غاية الصلابة كما نشاهد ويخرج
منه الشجر يشق الارض علي سعفه ولينه وصلابتها ويكونه علي ظهرها حتي يصير اغلظ شي واشده وكذا
الحب سوا فالذي قدر علي ذلك سبحانه قادر علي تكوين الموتي في بطن الارض واعادتهم علي ما كانوا
عليه كما تكون الجنين في البطن ويشق جميع منافذه علي التحرير من السمع والبصر والفم وغير ذلك من
ان يدخل الي هناك بيكار ولا منشار ثم تخرج من البطن فكذا اخراج الموتي من غير فرق كل علته
هين سبحانه ما اعظم شانه واعز سلطانه **ولما كان** الانسان اذا رأي هذا عجب له ولم يدرك
سببه لانه امر عظيم فظيع يبهر عقله ويضيق عنه ذرعه عبر عنه بقوله **وقال الانسان** اي هذا
النوع الصادق بالقليل والكثير لما له من النسيان لما اكد عنده من امر البعث بما له من الانس بنفسه
والنظر في عطفه علي سبيل التعجب والدهش والحيرة ويجوز ان يكون القايل الكافر كما يقول من بعثنا
من مرقدنا فيقول له المومن هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون **ما لها** اي اي شي للارض
في هذا البعث لم يعهد مثله **ولما** طال الكلام واريد التهويل ابدل من اذا قوله معرفا للانسان
ما سال عنه **يومئذ** اي اذ كان ما ذكر من الزلزال وما لزم عنه ونصبه وكذا ما ابدل منه
بقوله **تحدث** اي الارض بلسان الحال باخراج ما في بطنها من الموتي والكنوز وغيرها علي وجه
يعلم الانسان به لم زلزلت ولم اخرجت وان الانذار بذلك كان حقا وقال ابن مسعود رضي الله
عنه تحدث بلسان المقال **اخبارها** اي التي زلزلت واخرجت ما اخرجت لاجلها وكل شي عمل عليها
شهاد منها علي العاملين فتقول عمل فلان كذا وكذا تعدد حتي يود المجرم انه يساق الي النار لينقطع
عنه تعداد ذلك الذي يلزم منه العار وتشهد للمؤمن بما عمل حتي يسره ذلك فيشهد للمؤذن كل ما
امتد اليه صوته من رطب ويابس **ولما** كان من المقرر انه لا يكون شي الا باذنه تعالي وكان
قد يبني الافعال لما لم يسم فاعله فكان الجاهل ربما خفي عليه فاعل ذلك قال **بان** اي تحدث بسبب
ان **ربك** اي المحسن اليك باحقاق الحق وازهاق الباطل لاعلا شانك **اوحي** وعدل عن حرف النهاية
ولما ابدانا بالاسراع في الايحا فقال **لها** اي بالاذن في التحديث المذكور بالحال او بالمقال
اخبر تعالي باخراج الاثقال التي منها الاموات اشتد التشوف الي هيئة ذلك الاخراج وما يتأثر عنه
فقال مكررا ذلك اليوم زيادة في التهويل **يومئذ** اي اذ كان ما تقدم وهو حين يقوم الناس
من القبور **يصدر** اي يرجع رجوعا هو في غاية السرعة والاهتدا الي الموضع الذي ينادون منه

لا يغلط

لا يغلط احد منهم فيه ولا يضل عنه **الناس** من قبورهم الي ربهم الذي كان لهم بالمرصاد ليفصل بينهم
اشتاتا اي متفرقين بحسب مراتبهم في الذوات والاحوال من مومن وكافر وآمن وخايف ومطيع وعاص
ولما ذكر ذلك اتبعه علته فقال بانيا للمفعول علي طريقة كلام القادرين **ليروا** اي يري الله
المحسن منهم والمسي بواسطة من يشا من جنوده او بغير واسطة حين يكلم سبحانه كل احد من غير ترجمان
ولا واسطة كما اخبر بذلك رسوله صلي الله عليه وسلم **اعمالهم** او صادرين عن الموقف كل الي داره
ليري جزا عمله ثم سبب عن ذلك قوله مفصلا الجملة التي قبله **فمن يعمل** من محسن او مسي مسلم او كافر
مثقال اي مقدار وزن **ذرة خيرا** اي من جهة الخير **يره** اي حاضرا لا يغيب عنه شي منه لان
المحاسب له الاحاطة علما وقدرة فالكافر يوقف علي انه جوزي به في الدنيا او انه احبط لبنائه
علي غير اساس الايمان فهو صورة بلا معني ليشتد ندمه ويقوي حزنه واسفه والمومن يراه ليشتد
سروره به **ولما ذكر** الخير اتبعه ضده فقال **ومن يعمل** اي كاينا من كان **مثقال ذرة شرا**
اي من جهة الشر **يره** فما فوقه فالمومن يراه ويعلم انه قد غفر له ليشتد فرحه والكافر يراه فيشتد
حزنه وترحه والذرة النملة الصغيرة والهباءة التي تري طايرة في الشعاع الداخل من الكوة **وقد**
رجع آخرها علي اولها بتحديث الاخبار واظهار الاسرار **وقد ورد** في حديث الاعرابي ان هذه
السورة جامعة لهذه الاية الاخيرة وقال ابن مسعود رضي الله عنه انها احكم اية في القران وكان
رسول الله صلي الله عليه وسلم يسميها الفاذة الجامعة ومن فقه ذلك لم يحقر ذنبا وان دق لانه يجمع
الي امثاله فيصير كبيرا قال صلي الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها اياك ومحقرات الذنوب فان
لها من الله طالبا وروي كما ذكرته في كتابي مصاعد النظر في الاشراف علي مقاصد السور في حديث
انها تعدل نصف القران وفي حديث آخر انها تعدل ربع القران ولا تعارض فالاول نظر اليها من
جهة ان الاحكام تنقسم الي احكام الدنيا واحكام الاخرة وهذه السورة اشتملت علي احكام الاخرة
اجمالا وزادت علي القارعة باخراج الاثقال وان كل احد يري كل ما عمل والثاني نظر اليها باعتبار
ما تضمنه الحديث الذي رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال
لا يومن عبد حتي يومن باربع يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ويومن بالموت
ويومن بالبعث بعد الموت ويومن بالقدر فاقتضي هذا الحديث ان الايمان بالبعث الذي قررته
هذه السورة ربع الايمان الكامل الذي دل عليه القرآن وايضا فامر الدين اربعة اجزا امر المعبود
وامر العبيد وامر العبادة وامر الجزا فهذه السورة تكفلت بامر الجزا وسورة الكافرون ربع
لانها في امر العبادة علي وجه الخصوص والخفا وان كانت علي وجه التمام والوفا وسورة
النصر ربع لانها لامر العبادة علي وجه العموم والجلا والظهور والعلا

مقصودها الاعلام بان اكثر الخلق يوم الزلزلة هالك لايثار الفاني من العز والمال علي الباقي
عند ذي الجلال المدلول عليه بالقسم وهو العاديات والمقسم عليه وما عطف عليه **وقد علم**
ان اسمها ادل شي علي ذلك لما هدي اليه القسم والمقسم عليه **بسم الله** الذي له الامر
كله فلا يسال عما يفعل **الرحمن** الذي عم بنعمة ايجاده وبيانه فنعمته اتم نعمة واشمل **الرحيم**
الذي خص خلص عباده بتوفيقه فاتم نعمته عليهم واكمل **لما ختم** الزلزلة بالجزا لاعمال
الشر يوم الفصل افتتح هذه ببيان ما يجر الي تلك الاعمال من الطبع وما يجر اليه ذلك الطبع

مما يتخيله من النفع موتخامن لا يستبعد لذلك اليوم بالاحتراز التام من تلك الاعمال معنفا من اثر دنياه
علي اخراه معقبا بما لا يكون الا عند اهل النعم الكبار الموجبة للشكر ممن غلب عليه الروح شكر ومن غلب
عليهم الطبع وهم الاكثر كفر فقال **والعاديات** اي الدواب التي من شانها ان تجري بغاية السرعة
وهي الخيل التي ظهورها عز وبطونها كنز وهو لرجل وزر ولرجل اجر فمن فاخر بها وناوي بها اهل الاسلام
وابطره عزها حتي قطع الرفيق الطريق واخاف الرفيق كانت له شرا ومن جعلها في سبيل الله كانت له
اجرا ومن حمل عليها ولم ينس حق الله في رقابها وظهورها كانت له سترا **وانما** اقسم بها ليتامل
ما فيها من الاسرار الكبار التي باينت بها امثالها من الدواب كالثور مثلا والحمار ليعلم ان الذي
خصها بذلك فاعل مختار واحد قهار فالقسم في الحقيقة به سبحانه **ولما** كانت دالة علي الفاعل
بالالتزام قال ناصبا به او بتضبح مقدارا **ضبحا** والضبح صوت جهير تخرج من افواهها عند العدو
الشديد ليس بصهيل ولا حمحمة ولا رغا وهو من النفس وليس شي من الدواب يضبح غير الفرس
والكلب والثعلب واصله للثعلب واستعير للخيل وحكاه ابن عباس رضي الله عنهما فقال اح اح
او الضبح عدو دون التقريب **ولما ذكر** عدوها اتبعه ما ينشا عنه فقال عاطفا باداة التعقيب
لان العدو بحيث يتسبب عنه ويتعقبه الايرا **فالموريات** اي المخرجات للنار بما يصطك من نعالها
بالاحجار لاسيما عند سلوك الاوعار **ولما** كان الايرا اثر القدح قال **قدحا** اي تقدح ضربا بعنف
كضرب الزند ليوري النار ونسب الايرا اليها لايجادها صورته وان لم يكن لها قصد اليه **ولما**
ذكر العدو وما يتاثر عنه ذكر نتيجته وغايته فقال **فالمغيرات** اي باغارة اهلها عليها علي العدو
والاغارة الركض الشديد لارادة القتل والنهب **ولما** كانت الاغارة الكاين عنها الثبور
والويل اروع ما تكون في اعقاب الليل قال **صبحا** اي ذات دخول في الصباح **ولما** كان
الاعدا حال الاغارة يكون مختلفا تارة يمينا وتارة شمالا وتارة اماما وتارة ورا بحسب الكر والفر
في المصاولة والمحاولة تارة اثر الهارب واخري في مصاولة المقبل المحارب فينشا عنها الغبار الكثير
لاثارة الهوا له واصطدام بعضه ببعض لتعاكسه بقوة الدفع من قوايمها وما تحركه منه وكان المقسم
به منظورا فيه الي ذاته ونتيجة القسم منظورا فيها الي الفعل بادي بدء مع قطع النظر بالاصالة عن
الذات عطف علي اسم الفاعل بعد حله الي ال وصلتها فقال **فاثرن به** اي بفعل الاغارة ومكانها
وزمانها من شدة العدو **نقعا** اي غبارا مع الاعناق والصياح والزجر بالنعق حتي صار ذلك الغبا
منحبكا ومنعقدا عليها **ولما** كان المغير يتوسط الجمع عند احتلال حالهم فيفرق شملهم لانهم متي
افترقوا حصل فيهم الخلل ومتي اختلوا تخللهم العدو وفرق شملهم قال **فوسطن به** اي بذلك النقع او
الفعل او الوقت او الموضع **جمعا** اي وهو المقصود بالاغارة فدخلت في وسط ذلك الجمع لشجاعتها
وقوتها وطواعيتها وشجاعة فرسانها **ولما** اقسم بالخيل التي هي اشرف الحيوان كما ان الانسان المقسم
لاجله اشرف ما اتصف منه بالبيان وتجري به افكاره كخيل الرهان وتقدح المعاني تارة مقترنة
باشرف المعان واخري باخس ما يقع به الاقتران من الزور والبهتان والالحاد والطغيان وتغير
منه ثواقب الاذهان تارة علي شبه الخصوم بالبرهان واخري بما يغتر به من الشبه الملبسة في وجوه
المعاني الحسان وتثير تارة المعاني الفصيحة علي اهل الطغيان من ذوي البدع او الكفران ولحزب
الفاسد علي حزب الملك الديان وتتوسط تارة جمع اولي الطغيان واخري جمع الايمان وكانت الاغارة
في الغالب لاجل قهر المغار عليهم علي اموالهم غدا وانا ان كان ذلك في غير الجهاد وان كانت في الجهاد
فقل من تخلص في ذلك الحال فيكون عمله ليس الا لله **كما اشار** اليه الحديث القدسي ان عبدي كل

عبدي

عبدي للذي يذكرني عند لقا قرنه قال مجيبا للقسم بذكر المقسم عليه حاكما علي النوع باعتبار عدد
المخلص لقلته عدما موكدا لما لهم من تكذيب ذلك فان كل احد يتبرا من مثل هذا الحال **ان الانسان**
اي هذا النوع بماله من الانس بنفسه والنسيان لما ينفعه **لربه** اي المحسن اليه بابداعه ثم ابقايه
وتدبيره وترتيبه **لكنود** اي كفور نكد بسوء المعاملة حيث يقدم بما احسن به الله اليه من الصافنات
الجياد وبما اتاه من قوة الجنان والاركان علي ما نهاه عنه ومصدره الكنود بالضم وهو كفران النعمة
بالتعبير عنه بهذه الصيغة التي هي للمبالغة من يزدري القليل ولا يشكر الكثير وينسي كثير النعمة
بقليل المحنة ويلوم ربه في ايسر نقمة **وقال** الفضيل بن عياض هو من انسته الخصلة الواحدة
من الاساة الخصال الكثيرة من الاحسان والشكور ضده **وقال** الامام ابو جعفر ابن الزبير اقسم
سبحانه علي حال الانسان بما هو فقال ان الانسان لربه لكنود اي لكفور يبخل بما لديه من المال
كانه لا يجازي ولا يحاسب علي قليل ذلك وكثيره من اين اكتسبه وفيم انفقه وكانه ما سمع قوله
تعالي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وانه لحب الخير اي المال
لشديد لبخيل وانه علي ذلك لشهيد وان الله علي ذلك لمطلع فلا ينظر في امره وعاقبة ماله اذا بعثر
ما في القبور وحصل ما في الصدور وراي مميزا ما فيها من الخير والشر ليقع الجزا عليه ان ربهم بهم يومئذ
لخبير لا يخفي شي من امرهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره انتهي
ولما كان اقدام الانسان علي الظلم عجيبا فاذا كان يشهد علي نفسه بالظلم كان اعجب قال
موكدا لما لاكثر الخلق قبل البعث والمحاققة من انكار كفرانه **وانه** اي الانسان **علي ذلك** اي
الكنود العظيم حيث اقدم علي مخالفة الملك الاعظم المحسن مع الكفر لاحسانه **لشهيد** لانه مقر اذا
حوقق بان جميع ما هو فيه من احسان ربه وبان ربه نهاه عن المخالفة او انه لا امر عنده منه بما
فعل وانه لا ينبغي لعاقل ان يتحرك بحركة يمكن ان يكرهها الملك الذي هو في خدمته ولا شي له
الا منه بغير اذنه ان تحرك بغير ذلك كان كافرا لاحسانه مستحقا لعقابه لا يقدر علي انكار شي منه
ولما كان من العجايب ان يكفر احد احسان المنعم وهو شاهد علي نفسه ذكر الحامل له علي ذلك
حتي هان عليه فقال **وانه** اي الانسان من حيث هو مع شهادته علي نفسه بالكفر الذي يقتضي
سلب النعم **لحب** اي لاجل حب **الخير** اي المال الذي لا يعد غيره لجهله خيرا **لشديد** اي بخيل بالمال
ضابط له ممسك عليه او بليغ القوة في حبه لان منفعته في الدنيا وهو متقيد بالعاجل الحاضر المحسوس
مع علمه بان اقل ما فيه انه يشغله عن حسن الخدمة لربه وهو معرض عن الدين حيث كانت منفعته
اجله غايبة مع علمه بان المعروف بما يرضي من خدمة ربه الحاث عليها الداعي اليها فهو لحب عبادة
الله ضعيف متقاعس **وكان** حبه الخير يقتضي منه الشكر الذي يقتضي الزيادة ولا يتخيل ان شديدا
عامل في لحب لان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وانما ذلك المتقدم دليل علي المعمول المحذوف **ولما** كان
المال فانيا لا ينبغي لعاقل ان يعلق امله به فضلا عن ان يوثره علي الباقي نبهه علي ذلك بتهديد بليغ فقال
مسببا عن ذلك مجيبا موقفا له علي ما يوول اليه امره **افلا يعلم** اي هذا الانسان الذي انساه
انسه بنفسه **ولما** كان الحث امرا قليبا لا يطلع عليه الا عالم الغيب وكان البعث من عالم
الغيب وكان امرا لا بد منه وكان المخوف مطلق كونه لم يحتج الي تعيين الفاعل فبني للمفعول
قوله مهددا موذنا بانه شديد القدرة علي اثارة الخفايا معلقا بما تقديره ما يوول اليه امره
من الله يحاسبه ويجازيه علي اعماله وانه لا ينفعه مال ولا غيره ولا ينجيه الا ما كان من اعماله
موافقا لامر ربه مبنيا علي اساس الايمان واقعا بالاخلاص **اذا بعثر** اي اثير بغاية السهولة

واخرج وفرق ونظر وفتش بغاية السهولة ولما كان الميت قبل البعث جمادًا عبّر عنه باداة ما لا يعقل فقيل ما في القبور اي اخرج ما فيها من الموتي الذين تنكر العرب بعثهم نشرًا والحساب او من عظامهم ولحومهم واعضائهم وجلودهم وجميع اجسامهم وقلب بعضه علي بعض حتي اعتدل كل شي منه علي ما كان عليه ثم اعيدت اليه الروح فكان كل احد علي ما مات عليه ولما كان المخوف انما هو ما يتاثر عن البعث من الجزا علي الاعمال الفاسدة قال وحصّل اي اخرج وميّز وجمع فعرف انه معلوم كله بغاية السهولة كما اشار البنا للمفعول ما في الصدور اي من خير او شر مما يظن مضمره انه لا يعلمه احد اصلًا وظهر مكتوبًا في صحايف الاعمال وهذا يدل علي ان النيات يحاسب بها كما يحاسب علي ما يظهر من آثارها ولما كان علم ما في الصدور امرًا باهرًا للعقل قال جامعًا نظرًا الي المعني لما عبّر عنه بالافراد بالنظر الي اللفظ لان العلم بالكل يلازمه العلم بالبعض بخلاف العكس موكدا اشارة الي انه مما لا يكاد يصدق معللًا للجملة المحذوفة الدالة علي الحساب ان ربهم اي المحسن اليهم بخلقهم ورزقهم وتربيتهم وجعلهم اقويا سويين بهم قدم هذا الجار والمجرور لا للاختصاص بل للاشارة الي نهاية الخبر ولما كانت الخبرة الاحاطة بالشي ظاهرًا وباطنًا وكان يلزم من الخبرة بالشي بعد كونه بمدد طوال الخبرة به حال كونه من باب الاولي قال يومئذ اي اذ كانت هذه الامور وهو يوم القيمة لخبير اي محيط بهم من جميع الجهات عالم غاية العلم ببواطن امورهم فكيف بظواهرها جواهر واعراضًا افعالًا واقوالًا خفية كانت او ظاهرة سرًّا كانت او علانية خيرًا كانت او شرًّا ومن المعلوم ان فيها الظلم وغيره ومنهم المحسن وغيره فلاجل علمه سبحانه بذلك غاية العلم يحاسبهم لئلا يقع ما ينافي الحكمة وهو ان تستوي الحسنة والسيئة فالقصد بالقيد وتقديم الظرف الابلاغ في التعريف بانه سبحانه محيط العلم بذلك كما اذا قيل تعرف فلانًا فقلت ولا اعرف الا هو فان قصدك بذلك ان معرفتك به في غاية الاتقان لا نفي معرفة غيره وفيه إشعار بان كل احد يعرف غاية المعرفة في ذلك اليوم انه سبحانه عالم باحواله لا ذهول له عن شي من ذلك كما يقع في هذه الدار من ان الانسان يعمل اشيا كثيرة وهو غافل عن ان ربه سبحانه مطلع عليه فيها وكونه لعلم فلاحاطته سبحانه بجميع احوالهم كان عالمًا بان الانسان لربه كنود ❁ وقد رجع آخرها الي اولها وتكفل مفصلها بشرح مجملها والله الهادي ❁❁

مقصودها ايضاح يوم الدين بتصويره ثم الي احواله في مبدايه ومآله وتقسيم الناس فيه الي ناج وهالك واسمها القارعة واضح في ذلك بسم الله الملك الاعلي الرحمن الذي عمّت نعمة ايجاده وبيانه جميع الوري الرحيم الذي خص اهل حزبه بالتوفيق لما يحبه ويرضي لما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته فقال القارعة اي الصيحة او القيمة سميت بها لانها تقرع اسماع الناس وتدقها دقا شديدا عظيما مزعجا بالافزاع والاجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار والاشيا الثابتة بالانتشار ولما كانت تفوق الوصف في عظيم شانها وجليل سلطانها عبّر عن ذلك وزاده عظمًا بالابهام والاظهار في موضع الاضمار مشيرًا بالاستفهام الي انها مما يحق السوال عنه علي وجه التعجيب والاستعظام فقال ما القارعة اي انك لا تعرفها لانك لم تتعهد مثلها وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما قال سبحانه افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور كان ذلك مظنة لان يسئل متي ذلك فقيل يوم القيمة الهايل الامر الفظيع الحال الشديد الباس والقيمة هي القارعة وكررت تعظيما لامرها كما ورد في قوله تعالي الحاقة ما الحاقة وفي قوله

واكد تعظيمها اعلامًا بانه مهما خطر في بالك من عظمها فهي اعظم منه فقال وما ادراك اي واي شي اعلمك وان اظهر موضع الاضمار بالغ في التعريف لذلك فقال ما القارعة صح

سبحانه فغشيهم من اليم ما غشيهم ثم زاد عظم هولها ايضاحًا بقوله تعالي يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والفراش ما تهافت في النار من البعوض والمبثوث المنتشر وتكون الجبال كالعهن المنفوش ۵ والعهن الصوف المصبوغ وخص لاعداده للغزل اذ لا يصبغ لغيره بخلاف الابيض فانه لا يلزم فيه ذلك ثم ذكر حال الخلق في وزن الاعمال وصيرورة كل فريق الي ما كتب له وقدر انتهي ولما اقتضي السامع بجميع فكره الي تعرف احوالها قال ما تقديره تكون يوم يكون اي كونًا كانه جبلة الناس ۵ اي الذي خالطهم النوس علي كثرتهم واختلاف ذواتهم واحوالهم ومراتبهم ومقاديرهم وانتشارهم بعد بعثرة القبور وتحصيل ما في الصدور كالفراش اي صغار الجراد لانها تتفرش وتتهافت علي النار او هو طير غير ذلك لا دم له تتساقط في النار وليس ببعوض ولا ذباب وقال حمزة الكرماني شبههم بالفراش الذي تطير من هنا ومن هنا ولا تجري علي سمت واحد وهي همج يجتلبها السراج وقال غيره الشبه الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الي الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش وكثرة التهافت في النار وركوب بعضهم بعضا وموج بعضهم في بعض من شدة الهول كما قال تعالي كانهم جراد منتشر المبثوث اي المنتشر المتفرق ولما كانت الجبال اشد ما يكون عظم الرهبة بالاخبار بما يفعل بها فقال وتكون الجبال علي ما هو عليه من الشدة والصلابة وانها صخور راسخة كالعهن اي الصوف المصبغ لانها ملونة كما قال تعالي ومن الجبال جدد بيض وحمر اي وغير ذلك المنفوش اي المندوف المفرق الاجزا الذي نمو بمتلبد شي منه علي غيره فتراها لذلك متطايرة في الجو كالهبا المنثور حتي تعود الارض كلها لا عوج فيها ولا امتي ❁ ولما كان اليوم انما يوصف لاجل ما يقع فيه سبب عن ذلك قوله مفصلًا لهم فاما من ثقلت اي بالرجحان ولما كانت الموزونات كثيرة الانواع جدا جمع الميزان باعتبارها فقال موازينه اي مقادير انواع حسناته باتباع الحق لانه ثقيل في الدنيا واجتناب ۵ الباطل والموزون الاعمال انفسها تجسدا وصحايفها فهو بسبب رجحان حسناته في عيشة اي حياة يتقلب فيها ولعله الحقها الها الدالة علي الوحدة والمراد العيش ليفهم انها علي حالة واحدة في الصفا واللذة وليست ذات الوان كالحياة الدنيا راضية اي ذات رضي او مرضية لان امه جنة عاليه ۵ واما من خفت اي طاشت موازينه اي بان غلبت سياته او لم تكن له حسنة لاتباعه الباطل ۵ وخفته عليه في الدنيا فامه اي التي تؤويه وتضمه اليها كما يقال للارض ام لانها تقصد لذلك ويسكن اليها كما يسكن الي الام وكذا المسكن وهو يفهم انه مخلوق منها غلب عليه طبع الشيطان لكون ۵ العنصر الناري اكثر اجزايه وعظمها بالتنكير والتعبير بالوصف المعلم بانه لا قرار لها فقال هاوية ۵ اي نار نازلة سافلة جدًا فهو بحيث لا يزال يهوي فيها نازلًا وهو في عيشة ساخطة فالآية من الاحتباك ذكر العيشة اولًا دليلًا علي حذفها ثانيا وذكر الام ثانيا دليلا علي حذفها اولا ولما كانت مما يفوت الوصف تعظيم اهوالها وشديد بلزالها جمع الامر فيها فقال منكرا ان يكون مخلوق يعرف وصفها وما ادراك اي واي شي اعلمك وان اشتد تكلفك ما هيه اي الهاوية لانه لم يتعهد احد مثلها ليقيسها عليه وها السكت اشارة الي ان ذكرها مما يكرب القلب حتي لا يقدر علي الاسترسال ۵ في الكلام او الي انها مما ينبغي ان يفزع السامع لهذا الاستفهام عنها سمعه فيسكت لسماع الجواب وفهمه غاية السكوت ويصغي غاية الاصغا ولما هولها بما ذكر اتبعه ما تمكن البشر معرفته من وصفها فقال نار حامية اي قد انتهي حرها هذا ما تتعارفونه بينكم واما التفاصيل فامر لا يعلمه الا الله تعالي ❁ وهذا نهاية القارعة تلازم الاول للاخر واضح جدا ظاهر والله الموفق

مقصودها التصريح بما اشارت اليه العاديات من ان سبب الهلاك يوم الجمع الذي صورته القارعة
الجمع للمال والاخلاد الي دار الزوال واسمها واضح الدلالة علي ذلك **بسم الله** ذي الجلال والاكرام
الرحمن الذي عم بالانعام بالبيان بعد الابهام والايجاد بعد الاعدام **الرحيم** الذي خص اهل وده
بدوام نعمتهم بالاتمام، **لما اثبت** في القارعة امر الساعة وقسم الناس فيها الي شقي وسعيد وختم
بالشقي افتتح هذه بعلة الشقاوة ومبدا الحشر لينزجر السامع عن هذا السبب ليكون من القسم الاول
فقال ما حاصله انقسمتم فكان قسم منكم هالك لانه **الهاكم** اي اغفلكم الا النادر منكم غفلة عظيمة
عن الموت الذي هو وحده كاف في البعث علي الزهد فكيف بما بعده **التكاثر** وهو المباهاة والمفاخرة
بكثرة الاعراض الفانية من متاع الدنيا المال والجاه والبنين ونحوها مما هو شاغل عن الله فكان ذلك
موجبا لصرف الهمة كلها الي الجمع فصرفكم ذلك الي اللهو فاغفلكم عما امامكم من الآخرة والدين الحق وعن ذكر
ربكم وعن كل ما ينجيكم من سخطه او عن المنافسة في الاعمال الموصلة الي اعلي الدرجات بكثرة الطاعات
وذلك كله لانكم لا تعلمون مما غلب عليكم من الجهل الذي سببه شهوة النفس وحب الراحة فخفت موازينكم
وحذف هذا المنسي الملهو عنه لتعظيمه والدلالة علي انه ليس غيره مما يوسف علي اللهو عنه، **ولما** كانوا
ينكرون البعث ويعتقدون دوام الاقامة في القبور عبر بالزيارة اشارة الي ان البعث امر لا بد منه
ولا مرية فيه وان اللبث في البرزخ وان طال فانما هو كلبث الزاير عند مزوره في جنب الاقامة بعد
البعث في دار النعيم او غار الجحيم وان الاقامة فيه محجوبة للعلم بما بعده من الاهوال والشدايد والاحوال
فقال **حتي** اي استمرت مباهاتكم ومفاخرتكم الي ان **زرتم المقابر** اي بالموت والدفن فكنتم فيها عرضة
للبعث لا تتمكنون من عمل ما ينجيكم لان دار العمل فاتت كما ان الزاير ليس بصدد العمل عند المزور ولا
تمكنون بها الا ريثما يتكمل المجموعون بالموت كما ان الزاير معرض للرجوع الي داره ومحل قراره فلو لم يكن لكم
عن الاقبال علي الدنيا الا الموت لكان كافيا فكيف والامر اعظم من ذلك فان الموت مقدمة من مقدمات ..... وازع
العرض، قال ابو حيان سمع بعض الاعراب الاية فقال بعث القوم للقيمة ورب الكعبة فان الزاير
منصرف لا مقيم، **وروي** ابن ابي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز انه قراها ثم قال ما اري المقابر الا زيارة
ولا بد لمن زار ان يرجع الي بيته اما الي الجنة او الي النار، وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما تقدم ذكر
القارعة وعظيم اهوالها اعقب بذكر ما شغل وصد عن الاستعداد لها والهي عن ذكرها وهو التكاثر
بالعدد والقرابات والاهلين فقال الهاكم التكاثر وهو في معرض التهديد والتقريع وقد اعقب بما
بعضه ذلك وهو قوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ثم قال كلا لو تعلمون علم اليقين وحذفه
جواب لو والتقدير لو تعلمون علم اليقين لما شغلكم التكاثر قال صلي الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا الحديث وقوله تعالي لترون الجحيم جواب لقسم راي والله لترون الجحيم وتاكد بها التهديد
وكذا ما بعد الي آخر السورة انتهي، **ولما كان** الاشتغال بالتكاثر في غاية الدلالة علي السفه لانه
من المعلوم قطعا ان هذا الكون علي هذا النظام لا يكون الا بصانع حكيم وكان العقلا المتفعون بالكون
في غاية التظالم وكان الحكيم لا يرضي اصلا ان يكون عبيده يظلم بعضهم بعضا ثم لا يحكم بينهم ولا ينظر
في مصالحهم علم قطعا انه يبعثهم ليحكم بينهم لانه كما قدر علي ابدايهم يقدر علي اعادتهم وقد وعد بذلك وارسل
به رسله وانزل به كتبه فثبت ذلك ثبوتا لا مرية فيه ولا مزيد عليه فكان الحال مقتضيا لان يردع
غاية الردع من اعرض عما يعنيه واقبل علي ما لا يعنيه فقال سبحانه معبرا بام الروادع وجامعة الزواجر
والصوادع **كلا** اي ارتدعوا انتم ردع وازجروا اعظم زجر عن الاشتغال بما لا يجدي فانه ليس الامر
كما تظنونه من ان الفخر في المكاثرة بالاعراض الدنيوية ولم تخلقوا لذلك انما خلقتم لامر عظيم فهو الذي

يهمكم

يهمكم فاشتغلتم عنه بما لا يهمكم فكنتم لاهين كمن كان يكفيه كل يوم درهم فاشتغل بتحصيل اكثر وكذا من ترك
المهم من التفسير واشتغل بالاقوال الشاذة او ترك المهم من الفقه واشتغل بنوادر الفروع وعلل النحو
ونحوها وترك ما هو اهم منه مما لا عيش له الا به، **ولما** كان الردع لا يكون الا عن ضار بحسرة ووبال
وحسرة دل علي ذلك بقوله استينافا **سوف** اي بعد مهلة طويلة يتذكر فيها من تذكر **تعلمون** اي
يتجدد لكم العلم بوعد لا خلف فيه بما انتم عليه من الخطا عند معاينة ما يكشفه الموت ويجر حزنه الفوت
من عاقبة ذلك ووباله، **ولما** كان من الامور ما لو شرح شانه علي ما هو عليه لطال وادي الي الملال
دل علي ان شرح هذا الوعيد مهول بقوله مؤكدا مع التعبير باداة التراخي الدالة علي علو الرتبة
ثم كلا اي ارتدعوا ارتداعا اكبر من ذلك لانه **سوف تعلمون** اي ياتيكم العلم من غير شك وان تاخر
زمنه يسيرا بالبعث، **ولما** كان هذا امرا صادعا اشار الي انه يكفي هذه الامة المرحومة التاكيد
بمرة فقال مرددا الامر بين تاكيد الردع ثالثا بالاداة الصالحة له وان تكون بمعني حقا كما يقوله
ايمة القراة **كلا** ليشتد ارتداعكم عن التكاثر فانه اساس كل بلاء فانكم **لو تعلمون** اي ايها المتكاثرون
ولما كان العلم قد يطلق علي الظن رفع مجازه بقوله **علم اليقين** اي لو يقع لكم علم علي وجه
اليقين مرة من الدهر لعلمتم ما بين ايديكم فلم يلهكم التكاثر ولضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الي
الصعدات تجارون فحذف هذا الجواب بعد حذف المفعول للتفخيم فهو اشارة الي انه لا يقين غيره
والمعني ان اعمالكم اعمال من لا يتيقنه، **قال الرازي** في اليقين مركب الاخذ في هذا الطريق وهو غاية درجات
العامة واول خطوة الخاصة قال عليه الصلاة والسلام خير ما القي في القلب اليقين وعلمه قبول ما
ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف علي ما قام بالحق، **والاية** من الاحتباك ذكر الالهاء اولا وحذف
سببه وهو الجهل لدلالة الثاني عليه وذكر ثانيا العلم الذي هو الثمرة وحذف ما يتسبب عنه من عدم
اللهو الذي هو ضد الاول وزاد في التفخيم لهذا الوعيد بايضاح المتوعد به بعد ابهامه مع قسم
دل عليه بلامه فقال **لترون** اي بالمكاشفة وعزتنا ولا يصح ان يكون هذا جوابا لما قبله لانه محقق
الجحيم اي النار التي تلقي المعذبين بها بكراهة وتغيظ وعتو وشديد توقد فالمؤمن يراها وينجو
منها سواء خالطها ام لا والكافر يخلد فيها، **ولما كان** هذا توعدا علي التكاثر لانه يقتضي الاعراض
عن الآخرة فيوقع في غمرات البلايا الكبار اكد فقال مفخما له بحرف التراخي **ثم لترونها** وعزة الله وترقي
العلم عن رتبة الاول فقال **عين اليقين** اي الروية التي هي نفس اليقين، وذلك هو المعاينة بغاية
ما يكون من صفا العلم لكونه لا ريبة فيه فان المشاهدة اعلي انواع العلم والدخول، قال الرازي وهو
الغني بالاستدراك عن الاستدلال وعن الخبر بالعيان وخرق الشهود حجاب العلم انتهي، ويجوز ان
يكون هذا الثاني بالملامسة والدخول فالمؤمن وارد والكافر خالد، **ولما** كان من اهول الخطاب
التهديد برؤية العذاب زاد في التخويف بانه لا اجل ان يكون ما يعذب به العاصي عتيدا فاذا وجب
السؤال النكال كان حاضرا لا مانع من ايقاعه في الحال ولو لم يكن حاضرا كان لمن استحقه في مدة
احضاره محال فقال مفخما باداة التراخي **ثم** اي بعد امور طويلة عظيمة مهولة **لتسالن** وعزتنا
يوميذ اي اذ ترون الجحيم **عن النعيم** اي الذي الهاكم التكاثر اليه حتي عن الما البارد في الصيف
والحار في الشتا هل كان استمتاعكم به علي وجه السرف لارادة الترف او كان لارادة القوة للنشاط
الي الخير فلم يخرج عن الشرف فالمؤمن المطيع يسيل سوال تشريف والعاصي يسيل سوال توبيخ وتانيف
ولام النعيم قد تكون لمطلق الجنس، واليه يشير حديث ابي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي وغيره
ان النبي صلي الله عليه وسلم ضاف ابي الهيثم بن التيهان مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فاطعمهم بسرا

ورطبًا وسقاهم ماءً باردًا اذ فرش لهم بساطًا في ظلّ فقال النبي صلى الله عليه وسلم انّ هذا من النعيم
الذي تسئلون عنه ظلّ بارد ورطب طيب وماء بارد، فقد يكون للكمال فيكون من اعلام النبوة كما في
حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه عند احمد من وجه حسن ان شاء الله انهم قالوا اعن نعيم ولها اي نعيم وانما
هما الاسودان التمر والماء وسيوفنا على رقابنا والعدوّ حاضر قال انّ ذلك سيكون، وله شاهد عند
الطبراني عن ابن الزبير رضي الله عنهما وعند الطبراني ايضًا عن الحسن البصري مرسلًا، فقد التحم
آخرها باوّلها على وجه هو من الطف الخطاب وادق المسالك في التهي عما يجرّ الى العذاب، لان العاقل
اذا علم انّ بين يديه سؤالًا عن كل ما يلتذ به علم انه يعوقه ذلك في زمن السؤال عن لذاذات الجنة العوال
العوال فكان خوفه من مطلق السؤال إنما نعاله عن التنعم بالمباح فكيف بالمكروه فكيف ثم كيف بالمحرم
فكيف اذا كان السؤال على وجه العتاب فكيف اذا جرّ الى العذاب فتامل كلام خالقك ما الطف اشاراته
واجل عباراته في نذاراته وبشاراته

قال الشافعي رحمه الله انها سورة لو لم ينزل الى الناس الا هي لكفتهم وهو معنى قول غيره انها شملت
جميع علوم القرآن، مقصودها تفضيل نوع الانسان المخلوق من علق وبيان خلاصته وعصارته
وهم الحزب الناجي يوم السؤال عن زكا الاعمال بعد الاشارة الى اضدادهم والاعلام مما ينجي من الاعمال
والاحوال بترك الفاني والاقبال على الباقي لانه خلاصة الكون ولباب الوجود، واسمها العصر
واضح في ذلك فانّ العصر يخلص روح المعصور ويميز صفاوته وكذلك كان وقت هذا النبي الخاتم
الذي هو خلاصة الخلق وقت العصر وكانت صلاة العصر افضل الصلوات وبيان اشتمالها على علوم
القرآن تنزيل جملها على ما قال الغزالي انّ القرآن كالبحر الذي فيه جزاير بها معادن ست منها اربعة
مهمة مهمان منها هما ياقوت الخمر فاحمره للعلم بالله واخضره لصفاته وازرقه لافعاله وزمرّد اخضر
هو العلم باليوم الاخر وما فيه، ومهمان اولهما درّ انضر وهو العلم بالعبادات المقرّبة اليه سبحانه
وثانيهما مسك اذفر وهو العلم بالعادات التي بها تهيا العبادات، ومتمتان ومما درياق اكبر
وهو العلم بازاحة الشكوك والشبه والاوهام لانها سموم مهلكة للدين وعنبر اشهب وهو الاعتبار
بمن هلك باجتناب ما كان سبب هلاكه والاقتفا بمن نجا باتباع ما كان سبب نجاته فالجملة الاولى
للعنبر لانّ فيها شم رواح الهالك وضدّه الناجي وبدي بها لانّ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح
والجملة الثانية للياقوت بصفاته الثلاث والزمرد والثالثة للدرّ والمسك ومما عبادات مقصودة
وعادات وسيلة اليها ممدودة والرابعة للدرياق لانّ الشبه والشكوك انما هي من اوهام عاطلة
وخيالات باطلة والخامسة وسيلة اليها ومتمة لها لان معرفة ذلك واجتنابه لا يكون الا ببذل الجهد
في الصبر، بسم الله الذي كل شي هالك الا وجهه الرحمن الذي عم بالنعمة البر والفاجر فليس شي
شبهة الرحيم الذي خص باتمام النعمة اولياه فكانوا للدهر غرّة ولاهله جبهة، لما كانت
لذة هذه الدنيا الظاهرة التنعم بما فيها من المتاع وكان الانسان مسؤولًا بما شهد به ختم التكاثر
عن ذلك النعيم متوعدًا برؤية الجحيم فكان ساكن هذه الدار على غاية الخطر فكان نعيمه في غاية الكدر
قال دالًا على ذلك بان اكثر الناس هالك مؤكدًا بالقسم والاداة لما للاغلب من التكذيب لذلك اما
بالقال او بالحال والعصر اي الزمان الذي خلق فيه اصله آدم عليه السلام وهو في عصر يوم
الجمعة، كما ورد في الحديث الصحيح في مسلم او الصلاة الوسطى او وقتها الذي هو صاحب هذا الشرع

الذي مقداره

الذي مقداره في ما مضى من الزمان بمقدار وقت العصر من النهار او بعضه او زمان كل احد الذي
هو الخلاصة بالنسبة اليه تنبيهًا له على نفاسته اشارة الى اغتنام انفاقه في الخير اشفاقًا من الخسر او
وقت الاصيل لانه افضله بما يحويه من الفراغ من الاشغال واستقبال الراحة والحصول على فايدة ما
انفق فيه ذلك النهار وبما دلّ عليه من خلول الساعة وربح من كان له فيها بضاعة باختتام الاعمال
وتقوض النهار الدال على البعث او جميع الدهر الذي اوجد فيه سبحانه المخلوقات وقدر فيه المقدورات
بما ظهر فيه من العجايب الدالة على ما لله تعالى من العز والعظمة الداعي الى صرف الهمة اليه وقصرها
عليه ان الانسان يكون لاستخراج خلاصات الاشيا لفي خسر اي نقص بحسب مساعيهم في اهويتهم
وصرف اعصارهم في اغراضهم لما لهم بالطبع من الميل الى الحاضر والاعراض عن الغايب والاغترار
اعم من ان يكون الخسر قليلًا او جليلًا بحسب تنوع الناس الى اكياس وارجاس فمن كان كافرًا كان في
كفران ومن كان مؤمنًا عاصيًا كان في خسارة ان كان بالغًا في المعصية والا كان في مطلق الخسر
وهو مدلول المصدر المجرد في هذا اشارة الى العلم بالاحتياج الى ارسال الرسل لبيان المرضي لله من
الاعتقادات والعبادات والعادات ايمانًا واسلامًا واداًمة لذلك ليكون فاعله من قبضة اليمين
وتاركه من اصحاب الشمال، وقال الاستاذ ابو جعفر ابن الزبير لما قال تعالى الهاكم التكاثر وتضمن
ذلك الاشارة الى قصور نظر الانسان وحصر ادراكه في العاجل دون الآجل الذي فيه فوزه وفلاحه
وذلك لبعده عن العلم بموجب الطبع انه كان ظلومًا جهولًا اخبر سبحانه انّ ذلك شان الانسان بما
هو انسان فقال والعصر ان الانسان لفي خسر فالقصور شانه والظلم طبعه والجهل جبلته فيحق ان
يلهيه التكاثر ولا يدخل الله روح الايمان الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الى آخرها فهو لا الذين
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انتهى، ولما كان الحكم على الجنس حكمًا على الكل لانهم ليس
لهم من ذواتهم الا ذلك وكان فيهم من خلصه سبحانه مما طبع عليه الانسان بجعله في احسن تقويم
وحفظه عن الميل مع ما فيه من النقايص استثناهم سبحانه لانهم قليل جدًا بالنسبة الى اهل الخسر فقال
دالًا بالاستثنا على ان النفوس داعية الى الشر مخلدة الى البطالة واللهو فالمخلص واحد من الف
كما في الحديث الصحيح الا الذين امنوا اي اوجدوا الايمان وهو التصديق بما علم بالضرورة مجي
النبي صلى الله عليه وسلم به من توحيده سبحانه والتصديق بملايكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولعله
حكمه التعبير بالماضي الحث على الدخول في الدين وعلى ادنى الدرجات والبشارة لمن فعل ذلك بشرطه
بالنجاة من الخسر، ولما كان الانسان حيوانًا ناطقًا وكان كمال حيوانيته في القوة العملية
المحركة بالارادة لا بمقتضى الشهوة القاسرة البهيمية قال تعالى وعملوا اي تصديقًا لما اقرّوا به
من الايمان الصالحات اي هذا الجنس وهو اتباع الاوامر واجتناب النواهي في العبادات كالصلاة
والعادات كالبيع فكانوا بهذا مسلمين بعد ان كانوا مؤمنين فاشتروا الآخرة بالدنيا فلم يلههم التكاثر
ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية فلم يلحقهم شي من الخسر، ولما كان الانسان بعد
كماله في نفسه بالاعمال لا يندفع عنه مطلق الخسر الا بتكميل غيره وحينيذ يكون وارثًا لانّ الانبياء
عليهم السلام بعثوا للتكميل وكان الدين لا يقوم واذا قام لا يتم الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
الناشي عن نور القلب ولا يتاتى ذلك الا بالاجتماع قال مخصصًا لما دخل في الاعمال الصالحة تنبيهًا
على عظمه وتواصوا اي اوصى بعضهم بعضًا بلسان الحال او المقال بالحق اي الامر الثابت وهو كل
ما حكم الشرع بصحته فلا يصح بوجه نفيه من قول او عمل اعتقاد او غيره من فعل او ترك فكانوا محسنين
والتكميل في القوة العملية باجتلاب الحيوة، ولما كان الانسان ميالًا الى النقصان فكان فاعل

ذلك الاحسان معرضا للشأن من اهل العدوان وهم الاغلب في كل زمان قال **وتواصوا** لان
الانسان ينشط بالوعظ وينفعه اللحظ واللفظ **بالصبر** اي الناشي عن زكا النفس على العمل بطاعة
الله من احقاق الحق وابطال الباطل والنفي له والمحق وعلى ما يحصل بسبب ذلك من الاذى باجتناب
الشرور الى الممات الذي هو سبب موصل الى دار السلام فكانوا مكملين للقوة العملية كما فطنين
لما قبلها من العلمية وذلك هو حكمة العبادات فان حكمة الشي هي الغاية والغاية المقصودة
منه وهي هنا امران خارج عن العامل وهو الجنة وداخل قايم به وهو النور المقرب من الحق سبحانه
واختير التعبير بالوصية اشارة الى الرفق في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واستعمال اللين بغاية
الجهد والصبر هو خلاصة الانسان وسره وصفاوته وزبدته وعصارته الذي لا يوصل اليه
الا بضغط الانسان لنفسه وقسرها على افعال الطاعة وقهرها على لزوم السنة والجماعة حتى
يصير الصبر لها بالتدريب عادة وصناعة **فقد** عانق آخرها اولها وواصل مفصلها موصلها
وهي اربع عشرة كلمة تشير الى ان في السنة الرابعة عشرة من النبوة يكون الاذن في الجهاد الذي
هو راس الامر بالمعروف بالفعل لاظهار الحق وهي سنة الهجرة التي تم فيها بدره وعم نوره وتقدره وحم
عزه ونصره فاذا ضمت اليها اربع كلمات البسملة كانت موازية في العدد لسنة خمس من الهجرة وكان
فيها غزوة بدر الموعد وغزوة الاحزاب وقد وقع فيها اتم الصبر من النبي صلى الله عليه وسلم ثم ممن
وافقه من الصحابة رضي الله عنهم لاظهار الحق والصواب فانهم في بدر خذلوا من ركب عبد القيس
او من نعيم بن مسعود وموافقة المنافقين وخوفوا حتى كاد يعمهم الرعب والفشل فقال النبي صلى
الله عليه وسلم والله لاخرجن ولو لم يخرج معي احد وانزل الله فيها الذين قال لهم الناس ان
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الايات وفي الاحزاب زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واسفرت
عاقبة الصبر فيها عما قال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذهابهم الآن نغزوهم ولا يغزوننا فاذا
ضمت اليها الاربعة اشارت الى سنة تسع وقد كان فيها غزوة تبوك وهي غزوة العسرة لما كان فيها
من الشدة التي اسفرت فيها عاقبة الصبر فيها عن اقبال الوفود لفخامة العز والجدود وتواتر السعود
بلطف الرحيم الودود وبذلك كان نور الوجود وتواتر الفضل والجود من الاله المعبود ۞ ۞

مقصودها بيان الحزب الاكثر الخاسر الذي الهاه التكاثر فبانت خسارته يوم القارعة الخافضة الرا[فعة]
واسمها الهمزة ظاهر الدلالة على ذلك **بسم الله** الذي له تمام العز وهو الحكم العدل **الرحمن**
الذي عم ظاهر نعمته اهل البخل واولي البذل **الرحيم** الذي اتم نعمته على من شا من عباده فخصهم بالفضل
لما بين الناجين من قسمي الانسان في العصر وختم بالصبر حصل تمام التشوق الى اوصاف الهالكين
فقال مبينا لاضلهم واشقاهم الذي الصبر على اذاه في غاية الشدة ليكون ما اعد له من العذاب
مسلاة للصابر **ويل** اي هلاك عظيم جدا **لكل همزة** اي الذي صار له الهمز عادة لانه خلق ثابت في
جبلته وكذا **لمزة** والهمز الكسر كالهمز واللمز الطعن هذا اصلهما ثم خصا بالكسر من اعراض الناس
والطعن فيهم وقال ابن هشام في تهذيب السيرة الهمزة يشتم الرجل علانية ويكسر عينيه عليه
ويغمز به واللمز الذي يعيب الناس سرا ايمتي وقال البغوي واصل الهمز الكسر والعض على الشي
بالعنف والذي دل على الاعتياد صيغة فعله بصيغة بضم وفتح كما يقال ضحكة للذي يفعل الضحك
كثيرا حتى صار عادة له وضري به والفعلة بالسكون للمفعول وهو الذي يهمزه الناس ويلمزونه

واسفرت

وقري

وقري بها وكانه اشارة الى من يتعمد ان ياتي ما يهمز به ويلمز به فيصير مسخرة يضحك منه والله اعلم
وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما قال ان الانسان لفي خسر اتبعه بمثال ما ذكر نقصه وقصور
واغتراره وظنه الكمال لنفسه حتى يعيب غيره واعتماده على جمعه من المال ظنا انه يخلده ويحييه وهذا
كله هو عين النقص الذي هو شان الانسان وهو المذكور في السورة قبل فقال تعالى ويل لكل همزة
لمزة فافتتحت السورة بذكر ما اعد له من العذاب جزا له على همزه ولمزه الذي اتم حسده والهمزة
العياب الطعان واللمزة مثله ثم ذكر تعالى ماله ومستقره بقوله لينبذن في الحطمة اي ليطرحن
في النار جزا على اغتراره وطعنه انتهى **ولما** كان الذي يفعل النقيصة من غير حاجة تحوجه اليها
اقبح حالا وكان المتحول عندهم هو الرابح وهم يتفاخرون بالربح ويعدون الفايز به من ذوي المعالي
قال مقيدا الكل بالوصف مبينا الخاسر كل الخسارة **الذي جمع** **ولما** كان مطلق الجمع يدل على
الكثرة جا التشديد في فعله لابي جعفر وابن عامر وحمزة والكسايي وخلف تصريحا بما علم تلويحا
ودلالة على ان المقصود به من جعل الدنيا اكبر همه والتخفيف لمن عداهم اكتفا بالاصل مدلولا مخلا
عددا فان مجرده يكون لما قل ولهذا اجمعوا على التضعيف فيه **مالا** اي عظيما واكد مراد الكثرة بقوله
وعدده اي جعله بحيث اذا اريد عدده طال الزمان فيه وكثرة التعداد ودخره وامسكه اعدادا
لما ينوبه في هذه الدنيا المنقضية وزاده قيدا آخر في بيان حاله فقال **يحسب** اي لقلة عقله **ان ماله**
اي ذلك الذي عدده **اخلده** اي اوصله الى رتبة الخلد في الدنيا فاحب ذلك المال كما يحب الخلود
ويجوز ان يكون ذلك كناية عن انه عمل باعماله في المعاصي والاعراض عن الله عز وجل والاقبال على
التوسع في الشهوات والاغراض الزايلات عمل من يظن انه لا يموت ويجوز ان يكون استينافا وفيه
تعريض بانه لا يفيد الخلد الا الاعمال الصالحة المسعدة في الدار الآخرة **ولما** كان هذا الحسبان
لشدة وهيه وبيان ضعفه لا يحتاج الى اقامة دليل على فساده اكتفي فيه باداة الردع الجامعة لكل زجر
فقال **كلا** اي لا يكون ما حسبه لانه لا يكون له ما لا يكون لغيره من امثاله بل يموت كما مات كل حي
مخلوق **ولما** كان كانه قيل فما الذي يفعل به بعد الموت قال مقسما دالا باللام الداخلة على
الفعل على القسم **لينبذن** اي ليطرحن بعد موته طرح ما هو خفيف هين جدا على كل طارح كما دل عليه
التعبير بالنبذ وبالبنا للمفعول **في الحطمة** اي الطبقة من النار التي من شانها ان تحطم اي تكسر
وتهشم بشدة وعنف كل ما طرح فيها فيكون اخسر الخاسرين وعبر بها في مقابلة الاستعداد بالمال الحاطم
على الاستهانة بالخلق قال الاستاذ ابو الحسن الحرالي فلمعنى ما يختص بالحكم يسمى تعالى باسم من اسمايها
من نحو جهنم فيما يكون مواجهة ومن نحو الحطمة فيما يكون جزا القوة قهر واستعداد بعدد ونحو ذلك
في ساير اسمايها وعظم شانها سبحانه بقوله **وما ادراك** اي واي شي اعلمك ولو بمحاولة منك للعلم
واجتهاد في التعرف مع كونك اعلم الخلق **ما الحطمة** اي الدركة النارية التي سميت هذا الاسم
لهذه الخاصة فانه ليس في الوجود الذي شاهدتموه ما يقاربها ليكون مثالا لها ثم فسرها بقوله
نار الله اي الملك الاعظم الذي عدل المشركون عنه اي شركايهم فعظمة هذه النار من عظمته
وانتقامها من نقمته **الموقدة** اي التي وجد وتحتم ايقادها بايقاده ومن ذا الذي يطيق محاولة
ما اوقده فهي لا يزال لها هذا الاسم ثابتا **ولما** وصف الهامز الهازم وصف الحاطم فقال
التي **ولما** كان لا يطلع على احوال الشي الا من قبله علما قال **تطلع** اي اطلاعا شديدا **على**
الافيدة جمع فواد وهو القلب الذي يكاد يحترق من شدة ذكايه فكان ينبغي ان يجعل ذكاه في
اسباب الخلاص واطلاعها عليه بان تعلو وسطه وتشتمل عليه اشتمالا شديدا بليغا سمي بذلك لشدة

نوقدره وخص بالذكر لانه الطف ما في البدن واشده تألما بادني شي من الاذي ولانه منشا العقايد الفاسدة ومعدن حب المال الذي هو منشا حب الفساد والضلال وعنه تصدر الافعال القبيحة ولما كان الاطلاع علي الفواد مظنة الموت وفي الموت راحة من العذاب اشار الي خلودهم فيها وانهم لا يموتون ولا ينقطع عنهم العذاب فقال موكدا لانهم يكذبون به انها واشار الي قهرهم وغلبتهم فقال عليهم واذن بسهولة التصرف في تعذيبهم وانقطاع الرجا من خلاصهم بقوله معبرا باسم المفعول موصدة اي مطبقة بغاية الضيق من اوصدت الباب اذا اطبقته ولما كانت عادتهم في المنع من المتصرف ان يضعوا خشبة عظيمة تسمي المعطرة فيها حلق توثق فيها الرجل فلا يقدر صاحبها بعد ذلك علي حراك قال مصورا لعذابهم بحال من ضمير عليهم في اي في حال كونهم موثقين في عمد بفتحتين وبضمتين جمع عمود ممددة اي معترضة كانها موضوعة علي الارض مبني في غاية المكنة فلا يستطيع الموثق بها علي نوع حيلة في امرها فهو تاكيد لياسهم من الخروج بالايثاق بعد الاصطياد وهذا اعظم الويل واشد النكال فقد رجع آخرها الي اولها وكان لمفصلها اشد التحام بموصلها والله الموفق

مقصودها الدلالة علي آخر الهمزة من اهلاك المكاثرين في دار التعاضد والتناصر بالاسباب فعند انقطاعها اولي لاختصاصه سبحانه بتمام القدرة دون التمكن بالمال والرجال واسمها الفيل ظاهر الدلالة في ذلك بتامل سورته وما حصل في سيرة جيشه وصورته بسم الله الذي له الاحاطة فقدرته في كل شي عاملة الرحمن الذي له النعمة الشاملة الرحيم الذي يختص اهل الاصطفا بالنعمة الكاملة لما قدم في الهمزة ان كثرة الاموال المسببة للقوة بالرجال بما اعقبت الوبال دل عليه في هذه بدليل شهودي وصل في تحريقه وتعلقه بالاجسام وتحريقه الي القلوب في العذاب الادني كما ذكر فيما قبلها للعذاب الاكبر الاخفي محذرا من الوجاهة في الدنيا وعلو الرتبة مشيرا الي انها كلما عظمت زاد ضررها بما تكسبه من الطغيان حتي ينازع صاحبها الملك الاعلي ومع كونه شهوديا فللعرب ولا سيما قريش به الخبرة التامة فقال مقررا منكرا علي من يخطر له خلاف ذلك الم تر اي تعلم علما هو في تحققه كالحاضر المحسوس بالبصر وذلك لانه صلي الله عليه وسلم وان لم يشهد ذلك الوقعة فانه شاهد آثارها وسمع بالتواتر مع اعلام الله له اخبارها وخصه صلي الله عليه وسلم اعلاما بان ذلك لا يعلمه ويعمل به الا هو صلي الله عليه وسلم ومن وفقه الله لحسن اتباعه لما للانسان من عوايق النقصان وعلايق الحظوظ والنسيان وقري تر باسكان الرا قالوا جدا في اظهار اثر الجازم وكان السر في هذه القراة الاشارة الي الحث في الاسراع في بالروية ايما الي ان امورهم علي كثرتهم كان كلمح البصر من لم يعتن به ويسارع الي تعمله لا يدركه حق ادراكه ولما كان الناظر في الكيفية من التدقيق والوقوف علي التحقيق في وجوه الدلالات علي كمال في علم الله وقدرته واعزاز نبيه بالارهاص لنبوته والتمكين لرسالته لتعظيم بلده وتشريف قومه ما ليس للناظر الي مطلق الفعل قال كيف دون ان يقول ما فعل اي فعل من له انتم داعية الي ذلك الفعل وفعل الرؤية معلق عن كيف لما فيه من معني الاستفهام فلا يتقدم عامله عليه بل ناصبه فعل وجملة الاستفهام في موضع نصب بالفعل المعلق ربك اي المحسن اليك ومن احسانه الي قومك بك وبهذه الواقعة الخارقة للعادة

ارهاصا لنبوتك كما هو معلوم من اخبار الانبيا المتقدمين فيما يقع بين ايدي نبواتهم من مثل ذلك ليكون مويدا لادعايهم النبوة بعد ذلك وفي تخصيصه صلي الله عليه وسلم بالخطاب والتعبير بالرب مع التشريف له والاشارة بذكره التعريض بحقارة الاصنام التي سموها اربابا لهم بعلم ذلك منهم علم اليقين من امن ومن استمر علي كفره فسيعلم ذلك حق اليقين عندما يسلط الله عليهم رسوله صلي الله عليه وسلم بالبلد الحرام ويحلها له علي اعلي الحال ومرام باصحاب الفيل الذين قصدوا انتهاك حرمات الله سبحانه فيخرب ابنيته ويمزق جيرانه بما اوصلهم الي البطر من الاموال والقوة التي من عليهم سبحانه بها فحسبوا انها تخلدهم فبان انها توردهم المهالك ضد ما حسبوه وهم الحبشة الذين كانوا غلبوا علي بلاد اليمن بني اميرهم وهو ابو يكسوم ابرهة بن الصباح الاشرم بيعة بصنعا وسماها القليس وزن قبيط واراد ان يصرف اليها حج العرب فيما زعم فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا يعني تغوط ولطخها به فاغضب ذلك الاشرم فسال فقيل له يري الفاعل من اهل البيت الذي بمكة فحلف ليهدمن الكعبة ومن عجايب صنع الله انه سبحانه الهمه تسميتها هذا الاسم الذي هو مشتق من القلس الذي احد معانيه انه ما خرج من الحلق مل الفم فهو مبدا القي الذي هو اخو الغايط الذي آل امرها اليه فكان سبب هلاكها بهلاك بانيها وذلك انه غضب من ذلك فخرج اي بجيشه لهدم بيت الله الكعبة ومعه افيال كثيرة منها فيل عظيم اسمه محمود فقاتله بعض العرب فهزمهم وقتل منهم فلما دوخهم دانوا له فلما وصل الي المغمس خرج اليه عبد المطلب جد النبي صلي الله عليه وسلم تعرض عليه ثلث اموال تهامة علي ان يرجع عنهم وقبيل بل كانت طلايعه اخذت له مايتي بعير فطلبها منه فقال قد كنت اعجبتني حين رايتك فزهدت فيك حين تكلمني في مايتي بعير وتترك كلامي في بيت هو دينكم وفيه عزكم فقال انا رب الابل واما البيت فله رب يمنعه فقال ما كان ليمنعه مني فقال انت وذاك فرد عليه ابله فساقها ومضي وامر قريشا ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا في الجبال واتي عبد المطلب الكعبة فاخذ بحلقة الباب وجعل يقول يا رب لا ارجو لهم سواك ه امنعهم ان يخربوا قراك وقال لا هم ان المرء يمنع رحله وحلاله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك جروا جميع بلادهم في الفيل كي يسبوا عيالك عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك ثم ترك الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه فلما اصبح ابرهة تهيا للدخول الي الحرم وعبا جيشه وقدم الفيل فبرك فعالجوه فلم تكن فيه حيلة فوجهوه الي غير الحرم فقام يهرول فوجهوه الي الحرم فبرك وكان هذا دابه في ذلك اليوم فبينما هم كذلك اذ ارسل الله طيرا كل طاير منها في منقاره حجر وفي رجليه حجران الحجر منها اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فرمتهم بها فكان الحجر منها يقع في راس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا واهل مكة ومن حضر من العرب في روس الجبال ينظرون الي صنيع الله بهم واحسانه اليهم وكان ذلك ارهاصا لنبوة محمد صلي الله عليه وسلم فان ذلك كان عام مولده وقال حمزة الكرماني وفي رواية يوم مولده وكانه كان سببا لضعفهم حتي ذهب سيف بن ذي يزن الي كسري واتي منه بجيش فاستاصل بقيتهم كما هو مشهور في السير وما ثور في الخبر ووفدت قريش لتهنيته بالنصرة عليهم وكان رييسهم عبد المطلب جد النبي صلي الله عليه وسلم وبشره سيف بانه يولد له ولد اسمه محمد فاعلمه بانه ولد وان اباه توفي فاخبره سيف بانه النبي المبعوث آخر الزمان وان يثرب مهاجره وانه لو علم انه يعيش الي زمن بعثته لاتي يثرب وجعلها قراره حتي ينصر النبي صلي الله عليه وسلم بها ويظهر نبوته وقال الامام ابو جعفر ابن الزبير لما تضمنت سورة الهمزة ذكر اغترار من فتن بماله حتي ظن انه يخلده وما اعقبه ذلك

اتبعه هذا اصحاب الفيل الذين غرّهم تكاثرهم وخدعهم امتدادهم في البلاد واستيلاؤهم حتى هموا
بهذا البيت المكرم فتجلوا النعمة وجعل الله كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل اي جماعات
متفرقة ترميهم بحجارة من سجيل حتى استاصلتهم وقطعت دابرهم فجعلهم كعصف ماكول وانمى لهم ذلك
اغترارهم بتوفر حظهم من الحسن المتقدم **ولما** قرره بالكيفية تنبيها على ما فيها من وجوه الدلالة على
مقدمات الرسالة اشار الى تلك الوجوه مقدما عليها تقريرا آخر جامعا لقصتهم ومعلما بفضيحتهم فقال
الم يجعل اي بما له من الاحسان الى العرب لا سيما قريش **كيدهم** اي في تعطيل الكعبة بتخريبها وبصرف
الحج الى كنيستهم على زعمهم وقد كان كيدهم عظيما غلبوا به من ناواهم من العرب **في تضليل** اي ظرفا
لتضييع عما قصدوا له من نسخ الحج الى الكعبة اولا ومن هدمها ثانيا وابطال وبعد عن السداد
واهمال بحيث صار بكونه مظروفا لذلك محصورا به لا مخلص له منه **وهذا** مشير الى كل من تعرض لشيء
من حرمات الله كبيت من بيوته او ولي من اوليايه او عالم من علماء الدين وان كان مقصرا نوع تقصير
ونح في مكره وعاد عليه وبال شره من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب والى ان من جاهر بالمعصية
اسرع اليه الهلاك بخلاف من تستر والى ان الله تعالى ياتي من يريد عذابه من حيث لا يحتسب ليدوم
الحذر منه ولا يؤمن مكره ولو كان الخصم اقل عباده لو تخطر للحبشة ما وقع لهم اصلا ولا خطر لاحد سواهم
ان طيورا تقتل جيشا دوخ الابطال ودانت له غلب الرجال يقوده ملك جبار كتيبته في السهل تمشي
ورجله على العاذفات في رؤس المناقب **ولما** كان التقدير فمنعهم من الدخول الى حرم ابراهيم
عليه الصلاة والتسليم فضلا عن الوصول الى بلدة الرسول صلى الله عليه وسلم عطف عليه او على
يجعل معبرا بالماضي لانه بمعناه وهو اصرح والتعبير به اقعد قوله **وارسل** وبين انه ارسال عذاب
بقوله **عليهم** اي خاصة من بين من هناك من كفار العرب واشار الى تحقيرهم وتخسيسهم على ان يعذبهم بشيء عظيم لكونهم
عظموا انفسهم وتجبروا على خالقهم بالقصد القبيح لبيته فقال معلما انه يسلط عليهم ما لا يقتل مثله في
العادة **طيرا** وهو اسم جمع يذكر على اللفظ ويؤنث على المعنى وقد يقع على الواحد ولذلك قال تعالى
مبينا الكثرة **ابابيل** اي جماعات كثيرة جدا متفرقة يتبع بعضها بعضا من نواحي شتى فوجا فوجا
وزمرة زمرة امام كل فرقة منها طاير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق قال ابو عبيد
يقال جاءت الخيل ابابيل من هاهنا وهاهنا وهو جمع ابالة بالكسر والتشديد شبهت بها الجماعة من
الطير في تضامها وفي امثالهم ضغث على ابالة اي بلية على اخرى **ولما** تشوف السامع
الى فعل الطير بهم قال مستانفا **ترميهم** اي الطير **بحجارة** اي عظيمة في الكثرة والفعل صغيرة
في المقدار والجحم كان كل واحد منها في نحو مقدار العدسة في منقار كل طاير منها واحد وفي كل رجل
واحد **ولما** كان الشيء اذا كان مصنوعا للعذاب كان اشد فعلا فيه قال **من سجيل** اي
طين متحجر مصنوع للعذاب في موضع هو في غاية العلو كما بين في سورة هود عليه السلام قال
حمزة الكرماني قال ابو صالح رايت تلك الحجارة مخططة بالحمرة **ولما** تسبب عن هذا الرمي
هلاكهم وكان ذلك بفعل الله لانه الذي خلق الاثر قطعا لان مثله لا ينشا عنه ما نشا من الهلاك
قال **فجعلهم** اي ربك المحسن اليك باحسانه الى قومك لاجلك بذلك **كعصف ماكول** اي ورق زرع
وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود ويجوفه لان الحجر كان ياتي في الراس فيخرق بما له من الحرارة
وشدة الوقع كلما مر به حتى يخرج من الدبر ويصير موضع تجويفه اسود لما له من النارية او اكل حبه
فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه اداب القران كقوله تعالى كانا
ياكلان الطعام **وهذا** الاهمال في اعجابه هو من معاني الاستفهام التقريري في اولها **فقد** تناقض

طرفاها

طرفاها والتقى آخرها باولها

مقصودها الدلالة على ضد ما دلت عليه الفيل بان اهلاك الجاحدين المعاندين لاصلاح
المقرين العابدين وهو بشارة عظيمة لقريش خاصة باظهار شرفهم في الدارين واسمها قريش ظاهر
الدلالة على ذلك والتعبير بقريش دون قومك او للخمس مثلا ونحوه دال على انهم يغلبون الناس اجمع بقوة
كما يدل عليه الاسم وبغير قوة كما دل عليه ما فعل لاجلهم من قصة الفيل **بسم الله** ذي
التسبيحات والحمد فله جميع الكمال **الرحمن** ذي النعم العامة بالايجاد والبيان فهو ذو الافضال **الرحيم**
ذي الانتقام بالابعاد والاختصاص لمن يشاء بالاسعاد بالتقريب والاجلال **لما كان** فعله سبحانه
من منع هذا الجيش العظيم الذي من قوته طاعة اكبر ما خلق الله من الحيوان البري فيما نعلمه له من دخول
الحرم الذي هو مظهر قدرته ومحل عظمته الباهرة وعزته والمذكر بخليله عليه السلام وما كان من الوفا
بعظيم خلته كرامة لقريش ظاهرة عاجلة حماية لهم عن ان تستباح ديارهم وتسبى ذراريهم لكونهم اولاد
خليله وخدام بيته وقطان حرمه ومتعززين به ومنقطعين اليه وعن ان تخرب موطن عزهم
ومحل امنهم وعيشهم وحرزهم ذكرهم سبحانه بما فيه من النعمة الآجلة اكراما ثانيا بالنظر في العاقبة فقال
مشيرا الى ان من تعاظم عليه قصمه ومن ذل له وخدمه اكرمه وعظمه **لايلاف قريش** اي لهذا
الامر لا غيره فعلنا ذلك وهو ايقاعهم الايلاف وهو الفهم لبلدهم الذي تنشا عنه طمانينتهم وهيبة
الناس لهم وذلك ملزوم لالفهم او لا في انفسهم فاذا كان لهم الالف بحرمهم بما حصل لهم من العز
والمكنة به بما دافع عنهم فيه مع ما له من بعد الآفات عنه وكان لهم الالف بينهم فكان بعضهم
يالف بعضا فقوي امرهم فالفوا غيرهم اي جعلوه يالف ما الفوه اياه اي سنوه له وامروه به او
يكون اللام متعلقا بفعل العبادة بدلالة فليعبدوا اي فليعبدونا لاجل ما اوقعنا من الفهم وايلافهم
وعلى التقديرين الالف علة للعبادة او لما يوجب الشكر بالعبادة **وفي هذا** اشارة الى تمام
قدرته سبحانه وانه اذا اراد شيئا يسر سببه لان التدبير كله له يخفض من يشاء وان عز ويرفع من يشاء
وان ذل ليثمر اعتقاد ذلك حبه والانقطاع لعبادته والاعتماد عليه في كل نفع ودفع **وقريش**
ولد النضر بن كنانة واسمهم واسم قبيلتهم مشتق من القرش والتقرش وهو التكسب والجمع يقال فلان
يقرش لعياله ويقترش اي يكتسب قال البغوي وقال ابو ريحانة سال معوية ابن عباس رضي الله
عنهم لم سموا بهذا فقال لدابة تكون في البحر هي اعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث
والسمين الا اكلته وهي تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال وهل تعرف العرب ذلك في اشعارها
قال نعم وانشده للجمحي سلطت بالعلو في لجة البحر على سائر الجيوش جيوشا وقال الزمخشري هي دابة
عظيمة تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم انتهى وقيل سموا بذلك لتجمعهم الى
الحرم بعد تفرقهم فان القرش كما تقدم الجمع وكان الجمع لهم قصيا والقرش ايضا الشديد وقيل
هو من تقرش الرجل اذا تنزه عن مدانس الامور ومن تقارشت الرماح في الحرب اذا دخل بعضها
في بعض والمادة كلها للشدة والاختلاط والتعبير بهذا الاسم لمدحهم وكما اجرى سبحانه مدحهم على
الالسنة جعلهم موضعا للمدح قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من بني اسمعيل واصطفى
قريشا من كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم وقال صلى الله عليه وسلم
الايمة من قريش قال العلماء وذلك ان طيب العنصر يؤدي الى محاسن الاخلاق ومحاسن الاخلاق تؤدي
الى صفاء القلب وصفاء القلب عون على ادراك العلوم وبادراك العلوم تنال الدرجات العلى في

الدنيا والاخرة وصرف الاسم هنا على معنى الحي ليكون الاسم بمادته دالا على الجمع وبصرفه دالا
على الحياة اشارة الى كمال حياتهم ظاهرا وباطنا قال سيبويه في معد وقريش وثقيف صرف هذه
الاحيا اكثر وان جعلتها اسما للقبايل يعني فنعتها فجايز حسن والذي يدل على تعلق اللام بفعل
دلت عليه الفيل ان السورتين في مصحف ابي رضي الله عنه سورة واحدة من غير فصل وان عبد
الرزاق وابن ابي شيبة رويا عن ابي اسحق عن عمرو بن ميمون قال صلى بنا عمر رضي الله عنه
المغرب فقرا في الاولى بالتين والزيتون وفي الثانية الم تر كيف وايلاف قريش وقال الامام
ابو جعفر بن الزبير لا خفا باتصالها اي انه تعالى فعل ذلك باصحاب الفيل ومنعهم عن بيته وحرمه
لانتظام شمل قريش وهم سكان الحرم وقطان بيت الله وليولفهم بهاتين الرحلتين فيقيموا بمكة
وتامن ساحتهم انتهى ولما علل بالايلاف وكان لازما ومتعديا تقول الفت المكان اولفه
ايلافا فانا مولف والفت فلانا هذا الشي اي جعلته الفا وكان الاتيان بالشي محتملا لشيئين
ثم ابدال احدهما منه اضخم لشانه واعلى لامره ابدل منه قوله **إيلافهم** اي ايلافنا اياهم **رحلة
الشتا** التي يرحلونها في زمنه الى اليمن لانها بلاد حارة ينالون بها متاجر الجنوب **والصيف** التي
يرحلونها الى الشام في زمنه لانها بلاد باردة ينالون فيها منافع الشمال وهم آمنون من ساير العرب
لاجل عزهم بالحرم المعظم ببيت الله والناس يتخطفون من حولهم ففعل الله تعالى باصحاب
الفيل ما فعل ليزداد العرب لهم هيبة وتعظيما فتزيد في اكرامهم لما رات من اكرام الله لهم
فيكون لهم غاية التمكن في رحلتيهم والرحلة بالكسر هيئة الرحيل وقري بالضم وهي الجهة التي
يرحل اليها وكانوا مضطرين لذلك لان بلدهم لا زرع ولا ضرع فكانوا اذا ضربوا في الارض
قالوا نحن سكان حرم الله وولاة بيته فلا يعرض لهم احد بسوء فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة
ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف واول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف
وكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وفي ذلك يقول الشاعر
قل للذي طلب السماحة والندا ۞ هلا مررت بآل عبد مناف ۞ الرايشين وليس يوجد رايش
والقايلين هلم للاضياف ۞ والخالطين فقيرهم بغنيهم ۞ حتى يكون فقيرهم كالكافي
القايلين بكل وعد صادق ۞ والراحلين برحلة الايلاف ۞ عمرو العلا هشم الثريد لقومه
ورجال مكة مسنتون عجاف ۞ سفرين سنهما له ولقومه ۞ سفر الشتاء ورحلة الاصياف
وتبع هاشما على ذلك اخوته فكان هاشم يولف الى الشام وعبد شمس الى الحبشة والمطلب الى اليمن
ونوفل الى فارس وكان تجار قريش يختلفون الى هذه الامصار بحبال هذه الاخوة اي عهودهم
التي اخذوها بالامان لهم من ملك كل ناحية من هذه النواحي وافرد الرحلة في موضع التثنية
لتشمل كل رحلة كما هو شان المصادر واسما الاجناس اشارة لهم بالبشارة بانهم يتمكنون عن قريب
من الرحلة الى اي بلاد ارادوا لشمول الامن لهم وبهم في جميع الارض بما نشره الله من الخير في قلوب
عباده في ساير الارض بواسطة هذا النبي الكريم الذي هو اشرفهم واعظمهم واجلهم واكرمهم
ولما كان هذا التدبير من الله لهم كافيا لهمومهم الظاهرة بالغنى والباطنة بالامن وكان شكر
المنعم واجبا فاذا انعم بما يفرغ المنعم عليه للشكر كان وجوبه عليه اعظم سبب عن الانعام عليهم بذلك
قوله **فليعبدوا** اي قريش على سبيل الوجوب شكرا على هذه النعمة خاصة ان لم يشكروه على جميع
نعمه التي لا تحصى لانهم يدعون انهم اشكر الناس للاحسان وابعدهم عن الكفران **رب هذا البيت**
اي الموجد له والمحسن الى اهله بتربيتهم بحفظه من كل طاغ وتاثيره لاجل حرمته من كل باغ وباذلال

الجبابرة

الجبابرة له ليكمل احسانه اليهم وعطفه عليهم باكمال اعزازه لهم في الدنيا والاخرة وجعل ما داموا
عابدين له موصولا بعز الاخرة فتتم النعمة وتكمل الرحمة والمراد به الكعبة عبر عنها بالاشارة
تعظيما اشارة الى ان ما تقدم في السورة الماضية من المدافعة عنهم معروف انه بسببه لا يحتاج
الى تصريح وان ذلك جعله متصورا في كل ذهن حاضر مشاهدا لكل مخاطب وفي هذا التلويح من التعظيم
ما ليس للتصريح ثم وصف نفسه الاقدس بما هو ثمرة الرحلتين ومظهر لزيادة شرف البيت فقال
الذي اطعمهم اي قريشا بحمل الميرة الى مكة بالرحلتين آمنين من ان يهاجروا وباهلاك الذين
ارادوا اخراب البيت الذي به نظامهم اطعاما مبتديا **من جوع** اي عظيم فيه غيرهم من العرب
او كانوا هم فيه قبل ذلك لان بلدهم مهيئ لذلك لانه ليس بذي زرع فهم عرضة للفقر الذي ينشا
عنه الجوع فكفاهم ذلك وحده ولم يشركه احد في كفايتهم فليس من الشكر اشراكهم في عبادته ولا من
البر بابيهم ابراهيم عليه السلام الذي دعا لهم بالرزق ونهى اشد النهي عن عبادة الاصنام ولم يقل
اشبعهم لانه ليس كلهم كان يشبع ولان من كان يشبع منهم طالب لاكثر مما هو عنده ولا يملا جوف
ابن ادم الا التراب ولما ذكر السبب في اقامة الظاهر ذكر السبب في اقامة العيش
بنعمة الباطن فقال **وامنهم** اي تخصيصا لهم **من خوف** اي شديد جدا من اصحاب الفيل
ومما ينال من حولهم من التخطف بالقتل والنهب والغارات وبالامن من الجذام بدعوة ابراهيم
عليه السلام ومن الطاعون والدجال بتامين النبي صلى الله عليه وسلم وعن ذلك تسبب
الاتحاف بما خصهم به من الايلاف فعلم ان اخرها علة لاولها ويجوز ان يكون الفهم للبلد وقع
اولا فجاه الله لهم مما ذكر فيكون ذلك سببا عن الالف فيكون اولها علة لاخرها فقد التقى الطرفان
والتام البحران المعترفان وكما التقى آخر كل سورة مع اولها فكذلك التقى آخر القران العظيم
باوله بالنسبة الى تسع سور هذه اولها اذا عددت من الاخر اليها فان حاصلها المن على قريش بالاعانة
على المتجر بايلافهم بالرحلة فيه والضرب في الارض بسببه واختصاصهم بالامر بعبادة الذي
من عليهم بالبيت الحرام وجلب لهم به الارزاق والامان ومن اعظم مقاصد التوبة المناظرة لهذه
بكونها التاسعة من الاول البراة من كل مارق وان فعل ذلك يكون سببا للالفة بعد ما ظن انه
سبب الفرقة وذكر مناقب البيت ومن يصلح لخدمته والفوز بامانه ونعمته والبشارة بالغنى
على وجه اعظم من تحصيله بالمتجر وابهى وابهر واوفى واوفر وازهى وازهر واجل وافخر لقوله
تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الايات وقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من
فضله الايات فعلم بهذا علما جليا انه شرع سبحانه في رد المقطع على المطلع من سورة قريش
الذين اكرمهم الله بانزال القران بلسانهم وارسل به النبي صلى الله عليه وسلم كما اكرمهم لبنا البيت
في شانهم وتعظيمه لغناهم وامانهم ومن اعظم المناسبات في ذلك كون اول السورة التي
اخذ فيها في رد المقطع على المطلع شديد المشابهة للسورة المناظرة لها حتى في ان كلا منهما مع
السورة التي قبلها كالسورة الواحدة فالبراة مع الانفال كذلك حتى قال عثمان رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي ولم يبين امرها فلم يتحرر له انها مستقلة عنها ولذلك لم يكتب
بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وكانت هذه التي من الاخر مقطوعا بانها مستقلة مع ما ورد
من كونها مع التي قبلها سورة واحدة في مصحف ابي رضي الله عنه وقراة عمر رضي الله عنه لهما على وجه
يشعر بذلك كما مضى اشارة الى ان الآخر يكون اوضح من الاول ومن اغرب ذلك ان السورتين
اللتين قبل سورتي المناظرة بين امريهما طباق فالاولى في الاخر وهي الفيل اكرم الله فيها قريشا باهلاك

أهل الانجيل والاولي في الاولى وهي الانفال اكرمهم الله فيها بنصر اهل القران عليهم باهلاك جبابرتهم
فكان ذلك سببا لكسر شوكتهم وسقوط نخوتهم المفضي الي سعادتهم وعلم ان البراة وغيرها انما
عمل لاكرامهم لانهم المقصودون من الذات وبالقصد الاول بالارسال والناس لهم تبع كما ان جميع
الرسل تبع للرسول الخاتم الذي شرفوا بارساله اليهم صلى الله عليه وسلم وكان عددا التسع
مشيرا الي ان قريشا اهل لان يتصلوا بعروج الاسرار في الملكوت الي الفلك التاسع وهو العرش
الذي هو مقلوب الشرع فهم يصعدون باسرار الشرع التي من اعظمها الصلاة من الاسفل
الي الاعلى من الطرفين معا كما يتنزل عليهم بالبركات من الجانبين واذا ضممت التسع الاولي الي الاخري
كانت ثمان عشرة فكانت مشيرة الي ركعات الصلوات مضموما اليها الوتر والي ظهور الدين ظهورا
كاملا علي غالب اقطار الارض كما كان في سنة ثمان وعشرين وهي الثامنة عشرة من موت النبي
صلى الله عليه وسلم وذلك في اثنا خلافة عثمان رضي الله عنه فانه كان فيها قد تمزق ملك كسري
وضعف جدا وكذا ملك الروم مع ما كان من زوال امر القبط بالكلية **ومن** بديع الاشارة
ايضا انك اذا نظرت الي نزول سورة براءة وجدته سنة تسع من الهجرة في غزوة تبوك وعقب الرجوع
منها فكان كونها تاسعة ونزولها في السنة التاسعة مشيرا الي كون الدين يظهر علي كل مخالف بعد
تسع سنين وهي السنة الثامنة من موت النبي صلى الله عليه وسلم في وسط خلافة الفاروق حين
ظهر المسلمون علي الفرس والروم فقتلوا رجالهم وانتثلوا اموالهم كما كان قد ظهر عند نزولها علي عباد
الاوثان من العرب **ومن** الغريب ان قصة الفيل كانت سنة مولد النبي صلى الله عليه وسلم
فهي قبل النبوة باربعين سنة بعدد كلمات السورتين الفيل وقريش فان الفيل ثلث وعشرون
وقريش سبع عشرة **وذلك** والله اعلم اشارة الي ان ابتدا الامن باهلاكهم والاشباع بسبب ما
كان معهم من اموالهم ومتاعهم كان لمولده صلى الله عليه وسلم وتشريف الوجود بوجوده ويكون
ذلك ظاهرا كما كان السبب الذي هو وجوده صلى الله عليه وسلم ظاهرا والي ان وسطه يكون بنبوته
صلى الله عليه وسلم ويكون ذلك باطنا كما ان السبب وهو الوحي باطن ثم كان امن الصحابة
رضي الله عنهم في السنة الثامنة الموازية لعدد كلمات البسملتين علي يد النجاشي ملك الحبشة الذين
كان الامن اولا باهلاكهم واذا ضممت اليها احد عشر ضميرا سبعة في الفيل واربعة في قريش كانت
تسعا وخمسين توازيها اذا حسبت من المولد سنة ست من الهجرة وفيها كانت عمرة الحديبية
وهي الفتح السببي الخفي والي ذلك اشار صلى الله عليه وسلم بقوله في بروك ناقته الشريفة حين
بركت فقالت الصحابة رضي الله عنهم خلات القصوا اي حرنت ما خلات ولكن حبسها حابس الفيل
وفيها نزلت سورة الفتح فكان سبب الامن العظيم والغنى وعقبها في سنيها كان البعث
الي ملوك الامصار وفتح خيبر وانبساط ذكر الاسلام في جميع الاقطار وكذا كان عقبها قبل
عمرة القضية اسلام عمرو بن العاص علي يد النجاشي لما سأله ان يعطيه عمرو بن امية الضمري رضي الله عنه
ليقتله وذلك حين ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الي النجاشي رضي الله عنهما يدعوه الي الاسلام
فانكر النجاشي ذلك علي ابن العاص وشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة وامره بان يؤمن به
ففعل فكان ملك الحبشة ناجيا هاديا والي النبي صلى الله عليه وسلم داعيا عكس ما كان لملك الحبشة
بمولده صلى الله عليه وسلم من انه كان هالكا والي الجحيم هاويا وان حسبت من سنة بنيان الكعبة
في الخامسة والعشرين من مولده صلى الله عليه وسلم كانت السنة التاسعة والخمسون هي الحادية
والثلثون بعد الهجرة وهي سنة استيصال ملك الفرس بقتل آخر ملوكهم يزدجرد والفرس هم

الذين

الذين ازالوا الحبشة عن بلاد اليمن وطردوهم من ارض العرب **ولعل** قسمة السورتين الي ثلث
وعشرين وسبع عشرة اشارة الي ان هذا المولود الشريف الذي حرست الكعبة بمولده وحصل
الامن والعز ببركته تبني الكعبة بعد بضع وعشرين سنة من مولده قالوا كان بنيانها سنة
خمس وعشرون سنة فلعله كان في آخر الرابعة والعشرين **ولعل** قصة الفيل كانت وله نحو سنة
من حين الولادة وبه حين البنيان الف الله بين قريش بعد ان كانوا تنافروا اشد المنافرة
وتعاقدوا علي الحرب في امر الحجر الاسود من يضعه في موضعه حتى اصلح الله بينهم به صلى الله
عليه وسلم فوضعه بيده الشريفة في ثوب وامرهم فامسكت جميع القبايل باطرافه ثم رفعوه
حتى وازوا به موضعه فاخذه هو صلى الله عليه وسلم فوضعه في مكانه وكان الشرف له خاصة
في الاصلاح والبنيان وتشير مع ذلك الي انه يبقى في النبوة ثلثا وعشرين سنة ثم يتوفاه
الله تعالى بعد ان جعل كيد جميع الكفرة في تضليل من عباد الاوثان والفرس والروم وغيرهم بما
فتح الله عليه من جزيرة العرب التي الف الله بها بين كلمتهم حتى انسابوا علي غيرهم فما وافقهم احد ناوشوا
القتال وساموه النضال والنزال **ولعل** الاشارة بكون قريش سبع عشرة كلمة الي انه صلى الله
عليه وسلم بعد سبع عشرة سنة من بنيان البيت يبعثه الله لامر قريش بالعبادة التي اجلها الصلاة
التي اعظمها الفرايض التي هي سبع عشرة ركعة شكرا للنعمة من امنهم من خوف واطعمهم من جوع باعظم
العبادة والي ان ابتدا الفة قريش بالقوة القريبة من الفعل بعد الشتات العظيم الظاهر وجعل
كيد الكفار في تضليل يكون في السنة السابعة عشر من النبوة وذلك سنة اربع من الهجرة فان فيها
كان اجلا بني النضير من اليهود من المدينة الشريفة واخلاف قريش الموعد في بدر الموعد وهنا
منهم عن لقا جيش النبي صلى الله عليه وسلم وكانت بعد بيسير غزوة الاحزاب **ولذلك** قال صلى الله
عليه وسلم بعد انصرافهم الآن نغزوهم ولا يغزونا يعني ان نخوة الشيطان منهم وحمية الجاهلية اخذت
في الاضمحلال لانها فوتتهم في الباطل الذي كان سبب عزهم الظاهري الذي هو الذل في الباطن فكان
ذلك ابتدا عزهم في الباطن الذي هو ذلهم لاهل الاسلام في الظاهر وفي اثر الاحزاب كانت غزوة بني
قريظة فاذا ضممت الي الكلمات الضماير الاربعة كانت احدي وعشرين توازيها سنة ثمان من الهجرة
في سنة الفتح الاعظم الذي وقعت به الالفة العظمى بين قريش وامنهم وغناهم الذي وعدهم الله به في
السورة المناظرة لها وهي براءة بايتلاف جميع العرب وانبعاثهم لاجتماع كلمتهم الي جهاد الفرس والروم
والقبط واخذهم لبلادهم وانتشالهم لكنوزهم وتحكمهم في نسايهم واولادهم فسبحان من هذا
كلامه وتعالى شانه وعز مرامه

مقصودها التنبيه علي ان التكذيب بالبعث لاجل الجزا ابو الخبايث فانه يجري المكذب علي مساوي
الاخلاق ومنكرات الاعمال حتى تكون الاستهانة بالعظايم خلقا له فيصير ممن ليس له خلاق وكل من اسمايها
في غاية الظهور في الدلالة علي ذلك بتامل السورة لتعرف هذه الاشيا المذكورة فهي ناهية عن المنكرات
بتصريحها داعية الي المعالي بافهامها وتلويحها **بسم الله** الذي تعالت عظمته عن كل شايبة نقص
فكان له كل كمال **الرحمن** الذي عمت نعمته المحسن والمسي فغمر الكل بالنوال **الرحيم** الذي خص
اولياه بتمام النعمة فحباهم بنعمة الاتصال **لما** اخبر عن فعله سبحانه معهم من الانعام ممن تعدى
حدوده فيهم ومن الرفق بهم بما هو غاية في الحكمة فكان معرفا بان فاعله لا يترك الناس سدي من
غير جزا اوامرهم آخر قريش بشكر نعمته بافراده بالعبادة عرفهم اول هذه ان ذلك لا يتهيأ الا بالتصديق

بالجزا الحامل علي معالي الاخلاق الناهي عن مساويها وعجب ممن يكذب بالجزا مع وضوح الدلالة عليه بحكمة الحكيم
ووصف المكذب به باوصاف هم منها في غاية النفرة وصوره باشنع صورة بعثا لهم علي التصديق وزجرا
عن التكذيب فقال خاصا بالخطاب راس الامة اشارة الي انه لا يفهم هذا الامر حق فهمه غيره **ارايت** اي
اخبرني يا اكمل الخلق **الذي يكذب** اي يوقع التكذيب لمن يخبره كاينا من كان **بالدين** اي الجزا اي الذي
يكون يوم البعث الذي هو محط الحكمة وهو غاية الدين التكليفي الامر بمعالي الاخلاق الناهي عن سفسافها
ومن كذب باحدهما كذب بالاخر **ولما** كان فعل الروية بمعنى اخبرني المتعدي الي مفعولين كان ه
تقدير المفعول الثاني اليس جديرا بالانتقام منه **وقال** الامام ابو جعفر بن الزبير **لما** تضمنت السور
المتقدمة من الوعيد لمن انطوي علي ما ذكر فيها مما هو جار علي حكم الجهل والظلم الكاينين في جبلة
الانسان ما تضمنت كقوله ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لفي خسر يحسب ان ماله اخلده واجر
اثنا ذلك مما تثيره هذه الصفات الاولية ما ذكر ايضا فيها كالشغل بالتكاثر والطعن علي الناس
ولمزهم والاغترار المهلك اصحاب الفيل اتبع ذلك بذكر صفات قد توجد في المنتمين الي الاسلام او يوجد
بعضها او اعمال من يتصف بها وان لم يكن من اهلها كدع اليتيم وهو دفعه عن حقه وعدم الرفق به
وعدم الحض علي طعام المسكين والتغافل عن الصلاة والسهو عنها والريا بالاعمال والزكاة وللحاجات
التي يضطر فيها الناس بعضهم الي بعض ويمكن ان يتضمن ابهام الماعون هذا كله ولا شك ان هذه الصفات
توجد في المنتمين بالاسلام فاخبر سبحانه انه من صفات من يكذب بيوم الدين ولا ينتظر الجزا والحساب
اي ان هولا هم اهلها ومن هذا القبيل قوله عليه الصلاة والسلام اربع من كن فيه كان منافقا
خالصا وقوله عليه الصلاة والسلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وهذا الباب كثير في
الكتاب والسنة **وقد** بسطته في كتاب ايضاح السبيل من حديث سوال جبريل **فمن** هذا القبيل
عندي والله اعلم قوله تعالي ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم اي ان هذه الصفات
من دفع اليتيم وبعد الشفقة عليه وعدم الحض علي اطعامه والسهو عن الصلاة والمراة بالاعمال
ومنع الحاجات ان هذه كلها من شان المكذب بالحساب والجزا لان يقع البعد عنها انما يكون اذ ذاك
فمن صدق به جوزي في هذه الخصال علي السنن المشكور والسعي المبرور ومن كذب به لم يبال بها
وبابط جميعها فتنزهوا ايها المومنون عنها فليست من صفاتكم في اصل ايمانكم الذي بايعتم عليه فمن
تشبه بقوم فهو منهم فاحذروا هذه الرذايل فان دع اليتيم من الكبر الذي اهلك اصحاب **الفيل**
وعدم الحض علي اطعامه فانما هو فعل البخيل الذي يحسب ان ماله اخلده والسهو عن الصلاة من
ثمرات الهاكم التكاثر والشغل بالاموال والاولاد فنهي عباده عن هذه الرذايل التي يثمرها ما تقدم
والتحمت السور انتهي **ولما** كان المراد بهذا الجنس وكان من المكذبين من يخفي تكذيبه
عرفهم بامارات تنشا من عمود الكفر الذي صدر به وتتفرع منه تفضحهم وتدل عليهم وان اجتهدوا
في الاخفا وتوضحهم فقال مسببا عن التكذيب ما هو دال عليه **فذلك** اي البغيض البعيد من
كل خير **الذي يدع** اي يدفع دفعا عنيفا بغاية القسوة **اليتيم** ويظلمه ولا يحث علي اكرامه
لان الله نزع الرحمة من قلبه ولا ينزعها الا من شقي لانه لا حامل علي الاحسان اليه الا الخوف
من الله فكان التكذيب بجزايه سببا للغلظة عليه **ولما** كانت رحمة الضعفا علامة
علي الخير ولذلك قال النبي صلي الله عليه وسلم اني اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين
كانت القسوة عليهم علامة علي الشر وكان من بخل بالين في ماله اشد بخلا بالبذل من ماله قال
معبرا بان المكذب ينزله تكذيبه الي اسفل الدركات واسوا الصفات الحامل علي شر الحركات

ولا يحض اي يحث نفسه ولا اهله ولا غيرهم حثا عظيما يحمي فيبعث علي المراد **علي طعام المسكين**
اي بذله له واطعامه اياه بل يمقته ولا يكرمه ولا يرحمه وتعبيره عن الاطعام الذي هو المقصود
بالطعام الذي هو الاصل واضافته الي المسكين للدلالة علي انه يشاركه الغني في ماله بقدر ما فرض
الله من كفايته وقد تضمن هذا ان علامة التكذيب بالبعث ايذا الضعيف والتهاون بالمعروف
والاية من الاحتباك الدع في الاول يدل علي المقت في الثاني والحض في الثاني يدل علي مثله في الاول
ولما كان حاله هذا مع الخلايق اتبعه حاله مع الخالق اعلاما بان كلا منها دال علي خراب القلب
وموجب لمقت الرب واعظم الاهانة والكرب وان المعاصي شوم مهلك تنفيرا عنها وتحذيرا منها
فسبب عنه قوله معبرا باعظم ما يدل علي الاهانة **فويل** **ولما** كان الاصل له بالاضمار
والافراد وكان المراد بالذي الجنس الصالح للواحد وما فوقه وكان من يستهين بالضعيف
لضعفه يعرض عما لا يراه ولا يحسه لغيبته وكان من اضاع الصلاة كان لما سواها اضيع ه
وكان من باشرها ربما ظن النجاة وكانت مباشرته لها علي حال الريا او غيره من الامور المحبطة
للعمل عبر بالوصف تعميما وتعليقا للحكم به وشققه من الصلاة تحذيرا من الغرور واشارة الي ان الذي
اثمر له تلك الخساسة هو ما تقدم من الجري مع الطبع الردي واتي بصيغة الجمع تنبيها علي ان
الكثرة ليست لها عنده عبرة لان اهانة الجمع مستلزمة لاهانة الافراد من غير عكس فقال **للمصلين**
ولما كان الحكم انما هو علي ذات الموضوع من غير اعتبار لوصفه بالفعل علم ان المقصود ه
انما هو من كان مكلفا بالصلاة لا من كان متلبسا بها مثل قوله صلي الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة
حايض الا بخمار فلذلك وصفهم بقوله **الذين هم** اي بضمايرهم وخالص سرايرهم **ولما** كان ه
المراد تضييعهم قال **عن** دون في **صلاتهم** اي التي هي جديرة بان تضاف اليهم لوجوبها
عليهم وايجابها لاجل مصالحهم ومنافعهم بالتزكية وغيرها **ساهون** اي عريقون في الغفلة
عنها وتضييعها وعدم المبالاة بها وقلة الالتفات اليها ويوضح ذلك ان ابن مسعود رضي
الله عنه قرا لاهون وفايدة التعبير بالوصف الدلالة علي ثبوته لهم ثبوتا يوجب ان لا يذكروها
من ذات انفسهم اصلا ولذلك كشفه بما بعد **روي** البغوي ان النبي صلي الله عليه وسلم
سيل عن الاية فقال هو اضاعة الوقت **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هم المنافقون
يتركون الصلاة اذا غابوا ويصلونها اذا حضروا مع الناس **ولما** كان من كان بهذه
الصفة لا نظر له لغير الحاضر كالبهايم قال دالا علي ان المراد بالسهو عنها تضييعها عند الانفراد
بالترك حسا ومعني وعند الاجتماع بالافساد في المعني **الذين هم** اي بجملة سرايرهم **يراون**
اي بصلاتهم وغيرها يرون الناس انهم يفعلون الخير ليراهم الناس فيروهم الثنا عليهم والاحسان
اليهم ولو بكف ما هم مستحقونه من السيف عنهم لا لرجا الثواب ولا لخوف العقاب من الله
ولذلك يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس **ولما** كان من كان بهذه الصفة ربما
فعل قليل الخير دون جليله ريا بين انهم غلب عليهم الشح حتي انهم مع كثرة منهم لم يقدروا ان يراوا
بهذا الشي التافه فانسلخوا من جميع خلال المكارم فقال ابلاغا في ذمهم اشعارا بان احب
الخلق الي الله انفعهم لعياله **ويمنعون** اي علي تجدد الاوقات وحذف المفعول الاول
تعميما حتي يشمل كل احد وان جل وعظمت منزلته ولطف محله من قلوبهم تعريفا بانهم بلغوا من ه
الرذالة دركة ليس وراها للحسد موضع **الماعون** اي حقوق الاموال والشي اليسير من المنافع
مثل اعارة التافه من متاع البيت التي جرت عادة الناس ان يتعاوروه بينهم ويمنعون ه

اهل الحاجة ما اوجب الله لهم في اموالهم من الحقوق والحاصل انه ينبغي حمل ذلك علي منع
ما يجب بذله مثل فضل الكلا والما والزكاة ونحوه ليكون موجبا للويل وعلي الزكاة حمله علي
وابن عمر رضي الله عنهما والحسن وقتادة قال العلما هو ماخوذ من المعن وهو في اللغة الشي اليسير
ولذلك فسره بعضهم بالما وبعضهم بما يعار من المتاع نحو القدر والفاس والدلو وبعضهم
بالزكاة لانه لا يوخذ من المال علي وجه الزكاة الا شي يسير جدا بالنسبة اليه وقيل هو كل عطية
او منفعة وقال قطرب هو فاعول من المعن والمعن المعروف وقال ابو عبيد الماعون في الجاهلية
العطا والمنفعة وفي الاسلام الزكاة وقال الهروي قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العارية
ذكر هذا الامام عبد الحق الاشبيلي في كتابه الواعي وقال ابن جرير واصل الماعون من كل شي
منفعته فدل ذلك علي انهم بلغوا نهاية التكذيب باستهانتهم باعظم دعايم الدين واستعظامهم
لادني امور الدنيا • وهذا الاخر كما تري هو الاول لان الذي جر اليه هو التكذيب
ومن منع هذه الاشيا التافهة كان جديرا بان يمنع ورود الكوثر في يوم المحشر وكما التقي اخرها
باولها التقت السور كلها مع مناظرتها في العدد من اول القران وذلك انه قد علم ان حاصل
هذه السورة الابعاد عن سفساف الاخلاق وردتها ودنيها من التكذيب بالجزا الذي هو حكمة
الوجود المثمر للاعراض عن الوفا بحق الخلايق وطاعة الخالق والانجذاب مع النقايص الي
الاستهانة بالضعيف الذي لا يستهين به الا اندل الناس وارذلهم والريا الذي لا يلم به الا
من كان في غاية الدناة فكان ذلك موجبا للميل الي اعظم الويل • وفي ذلك اعظم مرغب في معالي
الاخلاق التي هي اضداد ما ذكر في السورة وكلا الامرين موجود في الانفال المناظرة لها
في ردها المقطع علي المطلع علي اتم وجه ليكون ذلك اشارة الي انها شارحة لهذه نفيه الايما
الي ملاحظتها عند قراتها انظر الي قوله تعالي الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون اولئك هم المومنون حقا الاية واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية
وما كان صلاتهم عند البيت الا مكا وتصدية والذين كفروا الي جهنم يحشرون الاية فان
لله خمسه وللرسول ولذي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل الاية الم تر الي الذين
خرجوا من ديارهم بطرا وريا الناس الاية ولقد انطبقت السورة بمعانيها وتراكيبها
العظيمة ونظومها ومبانيها علي الارذال الادنيا الاسافل واحاطت بروسهم بعد كلماتها مفردة قبل
حروفها وادارت عليهم كووس حتوفها من نوافذ الرماح بايدي جنودها ومواضي سيوفها
وذلك ان عدة كلماتها خمس وعشرون كلمة فاذا اعتبرتها من اول سني النبوة واردت السنة
الثانية عشر من الهجرة وذلك اواخر خلافة الصديق رضي الله عنه وفيها لم يبق علي احد
من المصلين الذين ارتدوا عن الاسلام بعد وفاة النبي صلي الله عليه وسلم او منعوا الزكاة
فتبين انهم ما كانوا يصلون في حياته صلي الله عليه وسلم ويزكون الا ريا الناس فحل
الادنيا الانجاس حتي حل بهم الويل بايدي جنود الصديق الذين جاوهم بالرجل والخيل
فمزقوهم عن اخرهم ولم تمض تلك السنة الا وقد فرغ منهم بالفراغ من بني حنيفة باليمامة
واطراف بلاد اليمن من اهل النجير ببلاد كندة والاسود العبسي من صنعا وما مضت سنة ست
عشرة الموازية لعدد الكلمات بالبسملة وذلك اوايل خلافة الفاروق حتي زالوا من جميع جزيرة
العرب وهم مشركوا العرب ومتنصروهم ومتمجسوهم الذين كانوا بنواحي العراق والشام
والبحرين فاسلم اكثرهم وذهب الباقون الي بلاد الروم فحل الويل بالمرائين من اهل الصلاة

فانهم

فانهم الذين اتي اليهم نبيهم صلي الله عليه وسلم بالصلاة فاعرضوا عنها والناس لهم تبع ولم
يصح في هذه السورة اعتبار الضماير لان الدين في هذا الحد كان قد ظهر علي كل ظاهر الي حد
لا اضمار فيه بوجه ولا عايق له ولا ساير وكانه لا حاجة الي الرمز بالضماير لما دقت له في
الخافقين من البشاير علي روس المناير والمنابر فلذلك لم يناسب بعد الوصول الي هذا
الحال المكشوف الايما بالدلالة باعداد الحروف

مقصودها المنحة بكل خير يمكن ان يكون واسمها الكوثر واضح في ذلك وكذا النحر
لانه معروف في نحر الابل وذلك غاية الكرم عند العرب بسم الله الملك الاعظم الجواد
الاكرم الذي لا حد لفايض فضله الرحمن الذي شمل الخلايق بجوده وفاوت بينهم في صوب
وبله الرحيم الذي خص حزبه بالاهتدا بهديه والاعتصام بحبله • لما
كانت سورة الدين بافصاحها ناهية عن مساوي الاخلاق كانت بافهامها داعية
الي معالي الشيم فجات الكوثر لذلك • وكانت الدين قد ختمت باخل البخلا وادني
الخلايق المنع تنفيرا من البخل وهاجره من التكذيب فابتديت الكوثر باجود الجود العطا
لاشرف الخلايق ترغيبا فيه وندبا اليه • فكان كانه قيل انت يا خير الخلق
غير متلبس بشي مما نهت عنه تلك المختتمة بمنع الماعون انا بما لنا من العظمة واكد
لاجل تكذيبهم اعطيناك اي خولناك مع التمكين العظيم ولم يقل اتيناك لان
الايتا اصله الاحضار وان اشتهر في معني الاعطا الكوثر الذي هو من جملة الجود
علي المصدقين بيوم الدين • ولما كان كثير الرييس اكثر من كثير غيره فكيف بالملك
فكيف بملك الملوك فكيف اذا اخرجه في صيغة مبالغة فكيف اذا كان في مظهر
العظمة فكيف اذا بنيت الصيغة علي الواو الذي له العلو والغلبة فكيف اذا انت اثر
الفتحة التي لها من ذلك مثل ذلك بل اعظم كان المعني افضنا عليك واعطيناك من كل شي
من الاعيان والمعاني من العلم والعمل وغيرهما من معادن الدارين ومعاونهما الخير الذي
لا غاية له فلا يدخل تحت الوصف فاغنيناك عن ان توثر بدنك او توفر مالك بجلب نفع او دفع
ضر ومنه النهر الذي في الجنة وسقي المومنين من الحوض الممدود منه في المحشر الذي
مثاله في الدنيا شريعته صلي الله عليه وسلم التي عراها واسبابها عدد النجوم الذين هم
علما امته المقتدي بهم • فقد اجتمع لك الغبطتان اشرف العطا من اكرم المعطين واعظمهم
وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما نهي عباده عما يلتذ به من اراد الدنيا وزينتها
من الاكثار والكبر والتعزز بالمال والجاه وطلب الدنيا اتبع ذلك بما منح نبيه مما هو خير
مما يجمعون وهو الكوثر وهو الخير الكثير ومنه الحوض الذي ترده امته في القيمة لا يظما من
شرب منه ومنه مقامه المحمود الذي يحمده الاولون والاخرون عند شفاعته العامة للخلق
واراحتهم من هول الموقف ومن هذا الخير ما قدم له في دنياه كتحليل الغنايم والنصر بالرعب
والخلق العظيم الي ما لا يحصي من خير الدنيا والاخرة مما بعض ذلك خير من الدنيا وما فيها
اذ لا تعدل الدنيا وما فيها واحدة من هذه العطايا قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو
خير مما يجمعون • ومن الكوثر والخير الذي اعطاه الله كتابه المبين الجامع لعلم الاولين والاخرين

والشفا لما في الصدور ولما كمل له سبحانه من النعم ما لا ياتي عليه حصر مما لا يناسبه
اذناه من نعيم الدنيا بجملتها قال له منبها على عظيم ما اعطاه لا تمدن عينيك الي قوله
ورزق ربك خير وابقى فقد اضمحل في جانب نعمه الكوثر الذي اوتي كل ما ذكره تعالى
في كتاب من نعيم اهل الدنيا وتمكن من تمكن منهم وهذا احد موجبات تاخير هذه السورة
فلم يقع بعدها ذكر شي من نعيم الدنيا ولا ذكر احد من المتنعمين بها لانقضا هذا الغرض وتمامه
وسورة الدين آخر ما تضمن الاشارة الي شي من ذلك كما تقدم من تمهيد اشاراتها وتبيين عبارتها
فهذا وجه تعقيبها بها والله اعلم انتهى ولما اعطاه ما فرغه للعبادة واكسبه غنى لا
حاجة معه سبب عنه قوله آمرا بما هو جامع لمجامع الشكر فصل اي بقطع العلايق من
الخلايق بالوقوف بين يدي الله في حضرة المراقبة شكرا لاحسان المنعم خلافا للساهي
عنها والمرآي بها ولما اتى بمظهر العظمة لتكثير العطا فتسبب عنه الامر بما للملك من العلو
وكان امره صلى الله عليه وسلم تكوينا لا ايا معه وقع الالتفات الي صفة الاحسان المقتضي
للترغيب والاقبال لما يفيد من التحبيب مع التصريح بالتوحيد وافادات العبادة لا تقع
الا شكرا فقال لربك اي المحسن اليك بذلك سرا وعلنا مراغما من شئت فلا سبيل لاحد عليك
وانحر اي انفق له الكوثر من المال على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنعهم الماعون ثم النحر افضل
نفقات العرب لان الجزور الواحد يغني مائة مسكين واذا اطلق العرب المال انصرف
الي الابل ولعله عبر عن هذا المراد بالنحر ليفهم الزجر عما كانوا يفعلونه من الذبح للاوثان
ومن معناه ايضا اظهر الذل والمسكنة والخشوع في الصلاة بوضع اليمنى على اليسرى تحت
النحر هيئة الذليل الخاضع وقد قابل في هذا اربعا من سورة الدين باربع وهي البخل
بالاعطا واضاعة الصلاة بالامر بها والريا بالتخصيص بالرب ومنع الزكاة بالنحر ولما
امره باستغراق الزمان في عبادة الخالق والاحسان الى الخلايق باعلى الخلايق علله بما حاصله
انه لا شاغل له ولا حاجة اصلا تلم به فقال ان شانئك اي مبغضك والمتبري منك والمستهين
بك مع ما اوتيت من الجمال والخصال الفاضلة والكمال هو اي خاصة الابتر اي المقطوع
من اصله والمقطوع النسل والمعدم والمنقطع الخير والبركة والذكر لا يعقبه من يقوم بامره
ويذكر به وان جمع المال وفرغ بدنه لكل جمال وانت الموصول الامر النابه الذكر المرفوع
القدر فلا تلتفت اليه بوجه من الوجوه فانهم اقل من ان يبالي بهم من يفرغ نفسه للفوز بالمثول
في حضراتنا الشريفة والافتخار بالعكوف في ابوابنا العالية المبقية لك ما انت عليه ولهم ما
هم فيه فالاية الاخيرة النتيجة لان من الكوثر علو امره وامر محبيه واتباعه في ملكوت
السما والارض وتتبر الجنة وسفول شان عدوه فيهما فقد التف كما ترى مفصلها بموصلها
وعرف آخرها من اولها وعلم ان وسطها كالحدود الوسطى معانقة للاولى بكونها من ثمارها
ومتصلة بالاخرى لانها من غايات مضارها وقد صدق الله ومن اصدق من الله
قيلا لم يبق لاحد من مبغضيه ذكر بولد ولا تابع ولا يوجد لهم شاكر ولا مادح ولا رافع واما هو
صلى الله عليه وسلم فقد ملات ذريته من فاطمة الزهرا الارض وهم الاشراف مع مبالغة
الملوك في قتلهم واخلا الارض من نسلهم خوفا من شرفهم العالي على شرفهم ورفعتهم بالتواضع
الغالب لصلفهم واذا راجعت اية ما كان محمد ابا احد من رجالكم من الاحزاب علمت ان توفي
نبيه عليه السلام قبله من اعلا قدره ومزيد تشريفه بتوحيد ذكره واما اتباعه فقد

استولوا

استولوا على اكثر الارض ثم اولوا الفرقان والعلم الباهر والعرفان ويوخذ منها ان من
فرغ نفسه لربه اهلك عدوه وكفاه كلهم وقد علم ان حاصل هذه السورة المن عليه
صلى الله عليه وسلم بالخير العظيم الذي من جملته النهر النابت من الجنة في المحشر المورود لمن اتبعه
الممنوع ممن تابى عنه وقطعه وامره بالصلاة والنحر للتوسعة على المحاويج والبشارة بقطع
دابر اعدايه ونصر جماعة اوليايه كما ان مقاصد الاعراف المناظرة لها في رد المقطع على المطلع
تهديد الظالمين بالاهلاك في قوله وكم من قرية اهلكناها الاية وتصوير ذلك بذكر المصارع
الماضين لمخالفتهم الرسل عليهم السلام والامر بالصلاة وسر السورة وما يقصد بالنحر بقوله
خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا الايات وذكر من يمنح ما الجنة ومن يمنعه بقوله تعالى
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الما او مما رزقكم الله الايات وقوله
تعالى ورحمتي وسعت كل شي فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة والذين هم باياتنا يومنون
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية هذا ما يتعلق بتفسير تراكيبها وجملها وتاويل تفاصيلها
ومجملها وكذا نظيرتها في مبادي امرها ومكملها ثم ان هذه السورة عشر كلمات في الكتابة اشارة
الي ان تمام بتر شانيه يكون مع تمام السنة العاشرة من الهجرة وكذا كان لم تمض السنة الحادية
عشر من الهجرة وفي جزيرة العرب الا من يري اشرف احواله بذل نفسه وماله في حبه واذا
اضفنا اليها الضميرين المستترين كانت اثنى عشرة وفي السنة الثانية عشرة من النبوة بايعه
صلى الله عليه وسلم الانصار على منابذة الكفار واذا اضيف الي العشرة الضماير البارزة
الخمسة كانت خمس عشرة اشارة الي انه صلى الله عليه وسلم عند تمام السنة الخامسة عشرة
من نبوته يبسط يده العالية لبتر اعدايه وكذا كان في وقعة بدر الرفيعة القدر ففي
ضماير الاستتار كانت البيعة وهي مستترة في الضماير البارزة كانت بدر وهي مشتهرة واذا
اضيف الي ذلك الضميران كانت سبع عشرة وفي السنة السابعة عشر من نبوته كانت غزوة
بدر الموعد وفي فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالوعد في الاتيان الي بدر للقا قريش للقتال
ومقارعة الابطال فاذ لهم الله فلم ياتوا وانما اعتبر ما بعد الهجرة من احوال النبوة عند
ما عدت الكلمات الخطية العشر لكونها اقوى احوال النبوة كما ان الكلمات الخطية اقوى من الضماير
وان اشترك الكل في اسم الكلمات فلذلك اخذ تمام البتر للشاني وهو ما كان في السنة الحادية
عشرة من هلاك اهل الردة وثبات العرب في صفة الاسلام ولما ضمت الضماير البارزة
الخمسة التي هي اقرب من المستترة الي الكلمات الخطية واضعف من الكلمات الخطية اعتبر من اول
السورة لمناسبة ما كان من ضعف الحال فيما قبل الهجرة فوازي ذلك السنة الثانية من الهجرة
التي كانت فيها غزوة بدر الكبرى وهي وان كانت من العظم على امر بالغ حدا لكنها كانت على وجه
مخالف للقياس فان حال الصحابة رضي الله عنهم كان فيها في غاية الضعف ولكونها اول ما وقع
فيه النصر من الغزوات لم تكن نفوس المخالفين مذعنة لان ما بعدها تكون مثلها فاذا ضم الي ذلك
الضميران المستتران وهما اضعف من البارز انطبق العدد كسنة غزوة بدر الموعد في سنة اربع
وهي وان كانت قوية لكون قريش ضعفوا عن اللقا لكن كان حالها اضعف من بدر التي وقع فيها القتال
واسر وكون كلماتها الخطية والاصطلاحية التي هي ابعاض الكلمات الخطية سبع عشرة ركعة موذن
بان الامر في فصل معضل بالذات وبالقصد الاول الى الصلوات الخمس التي هي سبع عشرة ركعة
وان من ثابر عليها كان مصليا خارجا من عهدة الامر فاذا قصرت في السفر بما اقتضته صفة التربية

بالاحسان نقصت بعذبر عدة الضماير سوي الذي في الامر لان الامر الناشي عن مظهر العظمة لا يليق
فيه التخفيف بنفس كلمة الامر واذا اضفنا اليها كلمات البسملة الاربع كان لها اسرار كبري من جهة اخري
وذلك ان كلمات الخطبة تكون اربع عشرة اشارة الي ان ابتدا التبري للاضداد يكون بالقوة القريبة
من الفعل بالتهيؤ له في السنة الرابعة عشرة من النبوة وذلك عام الهجرة فاذا اضفنا اليها الضماير
البارزة التي هي اقرب الي الكلمات الخطية وهي خمسة كانت تسع عشرة وفي السنة التاسعة عشرة من
النبوة وهي السادسة من الهجرة كان الفتح المبين على الشانئين الذي انزل الله فيه سورة الفتح فاذا
اضفنا اليها الضميرين المستترين كانت احدي وعشرين وهي سنة ثمان من الهجرة سنة الفتح الاكبر
الذي علم العلم فيه بان الشاني هو الابتر واذا اعتبرت حروفها المتلفظ بها كانت اربعة واربعين حرفا
فاذا ناظرتها بالسنين من اول حين النبوة كان آخرها سنة احدي وثلثين من الهجرة وهي البتر الاعظم
لشانيه الاكبر الذي مزق كتابه وكان مالكا للبلاد اليمن وهو قدر كثير من بلاد العرب وكذا لغيرهم
مما قارب بلاده وكانت قريش تجعله من عدادهم كما مضي بيانه في سورة الروم وهو كسري
ملك الفرس ففيها كان انقراض ملكهم بقتل آخر ملوكهم يزدجرد كما انك اذا اعتبرت كلماتها الخطية مع
الضماير البارزة التي هي كلمات اصطلاحية دون ما استتر فان وجوب استتاره منع من عده كانت
عشرة كلمة فاذا اعتبرت بها ما بعد الهجرة وازنت وقت موت قيصر طاغية الروم في سنة تسع عشرة
من الهجرة اهلكه الله **وقد** تجهز الي قتال العرب بالاسكندرية بنفسه وامران لا يتخلف عنه احد
من الروم فيكسر الله بموته شوكة الروم واستاسدت العرب عند ذلك فكانت الاحرف مشيرة الي
بتر الشاني من الروم والفرس اولي باشارة الاحرف لانهم ليسوا بذوي علم والروم بالكلمات لانهم اهل
علم والكلمات اقرب الي العلم واذا اعتبرت احرف البسملة اللفظية كانت ثمانية عشر حرفا فاذا جعلتها
سنين من اول النبوة كان آخرها سنة من الهجرة وفيها كانت غزوة الاحزاب قال النبي صلي الله عليه
وسلم بعد انصرافهم منها الآن نغزوهم ولا يغزونا فهو اول اخذ الشاني في الانبتار واذا اعتبرت
الاحرف بحسب الرسم كانت تسعة عشر آخرها سنة ست وهي عمرة الحديبية سنة الفتح السببي
وهو الصلح الذي نزلت فيه سورة الفتح وسماه الله فتحا وقال النبي صلي الله عليه وسلم انه اعظم
الفتح فكان سببا للفتح الاعظم بخلطة الكفار لاهل الاسلام بالصلح فاسرعوا الي الاسلام بالدخول
فيه لما راوا من محاسن الدين واعجاز القران فكانوا يوم الفتح عشرة الاف بعد ان كانوا قبل ذلك
بسنتين يوم الحديبية الفا واربعمائة والله الموفق **هذا** يسير من اسرار هذه السورة **وقد** علم
منه من اعجازها ما يشرح الخواطر ويبهج النواظر لانه يفوق حسنا علي الرياض بالنواضر **وعلم**
ايضا جنون الخبيث المسخرة مسيلمة الكذاب عليه اللعنة والتباب وله سوء المنقلب والمآب
حيث قال في معارضتها انا اعطيناك الجماهر فصل لربك وهاجر انا كفيناك المكابر والمجاهر لانه
كلام مع انه قصير المدي ركيك اللحمة والسدي عريق الساحة والعني في المهلك والعنا ليس فيه
غنا بل كله نصب وعنا هلهل النسج رث القوي منفصم العري متخلخل الارجا فاسد المعاني
والبنا سافل الالفاظ من اجنا لان العلل منافية للعلولات والشوامل منافرة للمشمولات **ثم**
رايت في دلايل الاعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني ان الوسطي من قال القاهر وجاهر فان كان
بالدين لم يمنع التمدح بالباطل وذلك لا يرضي به عاقل وان كان بالحرب كان علي النصف لكل من تدبر
فعرف ولا نصرفيه علي الغلب بمطلوبية ولا طلب مع نقص الجود علي كل تقدير الذي هو المقصود للغني
والفقير والمامور والامير هذا مع الاغارة علي الاسلوب والحذو علي المعهود غير محاذ في القصاص

حياة في اسقاط القتل انفي بالقتل بالرشاقة مع الوجاهة والعذوبة مع البلاغة في اصابة حاق
المعني بما يعود الي السماح بالنفس ويحمل علي المبادرة الي امتثال الامر والاولي من سخيف عقل السخيف
واكله الي الخلق مع نقصان المعني الساتر للاسرار والاخري مهملة لذوي الشبه والستر مع ما
فاتها من قصر الخسار وخصوص التبار الي ما حوت من بيان الكذب البتار للاعمار المخرب للديار
تصديقا للنبي البار بايدي صحابته الاخيار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فسبحان من علا
فعلا كلامه كل كلام والسلام

مقصودها اثبات مقصود الكوثر بالدليل الشهودي علي ان منزلها كامل العلم شامل القدرة
لانه المنفرد بالوحدانية فلذلك لا يقاوي من كان معه ولذلك لما نزلت قراها رسول الله صلي الله
عليه وسلم عليهم في المسجد اجمع ما كانوا **وهذا** المراد بكل من اسمايها اما الكافرون فمن وجهين
ناظر الي اثبات وناظر الي نفي اما المثبت فمن حيث انه اشارة الي تامل جميع السورة من اطلاق البعض
علي الكل واما النافي فمن جهة انهم انما كفروا بانكار ما هو مقصودها اما صريحا كالوحدانية وتمام
القدرة واما لزوما وهو العلم فانه يلزم من نقص القدرة نقصه **واما** الاخلاص فلان من اعتقد
ذلك كان مومنا مخلصا بريا من كل شرك وكل كفر **واما** المقشقشة فلانها ابرات من كل نفاق
وكفر من قولهم تقشقشت قروحه اذا تقشرت للبرء وعندي انه من الجمع اخذا من القش الذي
هو تطلب الماكول من ههنا وههنا فانها جمعت جميع اصول الدين فاثبتتها علي اتم وجه فلزم من
ذلك انها جمعت جميع انواع الكفر فحذفتها ونفتها **وقد** تقدم تمام توجيه ذلك في براءة فامرهما
داير علي الاخلاص **ومن** المعلومات ان من اخلص لله كان من اهل ولايته حقا فحق له ما يفعل الولي
مع وليه **ولذلك** والله اعلم سنت قراتها مع قل هو الله احد في ركعتي الفجر ليحوز فاعل ذلك بالبراءة
من الشرك والاتصاف بالتوحيد اول النهار ثمرة ما ورد ان من صلي الصبح كان في ذمة الله ومن
كان كذلك كان جديرا بان ينال ما اشارت اليه السورتان اللتان بين سورتي الاخلاص من الفتح
له والنصرة والخيبة لعدوه والخسر والحسرة **بسم الله** المحيط علما وقدرة فهو
الواحد الذي لا يستطيع احد ان يقدر حق قدره **الرحمن** الذي عم برحمة البيان من اوجب عليهم
شكره **الرحيم** الذي خص اهل وده فالتزموا نهيه وامره **لما** اخبره في الكوثر ان العريق
في شناته عدم وجب ان يعرض عنه ويقبل بكليته علي من انعم عليه بذلك فقال معلما له ما يقول
ويفعل **قل** **ولما** كان شانيه اعرق الخلق في الضلال والبعد من الخير قال مناديا له
باداة البعد وان كان حاضرا معبرا بالوصف المؤذن بالرسوخ **يا ايها الكافرون** اي الذين
قد حكم بثباتهم علي الكفر فلا انفكاك لهم عنه نستروا ما تدل عليه عقولهم من الاعتقاد الحق
لوجودها من اذنابهم الحظ وهم كفرة مخصوصون وهم من حكم بموته علي الكفر بما طابقه من
الوقايع ودل عليه التعبير بالوصف دون الفعل واستغرقت اللام كل من كان علي هذا الوصف
في كل مكان وكل زمان وانما عبر بالجمع الذي هو اصل في القلة وقد يستعار للكثرة اشارة الي
البشارة بقلة المطبوع علي قلبه من العرب المخاطبين بهذا في حياته صلي الله عليه وسلم واشارة
الي حقارة الكافر وذلته وان كان كثيرا كما يشير اليه جعل كل كلمة منها بحرف من الكوثر كما ياتي
وفي منادانهم بهذا الوصف الذي يستر ذلونه في بلدتهم ومحل عزهم وحميتهم ايذان بانه محروس
منهم علما من اعلام النبوة **وقال** الامام ابو جعفر بن الزبير لما انقضي ذكر الفريقين المتردد

ذكرهما في الكتاب العزيز من اوله الي اخره على اختلاف احوال الكل فريق وشتي درجاتهم واعني
بالفريقين من اشير اليه في قوله سبحانه اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم
فهذا طريق احد الفريقين وفي قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الي طريق من كان في الطرف
الآخر من حال اوليك الفريق اذ ليس الا طريق السلامة او طريق الهلاك فريق في الجنة وفريق في السعير
فمنكم كافر ومنكم مؤمن والسالكون طريق السلامة فاعلي درجاتهم مقامات الرسل والانبيا عليهم السلام
ثم يليهم اتباعهم من صالحي العباد وعلمايهم العاملين وعبادهم واهل الخصوص منهم والقرب من احوال
من تنسك منهم ورتبهم مختلفة وان جمعهم جامع وهو قوله فريق في الجنة واما اهل التنكب عن هذه
الطريق وهم الهالكون فعلي طبقات ايضا ويضم جميعهم طريق واحد فكيف ما تشعبت الطرق فالي ما
ذكر من الطريقين مرجعهما وباختلاف سبل الجمع عرفت آي الكتاب وفصلت ذكر كله تفصيلا لا يبقي معه
ارتياب لمن وفق فلما انتهي ذلك كله بما يتعلق به وتداولت بيانه الآي من لدن قوله بعد ام
القران هدي للمتقين الي قوله ان شانيك هو الابتر اتبع ذلك بالتفاصيل والتسجيل فقال تعالي قل
يا ايها الكافرون فبين سبحانه ان من قضي عليه بالكفر والموافاة عليه لا سبيل له الي خروجه عن ذلك
ولا يقع منه ايمان ابدا ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتي وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما
كانوا ليؤمنوا الا ان يشا الله ولو انهم بعد عذاب الآخرة ومعاينة البعث وعظم تلك الاهوال
وسؤالهم الرجوع الي الدنيا وقولهم ربنا فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فلو اجيبوا الي
هذا ورجعوا لعادوا الي حالهم الاول ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه تصديقا لكلمة الله
واحكاما لسابق قدره افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار فقال لهم لا اعبد
ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد الي آخرها فبان امر الفريقين وارتفع الاشكال واستمر
كل علي طريقه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان عليك الا البلاغ فتامل موقع هذه السورة وانها
الخاتمة لما قصد في الكتاب يلح لك وجه تاخيرها والله اعلم انتهى. ولما كان القصد اعلامهم
بالبراة منهم من كل وجه وانه لا يبالي بهم بوجه لانه محفوظ منهم قال مؤذنا بصدق خبره تعالي آخر
الكوثر من حيث انه مع الجزم بالمنابذة لا يستطيعون له نوع مكايدة نافلة بادئا بالبراة من جهته
لانها الاهم **لا اعبد** اي الآن ولا في مستقبل الزمان لان لا للمستقبل وما للحال كذا قالوا وظاهر
عبارة سيبويه في قوله لن نفي لقوله سيفعل ولا لقوله يفعل ولم يقع انها نفي للمضارع الذي
لم يقع سوا كان في غاية القرب من الحال ام لا كما نقلته عنه في اول البقرة عند ولن تفعلوا
علي ان نطقا بهذا الكلام لا يكاد يتحقق حتي يمضي زمن فيصير مستقبلا فلذا عبر بلا دون ما بشارة
بانه سبحانه يثبته علي الصراط المستقيم ولا يظفرهم به علما من اعلام النبوة ولما كان نفي
معبوداتهم ما لا يعقل وكان المقصود تحقير كل ما عبدوه سوي الله عبر بما فقال **ما تعبدون** اي الآن
وفي آت الزمان من دون الله من المعبودات الظاهرة والباطنة بوجه من وجوه العبادة في سر
ولا علن لانه لا يصلح للعبادة بوجه ولما بدا بما هو الاحق بالبداة وهو البراة من الشرك والطهارة
من وضر الافك لانه درء المفاسد فابلغ في ذلك بما هو الحقيق بحاله صلى الله عليه وسلم وكانوا هم
يعبدون الله تعالي علي وجه الاشراك وكانت العبادة مع الشرك غير معتد بها بوجه نفي عبادتهم له
في الجملة الاسمية الدالة علي الثبات لا في الفعلية الدالة علي نفي كل قليل وكثير من حيث ان الفعل
نكرة في سياق النفي فقال **ولا انتم عابدون** اي عبادة معتدا بها بحيث تكونون اهلا لان تكون وصفا
ثابتا ولما كانوا لا نزاع لهم في ان معبوده عالم وكانت ما صالحة للاطلاق عليه سبحانه عبر فيه

ايضا

ايضا بها لان ذلك مع انه لا ضرر فيه اقرب الي الانصاف فهو ادعي الي عدم المرا والخلاف فقال
ما اعبد اي الآن وما بعده لان معبودي وله العلم التام والقدرة الشاملة ابعدكم عنه فلا
مطمع في الوفاق بيننا ولما كان ما نفي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل فيه الماضي
وكان عدم المشاركة بوجه من الوجوه في زمن من الازمان ادل علي البراة واقعد في دوام
الاستهانة وكانوا يعدون سكوته صلى الله عليه وسلم عنهم فيما قبل النبوة عبادة وكانوا غير
مقتصرين علي عبادة اصنامهم التي اتخذوها بل اذا خرجوا من الحرم فنزلوا منزلا نظروا احسن حجرا
يستحسنونه فيعبدونه فان لم يروا حجرا جمعوا اشيا من تراب وحلبوا عليه شيا من لبن وعبدوه ما
داموا في ذلك المنزل وكان ذلك من اشد ما يعاب به من جهة عدم الثبات وانه لا معبود لهم
معين قال منبها علي ذلك كله **ولا انا عابد** اي متصف بعبادة **ما عبدتم** اي فيما سلف لم يصح
وصفي قط بعبادة ذلك من اول زمانكم الي ساعتنا هذه فكيف ترجون ذلك مني وانا لم افعله
ولا قبل النبوة ولا كان من شاني قط ولما كان هو صلى الله عليه وسلم ثابتا علي اله واحد
لم يعبد غيره ولم يلتفت يوما لغت سواه وكان قد انتفي عنه بالجملتين هذه الماضية والتي
اول السورة ان يعبد باطلهم حالا او مآلا وان يكون عبده قبل ذلك وكان ربما ظان ان
النفي عنهم انما هو لعبادة معبوده في الحال نفي ذلك في الاستقبال ايضا علما من اعلام النبوة مع
تاكيد ما افادته الجملة الماضية جريا علي مناهج العرب في التاكيد قطعا لاطماعهم منه علي اتم وجه
واكده لانه علي وجه لا يقدرون عليه لما يقدرون عليه لما تفيده كل جملة مع التاكيد من فايدة جديدة
مهمة فقال **ولا انتم عابدون** اي عبادة هي لكم وصف معتد به في الحال او الاستقبال
ولما لم يكن قبل المبعث مشهورا عندهم بعبادة الله عبر بما لا يتوجه لهم اليه انكار وهو المضارع
الذي ظاهره الحال او الاستقبال مرادا به ما يشمل الماضي لما ذكر ابو حيان وغيره في سورة الحج عند
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله من انه يطلق المضارع به مرادا به مجرد ايقاع الفعل من
غير نظر الي زمان معين فقال **ما اعبد** اي وجدت مني عبادته واتصفت بها الآن وفي ماضي
الزمان ومستقبله اتصافا يعتد به. ولما كان ذلك كله وبدا النفي في الجمل السابقة بالمنسوب
اليه صلى الله عليه وسلم ايذانا بالاهتمام ببراته منهم انتج قطعا قوله مقدما لما يتعلق بهم علي وجه
اختصاصهم به تاكيدا لما صرح به ما مضي من براته منهم **لكم** اي خاصة **دينكم** اي الذي تعلمون انه
لا اصل له يثبت عليه ولا دليل يرجع بوجه اليه لا اشاركم فيه بوجه ولا ترجعون عنه بوجه بل
تموتون عليه موتا لبعضكم حتف الانف ولاخرين قتلا علي يدي بالسيف **ولي** اي خاصة **دين**
من واسع روضة الاسلام الي اعلي مقام الايقان والاحسان وانتم تعلمون لو جردتم عقولكم عن الهوي
واخلصتم افكاركم من الحمية والالف بانه كله دليل وفرقان ونور وحجة وبرهان لا تشاركوني
فيه بوجه ولا تقدرون علي ردي عنه اصلا فكانت هذه علما من اعلام النبوة من حيث انه مات
منهم ناس كثير بعد ذلك علي الكفر واتم الله له هو الدين فصدق سبحانه فيما قال وثبت مضمون
الكوثر باكمل استدلال واما من امن بعد ذلك فليس مرادا لانه لم يكن عريقا في وصف الكفران
ولا راسخا في الضلال والطغيان فاسعد بوصف الاسلام والايمان وسياق الجمل كلها غير موكل
اشارة الي انها من الوضوح في حد لا خفا به اصلا ولا شك ان آخرها الذي هو اختصاص كل بدينه
هو اولها الذي افاد انه لا يعبد معبودهم ولا يعبدون معبوده فصار اخرها اولها ومفصلها
موصلها هذا هو الذي دل عليه السياق وليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليحتاج الي نسخ

وَمِنْ اعظم دلايل اعجازها وجمعها للمعاني في اشارتها وايجازها ان حاصلها قطع رجا اهل الكفران
من ان يقاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم في ان يعدل بربه احدا في زمن من الازمان وذلك من
اعظم مقاصد المناظرة لها في رد الاخر على الاول الانعام لانها السادسة في العد من الاول
كما ان هذه السادسة في العد من الاخر اغير الله اتخذ وليا افغير الله ابتغي حكما الايه اغير الله
ابغي ربا وهو رب كل شي الى غير ذلك من الايات والفواصل والغايات • هذا ما يتعلق بمعاني
تراكيبها ونظومها على ما هي عليه وتراتيبها وسياقاتها واساليبها وكلماتها الخطية سبع وعشرون
الى اربع كلمات البسملة احدي وثلثون الى اربع ضماير مستترة خمسة وثلثون الى تسعة بارزة فتلك ٣
اربع واربعون كلمة الضماير منها ثلث عشرة بي مدة الاقامة بمكة المشرفة قبل الهجرة لانها في الخفا
كالضماير في خزاين السراير ولا سيما الاربع الاول منها الموازنة لضماير الاستتار وغير الضماير احدى
وثلثون المناظر لها من السنين سنة احدي وثلثين وهي سنة قتل يزدجرد ملك الفرس اكبر الكفرة من
اهل ذلك الزمان واعتاهم وموافقة كلماتها في العدد لاحرف الكوثر مشيرة الى ان اليسير من
اتباعه صلى الله عليه وسلم الكثر واكبر من كثير شانيه واضداده وحاسديه • وقد دل
على ذلك شاهد الوجود يوم الفتح والمسلمون عشرة الاف والكفار من قريش وممن حولهم لا
يحصون كثرة وقد كان فعلم في ذلك اليوم ما شهد به اعتذار حماس الذي كان يعد امراته ان يخدمها
بعض المسلمين في قوله وقد فر هاربا ولم يستطع ان يغلق وراه بل قال لها اغلقي بابي فقالت له
اين ما كنت تعدني به فقال • انك لو شهدت يوم الخندمة • اذ فر صفوان وفر عكرمة •
واستقبلتهم بالسيوف المسلمة • يقطعن كل ساعد وجمجمة • ضربا فلا يسمع الا غمغمة • لهم نهيت
خلفنا وهمهمة • لم تنطقي باللوم ادني كلمة • هذا مع النبي صلى الله عليه وسلم كان اوصاهم
ان لا يقاتلوا الا من بداهم بالقتال • وهذا مع ما كان من اهل الاسلام حين قصدهم الكفار يوم
الخندق والمشركون في عشرة الاف وهم لا يبلغون ربعهم ولا مدد لهم ممن حولهم ولا ناصر الا
الله بل جاتهم الاعدا كما قال الله تعالى من فوقهم ومن اسفل وما زادهم ذلك الا ايمانا وتسليما والى
هذا ايضا اشار بلوغ عدد كلمات خطيها واصطلاحيها ظاهرها ومستورها الى عدد كلمات الخطية
فلذلك رمز الى ان اضعف اهل الاسلام لا يضعف عن مقاومة اقوي اهل الكفر واشجعهم في كل صفة
يريدها والله الموفق

مَقْصُودُهَا الاعلام بتمام الدين اللازم عن مدلول اسمها النصر اللازم عنه موت النبي صلى
الله عليه وسلم اللازم عنه العلم بانه ما برز الى عالم الكون والفساد الا لاعلا كلمة الله وادحاض
كلمة الشيطان اللازم منه انه صلى الله عليه وسلم خلاصة الوجود واعظم عبد للولي الودود
وعلى ذلك دل ايضا اسمها التوديع وحال نزولها وهو ايام التشريق من سنة حجة الوداع •
بِسْمِ اللهِ الذي له الامر كله فهو العليم الحكيم الرَّحْمٰنِ الذي ارسلك رحمة للعالمين
فعمهم بعد نعمة الايجاد بان بين لهم اقامة لمعاشهم ومعادهم بك طريق النجاه غاية البيان بما انزل عليك
من معجز القران الذي من سمعه فكانما سمعه من الله العلي العظيم الرَّحِيمِ الذي خص من اراده
بالاقبال به الى حزبه وجعله من اهل قربه بلزوم الصراط المستقيم • لما دلت التي قبلها على ان
الكفار قد صاروا الى حال لا عبرة بهم ولا التفات اليهم ولا خوف بوجه منهم ما دام الحال على المتاركة
كان كانه قيل فهل يحصل نصر عليهم وظفر بهم بالمعاركة فاجاب بهذه السورة بشارة للمومنين

وبذارة

وبذارة للكافرين • ولكنه لما لم يكن هذا بالفعل الا عام حجة الوداع بعد فتح مكة بسنتين كان
كانه لم يستقر الفتح الا حينئذ فلم ينزل سبحانه هذه السورة الا في ذلك الوقت وقبل
منصرفه من غزوة حنين فقال تعالى تحقيقا لانه ينصر المظلوم ويعلي دينه ويمهل
ولا يهمل فانه لا يعجزه شي حثا على التفويض له والاكتفا به مقدما معمول سبح تعجيلا للبشارة
اذا ولما كانت المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها يسوقها اليها
سايق القدرة فيقرب منها شيا فشيا كانت كانها آتية اليها فلذلك حصل التجوز بالمجي عن
الحصول فقال جا اي استقر وثبت في المستقبل بمجي وقته المضروب له في الازل وزاد في
تعظيمه بالاضافة ثم بكونها الى اسم الذات فقال نصر الله اي الملك الاعظم الذي لا
مثل له ولا امر لاحد معه على جميع الناس في كل امر تريده • ولما كان للنصر درجات
وكان قد اشار سبحانه بمطلق الاضافة اليه ثم بكونها الى الاسم الاعظم الى المراد
اعلاها صرح به فقال والفتح اي المطلق الصالح لكل فتح الذي نزلت سورته بالحديبية
مبشرة به بغلبة حزبه الذي انت قايدهم وهاديهم ومرشدهم لا سيما على مكة التي
بها بيته • ومنها ظهر دينه • وبها كان اصله • وفيها استقر عموده • وعز جنوده • فدل بذلك
جميع العرب وقالوا لا طاقة لنا بمن اظفره الله باهل الحرم فخزوا بهذا الذل حتى كان بعضهم
تمام هذا الفتح ويكون بهم كلهم فتح جميع البلاد وللاشارة الى الغلبة على جميع الامم ساقه
تعالى في اسلوب الشرط ولتحققها عبر عنه باذا اعلاما بانه لا يخلف الوعد ولا ينقض ما قدره
وان توهمت العقول انه فات وقته وايذانا بان القلوب بيد بقلبها كيف يشا ليحصل من علم ذلك
الاخلاص والخوف والرجا فاشعرت العبارة بان الوقت قد قرب فكان المعنى فكن مترقبا لوروده
ومستعدا للشكر • وقال الامام ابو جعفر بن الزبير لما كمل دينه واتضحت شريعته واستقر
امره صلى الله عليه وسلم وادي امانة رسالته حق اداها عرف عليه الصلاة والسلام نفاد
عمره وانقضا اجله وجعلت له على ذلك علامة دخول الناس في دين الله جماعات بعد التوقف
والتثبط حكمة بالغة ولو شا الله لجمعهم على الهدي وامر بالاكثار من الاستغفار المشروع في
اعقاب المجالس وفي اطراف النهار وخواتم المساجد مما عسي ان يتخلل من لغو وفتور فشرع
سبحانه الاستغفار ليحرز لعباده من حفظ احوالهم ورعي اوقاتهم ما يفي بعلي اجورهم كما وعدهم
وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته • وقد بسطت ما اشارت اليه هذه السورة
العظيمة وكل كلام ربنا عظيم فيما قيدته في غير هذا وان ابا بكر رضي الله عنه عرف منها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعيت اليه نفسه الكريمة على ربه وعرف بدنو اجله • وقد اشار الى
هذا الغرض ايضا بابعد من الوقايع في هذه السورة قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الاية
وسورة براة وافعاله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع لكن لم يبلغنا استشعار احد من
الصحابة رضي الله عنهم بتعين الامر الا من هذه السورة وهي عرفت باشارة براة واية المايدة تعريفا
شافيا واستشعر الناس عام حجة الوداع وعند نزول براة ذلك لكن لم يستيقنوه وغلبوا
رجاهم في حياته صلى الله عليه وسلم ومنهم من توفي فلما نزلت اذا جا نصر الله والفتح استيقن ابو بكر
رضي الله عنه ذلك استيقانا حمله على البكا لما قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي • ولما
عبر عن المعني بالمجي عبر عن المرئي بالروية فقال ورايت اي بعينك الناس اي العرب الذين
كانوا حقيرين عند جميع الامم فصاروا بك هم الناس كما دلت عليه لام الكمال وصار ساير

اهل الارض لهم اتباعا وبالنسبة اليهم رعاعا حال كونهم **يدخلون** شيئا فشيئا متجددا دخولهم مستمرا **في دين الله** اي شرع من لم تزل كلمته هي العليا في حال اباء الخلق بقهره لهم على الكفر الذي لا يرضاه لنفسه عاقل في ترك الحظوظ وفي حال طواعيتهم بيسره لهم على الطاعة وعبر عنه بالدين الذي معناه الجزاء لان العرب كانوا لا يعتقدون القيمة التي لا يتم ظهور الجزاء الا بها **افواجا** اي قبايل وزمرا زمرا وجماعات كثيفة كالقبيلة باسرها امة بعد امة كاهل مكة والطايف وهوازن وهمدان وساير القبايل من غير قتال في خفة وسرعة ومفاجاة ولين بعد دخولهم واحدا واحدا ونحو ذلك لانهم قالوا اما اذ ظفر باهل الحرم وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل الذين لم يقدر احد على ردهم فليس لنا به يدان فتبين ان هذا القياس المنتج هذه النتيجة البديهية بقصة اصحاب الفيل انما رتبه الله الا ارهاصا لنبوته وتاسيسا لدعوته فالقوا بايديهم واسلموا قيادهم حاضرهم وباديهم **ولما** كان التقدير فقد سبح الله نفسه بالحمد بابعاد نجس الشرك عن جزيرة العرب بالفعل فقال ايذانا بانه منزه عن النقايص التي منها اخلاف الوعد وان له مع ذلك الجلال والجمال معبرا بما يفيد التعجب لزيادة التعظيم للمتعجب منه ليثمر ذلك الاجلال والتعظيم والتذلل والتقبل لجميع الاوامر ويفهم امره تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم بالاستعداد لخاصة نفسه بدنو اجله وان اشتغاله بالناس قد انتهى لان الدين قد كمل فلم يبق له صلى الله عليه وسلم شغل في دار الكدر **فسبح** اي نزه انت بقولك وبفعلك بالصلاة وغيرها موافقة لمولاك فيما فعل وورد في جميع انواع العبادة تسبيحا ملتبسا **بحمد** اي بكمال **ربك** الذي انجز لك الوعد باكمال الدين وقمع المعتدين المحسن اليك بجميع ذلك لانه كله لكرامتك والا فهو عزيز حميد على كل حال تعجبا لتيسير الله من هذا الفتح ما لم يخطر بالبال وشكرا لما انعم به سبحانه عليه من انه اراه تمام ما ارسل لاجله ولان كل حسنة يعملها اتباعه له مثلها **ولما** امره صلى الله عليه وسلم بتنزيهه عن كل نقص ووصفه تنزلا من غيب الغيب الى الغيب بكل كمال مضافا الى الرب تدليا الى مشاهدة الافعال وصل الى نهاية التنزل من الخالق الى المخلوق مخاطبا لاعلى الخلق فامره بما يفهم العجز عن الوفا بحقه لما له من العظمة المشار اليها بذكره مرتين بالاسم الاعظم الذي له من الدلايل على العظم والعلو الى محل الغيب الذي لا مطمع في دركه ما تنقطع الاعناق دونه ليفهم عجز غيره من باب الاولى فقال معلما بان من كماله ان ياخذ بالذنب ان شا ويغفر ان شا وان عظم الذنب ليحث ذلك على المبادرة الى التوبة وتكثير الحسنات وحسن الرجا **واستغفره** اي اطلب غفرانه انه كان غفارا ايذانا بانه لا يقدر احد ان يقدره حق قدره كما اشار الى ذلك الاستغفار عقب الصلاة التي هي اعظم العبادات لتقتدي بك امتك في المواظبة على الامان الثاني لهم فان الامان الاول الذي هو وجودك بين اظهرهم قد دنا رجوعه الى معدنه في الرفيق الاعلى والمحل الاقدس الاولى وكذا فعل صلى الله عليه وسلم كان يقول سبحانك لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك ودخل يوم الفتح مكة مطاطا راسه حتى انه ليكاد يمس واسطة الرحل تواضعا لله اعلاما لاصحابه رضي الله عنهم ان ما وقع انما هو بحول الله لا بكثرة من معه من الجمع وانما جعلهم سببا لطفا منه بهم ولذلك نبه من ظن منهم او هجس في خاطره ان للجمع مدخلا بما وقع من الهزيمة في حنين اولا وما وقع بعد من النصرة بمن ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم وهم لا يبلغون ثلاثين نفسا للتسبيح الذي هو تنزيه عن النقص اشارة الى اكمال الدين تحقيقا لما كان تقدم به وعده

الشريف

الشريف والاستغفار اشارة الى ان عبادته صلى الله عليه وسلم التي هي اعظم العبادات قد شارفت الانقضا ولا يكون ذلك الا بالموت فلذلك امر بالاستغفار لانه يكون في خاتمة المجالس والاعمال لما لعله وقع فيها على نوع من الوهن واعترافا بذل العبودية والعجز **ولما** امر بذلك فارشد السياق الى ان التقدير وتب اليه علله مؤكدا لاجل استبعاد من يستبعد مضمون ذلك من رجوع الناس في الردة ومن غيره بقوله **انه** اي المحسن اليك بخلافته لك في امتك ويجوز ان يكون التاكيد دلالة لما تقدم من ذكر الجلالة مرتين على غاية العظمة والفوت عن الادراك صح بالاحتجاب باردية الكبريا والعز والتجبر والقهر مع ان المالوف ممن كان على شيء من ذلك كان بحيث لا يقبل عذرا ولا يقيل نادرا **كان** اي لم يزل **توابا** اي رجاعا بمن ذهب به الشيطان من اهل رحمته فهو الذي رجع بانصارك عما كانوا عليه من الاجتماع على الكفر والاختلاف بالعداوات فايدك بدخولهم في الدين شيا فشيا حتى اسرع بهم بعد سورة الفتح الى ان دخلت مكة في عشرة آلاف وهو ايضا يرجع بك الى الحالة التي يزداد بها ظهور رفعتك في الرفيق الاعلى ويرجع من تخلخل من امتك في دينه بردة او معصية دون ذلك الى ما كان عليه من الخير ويسير بهم احسن سير **فقد** رجع آخر السورة الى اولها بانه لولا تحقق وصفه بالتوبة لما وجد الناصر الذي وجد به الفتح والتحم مقطعها اي التحام بمطلعها **وعلم** ان كل جملة منها مسببة عما قبلها فتوبة الله على عبده نتيجة توبة العبد باستغفاره الذي هو طلب المغفرة بشروطها وذلك ثمرة اعتقاده الكمال في ربه وذلك ما دل عليه اعلاوه لدينه وقسره للداخلين فيه على الدخول مع انهم اشد الناس شكايم واعلاهم هما وعزايم وقد كانوا في غاية الاباية له والمغالبة للقايم به وذلك هو فايدة الفتح الذي هو اية النصر **وقد** علم ان الاية الاخيرة من الاحتباك دل بالامر بالاستغفار على الامر بالتوبة وبتعليل الامر بالتوبة على تعليل الامر بالاستغفار وعلم ان السورة اشارت الى وفاته صلى الله عليه وسلم بالحث على الاستغفار الذي هو الامان الثاني ومن شانه ان تختم به الاعمال والمجالس بعد ما اشار اليه اعلاها بظهور الدين على الدين كله ونزولها في اوسط ايام التشريق من حجته عليه الصلاة والسلام سنة عشر كما ذكرته في كتابي مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور وكتابي الاطلاع على حجة الوداع وذلك بعد نزول اية المايدة التي هي نظيرتها في رد المقطع على المطلع في يوم عرفة اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا **ومن** المعلوم انه لا يكون في هذه الدار كمال الا بعده نقصان ولذلك سماها النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وخطب الناس فيها فعلمهم امور دينهم واشهدهم على انفسهم واشهد الله عليهم بانه بلغهم وودعهم وقال لا ادري لعلي لا القاكم بعد عامي هذا واشار الى ذلك ايضا بالتوبة والى وقوع الردة بعده صلى الله عليه وسلم ورجوع من ارتد الى احسن مما كانوا عليه من اعتقادهم في الدين وثباتهم عليه بقتل من كان مطبوعا على الكفر المشار اليهم بقوله تعالى ولو اسمعهم اي سماع فهم وغلبة وقسر لتولوا وهم معرضون فكان وجودهم ضررا صرفا من غير منفعة وقتلهم نفعا لا ضرر فيه بوجه ولاجل اشعارها بحلول الاجل للايذان بالتمام بكى العباس رضي الله عنه وفي رواية ولده عبد الله عند نزولها فساله النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نعيت اليك نفسك فقال انه لكما تقول كما بكى عمر رضي الله عنه عند نزول اية المايدة وعلل بهذا والله الهادي **فقد ظهر** ان ختامها الايذان بكمال الدين ودنو الوفاة لخاتم النبيين والنصر على جميع الظالمين وذلك من اعظم مقاصد

المايك المناظرة لهذه في التطبيق بين البادية والعايدة كما اشار اليه قوله تعالى اليوم اكملت
لكم دينكم الاية وقوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ~~معه~~ فان حزب الله هم
الغالبون وقوله تعالى لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شي قدير ومن
اعظم لطايف هذه السورة ودقيق بدايعها ولطيف منازعها ان كلماتها تدل باعدادها على امور
جليلة واسرار جميلة فانها تسع عشرة كلمة وقد كان في سنة تسع عشرة من الهجرة موت قيصر
طاغية الروم وذلك ان عمرو بن العاص رضي الله عنه لما فتح اسكندرية قال قيصر لين غلبونا
على الاسكندرية لقد هلكت الروم فتجهز ليباشر قتالهم بنفسه فعندما فرغ جهازه صرعه الله
فمات وكفى الله شره وذل الروم بذلك ذلا كبيرا واستاسدت العرب وفي هذه السنة
ايضا فتح الله قيسارية من بلاد الاسلام فلم يبق بالشام اقصاها واد ناها عدو وفرح المسلمون
بذلك فرحا شديدا وكان فيها ايضا فتح جلولا من بلاد فارس وكان فتحها يسمي فتح الفتوح لان
الفرس لم يتجبروا بعد هذا ان عددنا ما يوازي كلماتها من سنة الهجرة وان عددنا من سنة
نزول السورة في سنة عشر فقد فتحت سنة تسع وعشرين من الهجرة وهي التاسعة عشرة من
نزولها مدينة اصطخر واشتد ضعف الفرس وامر ملكهم يزدجرد واجتهاده في الهرب من العرب
حتى قتل سنة احدي وثلثين من الهجرة بعد ذلك بسنتين وذلك هو العدد الموازي لعدد كلماتها
ظواهر وضماير مع كلمات البسملة واذا نظرت الى ما هنا من هذا وطبقت بينه وبين ما ذكر في
سورة الفتح من مثله زاد عجبك من باهر هذه الايات والله الموفق ثم انك اذا اعتبرت اعتبارا
آخر وجدت هذه السورة كما دلت بجملتها على انقضا زمن النبوة بموت النبي صلى الله عليه وسلم
دلت بمفردات كلماتها على انقضا خلافة النبوة لتمام ثلاثين سنة كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه
ابو داود والترمذي والنسايي وابن حبان في صحيحه عن سفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم
ورضي عنه خلافة النبوة ثلثون ثم يوتي الله الملك من يشا وذلك انك اذا عددت كلماتها مع البسملة
كانت باعتبار الرسم ثلثا وعشرين كلمة وذلك مشير الى انقضا الخلافة وذلك مشير الى انقضا
الخلافة التي لم يكن قط خلافة مثلها وهي خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه باستشهاده في
ذي الحجة سنة ثلث وعشرين من الهجرة فاذا ضممت الى ذلك الضماير البارزة وهي خمسة والمستترة
وهي ثلثة فكانت احدا وثلثين وحسبت من حين نزول السورة على النبي صلى الله عليه وسلم في ذي
الحجة سنة عشر كان ذلك مشيرا الى انقضا خلافة النبوة كلها باصلاح امير المومنين الحسن بن علي
رضي الله عنهما في شهر ربيع الاول سنة احدي واربعين وذلك عند مضي ثلثين من موت النبي صلى
الله عليه وسلم في ربيع الاول سنة عشرة من الهجرة لا تزيد شهرا ولا تنقصه وان احدث الضماير
وحدها بارزها ومستترها دلت على فتح مكة المشرفة بعينه فانها كما مضي ثمانيه وقد كان الفتح
سنة ثمان من الهجرة ومن لطايف الاسرار وبدايع الانظار انها تدل على السنين بحسب التفصيل
فالبارز يدل على سنة النصر والظهور على قريش لانهم المقصودون بالذات لان العرب لهم تبع
والمستتر يدل على ضد ذلك وشرح هذا انه لما كانت قد خفقت في السنة الاولى من
الهجرة رايات الاسلام في كل وجه وانتشرت اسده في كل صوب وانبثت سراياه في كل قطر اشار
اليها التاء في ورايت التي هي ضميره صلى الله عليه وسلم اشارة الى ما يختص بفهمه من البشارة ولما
كان في السنة الثانية بغزوة بدر من واضح الظفر وعظيم النصر ما هد قلوب الكفار وشد
قلوب الانصار في ساير الامصار واعلى لهم القدر اشارا الى ذلك واو يدخلون ولما حصل في

السنة الثالثة ما لم يخف من المصيبة في غزوة احد التي ربما اوهمت بعض من لم يرسخ نقصا
اشار الى ذلك الضمير المستتر في فسبح ولما كان الخبر في الرابعة باجلا بني النضير واخلاف
قريش الموعد في بدر جبنا وعجزا حيث وفي النبي صلى الله عليه واصحابه رضي الله عنهم شجاعة
وقوة بحول الله وانقلبوا منها بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء اشار الى ذلك الكاف في ربك
ولما كان في الخامسة غزوة الاحزاب اشار اليها المستتر في واستغفره ولما كان
في السادسة عمرة الحديبية التي سماها النبي صلى الله عليه وسلم فتحا وانزل الله فيها سورة الفتح
لكونها كانت سببا للفتح فكان ذلك علما من اعلام النبوة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم
الى الملوك يدعوهم الى الله تعالى اشار الى ذلك الضمير البارز في استغفره واكد قوته كونه
للرب تعالى ولما كان في السابعة غزوة خيبر وعمرة القضا اشار اليها الضمير الظاهر
في انه ولما كان ضمير كان لله وكان له سبحانه حضرتان حضرة غيب وبطون وحضرة شهود
وظهور وكانت حضرة الغيب هي حضرة الجلال والكبريا والعظمة والتعال وحضرة الشهادة حضرة
التنزل بالافعال والاستعطاف بالاقوال كانت الحضرتان للنصر وكانت حضرة الغيب اعظمها
نصرا واشدهما ازرا فلذلك كان ضمير الاستتار دالا على الفتح الاكبر بالاستصال على التكاثر
والدبار بسطوة الواحد القهار على انا اذا نظرنا اليه من حيث كونه جايز البروز كان كالبارز
فله حكمه فسبحان من شمل علمه ودقت حكمته فنفذ حكمه ۵ ۵ ۵ ۵

مقصودها البت والقطع الحتم بخسران الكافر ولو كان اقرب الخلق الى اعظم الفايزين
اللازم عنه ان شارع الدين له من العظمة ما يقصر عنه الوصف فهو يفعل ما يشا لانه لا كفو
له اصلا حثا على التوحيد من ساير العبيد ولذلك وقعت بين سورتي الاخلاص المقرون بضمان
النصر وكثرة الانصار واسمها تبت واضح الدلالة على ذلك بتامل السورة على هذه الصورة
بسم الله الجبار المتكبر المضل الهاد الرحمن الذي عم الولي والعدو بنعمة البيان بعد
الاكرام بالايجاد الرحيم الذي خص بالتوفيق اهل الوداد لما قدم سبحانه في سورة النصر
القطع بتحقيق النصر لاهل هذا الدين بعد ما كانوا فيه من الذلة والامر الحتم بتكثيرهم بعد
الذي مر عليهم مع الذلة من القلة وختمها بانه التواب وكان ابو لهب من شدة العناد لهذا
الدين والاذي لامامه النبي صلى الله عليه وسلم سيد العالمين مع قربه منه بالمحل الذي لا
يجهل بل شاع واشتهر واحرق الاكباد وبهر كان بحيث يسال عن حاله اذ ذاك هل يثبت عليه
او يذل فيشفي عي هذا السوال وازيل بما يكون له من النكال وليكون ذلك بعد وقوع الفتح
ونزول الظفر والنصر والاظهار على الاعدا بالعز والقهر مذكرا له صلى الله عليه وسلم بما كان
في اول الامر من جبروتهم واذاهم وقوتهم بالعدد والعدد وانه لم يغن عنهم شي من ذلك
بل صدق الله وعده في قوله قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبيس المهاد وكذبوا
فيما كانوا فيه من التعاضد والتناصر والتحالف والتعاقد فذكر تعالى اعداهم له واقربهم اليه
في النسب اشارة الى انه لا فرق في تكذيبه لهم بين القريب والبعيد والى انه لم ينفعه قربه
له ليكون ذلك حاملا لاهل الدين على الاجتهاد في العمل من غير ركون الى سبب او نسب غير ما شرعه
سبحانه فقال تعالى معبرا بالماضي دلالة على ان الامر قد قضي بذلك وفرغ منه فلا بد من كونه ولا

بمحيص **تبت** اي حصل القطع الاعظم والحتم الاكمل بانها خابت وخسرت غاية الخسارة وهي المودية
الي الهلاك لانه لا نجاة الا نجاة الاخرة وجعل خطاب هذه السورة عن الله ولم يفتتحها بقل كاخواتها
لان هذا الايراد ابلغ وادخل في باب العذر واولي في مراعاة ذوي الرحم ولذلك لم يكرر ذكرها
في القران واشد في انتصار الله سبحانه له صلي الله عليه وسلم واقرب الي التخويف وتجويز سرعة
الوقوع **ولما** كانت اليد محل قدرة الانسان فاذا اختلت اختل امره فكيف اذا حصل الخلل في
يديه جميعا قال مشيرا بالتثنية علي عموم هلاكه بان قوته لم تغن عنه شيا ولان التثنية يعبر بها عن
النفس ومشيرا بالكنية وان لم يوتي بها غالبا للتشريف الي مطابقة اسمه لحاله ومجانسته الموجبة
لعظيم نكاله **يدا ابي لهب** فلا قدرة له علي اعطا ولا منع ولا علي جلب ولا دفع واشارة الي ان حسن
صورته لم يغن عنه شيا من قبيح سيرته لقوله صلي الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الي صوركم
ولا اموالكم ولكن ينظر الي قلوبكم واعمالكم لانه انما كني بهذا لاشراق وجهه وتوقده وجنته
لانها اشهر فالبيان بها اقوي واظهر والتعبير بها مع كونه اوضح اقعد في قوله التي هي احسن لان اسمه
عبد العزي وهو قبيح موجب للعدول عنه غيرة علي العبودية ان تضاف الي غير مستحقها وقال
الامام ابو جعفر بن الزبير هذه السورة وان نزلت علي سبب خاص وفي قصة معلومة فهي مع
ما تقدمها واتصل بها في قوة ان لو قيل قد انقضي عمرك يا محمد وانتهي مما قلدته من عظيم امانة الرسالة
امرك واديت ما تحملته وحان اجلك وامارة ذلك دخول الناس في دين الله افواجا واستجابتهم
بعد تكذيبهم والويل لمن عاندك وعدل عن متابعتك وان كان اقرب الناس اليك فقد فصلت
سورة قل يا ايها الكافرون بين اوليايك واعدايك وبان بها حكم من اتبعك ومن عاداك ولهذا
سماها عليه الصلاة والسلام المبرية من النفاق وليعلم كفار قريش وغيرهم انه لا اعتصام لاحد
من النار الا بالايمان وان القرابات غير نافعة ولا مجدية شيا الا مع الايمان لكم دينكم ولي
دين انتم بريون مما اعمل وانا بري مما تعملون والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض وههنا
انتهي امر الكتاب بجملته انتهي. **ولما كان** ربما خص التباب بالهلاك وحمل علي هلاك اليدين
حقيقة وكان الانسان لا تزول جميع منفعته بفوات يديه وان كان قد يعبر بهما عن النفس
قال مصرحا بالمقصود **وتب** اي هو بجملته بتمام الخسران والهلاك فحقق بهذا ما اريد من
الاسناد الي اليدين من الكناية عن الهلاك الذي لا بقا بعده والظاهر ان الاول دعا والثاني
خبر وعرف بهذا ان الانتما الي الصالحين لا يغني الا ان وقع الاقتدا بهم في افعالهم لانه عم
النبي صلي الله عليه وسلم **ومادة** تب وبت الجامعة بجمع التا والبا للسببين الادني الباطني
والاعلي الظاهري تدور علي القطع المودي في اغلب احواله الي الهلاك لان من انقطع الي الاسباب
معوضا عن مسببها كان في اعظم تباب وربما كان القطع باستجماع الاسباب فحصل الفوز بالمقاصد
والمحاب قال ابن مكتوم في الجمع بين المحكم والعباب التب والتباب الخسار وتباله علي الدعا وتبا
تبا علي المبالغة قال الامام ابو عبد الله القزاز كانك قلت خسرانا له وهو المصدر نصب بفعل مضمر
له قال ابن دريد وكان التب المصدر والتب والتباب الاسم والتتبيب الهلاك والتتبيب
النقص والخسار وكل هذا واضح في القطع عن الخير والفوز قال والتابة الكبير من الرجال والانثي
تابة وقال القزاز اذا سالت الرجل عن المراة قلت اشابة ام تابة ام هي عجوز فانية ومعلوم ان
كبر السن مقرب من القطع والهلاك والتاب الضعيف والجمع اتباب هذليه وحمار تاب الظهر اذا دبر
وجمل تاب كذلك نادرة ولا شك ان الدبر والضعف هلاك في المعني وتبت قطع مثل بت اي بتقدير الموحدة

ووقتوا

ووقتوا في بتوب منكم وهو بليته اي بحالة شديدة والتبي بالفتح والكسر ضرب من تمر البحرين
قيل هو ردي يا كله سقاط الناس واتب الله قوته اضعفها وتببوهم تتبيبا اهلكوهم
وتبتب شاخ وكل ذلك واضح في القطع بالهلاك والخسار والتبوب يعني بالضم ما انطوت عليه
الاضلاع كالصدر والقلب وهذا يحتمل الخير والشر فان القلب اذا فسد فسد الجسد كله واذا
صلح صلح الجسد كله فيكون حينئذ القطع بالفوز والنجاة او لان انطوا الاضلاع عليه قطعه عن
الخارج واستتب الامر تهيا واستوي وقال القزاز ويقال هذه العلة لا تستتب في نظاير هذا
القول اي لا تجري في نظايره كانه من باب الازالة اوان السين لما جامعت حرفي السببين اذنت
بالنجاح والفوز والفلاح فانها حرف تدل علي الاستيفا في الابتعا عن الشي والتمة والالغة والحسن
من هذا انها اذا جردت في النظاير وصحها وكشفت معانيها وفصلتها وابانتها وقطعتها من
غير النظاير بما ازالته من الالباس بها والذي تحقق معاني التب ويظهر انه يوول الي القطع
مقلوبه وهو البت بتقدير الموحدة التي هي للسبب الظاهر الذي هو اقوي من حيث انه لا يتحقق الا
بكمال السبب الباطني يقال بت الشي يبته بتا وابته قطعه قطعا مستاصلا وبت هو يبت وانبت
ولعله استوي فيه المجرد والمزيد في التعدية دلالة علي ان ما حصل بالمجرد من القطع هو من الكمال
بحيث لا مزيد عليه وكذا استوا القاصر مجردا ومطاوعا مع المتعدي في اصل المعني وصدقة بتة باينة
من صاحبها وطلقها ثلاثا بتة وبتاتا اي قطعا لا عود فيه ولا افعله البتة كانه قطع فعله قال
سيبويه وقالوا قعد البتة مصدر موكد ولا يستعمل الا بالالف واللام وبت عليه القضا بتا
وابته قطعه وسكران ما يبت كلاما وما يبت وما يبت اي ما يقطعه قال القزاز بيت من ابت وبت
من بيت وسكران بات منقطع عن العقل بالسكر وابت يمينه امضاها اي قطعها عن الحنث وبتت هي وبت
وحلت بتا وبته وبتاتا وكل ذلك من القطع وابت بعيره اي قطعه بالسير والمنبت في الحديث الذي
انعب دابته حتي عطب ظهره فبقي منقطعا به وقال القزاز هو الذي انعب دابته حتي قطع ظهرها
فبقي منبتا به اي منقطعا به وبت عليه الشهادة وابتها قطع عليه بها والزمه اياها وبت عليه
القضا وابته قطعه والبات المهزول لا يقدر ان يقوم كانه قد انقطعت قوته وفي الحديث لا صيام
لمن لم يبيت الصيام من الليل معناه يوجبه اي يقطعه علي نفسه قبل الفجر من ابت عليه الحكم اذا قطعه
وروي يبت من بت اذا قطع وكلاهما بمعني وهما لغتان فصيحتان وروي في حديث من لم يبيت
من المبيت واحمق بات شديد الحمق كذا قال ابو الليث وقال الازهري هو تات بتا حين الموحدة
والبت كسا غليظ مهلهل مربع اخضر وقيل هو من وبر وصوف والجمع بتوت والبتات اي بالتخفيف
متاع البيت والزاد كان ذلك يقطع صاحبه عن الحاجة وبتتوه زودوه وان ذلك من الازالة لانه صلة
لصاحبه ورفد لان الاستقرا حاصل بان كل مادة لها معني غالب تدور عليه وفيها شي لازالة ذلك المعني
وفلان علي بتات امر اذا اشرف علي فراغه فانه ينقطع حينئذ ويقول طحنت بالرحي بتا اذا ابتدات الادارة
عن يسارك كانه دال علي القطع بتمام العزيمة لان ذلك اقوي للطاحن وامكن وانبت الرجل انقطع
ظهره ويقال هذا حبل بت اذا كان طاقا واحدا كانه لما كان كذلك فكان سهل القطع اطلق عليه
القطع مبالغة مثل عدل وقد انبت فلان عن فلان اذا انقطع وانقبض **ولما** اوقع سبحانه
الاخبار بهلاكه علي هذا الوجه الموكد لما كان لصاحب القصة وغيره من الكفار من التكذيب
بلسان قاله وحاله لما له من المال والولد وما هو فيه من القوة بالعدة والعدد اذا الامر تحقيقا
اعلاما بان الاحوال الدنيوية لا غنا لها فقال مخبرا او مستفهما منكرا **ما اغني** اي اجزا وناب

وسدّ عنه اي عن ابي لهب ماله اي الكثير الذي جرت العادة بانه ينجي من الهلاك ولما
كان الكسب اعم من المال وكان المال قد يكسب منافع هي اعظم منه من الجاه وغيره وكان الانسان
قد يكون فايزا ولا مال له بامور اثلها بسعيه خارجه عن المال قال معيدا لذلك مبينا انه لا ينفع
الا ما امر الله به وما كسب اي وان كان ذلك علي وجه هايل من الولد والاصحاب والعز
بعشيرته التي كان يرضيها باتباع النبي صلي الله عليه وسلم في المحافل يوذيه ويكذبه وينهي
الناس عن تصديقه وكان ابنه عتبه شديد الاذي للنبي صلي الله عليه وسلم فقال النبي صلي الله
عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فكان ابو لهب يعرف ان هذه الدعوة لا بد ان تدركه
فسافر الي الشام فاوصي به الرفاق لينجوه زعم من هذه الدعوة فكانوا يحدقون به اذا نام ليكون
وسطهم والحمول محيطة به وهم محيطون بها والركاب محيطة بهم فلم ينفعه ذلك بل جا الاسد فتشمم الناس
حتي وصل اليه فاقتلع راسه ولم ينفعه اياه ذلك بل استمر علي ضلاله حتي كانت وقعة بدر فلم يخرج
فيها فلما جا الفلال كان منهم ابن اخيه ابو سفيان بن الحرث فقال هلم يا ابن اخي فعندك الخبر فقال
نعم والله ما هو الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسروننا كيف شاءوا ومع
ذلك والله ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا علي خيل بلق بين السما والارض ما تليق شيا اي ما تبقيه
وما يقوم لها شي قال ابو رافع غلام العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان جالسا في حجرة
في المسجد يبري نبلا وكان الاسلام قد دخلنا اهل البيت وكنا نكتم اسلامنا فما ملكت نفسي ان قلت تلك
والله الملايكة قال فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة قال وثاورته فاحتملني فضرب بي
الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل يعني سيدته ابنة العباس رضي الله
عنهما الي عمود الحجرة اي الخيمة فضربته به ضربة فلعت في راسه شجة منكرة وقالت استضعفته اي عدو الله
ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال او ستا حتي رماه الله بالعدسة فقتله
وما نفعه ابعاده عن الخطر بتخلفه عن بدر والعدسة بثرة تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد
من جنس الطاعون تقتل غالبا قال القزاز كانت تعدي في الجاهلية قلما يسلم منها احد يقول عدس
الرجل فهو معدوس كما تقول طعن فهو مطعون اذا اصابه الطاعون انتهي ولاجل تشاوم العرب بها
ترك ابو لهب من غير دفن ثلاثا حتي انتن ثم استاجروا بعض السودان حتي دفنوه ويقال انهم حفروا
له حفرة بعيدا عنه من شدة نتنه ثم دفعوه بخشب طوال حتي رموه فيها ورجموه بالحجارة والتراب من بعيد
حتي طموه فكان ذلك سنة في رجمه فهو يرجم الي الان وذلك من اول اعجاز هذه الايات ان كان سنه
في الحرب دون ان يغني عنه شي مما يظنه مغنيا عنه ولما اخبر سبحانه بوقوع هذا التبار الاعظم
به وكان لا عذاب يداني عذاب الاخرة بينه بقوله سيصلى اي عن قرب بوعد لا خلف فيه نارا ٣
فيدس فيها وتنعطف عليه وتحيط به ولما كان المقصود شدة نكايته باشد ما يكون من الحرارة
كما احرق اكباد الاوليا وكانت النار قد تكون جمرا ثم تنطفي عن قرب قال ذات لهب اي لا تسكن
ولا تخمد ابدا لان ذلك مدلول الصحبة المعبر عنها بذات وذلك بعد موته وليس في السورة دليل
قاطع علي انه لا يومن لجواز ان يكون الصلي علي الفسق فلا دليل فيها لمن يقول ان فيها التكليف بما علم انه
محال ليكون قد كلف بان يومن وقد علم انه حكم بانه لا يومن ومن الغرايب ان الكلمات المتعلقة به
في هذه السورة خمس عشر كلمة فكانت مشيرة الي سنة موته بعد ان راي تبابه في وقعة بدر وغيرها
بعينه فاذا ضممنا اليها كلمات البسملة الاربع وازت سنة تسع من الهجرة وهي سنة عمرة الحديبية سنة
الفتح السببي التي حقق فيها تبابه وخسارة عند كل من عنده ايمان بالغيب ودفع للريب فاذا ضممت اليها

الضميرين

الضميرين البارزين اللذين هما اقرب الي الكلمات الاصطلاحية من المستترة وازت سنة ثمان من
الهجرة التي كان فيها الفتح الحقيقي فتحقق عند قريش كافة ما انزل فيه في هذه السورة فاذا ضممت
اليها الضماير الثلاثة المستترة حصلت المناسبة ايضا وذلك انها توازي سنة تسع وهي سنة الوفود
التي دخل الناس فيها في الدين افواجا وحج فيها بالناس ابو بكر الصديق اميرا ونودي في الموسم ببراة
وان لا يحج بعد العام مشرك فتحققت خيبة ابي لهب عند كل من حضر الموسم لا سيما من كان يعلم دورانه
ورا النبي صلي الله عليه وسلم وتكذيبه له بين مسلم وغيره فاذا ضممت الي ذلك الضميرين البارزين
وازت سنة احدي عشرة اول سني خلافة الصديق رضي الله عنه التي فتحت فيها جميع جزيرة العرب
بعد ان لعب الشيطان بكثير من اهلها فرجعوا بعد ان قتل الله منهم من علم انه مخلوق لجهنم وتحقق
حينيذ ما لابي لهب من التباب والنار ذات الالتهاب عند العرب كافة بايمانهم عامة في السنة
الحادية عشرة من الهجرة بعد مضي ثلث وعشرين سنة من النبوة واستقر الامر حينيذ وعلم ان الدين
قد رسخت اوتاده وثبت عماده وان الذي كان يحميه في حياة النبي صلي الله عليه وسلم قد حماه بعده
وهو سبحانه حي لا يموت وقادر لا يعجزه شي وعدد كلمات السورة ثلث وعشرون وهي توازي
سنة حجة الوداع سنة عشر فانها السنة الثالثة والعشرون من المبعث وفيها كمل الدين ونزلت اية
المايدة واخبر النبي صلي الله عليه وسلم ان الشيطان قد ايس ان يعبد بارض العرب فتحقق الناس
لا سيما من حضر الموسم تباب ابي لهب الذي كان يدور في تلك المشاهد ورا النبي صلي الله عليه وسلم
يكذبه ويوذيه وان في ذلك لعبرة ولما اخبر عنه بكمال التباب الذي هو نهاية الخسار
وكان اشق ما علي الانسان هتك ما يصونه من حريمه حتي انه يبذل نفسه دون ذلك لا سيما العرب
فانه لا يدانيهم في ذلك احد زاده تحقيرا بذكر من يصونها معبرا عنها بما صورها بازري صورة واشنعها
فقال مشيرا الي ان خلطة الاشرار غاية الخسار فان الطبع وان كان جيدا يسرق من الردي
فكيف اذا كان رديا وان ارضا الناس بما يسخط الله اعظم الهلاك وامراته اي ام جميل اخت
ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي مثل زوجها في التباب والصلي من
غير ان يغني عنها شي من مال ولا حسب ولا نسب وعدل عن ذكرها بكنيتها لان صفتها القباحة وهي
ضد كنيتها ومن هنا توخذ كراهة التلقيب بناصر الدين ونحوها لمن ليس متصفا بمدلول علمه
لقبه ثم وصفها بما اشار الي دينها واكمل قبيح صورتها فقال حمالة الحطب اي الحاملة اقصي
ما يمكن حمله جهنم بما كانت تمشي به وتبالغ فيه من حمل حطب البهت والنميمة التي تحمل به علي
معاداة النبي صلي الله عليه وسلم وشدة اذاه وايقاد نار الحروب والخصومة من قول
الشاعر من البيض لم تصطد علي ظهر لامة ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب اراد
النميمة وعبر بالرطب للدلالة علي زيادة الشر بما فيه من التدخين وشبهت النميمة
بالحطب لانها توقد الشر فتفرق بين الناس كما ان الحطب يكون وقودا للنار فتصرفه وكذا
بما كانت تحمل من الشوك وتنثره ليلا في طريق النبي صلي الله عليه وسلم لتوذيه وكانت تفعله
بنفسها من شدة عداوتها وتباشره ليلا لتستخفي به لانها كانت شريفة فلما نزلت السورة صورتها
باقبح صورة فكان ذلك اعظم فاضح لها وقراة عاصم بالنصب للقطع علي الشتم تويد ان امراته
مبتدا وان الخبر في جيدها اي عنقها واجود ما فيها وهو حال علي التقدير الاول حبل
كالحطابين تخسيسا لامرها وتحقيرا لحالها من مسد اي ليف او ليف المقل او من شي
قد فتل واحكم فتله من قولهم رجل ممسود الخلق اي مجدولة وقد رجع اخرها علي اولها

فان من كانت امراته مصورة بصوره حطابة على ظهرها حزمة حطب معلق حبلها في جيدها فهو في
غاية الحقارة والتباب والخساسة والخسارة وحاصل هذه السورة ان ابا لهب قطع رحمه
وجار عن قصد السبيل واجتهد بعد ضلاله في اضلال غيره وظلم الناصح له الرؤف به الذي
لم يال جهدا في نصحه على ما تراه من انه لم يال هو جهدا في اذاه واعتمد على ماله واكتسابه
فهلك واهلك امراته ومن تبعه من اولاده واعظم مقاصد سورة النسا المناظرة لها في رد
المقطع على المطلع التواصل والتقارب والاحسان لا سيما لذوي الارحام والعدل في جميع الاقوال
والافعال فكان شرح حال الناصح الذي لا ينطق عن الهوى وحال الضال الذي انما ينطق عن
الهوى قوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم الايات وختمها اشارة الى
التحذير من مثل حاله فكانه قيل يبين الله لكم ان تضلوا فتكونوا كابي لهب في البوار وصلي
النار كما تبين لكم فكونوا على حذر من كل ما يشابه حاله وان ظهر لكم خلاف ذلك فاني اعلم منكم والله بكل
شي عليم

مقصودها بيان حقيقة الذات الاقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف باقصى الكمال للدلالة
على صحيح الاعتقاد للاخلاص في التوحيد باثبات الكمال ونفي شوايب النقص والاختلال المثمر
لحسن الاقوال والافعال وثبات الالتجا والاعتماد في جميع الاحوال وعلى ذلك دل اسمها
الاخلاص الموجب للخلاص وكذا الاساس والمقشقشة قال في القاموس المقشقشتان
الكافرون والاخلاص اي المبريتان من النفاق والشرك كما يقشقش الهنا الجرب الهنا القطران
وقال الامام عبد الحق في كتابه الواعي كما يبرا المريض من علته اذا برا منها انتهى وهو ماخوذ
من القش بمعنى الجمع فسميتا بذلك لانهما تتبعتا النفاق بجميع انواعه وكذا الشرك
والكفر فجمعتاه ونفتاه عن قاريهما حق القراءة وقد تقدم الكلام على هذا الاسم مبسوطا
في براة وكذا اسمها قل هو الله احد دال على مقصدها بتامل جميع السورة وما دعت
اليه من معاني التنزيه اليسيرة الكثيرة وهذه السورة اعظم مفيد للتوحيد
في القران قال الرازي والتوحيد مقام يضيق عنه نطاق النطق لانك اذا اخبرت عن الحق
فهناك مخبر عنه ومخبر به ومجموعهما وذلك ثلثة فالعقل يعرفه ولكن النطق لا يصل اليه
سيل الجنيد عن التوحيد فقال معنى تضمحل فيه الرسوم وتتشوش فيه العلوم ويكون الله
كما لم يزل وقال الجنيد ايضا اشرف كلمة في التوحيد ما قاله الصديق رضي الله عنه سبحان
من لم يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته بسم الله الذي له جميع
الكمال بالجلال والجمال الرحمن الذي افاض من طوله على جميع الموجودات عموم الافضال
الرحيم الذي خص اهل وداده من نور الانعام بالاتمام والاكمال لما كانت الكوثر علة
للنهي عما تضمنته التكذيب من مساوي الافعال وعلم بها انه صلى الله عليه وسلم مختص بالخير المستلزم
لان شانيه هو الابتر فكان موضع السوال عما يفعل مع الشانيين من معاركة او متاركة جات
الكافرون للمتاركة لقلة اهل الدين اذ ذاك اشارة الى ان هذه الدار مبنية على الاسباب فعلم
بالكافرون ان الشاني مما لا يعبا به فتحركت النفس الى السوال عن وقت الصلاحية للمعاركة
بعد هذه المتاركة وما يترتب على المعاركة من قهر الشاني بالفعل فجات سورة النصر لذلك
مع الاشارة الى انه مما لا يسال عنه بمن لتغيير ذلك في وجه الاحسان في التسليم وانما يسال عما يفعل

من

من الاحسان في التعبد معبرا بادواة التحقق اعلاما بانه آت لا محالة فالسوال عن وقته
ليس من داب السايرين ولما ظهرت ذخاير هذه الكنوز بعد تايق تلك الرموز
وما انضم اليها من القراين الظاهرة استحضرت حال ابي لهب لما كان فيه مع قرابته القريبة
من شدة العناد والاجتهاد العظيمة من كل ما يضاد اشرف العباد واشتد التشوف الى انقلاب
حاله اذ ذاك هل يكون بما ختمت به النصر من التوبة او بخذلانه وانقلابه باعظم الخيبة والحوبة
فجات سورته لذلك بيانا لانه غلب عليه الشقا فنزل به في دركاته مانعا من معالي درج
الارتقا فلما بين سبحانه بذلك اهلاك عدوه صلى الله عليه وسلم وختم باعدى اعدايه
فحكم بهلاكه وهلاك زوجه هلاكا لا جبر له على وجه مبين انه في ادنى دركات الحقارة
واعظم انواع الخسارة فرقص الفكر طربا من هذه الامور وسكر اللب من عجايب المقدور
واهتز السامع غاية الاهتزاز الى وصف الفاعل لذلك الذي هو خارج عن طوق البشر
وخارق للعوايد وهو ظاهر شخص واجد على الناس كافة مع شدة عداوتهم له جات الاخلاص
كاشفة لما ثبت من العظمة لولي النبي صلى الله عليه وسلم سبحانه الذي امره بهذا الدين
وفعل له هذه الامور العظيمة الموجبة لمن له لب او القى السمع وهو شهيد لانه لا يستبعد
عليه سبحانه شيا من ذلك ولا غيره وان يمتثل جميع ما يامر به كاينا من كان وكاينا فيه ما كان
على اي وجه كان موافقة لامره وطاعة له ومبينة للاعتقاد الحق الذي اوجب هذا النصر
وزاده على جميع فرق الضلال هذا في انعطاف الآخر على الاول بالنسبة الى السورة
ومن اعظم المناسبات في ذلك بالنظر الى الايات انه سبحانه شرح بالفيل وما
بعدها من السور ايات الفاتحة كلها ثم من اول البقرة الى اية التوحيد فاشار
بالفيل الى استجماعه لصفات الكمال بان له الحمد بما حرس به بيته من الملوك وحماه من كيد
الجبابرة واحسن التربية لقريش الذين هم اشرف العالمين وبصلاحهم صلاحهم وبلدتهم
ام القرى وبصلاحها صلاحها فدل ذلك على انه يدين العباد يوم التناد ولذلك اعطي راس
الهداة الذين افردوه بالعبادة والاستعانة الكوثر وهداه الى الصراط المستقيم
واعاذه من طريق المعاندين والضالين واشار اول البقرة الى دخول المتقين الذين
الكتاب هدى لهم في الدين افواجا وان اعتى اهل الكفر واعتاهم سوا عليهم الانذار وعدمه
في انه لا يومن وهو ابو لهب ومن سار بسيره من مجاهر ومساتر ويعمهم الخسار ويشملهم الهلاك
والتبار بحكم الواحد القهار المامور بعبادته وتوحيده في الاية الجامعة لدعوات التوحيد
يايها الناس اعبدوا ربكم المنصف بما في سورة الصمد التي لم يبزل في وصفه مثلها ثم الذين
عند ذلك بما له سبحانه من كمال الاوصاف وجلال النعوت بالجبروت والالطاف فلم يبق
الا تعوذ اهل الدين من ان يدخل عليهم خلل او يلحقهم زيغ او زلل فختم بالمعوذتين لذلك والله
المسوول ولما كان المقصود من القران دعوة العباد الى المعبود وكان المدعو
الى شي احوج ما يكون الى معرفته وكان التعريف تارة للذات وتارة للصفات وتارة
للافعال وكانت هذه الامة اشرف الامم لان نبيها اعلى الانبيا عليهم السلام وكانت هي
الختام اشبع الكلام في تعريفه سبحانه في القران واعلى البيان في ذلك الى حد لا مزيد عليه
ولم يقاربه في ذلك كتاب من الكتب السالفة ولكنه لما كان الكبير اذا تناهى كبره عزت
معرفة ذاته وكان الله تعالى هو الاكبر مطلقا فكانت معرفة ذاته كما اشار اليه الغزالي

في الجواهر و الفخر الرازي في كتبه اضيق ما يكون مجالا واعسره مقالا واعطاه علي الفكر
منالا وابعد عن قبول الذكر استرسالا كان القران لا يشتمل من ذلك الا علي تلويحات واشارات
اكثرها يرجع الي ذكر التقديس المطلق كقوله تعالي ليس كمثله شي و الي التعظيم المطلق كقوله
سبحانه و تعالي عما يصفون فكان القياس ان يقتصر علي ذلك مع التعريف بالصفات والافعال
لكن لما كانت هذه الامة في الذروة من حسن الافهام مع ما نالته من الشرف حباها سبحانه
بسورة الاخلاص كافلة ببيان لا يمكن ان يحتمل عقول البشر زيادة عليه وذلك ببيان انه ثابت ثباتا
لا يشبهه ثبات علي وجه لا يكون لغيره اصلا وانه سبحانه منزه عن التشبيه و النظير والمكافي
و المثيل فلا زوجة له و لا ولد ولا حاجة له الي احد بل له الخلق والامر فهو يهلك من اراد ويسعد
من شا فقال امرا لنبيه صلي الله عليه وسلم لتكون اول كلمة فيها دالة علي رسالته ردا علي من
كذبه في خاصة نفسه وعلي البراهمة القايلين ان في العقل غني عن الرسل ويكون البيان جاريا
علي لسانه صلي الله عليه وسلم ليكون الي فهم الخلق عنه لتلك الصفات العلي اقرب لما لهم به من المجانسة
قل اي يا اكرم الخلايق و من لا يفهم عن مرسله حق الفهم سواه و اطلاق الامر بعدم التقييد بمقول
له يفهم عموم الرسالة وان المراد كل من يمكن القول له سوا كان سابلا عن ذلك بالفعل او بالقوة
حثا علي استحضار ما لرتبة هذا الدين الذي خاطه هذه الحياطة وربته هذه التربية من العظمة
و الجلال و الكبريا و الكمال ففي الاطلاق المشير الي التعميم رد علي من اقر برسالته صلي الله
عليه وسلم الي العرب خاصة ويدل علي ان مقول القول لا ضرر فيه علي احد فان ظواهره
مفهومة لكل احد لا فتنة فيها بوجه وانما تاتي الفتنة عند تعمق الضال الي ما لا يحتمله عقله
ولما كان اهم المقاصد الرد علي المعطلة الذين هم ضرب ممن يقول نموت ونحيي
وما يهلكنا الا الدهر اثبت وجوده سبحانه علي اتم الوجوه واعلاها واوفاها واجلاها
بما معناه ان حقيقته ثابتة ثباتا لا يتوجه نحوه شك فقال مكاشفا للاسرار فانه لا تمكن
غيبته عنها اصلا **هو** فابتدا بهذا الاسم الشريف الذي هو ابطن الاسما اشارة الي انه غيب
الغيب بالنظر الي ذاته كالالف و الي انه واجب الوجود لذاته وان هويته ليست مستفادة
من شي سواها و لا موقوفة علي شي سواها فان كل ما كانت هويته مستفادة من غيره او موقوفة
عليه فمتي لم يعتبر غيره لم يكن هو هو **ولما كان** هويته لذاته فهو هو سوا اعتبر غيره
او لم يعتبر فاذن لا يستحق غيره هذا الاسم اصلا علي ان الها بمفردها مشيرة بكونها من ابطن
حروف الحلق الي انه هو الاول و الباطن المبدع لما سواه و الواو بكونها من اظهر حروف
الشفة الي انه الاخر والظاهر وان اليه المنتهي و ليس وراه مرمي وانه المبدي المعيد كما يشير
الي ذلك تكرير الواو في اسمها والي انه محيط بكل شي لما فيها من الاحاطة **ولما كان** وجوده
سبحانه لذاته ولم يكن مستفادا من غيره فان ما استفيد وجوده من غيره كان ممكنا كان لا يمكن
شرح اسمه الذي هو هو لا اسم لحقيقته غيره بمقوم من جنس ولا نوع ولا فصل لانه لا جنس له
ولا نوع له و لا سبب يعرف به والذي لا سبب له لا تمكن معرفته الا بلوازمه و اللوازم منها
سلبية ومنها اضافية ومنها قريبة ومنها بعيدة و التعريف بالاضافية وبالقريبة اتم من التعريف
بالسلبية وبالبعيدة لان البعيد كالضاحك الذي هو بعد المتعجب بالنسبة الي الانسان لا يكون
معلولا للشي بل معلولا لمعلوله وبالجمع بين السلبية والاضافية اتم من الاقتصار علي احدهما
فلذلك اختير اسم جامع للنوعين ليكون التعريف اتم وذلك هو كون تلك الهوية الها فاختير لذلك

اسم

اسم دال عليها وهو مختص غير مشترك وهو اول مظاهر الضمير كما ان الهمزة اول مظاهر الالف
ولهذا قال بعضهم الاسم الاعظم اخر الظواهر من الاسما ولهذا كانت كلها صفات له وهو
اول البواطن فتقبل مكاشفة للارواح و للموحدين **الله** اي الموجد الذي لا موجد في الحقيقة
سواه هو المسمي بهذا الاسم واختير هذا الاسم للاخبار عنه لدلالته علي جميع صفات الكمال
الجلال والجمال لانه اسم جامع لجميع معاني الاسما الحسني وهو اقرب اللوازم للهوية لانه لا لازم
لها اقرب من وجوب الوجود الذي هو مقتضي الذات علي ما هي عليه من الصفات لا بواسطة
شي اخر وبواسطة وجوب وجوده كان مفيضا باختياره للايجاد علي كل شي اراده ومجموع
الوجوب الذي هو سلب وحد والايجاد هو اختيار للجود بافاضة الوجود واضافة هو
الالهية التي جمعتها الجلالة وهي اقرب اللوازم الي الذات الاقدس ودل التعبير
به علي انه لا مقوم للهوية من جنس ولا غيره ولا سبب والا لكان العدول عنه التعبير
باللازم قاصرا وعلي ان الهيته علي الاطلاق لجميع الموجودات فكان شرح تلك الهوية
باللازم ابلغ البلاغة واحكم الحكمة لانه مع كونه هو الحق مشير الي ما ذكر من الدقايق
ولما ذكر الذات التي لا سبب لها ولا مقوم من جنس ونوع وغيره اصلا بل هي مجردة
وحده ونزهه عن تركب لا كثرة لها ولا اثنينية بوجه وعرفها باسم جامع لنوعي السلوب والاضافات
اللازمة لها هو اقرب اللوازم اليها فاشرح وجودها المخصوص علي ما هو عليه فكان ذلك
تعريفا كاملا لان تعريف ما لا تركب فيه باللوازم القريبة في الكمال كتعريف المركبات بمقوماتها
فان التعريف البالغ هو ان تحصل في النفس صورة مطابقة للمعقول وكانت الزيادة
في الشرح مطلوبة لانها اكمل لا سيما في الامور الباطنة الخفية اتبع ذلك باسم سلبي اشارة
الي ان النظر في هذه الدار الي جانب الجلال ينبغي كونه اعظم وذلك الاسم قريب من الجلالة كقربها
من الهوية فانه دال علي الوحدة الكاملة المجردة وهو منزل الجلالة كما انها منزل الهوية
وهو كما ان الجلالة لم يقع فيها شركة اصلا صارها في انه لا شركة لغيره تعالي فيه عند استعماله
مفردا بمعناه الحقيقي الا في النفي اشارة الي ان كل ما عداه سبحانه عدم فقال مكاشفا للعلوم
و للعارفين مكذبا للنصاري القايلين بالاب والابن وروح القدس وللبهود القايلين بانه جسم
وللمجوس الذين يقولون بانه اثنان نور يخلق الخير وظلام يخلق الشر وللصابية الذين يعبدون
النجوم و المشركين القايلين بالهية الاصنام مخبرا خبرا اخر او مبدلا من الجلالة او مخبرا
عن مبتدا محذوف **احد** وهو لاجل كونه خاصا في الاثبات حال الانفراد به تعالي معرفته
غني عن ال المعرفة وهو اعرف في الدلالة علي صفات الجلال كما ان الجلالة اعرف في الدلالة
علي صفات الكمال لان الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن انحا التركيب و التعدد
وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز و المشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود
و القدرة الكاملة و الحكمة التامة المقتضية للالوهية من غير لزوم دور ولا تسلسل من
جهة تركب او غيره وقري باسقاط قل هنا و في المعوذتين مع الاتفاق علي اثباتها في الكافرون
ونفيها في تبت ولعل الحكمة ان الكافرون مخاطبة للكفار بما بين مشاقة ومتاركة فناسب
الحال ان يكون ذلك منه صلي الله عليه وسلم وتبت معاتبة عم رسول الله صلي الله عليه وسلم
وتوبيخه فلا يناسب ان يكون ذلك من النبي صلي الله عليه وسلم والباقيات ما بين توحيد
وتعوذ فناسب ان يومر بتبليغه وان يدعو به ورتب الاحدية علي الالهية دون العكس

لان الالهية عبارة عن الاستغنا به عن الكل والاحتياج الكل اليه وكل ما كان كذلك كان
واحدا مطلقا والا لكان محتاجا الي اجزايه فالالهية من حيث هي تقتضي الوحدة والوحدة لا
تقتضي الالهية وعبر به دون واحد لان المراد الابلاغ في الوصف بالوحدة الي حد لا يكون
شي اشد منه، والواحد قال ابن سينا مقول علي ما تحته بالتشكيك والذي لا ينقسم بوجه
اصلا اولي بالواحدية مما ينقسم من بعض الوجوه والذي ينقسم انقساما عقليا اولي مما
ينقسم بالحس والذي ينقسم بالحس وهو بالقوة اولي من المنقسم بالحس بالفعل واذا ثبت ان الوحدة
قابلة للاشد والاضعف وان الواحد مقول علي ما تحته بالتشكيك كان الاكمل في الوحدة
الذي لا يمكن ان يكون شي آخر اقوي منه فيها والا لم يكن بالغا اقصي المرام والاحد جامع لذلك
دال علي الواحدية من جميع الوجوه وانه لا كثرة هناك اصلا لا معنوية من المقومات من الاجناس
والفصول ولا بالاجزا العقلية كالمادة والصورة ولا حسية بقوة ولا بفعل كما في الاجسام
وذلك لكونه سبحانه منزها عن الجنس والفصل والمادة والصورة والاعراض والابعاض
والاعضا والاشكال والالوان وساير وجوه التثنية التي تثلم الوحدة الكاملة الحقة اللايقة
بكرم وجهه وعز جلاله ان يشبهه شي او يساويه لان كل ما كانت هويته انما تحصل من اجتماع
اجزا كانت هويته موقوفة علي حصول تلك الاجزا فلا يكون هو هو لذاته بل لغيره فلذا كان
منزها عن الكثرة بكل اعتبار ومتصفا بالوحدة من كل الوجوه، **فقد** بلغ هذا النظم
من البيان اعظم شان، فسبحان من انزل هذا الكلام ما اعظم شانه، واقهر سلطانه، فهو منتهي
الحاجات، ومن عنده نيل الطلبات، ولا يبلغ ادني ما استاثره من الجلال والعظمة والبهجة
اقصي نعوت الناعتين، واعظم وصف الواصفين بل القدر الممكن منه الممتنع ازيد منه هو الذي
ذكره في كتابه العزيز واودعه وحيه المقدس الحكيم وبالكلام علي معناه ومعني الواحد تحقق ما
تقدم، قال الامام ابو العباس الاقليشي في شرح الاسما فمن اهل اللسان من ساوي بينهما مترادفين
فمنهم من قال اصل احد واحد سقطت منه الالف ثم ابدلت الهمزة من الواو المفتوحة ومنهم من
قال ليس اصلا واحدا وان كانا بمعني واحد بل اصله وحد من الوحدة وحد يحد فهو وحد مثل
حسن يحسن فهو حسن من الحسن ابدلت الواو همزة، **واما** من فرق بينهما فمنهم من قال احد اسم
علي حاله لا ابدال فيه ولا تغيير، ومنهم من قال اصله وحد ابدلت الواو همزة انتهي، **وقد**
استخلصت الكلام علي الاسمين الشريفين من عدة شروح للاسما الحسني وغيرها منها شرح الفخر
الرازي والفخر الحرالي وغيرهما قالوا الواحد الذي لا كثرة فيه بوجه لا بقسمة ولا بغيرها مع اتصافه
بالعظمة ليخرج الجوهر الفرد وهو ايضا الذي لا يثني اي لا ضد له ولا شبيه فهو سبحانه واحد
بالمعنيين علي الاطلاق بالنظر الي الخالق ولا شي قال الامام ابو العباس الاقليشي في شرح الاسما
هذه حقيقة الوحدة عند المحققين فلا يصح ان يوصف شي مركب بها الا مجازا كما تقول رجل واحد
ودرهم واحد وانما يوصف بها حقيقة ما لا جزء له كالجوهر الفرد عند الاشعرية غير انك اذا نظرت
فوجدت وجوده من غيره علمت ان استحقاقه لهذا الوصف ليس كاستحقاق موجده له وهو ايضا
انما يوصف بها لحقارته وموجده سبحانه موصوف بها مع الاتصاف بالعظمة فاتصافه بالوحدة
علي الاطلاق واتصاف الجوهر بالنظر الي عدم التركب مع الجسم مع ان صحة اتصافه بانه جزء
يزيل عنه حقيقة ذلك والوحدة ايضا بالنظر الي المعني الثاني وهو ما لا نظير له لا تصح بالحقيقة
الا له سبحانه وكل ما نوعيته في شخصيته كالعرش والكرسي والشمس والقمر يصح ان يقدر لها نظاير

وذ

وله معني ثالث وهو التوحد بالفعل والايجاد فيفعل كل ما يريد من غير توقف علي شي **والفرق**
بين هذا الوجه والذي قبله ان الاول ناظر الي نفي اله ثالث وهذا ناف لمعين ووزير وكلاهما
وصف ذاتي سلبي والحاصل ان النظر الصحيح دل علي ان لنا موجدا واحدا بمعني انه لا يصح
ان يلحقه نقص القسمة بوجه من الوجوه وبمعني انه معدوم النظير بكل اعتبار وبمعني انه
مستبد بالفعل مستقل بالايجاد متوحد بالصنع منفرد بالتدبير قضي بهذا شاهد العقل المعصوم
من ظلمة الهوي وكثافة الطبع ووردت به قواطع النقل ونواطق السمع ولهذا كان من اعظم
الحق دعاوه سبحانه لجميع الخلق وكانت دعوة رسوله الخاتم صلي الله عليه وسلم للخلق كافة
وقال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي في شرحه للاسما في بيان رد الاسما الكثيرة
الي ذات واحدة ومنبع صفات الاحد المسلوب عنه النظير، وقال في الشرح المذكور الواحد
هو الذي لا يتجزا ولا يتثني، اما الذي لا يتجزا فكالجوهر الواحد الذي لا ينقسم فيقال
انه واحد بمعني انه لا جزء له وكذلك النقطة لا جزء لها والله تعالي واحد بمعني يستحيل تقدير
الانقسام في ذاته واما الذي لا يتثني فهو الذي لا نظير له كالشمس مثلا فانها وان كانت قابلة
للانقسام بالوهم متجزية في ذاتها لانها من قبيل الاجسام فهي لا نظير لها الا انه يمكن ان يكون
لها نظير وليس في الوجود موجود يتفرد بخصوص وجوده تفردا لا يتصور ان يشاركه فيه
غيره اصلا الا الواحد المطلق ازلا وابدا والعبد انما يكون واحدا اذا لم يكن له في ابنا
جنسه نظير في خصلة من خصال الخير وذلك بالاضافة الي ابنا جنسه وبالاضافة الي الوقت
اذ يمكن ان يكون في وقت آخر مثله وبالاضافة الي بعض الخصال دون الجميع فلا وحدة علي
الاطلاق الا لله تعالي، وقال الامام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في مقدمة كتابه
الملل والنحل واختلفوا في الواحد اهو من العدد ام هو مبدا العدد وليس داخلا في
العدد وهذا الاختلاف انما ينشا من اشتراك لفظ الواحد فالواحد يطلق ويراد به ما
يتركب منه العدد فان الاثنين لا معني له الا واحد تكرر اول تكرر وكذا الثلاثة والاربعة
ويطلق ويراد به ما يحصل منه العدد اي هو علته ولا يدخل في العدد اي لا يتركب منه
العدد وقد تلازم الواحدية جميع الاعداد علي ان العدد يتركب منها بل وكل موجود فهو
جنسه او نوعه او شخصه واحد يقال انسان واحد وشخص واحد وفي العدد كذلك فان
الثلاثة في انها ثلثة واحدة فالوحدة بالمعني الاول داخلة في العدد وبالمعني الثاني علة
العدد وبالمعني الثالث ملازمة العدد وليس من الاقسام الثلاثة قسم يطلق علي الباري
تعالي معناه فهو واحد لا كالاحاد اي هذه الوحدات والكثرة منه وجدت ويستحيل
عليه الانقسام بوجه من وجوه القسمة انتهي، وهو واحد ايضا بنفسه لا بالنسبة الي ثان
بوجه من الوجوه، وقال بعضهم الواحد يدل علي الازلية والاولية لان الواحد في
الاعداد ركنها واظهرها ومبداها والاحد يدل علي بينونته من خلقه في جميع صفاته
ونفي ابواب الشرك عنه فالاحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد والواحد اسم لمفتتح
العدد، وقال الامام ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي في كتابه الزينة قال بعض الحكما
انما قيل له سبحانه واحد لانه عز وجل لم يزل قبل الخلايق متوحدا بالازل لا ثاني معه ولا
خلق ثم ابدع الخلق فكان الخلق كله مع احتياجه اليه محتاجا بعضه الي بعض ممسكا بعضه
بعضا متحاذيا ومتضادا ومتشاكلا ومزدوجا ومتصلا ومنفصلا واستغني عز وجل

عن الخلايق فلم تحتج الي شي فيكون ذلك الشي مقرونا به لحاجته اليه ولا ناواه شي فيكون ذلك
الشي ضدا له مضادا به فيكون ذلك الضد والقرين له ثانيا بل توحد بالمعني عن جميع خلقه لانه كان
قبل كل شي والاولية دلت علي الوحدانية فالواحد اسم يدل علي نظام واحد يعلم باسمه انه واحد
ليس قبله شي والواحد من العدد في الحساب ليس قبله شي بل هو قبل كل عدد وهو خارج عن العدد
فالواحد كيف ما ادرته لم يزد فيه شي ولا ينقص منه شي تقول واحد في واحد واحد فلم يزد
علي الواحد شي فدل علي انه لا شي قبله واذا دل علي انه لا شي قبله دل علي انه محدث الشي واذا دل
علي انه محدث الشي دل علي انه مفني الشي واذا كان مفني الشي دل علي انه لا شي بعده فاذا لم يكن
قبله شي ولا بعده شي فهو المتوحد بالازل يعني فهو الواحد الذي لا نظير له فهو الاحد قال فلذلك
قيل هو واحد واحد وقلنا ان الاحد هو اسم الكمل اي اعم من الواحد الا تري انك لو قلت
فلان لا يقوم له واحد جاز في المعني ان يقوم له اثنان او ثلثة فما فوقها واذا قلت فلان لا
يقوم له احد فقد جزمت انه لا يقوم له واحد ولا اثنان ولا ما فوقهما فصار الاحد اكمل من
الواحد وفي الاحد خصوصية ليست في الواحد تقول ليس في الدار واحد يجوز ان يكون واحدا
من الدواب او الطير او الوحش او الانس فكان الواحد يعم الناس وغير الناس واذا قلت
ليس في الدار احد فهو مخصوص للادميين دون سايرهم والاحد ممتنع من الدخول في الفرد
وفي العدد وفي القسمة وفي شي من الحساب وهو متفرد بالاحدية والواحد منقاد للعدد
والقسمة وغيرها داخل في الحساب تقول واحد واثنان وثلثة فهذا وان لم يكن من العدد
فهو علة العدد وداخل في العدد لانك اذا ضربت واحدا في واحد لم يزد واثنان هو
جذر للحساب وتقول واحد في اثنين او في ثلثة فما فوقها فهذا هو الضرب وتقول في
القسمة واحد بين اثنين او ثلثة لكل واحد من الاثنين نصف ومن الثلثة ثلث فهذه القسمة
والاحد ممتنع من هذا لا يقال احد واثنان ولا احد في احد ولا احد في واحد ولا
في اثنين او ثلاثة والواحد وان لم يتجزا من الواحد فهو يتجزا من الاثنين والثلاثة فما
فوقها تقول جزء واحد من جزئين او ثلاثة فما فوقها ولا يجوز جزء احد من جزئين فما فوقهما وقد
سمي الله نفسه واحدا احدا ووصف نفسه بالوحدانية والاحدية فالواحد نعت
يلزمه علي الحقيقة لانه كان قبل ولا ثاني معه والثاني خلاف الواحد فهو واحد لا يحاده
بالقدم والخلق اثنان لاقترانه بالحدث لان الحدوث ثان للقدم وبه ظهرت التثنية ٥
فالواحد هو الاحد في ذاته فهو لا شي قبله ولا من شي ولا في شي ولا علي شي ولا لشي ولا
مع شي فيكون ذلك الشي ثانيا معه بل هو الواحد منشي الاشيا والاشيا كلها له وهو
المتجرد بذاته ممتنع من ان يكون له شي ثانيا بوجه من الوجوه والخلق كله له وان كان
يسمي بالواحد او كانت هذه الصفة قد لزمت جميع الاشيا في وجه فانه زول عنها
في وجه كما قيل انسان واحد وفرس واحد وبعير واحد ولذلك يقال لساير الاشيا
وهذه صفة تلزمها في اللفظ والمسمي لا يخلو من معاني كثيرة مجتمعة فيه كالجسم والعرض
وهو واحد مجموع من اشيا وكل شي لا يخلو من ازدواج وتضاد وتشاكل وحد وعد
فهذه الصفات كلها تنفي عنه معني الاحدية والواحدية وفي الواحد عن العرب لغات
كثيرة يقال واحد واحد ووحد ووحيد ووحاد واحاد وموحد واوحد وهذا كله
راجع الي معني الواحد وان كان في ذلك معاني لطيفة ولم يجي في صفة الله عز وجل ٥

الا الواحد والاحد قلت والوحيد علي بعض الاعرابات في المدثر قال وكلها مشتقة من
الواحد وكان ذلك ماخوذ من الحد كان الاشيا كلها اليه انتهاوها وهي محدودة كلها
غيره عز وجل وهو غير محدود بل هو غاية المحدودين وغاية الغايات لا غاية له والاحد يجي
في الكلام بمعني الاول وبمعني الواحد فاذا جا بمعني الاول وبمعني الواحد جاز ان يتكلم
به في الخبر كقولك هذا واحد احد والعرب كانت تسمي يوم الاحد في الجاهلية اولا وقولك
يوم الاحد دليل علي انه اليوم الاول والاثنين دليل علي انه اليوم الثاني وفي التوراة
ان الله عز وجل اول ما خلق من الايام يوم الاحد قلت يمكن ان يكون معني يوم الاحد
يوم الله اضيف اليه لكونه اول مخلوقاته من الايام فلما اوجد الثاني سمي الاثنين لانه ثاني
يوم الاحد قال وضد الواحد اثنان وضد الاحد الاخر قال الله تعالي قال احدهما اني
اراني اعصر خمرا ثم قال في ضده وقال الاخر فهذا دليل علي ان معني قولهم يوم الاحد
هو اليوم الاول لانهم قالوا لنا بعده اثنان ولم يقولوا الاخر لان الاحد اذا لم يكن بمعني
الاول فضده الاخر واذا كان الاحد بمعني الاول جا الخبر والجحد واذا لم يكن بمعني الاول
وكان بمعني الواحد جاز في الخبر وجاز في الجحد قال الله تعالي فابعثوا احدكم بورقكم
فهذا من الخبر فاذا لم يكن احد بمعني الاول وبمعني الواحد لم يجز ان يتكلم به الا في الجحد
تقول ما جاني احد ولا يجوز جاني احد وكلمني احد قال الله عز وجل في معني الجحد
ايحسب ان لن يقدر عليه احد واحد يستوي فيه المذكر والمؤنث قال الله تعالي يا
نسا النبي لستن كاحد من النسا واحد يكون بمعني الجمع تقول العرب يظل احدنا الايام
لا ياكل بمعني كلنا لا ناكل فاحتمل معني الواحد والجماعة انتهي فالواحد من الاسما الثبوتية
الاضافية يكون في اصل اللغة بالنسبة الي ثان هو نصفه وثالث هو ثلثه وهكذا
وهو في صفات الله تعالي بمعني التوحد في الاتصاف بالالوهية لا يقبلها غيره بوجه
فلا شريك له والاحد من النعوت السلبية بل هو مجمعها هو احد في نفسه لا يقبل العدد
ولا التركيب بوجه لا بالقسمة ولا بغيرها سوا نظر اليه بالنسبة الي الغير او لا فهو متمحض
للسلب فهو وصف راجع الي نفس الذات بمعني انه كامل في ذاته لا يوثر في مفهومه
النظر الي شي اصلا والفرد ناظر الي نفي العدد فافترق الاوصاف الثلاثة وان كانت
متقاربة في المعني وقال الامام ابو الخير القزويني الشافعي في كتابه العروة الوثقي
في اصول الدين ناقلا عن بعض من فرق بينه وبين الواحد ان الاحد اسم لنفي ما يذكر معه
وعن بعضهم انه الذي لا يجوز له التبعيض لا فعلا ولا وهما فهو احد بذاته وواحد بصفاته
وتوحيد الله لنفسه علمه بانه واحد واخباره بذلك وتوحيد العبد له علمه بذلك مع
اقراره به وقال الامام فخر الدين الرازي في شرح الاسما فالله سبحانه احد في ذاته
احد في صفاته احد في افعاله احد لا عن احد غير متجزي ولا متبعض احد غير مركب
ولا مولف احد لا يشبهه شي ولا يشبه شيا احد غني عن كل احد انتهي وهذا
معني ما نقله المعربون عن ثعلب انه فرق بينهما بان واحدا يدخله العدد واحد لا يدخله
ذلك يقال الله احد ولا يقال زيد احد لان الاحد خصوصية لله تعالي وزيد يكون
منه حالات ونقض عليه بالعدد المعطوف يقال احد وعشرون واثنان وعشرون
ورد بان احد فيه بمعني واحد وقال الامام فخر الدين في شرح الاسما انه اختص به

البارئ سبحانه اما الواحد فتحصل فيه المشاركة ولهذا السبب أعرى من لام التعريف
لانه صار نعتا لله عز وجل على الخصوص فصار معرفة • وقال الازهري سئل احمد بن يحيى
عن الآحاد هل هي جمع احد فقال معاذ الله ليس للاحد جمع ولا يبعد ان يقال انه جمع واحد
كالاشهاد جمع شاهد انتهى • وقال الاقليشي في شرح الاسماء الاحد هو الذي ليس بمنقسم
ولا متجزئ فهو على هذا اسم لعين الذات فيه سلب الكثرة عن ذاته فتقدس بهذا الوصف
عن صفات الاجسام القابلة للتجزي والانقسام والنقطة والجوهر الفرد عند مثبته يعني من
المتكلمين والجوهر البسيط عند مدعيه يعني من الفلاسفة وان كانت هذه لا تتجزى ولا تنقسم
فانها مخالفة للبارئ تعالى في احديته اما النقطة فعرض عن بعضهم اذ هي عبارة عن طرفي الخط
واذا كان الخط عرضا فالنقطة اولى بالعرضية • واما الجوهر الفرد فانه وان كان لا ينقسم فهو مقدر
بجزء وكل ما قدر بجزء فلا يخلو من الاكوان وهو كيف ما كان على رأي من اثبته من المتكلمين وان
كانوا في اوصافه متنازعين فلا يخلو من الاعراض • واما الجوهر البسيط عند من اثبته فوجوده
عنده هو ليس عينه اذ انيته غير ماهيته وما هو بهذا الوصف عندهم بقيه اثنينية ففارق
البارئ سبحانه باحديته هذه الموجودات كما فارق بذاته الاجسام فوجوده عين ذاته وليست
صفاته تعالى مغايرة لذاته • **واما** الواحد فهو وصف لذاته فيه سلب الشريك والنظير
عنه فافترقا يعني بان الاحد ناظر الى نفس الذات والواحد الى امر خارج عنها • وقال البيهقي
في كتاب الاسماء والصفات في الاحد فما تدعوه المشركون الها من دونه لا يجوز ان يكون الها
اذا كانت امارات الحدث من التجزي والتناهي قايمة فيه لازمة له والبارئ سبحانه لا يتجزا
ولا يتناهى فقد علم من ان الاحد خاص بالله تعالى انه لا فرق في اطلاقه عليه سبحانه بين تعريفه
وتنكيره لا معرفة في نفسه فطاح اعتراض من قال من الملحدين الجلالة معرفة واحد نكرة لا تنعت
به وعلى تقدير التسليم يجوز جعله بدلا كما تقدم ولا مانع من ابدال النكرة من المعرفة مثل لنسفعا
بالناصية ناصية كاذبة قال صاحب كتاب الزينة وعلى تقدير القراءة اي قراءة التنكير اجمعت
الامة • **وروى** قوم عن ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق انه قرا قل هو الله الاحد الله الواحد
الاحد الصمد • وقال الامام ابو الحسن الحرالي في شرح الاسماء الحسنى الاحد اسم اعجز الله العقول
عن ادراك ايته في الخلق اثباتا فلم يستعمله العرب مفردا قط اي وهو بمعناه الحقيقي لا بمعنى
واحد ولا بمعنى اول مثلا الا في النفي لما علموا انه مفصح عن احاطة جامعة لا يشذ عنها شي • وكذلك
مما تدركه العقول والحواس في النفي ولا تدركه في الاثبات فيقولون ما في الدار احد
نفيا لكل انسان ولا يسوغ في عقولهم ان يقولوا في الدار او في الوجود احد اذ لا يعقل عندهم
ذات انسان هي جامعة لكل انسان فلما ورد عن الله اسمه في القران تلقاه المؤمنون بالايمان
واحيت قلوبهم سورة ذكره لجمعها لما لا يحصى من ثنا الرحمن وهي احد الانوار الثلثة في القران
القران نور ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشا ونور نوره سورة ذكر الاحد في ختمه وآية
الكرسي في ابتدايه وسورة يس التي هي قلبه في محلها منه واحد مبين عن اسم الله الذي هو بكل
شي محيط لا يتطرق اليه شرك في حق ولا باطل وواحد مبين عن اسم الاله الذي لا يصح فيه
الشرك حقا وقد يتطرق اليه باطلا واتخذوا من دون الله الهة ولذلك لان الواحد يضاف
الثاني واحد جامع محيط لم يبق خارج عنه فيضايفه يعني ان مفهومه ناظر الى كونه تعالى
الآن كما كان في الازل وحده فان الخلق وان فهو في الحقيقة عدم فكانه ما كان لاحاطته به وكونه

في قبضته

في قبضته وطوع مشيئته فلا خارج يكون له مضايفا له لانه لا يضايف الشي الا بمناظر بمساواة او
مبارات بمعاند او غيرها فالكل بالنسبة عدم انك ميت وانهم ميتون كل من عليها فان كل شي هالك
الا وجهه هذا مراده بدليل سابقه ولاحقه فلا شبهة فيه لاهل الوحدة عليهم الخزي واللعنة قال
والوحدة من الواحد هي حد النهاية والغاية مما هي وحدته وما دون الوحدة التي هي الغاية ثانية
وجماع احاطة كل ذلك اعلى وادلى هي الاحدية التي لا يشذ عنها شاذ ولا يخرج عنها خارج فمن الاسماء
معلوم لخليقته من خليقته بما اتاهم منه كالرحيم والعليم ومنها ما تعجز عنه خلافتهم كالاسماء المتقدمة
من اسمه المحصي ولكن ينال مثلا من عقولهم ومنها ما لم ينله العلم ولا ادركت مثله العقول وهو
اسمه الاحد فالله هو الاحد الذي لا احد الا هو انتهى • وقال الامام ابو الحكم ابن برجان في شرح
الاسما وهو اي الاحد اصل لباب الوحدة يدل على محض الوحدة الاثري انه مناف لما ياتي معه
اذا قلت لم ياتني احد انتفى الاثنان ولا تقول جاني احد كما تقول جاني واحد لان واحدا تزول
عنه الواحدية بضم ثان اليه بخلاف الاحدية فانها لازمة للواحد لا يفارقه حكمها عند ضم الثاني
بل لها منه جهة محفوظة عليها يظهر ذلك بالاشفاع والاوتار فانك تقول ما جاني احد فتنتفي الاشفاع
كما تنتفي الاوتار • **وهذا** دليل على زيادة شرفه فان الاسم كلما غمضت دلالته وتعذرت
معذرته عن الافهام وعزب عن العقول علمه كان ذلك دليلا على قربه من الاسم الاعظم انتهى • وقال
بعض العارفين في كشف معنى الاحد ورتبته ان الذات الاعظم غيب محض والاحد اول تعيناتها
ولذلك بدي بالهمزة التي هي اول تعينات الالف التي هي غيب محض • وذلك سر مخالفتها للاحرف في
ان كل حرف يدل على مسماه اول حروف اسمه الا الالف لكونها غيبا فكان اول اسمها الهمزة التي هي اول
تعيناتها والهمزة لكونها مرقي الى غيب الالف كان اول اسمها ايضا غير دالة على مسماها ثم بعد التعين بالاحدية
الشاملة المستغرقة يتنزل الى الالهية ثم منها الى الواحدية وكذلك ابتدي الواحد بالواو والتي هي
وصلة الى ما فيه من الالف الذي هو غيب فان الواحد مرقي الى فهم الاله والاله مرقي الى تعقل الاحد
والاحد مرقي الى التعبد للذات الاقدس الانزه ومن اعتقد احديته سبحانه انتج له ذلك حبه وتعظيمه
وهو توحيد الالوهية لان التفرد بذلك يقتضي الكمال والجمال والله الموفق • وقال الامام ابو
جعفر ابن الزبير لما انقضى مقصود الكتاب العزيز بجملته عاد الامر الى ما كان واشعر العالم بحالهم
من ترددهم بين عدمين ثم الله ينشي النشاة الاخرة فوجودهم منه سبحانه وبقاؤهم به وهم وجميع ما
يصدر عنهم من افعالهم واقوالهم كل ذلك خلقه واختراعه • **وقد** كان سبحانه ولا عالم ولا زمان
ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان لا يفتقر الى احد ولا يحتاج الى معين ولا يتقيد بالزمان ولا يتحيز
بالمكان فالحمد لله رب العالمين اهل الحمد ومستحقه مطلقا له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم قل هو الله
احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد هو الموجود الحق وكلامه الصدق وما هذه الحياة
الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون فطوبى لمن استوضح آي كتاب الله واتى
الامر من بابه وعرف نفسه ودنياه واجاب داعي الله ولم ير فاعلا في الوجود حقيقة الا هو سبحانه
ولما كمل مقصود الكتاب واتضح عظيم رحمة الله به لمن تدبر واعتبر واناب كان مظنة الاستعاذة
واللجا من شر الحاسد وكيد الاعدا فختم بالمعوذتين من شر ما خلق وذرا وشر الثقلين انتهى • **ولما**
تم البيان لهويته سبحانه على هذا الوجه الذي انهاه بالاحدية المعلمة بالتنزه عن القسمة والنظير وكان
بيان القران بالغا اقصى نهايات البيان وكان الاحد من النعوت المتوغلة في السلب وكانت الشركة
تقع في التعبير به في النفي وهو بمعناه الحقيقي ويقع فيه في الاثبات وهو بمعنى الواحد مثلا بين احديته

واسمي اكملية بيانها الي اسمي غاياته باسم جامع بين الاضافة والسلب على حد سوا اودلالته علي الكمال
والاضافة اكمل وبناه على الاسم الذي هو آخر الاسما الظاهرة واول الاسما الباطنة ولم تقع فيه
شوكة بوجه دفعا للكل نعتت واشعارا بان من لم يتسم به لم يستحق الالوهية واخلي الجملة عن عاطف
لانها كالنتيجة للاولي والدليل عليها فقال مكاشفا لنفوس المومنين وللعلما معيدا الاسم ولم يضمر
لئلا يظن نفيه بحيثية غيبا وغيرها **الله** اي الذي ثبتت الهيته واحديته لا غيره **الصمد**
الذي تناهي سودده المطلق في كل شي الي حد تنقطع دونه الآمال فكان بحيث لا يحتاج الي شي وكل
شي اليه محتاج وتنزه عن الجوفية فلم تدن من جنابه بفعل ولا قوة لانه تنزه عن القسمة بكل اعتبار
مع العظمة التي لا يشبهها عظمة فكان واحدا بكل اعتبار وذلك هو مفهوم الاحدية عبارة واشارة
فكان مقصودا اليه في الحوايج اي مقصودا لاجلها فهو الموصوف بهذا الاسم على الاطلاق وبكل اعتبار — مصمودا صح
فكان موجودا للعالم لان العالم مركب بدليل المشاهدة فكان ممكنا فكان محدثه واجبا قديما
نفيا للدور والتسلسل المحالين وخلقه له بالقدرة والاختيار لانه لو كان بالطبع والايجاب
لكان وجوده مع وجوده لان العلة لا تنفك عن المعلول فيلزم من قدم الباري قدم العالم
ومن حدوث العالم حدوث الباري وذلك جمع بين النقيضين وهو محال وقصر الصمدية
عليه لان استداد الالف لحاجة الشي الي غيره ربما كان موجبا خفا اختصاصه به ولم يقصد
الاحدية اما للتنبيه على ان ذلك لشدة ظهوره غني عن تاكيد واما استيلافا لهم لئلا ينفروا قبل
سماع تمام السورة على انه بظهور قصر الصمدية التي احد معنيها لازم الاحدية ظهر الاختصاص
بالاحدية قال العلما والصمد من صمد اليه اذا قصده وهو كالاحد بني على هذا الوزن لانه لا تلحقه
المضارعة ولا تدنو منه المشابهة لانه اسم خاص فهو السيد المصمود اليه وهو ايضا الاجوف
اليه ولا رخاوة بوجه فيه لان الاجوف وعا وكل وعا محتاج الي موعيه يقال شي مصمد اي صلب
وحجر صمد املس لا يقبل الغبار ولا يدخل فيه شي ولا يخرج منه شي قال ابن قتيبة وهو
على هذا الدال فيه مبدلة من التا وهو المصمت وهو ايضا العالي الذي تناهي علوه تقول العرب — مبدلة صح
لما اشرف من الارض صمد باسكان الميم وبنا صمدا اي معلي فهو على التفسير الاول من الصفات الاضافية
بمعني انه سيد لكل موجود والكل محتاجون اليه في ابتدا ايجادهم وفي تربيتهم فهم يصمدون اليه
في الحوايج ويقصدون اليه في جميع الرغايب وهو غني على الاطلاق وذلك هو ايصافه بصفات
الالهية قال الاقليشي فعلي هذا اي انه الذي يلجا اليه ويعتمد عليه لتناهي سودده تتشعب من
صفة الصمد صفات السودد كلها من الجود والحلم وغير ذلك واذا قلنا ان الصمد العالي
تشعبت منه صفات التعالي كلها من العزة والقهر والعلو ونحوها انتهي **وقد روي** البيهقي
بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله الصمد قال السيد الذي كمل في سودده والشريف
الذي كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والغني الذي قد
كمل في غناه والجبار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في
حكمه وهو الذي كمل في انواع الشرف والسودد وهو الله عز وجل هذه صفته لا تنبغي الا له ليس
له كفو وليس كمثله شي فسبحان الله الواحد القهار وقال ابو العباس ابن تيمية الحنبلي في كتابه
الفرقان بين اوليا الرحمن واوليا الشيطان اجمع سلف الامة وايمتها ان الرب سبحانه باين من مخلوقاته
يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلي الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير
تكييف ولا تمثيل يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص ونعلم انه ليس كمثله شي ولا كفو له في

شي

شي من صفات الكمال كما قال تعالي قل هو الله احد الي آخرها قال ابن عباس الصمد الي آخر ما مضي
عنه وقال ابن مسعود رضي الله عنه وغيره هو الذي لا جوف له او الاحد الذي لا نظير له فاسمه الصمد
يتضمن اتصافه بصفات الكمال ونفي النقايص عنه واسمه الاحد يتضمن انه لا مثل له وقال الحرالي
الصمد بالسكون التوجه بالحاجات الي ملي بقضايها لا يحتاج الي سواه فلذلك يكون الصمد سيدا لا يساد
السيد الله انتهي **وعلي** التفسير الثاني هو من النعوت السلبية فهو دال على نفي الماهية التي تعنت بها
فرعون لاقتضايها المقومات المستلزمة للحاجة الي ما به التقويم وعلي اثبات الهوية المنزهة عن كل شايبة
نقص فان كل ما له ماهية كان له جوف وباطن وهو تلك الماهية وما لا باطن له وهو موجود فلا جهة ولا
اعتبار في ذاته الا الوجود فهو واجب الوجود غير قابل للعدم وقد علم بهذا انه جامع لما ذكر فيما قبله فان
هذا التفسير الثاني ينشعب منه من الاسما ما ينظر الي نفي التركيب كالاحد ونحوه **وهذان** التفسيران
الاول والثاني جامعان لجميع ما فسر به **ولما** عسي ان يقال فيه سبحانه من صفات الكمال ونعوت
العظمة والجلال فمن كان مصمودا اليه في جميع الحاجات ومتعاليا عن كل سمة حدث وشايبة نقص
كان موجدا لكل ما يريد من نفع وضر ونافع وضار قادرا على حفظ ما يريد وكان معلوما كالشمس انه لا
شريك له وانه وحده المستحق للعبادة لاحتياج الكل اليه الاحتياج المطلق وغناه عنهم الغني المطلق وتفرده
بصفات الكمال والانقطاع عن قرين والي الصمدانية ينتهي التوجه وهو الاقبال بالكلية وهي رد
على الفلاسفة القايلين بتدبير العقول والصابية القايلين بتدبير النجوم وعلي غيرهم من كل من ادعي
تدبيرا لغير الله سبحانه وتعالي ومن اعتقد صمديته المقتضية لكمال الذات والصفات وشمول
التدبير انتج له كمال التفويض والتوكل وهو توحيد الربوبية وهذه الاسما الاربعة مشيرة الي
مقامات السايرين ومرامات الحايرين والجايرين **فالمقربون** نظروا الي الاشيا فوجدوا كلها سواه
معدوما بالذات فكان ذكرهم هو **واصحاب** اليمين نظروا الي وجود الممكنات فعينوا مرادهم وميزوا
مذكورهم بالجلال واصحاب الشمال جوزوا الكثرة في الاله فاحتاجوا في تذكيرهم الي الوصف بالاحدية
والصمدية وهي زيادة على اهل الاتحاد اعظم رد فانهم يقولون ان الاله هو هذا العالم وهو منقسم
بالحس فضلا عما عداه ومحتاج اشد احتياج **ولما** انتهي بيان حقيقته سبحانه وانه غير مركب اصلا
وبين سبحانه بصمديته المستلزمة لوحدانيته ان الكل مستند اليه ومحتاج اليه وانه المعطي لوجود
جميع الموجودات والمفيض للجود على كل الماهيات فلا يجانس شيا ولا يجانسه شي ولا يكون له نظير في شي
من ذلك وكان ربما تعلق بوهم واهم ان تولد غيره عنه يكون من تمام سودده المعبر عن قدرته بين ان
ذلك لكونه محالا لاقتضايه الحاجة مما لا تتعلق به القدرة لان القدرة من شانها انها لا تتعلق بالمحال
وهذا محال لانه سبحانه صمد فكان ذلك بيانا للصمدية في كلا معنييها فقال من غير عاطف دالا على انتفا
الجوف الذي هو احد مدلولي صمد مكاشفا للعقلا شارحا لانه لا يسانديه شي من نوع يتولد عنه ولا جنس
تولد هو عنه ولا غير ذلك بموازية في وجود ولا غيره **لم يلد** اي لم يصح ولم ينبغ بوجه من الوجوه
ان يقع تولد الغير عنه مرة من المرات فكيف بما فوقها لان ذلك مستلزم للجوف وهو صمد لا جوف له
لان الجوف من صفات النقص المستلزم للحاجة وهو مستغن بدوامه في ابديته عمن يخلفه او يعينه لامتناع
الحاجة والفنا عليه فهو رد على من قال الملايكة بنات الله او عزير او المسيح او غيره **ولما** بين انه
لا فصل له ظهر انه لا جنس له فدل عليه بقوله **ولم يولد** لانه لو تولد عنه غيره تولد هو عن غيره
كما هو المعهود والمعقول فهو قديم لا اول له بل هو الاول الذي لم يسبقه عدم لان الولادة لا تكون
ولا تتشخص الا بواسطة المادة وعلاقتها وكل ما كان ماديا او كان له علاقة بالمادة كان متولدا عن

غيره فكان لا يصح ان يتولد عنه شي لانه لا يصح ان يكون هو متولدا عن غيره لانه لا ماهية له ولا اعتبار
لوجوده سوي انه هو نعوتيته لذاته ومن كانت هويته لذاته لم يصح بوجه ان يتولد عن غيره لانه
لو تولد عن غيره لم يكن هو هو لذاته ولا يكون احدا حقيقيا ولا صمدا فينتفي من اصله ولا يكون له
من ذاته الا العدم وقد تبين انه واجب الوجود فوضح كالشمس انه ليس بمادي الا انه غير محتاج بوجه
فلا يصح ان يتولد عنه غيره لانه لم يصح ان يتولد هو عن غيره ومن كان كذلك لم يكن له مثل ولم
يصح بوجه ان يساويه شي ليصح ان يقوم مقامه فيما بين ما انتفي من الاول والآخر فدل علي ذلك اتماما
لشرح حقيقته المعبر عنها بهو بقوله **ولم يكن** اي لم يتحقق ولم يوجد بوجه من الوجوه ولا بتقدير
من التقادير **له** اي خاصة **كفوا** اي مثلا ومساويا **احد** علي الاطلاق اي لا يساويه في قوة الوجود
لانه لو ساواه في ذلك لكانت مساواته باعتبار الجنس والفصل فيكون وجوده متولدا عن الازدواج
الحاصل من الجنس الذي يكون كالام والفصل الذي يكون كالاب وقد ثبت انه لا يصح بوجه
ان يكون في شي من الولادة لان وجوب وجوده لذاته فانتفي ان يساويه شي في قوة وجوده
فانتفي قطعا ان يساويه احد في شي من قوة افعاله فعطف هاتين الجملتين علي الجملة التي قبلهما لان
الثلاث شرح الصمدية النافية لاقسام الامثال فهي كالجملة الواحدة وقدم الظرف في الثالثة
لان المقصود الاعظم نفي المكافاة عن الذات الاعظم فكان اهم وكفوا حال من احد ويجوز ان يكون
كان ناقصة ويكون كفوا خبرها وسوغ خبريته بله كما قالوا في ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله
وقد وضح ان هذه السورة اعظم مبين للذات الاقدس بترتيب لا يتصور في العقل ان يكون
شي يساويه وكلمات لا يقع في الوهم ان يكون شي يساويها او يساوي شيا منها فاثبت اولا حقيقته
المحضة وهويته بان هو لا اسم لذلك الحقيقة من حيث هي فنعلم انه واجب الوجود لذاته لا لشي آخر اصلا
ثم عقب ذلك بيانا له بذكر الالهية التي هي اقرب اللوازم لتلك الحقيقة واشدها تعريفا **ولما**
اقتضت الالهية الوحدة لانها عبارة عن الاستغنا المطلق واحتياج الغير اليه الاحتياج المطلق دل
عليها بالاحد ودل علي تحقيق معني الالهية والوحدة معا بالصمدية لما لها من المعنيين وجوب الوجود
بعدم الجوف وجودا او تقديرا والسيادة المفيضة لكل وجود علي كل موجود وجودا لا يشبه وجوده
سبحانه واين الثريا من يد المتناول الامر اعظم من مقالة قايل وبين المعنيين كليهما بعدم صحة
التوليد منه وله وعدم المساوي فمن اول السورة الي اخر الاسما في بيان حقيقته سبحانه
ولوازمها الاقرب فالاقرب ووحدتها بكل اعتبار ومن ثم الي آخرها في بيان ان لا مساوي له لانه
لا جنس له ولا نوع حتي يكون هو متولدا عن شي او يكون متولدا عنه شي او يكون شي موازنا له في الوجود
وبهذا القدر حصل تمام معرفة ذاته وانه لا يساويه شي في قوة وجوده فلا يساويه في اتمام
افعاله بدلالة شاهد الوجود الذي كشف عنه الشهود بنصر نبيه صلي الله عليه وسلم الذي
كان يدعوا وجميع الكافرين الشانين وحده وهم ملء الارض ويخبرهم مع تحاملهم كلهم عليه
انهم مغلوبون وانه اتاهم بالذبح لان لمن ارسله الاحاطة بجميع الكمال وقد كان الامر كما قال صلي الله
عليه وسلم **فقد** صدقت مقالاته فثبتت الي الخلق كافة رسالاته وثبت جميع مضمون السورة
بما ثبت من هذه الادلة المشهورة والبراهين القاطعة المنصورة **وقد ثبت** انه صمد بما دل
علي احد معنييه الذي هو انتفا الجوفية بعدم التولد وعلي المعني الآخر الذي هو بلوغ المنتهي
من السيادة بعدم المكافي فبان انه هو لذاته فلا اله غيره فانطبق آخرها علي اولها والتحم اي التحام
مفصلها بموصلها فعلم انه لا غيره بزيادة انه الاحد ولا احد حقا غيره ومن تحقق آخرها اقبل بكليته اليه هو صح

سبحانه

سبحانه فلم يلتفت الي غيره لان الكل في قبضته **وقد** نقلت في كتابي مصاعد النظر عن الاحيا
للامام الغزالي في سر من اسرار هذه السورة كلاما هو في غاية النفاسة **وروي** الترمذي
عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان المشركين قالوا يا محمد انسب لنا ربك فانزل الله تبارك وتعالي
قل هو الله احد الي اخرها قال لانه ليس شي يولد الا سيموت وليس شي يموت الا سيورث وان الله
تبارك وتعالي لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد انتهي ومن كان كذلك فهو الجامع للاسما
الحسني والصفات العلا كلها **وعلم** ان حاصلها تنزيه المعبود عن ان يكون له مجانس او يكون
له مكافي والرد علي كل من يخالف في شي من ذلك **واعظم** مقاصد آل عمران المناظرة لها في رد
المقطع علي المطلع المفتتحة بالحي القيوم المودعة اوضح الادلة علي كفر من كفر بالله لا سيما من ادعي
ان عيسي عليه السلام اله او انه ولد له سبحانه وكذا غيره الدالة علي بطلان مذهب من ادعاه
الها وعلي ان عيسي عليه السلام عبد من عبيده اوجده علي ما اراد كما اوجد من هو اغرب حالا منه
وابطال قول من ادعي فيه غير ذلك **ولما عرفت** هذه السورة حقيقة الذات اتم تعريف
وكان الغرض الاقصي من طلب العلوم باسرها معرفة ذاته سبحانه وصفاته وكيفية صدور
الافعال عنه وكان القران العظيم كفيلا بجميع هذه العلوم وكانت هذه السورة منه قد تكفلت
بجميع ما يتعلق بالبحث عن الذات علي سبيل التعريف والايما كانت معادلة لثلث القران وهي ثلث ايضا
باعتبار آخر وهو ان الدين اعتقاد وفعل لساني يترجم عن الاعتقاد وفعل يصحح ذلك وهي وافية
بامر الاعتقاد بالوحدانية الذي هو راس الاعتقاد وباعتبار ان مقاصده كلها محصورة في بيان
العقايد والاحكام والقصص وهذه السورة علي وجازتها قد اشتملت علي جميع المعارف الالهية
والرد علي من الحد فيها ولاجل ان هذا هو المقصود بالذات الذي تتبعه جميع المقاصد عدلت في
بعض الاقوال بجميع القران **وحاصل شرح هذه السورة** العظمي انه سبحانه دل علي الذات الاقدس
بالهوية وعبر عنها بالضمير اشارة الي نفي الماهية التي غلط او غالط فيها الكفور الاعظم فرعون لعنه
الله عليه وعلي اتباعه اهل الالحاد واشياعه من اهل الاتحاد ودل علي ذلك بالاسم الاعظم المجمع عليه ودل
عليه بالوحدة الجامعة للغني النافية للكثرة الموجبة للحاجة ودل عليها بالصمدية النافية للجوفية
المثبتة للسيادة الحقية ودل علي اول معنييها بانتفا الولادة منه وله الدالان علي نفي الجنس المقوم
والفصل المقسم ودل علي الثاني بعدم المكافي ودل علي هذا العدم بافعاله العظيمة المشاهدة
التي اشار قطعا ترتيب السور بما انتهي اليه وضع هذه السورة في هذا الموضع الي استحضارها
وتامل ما كان منها من تربية هذا الدين بنصر نبيه الذي ارسله صلي الله عليه وسلم لاقامته وسلط
الكافرين وهم ملء الارض علي اذاه وجعل اعظمهم له اذي اقربهم اليه نسبا عمه ابا لهب الذي كان
يتبعه في تلك المشاهد والقبايل ويلزمه في هاتيك المواسم والمعاهد والمحافل يصرح بتكذيبه
كلما دعا الناس الي الحق ويواجهه بما هو اشد الاشيا علي النفس كراهة واشق فكانت تلك الشهرة
عين الرفعة والنصرة لان الشي اذا خرج عن حده انقلب الي ضده فانه اذا تناهت شهرته ثم بان
بطلانه او صحته رجعت شهرته بكونه باطلا او صحيحا اعظم منها لو لم يتقدمها شهرة بغير ذلك فانقلبت
النصرة وعظمت الكثرة فجلت المعاونة وزالت المباينة وحصل الوفاق وزال الشقاق فدل هذا
الفعل الاعظم من صدق الرسول صلي الله عليه وسلم وهو وحده وكذب المعاندين وهم من لا يحصيهم
الا الله في كل ما قال وجميع ما قالوا علي عزته سبحانه بكونه نصر عبده علي ذلك الوجه الخارق للعادة
وعلي حكمته بما سلطهم به عليه حتي اسرعت الشهرة وعمت النصرة فعلم بتلك المشاهد انه العزيز

الحكيم كما دلت عليه سورة التوحيد المناظرة لهذه في رد المقطع على المطلع وهي آل عمران المناظرة
لهذه في الدلالة على التوحيد والمحاججة لمن ادعى ان له صاحبة وولدا فعلم قطعا انه لا كفوء
له فعلم انه لا يصح اصلا ان يلد ولا ان يولد فبطلت دعوى الالهية بعيسى عليه السلام وغيره ممن
ادعى فيه الولدية بالاحدية لما تقتضيه الولادة من المادة المقتضية للكثرة الموجبة للحاجة
وعظم البيان بما دل عليه الاسم الاعظم من الاجماع بما يقتضي الالهية ولا اجماع على غيره وجل
الامر وانقطع النزاع بما دل عليه الضمير من وجوب التاني لما سواه من كل موجود والله
الهادي • فلقد ابانت السورة على اعظم الوجوه ان مرسله صلى الله عليه وسلم اجل موجود واشرف
حقيقة واعظم ذات وانفس معلوم وذلك يستلزم نفي كل ما لا ينبغي وحصول كل ما ينبغي استلزاما لا يقبل
الانفكاك كالفردية في الوتر والزوجية في الشفع وتفصيل ذلك بعشرة اشيا تنبسط على كلمات السورة
على الترتيب الاول انه تعالى له الوجود الذي لا مثله فليس هو كالممكنات المسبوقة بالعدم والمنقطعة
بالانعدام والمنصرمة في الدوام بل هو ازلي لا اول له ابدي لا آخر له قيوم لا انصرام له الثاني
ان له السبوحية الاتية على نفي كل نقص وعيبه الثالث ان له القدوسية المشتملة على الاتصاف بكل
كمال من جلال وجمال وفعال الرابع ان له العظمة والجلالة عن ان يكون عرضا او كالاعراض او جوهرا
او كالجواهر او جسما او كالاجسام الخامس ان له العلو عن ان يحل في شي او يحل فيه شي او يتحد بشي او يتحد	٨
بشي او يتحد به شي السادس انه تعالى له الغنى عن الموجد كالرب والموجد كالاب والمعيد اي
لشي من الكمالات السابع انه تعالى له الوحدانية التي ليس فيها شبيه اي في صفاته ولا مثيل
اي في نوع ولا نسب اي كالقرابة الثامن انه تعالى له الفردانية التي لا يصح فيها شريك لا في الملك
بكسر الميم ولا في الملك بضمها ولا في التدبير ولا في التاثير التاسع انه تعالى له الكبريا المنافية
لفوت كمال او كمالي كمال العاشر انه تعالى له العزة المنافية لان يكون له ضد وهو المفسد لما
يفعله او ند وهو الموجد لمثل ما يوجده وتنزيل هذه العشرة على السورة واضح لمن تامل الكلام وتدبر
وابتدا سبحانه السورة بالضمير قبل الظاهر بعد التصريح بالنصر والفتح وخسارة اهل الكفر
بخسارة ابي لهب الذي هو اعلاهم واعزهم اشارة الى ان من صح باطنه باسم الله نصر وفتح له كما يشير
اليه تعقيب الامر في آخر سورة البقرة بالرغبة اليه سبحانه في النصر على الكافرين بقوله الله لا اله الا هو
الحي القيوم فان ترجمة اول هذه السورة التالية للنصر والكافرون سوا بالضمير والاسم الاعظم
والتوحيد الاعظم المقرون بدليله وهو القيومية • وقد بين آخر السورة الذي هو نتيجتها ورد
مقطعها على مطلعها انه احد حاضر في كل ذهن لا يغيب اصلا ولا احد يكافيه او يشابهه لانه لم يتولد
عنه شي ولا تولد هو عن شي لانه صمد لا جوف له مطلقا لا في ذاته بالفعل ولا بحيث يجوزه الوهم
لانه احد محيط بكل شي لانه الله الذي هو جامع لصفات الكمال وهو غيب محض لانه لا يقوى
غيره على معرفته الا باللوازم من الصفات المعقولة تقريبا والافعال المشاهدة آثارها وهو
هو الذي هو مع كونه غيب الغيب مستحضر في كل لب لا يغيب عن احد بما له من الآثار التي ملأت
الاقطار ولذلك استحق التسمية ولم يستحقها غيره لحضوره لكل قلب وغيبة غيره بكل اعتبار لانه
ليس للغير من ذاته الا الغيبة بالعدم واما هو فهو الواجب وجوده وهو الذي اوجد غيره وركز
في كل فطرة ذكره لما له سبحانه من الكمال ولغيره من شدة الحاجة اليه والاختلال فكان سبوحا
قدوسا جامعا بين الوصفين لانه ممدح بالفضايل والمحاسن فالتقديس مضمر في صريح التسبيح
والتسبيح مضمر في صريح التقديس • وقد جمع تعالى بينهما في هذه السورة بالاسما التي جلاها اولها

فهو

فهو صريح التقديس ومن ثم الى آخرها صريح التسبيح والامران راجعان الى افراده وتوحيده
ونفي التشريك والتشبيه عنه وذلك هو الجمع بين الاثبات والنفي على نهج ما وقع في كلمة الاخلاص
ليعلم ان الاثبات لا يكمل الا بصيانته عن كل ما يتضمن محالفته لكن كلمة الاخلاص تركيب من نفي ثم اثبات
وسورة الاخلاص من اثبات ثم نفي فاولها اثبات واخرها نفي وآخر الاثبات الصمد وهو جامع
بين الامرين فانه جمع كل صفة لا يتم الخلق الا بها لان احد مدلوليه في اللغة السيد الذي يرجع اليه
فاقتضى ذلك اثبات جميع صفات الكمال التي بها يتم اتساق الافعال ونفي كل صفة ينزه عنها لان ثاني مدلوليه	صفات
في اللغة الذي لا جوف له وذلك يتضمن نفي النهاية ونفي الحد والجهة والجسم والجوهر لان من اتصف
بشي من ذلك لم يستحل اتصافه بالتركيب ووجود الجوف فقررت هذه الكلمة وجوب المعرفة بالنفي
والاثبات ليميز بين الحق والباطل من لم يتحقق صفة الباطل لم تتقرر له المعرفة بالحق ولذلك كان
الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن الحق لصحة الاعتقاد والمعرفة
وعن الباطل والشر للتمكن من مجانبته حتى قال حذيفة رضي الله عنه كان الناس يسألون النبي
صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت اسأله عن الشر وذلك لان من لم يعرف الشر يوشك ان يقع
فيه • ولما خالفت كلمة الشهادة في الترتيب لان تلك اتت للادخال في الدين والاليق بمن
كان خارجا او ضعيفا فيه وهو الاكثر نفي الباطل اولا ومحوه من لوح القلب ليأتي اثبات الحق
فيه وهو فارغ فيتقرر فيه • فلما نفت اولا كل غير كان سببا للنجاسة والبعد عن حضرات القدس
ثم اثبتت الذات الاقدس والمسمى الاشرف الانفس اكدت سورة الاخلاص لانها للكمل الذين تحققوا
بما قبلها من السور هذا الاثبات عند استحضاره وشهود الجميل من آثاره ثم ختمت بنفي الاغيار
ليكون بذلك تحلي ختام الاعمار عند الرجوع الى الاثار بالعرض على الواحد القهار • وقد تبين
بهذه السورة انه طوبق بين الخلق والامر فلما فتح الخلق بمتشابه خلق آدم عليه السلام لان المتشابه
ما خرج عن اشكاله وختمت اقسامه الاربعة بمتشابه خلق عيسى عليه السلام كما تقدم عند ان الله
اصطفى في آل عمران المناظرة لهذه كذلك فتح الامر بعد ام الكتاب بمتشابه الحروف المقطعة وختم
دون المعوذتين اللتين هما في الحال المرتحل كالمقدمة والافتتاح بالتعوذ لام الكتاب بمتشابه
اوله متشابها من جميع وجوهه لا يمكن احدا ان يقول فيه قولا مقطوعا به او مظنونا ظنا راجحا ومتشابه
آخره لا يقنع فيه بدون القطع في اوله فيما كلفنا امره في هذه الدار وهو اصول الدين ووراء ذلك ما
لا يدركه احد من الابرار ولا المقربين وهو الذات الاقدس فمن رفع متشابه الخلق فوق منزلته كفر
ومن وضع متشابه الامر عن رتبته العلية الاكبر وجعل آخره اجلى من اوله من بعض الوجوه اشارة
الى ترقية الموفق في امره وانه في الآخرة يكون اجلى انكشافا واوضح معرفة وتلاه بالتعوذ اشارة
الى سؤال الاعتصام في شانه والحفظ التام في مضمار عرفانه وكرر بالتثنية لاجل الاحاطة بامري
الظاهر والباطن وللتاكيد تنبيها على صعوبة المرام وخطر المقام • ولما افتتح القرآن بسورة
مشتملة على جميع معانيه ختم بسورتين يدخل معناهما وهو التعوذ ويندب ذكره في جميع اجزايه ومبانيه
وفي ذلك لطيفة اخرى عظيمة جدا وهي انه لما علم بالاخلاص تمام العلم وظهور الدين على هذا الوجه
الاعظم فحصل بذلك غاية السرور وكان التمام في هذه الدار موذنا بالنقصان جات المعوذتان
لدفع شر ذلك • وقد انقضى الكلام على ما يسره الله من كنوز معاني سورة الاخلاص بحسب التركيب
والنظم والترتيب وبقي الكلام على ما فتح الله به من اسرارها في الدلالة على مقصود السورة بالنظر
الى كلماتها مفردة ظواهر وضماير ثم حروفها ففيها من الاسما الحسنى والصفات العلى التي اسس عليها

بنيانها وابتنت عليها اركانها خمسة هي العشر من كلمات اية الكرسي كما ان الصلوات المكتوبات خمس وهي
خمسون في اجر الكتاب الحسنة بعشر امثالها فمن لطايف اشاراتها انها كدعايم الدين الخمس فالضمير
مشير الي تصحيح ضمير القلب بالايمان وصحة القصد والاذعان حتي تقوم بنا العبادة والاسم
الاعظم اشارة الي ان ذلك التصحيح لاجل التاله بالخضوع للاله الحق باستحضار اسمه الاعظم كما ان
الصلاة اعظم عبادات البدن هذا للتهيئة للدخول في العبادة ثم ان الدخول فيها شرطه
احدية التوجه تحقيقا للصدق في صحة العزم عليها كما ان الزكاة تكون مصدقة للايمان وذلك التوحيد
في التوحيد يكون لاجل الصدق في التاله بما يشير اليه اعادة الاسم الاعظم كما هو شان الحاج
الاشعث الاغبر المتجرد ويكون ذلك التاله باستحضار افتقار العابد الي المعبود وتداعيه الي
الهلاك بكل اعتبار لانه اجوف وغني المعبود علي الاطلاق بما يشير اليه الاسم الاضافي في الصمد
كما هو شان الصايم في عبادته واستحضاره لحقارته وشدة حاجته ولجلالة مولاه وتعاليه
في غناه فمن صحت له هذه الدعايم الخمس كانت عبادته في الذروة العليا من القبول والا كان
لها اسم الحصول من غير كبير محصول والله الموفق وكونها خمس عشر كلمة اشارة الي انهم في
السنة الخامسة عشرة من النبوة يعلمون بغلبة قهره وسطوة سلطانه وتاييده للمستضعفين من حزبه
وتقويته لهم في وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة ان مرسله لا كفو له بعلم شهودي لا يقدر
احد علي تكذيبه ودفعه فيقوم به دليل الاخلاص ولات حين مناص واذا ضممت اليها الضمير الواجب
الاستتار في قل كانت ست عشرة اشارة الي انه في السنة السادسة عشرة من النبوة وهي
الثالثة من الهجرة في غزوة احد يكون الظاهر فيها اسمه تعالي الباطن فانه كان فيها من المصيبة ما
هو مذكور في السير تفصيله من قتل سبعين من الصحابة رضي الله عنهم من حمزة بن عبد المطلب رضي
الله عنه عم رسول الله صلي الله عليه وسلم اسد الله واسد رسوله صلي الله عليه وسلم وذلك بعد
ان ظهر فيها النبي صلي الله عليه وسلم في اول النهار ظهورا بينا حتي كانت هزيمة الكفار لا شك فيها
كما قال تعالي ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه الايات ثم اخفي الله ذلك في ادالة الكفار
في اثنا النهار فهزم الصحابة رضي الله عنهم حتي لم يبق مع النبي صلي الله عليه وسلم منهم الا نفر يسير جدا
اكثر ما ورد في عددهم انهم يقاربون الاربعين وهو ثابت بهم صلي الله عليه وسلم في نحر العدو وهم نحو
من ثلثة الاف فيهم ماتيا فارس يحاولهم ويصاولهم يشملون عليه مرة ويفترقون عنه اخري ليعلم ان
الناصر انما هو الله وحده وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ما نصر النبي صلي الله عليه وسلم في موطن
من المواطن ما نصر في غزوة احد وقال ابو سفيان ابن حرب يوم اسلامه في عام الفتح للنبي صلي
الله عليه وسلم ما قاتلتك من مرة الا ظهرت علي فلقد اظن ان لو كان مع الله غيره لقد اغني شيا ولكن
الذي ظهر منها ما كان في آخر النهار من ظهور الكفار فاخفي الله تعالي نصره لنبيه صلي الله عليه
وسلم فيها باسمه الباطن الا علي ارباب البصاير فما علم ذلك الا بوجه خفي جدا مناسبة للضمير الباطن
الواجب الاستتار واذا ضممت الي ذلك الضميرين المستترين الجايزي الظهور فكانت الكلمات بذلك
ثماني عشرة كانت اشارة الي ان في السنة الثامنة عشرة من النبوة وهي الخامسة من الهجرة دلالة
عظيمة علي انه لا كفو له موجب الاخلاص علي وجه هو اجلي مما كان في غزوة احد وان كان فيه نوع خفا
وذلك في غزوة الاحزاب وبني قريظة حين رد الله الكفار بغيظهم لم ينالوا خيرا بعد ان كانوا في
عشرة الاف مقاتل غير بني قريظة يقولون انهم لا غالب لهم وكفي الله المومنين القتال بريح وجنود لم
يروها وامكن من بني قريظة وكان الله قويا عزيزا وذلك في شوال وذي القعدة سنة خمس

من

من الهجرة فاذا ضممت اليها الضمير الآخر البارز بالفعل في له فكانت تسع عشرة كانت اشارة الي مثل ذلك
علي وجه اجلي في عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فانه كان فيها الفتح السببي الذي انزل
الله فيه سورة الفتح وكان فيها من دلايل الوحدانية امور كثيرة توجب الاخلاص وان كان في ذلك نوع
خفا مناسبة للضمير وان كان بارزا بالفعل فقد خفي علي كثير من الصحابة رضي الله عنهم حتي بينهم النبي
صلي الله عليه وسلم فاذا ضممت اليها كلمات البسملة الاربع كانت ثلثا وعشرين تواي السنة العاشرة
من الهجرة وهي الثالثة والعشرون من النبوة وفيها كان استقرار الفتح الاكبر والاخلاص الاعظم بنفي
الشرك واهله من جزيرة العرب بحجة الوداع التي قال النبي صلي الله عليه وسلم فيها ان الشيطان قد
آيس ان يعبد في ارض العرب وكذلك توفي الله نبيه صلي الله عليه وسلم عقبها بعد اظهار الدين واذلال
الكافرين واتمام النعمة واقام سبحانه بنصر الامة وحده بعد ان مهد اسباب النصر بنبيه صلي الله
عليه وسلم حتي علم قطعا في الردة واحوالها وموج الفتنة واهوالها وغلبة رعبها علي القلوب وزلزالها
في ذلك الاضطراب الشديد انه الاله وحده الذي لا كفو له لحفظ الدين في حياة نبيه صلي الله عليه
وسلم وكذا فيما بعد ذلك من فتوح البلاد واذلال الملوك العتاة الشداد مع ما لهم من الكثرة
والقوة بالاموال والاجناد والتمكن العظيم في البلاد وجعل النصر عليهم باهل الضعف والقلة
اية في اية ودلالة بالغة في ظهورها الغاية واذا سلكت طريقا آخر من الترتيب في الكلمات
الخطية والاصطلاحية دل ذلك علي مثل ذلك بطريق آخر وذلك ان تضم الي الكلمات الخمس عشرة
كلمات البسملة الاربع لتكون تسع عشرة فتوازي سنة ست من الهجرة وذلك سنة عمرة الحديبية
التي سماها الله فتحا وانزل فيها سورة الفتح لكونها كانت سبب الفتح الذي هو عمود الاخلاص
فاذا ضممت اليها الضمير المستتر كانت عشرين فوازت سنة سبع التي كانت فيها عمرة القضا فاظهر
الله فيها الاخلاص علي يدي عبده ورسوله صلي الله عليه وسلم بين اظهر المشركين في البلد الذي
كان بعثه منه وفيه علي وجه ظهر فيه انه لا كفو له ولكن كان ذلك بوجه خفي فاذا ضممت اليها
الضميرين المستترين الجايزي البروز كانت اثنتين وعشرين موازية لسنة تسع سنة الوفود ودخول
الناس في الدين افواجا وحجة ابي بكر رضي الله عنه وتطهير المسجد من نجس الاشراك بالبراءة من
المشركين وزجرهم عن ان يحج بعد ذلك العام مشرك ونهيهم عن قربانهم المسجد الحرام لانهم نجس
وانتشار الاخلاص في اغلب بلاد العرب وذلك اجلي مما مضي مناسبة لما دل عليه وفيه نوع
خفا عند من كان بقي من المشركين واذا ضممت اليها الضمير الآخر البارز بالفعل كانت ثلاثا وعشرين
توازي حجة الوداع سنة عشر وهي التي تم فيها الاخلاص ولم يحج بها مشرك وايس الشيطان
فيها ان يعبد في جزيرة العرب وفي ذلك لكون الكلمة ضميرا نوع يسير من الخفا بما دل عليه بعد
ذلك من الردة وكان ذلك انسب الاشيا بالحكمة المتحملة لذلك الضمير وهي له هذا ما يسره الله
من اسرار كلماتها بحسب الاعداد واما حروفها فمن الاسرار العظيمة انها صفة الله وان حروفها
مع البسملة بالنظر اليها من حيث اللفظ وكذا من حيث الرسم ستة وستون حرفا وكذا عدد حروف
الجلالة الملفوظة وكذا المرسومة بحساب الجمل فكلما دعت اليه فهو مدلول هذا الاسم الاعظم
وهذه العدة اذا اخذت من اول مولد النبي صلي الله عليه وسلم كان آخرها منطبقا علي سنة موت
صديقه الاكبر الذي سبق غيره بما وقر في صدره وهو ابو بكر رضي الله عنه وذلك دلالة علي انه لا يوازيهما
احد في الاخلاص وانهما وصلا فيه الي الرتبة العليا وان كان النبي صلي الله عليه وسلم اعلي الخلق
فيه وفي ذلك ايضا دلالة علي انه تعالي لا كفو له لانه نفي الاشراك بحذافيره من جميع جزيرة العرب

بعد ان كانوا مطبقين عليه واطلقهم سبحانه علي من يليهم من ملوك الامم حتي اظهر الله بهم الدين وقد
كانوا اذل الامم علي الدين كله ونفوا جبابرة الملوك صغرة بعد ان كان عندهم انه لا غالب لهم وحروفها وظهر وامي
الملفوظة بعدد كلمات اية التوحيد وهي اية الكرسي اعظم اية في القران وذلك خمسون حرفا
الا واحدا هو الف كفوا الذي هو مرسوم غير ملفوظ وهو الدال علي الضمير الذي هو غيب الغيب
فهو غيب من جهة عدم التلفظ به ووجود وظهور من جهة شاهد الرسم ومسموع الاسم كما ان الذات
غيب محض من جهة الحقيقة يدرك بمشاهدة الافعال ومسموع الاسما الحسنى والله الهادي

مقصودها الاعتصام من شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر والباطن واسمها ظاهر الدلالة علي ذلك
بسم الله الذي له جميع الحول الرحمن الذي اسبغ كمال الطول الرحيم الذي اتمه علي اهل وداده جميع
النول بالسلام من علي القول لما افتتح سبحانه الذكر الحكيم بالهداية في قوله اهدنا الصراط
المستقيم وبالهداية والتقوي التي هي شعار الثابت في قوله هدى للمتقين وذلك اول منازل
السايرين وختم بتقرير امر التوحيد علي وجه لا يتصور ان يكون اكمل منه وتقرير الاخلاص فيه كما
يشعر به الامر بقل وذلك هو نهاية المقامات عند العارفين فتم بذلك الدين وانتهي سير السالكين
وختم الاخلاص المقررة لذلك بانه لا كفو له فتوفرت الدواعي علي الانقطاع اليه والعكوف عليه
والقت عصاها واطمانت بها النوي كما قر عينا بالاياب المسافر امر بالتعوذ برب هذا
الدين موافقة لاياك نعبد واياك نستعين من شر ما يقدح فيه بضرر في الظاهر او في الباطن
وهم الخلايق حتا علي الغنا في الغنا وبدا بما يعم شياطين الانس والجن في الظاهر والباطن ثم اتبع
بما يعم القبيلين ويخص الباطن الذي يستلزم صلاحه صلاح الظاهر اعلاما بشرف الباطن علي وجه
لا يخل بالظاهر وفي ذلك اشارة الي الحث علي معاودة القراة من اول القران كما يشير اليه
قوله تعالي فاذا قرات القران اي اردت قراته فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فقال قل اي لكل
من بلغه القول من جميع الخلايق تعليما لهم وامرا فانهم كلهم مربوبون مقهورون لا نجاة لهم من
شي من الضرر الا بعصمته سبحانه فعلي كل منهم ان يفزع اول ما تصيبه المصيبة الي مولاه القادر
علي كشفها تصحيحا لتوكله فانه يرتقي بذلك الي حال الرضا بمر القضا ولا ياخذ في الاعتماد علي جلادته
وتدبيره بحوله وقوته فانه يشتد اسفه ولا يرد ذلك عنه شيا اعوذ اي استجير والتجي واعتصم
واحترز ولما كان هذا المعني اليق شي بصفة الربوبية لان الاعاذة من المضار اعظم تربية
قال برب الفلق اي الذي يربيه وينشي منه ما يريد وهو الشي المفلوق بايجاده ظلمة العدم
كالعيون التي فلقت بها ظلمة الارض والجبال وكالامطار التي فلقت بها ظلمة الجو والسحاب وكالنبات
الذي فلقت به ظلمة الصعيد وكالاولاد الذي فلقت بها ظلمة الاحشا وكالصبح الذي فلقت به ظلمة
الليل وما كان فيه من الوحشة الي ما حصل بذلك النور من الطمانينة والسكون والانس والسرور
الي غير ذلك من ساير المخلوقات قال الملوي والفلق بالسكون والحركة كل شي انشق عنه ظلمة العدم
واوجد من الكاينات جميعا انتهي وخص في العرف بالصبح فقيل فلق الصبح ومنه قوله تعالي فالق
الاصباح لانه ظاهر في تغير الحال ومحاكاة يوم القيمة الذي هو اعظم فلق يشق ظلمة الغنا والهلاك
بالبعث والاحيا فان القادر علي ما قبله بما شاهد قادر عليه لانه لا فرق بل البعث اهون في عوايد
الناس لانه اعادة وكذا ساير الممكنات ومن قدر علي ذلك قدر علي اعادة المستعيد من كل ما يخشاه

ولما

ولما كانت الاشيا قسمين عالم الخلق وعالم الامر وكان عالم الامر خيرا كله فكان الشر منحصرا
في عالم الخلق خصه بالاستعاذة فقال معمما فيها من شر ما خلق اي من كل سوي الله وصفاته
والشر تارة يكون احتياريا من العاقل الداخل تحت مدلول ما وغيره من ساير الحيوان كالكفر
والظلم ونهش السباع ولدغ دوات السموم وتارة طبيعيا كاحراق النار واهلاك السموم وقال
الامام ابو جعفر بن الزبير قد اشير اي في الكلام علي ارتباط الاخلاص اي ارتباطها انفا وذلك واضح
ان شا الله انتهي ولما كان عطف الخاص علي العام تعرف بان ذلك الخاص اولي افراد العام
بما ذكر له من الحكم وكان شر الاشيا الظلام فانه اصل كل فساد وكانت شرارته مع ذلك وشرارة
السحر والحسد خفية خصها بالذكر من بين ما عمه الخلق لان الخفي ياتي من حيث لا يحتسب الانسان
فيكون اضر ولذا قيل شر العداة المداجي وكانت مادة غسق تدور علي الظلام والانصباب
فالغسق محركا ظلمة اول الليل وغسقت العين اظلمت او دمعت واللبن انصب من الضرع والليل
اشتدت ظلمته والغسقان محركة الانصاب والغاسق القمر وكانه سمي به لسرعة سيره وانصبابه
في البروج ولانه ليس له من نفسه الا الاظلام والثريا اذا سقطت قال في القاموس لكثرة الطواعين
والاسقام عند سقوطها والذكر اذا قام كما قاله جماعة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو
سبب للجهل الذي هو ظلام كله فقال تعالي ومن شر غاسق اي مظلم بارد منصب ظلامه وبرده
سوا كان اصليا في الظلام حسيا او معنويا او كان حاملا عليه مثل الذكر اذا قام لما يجر اليه من
الوساوس الرديه لغلبة الشهوة واستحكام سلطان الهوي ومثل القمر لما يحدث منه من الرطوبات
المفسدة للابدان وغير ذلك انصبابا له غاية القوة كانصباب ما يفيض عن امتلا في انحدار ونكره
اشارة الي انه ليس كل غاسق مذموما ولما كان الشي الذي اتصف بالظلام يكثف فيشتد
انصبابه واخذه في السفول الي ان يستقر ويستحكم فيما صوب اليه مجتمعا جدا كاجتماع الشي في الوقبة
وهي النقرة في الصخرة وكان الظلام لا يشتد اذاه الا اذا استقر وثبت قال معبرا باداة التحقق
اذا وقب اي اعتكر ظلامه ودخل في الاشيا بغاية القوة كدخول الثقيل الكثيف المنصب في النقرة
التي تكون كالبير في الصخرة الصما الملسا وهذا اشارة الي انه يسهل علاجه وزواله قبل تمكنه
وفي الحديث لما راي الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب وفيه عند ابي يعلي انه
قال لعايشة رضي الله عنها عن القمر تعوذي بالله من شر هذا الغاسق اذا وقب واكثر الاقوال انه
الليل خص بالاستعاذة لان المضار فيه تكثر ويعسر دفعها واصل الغسق الظلام ويلزم منه
الامتلا وقيل ان الامتلا هو الاصل واصل الوقوب الدخول في وقب او ما هو كالوقبة وهي
النقرة ولما كان السحر اعظم ما يكون من ظلام الشر المستحكم في العروق الداخل في وقوبها
لما فيه من تفريق المر من زوجه وابيه وابنه ونحو ذلك وما فيه من ضني الاجسام وقتل النفوس
عقب ذلك بقوله ومن شر ولما كان كل ساحر شريرا بخلاف الغاسق والحاسد وكان
السحر اضر من الغسق والحسد من جهة انه شر كله ومن جهة انه اخفي من غيره وكان ما هو منه من
النسا اعظم لان مبني صحته وقوة تاثيره قلة العقل والدين وردآة الطبع وضعف اليقين وسرعة
الاستحالة وهن اعرق في كل من هذه الصفات وارسخ وكان ما وجد منه من جمع وعلي وجه
المبالغة اعظم من غيره عرف وبالغ وجمع وانث ليدخل فيه ما دونه من باب الاولي فقال
النفاثات اي النفوس الساحرة سوا كانت نفوس الرجال او نفوس النسا اي التي تبالغ في النفث
وهو التفل وهو النفخ مع بعض الريق هكذا في الكشاف وقال صاحب القاموس وهو كالنفخ

واقل من الثقل وقال تفل بصق وفي التفسير عن الزجاج انه التفل بلا ريق **في العقد** اي التي
تعقدها للسحر في الخيوط وما اشبهها **وسبب نزول ذلك** ان يهوديا سحر النبي صلى
الله عليه وسلم فمرض كما ياتي تخريجه فان السحر يوثر باذن الله المرض ويصل الى ان يقتل فاذا اقر
الساحر انه قتل بسحره وهو مما يقتل غالبا قتل بذلك عند الشافعي ولا ينافي في قوله تعالى والله
يعصمك من الناس كما مضى بيانه في المائدة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في وصفه صلى الله عليه
وسلم بانه مسحور فانهم ما ارادوا الا الجنون او ما يشبهه من فساد العقل واختلاله او المبالغة
في ان كل ما يقوله لا حقيقة له كما ان ما ينشا عن المسحور يكون مختلطا لا تعرف حقيقته **ولما**
كان اعظم حامل على السحر وغيره من اذى الناس الحسد وهو تمني زوال نعمة المحسود قال
ومن شر حاسد اي ثابت الاتصاف بالحسد معرق فيه ونكره لانه ليس كل حاسد مذموما
واعظم الحسدة الشيطان الذي ليس له دأب الا السعي في ازالة نعم العبادات عن الانسان
بالغفلات **ولما كان** الضار من الحسد انما هو ما اظهر وعمل بمقتضاه بالاصابة بالعين
او غيرها قال مقيدا **اذا حسد** اذا حصل بالفعل بعينه الحاسد واما اذا لم يظهر فانه لا يتاذى
به الا الحاسد لاغتمامه بنعمة غيره وفي اشعار الاية الدعا بما يحسد عليه من نعم الدارين
لان خير الناس من عاش محسودا ومات محسودا ومن لم يليق بالا للدعا بذلك ويهتم بتحصيل
ما يحسد عليه ضحك منه ابليس اذ تلا هذه الاية لكونه ليس له فضيلة يحسد عليها ولعله عبر
باداة التحقق اشعارا بان من كان ثابت الحسد متمكنا في الاتصاف به بما اشعر به التعبير بالوصف
تحقق منه اظهاره ولم يقدر على مدافعته في الاغلب الا من عصم الله **وقد** علم بكون الحسد
علة الحسد الموقع في القتل الذي هو اعظم المعاصي بعد الشرك وفي الشرك لانه لا يصح غاية
الصحة الا مع الشركات الحسد شر ما انغلق عنه ظلام العدم والشاهد لذلك غلبته على الامم
السالفة وتحذير الامة التي هي خير امة اخرجت للناس منه بشهادة هاديها صلى الله عليه وسلم
اخرج الامام احمد وابو داود الطيالسي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضا الا والبغضا هي الحالقة لا اقول انها
تحلق الشعر ولكن تحلق الدين **وفي الباب** عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم واعظم اسباب
الحالقة او كلها الحسد فعلم بها رجوع آخر السورة على اولها وانعطاف مفصلها على موصلها **ومن**
أعيذ من هذه المذكورات انغلق سما قلبه عن شمس المعرفة بعد ظلام ليل الجهل فاشرقت ارجاؤه بانوار
الحكم الى ان يضيق الوصف له عن بدايع الكشف هنالك ترى ما يملا العين قرة ويسلي عن الاوطان
كل غريب فينقطع التعلق عما سوى الله بمحض الاتباع وللبعد عن الابتداع بمقتضى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله **وقد** بطل بالامر بالاستعاذة قول الجبرية انا كالالة
لا فعل لنا اصلا وانما نحن كالحجر لا يتحرك الا بمحرك لانه لو كان هو المحرك لنا بغير اختيار لم يكن
للامر فايدة وقول القدرية انا نخلق افعالنا وقول الفلاسفة اذا وجد السبب والمسبب حصل
التاثير من غير احتياج الى ربط الهي كالنار والحطب لانه لو كان ذلك لكانت هذه الافعال المسببات
اذا وجدت من فاعليها الذين هم الاسباب او الافعال التي هي الاسباب والمسببات التي هي الابدان
المراد تاثيرها اثرت ولم تنفع الاستعاذة والمشاهد خلافه وثبت قول الاشاعرة اهل السنة
والجماعة انه اذا وجد السبب والمسبب توقف وجود الاثر على ايجاد الله تعالى فان انفذ السبب
وجد الاثر وان لم ينفذه لم يوجد والسورتان معلمتان بان البلايا كثيرة وهو قادر على

دفعها فهما حاملتان على الخوف والرجا وذلك هو لباب العبودية **وسبب** نزول المعوذتين
على ما نقل الواحدي عن المفسرين والبغوي عن ابن عباس وعايشة رضي الله عنهم ان غلاما
من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ
مشاطة راس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه
فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم اليهودي فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتثر
شعر راسه ويرى انه ياتي النسا ولا ياتيهن يذرب ولا يدري ما عراه فبينا هو نايم ذات
يوم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي
عند راسه ما بال الرجل قال طب قال وما طب قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن
اعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطه قال واين هو قال في جف طلعه ذكر تحت
راعوفه في بير ذروان بير في بني زريق والجف قشر الطلع والراعوفة حجر في اسفل البير
يقوم عليه الماتح فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا عايشه ما شعرت ان الله اخبرني بدائي
ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فنزحوا البير كانه نقاعة الحنا ثم
رفعوا الصخرة واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة راسه واسنان مشطه واذا وتر معقد فيه
احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فانزل الله سورتي المعوذتين وهما احدى عشرة اية
الفلق خمس والناس ست فجعل كلما قرا اية انحلت عقده ووجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة فقام كانما انشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام
بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك ومن حاسد وعين والله يشفيك فقالوا يا رسول الله افلا
ناخذ فنقتله فقال اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس شرا **وفي رواية** انه صلى الله
عليه وسلم اتى البير بنفسه ثم رجع الى عايشه رضي الله عنها فقال والله لكان ماها نقاعة الحنا
ولكان نخلها رؤس الشياطين قالت فقلت له يا رسول الله هلا اخرجته قال اما انا فقد شفاني
الله وكرهت ان اثير على الناس منه شرا وجمع بانه اتاها صلى الله عليه وسلم بنفسه الشريفة
فلم يخرجه ثم انه وجد بعض الالم فارسل اليه فاخرجه فزال الالم كله **وروى** البخاري ومسلم
عن عايشة رضي الله عنها قالت سحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشي وما
فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعا ثم قال اشعرت يا عايشه ان الله قد
افتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك يا رسول الله قال اتاني ملكان فذكره **وروى**
النسائي في المحاربة من سننه وابو بكر ابن ابي شيبة واحمد بن منيع وعبد بن حميد وابو يعلى الموصلي
في مسانيدهم والبغوي في تفسيره كلهم عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال كان رجل يدخل على النبي
صلى الله عليه وسلم فاخذ له فسحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما فاتاه
جبريل عليه السلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا في بير كذا وكذا او قال فطرحه
في بير رجل من الانصار فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرجوها فجي بها فحلها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعل كلما حل عقده وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانما انشط من عقال فما ذكر ذلك لذلك اليهودي ولا راه في وجهه قط **وفي رواية** فاتاه
ملكان يعودانه فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال احدهما اتدري ما وجعه
قال كان الذي يدخل عليه والقاه في بير فارسل اليه رجلا وفي رواية عليا فاخذ العقد فوجد
الما قد اصفر قال فاخذ العقد فحلها فبرا فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه

وسلم فلم يذكر له شيا ولم يعاتبه فيه **وهذا** الفضل بمنفعة المعوذتين كما منح الله تعالى به
رسوله صلى الله عليه وسلم فكذا تفضل به على ساير امته **روى** ابو داود والترمذي وقال حسن
صحيح والنسائي مسندا ومرسلا قال النووي بالاسانيد الصحيحة عن عبد الله بن حبيب رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا قل هو الله احد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح
ثلث مرات تكفيك كل شي والاحاديث في فضايل هذه السور الثلاث كثير جدا وجعل التعويذ في سورتين
اشارة الى استحباب تكريره وجعلتا احدى عشرة اية ندبا الى تكثيره في تكريره وقدمت الفلق التي
هي خمس ايات مع ما مضى من المناسبات لان اقترانها بسورة التوحيد انسب وشفعها بسورة الناس
التي هي ست ايات انسب ليكون الشفع بالشفع والابتدا بالوتر بعد سورة الوتر وحاصل
هذه السورة العظمى في معناها الابدع الاسمى الاستعاذة بذكر اسم الرب المقتضي للاحسان
والتربية بجلب النعم ودفع النقم من شر ما خلق ومن السحر والحسد كما كان اكثر البقرة المناظرة
لها في رد المقطع على المطلع بكونها من الاول كما ان هذه ثانية من الاخر في ذكر اعدا النبي صلى
الله عليه وسلم الحاسدين له على ما اوتي من النعم وفي تذكيرهم بما منحهم من النعم التي كفروها
واكثر ذلك في بني اسرايل الذين كانوا اشد الناس حسدا له صلى الله عليه وسلم وكان من اعظم
ما ضلوا به السحر المشار اليه بقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان حتى قال
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه الى ان قال ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من
بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم وكان السحر من اعظم ما اثر في النبي صلى الله عليه
وسلم من كيدهم حتى انزل الله فيه المعوذتين وكان الساحر له منهم **وقد** انقضى ما يسر الله من
الكلام على انتظام معانيها بحسب تركيب كلماتها وبقي الكلام على كلماتها من حيث العدد فيما تشير اليه
من البركات والمدد هي ثلث وعشرون كلمة اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم في الثالثة والعشرين
من النبوة يامن من اذى حاسديه وذلك بالوفاة عند تمام الدين وياس الحاسدين من كل شي من
الاذى في الدين والدنيا وخلاص النبي صلى الله عليه وسلم من كل كدر فاذا ضممت اليها الضماير
وهي خمسة كانت ثمانيا وعشرين وهي توازي سنة خمس عشرة من الهجرة وذلك عند استحكام امر عمر
رضي الله عنه في السنة الثانية من خلافته ببث العساكر وانفاذ الجيوش الى ملكي الفرس والروم
وتغلغل هيبته في قلوبهم وتضعضع الفرس بغلب العرب على رستم اكبر امرايهم والروم بغلبهم على ماهان
اعظم روسايهم فاضمحل امر المنافقين والحاسدين وايسوا من تاثير ادنى كيد من احد من الكايدين
فاذا ضم اليها اربع كلمات البسملة كانت اثنين وثلاثين اذا حسبت من اول النبوة وافقت السنة
التاسعة عشرة من الهجرة وفيها كان فتح قيسارية من بلاد الشام وبفتحها كان فتح جميع بلاد الشام
لم يبق بلد الا وهي في ايدي المسلمين فزالت عنها دولة الروم **وفيها** ايضا كان فتح جلولا
من بلاد فارس وكان فتحا عظيما هد اجنادهم وملوكهم ولذلك سمي فتح الفتوح وحصل حينيذ
اعظم الخزي للفرس والروم الذين هم احسد الحسدة لما كان لهم من العزة والقوة بالاموال
والرجال وان حسبت من الهجرة وافقت سنة انقراض ملك اعظم الحسدة الاكاسرة الذين شققوا
ملكهم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وارسل الى عامله باذان الذي كان استخلفه على بلاد اليمن
يامره ان يغزو النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بانه يقتله سبحانه
في ليلة سماها فلما اتت تلك الليلة اخبر النبي صلى الله عليه وسلم باذان بذلك فرجعوا الى باذان
فاخبروه فقال ان كان صادقا فسياتي الخبر في يوم كذا فاتى الخبر في ذلك اليوم بصدقه صلى الله عليه

وسلم فآمن باذان ومن معه من الابنا الذين كانوا في بلاد اليمن لم يتخلف منهم احد واوفد منهم
وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وتولوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم

مقصودها الاعتصام بالاله الحق من شر الخلق الباطن واسمها دال على ذلك لان الانسان
مطبوع على الشر واكثر شره بالمكر والخداع واحسن من هذا انها للاستعاذة من شر الباطن
المانوس به المستروح اليه فان الوسوسة لا تكون الا بما يشتهي والناس مشتق من الانس فان
اصله اناس وهو ايضا اضطراب الباطن المشير اليه الاشتقاق من النوس فطابق حينيذ الاسم
المسمى ومقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة وهي شاملة لجميع علوم
القران التي هي مصادقة الله ومعاداة الشيطان لبراعة الختام وفذلكة النظام كما ان الفاتحة
شاملة لذلك لانها براعة الاستهلال ورعاية الجلال والجمال فقد اتصل الاخر بالاول اتصال
العلة بالمعلول والدليل بالمدلول والمثل بالممثول والله المسول في تيسير السول وتحقيق المامول
بسم الله المحيط علما بكل باطن كاحاطته بكل ظاهر **الرحمن** الذي عمت نعمته كل باد وحاضر **الرحيم**
الذي خص اولياءه باتمام النعمة عليهم في جميع امورهم الاول منها والاثنا والاخر **لما**
جاءت سورة الفلق للاستعاذة من شر ما خلق من جميع المضار البدنية وغيرها العامة للانسان
وغيره وذلك هو جملة الشر الموجود في جميع الاكوان والازمان **ثم** وقع التخصيص لشرور
باعيانها من الغاسق والساحر والحاسد فكانت الاستعاذة فيها عامة للمصايب الخارجة التي ترجع
الى ظلم الغير والمعايب الداخلة التي ترجع الى ظلم النفس ولكنها في المصايب اظهر وختمت بالحسد
فعلم انه اضر المصايب **وكان** اصل ما بين الجن والانس من العداوة الحسد جاءت سورة الناس
متضمنة للاستعاذة من شر خاص وهو الوسواس وهو اخص من مطلق الحاسد ويرجع الى المعايب
الداخلة اللاحقة للنفوس البشرية التي اصلها كلها الوسوسة وهي سبب الذنوب والمعاصي
كلها وهي من الجن امكن واضر والشر كله يرجع الى المصايب والمعايب وقد تضمنت السورة
كالفلق استعاذة ومستعاذا منه وامرا بايجاد ذلك فالامر **قل** والاستعاذة **اعوذ** والمستعاذ
به هو الله لكن لما كانت صفة الربوبية من صفات كماله سبحانه اليق بالحماية والاعانة
والرعاية والخلق والتدبير والتربية والاصلاح المتضمن للقدرة التامة والرحمة الواسعة
والاحسان الشامل والعلم الكامل قال **برب الناس** اي اعتصم به اي اساله ان يكون عاصما
لي من العدو وان يوقعني في المهالك قال الملوي والرب من له ملك الرق وجلب الخيرات من السما
والارض وابقاوها ودفع الشرور ورفعها والنقل من النقص الى الكمال والتدبير العام العايد
بالحفظ والتتميم على المربوب وخص الاضافة بالمزلزلين المضطربين في الابدان والاديان من
الانس والجان لخصوص المستعاذ منه وهو الاضرار الذي يعرض للنفوس وتخصها بخلاف ما
في الفلق فانه المضار البدنية التي تعم الانسان وغيره **وقال** الامام ابو جعفر ابن الزبير
وجه تاخرها عن شقيقتها عموم الاولى وخصوص الثانية الا ترى عموم قوله من شر ما خلق
وابهام ما وتنكير غاسق وحاسد والعهد فيما استعيذ من شره في سورة الناس وتعريفه
ونعته فبدا بالعموم ثم اتبع بالخصوص ليكون ابلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه واوفى
بالمقصود ونظير هذا في تقديم المعنى الاعم ثم اتباعه بالاخص ليتناول الدقايق والجلايل

قوله سبحانه بسم الله الرحمن الرحيم ومعنى الرحمن واحد والرحيم واحد الا في عموم الصفة الاولى
وكونها في المبالغة وقد تعرض لبيان ذلك المفسرون ولذلك نظاير انتهى ولما كان الرب
والملك متقاربين في المفهوم وكان الرب اقرب في المفهوم الي اللطف والتربية وكان الملك
للقهر والاستيلا واظهار العدل الزم وكان الرب قد لا يكون ملكا فلا يكون كامل التصرف فاقتضت
البلاغة تقديم الاول واتباعه الثاني فقال ملك الناس اشارة الي ان له كمال التصرف ونفوذ
القدرة وتمام السلطان فاليه المفزع وهو المستعان والمستغاث والمجا والمعاذ ولما
كان الملك قد لا يكون الها وكانت الالهية خاصة لا تقبل شركة اصلا بخلاف غيرها انهى الامر
اليها وجعلت غاية البيان فقال اله الناس اشارة الي انه كما انفرد بربوبيتهم وملكهم لم يشركه
في ذلك احد فكذلك هو وحده الههم لا يشركه في الهيته احد وهذه دايما طريقة القران يحتج
عليهم باقرارهم بتوحيدهم له في الربوبية والملك على ما انكروه من توحيد الالهية والعبادة فمن
كان ربهم وملكهم فهم جديرون بان لا يتالهوا سواه ولا يستعبدوا بغيره كما ان احدهم اذا
دهمه امر استعاذ بوليه من ابنا جنسه واستغاث به والاله من ظهر بلطيف صنايعه التي افادها
مفهوم الرب والملك لقلوب العباد فاحبوه واستانسوا به والجاوا اليه في جميع امورهم وبطن
احتجابا بكبريايه عن ان يحاط به او بصفة من صفاته او شي من امره فهابه العباد ودعاهم
الحب الي الوله شوقا الي لقايه وزجرتهم الهيبة فجزعوا خوفا من طرده لهم عن فنايه وكرر الاسم
الظاهر دون ان يضمر فيقول مثلا ملكهم الههم تحقيقا لهذا المعنى وتقوية له باعادة اسمهم
الدال على شدة الاضطراب المقتضي للحاجة عند كل اسم من اسمايه الدال على الكمال المقتضي للغنى
المطلق ودلالة على انه حقيق بالاعادة قادر عليها لبيان انه المتصرف فيهم من وبيانا لشرف الانسان
ومزيد الاعتماد بمزيد البيان ولئلا يظن ان شيا من هذه الاسما يتقيد بما اضيف اليه الذي
قبله من ذلك الوجه لان الضمير اذا اعيد كان المراد به عين ما عاد اليه فاشير بالاظهار الي ان
كل صفة منها عامة غير مقيدة بشي اصلا واندرج في هذه الاستعاذة جميع وجوه الاستعاذات
من جميع وجوه التربية وجميع الوجوه المنسوبة الي المستعيذ من جهة انه في قهر الملك بالقهر
وجميع الوجوه المنسوبة الي الالهية لئلا يقع خلل في وجه من تلك الوجوه تنزيلا لاختلاف الصفا
منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الافة المستعاذ منها ولم يعطف بالواو لما فيها من الايذان
بالمغايرة والمقصود الاستعاذة لمجموع هذه الصفات الواقعة على ذات واحدة حتى كانها
صفة واحدة وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب على حد سوا فلا فعل لاحد الا وهو
خلقه سبحانه وهو الباعث عليه واخر الالهية لخصوصها لان من لم يتعبد باوامره ونواهيه
فقد اخرج نفسه من ان يجعله الهه وان كان في الحقيقة لا اله سواه ووسط صفة الملك
لان الملك هو المتصرف بالامر والنهي وملكه لهم تابع لخلقه اياهم فملكه من كمال ربوبيته وكونه
الههم الحق من كمال ملكه فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه وملكه يستلزم الهيته ويقتضيها
وقد اشتملت هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الايمان وتضمنت معاني اسمايه الحسنى فان
الرب هو القادر الخالق الي غير ذلك مما يتوقف الاصلاح والرحمة والقدرة الذي هو معنى الربوبية
عليه من اوصاف الجمال والملك هو الامر الناهي المعز المذل الي غير ذلك من الاسما العايدة
الي العظمة والجلال واما الاله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل فيه
جميع معاني الاسما الحسنى كان المستعيذ جديرا بان يعاذ وقد وقع ترتيبها على الوجه الاكمل الدال

فلتضمنها جميع معاني الاسما الحسنى

على الوحدانية لان من راي ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة علم ان له مربيا فاذا تغلغل في
العروج في درج معارفه سبحانه علم انه غني عن الكل والكل اليه محتاج وعن امره يجري امورهم
فيعلم انه مليكهم ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد ابداعهم انه المستحق للالهية بلا مشارك له فيها وقد
اجمع القرا في هذه السورة على اسقاط الالف من ملك بخلاف الفاتحة كما مضى لان المالك اذا اضيف
الي اليوم افهم اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض وانه لا امر لاحد معه ولا مشاركة في شي
من ذلك وهو معنى الملك بالضم واما اضافة المالك الي الناس فانها لا تستلزم ان يكون مليكهم فلو
قرئ به هنا لنقص المعنى واطبقوا في آل عمران على اثبات الالف في المضاف وحذفها من المضاف
اليه لان المقصود بالسياق انه سبحانه يعطي الملك من يشا ويمنعه من يشا والملك بكسر الميم
اليق بهذا المعنى واسرار كلام الله اعظم من ان تحيط بها العقول وانما غاية اولي العلم الاستدلال بما
ظهر منها على ما وراه وان باديه الي الخافي يشير ولما اكمل الاستعاذة من جميع وجوهها التي مدارها
الاحسان او العظمة او القهر او الاذعان والتذلل المستعاذ منه فقال من شر الوسواس هو اسم
بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة لانه صبغته التي
هو في غاية الضراوة عليها كما بولغ في العادل بتسميته بالعدل والوسوسة الكلام الخفي الق
المعاني الي القلب في خفا وتكرير كما ان الكلمة الدالة عليها وس مكررة واصلها صوت الحلي وحديث
النفس وهمس الكلاب ضوعف لفظه مناسبة لمعناه لان الموسوس يكرر ما ينفثه في القلب ويؤكده
في خفا ليقبل ومصدره بالكسر كالزلزال كما قال تعالى وزلزلوا زلزالا شديدا وكل مضاعف مثل
الزلزلة والرضرضة معنى متكرر والموسوس من الجن يجري من ابن ادم مجرى الدم كما في الصحيح
فهو يوسوس بالذنب سرا ليكون اخفى ولا يزال يزينه ويثير الشهوة الداعية اليه حتى يواقعه
الانسان فاذا واقعه وسوس لغيره ان فلانا فعل كذا حتى يفضحه بذلك فاذا افتضح ازداد جراة
على امثال ذلك لانه يقول قد وقع ما كنت احذره من القالة فلا يكون شي غير الذي كان وشره
التحبب الي الانسان بما يميل اليه طبعه حتى يشاكله في رذيلة الطبع وظلمة النفس فينشا من ذلك
شرور لازمة ومتعدية اضرها الكبر والاعجاب اللذان اهلكا الشيطان فيوقع الانسان بهما
فيما اوقع نفسه فيه وينشا عن الكبر الحقد والحسد ويترشح منه بطر الحق وهو عدم قبوله ومنه
الكفر والفسوق والعصيان وغمص الناس وهو احتقارهم المعلوم من قول الشيطان انا
خير منه ومنه تنشا الاستهانة باوليا الله بترك احترامهم ومنع حقوقهم والاعتدا عليهم والظلم
لهم ويترشح من الحقد الذي هو العداوة العظيمة امساك الخير والاحسان وبسط اللسان واليد
بكل سو وايذا ويترشح من الحسد افساد ذات البين كما يشير اليه ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الاية والكذب والمخادعة كما عرف به وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور ويترشح
عن الاعجاب السخط للقضا والقدر كما اذن به قال ااسجد لمن خلقت طينا ومقابلة للامر بالعلم
بما اشعر به لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال واستعمال القياس في مقابلة النص بما هدي
اليه انا خير منه الاية واستعمال التحسين والتقبيح بما احمه لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال
من حما مسنون والادلال وهو الجراة على المخالفات فينشا عن ذلك شرور متعدية وهي السعي
في افساد العقايد والاخلاق والاعمال والابدان والارزاق ثم لا يزال يتحبب الي الانسان بما
يميل اليه طبعه من هذه الخبايث وهو يوافقه فيها حتى تصير له اخلاقا راسخة فيصير ردي
الطبع فلا ينفع فيه العلاج بل لا يزيده الا خبثا كابليس ومن كان اصله طيبا واكتسب ما يخالفه

بسبب عارض كان ممكن الازالة بالعلاج كما وقع لآدم عليه السلام **ولما** كان الملك الاعظم
سبحانه لم ينزل دآءً الا انزل له دوآءً وكان قد جعل دوآء الوسوسة ذكره سبحانه فانه يطرد الشيطان
ويُنير القلب ويصفيه وصف سبحانه بفعل الموسوس عند استعمال الدوآء اعلاما بانه شديد العداوة
للانسان ليشتد حذره منه وبعده عنه فقال **الخناس** اي الذي عادته ان يخنس اي يتوارى ويتأخر
ويختفي بعد ظهوره مرة بعد مرة كلما كان الذكر خنس وكلما بطل عاد الى وسواسه فالذكر له كالمقامع
التي تقمع المفسد فهو شديد النفور منه ولهذا شيطان المؤمن هزيلا كما عن بعض السلف ان المؤمن
ينضي شيطانه كما ينضي الرجل بعيره في السفر قال البغوي له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان
ويقال راسه كراس الحية واضع راسه على يمين القلب يحدثه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكر رجع
ووضع راسه **ولما** ذكر صفة المستعاذ منه ذكر ابرازه لصفته بالفعل فقال **الذي يوسوس**
اي يلقي المعاني الضارة على وجه الخفآء والتكرير بحيث تصل مفاهيمها من غير سماع واشار الى كثرة
وسوسته بذكر الصدر الذي هو ساحة القلب ومسكنه فقال **في صدور الناس** اي المضطربين
اذا غفلوا عن ذكر ربهم فانها دهاليز القلوب منها تدخل الواردات اليها وذلك كالقوة الوهمية
فان العقل يساعد في المقدمات الحقة المنتجة للامر المقطوع به فاذا وصل الامر الى ذلك خنست الوا[همة]
ربما يعتري العقل عن النتيجة فترة ما فتاخذ الواهمة في الوسوسة وتقبل منها الطبيعة بما لها بها
من مجانسة الظلمة الجهلة والناس قال في القاموس يكون من الانس ومن الجن جمع انس اصله اناس
جمع عزيز ادخل عليه ال انتهى ولعل اطلاقه على هذين المتقابلين بالنظر الى النوس الذي اصله
الاضطراب والتذبذب فيكون منحوتا من الاصلين الانس والنوس ومن ثالثا وهو النسيان **ولما**
كان الذي يعلم الانسان الشر تارة من الجن واخرى من الانس قال مبينا للوسواس تحذيرا من
شياطين الانس كالتحذير من شياطين الجن مقدما الاهم الاضر ويجوز ان يكون بيانا للناس ولا
تعسف فيه لما علم من نقل القاموس **من الجنة** اي الجن الذين هم في غاية الشر والتمرد والخفا
والناس اي اهل الاضطراب والذبذبة سوآء كانوا من الجن او الانس فيكون المعنى ان الجن
سلط بعضهم على بعض كما هم مسلطون على الانس فيدخل شيطان الجن في الجني كما يدخل في الانسي ويوسوس
له قال البغوي عن الكلبي وقال ذكر عن بعض العرب انه قال جاء قوم من الجن فوقفوا فقيل من انتم
قالوا ناس من الجن قال وهذا معنى قول الفرا **وقد ختمت** السورة بما بديت به والمعنى
الثاني اوفق برد آخرها على اولها فانه يكون شرحا للناس الذين اضيفت اليهم الصفات العلى
والخواطر الواردة على الانسان قد تكون وسوسة وقد تكون الهاما والالهام تارة يكون من الله
بلا واسطة وتارة يكون بواسطة الملك ويكون كل منهما في القلب والوسوسة تارة من الشيطان
واخرى من النفس وكلاهما يكون في الصدر فان كان الانسان مراقبا دفع عن نفسه الضار والا
هجمت الواردات عليه وتمكنت منه ويتميز خير الخواطر من شرها بقانون الشرع على ان الامر مشكل
فان الشيطان يجتهد في التلبيس فان وافق الشرع فلينظر فان كان فعله ذلك الحين اولى من غير
تفويت لفضيلة اخرى هي اولى منه بادر اليه وان كان الخاطر دنيويا وادى الفكر الى انه نافع
من غير مخالفة للشرع زاد على شرطه تامله الاستشارة لمن يثق بدينه وعقله ثم الاستخارة لاحتمال
ان تتوافق عليه العقول ويكون فيه خلل للتقصير وقع في النظر وقد جعل بعضهم قانون الخاطر
الرحماني ان ينشرح له الصدر وتطمئن اليه النفس والشيطاني والنفسي ان ينقبض عنه الصدر
وتقلق النفس بشهادة الحديث النبوي في البر والاثم ويعرف الشيطاني بالحمل على مطلق المخالفة

فان

فان الشيطان لا غرض له في مخالفة بعينها فاذا حصل الذكر زال ذلك والنفساني يلزم شيء بعينه
سوآء كان نفعا او ضرا ولا ينصرف عنه بالذكر وقد يكون الشيطان انسيا من ازواج واولاد ومعارف
وربما كان اضر من شيطان الجن فدواؤه المقاطعة والمجانبة بحسب القدرة ومن اراد قانونا
عظيما لمن يصاحب ويجانب فعليه باية الكهف واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه الى قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان
امره فرطا وكما رجع مقطعها على مطلعها كذلك كان من المناسبات العظيمة مناسبة معناها
للفاتحة ليرجع مقطع القران على مطلعه ويلتحم مبداؤه بمرجعه على احسن وجه كما تقدم بيان ذلك
من سورة قريش الى هنا سورة سورة فنظر هذه السورة الى الفاتحة والتحامها بها من جهة
ان الفاتحة اشتملت على ثلاثة اسما الله والرب والملك وزادت لكونها ام القران بالرحمن الرحيم
لاشتمالها على جميع النعم الظاهرة والباطنة التي تضمنتها صفة الربوبية وسورة الناس على الرب
والملك والاله الذي هو الاصل في اسم الجلالة واختصت الفاتحة بالاسم الذي لم تقع فيه شركة
اصلا **فلما** تقرر في جميع القران انه الاله الحق وانه لا شركة لغيره في الالهية بحق بوجه من
الوجوه كما انه لا شركة في الاسم الاعظم الذي افتتح به القران اصلا بحق ولا بباطل ختم القران
الكريم به معبرا عنه بالاله لوضوح الامر وانتفا اللبس بالكلية وصار الاختتام بما كان به الافتتاح
على الوجه الاجلى والترتيب الاولى وبقي الاسمان الاخران على نظمهما فيصير النظم اذا الصوت
اخر الناس باول الفاتحة ملك رب الله رب رحمن رحيم ملك اعلاما بان مسمى الاسم الاعظم
هو الاله الحق وهو الملك الاعظم لان له الابداع وحسن التربية والرحمة العامة والخاصة
وحاصل سورة الناس الاستعاذة بهذا الرب الموصوف من وسوسة الصدر المثمرة
للمراقبة كما ان حاصل الفاتحة فراغ البشر من الشواغل المقتضي لقصر الهمم عليه سبحانه والبقا
في حضرته الشما بقصر البقا عليه والحكم بالفنا على ما سواه وذلك هو اعلى درجات المراقبة فاذا
اراد الحق اعانة عبد حمله على الاستعانة بالاستعاذة فيسر عليه صدق التوكل فحينئذ يصير
عابدا صادقا في العبودية فيكون الهه سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده
التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وينبغي انه كلما زاده سبحانه تقريبا ازداد له عبادة حتى
ينفك من مكر الشيطان بالموت كما قال تعالى لاقرب خلقه اليه صلى الله عليه وسلم واعبد
ربك حتى ياتيك اليقين ومن نقص من الاعمال شيا اعتمادا على انه وصل فقد تزندق وكان
مثله مثل شخص في بيت مظلم اسرج فيه سراجا فاضا فقال ما اوقدت السراج الا ليضيء
البيت فقد اضا فلا حاجة لي الان الى السراج فاطفا فعاد الظلام كما كان **وقد ندب**
النبي صلى الله عليه وسلم الى افتتاح القران العظيم بعد ختمه كما اشار اليه اتصال المعنى بما
بينته وسمي ذلك الحال المرتحل فكان القاري ذكر بالامر بالاستعاذة ارادة افتتاح قراءته فكانه
قيل استعذ يا من ختم القران العظيم ليفتتحه وكانه لما استعاذ بما امر به في هذه السورة
قيل له ثم ماذا تفعل فقال افتتح او انه لما امر بالاستعاذة قال ماذا افعل فقيل افتتح
بسم الله الرحمن الرحيم الذي تجب مراقبته عند خواتم الامور وفواتحها لانه لا يكون الامر
الا به اوان البسملة مقول القول في قل على سبيل البدل من اعوذ او بدل من برب الناس
وكان الامر بالتعوذ والتسمية امرا بالدفع والجلب وذلك لانه لا امر بهذا التعوذ وكان قد قال
سبحانه فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم علم ان المراد ابتداؤه بالقرانه

فنسبتها الي الفاتحة نسبة المعلول الي علته • فكانه قيل استعذ بهذا الرب الاعظم الذي لا ملك
ولا اله غيره لان له الحمد وهو الاحاطة بكل شي فهو القادر علي كل شي فهو القاهر لكل شي فبه المعاذ
وهو الملجا والمفزع لا اله الا هو فان الاسم هو الوصف والمراد به الجنس فمعني باسم الله اي بوصفه
او باوصافه الحسني والحمد هو الثنا بالوصف الجميل فكانه قيل اعوذ برب الناس باوصافه الحسني
لان له الحمد وهو جميع الاوصاف الحسني فان كان المبدا فيه يحتاج الي قدرة فله القدرة التامة
او الي علم فالعلم صفته او كرم فكذلك • والحاصل انه كانه قيل اعوذ به من الشيطان بما له من الاسم
الذي لم يسامه فيه احد لكونه جامعا لجميع الاسما الحسني اي الصفات التي لا يشوبها نقص خصوصا
صفتي الرحمة العامة التي شملتني اكنافها واتاني اسعافها ثم الرحمة الخاصة التي انا احدر الناس
باستمطارها لما عندي من النقص المانع لي منها والمبعد لمن اتبع الحظوظ عنها فاساله ان يجعلني من
اهلها ويحملني في الدارين لاكون من اهل رضاه فلا اعبد الا اياه • وكل ان تقرر الاتصال والالتحام
بوجه آخر ظاهر الكمال بديع النظام فنقول لما قرب التقا نهايتي الدايرة السورتيه آخرها باولها
ومفصلها بموصلها اشتد تشاكل الراسين فكانت هذه السور الثلاث الاخيرة مشاكله للثلاث الاولي
في المقاصد • وكثرة الفضايل والفوايد • الاخلاص لسورة التوحيد آل عمران وهو واضح والفلق
للبقرة طباقا ووفاقا فان الكتاب الذي هو مقصود سورة البقرة خير الامر فهي للعون بخير الامر
والفلق للعوذ من شر الخلق المحصل لكل خير وفي البقرة اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين يعلمون الناس
السحر الايات وود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم الاية
والناس للفاتحة فانه اذا فرغ الصدر الذي هو مسكن القلب الذي هو مركب الروح الذي هو
معدن العقل كانت المراقبة فكان ذلك بمنزلة تقديس بالتوحيد والاخلاص ثم الاستعاذة من النفس ع
كل شر ظاهر وسوء باطن للتاهل للتلاوة سورة المراقبة بما دعا اليه الحال المرتحل وما بعدها من الكتاب
علي غاية من السداد والصواب وكانه اكتفي اولا بالاستعاذة المعروفة كما يكتفي في اوايل الامور
باليسر مامور فلما ختم الختمة جوزي بتعوذ من القران ترقيه الي مقام الاحسان فاتصل الاخر بالاول
اي اتصال بلا ارتياب • واتحد به كل اتحاد • ان في ذلك لذكري لاولي الالباب • هذا ما يسره الله
من مدلولات نظومها وجملها بالنسبة الي مفهوماتها وعللها • وبقي النظر الي ما تشير اليه اعداد كلماتها
بلطايف رموزها واشاراتها فهي عشرون كلمة توازيها اذا حسبت من اول النبوة سنة عمرة القضا
وهي السابعة من الهجرة تبين الامن بما وسوس به الشيطان سنة عمرة الحديبية من اجل رويا النبي
صلي الله عليه وسلم لدخول البيت والتطوف به فاذا ضممت اليها الضماير الثلث كانت ثلثا وعشرين
فوازنت السنة العاشرة من الهجرة وهي سنة حجة الوداع وهي القاطعة لتاثير وسواس الشيطان الذي
كان في اول السنة الحادية عشرة عند موت النبي صلي الله عليه وسلم الي العرب بامر الردة فاعاذ الله
من شره بهمة الصديق رضي الله عنه حتي رد الناس الي الدين واذا به وسواس الشياطين
المفسدين • فانتظمت كلمة المسلمين تصديقا لقول النبي صلي الله عليه وسلم في حجة الوداع ان الشيطان
قد ايس ان يعبد في جزيرة العرب بعد اليوم فاذا ضممت اليها كلمات البسملة صارت سبعا وعشرين
توازي سنة استحكام امر عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه الذي ما سلك فجا الا سلك الشيطان
فجا غيره وذلك سنة اربع عشرة من الهجرة هذا بالنظر الي كلماتها فان نظرت اليها من جهة الحروف
كانت لها اسرار كبري من جهة اخري منها ان كلماتها مع كلمات الفاتحة انتظمت من ستة وعشرين
حرفا وهي ما عدا الثا المثلثة والزاي والظا المعجمة من حروف المعجم التسعة والعشرين كل واحدة منهما

من

من اثنين وعشرين حرفا اشتركتا في ثمانية عشر منها واختصت كل واحدة باربعة الفاتحة بالحا والطا المهملتين
والضاد والغين المعجمتين • والناس بالجيم والخا والشين المعجمتين والفا • وقال ابن ميلق سقط من الفاتحة
سبعة احرف ثج خز شظف انتهي • فلعل في ذلك والله اعلم اشارة الي ان تكامل نزول القران من اوله
الي اخره في عدد الحروف التي اشتمل عليها كل من سورتي اوله وآخره من السنين وذلك اثنان وعشرون
والثالثة والعشرون سنة القدوم علي منزله الحي القيوم سبحانه ما اعظم شانه واعز سلطانه
وهذا تمام ما اردته من نظم الدرر من تناسب الآي والسور • ترجمان القران
مبدي مناسب الفرقان • التفسير الذي لم تسمح الاعصار بمثله • ولا فاض عليها من التفاسير
علي كثرة اعدادها كصيب وبله • فرغته في المسودة يوم الثلثا سابع شعبان سنة خمس وسبعين
وثماني مايه بمسجدي من رحبة باب العيد بالقاهرة المعزية • وكان ابتداي فيه في شعبان
سنة احدي وستين فتلك اربع عشرة سنة كاملة وفرغته في هذه المبيضة عصر يوم الاحد عاشر شعبان
سنة اثنين وثمانين وثماني ماية بمنزلي الملاصق للمدرسة البادرايية من دمشق فتلك اثنان وعشرون سنة
بعدد سني النبوة الزاهرة الانيسة العلمية الظاهرة المباركة الزهية • ولولا معونة الله اضحي معدوما
او ناقصا مخروما • فاني بعد ما توغلت فيه • واستقامت لي مبانيه • فوصلت الي قريب من نصفه
فبالغ الفضلا في وصفه • بحسن سبكه وغزارة معانيه واحكام رصفه • دب دا الحسد في جماعة
اولي نكد ومكر ولدد • يريدون الرياسة بالباطل • وكل منهم من جوهر العلم عاطل • مد ليل الجهل
فيهم ظلامه • واثار نقع الشغب علي رووسهم سواده وقتامه • صوبوا سهام الشرور والاباطيل
وانواع الزور • فاكثروا التشبيع للتشنيع والتقبيح والتبشيع • والتخطية والتضليل بالنقل
من التوراة والانجيل • فصنفت في ذلك الاقوال القويمه • في حكم النقل من الكتب القديمه • بينت
فيه ان ذلك سنة مستقيمة • لتاييد الملة الحنيفية العظيمة • واخرجت بذلك نص الشافعي وكلام
النووي والرافعي • واستكتبت علي الكتاب العلما الانجاب • فكتبوا ما اودعته مقاعد النظر
للاشراف علي مقاصد السور • فاطفا الله به نارهم • واظهر عوارهم وشهر خزيهم وعارهم • ثم
قاموا في بدعة دايم المعروف • فصنفت فيها القول المعروف • وبينت مخالفتهم للكتاب والسنة
ووقوعهم في عين الفتنه • وخرقهم لاعظم الجنه • وصريح نص الشافعي ونقول العلما • فكانوا كمن
القم الحجر او ملي فاه بالماء • ثم قاموا في فتنة ابن الفارض وكلهم معاند معارض • والبوا علي رعاع
الناس • فاشتد شعاع الباس • فكادوا ان يطبقوا علي الانعكاس • وصوبوا طريق الالحاد • وبالغوا
في الرفع من اهل الاتحاد • ولجوا بالخصام في العناد • واتوا بمحض الباطل • وبثوا السم القاتل •
الا ناسا قليلا • كان الله بنصرهم علي ضعفهم كفيلا • فسالتهم سوالا • جعلهم ضلالا جهالا • فتداولوه
فيما بينهم وتناقلوه • وعجزوا عن جوابه بعد ان راموه اشد الروم وحاولوه • فظهر لاكثر الناس
حالهم • واشتهر بينهم ضلالهم • وعمهم الواضح ومحالهم • وصنفت في ذلك عدة مصنفات
بانت فيها مخازيهم وظهرت المخبآت منها صواب الجواب للسايل المرتاب ومنها القارض لتكفير
ابن الفارض ومنها تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض ومنها تنبيه الغبي علي تكفير ابن عربي ومنها
تحذير العباد من اهل العناد ببدعة الاتحاد انفقت فيها عمرا مديدا وبددوا فيها اوقاتي
بددهم الله تبديدا وهدد اركانهم واعضادهم تهديدا وقرعتهم بالعجز عن الجواب الكاشف
للارتياب صباحا ومسا واعادة وابدا فحملهم التقريع والتوبيخ والتبجيع علي كتابة جواب لم
يخل من ارتجاج واضطراب • وشك وارتياب • بينت ان جامعه اخطا في جميعه الصواب • وكفر في

اربعة مواضع كفراضها • وكذب في ثمانيه فصار بذلك جرحها بل هالكا طرحها • فاطلت بذلك التقريع
والتوبيخ والتشنيع • فذلت اعناقهم وضعف بشقاقهم • وخبي نفاقهم • غير انه حصل في كل واحدة
من هذه الوقايع من الشرور • وعجايب المقدور • ما غطي ظلامه الشموس الطوالع • وطال الامر في ذلك
سنين وعم الكرب حتي كثر الانين والتضرع في الدعاء والحنين وثبت الله ورزق الصبر والاناه
حتي اكمل هذا الكتاب • علي ما تراه من الحسن والصواب • **وقد قلت** مادحا للكتاب المذكور بما ابان
عنه من عجايب المقدور وغرايب الامور شارحا لحالي وحالهم وظفر آمالي وخيبة آمالهم من مجزو
الرجز وضربه مقطوع والقافيه متواتر مطلق مجرد مسميا له بكتاب لما لما كان جل مقصوده بيان ارتباط
الجمل بعضها ببعض حتي ان كل جملة تكون آخذة بحجزة ما امامها متصلة بها وذلك هو المظهر للمقصود من الكلام
وسره ولبابه الذي هو للكلام الروح وبيان معاني المفردات وكل جملة علي حيالها بمنزلة الجسد فالروح هو
المقصود الاعظم • يدرك ذلك من يذوق ويفهم • ويسري ذهنه في ميادين التراكيب ويعلم • **ولما** ظرف
يراد بها ثبوت الثاني مما تدخل عليه لثبوت الاول علي غاية المكنة بمعني انها كالشرط بطلب جملتين يلزم من
وجود مضمون اولاهما حصول مضمون الثانية فالجملة الاولي ملزوم والثانية لازم لذلك الملزوم • فسمي
الكتاب في هذا النظم بلما لاني اكثرت من استعمالها فيه **لهذا** هذا كتاب لما • لم المعاني لما
غدت بحور علمه • تمد مدا جما • بشرت من يحسده • بان يموت غما • فان قصدي صالح • جاهدت فيه
الهما • فربنا يقبله كيفية وكما • فبالذي اردته • لقد احاط علما • كابدت فيه زمنا من حسدي ما
غما • عدوا سنين عددا يسقون قلبي السما • وكم دهوني مرة وكم رموني سهما • واوسعوا
قلبي اذي • واوسعوني ذما • وكم بغوا لي عثرة • فما راوا لي جرما • وفتروا من قاصدي همة وعزما
وانم وعدوهو بالاذي • واوهنوهم رجما • القي اذا اشتد لظي اذاهم وجما • القي اذا الليل دجا
دبا لبلاد لما • اذاهم وظلما • بدعوة في الظلما استصرخ الله بهم • اقول يا اللهما • يا رب
اني جاهد • فافرج الهي الغما • لا ذنب لي عندهم • الا كتاب لما • جرت ينابيع الهدي منه فصارت
لما • صنعته وفي بحور علمه ما طما • وقد علا تركيبه • وغاد يحلو نظما • عملته نصيحة • لمن يحب العلما
اودعته فرايدا • ترقص منه الفهما • يجلو العمي من لطفها • وتسمع الاصما • خص نفيس علمها • وللاناسي
عما • تنطق من يعني بها • وان يكونوا بكما • افعالها جليلة • اعيذها بالاسما • سهل ربي امره • علي حتي
تما • في اربع وعشرة من السنين صما • قال لسان عدها دونك بدرا تما • وليس يلقي ناقصا •
يا صاحبي يوما ما • اعيذه بالمصطفي من شر وغد ذما • ومن حسود قد غدا من اجله مهتما •
فليس يبغي ذمه • الا بغيض اعمي • كفاه ربي شرهم • وزان منه الاسما • ورد في تدبيرهم تدميرهم والعما
وردهم بغيظهم • لم ينالوا غنما • وزاده سعادة • ولازمته النعما • قال ذلك منشيه احوج الخلايق
الي عفو الخالق ابو الحسن ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن ابي بكر البقاعي الشافعي شملهم الله برحمته

تم نظم الدرر • من تناسب الآي والسور • نفع الله به مالكه وقاريه وكاتبه وغفر لهم ولساير المسلمين
وصلي الله وسلم علي افضل الممكنات • وسيد اهل الارض والسموات • الحبيب المجد والرسول المويد
سيدنا محمد وعلي اله وصحبه • وازواجه وذريته وامته • صلاة وسلاما دايمين ما دام ملك الله
وكان الفراغ من اتمام كتابته يوم الاربعا تمام جمادي الاول سنة اربع وستين وتسعماية من الهجرة النبوية

D25753

A.
545